حياة الصحابة

تأليف

محمد بن يوسف الكاندهلوي

نوبليس

حَيَاةُ الصَّحَابَة

حَيَاةُ الصَّحَابَة

تأليف

محمد بن يوسف الكاندهلوي

قدّم له

أبو الحسن علي الحسني الندوي

المجلد الأول

نوبليس

اسم المجموعة:	حياة الصحابة
اسم الكتـاب:	المجلد الأول
المـؤلـف:	محمد بن يوسف الكاندهلوي
التدقيق والمراقبة:	قسم الدراسات في دار نوبِليس
قياس الكتـاب:	17 × 24
عدد الصفحات:	200
عدد صفحات المجموعة:	2400
مكـان النشـر:	بيروت
دار النشر والتوزيع:	دار نوبِليس
تلفاكس:	75 34 58 (1) 961
هاتـف:	21 11 58 (3) 961 - 21 11 58 (1) 961
بريد إلكتروني:	NOBILIS_INTERNATIONAL@hotmail.com
الطبعة الأولى:	2006

مقدمة الكتاب

بقلم العلامة الشيخ
أبي الحسن علي الحسني الندوي
عالم الديار الهندية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنَّ السيرة النبويَّة وسِيَرَ الصحابة وتاريخهم من أقوى مصادر القوة الإيمانيّة والعاطفة الدينيّة، التي لا تزال هذه الأمة والدعوات الدينية تقتبس منها شُعلة الإيمان وتشعل به مجامِرَ القلوب، التي يُسرع انطفاؤها وخمودُها في مهبِّ الرياح والعواصف المادية، والتي إذا انطفأت فقدت هذه الأمة قوتها وميزتها وتأثيرها، وأصبحت جُثّة هامدة تحملها الحياة على أكتافها.

إنها تاريخ رجال جاءتهم دعوة الإسلام فآمنوا بها، وصدَّقتها قلوبُهم، وما كان قولهم إذا دُعوا إلى الله ورسوله إلا أن قالوا: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [آل عمران: 193] ووضعوا أيديَهم في يد الرسول ﷺ، وهانت عليهم نفوسُهم وأموالُهم وعشيرتُهم، واستطابوا المرارات والمكاره في سبيل الدعوة إلى الله،

وأفضى يقينُها إلى قلوبهم، وسيطر على نفوسهم وعقولهم، وصَدَرَتْ عنهم عجائبُ الإيمان بالغيب، والحبُّ لله والرسول، والرحمة على المؤمنين والشدَّة على الكافرين، وإيثار الآخرة على الدنيا، وإيثار الآجل على العاجل، والغيب على الشهود، والهداية على الجباية، والحرص على دعوة الناس، وإخراج خلق الله من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جَوْر الأديان إلى عَدْل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سَعَتها، والاستهانة بزخارف الدنيا وحُطَامها، وَالشوق إلى لقاء الله والحنين إلى الجنة، وعلوُّ الهمَّة وبُعد النظر في نشر رِفْد الإسلام وخيراته في العالم، وانتشارهم لأجل ذلك في مشارق الأرض ومغاربها، وسهولها وحُزُونها، وأغوارها وأنجادها، ونَسُوا في ذلك لذَّاتهم، وهجروا راحاتهم، وغادروا أوطانهم، وبذلوا مهجهم وحُرَّ أموالهم؛ حتى ألقى الدين بِجِرانه، وأقبلت القلوبُ إلى الله، وهبّت ريحُ الإيمان قويةً عاصفةً، طيبةً مباركةً، وقامت دولة التوحيد والإيمان والعبادة والتقوى، ونَفَقَتْ سوق الجنَّة، وانتشرت الهداية في العالم، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

ضمَّت وقائعَهم كتبُ التاريخ، وحفظت أخبارَهم دواوينُ الإسلام، وكانت دائماً مادة التجديد والبَعْث الجديد في حياة المسلمين، ولذلك اشتدَّت عنايةُ دعاة الإسلام والمصلحين بهذه الحكايات، واستعانوا بها في إيقاظ همم المسلمين وإلهاب قلوبهم بِجذْوة الإيمان والحماسة الدينية.

ولكن أتى على المسلمين حينٌ من الدهر زَهِدوا فيه في هذا التاريخ وتناسَوه، وانصرف كُتّابُهم ومؤلفوهُم ووعاظُهم ودعاتُهم عنه إلى أخبار الزهَّاد والمشايخ والأولياء المتأخرين، وطفحتْ الكتب والمجاميعُ

بحكاياتهم وكراماتهم، وأُولع الناسُ بها ولعاً شديداً، وشغلت مجالسَ الوعظ وحلقاتِ الدروس وصفحاتِ الكُتب.

وكان مِنْ أول من انتبه ـ على ما نعرف ـ في هذا العصر إلى فضل أخبار الصحابة وأحوالهم في الدعوة الإسلامية والتربية الدينية، وإلى قيمة هذه الثروة ـ المطمورة في الأوراق ـ الإصلاحية والتربوية، وتأثيرها في القلوب، وأقبل عليها وعُني بها وأنصف لها المصلحُ الكبير والداعيةُ المشهور الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي رحمه الله (المتوفَّى سنة 1363هـ)، فقد عكف عليها مطالعةً ومدارسةً وحكاية وتذكيراً، رأيتُ له شغفاً عظيماً بالسيرة النبوية وأخبار الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يتذاكرها مع تلاميذه وأصحابه، وتُقرأُ عليه كل ليلة فيسمعها في رغبة ونهامة وإجلال، ويُحبُّ إحياءها ونشرها ومذاكراتها، وكان ابنُ أخيه المحدِّث الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي صاحب «أوجز المسالك إلى موطَّإ الإمام مالك» ألف كتاباً متوسطاً في «أردو» في أخبار الصحابة رضي الله عنهم سمَّاه «حكايات الصحابة» وسُرَّ به الشيخ سروراً عظيماً، وألزم المشتغلين بالدعوة والرحلات في سبيلها مطالعة هذا الكتاب ومدارسته، وكان ـ ولا يزال ـ من أهمِّ الكتب المقررة للدعوة والمتطوِّعين من الكتب التي نالت قبولاً عظيماً ورواجاً كبيراً في الأوساط الدينية.

وورث الشيخ محمد يوسف والدَه العظيم الشيخَ محمد إلياس، ورثه في حمل أعباء الدعوة وأمانتها، وورثه في ذَوْقه واتجاهه في الشَّغَفِ بالسيرة وأحوال الصحابة، وكان هو الذي يقرأُ له هذه الحكايات والدروس من السيرة وتراجم الصحابة في حياته، وأكبَّ بعد وفاته ـ مع الاشتغال الشديد بالدعوة ـ على مطالعة كتب السيرة والتاريخ وطبقات الصحابة، ولا نعرف ـ فيمن نعرف ـ أوسع نظراً في أخبارهم، ودقائق

أحوالهم، وأكثرَ استحضاراً لها، وأحسنَ استشهاداً بها، وأجملَ اقتباساً منها، وأكثرَ إيراداً لها في الحديث والمحاضرات منه، وتكاد تكون هذه الحكاياتُ التاريخية والقصص الحقُّ مصدر قوة كلامه وتأثيره وسر سحره ووقعِه في القلوب، وحَمْل الجماعات الكبيرة على التضحية والإيثار، وَالاستهانة بالمتاعب والمصاعب، وتكبُّد المشاق في سبيل الله. لقد بلغت الدعوةُ في عهده إلى الأقطار العربية، وإلى أمريكا، وأوروبا، واليابان، وجزر المحيط الهندي، ومسَّت الحاجة إلى كتاب كبير يطالعه المشتغلون بالدعوة، والخارجون في الرحلات، ويُدارسونه ويُغذُّون به قلوبَهم وعقولهم، ويُلْهبون به عواطفهم الدينية، ويكون حافزاً لهم على تقليدهم وبذل نفسهم ونفيسِهِم في سبيل الدعوة، والتجول في العالم والهجرة والنصرة، وفضائل الأعمال ومكارم الأخلاق، وإذا قرأوا هذه الأخبار تضاءلت نفوسُهم أمامها كما تتضاءل السواقي أمام البحار، وطوالُ الرجال أمام الجبال الشُمّ، فاتهموا يقينهم، واستصغروا أعمالهم، واحتقروا حياتهم، وارتفعت هِمَمُهُم، وطَمحَت نفوسُهم، وتحركت عزائمهم.

وأراد الله أن يكون للشيخ محمد يوسف فضلُ التأليف في هذا الموضوع الجليل مع فضل الدعوة إليه، مع أنَّ حياته المشغولة المتنقِّلة المزدحمة بالرحلات والضيوف والوفود والدروس أبعدُ شيء من حياة التأليف والكتابة، ولكنه استطاع بتوفيق الله تعالى وعونه وبعلوِّ همته وقوة عزيمته أن يشتغل بالتأليف، ويجمع بين الدعوة والكتابة ـ وما أصعب الجمع بينهما ـ وقد استطاع بحول الله وقوته أن يشتغل بشرح «شرح معاني الآثار»، للإمام الطحاوي، فألف كتاب «أماني الأخبار» في مجلدات كبار، واستطاع بحول الله وقوته أن يؤلف كتاب «حياة الصحابة»

في ثلاثة مجلدات ضخام يجمع فيه ما انتشر وتفرَّق في كتب السِّيَر والتاريخ والطبقات، ويبدأ بأخبار الرسول الأعظم ﷺ، ويُثَنِّي بقصص الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ويُعْنَى بجوانب تَخُصُّ الدعوة والتربية، وتهمُّ الدعاة والمربِّين بصفة خاصّة، فيكون تذكرة الدعاة وزادَ العاملين، ومدرسة الإيمان واليقين لعامة المسلمين.

وقد جمع هذا الكتاب من أخبار الصحابة رضوان الله عليهم وسيرهم وقصصهم وحكاياتهم ما يندر وجودُه في كتابٍ واحدٍ، لأنه اقتبس من كتب كثيرة؛ ككتب الحديث والمسانيد وكتب التاريخ وكتب الطبقات، لذلك جاء هذا الكتاب يصوِّرُ ذلك العصر ويمثل حياة الصحابة رضي الله عنهم وخصائصهم وأخلاقهم وخواطرهم، وقد أَسْبَغت هذه الدِّقَّة وهذا الاستقصاء والإكثار من الروايات والقصص على الكتاب تأثيراً لا يكون للكتب التي بُنِيَت على الإجمال والاختصار ومغزى القصة، ويعيش القارىء لأجله في مُحيط الإيمان والدعوة، والبطولة والفضيلة، والإخلاص والزهد.

وإذا صحّ أنَّ الكتاب صورةٌ نفسيّة للمؤلف وقطعةٌ من قلبه، وأنه يؤثِّر بقدر ما يكتبه المؤلف عن عقيدة واقتناع، وتأثر وانطباع، وبقدر ما يعيش في مادته معناه، إذا صح هذا فأنا أُؤكد أنَّ الكتاب مؤثِّر وناجح، لأن المؤلف قد كتبه عن عقيدة وحماسة، ولذّة وعاطفة، وقد خالط حبُّ الصحابة لحمه ودمه، واستولى على مشاعره وتفكيره، وقد عاش في أخبارهم وأحاديثهم زمناً طويلاً، ولا يزال يعيش فيها، ويستقي من منابعها، فسح الله في مدته، وبارك في حياته.

لم يكن هذا الكتاب في حاجة إلى تصدير مثلي لجلالة مؤلفه وإخلاصه، فإنه ـ على ما أعتقد وأعرف ـ موهبة إلهية وحسنة من حسنات

الزمان في قوة الإيمان، وقوة الدعوة والانقطاع إليها والتفاني في سبيلها، لا يوجد أمثاله إلا بعد فترات طويلة، وهو يقود حركة دينية من أقوى الحركات وأوسعها وأعظمها تأثيراً في النفوس، ولكنَّه أراد أن يُكرمني بذلك، وأردت أن يكون لي نصيبٌ في هذا العمل الجليل، فكتبت هذه الكلمة متقرِّباً بها إلى الله، تَقَبَّلَ الله هذا الكتاب ونفع به عباده.

أبو الحسَن علي الحسني النَّدوي

* * *

بين يدي الكتاب

الآيات القرآنية في طاعة الله سبحانه وطاعة رسوله ﷺ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾ [الفاتحة: 1 ـ 7].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٥١)﴾ [آل عمران: 51].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الانعام: 161 ـ 163].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)﴾ [الأعراف: 158].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء: 64].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال: 20].

وقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: 132].

وقال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: 46].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: 59].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: 51، 52].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور: 54 ـ 56].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ

﴿أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: 70، 71].

وقـــــال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: 24].

وقـــــال: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: 32].

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: 80].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: 69، 70].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: 13، 14].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: 1 ـ 4].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71)﴾ [التوبة: 71].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (31)﴾ [آل عمران: 31].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21)﴾ [الأحزاب: 21]. وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: 7].

* * *

الأحاديث في طاعة النبي ﷺ واتِّباعه واتِّباع خلفائه رضي الله عنهم

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله. ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني».

وأخرج البخاري أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «كل أُمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى» كذا في «الجامع» (2/ 233).

وأخرج البخاري أيضاً عن جابر رضي الله عنه قال: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقالوا: إنَّ لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً. قال بعضهم: إنَّه نائم، وقال بعضهم: إنَّ العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: مَثَلُه كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مأدُبة وبعث داعياً؛ فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدُبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدُبة. فقالوا: أوِّلُوها له يفقَهْها، قال بعضهم: إنَّه نائم، وقال بعضهم: إنَّ العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: الدار الجنة، والداعي محمد، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً فقد عصى الله، ومحمد فَرْقٌ بين الناس.

وأخرج الدارمي عن ربيعة الجَرَشي رضي الله عنه بمعناه، كما في «المشكاة» (ص 21).

وأخرج الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا قوم، إنِّي رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العُريان، فالنَّجاءَ، فالنَّجاءَ فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنَجَوا، وكذّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم؛ فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذَّب ما جئت به من الحق».

وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي كما أتى على بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ؛ حتى إنْ كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإنَّ بني إسرائيل تفرَّقت على ثنتين وسبعين ملَّة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملَّة، كلُّهم في النار إلا ملَّة واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي».

وأخرج الترمذي وأبو داود ـ واللفظ له ـ عن العِرْباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه؛ فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العين ووجلت منها القلوب، فقال رجل: يا رسول الله، كأنَّ هذه موعظة مودِّع فماذا تعهد إلينا؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً؛ فإنَّه من يَعِشْ منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين، تمسّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدَثات الأمور فإنَّ كل مُحْدَثة بدعة وكل بدعة ضلالة».

وأخرج رَزِين عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً: «سألت ربِّي عن اختلاف أصحابي من بعدي، فأوحى إليّ: يا محمد، إنَّ أصحابك عندي

بمنزلة النجوم من السماء بعضها أقوى من بعض ولكلٍّ نور، فمن أخذ بشيء ممن هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى»، وقال: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، كذا في جمع الفوائد (2/ 201).

وأخرج **الترمذي** عن حُذيفة رضي الله عنه مرفوعاً: «إنّي لا أدري قَدْر بقائي فيكم فاقتدوا باللَّذَيْن من بعدي ـ وأشار إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ـ واهتدوا بِهَدْي عمَّار، وما حدَّثكم ابن مسعود فصدِّقوه».

وأخرج **أيضاً** عن بلال بن الحارث المُزَني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحيا سنّة من سنّتي قد أُميتت بعدي فإن له من الأجر مثل أجور من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً. ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه من الإثم مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً».

وأخرج **ابن ماجه** أيضاً نحوَه عن كَثير بن عبد الله بن عمرو عن أبيه عن جده.

وأخرج **الترمذي** أيضاً عن عمرو بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الدين ليأرِز إلى الحجاز كما تأرِز الحيّة إلى جُحْرِها، وليَعْقِلَنَّ الدين من الحجاز مَعْقِل الأُرْوِيَّة من رأس الجبل. إنَّ الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء وهم الذين يُصلحون ما أفسد الناس من بعدي سنّتي».

وأخرج **أيضاً** عن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني، إن قَدرْتَ أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غِشٌّ لأحد فافعل»،

ثم قال: «يا بني، وذلك من سنَّتي، ومن أحب سنّتي فقد أحبني، ومن أحبني، كان معي في الجنة».

وأخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «من تمسك بسنَّتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد». رواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه إلا أنه قال: «فله أجر شهيد»، كذا في الترغيب (1/ 44).

وأخرج الطبراني وأبو نُعَيْم في «الحِلية» عن أبي هريرة رضي الله عنه: «المتمسك بسنَّتي عند فساد أمتي له أجر شهيد».

وأخرج الحكيم عنه: «المتمسك بسنَّتي عند اختلاف أُمتي كالقابض على الجمر» كذا في «كنز العمال» (1/ 47).

وأخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «من رغب عن سنَّتي فليس مني». أخرجه عن ابن عساكر عن ابن عمر وزاد في أوله: «من أخذ بسنّتي فهو مني».

وأخرج الدارقطني عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «من تمسك بالسنَّة دخل الجنَّة».

وأخرج السَّجْزي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «من أحيا سنَّتي فقد أحبَّني ومن أحبَّني كان معي في الجنة».

* * *

الآيات القرآنية في النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم

قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: 40].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: 45، 46].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح: 8، 9].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: 119].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: 24].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: 28].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾﴾ [الفرقان: 56].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: 107].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف: 9].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: 89].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143].

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق: 10، 11].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: 164].

وقال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: 151، 152].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: 159].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا

وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: 40].

وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: 29].

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: 57].

* * *

قول الله تبارك وتعالى في أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: 117، 118].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح: 18، 19].

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: 100].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: 8، 9].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ

جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى
ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: 23].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا
وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم
مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: 15 ـ 17].

وقال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ
﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ
ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ
أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشورى: 36 ـ 39].

وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن
قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ
وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾
[الأحزاب: 23، 24].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ
وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9].

* * *

ذكر الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم في الكتب المتقدمة على القرآن

أخرج أحمد عن عطاء بن يَسَار قال: لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت: أخبرني عن صفاتِ رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: أجلْ. والله إنه لموصوفٌ في التوراة بصفته في القرآن: (يا أيها النبيُّ إنَّا أرسلناك شاهداً، ومبشِّراً، ونذيراً، وَحِرزاً للأمِّيين، أنت عبدي ورسولي، سميتُك المتوكِّل، لا فَظٌّ ولا غليظٌ ولا صخَّابٌ في الأسواق، لا يدفُع بالسيئةِ السيئةَ ولكن يعفو ويغفرُ، ولن يقبضه الله حتى يقيموا الملّة العوجاءَ بأن يقولوا لا إله إلا الله، يفتحُ به أعيناً عُمْياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلْفاً). وأخرجه البخاري نحوه عن عبد الله، والبيهقي عن ابن سَلَام، وفي رواية: «حتى يقيم به الملّة العوجاء». وأخرجه ابن إسحاق عن كعب الأحبار بمعناه. وأخرجه البيهقي عن عائشة رضي الله عنها مختصراً. وذكر وَهْب بن مُنَبِّه أن الله تعالى أوحى إلى داود في الزبور: «يا داود، إنَّه سيأتي من بعدك نبيٌّ اسمه أحمد ومحمد، صادقاً سيّداً، لا أغضب عليه أبداً، وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وأمته مرحومة؛ أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء، وفرضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل، حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء..» إلى أن قال: «يا داود، إنّي فضلت محمداً وأمته على الأمم كلِّها». كذا في «البداية» (2/ 326).

وأخرج أبو نُعَيم في الحلية (٥/٣٨٦) عن سعيد بن أبي هلال أنَّ عبد الله بن عمرو قال لكعب أخبرني عن صفة محمد ﷺ وأمته، قال: أجدُهم في كتاب الله تعالى: «إن أحمد وأمته حمادون يحمدون الله عز وجل على كل خير وشر، يكبرون الله على كل شرف ويسبحون الله في كل منزل نداؤهم في جو السماء، لهم دوي في صلاتهم كدوي النحل على الصخر، يصفون في الصلاة كصفوف الملائكة ويصفون في القتال كصفوفهم في الصلاة، إذا غزوا في سبيل الله كانت الملائكة بين أيديهم ومن خلفهم برماح شداد، إذا حضروا الصف في سبيل الله كان الله عليهم مظلاً ـ وأشار بيده ـ كما تظل النسور على وكورها، لا يتأخرون زحفاً أبداً». وأخرجه أيضاً بإسناد آخر عن كعب بنحوه وفيه: «وأمته الحمَّادون يحمدون الله على كل حال ويكبِّرونه على كل شَرَف، رُعاة الشمس، يصلُّون الصلوات الخمس لوقتهن ولو على كُناسة، يأتزرون على أوساطهم ويوضِّئون أطرافهم». وأُخرج أيضاً بإسناد آخر عن كعب مطوَّلاً.

* * *

الأحاديث في صفة النبي ﷺ

أخرج يعقوب بن سفيان الفَسَوي الحافظ عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: سألت خالي هند بن أبي هالة ـ وكان وصَّافاً ـ عن حِلْية رسول الله ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلَّق به، فقال:

كان رسول الله ﷺ فَخْماً مُفَخَّماً، يتلألأُ وجهه تلألؤَ القمر ليلة البدر. أطولَ من المربوع وأقصر من المشذَّب عظيم الهامة. رَجْل الشعر، إذا تفرقت عقيصته فَرَق، وإلا فلا يجاوز شعرُه شحمةَ أذنيه إذا وفَّره. أزهر اللون. واسع الجبين. أزجَّ الحواجب، سوابغ في غير قَرَن، بينهما عِرْق يُدِرُّه الغضب. أقنى العِرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشمّ. كَثُّ اللحية. أدعج. سهل الخدين. ضليع الفم. أشنب، مُفَلَّجَ الأسنان. دقيق المَسْرُبَةِ. كأن عنقه جيد في صفاء الفضة، معتدلَ الخَلْق. بادناً متماسكاً. سَوَاء البطن والصدر. عريض الصدر. بعيدَ ما بين المنكبين. ضخم الكراديس. أنورَ المتجرد. موصولَ ما بين اللَّبَّة والسُّرَّة بشعر يجري كالخط. عاري الثديَيْن والبطن مما سوى ذلك. أشعرَ الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر. طويلَ الزندين. رَحْبَ الرَّاحة. سبط القصب. شَثْنُ الكفَّين والقدمين. سائل الأطراف. خُمْصان الأخمَصين. مسيح القدمين، ينبو عنهما الماءُ. إذا زال قَلْعاً يخطو تكفُّؤاً ويمشي هوناً. ذَرِعُ المِشية، إذا مشى كأنما ينحطُّ من

صبب. وإذا التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظرُه إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جُلُّ نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسلام».

قلت: صفْ لي منطقه، قال: «كان رسولُ الله ﷺ متواصِلَ الأحزان. دائمَ الفكرة. ليست له راحة. لا يتكلَّم في غير حاجة. طويلَ السكوت. يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه. يتكلم بجوامع الكلم. كلامه فَصْل، لا فضول ولا تقصير، دَمِث. ليس بالجافي ولا المَهين، يعظِّم النِّعمة وإن دقَّت، لا يذم منها شيئاً ولا يمدحه. ولا يقوم لغضبه ـ إذا تُعرِّض للحق ـ شيءٌ حتى ينتصر له. وفي رواية: لا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تُعرِّض للحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيءٌ حتى ينتصر له. لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفِّه كلِّها، وإذا تعجَّب قَلَبها، وإذا تحدَّث يصل بها يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى. وإذا غضب أعرض وأشاح. وإذا فرح غضَّ طرفه، جُلُّ ضحكه التبسُّم يفترُّه عن مِثْل حبِّ الغَمام.

قال الحسن: فكتمتُها الحسنَ بن علي زماناً ثم حدَّثته فوجدته قد سبقني إليه، فسأله عما سألتُه عنه ووجدتُه قد سأل أباه عن مَدْخله ومَخْرجه ومجلسه وشكله فلم يدعْ منه شيئاً.

قال الحسين: سألت أبي عن دخول رسول الله ﷺ فقال: «كان دخولُه لنفسه مأذوناً له في ذلك، وكان إذا أوى إلى منزله جزَّأ دخولَه ثلاثة أجزاء: جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزَّأ جزأه بينه وبين الناس فردَّ ذلك على العامة والخاصَّة لا يدَّخر عنهم شيئاً. وكان من سيرته في جزء الأمّة إيثار أهل الفضل بإذنه وقَسْمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج،

فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول: «ليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته؛ فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياه ثبَّت الله قدميه يوم القيامة»، لا يُذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيرِه، يدخلون عليه رُوّاداً ولا يفترقون إلَّا عن ذَوَّاق - وفي رواية: ولا يفترقون إلا عن ذَوَّاق - ويخرجون أدلّة - يعني على الخير -.

قال: وسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ فقال: «كان رسول الله ﷺ يخزُن لسانه إلا بما يعنيه. ويؤلِّفهم ولا ينفِّرهم. ويكرم كريم كل قوم ويولِّيه عليهم. ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي على أحد منهم بِشْرَه ولا خُلُقَه. يتفقَّد أصحابه، ويسأل الناس عمَّا في الناس، ويُحَسِّن الحسن ويقوِّيه، ويُقَبِّح القبيح ويُوَهِّيه. معتدل الأمر غير مختلف. لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يميلوا. لكلِّ حال عنده عتاد. ولا يقصِّر عن الحق ولا يجوزه. الذين يلونه من الناس خيارهم، أفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

قال: فسألته عن مجلسه كيف كان؟ فقال: «كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ولا يُوطن الأماكن وينهى عن إيطانها. وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك. يعطي كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه أنَّ أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بميسور من القول. قد وسع الناسَ منه بَسطُه وخلقُه فصَار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسُهُ مجلسُ حلم وحياءٍ وصبر وأمانة، لا تُرفع فيه الأصوات، ولا تُؤبن فيه الحرم، ولا تُنثَى

فلتاته. متعادلين يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقِّرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب».

قال: فسألته عن سيرته في جلسائه فقال: «كان رسول الله ﷺ دائم البِشْر، سهل الخُلُق، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخَّاب، ولا فاش، ولا عيَّاب، ولا مزَّاح. يتغافل عما لا يشتهي، ولا يُؤْيِس منه راجيَه، ولا يخيب فيه. قد ترك نفسه من ثلاث: المراء. والإكثار، وما لا يعنيه. وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيِّره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه. إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا تكلم سكتوا وإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده. يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب منه. ويصبر للغريب على الجفْوة في منطقه ومسألته حتى إن كان أصحابه ليستحلبونه في المنطق، ويقول: إذا رأيتم صاحب حاجة فأرْفِدُوه. ولا يقبل الثناء إلا من مكافيء ولا يقطع على أحد حديثه حتى يَجُور فيقطعه بنهي أو قيام».

قال: فسألته كيف كان سكوته؟ قال «كان سكوته على أربع: الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكر؛ فأما تقديره ففي تسويته النظر والاستماع بين الناس، وأمَّا تذكُّره - أو قال: تفكُّره - ففيما يبقى ويفني. وجُمِع له ﷺ الحلم والصبر فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزّه. وجُمِع له الحذر في أربع: أخذه بالحسنى، ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهى عنه، واجتهاد الرأي فيما أصلح أمته، والقيامُ لهم فيما جمع لهم الدنيا الآخرة ﷺ.

وقد روى هذا الحديث بطوله الترمذي في «الشمائل» عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: سألتُ خالي.. فذكَره، وفيه حديثه عن أخيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب. وقد رواه البيهقي في «الدلائل» عن

الحاكم بإسناده عن الحسن قال: سألتُ خالي هند بن أبي هالة.. فذكره، كذا ذكر الحافظ ابن كثير في «البداية» (6/ 33). قلت: وساق إسناد هذا الحديث الحاكم في «المستدرك» (3/ 640) ثم قال.. فذكر الحديث بطوله. وأخرجه أيضاً الرُوياني والطبراني وابن عساكر كما في «كنز العمال» (4/ 32) والبغوي كما في «الإصابة» (3/ 611)، وفيما ذكر في «الكنز» في آخره: وجُمع له الحذر في أربع: أخْذُه بالحسنى ليُقْتَدَى به، وتَرْكُ القبيح ليُتناهى عنه، واجتهاده الرأي فيما أصلَح أمته، والقيام فيما جمع لهم الدنيا والآخرة. وهكذا ذكره في «المجمع» (8/ 275) عن الطبراني.

* * *

الآثار في صفة الصحابة الكرام
رضي الله عنهم

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السُّدِّي في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لو شاء الله لقال: «أنتم» فكنَّا كلُّنا ولكن قال: «كنتم» خاصّة في أصحاب محمد ﷺ ومَنْ صنع مثل صنيعهم، كانوا خيرَ أمّة أُخرجَتْ للنَّاس). وعند ابن جرير عن قَتَادة رضي الله عنه قال: ذُكرَ لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110] ـ الآية، ثم قال: (يا أيُّها الناس، من سرَّه أن يكون من تِلْكم الآية فليؤدّ شرط الله منها). كذا في «كنز العمال» (1/ 238).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 375) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إنَّ الله نظر في قلوب العباد فاختار محمداً ﷺ فبعثه برسالته وانتخبه بعلمه. ثم نظر في قلوب الناس بعده فاختار الله له أصحاباً، فجعلَهم أنصارَ دينه ووزراءَ نبيِّه ﷺ، فما رآه المؤمنون حسناً فهو حسنٌ وما رآه المؤمنون قبيحاً فهو عند الله قبيحٌ).

وأخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (1/ 6) عن ابن مسعود رضي الله عنه بمعناه ولم يذكُر: (فما رآه المؤمنون ـ إلى آخره). وأخرجه الطَّيالسي (ص 33) أيضاً نحو حديث أبي نُعيم.

وأخرج أبو نُعيم أيضاً عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:

(من كان مُستنّاً فليستنَّ بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمّة، أبرَّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلَّها تكلُّفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيِّه ﷺ ونقل دينه، فتشبَّهوا بأخلاقهم وطرائقهم؛ فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم والله ربِّ الكعبة). كذا في «الحلية» (1/ 305). وأخرج أيضاً عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (أنتم أكثرُ صياماً وأكثرُ صلاةً وأكثرُ اجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيراً منكم!! قالوا: لِمَ يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة). كذا في «الحلية» (1/ 136). وأخرج أيضاً عن أبي وائل قال: سمع عبد الله رجلاً يقول: أين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة؟ فقال عبد الله: (أولئك أصحاب الجابية، اشترط خمسمائة من المسلمين أن لا يرجعوا حتى يُقتلوا، فحلقوا رؤوسهم ولقُوا العدو فقُتلوا إلَّا مخبرٌ عنهم) كذا في «حلية الأولياء» (1/ 135).

وأخرج أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رجلاً يقول: أين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة؟ فأراه قبرَ النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: (عن هؤلاء تسأل). كذا في «الحلية» (1/ 307).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي أراكة يقول: صليتُ مع علي رضي الله عنه صلاة الفجر، فلما انفَتَلَ عن يمينه مكث كأنَّ عليه كآبةً، حتى إذا كانت الشمس على حائِط المسجد قِيدَ رُمْح صلَّى ركعتين ثم قَلَب يده فقال: (والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يُشبههم!! لقد كانوا يُصبحون صُفْراً شُعْثاً غُبْراً بين أعينهم كأمثال رُكَب المِعزى، قد باتوا لله سُجّداً وقياماً، يتلُون كتاب الله، يتراوحون بين

جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادُوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تنبل ثيابهم، والله لكأنّ القومَ باتوا غافلين)!! ثم نهض فما رُئِيَ بعد ذلك مفترّاً يضحك حتى قتله ابن مُلْجَم عدوُّ الله الفاسق، كذا في «البداية» (8/ 6). وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 76) والدينَوَري والعسكري وابن عساكر كما في «الكنز» (8/ 219).

وأخرج أبو نُعيم (1/ 84) أيضاً عن أبي صالح قال: دخل ضرار بن ضمرة الكِناني على معاوية فقال له: صِفْ لي علياً، فقال: أَوَ تُعْفيني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أُعفيك، قال: (أما إذْ لا بدَّ؛ فإنَّه كان ـ والله ـ بعيد المدى، شديد القوى، يقول فَصْلاً ويحكم عدلاً، يتفجَّرُ العلمُ من جوانبه، وتنطِق الحكمةُ من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنسُ بالليل وظلمته، كان ـ والله ـ غزير العَبْرة، طويل الفكرة، يقلِّبُ كفَّه ويخاطب نفسه، يُعجبه من اللباس ما قَصُر. ومن الطعام ما جَشُب، كان ـ والله ـ كأحدنا يُدنينا إذا أتيناه، ويُجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقرُّبِه إلينا وقربِهِ منا لا نكلمه هيبة له، فإن تبسم فَعَنْ مثل اللؤلؤ المنظوم، يُعَظِّمُ أهل الدين، ويُحبُّ المساكين، لا يطمعُ القويُّ في باطله، ولا ييأسُ الضعيف من عدله، فأشْهدُ بالله لقد رأيتُه في بعض مواقفه ـ وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه ـ يميلُ في محرابه قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا، يا ربنا، يتضرع إليه ثم يقول للدنيا: إليَّ تَغَرَّرْتِ؟! إليَّ تشوَّفتِ؟! هيهات هيهات، غُرِّي غيري، قد بَتَتُّكِ ثلاثاً. فعمرُكِ قصيرٌ، ومجلسُكِ حقيرٌ، وخطرُكِ يسير، آه، آه، من قلة الزاد وبُعد السفر ووحشةِ الطريق)!! فَوَكَفَتْ دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه ـ

وقد اختنق القوم بالبكاء ـ فقال: (كذا كان أبو الحسن رحمه الله، كيف وَجْدُكَ عليه يا ضرار)؟ قال: «وَجْد مَنْ ذُبح واحدها في حِجْرها، لا ترقأُ دمعتها، ولا يسكن حزنها) ثم قام فخرج. وأخرجه أيضاً ابن عبد البر في «الاستيعاب» (3/ 44) عن الحِرماني ـ رجل من همْدان ـ عن ضِرار الصُدَائي بمعناه.

وأخرج أبو نُعيم عن قتادة قال: سُئل ابن عمر رضي الله عنهما هل كان أصحاب النبي ﷺ يضحكون؟ قال: (نعم والإيمانُ في قلوبهم أعظمُ من الجبال) كذا في «الحلية» (1/ 311).

وأخرج هنّاد عن سعيد بن عمر القرشي أنَّ عمر رضي الله عنه رأى رُفْقة من أهل اليمن رحالهم الأُدُم فقال: (من أحبَّ أن ينظر إلى شَبَهِ كانوا بأصحاب رسول الله ﷺ فلينظر إلى هؤلاء) كذا في «كنز العمال» (7/ 163).

وأخرج الحاكم في «المستدرك» (3/ 264) عن أبي سعيد المَقْبُري قال: لما طُعن أبو عبيدة رضي الله عنه قال: يا معاذُ صلِّ بالناس. فصلى معاذ بالناس، ثم مات أبو عبيدة بن الجراح، فقام معاذ في الناس فقال: (يا أيّها الناس، توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحاً فإن عبد الله لا يلقى الله تائباً من ذنبه إلا كان حقاً على الله أن يغفر له. ثم قال: إنكم أيها الناس، قد فُجِعتم برجل ـ والله ـ ما أزعم أني رأيت من عباد الله عبداً قطُّ أقل غِمْراً، ولا أبرأ صدراً، ولا أبعد غائلة، ولا أشد حباً للعاقبة، ولا أنصح للعامة منه، فترحَّموا عليه ثم أصْحِروا للصلاة عليه، فوالله لا يلي عليكم مثله أبداً). فاجتمع الناس وأُخرج أبو عبيدة رضي الله عنه وتقدَّم معاذ رضي الله عنه فصلّى عليه، حتى إذا أُتي به قبره دخل قبره معاذ بن جبل وعمرو بن العاص والضحَّاك بن قيس، فلما وضعوه في

لحده وخرجوا فشنّوا عليه التراب، فقال معاذ بن جبل: (يا أبا عبيدة، لأثنِيَنَّ عليك ولا أقول باطلاً أخاف أن يلحقني بها من الله مَقْتٌ: كنتَ - والله - ما علمتُ من الذاكرين الله كثيراً، ومن الذين يمشون على الأرض هَوْناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، ومن الذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يقتُروا وكان بين ذلك قواماً، وكنت والله من المُخبتين، المتواضعين، الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويُبغضون الخائنين المتكبرين).

وأخرج الطبراني عن رِبْعي بن حِرَاش قال: استأذن عبد الله بن عباس على معاوية رضي الله عنهم وقد عَلِقت عنده بطون قريش وسعيد بن العاص جالس عن يمينه، فلما رآه معاوية مقبلاً قال: يا سعيد، والله لألقِيَنَّ على ابن عباس مسائل يعيا بجوابها، فقال له سعيد: ليس مثل ابن عباس يعيا بمسائلك. فلما جلس قال له معاوية: ما تقول في أبي بكر؟ قال: (رحم الله أبا بكر، كان - والله - للقرآن تالياً، وعن المَيْل نائياً، وعن الفحشاء ساهياً، وعن المنكر ناهياً، وبدينه عارفاً، ومن الله خائفاً. وبالليل قائماً، وبالنهار صائماً، ومن دنياه سالماً، وعلى عدل البرية عازماً، وبالمعروف آمراً، وإليه صائراً، وفي الأحوال شاكراً، ولله في الغدو والرواح ذاكراً، ولنفسه بالمصالح قاهراً. فاق أصحابه ورعاً وكفافاً وزهداً وعفافاً وبرّاً وحِياطة وزهادة وكفاءة، فأعقبَ اللهُ مَنْ ثَلَبه اللعائنَ إلى يوم القيامة).

قال معاوية: فما تقول في عمر بن الخطاب؟ قال: (رحم الله أبا حفص، كان - والله - حليف الإسلام، ومأوى الأيتام، ومحلَّ الإيمان، وملاذ الضعفاء، ومعقلَ الحنفاء، للخَلْق حصناً، وللناس عوناً، قام بحق الله صابراً محتسباً حتى أظهر الله الدين وفتح الديار، وذُكِر الله في

الأقطار والمناهل وعلى التلال وفي الضواحي والبقاع، وعند الخَنى وقوراً، وفي الشّدة والرخاء شكوراً، ولله في كل وقت وأوان ذكوراً، فأعقب الله من يبغضه اللعنة إلى يوم الحسرة).

قال معاوية رضي الله عنه: فما تقول في عثمان بن عفان؟ قال: (رحم الله أبا عمرو، كان ـ والله ـ أكرم الحَفَدة، وأوصلَ البررة، وأصبرَ الغزاة، هجّاداً بالأسحار. كثيرَ الدموع عند ذكر الله، دائمَ الفكر فيما يعنيه الليلَ والنهارَ، ناهضاً إلى كل مكرمة، يسعى إلى كل منجية، فرّاراً من كل مُوبقة، وصاحب الجيش والبئر، وخَتَن المصطفى على ابنتيه، فأعقب الله من سبَّه الندامة إلى يوم القيامة).

قال معاوية: فما تقول في علي بن أبي طالب؟ قال: (رحم الله أبا الحسن كان ـ والله ـ علمَ الهدى، وكهفَ التقى، ومحل الحجا، وطَوْدَ البهاء، ونور السُّرَى في ظلم الدُّجَى، داعياً إلى المَحَجَّة العظمى، عالماً بما في الصحف الأولى، وقائماً بالتأويل والذكرى، متعلِّقاً بأسباب الهدى، وتاركاً للجَوْر والأذى. وحائداً عن طرقات الرَّدَى، وخيرَ من آمن واتقى، وسيِّدَ من تقمَّص وارتدى، وأفضلَ من حجَّ وسعى، وأسمحَ من عدل وسوَّى، وأخطبَ أهل الدنيا إلا الأنبياء والنبي المصطفى، وصاحب القبلتين، فهل يوازيه موحِّدٌ؟! وزوج خير النساء، وأبو السبطين، لم تَرَ عيني مثله ولا ترى إلى يوم القيامة واللقاء، من لعنه فعليه لعنةُ الله والعباد إلى يوم القيامة).

قال: فما تقول في طلحةَ والزبير؟ قال: (رحمة الله عليهما، كانا ـ والله ـ عفيفَين، برّين، مسلمَين، طاهرَين، متطهِّرَين، شهيدَين، عالِمَين، زَلَّا زلَّة واللهُ غافرٌ لهما إن شاء الله بالنُّصرة القديمة والصُّحبة القديمة والأفعال الجميلة).

قال معاوية: فما تقول في العبَّاس؟ قال: (رحم الله أبا الفضل كان - والله - صِنوَ أبي رسول الله ﷺ، وقرَّة عين صفيِّ الله، كهف الأقوام، وسيّد الأعمام، وقد عَلّا بصراً بالأمور ونظراً بالعواقب. قد زانَه علمٌ، قد تلاشت الأحساب عند ذكر فضيلته، وتباعدت الأسباب عند فخر عشيرته، ولم لا يكون كذلك! وقد ساسه أكرم من دبَّ وهب عبدُ المطلب، أفخر من مشى من قريش وركب)؟!... فذكر الحديث.
قال الهيثمي (9/ 160): رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفهم.

* * *

الباب الأول

باب الدعوة إلى الله وإلى رسوله ﷺ

كيف كانت الدعوةُ إلى الله وإلى رسوله ﷺ أحَبَّ إلى النبي عليه السلام وإلى الصحابة رضي الله عنهم من كل شيء!؟ وكيف كانوا حريصين على أن يهتديَ الناس ويدخلوا في دين الله وينغَمسوا في رحمة الله!؟ وكيف كان سعيهم في ذلك لإيصال الخلق إلى الحق!؟.

حب الدعوة والشغف بها

أخرج الطبراني عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: 105] ونحو هذا من القرآن قال: (إن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويبايعونه على الهدى، فأخبره الله عزّ وجلّ أنّه لا يؤمن إلّا من سبق له من الله السعادةُ في الذِّكْر الأول، ولا يضلُّ إلّا من سبق له من الله الشقاء في الذِّكْر الأول، ثم قال الله عزّ وجلّ لنبيه ﷺ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝﴾ [الشعراء: 3، 4]. قال الهيثمي (7/ 85): رجاله وُثِّقوا إلّا أنَّ عليَّ بن أبي طلحة قيل: لم يسمع من ابن عباس. انتهى.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال لمَّا مرض أبو طالب دخل عليه رَهْط من قريش فيهم أبو جهل فقالوا: إنَّ ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول، فلو بعثتَ إليه فنهيتَه. فبعث إليه فجاء النبي ﷺ فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قَدْرُ مجلسِ رجلٍ، قال: فخشي أبو جهل ـ لعنهُ الله ـ إنْ جلس إلى جنب أبي طالب أنْ يكون أرقَّ له عليه؛ فوثب فجلس في ذلك المجلس، ولم يجدْ رسول الله ﷺ مجلساً قربَ عمِّه فجلس عند الباب، فقال له أبو طالب: أيِ ابن أخي، ما بال قومك يشكونك ويزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول؟ قال: وأكثروا عليه من القول. وتكلَّم رسول الله ﷺ فقال: «يا عمّ إنِّي أريدهم

على كلمة واحدة يقولونها؛ تَدينُ لهم بها العرب وتُؤدِّي إليهم بها العجمُ الجزيةَ». ففزعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم: كلمة واحدة!! نعمْ وأبيكَ عشراً، فقالوا: وما هي؟ وقال أبو طالب: وأيُّ كلمة هي يا بن أخي؟ قال ﷺ: «لا إله إلا الله»، فقاموا فَزِعين ينفُضُون ثيابهم وهم يقولون: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: 5]، قال: ونزلت من هذا الموضع ـ إلى قوله: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ [ص: 8]. وهكذا رواه الإمام أحمد والنَّسائي وابن أبي حاتم وابن جرير كلهم في تفاسيرهم، ورواه الترمذي وقال: حسن، كذا في التفسير لابن كثير (4/ 28)؛ وأخرجه البيهقي (9/ 188) أيضاً والحاكم (2/ 432) بمعناه وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، وقال الذهبي: صحيح. ا هـ.

وعند ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ كما في «البداية» (3/ 123) ـ قال: لمّا مَشوا إلى أبي طالب وكلَّموه وهم أشراف قومه: عُتبةُ بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأُميةُ بن خَلَف، وأبو سفيان بن حَرب، في رجال من أشرافهم، فقالوا: يا أبا طالب، إنَّك منَّا حيث قد علمتَ، وقد حضرك ما ترى، وتخوَّفنا عليك، قد علمتَ الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادْعه فخذْ لنا منه وخذْ له منّا ليكفَّ عنا ولنكفَّ عنه ولْيدَعْنا وديننا ولْنَدَعه ودينه.

فبعث إليه أبو طالب فجاءه، فقال: يا بن أخي، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليَأخذوا منك، قال: فقال رسول الله ﷺ: «نعم كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب وتَدين لكم بها العجم»، فقال أبو جهل: نعم وأبيك وعشر كلمات، قال: «تقولون: لا إله إلا الله، وتخلَعون ما تعبدون من دونه». فصفَّقوا بأيديهم، ثم قالوا: يا محمد، أتريد أن تجعلَ الآلهة إلهاً واحداً؟ إنَّ أمرك لعجبٌ!!

قال: ثم قال بعضهم لبعض: إنَّه ـ والله ـ ما هذا الرجل بمعطيكُم شيئاً مما تريدون، فانطلِقُوا وامضُوا على دين آبائكم حتى يحكُم الله بينكم وبينه، ثم تفرَّقوا.

قال: فقال أبو طالب: واللهِ يا بن أخي، ما رأيتك سألتهم شططاً، قال: فطمع رسول الله ﷺ فيه، فجعل يقول له: أيْ عم، فأنت فقُلْها أستحلُّ لك بها الشفاعة يوم القيامة». فلما رأى حرص رسول الله ﷺ قال: يا بن أخي. والله لولا مخافةُ السُّبَّة عليك وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظنَّ قريش أني إنما قلتها جَزَعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلَّا لأسرَّكَ بها.. فذكر الحديث.. وفيه راوٍ مبهم لا يُعرف حالُه.

وعند **البخاري** عن ابن المسيَّب عن أبيه أنَّ أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال: «أيْ عم، قل: لا إله إلا الله كلمةً أحاجُّ بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملَّة عبد المطلب؟! فلم يزالا يكلِّمانه حتى قال آخر ما كلَّمهم به: على ملَّةِ عبد المطلب؛ فقال النبي ﷺ: «لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك» فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: 113] ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: 56]، ورواه مسلم. وأخرجاه أيضاً من طريق آخرَ عنه بنَحْوِه وقال فيه: فلم يزلْ رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى قال آخر ما قال: على ملَّة عبد المطَّلب، وأبى أن يقول: «لا إله إلا الله» فقال النبي ﷺ: «أمَا لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك»، فأنزلَ الله ـ يعني بعد ذلك ـ فذكر الآيتين.

وهكذا روى الإمام أحمد ومسلم والنَّسائي والترمذي عن أبي هريرة

رضي الله عنه قال: لما حضرتْ وفاةُ أبي طالب أتاه رسول الله ﷺ فقال: «يا عمَّاه! قُلْ: لا إله إلا الله أشهدْ لك بها يوم القيامة»، فقال: لولا أنْ تعيِّرني قريش يقولون: ما حمله عليه إلَّا فزعُ الموت لأقررتُ بها عينك، ولا أقولها إلا لأُقرَّ بها عينك؛ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: 56]، كذا في «البداية» (3/ 124).

وأخرج الطبراني والبخاري في التاريخ عن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه قال: جاءت قريش إلى أبي طالب... فذكر الحديث كما سيأتي في باب تحمُّل الشدائد وفيه: فقال له أبو طالب: يا بن أخي، والله ما علمتُ إنْ كنت لي لمطاعاً، وقد جاء قومك يزعمون أنّك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديهم تسمعهم ما يؤذيهم فإنْ رأيت أن تكفَّ عنهم. فحلَّق ببصره إلى السماء فقال: «والله ما أنا بأقدرَ أنْ أدَع ما بُعثتُ به مِنْ أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار». وعند البيهقي أنَّ أبا طالب قال له ﷺ: يا ابن أخي، إنَّ قومك قد جاؤوني وقالوا كذا وكذا، فأبْقِ عليَّ وعلى نفسك ولا تحمِّلْني مِنَ الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكففْ عن قومك ما يكرهون من قولك، فظنَّ رسول الله ﷺ أنْ قد بَدَا لعمه فيه، وأنَّه خاذلُه ومسلمُه وضَعُفَ عن القيام معه، فقال رسول الله ﷺ: «يا عمّ، لو وُضعت الشمسُ عن يميني والقمرُ في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يُظهرَهُ الله أو أهلِكَ في طلبه»؛ ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى - فذكر الحديث كما سيأتي.

وأخرج عبد بن حُمَيد في «مسنده» عن ابن أبي شيبة بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: اجتمع قريش يوماً فقالوا: انظروا أعلمَكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرَّق جماعتنا

وشتَّت أمرنا وعاب ديننا، فليُكلمْهُ، وينظر ماذا يردُّ عليه، فقالوا: ما نعلم أحداً غيرَ عُتبة بن ربيعة؛ قالوا: ائتِهِ يا أبا الوليد، فأتاه عتبة فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ، فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ، قال: فإن كنتَ تزعم أنَّ هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عِبْتَ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك!! إنَّا ـ والله ـ ما رأينا سَخْلة قط أشأم على قومه منك، فرقتَ جماعتنا، وشتَّتَّ أمرنا، وعِبتَ ديننا، وفضحتَنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أنَّ في قريش ساحراً وأنَّ في قريش كاهناً والله ما ننتظر إلا مثلَ صيحة الحبلى أنْ يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى!! أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإنْ كان إنما بك الباه فاختر أيَّ نساء قريش شئت فلنزوجكَ عشراً.

فقال رسول الله ﷺ: «فَرغت؟» قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [فصلت: 1 - 3] ـ إلى أنْ بلغ ـ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ [فصلت: 13]، فقال عتبة: حسْبُك!! ما عندك غير هذا؟ قال: «لا»؛ فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءَك؟ قال: ما تركت شيئاً أرى أنكم تكلِّمونه إلا كلَّمته، قالوا: فهل أجابك؟ فقال: نعم، ثم قال: لا والذي نَصَبَها بَنِيَّة ما فهمتُ شيئاً ممَّا قال غير أنَّه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمودا!! قالوا: ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟! قال: لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة.

وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم وزاد: وإن كنتَ إنما بك

الرئاسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأساً ما بقيت. وعنده: أنَّه لما قال: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: 13] أمسك عتبة على فيهِ وناشده الرَّحِم أن يكفَّ عنه ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم، فقال أبو جهل: والله يا معشر قريش، ما نرى عتبة إلا صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، انطلقوا بنا إليه. فأتوه، فقال أبو جهل: والله يا عتبة، ما جئنا إلا أنك صبوْتَ إلى محمد وأعجبك أمره، فإن كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد. فغضب وأقسم بالله لا يُكلِّم محمداً أبداً، وقال: لقد علمتُم أني من أكثر قريش مالاً ولكنِّي أتيته ـ وقصَّ عليهم القصة ـ فأجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كِهانة، قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ [فصلت: 1 ـ 2] ـ حتى بلغ ـ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: 13]؛ فأمسكت بفيهِ وناشدته الرَّحِم أنْ يكفَّ، وقد علمتم أنَّ محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب!! فخفت أن ينزل عليكم العذاب، كذا في «البداية» (3/ 62). وأخرجه أبو يَعْلَى عن جابر رضي الله عنه مثل حديث عبد بن حُمَيد. وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 75) بنحوه، قال الهيثمي (6/ 20): وفيه الأجلحُ الكِندي وثَّقه ابن مَعِين وغيره وضعفَّه النَّسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج أبو نُعيم في «دلائل النبوة» (ص 76) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن قريشاً اجتمعت لرسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالس في المسجد، فقال عتبة بن ربيعة لهم: دعوني حتى أقومَ إليه أكلمه فإني عسى أن أكون أرفقَ به منكم، فقام عتبة حتى جلس إليه فقال: يا بن أخي، أراكَ أوسطنا بيتاً، وأفضلنا مكاناً، وقد أدخلت على قومك ما لم

يُدخل رجل على قومه مثله!! فإنْ كنت تطلب بهذا الحديث مالاً فذلك لك على قومك أنْ يُجمع لك حتى تكون أكثرنا مالاً. وإن كنت تطلب شَرَفاً فنحن نشرّفك حتى لا يكون أحد من قومك أشرف منك ولا نقطع أمراً دونك. وإن كان هذا عن ملمّ يصيبك فلا تقدر على النزوع منه بذلنا لك خزائننا حتى نُعْذَر في طلب الطبّ لذلك منك. وإن كنت تريد ملكاً ملّكناك.

فقال رسول الله ﷺ: «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم. قال: فقرأ عليه رسول الله ﷺ حَم السَّجْدة، حتى مرَّ بالسجدة، فسجد رسول الله ﷺ وعتبة مُلْقٍ يده خَلْف ظهره حتى فرغ من قراءتها، ثم قام عتبة ما يدري ما يرجع به إلى نادي قومه، فلما رأوه مقبلاً قالوا: لقد رجع إليكم بوجه غير ما قام من عندكم. فجلس إليهم فقال: يا معشر قريش، قد كلمته بالذي أمرتموني به حتى إذ فرغت كلمني بكلام لا والله ما سمعت أذناي مثله قط وما دريت ما أقول له!! يا معشر قريش، فأطيعوني اليوم واعصوني فيما بعده واتركوا الرجل واعتزلوه، فوالله ما هو بتارك ما هو عليه، وخلُّوا بينه وبين سائر العرب، فإن يظهر عليهم يكن شرفه شرفكم وعزه عزكم، وإن يظهروا عليه تكونوا قد كُفيتموه بغيركم. قالوا: صبأت يا أبا الوليد. وهكذا ذكره ابن إسحاق بطوله كما ذكر في «البداية» (3/ 63)، وأخرجه البيهقي أيضاً من حديث عمر مختصراً، قال ابن كثير في «البداية» (3/ 64): وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه.

وأخرج البخاري عن المِسْور بن مَخْرَمة ومروان قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية ـ فذكر الحديث بطوله كما سيأتي في هذا الباب في الأخلاق المُفضية إلى هداية الناس، وفيه: فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيل بن وَرْقاء الخُزاعي في نفر من قومه من خُزاعة ـ وكانوا عَيْبَة

نصح رسول الله ﷺ من أهل تِهامة ـ فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعدا مياه الحديبية ومعهم العُوذُ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: «إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكنَّا جئنا معتمرين، وإنَّ قريشاً قد نَهكَتْهُم الحرب وأضرت بهم فإن شاؤوا مادَدْتهم مدة ويخلُّوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جَمُّوا، وإن هم أبَوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنَّهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذنَّ أمر الله».

وعند الطبراني عن المِسْور ومروان مرفوعاً: «يا ويح قريش!! لقد أكلتهم الحرب، فماذا عليهم لو خلَّوْا بيني وبين سائر العرب، فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإنِ الله أظهرني عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يقبلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟! فوالله لا أزال أُجاهدهم على الذي بعثني الله حتى يظهرني الله أو تنفرد هذه السالفة» كذا في «كنز العمال» (2/ 287). وهكذا أخرجه ابن إسحاق من طريق الزُّهْري، وفي حديثه: «فما تظن قريش؟! فوالله لا أزال أُجاهد على هذا الذي بعثني الله به حتى يظهرَه الله أو تنفرد هذه السالفة»، كذا في «البداية» (4/ 165).

وأخرج البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأُعطِيَنَّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسولَه ويحبه الله ورسولُه». قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيُّهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غَدَوا على النبي ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «أين عليّ بن أبي طالب؟» فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسل إليه فأتى فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى

كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال رسول الله ﷺ: «انفُذ على رِسْلَك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعُهم إلى الإسلام؛ وأخبرهم بما يجب عليهم من حقِّ الله تعالى فيه؛ فوالله لئن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم». وأخرجه أيضاً مسلم (2/ 279) نحوه.

وأخرج ابن سعد (4/ 137) عن المقداد بن عمرو قال: أنا أسرت الحَكَم بن كَيْسان، فأراد أميرنا ضرب عنقه، فقلت: دَعْهُ نَقْدَمْ به على رسول الله ﷺ، فقدِمْنا، فجعل رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام فأطالَ، فقال عمر: علام تكلِّم هذا يا رسول الله؟ والله لا يسلم هذا آخر الأبد، دَعْني أضربْ عنقه وَيَقْدَم إلى أُمه الهاوية، فجعل النبي ﷺ لا يُقبل على عمر حتى أسلم الحكم، فقال عمر: فما هو إلّا أن رأيته قد أسلم حتى أخذني ما تقدَّم وما تأخَّر، وقلت: كيف أردُّ على النبي ﷺ أمراً هو أعلم به مني؟! ثم أقول: إنما أردت بذلك النصيحة لله ولرسوله، فقال عمر: فأسلم والله فحسن إسلامه وجهد في الله حتى قتل شهيداً ببئر معونة ورسول الله ﷺ راضٍ عنه ودخل الجنان.

وعنده أيضاً (4/ 138) عن الزهري قال: قال الحكم: وما الإسلام؟ قال: «تعبد الله وحده لا شريك له وتشهد أن محمداً عبده ورسوله»، فقال: قد أسلمت، فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه فقال: «لو أطعتكم فيه آنفاً فقتلتُه دخل النار».

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشيِّ بن حرب قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: يا محمد، كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلقَ أثاماً، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مُهاناً؛ وأنا

صنعت ذلك؟! فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: 70]. فقال وحشي: يا محمد، هذا شرط شديد «إِلَّا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً» فلعلّي لا أقدر على هذا، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: 48]، فقال وحشي: يا محمد، هذا أرى بعد مشيئة، فلا أدري هل يغفر لي أم لا فهل غير هذا؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: 53]، قال وحشي: هذا نعم، فأسلم؛ فقال الناس: يا رسول الله، إنا أصبنا ما أصاب وحشي، قال: «هي للمسلمين عامّة». قال الهيثمي (7/ 100): وفيه أُبَيْنُ بن سفيان ضعّفه الذهبي.

وعند البخاري (2/ 710) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنَوا فأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسنٌ لو تخبرنا أنَّ لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ﴾ [الفرقان: 68]، ونزل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾. وأخرجه أيضاً مسلم (1/ 76) وأبو داود (2/ 238) والنَّسائي، كما في العيني (9/ 121) وأخرجه البيهقي (9/ 89) بنحوه.

وأخرج الطبراني وأبو نُعيم في «الحلية» **والحاكم** عن أبي ثعلبة الخُشَني قال: قدم رسول الله ﷺ من غَزاة له، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين وكان يعجبه إذا قدم من سفر أن يدخل المسجد فيصلي فيه ركعتين

يُثَنِّي بفاطمة ثم أزواجه - فقدم من سفره مرة فأتى فاطمة فبدأ بها قبل بيوت أزواجه، فاستقبلته على باب البيت فاطمة فجعلت تقبل وجهه - وفي لفظ: فاه - وعينيه وتبكي، فقال لها رسول الله ﷺ: «ما يبكيك؟» قالت: أراك يا رسول الله، قد شحب لونك، واخلولقت ثيابك، فقال لها رسول الله ﷺ: «يا فاطمة لا تبكي فإنَّ الله بعث أباك بأمر لا يبقى على ظهر الأرض بيت مَدَر ولا وبر ولا شَعَر إلا أدخله الله به عزاً أو ذلاً حتى يبلغَ حيث يبلغ الليل» كذا في «كنز العمال» (1/ 77). وقال الهيثمي (8/ 262): رواه الطبراني، وفيه يزيد بن سِنان أبو فَرْوة وهو مقارب الحديث مع ضعف كثير - انتهى، وقال الحاكم (3/ 155): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، وتعقبه الذهبي فقال: يزيد بن سنان هو الرّهاوي ضعَّفه أحمد وغيره، وعُقْبة (أي شيخه) نَكِرة لا تعرف - انتهى، وذكر عُقْبة في اللسان فقال: قال البُخاري في صحته نظر، وذكره ابن حِبَّان في «الثقات». انتهى.

وأخرج أحمد والطبراني عن تميم الداريِّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليلُ والنهارُ، ولا يترك الله بيت مَدَر ولا وَبَر إلا أدخله الله هذا الدين بعزِّ عزيز أو بذلٌ ذليل، عزّاً يعز الله به الإسلام وأهله وذلًا يذل الله به الكفر»، وكان تميم الداري يقول: عرفت ذلك من أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعزّ، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذلَّ والصَّغَار والجزية. كذا في «المجمع» (6/ 14) و (8/ 262). قال الهيثمي (6/ 14): رجال أحمد رجال الصحيح. انتهى. وأخرج الطبراني نحوه عن المقداد أيضاً.

وأخرج عبد الرزاق عن أنس رضي الله عنه قال: بعثني أبو موسى

بفتح تُسْتَر إلى عمر، فسألني عمر ـ وكان ستة نفر من بكر بن وائل قد ارتدُّوا عن الإسلام ولحقوا بالمشركين فقال: ما فعل النفر من بكر بن وائل؟ قلت: يا أمير المؤمنين، قوم قد ارتدُّوا عن الإسلام ولحقوا بالمشركين ما سبيلهم إلَّا القتل، فقال عمر: لأن أكون أخذتُهم سِلْماً أحبّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس من صفراء وبيضاء، قلت: يا أمير المؤمنين، وما كنت صانعاً بهم لو أخذتهم، قال لي: كنت عارضاً عليهم الباب الذي خرجوا منه أن يدخلوا فيه، فإن فعلوا ذلك قبلت منهم وإلا استودعتهم السجن. كذا في «الكنز» (1/ 79). وأخرجه البيهقي (8/ 207) أيضاً بمعناه.

وعند مالك والشافعي وعبد الرزاق وأبي عُبَيد في الغريب والبيهقي (ص 207) عن عبد الرحمن القاريّ قال: قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل من قِبَل أبي موسى رضي الله عنه، فسأله عن الناس فأخبره، ثم قال: هل كان فيكم من مُغَرِّبَة خبر؟ فقال: نعم، رجل كفر بعد إسلامه، قال: فما فعلتم به؟ قال: قرَّبناه فضربنا عنقه، قال عمر: فهلّا حبستموه ثلاثاً، وأطعمتموه كل يوم رغيفاً، واستتبتموه لعله يتوب ويراجع أمر الله؟! اللهمَّ، إنِّي لم أحضر، ولم آمر، ولم أرض إذا بلغني!!.

وعند مُسَدَّد وابن عبد الحكم عن عمرو بن شُعَيب عن أبيه عن جدِّه قال: كتب عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه يسأله عن رجل أسلم ثم كفر، ثم أسلم ثم كفر، حتى فعل ذلك مراراً، أيَقبلُ منه الإسلام؟ فكتب إليه عمر أن اقبل منه الإسلام ما قبل الله منه، اعرض عليه الإسلام فإن قبل فاتركه وإلا فاضرب عنقه، كذا في «الكنز» (1/ 79).

وأخرج البيهقي وابن المنذر والحاكم عن أبي عمران الجوني قال: مرّ عمر رضي الله عنه براهب فوقف ونودي بالراهب فقيل له: هذا أمير المؤمنين، فاطَّلَع فإذا إنسان به من الضر والاجتهاد وترْكِ الدنيا، فلما رآه عمر بكى، فقيل له: إنه نصراني، فقال عمر: قد علمت ولكني رحمته، ذكرت قول الله عزّ وجلّ: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ [الغاشية: 3، 4] رحمتُ نصبَه واجتهاده وهو في النار، كذا في «كنز العمال» (1/175).

* * *

الدعوة للأفراد والأشخاص

دعوة النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه

أخرج الحافظ أبو الحسن الأطرابلسي عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج أبو بكر رضي الله عنه يريد رسول الله ﷺ - وكان له صديقاً في الجاهلية - فلقيه فقال: يا أبا القاسم، فُقِدْتَ من مجالس قومك واتَّهموك بالعيب لآبائها وأُمهاتها، فقال رسول الله ﷺ: «إني رسول الله أدعوك إلى الله»، فلما فرغ من كلامه أسلم أبو بكر، فانطلق عنه رسول الله ﷺ وما بين الأخشَبَيْن أحد أكثر سروراً منه بإسلام أبي بكر؛ ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص فأسلموا، ثم جاء الغد بعثمان بن مظعون وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وأبي سَلَمة بن عبد الأسد والأرقم بن أبي الأرقم، فأسلموا رضي الله عنهم، كذا في «البداية» (3/ 29).

وذكر ابن إسحاق أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لقي رسول الله ﷺ فقال: أحقٌّ ما تقول قريش يا محمد من تَرْكِكَ آلهتنا، وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آباءنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «بلى، إنِّي رسول الله ونبيُّه، بعثني لأُبلِّغ رسالته، وأدعوك إلى الله بالحق فوالله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره، والموالاة على طاعته» وقرأ عليه القرآن، فلم يقرَّ ولم ينكر، فأسلم وكفر

بالأصنام، وخلع الأنداد، وأقر بحق الإسلام، ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدِّق.

قال ابن إسحاق: حدَّثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحُصين التميمي أن رسول الله ﷺ قال: «ما دعوتُ أحداً إلى الإسلام إلَّا كانت عنده كَبْوة وتردّد ونظر إلَّا أبا بكر، ما عَكَم عنه حين ذكرته ولا تردد فيه» ـ عكم: أي تلبَّث.

وهذا الذي ذكره ابن إسحاق في قوله: «فلم يقر ولم ينكر» مُنْكَرٌ، فإن ابن إسحاق وغيره ذكروا أنه كان صاحب رسول الله ﷺ قبل البِعْثة، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق فكيف يكذب على الله؟! ولهذا بمجرد ما ذكر له أنَّ الله أرسله بادر إلى تصديقه ولم يتلعثم ولا عَكَم. وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه في حديث ما كان بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الخصومة وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله بعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله؛ فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟» مرَّتين؛ فما أُوذي بعدها. وهذا كالنص على أنَّه أول من أسلم، كذا في «البداية» (3/ 26 و 27).

* * *

دعوته ﷺ لعُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه

أخرج الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ أعزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام»، فجعل الله دعوة رسوله ﷺ لعمر بن الخطاب، فبنى عليه الإسلام

وهدم به الأوثان. قال الهيثمي (9/ 61): رجاله رجال الصحيح غير مجالِد بن سعيد وقد وُثِّق ـ انتهى.

وعند الطبراني من حديث ثَوْبان ـ فذكر الحديث كما سيأتي في باب تحمّل الصحابة الشدائد في سعيد بن زيد وزوجته فاطمة أخت عمر، وفيه: وأخذ رسول الله ﷺ بضَبْعَيه وهزه وقال: «ما الذي تريد؟ وما الذي جئت؟» فقال له عمر: اعرض عليَّ الذي تدعو إليه، فقال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله»، فأسلم عمر مكانه وقال: اخرج.

وعند أبي نعيم في «الحلية» (1/ 41) عن أَسْلَمَ قال: قال لنا عمر رضي الله عنه: أتحبُّون أن أعلمكم أول إسلامي؟ قلنا: نعم، قال: كنت من أشد الناس عداوة إلى رسول الله ﷺ، قال: فأتيت النبي ﷺ في دار عند الصَّفا، فجلست بين يديه، فأخذ بمجمع قميصي ثم قال: أسلم يا ابن الخطاب، اللهمَّ اهدِهِ»، قال: فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّك رسول الله، قال: فكبَّر المسلمون تكبيرة سُمعت في طرق مكة ـ فذكر الحديث. وأخرجه البزار أيضاً بسياقٍ آخر كما سيأتي.

* * *

دعوته ﷺ لعثمان بن عفان رضي الله عنه

أخرج المدائني عن عمرو بن عثمان قال: قال عثمان دخلت على خالتي أعودها ـ أَرْوَى بنت عبد المطلب ـ فدخل رسول الله ﷺ فجعلت أنظر إليه ـ وقد ظهر من شأنه يومئذٍ شيء ـ، فأقبل عليَّ فقال: «ما لك يا عثمان؟» قلت: أعجب منك ومن مكانك فينا وما يقال عليك، قال

عثمان: فقال: «لا إله إلا الله» ـ فالله يعلم لقد اقشعررت ـ ثم قال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: 22 ـ 23]، ثم قام فخرج فخرجت خلفه وأدركته فأسلمت، كذا في «الاستيعاب» (4/ 225).

* * *

دعوته ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه

ذكر ابن إسحاق أنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء وهما ـ أي النبي ﷺ وخديجة رضي الله عنها ـ يصلِّيان، فقال علي: يا محمد، ما هذا؟ قال: «دين الله الذي اصطفَى لنفسه وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته، وأن تكفر باللَّاتِ والعُزَّى»، فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أُحدِّث به أبا طالب؛ فكره رسول الله ﷺ أن يفشيَ عليه سرَّه قبل أن يستعلن أمره، فقال له: يا علي، إذ لم تسلم فاكتم. فمكث عليٌّ تلك الليلة، ثم إنَّ الله أوقع في قلب عليٍّ الإسلام فأصبح غادياً إلى رسول الله حتى جاءه، فقال: ماذا عرضت عليَّ يا محمد؟ فقال له رسول الله ﷺ: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللَّات والعزَّى، وتبرأ من الأنداد». ففعل عليٌّ وأسلم، ومكث يأتيه على خوف من أبي طالب، وكتم عليٌّ إسلامَه ولم يظهره، كذا في «البداية» (3/ 24).

وعند أحمد وغيره عن حَبَّة العُرَني قال: رأيت علياً يضحك على المنبر، ولم أره ضحك ضحكاً أكثر منه حتى بدت نواجذه، ثم قال: ذكرت قول أبي طالب، ظهر علينا أبو طالب وأنا مع رسول الله ﷺ ونحن نصلِّي ببطن نَخْلة فقال: ماذا تصنعان يا ابن أخي؟ فدعاه

رسول الله ﷺ إلى الإسلام فقال: ما بالذي تصنعان بأس ولكن لا تعلوني استي أبداً، فضحك تعجباً لقول أبيه ثم قال: اللَّهمَّ لا أعترفُ عبداً من هذه الأمة عَبَدَكَ قبلي غير نبيك ـ ثلاث مرات ـ لقد صلّيت قبل أن يصلّي الناس سبعاً. قال الهيثمي (9/ 102): رواه أحمد وأبو يعلى باختصار، والبزار والطبراني في الأوسط وإسناده حسن. انتهى.

* * *

دعوته ﷺ لعَمْرو بن عَبَسة رضي الله عنه

أخرج أحمد (4/ 112) عن شدّاد بن عبد الله قال: قال أبو أمامة: يا عمرو بن عَبَسَة، بأيِّ شيء تَدَّعي أنك رُبُعُ الإسلام؟ قال: إني كنت في الجاهلية أرى الناس على ضلالة ولا أرى الأوثان شيئاً، ثم سمعت عن رجل يخبْر أخباراً بمكَّة ويحدِّث أحاديث، فركبت راحلتي حتى قدمت مكة فإذا أنا برسول الله ﷺ مستَخْفِياً، وإذا قومه عليه جُرَءَاء، فتلطّفت له فدخلت عليه فقلت: ما أنت؟ قال «أنا نبي الله»، فقلت: وما نبي الله؟ قال: «رسول الله»، قال: قلت: آلله أرسلك؟ قال: «نعم»، قلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: «بأن يوحَّد الله ولا يشرك به شيء، وكسر الأوثان، وصلة الرحم»، فقلت له: من معك على هذا؟ قال: «حرٌّ وعبد» ـ أو عبد وحر ـ وإذا معه أبو بكر بن أبي قُحافة وبلال مولى أبي بكر، قلت: إنِّي متبعك، قال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فالحق بي»، قال: فرجعت إلى أهلي وقد أسلمت.

فخرج رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة، فجعلتُ أتخبَّر الأخبار حتى جاءَ رَكَبَة من يثرب، فقلت: ما هذا المكِّي الذي أتاكم؟ قالوا: أراد

قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك وحِيل بينهم وبينه، وتركْنا الناسَ إليه سراعاً، قال عمرو بن عبسة: فركبت راحلتي حتى قدمت عليه المدينة فدخلت عليه فقلت: يا رسول الله، أتعرفني؟ قال: «نعم، ألستَ أنت الذي أتيتني بمكة؟» قال: قلت: بلى، فقلت: يا رسول الله، علمني ممَّا علمك الله وأجهل ـ فذكر الحديث بطوله. وهكذا أخرجه ابن سعد (4/ 158) عن عمرو بن عبسة مطوّلاً، وأخرجه أيضاً أحمد (4/ 111) عن أبي أُمامة عن عمرو بن عبسة ـ فذكر الحديث وفيه: قلت: بماذا أرسلك؟ فقال: «بأن تُوصل الأرحام، وتُحقَن الدماء، وتُؤمَن السبل، وتُكسر الأوثان، ويُعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً». قلت: نِعْمَ ما أرسلك به وأُشهدُك أني قد آمنت بك وصدَّقتك، أفأمكث معك أم ما ترى؟ فقال: «قد ترى كراهة الناس لما جئتُ به فامكث في أهلك، فإذا سمعت بي قد خرجت مخرجي فائتني». وأخرجه أيضاً مسلم والطبراني وأبو نُعيم كما في «الإصابة» (3/ 6) وابن عبد البَرِّ في «الاستيعاب» (2/ 500) من طريق أبي أُمامة بطوله، وأبو نُعيم في «دلائل النبوة» (ص 86).

* * *

دعوته ﷺ لخالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه

أخرج البَيْهقي عن جعفر بن محمد بن خالد بن الزُبير عن أبيه ـ أو عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ـ قال: كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديماً وكان أول إخوته أسلم. وكان بَدْء إسلامه أنه رأى في المنام أنه وُقِفَ به على شفير النار... فذكر من سَعَتها ما الله أعلم به ـ ويرى في النوم كأنَّ أباه يدفعه فيها، ويرى رسول الله ﷺ آخذاً بحَقْوَيه لئلّا يقع، ففزع من نومه فقال: أحلف بالله إنَّ هذه لرؤيا حق.

فلقي أبا بكر بن أبي قحافة فذكر ذلك له، فقال: أُريدَ بك خيرٌ، هذا رسول الله ﷺ اتْبَعْهُ فإنك ستتبعه وتدخل معه في الإِسلام، والإِسلام يحجُزُك أن تدخل فيها، وأبوك واقع فيها، فلقي رسول الله ﷺ وهو بأجْياد، فقال: يا محمد، إلامَ تدعو؟ قال: «أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يضر ولا يبصر، ولا ينفع ولا يدري مَنْ عَبدَه ممن لا يعبده»!!. قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله. فسُرَّ رسول الله ﷺ بإسلامه.

وتغيّب خالد وعلم أبوه بإسلامه، فأرسل في طلبه فأُتي به فأنَّبه وضربه بمِقْرعة في يده حتى كسرها على رأسه، وقال: والله لأمنعنَّك القوت، فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به، وانصرف إلى رسول الله ﷺ فكان يلزمه ويكون معه؛ كذا في «البداية» (3/ 32).

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (3/ 248) من طريق الواقدي عن جعفر بن محمد بن خالد بن الزبير عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ـ فذكره وفي حديثه: وأرسل أبوه في طلبه من بقي من ولده ممن لم يسلم ورافعاً مولاه فوجدوه، فأتوا به أباه ـ أبا أُحَيْحة ـ فأنّبه وبكّتَهُ وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه، ثم قال: أتبعتَ محمداً وأنت ترى خلافَه قومه وما جاء به من عيب آلهتهم وعيبهم من مضى من آبائهم؟ فقال خالد: قد صدق ـ والله ـ واتبعته، فغضب أبوه ـ أبو أحيحة ـ ونال منه وشتمه، ثم قال: اذهب يا لُكَعُ! حيث شئتَ والله لأمنعنَّك القوت، قال خالد: فإن منعتني فإنَّ الله عزّ وجلّ يرزقني ما أعيش به. فأخرجه وقال لبنيه: لا يكلّمه أحدُ منكم إلا صنعت به ما صنعت به.

فانصرف خالد إلى رسول الله ﷺ فكان يلزمه، ويكون معه. وأخرجه ابن سعد (4/ 94) عن الواقدي عن جعفر بن محمد عن محمد بن عبد الله نحوه مطولاً. وهكذا ذكره في «الاستيعاب» (1/ 401) من طريق الواقدي: وزاد: وتغيّب عن أبيه في نواحي مكَّة حتى خرج أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، فكان خالد أول من هاجر إليه. وأخرج الحاكم (3/ 349) أيضاً عن خالد بن سعيد أنَّ سعيد بن العاص بن أمية مرض فقال: لئن رفعني الله من مرضي هذا لا يعبد إله ابن أبي كبشة ببطن مكة أبداً. فقال خالد بن سعيد عند ذلك: اللَّهمّ لا ترفعه. فتوفي في مرضه ذلك. وهكذا أخرجه ابن سعد (4/ 95).

* * *

دعوته ﷺ لِضِمَاد رضي الله عنه

أخرج مسلم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم ضِماد مكة ـ وهو رجل من أزْدِ شَنوءَة ـ وكان يرقي من هذه الرياح، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إنَّ محمداً مجنون فقال: أين هذا الرجل؟ لعلَّ الله أن يشفيَه على يديَّ، فلقيت محمداً فقلت: إني أرقي من هذه الرياح وإنَّ الله يشفي على يديَّ من شاء فهلمَّ؛ فقال محمد: «إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهدِهِ الله فلا مضلَّ له ومن يُضْلِلْ فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له» ـ ثلاث مرات ـ، فقال: والله لقد سمعتُ قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات، فهلُمَّ يدك أبايِعْك على الإسلام. فبايعه رسولُ الله ﷺ؛ فقال له: وعلى قومك، فقال: وعلى قومي. فبعث

النبي ﷺ جيشاً فمرُّوا بقوم ضِمَاد، فقال: صاحب الجيش للسريَّة: هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئاً؟ فقال رجل منهم: أصبت منهم مَطْهَرَة، فقال: ردَّها عليهم فإنهم قوم ضِمَاد. وفي رواية. فقال له ضماد: أعِدْ عليّ كلماتِكَ هؤلاء، فلقد بلغنَ قاموس البحر. كذا في «البداية» (3/ 36). وأخرجه أيضاً النَّسائي والبَغَوي ومُسَدَّد في «مسنده» كما في الإصابة (2/ 210).

وأخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوّة» (ص 77) من طريق الواقدي قال: حدّثني محمد بن سُلَيط عن أبيه عن عبد الرحمن العدوي قال: قال ضِمَاد: قدمت مكة معتمراً فجلست مجلساً فيه أبو جهل وعتبة بن ربيعة وأُميّة بن خَلَف، فقال أبو جهل: هذا الرجل الذي فرَّق جماعتنا، وسفَّه أحلامنا، وأضلَّ من مات منا، وعاب آلهتنا! فقال أُمية: الرجل مجنون غير شكٍّ. قال ضماد: فوقعتْ في نفسي كلمتُه وقلت: إني رجل أعالج من الريح. فقمت من ذلك المجلس أطلب رسول الله ﷺ فلم أُصادفه ذلك اليوم حتى كان الغد، فجئته فوجدته جالساً خلف المَقَام يصلِّي، فجلست حتى فرغ ثم جلست إليه فقلت: يا بن عبد المطلب، فأقبل عليّ فقال: ما تشاء؟ فقلت: إنِّي أعالج من الريح، فإن أحببت عالجتك ولا تُكبِرنَّ ما بك فقد عالجت من كان به أشدّ مما بك فبرأ، وسمعت قومك يذكرون فيك خصالاً سيئة: من تسفيه أحلامهم، وتفريق جماعتهم، وتضليل من مات منهم، وعيب آلهتهم، فقلت: ما فعل هذا إلَّا رجل به جِنَّة.

فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله». قال

ضماد: فسمعت كلاماً لم أسمع كلاماً قطُّ أحسن منه فاستعدته الكلام فأعاد عليّ، فقلت: إلامَ تدعو؟ قال: «إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، وتخلع الأوثان من رقبتك، وتشهد أنّي رسول الله». فقلت: فماذا لي إن فعلت؟ قال: «لك الجنة»، قلت: فإنّي أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأخلع الأوثان من رقبتي وأبرأ منها، وأشهد أنَّك عبد الله ورسوله. فأقمت مع رسول الله ﷺ حتى عُلِّمت سوراً كثيرة من القرآن، ثم رجعت إلى قومي. قال عبد الله بن عبد الرحمن العدوي: فبعث رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه في سريّة وأصابوا عشرين بعيراً بموضع واستاقوها، وبلغ عليَّ بن أبي طالب أنَّهم قوم ضِمَاد فقال: ردّوها إليهم، فرُدَّت.

* * *

دعوته ﷺ لِحُصَين والد عِمْران رضي الله عنهما

أخرج ابن خُزَيْمة عن عِمران بن خالد بن طُلَيق بن محمد بن عمران بن حصين قال: حدثني أبي عن أبيه عن جدِّه: أن قريشاً جاءت إلى الحُصَين ـ وكانت تعظِّمه ـ فقالوا له: كلِّم لنا هذا الرجل فإنَّه يذكر آلهتنا ويسبُّهم. فجاؤوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبي ﷺ، فقال: «أوسعوا للشيخ ـ وعمران وأصحابه متوافرون ـ فقال حُصين: ما هذا الذي بلغنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرهم، وقد كان أبوك حصينة وخيراً؟ فقال: «يا حُصَين، إنَّ أبي وأباك في النار؛ يا حصين، كم تعبد من إله»؟ قال: سبعاً في الأرض وواحداً في السماء، قال: «فإذا أصابك الضرّ من تدعو؟» قال: الذي في السماء، قال: فإذا هلك المال من تدعو؟ قال: الذي في السماء، قال: «فيستجيب لك وحده وتشركهم

معه، أرضيته في الشكر أم تخاف أن يغلب عليك؟» قال: ولا واحدة من هاتين؛ قال: وعلمت أنّي لم أكلم مثله، قال: «يا حُصَين، أسلم تسلم»، قال: إنَّ لي قوماً وعشيرةً فماذا أقول؟ قال: «قل: اللَّهمَّ، أستهديك لأرشد أمري وزدني علماً ينفعني». فقالها حصين فلم يقم حتى أسلم. فقام إليه عِمْران فقبَّل رأسه ويديه ورجليه، فلما رأى ذلك النبي ﷺ بكى، وقال: «بكيت من صنيع عمران، دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران ولم يلتفت ناحيته، فلمَّا أسلم قضى حقَّه فدخلني من ذلك الرِّقَّة». فلما أراد حصين أن يخرج قال لأصحابه: «قوموا فشيِّعوه إلى منزله»، فلما خرج من سُدَّة الباب رأته قريش فقالوا: صبأ!! وتفرقوا عنه كذا في «الإصابة» (1/ 337).

* * *

دعوته ﷺ لرجل لم يُسَمَّ

أخرج أحمد عن أبي تميمة الهجيمي عن رجل من قومه أنه أتى رسول الله ﷺ ـ أو قال: شهدت رسول الله ﷺ ـ وأتاه رجل فقال: أنت رسول الله؟ ـ أو قال أنت محمد ـ؟ فقال: «نعم»، قال: ما تدعو؟ قال: «أدعو الله عزّ وجلّ وحده، مَنْ إذا كان لك ضُرٌّ فدعوته كشفه عنك، ومن إذا أصابك عام فدعوته أنبتَ لك، ومن إذا كنت في أرض قفر فأضللتَ فدعوته ردَّ عليك». فأسلم الرجل ثم قال: أوصني يا رسول الله، فقال: «لا تسبنَّ شيئاً» ـ أو قال: «أحداً»، شكَّ الحكم ـ قال: فما سببتُ بعيراً ولا شاة منذ أوصاني رسول الله ﷺ. قال الهيثمي (8/ 72): وفيه الحكم بن فُضَيل وثَّقه أبو داود وغيره وضعَّفه أبو زُرعة وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح ا هـ.

دعوته ﷺ لمعاوية بن حَيْدة رضي الله عنه

أخرج ابن عبد البَرّ في «الاستيعاب» - وصحَّحه - عن معاوية بن حَيْدة القُشَيري قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عدد الأنامل - وطبَّق بين كفَّيه إحداهما على الأخرى - أن لا آتيك ولا آتي دينك!! فقد أتيتك امرأً لا أعقل شيئاً إلا ما علمني الله، وإنِّي أسألك بوجه الله العظيم بِم بعثك ربُّنا إلينا؟ قال: «بدين الإسلام»، قال: وما دين الإسلام؟ قال: «أن تقول: أسلمت وجهي لله وتخلَّيت، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وكلُّ مسلم على كلِّ مسلم محرَّم، أخوان نصيران، لا يقبل الله ممَّن أشرك بعد ما أسلم عملاً حتى يفارق المشركين. ما لي أمسك بحُجَزِكم عن النَّار؟! ألَا وإنَّ ربي داعيّ وإنَّه سائلي هل بلَّغت عبادي؟ فأقول: ربِّ قد بلَّغت. ألَا فليبلِّغْ شاهُدكم غائِبَكم. ألَا ثم إنَّكم تُدعَون مُفْدَمةً أفواهُكم بالفِدام، ثم إنَّ أول شيء ينبيء عن أحدكم لَفَخِذُه وكفُّه». قال: قلت: يا رسول الله، هذا ديننا؟ قال: «هذا دينك وأينما تُحسنْ يَكْفِك» - وذكر تمام الحديث.

فهذا هو الحديث الصحيح بالإسناد الثابت المعروف، وإنما هو لمعاوية بن حيدة لا لحكيم أبي معاوية، وقد أخرج قبله حديث حكيم هذا أنه قال: يا رسول الله؟ ربنا بِمَ أرسلك؟ قال: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وكلُّ مسلم على كلِّ مسلم محرَّم، هذا دينك وأينما تكن يكفك»، هكذا ذكره ابن أبي خيثمة، وعلى هذا الإسناد عوَّل فيه وهو إسناد ضعيف، كذا في «الاستيعاب» (1/ 323). وقال الحافظ في «الإصابة» (1/ 350): ولكن يحتمل أن يكون هذا آخر ولا بُعد في أن يتوارد اثنان على سؤال واحد، ولا سيما مع تباين

المخرِّج، وقد ذكره ابن أبي عاصم في الوحدان، وأخرج الحديث عن عبد الوهاب بن نجدة وهو الحوطي شيخ ابن أبي خيثمة فيه. انتهى.

* * *

دعوته ﷺ لعديٍّ بن حاتم رضي الله عنه

أخرج أحمد عن عديٍّ بن حاتم قال: لمَّا بلغني خروج رسول الله ﷺ كرهت خروجه كراهية شديدة، فخرجت حتى وقعت ناحية الروم - وفي رواية: حتى قدمت على قيصر - قال: فكرهت مكاني ذلك أشدّ من كراهتي لخروجه، قال: قلت: والله لولا أتيت هذا الرجل فإن كان كاذباً لم يضرني وإن كان صادقاً علمت، قال: فقدمْتُ فأتيته. فلما قدمت قال الناس: عديُّ بن حاتم، عدي بن حاتم!! قال: فدخلت على رسول الله ﷺ فقال لي: «يا عديُّ بن حاتم، أسلم تسلم - ثلاثاً» - قال: قلت: إنِّي على دين. قال: «أنا أعلم بدينك منك» فقلت: أنت أعلم بديني مني؟! قال: نعم، ألستَ من الرَّكوسِيَّة وأنت تأكل مِرْباع قومك؟» قلت: بلى، قال: «هذا لا يحل لك في دينك»، قال: فلم يَعْدُ أن قالها فتواضعتُ لها، فقال: «أما إنِّي أعلم الذي يمنعك من الإسلام. تقول: إنَّما اتَّبَعَهُ ضَعَفَةُ الناس ومن لا قوة لهم وقد رمتهم العرب. أتعرفُ الحيرة؟» قلت: لم أرها وقد سمعت بها. قال: «فوالذي نفسي بيده ليُتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتى تخرج الظَّعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وَلَيُفْتَحَنَّ كنوز كسرى بن هُرْمُز»، قال: قلت: كسرى بن هُرْمُز؟ قال: «نعم كسرى بن هرمز، ولَيُبْذَلَنَّ المال حتى لا يقبله أحد».

قال عديٌّ بن حاتم: فهذه الظعينة تأتي من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى، والذي نفسي بيده

لتكونَّن الثالثة، لأن رسول الله ﷺ قد قالها. كذا في «البداية» (5/ 66) وأخرجه البغوي أيضاً في «معجمه» بمعناه، كما في «الإصابة» (2/ 468).

وأخرج أحمد أيضاً عن عديٍّ بن حاتم، قال: جاءت خيل رسول الله ﷺ وأنا بعقرب فأخذوا عمَّتي وناساً فلما أتَوا بهم رسول الله ﷺ قال: فصُفُّوا له. قالت: يا رسول الله، بانَ الوافد، وانقطع الولد، وأنا عجوز كبيرة ما بي من خِدْمة، فَمُنَّ عليَّ مَنَّ الله عليك. فقال: «ومن وافدك؟» قالت: عديُّ بن حاتم، قال: «الذي فرَّ من الله ورسوله؟» قالت: فَمُنَّ عليَّ. فلما رجعَ ورجُلٌ إلى جنبه نرى أنه علي ـ قال: سَلِيه حُمْلاناً، قال: فسألتْه فأمَر لها. قال عديّ: فأتتني فقالت: لقد فعلتَ فعلةً ما كان أبوك يفعلها، وقالت: إيته راغباً أو راهباً، فقد أتاه فلان فأصاب منه وأتاه فلان فأصاب منه. قال: فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان ـ أو صبي ـ، فذكر قربهم منه ـ، فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا قيصر. فقال له: «يا عديُّ بن حاتم، ما أفرَّك؟! أفرَّك أن يقال: لا إله إلا الله فهل من إله إلا الله؟!. ما أفرك؟ أفرك أن يقال: الله أكبر. فهل شيء هو أكبر من الله عزّ وجلّ؟!» قال: فأسلمت فرأيت وجهه استبشر وقال: «إنَّ المغضوب عليهم اليهود، وإنَّ الضالين النَّصارى».

قال: ثم سألوه: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فلكم أيُّها الناس أن ترضخوا من الفضل، ارتضخ امرؤ بصاع، ببعض صاع، بقبضة، ببعض قبضة» ـ قال شعبة: «وأكثر علمي أنه قال «بتمرة، بشقّ تمرة» وإنَّ أحدكم لاقي الله فقائل ما أقول: ألم أجعلك سميعاً بصيراً؟ ألم أجعل لك مالاً وولداً؟ فماذا قدَّمت؟ فينظر من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، فلا يجد شيئاً، فما يتَّقي النار إلا بوجهه، فاتقوا

النَّار ولو بشقّ تمرة، فإن لم تجدوه فبكلمة ليِّنة، إني لا أخشى عليكم الفاقة؛ لينصرنَّكم الله وليعطينَّكم - أو ليفتحنَّ عليكم - حتى تسير الظَّعينة بين الحيرة ويثرب، أو أكثر. ما تخاف السَّرَق على ظعينتها». وقد رواه الترمذي وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك. وأخرج البيهقي شيئاً منه من آخره، وهكذا أخرجه البخاري مختصراً كما في «البداية» (5/ 65).

* * *

دعوته ﷺ لذي الجَوْشَن الضبابي رضي الله عنه

أخرج الطبراني عن ذي الجَوْشَن الضبابي قال: أتيت النبي ﷺ بعد أن فرغ من أهل بدر بابن فرس لي يقال لها «القَرْحاء»، فقلت: يا محمد، قد جئتك بابن القرحاء لتتخذه، قال: «لا حاجة لي فيه وإن أردتَ أقيضك بها المختار من دروع بدر فعلتُ». فقلت: ما كنت لأقيضه اليوم بغُرة، قال: «لا حاجة لي فيه» ثم قال: «يا ذا الجوشن، ألّا تسلم فتكون من أول أهل هذا الأمر؟» فقلتُ: لا، قال: «لم؟» قال: قلتُ: رأيتُ قومك قد وَلِعوا بك. قال: «فكيف بلغك عن مصارعهم ببدر؟» قلت: قد بلغني، قال: «فإنا نُهدي لك»، قلت: إن تغلب على الكعبة وتقطنها، قال: «لعلك إن عشت ترى ذلك»، ثم قال: «يا فلان، خذ حقيبة الرجل فزوده من العجوة»، فلما أدبرت قال: «أما إنَّه من خير فرسان بني عامر». قال: فوالله إنّي بأهلي بالغور إذ أقبل راكب، فقلت: ما فعل الناس؟ قال: والله قد غلب محمد على الكعبة وقطنها، فقلت: هَبِلَتْني أمي ولو أسلمت يومئذٍ ثم أسأله الحيرة، لأقطعنيها!!

وفي رواية: فقال له النبي ﷺ: «ما يمنعك من ذلك؟» قال: رأيت

قومك قد كذَّبوك وأخرجوك وقاتلوك فانظر ماذا تصنع؟ فإن ظهرتَ عليهم آمنت بك واتبعتك، وإن ظهروا عليك لم أتبعك. قال الهيثمي (6/ 162): رواه عبد الله بن أحمد وأبوه ـ ولم يسق المتن ـ والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح، وروى أبو داود بعضه . انتهى.

* * *

دعوته ﷺ لبشير بن الخَصَاصِيَة رضي الله عنه

أخرج ابن عساكر عن بشير بن الخَصاصِيَة قال: أتيت رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام، ثم قال لي: «ما اسمك؟» قلت: نذير، قال: «بل أنت بشير» فأنزلني بالصُّفَّة، فكان إذا أتته هديّة أشركَنا فيها وإذا أتته صدقة صرفها إلينا، فخرج ذات ليلة فتبعته فأتى البقيع فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنَّا بكم لاحقون، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. لقد أصبتم خيراً بجيلاً، وسبقتم شرّاً طويلاً». ثم التفت إليَّ فقال: «من هذا؟» فقلت: بشير، فقال: «أما ترضَى أن أخذ الله سمعَك وقلبَك وبصرك إلى الإسلام من بين ربيعة الفَرَس الذين يقولون: أن لولاهم لائتفكت الأرض بأهلها؟»، قلت: بلى، يا رسول الله، قال: «ما جاء بك؟» قلت: خفتُ أن تُنكب أو تصيبك هامةٌ من هوامّ الأرض. وعنده أيضاً والطبراني والبيهقي: «يا بشير، ألَا تحمد الله الذي أخذ بناصيتك إلى الإسلام من بين ربيعة؟ قوم يرَون أن لولاهم لائتفكتِ الأرضُ بمن عليها». كذا في «المنتخب» (5/ 146).

* * *

دعوته ﷺ لرجل لم يُسمَّ

أخرج أبو يَعْلى عن حرب بن سُريج قال: حدثني رجل من بلْعَدَوِيَّة، قال: حدثني جدِّي قال: انطلقت إلى المدينة فنزلت عند الوادي، فإذا رجلان بينهما عنز واحدة وإذا المشتري يقول للبائع: أحسن مبايعتي، قال: فقلت في نفسي: هذا الهاشمي الذي قد أضلَّ الناس أهو هو؟ قال: فنظرت فإذا رجل حسن الجسم، عظيم الجبهة، دقيق الأنف، دقيق الحاجبين، وإذا من ثُغْرة نحره إلى سُرّته مثل الخيط الأسود شعر أسود، وإذ هو بين طِمْرين، قال: فدنا منا فقال: السلام عليكم، فرددنا عليه، فلم ألبث أن دعا المشتري فقال: يا رسول الله، قل له: يحسن مبايعتي، فمدَّ يده وقال: «أموالكم تملكون، إنِّي أرجو أن ألقى الله عزّ وجلّ يوم القيامة لا يطلبني أحد منكم بشيء ظلمته في مال ولا في دم ولا عرض إلَّا بحقه. رحم الله امرأ سهل البيع، سهل الشراء، سهل الأخذ، سهل العطاء، سهل القضاء، سهل التقاضي»، ثم مضى.

فقلت: والله لأقصينَّ هذا فإنه حسن القول، فتبعته فقلت: يا محمد. فالتفت إليّ بجميعه فقال: «ما تشاء؟» فقلت: أنت الذي أضللتَ الناس وأهلكتَهم وصدَدتهم عمَّا كان يعبد آباؤهم؟ قال: «ذاك الله». قلت: ما تدعو إليه؟ قال: «أدعو عباد الله إلى الله» قال: قلت: ما تقول؟ قال: «اشهد أن لا إله إلا الله وأنِّي محمد رسول الله، وتؤمن بما أنزله عليّ، وتكفر باللَّات والعُزَّى، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة». قال: قلت: وما الزكاة؟ قال: «يردّ غنينا على فقيرنا»؛ قال: قلت: نِعمَ الشيء تدعو إليه. قال: فلقد كان وما في الأرض أحد يتنفس أبغض إليّ منه، فما برح حتى كان أحب إليّ من ولدي ووالديَّ ومن الناس أجمعين. قال: فقلت: قد عرفتُ؛ قال: «قد عرفتَ؟» قلت: نعم؛ قال: «تشهد أن

لا إله إلا الله وأنّي محمد رسول الله، وتؤمن بما أُنزل عليّ»، قال: قلت: نعم، يا رسول الله، إنّي أرِدُ ماءً عليه كثير من الناس فأدعوهم إلى ما دعوتني إليه، فإنّي أرجو أن يتّبعوك. قال: نعم، فادعهم»؛ فأسلم أهل ذلك الماء رجالهم ونساؤهم، فمسح رسول الله ﷺ رأسه. قال الهيثمي (9/ 18) وفيه: راوٍ لم يُسمَّ، وبقية رجاله وُثّقوا. انتهى.

وأخرج أحمد عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ دخل على رجل من بني النجار يعوده، فقال له رسول الله ﷺ: «يا خال، قل: (لا إله إلا الله)»، فقال: خالٌ أنا أو عمٌّ؟ فقال النبي ﷺ: «لا، بل خال»؛ فقال: قل: (لا إله إلا الله)»، قال: هو خيرٌ لي؟ قال: «نعم». قال الهيثمي (5/ 305): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وأخرج البخاري وأبو داود عن أنس رضي الله عنه أن غلاماً من اليهود كان يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطِعْ أبا القاسم؛ فأسلم. فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار». كذا في جمع الفوائد (1/ 124).

وأخرج أحمد وأبو يعلى عن أنس أنَّ النبي ﷺ قال لرجل: «أسلم تسلم»، قال: إني أجدني كارهاً، قال: «وإن كنت كارهاً». قال الهيثمي (5/ 305): رجالهما رجال الصحيح.

* * *

دعوته ﷺ لأبي قُحَافة رضي الله عنه

أخرج الطبراني عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما كان يوم الفتح

قال رسول الله ﷺ لأبي قُحافة: «أسلم تسلم». قال الهيثمي (5/ 305): رجاله رجال الصحيح. انتهى. وعند ابن سعد (5/ 451): عن أسماء قالت: لما دخل رسول الله ﷺ مكة واطمأنَّ وجلس في المسجد أتاه أبو بكر بأبي قحافة، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «يا أبا بكر، ألّا تركتَ الشيخ حتى أكون أنا الذي أمشي إليه؟» قال: يا رسول الله، هو أحقُّ أن يمشي إليك من أن تمشي إليه. فأجلسه رسول الله ﷺ بين يديه ووضع يده على قلبه ثم قال: «يا أبا قحافة، أسلم تسلم»؛ قال: فأسلم وشهد شهادة الحق. قال: وأُدخل عليه، ورأسه ولحيته كأنَّهما ثُغامة، فقال رسول الله ﷺ: غيِّروا هذا الشيب وجنِّبوه السواد».

* * *

دعوته ﷺ لأفراد المشركين ممَّن لم يسلم

أخرج البيهقي عن المغيرة بن شعبة قال: إنَّ أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ أني أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: «يا أبا الحَكَم، هَلُمَّ إلى الله وإلى رسوله، أدعوك إلى الله»، فقال أبو جهل: يا محمد، هل أنت مُنتهٍ عن سب آلهتنا؟! هل تريد إلَّا أن نشهد أنَّك قد بلّغت؟! فنحن نشهد أن قد بلغت، فوالله لو أنِّي أعلم أنَّ ما تقول حقٌّ لاتبعتك.

فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل عليَّ فقال: والله إني لأعلم أنّ ما يقول حقٌّ، ولكن يمنعني شيء: أنَّ بني قُصَيّ قالوا: فينا الحجابة فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا السِّقاية، فقلنا: نعم؛ ثمَّ قالوا: فينا النَّدوة، فقلنا: نعم، ثم قالوا: فينا اللِّواء فقلنا: نعم، ثم أطعموا وأطعمنا، حتى إذا تحاكَّت الرُّكَب قالوا: منا نبي، والله لا أفعل!!. كذا في «البداية» (3/ 64).

وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة بنحوه، كما في «الكنز» (7/ 129) وفي حديثه: «يا أبا الحَكَم هَلُمَّ إلى الله وإلى رسوله وإلى كتابه، أدعوك إلى الله».

وأخرج إسحاق بن راهَوَيْه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عمّ، إنَّ قومك يريدون أن يجمعوا لك

مالاً، قال: لِمَ؟ قال: ليعطوكَهُ، فإنَّك أتيت محمداً لتعرِضَ ما قِبَلَه، قال: قد عَلِمت قريش أني من أكثرها مالاً. قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنَّك مُنكر له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده منّي ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إنَّ لقوله الذي يقول حلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّه لمثمرٌ أعلاه، مُغْدِقٌ أسفله، وإنه لَيَعلُو ولا يُعلى، وإنه ليحطِم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: قف عني حتى أفكر فيه، فلما فكَّر قال: إنْ هذا إلا سحر يُؤثر، يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ [المدثر: 11 ـ 13] ـ الآيات. هكذا رواه البيهقي عن الحاكم عن عبد الله بن محمد الصنعاني بمكة عن إسحاق. وقد رواه حمَّاد بن زيد عن أيوب عن عِكرمة ـ مرسلاً ـ فيه أنّه قرأ عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: 90] كذا في «البداية» (3/ 60). وأخرجه ابن جرير عن عكرمة كما في «التفسير» لابن كثير (4/ 443).

* * *

دعوته ﷺ الاثنين

أخرج ابن عساكر عن معاوية رضي الله عنه قال: خرج أبو سفيان إلى بادية له مردفاً هنداً، وخرجت أسير أمامهما وأنا غلام على حمارة لي إذ سمعنا رسول الله ﷺ، فقال أبو سفيان: انزل يا معاوية حتى يركب محمد، فنزلت عن الحمارة وركبها رسول الله ﷺ فسار أمامنا هنيهة، ثم التفت إلينا فقال: «يا أبا سفيان بن حرب، ويا هند بنت عُتبة، والله لَتموتُنَّ ثم لتبعثنَّ، ثم ليدخلنَّ المحسن الجنة والمسيء النار، وأنا أقول لكم بحقٍّ وإنَّكم لأولُ من أُنذرتم»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت: 1، 2] - حتى بلغ - ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: 11]، فقال له أبو سفيان: أفَرَغْت يا محمد؟ قال: نعم، ونزل رسول الله ﷺ عن الحمارة وركبتها، وأقبلت هند على أبي سفيان فقالت: ألهذا الساحر أنزلتَ ابني؟ قال: لا والله ما هو بساحر، ولا كذَّاب؛ كذا في «الكنز» (7/ 94). وأخرجه الطبراني أيضاً مثله. قال الهيثمي (6/ 20): حُمَيد بن مُنْهب لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

وأخرج ابن سعد (3/ 55) عن يزيد بن رومان قال: خرج عثمان بن عفان وطلحة بن عُبيد الله رضي الله عنهما على إثر الزبير بن العوام رضي الله عنه، فدخلا على رسول الله ﷺ، فعرض عليهما الإسلام، وقرأ عليهما القرآن، وأنبأهما بحقوق الإسلام، ووعدهما الكرامة من الله. فآمنَا وصَدَّقا، فقال عثمان: يا رسول الله، قدمتُ حديثاً من الشام،

فلما كنا بين مَعَان والزرقاء فنحن كالنيام إذا منادٍ ينادينا: أيُّها النيام، هُبُّوا فإن أحمدَ قد خرج بمكة. فقدِمْنا فسمعنا بك. وكان إسلام عثمان قديماً قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأَرْقَم.

وأخرج ابن سعد (3/ 247) عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار قال: قال عمار بن ياسر رضي الله عنه: لقيت صهيب بن سنان رضي الله عنه على باب دار الأَرْقَم ورسول الله فيها فقلت له: ما تريد؟ قال لي: ما تريد أنت؟ فقلت: أردت أن أدخل على محمد فأسمعَ كلامه، قال: وأنا أريد ذلك، فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، ثم مكثنا يومنا على ذلك حتى أمسينا، ثم خرجنا ونحن مُسْتَخْفُون؛ فكان إسلام عمار وصهيب بعد بضعة وثلاثين رجلاً. رضي الله عنهم.

وأخرج ابن سعد (3/ 608) عن خُبَيب بن عبد الرحمن قال: خرج أسعد بن زُرَارة وذَكْوان بن عبد قيس إلى مكة يتنافران إلى عُتبة بن ربيعة، فسمعا برسول الله ﷺ فأتياه، فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن، فأسلما ولم يقربا عتبة بن ربيعة، ورجعا إلى المدينة؛ فكانا أول من قدم بالإسلام بالمدينة.

* * *

عرضه ﷺ الدعوة على الجماعة

أخرج ابن جرير عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة، وأبا سفيان بن حرب، ورجلاً من بني عبد الدار، وأبا البَخْتري أخا بني الأسد، والأسود بن عبد المطّلب بن أسد، وزَمْعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أُمية، وأميةَ بن خلف، والعاص بن وائل، ونبيهاً ومُنَبِّهاً ابني الحجّاج السَّهْمِيَّيْن، اجتمعوا ـ أو من اجتمع منهم ـ بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تُعذروا فيه، فبعثوا إليه أنَّ أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظنُّ أنَّه قد بَدَا في أمره بَدَاء ـ وكان عليهم حريصاً يحب رُشدهم ويَعزُّ عليه عَنَتُهم ـ حتى جلس إليهم. فقالوا: يا محمد، إنَّا قد بعثنا إليك لنُعذِر فيك، وإنَّا ـ والله ـ ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك!! لقد شتمتَ الآباء، وعبتَ الدين، وسفَّهت الأحلام، وشتمتَ الآلهة، وفرّقتَ الجماعة، فما بقي من قبيح إلَّا وقد جئته فيما بيننا وبينك. فإنْ كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً. وإنْ كنت إنَّما تطلب الشرف فينا سوَّدْناك علينا. وإنْ كنت تريد ملكاً ملَّكناك علينا. وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رَئِيًّا تراه قد غلب عليك ـ وكانوا يسمُّون التابع من الجنّ «الرَّئيّ» ـ فربما كان ذلك، وبذلنا أموالنا في طلب الطبِّ حتى نبرئك منه أو نُعذر فيك.

فقال رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكنَّ الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل عليَّ كتاباً، وأمرني أنْ أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلَّغتكم رسالاتِ ربي، ونصحتُ لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظُّكم من الدنيا والآخرة، وإنْ تردُّوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» ـ أو كما قال رسول الله ﷺ.

فقالوا: يا محمد، فإنْ كنت غير قابل منَّا ما عرضنا عليك فقد علمتَ أنه ليس أحدٌ من الناس أضيقَ بلاداً، ولا أقلَّ مالاً، ولا أشد عيشاً منا؛ فاسأل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فلْيُسيِّر عنا هذه الجبال التي قد ضيَّقت علينا، وليبسط لنا بلادَنا، وليُفَجِّر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعثْ لنا من مضى من آبائنا، وليكنْ فيمن يبعث لنا منهم قصيُّ بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً؛ فنسألهم عمَّا تقول أحقٌّ هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألناك وصدَّقوك صدَّقناك، وعرفنا به منزلتك عند الله وأنَّه بعثك رسولاً كما تقول. فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما بهذا بعثت، إنَّما جئتكم من عند الله بما بعثني به، فقد بلغتكم ما أُرسلت به إليكم؛ فإن تقبلوه فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردُّوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم».

قالوا: فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك، فَسَلْ ربك أن يبعث مَلَكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك، وتسأله فيجعل لك جناتٍ وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة، ويغنيك به عما نراك تبتغي ـ فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه ـ حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم. فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما أنا بفاعل، ما أنا بالذي يسأل ربَّه هذا، وما بعثت إليكم بهذا، ولكنَّ الله

بعثني بشيراً ونذيراً؛ فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإنْ تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم».

قالوا: فأسقط السماء كما زعمت أنَّ ربك إن شاء فعل ذلك، فإنَّا لن نُؤمن لك إلا أن تفعل. فقال لهم رسول الله ﷺ: «ذلك إلى الله إنْ شاء فعل بكم ذلك». فقالوا: يا محمد، أمَا علم ربك أنَّا سنجلس معك ونسألك عمَّا سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب؟ فيقدم إليك ويعلمك ما تُراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به، فقد بلغنا أنَّه إنَّما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له «الرحمن» وإنَّا ـ والله ـ لا نؤمن بالرحمن أبداً، فقد أعذرنا إليك يا محمد!! أَمَا والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو تُهلكنا، وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله. وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً.

فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم، وقام معه عبد الله بن أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ـ وهو ابن عمته عاتكة بنة عبد المطَّلب ـ فقال: يا محمد، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك، ثم سألوك أنْ تُعجِّل لهم ما تُخوِّفهم به من العذاب؛ فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سُلَّماً، ثم ترقى به وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بصحيفة منشورة ومعك أربعةٌ من الملائكة يشهدون لك أنَّك كما تقول، وايْمُ الله لو فعلتَ ذلك لظننتُ أنِّي لا أُصدقك. ثم انصرف عن رسول الله ﷺ، وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً أَسِفاً لما فاته ممَّا كان طمع فيه من قومه حين دَعوه، ولمَا رأى من مباعدتهم إيَّاه. وهكذا رواه زياد بن عبد الله البَكَّائي عن ابن إسحاق عن بعض أهل

العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ فذكر مثله سواء؛ كذا في «التفسير» لابن كثير (3/ 62) و «البداية» (3/ 50).

وأخرج أبو نُعيم عن محمود بن لبيد أخي بني الأشهل قال: لمَّا قدم أبو الحَيْسَر أنس بن رافع مكة ـ ومعه فتيةٌ من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن مُعاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ـ سمع رسول الله ﷺ بهم، فأتاهم فجلس إليهم فقال لهم: «هل لكم إلى خير مما جئتم له؟» فقالوا: ما ذاك؟ قال: «أنا رسول الله بعثني الله إلى العباد أدعوهم إلى الله أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، ونزَّل عليَّ الكتاب». ثم ذكر الإسلام، وتلا عليهم القرآن. فقال إياس بن معاذ ـ وكان غلاماً حَدَثاً ـ: أيْ قوم، هذا ـ والله ـ خير مما جئتم له. فأخذ أبو الحَيْسَر أنس بن رافع حفنة من البطحاء وضرب بها وجه إياس بن معاذ، وقال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا. فصمت إياس وقام رسول الله ﷺ، وانصرفوا إلى المدينة، فكانت وقعة «بُعاث» بين الأوس والخزرج، ثم لم يلبث إياس بن معاذ أنْ هَلَك. قال محمود بن لبيد: فأخبرني مَنْ حضره من قومي عند موته: أنَّهم لم يزالوا يسمعونه يهلِّل الله، ويكبِّره، ويسبِّحه، حتى مات، فما يشكُّون أنْ قد مات مسلماً، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع؛ كذا في «كنز العمال» (7/ 11). وأخرجه أيضاً أحمد والطبراني، ورجاله ثقات، كما قال الهيثمي (6/ 36). وأسنده أيضاً ابن إسحاق في «المغازي» عن محمود بن لبيد بنحوه، رواه جماعة عن ابن إسحاق وهو من صحيح حديثه كما قال في الإصابة (1/ 91).

* * *

عرضه ﷺ الدعوة على المجامع

أخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: 214]؛ خرج النبي ﷺ حتى علا المَرْوة ثم قال: «يا آل فِهر» فجاءته قريش، فقال أبو لهب بن عبد المطلب: هذه فهر عندك فقُلْ. فقال: «يا آل غالب»، فرجع بنو محارب وبنو الحارث ابنا فهر، فقال: «يا آل لؤي بن غالب»، فرجع بنو تَيْم الأدرم بن غالب، فقال: «يا آل كعب بن لؤي»، فرجع بنو عامر بن لُؤي، فقال: «يا آل مُرَّة بن كعب»، فرجع بنو عَدِيّ بن كعب وبنو سَهْم وبنو جُمَح بن عمرو بنو هُصَيص بن كعب بن لؤي، فقال: «يا آل كلاب بن مرة»، فرجع بنو مخزوم بن يقظة بن مُرَّة وبنو تَيْم بن مرة، فقال: «يا آل قصي»، فرجع بنو زُهْرة بن كلاب، فقال: «يا آل عبد مناف»! فرجع بنو عبد الدار بن قُصَي وبنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو عبد بن قصي. فقال أبو لهب: هذه بنو عبد مناف عندك فقل. فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله أمرني أن أُنذر عشيرتي الأقربين وأنتُم الأقربون من قريش، وإني لا أملك لكم من الله حظاً ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا: «لا إله إلا الله» فأشهد بها لكم عند ربكم وتدين لكم العرب وتذلُّ لكم بها العجم». فقال أبو لهب: تبّاً لك فلهذا دعوتنا؟! فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: 1]، يقول: خَسرتْ يدا أبي لهب. كذا في «الكنز» (1/ 277).

وأخرج أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214] أتى النبي ﷺ الصَّفَا فصعد عليه، ثم نادى: «يا صباحاه»، فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني كعب، أرأيتم لو أخبرتكم أنَّ خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟» قالوا: نعم، قال: «فإنِّي نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم أما دعوتّنا إلا لهذا؟ وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: 1]، وأخرجه الشيخان نحوه كما في «البداية» (3/ 38).

* * *

عرضه ﷺ الدعوة في مواسم الحج وعلى قبائل العرب

أخرج أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص 101) عن عبد الله بن كعب بن مالك رضي الله عنهما قال: أقام رسول الله ﷺ ثلاث سنين من نبوته مستخفياً، ثم أعلن في الرابعة، فدعا عشر سنين يوافي الموسم، يتَّبع الحاجَّ في منازلهم: بعُكاظ ومَجَنَّة، وذي المجاز، يدعوهم إلى أنْ يمنعوه حتى يبلِّغَ رسالة ربه عزّ وجلّ ولهم الجنّة، فلا يجد أحداً ينصره، حتى إنَّه يسأل عن القبائل ومنازلهم قبيلةً قبيلةً، حتى انتهى إلى بني عامر بن صَعْصَعة فلم يلق من أحد من الأذى قط ما لقي منهم، حتى خرج من عندهم وإنَّهم ليرمونه من ورائه، حتى انتهى إلى بني مُحارب بن خَصَفَة، فوجد فيهم شيخاً ابن مائة سنة وعشرين سنة، فكلَّمه رسول الله ﷺ ودعاه إلى الإسلام وأنْ يمنعه حتى يبلِّغ رسالة ربه، فقال الشيخ: أيُّها الرجل، قومك أعلم بِنَبَئِك، والله لا يؤوب بك رجل إلى أهله إلا آب بشرٍّ ما يؤوب به أهل الموسم، فأغنِ عنا نفسك. وإنَّ أبا لهب لقائم يسمع كلام المحاربي. ثم وقف أبو لهب على المحاربي فقال: لو كان أهل الموسم كلُّهم مثلك لترك هذا الدِينَ الذي هو عليه، إنَّه صابىءٌ كذابٌ. قال المحاربي: أنت ـ والله ـ أعرف به، هو ابنُ أخيك ولحمتك. ثم قال المحاربي: لعلَّ به ـ يا أبا عتبة ـ لَمَماً؟ فإنَّ معنا رجلاً من الحي يهتدي لعلاجه. فلم يرجع أبو لهب بشيء، غير أنه إذا رآه وقف على

حيٍّ من أحياء العرب صاح به أبو لهب: إنَّه صابىء كذاب؛ وفي إسناده الواقدي.

وأخرج أبو نعيم (ص 102) أيضاً من طريق الواقدي عن عبد الله بن وابصة العبسي عن أبيه عن جده قال: جاءنا رسول الله ﷺ في منازلنا بمنى - ونحن نازلون بالجَمْرة الأولى التي تلي مسجد الخَيْف وهو على راحلته مُرْدِفاً خلفه زيد بن حارثة - فدعانا، فوالله ما استجبنا له ولا خُيِّرَ لنا، قال: وقد كنّا سمعنا به وبدعائه في الموسم، فوقف علينا يدعونا فلم نستجب له. وكان معنا مَيْسرة بن مسروق العبسي، فقال: أحلف بالله لو صدَّقنا هذا الرجل وحملناه حتى نحُل به وسط رحالنا لكان الرأي، فأحلف بالله ليظهرنَّ أمره حتى يبلغ كلَّ مبلغ. فقال له القوم. دَعْنا عنك لا تعرِّضنا لما لا قِبَلَ لنا به. فطمع رسول الله ﷺ في مَيْسرة فكلَّمه. فقال مَيْسرة: ما أحسن كلامك وأنوره! ولكنَّ قومي يخالفونني، وإنَّما الرجل بقومه فإن لم يعضدوه فالعِداء أبعد.

فانصرف رسول الله ﷺ وخرج القوم صادرين إلى أهليهم. فقال لهم ميسرة: ميلوا بنا إلى فَدَك فإنَّ بها يهوداً نسألهم عن هذا الرجل. فمالوا إلى يهود فأخرجوا سِفْراً لهم فوضعوه ثم درسوا ذكر رسول الله ﷺ: النبي الأمّي العربي، يركب الجمل، ويجتزىء بالكِسْرة، وليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالجعد ولا بالسبط، في عينه حُمْرة، مُشَرَّب اللون. فإنْ كان هذا هو الذي دعاكم فأجيبوه وادخلوا في دينه، فإنَّا نحسده فلا نتبعه، ولنا منه في مواطن بلاء عظيم ولا يبقى أحد من العرب إلا اتَّبعه أو قاتله، فكونوا ممّن يتّبعه. فقال مَيْسرة: يا قوم، إنّ هذا الأمر بيِّنٌ، قال القوم: نرجع إلى الموسم فنلقاه. فرجعوا إلى بلادهم وأبى ذلك عليهم رجالهم فلم يتبعه أحد منهم. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة وحجَّ

حِجّة الوداع لقيه مَيْسرة فعرفه. فقال: يا رسول الله، والله ما زلتُ حريصاً على اتِّباعك من يوم أنختَ بنا حتى كان ما كان، وأبى الله إلّا ما ترى من تأخير إسلامي، وقد مات عامة النَّفر الذين كانوا معي فأين مدخلهم يا نبي الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «كل من مات على غير دين الإسلام فهو في النار»، فقال: الحمد لله الذي أنقذني. فأسلم فحسن إسلامه، وكان له عند أبي بكر رضي الله عنه مكان. وذكره في «البداية» (3/ 145) عن الواقدي بإسناده مثله.

وأخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 103) أيضاً من طريق الواقدي: حدثني محمد بن عبد الله بن كَثِير بن الصَّلْت عن ابن رومان وعبد الله بن أبي بكر وغيرهما رضي الله عنهم قالوا: جاء رسول الله ﷺ كِندة في منازلهم بعُكاظ، فلم يأتِ حيّاً من العرب كان ألين منهم، فلمّا رأى لينهم وقوة جَبْههم له جعل يكلمهم ويقول «أدعوكم إلى الله وحده لا شريك له، وأن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم، فإنْ أظهرْ فأنتم بالخيار». فقال عامتهم: ما أحسن هذا القول!! ولكنَّا نعبد ما كان يعبد آباؤنا. قال أصغر القوم: يا قوم، اسبقوا إلى هذا الرجل قبل أن تُسبقوا إليه، فوالله إنَّ أهل الكتاب ليُحدِّثون أنَّ نبياً يخرج من الحَرَم قد أظلَّ زمانُه. وكان في القوم إنسان أعور فقال: أمسكوا عليَّ، أخرجته عشيرته وتؤوونه؟! أنتم تحملون حرب العرب قاطبة؟! لا، ثم لا. فانصرف عنهم حزيناً، فانصرف القوم إلى قومهم فخبروهم. فقال رجل من اليهود: والله إنَّكم مخطئون بخطئكم، لو سبقتم إلى هذا الرجل لسدتُم العرب، ونحن نجد صفته في كتابنا. فوصفه القوم الذين رأوه كل ذلك يصدقونه بما يصف من صفته، ثم قال: نجد مخرجه بمكة ودار هجرته يثرب. فأجمع القوم ليوافوه في الموسم قابل، فحبسهم سيد لهم عن حج تلك السنة فلم

يوافِ أحد منهم. فمات اليهوديُّ فسُمِعَ عند موته يُصدِّق بمحمد ﷺ ويؤمن به.

وأخرج أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص 100) عن عبد الرحمن العامري عن أشياخ من قومه قالوا: أتانا رسول الله ﷺ ونحن بسوق عُكاظ، فقال: «مِمَّن القوم؟» قلنا: من بني عامر بن صَعْصَعة. قال: «من أيِّ بني عامر؟» قلنا: بنو كعب بن ربيعة. قال: «كيف المَنَعَةُ فيكم؟» قلنا: لا يُرام ما قِبَلنا، ولا يُصطلى بنارنا. قال: فقال لهم: «إنِّي رسول الله، فإنْ أتيتكم تمنعوني حتى أُبلِّغ رسالة ربي؟ ولم أُكرِهْ أحداً منكم على شيء». قالوا: ومِنْ أيِّ قريش أنت؟ قال: «من بني عبد المطلب». قالوا: فأين أنت من بني عبد مناف؟ قال: «هم أول من كذَّبني وطردني». قالوا: ولكنَّا لا نطردك ولا نُؤمن بك، ونمنعك حتى تبلِّغ رسالة ربك. قال: فنزل إليهم والقوم يتسوقون إذ أتاهم بُجْرة بن قيس القُشَيري فقال، من هذا الذي أراه عندكم؟ أُنْكِرُه. قالوا: محمد بن عبد الله القرشي. قال: ما لكم وله؟ قالوا: زعم لنا أنَّه رسول الله، يطلب إلينا أنْ نمنعه حتى يبلِّغَ رسالة ربه. قال: فماذا رددتم عليه؟ قالوا: قلنا في الرَّحب والسَّعة، نُخرجُك إلى بلادنا ونمنعك مما نمنع به أنفسنا. قال بُجْرة: ما أعلم أحداً من أهل هذه السوق يرجع بشيء أشرَّ من شيء ترجعون به. بدأتم لتنابذ الناس، وترميكم العرب عن قوس واحدة، قومه أعلم به، لو آنسوا منه خيراً لكانوا أسعد الناس به، تعمدون إلى زَهيق قوم قد طرده قومه وكذَّبوه فتؤوونه وتنصرونه، فبئس الرأي رأيتم!! ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: قُمْ فالحق بقومك، فوالله لولا أنَّك عند قومي لضربت عنقك. قال: فقام رسول الله ﷺ إلى ناقته فركبها، فغمز الخبيثُ بُجْرة شاكلتها فقمصت برسول الله ﷺ فألقته.

وعند بني عامر يومئذٍ ضُباعة بنت عامر بن قُرط ـ كانت من النسوة اللاتي أسلمن مع رسول الله ﷺ بمكة ـ جاءت زائرة إلى بني عمها، فقالت: يا آل عامر، ـ ولا عامر لي ـ أيُصنع هذا برسول الله ﷺ بين أظهركم لا يمنعه أحدٌ منكم؟ فقام ثلاثة نفر من بني عمّها إلى بُجرة واثنين أعاناه، فأخذ كل رجل منهم رجلاً فجلد به الأرض، ثم جلس على صدره ثم علَوا وجوههم لطماً، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهم بارك على هؤلاء، والعن هؤلاء». قال: فأسلم الثلاثة الذين نصروه فقتلوا شهداء؛ وهلك الآخرون لعناً. واسم الاثنين اللَّذين نصرا بُجْرة بن فِراس: حزن بن عبد الله، ومعاوية بن عبادة، وأما الثلاثة الذين نصروا رسول الله ﷺ فغِطريف، وغَطَفان، ابنا سهل، وعُروة بن عبد الله. وأخرجه الحافظ سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في مغازيه عن أبيه به، كما في «البداية» (3/ 141).

وعند ابن إسحاق عن الزُّهْري أنَّه ﷺ أتى بني عامر بن صَعْصَعة، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه. فقال له رجل منهم ـ يقال له بَيْحرة بن فراس ـ: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلتُ به العرب، ثم قال له: أرأيت إنْ نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من يخالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: «الأمر لله يضعه حيث يشاء». قال: فقال له: أفنهدُف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك؛ فأبَوا عليه. فلما صَدَر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كان أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدَّثوه بما يكون في ذلك الموسم. فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش ثم أحدُ بني عبد المطلب يزعم أنه نبي، يدعونا إلى أن نمنعه

ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا. قال: فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تلاف؟ هل لذُناباها من مطلب؟ والذي نفسُ فلان بيده ما تقوَّلها إسماعيلي قط، وإنَّها لحق فأين رأيكم كان عنكم؟. كذا في «البداية» (3/ 139).

وذكره الحافظ أبو نعيم (ص 100) عن ابن إسحاق عن الزُّهْري من قوله: فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم. إلى آخره.

وأخرج ابن إسحاق أيضاً عن الزهري: أنَّه عليه السلام أتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مُلَيح، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعرض عليهم نفسه، فأبَوا عليه.

وعن محمد بن عبد الرحمن بن حُصَين: أنَّه [ﷺ] أتى كَلْباً في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه، حتى إنَّه ليقول: يا بني عبد الله، إنَّ الله قد أحسن اسم أبيكم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم.

وعن عبد الله بن كعب بن مالك رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ أتى بني حنيفة في منازلهم، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فلم يك أحدٌ من العرب أقبحَ رداً عليه منهم. كذا في «البداية» (3/ 139).

وأخرج الحافظ أبو نُعَيم عن العباس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا أرى لي عندك ولا عند أخيك مَنَعَة، فهل أنت مخرجي إلى السوق غداً حتى نقرَّ في منازل قبائل الناس»، وكانت مجمع العرب. قال: فقلت: هذه كِنْدة ولِفُّها وهي أفضل من يحج البيت من اليمن، وهذه منازل بكر بن وائل، وهذه منازل بني عامر بن صَعْصَعة، فاختر لنفسك. قال: فبدأ بكِنْدة فأتاهم فقال: «مِمَّن القوم؟» قالوا: من

أهل اليمن. قال: «من أيِّ اليمن؟» قالوا: من كِنْدة. قال: «من أيِّ كِنْدة؟» قالوا: من بني عمرو بن معاوية، قال: «فهل لكم إلى خير؟» قالوا: وما هو؟ قال: «تشهدون أنْ لا إله إلا الله، وتقيمون الصلاة، وتؤمنون بما جاء من عند الله». قال عبد الله بن الأجلح: وحدَّثني أبي عن أشياخ قومه أنَّ كندة قالت له: إن ظفرتَ تجعلْ لنا الملك من بعدك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الملك لله يجعله حيث يشاء». فقالوا: لا حاجة لنا فيما جئتنا به. وقال الكلبي: فقالوا: أجئتنا لتصدَّنا عن آلهتنا وننابذ العرب، الحَقْ بقومك فلا حاجة لنا بك.

فانصرف من عندهم فأتى بكر بن وائل فقال: «مِمَّن القوم؟» قالوا: من بكر بن وائل. فقال: «من أيِّ بكر بن وائل؟» قالوا: من بني قيس بن ثعلبة. قال: «كيف العدد؟» قالوا: كثير مثل الثرى. قال: «فكيف المنعة؟» قالوا: لا مَنَعة، جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نُجير عليهم. قال: «فتجعلون لله عليكم إنْ هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم، وتستنكحوا نساءهم، وتستعبدوا أبناءهَم أنْ تسبِّحوا الله ثلاثاً وثلاثين، وتحمدوه ثلاثاً وثلاثين، وتكبِّروه أربعاً وثلاثين». قالوا: ومن أنت؟ قال: «أنا رسول الله». ثم انطلق فلمّا ولَّى عنهم قال الكلبي: وكان عمُّه أبو لهب يتبعه فيقول للناس: لا تقبلوا قوله، ثم مرَّ أبو لهب فقالوا: هل تعرف هذا الرجل؟ قال: نعم هذا في الذروة منا، فعن أيِّ شأنه تسألون؟ فأخبروه بما دعاهم إليه وقالوا: زعم أنه «رسول الله»، قال: ألَا لا ترفعوا برأسه قولاً، فإنَّه مجنون يهذي من أمِّ رأسه. قالوا: قد رأينا ذلك حين ذكر من أمر فارس ما ذكر. كذا في «البداية» (3/ 140).

وأخرج ابن إسحاق عن ربيعة بن عبَّاد رضي الله عنه قال: إني لغلام شاب مع أبي بمنى، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل

مـن العرب فيقول: «يا بني فلان، إني رسول الله إليكم، آمركم أنْ تعبدوا الله ولا تشركوا بـه شيئاً، وأن تخلـعوا مـا تعـبدون مـن دونـه مـن هـذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي، وتصدِّقوا بي، وتمنعوني حتى أُبَيِّن عن الله ما بعثني به». قال: وخلفه رجل أحول وضيء، له غديرتان، عليه حُلَّة عدنيّة. فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل: يا بني فلان، إنَّ هذا إنما يدعوكم إلى أنْ تسلخوا اللَّات والعُزَّى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أُقَيْش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه، ولا تسمعوا منه. قال: فقلت لأبي: يا أبت، من هذا الرجل الذي يتبعه ويردّ عليه ما يقول؟ قال: هذا عمه عبد العُزَّى بن عبد المطلب أبو لهب. كذا في البداية (3/ 138).

وأخرجه أيضاً عبد الله بن أحمد والطبراني عن ربيعة بمعناه، قال الهيثمي. (6/ 36) وفيه: حسين بن عبد الله بن عبيد الله وهو ضعيف ووثَّقه ابن مَعِين في رواية. انتهى. قلت: وفي رواية ابن إسحاق رجل لم يُسَمَّ.

وأخرج الطبراني عن مُدْرِك قال: حججت مع أبي، فلما نزلنا منى إذا نحن بجماعة فقلت لأبي: ما هذه الجماعة؟ قال: هذا الصابىء. فإذا رسول الله ﷺ يقول: «يا أيُّها الناس، قولوا: لا إله إلَّا الله تفلحوا». قال الهيثمي (6/ 21): ورجاله ثقات.

وأخرج البخاري في «التاريخ» وأبو زُرعة والبغوي وابن أبي عاصم والطبراني عن الحارث بن الحارث الغامدي رضي الله عنه قال: قلت لأبي ونحن بمنى: ما هذه الجماعة؟ قال: هؤلاء اجتمعوا على صابىء لهم. قال: فتشرَّفتُ، فإذا برسول الله ﷺ يدعو الناس إلى توحيد الله، وهم يردون عليه الحديث. كذا في الإصابة (1/ 275).

وأخرج الواقدي عن حسانَ بن ثابت رضي الله عنه قال: حججت والنبي ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام وأصحابه يعذّبون، فوقفت على عمرَ يعذب جارية بني عمرو بن المؤمَّل، ثم ثبت على زِنِّيرة فيفعل بها ذلك؛ كذا في «الإصابة» (4/ 312).

وأخرج أبو نعيم في «الدلائل» (ص 96) عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما أمر الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ أنْ يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منًى حتى دَفَعْنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدَّم أبو بكر فسلَّم ـ وكان أبو بكر مقدَّماً في كل حين وكان رجلاً نسَّابة ـ فقال: ممَّن القوم؟ قالوا: من ربيعة. قال: وأيٌّ ربيعة أنتم؟... فذكر الحديث بطوله؛ وفيه قال: ثم انتهينا إلى مجلس عليه السكينةُ والوقارُ، وإذا مشايخُ لهم أقدار وهيئات، فتقدَّم أبو بكر فسلم ـ قال علي: وكان مقدَّماً في كل حين. فقال لهم أبو بكر: ممَّن القوم؟ قالوا: نحن بنو شَيْبان بن ثعلبة. فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي ليس بعد هؤلاء من عزٍّ في قومهم، وكان في القوم: مفروق بن عمرو، وهانىء بن قَبيصة، والمثنَّى بن حارثة، والنعمان بن شَريك. وكان أقرب القوم إلى أبي بكر مفروق بن عمرو، وكان مفروق قد غلب عليهم بياناً ولساناً، وكانت له غديرتان تسقطان على صدره. وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر، فقال له أبو بكر: كيف العدد فيكم؟ فقال له: إنَّا لنزيد على الألف ولن يُغلب ألف من قلة. قال: فكيف المنعَة فيكم؟ قال: علينا الجُهد ولكل قوم جَدّ. قال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوّكم؟ قال مفروق: إنَّا أشدُّ ما نكون غضباً حين نَلْقَى، وإنَّا أشدُّ ما نكون لقاءً إذا غضبنا، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللِقَاح، والنصرُ من عند الله، يُديلنا

مرة ويُديل علينا مرة؛ لعلك أخو قريش؟ قال أبو بكر: إنْ كان بلغكم أنَّه رسول الله ﷺ، فها هوذا. فقال مفروق: قد بلغنا أنَّهُ يذكر ذلك.

ثم التفت إلى رسول الله ﷺ فقال: إلامَ تدعو يا أخا قريش؟ فتقدَّم رسول الله ﷺ فجلس، وقام أبو بكر يظلِّله بثوبه. فقال رسول الله ﷺ: «أدعوكم إلى شهادة أنْ لا إله إلّا الله وحده، وأني رسول الله، وأنْ تؤووني، وتمنعوني، وتنصروني حتى أؤدي عن الله تعالى ما أمرني به، فإنَّ قريشاً قد تظاهرت على أمر الله، وكذَّبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد». قال له: وإلامَ تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 151 - 153] فقال له مفروق: وإلامَ تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ولو كان من كلامهم لعَرفناه، فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90]. فقال له مفروق: دعوتَ - والله - يا قرشي إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفِكَ قوم كذَّبوك وظاهروا عليك.

وكأنه أحبَّ أنْ يَشركه في الكلام هانىء بن قبيصة فقال: وهذا هانىء بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا. فقال له هانىء: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وصدَّقت قولك، وإني أرى أنَّ تركَنا ديننا واتِّباعنا إياك على دينك لمجلس جلستَه إلينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر في أمرك، وننظر في عاقبة ما تدعونا إليه - زلَّةٌ في الرأي، وطَيْشةٌ في العقل، وقلةُ نظرٍ في العاقبة، وإنَّما تكون الزلَّة مع العَجَلة، وإنَّ مِنْ ورائنا قوماً نكره أنْ نعقد عليهم عقداً. ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر.

وكأنَّه أحب أنْ يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا. فقال المثنى: قد سمعت مقالتك، واستحسنت قولك يا أخا قريش، وأعجبني ما تكلمت به، والجواب هو جواب هانيء بن قبيصة، إنَّما نزلنا بين صِيرَين: أحدهما اليمامة، والأخرى السَّماوة. فقال له رسول الله ﷺ: وما هذان الصِّيران؟ فقال له: أما أحدهما فطُفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى، وإنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا كسرى أنْ لا نُحدث حدثاً، ولا نؤويَ مُحدِثاً. ولعل هذا الأمر الذي تدعونا إليه ممَّا تكرهه الملوك، فأمَّا ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول، وأما ما كان مما يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول. فإن أردت أن ننصرك مما يلي العرب فعَلْنا.

فقال رسول الله ﷺ: «ما أسأتم الردَّ إذْ أفصحتم بالصدق، إنه لا يقوم بدين الله إلا مَنْ حاطه من جميع جوانبه». ثم نهض رسول الله ﷺ قابضاً على يد أبي بكر، ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله ﷺ. قال علي رضي الله عنه: وكانوا صُدُقاً صُبُراً ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ. كذا في «دلائل النبوة» لأبي نُعيم. وقال في «البداية» (3/ 142): رواه أبو نُعيم والحاكم والبيهقي، والسِّياق لأبي نُعيم ـ فذكر الحديث وفيه بعد قوله: «إنَّه لا يقوم بدين الله إلا مَنْ حاطه من جميع جوانبه» ثم قال رسول الله ﷺ: «أرأيتم؟ إن لم تلبثوا إلَّا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم، ويُفرشَكم بناتِهم، أتسبِّحون الله وتقدِّسونه؟» فقال له النعمان بن شريك: اللَّهمَّ وإنَّ ذلك لك يا أخا قريش، فتلا رسول الله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: 45، 46] ثم نهض

رسول الله ﷺ قابضاً على يدي أبي بكر رضي الله عنه. قال علي رضي الله عنه: ثم التفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: «يا عليٌّ أيَةُ أخلاقٍ للعرب كانت في الجاهلية ـ ما أشرفها! ـ بها يتحاجزون في الحياة الدنيا». قال: ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج؛ فما نهضنا حتى بايعوا النبي ﷺ؛ قال علي: وكانوا صُدَقاء صُبَراء، فسُرَّ رسول الله ﷺ من معرفة أبي بكر بأنسابهم. قال: فلم يلبث رسول الله ﷺ إلا يسيراً حتى خرج إلى أصحابه فقال لهم: «احمدوا الله كثيراً» فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس، قتلوا ملوكهم، واستباحوا عسكرهم، وبي نُصروا». قال ابن كثير في «البداية» (3/ 145): هذا حديث غريب جداً، كتبناه لما فيه من دلائل النبوة، ومحاسن الأخلاق، ومكارم الشِّيَم، وفصاحة العرب.

وقد ورد هذا من طريق أخرى وفيه أنَّهم لما تحاربوا هُمْ وفارس والتقَوْا معهم بقُراقِر ـ مكان قريب من الفرات ـ جعلوا شعارهم اسم محمد ﷺ فنُصروا على فارس بذلك، وقد دخلوا بعد ذلك في الإسلام. انتهى. وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (7/ 156): أخرج الحاكم وأبو نُعيم والبيهقي في الدلائل بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما: حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فذكر شيئاً من هذا الحديث.

وأخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 105) من طريق الواقدي عن إسحاق بن حباب عن يحيى بن يعلى قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً ـ وهو يذكر الأنصار وفضلهم وسابقتهم ـ ثم قال: إنّه ليس بمؤمن من لم يحبَّ الأنصار ويعرف لهم حقوقهم، هم ـ والله ـ ربَّوُا الإسلام كما يُربى الفُلُوُّ في غنائهم بأسيافهم وطول ألسنتهم وسخاء أنفسهم. لقد كان رسول الله ﷺ يخرج في المواسم فيدعو القبائل، ما

أحدٌ من الناس يستجيب له ويقبل منه دعاءه. فقد كان يأتي القبائل بمجنَّة وعُكاظ وبمنى حتى يستقبل القبائل يعود إليهم سنة بعد سنة، حتى إنَّ القبائل منهم من قال: ما آن لك أنْ تيأس منا؟ من طول ما يعرض نفسه عليهم، حتى أراد الله عزّ وجلّ ما أراد بهذا الحيِّ من الأنصار فأعرض عليهم الإِسلام، فاستجابوا وأسرعوا وآوَوا ونصروا وواسوا ـ فجزاهم الله خيراً ـ قدمنا عليهم، فنزلنا معهم في منازلهم، ولقد تشاحُّوا فينا، حتى إن كانوا ليقترعون علينا، ثم كنَّا في أموالهم أحقَّ بها منهم طيبة بذلك أنفسهم؛ ثم بذلوا مهج أنفسهم دون نبيهم ﷺ وعليهم أجمعين.

وأخرج أبو نُعيم أيضاً في «الدلائل» (ص 105) عن أمّ سعد بنت سعد بن الربيع رضي الله عنهما قالت: أقام رسول الله ﷺ بمكة ما أقام يدعو القبائل إلى الله عزّ وجلّ فيؤذى ويُشتم، حتى أراد الله عزّ وجلّ بهذا الحيِّ من الأنصار ما أراد من الكرامة، فانتهى رسول الله ﷺ إلى نفر منهم عند العقبة وهم يحلِقون رؤوسهم. قلت: من هم يا أمَّه؟ قالت: ستة نفر أو سبعة، منهم من بني النجار ثلاثة: أسعد بن زُرارة وابنا عفراء، ولم تُسمِّ لي من بقي. قالت: فجلس رسول الله ﷺ إليهم، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، فقرأ عليهم القرآن، فاستجابوا لله ولرسوله، فوافَوا قابل وهي العقبة الأولى؛ ثم كانت العقبة الآخرة. قلت لأمّ سعد: وكم كان رسول الله ﷺ أقام بمكة؟ قالت: أما سمعت قول أبي صِرْمَة قيسِ بن أبي أنس؟ قلت: لا أدري ما قال، فأنشدتني قوله:

ثَوَى في قريشٍ بِضْعَ عشرَة حَجَّة

يُذكِّرُ لو لاقَى صديقاً مواتيا

وذكر الأبيات كما سيأتي في باب النُصرة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وأخرج أبو نُعيم أيضاً في «الدلائل» (ص 105) عن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه، والزُّهري رضي الله عنه قال: لمَّا اشتد المشركون على رسول الله ﷺ قال لعمِّه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: «يا عم، إنَّ الله عزّ وجلّ ناصر دينه بقوم يهون عليهم رَغْمُ قريش عزاً في ذات الله تعالى فامضِ بي إلى عُكاظ، فأرني منازل أحياء العرب حتى أدعوهم إلى الله عزّ وجلّ، وأن يمنعوني ويؤووني حتى أُبلِّغ عن الله عزّ وجلّ ما أرسلني به»، قال: فقال العباس: يا ابن أخي، امضِ إلى عُكاظ فأنا ماضٍ معك حتى أدلَّك على منازل الأحياء. فبدأ رسول الله ﷺ بثَقيف، ثم استقرى القبائل في سَنَتِه. فلما كان العام المقبل ـ وذلك حين أمر الله تعالى أن يعلن الدعاء ـ لقي الستة نفرِ الخزرجيين والأوسيين: أسعد بن زُرارة، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان، وعبد الله بن رواحة، وسعد بن الربيع، والنعمان بن حارثة، وعُبادة بن الصامت. فلقيهم النبي ﷺ في أيام منًى عند جَمرة العقَبَة ليلاً، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وإلى عبادته، والموازرة على دينه الذي بعث به أنبياءه ورسله، فسألوه أنْ يَعرِض عليهم ما أُوحي إليه، فقرأ رسول الله ﷺ سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: 35] ـ إلى آخر السورة، فرقَّ القوم وأخبتوا حين سمعوا وأجابوه.

فمرَّ العباس بن عبد المطلب وهو يكلِّمهم ويكلِّمونه، فعرف صوت النبي ﷺ فقال: ابن أخي، من هؤلاء الذين عندك؟ قال: يا عمّ، سكان يثرب: الأوس والخزرج قد دعوتهم ما دعوت إليه مَنْ قبلَهم من الأحياء فأجابوني وصدقوني، وذكروا أنَّهم يخرجونني إلى بلادهم. فنزل العباس بن عبد المطلب وعقل راحلته ثم قال لهم: يا معشر الأوس والخزرج، هذا ابن أخي ـ وهو أحبُّ الناس إليّ ـ فإن كنتم صدَّقتموه

وآمنتم به وأردتم إخراجه معكم فإني أريد أن آخذ عليكم موثقاً تطمئنُ به نفسي ولا تخذلوه ولا تغرُّوه فإنَّ جيرانكم اليهودُ، واليهودُ له عدوٌ، ولا آمن مكرهم عليه. فقال أسعد بن زرارة ـ وشقَّ عليه قول العباس حين اتَّهم عليه سعداً وأصحابه ـ قال: يا رسول الله ائذن لنا فلنجبْهُ غير مُخْشِنين بصدرك ولا متعرِّضين لشيء مما تكره إلا تصديقاً لإجابتنا إياك، وإيماناً بك. فقال رسول الله ﷺ: «أجيبوه غيرَ مُتَّهمين». فقال أسعد بن زُرارة ـ وأقبل على رسول الله ﷺ بوجهه ـ فقال: يا رسول الله، إنَّ لكل دعوة سبيلاً، إنْ لينٌ وإنْ شدةٌ، وقد دعوتَ اليوم إلى دعوة متجهِّمة للناس متوعِّرة عليهم، دعوتنا إلى ترك ديننا واتباعك على دينك وتلك رتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك، ودعوتنا إلى قطع ما بيننا وبين الناس من الجوار والأرحام القريب والبعيد وتلك رتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك، ودعوتنا ونحن جماعة في دار عز ومَنَعَة لا يطمع فيها أحد أن يرأس علينا رجل من غيرنا قد أفرده قومه وأسلمه أعمامه وتلك رتبة صعبة فأجبناك إلى ذلك، وكل هؤلاء الرتب مكروهة عند الناس إلّا من عزم الله على رشده والتمس الخير في عواقبها وقد أجبناك إلى ذلك بألسنتنا وصدورنا وأيدينا، إيماناً بما جئت به، وتصديقاً بمعرفة ثبتت في قلوبنا، نبايعك على ذلك ونبايع ربَّنا وربَّك، يد الله فوق أيدينا، ودماؤنا دون دمك، وأيدينا دون يدك، نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا، فإنْ نفي بذلك فلِلَّهِ نَفي، وإنْ نغدر فبالله نغدر ونحن به أشقياء، هذا الصدق منا يا رسول الله: والله المستعان.

ثم أقبل على العباس بن عبد المطلب بوجهه فقال: وأما أنت أيُّها المعترض لنا بالقول دون النبي ﷺ ـ والله أعلم ما أردت بذلك؟ ـ ذكرت أنَّه ابنُ أخيك وأحبُّ الناس إليك، فنحن قد قطعنا القريب إلينا والبعيد

وذا الرحم، ونشهد أنه رسول الله، الله أرسله من عنده، ليس بكذاب، وأنَّ ما جاء به لا يشبه كلام البشر، وأما ما ذكرت أنَّك لا تطمئن إلينا في أمره حتى تأخذ مواثيقنا فهذه خصلة لا نردّها على أحد أرادها لرسول الله ﷺ، فخذ ما شئت، ثم التفت إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، خذ لنفسك ما شئت، واشترط لربك ما شئت. فذكر الحديث بطوله في بَيْعَتهم.

وستأتي أحاديث البَيْعة في البيعة على النُّصْرة، وأحاديث الباب في باب النُّصْرة في ابتداء أمر الأنصار إن شاء الله تعالى.

* * *

عرضه ﷺ الدعوة في السوق

أخرج أحمد عن ربيعة بن عبَّاد من بني الدِّيل ـ وكان جاهلياً فأسلم ـ قال: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المَجاز وهو يقول: «يا أيَّها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا»، والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول، ذو غديرتين يقول: إنَّه صابىء كاذب، يتَّبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمُّه أبو لهب. وأخرجه البيهقي بنحوه كذا في «البداية» (3/ 41). وقال الهيثمي (6/ 22): رواه أحمد وابنه والطبراني في «الكبير» بنحوه و [في] «الأوسط» باختصار بأسانيد، وأحد أسانيد عبد الله بن أحمد ثقات الرجال. انتهى. وعَزَّاه الحافظ في «الفتح» (7/ 156) إلى البيهقي وأحمد، وقال: صحَّحه ابن حبان. انتهى. قال الهيثمي (6/ 22): وفي رواية: ورسول الله ﷺ يفرّ منه وهو يتبعه. وفي رواية: والناس منقصفون عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً وهو لا يسكت. انتهى. وقد تقدم له طريق في عرضه ﷺ الدعوة على القبائل.

وأخرج الطبراني عن طارق بن عبد الله قال: إنِّي بسوق ذي المجاز إذْ مرّ رجل شاب عليه حُلَّة من بُرد أحمر وهو يقول: «يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تُفلِحوا»، ورجل خلفه قد أدمى عرقوبيه وساقيه يقول: يا أيُّها الناس، إنَّه كذاب فلا تطيعوه. فقلت: من هذا؟ قال: غلام بني هاشم الذي يزعم أنَّه «رسول الله» وهذا عمه عبد العُزَّى. فذكر

الحديث. قال الهيثمي (6/ 23) وفيه: أبو حباب الكلبي وهو مدلِّس، وقد وثَّقه ابن حِبَّان، وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج **أحمد** عن رجل من بني مالك بن كِنانة قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخلَّلها يقول: «يا أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا». قال: وأبو جهل يَحثي عليه التراب ويقول: لا يُغوينَّكم هذا عن دينكم، فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللَّات والعُزَّى؛ وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ. قلت: انْعَتْ لنا رسول الله ﷺ. قال: بين بُردين أحمرين، مربوعٌ، كثير اللحم، حسن الوجه، شديد سواد الشَّعر، أبيض شديد البياض، سابغ الشَّعَر. قال الهيثمي (6/ 21): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه البيهقي أيضاً بمعناه إلَّا أنه لم يذكر نعته ﷺ كما في البداية (3/ 139)، وقال: كذا قال في هذا السياق أبو جهل. وقد يكون وهماً، ويحتمل أن يكون تارة يكون ذا وتارة يكون ذا، وأنهما كانا يتناوبان على أذاته ﷺ. انتهى. وقد تقدَّم عرضه ﷺ الدعوة في سوق عكاظ في عرضه الدعوة على القبائل (ص67).

* * *

عرضه ﷺ الدعوة على عشيرته الأقربين

وأخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: لمّا نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء: 214] قام رسول الله ﷺ فقال: «يا فاطمة ابنة محمد، يا صفية ابنة عبد المطلب يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم». انفرد بإخراجه مسلم .

وأخرج أحمد أيضاً عن علي رضي الله عنه قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء: 214] جمع النبي ﷺ من أهل بيته فاجتمع ثلاثون، فأكلوا وشربوا. قال: وقال لهم: «من يضمن عني دَيْني ومواعيدي، ويكون معي في الجنة، ويكون خليفتي في أهلي؟» فقال رجل: يا رسول الله، أنت كنت بحراً من يقوم بهذا؟ قال: ثم قال الآخر ـ ثلاثاً ـ قال: فعرض ذلك على أهل بيته، فقال علي رضي الله عنه: أنا.

وأخرج أحمد أيضاً عن علي رضي الله عنه قال: جمع رسول الله ﷺ ـ أو دعا رسول الله ﷺ ـ بني عبد المطلب وهم رَهْط، وكلُّهم يأكل الجَذَعة ويشرب الفَرَق. فصنع لهم مدّاً من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو كأنه لم يُمسّ. ثم دعا بغُمَر فشربوا حتى رَوُوا وبقي الشراب كأنه لم يُمسّ أو لم يُشرب، وقال: «يا بني عبد المطلب، إني بُعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامّة فقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم، فأيُّكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي؟» فلم يقم

إليه أحد. قال: فقمت إليه - وكنت أصغر القوم - قال: فقال: اجلس، ثم قال - ثلاث مرات - كل ذلك أقوم إليه فيقول: اجلس، حتى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي. كذا في «التفسير» لابن كثير (3/ 350).

وأخرج البزّار عن علي رضي الله عنه قال: لمّا نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: 214] قال رسول الله ﷺ: «يا علي، اصنع رِجل شاة بصاع من طعام، واجمع لي بني هاشم» - وهم يومئذٍ أربعون رجلاً، أو أربعون غير رجل - قال: فدعا رسول الله ﷺ بالطعام، فوضعه بينهم. فأكلوا حتى شبعوا، وإِنَّ منهم من يأكل الجذعة بإدامها؛ ثم تناول القدح فشربوا منه حتى رَوُوا - يعني من اللَّبن -، فقال بعضهم: ما رأينا كالسِّحر - يروون أنه أبو لهب الذي قاله - فقال: «يا علي، اصنع رجل شاة بصاع من طعام، واعدد قَعْباً من لبن». ففعلت. فأكلوا كما أكلوا في اليوم الأول، وشربوا كما شربوا في المرة الأولى، وفضل كما فضل في المرة الأولى. فقال: ما رأينا كاليوم في السحر. فقال: «يا علي، اصنع رجل شاة بصاع من طعام، واعدد قعباً من لبن» ففعلت. فقال: «يا علي اجمع لي بني هاشم»، فجمعتهم فأكلوا وشربوا، فبدرهم رسول الله ﷺ فقال: «أيكم يقضي عني دَيْني؟» قال: فسكتُّ وسكت القوم. فأعاد رسول الله ﷺ المنطق، فقلت: أنا يا رسول الله، فقال: «أنت يا علي، أنت يا علي!!». قال الهيثمي (8/ 302): رواه البزَّار واللفظ له؛ وأحمد باختصار، والطبراني في الأوسط باختصار أيضاً، ورجال أحمد وأحد إسنادي البزّار رجال الصحيح غير شَرِيكٍ، وهو ثقة. انتهى.

وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم بمعناه وفي حديثه: فقال: «أيُّكم يقضي عني دَيْني، ويكون خليفتي في أهلي؟» قال: فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله. قال: وسكتُّ أنا لسنِّ العباس، ثم

قالها مرة أُخرى فسكت العباس، فلمَّا رأيت ذلك قلت: أنا يا رسول الله، قال: وإنّي يومئذٍ لأسوؤهم هيئة، وإني لأعمش العينين، ضخم البطن، خَمْشُ الساقين. كذا في «التفسير» لابن كثير (3/ 351). وأخرجه البيهقي في «الدلائل» وابن جرير بأبسط من هذا السياق بزيادات أُخر بإسناد ضعيف، كما في «التفسير» لابن كثير (3/ 350)؛ و «البداية» (3/ 39).

وقد تقدّم الحديث بسياق آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما في عرض الدعوة على المجامع.

* * *

عرضه ﷺ الدعوة في السفر

أخرج أحمد (4/ 74) عن ابن سعد رضي الله عنهما ـ وسعد الذي دل رسول الله ﷺ على طريق رَكوبَة ـ قال ابن سعد: حدَّثني أبي أنَّ رسول الله ﷺ أتاهم ومعه أبو بكر رضي الله عنه ـ وكانت لأبي بكر عندنا بنت مسترضعة، وكان رسول الله ﷺ أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة ـ فقال له سعد: هذا الغائر من رَكوبة وبه لِصَّان من أسلَم يقال لهما: المُهانان، فإن شئت أخذنا عليهما. فقال رسول الله ﷺ: «خُذْ بنا عليهما». قال سعد: فخرجنا حتى أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه: هذا اليماني. فدعاهما رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام، فأسلما. ثم سألهما عن أسمائهما فقالا: نحن المهانان. فقال: «بل أنتما المكرمان». وأمرهما أن يَقدَما عليه المدينة. فذكر الحديث. قال الهيثمي: (6/ 58): رواه عبد الله بن أحمد. وابن سعد اسمه: عبد الله، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

وأخرج الحاكم أبو عبد الله النَّيسابوري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأقبل أعرابي، فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ: «أين تريد؟» قال: إلى أهلي، قال: «هل لك إلى خير؟» قال: ما هو؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله». قال: هل من شاهد على ما تقول؟ قال: «هذه الشجرة». فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطىء الوادي، فأقبلت

تَخُدُّ الأرض خدّاً فقامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال. ثم إنها رجعت إلى منبتها، ورجع الأعرابي إلى قومه فقال: إن يتّبعوني أتيتك بهم وإلّا رجعت إليك وكنت معك. وهذا إسناد جيِّد ولم يُخرِّجوه ولا رواه الإمام أحمد. كذا في «البداية» (6/ 125). وقال الهيثمي (8/ 292): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو يَعْلى أيضاً والبزار. انتهى.

وأخرج ابن سعد (4/ 242) عن عاصم الأسلمي قال: لمّا هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة فانتهى إلى الغَمِيم أتاه بُرَيْدة بن الحُصيْب، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم هو ومن معه - وكانوا زُهاء ثمانين بيتاً -، فصلّى رسول الله ﷺ العشاء فصلّوا خلفه.

* * *

مشيه ﷺ على القدمين للدعوة

أخرج الطبراني عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: لمَّا توفي أبو طالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشياً على قدميه يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، فانصرف، فأتى ظلَّ شجرة فصلَّى ركعتين ثم قال: «اللَّهم إنِّي أشكو إليك ضعف قوتي، وهواني على الناس، أرحمَ الراحمين، أنت أرحمُ الراحمين، إلى مَنْ تكلني؟ إلى عدو يتجهمني أم إلى قريب ملَّكتَه أمري؟ إن لم تكن غضبان عليّ فلا أُبالي، غير أن عافيتك أوسع لي. أعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصَلُح عليه أمر الدنيا والآخرة ـ أن ينزل بي غضبُك، أو يحل بي سخطُك، لك العُتبى حتى ترضى ولا قوة إلا بالله». قال الهيثمي (6/ 35) وفيه: ابن إسحاق وهو مدلِّس ثقة، وبقية رجاله ثقات. انتهى. وسيأتي الحديث من طريق الزُّهري وغيره مطوّلاً في تحمُّل الشدائد والأذايا في الدعوة إلى الله.

* * *

الدعوة إلى الله تعالى في القتال

أخرج عبد الرزاق عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما قاتل رسول الله ﷺ قوماً حتى دعاهم. وكذلك رواه الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه؛ ورواه أحمد في «مسنده»، والطبراني في «معجمه». كذا في «نصب الراية» (2/ 278). وقال الهيثمي (5/ 304): رواه أحمد وأبو يَعْلى والطبراني بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه أيضاً ابن النجار كما في «كنز العمال» (2/ 298)؛ والبيهقي في «سننه» (9/ 107).

وأخرج ابن مَنْده وابن عساكر عن عبد الرحمن بن عائذ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث بَعْثاً قال: «تألَّفوا الناس ولا تُغيروا عليهم حتى تدعوهم فما على الأرض من أهل بيتٍ مَدَرٍ ولا وَبَر إلَّا تأتوني بهم مسلمين أحبّ إليّ من أن تأتوني بنسائهم وأولادهم وتقتلوا رجالهم». كذا في «الكنز» (2/ 294). وأخرجه أيضاً ابن شاهين والبغوي كما في «الإصابة» (3/ 152)، والترمذي (1/ 195).

وأخرج أبو داود (ص 358) واللفظ له: ومسلم (2/ 82) وابن ماجه (ص 210) والبيهقي (9/ 184) عن بُرَيدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميراً على سَرِيّة أو جيش أوصاه بتقوى الله في خاصّة نفسه وبمن معه من المسلمين خيراً، وقال: «إذ لقيت عدوَّك من المشركين فادعهم إلى أحد ثلاث خصال ـ أو خلال ـ

فأيتها أجابوك إليها فاقْبَلْ منهم وكف عنهم: ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم. ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأعلمهم أنهم إن فعلوا ذلك أنَّ لهم ما للمهاجرين، فإن أبَوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنَّهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي كان يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبَوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن أجابوا فاقْبَلْ منهم وكُفَّ عنهم، فإن أبَوا فاستعن بالله وقاتلهم. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوا أن تُنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم، فإنَّكم لا تدرون ما يحكم الله فيهم، ولكن أنزلوهم على حكمكم ثم اقضوا فيهم بعدُ ما شئتم». قال الترمذي: حديث بريدة حديث حسن صحيح. وأخرجه أيضا أحمد، والشافعي، والدارمي، والطحاوي، وابن حِبّان، وابن الجارود، وابن أبي شيبة وغيرهم كما في كنز العمال (2/ 297).

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى قوم يقاتلهم، ثم بعثَ إليه رجلاً فقال: «لا تدعه من خلفه وقل له: لا تقاتلهم حتى تدعوهم». قال الهيثمي (5/ 305): رجاله رجال الصحيح غير عثمان بن يحيى القرقساني وهو ثقة ا هـ.

وأخرج ابن راهَوِيه عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه وجهاً ثم قال لرجل: «الحق ولا تَدْعُه من خلفه، فقل: إن النبي ﷺ يأمرك أن تنتظره، وقل له: لا تقاتل قوماً حتى تدعوهم». كذا في «كنز العمال» (2/ 297).

وعند عبد الرزاق عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له حين

بعثه: «لا تقاتل قوماً حتى تدعوهم»؛ كذا في «نصب الراية» (2/ 378). وقد تقدَّم في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عند البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه يوم خيبر: «انفُذ على رِسْلِك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حقِّ الله تعالى فيه، فوالله، لأن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْر النَّعَم».

وأخرج ابن سعد، وأحمد، وأبو داود، والترمذي (2/ 154) وحسَّنه، والطبراني، والحاكم عن فروة بن مُسَيك الغُطيفي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، ألا أقاتل من أدبر من قومي بمن أقبل منهم؟ فقال: «بلى»؛ ثم بدا لي فقلت: يا رسول الله، لا، بل هم أهل سبإ، هم أعزُّ وأشدُّ قوة. فأمرني رسول الله ﷺ وأذن لي في قتال سبإ. فلما خرجت من عنده أنزل الله في سبإ ما أنزل. فقال رسول الله ﷺ: «ما فعل الغُطيفي؟» فأرسل إلى منزلي فوجدني قد سرت فردَّني. فلما أتيت رسول الله ﷺ وجدته قاعداً وحوله أصحابه فقال: «ادعُ القوم، فمن أجاب منهم فاقبل ومن أبى فلا تعجل عليه حتى يُحدَث إليّ». فقال رجل من القوم: يا رسول الله، ما سبأ؟ أرض أو امرأة؟ قال: «ليست بأرض ولا امرأة، ولكن رجل ولد عشرة من العرب. فأما ستة فتيامنوا وأما أربعة فتشاءموا. فأما الذين تشاءموا: فلَخْم، وجُذام، وغسّان، وعامِلَة، وأما الذين تيامنوا: فالأزْد، وكِنْدة، وحِمْيَر، والأشعريون، والأنمار، ومَذْحج». فقال: يا رسول الله، وما أنمار؟ قال: «هم الذين منهم: خَثْعَم، وبَجِيلة». كذا في «كنز العمال» (1/ 260).

وعند أحمد أيضاً وعبد بن حُمَيد عن فروة رضي الله عنه قال:

أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أقاتل بمُقبل قومي مُدبرهم؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم، فقاتلْ بمقبل قومك مدبرهم»، فلما ولَّيت دعاني فقال: «لا تقاتلهم حتى تدعوهم إلى الإسلام». فقلت: يا رسول الله، أرأيت بسبإ؟ أوادٍ هو أم جبل أو ما هو؟ قال: «لا، بل هو رجل من العرب وُلد له عشرة» ـ فذكر الحديث. وهذا إسناد حسن وإن كان فيه أبو حباب الكلبي وقد تكلَّموا فيه، لكن رواه ابن جرير عن أبي كريب عن العبقري عن أسباط بن نصر عن يحيى بن هانىء المرادي عن عمه أو عن أبيه ـ شك أسباط ـ قال: قدم فروة بن مُسَيك على رسول الله ﷺ فذكره؛ كذا في «التفسير» لابن كثير (3/ 531).

وأخرج الطبراني عن خالد بن سعيد رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقال: «من لقيت من العرب فسمعت فيهم الأذان فلا تعرِض لهم، ومن لم تسمع فيهم الأذان فادعهُم إلى الإسلام». قال الهيثمي (5/ 307) وفيه: يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني وهو ضعيف.

وأخرج البيهقي (9/ 107) عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: أُتِيَ رسول الله ﷺ بأسارى من اللَّات والعزَّى، قال: فقال رسول الله ﷺ: «هل دعوتموهم إلى الإسلام؟» فقالوا: لا. فقال لهم: «هل دعوكم إلى الإسلام؟» فقالوا: لا. قال: «خلُّوا سبيلهم حتى يبلغوا مأمنهم». ثم قرأ رسول الله ﷺ هاتين الآيتين: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: 45، 46]. ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: 19] إلى آخر الآية. قال البيهقي: رَوْح بن مسافر ضعيف. وعند الحارث من طريق الواقدي

كما في «الكنز» (2/ 297)، قال: بعث النبي ﷺ إلى اللَّات والعزَّى بَعْثاً، فأغاروا على حيٍّ من العرب فَسَبَوْا مقاتلتهم وذريتهم، فقالوا: يا رسول الله أغاروا علينا بغير دُعَاء. فسأل النبي ﷺ أهل السَّرِيَّة فصدَّقوهم. قال النبي ﷺ: «ردّوهم إلى مأمنهم ثم ادعوهم».

* * *

إرساله ﷺ الأفراد للدعوة
إلى الله وإلى رسوله

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 107) عن عُروة بن الزبير رضي الله عنهما: أنَّ الأنصار لما سمعوا من رسول الله ﷺ قوله، وأيقنوا واطمأنّت أنفسهم إلى دعوته، فصدَّقوه وآمنوا به ـ كانوا من أسباب الخير، وواعدوه الموسم من العام القابل فرجعوا إلى قومهم ـ بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا رجلاً من قِبَلِك فيدعو الناس إلى كتاب الله فإنه أدنى أن يُتبع. فبعث إليهم رسول الله ﷺ مُصْعَب بن عُمير رضي الله عنه أخا بني عبد الدار، فنزل في بني غَنْم على أسعد بن زُرارة يحدِّثهم ويقصُّ عليهم القرآن. فلم يزل مصعب عند سعد بن معاذ يدعو ويهدي الله على يديه حتى قلّ دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناس ولا محالة، وأسلم أشرافهم، وأسلم عمرو بن الجَموح، وكُسرت أصنامهم، ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله ﷺ وكان يُدعى المُقرىء.

وأخرجه الطبراني عن عروة رضي الله عنه مطوّلاً، فذكر عرضه ﷺ الدعوة على الأنصار كما سيأتي في ابتداء أمر الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ وفيه: فرجعوا إلى قومهم فدعَوْهم سرّاً، وأخبروهم برسول الله ﷺ والذي بعثه الله به (ودعا عليه بالقرآن) حتى قلّ دار من دور الأنصار إلَّا أسلم فيها ناس لا محالة. ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا رجلاً من قِبَلك، فيدعو الناس بكتاب الله، فإنَّه أدنى أن يُتبع. فبعث إليهم

رسول الله ﷺ مُصْعب بن عمير أخا بني عبد الدار. فنزل في بني غَنْم على أسعد بن زرارة، فجعل يدعو الناس، ويفشو الإِسلام، ويكثر أهله، وهم في ذلك مُستَخْفُون بدعائهم. ثم ذكر دعوة مصعب لسعد بن معاذ وإسلامه وإسلام بني عبد الأشهل كما سيأتي في دعوة مصعب. ثم قال: ثم إنَّ بني النجار أخرجوا مصعب بن عمير واشتدوا على أسعد بن زرارة، فانتقل مصعب بن عمير إلى سعد بن معاذ، فلم يزل يدعو ويهدي (اللهُ) على يديه حتى قلّ دار من دور الأنصار إلّا أسلم فيها ناس لا محالة، وأسلم أشرافهم، وأسلم عمرو بن الجموح، وكُسرت أصنامهم. فكان المسلمون أعزَّ أهلها، وصلح أمرهم. ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله ﷺ وكان يُدعى المُقرىء. قال الهيثمي (6/ 42) وفيه: ابن لَهيعة وفيه ضعف، وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وهكذا أخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 108) بطوله، وقد أخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 107) عن الزُّهري بمعنى حديث عروة عنده مختصراً، وفي حديثه: أنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ مُعاذ بن عَفْراء ورافع بن مالك أنِ ابعث إلينا رجلاً من قِبَلكَ فليدْع الناس بكتاب الله، فإنه قَمِنٌ ـ أي حقيق ـ أن يُتبع. فبعث إليهم رسول الله ﷺ مصعب بن عُمَيْر رضي الله عنه ـ فذكر مثله.

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى قومي أدعوهم إلى الله عزّ وجلّ، وأعرض عليهم شرائع الإِسلام، فأتيتهم وقد سقَوا إبلهم وحلبوها وشربوا، فلما رأوني قالوا: مرحباً بالصُّدَيّ بن عَجْلان. قالوا: بلغنا أنك صبوت إلى هذا الرجل. قلت: لا، ولكن آمنت بالله ورسوله، وبعثني رسول الله ﷺ إليكم أعرض عليكم الإِسلام وشرائعه. فبينا نحن كذلك إذ جاؤوا

بقصعتهم فوضعوها واجتمعوا حولها فأكلوا بها. قالوا: هَلُم يا صُديّ، قلت: ويحكم!! إنما أتيتكم من عند من يُحرِّم هذا عليكم إلا ما ذكَّيتُم كما أنزل الله. قالوا: وما قال؟ قلت: نزلت هذه الآية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ [المائدة: 3]، فجعلت أدعوهم إلى الإسلام ويأبَون. قلت لهم: ويحكم، إيتوني بشَرْبة من ماء فإنّي شديد العطش، قال: وعليَّ عِمامةٌ. قالوا: لا. ولكن ندعك تموت عطشاً. قال: فاعتممت وضربت برأسي في العمامة ونمت في الرمضاء في حرٍّ شديد، فأتاني آتٍ في منامي بقدح زجاج لم يَرَ الناس أحسن منه، وفيه شراب لم يَرَ الناس آلف منه، فأمكنني منها فشربتها، فحيث فرغت من شرابي استيقظت، ولا والله ما عطشت ولا عرفت عطشاً بعد تيك الشربة. قال الهيثمي (9/ 387) وفيه: بشير بن شريح وهو ضعيف ـ ا هـ. وأخرجه ابن عساكر أيضاً بطوله مثله كما في «كنز العمال» (7/ 94). وأخرجه أبو يعلى مختصراً وزاد في آخره: ثم قال لهم رجل منهم: أتاكم رجل من سَرَاة قومكم فلم تتحفوه؟ فأتوني بلبن. فقلت: لا حاجة لي به، وأريتهم بطني، فأسلموا عن آخرهم. ورواه البيهقي في «الدلائل» وزاد فيه: أنه أرسله إلى قومه باهلة، كذا في «الإصابة» (2/ 182). وأخرجه الطبراني بإسنادين؛ وإسناد الأولى حسن، فيها: أبو غالب وقد وُثّق ـ انتهى. وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (3/ 641)، وقال الذهبي وصدّقه: ضعَّفه ابن مَعِين.

وأخرج ابن أبي عاصم عن الأحنف بن قيس رضي الله عنه قال: بينما أنا أطوف بالبيت في زمن عثمان رضي الله عنه إذ أخذ رجل من بني ليث بيدي، فقال: ألَا أُبشِّرك؟ قلت: بلى. قال: أتذكر إذ بعثني رسول الله ﷺ إلى قومك فجعلت أعرض عليهم الإسلام وأدعوهم إليه

فقلتَ أنت: إنك لتدعونا إلى خير وتأمر به، وإنه ليدعو إلى الخير؟ فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «اللهم اغفر للأحنف». فكان الأحنف يقول: فما شيء من عملي أرْجَى عندي من ذلك - يعني دعوة النبي - ﷺ - تفرَّد به علي بن زيد وفيه ضعف، كذا في «الإِصابة» (1/ 100). وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (3/ 614) بنحوه.

وأخرجه أيضاً أحمد والطبراني وفي حديثهما: إذ بعثني رسول الله ﷺ إلى قومك من بني سعد أدعوهم إلى الإسلام فقلتَ: والله، ما قال إلَّا خيراً .- أو لا أسمع إلَّا حسناً - فإني رجعت وأخبرت النبي ﷺ مقالتك، فقال: «اللَّهم اغفر للأحنف. قال: فما أنا لشيء أرْجَى مني لها. قال الهيثمي (10/ 2): رجال أحمد رجال الصحيح غير علي بن زيد وهو حسن الحديث.

وأخرج أبو يَعْلَى عن أنس رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله تبارك وتعالى، فقال: إيش ربُّك الذي تدعوني؟ من حديد هو؟ من نحاس هو؟ من فضّة هو؟ من ذهب هو؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فأعاده النبي ﷺ الثانية، فقال مثل ذلك، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأرسله إليه الثالثة، فقال مثل ذلك. فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى قد أنزل على صاحبك صاعقة فأحرقته» فنزلت هذه الآية: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد: 13]. قال الهيثمي (7/ 42): رواه أبو يعلى والبزَّار بنحوه إلَّا أنه قال: إلى رجل من فراعنة العرب، وقال الصحابي فيه: يا رسول الله، إنَّه أعتى من ذلك. وقال: فرجع إليه الثالثة. قال: فأعاد عليه ذلك الكلام. فبينا هو يكلمه إذ بعث الله سحابةً حِيَالَ رأسه،

فرعدت، فوقعت منها صاعقة فذهبت بِقِحف رأسه. وبنحو هذا رواه الطبراني في «الأوسط»، وقال: فرعدت وأبرقت. ورجال البزَّار رجال الصحيح، غير ديلم بن غزوان وهو ثقة. وفي رجال أبي يَعْلَى والطبراني: علي بن أبي سارة، وهو ضعيف ـ انتهى.

وقد تقدّم حديث خالد بن سعيد رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقال: من لقيت من العرب فسمعت فيهم الأذان فلا تعرِض لهم، ومن لم تسمع فيهم الأذان فادعهُم إلى الإسلام ـ. في الدعوة إلى الله تعالى في القتال، وسيأتي بَعْثُه ﷺ عمرو بن مرّة الجُهَني إلى قومه.

* * *

إرساله ﷺ السرايا للدعوة إلى الله تعالى

أخرج الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: دعا النبي ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فقال: «تجهَّز فإنِّي باعثك في سريّة» ـ فذكر الحديث، وفيه: فخرج عبد الرحمن حتى لحق بأصحابه فسار حتى قدم دُومة الجندل. فلما دخلها دعاهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، فلما كان اليوم الثالث أسلم الأصْبَغ بن عمرو الكلبي رضي الله عنه وكان نصرانياً وكان رأسَهم. فكتب عبد الرحمن ـ مع رجل من جهينة، يقال له: رافع بن مَكِيث ـ إلى النبي ﷺ يخبره، فكتب إليه النبي ﷺ أن تزوَّج ابنة الأصبغ، فتزوَّجها؛ وهي تُماضِر التي ولدت له بعد ذلك أبا سَلمَة بن عبد الرحمن. كذا في «الإصابة» (1/ 108).

وأخرج ابن إسحاق عن محمد بن عبد الرحمن التميمي رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الإسلام، وذلك أن أم العاص بن وائل كانت من بني بَلِيٍّ، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم يتألّفهم بذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام يقال له السلاسل ـ وبه سُمِّيت تلك الغزوة ذات السلاسل ـ قال: فلمَّا كان عليه وخاف؛ بعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما ـ فذكر الحديث كما سيأتي في باب الإمارة. كذا في «البداية» (4/ 273).

وأخرج البيهقي عن البَرَاء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث

خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالدِ بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، ثم إن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب وأمره أن يقفل خالداً إلَّا رجلاً كان ممَّن مع خالد فأحب أن يُعْقِب مع علي فليُعقبْ معه. قال البراء: فكنت فيمن عَقّب مع علي. فلما دَنوْنا من القوم خرجوا إلينا، ثم تقدَّم فصلَّى بنا علي، ثم صفَّنا صفاً واحداً، ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همْدان جميعاً، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم. فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرّ ساجداً، ثم رفع رأسه فقال: «السلام على هَمْدان. السلام على هَمْدان». ورواه البخاري [برقم 4349] مختصراً. كذا في «البداية» (5/ 105).

وذكر ابن إسحاق: أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوَهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبل منهم وإن لم يفعلوا فقاتلهم. فخرج خالدٌ حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام ويقولون: «أيها الناس، أسلموا تسلموا» فأسلم الناس؛ ودخلوا فيما دُعُوا إليه. فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتابَ الله وسنّة نبيه ﷺ كما أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا ولم يقاتلوا. ثم كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ.

«بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد النبي رسول الله من خالد بن الوليد: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: يا رسول الله ـ صلى الله عليك ـ فإنك بعثتني إلى بني

الحارث بن كعب وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أُقاتلهم ثلاثة أيام وأن أدعوَهم إلى الإسلام، فإن أسلموا قبلتُ منهم، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنّة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم. وإني قدمتُ عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ﷺ، وبعثت فيهم ركباناً: يا بني الحارث، أسلموا تسلموا. فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهرهم آمرهم بما أمرهم الله به، وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأعلمهم معالم الإسلام وسنّة النبي ﷺ حتى يكتب إليّ رسول الله ﷺ. والسلام عليك ـ يا رسول الله ـ ورحمة الله وبركاته».

فكتب إليه رسول الله ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فإن كتابك جاءني مع رسولك يخبر أنَّ بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن قد هداهم الله بهداه، فبشّرهم وأنذرهم وأَقْبِلْ، وليُقْبِلْ معك وفدهم. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ورآهم قال: «من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند؟» قيل: يا رسول الله، هؤلاء بنو الحارث بن كعب. فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلّموا عليه. وقالوا: نشهد أنّك رسول الله وأنه لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «وأنا أشهد أن لا إله

إلا الله وأنّي رسول الله». ثم قال: «أنتم الذين إذا زُجروا استقدَموا». فسكتوا فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الثانية ثم الثالثة، فلم يراجعه منهم أحد، ثم أعادها الرابعة. قال يزيد بن عبد المَدَان: نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا زُجِروا استَقْدَموا - قالها أربع مرات - فقال رسول الله ﷺ: «لو أنَّ خالداً لم يكتب إليّ أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم». فقال يزيد بن عبد المَدَان: أما - والله - ما حمِدناك ولا حمِدنا خالداً. قال: «فمن حمِدتم؟» قالوا: حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «صدقتم». ثم قال: «بِمَ كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟» قالوا: لم نك نغلب أحداً. قال: «بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم». قالوا: كنا نغلب من قاتلنا - يا رسول الله - أنَّا كنَّا نجتمع ولا نتفرَّق، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: «صدقتم». ثم أمَّرَ عليهم قيس بن الحصين. كذا في «البداية» (5/ 98). وقد أسندها الواقدي من طريق عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث كما في «الإصابة» (3/ 660).

* * *

الدعوة إلى الفرائض

أخرج البيهقي عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: بعث إليّ رسول الله ﷺ فقال: «يا جرير، لأيِّ شيء جئت؟» قلت: أُسْلِمُ على يديك يا رسول الله. قال: فألقى عليَّ كساءً ثم أقبل على أصحابه فقال: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه». ثم قال: «يا جرير، أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله، وأن تؤمن بالله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وتصلِّي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة»، ففعلت ذلك. فكان بعد ذلك لا يراني إلا تبسَّم في وجهي. كذا في «البداية» (5/ 78). وأخرجه أيضاً الطبراني وأبو نُعيم عن جرير بنحوه كما في «كنز العمال» (7/ 19).

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه - حين بعثه إلى اليمن - «إنَّك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنَّ الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتَّق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب». وقد أخرجه بقية الجماعة. كذا في «البداية» (5/ 100).

وأخرج أبو نعيم عن حَوْشب ذي ظُلَيْم قال: لما أن أظهر الله محمداً ﷺ انتدَبتُ إليه من الناس في أربعين فارساً مع عبد شر. فقدموا عليه المدينة بكتابي فقال (عبد شر): أيُّكم محمد؟ قالوا: هذا. قال: ما الذي جئتنا به؟ فإن يك حقاً اتَّبعناك. قال: «تقيموا الصلاة، وتعطوا الزكاة، وتحقنوا الدماء، وتأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر». فقال عبد شر: إنَّ هذا لحسن؛ مدّ يدك أبايعك. فقال النبي ﷺ: «ما اسمك؟» قال: عبد شر، قال: «لا، بل أنت عبد خير». وكتب معه الجواب على حَوْشَب ذي ظُلَيم فآمن كذا في «كنز العمال» (5/ 325). وأخرجه أيضاً ابن منده وابن عساكر كما في «الكنز» أيضاً (1/ 84). وأخرجه أيضاً ابن السَّكَن بنحوه كما في «الإصابة» (1/ 382).

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ، فقال: مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى. فقالوا: يا رسول الله، إنّ بيننا وبينك المشركين من مُضَر، وإنَّا لا نصل إليك إلّا في الشهر الحرام، فحدِّثنا بجميل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة وندعو (إليه) مَنْ وراءنا. قال: «آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من الغنائم الخُمس. وأنهاكم عن أربع: ما يُنتبذ في الدُّبَّاء، والنَّقير، والحنتَم، والمزفّت. وعند الطيالسي بنحوه بزيادات منها في آخره: فاحفظوهنَّ وادعوا إليهنَّ مَنْ وراءكم. كذا في «البداية» (5/ 46).

وأخرج الحاكم عن علقمة بن الحارث رضي الله عنه يقول: قدمت على رسول الله ﷺ ـ وأنا سابع سبعة من قومي ـ فسلَّمنا على رسول الله ﷺ، فردَّ علينا؛ فكلَّمناه فأعجبه كلامنا. وقال: «ما أنتم؟»

قلنا: مؤمنون. قال «لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانكم؟» قلنا: خمس عشرة خصلة: خمس أمرتَنا بها، وخمس أمرَتْنا بها رسلك، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية ونحن عليها إلى الآن إلا أن تنهانا يا رسول الله. قال: «وما الخمس التي أمرتكم بها؟» قلنا: أمرتَنا أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره. قال: «وما الخمس التي أمرتكم بها رسلي؟» قلنا: أمرتنا رسلك أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، ونقيم الصلاة المكتوبة، ونؤدي الزكاة المفروضة، ونصوم شهر رمضان، ونحجّ البيت إن استطعنا إليه السبيل. قال: «وما الخصال التي تخلَّقتم بها في الجاهلية؟» قلنا: الشكر عند الرَّخاء، والصبر عند البلاء، والصدق في مواطن اللقاء، والرضا بمرّ القضاء، وترك الشماتة بالمصيبة إذا حلَّت بالأعداء. فقال رسول الله ﷺ: «فقهاء أُدباء، كادوا أن يكونوا أنبياء من خصال ما أشرفها!» وتبسَّم إلينا. ثم قال: «أنا أوصيكم بخمس خصال ليكمل الله لكم خصال الخير: لا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافَسُوا فيما غداً عنه تزولون، واتقوا الله الذي إليه تحشرون وعليه تقدَمون، وارغبوا فيما إليه تصيرون وفيه تخلدون». كذا في «الكنز» (1/ 69).

وأخرجه أيضاً أبو سعيد النَّيسابوري في «شرف المصطفى» عن علقمة بن الحارث رضي الله عنه. وأخرجه العسكري والرشاطي وابن عساكر عن سويد بن الحارث ـ فذكر الحديث بطوله؛ وهذا أشهر كما في «الإصابة» (2/ 98).

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (9/ 279) عن سويد بن الحارث رضي الله عنه قال: وفدتُ على رسول الله ﷺ سابع سبعة من قومي، فلما دخلنا عليه وكلمناه فأعجبه ما رأى من سمْتِنا وزيِّنا. فقال: «ما

أنتم؟» قلنا: مؤمنون. فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال: «إنَّ لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟» قال سويد: فقلنا خمس عشرة خصلة: خمس منها أمَرْتَنَا أن نؤمن بها، وخمس منها أمَرَتْنا رسلك أن نعمل بها، وخمس منها تخلَّقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلَّا أن تكره منها شيئاً ـ فذكره بمعناه إلَّا أنه ذكر: والبعث بعد الموت ـ بدل: القدر خيره وشره. وذكر: الصبر عند شماتة الأعداء ـ بدل: وترك الشماتة.

وقد تقدم حديث رجل من بَلْعَدَوِيَّة عن جده ـ فذكر الحديث، وفيه: قال: ما تدعو إليه؟ قال: «أدعو عباد الله إلى الله». قال: قلت: ما تقول؟ قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأنِّي محمد رسول الله، وتؤمن بما أنزله عليّ، وتكفر باللَّات والعزَّى، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة» . . ـ في دعوته ﷺ لرجل لم يُسَمَّ.

* * *

إرساله ﷺ الكتب مع أصحابه إلى ملوك الآفاق وغيرهم يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ وإلى الدخول في الإِسلام

أخرج الطبراني عن المِسْوَر بن مَخْرمة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقال: «إنَّ الله بعثني رحمة للناس كافة، فأدُّوا عني - رحمكم الله - ولا تختلفوا كما اختلف الحواريّون على عيسى عليه السلام، فإنه دعاهم إلى مثل ما أدعوكم إليه. فأما من بَعُدَ مكانه فكرهه، فشكا عيسى ابن مريم ذلك إلى الله عزَّ وجلَّ، فأصبحوا وكلُّ رجل منهم يتكلم بكلام القوم الذين وُجِّه إليهم. فقال لهم عيسى: هذا أمر قد عزم الله لكم عليه فافعلوا». فقال أصحاب رسول الله ﷺ: نحن - يا رسول الله - نؤدي إليك فابعثنا حيث شئت. فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حُذَافة رضي الله عنه إلى كسرى، وبعث سَلِيط بن عمرو رضي الله عنه إلى هَوْذَة بن علي صاحب اليمامة، وبعث العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه إلى المنذر بن ساوَى صاحب هَجَر، وبعث عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى جَيْفَر وعبَّاد ابني الجُلَنْدَى مَلِكَي عُمَان، وبعث دِحْيَة الكلبي رضي الله عنه إلى قيصر، وبعث شُجاع بن وَهْب الأسديّ رضي الله عنه إلى المُنذر بن الحارث بن أبي شِمْر الغسَّاني، وبعث عمرو بن أُمية الضَّمْري رضي الله عنه إلى النجاشي. فرجعوا جميعاً قبل وفاة رسول الله ﷺ غير العلاء بن الحضرمي، فإنّ

رسول الله ﷺ توفي وهو بالبحرين. قال الهيثمي وفيه: محمد بن إسماعيل بن عيّاش وهو ضعيف. كذا في «المجمع» (5/ 306).

قال الحافظ في «الفتح» (8/ 89) ـ وزاد أصحاب السِّيَر: أنه بعث المهاجر بن أبي أُمية إلى الحارث بن عبد كُلال، وجريراً رضي الله عنه إلى ذي الكَلاع، والسائب رضي الله عنه إلى مُسَيْلِمة، وحاطب بن أبي بَلْتعة رضي الله عنه إلى المُقَوقس ـ ا هـ.

وأخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كتب قبل موته إلى كسرى، وقيصر، وإلى النَّجاشي، وإلى كلِّ جبَّار عنيد يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ، وليس بالنجاشي الذي صلَّى عليه. كذا في «البداية» (4/ 262).

وأخرجه أحمد، والطبراني عن جابر رضي الله عنه قال: كتب رسول الله ﷺ قبل أن يموت إلى كسرى وقيصر وإلى كلِّ جبار. قال الهيثمي (5/ 305) وفيه: ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح.

* * *

كتابه ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة

أخرج البيهقي عن ابن إسحاق قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضَّمْري رضي الله عنه إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم، وكتب معه كتاباً.

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة: سلام عليك، فإني أحمد

إليك الله الملك القدّوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيِّبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونَفْخَتِه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني، فإنِّي رسول الله. وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرَّهم ودَعِ التجبُّر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله عزّ وجلّ؛ وقد بلَّغتُ ونَصحتُ فاقبلوا نصيحتي. والسلام على من اتبع الهدى».

فكتب النجاشي إلى رسول الله ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحَم بن أبجر: سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته، لا إله إلّا هو الذي هداني إلى الإسلام. فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فوربِّ السماء والأرض إنَّ عيسى ما يزيد على ما ذكرت. وقد عرفنا ما بَعثت به إلينا؛ وقَرَيْنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً ومصدِّقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين. وقد بعثت إليك - يا نبي الله - بأريحا بن الأصحم بن أبجر، فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق». كذا في البداية (3/ 83).

* * *

كتابه ﷺ إلى قيصر ملك الروم

أخرج البزّار عن دِحْيَة الكلبي رضي الله عنه أنه قال: بعثني رسول الله ﷺ بكتاب إلى قيصر، فقدمت عليه فأعطيته الكتاب وعنده ابن أخ له أحمر أزرق سبط الرأس. فلما قرأ الكتاب كان فيه:

من محمد رسول الله إلى هرقل صاحب الروم

قال: فنخر ابن أخيه نخرة وقال: لا يُقرأ هذا اليوم. فقال له قيصر: لِمَ؟ قال: إنّه بدأ بنفسه وكتب «صاحب الروم» ولم يكتب «ملك الروم». فقال قيصر: لتقرأنَّه. فلما قرأ الكتاب وخرجوا من عنده أدخلني عليه وأرسل إلى الأسقُف - وهو صاحب أمرهم - فأخبروه وأخبره وأقرأه الكتاب. فقال له الأسقف: هذا الذي كنا ننتظر وبشَّرنا به عيسى عليه السلام. قال له قيصر: كيف تأمرني؟ قال له الأسقف: أمَّا أنا فمصدِّقُه ومتّبعُه. فقال له قيصر: أمّا أنا إن فعلت ذلك ذهب ملكي. ثم خرجنا من عنده، فأرسل قيصر إلى أبي سفيان وهو يومئذٍ عنده قال: حدثني عن هذا الذي خرج بأرضكم ما هو؟ قال: شاب. قال: فكيف حَسَبُه فيكم؟ قال: هو في حسب منا لا يفضل عليه أحد. قال: هذه آية النبوة. قال: كيف صدقه؟ قال: ما كذب قط. قال: هذه آية النبوة. قال: أرأيت من خرج من أصحابكم إليه هل يرجع إليكم؟ قال: لا. قال: هذه آية النبوة. قال: هل ينكث أحياناً إذا قاتل هو في أصحابه؟ قال: قد قاتله قوم فهزمهم وهزموه. قال: هذه آية النبوة. قال: ثم دعاني فقال: أبلغ صاحبك أني أعلم أنه نبي ولكن لا أترك ملكي.

قال: وأما الأسقُف فإنّه كانوا يجتمعون إليه في كل أحد، يخرج إليهم ويحدِّثهم ويذكِّرهم، فلما كان يوم الأحد لم يخرج إليهم وقعد إلى يوم الأحد الآخر، فكنت أدخل إليه فيكلمني ويسألني. فلما جاء الأحد

الآخر انتظروه ليخرج إليهم، فلم يخرج إليهم واعتلّ عليهم بالمرض وفعل ذلك مراراً. وبعثوا إليه لتخرجنَّ إلينا أو لندخلنَّ عليك فنقتلك، فإنا قد أنكرناك منذ قدم هذا العربي. فقال الأسقف: خذ هذا الكتاب واذهب إلى صاحبك فاقرأ عليه السلام، وأخبره أنّي أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأني قد آمنت به، وصدَّقته، واتبعته، وأنهم قد أنكروا عليّ ذلك، فبلِّغه ما ترى. ثم خرج إليهم فقتلوه ـ فذكر الحديث. قال الهيثمي (8/ 236 ـ 237) وفيه إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى وهو ضعيف. انتهى.

وأخرجه أيضاً الطبراني من حديث دِحْية رضي الله عنه مختصراً، وفيه: يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني وهو ضعيف كما قال الهيثمي (5/ 306): وهكذا أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 121) بمعناه مختصراً. وأخرجه أيضاً عبدان بن محمد المَرْوَزي عن عبد الله بن شدّاد نحوه وأتم منه. **وأخرج عبدان عن ابن إسحاق** عن بعض أهل العلم أن هرقل قال لدحية رضي الله عنه: ويحك! إنّي ـ والله ـ لأعلم أن صاحبك نبيٌّ مرسل وأنه للذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتَّبعته؛ فاذهب إلى ضغاطر الأسقُف فاذكر له أمر صاحبكم فهو أعظم في الروم مني وأجوز قولاً. فجاءه دِحْية فأخبره. فقال له: صاحبك ـ والله ـ نبي مرسل، نعرفه بصفته واسمه. ثم دخل فألقى ثيابه ولبس ثياباً بيضاً، وخرج على الروم فشهد شهادة الحق فوثبوا عليه فقتلوه. وهكذا ذكره يحيى بن سعيد الأموي في المغازي والطبري عن ابن إسحاق؛ كذا في «الإصابة» (2/ 216).

وأخرج عبد الله بن أحمد وأبو يَعْلَى عن سعيد بن أبي راشد قال: رأيت التنوخي ـ رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ ـ بحمص وكان جاراً لي

شيخاً كبيراً قد بلغ الفناء ـ أو قَرُب ـ فقلت: ألا تخبرني عن رسالة هرقل إلى رسول الله ﷺ ورسالة رسول الله ﷺ إلى هرقل؟ قال: بلى. وقدم رسول الله ﷺ تبوك وبعث دِحْية الكِلبي إلى هرقل، فلمّا أن جاء كتاب رسول الله ﷺ دعا قسيسي الروم وبطارقتها ثم غلّق عليه وعليهم الدار. قال: نزل هذا الرجل حيث رأيتم وقد أرسل إليّ يدعوني إلى ثلاث خصال: يدعوني أن أتبعه على دينه، أو أن نعطيه مالنا على أرضنا والأرض أرضنا، أو نلقي إليه الحرب. والله لقد عرفتم فيما تقرؤون من الكتب لتؤخذنَّ ما تحت قدميّ؛ فهلمَّ نتبعه على دينه أو نعطيه مالنا على أرضنا. فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم وقالوا: تدعونا إلى أن نذر النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز؟ فلمّا ظنَّ أنَّهم إن خرجوا أفسدوا عليه رفاقهم وملكه، قال: إنما قلت ذلك لكم لأعلم صلابتكم على أمركم.

ثم دعا رجلاً من عرب «تُجيب» كان على نصارى العرب قال: ادْعُ لي رجلاً حافظاً للحديث عربي اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه. فجاءني فدفع إليّ هرقل كتاباً بِاني، فقال: اذهب بكتابي إلى هذا الرجل، فما ضَغِيتَ من حديثه فاحفظ منه ثلاث خصال: انظر هل يذكر صحيفته التي كتب إليّ بشيء؟ وانظر إذا قرأ كتابي هل يذكر الليل؟ وانظر في ظهره هل به من شيء يريبك؟ فانطلقتُ بكتابه حتى جئت تبوك فإذا هو جالس بين أصحابه على الماء، فقلت: أين صاحبكم؟ قيل: ها هوذا. فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه. فناولته كتابي فوضعه في حِجْره ثم قال: «ممَّن أنت؟» قلت: أنا أحد تنوخ. فقال: «هل لك في الحنيفية ملّة أبيكم إبراهيم؟» قلت: إني رسول قوم وعلى دين قوم، لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم. قال: «إنَّك لا تهدي من أحببت ولكنَّ الله

يهدي من يشاء، وهو أعلم بالمهتدين. يا أخا تنوخ إني كتبت بكتابي إلى النجاشي فخرقها، والله مُخرِّقهُ ومُخَرِّقُ ملكه. وكتبتُ إلى صاحبكم بصحيفة فأمسكها فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خير». قلت: هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها، وأخذت سهماً من جعبتي فكتبتها في جلد سيفي. ثم إنَّه ناول الصحيفة رجلاً عن يساره فقلت: من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم؟ قالوا: معاوية. فإذا في كتاب صاحبي: يدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض أُعدّت للمتقين. فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله!! فأين الليل إذا جاء النهار؟» فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جلد سيفي. فلما فرغ من قراءة كتابي قال: «إنَّ لك حقاً وإنك لرسول، فلو وجدت عندنا جائزة جوّزناك بها، إنا سَفْر مُرْمِلون». قال: فناداه رجل من طائفة الناس أنا أجوزه، ففتح رَحْله، فإذا هو يأتي بحلّة صَفوريَّة فوضعها في حِجْري، فقلت: مَن صاحبِ الحلّة؟ قيل: عثمان. ثم قال رسول الله ﷺ: «من ينزل هذا الرجل؟» فقال فتى من الأنصار: أنا. فقام الأنصاري وقمت معه. فلما خرجت من طائفة المجلس ناداني رسول الله ﷺ فقال: «يا أخا تنوخ»، فأقبلت أهوي حتى كنت قائماً في مجلسي الذي كنت فيه بين يديه، فحلَّ حبوته عن ظهره فقال: «ها هنا امضِ لما أُمرتَ به»، فجُلْتُ في ظهره، فإذ أنا بخاتم في موضع غضروف الكتف مثل الحَجْمَةِ، قال الهيثمي (8/ 235 ـ 236): رجال أبي يعلى ثقات، ورجال عبد الله بن أحمد كذلك. انتهى. وأخرجه أيضاً الإمام أحمد كما في «البداية» (5/ 15)، وقال: هذا حديث غريب وإسناده لا بأس به، تفرّد به الإمام أحمد. انتهى. وأخرجه أيضاً يعقوب بن سفيان، كما في «البداية» أيضاً (6/ 27).

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان أخبره: أنَّ هرقل أرسل إليه في ركب من قريش ـ وكانوا تجّاراً بالشام ـ في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتَوه وهم بإيلياء. فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا بالترجمان فقال: أيُّكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال: أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً، قال: أدنُوه مني وقرّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذِّبوه، فوالله لولا أن يؤثروا عني كذباً لكذبتُ عنه.

ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من مَلِكٍ؟ قلت: لا. قال: فأشراف الناس اتَّبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سَخْطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها ـ قال: ولم يُمكنِّي كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة ـ قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سِجَال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصِّلَة.

فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه فزعمتَ أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول قبله، فذكرت أن لا، فقلتُ: لو كان أحد قال هذا

القول قبله لقلتُ رجل يتأسَّى بقول قيل قبله. وسألتك: هل كان من آبائه من مَلِك، فذكرت أن لا، فلو كان من آبائه من مَلِك، قلتُ: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك: هل كنتم تتَّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذَر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أنَّ ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل. وسألتك: أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنَّهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتمّ. وسألتك: أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشتُه القلوبَ. وسألتك: هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: بِمَ يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقّاً فسيملك موضع قدميَّ هاتين. وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أعلم أني أخلص إليه لتجشَّمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به مع دِحْية رضي الله عنه إلى عظيم بصرى. فدفعه إلى هرقل فإذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلامٌ على من اتَّبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتكَ الله أجرك مرتين. فإن توليت فإنّ عليك إثم الأريسيِّين. و ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64]».

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصَّخَب، وارتفعت الأصوات وأُخرجنا. فقلت لأصحابي ـ حين خرجنا ـ: لقد أَمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة، إنه يخافه مَلِكُ بني الأصفر!!. فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام.

قال: وكان ابن الناطور صاحبَ إيلياء وهرقل أُسْقُفاً على نصارى الشام يحدِّث أنّ هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك. قال ابن الناطور: وكان هرقل حزّاء ينظر في النجوم. فقال لهم حين سألوه: إني رأيت حين نظرت في النجوم مَلِكَ الخِتان قد ظهر فمن يختتن من هذه الأمم؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود ولا يهمنَّك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود. فبينما هم على أمرهم أُتِيَ هرقل برجل أرسل به ملك غسّان فخبَّرهم عن خبر رسول الله ﷺ. فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدَّثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب فقال: هم يختتنون. فقال هرقل: هذا مَلِك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب إلى صاحب له برومية ـ وكان نظيره في العلم ـ وسار هرقل إلى حمص فلم يَرِم بحمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وهو نبي. فأذن هرقل لعظماء الروم في دَسْكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلِّقت، ثم اطَّلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبَّت لكم ملككم، فتتابعوا لهذا النبي؟ فحاصوا حَيْصة حُمُرِ الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غُلِّقت. فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردُّوهم عليَّ. وقال: إنِّي إنَّما قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدَّتكم على دينكم؛ فقد رأيت، فسجدوا له ورَضُوا عنه. فكان ذلك آخر شأن هرقل. وقد رواه البخاري في مواضع كثيرة في

صحيحه بألفاظ يطول استقصاؤها؛ وأخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس رضي الله عنهما. كذا في «البداية» (4/ 266). وأخرجه أيضاً ابن إسحاق عن الزُّهري بطوله كما ذكر في البداية (4/ 262). وأخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص 119) من طريق الزُّهْري بنحوه مطولاً، والبيهقي (9/ 178) بهذا الإسناد بنحوه مطوّلاً.

* * *

كتابه ﷺ إلى كسرى ملك فارس

أخرج البخاري من حديث اللَّيث عن يونس عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه مع رجل إلى كسرى وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه كسرى مزّقه، قال: فحسبت أنَّ ابن المسيَّب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمزَّقوا كلَّ مُمزَّق.

وقال عبد الله بن وَهْب عن يونس عن الزُّهْري: حدثني عبد الرحمن بن عبد القاريء رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قام ذات يوم على المنبر خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وتشهد، ثم قال: «أما بعد: فإنِّي أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم فلا تختلفوا عليَّ كما اختلفت بنو إسرائيل على عيسى ابن مريم». فقال المهاجرون: يا رسول الله، إنّا لا نختلف عليك في شيء أبداً، فمُرنا وابعثنا. فبعث شجاع بن وَهْب إلى كسرى. فأمر كسرى بإيوانه أن يُزيَّن، ثم أذن لعظماء فارس، ثم أذن لشجاع بن وَهْب. فلما أن دخل عليه أمر كسرى بكتاب

رسول الله ﷺ أن يُقبض منه. فقال شجاع بن وهب: لا، حتى أدفعه أنا إليك كما أمر رسول الله ﷺ. فقال كسرى: ادْنه: فدنا فناوله الكتاب، ثم دعا كاتباً له من أهل الحيرة فقرأه فإذا فيه:

من محمد بن عبد الله ورسوله إلى كسرى عظيم فارس

قال: فأغضبه حين بدأ رسول الله ﷺ بنفسه وصاح وغضب ومزّق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه، وأمر بشجاع بن وَهْب فأُخرج. فلمّا رأى ذلك قعد على راحلته ثم سار ثم قال: والله، ما أبالي على أي الطريقين أكون إذْ أدّيت كتاب رسول الله ﷺ. قال: ولما ذهب عن كسرى سَوْرَة غضبه بعث إلى شجاع ليدخل عليه، فالتُمس فلم يوجد، فطُلب إلى الحيرة فَسَبَق. فلما قدم شجاع على النبي ﷺ أخبره بما كان من أمر كسرى وتمزيقه لكتاب رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «مزّق كسرى ملكه». كذا في «البداية» (4/ 269).

وأخرج أبو سعيد النّيْسابوري في كتاب «شَرَف المصطفى» من طريق ابن إسحاق عن الزهري عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن رضي الله عنه قال: لـمّا قُدِّم كتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقرأه ومزَّقه كتب إلى باذان - وهو عامله باليمن - أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلَين جَلْدين من عندك فلْيأتياني به. فبعث باذان قهرمانه - وهو أبانوه وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس - وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له: «جد جميرة» وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن يتوجَّه معهما إلى كسرى، وقال لقهرمانه: انظر إلى الرجل وما هو وكلِّمه وائتني بخبره. فخرجا حتى قدما الطائف، فوجدا رجالاً من قريش تجّاراً فسألاهم عنه. فقالوا: هو بيثرب واستبشروا. فقالوا: قد نَصب له كسرى. كُفيتم الرجل!! فخرجا حتى قدما المدينة، فكلّمه أبانوه، فقال: إنَّ كسرى كتب

إلى باذان أن يبعث إليك من يأتيه بك، وقد بعثني لتنطلق معي. فقال: «ارجعا حتى تأتياني غداً»، فلما غدَوا عليه أخبرهما رسول الله ﷺ بأن الله قتل كسرى وسلَّط عليه ابنه «شيرَوَيْه» في ليلة كذا من شهر كذا. فقالا: أتدري ما تقول؟ أنكتب بهذا إلى باذان؟ قال: «نعم»، وقولا له: إن أسلمتَ أعطيتُك ما تحت يديك» ثم أعطى «جد جميرة» مِنْطَقة كانت أُهديت له فيها ذهب وفضة. فقدما على باذان فأخبراه. فقال: ما هذا بكلام ملك ولننظرن ما قال. فلم يلبث أن قدم عليه كتاب (شيرَوَيْه): أما بعد: فإنِّي قتلت كسرى غضباً لفارس لما كان يستحلُّ من قتل أشرافها؛ فخُذْ لي الطاعة ممن قِبَلك ولا تُهَجِّنِ الرجل الذي كتب لك كسرى بسببه بشيء، فلما قرأه قال: إن هذا الرجل لنبي مرسل، فأسلم وأسلمت الأبناء من آل فارس من كان منهم باليمن جميعاً. وهكذا حكاه أبو نعيم الأصبهاني في «الدلائل» عن ابن إسحاق بلا إسناد، لكن سماه خرخسرة ووافق على تسمية رفيقه أبانوه. كذا في «الإِصابة» (1/ 259).

وأخرجه أيضاً ابن أبي الدنيا في «دلائل النبوة» عن ابن إسحاق قال: بعث النبي ﷺ عبد الله بن حُذافة رضي الله عنه إلى كسرى بكتابه يدعوه إلى الإِسلام. فلما قرأه شقَّق كتابه ثم كتب إلى عامله على اليمن باذان ـ فذكر بمعناه ـ وفيه: ثم قدما المدينة فكلَّمه بابويه: إن شاهنشاه كسرى كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليه من يأتيه بك. فإن أجبتَ كتبتُ معك ما ينفعك عنده، وإن أبيتَ فإنه مهلكك ومهلك قومك ومخرِّب بلادك. فقال لهما: ارجعا حتى تأتياني غداً ـ فذكر نحوه. وأخرج ابن أبي الدنيا عن سعيد المقبري مختصراً جداً. كذا في «الإِصابة» (1/ 169).

وأخرجه ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن زيد بن أبي حبيب

قال: وبعث عبد الله بن حذافة رضي الله عنه إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه.

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله؛ وأدعوك بدعاء الله، فإنِّي أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. فإن تُسْلِم تَسلَم، وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك».

قال: فلما قرأه شقَّه وقال: يكتب إليّ بهذا وهو عبدي. قال: ثم كتب كسرى إلى باذان ـ فذكر ما تقدَّم عن ابن إسحاق، وفيه: ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما وقال: «ويلكما من أمركما بهذا؟» قالا: أمرنا ربنا ـ يعنيان كسرى ـ فقال رسول الله ﷺ: «ولكنَّ ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي» كذا في «البداية» (4/ 269).

وأخرج الطبراني عن أبي بَكْرة رضي الله عنه قال: لما بُعث رسول الله ﷺ بعث كسرى إلى عامله على أرض اليمن ومن يليه من العرب ـ وكان يقال له باذان ـ إنه بلغني أنه خرج رجل قِبلك يزعم أنه نبي فقل له: فلْيكفَّ عن ذلك أو لأبعثنَّ إليه من يقتله أو يقتل قومه. قال: فجاء رسول باذان إلى النبي ﷺ فقال له هذا. فقال رسول الله ﷺ: «لو كان شيء فعلتهُ من قبلي كففتُ ولكن الله عزّ وجلّ بعثني». فأقام الرسول عنده، فقال له رسول الله ﷺ: إن ربي قتل كسرى ولا كسرى بعد اليوم؛ وقتل قيصر ولا قيصر بعد اليوم. قال: فكتب قوله في الساعة

التي حدَّثه واليوم الذي حدَّثه والشهر الذي حدَّثه فيه. ثم رجع إلى باذان فإذا كسرى قد مات، وإذا قيصر قد قتل. وقال الهيثمي (8/ 287): ورجاله رجال الصحيح غير كثير بن زياد وهو ثقة؛ وعند أحمد طَرَفٌ منه، وكذلك البزار. انتهى.

وأخرج البزّار عن دِحْية الكلبي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ بكتاب إلى قيصر ـ فذكر الحديث كما تقدّم في كتابه ﷺ إلى قيصر؛ وفي آخره: ثم خرج دِحْية إلى النبي ﷺ وعنده رُسُلُ عمالِ كسرى على صنعاء، بعثهم إليه وكتب إلى صاحب صنعاء يتوعّده يقول: لتكفينِّي رجلاً خرج من أرضك يدعوني إلى دينه، أو أؤدي الجزية، أو لأقتلنَّك، أو لأفعلنَّ بك. فبعث صاحب صنعاء إلى رسول الله ﷺ خمسة وعشرين رجلاً فوجدهم دحية عند رسول الله ﷺ. فلما قرأ صاحبهم تركهم خمس عشرة ليلة، فلما مضت خمس عشرة ليلة تعرَّضوا له. فلما رآهم دعاهم فقال: «اذهبوا إلى صاحبكم فقولوا له: إنَّ ربِّي قتل ربه الليلة». فانطلقوا فأخبروه بالذي صنع. فقال: أحصُوا هذه الليلة. قال: أخبروني كيف رأيتموه؟ قالوا: ما رأينا ملكاً أهنأ منه يمشي فيهم لا يخاف شيئاً، مبتذلاً لا يُحرس، ولا يرفعون أصوَاتهم عنده. قال دحية: ثم جاء الخبر أن كسرى قُتل تلك الليلة. قال الهيثمي (5/ 309) فيه: إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه وكلاهما ضعيف. انتهى.

* * *

كتابه ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية

أخرج البيهقي عن عبد الله بن عبد القارئ رضي الله عنه: أن

رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بَلْتَعة رضي الله عنه إلى المُقَوْقِس صاحب الإسكندرية، فمضى بكتاب رسول الله ﷺ إليه. فقَبَّل الكتاب، وأكرم حاطباً وأحسن نُزُله، وسَرَّحه إلى النبي ﷺ، وأهدى له مع حاطب كِسوة وبغلة بِسَرْجها وجاريتين: إحداهما أُمّ إبراهيم، وأما الأخرى فوهبها رسول الله ﷺ لمحمد بن قيس العبدي.

وأخرج البيهقي أيضاً عن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية، قال: فجئته بكتاب رسول الله ﷺ، فأنزلني في منزله وأقمت عنده، ثم بعث إليّ وقد جمع بطارِقَته وقال: إنّي سائلك عن كلام فأحبُّ أن تفهم عني، قال: قلت: هلُمَّ؛ قال: أخبرني عن صاحبك أليسَ هو نبياً؟ قلت: بلى هو رسول الله. قال: فما له حيث كان هكذا لم يدعُ على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها؟ قال: قلت: عيسى ابن مريم أليس تشهد أنه رسول الله؟ قال: بلى. قلت: فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألّا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا؟! فقال لي: أنت حكيم قد جاء من عند حكيم. هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد، وأرسل معك ببَذْرَقة يبذرقونك إلى مأمنك. قال: فأهدى إلى رسول الله ﷺ ثلاث جوارٍ منهن أُم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وواحدة وهبها رسول الله ﷺ لأبي جهم بن حذيفة العدوي، وواحدةً وهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت الأنصاري، وأرسل إليه بطُرَف من طُرَفهم. كذا «البداية» (4/ 272). وأخرج حديث حاطب أيضاً ابن شاهين كما في «الإصابة» (1/ 300).

* * *

كتابه ﷺ إلى أهل نجران

أخرج البيهقي عن يونس بن بُكَير عن سَلَمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده ـ قال يونس: وكان نصرانياً فأسلم ـ إنَّ رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه: طس سليمان.

«باسم إله إبراهيم وإسحاق، ويعقوب. من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران: سَلْم أنتم، فإنِّي أحمد إليكم إله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب. أما بعد: فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد؛ فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب. والسلام».

فلما أتى الأسقُفَ الكتابُ وقرأه فَظِعَ به وذعر به ذعراً شديداً، وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شُرَحْبيلُ بن وَدَاعة ـ وكان من هَمْدان ولم يكن أحد يُدعى إذا نزلت مُعْضلة قبله، لا الأيهم ولا السيد، ولا العاقب ـ فدفع الأسقفُ كتاب رسول الله ﷺ إلى شرحبيل فقرأه. فقال الأسقف: يا أبا مريم، ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمتَ ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النّبوة، فما يُؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل، ليس لي في أمر النبوة رأي، ولو كان في أمر من أمور الدنيا لأشرتُ عليك فيه برأي واجتهدت لك. فقال له الأسقف: تنحَّ فاجلس. فتنحَّى شرحبيل فجلس ناحية. فبعث الأسقفُ إلى رجل من أهل نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل وهو من ذي أصبح من حِمْير، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه، فقال مثل قول شرحبيل، فقال الأسقفُ: تنحَّ فاجلس. فتنحَّى عبد الله فجلس ناحية. فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له جبَّار بن فيض من بني الحارث بن كعب أحد

بني الحماس، فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه، فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله، فأمره الأسقفُ فتنحّى فجلس ناحية.

فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعاً أمر الأسقف بالناقوس فضُرب به ورُفعت النيران والمسوح في الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار، وإذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس، ورفعت النيران في الصوامع، فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس ورُفعت المسوح أهل الوادي أعلاه وأسفله، وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل. فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ وسألهم عن الرأي فيه. فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمْداني وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي وجَبَّار بن فيض الحارثي فيأتونهم بخبر رسول الله ﷺ. فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حُلَلاً لهم يجرونها من حِبَرة وخواتيم الذهب. ثم انطلقوا حتى أتَوا رسول الله ﷺ فسلّموا عليه فلم يردَّ عليهم، وتصدَّوا لكلامه نهاراً طويلاً فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل وخواتيم الذهب. فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم ـ فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس فقالوا: يا عثمان، ويا عبد الرحمن، إن نبيكم كتب إلينا كتاباً فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلّمنا عليه فلم يردَّ سلامنا، وتصدينا لكلامه نهاراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا؟ فما الرأي منكما؟ أترون أن نرجع؟ فقالا لعلي بن أبي طالب ـ وهو في القوم ـ: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال علي لعثمان وعبد الرحمن: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم هذه ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودوا

إليه. ففعلوا فسلَّموا عليه فردَّ سلامهم، ثم قال: «والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولى وإنَّ إبليس لَمَعَهُم». ثم سألهم وسألوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى؟ فإنَّا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى يسرُّنا - إن كنت نبياً - أن نسمع ما تقول فيه. فقال رسول الله ﷺ: «ما عندي فيه شيء يومي هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقول لي ربي في عيسى». فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: 59 - 61]. فأَبَوْا أن يقرُّوا بذلك.

فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعدما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً على الحسن والحسين في خَميل له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة، وله يومئذٍ عدة نسوة. فقال شرحبيل لصاحبيه: لقد علمتما أنَّ الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يَرِدوا ولم يصدُرُوا إلَّا عن رأيي، وإنِّي - والله - أرى أمراً ثقيلاً، والله لئن كان هذا الرجل مبعوثاً فكنَّا أول العرب طعناً في عينيه ورداً عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبونا بجائحة؛ وإنا لأدنى العرب منهم جواراً. ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فلاعنّاه لا يبقى منا على وجه الأرض شَعَر ولا ظِفْر إلَّا هلك. فقال صاحباه: فما الرأي يا أبا مريم؟ فقال: أرى أن أكلِّمه، فإنِّي أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً. فقالا له: أنت وذاك. قال: فتلقَّى شرحبيلُ رسول الله ﷺ. فقال له: إنِّي قد رأيت خيراً من ملاعنتك. فقال: وما هو؟ فقال: حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح فمهما حكمتَ فينا فهو جائز. فقال رسول الله ﷺ: «لعل وراءك أحداً يُثَرِّبُ عليك». فقال شرحبيل: سل صاحبيَّ. فسألهما فقالا: ما يَرِدُ الوادي ولا يصدُر إلَّا

عن رأي شرحبيل. فرجع رسول الله ﷺ فلم يلاعنهم، حتى إذا كان من الغد أتوه: فكتب لهم هذا الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما كتب النبي محمد رسول الله لنجران: ـ إن كان عليهم حكمه ـ في كل ثمرة وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فاضل عليهم، وترك ذلك كله لهم على ألفي حلة: في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة» وذكر تمام الشروط.

كذا في «التفسير» لابن كثير (1/ 369). وزاد في «البداية» (5/ 55) بعد قوله ـ وذكر تمام الشروط: إلى أن شهد أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمرو، ومالك بن عوف من بني نصر، والأقرع بن حابس الحنظلي، والمغيرة، وكتب. حتى إذا قبضوا كتابهم انصرفوا إلى نجران ومع الأسقُفّ أخ له من أُمّه وهو ابن عمّه من النسب يقال له بِشْر بن معاوية وكنيته أبو علقمة. فدفع الوفدُ كتابَ رسول الله ﷺ إلى الأسقُفّ، فبينما هو يقرؤه وأبو علقمة معه وهما يسيران إذ كَبَتْ ببشر ناقتُه، فَتَعَّسَ بشر غير أنه لا يكني عن رسول الله ﷺ. فقال له الأسقُف عند ذلك: قد ـ والله ـ تعَّسْتَ نبياً مرسلاً. فقال له بِشْر: لا جَرَم ـ والله ـ لا أحلُّ عنها عقداً حتى آتي رسول الله ﷺ، فصرف وجه ناقته نحو المدينة وثَنى الأسقف ناقته عليه فقال له: افهم عني إنّما قلت هذا ليبلغ عني العرب مخافة أن يروا أنَّا أخذنا حقه أو رضينا بصوته أو بخعنا لهذا الرجل بما لم تبخع به العرب، ونحن أعزهم وأجمعهم داراً. فقال له بشر: لا والله لا أقبل ما خرج من رأسك أبداً، فضرب بشر ناقته ـ وهو مولٍّ الأسقف ظهره ـ وارتجز يقول:

إليكَ تغدو قَلِقاً وضينها
معترضاً في بطنها جنينُها
مخالفاً دين النصارى دينُها

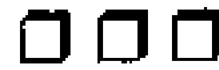
حتى أتى رسول الله ﷺ فأسلم، ولم يزل معه حتى قتل بعد ذلك. قال: ودخل الوفد نجران. فأتى الراهبَ ابنَ أبي شمر الزبيدي وهو في رأس صومعته. فقال له: إنَّ نبياً بُعث بتهامة ـ فذكر ما كان من وفد نجران إلى رسول الله ﷺ وأنه عرض عليهم الملاعنة فأبَوا، وأنَّ بشر بن معاوية دفع إليه فأسلم ـ فقال الراهب: أنزلوني، وإلَّا ألقيت نفسي من هذه الصومعة. قال: فأنزلوه، فأخذ معه هدية وذهب إلى رسول الله ﷺ، منها هذا البُرْد الذي يلبسه الخلفاء، وقَعْبُ، وعصاً. فأقام مدّة عند رسول الله ﷺ يسمع الوحي، ثم رجع إلى قومه ولم يُقدَّر له الإسلام، ووعد أنه سيعود فلم يُقدَّر له حتى توفي رسول الله ﷺ. وأن الأسقُف أبا الحارث أتى رسول الله ﷺ ومعه السيد والعاقب ووجوه قومه، فأقاموا عنده يسمعون ما ينزل الله عليه، وكتب للأسقفُ هذا الكتاب ولأساقفة نجران بعده.

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد النبي للأسقف أبي الحارث، وأساقفة نجران، وكهنتهم، ورهبانهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل وكثير: جوار الله ورسوله، لا يُغَيَّر أسقفٌ من أسقفته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته ولا يغيَّر حق من حقوقهم، ولا سلطانهم ولا ما كانوا عليه من ذلك. جوار الله ورسوله أبداً ما أصلحوا ونصحوا عليهم غير مبتلين بظلم ولا ظالمين».

وكتب المغيرة بن شعبة. انتهى ما في البداية (5/ 55).

كتابه ﷺ إلى بكر بن وائل

أخرج أحمد عن مَرْثَد بن ظبيان رضي الله عنه قال: جاءنا كتاب من رسول الله ﷺ فما وجدنا له قارئاً يقرؤه علينا حتى قرأه رجل من ضُبيعة: «**من رسول الله ﷺ إلى بكر بن وائل: أسلموا تسلموا**». قال الهيثمي (5/ 305): رجاله رجال الصحيح - انتهى. وأخرجه أيضاً البزّار وأبو يَعْلَى والطبراني في الصغير عن أنس رضي الله عنه بمعناه، قال الهيثمي (5/ 305): رجال الأوَّلين رجال الصحيح.



كتابه ﷺ إلى بني جذامة

أخرج الطبراني عن عُمير بن مقبل الجُذامي عن أبيه قال: وفد رِفاعة بن زيد الجُذامي على رسول الله ﷺ، فكتب له كتاباً، وفيه:

«من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد: إني بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله: فمن آمن ففي حزب الله وحزب رسوله، ومن أدبر فله أمان شهرين».

فلما قدم على قومه أجابوه - فذكر الحديث. قال الهيثمي (5/ 310): رواه الطبراني متصلاً هكذا، ومنقطعاً مختصراً عن ابن إسحاق، وفي المتصل جماعة لم أعرفهم، وإسنادهما إلى ابن إسحاق جيد. انتهى.

وأخرجه الأمويُّ في «المغازي» من طريق ابن إسحاق من رواية عُمير بن معبد بن فلان الجذامي عن أبيه نحوه كما في «الإصابة» (3/ 441).

قصصه ﷺ في الأخلاق والأعمال المفضية
إلى هداية الناس

إسلام زيد بن سَعْنَة الحبر الإسرائيلي رضي الله عنه

أخرج الطبراني عن عبد الله بن سَلَّام رضي الله عنه قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ لمَّا أراد هُدى زيد بن سَعنَة قال زيد بن سَعْنَة: ما من علامات النبوة شيء إلَّا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلّا اثنتين لم أخبُرهما منه: يسبق حلمُه جهلَه، ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلماً. قال زيد بن سَعْنة: فخرج رسول الله ﷺ يوماً من الحُجُرات ـ ومعه علي بن أبي طالب ـ فأتاه رجل على راحلته كالبدوي، فقال: يا رسول الله، لي نفر في قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإِسلام، وكنت حدَّثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رَغَداً. وقد أصابتهم سَنَة وشدّة وقحط من الغيث، فأنا أخشى ـ يا رسول الله ـ أن يخرجوا من الإِسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً؛ فإن رأيتَ أن ترسل إليهم بشيء تغيثهم به فعلتَ. فنظر إلى رجل إلى جانبه ـ أُراه علياً ـ فقال: يا رسول الله ما بقي منه شيء. قال زيد بن سَعْنة: فدنوت إليه فقلت: يا محمد، هل لك أن تبيعني تمراً معلوماً في حائط بني فلان إلى أجل معلوم، إلى أجل كذا وكذا. قال: «لا تُسمِّ حائط بني فلان» قلت: نعم، فبايَعَني، فأطلقت هِمْيانِي فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، فأعطاها الرجل وقال: «اعدل عليهم وأغثهم».

قال زيد بن سَعْنَة: فلما كان قبل مَحِلِّ الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم في نفر من أصحابه، فلما صلّى على الجنازة ودنا إلى الجدار ليجلس إليه أتيته، فأخذته بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ، وقلت له: يا محمد، ألّا تقضيني حقِّي؟ فوالله، ما عُلِمْتُم بني عبد المطلب إلَّا مُطْلاً، ولقد كان بمخالطتكم علم. ونظرت إلى عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفَلَك المستدير، ثم رماني ببصره فقال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع؟ وتصنع به ما أرى؟ فوالذي نفسي بيده لولا ما أحاذر فَوْته لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إليَّ في سكون وتُؤدة. فقال: «يا عمر، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا؛ أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن اتباعه. اذهب به يا عمر، فأعطه حقَّه وزِدْه عشرين صاعاً من تمرٍ مكانَ ما رُعْتَه».

قال زيد: فذهب بي عمر فأعطاني حقِّي وزادني عشرين صاعاً من تمر. فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟! قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رُعتك. قال: قلت: وتعرفني يا عمر؟! قال: لا. قلت: أنا زيد بن سَعْنَة. قال: الحَبْرُ؟ قلت: الحَبْرُ. قال: فما دعاك إلى أن فعلتَ برسول الله ما فعلت، وقلتَ له ما قلتَ؟! قلت: يا عمر، لم يكن من علامات النبوّة شيء إلَّا وقد عرفت في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين، لم أخبُرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً. وقد اختبرتهما، فأشهدك ـ يا عمر ـ أنّي قد رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، وأشهدك أنَّ شطر مالي ـ فإني أكثرها مالاً ـ صدقةٌ على أُمة محمد ﷺ. قال عمر: أو على بعضهم فإنَّك لا تسعهم، قلت: أو على بعضهم. فرجع عمر وزيد إلى

رسول الله ﷺ، فقال زيد: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وآمن به وصدَّقه وبايعه، وشهد معه مشاهد كثيرة؛ ثم توفي في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر. رحم الله زيداً. قال الهيثمي (8/ 240): رواه الطبراني ورجاله ثقات؛ وروى ابن ماجه منه طرفاً. انتهى.

وأخرجه أيضاً ابن حِبَّان، والحاكم، وأبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي ﷺ وغيرهم كما في «الإصابة» (1/ 566) وقال: ورجال الإسناد مُوَثَّقون، وقد صرّح الوليد فيه بالتحديث، ومداره على محمد بن أبي السَّرِي الراوي له عن الوليد. وثَّقه ابن مَعِين، ولَيَّنه أبو حاتم. وقال ابن عدي: محمد كثير الغلط. والله أعلم. ووجدت لقصَّته شاهداً من وجه آخر لكن لم يُسمَّ فيه، قال ابن سعد: حدثنا يزيد، حدثنا جرير بن حازم، حدثني من سمع الزهري يحدث أن يهودياً قال: ما كان بقي شيء من نَعْت محمد ﷺ في التوراة إلَّا رأيته؛ إلا الحلم... فذكر القصة. انتهى. وأخرجه أبو نُعَيم في «الدلائل» (ص 23).

* * *

قصة صلح الحديبية

أخرج البخاري عن المِسْوَر بن مخرمة ومروان قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحُدَيْبية، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: «إنَّ خالد بن الوليد بالغَمِيم في خيل لقريش طَليعة، فخذوا ذات اليمين». فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقتَرة الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش. وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثَّنِيَّة التي هبط عليهم منها بركت به راحلته. فقال الناس: حَلْ، حلْ، فألحَّت. فقالوا: خلأت القصْواء!! خلأت القَصْواء، فقال رسول الله ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخُلُق، ولكن حبسها حابس الفيل». ثم قال: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني خُطَّة يعظِّمون فيها حُرُماتِ الله إلا أعطيتهم إياها» ثم زجرها فوثبت، فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثَمَد قليل الماء... يتبرَّضُهُ تَبَرُّضَاً؛ فلم يُلْبِثْه الناس حتى نزحوه. وشُكِيَ إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سَهْماً من كِنَانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله، ما زال يجيش لهم بالريّ حتى صَدَروا عنه.

فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيل بن ورْقاء الخُزاعي في نفر من قومه من خُزاعة ـ وكانوا عَيْبة نُصْح رسول الله ﷺ من أهل تِهامة ـ فقال: إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت. فقال النبي ﷺ: «إنا لم نجيء لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين؛ وإنَّ قريشاً قد نَهَكتهم الحرب

وأضرَّت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلُّوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جَمُّوا، وإن هم أبَوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنَّهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذنَّ أمر الله». قال بُدَيل: سأبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنَّا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء. وقال ذوو الرأي منهم: هاتِ ما سمعته يقول: قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدَّثهم بما قال رسول الله ﷺ.

فقام عُروة بن مسعود فقال: أيْ قوم، ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى. قال: ألستُ بالولد؟ قالوا: بلى. قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا. قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عُكَاظ، فلما بلَّحوا عليَّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني. قالوا: بلى. قال: فإنَّ هذا قد عرض لكم خُطَّة رشدٍ اقبلوها ودعوني آتيه. فقالوا: ائته. فأتاه، فجعل يكلِّم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبُدَيل. فقال عُروة عند ذلك: أيْ محمد، أرأيت إن استأصلتَ أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإني - والله - لا أرى وجوهاً، وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا وَيَدعُوك. فقال له أبو بكر رضي الله عنه: امصُصْ بَظرَ اللَّات، أنحنُ نفرُّ عنه وندعه؟! قال: من ذا؟ قال: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يَدٌ كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك. قال: وجعل يكلِّم النبي ﷺ فكلَّما تكلم أخذ بلحيته - والمغيرة بن شعبة قائم على رأس رسول الله ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر - فكلَّما أهوى عُروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال له: أخِّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ. فرفع عُروة رأسه

فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة!! فقال: أيْ غُدَر!! ألست أسعى في غَدْرتك؟ ـ كان المغيرة بن شعبة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء» ـ ثم إنَّ عروة جعل يَرْمُق أصحاب رسول الله ﷺ بعينيه. قال: ـ فوالله ـ ما تنخَّم رسول الله ﷺ نخامة إلَّا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلَّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدُّون إليه النظر تعظيماً له. فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أيْ قوم، والله لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر وكسرى، والنجاشي، والله إنْ رأيت مَلِكاً قط يعظِّمه أصحابه ما يعظِّم أصحاب محمد محمداً. والله إنْ تنخم نخامة إلَّا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذ تكلَّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون النظر إليه تعظيماً له؛ وإنه قد عرض عليكم خُطة رشد فاقبلوها.

فقال رجل من بني كِنانة: دعوني آتيه. فقالوا: ائته. فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان وهو من قوم يعظِّمون البُدْن فابعثوها له». فبُعثت له واستقبله الناس يُلَبُّون. فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدوا عن البيت!! فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البُدْن قد قُلِّدَت وأشْعِرَت، فما أرى أن يُصدُّوا عن البيت. فقام رجل منهم ـ يقال له مِكْرَز بن حفص ـ فقال: دعوني آتيه. قالوا: ائته، فلما أشرف عليهم قال رسول الله ﷺ: «هذا مِكْرَز وهو رجل فاجر»، فجعل يكلم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو.

قال مَعْمر: فأخبرني أيوب عن عِكرمة: أنه لما جاء سُهَيل بن عمرو قال رسول الله ﷺ: «لقد سُهِّل لكم من أمركم». قال معمر: قال الزُّهْري في حديثه: فجاء سهيل فقال: هاتِ فاكتب بيننا وبينكم كتاباً. فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: اكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو؟ ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلَّا بسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبي ﷺ: اكتب: «باسمك اللَّهم»، ثم قال: «هذا ما قاضَى عليه محمد رسول الله». فقال سهيل: والله لو كنَّا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فقال رسول الله ﷺ: «والله إنِّي لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب: محمد بن عبد الله» ـ قال الزُّهري: وذلك لقوله: «لا يسألوني خطَّة يعظِّمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها» ـ. فقال له النبي ﷺ: «على أن تُخلُّوا بيننا وبين البيت فنطوف به». قال سهيل: والله لا تتحدَّث العرب أنا أُخِذنا ضَغْطة، لكنَّ ذلك من العام المقبل. فكتب. فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منَّا رجل وإن كان على دينك إلاَّ رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله، كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟!.

فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جَنْدل بن سهيل بن عمرو رضي الله عنه يرسُف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين. فقال سهيل: هذا يا محمد ـ أول من أُقاضيك عليه أن ترده إليّ، فقال النبي ﷺ: إنَّا لم نَقْضِ الكتاب بَعْدُ». قال: فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً. قال النبي ﷺ: فأجزه لي. قال: ما أنا بمجيزه لك. قال: بلى فافعل. قال: ما أنا بفاعل. قال مِكْرَز: بلى قد أجزناه لك. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أُرَدُّ إلى المشركين وقد جئت

مسلماً؟! ألا تَرَوْن ما قد لقيت ـ وكان قد عُذِّب عذاباً شديداً في الله ـ فقال عمر: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: ألستَ نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحقِّ وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلِم نُعطي الدَّنِيّة في ديننا إذاً؟ قال: «إنّي رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري». قلت: أولستَ كنت تحدِّثنا أنّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟» قال: قلت: لا. قال: «فإنك آتيه ومُطَّوِّفٌ به». قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقّاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحقِّ وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قال: قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: أيُّها الرجل، إنَّه لرسول الله، وليس يعصي ربه، وهو ناصره فاستمسك بغَرْزِه، فوالله إنَّه على الحق. قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى. أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ فقلت: لا. قال: فإنك آتيه ومُطَّوِّفٌ به. قال عمر: فعملتُ لذلك أعمالاً. قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات. فلمَّا لم يقم منهم أحد دخل على أمِّ سَلَمة رضي الله عنها، فذكر لها ما لقي من الناس. فقالت أمُّ سلمة: يا نبي الله، أتحبُّ ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلِّم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلِّم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنه، ودعا حالقه فحلقه. فلمَّا رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً. ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ﴾ ـ حتى بلغ ـ ﴿بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة: 10] فطلَّق عمر يومئذٍ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوّج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية.

ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير رضي الله عنه - رجل من قريش وهو مسلم - فأرسلوا في طلبه رجلَين، فقالوا: العَهْدَ الذي جعلت لنا. فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحُليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم. فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إنّي لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً!! فاستلّه الآخر فقال: أجل - والله - إنه لجيدٌ، لقد جرّبت به ثم جرّبت. فقال أبو بصير: أرني أنظرْ إليه. فأمكنه منه، فضربه حتى بَرَد، وفرّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا ذُعْراً». فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتل - والله - صاحبي وإني لمقتول. فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله قد - والله - أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم. فقال النبي ﷺ: «ويْلُ أُمِّهِ مِسْعَر حرب! لو كان له أحد». فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سِيف البحر.

قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو رضي الله عنه فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلّا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعِير خرجت لقريش إلى الشام إلّا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم. فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده بالله والرّحِم لمّا أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن. فأرسل النبي ﷺ إليهم فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ حتى بلغ: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: 24-26] وكانت حميّتهم أنّهم لم يقروا أنّه نبي الله، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت. قال ابن كثير في «البداية» (4/ 177): هذا سياق فيه زيادات وفوائد حسنة ليست في رواية ابن إسحاق عن الزهري. انتهى. وأخرجه البيهقي (9/ 218) أيضاً بطوله.

وأخرج ابن عساكر، وابن أبي شَيْبة عن عُروة رضي الله عنه في نزول النبي ﷺ بالحديبية قال: وفزعت قريش لنزوله عليهم، وأحب رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم رجلاً من أصحابه، فدعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه إليه. فقال: يا رسول الله، إنِّي لألعنهم وليس أحد بمكة من بني كعب يغضب لي إن أُوذيت، فأرسِلْ عثمان فإنَّ عشيرته بها وإنهُ يُبَلِّغ لك ما أردت. فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فأرسله إلى قريش، وقال: «أخبرهم أنَّا لم نأتِ لقتال وإنما جئنا عُمَّاراً وادعهم إلى الإسلام». وأمره أن يأتي رجالاً بمكة من المؤمنين ونساءً مؤمنات، فيدخل عليهم ويبشِّرهم بالفتح، ويخبرهم أنَّ الله جلَّ ثناؤه يوشك أنْ يُظْهر دينه بمكة حتى لا يُستخفى فيها بالإيمان تثبيتاً يُثبِّتهم. قال: فانطلق عثمان فمرّ على قريش ببلدح. فقالت قريش: أين؟ قال: بعثني رسول الله ﷺ إليكم لأدعوَكم إلى الله عزّ وجلّ وإلى الإسلام، ونخبركم أنَّا لم نأتِ لقتال أحد وإنما جئنا عُمَّاراً. فدعاهم عثمان كما أمره ﷺ، فقالوا: قد سمعنا ما تقول فانفُذْ لحاجتك. وقام إليه أبَانُ بن سعيد بن العاص فرحب به وأسْرَجَ فرسه، فحمل عثمانَ على الفرس فأجاره، وردفه أبَانُ حتى جاء مكة. ثم إنَّ قريشاً بعثوا بُدَيل بن ورقاء الخزاعي وأخا بني كنانة ثم جاء عروة بن مسعود الثقفي ـ فذكر الحديث؛ كما في «كنز العمال» (5/ 288). وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة من وجه آخر بطوله ـ عن عروة، كما في «كنز العمال» أيضاً (5/ 290). وأخرجه البيهقي (9/ 221) عن موسى بن عقبة بنحوه.

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد صالح رسول الله ﷺ أهل مكة على صلح وأعطاهم شيئاً، لو أنَّ نبي الله ﷺ أمَّر عليَّ أميراً فصنع الذي صنع نبيُّ الله

ما سمعت ولا أطعت، وكان الذي جعل لهم أنَّ من لحق من الكفَّار بالمسلمين ردُّوه، ومن لحق بالكفَّار لم يردُّوه!!. كذا في «كنز العمال» (5/ 286) وقال: سنده صحيح.

وأخرج ابن عساكر عن الواقدي قال: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: ما كان فَتْح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية، ولكن الناس يومئذٍ قَصُرَ رأيهم عمَّا كان بين محمد وربه، والعباد يَعْجَلون والله لا يعجل كعجلة العباد حتى يُبلِغ الأمور ما أراد. لقد نظرتُ إلى سُهيل بن عمرو في حِجّة الوداع قائماً عند المنحر يقرِّب إلى رسول الله ﷺ بُدْنه ورسول الله ﷺ نحرها بيده، ودعا الحلَّاق فحلق رأسه؛ وأنظر إلى سهيل يلتقط من شَعَره وأراه يضعه على عينيه، وأذكر إباءه أن يُقرَّ يوم الحديبية بأن يكتب: بسم الله الرحمن الرحيم ويأبى أن يكتب: محمد رسول الله ﷺ، فحمدت الله الذي هداه للإسلام. كذا في «كنز العمال» (5/ 286).

* * *

قصة إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه

أخرج ابن إسحاق عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لما انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق جمعتُ رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون - والله - إنِّي أرى أمر محمد يعلو الأمور علوّاً منكراً، وإنِّي لقد رأيت أمراً فما تَرَون فيه؟ قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت أن نَلحَق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنَّا عند النجاشي، فإنا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد؛ وإن ظهر قومنا فنحن من

قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلَّا خير. قالوا: إنَّ هذا لرأي. قلت: فاجمعوا لنا ما نهدي له، فكان أحبَّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأُدُمُ، فجمعنا له أُدُماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه. فوالله إنَّا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضَّمْري وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه. قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلتُ رأتْ قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلتُ رسول محمد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع. فقال: مرحباً بصديقي هل أهديت لي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت لك أُدُماً كثيراً. قال: ثم قرّبته إليه فأعجبه واشتهاه. ثم قلت له: أيها الملك، إنّي قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدوٌّ لنا؛ فأعطنيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا. قال: فغضب، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره؛ فلو انشقّت الأرض لدخلت فيها فَرَقاً. ثم قلت: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتُكه. قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى فتقتله؟! قال: قلت: أيها الملك، أكذاك هو؟! قال: ويحك يا عمرو، أطعني واتَّبعه فإنه ـ والله ـ لَعَلى الحقِّ، وليظهرنَّ على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده. قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم. فبسط يده فبايعته على الإسلام. ثم خرجت على أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي إسلامي. ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد ذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة. فقلت: أين يا أبا سليمان؟ فقال: والله، لقد

استقام المِيسَم، وإنَّ الرجل لنبي، اذهب ـ والله ـ أسلم فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئت إلَّا لأسْلِم. قال: فقدمنا المدينة على النبي ﷺ فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله، إنِّي أبايعك على أن تغفر لي ما تقدَّم من ذنبي ولا أذكر ما تأخَّر. قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عمرو، بايع فإنَّ الإسلام يجبُّ ما كان قبله، وإن الهجرة تجبُّ ما كان قبلها». قال: فبايعته ثم انصرفت. كذا في «البداية» (4/ 142). وأخرجه أيضاً أحمد، والطبراني عن عمرو نحوه ـ مطوّلاً. قال الهيثمي (9/ 351): ورجالها ثقات. انتهى.

وأخرج البيهقي من طريق الواقدي بأبسط منه وأحسن، وفي حديثه: ثم مضيت حتى إذا كنت بالهدة، فإذا رجلان قد سبقاني بغير كثير يريدان منزلاً، وأحدهما داخل في الخيمة والآخر يمسك الراحلتين. قال: فنظرت فإذا خالد بن الوليد. قال: قلت: أين تريد؟ قال: محمداً، دخل الناس في الإسلام فلم يبقَ أحد به طعم، والله، لو أقمت لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضَّبُع في مغارتها. قلت: وأنا ـ والله ـ قد أردت محمداً وأردت الإسلام. فخرج عثمان بن طلحة فرحَّب بي، فنزلنا جميعاً في المنزل ثم اتفقنا حتى أتينا المدينة، فما أنسَى قول رجل لقيناه ببئر أبي عتبة يصيح: يا رباح، يا رباح، يا رباح!! فتفاءلنا بقوله وسِرْنا، ثم نظر إلينا فأسمعه يقول: قد أعطت مكة المقادة بعد هذين، وظننت أنه يعنيني ويعني خالد بن الوليد، وولَّى مدبراً إلى المسجد سريعاً. فظننت أنه بشَّر رسول الله ﷺ بقدومنا، فكان كما ظننت، وأنخنا بالحرَّة فلبسنا من صالح ثيابنا، ثم نُوديَ بالعصر فانطلقنا حتى اطَّلعنا عليه وإن لوجهه تهللاً والمسلمون حوله قد سُرُّوا بإسلامنا، فتقدَّم خالد بن الوليد فبايع، ثم

تقدَّم عثمان بن طلحة فبايع، ثم تقدَّمت، فوالله، ما هو إلَّا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طَرْفي حياءً منه. قال: فبايعته على أن يغفر لي ما تقدَّم من ذنبي ولم يحضرني ما تأخر. فقال: «إن الإسلام يجبُّ ما كان قبله، والهجرة تجبّ ما كان قبلها». قال: فوالله، ما عَدَلَ بي رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في أمر حَزَبه منذ أسلمنا. كذا في «البداية» (4/ 237).

* * *

قصة إسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه

أخرج الواقدي عن خالد رضي الله عنه قال: لمّا أراد الله بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الإسلام وحضرني رُشدي، فقلت: قد شهدت هذه المواطن كلَّها على محمد ﷺ، فليس في موطن أشهده إلَّا أنصرفُ وأنا أرى في نفسي أني مُوضِعٌ في غير شيء وأنَّ محمداً سيظهر. فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية خرجت في خيل من المشركين فلقيت رسول الله ﷺ في أصحابه بعُسْفان، فقمت بإزائه وتعرَّضت له. فصلّى بأصحابه الظهر أمامنا فهممنا أن نُغير عليهم ثم لم يُعْزَم لنا ـ وكانت فيه خِيرة ـ فاطَّلع على ما في أنفسنا من الهمِّ به. فصلَّى بأصحابه صلاة العصر: صلاة الخوف. فوقع ذلك منَّا موقعاً، وقلت: الرجل ممنوع، فاعتزَلَنا وعَدَل عن سير خيلنا وأخذ ذات اليمين. فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعته قريش بالرواح قلت في نفسي: أيُّ شيء بقي؟ أين أذهب؟: إلى النجاشي؛ فقد اتبع محمداً وأصحابه عنده آمنون!! فأخرج إلى هرقل، فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية، فأقيمُ في عجم، أفأقيم في داري بمن بقي؟. فأنا في ذلك إذ دخل رسول الله ﷺ

مكّة في عمرة القضيّة، فغيَّبت ولم أشهد دخوله، وكان أخي الوليد بن الوليد قد دخل مع النبي ﷺ في عمرة القضيّة، فطلبني فلم يجدني، فكتب إليَّ كتاباً فإذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد: فإني لم أرَ أعجبَ من ذهاب رأيك عن الإسلام، وعقلك عقلك ومثل الإسلام جهله أحد؟! وقد سألني رسول الله ﷺ عنك، وقال: أين خالد؟ فقلت: يأتي الله به. فقال: «مثله جهل الإسلام؟! ولو كان جعل نكايته وجِدَّه مع المسلمين كان خيراً له، ولقدّمناه على غيره» فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة».

قال: فلما جاءني كتابه نشطت للخروج، وزادني رغبة في الإسلام، وسرني سؤال رسول الله ﷺ عني، وأرى في النوم كأنّي في بلاد ضيِّقة مجدبة، فخرجت في بلاد خضراء واسعة، فقلت: إنَّ هذه لرؤيا. فلما أن قدمت المدينة قلت: لأذكرنَّها لأبي بكر فقال: مَخْرجُك الذي هداك الله للإسلام، والضيق الذي كنت فيه من الشرك.

قال: فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله ﷺ قلت: من أصاحب إلى رسول الله ﷺ؟ فلقيت صفوان بن أُمية، فقلت: يا أبا وَهْب، أما ترى ما نحن فيه؟ إنما نحن كأضراس، وقد ظهر محمد على العرب والعجم. فلو قدمنا على محمد واتبعناه فإنَّ شرف محمد لنا شرف. فأبى أشدَّ الإباء، فقال: لو لم يبق غيري ما اتبعته أبداً. فافترقنا. وقلت: هذا رجل قُتل أخوه وأبوه ببدر. فلقيت عِكْرمة بن أبي جهل، فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أُمية، فقال لي مثل ما قال صفوان بن أُمية. قلت: فاكتم عليَّ. قال: لا أذكره. فخرجت

إلى منزلي فأمرت براحلتي فخرجت بها إلى أن لقيت عثمان بن طلحة. فقلت إنَّ هذا لي صديق فلو ذكرت له ما أرجو. ثم ذكرت من قُتل من آبائه فكرهت أن أذكّره. ثم قلت: وما عليَّ؟ وأنا راحل من ساعتي. فذكرت له ما صار الأمرُ إليه، فقلت: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صُبَّ فيه ذَنُوبٌ من ماء لخرج، وقلت له نحواً ممّا قلت لصاحبيَّ، فأسرع الإجابة. وقلت له: إني غدوت اليوم وأنا أريد أن أغدو وهذه راحلتي بفجّ مَنَاخة. قال: فاتعدت أنا وهو يأجُجَ إن سبقني أقام وإن سبقته أقمت عليه. قال: فأدلجنا سَحَراً فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج. فغدونا حتى انتهينا إلى الهدّة، فنجد عمرو بن العاص بها. قال: مرحباً بالقوم، فقلنا: وبك. فقال: إلى أين مسيركم؟ فقلنا: وما أخرجك؟ فقال: وما أخرجكم؟ قلنا: الدخول في الإسلام واتباع محمد ﷺ. قال: وذاك الذي أقدمني. فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة فأنخنا بظهر الحرَّة ركابنا. فأُخبر بنا رسول الله ﷺ فسُرَّ بنا. فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول الله ﷺ، فلقيني أخي فقال: أسرع فإنَّ رسول الله ﷺ قد أُخبر بك فسُرَّ بقدومك وهو ينتظركم. فأسرعنا المشي فاطّلعت عليه فما زال يتبسّم إليّ حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوة فرد عليّ السلام بوجه طَلْق. فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال: «تعال» ثم قال ﷺ: «الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يُسلمك إلَّا إلى خير». قلت: يا رسول الله، إنِّي قد رأيتُ ما كنتُ أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحق، فادعُ الله أن يغفرها لي. فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام يجبّ ما كان قبله». قلت: يا رسول الله على ذلك. قال: «اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضعَ فيه من صدٍّ عن سبيل الله». قال خالد: وتقدم

عثمان وعمرو فبايعا رسول الله ﷺ. قال: وكان قدومنا في صفر سنة ثمان؛ قال: والله ما كان رسول الله ﷺ يَعْدِل بي أحداً من أصحابه فيما حَزَبه. كذا في «البداية» (4/ 238). وأخرجه أيضاً ابن عساكر نحوه ـ مطولاً، كما في «كنز العمال» (7/ 30).

* * *

قصة فتح مكة زادها الله تشريفاً

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ثم مضى رسول الله ﷺ واستعمل على المدينة أبا رُهْم كلثوم بنَ الحُصين الغِفاري، وخرج لعشر مَضَين من رمضان، فصام رسول الله ﷺ وصام الناس معه، حتى إذا كان بالكُدَيْد - ماء بين عُسْفان وأَمَج - أفطر، ثم مضى حتى نزل مَرّ الظهران في عشرة آلاف من المسلمين، وألف من مُزينة وسُلَيم، وفي كل القبائل عدد وسلاح، وأوعبَ مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار ولم يتخلف منهم أحد.

فلمّا نزل رسول الله ﷺ مرَّ الظهران - وقد عُمِّيَت الأخبار على قريش، فلم يأتهم عن رسول الله ﷺ خبر ولم يدروا ما هو فاعل، خرج في تلك الليلة: أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حِزام، وبُدَيل بن وَرْقاء يتجسَّسُون، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به؟ وقد كان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه تَلقَّى رسول الله ﷺ في بعض الطريق، وقد كان أبو سفيان بنُ الحارث بن عبد المطَّلب وعبد الله بنُ أبي أُمية بنِ المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ فيما بين المدينة ومكة والتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سَلَمة فيهما فقالت: يا رسول الله ابن عمك، وابن عمتك وصِهرك. قال: «لا حاجة لي بهما. أما ابن عمي فهتك عرضي بمكة، وأما ابن عمتي وصِهْري فهو الذي قال لي بمكة ما قال». فلما خرج إليهما بذلك - ومع أبي سفيان بُنَيٌّ له - فقال: والله لتأذننَّ لي أو

لآخذنَّ بيدي بُنَيِّـي هذا ثم لنذهبنَّ بالأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً. فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقَّ لهما ثم أذن لهما فدخلا فأسلما.

فلما نزل رسول الله ﷺ بمَرِّ الظهران قال العباس: واصباح قريش!! والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكَّة عَنْوَةً قبل أن يستأمنوه إنَّه لهلاك قريش آخر الدهر. قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاءِ فخرجت عليها حتى جئت الأرَاك، فقلت لعلِّي ألقى بعض الحطَّابة أو صاحب لَبَن أو ذا حاجة يأتي مكة، فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ، فيستأمنوه قبل أن يدخلها عَنْوَة.

قال: فوالله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبُدَيْل بن وَرْقاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كاليوم قط نيراناً ولا عسكراً!! قال: يقول بديل: هذه ـ والله ـ نيران خُزاعة حَمَشَتها الحرب. قال: يقول أبو سفيان: خزاعة ـ والله ـ أذلّ وألأم من أن تكون هذه نيرانَها وعسكرَها. قال: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي فقال: أبو الفضل؟ فقلت: نعم. فقال: ما لك ـ فداك أبي وأمي ـ؟ فقلت: ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصباح قريش والله!. قال: فما الحيلة ـ فداك أبي وأمي ـ؟ قال: قلت: لئن ظفر بك ليضرِبَن عنقك، فاركب معي هذه البغلة حتى آتيَ بك رسول الله ﷺ فأستأمنَه لك. قال: فركب خلفي ورجع صاحبه وحَرَّكْتُ به. فكلَّما مررتُ بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ قالوا: عمُّ رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررت بنار عمرَ بنِ الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إليَّ. فلما رأى أبا سفيان على عَجُز البغلة قال: أبو سفيان، عدو الله! الحمد لله الذي أمكن الله منك بغير عَقْد ولا عَهْد. ثم خرج يشتدُّ نحو رسول الله ﷺ،

وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة الرجل البطيء، فاقتحمتُ عن البغلة. فدخلت على رسول الله ﷺ، ودخل عمر فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدَعْني فلأضربْ عنقه. فقلت: يا رسول الله، إني أجرتُه. ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فقلت: لا والله، لا يناجيه الليلة رجل دوني، قال: فلمَّا أكثر عمر في شأنه قلت: مهلاً يا عمر، أمَا ـ والله ـ إن لو كان من رجال بني عديٍّ بن كعب ما قلتَ هذا ولكنك عرفت أنَّه من رجال بني عبد مناف. فقال: مهلاً يا عباس!! والله، لإسلامك يوم أسلمتَ أحبُّ إليَّ من إسلام أبي لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أنَّ إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطّاب. فقال رسول الله ﷺ: «اذهب به إلى رَحْلك يا عبَّاس، فإذا أصبحتَ فائتني به»، فذهبت به إلى رَحْلي فبات عندي. فلما أصبح غدوت به على رسول الله ﷺ.

فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأنِ لك أن تشهد أن لا إله إلا الله؟» قال: بأبي أنت وأمي، ما أكرمك وأحلمك وأوصلك!! لقد ظننتُ أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً. قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأنِ لك أن تعلم أنِّي رسول الله؟» قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك!! هذه ـ والله ـ كان في النفس منها شيء حتى الآن. قال العباس: ويحكَ يا أبا سفيان، أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن يُضرب عُنُقك. قال: فشهد شهادة الحق وأسلم.

قلت: يا رسول الله، إنَّ أبا سفيان يحب هذا الفخر فاجعل له شيئاً. قال: «نعم. من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن». فلما ذهب لينصرف قال

رسول الله ﷺ: «يا عبَّاس، احبسْه بالوادي عند خَطْم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها». قال: فخرجت به حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه. قال: ومرَّت به القبائل على راياتها فكلَّما مرّت قبيلة قال: من هؤلاء يا عباس فأقول: بنو سُلَيم. فيقول: ما لي ولسُلَيم؟ قال: ثم تمر القبيلة فيقول: من هؤلاء؟ فأقول: مُزَيْنة. فيقول: ما لي ولمزينة؟ حتى نفذت القبائل ـ يعني جاوزت ـ لا تمر قبيلة إلَّا قال: من هؤلاء؟ فأقول: بنو فلان، فيقول: ما لي ولبني فلان؟ حتى مرَّ رسول الله ﷺ في الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يُرى منهم سوى الحَدَق قال: سبحان الله!! من هؤلاء يا عباس؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار. قال: ما لأحد بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقةٌ، ـ والله ـ يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابنِ أخيك الغداة عظيماً!!. قلت: يا أبا سفيان، إنّها النبوّة. قال: فنعم إذاً. قلت: التجىء إلى قومك. قال: فخرج حتى جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قِبَل لكم به.

فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. فقامت إليه امرأته هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الدَّسِم الأحمش فبئس طليعة قوم. قال: ويحكم، لا تغرَّنَّكُم هذه من أنفسكم فإنه قد جاء بما لا قِبَل لكم به، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قالوا: ويحك وما تغني عنا دارك؟! قال: ومن أغلق بابه فهو آمن. ومن دخل المسجد فهو آمن. فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد. قال الهيثمي (6/ 167): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرجه أيضا البيهقي بطوله كما في «البداية» (4/ 291)، **وأخرجه ابن عساكر** أيضاً من طريق الواقدي عن ابن عباس رضي الله عنهما كما

في «كنز العمال» (5/ 295) ـ فذكر نحو ما تقدَّم من رواية الطبراني، وفي سياقه: ثم قال رسول الله ﷺ للعباس بعدما خرج: «احبسْه بمضيق الوادي إلى خَطْم الجبل حتى تمرَّ به جنود الله فيراها».

قال العباس: فعدلت به في مضيق الوادي إلى خطْم الجبل، فلمّا حبست أبا سفيان قال: غَدْراً يا بني هاشم؟! فقال العباس: إنَّ أهل النبوّة لا يغدرون، ولكن لي إليك حاجة. فقال أبو سفيان: فهلّا بدأت بها أولاً؟ فقلت: إنَّ لي إليك حاجة فكان أفرغ لروعي. قال العباس: لم أكن أراك تذهب هذا المذهب. وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه، ومرَّت القبائل على قادتها والكتائب على راياتها.

فكان أول من قدَّم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في بني سُلَيم وهم ألف، فيهم لواء يحمله عباس بن مِرداس، ولواء يحمله خُفَاف بن نُدبة، وراية يحملها الحجّاج بن عِلَاط. قال أبو سفيان: من هؤلاء؟ قال العباس: خالد بن الوليد. قال: الغلام، قال: نعم. فلما حاذى خالد بالعباس وإلى جنبه أبو سفيان كبَّروا ثلاثاً ثم مَضَوا، ثم مرَّ على إثره الزبير بن العوّام في خمسمائة منهم مهاجرون وأفناء الناس ومعه راية سوداء. فلما حاذى أبا سفيان كبَّر ثلاثاً وكبَّر أصحابه، فقال: من هذا؟ قال: الزبير بن العوام. قال: ابن أختك، قال: نعم. ومرَّت نفر من غِفار في ثلاثمائة يحمل رايتهم أبو ذرٍ الغفاري، ويقال إيماء بن رَحْضَة، فلما حَاذَوه كبَّروا ثلاثاً. قال: يا أبا الفضل، من هؤلاء؟ قال: بنو غِفار. قال: وما لي ولبني غفار. ثم مضت أسْلَم في أربعمائة فيها لواءان: يحمل أحدهما بُرَيدة بن الحُصَيب، والآخر ناجِية بن الأعجم، فلما حاذَوْه كبَّروا ثلاثاً. فقال: من هؤلاء؟ قال: أسلم. قال: يا أبا الفضل: ما لي ولأسْلَم. ما كان بيننا وبينها تِرَة قط. قال العباس: هم

قوم مسلمون دخلوا في الإسلام. ثم مرَّت بنو كعب بن عمرو في خمسمائة يحمل رايتهم بِشر بن شيبان، قال: من هؤلاء؟ قال: هم كعب بن عمرو. قال: نعم، هؤلاء حلفاء محمد؛ فلما حاذَوْه كبَّروا ثلاثاً. ثم مرّت مُزَينة في ألف فيها ثلاثة ألوية وفيها مائة فرس، يحمل ألويتها: النعمان بن مقرِّن، وبلال بن الحارث وعبد الله بن عمرو؛ فلما حاذَوه كبَّروا.

فقال: من هؤلاء؟ قال: مُزَينة. قال: يا أبا الفضل، ما لي ولمُزينة قد جاءتني تقعقع من شواهقها. ثم مرت جُهَينة في ثمانمائة مع قادتها فيها أربعة ألوية: لواء مع أبي زُرعة معْبد بن خالد، ولواء مع سُويد بن صخر، ولواء مع رافع بن مكيث، ولواء مع عبد الله بن بدر؛ فلما حاذَوْه كبَّروا ثلاثاً. ثم مرَّت كِنَانة: بنو ليث، وضمرة، وسعد بن بكر، في مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثي؛ فلما حاذَوْه كبّروا ثلاثاً. فقال: من هؤلاء؟ قال: بنو بكر. قال: نعم، أهل شؤم والله، هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم، أما - والله - ما شُووِرْتُ فيه ولا علمته، ولقد كنت له كارهاً حيث بلغني، لكنه أمرٌ حُمَّ. قال العباس: قد خارَ الله لك في غزوة محمد ﷺ لكم ودخلتم في الإسلام كافة.

قال الواقدي: حدثني عبد الله بن عامر عن أبي عمرو بن حماس قال: مرت بنو ليث وحدها وهم مائتان وخمسون يحمل لواءها الصَّعْب بن جَثَّامة؛ فلما مرَّ كبَّروا ثلاثاً. فقال: من هؤلاء؟ قال: بنو ليث. ثم مرت أشجع وهم آخر من مرَّ وهم في ثلاثمائة معهم لواء يحمله مَعْقِل بن سنان، ولواء مع نُعَيم بن مسعود. فقال أبو سفيان: هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد ﷺ. فقال العباس: أدخل الله الإسلامَ قلوبَهم، فهذا من فضل الله. فسكت؛ ثم قال: ما مضى بعد محمد؟ قال العباس: لم

يمضِ بعد. لو رأيت الكتيبة التي فيها محمد ﷺ رأيت الحديد، والخيل، والرجال وما ليس لأحد به طاقة!! قال: أظن ـ والله ـ يا أبا الفضل!! ومن له بهؤلاء طاقة؟! فلما طلعت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء طلع سواد وغبرة من سنابك الخيل وجعل الناس يمرُّون كل ذلك يقول: ما مرَّ محمد؟ فيقول العباس: لا، حتى مرَّ يسير على ناقته القصواء بين أبي بكر وأُسَيد بن حُضَير وهو يحدّثهما. فقال العباس: هذا رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار، فيها الرايات والألوية، مع كل بطل من الأنصار راية ولواء في الحديد لا يُرى فيه إلا الحَدَق، ولعمر بن الخطاب فيها زَجَل، وعليه الحديد بصوت عالٍ وهو يزَعها، فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل، من هذا المتكلم؟ قال: عمر بن الخطاب، قال: لقد أَمِرَ أَمْرُ بني عدي بعد ـ والله ـ قلّة وذلّة. فقال العباس: يا أبا سفيان، إن الله يرفع ما يشاء بما يشاء، وإن عمر ممن رفعه الإسلام. وقال: في الكتيبة ألفا درع. وأعطى رسول الله ﷺ رايته سعد بن عبادة فهو أمام الكتيبة. فلمّا مرَّ سعد براية النبي ﷺ نادى: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحلُّ الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشاً. فأقبل رسول الله ﷺ حتى إذا حاذى بأبي سفيان ناداه: يا رسول الله، أمرتَ بقتل قومك؟ زعم سعد ومن معه حين مرَّ بنا، فقال: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحلُّ الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشاً، وإني أَنْشدُكَ الله في قومك، فأنت أبرُّ الناس. قال عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان: يا رسول الله، ما نأمن سعداً أن يكون منه في قريش صَوْلة. فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة، اليوم أعزَّ الله فيه قريشاً». قال: وأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فعزله وجعل اللواء إلى قيس. ورأى رسول الله ﷺ أنّ اللواء لم يخرج من سعد حين صار لابنه، فأبى سعد أن يسلّم اللواء إلّا بالأمارة من النبي ﷺ.

فأرسل رسول الله ﷺ إليه بعمامته فعرفها سعد، فدفع اللواء إلى ابنه قيس.

وأخرجه الطبراني عن أبي ليلى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ، فقال: «إن أبا سفيان في الأرَاك» فدخلنا فأخذناه، فجعل المسلمون يَحُوُونه بجفون سيوفهم حتى جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ، فقال له: «ويحك يا أبا سفيان! قد جئتكم بالدنيا والآخرة، فأسلموا تسلموا»، وكان العباس له صديقاً، فقال له العباس رضي الله عنه: يا رسول الله، إن أبا سفيان يحب الصوت. فبعث رسول الله ﷺ منادياً ينادي بمكة: «من أغلق بابه فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن. ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن». ثم بعث معه العباس حتى جلسا على عقبة الثنية. فأقبلت بنو سليم فقال: يا عباس، من هؤلاء؟ قال: هذه بنو سُلَيم. فقال: وما أنا وسُلَيم. ثم أقبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المهاجرين، ثم أقبل رسول الله ﷺ في الأنصار فقال: يا عباس، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الموت الأحمر! هذا رسول الله ﷺ في الأنصار. فقال أبو سفيان: لقد رأيت ملك كسرى وقيصر فما رأيت مثل ملك ابن أخيك!! فقال العباس: إنما هي النبوَّة. قال الهيثمي (6/ 170): رواه الطبراني، وفيه: حر بن الحسن الطّحان وهو ضعيف وقد وُثِّق. انتهى.

وأخرج الطبراني عن عروة رضي الله عنه مرسلاً قال: ثم خرج رسول الله ﷺ في اثني عشر ألفاً: من المهاجرين، والأنصار، وأسْلَم، وغِفار، وجُهينة، وبني سُلَيم، وقادوا الخيول حتى نزلوا بمرٍّ الظهران ولم تعلم بهم قريش، وبعثوا بحكيم بن حِزام وأبي سفيان إلى رسول الله ﷺ وقالوا: خذ لنا منه جواراً أو آذنوه بالحرب. فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام فلقيا بُدَيل بن ورقاء

فاسْتَصْحَبَاه، حتى إذا كانا بالأراك من مكة ـ وذلك عشاء ـ رأوا الفساطيط والعسكر، وسمعوا صهيل الخيل، فراعهم وفزعوا منه وقالوا: هؤلاء بنو كعب حاشتها الحرب. فقال بُديل: هؤلاء أكبر من بني كعب!! ما بلغ تأليبها هذا، أفتنتجع هوازن أرضنا؟ والله ما نعرف هذا أيضاً، إنَّ هذا لمثل حاج الناس. وكان رسول الله ﷺ قد بعث بين يديه خيلاً تقبض العيون، وخزاعة على الطريق لا يتركون أحداً يمضي. فلما دخل أبو سفيان وأصحابه عسكر المسلمين أخذتهم الخيل تحت الليل وأتوا بهم خائفين القتل. فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي سفيان فوجأ في عنقه، والتزمه القوم وخرجوا به ليدخلوه على رسول الله ﷺ فخاف القتل ـ وكان العباس بن عبد المطَّلب رضي الله عنه خالصة له في الجاهلية ـ فصاح بأعلى صوته: ألّا تأمروا لي إلى عباس؟ فأتاه عباس فدفع عنه، وسأل رسول الله ﷺ أن يقبضه إليه ومشى في القوم مكانه. فركب به عباس تحت الليل فسار به في عسكر القوم حتى أبصروه أجمع، وقد كان عمر قد قال لأبي سفيان حين وجأ عنقه: والله لا تدنو من رسول الله ﷺ حتى تموت. فاستغاث بعباس فقال: إني مقتول، فمنعه من الناس أن ينتهبوه. فلما رأى كثرة الناس وطاعتهم قال: لم أرَ كالليلة جمعاً لقوم. فخلَّصه العباس من أيديهم وقال: إنك مقتول إن لم تسلم وتشهد أن محمداً رسول الله. فجعل يريد يقول الذي يأمره العباس فلا ينطلق لسانه فبات مع عباس. وأما حَكيم بن حِزَام وبُدَيل بن ورقاء فدخلا على رسول الله ﷺ فأسلما وجعل يستخبرهما عن أهل مكة. فلما نُودي بالصلاة صلاة الصبح تحيَّن القوم، ففزع أبو سفيان فقال: يا عباس، ماذا تريدون؟ قال: هم المسلمون يتيسرون بحضور رسول الله ﷺ، فخرج به عباس. فلما أبصرهم أبو

سفيان قال: يا عباس، أما يأمرهم بشيء إلا فعلوه؟ فقال عباس: لو نهاهم عن الطعام والشراب لأطاعوه. قال عباس: فكلِّمه في قومك هل عنده من عفو عنهم. فأتى العباس بأبي سفيان حتى أدخله على النبي ﷺ، فقال عباس: يا رسول الله، هذا أبو سفيان. فقال أبو سفيان: يا محمد، إني قد استنصرت إلهي واستنصرت إلهك، فوالله ما رأيتك إلا قد ظهرت عليّ!! فلو كان إلَهي محقّاً وإلهك مبطلاً لظهرتُ عليك!! فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقال عباس: يا رسول الله، إني أحب أن تأذن لي آتي قومك فأنذرهم ما نزل وأدعوهم إلى الله ورسوله. فأذن له، فقال عباس: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ بيِّن لي من ذلك أماناً يطمئنون إليه، قال رسول الله ﷺ: «تقول لهم: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله فهو آمن، ومن جلس عند الكعبة فوضع سلاحه فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن». فقال عباس: يا رسول الله، أبو سفيان ابن عمنا وأحبّ أن يرجع معي، فلو اختصصته بمعروف. فقال النبي ﷺ: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن». فجعل أبو سفيان يستفقه ودار أبي سفيان بأعلى مكة، ومن دخل دار حكيم بن حزام وكف يده فهو آمن، ودار حكيم بأسفل مكة. وحمل النبي ﷺ عباساً على بغلته البيضاء التي كان أهداها إليه دِحْية الكلبي رضي الله عنه. فانطلق عباس بأبي سفيان قد أردفه، فلما سار عباس بعث النبي ﷺ في إثره فقال: أدركوا عباساً فردوه عليّ، وحدَّثهم بالذي خاف عليه، فأدركه الرسول، فكره عباس الرجوع وقال: أيرهب رسول الله ﷺ أن يرجع أبو سفيان راغباً في قلّة الناس فيكفر بعد إسلامه؟ فقال: احبِسْه فحبسه. فقال أبو سفيان: أغدراً يا بني هاشم؟! فقال عباس: إنا لسنا نغدر، ولكن لي إليك بعض الحاجة.

قال: وما هي؟ أقضيها لك. قال: تُفادها حين يقدم عليك خالد بن الوليد، والزبير بن العوام. فوقف عباس بالمضيق دون الأراك من مرّ، وقد وعى أبو سفيان منه حديثه. ثم بعث رسول الله ﷺ الخيل بعضها على إثر بعض، وقسم رسول الله ﷺ الخيل شطرين: فبعث الزبير، وردفه خيل بالجيش من أسْلَم وغفار وقضاعة. فقال أبو سفيان: رسول الله ﷺ هذا يا عباس؟ قال: لا ولكن خالد بن الوليد. وبعث رسول الله ﷺ سعد بن عبادة رضي الله عنه بين يديه في كتيبة الأنصار. فقال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحلُّ الحرمة. ثم دخل رسول الله ﷺ في كتيبة الإيمان: المهاجرين والأنصار. فلما رأى أبو سفيان وجوهاً كثيرة لا يعرفها فقال: يا رسول الله، أكثرت أو اخترت هذه الوجوه على قومك؟ فقال رسول الله ﷺ: «أنت فعلتَ ذلك وقومُك، إنَّ هؤلاء صدّقوني إذ كذبتموني، ونصروني إذ أخرجتموني» - ومع النبي ﷺ يومئذٍ الأقرع بن حابس، وعباس بن مرداس، وعُيينة بن حصن بن بدر الفَزاري - فلما أبصرهم حول النبي ﷺ قال: من هؤلاء يا عباس؟ قال: هذه كتيبة النبي ﷺ ومع هذه الموت الأحمر!! هؤلاء المهاجرون والأنصار. قال: امضِ يا عباس، فلم أرَ كاليوم جنوداً قطُّ ولا جماعة.

فسار الزبير في الناس حتى وقف بالحَجُون، واندفع خالد حتى دخل من أسفل مكة فلقيه أوباش بني بكر فقاتلوهم، فهزمهم الله عزّ وجلّ، وقُتلوا بالحَزْوَرة حتى دخلوا الدور، وارتفع طائفة منهم على الخيل على الخَنْدَمة، واتبعه المسلمون، فدخل النبي ﷺ في أخريات الناس، ونادى منادٍ: من أغلق عليه داره وكف يده فإنه آمن، ونادى أبو سفيان بمكة: أسلموا تسلموا، وكفَّهم الله عزّ وجلّ عن عباس. وأقبلت

هند بنت عتبة فأخذت بلحية أبي سفيان ثم نادت: يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق. قال: فأرسلي لحيتي، فأقسم بالله إن أنتِ لم تسلمي لتضربنَّ عنقك. ويلكِ جاء بالحق فادخلي أريكتك، ـ أحسَبُهُ قال ـ: واسكتي. قال الهيثمي (6/ 173): رواه الطبراني مرسلاً وفيه: ابن لِهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف. انتهى. وأخرجه أيضاً ابن عائذ في «مغازي» عروة بطوله كما في «الفتح» (8/ 4)، وأخرجه البخاري عن عروة مختصراً؛ والبيهقي (9/ 119) كذلك.

وأخرج الواقدي، وابن عساكر، وابن سعد عن سهيل بن عمرو رضي الله عنه قال: لمَّا دخل رسول الله ﷺ مكة وظهر اقتحمت بيتي، وأغلقت عليّ بابي، وأرسلت ابني عبد الله بن سهيل أنِ اطلبْ لي جِواراً من محمد ﷺ؛ فإني لا آمن أن أُقتل. فذهب عبد الله بن سهيل فقال: يا رسول الله، أبي تُؤمنه؟ قال: نعم، هو آمن بأمان الله فليظهرْ. ثم قال رسول الله ﷺ لمن حوله: «من لقي منكم سهيلاً فلا يشد إليه النظر، فليخرج، فلعمري إن سهيلاً له عقل وشرف، وما مثل سهيل جهل الإسلام، والقدر أيّ ما كان يوضع فيه إنه لم يكن له بنافع». فخرج عبد الله إلى أبيه فأخبره بمقالة رسول الله ﷺ، فقال سهيل: كان ـ والله ـ براً صغيراً وكبيراً. فكان سهيل يقبل ويدبر، وخرج إلى حُنَين مع رسول الله ﷺ وهو على شركه حتى أسلم بالجِعْرانة، فأعطاه رسول الله ﷺ يومئذٍ من غنائم حُنَين مائة من الإبل. كذا في «كنز العمال» (5/ 294)؛ وأخرجه أيضاً الحاكم في «المستدرك» (3/ 281) مثله.

وأخرج ابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لمَّا كان يوم الفتح ورسول الله ﷺ بمكة أرسل إلى صفوان بن أمية وإلى أبي سفيان بن حرب وإلى الحارث بن هشام ـ قال عمر: فقلت: قد

أمكن الله منهم لأعرفنَّهم بما صنعوا ـ حتى قال رسول الله ﷺ: «مَثَلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: 92]. قال عمر: فافتضحت حياءً من رسول الله ﷺ كراهية أن يكون بدر مني، وقد قال لهم رسول الله ﷺ ما قال كذا في «الكنز» (5/ 292).

وعند ابن زنجويه في كتاب «الأموال» من طريق ابن أبي حسين: قال: لمَّا فتح رسول الله ﷺ مكة دخل البيت ثم خرج فوضع يده على عضادتي الباب فقال: «ماذا تقولون؟» فقال سهيل بن عمرو: نقول ونظنُّ خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، وقد قَدَرتَ. فقال: «أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: 92]. كذا في «الإصابة» (2/ 93).

وأخرجه البيهقي (9/ 118) من طريق القاسم بن سلام بن مسكين عن أبيه، عن ثابت البُنَاني عن عبد الله بن رَبَاح عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ فذكر الحديث، وفيه: قال: ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال: «ما تقولون؟ وما تظنون؟» قالوا: نقول: ابن أخ، وابن عم حليم رحيم. قال: وقالوا ذلك ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: «أقول كما قال يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: 92]. قال: فخرجوا كأنما نُشِروا من القبور، فدخلوا في الإسلام. قال البيهقي: وفيما حكى الشافعي عن أبي يوسف في هذه القصَّة: أنه قال لهم حين اجتمعوا في المسجد: «ما ترون أني صانع بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم!! قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». انتهى.

* * *

قصة إسلام عِكْرمة بن أبي جهل رضي الله عنه

أخرج الواقدي وابن عساكر عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: لمَّا كان يوم الفتح أسلمت أُم حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة بن أبي جهل، ثم قالت أمُّ حكيم: يا رسول الله، قد هرب عِكْرمة منك إلى اليمن وخاف أن تقتله فآمِنْه، فقال رسول الله ﷺ: «هو آمن». فخرجَتْ في طلبه ومعها غلام لها رومي، فراودها عن نفسها، فجعلت تمنِّيه حتى قدمت على حيّ من عَكّ، فاستعانتهم عليه فأوثقوه رباطاً، وأدركت عِكرمة وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة، فركب البحر، فجعل نُوتِيُّ السفينة يقول له: أخلِص. قال: أي شيء أقول؟ قال: قل لا إله إلا الله. قال عكرمة: ما هربت إلَّا من هذا. فجاءت أم حكيم على هذا من الأمر فجعلت تليح إليه وتقول: يا بن عم، جئتك من عند أوصل الناس، وأبرِّ الناس، وخير الناس؛ لا تُهلك نفسك. فوقف لها حتى أدركته، فقال: إني قد استأمنت لك رسول الله ﷺ. قال: أنت فعلت؟ قالت: نعم. أنا كلمته فآمنك. فرجع معها، وقالت: ما لقيتُ من غلامك الرومي؟! وخبَّرته خبره، فقتله عكرمة وهو يومئذٍ لم يسلم.

فلما دنا من مكة قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «يأتيكم عِكْرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً فلا تسبُّوا أباه، فإنَّ سبَّ الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت». قال: وجعل عكرمة يطلب امرأته يجامعها فتأبى عليه

وتقول: إنك كافر وأنا مسلمة. فيقول: إنَّ أمراً منعكِ مني لأمرٌ كبير.
فلما رأى النبي ﷺ عِكرمة وثب إليه وما على النبي ﷺ رداء فرحاً بعِكْرمة. ثم جلس رسول الله ﷺ فوقف بين يديه ومعه زوجتُه متَنَقِّبَة فقال: يا محمد، إنَّ هذه أخبرتني أنك آمنتني. فقال رسول الله ﷺ: «صَدَقَتْ، فأنت آمن»، قال عكرمة: فإلامَ تدعو يا محمد؟ قال: «أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتيَ الزكاة، وتفعل وتفعل» حتى عدَّ خصال الإسلام. فقال عكرمة: والله، ما دعوت إلَّا إلى الحق وأمر حسن جميل، قد كنتَ ـ والله ـ فينا قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليه وأنت أصدقنا حديثاً، وأبرُّنا براً. ثم قال عكرمة: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ. ثم قال: يا رسول الله، علِّمني خيرَ شيء أقوله. فقال: تقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله». فقال عكرمة: ثم ماذا؟ قال رسول الله ﷺ: تقول «أشهد الله، وأشهد من حضر أني مسلم مجاهد مهاجر». فقال عكرمة ذلك.

فقال رسول الله: «لا تسألني اليوم شيئاً أعطيه أحداً إلَّا أعطيتُكَه». قال عكرمة: فإني أسألك أن تستغفر لي كل عداوة عاديتُكَها، أو مسير أوْضَعْتُ فيه، أو مقام لقيتك فيه، أو كلام قلته في وجهك، أو أنت غائب عنه. فقال رسول الله ﷺ «اللَّهمَّ اغفر له كل عداوة عادانيها، وكل مسير سار فيه إلى موضع يريد بذلك المسير إطفاء نورك، واغفر له ما نال مني من عرض في وجهي أو أنا غائب عنه». فقال عكرمة: رضيتُ يا رسول الله. ثم قال عكرمة: أما ـ والله ـ يا رسول الله لا أَدَعُ نفقة كنت أنفقتها في صدٍّ عن سبيل الله إلَّا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالاً كنت أقاتل في صدٍّ عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله. ثم

اجتهد في القتال حتى قُتل شهيداً. فردَّ رسول الله ﷺ امرأته بذلك النكاح الأول.

قال الواقدي عن رجاله؛ وقال سهيل بن عمرو يوم حُنين: لا يختبرها محمد وأصحابه. قال: يقول له عكرمة: إن هذا ليس بقول، إنما الأمر بيد الله وليس إلى محمد من الأمر شيء، إنْ أُديل عليه اليوم فإنَّ له العاقبة غداً. قال: يقول سهيل: والله إنَّ عهدك بخلافه لحديث، قال: يا أبا يزيد، إنَّا كنَّا - والله - نوضع في غير شيء وعقولنا عقولنا، نعبد حجراً لا يضر ولا ينفع. كذا في «كنز العمال» (7/ 75).

وأخرجه أيضاً الحاكم (3/ 241) من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، ولكنه اقتصر فيه إلى قوله: فلمَّا بلغ باب رسول الله ﷺ استبشر، ووثب له رسول الله ﷺ قائماً على رجليه فرحاً بقدومه. ثم أخرج عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: قال عكرمة بن أبي جهل: لمَّا انتهيت إلى رسول الله ﷺ قلت: يا محمد، إنَّ هذه أخبرتني أنَّك آمنتني.

فقال رسول الله ﷺ: «أنت آمن». فقلت: أشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبد الله ورسوله، وأنت أبرُّ الناس، وأصدق الناس، وأوفى الناس. قال عكرمة: أقول ذلك وإني لمطأطىء رأسي استحياءً منه، ثم قلت: يا رسول الله، استغفر لي كل عداوة عاديتكَها، أو مَرْكب أوضعت فيه أُريد فيه إظهار الشرك. فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها، أو مَوْكب (في نسخة بهامش المستدرك: مَرْكب) أوضع فيه يريد أن يصدَّ عن سبيلك». قلت: يا رسول الله، مُرني بخير ما تعلم فأعملهُ. قال: «قل: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وتجاهد في سبيله». ثم قال عكرمة: أما -

والله ـ يا رسول الله، لا أدع نفقة كنت أنفقتها في الصدِّ عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قاتلت قتالاً في الصدِّ عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله.

ثم اجتهد في القتال حتى قتل يوم أَجْنَادِين شهيداً في خلافة أبي بكر رضي الله عنه. وقد كان رسول الله ﷺ استعمله عام حجته على هوازن يُصدِّقها؛ فتوفي رسول الله ﷺ وعكرمة يومئذٍ بتَبالة. وقد أخرج الطبراني أيضاً عن عروة رضي الله عنه قصَّة إسلامه مختصراً كما في المجمع (6/ 174).

* * *

قصة إسلام صفوان بن أمية
رضي الله عنه

أخرج الواقدي وابن عساكر عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: لما كان يوم الفتح أسلمت امرأة صفوان بن أُمية ـ البَغوم بنت المعدَّل من كِنَانة ـ وأما صفوان بن أُمية فهرب حتى أتى الشِّعْب وجعل يقول لغلامه يَسار ـ وليس معه غيره ـ: ويحك، انظر من ترى؟ قال: هذا عمير بن وَهْب. قال صفوان: ما أصنع بعمير؟! والله، ما جاء إلَّا يريد قتلي، قد ظاهر محمداً عليّ، فلحقه فقال: يا عمير، ما كفاك ما صنعت بي؟! حمَّلْتني دَيْنك، وعيالك، ثم جئت تريد قتلي!! قال: أبا وَهْب، جُعِلتُ فداك، جئتك من عند أبرِّ الناس وأوصل الناس، وقد كان عُمَير قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، سيد قومي خرج هارباً ليقذف نفسه في البحر وخاف أن لا تؤمِّنه، فآمنْه فداك أبي وأمِّي. فقال رسول الله ﷺ: «قد آمنته» فخرج في أثره فقال: إن رسول الله ﷺ قد آمنك.

فقال صفوان: لا والله لا أرجع معك حتى تأتيني بعلامة أعرفها. فقال رسول الله ﷺ: «خُذْ عِمامتي»، فرجع عمير إليه بها وهو البُرد الذي دخل فيه رسول الله ﷺ يومئذٍ معتجراً به بُرْد حِبَرَة. فخرج عمير في طلبه الثانية حتى جاء بالبُرْد فقال: أبا وَهْب، جئتك من عند خير الناس، وأوصل الناس، وأبرِّ الناس، وأحلم الناس. مجده مجدك، وعزُّه عزك، وملكه ملكك، ابن أمك وأبيك! وأُذكِّرُكَ الله في نفسك. قال له: أخاف

أنْ أُقتل. قال: قد دعاك إلى أن تدخل في الإِسلام، فإن يَسرُّكَ، وإلا سيَّرك شهرين، فهو أوفى الناس وأبرهم وقد بعث إليك ببُرْده الذي دخل به مُعتَجراً. فعرفه. قال: نعم. فأخرجه فقال: نعم، هو، هو. فرجع صفوان حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يصلِّي بالناس العصر في المسجد، فوقفا. فقال صفوان: كم يصلُّون في اليوم والليلة؟ قال: خمس صلوات. قال: يصلِّي بهم محمد؟ قال: نعم. فلما سلَّم صاح صفوان: يا محمد، إنَّ عُمَير بن وَهْب جاءني ببُرْدك وزعم أنك دعوتني إلى القدوم عليك، فإن رضيتُ أمراً وإلَّا سيَّرتني شهرين؟ قال: «انزل أبا وَهْب». قال: لا والله حتى تُبيِّن لي. قال: «بل لك أن تسيَّر أربعة أشهر»، فنزل صفوان.

وخرج رسول الله ﷺ قِبَل هوازن وخرج معه صفوان وهو كافر، وأرسل إليه يستعيره سلاحَه فأعاره سلاحه مائة درع بأداتها. فقال صفوان: طوْعاً أو كَرْهاً؟. فقال رسول الله ﷺ: «عاريَّة رادَّة». فأعاره، فأمره رسول الله ﷺ فحملها إلى حنين فشهد حنيناً والطائف، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى الجِعْرانة. فبينا رسول الله ﷺ يسير في الغنائم ينظر إليها ـ ومعه صفوان بن أمية ـ فجعل صفوان بن أمية ينظر إلى شِعْب ملاء نَعَماً وشاءً ورِعاء، فأدام النظر إليه ورسول الله ﷺ يرمقه فقال: «أبا وَهْب، يعجبك هذا الشِّعْب؟» قال: نعم. قال: «هُو لك وما فيه». فقال صفوان عند ذلك: ما طابت نفسُ أحد بمثل هذا إلا نفس نبي؛ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله. وأسلم مكانه. كذا في «الكنز» (5/ 294). وأخرجه ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة رضي الله عنها مختصراً؛ كما في «البداية» (4/ 308).

وأخرج الإمام أحمد (6/ 465) عن أمية بن صفوان بن أمية عن أبيه: أن رسول الله ﷺ استعار منه يوم حنين أدراعاً، فقال: أَغَصْباً يا محمد؟ قال: «بل عارية مضمونة». قال: فضاع بعضها، فعرض عليه رسول الله ﷺ أنْ يضمنها له. قال: أنا اليوم - يا رسول الله - في الإسلام أَرْغَبُ. انتهى.

* * *

قصة إسلام حُوَيطب بن عبد العزى
رضي الله عنه

أخرج الحاكم (3/ 493) عن المنذر بن جَهْم قال: قال حوَيطب بن عبد العُزّى: لمَّا دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح خفت خوفاً شديداً، فخرجتُ من بيتي وفرّقت عيالي في مواضع يأمنون فيها، فانتهيت إلى حائط عوف فكنت فيه، فإذا أنا بأبي ذرٍّ الغفاري وكانت بيني وبينه خُلَّة - والخُلة أبداً مانعةٌ - فلما رأيته هربت منه. فقال: أبا محمد، فقلت: لبيك. قال: ما لك؟ قلت: الخوف. قال: لا خوف عليك، أنت آمن بأمان الله عزّ وجلّ. فرجعت إليه فسلّمت عليه، فقال: اذهب إلى منزلك. قلت: هل لي سبيل إلى منزلي؟ والله ما أُراني أصل إلى بيتي حيّاً حتى أُلفى فأقتل أو يُدخل عليَّ منزلي فأُقتل، وإنَّ عيالي لفي مواضع شتى. قال: فاجمع عيالك في موضع وأنا أبلغ معك إلى منزلك. فبلغ معي وجعل ينادي عليَّ: إنَّ حويطباً آمن فلا يُهج. ثم انصرف أبو ذرٍّ رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: أوليس قد أمن الناسُ كلهم إلَّا من أمرت بقتلهم؟ قال: فاطمأننتُ ورددتُ عيالي إلى منازلهم وعاد إليَّ أبو ذرٍّ، فقال لي: يا أبا محمد، حتى متى؟! وإلى متى؟! قد سُبقت في المواطن كلِّها، وفاتك خير كثير وبقي خير كثير، فأْتِ رسول الله ﷺ فأسلم تسلم، ورسول الله ﷺ أبرُّ الناس، وأوصل الناس، وأحلم الناس، شرفه شرفك، وعزُّه عزك. قال: قلت: فأنا أخرج معك فآتيه. فخرجت معه حتى أتيت رسول الله ﷺ بالبطحاء وعنده أبو بكر،

وعمر، فوقفت على رأسه وسألت أبا ذر: كيف يقال إذا سُلِّم عليه؟ قال: قل: السلام عليك أيُّها النبيُّ ورحمة الله وبركاته. فقلتها، فقال: «وعليك السلام حُوَيطب». فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّك رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي هداك». قال: وسُرَّ رسول الله ﷺ بإسلامي، واستقرضني مالاً فأقرضته أربعين ألف درهم، وشهدت معه حُنَيناً والطائف وأعطاني من غنائم حُنَين مائة بعير.

وأخرجه أيضاً ابن سعد في «الطبقات» من طريق المنذر بن جَهْم وغيره عن حويطب نحوه؛ كما في «الإصابة» (1/ 364). وأخرج الحاكم أيضاً (3/ 492) عن إبراهيم بن جعفر بن محمود بن محمد بن سلمة الأشهلي عن أبيه ـ فذكر الحديث، وفيه: ثم قال حويطب: ما كان في قريش أحد من كبرائها الذين بَقُوا على دين قومهم إلى أن فُتحت مكة أكرهَ لما فتحت عليه مني، ولكنَّ المقادير!!.. ولقد شهدت بدراً مع المشركين فرأيت عِبَراً، فرأيت الملائكة تقتل وتأسر بين السماء والأرض، فقلت: هذا رجل ممنوع، ولم أذكر ما رأيت لأحدٍ، فانهزمنا راجعين إلى مكة، فأقمنا بمكَّة وقريش تُسلم رجلاً رجلاً.

فلمَّا كان يوم الحديبية حضرت وشهدت الصلح ومشيت فيه حتى تمَّ، وكل ذلك يزيد الإسلامَ ويأبى الله عزّ وجلّ إلا ما يريد. فلما كتبنا صلح الحديبية كنت آخر شهوده، وقلت: لا ترى قريش من محمد إلا ما يسؤوها، قد رضيت إن دافعته بالرماح. ولمَّا قدم رسول الله ﷺ لعمرة القضاء وخرجت قريش من مكة، كنت فيمن تخلَّف بمكة أنا وسهيل بن عمرو لأن نُخرج رسول الله ﷺ إذا مضى الوقت، فلما انقضت الثلاث أقبلتُ أنا وسُهيل بن عمرو فقلنا: قد مضى شرطُك فاخرج من بلدنا، فصاح: «يا بلال لا تَغِبِ الشمس وواحدٌ من المسلمين بمكة ممَّن قَدِم معنا».

قصة إسلام الحارث بن هشام رضي الله عنه

أخرج الحاكم (3/ 277) عن عبد الله بن عكرمة قال: لما كان يوم الفتح دخل الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة على أمّ هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها فاستجارا بها، فقالا: نحن في جوارك، فأجارتهما. فدخل عليهما علي بن أبي طالب فنظر إليها، فشهر عليهما السيف، فتفلَّت عليهما، واعتنقته وقالت: تصنع بي هذا من بين الناس؟! لَتَبدأنَّ بي قبلهما. فقال: تُجيرين المشركين، فخرج. قالت أمُّ هانىء: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، ما لقيت من ابن أمي عليّ؟! ما كدت أفلت منه!! أجرت حَمَوَين لي من المشركين فانفلت عليهما ليقتلهما. فقال رسول الله ﷺ: «ما كان ذلك له، قد أجرنا من أجرتِ، وآمنَّا من آمنتِ». فرجعت إليهما فأخبرتهما فانصرفا إلى منازلهما. فقيل لرسول الله ﷺ: الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة جالسان في ناديهما متنضِّلين في المِلاء المزعفرة. فقال رسول الله ﷺ: «لا سبيل إليهما قد آمنَّاهما». قال الحارث بن هشام: وجعلت أستحيي أن يراني رسول الله ﷺ، وأذكر رؤيته إياي في كل موطن من المشركين، ثم أذكر برَّه ورحمته فألقاه وهو داخل المسجد فتلقَّاني بالبشر، ووقف حتى جئته فسلَّمت عليه وشهدت شهادة الحق. فقال: «الحمد لله الذي هداك، ما كان مثلك يجهل الإسلام». قال الحارث: فوالله ما رأيت مثل الإسلام جُهِلَ.

* * *

قصة إسلام النضير بن الحارث العبدري رضي الله عنه

أخرج الواقدي عن إبراهيم بن محمد بن شُرحبيل العبدري عن أبيه قال: كان النُضير بن الحارث من أعلم الناس، وكان يقول: الحمد لله

الذي أكرمنا بالإسلام، ومنَّ علينا بمحمد ﷺ، ولم نَمُتْ على ما مات عليه الآباء، لقد كنت أوضعُ مع قريش في كل وجهة، حتى كان عام الفتح وخرج إلى حنين، فخرجنا معه ونحن نريد إن كانت دبرة على محمد أن نُعين عليه فلم يمكنّا ذلك. فلما صار بالجِعْرّانة فوالله إني لعلّى ما أنا عليه إنْ شعرتُ إلَّا برسول الله ﷺ تلقَّاني بفرحة، فقال: «النضير؟» قلت: لبيك. قال: «هذا خيرٌ ممَّا أردت يوم حنين!!» قال: فأقبلت إليه سريعاً فقال: «قد آن لك أن تبصر ما أنت فيه». فقلت: قد أرى. فقال: «اللهم زده ثباتاً». قال: فوالذي بعثه بالحق لكأنَّ قلبي حجراً ثباتاً في الدين ونصرة في الحق. ثم رجعت إلى منزلي فلم أشعر إلا برجل من بني الدُّؤَل يقول: يا أبا الحارث قد أمر لك رسول الله ﷺ بمائة بعير، فأجِزْ لي منها فإنَّ عليَّ ديناً. قال: فأردت أن لا آخذها وقلت: ما هذا منه إلَّا تألُّف، ما أُريد أن أرتشي على الإسلام، ثم قلت: والله ما طلبتها ولا سألتها. فقبضتها وأعطيت الدُّؤَلي منها عشراً. كذا في «الإصابة» (3/ 558).

* * *

قصة إسلام ثقيف أهل الطائف

ذكر ابن إسحاق أنَّ رسول الله ﷺ لما انصرف عن ثقيف اتَّبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام. فقال له رسول الله ﷺ: «إنَّهم قاتلوك» ـ وعرف رسول الله ﷺ أنَّ فيهم نخوة الامتناع للذي كان منهم ـ فقال عروة: يا رسول الله، أنا أحب إليهم من أبكارهم. وكان فيهم كذلك محبَّباً مطاعاً.

فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه بمنزلته فيهم، فلما أشرف على عُلِّيَّة له ـ وقد دعاهم إلى الإسلام وأظهر لهم دينه ـ رمَوْه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله. فقيل لعروة: ما ترى في دمك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ. فليس فيَّ إلَّا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم، فادفنوني معهم، فدفنوه معهم. فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه: «إن مَثَلَهُ في قومه كمثل صاحب ياسين في قومه».

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً، ثم إنَّهم ائتمروا بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا، ثم أجمعوا على أن يرسلوا رجلاً منهم، فأرسلوا عبد ياليل بن عمرو ومعه اثنان من الأحلاف وثلاثة من بني مالك. فلما دنَوا من المدينة ونزلوا قناة ألفَوا المغيرة بن شعبة يرعى في نَوْبته

ركاب أصحاب رسول الله ﷺ. فلمّا رآهم ذهب يشتدُّ ليبشِّر رسول الله ﷺ بقدومهم، فلقيه أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، فأخبره عن ركب ثقيف أن قدموا يريدون البَيْعة والإسلام إن شرط لهم رسول الله شروطاً، ويكتبوا كتاباً إلى قومهم. فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمتُ عليك لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ حتى أكون أنا أحدّثه، ففعل المغيرة، فدخل أبو بكر فأخبر رسول الله ﷺ بقدومهم. ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فروَّح الظَّهر معهم، وعلمهم كيف يُحيُّون رسول الله ﷺ فلم يفعلوا إلّا بتحية الجاهلية. ولمَّا قدموا على رسول الله ﷺ ضربت عليه قُبة في المسجد، وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ، فكان إذا جاءهم بطعام من عنده لم يأكلوا منه حتى يأكل خالد بن سعيد قبلهم، وهو الذي كتب لهم كتابهم. قال: وكان ممّا اشترطوا على رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية ثلاث سنين. فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم، حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم ليتألّفوا سفهاءهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمّى؛ إلّا أن يبعث معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ليهدماها، وسألوه مع ذلك أن لا يصلُّوا وأن لا يكسروا أصنامهم بأيديهم. فقال: «أما كسر أصنامكم بأيديكم فسنُعفيكم، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه». فقالوا: سنؤتيكها وإن كانت دناءة.

وقد أخرج أحمد عن عثمان بن أبي العاص أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ فأنزلهم المسجد ليكون أرقَّ لقلوبهم، فاشترطوا على رسول الله ﷺ أن لا يُحشَروا ولا يُعشَّروا، ولا يُجَبُّوا، ولا يستعمل عليهم غيرهم. فقال رسول الله ﷺ: «لكم أنْ لا تُحشروا، ولا تجبوا،

ولا يستعمل عليكم غيركم، ولا خير في دين لا ركوع فيه». وقال عثمان بن أبي العاص: يا رسول الله، علِّمني القرآن واجعلني إمام قومي. وقد رواه أبو داود أيضاً.

وأخرج أبو داود أيضاً عن وَهْب: سألت جابراً رضي الله عنه عن شأن ثقيف إذ بايعتْ، قال: اشترطتْ على رسول الله ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد، وأنه سمع رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك: «سيتصدَّقون ويجاهدون إذا أسلموا» ـ انتهى من «البداية» (5/ 29) مختصراً.

وأخرج أحمد وأبو داود، وابن ماجه عن أوس بن حذيفة رضي الله عنه قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف، قال: فنزلت الأحلاف على المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبة له، كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدِّثنا قائماً على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام. فأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه من قريش، ثم يقول: «لا آسى، وكنَّا مستضعفين مستذلِّين بمكة. فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم نُدال عليهم ويُدالون علينا». فلما كانت ليلة أبطأ عنا الوقت الذي كان يأتينا فيه فقلنا: لقد أبطأت علينا الليلة؟ فقال: «إنه طرأ عليَّ جزئي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أُتِمَّه» كذا في «البداية» (5/ 32)، وأخرجه ابن سعد (5/ 510) عن أوس رضي الله عنه بنحوه.

* * *

دعوة الصحابة رضي الله عنهم

دعوة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قال ابن إسحاق: فلمَّا أسلم أبو بكر رضي الله عنه وأظهر إسلامه دعا إلى الله عزّ وجلّ، وكان أبو بكر رجلاً مألَفاً لقومه ومحبَّباً سَهْلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر. وكان رجلاً تاجراً ذا خُلُق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر: لعلمه، وتجارته، وحسن مجالسته. فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ممَّن يَغْشاه ويجلس إليه. فأسلم على يديه فيما بلغني: الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنهم، فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر فعرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، وأنبأهم بحقّ الإسلام فآمنوا، وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا في الإسلام صدّقوا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله، كذا في «البداية» (3/ 29).

* * *

دعوة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أخرج ابن سعد عن أسبق قال: كنت مملوكاً لعمر بن الخطاب

رضي الله عنه وأنا نصراني. فكان يعرض عليَّ الإسلام ويقول: إنَّك إن أسلمت استعنتُ بك على أمانتي، فإنه لا يحلُّ لي أن أستعين بك على أمانة المسلمين ولستَ على دينهم، فأبيت عليه، فقال: لا إكراه في الدين. فلما حضرته الوفاة، أعتقني وأنا نصراني، وقال: اذهب حيث شئت. وأخرجه أيضاً سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم بنحوه مختصراً. كذا في «الكنز» (5/ 50) وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (9/ 34) عن وسق الرومي مثله، إلا أنّ في روايته: على أمانة المسلمين فإنه لا ينبغي لي أن أستعين على أمانتهم بمن ليس منهم.

وأخرج الدارقطني، وابن عساكر عن أسلم قال: لمَّا كنَّا بالشام أتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بماء توضأ منه. فقال: من أين جئت بهذا الماء؟ فما رأيت ماء عذباً ولا ماء السماء أطيب منه. قلت: جئت به من بيت هذه العجوز النصرانية. فلما توضأ أتاها فقال: أيتها العجوز، أسلمي، بعث الله تعالى محمداً ﷺ بالحق، فكشفت عن رأسها فإذا مثل الثغامة، فقالت: عجوز كبيرة وإنما أموت الآن. فقال عمر: اللَّهم اشهد. كذا في «الكنز» (5/ 142).

* * *

دعوة مصعب بن عمير رضي الله عنه

أخرج ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيره أن أسعد بن زُرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني ظَفَر - وكان سعد بن معاذ ابنَ خالة أسعد بن زرارة - فدخل به حائطاً من حوائط بني ظَفَر على بئر يقال له بئر مَرَق. فجلسا في الحائط واجتمع

إليهما رجال ممَّن أسلم ـ وسعد بن معاذ وأُسَيد بن حُضَير يومئذٍ سيِّدا قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه ـ فلمَّا سمعا به قال سعد لأُسَيد: لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللَّذين قد أتيا دارَيْنا ليسفِّها ضعفاءنا فازجرهما وانهَهُما أن يأتيا دارَيْنا، فإنَّه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتُك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدَّماً. قال: فأخذ أسيد بن حُضَير حربته ثم أقبل إليهما. فلمَّا رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيِّد قومه وقد جاءك فأصْدُقِ الله فيه. قال مصعب: إن يجلس أكلمه. قال: فوقف عليهما مُتَشَتِّماً فقال: ما جاء بكما إلينا تسفِّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. فقال له مصعب: أوَ تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهتَه كُفَّ عنك ما تكره. قال: أنصفتَ. قال ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلَّمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن. فقالا فيما يُذكر عنهما: والله لَعَرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلَّم في إشراقه وتسهُّله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فَتَطَهَّر وتُطهِّر ثوبَيْك، ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلِّي. فقام فاغتسل وطهَّر ثوبيه وتشهَّد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما: إنَّ ورائي رجلاً إن اتَّبعكما لم يتخلَّف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن: سعدَ بن معاذ.

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال: أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيْد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلَّمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حُدِّثت أنَّ بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن

زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنَّه ابن خالتك ليُخْفِروك. قال: فقام سعد بن معاذ مُغْضَباً مبادراً تَخوُّفاً للذي ذُكر له من بني حارثة، وأخذ الحربة في يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً. ثم خرج إليهما سعد فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسَيْداً إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف مُتَشَتِّماً، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أُمامة أمَا والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا منِّي، أتَغْشانا في دارنا بما نكره؟! قال: وقد قال أسعد لمصعب: أيْ مصعب، جاءك ـ والله ـ سيِّدُ مَنْ وراءَه من قومه، إن يتبعك لا يتخلَّف عنك منهم اثنان ـ قال: فقال له مصعب: أوَ تقعد فتسمع، فإن رضيتَ أمراً ورغبتَ فيه قَبِلْتَه، وإن كرهتَه عزلنا عنك ما تكره؟؟ قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن ـ وذكر موسى بن عقبة أنَّه قرأ عليه أول الزخرف ـ، قالا: فعرفنا ـ والله ـ في وجهه الإسلام قبل أن يتكلَّم في إشراقه وتسهُّله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فَتَطَهَّر، وتُطَهِّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلِّي ركعتين. قال: فقام فاغتسل وطهَّر ثوبيه وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعهم أُسَيْد بن حضير.

فلمَّا رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلمَّا وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل: كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبة. قال: فإنَّ كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة. ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن

زُرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون؛ إلا ما كان من دار بني أُمية بن زيد، وخَطْمة؛ ووائل، وواقف، وتلك أوس. كذا في «البداية» (3/ 152).

وأخرجه الطبراني أيضاً وأبو نُعَيم في «دلائل النبوة» عن عروة مطوّلاً ـ فذكر عرضه ﷺ الدعوة على الأنصار وإيمانهم بذلك ما سيأتي في ابتداء أمر الأنصار؛ ثم ذكر دعوتهم قومهم سراً وطلبهم من رسول الله ﷺ بعث مَن يدعو الناس؛ فبعث إليهم مُصعَباً كما تقدم في: ـ إرساله ﷺ الأفراد للدعوة إلى الله وإلى رسوله ـ ثم قال: ثم إنَّ أسعد بن زُرارة أقبل هو ومصعب بن عمير حتى أتيا بئر مَرَق أو قريباً منها. فجلسوا هنالك وبعثوا إلى رَهْط من أهل الأرض فأتَوهم مستخفين، فبينما مصعب بن عمير يحدِّثهم ويقصُّ عليهم القرآن أُخبر بهم سعدُ بن معاذ، فأتاهم في لَأْمته ومعه الرمح حتى وقف عليه. فقال: علامَ يأتينا في دورنا بهذا الوحيد الفريد الطريح الغريب، يسفِّه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم، لا أراكما بعد هذا بشيء من جوارنا. فرجعوا، ثم إنهم عادوا الثانية ببئر مَرَق أو قريباً منها، فأُخبر بهم سعدُ بن معاذ الثانية؛ فواعدهم بوعيد دون الوعيد الأول. فلما رأى أسعد منه ليناً قال: يا ابن خالة اسمع من قوله، فإن سمعت منه منكراً فاردده يا هذا منه، وإن سمعت خيراً فأجب الله. فقال: ماذا يقول؟ فقرأ عليهم مصعب بن عمير: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف: 1 ـ 3]. فقال سعد: وما أسمع إلا ما أعرف. فرجع وقد هداه الله تعالى ولم يُظهر أمر الإسلام حتى رجع. فرجع إلى قومه، فدعا بني عبد الأشهل إلى الإسلام وأظهر إسلامه. وقال فيه: من شَكَّ من صغير أو

كبير أو ذكر أو أنثى فليأتنا بأهدى منه نأخذ به. فوالله لقد جاء أمر لتُحَزَّنَّ فيه الرقاب. فأسلمت بنو عبد الأشهل عند إسلام سعد ودعائه إلا من لا يُذكر. فكانت أول دور من دور الأنصار أسلمت بأسْرِها ـ فذكر الحديث كما تقدم في إرساله ﷺ الأفراد للدعوة إلى الله وإلى رسوله وفي آخره: ورجع مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ أي إلى مكة.

* * *

دعوة طُلَيْب بن عُمَيْر رضي الله عنه

أخرج الواقدي عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمي قال: لمَّا أسلم طُليب بن عمير رضي الله عنه ودخل على أمّه أرْوى بنت عبد المطلب قال لها: قد أسلمتُ وتبعتُ محمداً ﷺ ـ وذكر الخبر، وفيه أنَّه قال لها: ما يمنعك أن تُسلمي وتتَّبعيه؟ فقد أسلم أخوك حمزة، فقالت: أنتظِرُ ما تصنع أخواتي؟ ثم أكون إحداهنَّ. قال: فقلت: فإني أسألك بالله إلَّا أتيتِه وسلَّمتِ عليه، وصدَّقتِه، وشهدتِ أن لا إله إلّا الله. قالت: فإني أشهد، أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً رسول الله. ثم كانت بعد تعضد النبي ﷺ بلسانها تحضُّ ابنها على نصرته والقيام بأمره. كذا في «الاستيعاب» (4/ 225). وأخرجه العُقَيلي من طريق الواقدي بمثله كما في «الإصابة» (4/ 227).

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (3/ 239) من طريق إسحاق بن محمد الفروي عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمي عن أبيه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: أسلم طُليب بن عمير رضي الله عنه في دار الأرقم، ثم خرج فدخل على أمه وهي أرْوى بنت

عبد المطلب. فقال: تبعتُ محمداً وأسلمت لله ربِّ العالمين جلَّ ذكره. فقالت أمه: إنَّ أحقَّ من وازرت ومن عاضدت ابنُ خالك. والله لو كنَّا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لتبعناه ولذَبَبْنا عنه. قال فقلت: يا أُماه وما يمنعك؟ فذكر مثلما تقدَّم.

وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (3/ 123) عن محمد بن إبراهيم التَّيْمي عن أبيه بمثله. قال الحاكم (3/ 239): صحيح غريب على شرط البخاري ولم يخرِّجاه. وتعقبه الحافظ في «الإصابة» (2/ 234) فقال: وليس كما قال، فإن موسى ضعيف، ورواية أبي سَلَمة عنه مرسلة وهي قوله: قال: فقلت يا أماه ـ إلى آخره. انتهى.

* * *

دعوة عُمَير بن وَهْب الجُمِحيّ وقصة إسلامه

أخرج ابن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: جلس عُمير بن وَهْب الجُمْحي مع صَفوان بن أمية في الحِجْر بعد مصاب أهل بدر بيَسير ـ وكان عمير بن وَهب شيطاناً من شياطين قريش، وممَّن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ويلقَون منه عناءً وهو بمكة وكان ابنه وَهْب بن عُمير في أسارى بدر ـ فذكر أصحاب القَليب ومُصابهم. فقال صَفوان: والله ما إنْ في العيش بعدهم خير. قال له عمير: صدقتَ، أما ـ والله ـ لولا دَيْنٌ عليَّ ليس عندي قضاؤه وعيالٌ أخشَى عليهم الضَّيْعة بعدي لركبتُ إلى محمد حتى أقتله، فإنَّ لي فيهم عِلَّة ابني أسيرٌ في أيديهم. قال: فاغتنمها صفوان بن أمية: فقال: عليَّ دَيْنك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقُوا لا يَسَعني شيء ويعجز عنهم. فقال له عمير: فاكتم عليَّ شأني وشأنك. قال: سأفعل. قال: ثم أمر عمير بسيفه فشُحِذ له وسُمَّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة. فبينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدّثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوِّهم؛ إذ نظر عمر إلى عمير بن وَهْب وقد أناخ على باب المسجد متوشِّحاً السيف. فقال: هذا الكلب عدوُّ الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرَّش بيننا، وحَزَرَنا للقوم يوم بدر.

ثم دخل على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، هذا عدوُّ الله عُمَير بن وَهْب قد جاء متوشِّحاً سيفه. قال: «فأدْخله عليَّ». قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحِمالة سيفه في عنقه فلبَّبه بها، وقال لمن كان معه من

الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون. ثم دخل به على رسول الله ﷺ، فلمَّا رآه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحِمالة سيفه في عنقه. قال: «أرسله يا عمر. ادنُ يا عمير» فدنا ثم قال: أنْعِم صباحاً ـ وكانت تحيَّة أهل الجاهلية بينهم ـ فقال رسول الله ﷺ: «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيَّتك يا عمير، بالسلام تحيَّةُ أهل الجنة». قال: أما ـ والله ـ يا محمد إنْ كنتُ بها لحديث عهد. قال: «فما جاء بك يا عمير؟» قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه. قال: «فما بال السيف في عُنقك؟» قال: قبَّحها الله من سيوف! وهل أغنت عنَّا شيئاً؟! قال: «اصدقني ما الذي جئت له؟» قال: ما جئت إلَّا لذلك. قال: «بل قعدت أنت وصفوان بن أُمية في الحِجْر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلتَ: لولا دَيْن عليّ وعيالٌ عندي لخرجتُ حتى أقتل محمداً؛ فتحمَّل لك صفوان بن أُمية بدَيْنك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك».

فقال عمير: أشهد أنَّك رسول الله، قد كنَّا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان؛ فوالله إنِّي لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المَساق، ثم شهد شهادة الحق. فقال رسول الله ﷺ: «فقِّهوا أخاكم في دينه، وعلِّموه القرآن، وأطلقوا أسيره» ففعلوا. ثم قال: يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحب أن تأذن لي فأقْدَمَ مكة أدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، لعلَّ الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم. فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة. وكان صفوان حين خرج عُمَيْر بن وَهْب يقول: أبشروا بوَقْعة

تأتيكم الآن في أيام تُنسيكم وقعة بدر. وكان صفوان يسأل عنه الرُّكبان حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه، فحلف أنْ لا يكلِّمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً. كذا في «البداية» (3/ 313).

هكذا أخرجه ابن جرير عن عُروة رضي الله عنه بطوله، كما في «كنز العمال» (7/ 81)، وزاد: فلما قدم عُمَيْر رضي الله عنه مكة أقام بها يدعو إلى الإِسلام ويُؤذي من خالفه أذى شديداً، فأسلم على يديه ناس كثير. وهكذا أخرجه الطبراني عن محمد بن جعفر بن الزبير رضي الله عنهم ـ نحوه. قال الهيثمي (8/ 286): وإسناده جيِّد.

وروي عن عروة بن الزبير نحوه مرسلاً، وقال فيه: ففرح المسلمون حين هداه الله، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لخنزيرٌ كان أحبَّ إليّ منه حين اطَّلع، وهو اليوم أحبُّ إليَّ من بعض بنيّ؛ وإسناده حسن. انتهى. وأخرجه الطبراني أيضاً عن أنس رضي الله عنه موصولاً بمعناه مختصراً. قال الهيثمي (8/ 287): ورجاله رجال الصحيح ا.هـ. وأخرجه ابن منده أيضاً موصولاً عن أنس رضي الله عنه وقال: غريب، لا نعرفه عن أبي عمران إلا من هذا الوجه، كما في «الإِصابة» (3/ 36).

وأخرج الواقدي عن عبد الله بن عمرو بن أمية عن أبيه قال: لما قدم عمير بن وَهْب رضي الله عنه مكة بعد أن أسلم نزل بأهله، ولم يتفق بصفوان بن أميَّة، فأظهر الإِسلام ودعا إليه، فبلغ ذلك صفوان فقال: قد عرفت حين لم يبدأ بي قبل منزله أنَّه قد ارتكس وصَبَأ، فلا أكلِّمه أبداً ولا أنفعه ولا عياله بنافعة، فوقف عليه عمير وهو في الحِجْر وناداه، فأعرض عنه، فقال له عمير: أنت سيد من ساداتنا، أرأيتَ الذي كنا عليه من عبادة حجر وذبح له، أهذا دين؟! أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فلم يجبه صفوان بكلمة. كذا في «الاستيعاب» (2/ 486). وقد تقدَّم سَعْيُ عمير في إسلام صفوان بن أُمية.

المجلد الأول

* * *

حياة الصحابة

تأليف
محمد بن يوسف الكاندهلوي

نوبليس

حَيَاةُ الصَّحَابَةِ

حَيَاةُ الصَّحَابَة

تأليف

محمد بن يوسف الكاندهلوي

قدّم له

أبو الحسن علي الحسني الندوي

المجلد الثاني

نوبليس

اسم المجموعة:	حياة الصحابة
اسم الكتـاب:	المجلد الثاني
المـؤلـــف:	محمد بن يوسف الكاندهلوي
التدقيق والمراقبة:	قسم الدراسات في دار نوبِليس
قياس الكتـاب:	17 × 24
عدد الصفحات:	200
عدد صفحات المجموعة:	2400
مكــان النشـر:	بيروت
دار النشر والتوزيع:	دار نوبِليس
تلفاكس:	961 (1) 58 34 75
هاتــف:	961 (1) 58 11 21 - 961 (3) 58 11 21
بريد إلكتروني:	NOBILIS_INTERNATIONAL@hotmail.com
الطبعة الأولى:	2006

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

دعوة أبي هريرة رضي الله عنه لأمه وإسلامها

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أدعو أُمي إلى الإِسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره. فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإِسلام فتأبى عليَّ، وإني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادعُ الله أن يهديَ أُمَّ أبي هريرة. فقال: «اللَّهم اهدِ أُمَّ أبي هريرة».

فخرجت مستبشراً بدعوة رسول الله ﷺ، فلما جئت قصدت إلى الباب فإذا هو مُجاف، فسمعت أُمِّي حسَّ قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة. وسمعتُ خَضْخَضَةَ الماء، قال: ولبست دِرْعها، وأعجَلَت عن خمارها، ففتحتِ الباب وقالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إلَه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فحمد الله وقال خيراً. وأخرجه أحمد أيضاً بنحوه. كذا في «الإِصابة» (4/ 241).

وأخرجه ابن سعد (4/ 328) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: والله لا يسمع بي مؤمن ولا مؤمنة إلا أحبَّني. قال: قلت: وما يُعلمك ذاك؟ قال: فقال: إني كنت أدعو أُمِّي ـ فذكر نحوه. وزاد في آخره:

فجئت أسعى إلى رسول الله ﷺ أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن، فقلت: أبشر يا رسول الله فقد أجاب الله دعوتك، قد هدى الله أُمَّ أبي هريرة إلى الإسلام. ثم قلت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يحببني وأُمي إلى المؤمنين والمؤمنات وإلى كل مؤمن ومؤمنة. فقال: «اللهمَّ حبب عُبَيْدك هذا وأُمَّه إلى كل مؤمن ومؤمنة» فليس يسمع بي مؤمن ولا مؤمنة إلَّا أحبَّني.

* * *

دعوة أم سُلَيْم رضي الله عنها

أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه أنَّ أبا طلحة خطب أُمَّ سُلَيم ـ يعني قبل أن يُسلم ـ فقالت: يا أبا طلحة، ألستَ تعلم أنَّ إلهك الذي تعبد نَبَت من الأرض؟ قال: بلى. قالت: أفلا تستحي تعبد شجرة؟! إن أسلمتَ فإنِّي لا أُريد منك صَداقاً غيره. قال: حتى أنظر في أمري. فذهب ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله. فقالت: يا أنس! زوِّجْ أبا طلحة، فزوَّجها. وأخرجه أيضاً ابن سعد بمعناه. كذا في «الإصابة» (4/ 461).

* * *

دعوة ضِمام بن ثعلبة في بني سعد بن بكر

أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث بنو سعد بن بكر ضِمامَ بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ، فقدم إليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد

ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه؛ وكان ضِمام رجلاً جَلْداً أشعرَ ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه. فقال: أيُّكم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله ﷺ: «أنا ابن عبد المطلب». فقال: أمحمد؟ قال: «نعم». قال: يا ابن عبد المطلب، إنّي سائلك ومُغَلِّظ عليك في المسألة فلا تَجدنَّ في نفسك. قال: «لا أجد في نفسي فسَلْ عمَّا بدا لك». فقال: أنشدك الله إلٰهك وإلٰه من كان قبلك وإلٰهَ من هو كائن بعدك: آلله بعثك إلينا رسولاً؟ قال: «اللَّهمَّ نعم». قال: فأنشدك الله إلٰهك وإلٰهَ من كان قبلك وإلٰهَ من هو كائن بعدك؛ آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون؟ قال: «اللَّهمَّ نعم». قال: فأنشدك الله إلٰهَك وإلٰهَ من كان قبلك وإلٰهَ من هو كائن بعدك: آلله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟ قال: «اللهم نعم». قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة: الزكاة، والصيام، والحج، وشرائع الإسلام كلّها، ينشده عند كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإنّي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمداً رسول الله، وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص؛ ثم انصرف إلى بعيره راجعاً. قال: فقال رسول الله ﷺ: «إنْ صدق ذو العقيصتين دخل الجنة».

قال: فأتى بعيره فأطلق عِقاله ثم خرج حتى قدم على قومه، فاجتمعوا إليه، فكان أوَّل ما تكلم أنْ قال: بئست اللَّات والعزَّى. فقالوا: مَهْ يا ضمام، اتَّقِ البرص، اتَّقِ الجُذام، اتَّقِ الجنون!! فقال: ويلكم إنَّهما ـ والله ـ لا يضران ولا ينفعان، إنَّ الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا

الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه. قال: فوالله، ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلّا مسلماً. قال: يقول ابن عباس رضي الله عنهما: فما سمعنا بوافدِ قومٍ كان أفضل من ضِمام بن ثعلبة. وهكذا رواه الإمام أحمد من طريق ابن إسحاق، وأبو داود نحوه من طريقه؛ وعند الواقدي: فما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً، وبنَوا المساجد، وأذّنوا بالصلاة. كذا في «البداية» (5/ 60).

وأخرجه الحاكم أيضاً في «المستدرك» (3/ 54) من طريق ابن إسحاق بنحوه ثم قال: قد اتفق الشيخان على إخراج ورود ضمام المدينة ولم يسق واحد منهما الحديث بطوله، وهذا صحيح. انتهى؛ ووافقه الذهبي فقال: صحيح.

* * *

دعوة عَمْرو بن مُرَّة الجُهَني رضي الله عنه في قومه

أخرج الرُوياني وابن عساكر عن عمرو بن مُرَّة الجُهني رضي الله عنه قال: خرجنا حجّاجاً في الجاهلية في جماعة من قومي، فرأيت في المنام وأنا بمكَّة نوراً ساطعاً من الكعبة حتى أضاء لي جبل يثرب وأشعر جهينة، وسمعت صوتاً في النور وهو يقول: انقشعت الظلماء، وسطع الضِّياء، وبُعث خاتم الأنبياء. ثم أضاء لي إضاءة أُخرى حتى نظرت إلى قصور الحيرة، وأبيضِ المدائن، وسمعت صوتاً في النّور وهو يقول: ظهر الإِسلام، وكُسرت الأصنام، ووُصلت الأرحام. فانتبهت فزعاً فقلت

لقومي: والله ليحدُثنَّ في هذا الحيِّ من قريش حَدَث، فأخبرتهم بما رأيت.

فلما انتهيت إلى بلادنا جاء الخبر أنَّ رجلاً يقال له أحمد قد بُعث، فخرجت حتى أتيته وأخبرته بما رأيت، فقال: «يا عمرو بن مرَّة، أنا النبيّ المرسل إلى العباد كافّة، أدعوهم إلى الإسلام، وآمرهم بحقن الدماء، وصِلَة الأرحام، وعبادة الله وحده، ورفض الأصنام، وبحجِّ البيت، وصيام شهر رمضان ـ شهر من اثني عشر شهراً ـ، فمن أجاب فله الجنة، ومن عصى فله النَّار، فآمن يا عمرو يؤمنك الله من هول جهنم». فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّك رسول الله، آمنت بكل ما جئتَ به من حلال وحرام، وإنْ رَغِم ذلك كثير من الأقوام. ثم أنشدته أبياتاً قلتها حين سمعت به ـ وكان لنا صنم وكان أبي سادنَه، فقمت إليه فكسرته ثم لحقت بالنبي ﷺ وأنا أقول ـ: [من الطويل].

شهدتُ بأن الله حق وإنني
لآلهة الأحجار أول تارك
وشمَّرت عن ساقي الإزار مهاجراً
أجوب إليك الوَعْثَ بعد الدَّكادك
لأصحبَ خير النَّاس نفساً ووالداً
رسولَ مليك النَّاس فوق الحبائكِ

فقال النبي ﷺ: «مرحباً بك يا عمرو».

فقلت: بأبي أنت وأمي ابعث بي إلى قومي لعلَّ الله أن يمنَّ بي عليهم كما منَّ بك عليَّ. فبعثني فقال: «عليك بالرِّفق والقول السديد، ولا تكنْ فظّا، ولا متكبِّراً، ولا حسوداً». فأتيت قومي فقلت: يا بني

رِفاعة، بل يا معشر جُهينة، إنِّي رسولُ رسولِ الله إليكم، أدعوكم إلى الإسلام، وآمركم بحقن الدماء، وصِلَة الأرحام، وعبادة الله وحده، ورفض الأصنام، وبحجِّ البيت، وصيام شهر رمضان ـ شهر من اثني عشر شهراً ـ فمن أجاب فله الجنَّة، ومن عصى فله النَّار. يا معشر جُهينة، إنَّ الله جعلكم خيار من أنتم منه، وبغَّض إليكم في جاهليتكم ما حبِّب إلى غيركم من العرب، فإنهم كانوا يجمعون بين الأختين والغزاة في الشهر الحرام، ويخلُف الرجل على امرأة أبيه، فأجيبوا هذا النبي المرسل من بني لؤي بن غالب تنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة. فما جاءني إلَّا رجل منهم فقال: يا عمرو بن مرَّة، أمرَّ الله عيشَك، أتأمرنا برفض آلهتنا، وأن نفرِّق جمعنا، وأن نخالف دين آبائنا الشيم العلى إلى ما يدعونا إليه هذا القرشي من أهل تِهامة؟! لا حبّاً ولا كرامة. ثم أنشأ الخبيث يقول: [من الكامل].

إنَّ ابن مرَّة قد أتى بمقالة ... ليست مقالة من يريد صلاحا

إنِّي لأحسب قولَه وفِعالَه ... يوماً وإن طال الزمان ذباحا

ليسفِّه الأشياخ ممن قد مضى ... مَنْ رامَ ذلك لا أصاب فلاحا

فقال عمرو: الكاذب مني ومنك أمرَّ الله عيشه، وأبكم لسانه، وأكمه إنسانه. قال: فوالله ما مات حتى سقط فوه، وعمي، وخرف، وكان لا يجد طعم الطَّعام.

فخرج عمرو بمن أسلم من قومه حتى أتَوا النبي ﷺ فحيَّاهم ورحَّب بهم، وكتب لهم كتاباً هذه نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من الله العزيز، على لسان رسوله، بحقٍّ صادق وكتاب ناطق مع عَمْرو بن مُرَّة لجهينة بن زيد: إن لكم بطون الأرض وسهولها، وتِلاع الأودية وظهورها، على أن ترعوا نباتها وتشربوا ماءها، على أن تؤدوا الخُمس، وتصلوا الخَمس، وفي الغنيمة والصريمة شاتان إذا اجتمعتا فإن فرقتا فشاة شاة. ليس على أهل المثيرة صدقة، ولا على الواردة لبقة، والله شهيد على ما بيننا ومن حضر من المسلمين. كتاب قيس بن شمّاس».

كذا في «كنز العمال» (7/ 64): وأخرجه أيضاً أبو نُعيم بطوله؛ كما في «البداية» (2/ 351) والطبراني بطوله كما في «المجمع» (8/ 244).

* * *

دعوة عُرْوَة بن مسعود رضي الله عنه في ثقيف

أخرج الطبراني عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: لما أنشأ النَّاس الحج سنة تسعٍ قدم عروة بن مسعود رضي الله عنه على رسول الله ﷺ مسلماً، فاستأذن رسول الله ﷺ أن يرجع إلى قومه، فقال رسول الله ﷺ: «إني أخاف أن يقتلوك»، قال: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني. فأذن له رسول الله ﷺ فرجع إلى قومه مسلماً، فرجع عشاء فجاء ثقيف يحيُّونه، فدعاهم إلى الإسلام، فاتَّهموه وأغضبوه وأسمعوه فقتلوه. فقال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ عروة مَثَلُ صاحب ياسين دعا قومه إلى الله فقتلوه» قال الهيثمي (9/ 386): رواه الطبراني، وروي عن

الزهري نحوه، وكلاهما مرسل وإسنادهما حسن وأخرجه الحاكم (3/ 616) بمعناه.

وأخرجه ابن سعد (5/ 369) عن الواقدي عن عبد الله بن يحيى عن غير واحد من أهل العلم، فذكره مطوَّلاً وفيه: فقدم الطائف عشاء، فدخل منزله، فأتته ثقيف تسلِّم عليه بتحية الجاهلية فأنكرها عليهم وقال: عليكم بتحية أهل الجنَّة: السلام، فآذَوه، ونالوا منه، فحلم عنهم وخرجوا من عنده، فجعلوا يأتمرون به، وطلع الفجر فأوفَى على غرفة له، فأذَّن بالصلاة. فخرجت إليه ثقيف من كل ناحية، فرماه رجل من بني مالك يقال له أوس بن عوف، فأصاب أكحَلَه ولم يَرْقَ دمه. فقام غَيْلان بن سلمة، وكنانة بن عبد ياليل، والحكم بن عَمْرو ووجوه الأحلاف فلبسوا السلاح وحشدوا، وقالوا: نموت عن آخرنا أو نثأر به عشرة من رؤساء بني مالك. فلما رأى عروة بن مسعود ما يصنعون قال: لا تقتتلوا فيَّ قد تصدَّقت بدمي على صاحبه لأصلح بذلك بينكم، فهي كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله ﷺ لقد أخبرني بهذا أنَّكم تقتلوني. ثم دعا رهطه فقال: إذا متُّ فادفنوني مع الشهداء الذين قُتِلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم، فمات فدفنوه معهم. وبلغ النبي ﷺ مقتله فقال: مثل عروة.. فذكره؛ وقد تقدَّمت قصة إسلام ثقيف في ـ قصصه ﷺ في الأخلاق والأعمال المفضية إلى هداية الناس.

* * *

دعوة الطُّفَيْل بن عَمْرو الدَّوْسي
رضي الله عنه في قومه

أخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 78) عن محمد بن إسحاق قال: كان رسول الله ﷺ على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة، ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه، وجعلت قريش حين منعه الله منهم يحذِّرونه النَّاس ومن قدم عليهم من العرب، وكان طُفيل بن عَمْرو الدَّوْسي يحدِّث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش ـ وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً ـ فقالوا له: يا طُفيل، إنَّك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، فرّق جماعتنا، وإنّما قوله كالسحر، يفرِّق بين المرء وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلِّمه ولا تسمع منه. قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت على أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلِّمه، حتى حشوت أذنيَّ حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفاً فَرَقاً من أن يبلغني من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه.

قال: فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، قال: فقمت قريباً منه، فأبى الله إلَّا أن يسمعني بعض قوله. قال: فسمعت كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي: واثُكلَ أمِّي، إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليَّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟! فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته.

فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، فاتَّبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إنَّ قومك قالوا لي كذا وكذا ـ للذي قالوا لي ـ فوالله ما بَرحوا يخوِّفونني أمرك حتى سددتُ أذنيَّ بكُرسُف لئلا

أسمعَ قولك، ثم أبى الله إلَّا أن يسمعنيه، فسمعت قولاً حسناً، فاعرضْ عليَّ أمرك. فعرض عليَّ الإسلام، وتلا عليّ القرآن. قال: فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن، ولا أمراً أعدل منه. قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله، إنِّي أمرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادعُ الله لي أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه. قال فقال: «اللهمَّ اجعل له آية».

قال: فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثَنِيَّة تُطلعني على الحاضر وقع نور بين عينيَّ مثل المصباح، قال: فقلت: اللَّهمَّ في غير وجهي، فإني أخشى أن يظنُّوا أنَّها مُثْلَة وقعت في وجهي لفراق دينهم. قال: فتحوَّل فوقع في رأس سَوْطي، فجعل الحاضرون يتراؤون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلَّق وأنا هابط إليهم من الثَّنِيَّة، حتى جئتهم فأصبحت فيهم.

فلما نزلت أتاني أبي ـ وكان شيخاً كبيراً ـ قال: فقلت: إليكَ عنِّي يا أبت، فلستَ منِّي ولستُ منك. قال: ولِمَ أيْ بُني؟ قال: قلت: أسلمتُ وتابعتُ دين محمد ﷺ. قال أبي: ديني دينك. فاغتسل وطهَّر ثيابه، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم. قال: ثم أتتني صاحبتي فقلت لها: إليك عني فلستُ منك ولستِ منِّي. قالت: لِمَ بأبي أنت وأُمي؟ قال: قلت: فرَّق بيني وبينك الإسلام. فأسلمتْ، ودعوت دَوْساً إلى الإسلام فأبطأوا عليَّ.

ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة، فقلت: يا نبي الله، إنَّه قد غلبني دَوْسٌ فَٱدْعُ الله عليهم، فقال: «اللَّهم اهدِ دَوْساً، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم». قال: فرجعت فلم أزل بأرض دَوْس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وقضى

بدراً وأُحداً والخندق. ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي ورسول الله ﷺ بخيبر، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دَوْس. وذكره في «البداية» (3/ 100) عن ابن إسحاق مع زيادة يسيرة.

قال في «الإصابة» (2/ 225): ذكرها ابن إسحاق في سائر النسخ بلا إسناد؛ وروى في نسخة من المغازي من طريق صالح بن كَيْسانُ عن الطفيل بن عمرو في قصة إسلامه خبراً طويلاً. وأخرجه ابن سعد (4/ 237) أيضاً مطوَّلاً من وجه آخر، وكذلك الأموي عن ابن الكلبي بإسناد آخر. انتهى مختصراً. وقد ساق ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» (2/ 232) طريق الأموي عن ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن الطُفيل بن عمرو، فذكر قصّة إسلامه ودعوته لأبيه وزوجته وقومه وقدومه مكة بمعنى ما تقدّم، وزاد بعده: بعثه لتحريق صنم «ذي الكَفِين» ثم خروجه إلى اليمامة وما وقع له من الرؤيا في ذلك وقتله يوم اليمامة شهيداً.

قال في «الإصابة»: وذكر أبو الفرج الأصبهاني من طريق ابن الكلبي أيضاً أنَّ الطفيل لما قدم مكة ذكر له ناس من قريش أمر النبي ﷺ وسألوه أن يختبر حاله، فأتاه فأنشده من شعره، فتلا النبي ﷺ الإخلاص والمعوّذتين، فأسلم في الحال، وعاد إلى قومه، وذكر قصة سَوْطه ونُورِه. قال: فدعا أبويه إلى الإسلام فأسلم أبوه، ولم تسلم أمه، ودعا قومه فأجابه أبو هريرة رضي الله عنه وحده. ثم أتى النبي ﷺ فقال: هل لك في حِصْن حصين وَمَنَعة؟ يعني أرض دَوْس. قال: ولما دعا النبي ﷺ لهم قال له الطفيل: ما كنت أحبُّ هذا، فقال: «إنَّ فيهم مثلك كثيراً». قال: وكان جُنْدَب بن عَمْرو بن حُمَمة بن عَوْف الدَّوْسي يقول في الجاهلية: إنَّ للخلق خالقاً لكني لا

أدري من هو؟ فلما سمع بخبر النبي ﷺ خرج ومعه خمسة وسبعون رجلاً من قومه فأسلم وأسلموا. قال أبو هريرة: فكان جندب يقدِّمهم رجلاً رجلاً ـ انتهى. وقد تقدَّمت دعوة علي رضي الله عنه في قبيلة هَمْدان، ودعوة خالد بن الوليد رضي الله عنه في بني الحارث بن كعب، ودعوة أبي أُمامة رضي الله عنه في قومه.

* * *

إرسال الصحابة الأفراد والجماعة للدعوة

أخرج البيهقي في «الدلائل» عن أبي أُمامة الباهلي عن هشام بن العاص الأموي رضي الله عنهما قال: بُعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل ـ صاحب الروم ـ بدعوة إلى الإسلام، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة ـ يعني: دمشق ـ فنزلنا على جَبَلَة بن الأيهم الغساني، فدخلنا عليه فإذا هو على سرير له. فأرسل إلينا برسول نكلِّمه، فقلنا: والله لا نكلِّم رسولاً، وإنما بُعثنا إلى الملك، فإن أذن لنا كلَّمناه، وإلا لم نكلِّم الرسول. فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك. قال: فأذن لنا فقال: تكلَّموا. فكلمه هشام بن العاص ودعاه إلى الإسلام، فإذا عليه ثياب سود. فقال له هشام: وما هذه التي عليك؟ فقال: لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام. قلنا: ومجلسك هذا فوالله لنأخذنَّه منك ولنأخذنَّ ملك الملك الأعظم إن شاء الله أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ. قال: لستم بهم، بل هم قوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل ـ فذكر الحديث بطوله كما سيأتي في باب التأييدات الغيبية. وأخرجه الحاكم أيضاً بطوله كما في «التفسير» لابن كثير (2/ 251) بنحوه.

وأخرج أبو نعيم في الدلائل (ص 9) عن موسى بن عُقبة القرشي: أن هشام بن العاص، ونُعيم بن عبد الله، ورجلاً آخر قد سماه، بُعثوا إلى ملك الروم زمن أبي بكر رضي الله عنه، قال: فدخلنا على جَبَلَة بن

الأيهم وهو بالغوطة، فإذا عليه ثياب سود، وإذا كل شيء حوله أسود، فقال: يا هشام كلِّمْه، فكلَّمه ودعاه إلى الله تعالى ـ فذكر الحديث بطوله كما سيأتي.

* * *

إرسال الصحابة الكتب للدعوة إلى الله والدخول في الإسلام

كتاب زياد بن الحارث الصُّدَائي إلى قومه

أخرج البيهقي عن زياد بن الحارث الصُّدائي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فبايعته على الإسلام، فأُخبرت أنَّه قدْ بعث جيشاً إلى قومي، فقلت: يا رسول الله، اردُدِ الجيش وأنا لك بإسلام قومي وطاعتهم. فقال لي: «اذهب فردَّهم». فقلت: يا رسول الله، إنَّ راحلتي قد كلَّت، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً فردَّهم. قال الصُّدائي: وكتبت إليهم كتاباً فقدم وفدهم بإسلامهم، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أخا صُداء، إنَّك لمُطاع في قومك». فقلت: بلِ الله هداهم للإسلام. فقال: «أفَلَا أُؤمِّرك عليهم؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: فكتب لي كتاباً أمَّرني. فقلت: يا رسول الله، مُرْ لي بشيء من صدقاتهم. قال: «نعم» فكتب لي كتاباً آخر.

قال الصُّدائي ـ وكان ذلك في بعض أسفاره ـ: فنزل رسول الله ﷺ منزلاً فأتاه أهل ذلك المنزل يشكون عاملهم ويقولون: أَخَذَنا بشيء كان بيننا وبين قومه في الجاهلية. فقال رسول الله ﷺ: «أوَ فعل ذلك؟» قالوا: نعم. فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه وأنا فيهم فقال: «لا خير في الإمارة لرجل مؤمن». قال الصُّدائي: فدخل قوله في نفسي. ثم أتاه آخر فقال: يا رسول الله، أعطني. فقال رسول الله ﷺ: «من سأل الناس

عن ظهر غِنًى فصُداع في الرأس وداء في البطن». فقال السائل: أعطني من الصدقة. فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لم يرضَ في الصدقات بحكم نبي ولا غيره حتى حكم هو فيها، فجزَّأها ثمانية أجزاء، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك». قال الصُّدائي: فدخل ذلك في نفسي أنِّي غني وأني سألته من الصدقة ـ فذكر الحديث، وفيه: فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة أتيته بالكتابين فقلت: يا رسول الله أعفني من هذين، فقال: «ما بدا لك؟»، فقلت: سمعتك يا رسول الله تقول: «لا خير في الإمارة لرجل مؤمن» وأنا أؤمن بالله وبرسوله: وسمعتك تقول للسائل: «من سأل الناس عن ظهر غنًى فهو صُداع في الرأس وداء في البطن»؛ وسألتك وأنا غني. فقال: «هو ذاك، فإن شئت فاقبل وإن شئت فدَعْ». فقلت: أدَعُ. فقال لي رسول الله ﷺ: «فدُلَّني على رجل أؤمِّره عليكم»، فدللته على رجل من الوفد الذين قدموا عليه فأمَّره عليه. كذا في «البداية» (5/ 83)، وأخرجه أيضاً بطوله البغوي وابن عساكر؛ وقال: هذا حديث حسن؛ كما في «الكنز» (7/ 38).

وأخرجه أحمد أيضاً بطوله، كما في «الإصابة» (1/ 557)، وأخرجه الطبراني أيضاً بطوله. قال الهيثمي (5/ 204): وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنْعم وهو ضعيف، وقد وثَّقه أحمد بن صالح ورد على من تكلَّم فيه وبقية رجاله ثقات.

* * *

كتاب بُجَير بن زهير بن أبي سُلمى رضي الله عنه إلى أخيه كعب

أخرج الحاكم (3/ 579) عن إبراهيم بن المنذر الحِزامي، عن

الحجّاج بن ذي الرُّقَيبة بن عبد الرحمن بن كعب بن زهير بن أبي سُلمى المُزَني، عن أبيه عن جدّه قال: خرج كعب وبُجَير ابنا زهير حتى أتيا أبرق العزّاف. فقال بجَير لكعب: اثبت في عجل هذا المكان حتى آتي هذا الرجل ـ يعني رسول الله ﷺ ـ فأسمع ما يقول. فثبت كعب وخرج بُجَير فجاء رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام فأسلم، فبلغ ذلك كعباً فقال: [من الطويل].

ألا أبلغا عني بُجيراً رسالةً
على أيِّ شيء وَيْب غيرك دلَّكا
على خُلُقٍ لم تُلفِ أماً ولا أباً
عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا
سقاك أبو بكر بكاس روية
وأنهلك المأمون منها وعلَّكا

فلما بلغت الأبيات رسول الله ﷺ أهدر دمه فقال: «من لقي كعباً فليقتلْه». فكتب بذلك بُجَير إلى أخيه يذكر له أنْ رسول الله ﷺ قد أهدر دمه ويقول له: النجاءَ وما أراكَ تُفلت.

ثم كتب إليه بعد ذلك: اعلم أن رسول الله ﷺ لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا قبل ذلك. فإذا جاءك كتابي هذا فأسلم وأقبِل. فأسلم كعب وقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ. ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ مع أصحابه مكان المائدة من القوم متحلِّقون معه حلقة دون حلقة، يلتفت إلى هؤلاء مرَّة فيحدثهم، وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم. قال كعب: فأنخت راحلتي بباب المسجد فعرفت رسول الله ﷺ بالصفة، فتخطَّيت حتى جلست إليه فأسلمت فقلت: أشهد

أن لا إله إلا الله وأنَّك رسول الله، الأمانَ يا رسول الله. قال: «ومن أنت؟» قلت: أنا كعب بن زهير. قال: «أنت الذي تقول» ثم التفت إلى أبي بكر، فقال: «كيف قال يا أبا بكر؟» فأنشده أبو بكر رضي الله عنه:

سقاك أبو بكر بكأس رويّة

وأنهلك المأمور منها وعلَّكا

قال: يا رسول الله، ما قلت هكذا. قال: «وكيف قلت؟» قال: إنما قلت:

سقاك أبو بكر بكأس روية

وأنهلك المأمون منها وعلَّكا

فقال رسول الله ﷺ: «مأمون والله» ثم أنشده القصيدة كلَّها حتى أتى على آخرها ـ فذكر القصيدة.

وأخرج الحاكم أيضاً (3/ 582) عن إبراهيم بن المنذر عن محمد بن فليح عن موسى بن عقبة قال: أنشد النبي ﷺ كعبُ بن زهير «بانت سعاد» في مسجده بالمدينة فلما بلغ قوله:

إنَّ الرسول لَسَيْفٌ يُستضاء به

مُهَنَّدٌ من سيوف الله مسلول

في فتية من قريش قال قائلهم

ببطن مكة لما أسلموا زُولوا

أشار رسول الله ﷺ بكمه إلى الخَلق ليسمعوا منه قال وقد كان بجير بن زهير كتب إلى أخيه كعب بن زهير بن أبي سلمى يخوِّفه ويدعوه إلى الإسلام وقال فيها أبياتاً: [من الطويل].

من مبلغٌ كعباً؟ فهل لك في التي
تلوم عليها باطلاً؟ وهي أحزم
إلى الله لا العزّى ولا اللاّت وحدَه
فتنجو إذا كان النَّجاء وتسلم
لدى يومٍ لا ينجو وليس بمفلتٍ
من النار إلاّ طاهرُ القلب مسلم
فدين زهيرٍ وهو لا شيء باطلٌ
ودين أبي سُلمى عليَّ محرّم

قال الحاكم (3/ 583) هذا حديث له أسانيد قد جمعها إبراهيم بن المنذر الحزامي. فأما حديث محمد بن فليح عن موسى بن عقبة، وحديث الحجاج بن ذي الرقيبة فإنهما صحيحان، وقد ذكرهما محمد بن إسحاق القرشي في المغازي مختصراً ـ فذكره بإسناده إلى ابن إسحاق.

وأخرجه الطبراني أيضاً عن ابن إسحاق، قال الهيثمي (9/ 394): ورجاله إلى ابن إسحاق ثقات. انتهى. وأخرجه أيضاً ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني عن يحيى بن عمرو بن جريج عن إبراهيم بن المنذر عن الحجَّاج ـ فذكره بمعنى ما تقدم ـ كما في «الإصابة» (3/ 395). وأخرجه أيضاً البيهقي عن ابن المنذر بإسناده مثله؛ كما في «البداية» (4/ 372).

* * *

كتاب خالد بن الوليد إلى أهل فارس

أخرج الطبراني عن أبي وائل رضي الله عنه قال: كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أهل فارس يدعوهم إلى الإسلام:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى رستم ومهران وملإ فارس، سلام على من اتَّبع الهدى. أما بعد: فإنَّا ندعوكم إلى الإسلام، فإن أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فإن أبيتم فإن معي قوماً يحبُّون القتل في سبيل الله كما تحب فارسٌ الخمرَ. والسلام على من اتبع الهدى».

قال الهيثمي (5/ 310): رواه الطبراني وإسناده حسن أو صحيح. انتهى وأخرجه الحاكم أيضاً في المستدرك (3/ 299) عن أبي وائل بنحوه.

وأخرج ابن جرير (2/ 553) عن مجالد عن الشعبي قال: أقرأني بنو بُقَيلة كتاب خالد بن الوليد إلى أهل المدائن:

«من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس. سلام على من اتَّبع الهدى. أما بعد: فالحمد لله الذي فَضَّ خَدَمتكم، وسلب ملككم، ووهّن كيدكم، وإنه من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ما لنا وعليه ما علينا. أما بعد: فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إليّ بالرُّهُن، واعتقدوا مني الذمّة، وإلا فوالذي لا إله غيره لأبعثن إليكم قوماً يحبون الموت كما تحبون الحياة».

فلما قرأوا الكتاب أخذوا يتعجبون وذلك سنة اثنتي عشرة.

وأخرج ابن جرير في تاريخه أيضاً (2/ 554) عن المجالد عن الشعْبي قال: كتب خالد رضي الله عنه إلى هُرْمز قبل خروجه مع أزاذِبَة أبي الزياذبة الذين باليمامة، وهرمز صاحب الثغر يومئذٍ:

«أما بعد: فأسلم تسلم، أو اعتقد لنفسك وقومك

الذمة، وأقرر بالجزية، وإلَّا فلا تلومنَّ إلا نفسك، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة».

وذكر ابن جرير أيضاً (2/ 571) بإسناده أنَّ خالداً لما غلب على أحد جانبي السَّواد دعا من أهل الحيرة برجل، وكتب معه إلى أهل فارس وهم بالمدائن مختلفون متساندون لموت أردشير؛ إلا أنَّهم قد أنزلوا بَهْمَن جاذَوَيه ببَهُرَسِير وكان على المقدمة، ومع بَهْمن جاذويه الأزاذبة في أشباه له، ودعا صلوبا برجل وكتب معهما بكتابين: فأما أحدهما فإلى الخاصة، وأما الآخر فإلى العامة، أحدهما حِيرِي والآخر نَبَطي. ولما قال خالد لرسول أهل الحيرة: ما اسمك؟ قال: مُرَّة. قال: خذ الكتاب فأتِ به أهل فارس لعل الله أن يُمرَّ عليهم عيشهم أو يسلموا أو يُنيبوا. وقال لرسول صلوبا: ما اسمك؟ قال: هِزْقيل. قال: فخذ الكتاب، وقال: اللَّهمَّ أزهق نفوسهم. قال ابن جرير: والكتابان:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس. أما بعد: فالحمد لله الذي حلَّ نظامكم، ووهَّن كيدكم، وفرَّق كلمتكم، ولو لم يفعل ذلك بكم كان شرّاً لكم، فادخلوا في أمرنا نَدَعْكم وأرضكم ونجوزكم إلى غيركم، وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على غَلَب، على أيدي قوم يحبّون الموت كما تحبون الحياة».

«بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس. أما بعد: فأسلموا تسلموا، وإلا فاعتقدوا مني الذمّة، وأدُّوا الجزية، وإلا فقد جئتكم بقوم يحبُّون الموت كما تحبُّون شرب الخمر. انتهى».

دعوة الصحابة رضي الله عنهم
في القتال في عهد النبي ﷺ

أخرج الحسن بن سفيان وأبو نُعَيم عن عبد الرحمن بن حسان الكِتَاني: حدثني مسلم بن الحارث بن مسلم التميمي، أنَّ أباه حدَّثه: أنَّ رسول الله ﷺ أرسلهم في سريَّة. قال: فلما بلغنا المُغار استحثثتُ فرسي، وسبقت أصحابي، واستقبلنا الحيَّ بالرنين. فقلت لهم: قولوا: لا إله إلا الله تُحرِزُوا، فقالوها، وجاء أصحابي فلاموني وقالوا: حرمتنا الغنيمة بعد أن بردت في أيدينا!! فلما قفلنا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فدعاني فحسَّن ما صنعت، وقال: «أما إنَّ الله قد كتب لك من كل إنسان منهم كذا وكذا». قال عبد الرحمن: فأنا سبب ذلك. قال: ثم قال رسول الله ﷺ: «أما إنِّي سأكتب لك كتاباً وأوصي بك من يكون بعدي من أئمة المسلمين». ففعل وختم عليه ودفعه إليَّ وقال لي: «إذا صلَّيت الغَداة فقل قبل أن تكلِّم أحداً: اللَّهمَّ أجرني من النار سبع مرات، فإنك إن متَّ من يومك ذلك كتب الله لك جواراً من النَّار».

فلما قبض الله رسوله ﷺ أتيت أبا بكر رضي الله عنه ففضَّه فقرأه وأمر لي وختم عليه. ثم أتيت به عمر رضي الله عنه ففعل مثل ذلك. ثم أتيت عثمان رضي الله عنه ففعل مثل ذلك. قال مسلم بن الحارث فتوفي الحارث في خلافة عثمان رضي الله عنه، فكان الكتاب عندنا حتى ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فكتب إلى عامل قِبَلنا أنْ أشْخِص لي

مسلم بن الحارث بن مسلم التميمي بكتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه لأبيه. فشخصت به إليه فقرأه وأمر لي وختم عليه؛ كذا في «كنز العمال» (7/ 28)؛ و «المنتخب» (4/ 162).

وأخرج الواقدي عن محمد بن عبد الله الزُّهْري قال: بعث رسول الله ﷺ كعب بن عُمير الغِفاري رضي الله عنه في خمسةَ عشرَ رجلاً حتى انتهوا إلى ذات أطْلاح من الشام، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً، فدَعوهم إلى الإِسلام. فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل. فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوهم أشدَّ القتال حتى قُتلوا، فارْتُثَّ منهم رجل جريح في القتلى، فلما أن بَرَد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ فهمَّ بالبَعْثة إليهم، فبلغه أنَّهم ساروا إلى موضع آخر. كذا في «البداية» (4/ 241).

وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (2/ 127) عن الواقدي عن محمد بن عبد الله عن الزهري بمثله، وهكذا ذكره ابن إسحاق عن عبد اللّه بن أبي بكر وأن كعب بن عمير قتل يومئذٍ، وذكره أيضاً موسى بن عقبة عن ابن شهاب، وأبو الأسود عن عروة؛ كما في «الإِصابة» (3/ 301) وقال ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة أنَّ قصته كانت في ربيع الأول سنة ثمان.

وأخرج البيهقي من طريق الواقدي عن محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزُّهري قال: لمَّا رجع رسول الله ﷺ من عمرة القضيَّة رجع في ذي الحِجَّة من سنة سبع، فبعث ابن أبي العَوْجاء السُّلمي رضي الله عنه في خمسين فارساً، فخرج العين إلى قومه فحذَّرهم وأخبرهم، فجمعوا جمعاً كثيراً، وجاءهم ابن أبي العَوْجاء والقوم مُعِدُّون. فلما أن رآهم أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا جمعهم دعَوْهم إلى الإِسلام، فرشقوهم بالنبل ولم

يسمعوا قولهم، وقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتم إليه فرمَوهم ساعة، وجعلت الأمداد تأتي حتى أحدقوا بهم من كل جانب؛ فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى قُتل عامتهم، وأصيب ابن أبي العَوْجاء بجراحات كثيرة، فتحامل حتى رجع إلى المدينة بمن بقي معه من أصحابه في أول يوم من شهر صفر سنة ثمان. كذا في «البداية» (4/ 235)؛ وذكره ابن سعد في «الطبقات» (2/ 123) بمثله بلا إسناد.

* * *

دعوة الصحابة إلى الله ورسوله في القتال
في عهد أبي بكر، ووصية أبي بكر الأمراء بذلك

أخرج البيهقي (9/ 85) **وابن عساكر** عن سعيد بن المسيَّب: أنَّ أبا بكر رضي الله عنه لما بعث الجنود نحو الشام أمَّر يزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، ولما ركبوا مشى أبو بكر مع أمراء جنوده يودِّعهم حتى بلغ ثَنِيَّة الوداع، فقالوا: يا خليفة رسول الله، تمشي ونحن ركبان؟! فقال: إِني أحتسب خطاي هذه في سبيل الله. ثم جعل يوصيهم فقال:

«أوصيكم بتقوى الله، اغزُوا في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، فإنَّ الله ناصرٌ دينَه، ولا تَغُلُّوا، ولا تغدِروا، ولا تجبنوا، ولا تُفسدوا في الأرض، ولا تعصوا ما تؤمرون. فإذا لقيتم العدو من المشركين - إن شاء الله - فادعوهم إلى ثلاث؛ فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكفُّوا عنهم: ادعوهم إلى الإِسلام، فإن هم أجابوكم فاقبلوا منهم وكفُّوا عنهم. ثم ادعوهم إلى التحوُّل من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن هم فعلوا فأخبروهم أن لهم مثل ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، وإن هم دخلوا في الإِسلام واختاروا دارهم على دار المهاجرين، فأخبروهم أنَّهم كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي فرض على المؤمنين، وليس لهم في الفيء والغنائم شيء حتى يجاهدوا مع المسلمين. فإن هم أبَوا أن يدخلوا في الإِسلام فادعوهم إلى الجزية، فإن

هم فعلوا فاقبلوا منهم وكفُّوا عنهم، وإن هم أبَوا فاستعينوا بالله عليهم فقاتلوهم إن شاء الله. ولا تُعرقُنَّ نخلاً، ولا تحرقُنَّها، ولا تعقروا البهيمة ولا شجرة ثمر، ولا تهدموا بِيعة، ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء. وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له، وستجدون آخرين اتخذوا للشيطان في أوساط رؤوسهم أفحاصاً، فإذا وجدتم أولئك فاضربوا أعناقهم إن شاء الله». كذا في كنز العمال (2/ 295).

وأخرجه مالك وعبد الرزاق والبيهقي وابن أبي شيبة عن يحيى بن سعيد، والبيهقي عن صالح بن كيسان، وابن زَنْجويه عن ابن عمر رضي الله عنهما مختصراً. كما في «الكنز» (2/ 295 و 296).

وأخرج البيهقي (8/ 201) عن عروة أنَّ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه أمر خالد بن الوليد رضي الله عنه حين بعثه إلى من ارتدَّ من العرب أن يدعوهم بدعاية الإسلام، ويبينهم بالذي لهم فيه وعليهم ويحرص على هُداهم، فمن أجابه من النَّاس كلِّهم أحمرهم وأسودهم كان يقبل ذلك منه، بأنه إنما يقاتل من كفر بالله على الإيمان بالله، فإذا أجاب المدعو إلى الإسلام وصدق إيمانه لم يكن عليه سبيل وكان الله هو حسيبه، ومن لم يجبه إلى ما دعاه إليه من الإسلام ممَّن يرجع عنه أن يقتله. كذا في «الكنز» (3/ 143).

وأخرج ابن جرير الطبري (2/ 551) عن ابن حُمَيد، عن سلمة، عن ابن إسحاق، عن صالح بن كيسان: أنَّ خالداً نزل الحيرة فخرج إليه أشرافها مع قبيصة بن إياس بن حيَّة الطائي ـ وكان أمَّره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر ـ فقال له خالد ولأصحابه: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين لكم ما لهم وعليكم ما

عليهم، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة؛ جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم. فقال له قبيصة: ما لنا بحربك من حاجة، بل نقيم على ديننا ونعطيكم الجزية. فصالحهم على تسعين ألف درهم.

وأخرجه البيهقي (9/ 187) من طريق يونس بن بُكَير عن ابن إسحاق وفيه: فقال خالد: أدعوكم إلى الإسلام، وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله وحده وأن محمداً عبده ورسوله، وتُقيموا الصلاة، وتُؤتوا الزكاة، وتقرُّوا بأحكام المسلمين، على أنَّ لكم مثلَ ما لهم وعليكم مثل ما عليهم. فقال هانىء: وإن لم أشأ ذلك فَمَه؟ قال: فإن أبيتم ذلك أديتم الجزية عن يدٍ. قال: فإن أبينا ذلك؟ قال: فإن أبيتم ذلك وطئتكم بقوم الموت أحب إليهم من الحياة إليكم. فقال هانىء: أجِّلنا ليلتنا هذه فننظر في أمرنا، قال: قد فعلت. فلما أصبح القوم غدا هانىء فقال: إنه قد أجمع أمرنا على أن نؤدِّي الجزية، فهلمَّ فلأصالحك ـ فذكر القصة.

وقال في «البداية» (7/ 9) أيضاً: لمَّا تقارب الناس يوم اليرموك تقدّم أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان ومعهما ضرار بن الأزور، والحارث بن هشام وأبو جندل بن سهيل ونادوا: إنَّما نريد أميركم لنجتمع به، فأُذن لهم للدخول على تذارق، وإذا هو جالس في خيمة من حرير، فقال الصحابة: لا نستحلُّ دخولها. فأمر لهم بفرش بسط من حرير، فقالوا: ولا نجلس على هذه، فجلس معهم حيث أحبُّوا، وتراضوا على الصلح، ورجع عنهم الصحابة بعدما دعوهم إلى الله عزّ وجلّ فلم يتمَّ ذلك.

وذكر في «البداية» (7/ 12) عن الواقدي وغيره قالوا: خرج جَرَجَة ـ أحد الأمراء الكبار ـ من الصفّ ـ أي يوم اليرموك ـ واستدعَى خالد بن

الوليد، فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال جَرَجَة: يا خالد، أخبرني فاصدقني ولا تَكذبني، فإن الحرّ لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله: هل أنزل الله على نبيِّكم سيفاً من السماء فأعطاكَه فلا تسلُّه على أحد إلا هزمتهم؟ قال: لا. قال: فبِمَ سُمِّيت سيف الله؟ قال: إنَّ الله بعث فينا نبيَّه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً، ثم إنَّ بعضنا صدَّقه وتابعه وبعضنا كذَّبه وباعده، فكنت فيمن كذَّبه وباعده. ثم إنَّ الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه. فقال لي: «أنت سيف من سيوف الله سلَّه الله على المشركين» ودعا لي بالنَّصر، فسُمِّيتُ سيف الله بذلك، فأنا من أشد المسلمين على المشركين. فقال جَرَجَة: يا خالد إلَامَ تدعون؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله عزّ وجلّ. قال: فمن لم يجبكم؟ قال: فالجزية ونمنعهم. قال: فإن لم يعطِها؟ قال: نُؤذِنُه بالحرب ثم نقاتله. قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا!! قال جَرَجَة: فلِمَنْ دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذُّخر؟ قال: نعم وأفضل. قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ فقال خالد: إنَّا قبلنا هذا الأمر عَنْوة وبايعنا نبينا وهو حيٌّ بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء يخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات؛ وحقٌّ لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع؛ وإنَّكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج؛ فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونيّة كان أفضل منّا. فقال جَرَجَة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟ قال: تالله لقد صدقتك، وإنَّ الله وليّ ما سألت عنه.

فعند ذلك قَلَبَ جَرَجَة الترس ومال مع خالد وقال: علّمني الإِسلام. فمال به خالد إلى فسطاطه فشنّ عليه قِربةً من ماء ثم صلّى به ركعتين. وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يَرَون أنَّها منه حملة، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المُحامية عليهم عِكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام. فركب خالد وجَرَجَة معه والروم خلال المسلمين، فتنادَى الناس وثابوا، وتراجعت الروم إلى مواقفهم، وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف، فضرب فيهم خالد وجَرَجَة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب، وصلَّى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماءً، وأصيب جَرَجَة ـ رحمه الله ـ ولم يصلِّ لله إلا تلك الركعتين مع خالد رضي الله عنهما. انتهى.

وقال الحافظ في «الإِصابة» (1/ 260): ذكره ابن يونس الأزدي في فتوح الشام، ومن طريق أبي نُعَيم في «الدلائل» وقال: جرجير، وقال سَيْف بن عمر في الفتوح: جَرَجَة، وذكر أنه أسلم على يدي خالد بن الوليد واستشهد باليرموك؛ وذكر قصته أبو حذيفة إسحاق بن بشر في الفتوح أيضاً لكن لم يسمِّه. انتهى.

وذكر في «البداية» (6/ 345) عن خالد رضي الله عنه أنَّه قام في الناس خطيباً، فرغَّبهم في بلاد الأعاجم، وزهدهم في بلاد العرب، وقال: ألا تَرون ما ههنا من الأطعمات، وبالله لو لم يلزمْنا الجهاد في سبيل الله والدعاء إلى الإِسلام ولم يكن إلا المعاش ـ لكان رأيٌ أن نقاتل على هذا الريف حتى نكون أولى به، ونُولي الجوع والإِقلال من تولَّاه ممن اثَّاقل عما أنتم عليه ـ انتهى. وأسنده ابن جرير في «تاريخه» (2/ 559) من طريق سَيْف عن محمد بن أبي عثمان بنحوه.

* * *

دعوة الصحابة إلى الله ورسوله في القتال في عهد عمر رضي الله عنه ووصيته الأمراء بذلك

أخرج أبو عُبَيْد عن يزيدَ بن أبي حبيب قال: كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما: أني قد كنت كتبت إليك أن تدعو الناس إلى الإسلام ثلاثة أيام، فمن استجاب لك قبل القتال فهو رجل من المسلمين، له ما للمسلمين وله سهم في الإسلام، ومن استجاب لك بعد القتال أو بعد الهزيمة فمالُه فيءٌ للمسلمين لأنَّهم كانوا قد أحرزوه قبل إسلامه. فهذا أمري وكتابي إليك؛ كذا في «الكنز» (2/ 297).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 189) عن أبي البَختري: أنَّ جيشاً من جيوش المسلمين كان أميرهم سلمان الفارسي رضي الله عنه، فحاصروا قصراً من قصور فارس، فقالوا: يا أبا عبد الله، ألا نَنْهد إليهم؟ قال: دعوني أدعوهم كما سمعت رسول الله ﷺ يدعوهم، فقال لهم: أنا رجل منكم فارسي أَتَرَون العرب تطيعني، فإن أسلمتم فلكم مثل الذي لنا وعليكم مثل الذي علينا، وإن أبيتم إلا دينَكم تركناكم عليه وأعطيتمونا الجزية عن يَدٍ وأنتم صاغرون ـ قال ورطَنَ إليهم بالفارسية وأنتم غير محمودين ـ وإن أبيتم نابذناكم على سواء. فقالوا: ما نحن بالذي نؤمن، وما نحن بالذي نعطي الجزية، ولكنا نقاتلكم. قالوا: يا أبا عبد الله، ألا ننهد إليهم؟ قال: لا، فدعاهم

ثلاثة أيام إلى مثل هذا. ثم قال: انهدوا إليهم. فنهدوا إليهم. قال: ففتحوا ذلك الحصن.

وأخرجه أيضاً أحمد في «مسنده» والحاكم في «المستدرك» كما في «نَصْب الراية» (3/ 378) بمعناه وفيه: فلما كان في اليوم الرابع أمر الناس فغدَوا إليها ففتحوها. وأخرجه ابن أبي شيبة كما في «الكنز» (2/ 298). وأخرجه أيضاً ابن جرير (4/ 173) عن أبي البَختري قال: كان رائدَ المسلمين سلمانُ الفارسي، وكان المسلمون قد جعلوه داعيةَ أهل فارس. قال عطية: وقد كانوا أمروه بدعاء أهل بَهُرَسير، وأمَّروه يوم القصر الأبيض، فدعاهم ثلاثاً ـ فذكر الحديث في دعوة سلمان رضي الله عنه بمعناه.

وذكر ابن كثير في «البداية» (7/ 38) أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعث جماعة من السادات منهم: النُّعمان بن مُقرِّن، وفُرَات بن حيَّان، وحنظلة بن الربيع التميمي، وعُطارد بن حاجب، والأشعث بن قيس، والمغيرة بن شعبة. وعمرو بن معدِ يكَرِب، رضي الله عنهم، يدعون رُستم إلى الله عزّ وجلّ. فقال لهم رُستم: ما أقدمكم؟ فقالوا: جئنا لموعود الله إيانا أخذ بلادكم، وسبي نسائكم وأبنائكم، وأخذ أموالكم، فنحن على يقين من ذلك. وقد رأى رُستم في منامه كأن مَلَكاً نزل من السماء فختم على سلاح الفرس كلِّه، ودفعه إلى رسول الله ﷺ فدفعه رسول الله ﷺ إلى عمر رضي الله عنه.

وقال سيف عن شيوخه: ولمَّا تواجه الجيشان بعث رُستم إلى سعد رضي الله عنه أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما أسأله عنه، فبعث إليه المغيرةَ بن شعبة. فلما قدم إليه جعل رُستم يقول له: إنكم جيرانُنا وكنا نحسن إليكم ونكف الأذى عنكم، فارجعوا إلى بلادكم ولا نمنع

تجارتكم من الدخول إلى بلادنا. فقال له المغيرة: إنا ليس طلبنا الدنيا وإنما همنا وطلبنا الآخرة، وقد بعث الله إلينا رسولاً، قال له: إنِّي قد سلطت هذه الطائفة على من لم يَدِنْ بديني، فأنا منتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مُقرِّين به، وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلا ذلّ، ولا يعتصم به إلا عزّ. فقال له رُستم: فما هو؟ فقال: أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والإِقرار بما جاء من عند الله. فقال: ما أحسن هذا!! وأي شيء أيضاً؟ قال: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، قال: وحَسَنٌ أيضاً. وأي شيء أيضاً؟ قال: والناس بنو آدم فهم إخوة لأب وأم. قال: وحسن أيضاً. قال: ولما خرج المغيرة من عنده ذاكَر رستم رؤساء قومه في الإسلام، فأنِفُوا ذلك وأبَوا أن يدخلوا فيه، قبَّحهم الله وأخزاهم وقد فعل.

قالوا: ثم بعث إليه سعد رضي الله عنه رسولاً آخر بطلبه وهو ربعي بن عامر، فدخل عليه وقد زيَّنوا مجلسه بالنَّمارق المذهَّبة، والزَّرابي الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلىء الثمينة والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب. ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبَها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحُه ودرعه وبيضتُه على رأسه. فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتِكم وإنّما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلَّا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النَّمارق فخرَّق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضِيق الدنيا إلى سعَتَها، ومن جَوْر

الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه؛ فمن قَبِل ذلك قَبِلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضيَ إلى موعود الله، قالوا: وما موعودُ الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي. فقال رستم: لقد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم، كم أحبُّ إليكم؟ يوماً أو يومين، قال: لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا. فقال: ما سنَّ لنا رسول الله ﷺ أن نؤخِّر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل. فقال: أسيِّدهم أنت؟ قال: لا، ولكن المسلمون كالجسد الواحد يُجير أدناهم على أعلاهم. فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قط أعزَّ وأرجح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب!! أما ترى إلى ثيابه؟! فقال: ويلَكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب يستخفُّون بالثياب والمأكل ويصونون الأحساب.

ثم بعثوا يطلبون في اليوم الثاني رجلاً، فبعث إليهم حذيفة بن محصَنَ فتكلم نحو ما قال رِبعي، وفي اليوم الثالث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فتكلم بكلام حسن طويل، قال فيه رُستم للمغيرة: إنَّما مثلكم في دخولكم أرضنا كمثل الذباب رأى العسل، فقال: من يوصلني إليه وله درهمان؟ فلما سقط عليه غرق فيه، فجعل يطلب الخلاص فلا يجده، وجعل يقول من يخلِّصني وله أربعة دراهم؟! ومثلكم كمثل ثعلب ضعيف دخل جُحْراً في كرم، فلما رآه صاحب الكرم ضعيفاً رحمه فتركه، فلما سمِن أفسد شيئاً كثيراً، فجاء بخشبة واستعان عليه بغلمانه، فذهب ليخرج فلم يستطع لِسِمَنه فضربه حتى قتله، فهكذا تخرجون من بلادنا.

ثم استشاط غضباً، وأقسم بالشمس لأقتلَّنكم غداً. فقال المغيرة: ستعلم. ثم قال رستم للمغيرة: قد أمرت لكم بكسوة ولأميركم بألف دينار وكسوة ومركوب وتنصرفون عنا. فقال المغيرة: أبعدَ أن أوهنَّا مُلْككم وضعَّفنا عزَّكم؟! ولنا مدة نحو بلادكم ونأخذ الجزية منكم عن يد وأنتم صاغرون وستصيرون لنا عبيداً على رَغْمِكم!!. فلما قال ذلك استشاط غضباً ـ انتهى ما في البداية.

وأخرجه الطبري (4/ 105) عن ابن الرُّفَيْل عن أبيه وعن أبي عثمان النَّهدي وغيرهما ـ فذكر دعوة زُهْرة والمغيرة ورِبْعي وحذيفة ـ رضي الله عنهم بطوله بمعنى ما تقدم.

وأخرج ابن جرير عن حسين بن عبد الرحمن قال: قال أبو وائل: جاء سعد رضي الله عنه حتى نزل القادسية ومعه الناس قال: لا أدري لعلَّنا لا نزيد على سبعة آلاف أو ثمانية آلاف والمشركون ثلاثون ألفاً ـ كذا في هذه الرواية؛ وذكر في «البداية» (7/ 38) عن سَيْف وغيره أنهم كانوا ثمانين ألفاً. وفي رواية: كان رُستم في مائة ألف وعشرين ألفاً يتبعها ثمانون ألفاً، وكان معه ثلاثة وثلاثون فيلاً منها فيل أبيض كان لسابور فهو أعظمها وأقدمها، وكانت الفيلة تألفه. انتهى؛ ونحو ذلك. فقالوا: لا يَدَ لكم ولا قوة ولا سلاح ما جاء بكم؟! ارجعوا. قال: قلنا: ما نحن براجعين. فكانوا يضحكون من نبلنا ويقولون: «دُوك دُوك» ويشبهونها بالمغازل. فلمَّا أبينا عليهم أن نرجع قالوا: ابعثوا إلينا رجلاً من عقلائكم يبين لنا ما جاء بكم؟ فقال المغيرة بن شعبة: أنا، فعبر إليهم فقعد مع رُستم على السرير، فنخروا وصاحوا. فقال: إنَّ هذا لم يزدني رفعة ولم ينقص صاحبكم. فقال رستم: صدقت، ما جاء بكم؟ فقال: إنا كنا قوماً في شر وضلالة فبعث الله إلينا نبياً فهدانا الله به ورزقنا

على يديه، فكان فيما رزقنا حبّةٌ تنبت في هذا البلد، فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا: لا صبر لنا عنها، أنزلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحبّة. فقال رستم: إذاً نقتلكم. قال: إن قتلتمونا دخلنا الجنة وإن قتلناكم دخلتم النار وأدَّيتم الجزية. قال: فلما قال وأدّيتم الجزية نخروا وصاحوا، وقالوا: لا صلح بيننا وبينكم. فقال المغيرة: تعبرون إلينا أو نعبر إليكم؟ فقال رستم: بل نعبر إليكم فاستأخر المسلمون حتى عبروا فحملوا عليهم فهزموهم؛ كذا في «البداية» (7/ 40). وأخرجه الحاكم (3/ 451) من طريق حصين بن عبد الرحمن عن أبي وائل قال: شهدت القادسية فانطلق المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ـ فذكره مختصراً.

وأخرج الحاكم (3/ 451) أيضاً عن معاوية بن قُرَّة رضي الله عنه قال: لما كان يوم القادسية بُعث بالمغيرة بن شعبة رضي الله عنه إلى صاحب فارس. فقال: ابعثوا معي عشرة. فبعثوا فشدَّ عليه ثيابه ثم أخذ حَجَفة ثم انطلق حتى أتَوه، فقال: ألقوا لي ترساً فجلس عليه، فقال العِلْج: إنكم ـ معاشر العرب ـ قد عرفت الذي حملكم على المجيء إلينا، أنتم قوم لا تجدون في بلادكم من الطعام ما تشبعون منه، فخذوا نعطيكم من الطعام حاجتكم، فإنَّا قوم مجوس وإنَّا نكره قتلكم، إنكم تنجِّسون علينا أرضنا. فقال المغيرة: والله ما ذاك جاء بنا، ولكنّا كنا قوماً نعبد الحجارة والأوثان، فإذا رأينا حجراً أحسن من حجر ألقيناه وأخذنا غيره، ولا نعرف ربّاً حتى بعث الله إلينا رسولاً من أنفسنا فدعانا إلى الإسلام، فاتَّبعناه ولم نجيء للطعام، إنَّا أُمرنا بقتال عدوّنا ممَّن ترك الإسلام، ولم نجيء للطعام، لكنا جئنا لنقتل مقاتلتكم ونسبي ذراريكم. وأما ما ذكرت من الطعام فإنا لعمري ما نجد من الطعام ما نشبع منه، وربما لم نجد ريّاً من الماء أحياناً، فجئنا إلى أرضكم هذه فوجدنا فيها

طعاماً كثيراً وماءً كثيراً، فوالله لا نبرحها حتى تكون لنا أو لكم؛ فقال العِلْج بالفارسية: صدق. قال: وأنت تُفقأ عينك غداً ففقئت عينه من الغد، أصابته نُشَّابة ـ غريب. قال الحاكم: صحيح الإِسناد ولم يخرِّجاه، وقال الذهبي: صحيح، وأخرجه الطبراني عن معاوية رضي الله عنه مثله. قال الهيثمي (6/ 215): ورجاله رجال الصحيح.

وذكر في البداية (7/ 41) عن سَيْف أنَّ سعداً رضي الله عنه كان قد بعث طائفة من أصحابه إلى كسرى يدعونه إلى الله قبل الوقعة، فاستأذنوا على كسرى فأذن لهم، وخرج أهل البلد ينظرون إلى أشكالهم وأرديتُهم على عواتقهم، وسياطهم بأيديهم، والنِّعال في أرجلهم، وخيولهم الضعيفة، وخبطِها الأرض بأرجلها؛ وجعلوا يتعجَّبون منها غاية العجب؛ كيف مثل هؤلاء يقهَرون جيوشهم مع كثرة عَدَدها وعُدَدها. ولما استأذنوا على الملك يَزْدَجِرد أذن لهم وأجلسهم بين يديه ـ وكان متكبِّراً قليل الأدب ـ ثم جعل يسألهم عن ملابسهم هذه ما اسمها، عن الأردية والنِّعال والسِّياط. ثم كلَّما قالوا له شيئاً من ذلك تفاءل، فرد الله فأله على رأسه. ثم قال لهم: ما الذي أقدمكم هذه البلاد؟! أظننتم أنّا لما تشاغلنا بأنفسنا اجترأتم علينا؟ فقال له النعمان بن مقرن رضي الله عنه: إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يدلنا على الخير ويأمرنا به، ويعرِّفنا الشر وينهانا عنه، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة. فلم يَدْعُ إلى ذلك قبيلة إلَّا وصاروا فرقتين: فرقة تقاربه، وفرقة تباعده؛ ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث. ثم أُمر أن ينهد إلى من خالفه من العرب ويبدأ بهم، ففعل فدخلوا معه جميعاً على وجهين: مكروه عليه فاغتبط، وطائع إياه فازداد؛ فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق، وأمرنا أن نبدأ بمن يلينا

من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين الإسلام، حسَّن الحَسَن وقبَّح القبيح كله. فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء، فإن أبيتم فالمناجزة. وإن أجبتم إلى ديننا، خلَّفنا فيكم كتاب الله، وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن أتيتمونا بالجِزَى قبلنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم.

قال: فتكلم يزدجرد، فقال: إنِّي لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بَيْن منكم؛ وقد كنَّا نوكل بكم قرى الضواحي ليكفوناكم، لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم، فإن كان عددكم كثر فلا يغرَّنكم منا، وإن كان الجهد دعاكم؛ فرضنا لكم قوتاً إلى خِصبكم، وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم، وملَّكنا عليكم ملكاً يرفق بكم. فأسكت القوم، فقام المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فقال: أيها الملك؛ إنَّ هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم، وهم أشرافٌ يستحيُون من الأشراف، وإنما يكرم الأشرافَ الأشرافُ، ويعظِّم حقوق الأشرافِ الأشرافُ، وليس كل ما أُرسلوا له جمعوه لك، ولا كل ما تكلَّمت به أجابوك عليه، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلَّا ذلك فجاوبني، فأكون أنا الذي أبلِّغك ويشهدون على ذلك. إنَّك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً. فأمَّا ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع. كنا نأكل الخنافس والجِعلان، والعقارب والحيات، ونرى ذلك طعامنا. وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم؛ ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً، وأن يبغي بعضنا على بعض، وإنْ كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حيّة كراهية

أن تأكل من طعامه. وكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك. فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً نعرف نسبه، ونعرف وجهه ومولده، فأرضه خير أرضنا، وحسبه خير أحسابنا، وبيته خير بيوتنا، وقبيلته خير قبائلنا، وهو نفسه كان خيرَنا في الحال التي كان فيها أصدَقَنا وأحلَمنا. فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد قبلَ تِرْبٍ كان له وكان الخليفة من بعده. فقال وقلنا، وصدَّق وكذَّبنا، وزاد ونقصنا، فلم يقل شيئاً إلا كان، فقذف الله في قلوبنا التصديق له واتِّباعه؛ فصار فيما بيننا وبين رب العالمين.

فما قال لنا فهو قول الله، وما أمرنا فهو أمر الله. فقال لنا إنَّ ربَّكم يقول: أنا الله وحدي لا شريك لي، كنت إذ لم يكن شيء وكلٌّ شيء هالك إلا وجهي، وأنا خلقت كلَّ شيء، وإليَّ يصير كلُّ شيء، وإنَّ رحمتي أدركتكم. فبعثت إليكم هذا الرجل لأدلَّكم على السبيل التي أُنجيكم بها بعد الموت من عذابي، ولأحلكم داري دار السلام. فنشهد عليه أنَّه جاء بالحق من عند الحق. وقال: من تابعكم على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم، ومن أبَى فاعرضوا عليه الجِزْية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم، ومن أبى فقاتلوه؛ فأنا الحكم بينكم، فمن قُتِلَ منكم أدخلته جنتي، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناوأه؛ فاختر إن شئت الجِزْية وأنت صاغر، وإن شئت فالسيف، أو تُسلم فتنجي نفسك.

فقال يزدجرد: أتستقبلني بمثل هذا؟! فقال: ما استقبلت إلَّا من كلمني، ولو كلّمني غيرك لم أستقبلك به. فقال: لولا أن الرسل لا تُقتل لقتلتكم، لا شيء لكم عندي؛ وقال: ائتوني بوِقْر من تراب فاحملوه على أشرف هؤلاء، ثم سوقوه حتى يخرج من أبيات المدائن. ارجعوا إلى

صاحبكم فأعلموه أنِّي مُرسِل إليه رستم حتى يدفنه وجنده في خندق القادسية وينكِّل به وبكم من بعد، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشدّ مما نالكم من سابور.

ثم قال: من أشرفكم؟ فسكت القوم، فقال عاصم بن عمرو رضي الله عنه ـ وافتأت ليأخذ التراب ـ: أنا أشرفهم، أنا سيد هؤلاء فحمِّلْنيه. فقال: أكذلك؟ قالوا: نعم. فحمله على عنقه فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته فحمله عليها، ثم انجذب في السير ليأتوا به سعداً وسبقهم عاصم فمرَّ بباب قُدَيْس فطواه، وقال: بشِّروا الأمير بالظَّفَر، ظفرنا إن شاء الله تعالى. ثم مضى حتى جعل التراب في الحَجَر، ثم رجع فدخل على سعد رضي الله عنه فأخبره الخبر. فقال: أبشروا فقد ـ والله ـ أعطانا الله أقاليد مُلْكِهم؛ وتفاءلوا بذلك أخذ بلادهم. انتهى. وأخرجه ابن جرير الطبري (4/ 94) عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشَّعْبي بمثله.

وأخرج ابن جرير أيضاً (4/ 186) من طريق سَيْف عن محمد، وطلحة وغيرهما قالوا: لمَّا رأت الروم ـ أي يوم وقعة تكريت ـ أنهم لا يخرجون خرجة إلَّا كانت عليهم ويُهزَمون في كل ما زاحفوهم؛ تركوا أمراءهم، ونقلوا متاعهم إلى السفن، وأقبلت العيون من تغلب وإياد والنَّمِر إلى عبد الله بن المُعْتَم بالخبر، وسألوه للعرب السِلم، وأخبروه قد استجابوا له، فأرسل إليهم إن كنتم صادقين بذلك فاشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأقروا بما جاء من عند الله، ثم أعلمونا رأيكم، فرجعوا إليهم بذلك، فردوهم إليه بالإسلام. فذكر القصة.

وأخرج ابن جرير (4/ 227) من طريق سيف عن أبي عثمان عن خالد وعبادةَ رضي الله عنهما، قالا: خرج عمرو بن العاص رضي الله

عنه إلى مصر بعدما رجع عمر إلى المدينة، حتى انتهى إلى باب أَلْيُون وأتبعه الزبير فاجتمعا رضي الله عنهما، فلقيهم هنالك أبو مريم ـ جاثَلِيق مصر ـ ومعه الأسقُف في أهل النيّات، بعثه المُقَوْقِس لمنع بلادهم. فلمّا نزل بهم عمرو رضي الله عنه قاتلوه، فأرسل إليهم: لا تعجلونا لنعذِر إليكم وتَرَوْنَ رأيكم بعد؛ فكَفُّوا أصحابهم، وأرسل إليهم عمرو: إنِّي بارز فليبرز إليّ أبو مريم وأبو مريام، فأجابوه إلى ذلك، وأمن بعضهم بعضاً. فقال لهما عمرو: أنتما راهبا هذه البلدة فاسمعا: إنَّ الله عزّ وجلّ بعث محمداً ﷺ بالحق وأمره به، وأمرنا به محمد ﷺ، وأدّى إلينا كل الذي أُمر به. ثم مضى ـ صلوات الله عليه ورحمته ـ وقد قضى الذي عليه وتركنا على الواضحة. وكان مما أمرنا به الإِعذارُ إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإِسلام، فمن أجابنا إليه فمثلنا، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية، وبذلنا له المَنعَة، وقد أعلمنا أنا مفتتحوكم، وأوصانا بكم حفظاً لرَحِمنا فيكم، وإنَّ لكم إن أجبتمونا بذلك ذِمةً إلى ذمة. ومما عهد إلينا أميرنا: استوصوا بالقبطيين خيراً، فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيراً، لأن لهم رَحِماً وذمة. فقالوا: قراة بعيدة لا يَصلُ مثلَها إلا الأنبياء، معروفة شريفة كانت ابنةَ ملكنا وكانت من أهل مَنْف والملك فيهم؛ فأُديل عليهم أهل عين شمس فقتلوهم وسلبوا ملكهم واغتربوا؛ فلذلك صارت إلى إبراهيم عليه السلام، مرحباً به وأهلاً، آمِنًّا حتى نرجع إليك. فقال عمرو: إنَّ مثلي لا يُخدع ولكني أؤجلكما ثلاثاً لتنظرا ولتُناظِرا قومكما، وإلا ناجزتكم. قالا: زِدْنا. فزادهم يوماً. فقالا: زِدْنا فزادهم يوماً. فرجعا إلى المقوقِس فهمَّ، فأبى أرطبون أن يجيبهما وأمر بمناهدتهم، فقالا لأهل مصر: أمّا نحن فسنجهد أن ندفع عنكم ولا نرجع إليهم، وقد بقيت أربعة أيام فلا تصابون فيها بشيء إلّا رجَونا أن يكون له أمان. فلم يفجأ عَمْراً والزبير إلّا البياتُ من فَرقَب، وعمرو على

عُدَّة، فلقوه فقتل ومن معه ثم ركبوا أكساءهم، وقصد عمرو والزبير رضي الله عنهما لعين شمس.

وأخرج الطبري أيضاً (4/ 228) عن أبي حارثة، وأبي عثمان قالا: لمَّا نزل عمرو رضي الله عنه على القوم بعين شمس قال أهل مصر لملكهم: ما تريد إلى قوم فَلُّوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم؟! صالحِ القوم واعتقد منهم، ولا تعرض لهم ولا تعرِّضنا لهم، وذلك في اليوم الرابع، فأبى وناهدوهم، فقاتلوهم وارتقى الزبير سورها، فلما أحسُّوه فتحوا الباب لعمرو رضي الله عنه وخرجوا إليه مصالحين. فقبل منهم ونزل عليهم الزبير رضي الله عنه عَنْوة.

وأخرج الطبري (5/ 9) أيضاً عن سليمان بن بُرَيدة أن أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - كان إذا اجتمع إليه جيش من أهل الإيمان أمَّر عليهم رجلاً من أهل العلم والفقه، فاجتمع إليه جيش، فبعث عليهم سَلَمة بن قيس الأشجعي رضي الله عنه، فقال: سِرْ باسم الله، قاتل في سبيل الله من كفر بالله. فإذا لقيتم عدوَّكم، من المشركين فادعوهم إلى ثلاث خصال: ادعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا فاختاروا دارهم فعليهم في أموالهم الزكاة وليس لهم في فيء المسلمين نصيب، وإن اختاروا أن يكونوا معكم فلهم مثل الذي لكم وعليهم مثل الذي عليكم. فإن أبَوا فادعوهم إلى الخراج، فإن أقرّوا بالخراج فقاتلوا عدوهم من ورائهم، وفرِّغوهم لخراجهم ولا تكلفوهم فوق طاقتهم. فإن أبَوا فقاتلوهم فإنَّ الله ناصرُكم عليهم، فإن تحصَّنوا منكم في حصن فسألوكم أن ينزلوا على حكم الله وحكم رسوله فلا تنزلوهم على حكم الله، فإنكم لا تدرون ما حكم الله ورسوله فيهم، وإن سألوكم أن ينزلوا على ذمة الله وذمة رسوله (فلا تعطوهم ذمّة الله وذمة رسوله) وأعطوهم ذمم أنفسكم، فإن قاتلوكم

فلا تغُلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا وليداً. قال سلمة: فسرنا حتى لقينا عدوَّنا من المشركين، فدعوناهم إلى ما أمر به أمير المؤمنين، فأَبَوا أن يسلموا، فدعوناهم إلى الخراج فأَبَوا أن يقرّوا، فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم، فقتلنا المقاتلة، وسبينا الذرية، وجمعنا الرِّثَّة - فذكر الحديث بطوله جداً.

وأخرج ابن سعد (4/ 110) عن بشير بن أبي أمية عن أبيه أن الأشعري نزل بأصبهان فعرض عليهم الإسلام فأَبَوا؛ فعرض عليهم الجزية، فصالحوه على ذلك فباتوا على صلح، حتى إذا أصبحوا أصبحوا على غدر، فبادرهم القتال فلم يكن أسرع من أن أظهره الله عليهم.

* * *

قصص الصحابة في الأعمال والأخلاق المفضية إلى هداية الناس

أخرج أبو نعيم في «الدلائل» (ص 109) عن ابن إسحاق قال: لمّا قدم الأنصار المدينة بعدما بايعوا رسول الله ﷺ ظهر الإسلام بها، وفي قومهم بقايا عل دينهم من أهل الشرك منهم عمرو بن الجَموح، وكان ابنه معاذ قد شهد العَقَبة وبايع رسول الله ﷺ بها. وكان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بني سَلِمة وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له «مَنَاة» كما كانت الأشراف يصنعون، يتخذه إلهاً ويطهِّره. فلما أسلم فتيان بني سَلِمة: معاذ بن جبل، وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح، في فتيان منهم ممّن أسلم وشهد العقبة ـ كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حُفَر بني سَلِمة وفيها عِذَر الناس منكَّساً على رأسه. فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عَدَا على إلهنا في هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهَّره وطيَّبه، ثم قال: وايْمُ الله، لو أني أعلم من صنع بك هذا لأخزينَّه. فإذا أمسى عمرو ونام عَدَوا عليه ففعلوا به مثل ذلك.

فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقَوه يوماً، فغسله وطهَّره وطيَّبه، ثم جاء بسيفه فعلَّقه عليه ثم قال: إنِّي والله ما أعلم من يفعل بك ما ترى فإن كان بك خير فامتنع فهذا السيف معك. فلما أمسى ونام عدَوا عليه فأخذوه والسيف في عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه معه

بحبل، ثم ألقَوه في بئر من آبار بني سَلِمة فيها عَذِرَة من عِذَر الناس. وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده مكانه الذي كان فيه، فخرج في طلبه حتى وجده في تلك البئر مقروناً بكلب ميت. فلما رآه وأبصر شأنه وكلَّمه مَنْ أسلم من قومه، أسلم ـ يرحمه الله ـ وحَسُنَ إسلامه.

وزاد منجاب عن زياد في حديثه عن ابن إسحاق قال: وحدثني إسحاق بن يَسَار عن رجل من بني سَلِمة قال: لما أسلم فتيان بني سَلِمة أسلمت امرأة عمرو بن الجموح وولده، قال لامرأته: لا تدَعي أحداً من عيالك في أهلك حتى ننظر ما يصنع هؤلاء، قالت: أفعل، ولكن هل لك أن تسمع من ابنك فلان ما روى عنه؟ قال: فلعله صبأ. قالت: لا، ولكن كان مع القوم. فأرسل إليه فقال: أخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل فقرأ عليه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ـ إلى قوله تعالى ـ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾. فقال: ما أحسن هذا وأجمله، وكل كلامه مثل هذا؟ فقال: يا أبتاه، وأحسن من هذا. قال: فهل لك أن تبايعه؟ قد صنع ذلك عامة قومك قال: لست فاعلاً حتى أؤَامر مَنَاة، فأنظر ما يقول. قال: وكانوا إذا أرادوا كلام مَنَاة جاءت عجوز فقامت خلفه فأجابت عنه. قال: فأتاه وغُيِّبت العجوز وأقام عنده فتشكَّر له. وقال: يا مناة، تشعر أنه قد سئل بك وأنت غافل!! جاء رجل ينهانا عن عبادتك ويأمرنا بتعطيلك، فكرهت أن أبايعه حتى أؤامرك. وخاطبه طويلاً فلم يردّ عليه. فقال: أظنك قد غضبت ولم أصنع بعد شيئاً، فقام إليه فكسره!!.

وزاد إبراهيم بن سلمة في حديثه عن ابن إسحاق: قال عمرو بن الجموح حين أسلم وعرف من الله ما عرف، وهو يذكر صنمه وما أبصر من أمره، ويتشكَّر الله الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة:

أتوبُ إلى الله ممَّا مَضى
وأستَنقذُ الله من نارِهِ
وأُثني عليه بنعمائِهِ
إلهِ الحرام وأستارهِ
فسبحانَهُ عدد الخاطئين
وقطر السماءِ ومدرارِهِ
هداني وقد كنتُ في ظُلمةٍ
حليفَ مَنَاة وأحجارِهِ
وأنقذني بعدَ شيب القَذَا
لِ من شين ذاك ومن عارِهِ
فقد كدت أهلِك في ظلمةٍ
تدارك ذاك بمقدارِهِ
فحمداً وشكراً له ما بقيت
إله الأنام وجبَّارِهِ
أريد بذلك إذ قلته
مجاورة الله في دارِهِ

وقال أيضاً يذم صنمه:

تالله لو كنت إلهاً لم تكن
انت وكَلْبٌ وسطَ بئر في قَرَن
افٍّ لملقاك إلهاً مُستدن
الآن فتَّشناك عن سوء الغبن

الحمد لله العليّ ذي المنن

الواهب الرزّاق ديّان الدِّيَن

هو الذي أنقذني من قبل أن

أكون في ظلمة قبر مرتهن

وأخرج الحاكم في «المستدرك» (3/ 336) عن الواقدي قال: كان أبو الدرداء رضي الله عنه فيما ذُكر ـ آخر داره إسلاماً، لم يزل متعلِّقاً بصنم له وقد وضع عليه منديلاً، وكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يدعوه إلى الإسلام فيأبى؛ فيجيئه عبد الله بن رواحة وكان له أخاً في الجاهلية قبل الإسلام. فلما رآه قد خرج من بيته خالفه فدخل بيته، وأعجل امرأته وإنها لتمشط رأسها. فقال: أين أبو الدرداء؟ فقالت: خرج أخوك آنفاً. فدخل بيته الذي كان فيه الصنم ومعه القَدُوم فأنزله وجعل يقدده فِلْذاً فِلْذاً وهو يرتجز سراً من أسماء الشياطين كلها:

ألا كل ما يُدعى مع الله باطل

ثم خرج وسمعت المرأة صوت القَدُوم وهو يضرب ذلك الصنم، فقالت: أهلكتني يا ابن رواحة!! فخرج على ذلك فلم يكن شيء حتى أقبل أبو الدرداء إلى منزله، فدخل فوجد المرأة قاعدة تبكي شفقاً منه. فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك عبد الله بن رواحة دخل عليّ فصنع ما ترى. فغضب غضباً شديداً، ثم فكَّر في نفسه فقال: لو كان عند هذا خير لدفع عن نفسه. فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ ومعه ابن رواحة فأسلم.

وأخرج ابن جرير الطبري (4/ 227) عن زياد بن جَزْء الزُّبيدي قال: افتتحنا الإسكندرية في خلافة عمر رضي الله عنه ـ فذكر الحديث، وفيه: ثم وقفنا بِبَلْهيب وأقمنا ننتظر كتاب عمر حتى جاءنا، فقرأه علينا عمرو رضي الله عنه وفيه:

«أما بعد: فإنَّه جاءني كتابك تذكر أن صاحب الإسكندرية عرض أن يعطيك الجزية على أن ترد عليه ما أُصيب من سبايا أرضه، ولعمري، لجزية قائمة تكون لنا ولمن بعدنا من المسلمين أحبُّ إليَّ من فيء يُقسَم ثم كأنه لم يكن، فاعرض على صاحب الإسكندرية أن يعطيك الجزية؛ على أن تخيِّروا مَنْ في أيديكم من سبيهم بين الإسلام وبين دين قومهم؛ فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم؛ ومن اختار دين قومه وُضِعَ عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه، فأمّا من تفرّق من سبيهم بأرض العرب فبلغ مكة ـ والمدينة واليمن فإنا لا نقدر على ردِّهم، ولا نحب أن نصالحه على أمر لا نفي له به».

قال: فبعث عمرو إلى صاحب الإسكندرية يُعلمه الذي كتب به أمير المؤمنين. قال: فقال: قد فعلت. قال: فجمعنا ما في أيدينا من السبايا، واجتمعت النصارى، فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا ثم نخيّره بين الإسلام وبين النصرانية، فإذا اختار الإسلام كبّرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية. قال: ثم نحوزه إلينا. وإذا اختار النصرانية نَخَرت النصارى ثم حازوه إليهم، ووضعنا عليه الجزية، وجزعنا من ذلك جزعاً شديداً حتى كأنه رجل خرج منا إليهم. قال: فكان ذلك الدأب حتى فرغنا منهم. وقد أُتي فيمن أتينا به بأبي مريم عبد الله بن عبد الرحمن .ـ قال القاسم: قد أدركته وهو عريف بني زُبيد ـ قال: فوقفناه فعرضنا عليه الإسلام والنصرانية ـ وأبوه وأمه وإخوته في النّصارى ـ فاختار الإسلام فحزْناه إلينا، ووثب عليه أبوه وأمه وإخوته يجاذبوننا حتى شقَّقوا عليه ثيابه، ثم هو اليوم عريفنا كما ترى ـ فذكر الحديث.

وأخرج الترمذي والحاكم عن الشَّعْبي قال: خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى السوق فإذا هو بنصراني يبيع درعاً، فعرف علي رضي الله عنه الدرع، فقال: هذه درعي، بيني وبينك قاضي المسلمين. ـ وكان قاضي المسلمين شُرَيحاً؛ وكان علي استقضاه ـ فلما رأى شريح أمير المؤمنين قام من مجلس قضائه وأجلس علياً في مجلسه وجلس شريح قدامه إلى جنب النصراني. فقال علي: أمَا ـ يا شريح ـ لو كان خصمي مسلماً لقعدت معه، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تصافحوهم، ولا تبدؤوهم بالسلام، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تصلُّوا عليهم، وألجئوهم إلى مضايق الطريق، وصغِّروهم كما صغَّرهم الله»؛ اقضِ بيني وبينه يا شُرَيح. فقال شُرَيح: ما تقول يا أمير المؤمنين؟ فقال علي: هذه درعي وقعت مني منذ زمان. فقال شريح: ما تقول يا نصراني؟ فقال النصراني: ما أكذِّب أمير المؤمنين الدرع درعي. فقال شريح: ما أرى أن تخرج من يده فهل من بيِّنة؟ فقال علي: صدق شريح. فقال النصراني: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، وأمير المؤمنين يجيء إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه، هي ـ والله يا أمير المؤمنين ـ درعك. اتَّبعتك وقد زالت عن جَمَلك الأورق، فأخذتها، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقال علي: أمَا إذا أسلمت فهي لك، وحمله على فرس.

وعند الحاكم على الشَّعْبي قال: ضاع درع لعلي رضي الله عنه يوم الجمل، فأصابه رجل فباعها، فعُرفت عند رجل من اليهود، فخاصمه إلى شريح، فشهد لعلي الحسن ومولاه قَنْبر. فقال شريح: زدني شاهداً مكان الحسن. فقال: أترد شهادة الحسن؟ قال: لا، ولكن حفظت عنك أنه لا تجوز شهادة الولد لوالده.

وأخرج الحكم في «الكُنى» وأبو نُعيم في «الحلية» (4/ 139) من طريق إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه ـ مطوّلاً، وفي حديثه: فقال شريح: أمَّا شهادة مولاك فقد أجزناها وأمَّا شهادة ابنك لك فلا نجيزها. فقال علي رضي الله عنه: ثكلتك أمك! أما سمعت عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». ثم قال لليهودي: خذ الدرع. فقال اليهودي: أمير المؤمنين جاء معي إلى قاضي المسلمين فقضى عليه ورضي؛ صدقت ـ والله يا أمير المؤمنين ـ إنَّها لدرعك سقطت عن جمل لك التقطتها، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فوهبها له عليّ وأجازه بسبعمائة، ولم يزل معه حتى قتل يوم صِفِّين. كذا في «كنز العمال» (4/ 6).

* * *

الباب الثاني

باب البيعة

كيف كانت الصحابة رضي الله عنهم يبايعون النبي ﷺ والخلفاءَ بعدَه، وعلى أيِّ أمورٍ وقعت البيْعةُ.

البيعة على الإسلام

أخرج الطبراني عن جرير رضي الله عنه قال: بايعنا النبي ﷺ على مثل ما بايع عليه النساء. من مات منا ولم يأت شيئاً منهن ضمن له الجنَّة، ومن مات منا وقد أتى شيئاً منهن وقد أُقيم عليه الحد فهو كفّارة، ومن مات منا وقد أتى شيئاً منهنَّ فستر عليه فعلى الله حسابه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (6/ 36): وفيه: سيف بن هارون وثَّقه أبو نُعيم وضعَّفه جماعة؛ وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه أيضاً ابن جرير كما في «الكنز» (1/ 82)؛ وسيأتي الحديث في بَيْعة النساء.

وأخرج أحمد عن عبد الله بن عثمان بن خُثَيْم أنَّ محمد بن الأسود بن خلف أخبره: أنَّ أباه الأسود رضي الله عنه رأى رسول الله ﷺ يبايع الناس يوم الفتح. قال: جلس عند قَرْن مستقبله، فبايع الناس على الإِسلام والشهادة. قلت: وما الشهادة؟ قال: أخبرني محمد بن الأسود بن خَلَف أنه بايعهم على الإِيمان بالله وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. كذا في «البداية» (4/ 318)؛ وقال تفرّد به أحمد. وقال الهيثمي (6/ 37): ورجاله ثقات؛ وعند البيهقي: فجاءه الناس الكبار والصغار والرجال والنساء فبايعهم على الإِسلام والشهادة. كذا في «البداية» (4/ 318). وبهذا السياق أخرجه الطبراني في «الكبير» و «الصغير» كما في «مجمع الزوائد» (6/ 37)؛ وكذا أخرجه البغوي

وابن السَّكَن والحاكم وأبو نُعيم، كما في «الكنز» (1/ 82).

وأخرج الشيخان عن مجاشع بن مسعود رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ أنا وأخي، فقلت: بايعْنا على الهجرة، فقال: «مَضَتِ الهجرة لأهلها»، فقلت: علامَ تبايعنا؟ قال: «على الإسلام والجهاد». كذا في العيني (7/ 16). وأخرجه أيضاً ابن أبي شَيْبة وزاد: قال: فلقيت أخاه فسألته فقال: صدق مجاشع. كذا في «كنز العمال» (1/ 26، 83).

وأخرج أبو عَوَانة في «مسنده» (1/ 38) عن زياد بن عِلاقة قال: سمعت جرير بن عبد الله يحدِّث حين مات المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، خطب الناس فقال: أُوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له، والوقار والسكينة، فإني بايعت رسول الله ﷺ بيدي هذه على الإسلام واشترط عليَّ النُّصح لكل مسلم، فَوَرَبِّ الكعبة، إنِّي لكم ناصح أجمعين، واستغفر؛ ونزل. وأخرج البخاري أتم منه (1/ 14)؛ وأخرج البيهقي وغيره عن زياد بن الحارث الصُّدائي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فبايعته على الإسلام ـ فذكر الحديث بطوله، كما تقدم في باب الدعوة.

* * *

البيعة على أعمال الإِسلام

أخرج الحسن بن سفيان، والطبراني في «الأوسط»، وأبو نُعيم، والحاكم، والبيهقي، وابن عساكر، عن بشير بن الخصاصِيَة رضي الله عنه، قال: أتيت رسول الله ﷺ لأبايعه، فقلت: علامَ تبايعني يا رسول الله؟ فمدَّ رسول الله ﷺ يده وقال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وتصلي الصلوات الخمس لوقتها، وتؤدِّي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، وتجاهد في سبيل الله». قلت: يا رسول الله، كُلًّا نطيق إلَّا اثنتين فلا أطيقهما: الزكاة، والله ما لي إلّا عشر ذَوْد هُنّ رِسْل أهلي وحَمولتهن. وأما الجهاد فإني رجل جبان، ويزعمون أنَّه من ولَّى فقد باء بغضب من الله، وأخاف إن حضر القتال أن أخشع بنفسي فأفرَّ فأبوء بغضب من الله. فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حرَّكها، ثم قال: «يا بشير، لا صدقة ولا جهاد!! فَبِمَ إذن تدخل الجنة؟!» قلت: يا رسول الله، ابسط يدك أُبايعك، فبسط يده فبايعته عليهن كلِّهن. كذا في «كنز العمال» (7/ 12). وأخرجه أحمد، ورجاله موثَّقون كما قال الهيثمي (1/ 42).

وأخرج أحمد عن جرير رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم. وأخرجه أيضاً ابن جرير مثله كما في «كنز العمال» (1/ 82)، والشيخان والترمذي كما في «الترغيب» (3/ 236).

وأخرج أحمد أيضاً من وجه آخر عنه، قال: قلت: يا رسول الله، اشترط عليَّ فأنت أعلم بالشرط. قال: «أبايعك على أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتنصح لكل مسلم، وتبرأ من الشرك». ورواه النَّسائي كما في «البداية» (5/ 78)؛ وأخرجه ابن جرير مثله إلَّا أنه قال: «وتنصح المسلمين وتفارق الشرك»، كما في «الكنز» (1/ 82)، وأخرج الطبراني عنه قال: أتى جرير رضي الله عنه النبي ﷺ فقال: «مدَّ يدك يا جرير»، فقال: على مَهْ؟. قال: «أن تسلم وجهك لله، والنصيحة لكل مسلم»؛ فأذن لها ـ وكان رجلاً عاقلاً ـ فقال: يا رسول الله، فيما استطعت؟ فكانت رخصة للناس بعده. كذا في «الكنز» (1/ 82).

وأخرج الرُّوياني، وابن جرير، وابن عساكر عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنّا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: «ألا تبايعون رسول الله ﷺ؟» فردَّدها ثلاث مرات. فقدَّمنا أيدينا فبايعنا رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله قد بايعناك فعلى أي شيء نبايعك؟ فقال: «على أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، ـ وأسرَّ كلمة خفيّة ـ: أن لا تسألوا الناس شيئاً». قال: فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوطه فما يقول لأحد يناوله إياه. كذا في «الكنز» (1/ 83). وأخرجه أيضاً مسلم، والترمذي، والنَّسائي كما في الترغيب (2/ 98).

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ومن يبايع؟» فقال ثوبان رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ: بايعنا يا رسول الله، قال: «على أن لا تسأل أحداً شيئاً». فقال ثوبان: فما له يا رسول الله؟ قال: «الجنة». فبايعه ثوبان.

قال أبو أمامة: فلقد رأيته بمكة في أجمع ما يكون من الناس يسقط سوطه وهو راكب، فربما وقع على عاتق رجل، فيأخذه الرجل فيناوله، فما يأخذه حتى يكون هو ينزل فيأخذه. كذا في «الترغيب» (2/ 100). وأخرجه أيضاً أحمد، والنسائي وغيرهما عن ثوبان مختصراً، وذكرا قصة السَّوْط لأبي بكر رضي الله عنه، كما في «الترغيب» (2/ 99، 101).

وأخرج أحمد عن أبي ذرٌ رضي الله عنه قال: بايعني رسول الله خمساً، وأوثقني سبعاً، وأشهد الله عليَّ سبعاً: أن لا أخاف في الله لومة لائم. قال أبو المُثَنى: قال أبو ذر: فدعاني رسول الله ﷺ فقال: «هل لك إلى البَيْعة ولك الجنة؟» قلت: نعم، وبسطت يدي، فقال رسول الله ﷺ - وهو يشترط عليَّ - أن لا أسأل الناس شيئاً قلت: نعم. قال: «ولا سوطك إن سقط منك حتى تنزل فتأخذه». وفي رواية: أن النبي ﷺ قال: «ستة أيام ثم اعقل يا أبا ذر ما يقال لك بعد». فلما كان اليوم السابع قال: «أوصيك بتقوى الله في سرِّ أمرك وعلانيته، وإذا أسأت فأحسِن، ولا تسألنَّ أحداً شيئاً وإن سقط سوطك، ولا تقبضنَّ أمانة». كذا في «الترغيب» (2/ 99).

وأخرج الشاشي وابن عساكر عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: بايعت النبي ﷺ أنا وأبو ذر وعبادة بن الصامت وأبو سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة وسادس، على أن لا تأخذنا في الله لومة لائم: وأما السادس فاستقاله فأقاله. كذا في «الكنز» (1/ 82). وأخرجه أيضاً الطبراني بنحوه. قال الهيثمي (7/ 264) وفيه: عبد المهيمن بن عيَّاش وهو ضعيف.

وأخرج مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أنا من النقباء الذين بايعوا رسول الله ﷺ، وقال: بايَعنا على أن لا نشرك بالله شيئاً،

ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، ولا ننهب، ولا نعصي، بالجنة؛ إن فعلنا ذلك؛ فإن غَشِينا من ذلك شيئاً كان قضاؤه إلى الله. وعند ابن جرير عنه ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا. فمن وفَى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله كان إلى الله، إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له». كذا في «الكنز» (1/ 82).

وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن عساكر عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا أحد عشر رجلاً في العقبة الأولى، فبايعنا رسول الله ﷺ بيعة النساء قبل أن يفرض علينا الحرب، بايعناه على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نقتل أولادنا، ولا نعصيه في معروف؛ فمن وفَى فله الجنة، ومن غشيَ شيئاً فأمره إلى الله، إن شاء الله عذَبه وإن شاء غفر له. ثم انصرفوا العام المقبل عن بيعتهم، كذا في الكنز (1/ 82). وأخرجه الشيخان نحوه كما في البداية (3/ 150).

* * *

البيعة على الهجرة

أخرج البيهقي (9/ 16) عن يعلى بن مُنْيَة رضي الله عنه قال: جئت رسول الله ﷺ ثاني يوم الفتح فقلت: يا رسول الله، بايع أبي على الهجرة؛ قال: «بل أبايعه على الجهاد، وقد انقطعت الهجرة يوم الفتح». وقد تقدم حديث مجاشع رضي الله عنه: فقلت: يا رسول الله، بايعنا على الهجرة؛ قال: «مضت الهجرة لأهلها». وحديث جرير: «وتفارق الشرك». وعند البيهقي (9/ 13) في حديث جرير رضي الله عنه: «وتناصح المؤمن وتفارق المشرك».

وأخرج أحمد، والبخاري في التاريخ، وابن أبي خَيْثَمة، وأبو عَوانة، والبَغَوي، وأبو نُعيم، والطبراني عن الحارث بن زياد الساعدي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ يوم الخندق وهو يبايع الناس على الهجرة، فظننَّا أنهم يدعون إلى البيعة، فقلت: يا رسول الله، بايع هذا على الهجرة. فقال: «ومن هذا؟» فقلت: هذا ابن عمي حَوْط بن يزيد ـ أو يزيد بن حَوْط ـ فقال رسول الله ﷺ: «لا أبايعكم، إنَّ الناس يهاجرون إليكم ولا تهاجرون إليهم. والذي نفسي بيده، لا يحب الأنصارَ رجل حتى يلقى الله إلا لقي الله وهو يحبُّه، ولا يُبغض الأنصار رجل حتى يلقى الله إلا لقي الله وهو يبغضه». كذا في الكنز (7/ 134). وأخرجه أيضاً أبو داود كما في «الإصابة» (1/ 279)؛ وقال الهيثمي (10/ 38): رواه أحمد، والطبراني بأسانيد، ورجال بعضها رجال

الصحيح غير محمد بن عمرو، وهو حسن الحديث. انتهى.

وأخرج الطبراني عن أبي أُسيد الساعدي رضي الله عنه: أن الناس جاؤوا إلى النبي ﷺ لحفر الخندق يبايعونه على الهجرة. فلما فرغ قال: «يا معشر الأنصار، لا تبايعوا على الهجرة إنما يهاجر الناس إليكم، من لقي الله وهو يحبّ الأنصار لقي الله وهو يحبُّه، ومن لقي الله وهو يُبغض الأنصار لقي الله وهو يُبغضه». قال الهيثمي (10/ 38) وفيه: عبد الحميد بن سهيل ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

* * *

البَيْعة على النصرة

أخرج أحمد عن جابر رضي الله عنه قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتَّبع الناسَ في منازلهم: عكاظ ومَجَنَّة، في المواسم يقول: «من يؤويني؟ من ينصرني؟ حتى أبلِّغ رسالة ربي وله الجنة»، فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره، حتى إنَّ الرجل ليخرج من اليمن أو من مُضرَ فيأتيه قومه وذوو رحمه فيقولون: احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمضي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع. حتى بعثنا الله إليه من يَثْرب فآويناه وصدَّقناه، فيخرج الرجل منّا فيؤمن به ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم تبقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام.

ثم ائتمروا جميعاً، فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويُطْردُ في جبال مكة يخاف؟! فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم، فواعدناه شِعْب العَقَبة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: «تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العُسْر واليُسْر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافوا في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة».

فقمنا إليه وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو من أصغرهم - وفي رواية

البيهقي: وهو أصغر السبعين ـ إلَّا أنا، فقال: رويداً يا أهل يثرب، فإنّا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلَّا ونحن نعلم أنَّه رسول الله، وإن إخراجه اليوم مناوأة للعرب كافّة، وقتلُ خياركم، وتعضُّكم السيوف. فإمّا أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه، فبيّنوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله. قالوا: أبط عنا يا أسعد فوالله لا ندعُ هذه البَيْعة ولا نُسلَبها أبداً!! قال: فقمنا إليه فبايعناه، وأخذ علينا وشرط، ويعطينا على ذلك الجنة.

وقد رواه أحمد أيضاً والبيهقي من غير هذا الطريق أيضاً، وهذا إسناد جيِّد على شرط مسلم، ولم يخرِّجوه. كذا في «البداية» (3/ 159). وقال الحافظ في «فتح الباري» (7/ 158): إسناده حسن، وصحَّحه الحاكم وابن حبان ا هـ؛ وقال الهيثمي (6/ 46): ورجال أحمد رجال الصحيح، وقال: ورواه البزّار وقال في حديثه: فوالله لا نذَرُ هذه البَيْعة ولا نستقيلها.

وأخرج ابن إسحاق عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: فلما اجتمعنا في الشِّعْب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذٍ على دين قومه، إلَّا أنّه أحبّ أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثَّق له. فلما جلس كان أولَ متكلم العباسُ بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج، إنَّ محمداً منَّا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزّة من قومه ومَنَعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم تَرون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممَّن خالفه فأنتم وما تحمَّلتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذِلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه فإنَّه في عزّة ومَنَعَة من قومه وبلده. قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلتَ، فتكلم

يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربِّك ما أحببت. قال: فتكلَّم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغَّب في الإسلام. قال: «أُبايعكم على أن تمنعوني مِمَّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم». قال: فأخذ البراء بن معرور بيده وقال: نعم، فوالذي بعثك بالحق لنمنعنَّك مما نمنع منه أُزُرَنا. فبايِعْنا يا رسول الله، فنحن ـ والله ـ أبناء الحروب ورثناها كابراً عن كابر!! قال: فاعترض القول ـ والبراء يكلِّم رسول الله ﷺ ـ أبو الهيثم بن التَّيِّهان، فقال: يا رسول الله، إنَّ بيننا وبين الرجال حبالاً وإنَّا قاطعوها ـ يعني اليهود ـ؛ فهل عسيتَ إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسَّم رسول الله ﷺ ثم قال: «بل الدمُ الدمُ، والهَدْم الهَدْم، أنا منكم وأنتم مني؛ أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم».

قال كعب رضي الله عنه: وقد قال رسول الله ﷺ: «أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم». فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً: تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس. كذا في «البداية» (3/ 160). والحديث أخرجه أيضاً أحمد والطبراني مطوَّلاً كما في «مجمع الزوائد» (6/ 42)، وقد ساقه بطوله. قال الهيثمي (6/ 45): ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرَّح بالسماع. انتهى. وقال الحافظ (7/ 157): أخرجه ابن إسحاق، وصحَّحه ابن حِبّان من طريقه بطوله ا هـ.

وأخرج الطبراني عن عروة رضي الله عنه مرسلاً قال: كان أول من بايع رسول الله ﷺ أبو الهيثم [ابن] التَّيِّهان رضي الله عنه، وقال: يا رسول الله وإنَّ بيننا وبين الناس حبالاً ـ والحبال الحِلْف والمواثيق ـ فلعلنا نقطعها ثم ترجع إلى قومك وقد قطعنا الحبال وحاربنا الناس؟

فضحك رسول الله ﷺ من قوله وقال: «الدمُ الدمُ، الهدم الهدم». فلما رضي أبو الهيثم بما رجع إليه رسول الله ﷺ من قوله أقبل على قومه فقال: يا قوم، هذا رسول الله ﷺ، أشهد إنّه لصادق، وإنَّه اليوم في حرم الله وأمنه وبين ظهري قومه وعشيرته، فاعلموا أنَّه إن تخرجوه رمتكم العرب عن قَوْس واحدة، فإن كانت طابت أنفسكم بالقتال في سبيل الله وذهاب الأموال والأولاد فادعوه إلى أرضكم، فإنه رسول الله ﷺ حقاً. وإن خفتم خذلاناً فمن الآن. فقالوا عند ذلك: قبلنا عن الله وعن رسوله ما أعطيانا، وقد أعطينا من أنفسنا الذي سألتنا يا رسول الله؛ فخلِّ بيننا - يا أبا الهيثم - وبين رسول الله فلْنبايعه. فقال أبو الهيثم: أنا أول من بايع، ثم تتابعوا كلهم. فذكر الحديث. قال الهيثمي (6/ 47) وفيه: ابن لَهِيعة، وحديثه حسن وفيه ضعف. انتهى.

وعند ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة رضي الله عنه: أن القوم لما اجتمعوا لبَيْعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة بن نَضْلة - أخو بني سالم بن عوف -: يا معشر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا أُنهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن؟ فهو - والله إنْ فعلتم - خزْيُ الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه على نَهْكَةِ الأموال، وقَتْل الأشراف فخذوه، فهو - والله - خير الدنيا والآخرة؟ قالوا: فإنَّا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف، فما لنا بذلك - يا رسول الله - إن نحن وَفَينا؟ قال: «الجنة». قالوا: ابسط يدك؛ فبسط يده فبايعوه - كذا في «البداية» (3/ 162).

وأخرج ابن إسحاق أيضاً عن معبد بن كعب عن أخيه عبد الله: ثم

قال رسول الله ﷺ: «ارفضُّوا إلى رحالكم». قال: فقال العباس بن عبادة: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق إن شئت لنميلنَّ على أهل مِنى غداً بأسيافنا!! قال: فقال رسول الله ﷺ: «لم نُؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم». كذا في «البداية» (3/ 164).

* * *

البَيْعة على الجهاد

أخرج البخاري (ص 397) عن أنس رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفِرون في غَداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون بذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النَّصَب والجوع قال ﷺ:

اللّهم إنَّ العيش عيشُ الآخرةْ

فاغفرِ الأنصارَ والمهاجرةْ

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدًا

على الجهاد ما بقينا أبدًا

وأخرجه أيضاً مسلم والترمذي كما في «جمع الفوائد» (2/ 51).

وقد تقدم حديث مجاشع رضي الله عنه: فقلت: علامَ تبايعنا؟ قال: «على الإِسلام والجهاد». وحديث بشير بن الخصاصِيَة رضي الله عنه: «يا بشير، لا صدقة ولا جهاد، فبمَ إذن تدخل الجنة؟!» قلت: ابسط يدك أبايعك، فبسط يده فبايعته، وحديث يَعْلى بن مُنْية فقلت: يا رسول الله، بايع أبي على الهجرة قال: «بل أبايعه على الجهاد».

* * *

البَيْعة على الموت

أخرج البخاري (ص 415) عن سَلَمة رضي الله عنه قال: بايعت النبي ﷺ ثم عدلت إلى ظلِّ الشجرة. فلمَّا خفَّ الناس قال: «يا بن الأكوع ألا تبايع؟» قال: قلت: قد بايعت يا رسول الله. قال: «أيضاً» فبايعته الثانية، فقلت له: يا أبا مسلم على أي شيء كنتم تبايعون يومئذٍ؟ قال: على الموت. وأخرجه أيضاً مسلم، والترمذي، والنسائي كما في العيني (8/ 16)، والبيهقي (8/ 146)، وابن سعد (4/ 39).

وأخرج البخاري (ص 415) أيضاً عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال: لما كان زمن الحرَّة أتاه آتٍ فقال له: إنَّ ابن حنظلة يبايع الناس على الموت. فقال: لا أبايع على هذا أحداً بعد رسول الله ﷺ. وأخرجه أيضاً مسلم كما في العيني (7/ 15)، والبيهقي (8/ 146).

* * *

البَيْعة على السمع والطاعة

أخرج البيهقي عن عبيد الله بن رافع رضي الله عنه قال: قدمتْ روايا خمر، فأتاها عبادة بن الصامت رضي الله عنه فخرَّقها وقال: إنا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله، لا تأخذنا فيه لومة لائم، وعلى أن ننصر رسول الله ﷺ إذا قدم علينا يثرب مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا، ولنا الجنة؛ فهذه بيعة رسول الله ﷺ التي بايعناه عليها. وهذا إسناد جيِّد قوي، ولم يخرِّجوه. وقد روى يونس عن ابن إسحاق: حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه عن جدِّه عبادة رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ بَيْعة الحرب على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وأَثَرَة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق أينما كُنَّا لا نخاف في الله لومة لائم. كذا في البداية (3/ 163). وأخرج الشيخان بمعناه كما في «الترغيب» (4/ 3).

وأخرج ابن جرير عن جرير رضي الله عنه قال: بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة، والنصح للمسلمين. وأخرج أيضاً من حديثه قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: أبايعك على السمع والطاعة فيما أحببت وفيما كرهت. فقال النبي ﷺ: «أتستطيع ذلك، أو تطيق ذلك؟ فاحترز، قل فيما استطعت»؛ فقلت: فيما استطعت، فبايَعني - والنصح للمسلمين.

كذا في «كنز العمال» (1/ 82). وعند أبي داود، والنَّسائي من حديثه: قال: فبايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، وأن أنصح لكل مسلم، وكان إذا باع الشيء أو اشترى، قال: أمَا إنَّ الذي أخذنا منك أحبُّ إلينا ممّا أعطيناك فاختر. كذا في «الترغيب» (3/ 237).

وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: «فيما استطعت»، وأخرجه النَّسائي، وابن جرير بمعناه كما في «الكنز» (1/ 83).

وأخرج البغوي، وأبو نُعَيم، وابن عساكر عن عتبة بن عبد رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله ﷺ سبع بيعات: خمساً على الطاعة، واثنتين على المحبة. كذا في «الكنز» (1/ 83). وأخرج ابن جرير عن أنس رضي الله عنه قال: بايعت النبي ﷺ بيدي هذه على السمع والطاعة فيما استطعت ـ كذا في «الكنز» (1/ 82).

* * *

بَيْعة النساء

أخرج أحمد، وأبو يعلى، والطبراني - ورجاله ثقات - كما قال الهيثمي (6/ 38): عن أم عطيّة رضي الله عنها قالت: لمَّا قدم رسول الله ﷺ المدينة جمع نساء الأنصار في بيت، ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقام على الباب فسلَّم عليهن فرددن السلام. فقال: أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكنّ. فقلنا: مرحباً برسول الله ﷺ، وبرسولِ رسولِ الله ﷺ. فقال: تبايعنَ على أن لا تشركنَ بالله شيئاً، ولا تسرقنَ، ولا تزنينَ، ولا تقتلن أولادكن، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكنَّ وأرجلكنَّ، ولا تعصينَ في معروف. قلن: نعم؛ فمدّ عمر يده من خارج الباب، ومددنَ أيديهن من داخل، ثم قال: اللهم اشهد. وأمرنا أن نُخرج في العيدين الحُيَّضَ والعُتَّق، ونُهينا عن اتِّباع الجنائز، ولا جمعة علينا. فسألته عن البهتان وعن قوله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾؛ قال: هي النِياحة. ورواه أبو داود باختصار كثير. كذا في «مجمع الزوائد» (6/ 38).

قلت: وأخرجه البخاري أيضاً باختصار، وقد أخرجه بطوله ابن سعد، وعبد بن حُمَيد كما في «الكنز» (1/ 81).

وأخرج أحمد وأبو يَعْلى، والطبراني - ورجاله ثقات - كما قال الهيثمي (6/ 38): عن سلمى بنت قيس رضي الله عنها - وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ قد صلَّت معه القبلتين، وكانت إحدى نساء بني

عديٍّ بن النجار ـ قالت: جئت رسول الله ﷺ فبايعته في نِسْوة من الأنصار، فلما شرط علينا أن لا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف؛ قال: «ولا تغشُشْن أزواجكن». قالت: فبايعناه. ثم انصرفنا، فقلت لامرأة منهن: ارجعي فسَلي رسول الله ﷺ ما غِشُّ أزواجنا؟ قالت: فسألته. قال: «تأخذ ماله فتحابي به غيره».

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة بنت قُدَامة رضي الله عنها بمعناه في البَيْعة على وَفق الآية كما في ابن كثير (4/ 353).

وأخرج الطبراني في «الكبير» و «الأوسط» عن عقيلة بنت عبيد بن الحارث رضي الله عنهما قالت: جئت أنا وأمي قريرة بنت الحارث العنواريّة في نساء من المهاجرات، فبايعنا رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة بالأبْطَح، فأخذ علينا أن لا نشرك بالله شيئاً ـ الآية كلَّها. فلما أقررنا وبسطنا أيدينا لنبايعه قال: «إنِّي لا أمسُّ أيدي النساء»، فاستغفر لنا، وكانت تلك بيعتَنا. قال الهيثمي (6/ 39): وفيه: موسى بن عبيدة وهو ضعيف. انتهى.

وأخرج مالك وصحَّحه ابن حِبَّان عن أُميمة بنت رُقَيْقة قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نِسْوة يبايعنه فقلنا: نبايعك ـ يا رسول الله ـ على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف. فقال رسول الله ﷺ: «فيما استطعتُنَّ وأطقتنَّ». فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا، هلمَّ نبايعْك يا رسول الله. قال: «إني لا أصافح النساء، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة». وأخرجه الترمذي وغيره مختصراً كما في «الإِصابة» (4/ 240).

وأخرجه الطبراني ـ ورجاله ثقات ـ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاءت أميمة بنت رُقَيْقَة رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإِسلام. فقال: «أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً، ولا تسرقي، ولا تزني، ولا تقتلي ولدك، ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك، ولا تنوحي، ولا تبرَّجي تبرُّج الجاهلية الأولى». كذا في «المجمع» (6/ 37). وأخرجه أيضاً النَّسائي وابن ماجه، والإِمام أحمد، وصحَّحه الترمذي كما في «التفسير» لابن كثير (4/ 352).

وأخرج أحمد، والبّزار ـ ورجاله رجال الصحيح ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة رضي الله عنها تبايع رسول الله ﷺ، فأخذ عليها: «أن لا يشركن، ولا يزنين» ـ الآية. قالت: فوضعت يدها على رأسها حياءً فأعجبَ رسول الله ﷺ ما رأى منها؛ فقالت عائشة رضي الله عنها: أقرّي أيتها المرأة فوالله ما بايعنا إلَّا على هذا. قالت: فنعم إذاً، فبايعها بالآية. كذا في «مجمع الزوائد» (6/ 37).

وأخرج الطبراني عن عَزّة بنت خايل رضي الله عنها: أنها أتت النبي ﷺ فبايعها أن «لا تزنين، ولا تسرقين، ولا تئدين فتبدين أو تخفين». قلت: أما الوأد المبدي فقد عرفته، وأما الوأد الخفي فلم أسأل رسول الله ﷺ ولم يخبرني، وقد وقع في نفسي أنه إفساد الولد، فوالله لا أفسد لي ولداً أبداً. قال الهيثمي (6/ 39): رواه الطبراني في «الأوسط» و «الكبير» بنحوه عن عطاء بن مسعود الكعبي عن أبيه عنها، ولم أعرف مسعوداً، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج الحاكم (2/ 486) عن فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ـ رضي الله عنها ـ أن أبا حُذَيفة بن عتبة رضي الله عنه أتى بها

وبهند بنة عتبة رسول الله ﷺ تبايعه. فقالت: أخذَ علينا فشرط علينا. قالت: قلت له: يا بن عم، هل علمت في قومك من هذه العاهات أو الهَنات شيئاً؟ قال أبو حذيفة: إيهاً!! فبايعيه فإنَّ بهذا يُبايع وهكذا يشترط. فقالت هند: لا أُبايعك على السرقة، إنِّي أسرق من مال زوجي، فكف النبي ﷺ يده وكفت يدها، حتى أرسل إلى أبي سفيان فتحلَّل لها منه. فقال أبو سفيان: أما الرَّطْبُ فنعم، وأما اليابس فلا، ولا نعمة. قالت: فبايعناه. ثم قالت فاطمة: ما كانت قبةٌ أبغضَ إليَّ من قبتك ولا أحبَّ أن يبيحها الله وما فيها، ووالله ما من قبة أحبّ إليَّ أن يعمرها الله ويبارك فيها من قبتك. فقال رسول الله ﷺ: «وأيضاً ـ والله ـ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإِسناد، ولم يخرِّجاه؛ ووافقه الذهبي فقال: صحيح.

وعند أبي يَعْلى عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت هند بنت عتبة بن ربيعة ـ رضي الله عنها ـ إلى رسول الله ﷺ لتبايعه، فنظر إلى يدَيْها فقال: «اذهبي فغيِّري يديك». قال: فذهبت فغيَّرتهما بحنَّاء، ثم جاءت إلى رسول الله ﷺ. فقال: «أُبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً، ولا تسرقي، ولا تزني». قالت: أوَ تزني الحرة؟ قال: «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق». قالت: وهل تركت لنا أولاداً نقتلهم؟. قال: فبايعته، ثم قالت له ـ وعليها سواران من ذهب ـ: ما تقول في هذين السوارين؟ قال: «جمرتان من جمر جهنم». قال الهيثمي (6/ 37): وفيه من لم أعرفهن. وأخرجه ابن أبي حاتم مختصراً كما في ابن كثير (4/ 354). وقال في الإِصابة (4/ 425) وقصَّتها ـ في قولها عند بَيْعة النساء: «وأن لا يسرقن ولا يزنين». فقالت: وهل تزني الحرة؟، وعند قوله: «ولا يقتلنَ أولادهنَّ» وقد ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً ـ مشهورةٌ. ومن

طرقه ما أخرجه ابن سعد بسند صحيح مرسلٌ عن الشَّعْبي وعن ميمون بن مِهْران، ففي رواية الشَّعْبي: «ولا يزنين». فقالت هند: وهل تزني الحرة؟ «ولا تقتلن أولادكنَّ»، قالت: أنت قتلتهم. وفي رواية نحوه، لكن قالت: وهل تركت لنا ولداً يوم بدر؟.

وأخرج ابن مَنْدَه وفي أوله: إني أريد أن أبايع محمداً. قال: قد رأيتك تكفرين. قالت: إي والله، والله ما رأيت الله تعالى عُبِد حقَّ عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، والله: إن باتوا إلَّا مصلين قياماً وركوعاً وسجوداً. قال: فإنك قد فعلت ما فعلت، فاذهبي برجل من قومك معك. فذهبت إلى عمر رضي الله عنه، فذهب معها فاستأذن لها، فدخلت وهي مُتنقِّبة ـ فذكر قصة البَيْعة. وفيه عن مرسل الشَّعبي المذكور: قالت هند: قد كنت أفنيت من مال أبي سفيان. فقال أبو سفيان: ما أخذت من مالي فهو حلال. انتهى مختصراً.

وقد أخرجه ابن جرير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بطوله كما ذكر ابن كثير في تفسيره (4/ 353)، وفيه: قال أبو سفيان: ما أصبتِ من شيء مضى أو قد بقي فهو لك حلال. فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فدعاها، فأخذت بيده وعاذرته؛ فقال: «أنت هند». قالت: عفا الله عما سلف. فصرف عنها رسول الله، فقال: «ولا يزنين». فقالت: يا رسول الله، وهل تزني امرأة حرة؟! قال: «لا والله ما تزني الحرة». قال: «ولا يقتلن أولادهن». قالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر؛ فأنت وهم أبصر. قال: «ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن». قال: «ولا يعصينك في معروف». قال: منعهن أن يَنُحْنَ وكان أهل الجاهلية يمزقنَ الثياب، ويخدشنَ الوجوه، ويقطعنَ الشعور، ويدعون بالويل والثبور. قال ابن كثير: وهذا أثر غريب. وأخرج ابن أبي حاتم عن أسيد بن أبي

أسيد البزار عن امرأة من المبايعات قالت: كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ أن لا نعصيَه في معروف، وأن لا نخمش وجهاً، ولا ننشر شَعَراً، ولا نشقّ جَيْباً، ولا ندعو وَيْلاً، كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 355).

* * *

بيعة من لم يحتلم

أخرج الطبراني عن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم: أن النبي ﷺ بايع الحسن، والحسين، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر وهم صغار، ولم يبقلوا، ولم يبلغوا، ولم يبايع صغيراً إلا منَّا. قال الهيثمي (6/ 40): وهو مرسل، ورجاله ثقات.

وأخرج الطبراني أيضاً عن عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم أنهما بايعا رسول الله ﷺ وهما ابنا سبع سنين. فلما رآهما رسول الله ﷺ تبسَّم وبسط يده، فبايعهما. قال الهيثمي (9/ 285): وفيه إسماعيل بن عيَّاش وفيه خلاف، وبقية رجاله رجال الصحيح، وأخرجه أيضاً أبو نعيم، وابن عساكر عن عروة: أن عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر - وفي لفظ: جعفر بن الزبير - بايعا النبي ﷺ وهما ابنا سبعِ سنين - فذكر نحوه كما في «المنتخب» (5/ 227). وأخرج النَّسائي عن الهِرْماس بن زياد رضي الله عنه قال: مددت يدي إلى رسول الله ﷺ وأنا غلام ليبايعني، فلم يبايعني. كذا في «جمع الفوائد» (1/ 14).

* * *

بيعة الصحابة رضي الله عنهم
على أيدي خلفائه ﷺ

بَيْعة الصحابة على يد أبي بكر
رضي الله عنه

أخرج ابن شاهين في «الصحابة» عن إبراهيم [بن محمد] بن المنتشر، عن أبيه، عن جده، قال: كانت بيعة النبي ﷺ حين أنزل الله عليه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: 10] التي بايع الناس عليها ـ البيعةَ لله والطاعة للحق، وكانت بيعة أبي بكر رضي الله عنه: تبايعوني ما أطعتُ الله، وكانت بيعة عمر رضي الله عنه ومن بعده كبيعة النبي ﷺ. كذا في «الإصابة» (3/ 458).

وأخرج البيهقي (8/ 146) عن ابن العفيف رضي الله عنه قال: رأيت أبا بكر رضي الله عنه وهو يبايع الناس بعد رسول الله ﷺ، فيجتمع إليه العِصابة فيقول: تبايعوني على السمع والطاعة لله ولكتابه ثم للأمير؟ فيقولون: نعم، فيبايعهم. فقمت عنده ساعة ـ وأنا يومئذٍ المحتلم أو فوقه ـ فتعلمتُ شرطَه الذي شَرَط على الناس، ثم أتيته فقلت وبدأته، قلت: أنا أبايعك على السمع والطاعة لله ولكتابه ثم للأمير. فصعَّد فيَّ البصر ثم صوَّبه، ورأيت أنّي أعجبته ـ رحمه الله ـ.

وأخرج مُسَدَّد عن أبي السَّفَر رضي الله عنه قال: كان أبو بكر

رضي الله عنه إذا بعث إلى الشام بايعهم على الطَّعْن والطاعون. كذا في «الكنز» (2/ 323).

وأخرج ابن سعد، وابن أبي شيبة والطيالسي عن أنس رضي الله عنه قال: قدمت المدينة وقد مات أبو بكر رضي الله عنه واستُخلف عمر رضي الله عنه، فقلت لعمر: ارفع يدك أبايعْك على ما بايعت عليه صاحبك قبلك؛ على السمع والطاعة فيما استطعت. كذا في «الكنز» (1/ 81).

وأخرج ابن سعد عن عُمَير بن عطية اللَّيثي رضي الله عنه: أتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين ارفع يدك - رفعها الله - أُبايعْك على سنّة الله وسنّة رسوله. فرفع يده وضحك: هي لنا عليكم ولكم علينا. وعن عبد الله بن حكيم رضي الله عنه قال: بايعت عمر رضي الله عنه بيدي هذه على السمع والطاعة. كذا في «الكنز» (1/ 81).

وأخرج أحمد في «السُّنَّة» عن سُلَيْم أبي عامر رضي الله عنه: أن وفد الحمراء أتَوا عثمان رضي الله عنه فبايعوه على أن لا يشركوا بالله شيئاً، ويُقيموا الصلاة، ويُؤتوا الزكاة، ويصوموا رمضان، ويَدَعوا عيد المجوس. فلما قالوا: نعم، بايَعهم. كذا في «كنز العمال» (1/ 81).

وأخرج البخاري عن المِسْوَر بن مَخْرمة رضي الله عنه أن الرَّهْط الذين ولَّاهم عمر رضي الله عنه اجتمعوا فتشاوروا، فقال لهم عبد الرحمن رضي الله عنه: لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر، ولكنَّكم إن شئتم اخترت لكم منكم، فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن. فلمّا ولَّوْا عبد الرحمن أمْرَهم، فمال الناس على عبد الرحمن حتى ما أرى أحداً من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه. ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه

تلك الليالي، حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها فبايعنا عثمان رضي الله عنه. قال المِسْوَر: طرقني عبد الرحمن بعد هِجْع من الليل، فضرب الباب حتى استيقظت، فقال: أراك نائماً - فوالله - ما اكتحلتُ هذه الليلة بكثير نوم، انطلق فادعُ الزبير وسعداً، فدعوتهما له فشاورهما؛ ثم دعاني فقال: ادعُ لي علياً فدعوته، فناجاه حتى ابهارَّ الليل. ثم قام علي من عنده وهو على طمع - وقد كان عبد الرحمن يخشى من علي شيئاً - ثم قال لي: ادعُ لي عثمان فدعوته، فناجاه حتى فرَّق بينهما المؤذن بالصبح. فلمَّا صلَّى الناس الصبح واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل عبد الرحمن إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد - وكانوا قد وافَوا تلك الحجَّة مع عمر رضي الله عنه - فلما اجتمعوا تشهَّد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد يا علي، إنِّي قد نظرت في أمر الناس، فلم أرَهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلنَّ على نفسك سبيلاً. وأخذ بيد عثمان رضي الله عنه وقال: أبايعك على سنّة الله وسنّة رسوله والخليفتين من بعده. فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس: المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون. وأخرجه البيهقي (8/ 147) أيضاً بنحوه.

* * *

الباب الثالث

باب تحمل الشدائد في الله

كيف كان النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يتحمّلون الشدائد والأذى، والجوع والعطش، إظهاراً للدين المتين. وكيف هانت عليهم نفوسهم في الله لإعلاء كلمته!!.

قول المقداد في الحال التي بعث عليها النبي عليه السلام

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 175) عن [عبد الرحمن بن] جبير بن نُفَير، عن أبيه قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود رضي الله عنه يوماً، فمرَّ به رجل، فقال: طُوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ؛ والله لودِدنا أنا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت!! فاستمعت، فجعلت أعجب، ما قال إلا خيراً. ثم أقبل عليه، فقال: ما يحمل أحدَكم على أن يتمنى محضراً غيّبه الله عزّ وجلّ عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه؟! والله، لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام - كبَّهم الله عزّ وجلّ على مناخرهم في جهنم - لم يجيبوه ولم يصدِّقوه!! أو لا تحمدون الله إذ أخرجكم الله عزّ وجلّ لا تعرفون إلا ربَّكم مصدِّقين بما جاء به نبيكم عليه السلام وقد كُفيتم البلاءَ بغيركم؟! والله، لقد بُعث النبي ﷺ على أشدّ حال بعث عليه نبي من الأنبياءِ، في فترة وجاهليَّة، ما يرون ديناً أفضل من عبادة الأوثان. فجاء بفُرقان فرَّق به بين الحق والباطل، وفرّق بين الوالد وولده، حتى إنّ الرجل ليرى والده أو ولده أو أخاه كافراً وقد فتح الله تعالى قفل قلبه للإيمان، فيعلم أنّه قد هلك من دخل النار فلا تقر عينه وهو يعلم أن حميمه في النار، وإنّها للتي قال الله عزّ وجلّ: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: 74]. وأخرجه الطبراني أيضاً بمعناه بأسانيد في أحدها يحيى بن صالح وثَّقه الذهبي، وقد

تكلَّموا فيه، وبقية رجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع (6/ 17).

وأخرج ابن إسحاق عن محمد بن كعب القُرَظي قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه: يا أبا عبد الله، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا بن أخي. قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجتهد. قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا. قال: فقال حذيفة: يا بن أخي ـ والله ـ لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ بالخندق ـ فذكر الحديث في تحمُّلهم شدّة الخوف وشدة الجوع والبرد. وعند مسلم: فقال له حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟! لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقرّ ـ فذكره. وعند الحاكم والبيهقي: فقال حذيفة: لا تمنَّوا ذلك ـ فذكره كما سيأتي في تحمُّل الخوف.

* * *

تحمل النبي ﷺ الشدائد والأذى
في الدعوة إلى الله

أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «لقد أُوذيتُ في الله وما يُؤذى أحد، وأُخفتُ في الله وما يُخاف أحد، ولقد أتت عليّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال ما يأكله ذو كَبِد؛ إلَّا ما يُواري إبْط بلال». كذا في «البداية» (3/ 47). وأخرجه أيضاً الترمذي وابن حِبّان في صحيحه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. كذا في «الترغيب» (5/ 159). وأخرجه أيضاً ابن ماجَهْ، وأبو نُعيم.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» و «الكبير» عن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه قال: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب، إنَّ ابن أخيك يأتينا في أفنيتنا وفي نادينا فيسمعنا ما يؤذينا به، فإن رأيت أن تكفَّه عنا فافعل. فقال لي: يا عقيل، التمس لي ابن عمك. فأخرجته من كِبس من أكباس أبي طالب، فأقبل يمشي معي يطلب الفيء يمشي فيه فلا يقدر عليه حتى انتهى إلى أبي طالب. فقال له أبو طالب: يا بن أخي، والله ما علمت إن كنت لي لمطاعاً، وقد جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديهم تسمعهم ما يؤذيهم!! فإن رأيت أن تكفَّ عنهم؟ فحلَّق ببصره إلى السماءِ فقال: «والله، ما أنا بأقدرَ أن أدعَ ما بُعثت به من أن يُشعِلَ أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار». فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط!! ارجعوا راشدين. قال الهيثمي (6/ 14):

رواه الطبراني، وأبو يَعْلَى باختصار يسير من أوله، ورجال أبي يَعْلَى رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه البخاري في «التاريخ» بنحوه كما في «البداية» (3/ 42).

وعند البيهقي أن أبا طالب قال له ﷺ: يا بن أخي، إنّ قومك قد جاؤوني وقالوا كذا كذا، فأبقِ عليَّ وعلى نفسك، ولا تحمِّلني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك. فظن رسول الله ﷺ أن قد بَدَا لعمه فيه، وأنه خاذله ومُسْلِمُه، وضعف عن القيام معه. فقال رسول الله ﷺ: «يا عم، لو وُضعت الشمس في يميني، والقمر في يساري؛ ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه»؛ ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى. فلما ولَّى قال له ـ حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله ﷺ ـ: يا بن أخي ـ فأقبل عليه، فقال: امضِ على أمرك وافعل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً. كذا في «البداية» (3/ 42).

وأخرج البيهقي عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: لمَّا مات أبو طالب عرض لرسول الله ﷺ سفيه من سفهاء قريش فألقى عليه تراباً، فرجع إلى بيته فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي، فجعل يقول: «أي بنية، لا تبكي، فإن الله مانعٌ أباك» ويقول ما بين ذلك: «ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب، ثم شرعوا». كذا في «البداية» (3/ 134).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (8/ 308): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: لما مات أبو طالب تجهَّموا بالنبي ﷺ، فقال: «يا عمّ، ما أسرع ما وجدت فقدك!!».

وأخرج الطبراني عن الحارث بن الحارث قال: قلت لأبي: ما هذه

الجماعة؟ قال: هؤلاء القوم الذين اجتمعوا على صابىء لهم. قال: فنزلنا فإذا رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى توحيد الله عزَّ وجلَّ والإيمان، وهم يردُّون عليه ويؤذونه، حتى انتصف النهار وانصدع الناس عنه، أقبلت امرأة قد بدا نحرها تحمل قَدَحاً ومِنديلاً، فتناوله منها فشرب وتوضأ ثم رفع رأسه فقال: «يا بنية، خمِّري عليك نحرك، ولا تخافي على أبيك». قلنا: من هذه؟ قالوا: هذه زينب ابنتُه. قال الهيثمي (6/ 21): رجاله ثقات، وعنده أيضاً عن مَنْبِتٍ الأزدي قال: رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية وهو يقول: «يا أيها الناس، قولوا لا إله إلَّا الله تفلحوا» فمنهم من تفل في وجهه، ومنهم من حثا عليه التراب، ومنهم من سبَّه، حتى انتصف النهار، فأقبلت جارية بِعُسّ من ماء، فغسل وجهه ويديه وقال: «يا بنية، لا تخشي على أبيك غِيلَةً، ولا ذلَّةً». فقلت: من هذه؟ قالوا: زينب بنت رسول الله ﷺ وهي جارية وضيئة. قال الهيثمي (6/ 21): وفيه مَنْبِتُ بن مُدْرِك، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

وأخرج البخاري عن عروة رضي الله عنه قال: سألت ابن العاص رضي الله عنه فقلت: أخبرني بأشدِّ شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ؟ قال: بينما النبي ﷺ يصلي في حِجْر الكعبة؛ إذ أقبل عليه عقبة بن أبي مُعَيط فوضع ثوبه على عنقه وخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: 28]. الآية؛ كذا في «البداية» (3/ 46).

وعند ابن أبي شَيْبة عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: ما رأيت قريشاً أرادوا قتل النبي ﷺ إلَّا يوماً ائتمروا به وهم جلوس في ظل

الكعبة ورسول الله ﷺ يصلّي عند المقام، فقام إليه عقبة بن أبي مُعَيط، فجعل رداءه في عنقه ثم جذبه حتى وجب لركبتيه ساقطاً، وتصايح الناس، فظنوا أنه مقتول. فأقبل أبو بكر رضي الله عنه يشتد حتى أخذ بِضَبْعَي رسول الله ﷺ من ورائه ويقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾؟ ثم انصرفوا عن النبي ﷺ، فقام رسول الله ﷺ، فصلّى فلما قضى صلاته مرَّ بهم ـ وهم جلوس في ظلّ الكعبة ـ فقال: «يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده، ما أُرْسِلْتُ إليكم إلّا بالذبح» وأشار بيده إلى حَلْقه. فقال له أبو جهل: ما كنت جهولاً. فقال له رسول الله ﷺ: «أنت منهم» ـ كذا في كنز العمال (2/ 327). وأخرجه أيضاً أبو يَعْلى والطبراني بنحوه، قال الهيثمي (6/ 16): وفيه محمد بن عمرو بن علقمة، وحديثه حسن، وبقية رجال الطبراني رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في «دلائل النبوة» (ص 67).

وأخرج أحمد عن عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قلت له: ما أكثرَ ما رأيتَ قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته؟ قال: حضرتهم ـ وقد اجتمع أشرافهم في الحِجْر ـ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط!! سفّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرّق جماعتنا، وسبّ آلهتنا. لقد صبرنا منه على أمر عظيم!! ـ أو كما قالوا ـ. قال: فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استقبل الركن، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت. فلما مرَّ بهم غمزوه ببعض ما يقول. قال: فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى. فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مضى. فلمّا مرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فقال: «أتسمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفس محمد بيده، لقد جئتكم

بالذَّبح». فأخذتِ القومَ كلمتُه حتى ما منهم رجل إلَّا على رأسه طائر واقع، حتى إنَّ أشدهم فيه وضاءة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنَّه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشداً. فوالله ما كنت جهولاً. فانصرف رسول الله ﷺ.

حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحِجْر - وأنا معهم - فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم منه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه؟! فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأطافوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟! - لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم - قال: فيقول رسول الله ﷺ: «نعم، أنا الذي أقول ذلك» قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه، وقام أبو بكر رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟! ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشدُّ ما رأيت قريشاً بلغت منه قط. قال الهيثمي (6/ 16): وقد صرَّح ابن إسحاق بالسَّماع، وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرجه أيضاً البيهقي عن عروة رضي الله عنه قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ما أكثر ما رأيتَ قريشاً - فذكر الحديث بطوله نحوه كما ذكر في «البداية» (3/ 46).

وأخرج أبو يَعْلى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنهم قالوا لها: ما أشد ما رأيت من المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ؟ فقالت: كان المشركون قعدوا في المسجد يتذاكرون رسول الله ﷺ وما يقول في آلهتهم، فبينما هم كذلك إذ أقبل رسول الله ﷺ، فقاموا إليه بأجمعهم، فأتى الصريخ إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: أدرك صاحبك. فخرج من عندنا وإنَّ له لغدائرَ أربع، وهو يقول: ويلكم،

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: 28]. فَلَهوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي بكر. قالت: فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمسُّ شيئاً من غدائره إلا جاء معه، وهو يقول: تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام. قال الهيثمي (6/ 17) وفيه: تَدْرُوس جدّ أبي الزبير، ولم أعرفه؛ وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (2/ 247) عن ابن عيينة، عن الوليد بن كثير، عن ابن عبدوس، عن أسماء رضي الله عنها ـ فذكره بنحوه، وبهذا الإسناد أخرجه أبو نعيم في «الحِلْية» (1/ 31) ـ مختصراً، وفيه: ابن تدروس عن أسماء.

وأخرج أبو يعلى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غُشي عليه، فقام أبو بكر رضي الله عنه فجعل ينادي: ويلكم، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾. فقالوا: من هذا؟ فقالوا: أبو بكر المجنون. وأخرجه أيضاً البزّار ـ وزاد: فتركوه وأقبلوا على أبي بكر، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي (6/ 17). وأخرجه أيضاً الحاكم (3/ 67). وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرِّجاه.

وأخرج البزّار في «مسنده» عن محمد بن عقيل عن علي رضي الله عنه أنه خطبهم فقال: يا أيها الناس: من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين. فقال: أمَا إنّي ما بارزني أحد إلا انتصفتُ منه، ولكن هو أبو بكر!!؛ إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً، فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله، ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ، لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه؛ فهذا أشجع الناس!!.

قال: ولقد رأيتُ رسول الله ﷺ وأخذته قريش، فهذا يحادُّه وهذا يُتَلتله ويقولون: أنتَ جعلت الآلهة إلهاً وحداً؟! فوالله، ما دنا منا أحد إلَّا أبو بكر، يضرب هذا، ويجاهد هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟!. ثم رفع عليٌّ بُرْدةً كانت عليه فبكى حتى اخضلَّت لِحيته، ثم قال: أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خير أم هو؟ فسكت القوم. فقال علي رضي الله عنه: فوالله، لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه!! ثم قال البزار: لا نعلمه يُروى إلا من هذا الوجه. كذا في «البداية» (3/ 271). وقال الهيثمي (9/ 47): وفيه من لم أعرفه.

وأخرج البزّار والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ في المسجد، وأبو جهل بن هشام، وشيبة وعتبة ابنا ربيعة، وعُقبة بن أبي معيط، وأمية بن خلف، ورَجلان آخران كانوا سبعة وهم في الحِجر، ورسول الله ﷺ يصلِّي، فلما سجد أطال السجود. فقال أبو جهل: أيُّكم يأتي جزور بني فلان فيأتينا بفَرْثها، فنكفؤه على محمد؟ فانطلق أشقاهم عقبة بن أبي معيط فأتى به فألقاه على كتفيه ورسول الله ﷺ ساجد. قال ابن مسعود: وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلم ليس عندي مَنَعة تمنعني، فأنا أذهب إذ سمعتْ فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأقبلت حتى ألقت ذلك عن عاتقه، ثم استقبلت قريشاً تسبُّهم، فلم يرجعوا إليها شيئاً. ورفع رسول الله ﷺ رأسه كما كان يرفع عند تمام السجود. فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «اللَّهمَّ عليك بقريش ـ ثلاثاً ـ عليك بعتبة، وعقبة، وأبي جهل، وشيبة». ثم خرج من المسجد فلقيه أبو البَختري بسوط يتخصّر به، فلما رأى النبي ﷺ أنكر وجهه، فقال: ما لك؟ فقال

النبي ﷺ: «خلّ عني». قال: عَلِمَ اللّهُ لا أُخلّي عنك أو تخبرني ما شأنك، فلقد أصابك شيء؟. فلما علم النبي ﷺ أنه غير مُخَلٍّ عنه أخبره، فقال: «إنَّ أبا جهل أَمَرَ فطُرح عليَّ فرثٌ»، فقال أبو البَختري: هلمَّ إلى المسجد، فأتى النبي ﷺ وأبو البَختري فدخلا المسجد؛ ثم أقبل أبو البَختري إلى أبي جهل فقال: يا أبا الحكم، أنت الذي أمرتَ بمحمد فطُرح عليه الفرث؟ قال: نعم. فقال: فرفع السوط فضرب به رأسه. قال: فثار الرجال بعضها إلى بعض، قال: وصاح أبو جهل: ويحكم، هي له، إنما أراد محمد أن يُلقي بيننا العداوة وينجو هو وأصحابه. قال الهيثمي (6/ 18): وفيه: الأجلح بن عبد الله الكندي وهو ثقة عند ابن معين وغيره، وضعَّفه النسائي وغيره. انتهى. وأخرجه أيضا أبو نُعيم في «دلائل النبوة» (ص 90) نحو رواية البزار والطبراني. وأخرجه أيضاً الشيخان، والترمذي وغيرهم باختصارِ قصة أبي البَختري. وفي ألفاظ الصحيح: أنهم لما فعلوا ذلك استضحكوا حتى جعل يميل بعضهم إلى بعض أي من شدة الضحك. وعند أحمد: وقال عبد الله: فلقد رأيتهم قُتلوا يومِ بدر جميعاً. كذا في «البداية» (3/ 44).

وأخرج الطبراني عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق حليف بني زُهرة مرسلاً: أن أبا جهل اعترض لرسول الله ﷺ بالصَّفا، فآذاه. وكان حمزة رضي الله عنه صاحب قَنْص وصيد، وكان يومئذٍ في قَنْصه. فلما رجع قالت له امرأته ـ وكانت قد رأت ما صنع أبو جهل برسول الله ﷺ ـ: يا أبا عُمارة، لو رأيت ما صنع ـ تعني أبا جهل ـ بابن أخيك؟! فغضب حمزة رضي الله عنه، ومضى كما هو قبل أن يدخل بيته وهو معلّق قوسه في عنقه حتى دخل المسجد، فوجد أبا جهل في مجلس من مجالس قريش، فلم يكلِّمه حتى علا رأسه بقوسه فشجَّه. فقام

رجال من قريش إلى حمزة يمسكونه عنه، فقال حمزة: ديني دين محمد، ـ أشهد أنه رسول الله، فوالله، لا أنثني عن ذلك فامنعوني من ذلك إن كنتم صادقين!! فلما أسلم حمزة رضي الله عنه عزّ به رسول الله ﷺ والمسلمون، وثبت لهم بعض أمرهم، وهابت قريش، وعلموا أن حمزة رضي الله عنه سيمنعه. قال الهيثمي (9/ 267): ورجاله ثقات.

وأخرجه الطبراني أيضاً عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً، وفي حديثه: فأقبل من رَمْيه ذات يوم فلقيته امرأة، فقالت: يا أبا عمارة، ماذا لقي ابن أخيك من أبي جهل بن هشام!! شتمه، وتناوله، وفعل وفعل!!. فقال: هل رآه أحد؟ قالت: إي والله، لقد رآه ناس. فأقبل حتى انتهى إلى ذلك المجلس عند الصَّفا والمروة، فإذا هم جلوس وأبو جهل فيهم، فاتكأ على قوسه وقال: رميتُ كذا وكذا وفعلت كذا وكذا، ثم جمع يديه بالقوس فضرب بها بين أذني أبي جهل، فدقَّ سِيَتَها، ثم قال: خُذْها بالقوس وأخرى بالسيف، أشهد أنه رسول الله ﷺ، وأنه جاء بالحق من عند الله. قالوا: يا أبا عمارة، إنه سبَّ آلهتنا، وإن كنت أنت ـ وأنت أفضل منه ـ ما أقررناك. وذاك وما كنت يا أبا عمارة فاحشاً. قال الهيثمي (9/ 267): ورجاله رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (3/ 192): عن ابن إسحاق عن رجل عن أسلم ـ فذكره مطولاً.

وأخرج البيهقي عن العباس رضي الله عنه قال: كنت يوماً في المسجد فأقبل أبو جهل، فقال: إنَّ لله عليَّ إن رأيت محمداً ساجداً أن أطأ على رقبته، فخرجت على رسول الله ﷺ حتى دخلت عليه فأخبرته بقول أبي جهل. فخرج غضبانَ حتى جاء المسجد فعجَّل أن يدخل من الباب فاقتحم الحائط. فقلت: هذا يوم شر، فاتَّزرت ثم اتَّبعته، فدخل

رسول الله ﷺ فقرأ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ [العلق: 1، 2]. فلما بلغ شأن أبي جهل: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: 6، 7]، فقال إنسان لأبي جهل: يا أبا الحكم، هذا محمد. فقال أبو جهل: ألا ترون ما أرى؟ والله، لقد سُدَّ أفقُ السماء عليّ. فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر السورة سجد. كذا في البداية (3/ 43). وأخرجه أيضاً الطبراني في «الكبير» و «الأوسط»، قال الهيثمي (8/ 227) وفيه: إسحاق بن أبي فَرْوة وهو متروك. انتهى؛ وأخرجه الحاكم (3/ 325) بمثله، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه، وتعقَّبه الذهبي، فقال: فيه عبد الله بن صالح وليس بعُمْدة، وإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك.

وأخرج ابن سعد عن الواقدي بسند له إلى بَرَّة بنت أبي تِجْراة قالت: عرض أبو جهل وعدّةٌ معه للنبي ﷺ فآذوه، فعمد طُليب بن عمير إلى أبي جهل فضربه فشجَّه، فأخذوه، فقام أبو لهب في نصرته. وبلغ أرْوَى فقالت: إنَّ خيرَ أيامه يوم نصر ابن خاله، فقيل لأبي لهب: إن أرْوَى صَبأت، فدخل عليها يعاتبها، فقالت: قم دون ابن أخيك، فإنه إن يظهر كنتَ بالخيار، وإلَّا كنتَ قد أعذرتَ في ابن أخيك. فقال أبو لهب: ولنا طاقة بالعرب قاطبة؟! إنه جاء بدين مُحدَث!!. كذا في «الإصابة» (4/ 227).

وأخرج الطبراني عن قتادة مرسلاً قال: تزوج أمَّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ عتيبةُ بن أبي لهب، وكانت رقية عند أخيه عتبة بن أبي لهب، فلم يَبْنِ بها حتى بُعث النبي ﷺ. فلما نزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد: 1] قال أبو لهب لابنيه عتبة وعتيبة: رأسي في رؤوسكما حرام إن لم تطلِّقا ابنتَي محمد. وقالت أمهما أرْوَى بنت

حرب بن أمية - وهي حمَّالة الحطب -: طلِّقاهما يا بَني، فإنهما صَبَأتا. فطلَّقاهما. ولما طلَّق عتيبة أم كلثوم جاء إلى النبي ﷺ حين فارقها، فقال: كفرت بدينك وفارقت ابنتك، لا تحبني ولا أحبك، ثم سطا عليه، فشقَّ قميص النبي ﷺ وهو خارج نحو الشام تاجراً. فقال النبي ﷺ: «أما إنِّي أسأل الله أن يُسلِّط عليك كلبه». فخرج في تَجْر من قريش حتى نزلوا بمكان يقال له «الزرقاء» ليلاً فأطاف بهم الأسد تلك الليلة، فجعل عتيبة يقول: وَيْلُ أمي، هذا - والله - آكلي كما قال محمد، قاتلي ابن أبي كبشة، وهو بمكة وأنا بالشام. فلقد عدا عليه الأسد من بين القوم، فضغمه ضغمة فقتله. قال زهير بن العلاء: فحدَّثنا هشام بن عروة عن أبيه: أن الأسد لمَّا أطاف بهم تلك الليلة انصرف، فناموا، وجُعل عتيبة وسطهم. فأقبل السبع يتخطّاهم حتى أخذ برأس عتيبة ففدغه، وخَلَف عثمانُ بن عفان بعد رقية على أم كلثوم - رضي الله عنهما قال الهيثمي (6/ 18): وفيه زهير بن العلاء وهو ضعيف.

وأخرج الطبراني في الأوسط عن ربيعة بن عُبيد الدِيلي قال: ما أسمعكم تقولون إن قريشاً كانت تنال من رسول الله ﷺ!! فإنِّي أكثر ما رأيت أنَّ منزله كان بين منزل أبي لهب وعُقبة بن أبي مُعَيط؛ وكان ينقلب إلى بيته فيجد الأرحام والدِّماء والأنحات قد نصبت على بابه، فيُنحِّي ذلك بسِيَة قوسه، ويقول: «بئس الجوار هذا يا معشر قريش!!» قال الهيثمي (6/ 21): وفيه إبراهيم بن علي بن الحسين الرافقي، وهو ضعيف. انتهى.

وأخرج البخاري (1/ 458): عن عروة أن عائشة رضي الله عنها زوجَ النبي ﷺ حدَّثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليكَ يوم كان أشدَّ عليك من يوم أُحُد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدّ ما

لقيت منهم يوم العَقَبَة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلّا وأنا بقَرْن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبرائيل عليه السلام فناداني فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ ثم قال: يا محمد، فما شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟. قال النبي ﷺ: بل أرجو أن يُخرج الله عزّ وجلّ من أصلابهم من يعبد الله عزّ وجلّ وحده لا يشرك به شيئاً». وأخرجه أيضاً مسلم، والنسائي.

وذكر موسى بن عقبة في «المغازي» عن ابن شهاب: أنّه ﷺ لمّا مات أبو طالب توجه إلى الطائف رجاء أن يؤووه، فعمد إلى ثلاثة نفر من ثقيف وهم سادتهم، وهم إخوة: عبد ياليل، وحبيب، ومسعود بنو عمرو؛ فعرض عليهم نفسه، وشكا إليهم ما انتهَكَ منه قومه فردُّوا عليه أقبح ردٍّ. وكذا ذكره ابن إسحاق بغير إسناد مطوَّلاً. كذا في «فتح الباري» (6/ 198).

وأخرج أبو نُعَيم في «دلائل النبوة» (ص 103): عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: ومات أبو طالب، وازداد من البلاء على رسول الله ﷺ شدة، فعَمَدَ إلى ثقيف يرجو أن يؤووه وينصروه، فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف وهم إخوة: عبد ياليل بن عمرو، وحبيب بن عمرو، ومسعود بن عمرو. فعرض عليهم نفسه، وشكا إليهم البلاء وما انتهك قومه منه. فقال أحدهم: أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط. وقال الآخر: والله، لا أكلمك بعد مجلسك هذا كلمة واحدة أبداً، لئن كنت رسولاً لأنت أعظم شرفاً وحقاً من أن أكلمك. وقال

الآخر: أعَجَزَ الله أن يرسل غيرك؟! وأفشَوا ذلِك في ثقيف ـ الذي قال لهم ـ واجتمعوا يستهزئون برسول الله ﷺ، وقعدوا له صَفَّيْن على طريقه، فأخذوا بأيديهم الحجارة، فجعل لا يرفع رجله ولا يضعها إلَّا رضخوها بالحجارة، وهم في ذلك يستهزئون ويسخرون. فلما خلص من صفَّيْهم وقدماه تسيلان الدماء عمد إلى حائط من كرومهم، فأتى ظلَّ حَبَلة من الكرم فجلس في أصلها مكروباً موجعاً تسيل قدماه الدماء، فإذا في الكرم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، فلما أبصرهما كره أن يأتيهما لما يعلم من عداوتهم لله ولرسوله وبه الذي به، فأرسلا إليه غلامهما عدَّاساً بعنب ـ وهو نصراني من أهل نِينَوى ـ فلمَّا أتاه وضع العنب بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: «باسم الله»، فعجب عدّاس، فقال له رسول الله ﷺ: «من أي أرض أنت يا عدّاس؟» قال: أنا من أهل نِينَوى. فقال النبي ﷺ: «من أهل مدينة الرجل الصالح يونس بن متَّى؟» فقال له عدّاس: وما يدريك مَنْ يونس بن متَّى؟! فأخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس ما عرف، وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحداً، يبلِّغه رسالات الله تعالى. قال: يا رسول الله، أخبرني خبر يونس بن متَّى. فلمَّا أخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس بن متى ما أُوحي إليه من شأنه خرّ ساجداً للرسول ﷺ، ثم جعل يقبِّل قدميه وهما تسيلان الدماء. فلما أبصر عتبة وأخوه شيبة ما فعل غلامهما سكتا. فلما أتاهما قالا له: ما شأنك سجدت لمحمد وقبّلت قدميه ولم نرك فعلت هذا بأحد منا؟ قال: هذا رجل صالح، حدثني عن أشياء عرفتها من شأن رسولٍ بعثه الله تعالى إلينا يُدعى يونس بن متى، فأخبرني أنَّه رسول الله. فضحكا وقالا: لا يفتنْك عن نصرانيتك، إنه رجل يَخدع، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى مكة. انتهى.

وذكر في «البداية» (3/ 136) عن موسى بن عقبة: وقعد له أهل

الطائف صفَّيْن على طريقه، فلمّا مرّ جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلّا رضخوهما بالحجارة حتى أدمَوه، فخلَص منهم وهما يسيلان الدماء. وفيما ذكر ابن إسحاق: فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم ـ فيما ذُكر لي ـ: «إن فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليَّ»، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيُذْئِرَهم ذلك عليه. فلم يفعلوا، وأغرَوا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس وألجؤوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه. فعَمِد إلى ظل حَبَلَة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف، وقد لقي رسول الله ﷺ ـ فيما ذُكر لي ـ المرأة التي من بني جمح، فقال لها: «ماذا لقينا من أحمائك!».

فلما اطمأن، قال ـ فيما ذُكر لي ـ: «اللَّهمَّ إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكتَه أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، ولكنَّ عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقتْ له الظلماتُ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، منْ أن ينزل بي غضبك، أو يَحلَّ عليَّ سَخطُك. لك العُتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

قال: فلما رآه ابنا ربيعة: عتبة، وشيبة وما لقي تحركت له رحِمُهما، فدَعَوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عدَّاس، وقالا له: خذ قِطْفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه. ففعل عداس، ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، ثم قال له: كُلْ. فلما وضع رسول الله ﷺ يده فيه قال: «باسم الله» ثم

أكل، ثم نظر عدَّاس في وجهه ثم قال: والله، إنَّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد!! فقال له رسول الله ﷺ: «ومن أهل أيّ بلاد أنت يا عدَّاس؟ وما دينك؟» قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نِينَوى. فقال رسول الله: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟» فقال له عدَّاس: وما يدريك ما يونس بن متَّى؟! فقال رسول الله: «ذلك أخي، كان نبياً وأنا نبي». فأكبَّ عدَّاس على رسول الله ﷺ يقبّل رأسه ويديه وقدميه. قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك!! فلما جاء عدَّاس قالا له: ويلك يا عدَّاس، ما لك تقبِّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟! قال: يا سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلَّا نبي. قالا له: ويحك يا عدَّاس!! لا يصرفنَّك عن دينك، فإنَّ دينك خير من دينه. كذا في «البداية» (3/ 135) وذكر سليمان التَيْمي في السيرة له: أنه قال للنبي ﷺ: أشهد أنك عبد الله ورسوله. كذا في «الإصابة» (2/ 446). وقد ذكر في الصحابة.

وأخرج ابن مَردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال أبو بكر: لو رأيتني ورسول الله ﷺ إذ صعدنا الغار، فأمّا قدما رسول الله ﷺ فتقطّرتا دماً، وأما قدماي فعادتا كأنهما صَفْوان. قالت عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ لم يتعوّد الحِفْية. كذا في «كنز العمال» (8/ 329).

وأخرج الشيخان، والترمذي عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كُسرت رَباعِيته يوم أُحُد وشُجَّ في رأسه، فجعل يَسلِتُ الدمَ عن وجهه ويقول: «كيف يُفلح قوم شَجُّوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله؟!» فنزل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: 128] ـ الآية. وعند الطبراني في «الكبير» عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: أُصيب وجه

النبي ﷺ يوم أُحد، فاستقبله مالك بن سنان فمصَّ جرحه، ثم ازدرده فقال ﷺ: «من أحب أن ينظر إلى من خالط دمي دمه؛ فلينظر إلى مالك بن سنان». كذا في «جمع الفوائد» (2/ 47).

وأخرج الطيالسي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أُحد قال: ذاك يوم كله لطلحة، ثم أنشأ يحدِّث قال: كنت أول من فاء يوم أُحُد، فرأيت رجلاً يقاتل في سبيل الله دونه، وأُراه قال: حميَّة، قال: فقلت: كُنْ طلحة، حيث فاتني ما فاتني، فقلت: يكون رجلاً من قومي أحب إليَّ. وبيني وبين المشركين رجل لا أعرفه، وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه، وهو يخطَف المشي خطفاً لا أخطفه، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وقد كُسرت رُباعِيتَه، وشُجَّ في وجهه، وقد دخل في وجنته حلقتان من حَلَق المِغْفَر. قال رسول الله ﷺ: «عليكما صاحبكما» ـ يريد طلحة وقد نَزَف ـ فلم نلتفت إلى قوله، قال: وذهبت لأنزع ذلك من وجهه، فقال: أقسم عليك بحقِّي لمَّا تركتني، فتركته، فكره تناولها بيده فيؤذي رسول الله ﷺ فأزَم عليها بفِيه فاستخرج إحدى الحلقتين، ووقعت ثنيّته مع الحَلْقة. وذهبت لأصنع ما صنع فقال: أقسمت عليك بحقِّي لمَّا تركتني. قال: ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى، فوقعت ثنيّته الأخرى مع الحلقة؛ فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هَتَماً. فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار فإذا به بضع وسبعون طعنة ورمية وضربة، وإذا قد قطعت إصبعه، فأصلحنا من شأنه. كذا في «البداية» (4/ 29). وأخرجه أيضاً ابن سعد (3/ 298)، وابن السُّنِّي، والشاشي، والبزار، والطبراني في «الأوسط»، وابن حِبَّان، والدارقطني في «الأفراد»، وأبو نُعيم في «المعرفة»، وابن عساكر كما في «الكنز» (5/ 274).

تحمُّل أبي بكر الصديق
رضي الله عنه الشدائد

أخرج الحافظ أبو الحسن الأطرابلسي عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ - وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً - ألحّ أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: «يا أبا بكر إنَّا قليل». فلم يزل أبو بكر يلحّ حتى ظهر رسول الله ﷺ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته. وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله ﷺ. وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضُربوا في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووطىء أبو بكر وضُرب ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرِّفهما لوجهه، ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه. وجاء بنو تَيْم يتعادَون فأجلَت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تَيْم أبا بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله ولا يشكُّون في موته. ثم رجعت بنو تَيْم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلنَّ عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تَيم يكلِّمون أبا بكر حتى أجاب، فتكلَّم آخر النهار فقال: ما فعل رسول الله؟ فمسُّوا منه بألسنتهم وعَذَلوه، ثم قالوا لأمه أم الخير: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه، فلما خلت به ألحَّت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله ما لي علمٌ بصاحبك. فقال: اذهبي إلى

أمٌّ جميل بنت الخطّاب فاسأليها عنه. فخرجت حتى جاءت أم جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله. فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله، وإن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك. قالت: نعم؛ فَمَضَت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دَنِفاً؛ فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: والله إنَّ قوماً نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك منهم. قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمك تسمع. قال: فلا شيء عليك منها. قالت: سالم صالح. قال: أين هو؟ قالت: في دار ابن الأرقم. قال: فإن لِلّهِ عليَّ أن لا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتي رسول الله ﷺ. فأمهلتا حتى إذا هدأت الرِّجْل وسكن الناس، خرجتا به يتكيء عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله ﷺ. قال: فأكبَّ عليه رسول الله ﷺ فقبله، وأكب عليه المسلمون، ورقَّ له رسول الله ﷺ رقَّة شديدة. فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي بَرَّة بولدها، وأنت مبارك فادعُها إلى الله وادعُ لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار. قال: فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله فأسلمت. وأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهراً، وهم تسعة وثلاثون رجلاً، وقد كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أسلم يوم ضُرِب أبو بكر رضي الله عنه.

ودعا رسول الله لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ أو لأبي جهل بن هشام ـ فأصبح عمر، وكانت الدعوة يوم الأربعاء فأسلم عمر يوم الخميس، فكبَّر رسول الله ﷺ وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلى مكة؛ وخرج أبو الأرقم ـ وهو أعمى كافر ـ، وهو يقول: اللَّهمَّ اغفر لبني عبيد الأرقم فإنه كفر، فقام عمر فقال: يا رسول الله، علامَ

نخفي ديننا ونحن على الحق؟ ويظهر دينهم وهم على الباطل؟ قال: «يا عمر، إنّا قليل قد رأيت ما لقينا!!» فقال عمر: فوالذي بعثك بالحق، لا يبقى مجلسٌ جلستُ فيه بالكفر إلا أظهرتُ فيه الإيمان. ثم خرج فطاف بالبيت، ثم مرّ بقريش وهي تنتظره، فقال أبو جهل بن هشام: يزعم فلان أنك صبوت؟ فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. فوثب المشركون إليه ووثب على عتبة فبرك عليه وجعل يضربه وأدخل أصبعه في عينيه، فجعل عتبة يصيح، فتنحّى الناس فقام عمر، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أخذ بشريف ممن دنا منه حتى أعجز الناس. واتبع المجالس التي كان يُجالس فيها فيظهر الإيمان، ثم انصرف إلى النبي ﷺ وهو ظاهر عليهم. قال: ما عليك بأبي وأمي، والله ما بقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلّا أظهرت فيه الإيمان غير هائب ولا خائف؛ فخرج رسول الله ﷺ وخرج عمر أمامه وحمزة بن عبد المطلب حتى طاف بالبيت وصلّى الظهر مؤمناً، ثم انصرف إلى دار الأرقم ومعه عمر، ثم انصرف عمر وحده، ثم انصرف النبي ﷺ.

والصحيح: أن عمر إنما أسلم بعد خروج المهاجرين إلى أرض الحبشة، وذلك في السنة السادسة من البعثة. كذا في البداية (3/ 30). وذكره الحافظ في «الإصابة» (4/ 447) عن ابن أبي عاصم.

وأخرج البخاري (ص 552) عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم أعقل أبويَّ قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمرّ علينا يوم إلّا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طَرَفي النهار: بُكرة، وعَشيّة. فلما ابتُليَ المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ بَرْكَ الغماد لقيه ابن الدُّغُنَّةِ وهو سيد القارة. قال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر:

أخرجَني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. قال ابن الدُّغُنَّةِ: فإنَّ مثلك يا أبا بكر لا يَخرج ولا يُخرج!! إنك تكسب المعدوم، وتصل الرَّحِم، وتحمل الكَلَّ، وتَقري الضيف، وتعين على نوائب الحق؛ فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك.

فرجع وارتحل معه ابن الدُّغُنَّة، فطاف ابن الدُّغُنَّة عشية في أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرج مثله ولا يُخرج، أتُخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرَّحِم، ويحمل الكَلَّ، ويقري الضَّيف، ويعين على نوائب الحق؟. فلم تكذِّب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدُّغُنَّة: مُرْ أبا بكر فليعبدْ ربَّه في داره، فليصلِّ فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنَّا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا؛ فقال ذلك ابن الدُّغُنَّة لأبي بكر. فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بِفناء داره، وكان يصلِّي فيه ويقرأ القرآن، فيتقذَّف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكَّاءً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن. وأفزع ذلك أشرافَ قريش من المشركين. فأرسلوا إلى ابن الدُّغُنَّة فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفِناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه وإنا قد خشينا أن يَفتن نساءنا وأبناءنا فانْهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربَّه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسَلْه أن يردَّ إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نُخْفِرَك، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان. قالت عائشة رضي الله عنها: فأتى ابن الدُّغُنَّة إلى أبي بكر فقال: قد علمتَ الذي عاقدتُ لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن تُرجع إليَّ ذمتي فإني لا أُحب أن تسمع العرب أني أُخفرتُ في رجل

عقدت له. فقال أبو بكر: فإني أردُّ إليك جوارَك وأرضى بجوار الله عزَّ وجلَّ - فذكر الحديث بطوله في الهجرة.

وأخرج أيضاً ابن إسحاق بنحوه، وفي سياقه: فخرج أبو بكر مهاجراً، حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين لقيه ابن الدُّغُنَّة - وهو يومئذٍ سيد الأحابيش -، فقال: إلى أين يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي وآذَوْني وضيَّقوا عليَّ. قال: ولم؟ فوالله إنك لتزيِّن العشيرة، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف، وتكسب المعدوم؛ ارجع فإنَّك في جواري. فرجع معه حتى إذ دخل مكة قام معه ابن الدُّغُنَّة فقال: يا معشر قريش. إنِّي قد أجرت ابن أبي قُحافة فلا يَعْرِضْ له أحد إلا بخير. قال: فكفُّوا عنه، وفي آخره فقال: يا أبا بكر، إني لم أُجرك لتؤذيَ قومك، وقد كرهوا مكانك الذي أنت به وتأذَّوا بذلك منك، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت. قال: أو أردُّ عليك جوارك وأرضى بجوار الله؟. قال: فارددْ عليّ جواري. قال: قد رددته عليك. قال: فقام ابن الدُّغُنَّة فقال: يا معشر قريش، إن ابن أبي قحافة قد ردّ عليَّ جواري، فشأنكم بصاحبكم. كذا في «البداية» (3/ 94).

وأخرج ابن إسحاق أيضاً عن القاسم قال: لقيه - يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه حين خرج من جوار ابن الدُّغُنَّة - سفيهٌ من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة، فحثا على رأسه تراباً، فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة - أو العاص بن وائل - فقال له أبو بكر رضي الله عنه: ألا ترى ما يصنع هذا السفيه؟ فقال: أنت فعلت ذلك بنفسك. وهو يقول: أي رب ما أحلمك؟ أي رب ما أحلمك؟ أي رب ما أحلمك! كذا في «البداية» (3/ 95).

وقد تقدم في حديث أسماء رضي الله عنها عند أبي يَعْلى وغيره

قالت: فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقالوا: أدرك صاحبك. فخرج من عندنا وإن له لغدائرَ أربع؛ وهو يقول: ويلكم ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ فلَهوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي بكر. قالت: فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمسُّ شيئاً من غدائره إلا جاء معه وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام.

* * *

تحمُّل عُمَر بن الخطاب
رضي الله عنه الشدائد

أخرج ابن إسحاق عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لمّا أسلم عمر رضي الله عنه قال: أيُّ قريش أنقل للحديث؟ فقيل له جميل بن معمر الجمحي، فغدا عليه ـ قال عبد الله: وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كلَّ ما رأيت ـ حتى جاءه، فقال له: أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد ﷺ؟ قال: فوالله، ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتَّبعه عمر واتبعته أنا، حتى قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، ـ وهم في أنديتهم حول الكعبة ـ ألا إنَّ ابن الخطاب قد صبأ. قال: يقول عمر من خلفه: كذب، ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وطَلح فقعد، وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله، أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا. قال: فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حِبَرة وقميص مُوَشًّى حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: صبأ عمر. قال: فمَهْ! رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون، أترون بني عديّ يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلُّوا عن الرجل. قال: فوالله لكأنما كانوا ثوباً كُشط عنه. قال: فقلت لأبي ـ بعد أن هاجر إلى المدينة ـ يا أبت، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك؟ قال: ذاك ـ أيْ بنيَّ ـ العاص بن

وائل السهمي. وهذا إسناد جيد قوي. كذا في «البداية» (3/ 82).

وعند البخاري (1/ 545) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما هو في الدار خائفاً إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو ـ وعليه حُلة حِبَرة وقميص مكفوف بحرير ـ وهو من بني سَهْم وهم حلفاؤنا في الجاهلية. فقال له: ما بالك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلونني إنْ أسلمتُ. قال: لا سبيل إليك. بعد أن قالها أمِنتُ. فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي؛ فقال: أين تريدون؟ فقالوا: نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ. قال: لا سبيل إليه. فكرّ الناس.

* * *

تحمل عُثْمَان بن عَفّان
رضي الله عنه الشدائد

أخرج ابن سعد (3/ 37) عن محمد بن إبراهيم التَيْمي قال: لما أسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية فأوثقه رباطاً، وقال: أترغب عن ملَّة آبائك إلى دينٍ مُحْدَث؟! والله لا أحلّك أبداً حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين. فقال عثمان: والله لا أدعه أبداً ولا أُفارقه. فلما رأى الحَكَم صلابته في دينه تركه.

* * *

تحمل طَلْحَة بن عبيد الله رضي الله عنه الشدائد

أخرج البخاري في «التاريخ» عن مسعود بن خِراش رضي الله عنه قال: بينا نحن نطوف بين الصَّفا والمروة إذا أُناس كثير يتبعون فتى شاباً مُوثقاً بيده في عنقه. قلت: ما شأنه؟ قالوا: هذا طلحة بن عبيد الله صبأ؛ وامرأةٌ وراءه تدمدم وتسبّه. قلت: من هذه؟ قالوا: الصعبة بنت الحضرمي أمه. كذا في الإِصابة (3/ 410).

وأخرج الحاكم في «المستدرك» (3/ 369) عن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال: قال لي طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: حضرت سوق بصرى، فإذا راهب في صومعته يقول: سَلُوا أهل هذا الموسم، أفيهم أحد من أهل الحرم؟ قال طلحة رضي الله عنه: قلت: نعم؛ أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قال: قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه وهو آخر الأنبياء، مخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخل وحَرَّة وسِباخ فإياك أن تُسبق إليه. قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة فقلت: هل كان من حَدَث؟ قالوا: نعم، محمد بن عبد الله الأمين تنبّأ، وقد تبعه ابن أبي قحافة. قال: فخرجت حتى دخلت على أبي بكر رضي الله عنه فقلت: أتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلق إليه فادخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق؛ فأخبره طلحة بما قال الراهب. فخرج أبو بكر بطلحة فدخل

به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب؛ فسُرَّ رسول الله ﷺ. فلما أسلم أبو بكر، وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن العدويَّة فشدهما في حبل واحد ولم يمنعهما بنو تَيْم، وكان نوفل بن خويلد يدعى «أسد قريش»، فلذلك سُمي أبو بكر، وطلحة القرينين - فذكر الحديث. وأخرجه البيهقي أيضاً، وفي حديثه: وقال النبي ﷺ: «اللَّهمَّ اكفنا شرَّ ابن العدويّة». كذا في «البداية» (3/ 29).

* * *

تحمُّل الزُّبَيْر بن العَوّام
رضي الله عنه الشدائد

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 89) عن أبي الأسود قال: أسلم الزبير بن العوام رضي الله عنه وهو ابن ثمان سنين وهاجر وهو ابن ثماني عشرة سنة، وكان عم الزبير يعلِّق الزبير في حصير ويدخِّن عليه بالنار وهو يقول: ارجع إلى الكفر. فيقول الزبير: لا أكفر أبداً. وأخرجه الطبراني أيضاً ورجاله ثقات إلا أنه مرسل ـ قاله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (9/ 151). وأخرجه الحاكم (3/ 360) عن أبي الأسود عن عروة رضي الله عنه.

وأخرج أبو نُعيم عن حفص بن خالد قال: حدثني شيخ قدم علينا من المَوْصل قال: صحبت الزبير بن العوام رضي الله عنه في بعض أسفاره، فأصابته جنابة بأرض قفر، فقال: استرني. فسترته، فحانت مني إليه التفاتة فرأيته مجدَّعاً بالسيوف. قلت: والله لقد رأيت بك آثاراً ما رأيتها بأحد قط. قال: وقد رأيت ذلك؟ قلت: نعم، قال: أما والله، ما منها جراحة إلا مع رسول الله ﷺ وفي سبيل الله. وأخرجه الطبراني، والحاكم (3/ 360) نحوه، وابن عساكر كما في «المنتخب» (5/ 70) أيضاً. قال الهيثمي (9/ 150): والشيخ المَوْصلي لم أعرفه؛ وبقية رجاله ثقات. انتهى، وعند أبي نُعيم أيضاً عن علي بن زيد قال: أخبرني من رأى الزبير: وإن في صدره لأمثال العيون من الطَّعن والرمي. كذا في «الحلية» (1/ 90).

تحمُّل بلال بن رباح المؤذن رضي الله عنه الشدائد

أخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمَّار وأمه سُميَّة، وصهيب، وبلال؛ والمقداد، رضي الله عنهم. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمِّه. وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه. وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدْرُع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد آتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطَوه الوِلدان، فجعلوا يطوفون به في شِعاب مكة، وهو يقول: أحد، أحد ـ كذا في البداية (3/ 28). وأخرجه أيضاً الحاكم (3/ 284) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: صحيح، وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 149)، وابن أبي شيبة كما في «الكنز» (7/ 14)، وابن عبد البرّ في «الاستيعاب» (1/ 141) من حديث ابن مسعود بمثله.

وأخرجه أبو نُعيم أيضاً في «الحلية» (1/ 140) من حديث مجاهد، وفي حديثه: وأما الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد ثم صهروهم في الشمس، فبلغ منهم الجَهد ما شاء الله أن يبلغ من حر الحديد والشمس. فلما كان من العشي أتاهم أبو جهل ـ ومعه حربته، فجعل يشتمهم ويوبخهم. وقال ابن عبد البر في حديث مجاهد ـ وزاد في خبر بلال ـ:

أنهم كانوا يطوفون به والحبل في عنقه بين أخشبي مكة. وأخرجه ابن سعد (2/ 166) عن مجاهد بنحوه.

وأخرج الزبير بن بكار عن عُروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: كان بلال لجارية من بني جُمَح، وكانوا يعذبونه برَمْضاء مكة، يلصقون ظهره بالرمضاء لكي يشرك، فيقول: أَحَدٌ أَحَدٌ، فيمر به وَرَقَة ـ وهو على تلك الحال ـ فيقول: أَحَدٌ، أَحَدٌ، يا بلال. والله، لئن قتلتموه لأتخذنَّه حناناً. وهذا مرسل جيد. كذا في «الإصابة» (3/ 634).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 148) عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان ورقة بن نوفل يمرُّ ببلال يعذَّب، وهو يقول: أَحَدٌ، فيقول: أَحَدٌ، أَحَدٌ، الله يا بلال. ثم يقبل ورقة بن نوفل على أمية بن خَلَف وهو يصنع ذلك ببلال، فيقول: أحلف بالله عزّ وجلّ لئن قتلتموه على هذا لأتخذنَّه حناناً، حتى مرَّ به أبو بكر الصدِّيق يوماً وهم يصنعون ذلك، فقال لأمية: ألا تتقي الله في هذا المسكين حتى متى؟ قال: أنت أفسدته فأنقذه ممَّا ترى. فقال أبو بكر: أفعل، عندي غلام أسود أجلَدُ منه وأقوى على دينك، أعطيكه به. قال: قد قبلت. قال: هو لك. فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك، وأخذ بلالاً فأعتقه، ثم أعتق معه على الإِسلام ـ قبل أن يهاجر من مكة ـ ست رقاب بلال سابعهم.

وذكر أبو نُعيم في «الحِلْية» (1/ 148) عن ابن إسحاق: كان أمية يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة؛ ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللّات والعزّى. فيقول: ـ وهو في ذلك البلاء ـ أَحَدٌ، أَحَدٌ. قال عمار بن ياسر ـ وهو يذكر بلالاً وأصحابه وما

كانوا فيه من البلاء، وإعتاق أبي بكر إياه، وكان اسم أبي بكر عتيقاً رضي الله عنه ـ:

جزى الله خيراً عن بلالٍ وصَحْبه
عتيقاً وأخزى فاكهاً وأبا جهلِ
عشية همَّا في بلال بِسَوْأةٍ
ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقلِ
بتوحيده ربَّ الأنامِ وقوله
شهدتُ بأنَّ الله ربي على مَهْلِ
فإن يقتلوني يقتلوني فلم أكن
لأشركَ بالرحمنِ من خيفة القتلِ
فيا ربَّ إبراهيم والعبدِ يونُسٍ
وموسى وعيسى نجِّني ثم لا تُبْلِ
لمن ظلَّ يهوى الغيَّ من آل غالبٍ
على غير برٍّ كان منه ولا عدلِ

* * *

تحمل عمّار بن ياسر وأهل بيته
رضي الله عنهم الشدائد

أخرج الطبراني، والحاكم، والبيهقي، وابن عساكر عن جابر رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ مرَّ بعمَّار وأهله وهم يعذَّبون، فقال: «أبشروا آل ياسر فإنَّ موعدكم الجنة». قال الهيثمي (9/ 293): رجال الطبراني رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوّم وهو ثقة ا هـ.

وعند الحاكم في «الكُنَى» وابن عساكر عن عثمان رضي الله عنه قال: بينما أنا أمشي مع رسول الله ﷺ بالبطحاء إذ بعمّار وأبيه وأمه يعذبون في الشمس ليرتدّوا عن الإسلام. فقال أبو عمّار: يا رسول الله، الدهرَ هكذا؟! فقال: «صبراً يا آل ياسر. اللَّهمَّ اغفر لآل ياسر، وقد فعلت». وأخرجه أيضاً أحمد، والبيهقي، والبغوي، والعُقيلي، وابن مَنْده، وأبو نُعَيم، وغيرهم بمعناه عن عثمان رضي الله عنه كما في «الكنز» (7/ 72). وأخرجه ابن سعد (3/ 177) عن عثمان رضي الله عنه بنحوه.

وأخرج أبو أحمد الحاكم عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: مرّ رسول الله ﷺ بياسر وعمّار وأم عمّار وهم يؤذَون في الله تعالى، فقال لهم: «صبراً يا آل ياسر، صبراً يا آل ياسر؛ فإنَّ موعدكم الجنة». ورواه ابن الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه ـ وزاد: وعبد الله بن ياسر؛ وزاد: وطعن أبو جهل سميَّة في قُبُلها فماتت، ومات ياسر في العذاب، ورمي عبد الله فسقط ـ كذا في «الإصابة» (3/ 647).

وعند أحمد عن مجاهد قال: أول شهيد كان في أول الإسلام استشهد أم عمار سميَّة، طعنها أبو جهل بحربة في قبلها. كذا في «البداية» (3/ 59).

وأخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 140) عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار قال: أخذ المشركون عمّاراً رضي الله عنه فلم يتركوه حتى سبَّ رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير. فلما أتى رسول الله ﷺ قال: «ما وراءك؟» قال: شرّ يا رسول الله، ما تُرِكتُ حتى نلتُ منك وذكرت آلهتهم بخير. فقال رسول الله ﷺ: «فكيف تجد قلبك؟» قال: أجد قلبي مطمئناً بالإِيمان. قال: «فإن عادوا فَعُد». وأخرجه ابن سعد (3/ 178) عن أبي عبيدة نحوه. وأخرج أيضاً عن محمد: أن النبي ﷺ لقي عماراً وهو يبكي، فجعل يمسح عن عينيه وهو يقول: «أخذك الكفار فغطُّوك في الماء؛ فقلتَ كذا وكذا، فإن عادوا فقل ذاك لهم». وأخرج أيضاً (3/ 177) عن عمرو بن ميمون قال: أحرق المشركون عمار بن ياسر بالنار. قال: فكان رسول الله ﷺ يمرّ به ويمر يده على رأسه فيقول: «يا نارُ كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت على إبراهيم عليه السلام، تقتلك الفئة الباغية».

* * *

تحمل خبّاب بن الأرتّ
رضي الله عنه الشدائد

أخرج ابن سعد (3/ 117) عن الشَّعْبي قال: دخل خبَّاب بن الأرتّ رضي الله عنه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأجلسه على متكئه وقال: ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلَّا رجل واحد. قال له خباب: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: بلال. فقال خباب: ما هو بأحق مني، إنَّ بلالاً كان له في المشركين من يمنعه الله به، ولم يكن لي أحد يمنعني، فلقد رأيتني يوماً أخذوني فأوقدوا لي ناراً ثم سلقوني فيها، ثم وضع رجلٌ رجله على صدري فما اتقيت الأرض - أو قال: برد الأرض - إلَّا بظهري؛ قال: ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برص. كذا «كنز العمال» (7/ 31).

وعند أبي نُعيم في «الحلية» (1/ 144) عن الشَّعْبي قال: سأل عمر رضي الله عنه بلالاً عما لقي من المشركين؟ فقال خباب: يا أمير المؤمنين، انظر إلى ظهري، فقال عمر: ما رأيت كاليوم. قال: أوقدوا لي ناراً فما أطفأها إلا وَدَكُ ظهري!! وعنده أيضاً، وابن سعد، وابن أبي شَيْبة كما في «كنز العمال» (7/ 71) عن أبي ليلى الكندي قال: جاء خبَّاب بن الأرت إلى عمر - رضي الله عنهما - فقال: ادنه، فما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا عمار بن ياسر؛ فجعل خباب يريه آثاراً في ظهره ممَّا عذّبه المشركون.

وأخرج أحمد عن خبَّاب رضي الله عنه قال: كنت رجلاً قَيْناً وكان لي على العاص بن وائل دَيْن، فأتيته أتقاضاه. فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفرَ بمحمد. فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموتَ ثم تُبعث. قال: فإني إذا مت ثم بُعثت جئتني ولي ثَمَّ مال وولد فأعطيك. فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: 77 ـ 80] ـ كذا في البداية (4/ 59). وأخرجه ابن سعد (3/ 116) عن خباب بنحوه.

وأخرج البخاري عن خبّاب رضي الله عنه يقول: أتيت النبي ﷺ وهو متوسِّد ببردةٍ وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعو الله؟ فقعد ـ وهو محمرٌّ وجهه ـ فقال: «لقد كان مَنْ قبلكم ليُمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه!! وليُتِمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلَّا الله عزّ وجلّ ـ زاد بيان: والذئب على غنمه ـ، ولكنكم تستعجلون». وأخرجه أيضاً أبو داود، والنَّسائي كما في العيني (7/ 558)، والحاكم (3/ 383) بمعناه.

* * *

تحمل أبي ذَرّ الغِفَاريّ
رضي الله عنه الشدائد

أخرج البخاري (1/ 554) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمَّا بلغ أبا ذرٍّ مبعث رسول الله ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي، فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم ائتني. فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذرٍّ فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاماً ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتني ممَّا أردت.

فتزود وحمل شَنّة فيها ماء حتى قدم مكة، فأتى المسجد فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل اضطجع، فرآه علي رضي الله عنه فعرف أنه غريب. فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى، فعاد إلى مضجعه، فمر به علي فقال: أما آن للرجل أن يعلم منزله، فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان يوم الثالث، فعاد علي مثل ذلك فأقام معه. ثم قال ألا تحدثني ما الذي أقدمك؟ قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدنَّني فعلت، ففعل، فأخبره. قال: فإنَّه حقٌّ وهو رسول الله ﷺ. فإذا أصبحت فاتَّبعني فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك، قمت كأني أريق الماء، فإن مضيتُ فاتَّبعني حتى تدخل

مدخلي. ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه. فقال له النبي ﷺ: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري». قال: والذي نفسي بيده لأصرخنَّ بها بين ظهرانيهم. فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكبَّ عليه، فقال: ويلكم، ألستم تعلمون أنه من غِفار وأن طريق تُجَّاركم إلى الشام؟! فأنقذه منهم. ثم عاد من الغد بمثله فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه.

وعند البخاري (1/ 500) أيضاً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما فقال: يا معشر قريش، إنِّي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فقالوا: قوموا إلى هذا الصابىء، فقاموا فضُرِبت لأموت، فأدركني العباس فأكب عليَّ ثم أقبل عليهم فقال: ويلكم، تقتلون رجلاً من غفار ومتجركم وممرّكم على غفار؟! فأقلعوا عني. فلما أن أصبحت الغد رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس. فقالوا: قوموا إلى هذا الصابىء فصُنع بي مثل ما صُنع بالأمس، فأدركني العباس فأكبَّ عليَّ وقال مثل مقالته بالأمس.

وأخرجه مسلم من طريق عبد الله بن الصامت عن أبي ذر ـ رضي الله عنهما ـ فذكر قصة إسلامه بصفة أخرى، وفي حديثه: فانطلق أخي فأتى مكة ثم قال لي: أتيت مكة فرأيت رجلاً يسمِّيه الناس الصابىء هو أشبه الناس بك. قال: فأتيت مكة فرأيت رجلاً يسمِّيه، فقلت: أين الصابىء؟ فرفع صوته عليَّ فقال: صابىء، صابىء!! فرماني الناس حتى كأني نُصُبٌ أحمر، فاختبأت بين الكعبة وأستارها، ولبثت فيها بين خمس عشرة من يوم وليلة، وما لي طعام ولا شراب إلا ماء زمزم. قال: ولقينا

رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه وقد دخلا المسجد، فوالله إنِّي لأول الناس حيَّاه بتحية الإِسلام، فقلت: السلام عليك يا رسول الله. فقال: «وعليك السلام ورحمة الله، من أنت؟» فقلت: رجل من بني غِفار. فقال صاحبه: ائذن لي يا رسول الله في ضيافته الليلة، فانطلق بي إلى دار في أسفل مكة فقبض لي قَبَضات من زبيب. قال: فقدمت على أخي فأخبرته أني أسلمت. قال: فإني على دينك، فانطلقنا إلى أمِّنا؛ فقالت: إني على دينكما. قال: وأتيت قومي فدعوتهم فتبعني بعضهم.

وأخرجه الطبراني نحو هذا مطوَّلاً، وأبو نعيم في «الحلية» (1/ 158) من طريق ابن عباس رضي الله عنهما عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أقمت مع رسول الله ﷺ بمكة فعلمني الإِسلام، وقرأت من القرآن شيئاً. فقلت: يا رسول الله، إني أريد أن أظهر ديني. فقال رسول الله ﷺ: «إني أخاف عليك أن تُقتل». قلت: لا بدَّ منه وإن قتلت. قال: فسكت عني. فجئت ـ وقريش حِلَقاً يتحدّثون في المسجد ـ فقلت: أشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله. فانتقضت الحِلَق، فقاموا فضربوني حتى تركوني كأني نُصُب أحمر، وكانوا يرون أنهم قد قتلوني؛ فأفقت فجئت إلى رسول الله ﷺ فرأى ما بي من الحال، فقال لي: «ألم أنهك؟»، فقلت: يا رسول الله، كانت حاجة في نفسي فقضيتها. فأقمت مع رسول الله ﷺ، فقال: «الحق بقومك، فإذا بلغك ظهوري فأْتني». وأخرج أبو نعيم أيضاً عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أتيت مكة فمال عليَّ أهل الوادي بكل مَدَرة وعَظْم، فخررت مغشياً عليَّ، فارتفعت حين ارتفعت كأني نُصُب أحمر. كذا «الحلية» (1/ 159) وأخرجه الحاكم أيضاً (3/ 338) بطرق مختلفة.

* * *

تحمل سعيد بن زَيْد وزوجته فاطمة أخت عمر رضي الله عنهما الشدائد

أخرج البخاري (1/ 545) عن قيس قال: سمعت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه في مسجد الكوفة يقول: والله، لقد رأيتني وإن عمر لَمُوثقي على الإِسلام، فذكر الحديث. وفي رواية أخرى عنه عنده (1/ 546): لو رأيتني موثقي عمر على الإِسلام أنا وأخته وما أسلم.

وأخرج ابن سعد (3/ 191) عن أنس رضي الله عنه قال: خرج عمر رضي الله عنه متقلداً السيف فلقيه رجل من بني زُهْرة قال: أين تعمد يا عمر؟ فقال: أريد أن أقتل محمداً. فقال: وكيف تأمن من بني هاشم وبني زُهْرة إذا قتلت محمداً؟ قال: فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبأت وتركت دينك الذي كنت عليه!! فقال: أفلا أدلك على ما هو أعجب من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أختك وخَتَنُك قد صَبَوا وتركا دينك الذي أنت عليه. قال: فمشى عمر ذامراً حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خبَّاب قال: فلما سمع خباب حِسَّ عمر توارى في البيت، فدخل عليهما فقال: ما هذه الهَيْنَمة التي سمعتها عندكم؟ قال: وكانوا يقرؤون «طه»، فقالا: ما عدا حديثاً تحدَّثناه بيننا، قال: فلعلكما قد صبوتما. قال: فقال له ختنهُ: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على خَتَنهُ فوطئه وطأً شديداً، فجاءت أخته فدفعته عن

زوجها فنفحها بيده نفحة فدمَّى وجهها. فقالت ـ وهي غضبَى ـ: يا عمر، إن كان الحق في غير دينك!! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ. فلما يئس عمر قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه. قال: ـ وكان عمر يقرأ الكتب ـ فقالت أخته: إنك رِجْس ولا يمسه إلَّا المطهَّرون، فقم فاغتسل أو توضأ. قال: قام عمر فتوضأ، ثم أخذ الكتاب فقرأ «طه» حتى انتهى ـ إلى قوله ـ: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: 14] قال: فقال عمر: دلُّوني على محمد. فلما سمع خبّاب قول عمر خرج من البيت فقال: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة الخميس: «اللَّهمَّ أعز الإِسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام». قال: ورسول الله ﷺ في الدار التي في أصل الصفا، فانطلق عمر حتى أتى الدار. قال: وعلى باب الدار حمزة، وطلحة رضي الله عنهما وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ. فلما رأى حمزة وَجَلَ القوم من عمر، قال حمزة: نعم، فهذا عمر، فإن يرد الله بعمر خيراً يسلم ويتبع النبي ﷺ، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هيِّناً. قال: ورسول الله ﷺ داخلٌ يُوحَى إليه. قال: فخرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف وقال: «أما أنت بمنتهٍ يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة؟ اللَّهمَّ هذا عمر بن الخطاب، اللَّهمَّ أعزَّ الدين بعمر بن الخطاب». قال: فقال عمر: أشهد أنك رسول الله، فأسلم وقال: اخرج يا رسول الله. كذا في العيني (8/ 68). وذكره ابن إسحاق بهذا السياق مطوَّلاً كما في «البداية» (3/ 81).

وعند الطبراني عن ثَوْبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ أعزَّ الإِسلام بعمر بن الخطاب»، وقد ضرب أخته أول الليل وهي

تقرأ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ [العلق: 1] حتى ظنَّ أنه قتلها، ثم قام في السَحَر فسمع صوتها تقرأ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①﴾ فقال: والله ما هذا بشعر ولا همهمة. فذهب حتى أتى رسول الله ﷺ فوجد بلالاً على الباب فدفع الباب؛ فقال بلال: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب. فقال: حتى أستأذن لك على رسول الله ﷺ. فقال بلال: يا رسول الله، عمر بالباب. فقال رسول الله ﷺ: «إن يرد الله بعمر خيراً يدخله في الدين»، فقال لبلال: افتح وأخذ رسول الله ﷺ بضَبْعَيه وهزّه، وقال: ما الذي تريد؟ وما الذي جئت؟» فقال له عمر: اعرض عليَّ الذي تدعو إليه. فقال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله». فأسلم عمر مكانه، وقال: اخرج. قال الهيثمي (9/ 62) وفيه: يزيد بن ربيعة وهو متروك؛ وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج البزار عن أسلَم مولى عمر رضي الله عنهما قال: قال عمر بن الخطاب: أتحبون أن أعلمكم أول إسلامي؟ قال: قلنا: نعم. قال: كنت أشدَّ الناس على رسول الله ﷺ. فبينا أنا في يوم شديد الحر في بعض طُرُق مكة إذ رآني رجل من قريش فقال: أين تذهب يا بن الخطاب؟ قلت: أريد هذا الرجل. قال: يا ابن الخطاب قد دخل هذا الأمر في منزلك وأنت تقول هذا؟! قلت: وما ذاك؟! فقال: إن أختك قد ذهبت إليه. قال: فرجعت مُغْضباً حتى قرعت عليها الباب؛ ـ وكان رسول الله ﷺ إذا أسلم بعض من لا شيء له ضم الرجل والرجلين إلى الرجل ينفق عليه ـ. قال: وكان ضم رجلين من أصحابه إلى زوج أختي. قال: فقرعت الباب. فقيل لي: من هذا؟! قلت: عمر بن الخطاب ـ وقد كانوا يقرأون كتاباً في أيديهم ـ. فلما سمعوا صوتي قاموا

حتى اختبأوا في مكان وتركوا الكتاب. فلمَّا فتحت لي أختي الباب قلت: أيا عدوة نفسها صَبَوتِ؟! قال: وأرفع شيئاً فأضرب به على رأسها، فبكت المرأة، وقالت: يا ابن الخطاب، اصنع ما كنت صانعاً فقد أسلمت. فذهبتُ، وجلست على السرير فإذا بصحيفة وسط الباب، فقلت: ما هذه الصحيفة ها هنا؟ فقالت لي: دعنا عنك يا بن الخطاب، فإنك لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهَّر، وهذا لا يمسه إلا المطهّرون؛ فما زلت بها حتى أعطتنيها. فذكر الحديث بطوله في إسلام عمر رضي الله عنه وما وقع له بعده. قال الهيثمي (9/ 64): وفيه أُسامة بن زيد بن أسلم وهو ضعيف ـ انتهى.

* * *

تحمُّل عثمان بن مَظْعون
رضي الله عنه الشدائد

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 103) عن عثمان قال: لما رأى عثمان بن مظعون رضي الله عنه ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء ـ وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة ـ قال: والله إن غُدوِّي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقَون من الأذى والبلاء ما لا يصيبني لنقصٌ كبير في نفسي!! فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس، وَفَّتْ ذمتك، قد رددت إليك جوارك. قال: لم يا بن أخي، لعله آذاك أحد من قومي؟ قال: لا، ولكني أرضى بجوار الله عزّ وجلّ، ولا أُريد أن أستجير بغيره. قال: فانطلق إلى المسجد فاردد عليَّ جواري علانية كما أجرتك علانية. قال: فانطلقا ثم خرجا حتى أتيا المسجد، فقال لهم الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد عليَّ جواري. قال لهم: قد صدق، قد وجدته وفيّاً كريم الجوار، ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره.

ثم انصرف عثمان ولبيدُ بن ربيعة بن مالك بن كلاب القيسي في المجلس من قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان. فقال لبيد ـ وهو ينشدهم ـ:

ألاَ كلُّ شيء ما خلا الله باطلُ

فقال عثمان: صدقت، فقال:

وكلُّ نـعـيـمٍ لا مـحـالـة زائـلُ

فقال عثمان: كذبت، نعيم أهل الجنة لا يزول. قال لبيد بن ربيعة: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليسُكم، فمتى حدث فيكم هذا؟! فقال رجل من القوم: إنَّ هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا، فلا تجدنَّ في نفسك من قوله. فردَّ عليه عثمان حتى سَرِيَ - أي عظم - أمرهما. فقام إليه ذَلك الرجل فلطم عينه فخضَّرها، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان. فقال: أما - والله - يا بن أخي إن كانت عينك عما أصابها لَغنيةٌ، لقد كنت في ذمة منيعة. فقال عثمان: بلى - والله - إنّ عيني الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس!! فقال عثمان بن مظعون رضي الله عنه فيما أُصيب من عينه:

فإنْ تَكُ عيني في رضى الربِّ نالها
يدا مُلْحدٍ في الدين ليس بمهتدِ
فقد عوَّضَ الرحمن منها ثوابه
ومن يُرضه الرحمن يا قومِ يسعدِ
فإني - وإنْ قلتم غَوِيٌّ مُضلِّلٌ
سفيهٌ - على دين الرسول محمدِ
أريد بذاك الله والحقُّ ديننا
على رغم من يبغي علينا ويعتدي

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيما أصيب من عين عثمان بن مظعون:

أمِنْ تذكُّر دَهْر غير مامونِ

أصبحت مكتئباً تبكي كمحزونِ

أمِنْ تذكُّر أقوام ذوي سَفَهٍ

يغشون بالظلم مَنْ يدعو إلى الدين

لا ينتهون عن الفحشاء ما سَلِموا

والغدرُ فيهم سبيل غير مامون

ألا تَرَوْن - أقلَّ الله خيرهم -

أنّا غضِبنا لعثمانَ بن مظعون

إذ يلطِمون - ولا يخشَون مُقْلَتَه -

طَعْناً دِراكاً وضرباً غيرَ مافونِ

فسوف يجزيهم إن لم يمت عجلاً

كيلاً بكيلٍ جزاءً غير مغبونِ

وذكر في «البداية» (3/ 93): قصة ابن مظعون عن ابن إسحاق بلا إسناد، وزاد: فقال له الوليد: هَلُمَّ - يا بن أخي - إلى جوارك فَعُذْ. قال: لا. وأخرجه الطبراني عن عروة مرسلاً. قال الهيثمي: وفيه: ابن لهيعة (6/ 34).

* * *

تحمُّل مُصْعَب بن عُمَيْر
رضي الله عنه الشدائد

أخرج ابن سعد (3/ 82) عن محمد العبدَري عن أبيه قال: كان مصعب بن عمير فتى مكة شباباً وجمالاً وسبيباً، وكان أبواه يحبَّانه، وكانت أمه مليئة كثيرة المال تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقّه، وكان أعطر أهل مكة، يلبس الحضرمي من النعال. فكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول: «ما رأيت بمكة أحداً أحسنَ لِمَّة. ولا أرقَّ حُلَّة، ولا أنعمَ نعمة من مصعب بن عمير». فبلغه أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم فدخل عليه فأسلم وصدَّق به، وخرج فكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه. فكان يختلف إلى رسول الله ﷺ سراً، فبصُرَ به عثمان بن طلحة يصلِّي فأخبر أمه وقومه. فأخذوه فحبسوه فلم يزل محبوساً حتى خرج إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى، ثم رجع مع المسلمين حين رجعوا، فرجع متغيِّر الحال قد حرج - يعني غَلُظَ - فكفَّت أمه عنه من العذل.

* * *

تحمل عبد الله بن حذافة السهميّ رضي الله عنه الشدائد

أخرج البيهقي، وابن عساكر عن أبي رافع قال: وجّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشاً إلى الروم وفيهم رجل يقال له عبد الله بن حذافة من أصحاب النبي ﷺ، فأسره الروم، فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا له: إنَّ هذا من أصحاب محمد. فقال له الطاغية: هل لك أن تَنصَّرَ وأشرِكَك في ملكي وسلطاني؟ فقال له عبد الله: لو أعطيتني ما تملك وجميع ما ملكته العرب، على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طَرْفة عين ما فعلت. قال: إذنْ أقتلك. قال: أنت وذاك. فأَمر به فصُلب، وقال للرماة: ارموه قريباً من يديه، قريباً من رجليه، وهو يعرض عليه وهو يأبى. ثم أمر به فأنزل، ثم دعا بقدر فصبَّ فيه ماء حتى احترقت، ثم دعا بأسيرين من المسلمين فأمر بأحدهما فألقي فيها وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، ثم أمر به أن يُلقى فيها. فلما ذُهب به بكى، فقيل له: إنه قد بكى، فظنَّ أنه جزع فقال: ردّوه. فعرض عليه النصرانية؛ فأبى. فقال: ما أبكاك إذاً؟ قال: أبكاني أني قلت في نفسي تُلقى الساعةَ في هذه القدر فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد كل شعرة في جسدي نَفْس تُلقى في الله. قال له الطاغية: هل لك أن تقبّل رأسي وأخلّي عنك؟ قال له عبد الله: وعن جميع أُسارى المسلمين؟ قال: وعن جميع أسارى المسلمين. قال عبد الله: فقلت في نفسي: عدوٌّ من أعداء الله، أقبّل رأسه يخلِّي عني وعن أسارى المسلمين لا أُبالي. فدنا منه فقبّل رأسه،

فدفع إليه الأسارى. فقدم بهم على عمر رضي الله عنه، فأُخبر عمر بخبره؛ فقال عمر: حقٌّ على كل مسلم أن يقبّل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ، فقام عمر فقبّل رأسه. كذا في «كنز العمال» (7/ 62). قال في «الإصابة» (2/ 297): وأخرج ابن عساكر لهذه القصة شاهداً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما موصولاً، وآخر من فوائد هشام بن عثمان من مرسل الزهري. انتهى.

* * *

تحمل عامة أصحاب النبي ﷺ الشدائد

أخرج ابن إسحاق عن حكيم عن سعيد بن جبير قال: قلت لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله من العذاب ما يُعذَرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم، والله، إنْ كانوا ليضربون أحدهم، ويُجيعونَه، ويُعطِّشونه، حتى ما يقدر أن يستويَ جالساً من شدة الضُّرّ الذي به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة!! حتى يقولوا له: اللّات والعزَّى إلهان من دون الله؟ فيقولَ: نعم، (حتى إنَّ الجُعَل ليمرُّ بهم، فيقولون له: أهذا الجُعَل إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم. افتداءً منهم بما يبلغون من جَهده - كذا في البداية (3/ 59).

وأخرج ابن المنذر، والطبراني، والحاكم، وابن مَرْدويه، والبيهقي في «الدلائل»، وسعيد بن منصور عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: لما قدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، فكانوا لا يبيتون إلّا في السلاح ولا يصبحون إلّا فيه. فقالوا: تَروْن أنّا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله؛ فنزلت: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: 55]. كذا في «الكنز» (1/ 259). ولفظ الطبراني: عن أبيّ بن كعب قال: لمّا قدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة؛ فنزلت: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. قال الهيثمي (7/ 83): ورجاله ثقات.

وأخرج ابن عساكر، وأبو يَعْلى عن أبي موسى رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بعير نَعْتَقِبُه فَنقِبَت أقدامنا (ونقبت قدماي) وسقطت أظفاري، فكنّا نلفُّ على أرجلنا الخِرَق، فسميت الغزوة «ذاتَ الرقاع» لما كنّا نعصِب على أرجلنا من الخِرَق. كذا في «الكنز» (5/ 310). وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 260) بنحوه، وزاد: قال أبو بُرْدة: فحدَّث أبو موسى بهذا الحديث ثم ذكر ذلك فقال: ما كنت أصنع أن أذكر هذا الحديث!! كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه. وقال: الله يجزي به.

* * *

تحمُّل النبي ﷺ الجوع

أخرج مسلم، والترمذي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: ألستم في طعام وشراب ما شئتم؟ لقد رأيتم نبيكم ﷺ وما يجد من الدَّقَل ما يملأ بطنه!!. وفي رواية لمسلم عن النعمان رضي الله عنه قال: ذكر عمر رضي الله عنه ما أصاب الناسُ من الدنيا، فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدَّقَل ما يملأ بطنه ـ كذا في «الترغيب» (5/ 154). وأخرجه أيضاً الإمام أحمد، والطيالسي، وابن سعد، وابن ماجه، وأبو عَوانة وغيرهم كما في «الكنز» (4/ 40).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية»، والخطيب، وابن عساكر، وابن النجّار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يصلِّي جالساً. فقلت: يا رسول الله، أراك تصلِّي جالساً فما أصابك؟ قال: «الجوع، يا أبا هريرة!» فبكيت. فقال: «لا تبكِ يا أبا هريرة، فإنَّ شدة الحساب يوم القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب في دار الدنيا». كذا في «الكنز» (4/ 41).

وأخرج أحمد ـ ورواته رواة الصحيح ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلاً، فأمسكتُ وقطع النبي ﷺ ـ أو قالت: فأمسك رسول الله ﷺ وقطعتُ ـ. قال: فتقول للذي تحدثه: هذا على غير مصباح. وأخرجه الطبراني أيضاً ـ وزاد: فقلت: يا أمَّ

المؤمنين، على مصباح؟ قالت: لو كان عندنا دهن غير مصباح لأكلناه ـ كذا في «الترغيب» (5/ 155). وأخرجه أيضاً ابن جرير كما في «الكنز» (4/ 38). وعند أبي يَعْلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن كان لَيَمُرُّ بآل رسول الله ﷺ الأهِلّة ما يُسرج في بيت أحد منهم سراج ولا يوقد فيه نار، إن وجدوا زيتاً ادَّهنوا به وإن وجدوا وَدَكاً أكلوه. كذا في «الترغيب» (5/ 154). قال الهيثمي (10/ 325): رواه أبو يَعْلى، وفيه: عثمان بن عطاء الخراساني وهو ضعيف، وقد وثَّقه دحيم، وبقية رجاله ثقات.

وعند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان يمر بآل رسول الله ﷺ هلال ثم هلال لا يوقد في بيوتهم شيء من النار، لا لخبز ولا لطبيخ. قالوا: بأيِّ شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة؟ قال: الأسودان: التمر والماء. وكان لهم جيران من الأنصار ـ جزاهم الله خيراً ـ لهم منائح، ويرسلون إليهم شيئاً من لبن. قال الهيثمي (10/ 215): إسناده حسن. ورواه البزار كذلك. انتهى.

وأخرج الشيخان عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: والله يا بن أختي، إنْ كنَّا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلَّة في شهرين، وما أُوقدَ في أبيات رسول الله ﷺ نار. قلت: يا خالة، فما كان يُعيِّشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلَّا أنّه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه. كذا في «الترغيب» (5/ 155). وأخرجه أيضاً ابن جرير نحوه، وأخرجه أحمد بإسناد حسن، والبزار عن أبي هريرة رضي الله عنه بمعناه كما في «المجمع» (10/ 315).

وأخرج ابن جرير أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: إنْ كنَّا لنمكث أربعين لا نوقد في بيت رسول الله ﷺ ناراً ولا غيره. قلت: بأي

شيء كنتم تعيشون؟ قالت: بالأسودين: بالتمر والماء إذا وجدنا. كذا في الكنز (4/ 38).

وأخرج الترمذي عن مسروق قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها، فدعت لي بطعام فقالت: ما أشبع فأشاء أن أبكي إلا بكيت. قلت: لم؟ قالت: أذكر الحال التي فارق عليها رسول الله ﷺ الدنيا، والله ما شبع من خبز ولحم ومرتين في يوم!!. كذا في «الترغيب» (5/ 148). وعند ابن جرير عنها قالت: ما شبع رسول الله ﷺ من خبز بُرٌّ ثلاثة أيام تباعاً منذ قدم المدينة حتى مضى لسبيله. وعنده أيضاً عنها قالت: ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قُبض رسول الله ﷺ. وعنده أيضاً عنها قالت: قُبض رسول الله ﷺ وما شبع من الأسودين ـ التمر والماء ـ كما في «الكنز» (4/ 38). وفي رواية للبيهقي قالت: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية ولو شئنا شبعنا، ولكنه كان يؤثر على نفسه. كذا في «الترغيب» (5/ 149).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن الحسن رضي الله عنه مرسلاً قال: كان رسول الله ﷺ يواسي الناس بنفسه حتى جعل يرقّع إزاره بالأدَم وما جمع بين غداء وعشاء ثلاثة أيام ولاءً حتى لحق بالله عزّ وجلّ.

وعند البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: لم يأكل النبي ﷺ على خُوان ولم يأكل خبزاً مرقّقاً حتى مات. وفي رواية: ولا رأى شاة سميطاً بعينه قط. كذا في «الترغيب» (5/ 153).

وأخرج الترمذي ـ وصحّحه ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة وأهله طاوِين لا يجدون عشاء، وإنّما كان أكثر خبزهم الشعير. وعنده أيضاً والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه مرَّ بقوم بين أيديهم شاة مصْلِيَّة، فدعَوه فأبى أن

يأكل، وقال: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير. كذا في «الترغيب» (5/ 148، 151).

وأخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: إنَّ فاطمة رضي الله عنها ناولت النبي ﷺ كِسرة من خبز الشعير، فقال لها: «هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام». وأخرجه الطبراني، وزاد فقال: «ما هذه؟» فقالت: قرص خبزته فلم تطلب نفسي حتى أتيتك بهذه الكِسرة. فقال: فذكره. قال الهيثمي (10/ 312) ـ بعد ما ذكره عن أحمد والطبراني ـ: ورجالهم ثقات. وعند ابن ماجه بإسناد حسن. والبيهقي بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي رسول الله ﷺ بطعام سُخْن، فأكل. فلما فرغ قال: «الحمد لله؛ ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا». كذا في «الترغيب» (5/ 149).

وأخرج البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: ما رأى رسول الله ﷺ النقيَّ من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله. فقيل: هل كان لكم في عهد رسول الله ﷺ مُنْخُل؟ قال: ما رأى رسول الله ﷺ منخلاً من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله. فقيل: كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول؟ قال: كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقي ثرَّيْنَاه. كذا في «الترغيب» (5/ 153).

وأخرج الطبراني بإسناد حسن عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان يبقى على مائدة رسول الله ﷺ من خبز الشعير قليل ولا كثير. وفي رواية له: ما رفعت مائدة رسول الله ﷺ من بين يدي رسول الله ﷺ وعليها فَضْلة من طعام قط. كذا في «الترغيب» (5/ 151). قال الهيثمي (10/ 313): وروى البزَّار بعضه.

وأخرج الترمذي عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: شكونا إلى

رسول الله ﷺ الجوع، ورفعنا ثيابنا عن حَجَرٍ حَجَرٍ على بطوننا؛ فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين. كذا في «الترغيب» (5/ 156).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن بُجير رضي الله عنه ـ وكان من أصحاب النبي ﷺ ـ قال: أصاب النبي ﷺ جوع يوماً، فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه ثم قال: «ألا ربَّ نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعةٌ عاريةٌ يوم القيامة. ألا ربَّ مُكْرم لنفسه وهو لها مهين. ألا ربَّ مُهين لنفسه وهو لها مكرم». كذا في «الترغيب» (3/ 422). وأخرجه أيضاً الخطيب، وابن مَنْده كما في «الإصابة» (2/ 486).

وأخرج البخاري في كتاب «الضعفاء» وابن أبي الدنيا في كتاب الجوع عن عائشة رضي الله عنها قالت: أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيها الشِّبع، فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم، فضَعُفت قلوبهم، وجَمحت شهواتهم، كذا في «الترغيب» (3/ 420).

* * *

جوعه ﷺ وجوع أهل بيته وأبي بكر، وعمر رضي الله عنهم

أخرج الطبراني، وابن حبان في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج أبو بكر رضي الله عنه بالهاجرة إلى المسجد، فسمع عمر رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر، ما أخرجك هذه الساعة؟ قال: ما أخرجني إلّا ما أجد من حاقِّ الجوع. قال: وأنا ـ والله ـ ما أخرجني غيره. فبينما هما كذلك إذ خرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: «ما أخرجكما هذه الساعة؟» قالا: والله ما أخرجنا إلا ما نجده في بطوننا من حاقّ الجوع، قال: «وأنا ـ والذي نفسي بيده ـ ما أخرجني غيره! فقوما»، فانطلقوا فأتَوا باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وكان أبو أيوب يدَّخر لرسول الله ﷺ طعاماً كان أو لبناً، فأبطأ عليه يومئذٍ فلم يأت لحينه، فأطعمه لأهله، وانطلق إلى نخله يعمل فيه.

فلما انتَهوا إلى الباب خرجت امرأته فقالت: مرحباً بنبي الله وبمن معه. قال لها نبي الله ﷺ: «أين أبو أيوب؟» فسمعه ـ وهو يعمل في نخل له ـ فجاء يشتد فقال: «مرحباً بنبي الله وبمن معه. يا نبي الله، ليس بالحين الذي كنت تجيء فيه؟! فقال ﷺ: «صدقت». قال: فانطلق فقطع عِذْقاً من النخل فيه كلٌّ من التمر والرُّطَب والبُسْر. فقال ﷺ: «ما أردت إلى هذه، ألَا جَنَيت لنا من تمره؟» قال: يا رسول الله أحببت أن تأكل من تمره ورُطَبه وبُسْره، ولأذبحنّ لك مع هذا. قال: «إن ذبحتَ فلا

تذبحنَّ ذاتَ دَرّ». فأخذ عَناقاً أو جدياً فذبحه، وقال لامرأته: اخبُزي واعجِني لنا وأنت أعلم بالخبز. فأخذ نصف الجدي فطبخه وشوَى نصفه. فلما أدرك الطعام ووُضع بين يدي النبي ﷺ وأصحابه؛ أخذ من الجَدي فجعله في رغيف وقال: «يا أبا أيوب: أبلغ بهذا فاطمة فإنها لم تُصِب مثل هذا منذ أيام». فذهب أبو أيوب إلى فاطمة. فلما أكلوا وشبعوا قال النبي ﷺ: «خبز، ولحم، وتمر، وبُسْر، ورُطَب، ـ ودمعت عيناه ـ، والذي نفسي بيده، إنَّ هذا هو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة».

فكَبُر ذلك على أصحابه فقال: «بل إذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم، فقولوا: باسم الله، فإذا شبعتم فقولوا: الحمد لله الذي هو أشبعنا وأنعم علينا فأفضل؛ فإن هذا كفاف بهذا». فلما نهض قال لأبي أيوب: «ائتنا غداً» وكان لا يأتي أحد إليه معروفاً إلَّا أحبَّ أن يجازيه. قال: وإن أبا أيوب لم يسمع ذلك؛ فقال عمر رضي الله عنه: إن النبي ﷺ يأمرك أن تأتيه غداً. فأتاه من الغد فأعطاه وليدته؛ فقال: «يا أبا أيوب استوصِ بها خيراً فإنَّا لم نرَ إلا خيراً ما دامت عندنا». فلما جاء أبو أيوب من عند رسول الله ﷺ قال: لا أجد لوصية رسول الله ﷺ خيراً لها من أن أعتقها. فأعتقها. كذا في «الترغيب» (3/ 431).

وأخرجه البزار، وأبو يعلى، والعُقَيْلي، وابن مردَوَيه، والبيهقي في «الدلائل»، وسعيد بن منصور عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: خرج رسول الله ﷺ عند الظهيرة فوجد أبا بكر رضي الله عنه في المسجد فقال: «ما أخرجك في هذه الساعة؟» فقال: أخرجني الذي أخرجك يا رسول الله. وجاء عمر بن الخطاب فقال: «ما أخرجك يا بن الخطاب؟» قال: أخرجني الذي

أخرجكما. فقعد عمر، وأقبل رسول الله ﷺ يحدثهما، ثم قال: «هل بكما قوة تنطلقان إلى النَّخْل فتصيبان طعاماً وشراباً وظلاًّ؟» قال: «سيروا بنا إلى منزل أبي الهيثم بن التيِّهان الأنصاري» فذكر الحديث بطوله كما في «كنز العمال» (4/ 40). وأخرجه مسلم مختصراً ولم يُسمِّ الرجل الأنصاري؛ وهكذا رواه مالك بلاغاً باختصار. قال الحافظ المنذري: (5/ 167): والظاهر أن هذه القصة اتفقت مرة مع أبي الهيثم ومرة مع أبي أيوب. ا هـ.

وأخرج الطبراني - بإسناد حسن - عن فاطمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أتاها يوماً، فقال: «أين ابناي؟» - يعني حسناً وحسيناً - قالت: أصبحنا وليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق، فقال علي: أذهبُ بهما فإني أتخوَّف أن يبكيا عليك وليس عندك شيء، فذهب إلى فلان اليهودي. فتوجه إليه النبي ﷺ فوجدهما يلعبان في شَرَبة، وبين أيديهما فضل من تمر. فقال: «يا علي، ألا تُقْلِب ابنيَّ قبل أن يشتد الحر؟» قال: أصبحنا وليس في بيتنا شيء، فلو جلست يا رسول الله حتى أجمعَ لفاطمة فَضْلَ تمرات. فجلس رسول الله ﷺ حتى اجتمع لفاطمة فَضْل من تمر، فجعله في خِرْقة ثم أقبل، فحمل النبي ﷺ أحدهما وعلي الآخر حتى أقلباهما. كذا في «الترغيب» (5/ 171). وقال الهيثمي (10/ 316): إسناده حسن.

وأخرج هَنَّاد عن عطاء رضي الله عنه قال: نُبِّئت أن علياً رضي الله عنه قال: مكثنا أياماً ليس عندنا شيء ولا عند النبي ﷺ، فخرجت فإذا أنا بدينار مطروح على الطريق، فمكثت هنيهة أُؤَامر نفسي في أخذه أو تركه، ثم أخذته لما بنا من الجَهْد. فأتيت به الصَّفَّاطين فاشتريت به دقيقاً، ثم أتيت به فاطمة فقلت: اعجني واخبُزي. فجعلت تعجن - وإن

قُصَّتها لتضرب حرف الجَفنة من الجَهْد الذي بها ـ ثم خبزت. فأتيت النبي ﷺ فأخبرته. فقال: «كلوه فإنه رزق رزقكموه الله عزّ وجلّ». وأخرجه العدني عن محمد بن كعب القرظي مطولاً. كذا في «الكنز» (7/ 328). وأخرجه أبو داود (1/ 240) عن سهل بن سعد رضي الله عنه مطوَّلاً.

وأخرج أحمد عن محمد بن كعب القرظي أن علياً رضي الله عنه قال: لقد رأيتُني مع رسول الله ﷺ وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإن صدقة مالي لتبلغ أربعين ألف دينار ـ وفي رواية: وإن صدقتي اليوم لأربعون ألفاً ـ. ورجال الروايتين رجال الصحيح غير شَريك بن عبد الله النَخَعي وهو حسن الحديث، ولكن اختلف في سماع محمد بن كعب من علي رضي الله عنه. كذا في «مجمع الزوائد» للهيثمي (9/ 123).

وأخرج الطبراني عن أم سُلَيم رضي الله عنها: قال لها رسول الله ﷺ: «اصبري ـ فوالله ـ ما في آل محمد شيء منذ سبع، ولا أوقد تحت بُرْمة لهم منذ ثلاث. والله، لو سألتُ الله يجعل جبال تِهامة كلّها ذهباً لفعل». كذا في «الكنز» (4/ 42).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 93) عن سعد رضي الله عنه قال: كنا قوماً يُصيبنا ظَلَف العيش بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته؛ فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك ومَرَنَّا عليه وصبرنا له. ولقد رأيتُني مع رسول الله ﷺ بمكة خرجت من الليل أبول، وإذا أنا أسمع بقعقعة شيء تحت بَوْلي، فإذا قطعة جلد بعير، فأخذتها فغسلتها ثم أحرقتها فوضعتها بين حجرين، ثم أستفّها، وشربت عليها من الماء فقويت عليها ثلاثاً.

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: إنّي

لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله. ولقد كنّا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الحُبْلة وهذا السَّمر، حتى إن كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط. كذا في «الترغيب» (5/ 179). وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 18)، وابن سعد (3/ 99) بنحوه.

* * *

جوع المقداد بن الأسود وصاحبيه رضي الله عنهم

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 173) عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: جئت أنا وصاحبان لي قد كادت تذهب أسماعنا وأبصارنا من الجَهْد، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ فما يقبلنا أحد، حتى انطلق بنا رسول الله ﷺ إلى رَحْله - ولآل محمد ثلاث أعنُز يحتلبونها -. فكان النبي ﷺ يوزع اللبن بيننا، وكنا نرفع لرسول الله ﷺ نصيبه. فيجيء فيسلِّم تسليماً يُسمع اليقظان ولا يوقظ النائم. فقال لي الشيطان: لو شربت هذه الجُرعة، فإنَّ النبي ﷺ يأتي الأنصار فيتحفونه، فما زال بي حتى شربتها. فلما شربتها ندّمني وقال: ما صنعت! يجيء محمد ﷺ فلا يجد شرابه فيدعو عليك فتهلِك. وأما صاحباي فشربا شرابهما وناما، وأما أنا فلم يأخذني النوم وعليّ شَمْلة لي إذا وضعتها على رأسي بدت منها قدماي، وإذا وضعتها على قدمي بدا رأسي. وجاء النبي ﷺ كما كان يجيء فصلَّى ما شاء الله أن يصلِّي، ثم نظر إلى شرابه فلم يرَ شيئاً فرفع يده، فقلت: يدعو عليَّ الآن فأهلِك. فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهمّ أطعم من أطعمني، واسقِ من سقاني». فأخذت الشفرة وأخذت الشَّمْلة وانطلقت إلى الأعنز أجسّهن أيتهن أسمن كي أذبحه لرسول الله ﷺ. فإذا حُفَّل كلُّهن، أخذت إناء لآل محمد ﷺ، كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه، فحلبته حتى عَلَتْه الرَّغْوة. ثم أتيت رسول الله ﷺ فشرب، ثم ناولني فشربت، ثم ناولته فشرب، ثم ناولني

فشربت، ثم ضحكت حتى أُلقيت إلى الأرض. فقال لي: «إحدى سوءاتِك يا مقداد». فأنشأت أحدِّثه بما صنعت. فقال رسول الله ﷺ: «ما كانت إلا رحمة من الله عزّ وجلّ، لو كنتَ أيقظت صاحبيك فأصابا منها». قلت: والذي بعثك بالحق، ما أبالي إذا أصبتَها أنت وأصبتُ فضلتك من أخطأتُ من الناس.

وأخرج أيضاً من طريق طارق عن المقداد رضي الله عنه قال: لما نزلنا المدينة عشَّرَنا رسول الله ﷺ عشرة عشرة - يعني في كل بيت -. قال: فكنت في العشرة الذين كان النبي ﷺ فيهم. قال: ولم يكن لنا إلا شاة نتجزَّأ لبنها. كذا في «الحلية» (1/ 174).

* * *

جوع أبي هريرة رضي الله عنه

أخرج أحمد عن مجاهد أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول: والله إنْ كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشدُّ الحجر على بطني من الجوع. ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرَّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعني فلم يفعل، فمر أبو القاسم ﷺ فعرف ما في وجهي وما في نفسي، فقال: «أبا هريرة» قلت له: لبيك يا رسول الله، فقال: «الحقْ»، واستأذنت فأذن لي؛ فوجدت لبناً في قَدَح. قال: «من أين لكم هذا اللبن؟» فقالوا: أهداه لنا فلان ـ أو آل فلان ـ. قال: «أبا هريرة» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «انطلق إلى أهل الصُّفَّة فادعُهم لي». قال: ـ وأهل الصفة أضيافُ الإسلام، لم يأووا إلى أهل ولا مال، إذا جاءت رسول الله ﷺ هديةٌ أصاب منها وبعث إليهم منها، وإذا جاءته الصدقةُ أرسل بها إليهم ولم يصب منها ـ. قال: وأحزنني ذلك وكنت أرجو أن أصيب من اللبن شربة أتقوى به بقية يومي وليلتي. وقلت: أنا الرسول، فإذا جاء القوم كنت أنا الذي أعطيهم؛ وقلت: ما يبقى لي من هذا اللبن؟! ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بدّ. فانطلقت فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا، فأذن لهم، فأخذوا مجالسهم من البيت. ثم قال: «أبا هريرة، خُذْ فأعطهم» فأخذت القَدَحَ فجعلت أعطيهم، فيأخذ الرجل القدح فيشرب حتى يروَى ثم يرد القدح، حتى أتيت على آخرهم، ودفعتُ إلى رسول الله ﷺ فأخذ القدح فوضعه في يده بقي فيه فضلة ثم

رفع رأسه ونظر إليّ وتبسم وقال: «أبا هريرة» قلت: لبيك رسول الله، قال: «بقيت أنا وأنت». فقلت: صدقت يا رسول الله، قال: «فاقعد فاشرب» قال: فقعدت فشربت، ثم قال لي: «اشرب»، فشربت؛ فما زال يقول لي: «اشرب»، فأشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له فيّ مسلكاً!! قال: «ناولني القدح»، فرددت إليه القدح فشرب من الفَضْلة، وأخرجه أيضاً البخاري؛ والترمذي وقال: صحيح كذا في البداية (6/ 101). وأخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

وأخرج ابن حِبَان في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتت عليّ ثلاثة أيام لم أطعَم، فجئت أريد الصُّفَّة فجعلت أسقط. فجعل الصبيان يقولون: جُنّ أبو هريرة. قال: فجعلت أناديهم وأقول: بل أنتم المجانين، حتى انتهينا إلى الصُّفَّة. فوافقت رسول الله ﷺ أُتيَ بقصعتين من ثريد. فدعا عليها أهل الصفة وهم يأكلون منها، فجعلت أتطاول كي يدعوني، حتى قام القوم وليس في القصعة إلا شيء في نواحي القصعة. فجمعه رسول الله ﷺ فصارت لقمة، فوضعه على أصابعه فقال لي: «كُلْ، باسم الله»، فوالذي نفسي بيده، ما زلت آكل منها حتى شبعت. كذا في «الترغيب» (5/ 176).

وأخرج البخاري، والترمذي عن ابن سِيرين قال: كنا عند أبي هريرة رضي الله عنه وعليه ثوبان مُمَشَّقان من كتَّان. فمخط في أحدهما ثم قال: بَخٍ، بَخٍ!! يَمْتَخِطُ أبو هريرة في الكَتان، لقد رأيتُني وإني لأخرّ فيما بين منبر رسول الله ﷺ وحجرة عائشة مغشياً عليّ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي يرى أن بي الجنون وما هو إلا الجوع. كذا في «الترغيب» (3/ 397). وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 378)، وعبد الرزاق بنحوه؛ وابن سعد (4/ 53) نحوه، وزاد: ولقد رأيتُني وإني

لأجيرٌ لابن عفان وابنة غزوان بطعام بطني وعُقبة رِجلي، أسوق بهم إذا ركبوا وأخدمهم إذا نزلوا. فقالت لي يوماً: لَترِدَنّه حافياً ولتركبنّه قائماً. قال: فزوَّجنيها الله بعد ذلك. فقلت لها: لترِدَّنه حافية ولتركَبنَّه قائمة. وفي رواية لابن سعد قبلها: عن سليم بن حَيَّان قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لبُسْرة بنت غزوان بطعام بطني وعُقْبة رجلي، فكنت أخدم إذا نزلوا وأحدُوا إذا ركبوا، فزوّجنيها الله؛ فالحمد لله الذي جعل الدين قِواماً وجعل أبا هريرة إماماً.

وأخرج أحمد ـ ورواته رواة الصحيح ـ عن عبد الله بن شقيق قال: أقمت مع أبي هريرة رضي الله عنه بالمدينة سنة. فقال لي ذات يوم ـ ونحن عند حجرة عائشة رضي الله عنها ـ: لقد رأيتُنا وما لنا ثياب إلَّا الأبرادُ الخشنة، وإنه ليأتي على أحدنا الأيام ما يجد طعاماً يقيم به صلبه، حتى إنْ كان أحدنا ليأخذ الحجر فيشدّ به على أخمص بطنه، ثم يشدّه بثوبه ليقيم صلبه. كذا في «الترغيب» (5/ 177). وقال الهيثمي (10/ 321): رجاله رجال الصحيح، وعند أحمد أيضاً عنه قال: إنما كان طعامنا مع نبي الله ﷺ التمر والماء. والله ما كنا نرى سمراءكم هذه، ولا ندري ما هي؟ وإنما كان لباسنا مع رسول الله ﷺ النِّمار ـ يعني بُرَد الأعراب ـ. قال الهيثمي (10/ 321): رجاله رجال الصحيح. ورواه البزار باختصار. انتهى.

* * *

جوع أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

أخرج الطبراني عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: كنت مرة في أرض أقطعها النبي ﷺ لأبي سَلَمة والزبير في أرض بني النضير. فخرج الزبير مع رسول الله ﷺ ولنا جار من اليهود، فذبح شاة فطُبخت، فوجدت ريحها فدخلني ما لم يدخلني من شيء قط، وأنا حامل بابنتي خديجة فلم أصبر. فانطلقت فدخلت على امرأة اليهودي أقتبس منها ناراً لعلها تطعمني، وما بي من حاجة إلى النار. فلما شممتُ الريح ورأيته ازددت شرهاً فأطفأته، ثم جئت ثانياً أقتبس؛ ثم ثالثة؛ ثم قعدت أبكي وأدعو الله. فجاء زوج اليهودية فقال: أدَخَلَ عليكم أحد؟ قالت: العربية تقتبس ناراً. قال: فلا آكل منها أبداً أو ترسلي إليها منها. فأرسل إليَّ بقَدحة - يعني غَرْفة -، لم يكن شيء في الأرض أعجب إليَّ من تلك الأكلة. كذا في «الإصابة» (4/ 284). قال الهيثمي (8/ 166): وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن؛ وبقية رجاله رجال الصحيح - انتهى.

* * *

جوع عامة أصحاب النبي ﷺ رضي الله عنهم

أخرج أبو نُعيم عن أبي جهاد رضي الله عنه ـ وكان من أصحاب النبي ﷺ ـ فقال له ابنه: يا أبتاه، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه!! والله، لو رأيته لفعلت وفعلت. فقال له أبوه: اتَّقِ الله وسدِّد، فوالذي نفسي بيده، لقد رأيتُنا معه ليلة الخندق وهو يقول: «من يذهب فيأتيَنا بخبرهم ـ جعله الله رفيقي يوم القيامة ـ؟» فما قام من الناس أحد من صميم ما بهم من الجوع والقر، حتى نادى في الثالثة: يا حذيفة. وأخرجه الدَوْلابي من هذا الوجه. كذا في «الإِصابة» (4/ 35). وسيأتي حديث حذيفة رضي الله عنه بطوله في تحمُّل القرِّ بمعناه.

وأخرج البزار ـ بإسناد جيد ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى الجوع في وجوه أصحابه فقال: «أبشروا فإنه سيأتي عليكم زمان يُغدَى على أحدكم بالقصعة من الثريد ويُراح عليه بمثلها». قالوا: يا رسول الله، نحن يومئذٍ خيرٌ. قال: «بل أنتم اليوم خير منكم يومئذٍ». كذا في «الترغيب» (3/ 422).

وأخرج ابن أبي الدنيا ـ بإسناد جيد ـ عن محمد بن سيرين رضي الله عنه قال: إن كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ يأتي عليه ثلاثة أيام لا يجد شيئاً يأكله، فيأخذ الجلدة فيشويها فيأكلها، فإذا لم يجد شيئاً أخذ حجراً فشدَّ صُلبه. كذا في «الترغيب» (5/ 179).

وأخرج الترمذي ـ وصححه ـ **وابن حِبَّان** في «صحيحه» عن فَضالَة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا صلَّى بالناس يخرُّ رجال من قامتهم في الصلاة من الخَصَاصة ـ وهم أصحاب الصُفَّة ـ حتى يقول الأعراب: هؤلاء مجانين ـ أو مجانون ـ. فإذا صلّى رسول الله ﷺ انصرفَ إليهم، فقال: «لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة وحاجة». كذا في «الترغيب» (5/ 176). وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 339) مختصراً.

وأخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه قال: إن كان السبعة من أصحاب رسول الله ﷺ ليَمصّون التمرة الواحدة، وأكلوا الخَبَط حتى ورمت أشداقهم. قال الهيثمي (10/ 322): وفيه خُلَيد بن دعلج وهو ضعيف. ا هـ.

وأخرج ابن ماجه ـ بإسناد صحيح ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه أصابهم جوع وهم سبعة. قال: فأعطاني النبي ﷺ سبع تمرات، لكل إنسان تمرة. كذا في «الترغيب» (1/ 178).

وعند ابن سعد (4/ 329) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: خرجت يوماً من بيتي إلى المسجد لم يخرجني إلا الجوع، فوجدت نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا هريرة ما أخرجك هذه الساعة؟ فقلت: ما أخرجني إلا الجوع. فقالوا: نحن ـ والله ـ ما أخرجنا إلا الجوع. فقمنا فدخلنا على رسول الله ﷺ. فقال: «ما جاء بكم هذه الساعة؟» فقلنا: يا رسول الله جاء بنا الجوع!! قال: فدعا رسول الله ﷺ بطبق فيه تمر فأعطى كل رجل منا تمرتين، فقال: «كلوا هاتين التمرتين واشربوا عليهما من الماء، فإنهما ستجزئانكم يومكم هذا». قال أبو هريرة: فأكلت تمرة وجعلت تمرة في حُجْزَتي. فقال رسول الله ﷺ: «يا

أبا هريرة، لِمَ رفعت هذه التمرة؟». فقلت: رفعتها لأمي. فقال: «كُلْها، فإنا سنعطيك لها تمرتين»؛ فأعطاني لها تمرتين.

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غَدَاة باردة، ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم. فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:

اللَّهمَّ إنَّ العيشَ عَيْشُ الآخرهْ
فاغفرْ للأنصارَ والمهاجرهْ

فقالوا ـ مجيبين له ـ:

نحن الذين بايعوا محمدَا
على الجهاد ما بقينا أبدَا

وعنده أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم، ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمدَا
على الإسلام ما بقينا أبدَا

قال: يقول النبي ﷺ ـ مجيباً ـ:

اللهمَّ إنَّه لا خيرَ إلاَّ خيرُ الآخرهْ
فبارك في الأنصار والمهاجرة

قال: يؤتون بملء كفيَّ من الشعير، فيُصنع لهم بإهالة سَنِخَة توضع بين يدي القوم، والقوم جياع وهي بشعة في الحلق ولها ريح منتن. كذا في «البداية» (4/ 95).

وأخرج البخاري أيضاً عن جابر رضي الله عنه قال: إنا يوم الخندق

نحفر، فعرضت كُدْية شديدة، فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كُدْية عرضت في الخندق. فقال: «أنا نازل» ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً. فذكر الحديث بطوله. كذا في «البداية» (4/ 97).
وعند الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: احتفر رسول الله ﷺ الخندق وأصحابه قد شدُّوا الحجارة على بطونهم من الجوع، فذكر الحديث. وسنذكرهما في «باب كيف أُيِّدت الصحابة بالتأييدات الغيبية». وحديث جابر رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شيبة. وقال في آخره: وأخبرني أنهم كانوا ثمان مائة. كذا في «البداية» (4/ 98).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 179) عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه رضي الله عنه قال: إنْ كان رسول الله ﷺ ليبعثنا في السرية ما لنا زاد إلا السَّلْف ـ يعني الجراب من التمر ـ فيقسمه صاحبه بيننا قبضة قبضة حتى يصير إلى تمرة، قال: فقلت: وما كان يبلغ من التمرة؟ قال: لا تقل ذلك يا بني، ولَبعد أن فقدناها فاختلطنا إليها. وأخرجه أيضاً أحمد، والبزار، والطبراني، قال الهيثمي (10/ 319): وفيه: المسعودي وقد اختلط، وكان ثقة.

وأخرج البيهقي عن جابر رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمَّر علينا أبا عبيدة نتلَقّى عيراً لقريش، وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة. قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: كنا نَمصّها كما يَمصّ الصبي، ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلى الليل. وكنا نضرب بعصِيِّنا الخَبَط ثم نبلُّه بالماء، فنأكله. فذكر الحديث. كذا في «البداية» (4/ 276). وكما سيأتي في باب «كيف أُيِّدت الصحابة». وقد أخرجه مالك والشيخان وغيرهم، وفي روايتهم: أنهم كانوا ثلاثمائة. وأخرجه الطبراني، وفيه: أنهم كانوا ستمائة وبضعة عشر.

قال الهيثمي (10/ 322): وفيه: زَمْعَة بن صالح وهو ضعيف. وعند مالك قال: فقلت: وما تغني تمرة؟ فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيت.

وأخرج البزار، والطبراني - ورجاله ثقات - عن أبي خُنَيْش الغِفاري رضي الله عنه: أنه كان مع رسول الله ﷺ في غزوة تِهامة، حتى إذا كنا بِفُسْطَاط جاءه الصحابة فقالوا: يا رسول الله، جَهَدنَا الجوع، فأذَنْ لنا في الظَّهر نأكله. قال: «نعم». فأُخبر بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأتى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله، ماذا صنعت؟ أمرت الناس أن ينحروا الظَّهر فعلامَ يركبون؟ قال: «فما ترى يا بن الخطاب؟» قال: أرى أن تأمرهم أن يأتوا بفَضْل أزوادهم فتجمعه في تَوْر، ثم تدعو الله لهم. فأمرهم، فجعلوا فَضْل أزوادهم في تَوْر؛ ثم دعا لهم ثم قال: «ائتوا بأوعيتكم». فملأ كل إنسان منهم وعاءه. فذكر الحديث كذا في الهيثمي (10/ 303).

وعند أبي يَعْلى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنّا مع النبي ﷺ في غَزَاة، فقلنا: يا رسول الله، إنّ العدو قد حضر، وهم شباع والناس جياع، فقالت الأنصار: ألا ننحر نواضحَنَا فنطعمها الناس؟ فقال النبي ﷺ: «من كان عنده فَضْل طعام فليجيء به». فجعل الرجل يجيء بالمدّ والصاع وأكثر وأقلّ، فكان جميع ما في الجيش بضعة وعشرين صاعاً. فجلس النبي ﷺ إلى جنبه ودعا بالبركة. فقال النبي ﷺ: «خُذوا ولا تنتهبوا». فجعل الرجل يأخذ في جرابه وفي غِرارته، وأخذوا أوعيتهم حتى إنَّ الرجل ليربط كمّ قميصه فيملؤه، ففرغوا والطعام كما هو. ثم قال النبي ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأنّي رسول الله، لا يأتي بها عبد محقٌّ إلَّا وقاه الله حرَّ النار». قال الهيثمي (8/ 304): وفيه: عاصم بن عبيد الله العمري وثَّقه العِجْلي، وضعَّفه جماعة. وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كانت منا امرأة تجعل في مزرعة لها سِلْقاً. فكانت إذا كان يوم الجمعة تنزع أصول السِلق فتجعله في قِدْر، ثم تجعل قبضة من شعير تطحنه، فتكون أصول السلق عَرقه. قال سهل: كنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة فنسلِّم عليها، فتقرِّب ذلك الطعام إلينا، فكنا نتمنَّى يوم الجمعة لطعامها ذلك ـ وفي رواية: ليس فيها شحم ولا وَدَك، وكنا نفرح بيوم الجمعة. كذا في «الترغيب» (5/ 173).

وأخرج ابن سعد (4/ 36) عن ابن أبي أوفَى رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل فيهن الجراد. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (7/ 242) عن ابن أبي أوفَى رضي الله عنه ـ نحوه.

وأخرج الطبراني ـ ورواته رواة الصحيح ـ عن أبي بَرْزة رضي الله عنه قال: كنا في غَزَاة لنا، فلقينا أناساً من المشركين، فأجهضناهم عن مَلَّة لهم. فوقعنا فيها فجعلنا نأكل منها؛ وكنا نسمع في الجاهلية أنه من أكل الخبز سَمِن. فلما أكلنا ذلك الخبز جعل أحدنا ينظر في عِطفيه هل سمن؟! ـ كذا في «الترغيب» (5/ 177). قال الهيثمي (10/ 324): وفي رواية: كنا يوم خيبر مع رسول الله فأجهضناهم عن خبزة لهم من نَقيٍّ. رواه كله الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. انتهى. وعند أبي نُعيم في «الحلية» (6/ 307) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما افتتحنا خيبر مررنا بناس يهود يخبزون مَلَّة لهم فطردناهم عنها. ثم اقتسمنا، فأصابتني كسرة إنَّ بعضها ليحترق. قال: وقد كان بلغني أنه من أكل الخبز سمن، فأكلتها، ثم نظرت في عِطفيَّ هل سمنت؟!.

* * *

تحمُّل شدة العطش في الدعوة إلى الله

أسند ابن وهب عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: حدثنا عن شأن ساعة العُسْرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قَيْظ شديد، فنزلنا منزلاً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أنَّ رقابنا ستنقطع، حتى إنْ كان أحدنا ليذهب فيلتمس الرَّحْل فلا يرجع حتى يظن أنَّ رقبته ستنقطع، حتى إنَّ الرجل لينحر بعيره فيعتصر فَرْثَه فيشربه ثم يجعل ما بقي على كبده. فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله، إن الله قد عوَّدك في الدعاء خيراً فادعُ الله لنا. فقال: «أو تحبّ ذلك؟» قال: نعم. قال: فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء فأطلّت ثم سكبت. فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر. إسناده جيد، ولم يخرِّجوه. كذا في «البداية» (5/ 9). وأخرجه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب بإسناده مثله، كما في «التفسير» لابن كثير (2/ 396). وأخرجه البزّار، والطبراني في «الأوسط». ورجال البزار ثقات. قاله الهيثمي (6/ 194).

وأخرج أبو نُعيم، وابن عساكر عن حبيب بن أبي ثابت رضي الله عنه: أن الحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل، وعيَّاش بن أبي ربيعة ـ رضي الله عنهم ـ جُرحوا يوم اليرموك حتى أُثبتوا. فدعا الحارث بن هشام بماء ليشربه، فنظر إليه عكرمة، فقال: ادفعه إلى عكرمة، فلما أخذه عكرمة نظر إليه عيَّاش، قال: ادفَعْه إلى عيَّاش. فما

وصل إلى عيَّاش حتى مات، وما وصل إلى أحد منهم حتى ماتوا. كذا في «كنز العمال» (5/ 310). وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (3/ 242) بنحوه. وأخرجه الزبير عن عمه عن جده عبد الله بن مصعب رضي الله عنه. فذكره بمعناه إلا أنه جعل مكان عيَّاش: سهيل بن عمرو. وأخرجه ابن سعد عن حبيب نحو رواية أبي نُعيم. كذا في «الاستيعاب» (3/ 150).

وأخرج الطبراني عن محمد بن حنفيَّة رضي الله عنه قال: رأيت أبا عَمْرو الأنصاري ـ وكان بَدْرِياً، عَقَبِياً، أُحُدِياً، وهو صائم يتلوَّى من العطش وهو يقول لغلامه: ويحك، ترِّسني، فترَّسه الغلام حتى نزع بسهم نزعاً ضعيفاً حتى رمى بثلاثة أسهم، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رمى بسهم في سبيل الله قَصُرَ ـ أو بلغ ـ كان له نوراً يوم القيامة». فقُتل قبل غروب الشمس. كذا في «الترغيب» (2/ 404). وأخرجه الحاكم (3/ 395)، وفي رواية: ويحك، رُشَّني، فرشه الغلام.

* * *

تحمُّل شدة البرد في الدعوة إلى الله

أخرج أحمد، والنسائي، والطبراني عن أبي ريحانة رضي الله عنه أنه كان مع النبي ﷺ في غزوة. قال: فأوينا ذات ليلة إلى شَرَفٍ، فأصابنا برد شديد حتى رأيت الرجال يحفر أحدهم الحفرة فيدخل فيها ويلقي عليه حجَفَتَه. فلمَّا رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: «من يحرسنا الليلة فأدعو له بدعاء يصيب فضله؟» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله. قال: «من أنت؟» قال: فلان. قال: «ادْنُهْ»، فدنا فأخذ ببعض ثيابه ثم استفتح الدعاء. فلما سمعت قلت: أنا رجل. قال: «من أنت؟» قال: أبو ريحانة. قال: فدعا لي دون ما دعا لصاحبي، ثم قال: «حُرِّمت النار على عين حرست في سبيل الله». الحديث. كذا في «الإصابة» (2/ 156). قال الهيثمي (5/ 287): رجال أحمد ثقات. وأخرجه البيهقي (9/ 149) أيضاً بنحوه. وفي الباب حديث حذيفة رضي الله عنه كما سيأتي.

* * *

تحمُّل قلة الثياب في الدعوة إلى الله

أخرج الطبراني عن خبّاب بن الأرتّ رضي الله عنه: لقد رأيت حمزة وما وجدنا له ثوباً نكفِّنه فيه غير بُرْدة، إذا غطَّينا بها رجله خرج رأسه، وإذا غطَّينا بها رأسه خرجت رجلاه؛ فغطَّينا رأسه ووضعنا على رجليه الإِذْخِر. كذا في «المنتخب» (5/ 170).

أخرج الطبراني ، والبيهقي عن الشَّفَّاء بنت عبد الله رضي الله عنها قالت: أتيت رسول الله ﷺ أسأله، فجعل يعتذر إليَّ وأنا ألومه. فحضرت الصلاة فخرجت، فدخلت على ابنتي وهي تحت شرحبيل بن حسنة، فوجدت شرحبيل في البيت، فقلت: قد حضرت الصلاة وأنت في البيت؟! وجعلت ألومه. فقال: يا خالة، لا تلوميني فإنَّه كان لي ثوب فاستعاره النبي ﷺ. فقلت: بأبي وأمي، كنت ألومه منذ اليوم وهذه حاله وأنا لا أشعر!! فقال شرحبيل: ما كان إلَّا دِرْعاً رقعناه. كذا في «الترغيب» (3/ 396). وأخرجه أيضاً ابن عساكر كما في «الكنز» (4/ 41)؛ وابن أبي عاصم ومن طريقه أبو نُعيم كما في «الإِصابة» (4/ 342)، وقال: وفي سنده: عبد الوهاب بن الضحّاك وهو واهٍ. وأخرجه أيضاً ابن منده كما في «الإِصابة» (2/ 271)؛ والحاكم في «المستدرك» (4/ 58).

وأخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (7/ 105) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينا النبي ﷺ جالس وعنده أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه ـ

وعليه عباءة قد خلَّلَها في صدره بخلال - إذ نزل عليه جبريل عليه السلام، فأقرأه من الله السلام، وقال: يا رسول الله؛ ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلَّلَها على صدره بخلال؟ قال: «يا جبريل، أنفق ماله عليّ قبل الفتح». قال: فأقرئْهُ من الله السلام وقل له: يقول لك ربك: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أبي بكر فقال: «يا أبا بكر: هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟» فبكى أبو بكر وقال: أعلى ربي أغضب؟! أنا عن ربي راضٍ. أنا عن ربي راضٍ، وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في «فضائل الصحابة» عن أبي هريرة رضي الله عنه بمعناه، قال ابن كثير: فيه غرابة شديدة، وشيخ الطبراني عبد الرحمن بن معاوية العُتْبي، وشيخه محمد بن نصر الفارسي لا أعرفهما، ولم أرَ أحداً ذكرهما. كذا في «منتخب كنز العمال» (4/ 353).

وأخرج **هَنَّاد الدينَوَري** عن الشَّعْبي قال: قال علي رضي الله عنه: لقد تزوجت فاطمة بنت محمد ﷺ وما لي ولها فراش غيرُ جلد كَبْش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار، وما لي خادم غيرها. كذا في «الكنز» (7/ 133).

وأخرج **أبو داود، والترمذي** - وصحَّحه - **وابن ماجه** عن ابن أبي بريدة رضي الله عنه قال: قال لي أبي: لو رأيتُنا ونحن مع نبينا وقد أصابتنا السماء؛ حسبت أنَّ ريحَنا ريحُ الضأن. كذا في «الترغيب» (3/ 394). وأخرجه ابن سعد (4/ 80) عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه قال: قال لي أبي - يعني أبا موسى رضي الله عنه -: يا بني، لو رأيتنا ونحن مع نبينا ﷺ إذا أصابتنا السماء وجدت منا ريح الضأن من لباسنا الصوف. وهكذا أخرجه الطبراني عن أبي موسى، وزاد: إنما لباسنا

الصوف، وطعامنا الأسودان: التمر والماء. قال الهيثمي (10/ 325): رجاله رجال الصحيح، ورواه أبو داود باختصار. ا هـ.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقد رأيت سبعين من أهل الصُّفَّة، ما منهم رجل عليه رداء، إمّا إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف السَّاقَين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته. كذا في «الترغيب» (3/ 397). وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 341).

وعند أبي نُعيم أيضاً عن واثِلة بن الأسقَع رضي الله عنه قال: كنت من أصحاب الصُّفَّة، وما منا أحد عليه ثوب تامّ، قد اتخذ العَرَق في جلودنا طوقاً من الوسخ والغبار.

وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً دخل عليها وعندها جارية لها، عليها دِرْع ثمنه خمسة دراهم، فقالت: ارفع بصرك إلى جاريتي، انظر إليها فإنها تزهو على أن تلبسه في البيت. وقد كان لي منهن درع على عهد رسول الله ﷺ، فما كانت امرأة تُقيَّنُ بالمدينة إلا أرسلت إليَّ تستعيره. كذا في «الترغيب» (5/ 164).

* * *

تحمُّل شدة الخوف في الدعوة إلى الله

أخرج الحاكم، والبيهقي (9/ 148) عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة رضي الله عنه قال: ذكر حذيفة رضي الله عنه مشاهدهم مع رسول الله ﷺ فقال جلساؤه: أما ـ والله ـ لو كنا شهدنا ذلك لكنّا فعلنا وفعلنا. فقال حذيفة: لا تمنَّوا ذلك، لقد رأيتُنا ليلة الأحزاب ونحن صافُّون قعود، وأبو سفيان ومَنْ معه فوقَنا، وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلة قطُّ أشد ظلمة ولا أشد ريحاً منها. في أصوات رِيحها أمثالُ الصواعق، وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبعه، فجعل المنافقون يستأذنون النبي ﷺ ويقولون: إنَّ بيوتنا عورة وما هي بعورة، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له، ويأذن لهم ويتسللون ونحن ثلاثمائة ونحو ذلك. إذ استقبلنا رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً، حتى أتى عليَّ وما عليَّ جُنَّة من العدو ولا من البرد إلا مِرْط لامرأتي ما يجوز ركبتي. قال: فأتاني وأنا جاثٍ على ركبتي. فقال: «من هذا؟» فقلت: حذيفة. فقال: «حذيفة؟»، فتقاصرت للأرض، فقلت: بلى يا رسول الله ـ كراهية أن أقوم ـ، فقمت. فقال: «إنه كائن في القوم خبر فأتني بخبر القوم». قال: وأنا من أشدِّ الناس فزعاً وأشدهم قرّاً. قال: فخرجت. فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته». قال: فوالله، ما خلق الله فزعاً، ولا قرّاً في جوفي إلا خرج من جوفي، فما أجد فيه شيئاً. قال: فلما ولَّيت قال: «يا حذيفة لا تُحدِثنَّ في القوم شيئاً حتى تأتيني». قال: فخرجت

حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم تُوقد، وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول: الرحيلَ، الرحيلَ، ـ ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك ـ. فانتزعت سهماً من كنانتي أبيض الريش فأضعه في كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار. فذكرت قول رسول الله ﷺ: «لا تُحدِثنّ فيهم شيئاً حتى تأتيني»، فأمسكت ورددت سهمي إلى كنانتي، ثم إني شجَّعت نفسي حتى دخلت العسكر، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر يقولون: يا آل عامر، الرحيلَ، الرحيلَ، لا مُقام لكم. وإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله، إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم وفرشهم، الريح تضرب بها، ثم إني خرجت نحو رسول الله ﷺ. فلما انتصفتْ بي الطريق ـ أو نحو من ذلك ـ إذا أنا بنحو من عشرين فارساً ـ أو نحو ذلك ـ مُعْتَمِّين فقالوا: أخبر صاحبك أنَّ الله قد كفاه. فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو مشتمل في شَمْلة يصلِّي؛ فوالله ما عدا أن رجعت راجعني القرّ وجعلت أُقَرْقِفُ. فأومأ إليّ رسول الله ﷺ بيده وهو يصلِّي؛ فدنَوتُ منه فأسبل عليّ شملته ـ وكان رسول الله ﷺ إذا حَزَبه أمر صلَّى ـ فأخبرته خبر القوم، أخبرته أني تركتهم وهم يرحلون. قال: وأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: 9] إلى قوله: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: 25]. كذا في البداية (4/ 114)، وأخرجه أبو داود، وابن عساكر بسياق آخر مطوَّلاً كما في «كنز العمال» (5/ 279).

وأخرجه مسلم عن يزيد التَيْمي قال: كنا عند حذيفة رضي الله عنه فقال له رجل: لو أدركتُ رسول الله ﷺ قاتلتُ معه وأبليتُ. فقال له

حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟! لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقرّ. فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة؟» فذكر الحديث نحو حديث عبد العزيز باختصار، وفي حديثه: فأتيتُ رسول الله ﷺ فأصابني البرد حين رجعت وقرِرْت، فأخبرت رسول الله ﷺ وألبسني من فَضْل عباءة كانت عليه يصلّي فيها، فلم أبرح نائماً حتى الصبح. فلما أن أصبحت قال رسول الله ﷺ: «قم يا نَوْمان».

وأخرجه ابن إسحاق عن محمد بن كعب القُرَظي رضي الله عنه منقطعاً، وفي حديثه: فقال: «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع؟» فشرط له رسول الله ﷺ الرجعة؛ «أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة». فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد.

* * *

تحمُّل الجراح والأمراض في الدعوة إلى الله

أسند ابن إسحاق عن أبي السائب رضي الله عنه: أن رجلاً من بني عبد الأشهل قال: شهدت أُحداً أنا وأخ لي، فرجعنا جريحين، فلما أذَّن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو قلت لأخي - أو قال لي -: أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ؟ والله، ما لنا من دابة نركبها وما منا إلَّا جريح ثقيل. فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً منه، فكان إذا غلب حملته عُقبة ومشى عُقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون. كذا في البداية (4/ 49). وذكر ابن سعد (3/ 21) عن الواقدي: أن عبد الله بن سهل وأخاه رافع بن سهل رضي الله عنهما هما اللذان خرجا إلى حمراء الأسَد وهما جريحان، يحمل أحدهما صاحبه ولم يكن لهما ظَهْر.

وأسند ابن إسحاق عن أشياخ من بني سَلِمة قالوا: كان عمرو بن الجموح رضي الله عنه رجلاً أعرج شديد العَرَج، وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد. فلما كان يوم أُحد أرادوا حبسه، وقالوا: إنَّ الله قد عَذَرك. فأتى رسول الله ﷺ وقال: إن بَنِيَّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه، والخروج معك فيه، فوالله، إنّي لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة. فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك». وقال لبنيه: «ما عليكم أن لا تمنعوه لعلَّ الله أن يرزقه الشهادة». فخرج معه فقتل يوم أُحد. كذا في البداية (4/ 37).

وأخرج أحمد عن أبي قتادة رضي الله عنه: أنه حضر ذلك قال: أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله، أرأيت إن قاتلتُ في سبيل الله حتى أقتل، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟ - وكانت رجله عرجاء - فقال رسول الله ﷺ: «نعم»: فقتلوه يوم أُحد هو وابن أخيه ومولىً لهم. فمرّ عليه رسول الله ﷺ فقال: «كأني أنظر إليه يمشي برجله هذه صحيحة في الجنة». فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما، فجُعلوا في قبر واحد. قال الهيثمي (9/ 315): رجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نصر الأنصاري وهو ثقة. انتهى. وأخرجه البيهقي (9/ 24) من طريق ابن إسحاق بنحوه.

وأخرج البيهقي عن يحيى بن عبد الحميد عن جدته: أن رافع بن خديج رضي الله عنه رُمِيَ - قال عمر بن مرزوق: لا أدري أيُّهم قال: يوم أُحد أو يوم حُنَين - بسهم في ثُنْدُوَته. فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، انزع لي السهم. فقال له: «يا رافع، إن شئتَ نزعتُ السهم والقُطْبة جميعاً، وإن شئت نزعت السهم وتركت القُطْبة، وشهدت لك يوم القيامة أنَّك شهيد». فقال: يا رسول الله، انزع السهم واترك القُطْبة، واشهد لي يوم القيامة أنِّي شهيد. قال: فعاش بها حتى كانت خلافة معاوية رضي الله عنه انتقض به الجرح، فمات بعد العصر. هكذا وقع في هذه الرواية. والصحيح: أنه مات بعد خلافة معاوية. كذا في «البداية». قال في «الإصابة» (1/ 496): ويحتمل أن يكون بين الانتقاض والموت مدة. وأخرجه أيضاً الباوَرْدي وابن مَنْدَه، والطبراني كما في «الإصابة» (4/ 474)، وابن شاهين كما في «الإصابة» (1/ 496). وستأتي الأحاديث في باب الصبر.

الباب الرابع

باب الهجرة

هجرة النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه

أخرج الطبراني عن عروة رضي الله عنه ـ مرسلاً ـ قال: ومكث رسول الله ﷺ بعد الحج بقيّة ذي الحِجَّة والمحرَّم وصَفَر، ثم إنَّ مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم حين ظنوا أن رسول الله ﷺ خارج، وعلموا أن الله قد جعل له بالمدينة مأوى ومَنَعة، وبلغهم إسلام الأنصار ومن خرج إليهم من المهاجرين، فأجمعوا أمرهم على أن يأخذوا رسول الله ﷺ؛ فإما أن يقتلوه، وإما أن يسجنوه ـ أو يحبسوه، شك عمرو بن خالد ـ وإما أن يخرجوه، وإما أن يوثقوه؛ فأخبره الله عزّ وجلّ بمكرهم. فقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الانفال: 30]. وبلغه ذلك اليوم الذي أتى فيه رسول الله ﷺ دار أبي بكر رضي الله عنه أنَّهم مُبَيِّتوه إذا أمسى على فراشه.

وخرج من تحت الليل هو وأبو بكر قِبَل الغار بثَوْر ـ وهو الغار الذي ذكره الله عزّ وجلّ في القرآن ـ وعَمَد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرقد على فراشه يواري عنه العيون. وبات المشركون من قريش يختلفون ويأتمرون إن نَجْثِم على صاحب الفراش فنوثقه، فكان ذلك حديثهم حتى أصبحوا. فإذا عليٌّ رضي الله عنه يقوم عن الفراش، فسألوه عن النبي ﷺ، فأخبرهم أنه لا علم له به، فعلموا عند ذلك أنه خرج.

فركبوا في كل وجه يطلبونه، وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم، ويجعلون لهم الجُعْل العظيم؛ وأتَوا على ثَوْر الذي فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه حتى طلعوا فوقه. وسمع النبي ﷺ أصواتهم، فأشفق أبو بكر عند ذلك وأقبل على الهمّ والخوف، فعند ذلك قال له النبي ﷺ: «لا تحزن إن الله معنا» ودعا فنزلت عليه سكينة من الله عزّ وجلّ: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 40].

وكانت لأبي بكر مِنْحة تروح عليه وعلى أهله بمكة، فأرسل أبو بكر عامر بن فُهيرة مولى أبي بكر أميناً مؤتمناً حسن الإسلام، فاستأجر رجلاً من بني عبد بن عدي يقال له: «ابن الأُريقط»، كان حليفاً لقريش في بني سَهْم من بني العاص بن وائل، وذلك يومئذٍ العدويُّ مشركٌ وهو هاد بالطريق. فخبأ بأظهرنا تلك الليالي، كان يأتيهما عبد الله بن أبي بكر حين يمسي بكل خبر يكون في مكة، ويُريح عليهما عامر بن فُهيرة الغنم في كل ليلة، فيحلبان ويذبحان، ثم يسرح بكرة فيصبح في رُعيان الناس ولا يُفطن له، حتى إذا هَدَت عنهم الأصوات، وأتاهما أن قد سُكت عنهما جاء صاحبهما ببعيريهما وقد مكثا في الغار يومين وليلتين؛ ثم انطلقا وانطلقا معهما بعامر بن فُهيرة يحدوهما ويخدمهما ويعينهما، يردفه أبو بكر ويعقبه على راحلته ليس معه أحد من الناس غير عامر بن فهيرة وغير أخي بني عديّ يهديهم الطريق. قال الهيثمي (6/ 51): وفيه: ابن لهيعة، وفيه كلام؛ وحديثه حسن. ا هـ.

وأخرج ابن إسحاق عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان لا يخطىء رسول الله أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار: إما بُكرة،

وإما عشيَّة، حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله فيه لرسوله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرَي قومِه، أتانا رسول الله ﷺ بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها. قالت: فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ في هذه الساعة إلَّا لأمرٍ حدث. قالت: فلما دخل تأخَّر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر أحد إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر. فقال رسول الله ﷺ: «أخرجْ عني مَن عندك». قال: يا رسول الله، إنما هُما ابنتاي، وما ذاك فداك أبي وأمي؟! قال: «إنَّ الله قد أذن لي في الخروج والهجرة». قالت: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله قال: «الصحبة» فوالله ما شعرت قطُّ قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذٍ يبكي، ثم قال: يا نبي الله، إنَّ هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا، فاستأجَرا عبد الله بن أريقط رجلاً من بني الدُئِل بن بكر وكانت أمه من بني سَهْم بن عمرو ـ وكان مشركاً ـ يدلهما على الطريق، ودفعا إليه راحلَتيْهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.

وأخرج البغوي بإسناد حسن عن عائشة رضي الله عنها شيئاً منه، وفي حديثه: قال أبو بكر: الصحابةَ. قال: «الصحابةَ». قال أبو بكر: إن عندي راحلتين قد علفتهما من ستة أشهر لهذا، فخذ إحداهما، فقال: بل أشتريها، فاشتراها منه فخرجا فكانا في الغار. فذكر الحديث كما في «كنز العمال» (8/ 334).

وأخرج الطبراني عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: كان النبي ﷺ يأتينا بمكة كل يوم مرتين، فلما كان يوم من ذلك جاءنا في الظهيرة، فقالت: يا أبت، هذا رسول الله ﷺ، فبأبي وأمي، ما جاء به هذه الساعة إلا أمر. فقال رسول الله ﷺ: «هل شعرتَ أنَّ الله قد أذن

لي في الخروج؟» فقال أبو بكر رضي الله عنه: فالصحابَة يا رسول الله. قال: «الصحابَةَ». قال: إنَّ عندي راحلتين قد علفتهما منذ كذا وكذا انتظاراً لهذا اليوم، فخذ إحداهما. فقال: «بثمنها يا أبا بكر»، فقال: بثمنها ـ بأبي وأمي ـ إن شئت. قالت: فهيّأنا لهم سُفْرة، ثم قطعت نِطاقها فربطتها ببعضه. فخرجا فمكثا في الغار في جبل ثور. فلما انتهيا إليه دخل أبو بكر الغار قبله، فلم يترك فيه جُحْراً إلا أدخل فيه أصبعه مخافة أن يكون فيه هَامَّة. وخرجت قريش حين فقدوهما في بُغائهما، وجعلوا في النبي ﷺ مائة ناقة، وخرجوا يطوفون في جبال مكة حتى انتهَوا إلى الجبل الذي هما فيه. فقال أبو بكر ـ لرجل مواجه الغار ـ: يا رسول الله، إنَّه ليرانا، فقال: «كلَّا إنَّ ملائكة تسترنا بأجنحتها». فجلس ذلك الرجل فبال مواجه الغار، فقال رسول الله ﷺ: «لو كان يرانا ما فعل هذا». فمكثا ثلاث ليالٍ، يُرَوِّحُ عليهما عامر بن فُهَيرة مولى أبي بكر غنماً لأبي بكر، ويُدلج من عندهما، فيصبح مع الرعاة في مراعيها، ويُرَوِّحُ معهم ويبطىء في المشي، حتى إذا أظلم الليل انصرف بغنمه إليهما؛ فتظن الرعاة أنه معهم. وعبد الله بن أبي بكر يظلّ بمكة يتطلَّب الأخبار، ثم يأتيهما إذا أظلم الليل فيخبرهما، ثم يُدلج من عندهما فيصبح بمكة.

ثم خرجا من الغار فأخذا على الساحل، فجعل أبو بكر يسير أمامه، فإذا خشي أن يُؤتى من خلفه سار خلفه، فلم يزل كذلك مسيره. وكان أبو بكر رجلاً معروفاً في الناس، فإذا لقيه لاقٍ فيقول لأبي بكر: من هذا معك؟ فيقول: هادٍ يهديني ـ يريد الهدى في الدِّين ـ ويحسب الآخر دليلاً، حتى إذا كان بأبيات قُدَيد ـ وكان على طريقِهِما ـ جاء إنسان إلى بني مُدْلج فقال: قد رأيت راكبين نحو الساحل، فإنِّي لأجدهما

لصاحب قريش الذي تبغون. فقال سراقة بن مالك: ذانك راكبان ممن بعثنا في طَلِبَة القوم، ثم دعا جاريته فسارَّها، فأمرها أن تخرج فرسه ثم خرج في آثارهما. قال سراقة: فدنوت منهما ـ فذكر قصته كما ستأتي. قال الهيثمي (6/ 54): وفيه: يعقوب بن حُمَيد بن كاسب وثَّقه ابن حِبَّان وغيره، وضعَّفه أبو حاتم وغيره؛ وبقية رجاله رجال الصحيح. ا هـ.

وأخرج البيهقي عن ابن سِيرين قال: ذكر رجال على عهد عمر رضي الله عنه فكأنهم فضَّلوا عمر على أبي بكر، فبلغ ذلك عمر فقال: والله لليلةٌ من أبي بكر خيرٌ من آل عمر، وليومٌ من أبي بكر خيرٌ من آل عمر. لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر، فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه، حتى فطن رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا بكر، ما لك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي؟» فقال: يا رسول الله، أذكر الطَلَب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرَّصَد، فأمشي بين يديك. فقال: «يا أبا بكر، لو كان شيء لأحببتَ أن يكون بك دوني؟» قال: نعم، والذي بعثك بالحق. فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر: مكانك ـ يا رسول الله ـ حتى أستبرىء لك الغار. فدخل فاستبرأه، حتى إذا كان ذكر أنه لم يستبرىء الجِحَرَة، فقال: مكانك ـ يا رسول الله ـ حتى أستبرىء، فدخل فاستبرأ، ثم قال: انزل يا رسول الله، فنزل. ثم قال عمر: والذي نفسي بيده، لتلك الليلة خيرٌ من آل عمر. كذا في البداية (3/ 180). وأخرجه الحاكم أيضاً كما في «منتخب كنز العمال» (4/ 348). وأخرجه البغوي عن ابن مُلَيكة مرسلاً بمعناه. قال ابن كثير: هذا مرسل حسن كما في «كنز العمال» (8/ 335).

وأخرج الحافظ أبو بكر القاضي عن الحسن البصري قال: انطلقَ النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه إلى الغار، وجاءت قريش يطلبون

النبي ﷺ، وكانوا إذا رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا: لم يدخل أحد. وكان النبي ﷺ قائماً يصلي وأبو بكر يرتقب، فقال أبو بكر للنبي ﷺ: هؤلاء قومك يطلبونك، أما ـ والله ـ ما على نفسي أَئِلُّ، ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره. فقال له النبي ﷺ: «يا أبا بكر، لا تخف إن الله معنا».

وعند أحمد عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه حدّثه قال: قلت للنبي ﷺ ـ ونحن في الغار ـ لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما». كذا في «البداية» (3/ 181، 182). وأخرجه أيضاً الشيخان، والترمذي، وابن سعد، وابن أبي شيبة، وغيرهم كما في «الكنز» (8/ 329).

وأخرج أحمد عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: اشترى أبو بكر من عازب سَرْجاً بثلاثة عشر درهماً، فقال أبو بكر لعازب: مُرِ البراءَ فليحملْه إلى منزلي. فقال: لا، حتى تحدِّثنا كيف صنعتَ حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه؟ فقال أبو بكر: خرجنا فأدلجنا فأحثثنا يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة، فضربت بصري هل أرى ظلاً نأوي إليه، فإذا أنا بصخرة فأهويتُ إليها، فإذا بقية ظلّها، فسويته لرسول الله ﷺ وفرشت له فروة، وقلت: اضطجع يا رسول الله، فاضطجع. ثم خرجت أنظر هل أرى أحداً من الطَلَب؟ فإذا أنا براعي غنم فقلت: لمن أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من قريش ـ فسمَّاه فعرفته ـ فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم.

فأمرته فاعتقل شاة منها، ثم أمرته فنفض ضِرْعها من الغبار، ثم أمرته فنفض كفَّيه من الغبار، ومعي إداوةٌ على فمها خِرقة، فحلب لي

كُثْبة من اللبن، فصببت على القدح حتى برد أسفله؛ ثم أتيت رسول الله ﷺ فوافيته وقد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشرب حتى رضيت، ثم قلت: هل آن الرحيل؟ فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم إلا سراقة بن مالك بن جُعْشُم على فرس له. فقلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا. قال: «لا تحزن إن الله معنا»، حتى إذا دنا منا فكان بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين، ـ أو قال: رمحين أو ثلاثة ـ قلت: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحقنا، وبكَيت. قال: «لِمَ تبكي؟» قلت: أما ـ والله ـ ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك. فدعا عليه رسول الله ﷺ فقال: «اللهم اكفناه بما شئت» فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صَلْد، ووثب عنها وقال: يا محمد قد علمت أن هذا عملك، فادعُ الله أن ينجيني مما أنا فيه، فوالله لأعمينَّ على من ورائي من الطلب. وهذه كنانتي فخذ منها سهماً، فإنك ستمر بإبلي وغنمي بموضع كذا وكذا، فخذ منها حاجتك. فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لي فيها»، ودعا له رسول الله ﷺ، فأطلق ورجع إلى أصحابه. ومضى رسول الله ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينة وتلقَّاه الناس، فخرجوا في الطرق على الأناجير، واشتد الخدم والصبيان في الطريق يقولون: الله أكبر جاء رسول الله!! جاء محمد ﷺ!!.. قال: وتنازع القوم: أيُّهم ينزل عليه. قال: فقال رسول الله ﷺ: «أنزل الليلةَ على بني النجار أخوال عبد المطلب لأكرمهم بذلك». فلما أصبح غدا حيث أُمر. وأخرجه الشيخان في الصحيحين كما في «البداية» (3/ 187، 188). وأخرجه أيضاً ابن أبي شَيْبة، وابن سعد (3/ 80) بنحوه مطوَّلاً مع زيادة، وابن خُزَيمة وغيرهم كما في «الكنز» (8/ 330).

وأخرج البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أن

رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين ـ كانوا تجاراً قافلين من الشام ـ فكسا الزبيرُ رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه ثياب بياض.

وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غَداة إلى الحرَّة فينتظرونه حتى يردَّهم حرُّ الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارهم. فلما آوَوا إلى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على أُطُم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ وأصحابِه مُبَيِّضين يزول بهم السراب؛ فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا جَدُّكم الذي تنتظرون. فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقَّوا رسول الله ﷺ بظهر الحرَّة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول. فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق مَن جاء من الأنصار ممَّن لم يَرَ رسول الله ﷺ يحيِّي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلَّل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك. فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي أُسس على التقوى، وصلّى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته وسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذٍ رجال من المسلمين؛ وكان مِرْبداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حِجْر أسعدَ بن زُرارة رضي الله عنه. فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: «هذا ـ إن شاء الله ـ المنزل»، ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً. فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبله منهما هبة، حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً. فطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللَبِن في بنيانه، وهو يقول ـ حين ينقل اللَبِن ـ:

هــذا الــجِــمــالُ لا جِــمَــال خــيــبــرْ

هـــذا أبـــرُّ ربَّـــنـــا وأطـــهـــرْ

ويقول:

لا هُـــمَّ إن الأجـــرَ أجـــرُ الآخـــرهْ

فـــارحـــمِ الأنـــصـــار والـــمـــهـــاجـــرهْ

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يُسمَّ لي. قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات ـ هذا لفظ البخاري. وقد تفرّد بروايته دون مسلم، وله شواهد من وجوه أُخر. كذا في «البداية» (3/ 186).

وأخرجه أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إني لأسعى في الغِلْمان يقولون: جاء محمد، فأسعى ولا أرى شيئاً. ثم يقولون: جاء محمد، فأسعى ولا أرى شيئاً؛ قال: حتى جاء رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه، فَكَمَنَّا في بعض خِرَاب المدينة. ثم بعثا رجلاً من أهل البادية يؤذِن بهما الأنصار، فاستقبلهما زُهَاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما، فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعَين، فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم. فخرج أهل المدينة حتى إنَّ العواتق لفوق البيوت يتراءَيْنَه يقلن: أيهم هو؟ أيهم هو؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به. قال أنس: فلقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قُبض؛ فلم أرَ يومين شبيهاً بهما. ورواه البيهقي بنحوه. كذا في «البداية» (3/ 197).

وأخرج البيهقي عن ابن عائشة رضي الله عنهما يقول: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جعل النساء والصبيان يَقُلْنَ:

طلع البدر علينا
من ثَنيَّات الوداعِ
وجب الشكرُ علينا
ما دعا للّه داعِ

كذا في «البداية» (3/ 197).

* * *

هجرة عمر بن الخطاب والصحابة رضي الله عنهم

أخرج ابن أبي شيبة عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ مُصعب بن عمير وابن أمِّ مكتوم رضي الله عنهما، فجعلا يقرآننا القرآن. ثم جاء عمار، وبلال، وسعد رضي الله عنهم. ثم جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عشرين. ثم جاء رسول الله ﷺ؛ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، فما قدم حتى قرأتُ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ①﴾ [الأعلى: 1] في سورٍ من المفصَّل. كذا في «كنز العمال» (8/ 331).

وعند أحمد في حديث البراء عن أبي بكر رضي الله عنهما في الهجرة؛ قال البراء: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار. ثم قدم علينا ابن أمِّ مكتوم الأعمى رضي الله عنه أحد بني فِهْر. ثم قدم علينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عشرين راكباً. فقلنا: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قال: هو على إثْري، ثم قدم رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه معه. قال البراء: ولم يقدم رسول الله ﷺ حتى قرأت سوراً من المفصَّل. وأخرجه أيضاً البخاري، ومسلم. كذا في «البداية» (3/ 188).

وأخرج ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما قال: اتَّعدنا لمّا أردت الهجرة إلى المدينة أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة

وهشام بن العاص التناضب من أضاة بني غفار فوق سَرِف وقلنا: أيُّنا لم يصبح عندها فقد حُبس، فليمضِ صاحباه. قال: فأصبحت أنا وعيَّاش عند التناضِب وحبس عنا هشام وفتن فافتتن. فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقُباء. وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش ـ وكان ابنَ عمّهما وأخاهما لأمهما ـ حتى قدما المدينة، ورسول الله ﷺ بمكة، فكلَّماه وقال له: إنَّ أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مُشط حتى تراك ولا تستظلَّ من شمس حتى تراك. فرقَّ لها، فقلت له: إنه ـ والله ـ إنْ يريدك القوم إلَّا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حرّ مكة لاستظلَّت. قال: فقال: أَبَرُّ قَسَمَ أمي ولي هنالك مال فآخذه. قال: قلت: والله إنك لتعلم أنِّي لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي، ولا تذهب معهما. قال: فأبى عليَّ إلَّا أن يخرج معهما. فلما أبَى إلَّا ذلك قلت: أمَا إذا قد فعلت ما فعلت، فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجيبة ذَلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من أمر القوم رَيب فانجُ عليها.

فخرج عليها معهما حتى إذا كان ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا أخي ـ والله ـ لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تُعقِبُني على ناقتك هذه؟ قال: بلى. فأناخ وأناخا ليتحوَّل عليها، فلما استوَوْا بالأرض عَدَوا عليه فأوثقاه رباطاً، ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن. قال عمر رضي الله عنه: فكنا نقول: لا يقبل الله ممن افتَتَن توبة، وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنزل الله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ

﴿ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر: 53 ـ 55]. قال عمر: فكتبتها وبعثت بها إلى هشام بن العاص. قال هشام: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طُوى أصعّد بها وأُصوّب ولا أفهمها، حتى قلت: اللَّهمَّ فهِّمْنيها، فألقى الله في قلبي أنها إنما أُنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا، قال: فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة. كذا في «البداية» (3/ 172). وأخرجه أيضاً ابن السَكَن بسند صحيح عن ابن إسحاق بإسناده مطوَّلاً كما أشار إليه الحافظ في «الإِصابة» (3/ 604)، والبزار بطوله نحوه؛ قال الهيثمي (6/ 61) ورجاله ثقات. وأخرجه البيهقي (9/ 13)، وابن سعد (3/ 164)، وابن مردويْه، والبزار عن عمر رضي الله عنه مختصراً كما في «كنز العمال» (1/ 262). وأخرج الطبراني عن عروة مرسلاً: وفيه ابن لَهيعة، وفيه ضعف. وعن ابن شهاب مرسلاً، ورجاله ثقات. كذا في «المجمع» (6/ 62).

* * *

هجرة عثمان بن عَفّان رضي الله عنه

أخرج البيهقي عن قتادة رضي الله عنه قال: أول من هاجر إلى الله تعالى بأهله عثمان بن عفان رضي الله عنه. سمعت النضر بن أنس يقول: سمعت أبا حمزة ـ يعني أنساً رضي الله عنه ـ يقول: خرج عثمان بن عفّان ومعه امرأته رقية رضي الله عنهما بنت رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، فأبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما، فقدمت امرأة من قريش فقالت: يا محمد، قد رأيت خَتَنَك ومعه امرأته. قال: «على أيٍّ حال رأيتهما؟» قالت: رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدَّبَّابة وهو يسوقها. فقال رسول الله ﷺ: «صحبهما الله. إنَّ عثمان أول من هاجر

بعد لوط عليه السلام». كذا في «البداية» (3/ 66). وأخرجه أيضاً ابن المبارك عن أنس رضي الله عنه بمعناه كما في «الإصابة» (4/ 305)؛ والطبراني عن أنس بمعناه، وفي حديثه: واحتبس على النبي ﷺ خبرهم، فكان يخرج يتوكف عنهم الخبر. فجاءته امرأة فأخبرته. قال الهيثمي (8/ 81): وفيه الحسن بن زياد البُرجُمي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

* * *

هجرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أخرج ابن سعد عن علي رضي الله عنه قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة في الهجرة أمرني أن أقيم بعده حتى أؤدّي ودائع كانت عنده للناس؛ ولذا كان يسمى الأمين. فأقمت ثلاثاً، فكنت أظهر ما تغيّبتُ يوماً واحداً. ثم خرجت فجعلت أتبع طريق رسول الله ﷺ، حتى قدمت بني عمرو بن عوف ورسول الله ﷺ مقيم، فنزلت على كُلثوم بن الهِدْم وهنالك منزل رسول الله ﷺ. كذا في كنز العمال (8/ 335).

* * *

هجرة جعفر بن أبي طالب والصحابة رضي الله عنهم إلى الحبشة ثم إلى المدينة

أخرج أحمد، والطبراني ـ ورجاله رجال الصحيح ـ عن محمد بن حاطب رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنِّي رأيت أرضاً ذات نخل فاخرجوا». قال: فخرج حاطب وجعفر رضي الله عنهما في البحر. قال: فولدت أنا في تلك السفينة. كذا في «مجمع الزوائد» للهيثمي (6/ 27). وأخرج الطبراني والبزار عن عُمير بن إسحاق قال: قال جعفر رضي الله عنه: يا رسول الله ﷺ، ائذن لي أن آتي أرضاً أعبد الله فيها لا أخاف أحداً، قال: قال: فأذن له فيها، فأتى النجاشي ـ فذكر الحديث بطوله كما سيأتي. قال الهيثمي (6/ 29): وعمير بن إسحاق وثَّقه ابن حِبّان وغيره، وفيه كلام لا يضرّ، وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج ابن إسحاق عن أُم سَلَمة رضي الله عنها أنها قالت: لما ضاقت مكة، وأوذيَ أصحاب رسول الله ﷺ وفُتنوا، ورأوا ما يُصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في مَنَعَةٍ من قومه ومن عمِّه لا يصل إليه شيء ممّا يكره وممّا ينال أصحابَه ـ فقال لهم رسول الله ﷺ: «إنَّ بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً ممَّا أنتم فيه» فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها،

فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا، ولم نخش فيها ظلماً. فلمّا رأت قريش أنّا قد أصبنا داراً وأمناً، غارُوا منا، فاجتمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي فينا ليخرجونا من بلاده وليردّنا عليهم. فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، فجمعوا له هدايا ولبطارقته، فلم يدَعُوا منهم رجلاً إلّا هيؤوا له هدية على حدة، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تتكلّموا فيهم، ثم ادفعوا إليه هداياه، فإن استطعتم أن يردّهم عليكم قبل أن تتكلّموا فافعلوا. فقدما عليه فلم يبقَ بِطْريق من بطارقته إلّا قدَّموا إليه هديته، فكلَّموه فقالوا له: إنما قدمنا على هذا الملك في سفهائنا، فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم. فبعثَنا قومُهم ليردّهم الملك عليهم، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل. فقالوا: نفعل. ثم قدّموا إلى النجاشي هداياه، وكان من أحبِّ ما يُهدون إليه من مكة الأُدُمَ. فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له: أيها الملك، إنَّ فتيةً منا سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لجؤوا إلى بلادك، وقد بعثَنا إليك فيهم عشائرهُم، آباؤهم وأعمامهم وقومهم لتردّهم عليهم، فإنهم أعلى بهم عيناً، فإنهم لن يدخلوا في دينك فتمنعهم لذلك. فغضب ثم قال: لا، لعمر الله، لا أردّهم عليهم حتى أدعوهم، فأكلمهم وأنظُرَ ما أمرُهم؛ قوم لجؤوا إلى بلادي واختاروا جواري على جوار غيري، فإن كانوا كما يقولون رددتُهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم، ولم أدخل بينهم وبينهم، ولم أنعم عيناً.

فلما دخلوا عليه سلّموا ولم يسجدوا له. فقال: أيها الرهْطُ، ألا تُحدِّثُوني ما لكم لا تحيوني كما يحييني من أتانا من قومكم؟! فأخبروني ماذا تقولون في عيسى؟ وما دينكم؟ أنصارى أنتم؟ قالوا: لا. قال:

أفيهود أنتم؟ قالوا: لا. قال: فعلى دين قومكم؟ قالوا: لا. قال: فما دينكم؟ قالوا: الإسلام. قال: وما الإِسلام؟ قالوا: نعبد الله، لا نشرك به شيئاً. قال: من جاءكم بهذا؟ قالوا: جاءنا به رجل من أنفسنا، قد عرفنا وجهه ونسبه، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلَنا، فأمرنا بالبر، والصدقة، والوفاء، وأداء الأمانة؛ ونهانا أن نعبد الأوثان، وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له، فصدَّقناه، وعرفنا كلام الله، وعلمنا أنَّ الذي جاء به من عند الله. فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا وعادوا النبيَّ الصادقَ وكذَّبوه وأرادوا قتله، وأرادونا على عبادة الأوثان، ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا. قال: والله، إنَّ هذا لمن المشكاة التي خرج منها أمر موسى. قال جعفر رضي الله عنه: وأما التحية، فإنَّ رسول الله ﷺ أخبرنا أن تحية أهل الجنة: السلام، وأمَرَنا بذلك، فحيّيناك بالذي يحيّي بعضنا بعضاً. وأما عيسى ابن مريم عليهما السلام: فعَبْدُ الله، ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه، وابن العذراء البتول. فأخذ عوداً وقال: والله، ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود. فقال عظماء الحبشة: والله، لئن سمعتِ الحبشة لتخلعنّك. فقال: والله، لا أقول في عيسى عليه السلام غير هذا أبداً، وما أطاع الله الناسَ فيَّ حين ردَّ علي ملكي فأطيع الناس في دين الله!! معاذ الله من ذلك. كذا في البداية (3/72).

وأخرجه أيضاً أحمد عن أم سلمة - زوج النبي ﷺ - بطوله، وفي حديثه: قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم. فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في الرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول - والله - ما علمنا ما أمرنا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن.

فلما جاؤوه ـ وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ـ سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟ ـ قالت: وكان الذي كلّمه جعفر بن أبي طالب قال: أيها الملك، كنّا قوماً أهل جاهليّة، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منا الضعيف، فكنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه. فدعانا إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصِلَة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء. ونهانا عن الفواحش، وشهادة الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة. وأمرنا أن نعبد الله، لا نشرك به شيئاً، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة ـ قالت: فعدّد عليه أُمور الإسلام ـ فصدّقناه، وآمنا به واتّبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرم الله علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذّبونا، وفتنونا عن ديننا ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله عزّ وجلّ، وأن نستحلّ ما كنا نستحلُّ من الخبائث. فلمَّا قهرونا وظلمونا وشقُّوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا؛ خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر رضي الله عنه: نعم. قالت: فقال له النجاشي: فاقرأه. فقرأ عليه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: 1]. قالت: فبكى النجاشي حتى أَخْضَلَ لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا

ما تُلي عليهم. ثم قال النجاشي: إنَّ هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما أبداً ولا أكاد.

قالت أم سلمة: فلمَّا خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتينّهم غداً أُعَيِّبُهُم عنده بما أستأصل به خضراءهم، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة ـ وكان أتقى الرجلين فينا ـ: لا تفعل، فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا. قال: والله لأخبرنَّه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عَبْدٌ. قالت: ثم غدا عليه، فقال: يا أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه. قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه. قالت: ولم ينزل بنا مثلُها؛ واجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ: هو عبد الله، ورسوله، وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: ما عَدَا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود!! فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، (فقال): وإن نخرتم والله!! اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي ـ والشيوم الآمنون ـ؛ من سبَّكم غرم، ثم (قال): من سبَّكم غَرِم، ثم (قال) من سبَّكم غَرِم، ما أحبُّ أن لي دَبْراً ذهباً وأني آذيت رجلاً منكم ـ والدَّبْر بلسان الحبشة: الجبل ـ رُدّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي فآخذ فيه الرشوة، وما أطاع الناسَ فيّ فأطيعهم فيه. فخرجا من عنده مقبوحَيْن مردوداً عليهما ما جاءا به.

وأقمنا عنده في خير دار مع خير جار، فوالله إنه لَعَلى ذلك إذ نزل به مَنْ ينازعه في ملكه. قالت: والله ما علمتنا حَزِنَّا حُزْناً قط كان أشد من حزن حزنّاه عند ذلك؛ تخوفاً أن يظهر ذلك (الرجل) على النجاشي؛

فيأتي رجل لا يعرف من حقِّنا ما كان النجاشي يعرف. قالت: وسار النجاشي وبينهما عرضُ النِّيل. قالت: فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَنْ رجلٌ يخرج حتى يحضر وقيعة القوم، ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا. قالوا: فأنت؟. قالت: وكان من أحدث القوم سناً. قالت: فنفخوا له قِربة فجعلها في صدره، فَسَبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: ودعونا الله عزّ وجلّ للنجاشي بالظهور على عدوّه والتمكين له في بلاده (قالت: فوالله إنَّا لَعَلَى ذلك متوقعون لما هو كائن إذ طلع الزبير وهو يسعى فلمع بثوبه، وهو يقول: ألَا أبشروا فقد ظفر النجاشي، وأهلك الله عدوه، ومكّن له في بلاده، قالت: فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قطّ مثلها. قالت: ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه ومكن له في بلاده. واستوسق عليه أمر الحبشة فكنّا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة. قال الهيثمي (6/ 27): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير إسحاق، وقد صرّح بالسماع. انتهى. كذا في الأصل، والظاهر أنه ابن إسحاق، وقد تقدّم الحديث من طريقه. وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 115) من طريق ابن إسحاق نحوه مطوّلاً؛ والبيهقي (9/ 9) ذكر صدر الحديث من طريق ابن إسحاق بسياقه، ثم قال وذكر الحديث بطوله، وذكر الحديث في «السِيَر» (9/ 144).

وأخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ـ ونحن نحوٌ من ثمانين رجلاً ـ فيهم: عبد الله بن مسعود، وجعفر، وعبد الله بن عُرْفُطَة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى، فأَتَوا النجاشي، وبعثت قريش عمرو بن العاص، وعُمارة بن

الوليد بهدية، فلما دخلا على النجاشي سجدا له، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالا له: إنَّ نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملّتنا. قال: فأين هم؟ قالا: في أرضك فابعث إليهم؛ فبعث إليهم. فقال جعفر رضي الله عنه: أنا خطيبكم اليوم، فاتّبعوه، فسلّم ولم يسجد. فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله عزّ وجلّ. قال: وما ذاك؟ قال: إنَّ الله بعث إلينا رسولاً، ثم أمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عزّ وجلّ، وأمرنا بالصلاة والزكاة. قال عمرو: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم. قال: فما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قال: نقول كما قال الله: هو كلمته، وروحه، ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر ولم يفرضها ولد. قال: فرفع عوداً من الأرض ثم قال: يا معشر الحبشة والقسّيسين والرهبان! والله ما يُزيدون على الذي نقول فيه ما سوى هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده! أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي نجد في الإِنجيل، وأنه الرسول الذي بشَّر به عيسى ابن مريم. انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه؛ وأمر بهدية الآخرين فرُدّت إليهما. ثم تعجّل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حتى أدرك بدراً. وهذا إسناد جيد قوي، وسياق حسن ـ قاله ابن كثير في «البداية» (3/ 69). وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (7/ 130). وقال الهيثمي (6/ 24) ـ بعدما ذكر الحديث ـ: رواه الطبراني وفيه حديج بن معاوية، وثَّقه أبو حاتم، وقال في بعض أحاديثه ضعف، وضعَّفه ابن مَعِين وغيره؛ وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرجه الطبراني أيضاً عن أبي موسى رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى النجاشي، فبلغ ذلك

قريشاً، فبعثوا عمرو بن العاص، وعُمارة بن الوليد ـ فذكره بمعنى حديث ابن مسعود، وفي حديثه: ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبّل نعليه، امكثوا في أرضي ما شئتم، وأمر لنا بطعام وكسوة. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح (6/ 31). ا هـ. وأخرج حديث أبي موسى أيضاً أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 114)، والبيهقي قال: هذا إسناد صحيح ـ كما في «البداية» (3/ 71).

وأخرج ابن عساكر عن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثت قريش عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي. فقالوا له ـ ونحن عنده ـ: قد صار إليك ناس من سَفِلتنا وسفهائنا، فادفعهم إلينا. قال: لا، حتى أسمع كلامهم. قال: فبعث إلينا. فقال: ما يقول هؤلاء؟ قال قلنا: هؤلاء قوم يعبدون الأوثان، وإن الله بعث إلينا رسولاً فآمنا به وصدَّقناه. فقال لهم النجاشي: أَعبيدٌ هُمْ لكم؟ قالوا: لا. فقال: فلكم عليهم دَيْن؟ قالوا: لا. قال: فخلُّوا سبيلهم. قال: فخرجنا من عنده. فقال عمرو بن العاص: إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول. قال: إن لم يقولوا في عيسى مثل قولي لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار. فأرسل إلينا، فكانت الدعوة الثانية أشدّ علينا من الأولى. قال: ما يقول صاحبكم في عيسى ابن مريم؟ قلنا: يقول: هو روح الله، وكلمته ألقاها إلى عذراء بتول. قال: فأرسل، فقال: ادعوا لي فلان القَسّ، فلان الراهب. فأتاه ناس منهم فقال: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقالوا: أنت أعلمنا، فما تقول؟ قال النجاشي ـ وأخذ شيئاً من الأرض ـ قال: ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا، ثم قال: أيؤذيكم أحد؟ قالوا: نعم. فنادى منادٍ: من آذى أحداً منهم فأغرموه أربعة دراهم، ثم قال: أيكفيكم؟ قلنا: لا، فأضْعَفَها.

قال: فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وظهر بها قلنا له: إن رسول الله ﷺ قد ظهر وهاجر إلى المدينة، وقتل الذين كنا حدَّثناك عنهم، وقد أردنا الرحيل إليه، فرُدّنا. قال: نعم. فحمّلنا وزوّدنا. ثم قال: أخبر صاحبك بما صنعت إليكم، وهذا صاحبي معكم، أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله، وقل له: يستغفر لي. قال جعفر: فخرجنا حتى أتينا المدينة فتلقاني رسول الله ﷺ واعتنقني، ثم قال: «ما أدري أنا بفتح خيبر أفرح أم بقدوم جعفر!» ووافق ذلك فتحَ خيبر، ثم جلس، فقال رسول النجاشي: هذا جعفر، فسَلْه ما صنع به صاحبنا؟ فقال: نعم، فعل بنا كذا وكذا وحملنا وزوَّدنا، وشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. وقال لي: قل له يستغفر لي. فقام رسول الله ﷺ فتوضأ، ثم دعا ثلاث مرات: «اللهم اغفر للنجاشي». فقال المسلمون: آمين. ثم قال جعفر: فقلت للرسول: انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ﷺ. قال ابن عساكر: حسن غريب. كذا في «البداية» (3/ 71). وأخرجه الطبراني من طريق أسد بن عمرو عن مُجالد وكلاهما ضعيف، وقد وُثِّقا ـ قاله الهيثمي (6/ 29).

وأخرج ابن إسحاق عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبي حَثْمة رضي الله عنها قالت: والله إنا لنترحَّل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجتنا، إذ أقبل عمر فوقف عليَّ وهو على شركه فقالت: ـ وكنّا نلقى منه [البلاء] أذى لنا وشدَّةً علينا ـ قالت: فقال: إنه للانطلاق يا أم عبد الله؟ قلت: نعم، والله لنخرجنَّ في أرض من أرض الله إذ آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجاً. قالت: فقال: صحبكم الله!! ورأيت له رقّة لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى

خروجنا. قالت: فجاء عامر بحاجتنا تلك. فقلت له: يا أبا عبد الله، لو رأيت عمر آنفاً ورقَّته وحزنه علينا. قال: أطمعت في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم. قال: لا يُسلم الذي رأيتِ حتى يسلمَ حمارُ الخطّاب. قالت: يأساً منه لما كان يرى من غلظته وقسوته على الإسلام. كذا في «البداية» (3/ 79). واسم أم عبد الله: ليلى؛ كما في «الإصابة» (4/ 400). وأخرجه أيضاً الطبراني؛ وقد صرح ابن إسحاق بالسماع فهو صحيح. قاله الهيثمي (6/ 24). وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (4/ 58) بسياق ابن إسحاق من طريقه إلا أنه وقع في الإسناد عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه عن أمه أم عبد الله، وهذا هو الظاهر - والله أعلم. وفي آخره: قال: يأساً منه. وأخرج ابن مَنْده وابن عساكر عن خالد بن سعيد بن العاص - وكان من مهاجرة الحبشة هو وأخوه عمرو -: ولمَّا قدموا على رسول الله ﷺ تلقّاهم حين دنوا منه وذلك بعد بدر بعام، فحزنوا أن لا يكونوا شهدوا بدراً. فقال رسول الله ﷺ: «وما تحزنون؟ إنَّ للناس هجرة واحدة ولكم هجرتان، هاجرتم حين خرجتم إلى صاحب الحبشة، ثم جئتم من عند صاحب الحبشة مهاجرين إليّ». كذا في «كنز العمال» (8/ 332).

وأخرج البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال: بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم، أحدهم أبو بُردة، والآخر أبو رُهم - إمّا قال: في بضع وإما قال: في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي -، فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً. فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح

خيبر. فكان أناس من الناس يقولون لنا ـ يعني لأهل السفينة ـ: سبقناكم بالهجرة. ودخلت أسماء بنت عُميس وهي ممّن قدم معنا على أمّ المؤمنين حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر. فدخل عمر رضي الله عنه على حفصة وأسماء عندها، فقال ـ حين رأى أسماء ـ: من هذه؟ قلت: أسماء بنت عُميس. قال عمر: آلحبشية هذه؟ آلبحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم. قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحقُّ برسول الله ﷺ منكم. فغضبت وقالت: كلا. والله كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم؛ وكنا في دار ـ أو في أرض ـ البعداء والبغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسول الله ﷺ؛ وايْمُ الله، لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكرَ ما قلتَ للنبي ﷺ وأسأله، ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه. فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله، إن عمر قال كذا وكذا. قالت: قال: «فما قلتِ له؟» قالت قلت: كذا وكذا. قال: «ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان». قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأهل السفينة يأتوني أرسالاً يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ. قال أبو بُردة: قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني. وقال أبو بُردة عن أبي موسى: قال النبي ﷺ: «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار، ومنهم حكيم: إذا لقي العدو ـ أو قال: الخيل ـ قال لهم: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم». وهكذا رواه مسلم. كذا في «البداية» (4/ 205). عند ابن سعد بإسناد صحيح عن الشَّعْبي قال:

قالت أسماء بنت عُميس رضي الله عنها: يا رسول الله، إنَّ رجالاً يفخرون علينا ويزعمون أنا لسنا من المهاجرين الأوّلين، فقال: بل لكم هجرتان: هاجرتم إلى أرض الحبشة، ثم هاجرتم بعد ذلك». كذا في «فتح الباري» (7/ 341). وأخرج هذا الأثر ابن أبي شيبة أيضاً أطول منه كما في «كنز العمال» (7/ 18). وأخرج حديث أبي موسى أيضاً الحسن بن سفيان، وأبو نُعيم مختصراً كما في «الكنز» أيضاً (8/ 333).

* * *

تكلم الملائكة على لسانهم

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أبغض عمر فقد أبغضني، ومن أحبَّ عمر فقد أحبّني، وإن الله باهي بالناس عشية عرفة عامة، وباهى بعمر خاصّة، وإنه لم يبعث الله نبياً إلا كان في أمته مُحَدَّث، وإن يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر» قالوا: يا رسول الله، كيف مُحَدَّث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه. قال الهيثمي (9/ 69) وفيه أبو سعد خادم الحسن البصري ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. انتهى.

أخرج ابن جرير في «تاريخه» (3/ 118) عن أنس بن الحُلَيس قال: بينا نحن محاصرو بَهُرَسِير بعد زحفهم وهزيمتهم، أشرف علينا رسول فقال: إن المَلِك يقول لكم: هل لكم إلى المصالحة، على أن لنا ما يلينا من دجلة وجبلنا، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أما شبعتم - لا أشبع الله بطونكم؟ - فبدر الناسَ أبو مفزّر الأسود بن قُطبة، وقد أنطقه الله بما لا يدري ما هو ولا نحن، فرجع الرجل ورأيناهم يقطعون إلى المدائن، فقلنا: يا أبا مفزّر، ما قلتَ له؟ فقال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما أدري ما هو إلا أنَّ عليَّ سكينة، وأنا أرجو أن أكون قد أُنطِقت بالذي هو خير. وانتاب الناس يسألونه حتى سمع بذلك سعد، فجاءنا فقال: يا أبا مفزِّر، ما قلت؟ فوالله إنهم لهُرّاب!! فحدَّثه بمثل حديثه إيانا، فنادى في الناس، ثم نَهَد بهم وإن مجانيقنا لتخطِر عليهم، فما

ظهر على المدينة أحدٌ، ولا خرج إلينا إلا رجل نادى بالأمان، فآمناه، فقال: إن بقي فيها أحد فما يمنعكم، فتسوَّرها الرجال، وافتتحناها، فما وجدنا فيها شيئاً ولا أحداً، إلا أسارى أسرناهم خارجاً منها، فسألناهم وذلك الرجلَ: لأي شيء هربوا؟ فقالوا: بعث المَلِك إليكم يعرض عليكم الصلح، فأجبتموه بأنه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبداً حتى نأكل عسل أفريذين بأُترجّ كُوثى، فقال الملك: واويله!! ألاَ إنَّ الملائكة تَكَلَّم على ألسنتهم، تردُّ علينا، وتجيبنا عن العرب. والله لئن لم يكن كذلك، ما هذا إلا شيء أُلقي على في هذا الرجل لننتهي، فأرَزُوا إلى المدينة القُصوى.

* * *

نزول الملائكة لقرآنهم

أخرج البخاري ومسلم ـ واللفظ له ـ عن أبي سعيد الخدري، أن أُسَيد بن حُضَير رضي الله عنه، بنيما هو في ليلة يقرأ في مِرْبده، إذ جالت فرسه فقرأ، ثم جالت أخرى فقرأ، ثم جالت أخرى أيضاً، قال أُسيد: فخشيت أن تطأ يحيى، فقمت إليها، فإذا مثل الظُّلّة فوق رأسي، فيها أمثال السُّرُج، عَرَجَتْ في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوت على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، بينما أنا البارحة في جوف الليل أقرأ في مِربدي، إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير» قال: فقرأت: ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير» قال: فقرأت، ثم جالت أيضاً، ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير». قال: فانصرفتُ وكان يحيى قريباً منها، خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظُّلّة، فيها أمثال السّرج، عرجتْ في الجو حتى ما أراها، فقال

رسول الله ﷺ: «تلك الملائكة (كانت) تستمع لك، ولو قرأتَ لأصبحتْ يراها الناس ما تستتر منهم». وأخرجه الحاكم بنحوه باختصار وقال: صحيح على شرط مسلم. وقال فيه: فالتفتُ فإذا أمثال المصابيح، قال: مُدَلاّةٌ بين السماء والأرض، فقال: يا رسول الله، ما استطعت أن أمضي. فقال: «تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن، أما إنك لو مضيتَ لرأيتَ العجائب». كذا في «الترغيب» (3/ 13). وأخرجه ابن حِبّان (779) والطبراني (1/ 566) والبيهقي عن أُسَيد بن حُضَير نحو رواية الحاكم كما في «الكنز» (7/ 7). وأخرجه أيضاً أبو عُبيد في «فضائله»، وأحمد، والبخاري معلَّقاً، والنَّسائي وغيرهم عنه مختصراً، وقال فيه: «تلك الملائكة دَنَت لصوتك، ولو قرأت لأصبح الناس حتى ينظروا إليها لا تتوارى منهم».

* * *

تولي الملائكة غسل جنائزهم

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 357) عن محمود بن لبيد عن حنظلة بن أبي عامر أخي بني عمرو بن عوف رضي الله عنه، أنه التقى هو وأبو سفيان بن حرب يوم أحد، فلما استعلاه حنظلة، رآه شدّاد بن الأسود ـ وكان يقول له: ابن شَعُوب ـ قد علا أبا سفيان، فضربه شدّاد، فقتله، فقال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم ـ يعني حنظلة ـ لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه» فسئلت صاحبته، فقالت: خرج وهو جُنُبٌ حين سمع الهاتفة، فقال رسول الله ﷺ: «لذلك غسلته الملائكة».

وأخرجه ابن إسحاق في «المغازي» عن عاصم بن عمر، وأخرج السرّاج من طريق ابن إسحاق أيضاً عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده ـ نحوه، كما في «الإصابة» (1/ 361). وأخرجه الحاكم (3/ 204) من طريق إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله عن أبيه عن جده ـ بمعناه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

أخرج ابن سعد (3/ 427) عن محمود بن لبيد، قال: لما أصيب أكحَل سعد يوم الخندق، فثقل، حوّلوه عند امرأة يقال لها: رُفَيدة ـ فذكر الحديث. وفيه: فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه، فأسرع المشي حتى تقطّعت شُسوع نعالنا، وسقطت أرديتنا عن أعناقنا، فشكا ذلك إليه

أصحابه: يا رسول الله، أتعبتنا في المشي. فقال: «إني أخاف أن تسبقنا الملائكة إليه، فتغسله كما غسلت حنظلة».

وأخرجه أيضاً (3/ 423) عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: فنام رسول الله ﷺ، فأتاه ملك ـ أو قال: جبريل ـ حين استيقظ، فقال: من رجل من أمتك مات الليلة، استبشر بموته أهل السماء؟ قال: «لا أعلم إلا أن سعداً أمسى دَنِفاً، ما فعل سعد»؟ قالوا: يا رسول الله، قد قُبِض، وجاءه قومه فاحتملوه إلى ديارهم. قال: فصلّى رسول الله ﷺ الصبح، ثم خرج ومعه الناس، فبتَّ الناس مشياً حتى إن شُسُوع نعالهم لتنقطع من أرجلهم، وإن أرديتهم لتقع عن عواتقهم، فقال له رجل: يا رسول الله، قد بَتَتَّ الناس. قال فقال: «إني أخشى أن تسبقنا إليه الملائكة كما سبقتنا إلى حنظلة».

* * *

حفاوة الملائكة بجنائزهم

أخرج الشيخان عن جابر رضي الله عنه، أنه لما قتل أبوه جعل يكشف عن (وجهه) الثوب ويبكي، فنهاه الناس، فقال رسول الله ﷺ: «تبكيه أو لا تبكيه، لم تزل الملائكة تظلُّه (بأجنحتها) حتى رفعتموه». كذا في «البداية» (4/ 44). وعند ابن سعد (3/ 561) عنه: «ما زالت الملائكة تظلُّه بأجنحتها حتى رفعتموه».

أخرج ابن سعد (3/ 428) عن سلمة بن أسلم رضي الله عنه، قال: رأيت رسول الله ﷺ، ونحن على الباب نريد أن ندخل على أثره، فدخل رسول الله ﷺ وما في البيت أحد إلا سعد مُسجَّىً، قال: فرأيته يتخطى، فلما رأيته وقفت وأومأ إليَّ: قف، فوقفت ورددتُ مَنْ ورائي، وجلس ساعة، ثم خرج، فقلت: يا رسول الله، ما رأيت أحداً، وقد رأيتك تتخطَّى، فقال رسول الله ﷺ: «ما قدرت على مجلس، حتى قبض لي ملك من الملائكة أحد جناحيه، فجلست» ورسول الله ﷺ يقول: «هنيئاً لك أبا عمرو!! هنيئاً لك أبا عمرو!! هنيئاً لك أبا عمرو!!.

وأخرج البزّار (2698) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد نزل لسعد بن معاذ سبعون ألف ملك، ما وطئوا الأرض قبلها» وقال حين دفن: «سبحان الله!! لو انفلت أحد من ضغطه القبر، لانفلت منها سعد». قال الهيثمي (9/ 308): رواه البزّار بإسنادين

ورجال أحدهما رجال الصحيح ـ انتهى. وأخرجه ابن سعد (3/ 430) عن ابن عمر بمعناه.

وعند ابن سعد (3/ 429) أيضاً عن سعد بن إبراهيم، قال: لما أُخرج سرير سعد، قال ناس من المنافقين: ما أخف جنازة سعد ـ أو: سرير سعد؟! فقال رسول الله ﷺ: «لقد نزل سبعون ألف ملك، شهدوا جنازة سعد ـ أو: سرير سعد ـ ما وطئوا الأرض قبل اليوم».

وعنده أيضاً (3/ 430) عن الحسن، قال: لما مات سعد بن معاذ رضي الله عنه ـ وكان رجلاً جسيماً جَزْلاً ـ جعل المنافقون وهم يمشون خلف سريره، يقولون: لم نرَ كاليوم رجلاً أخفّ، وقالوا: أتدرون لم ذاك؟ ذاك لحكمه في بني قريظة، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده، لقد كانت الملائكة تحمل سريره».

* * *

رعبهم في قلوب الأعداء

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن معاوية بن حَيْدة القُشيري قال: أتيت النبي ﷺ، فلما دُفعت إليه، قال: «أما إني قد سألت الله أن يغنيني بالسَّنة تحفيكم، وبالرعب يجعله في قلوبكم». فقال بيديه جميعاً: أما إني قد حلفت هكذا، وهكذا، أن لا أومن بك، ولا أتَّبعك، فما زالت السَّنة تحفيني، وما زال الرعب يُجعل في قلبي (حتى) قمتُ بين يديك. قال الهيثمي (6/ 66): إسناده حسن، ورواه النَّسائي وغيره غير ذكر الرعب والسَّنَة. انتهى.

أخرج البيهقي عن السائب بن يَسَار، عن يزيد بن عامر السُّوائي، قال: فنحن نسأله عن الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين، كيف كان؟ قال: فكان يأخذ لنا بحصاة، فيرمي بها في الطَّست، فيطنُّ، قال: كنا نجد في أجوافنا مثل هذا. كذا في «البداية» (4/ 333).

* * *

بطش الأعداء

أخرج ابن سعد (1/ 188) عن زيد بن أسلم، وغيره، أن سراقة بن مالك ركب في طلب النبي ﷺ بعدما استقسم بالأزلام؛ أيخرج أم لا يخرج، فكان يخرج له أن لا يخرج - ثلاث مرات - فركب فلحقهم، فدعا النبي ﷺ أن ترسَخ قوائم فرسه، فرسخت فقال يا محمد، ادعُ الله أن يطلق فرسي فأردَّ عنك. فقال النبي ﷺ: «اللهمَّ إن كان صادقاً، فأطلق له فرسه». فخرجت قوائم فرسه.

وأخرجه أيضاً (1/ 232) عن عمير بن إسحاق، وفي روايته: فقال: يا هذان، ادعُوَا لي الله ولكما ألا أعود. فدعَوَا الله، فعاد فساخت، فقال: ادعُوَا لي الله ولكما ألا أعود. قال: وعرض عليهما الزاد والحُمْلان، فقالا: «اكفِنا نفسَك» فقال: قد كفيتُكماها.

وعنده أيضاً في حديث طويل في الهجرة، عن أبي معبد الخزاعي فقال: يا محمد، ادعُ الله أن يطلق فرسي، وأرجع عنك وأرد مَنْ ورائي. ففعل، فأُطلق ورجع، فوجد الناس يلتمسون رسول الله ﷺ، فقال: ارجعوا فقد استبرأتُ لكم ما ههنا، وقد عرفتم بصري بالأثر، فرجعوا عنه.

وأخرج ابن سعد (1/ 235) عن أنس بن مالك رضي الله عنه - فذكر الحديث في الهجرة، وفيه: والتفت أبو بكر رضي الله عنه، فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا نبي الله، هذا فارس قد لحق بنا. قال:

فالتفت نبي الله ﷺ، فقال: «اللهمَّ اصرعْه» قال: فصرعتْه فرسه، ثم قامت تُحَمْحِم، قال: فقال: يا نبي الله، مُرْني بما شئت. قال: فقال: «قف مكانك فلا تتركنَّ أحداً يلحق بنا». قال: فكان أول النهار جاهداً على رسول الله ﷺ، وكان آخر النهار مسْلحة له. وقد تقدّمت في (1/ 340) قصة سراقة من حديث البراء رضي الله عنه عند أحمد في باب الهجرة في هجرة النبي ﷺ.

أخرج الطبراني (10/ 10760) عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن أربَد بن قيس وعامر بن الطفيل، قدما المدينة على رسول الله ﷺ، فانْتَهيا إليه وهو جالس، فجلسا بين يديه، فقال عامر بن الطفيل: يا محمد، ما تجعل لي إن أسلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: «لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم». قال عامر بن الطفيل: أتجعل لي الأمر إن أسلمت من بعدك؟ قال رسول الله ﷺ: «ليس ذلك لك ولا لقومك، ولكن لك أعنَّةُ الخيل». قال: أنا الآن في أعنة خيل نجد، اجعل لي الوَبر ولك المَدَر، قال رسول الله ﷺ: «لا،». فلما قفلا من عنده، قال عامر: أما والله، لأملأنَّها عليك خيلاً ورجالاً. فقال له رسول الله ﷺ: «يمنعك الله» فلما خرج أربَد وعامر، قال عامر: يا أربد، أنا أشغل عنك محمداً بالحديث؛ فاضربه بالسيف، فإن الناس إذا قتلتَ محمداً لم يزيدوا على أن يرضَوا بالدِّية، ويكرهوا الحرب، فنعطيهم الدِّية؛ قال أربَد: أفْعَلُ. فأقبلا راجعين إليه، فقال عامر: يا محمد، قم معي أكلمك. فقام معه رسول الله ﷺ، فجلسا إلى الجدار. ووقف معه رسول الله ﷺ يكلّمه، وسلّ أربَد السيف، فلما وضع يده على السيف، يبست يده على قائم السيف، فلم يستطع سَلَّ السيف، فأبطأ أربد على عامر بالضرب، فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أربَد وما يصنع، فانصرف عنهما، فلما خرج عامر

وأربَد من عند رسول الله ﷺ، حتى إذا كان بالحرة ـ حرة واقم ـ نزلا، فخرج إليهما سعد بن معاذ وأُسَيد بن حُضير رضي الله عنهما، فقالا: اشخَصَا يا عدوي الله، لعنكما الله. فقال عامر: ما هذا يا سعد؟ قال: هذا أُسيد بن حُضير الكتائب. فخرجا حتى إذا كانا بالرَّقْم أرسل الله على أربَد صاعقة فقتلته، وخرج عامر حتى إذا كان بالجريم أرسل الله قُرحة، فأخذته، فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول، فجعل يمسُّ قرحته في حلقه ويقول: غُدّة كغدَّة الجمل، في بيت سَلُولية، يرغب أن يموت في بيتها، ثم ركب فرسه، فأحضره حتى مات عليه راجعاً، فأنزل الله فيهما ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: 11]، قال: المعقِّبات من أمر الله يحفظون محمداً ﷺ، ثم ذكر أربَد وما قَتَله به، فقال: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ [الرعد: 13] ـ الآية. كذا في «التفسير» لابن كثير (2/ 506).

* * *

هزيمة الأعداء برمي الحصاة والتراب

أخرج الطبراني (3/ 3368)، وأبو نُعيم، وابن عساكر، عن الحارث بن بَدَل قال: شهدت رسول الله ﷺ يوم حُنَيْن، فانهزم أصحابه أجمعون إلا العباس بن عبد المطلب، وأبا سفيان بن الحارث رضي الله عنهما، فرمى رسول الله ﷺ وجوهنا بقبضة من الأرض، فانهزمنا. فما خُيِّل إليَّ أن شجراً، ولا حجراً، إلا وهو في آثارنا. كذا في «الكنز» (5/ 304). وأخرجه ابن منده، وابن عساكر عنه مختصراً، كما في «الكنز».

وأخرج يعقوب بن سفيان، عن عمرو بن سفيان الثقفي وغيره، قال: انهزم المسلمون يوم حُنَين، فلم يبقَ مع رسول الله ﷺ إلا عباس، وأبو سفيان بن الحارث، قال: فقبض رسول الله ﷺ من الحصباء، فرمى بها في وجوههم، قال: فانهزمنا، فما خُيِّل إلينا، إلاَّ أنَّ كل حجر، أو شجر فارس يطلبنا. قال الثقفي: فأعْجَزْتُ على فرسي حتى دخلت الطائف. كذا في «البداية» (4/ 332).

أخرج الطبراني في «الكبير» (3/ 3128) و«الأوسط» عن حكيم بن حِزام، قال: سمعنا صوتاً وقع من السماء إلى الأرض، كأنه صوت حصاة في طَسْت، ورمى رسول الله ﷺ بتلك الحصاة، فانهزمنا. قال الهيثمي (6/ 84): إسناده حسن.

وعنده أيضاً (3/ 3128) عنه، قال: لـمَّا كان يوم بدر أمر

رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من الحصى، فاستقبلنا به، فرمى بها، وقال: «شاهت الوجوه»، فانهزمنا، فأنزل الله عز وجل ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]. قال الهيثمي (6/ 84) إسناده حسن.

وعنده أيضاً (10/ 11750)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنَّ النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: «ناولني كفًّا من حصى». فناوله، فرمى به وجوه القوم، فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء، فنزلت ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾. قال الهيثمي (6/ 84): رجاله رجال الصحيح ـ اهـ.

وعند البيهقي من حديث يزيد بن عامر السُّوائي رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ قبضة من الأرض، ثم أقبل على المشركين، فرمى بها وجوههم، وقال: «ارجعوا، شاهت الوجوه» فما أحد يلقى أخاه إلا وهو يشكو قذى في عينيه. كذا في «البداية» (4/ 333).

* * *

تقليل الأعداء في أعينهم

أخرج الطبراني (10/ 10269) عن عبد الله ـ يعني ابن مسعود رضي الله عنه ـ قال: لقد قُلِّلوا في أعيننا يوم بدر؛ حتى قلت لصاحبي الذي إلى جانبي أتراهم سبعين؟ قال؛ أراهم مائة، حتى أخذنا منهم رجلاً، فسألناه، قال: كنا ألفاً. كذا في «المجمع» (6/ 84). وأخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير عن ابن مسعود ـ نحوه، كما في «التفسير» لابن كثير (2/ 315).

* * *

النصرة بالصَّبا

أخرج ابن سعد (2/ 71) عن سعيد بن جبير، قال: كان يوم الخندق بالمدينة، قال: فجاء أبو سفيان بن حرب ومن تبعه من قريش، ومن معه من كنانة، وعيينة بن حصن ومن تبعه من غطفان، وطليحة ومن تبعه من بني أسد، وأبو الأعور ومن تبعه من سُلَيم، وقريظة كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فنقضوا ذلك، وظاهروا المشركين، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ﴾ [الأحزاب: 26] فأتى جبريل عليه السلام ومعه الريح، فقال حين رأى جبريل: «ألا أبشروا» ثلاثاً، فأرسل الله عليهم الريح، فهتكت القباب، وكفأت القدور، ودفنت الرِّحال، وقطعت الأوتاد، فانطلقوا لا يلوي أحد على أحد، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ [الأحزاب: 9] فرجع رسول الله ﷺ.

وعنده أيضاً (2/ 77) عن حُمَيد بن هلال قال: كان بين النبي ﷺ وبين قريظة وَلْثٌ من عهد، فلما جاءت الأحزاب بما جاؤوا به من الجنود، نقضوا العهد، وظاهروا المشركين على رسول الله، فبعث الله الجنود والريح، فانطلقوا هاربين، وبقي الآخرون في حصنهم ـ فذكر الحديث في غزوة بني قريظة.

وأخرج البزّار (1811) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أتت الصَّبا الشَّمالَ ليلة الأحزاب، فقالت: مُرِّي حتى تنصري رسول الله ﷺ، فقالت الشَّمالُ: إن الحُرَّة لا تسري بالليل. فكانت الريح التي نُصر بها رسول الله ﷺ الصَّبا. قال الهيثمي (6/ 66): رجاله رجال الصحيح. وأخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وابنُ جرير عن عكرمة ـ بمعناه، كما في «التفسير» لابن كثير (3/ 470).

خسف الأعداء وهلاكهم

أخرج البزّار (1799) عن بُريدة رضي الله عنه، أن رجلاً قال يوم أحد: اللهمَّ إن كان محمد على الحق فاخسف بي، قال: فخسف به. قال الهيثمي (6/ 122): رجاله رجال الصحيح.

وأخرج أبو نعيم في «الدلائل» (ص 176) عن نافع بن عاصم قال: الذي دمَّى وجه رسول الله ﷺ عبد الله بن قميئة رجل من هذيل، فسلّط الله عليه تَيْساً فنطحه حتى قتله.

* * *

ذهاب البصر بدعواتهم

أخرج أحمد عن عبد الله بن مُغَفَّل المزني رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ بالحديبية... فذكر الحديث في صلح الحديبية وفيه: فبينا نحن كذلك، خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ الله أبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال رسول الله ﷺ: «هل جئتم في عهد أحد؟ وهل جعل لكم أحد أماناً»؟ قالوا: لا، فخلّى سبيلهم، فأنزل الله عز وجل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: 24]. قال الهيثمي (6/ 145): رجال رجال الصحيح. اهـ. وأخرجه النَّسائي نحوه، كما في «التفسير» لابن كثير (4/ 192).

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن زاذان، أن علياً رضي الله عنه حدَّث بحديث فكذبه رجل، فقال له علي: أدعو عليك إن كنت كاذباً؟ قال: ادعُ. فدعا عليه فلم يبرح حتى ذهب بصره. قال الهيثمي (9/ 116): وفيه عمّار الحضرمي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 211) عن عمّار قال: حدث عليّ رجلاً بحديث فكذّبه، فما قام حتى أعمي.

وعند ابن أبي الدنيا عن زاذان، أن رجلاً حدّث علياً رضي الله عنه

بحديث، فقال: ما أراك إلا قد كذبتني. قال: لم أفعل، قال: أدعو عليك إنت كنت كذبت؟، قال: ادعُ. فدعا فما برح حتى عمي. كذا في «البداية» (8/ 5).

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 96) عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن مروان أرسل إلى سعيد بن زيد رضي الله عنه ناساً يكلِّمونه في شأن أروى بنت أويس، - وخاصمته في شيء - فقال: يروني أظلمها؛ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ظَلَم شبراً من الأرض طوِّقه يوم القيامة من سبع أرضين». اللهمَّ إن كانت كاذبة فلا تُمْتها حتى يعمِّي بصرها، وتجعل قبرها في بئرها، قال: فوالله ما ماتت حتى ذهب بصرها، وخرجت تمشي في دارها وهي حَذِرة فوقعت في بئرها. وكانت قبرها. وأخرجه أيضاً عن عروة - نحوه.

وعنده أيضاً (1/ 97) عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أن أروى اسْتَعْدت على سعيد بن زيد - رضي الله عنه - إلى مروان بن الحكم، فقال سعيد: اللهمَّ إنها قد زعمت أني ظلمتها، فإن كانت كاذبت فأعم بصرها، وألقها في بئرها، وأظهر من حقي نوراً، يبيِّن للمسلمين أني لم أظلمها. قال: فبينا هم على ذلك إذ سال العقيق بسيل لم يسل مثله قط، فكشف عن الحد الذي كانا يختلفان فيه، فإذا سعيد قد كان في ذلك صادقاً، ولم تلبث إلا شهراً حتى عميت، فبينا هي تطوف في أرضها تلك، إذ سقطت في بئرها، قال: فكنّا ونحن غلمان نسمع الإنسان يقول للإنسان: أعماك الله كما أعمى الأروى، فلا نظنُّ إلا أنه يريد الأروى التي من الوحش، فإذا هو إنما كان ذلك لما أصاب أروى من دعوة سعيد بن زيد، وما يتحدّث الناس به مما استجاب الله له سؤله.

أخرج الطبراني (3/ 2830) عن أبي العُطاردي قال: لا تسبُّوا علياً ولا أحداً من أهل البيت، فإن جاراً لنا من بَلْهُجَيْم، قال: ألم تروا إلى هذا الفاسق الحسين بن علي قتله الله؟ فرماه بكوكبين في عينيه فطمس الله بصره. قال الهيثمي (9/ 196): رجاله رجال الصحيح. انتهى.

* * *

رد البصر بدعواتهم

أخرج أبو نُعيم في «دلائل النبوة» (ص 63) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في المسجد، فيجهر بالقراءة حتى تأذى به ناس من قريش، حتى قاموا ليأخذوه، وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم، وإذا هم عُمْي لا يبصرون، فجاؤوا إلى النبي ﷺ، فقالوا: ننشدك الله والرَّحِمَ يا محمد ـ قال: ولم يكن بطن من بطون قريش إلا وللنبي ﷺ فيهم قرابة ـ فدعا النبي ﷺ حتى ذهب ذلك عنهم، فنزلت ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ ـ إلى قوله تعالى: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: 1 ـ 10]، قال: فما آمن من أولئك النفر أحد.

أخرج الطبراني (9/ 12) عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه، قال: أُهدي إلى رسول الله ﷺ قوس، فدفعها رسول الله ﷺ إليَّ يوم أحد، فرميت بها بين يدي رسول الله ﷺ حتى اندقت سِيَتها، ولم أَزُل عن مقامي نصب وجه رسول الله ﷺ ألقى السهام بوجهي، كلما مال سهم منها إلى وجه رسول الله ﷺ ميَّلت وجهي ورأسي؛ لأقي وجه رسول الله ﷺ بلا رمي أرميه، فكان آخرها سهماً نَدَرت منه حدَقتي على خدِّي، وافترق الجمع، فأخذت حدقتي بكفي، فسعيت بها في كفي إلى رسول الله ﷺ، فلما رآها رسول الله ﷺ دمعت عيناه، فقال: «اللهمَّ إن قتادة قد وقى نبيَّك بوجهه، فاجعلها أحسن عينيه، وأحدَّهما نظراً».

فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما نظراً. قال الهيثمي (8/ 297): في إسناده من لم أعرفهم - اهـ. وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 174) عن قتادة نحوه، وابنُ سعد (3/ 453): عن عاصم ابن عمر بن قتادة مختصراً.

وأخرجه الدارقطني، وابن شاهين، عن محمود بن لبيد عن قتادة رضي الله عنه، أنه أصيبت عينه يوم أحد، فوقعت على وجنته، فردّها النبي ﷺ، فكانت أصحَّ عينيه. وأخرج الدارقطني والبيهقي عن أبي سعيد الخدري عن قتادة - نحوه. كذا في «الإصابة» (3/ 225). وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 174) عن قتادة. نحوه، وفي روايته: فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما.

وأخرج البغوي، وأبو يَعْلى (1549)، عن عاصم بن عمر بن قتادة عن قتادة بن النعمان، أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فقالوا: لا، حتى نستأمر رسول الله ﷺ. فاستأمروه، فقال: «لا» ثم دعا به، فوضع راحته على حدقته ثم غمزها، فكان لا يدري أي عينيه ذهب. كذا في «الإصابة» (3/ 225). قال الهيثمي (8/ 298): وفي إسناد أبي يعلى يحيى بن عبد الحميد الحِمّاني وهو ضعيف.

أخرج أبو يَعْلى (1550) عن عبد الرحمٰن بن الحارث بن عبيدة عن جدِّه، قال: أصيبت عين أبي ذر رضي الله عنه يوم أحد، فبزق فيها النبي ﷺ فكانت أصحَّ عينيه. قال الهيثمي (8/ 298): وفيه عبد العزيز بن عِمران وهو ضعيف.

وأخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 223) عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه، قال: لما كان يوم بدر رُميت بسهم ففقئت عيني، فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لي، فما آذاني منها شيء.

وأخرج ابن أبي شيبة (7/ 445) عن رجل من بني سَلاَمان عن أمه، أن خالها حبيب بن فُوَيك حدَّثها أن أباه خرج به إلى رسول الله ﷺ، وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئاً، فسأله فقال: كنت أروِّض جملاً لي فوقعت رجلي على بيض حية فأصيب بصري؛ فنفث في عينيه فأبصر، قال: فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وإنه لابن ثمانين وإن عينيه لمبيضتان. قال ابن السَّكَن: لم يروه غير محمد بن بشر ولا أعلم لحبيب غيره. كذا في «الإصابة» (1/ 308).

وأخرجه الطبراني (4/ 3546) أيضاً عن رجل من سَلاَمان بن سعيد عن أمه ـ مثله إلا أن في روايته: كنت أمري جمالي. قال الهيثمي (8/ 298): وفيه من لم أعرفهم ـ اهـ. وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 223) بهذا الإسناد ـ نحوه، وفي روايته: أمرن جملي.

أخرج الفاكهاني، وابن مَنْده، عن سعد بن إبراهيم، قال: كانت زِنِّيرة رومية فأسلمت ـ رضي الله عنها فذهب بصرها، فقال المشركون: أعمتها اللاَّت والعُزَّى. فقالت: إني كفرت باللاَّت والعزّى. فردّ الله إليها بصرها.

وعند محمد بن عثمان بن أبي شيبة في «تاريخه» عن أنس رضي الله عنه قال: قالت لي أم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها: أعتق أبو بكر زِنِّيرة ـ رضي الله عنهما ـ فأصيب بصرها حين أعتقها. فقالت قريش:

ما أذهب بصرها إلا اللاَّت والعُزَّى. فقالت: كذبوا، وبيت الله ما يُغني اللاَّت والعُزَّى ولا ينفعان. فردَّ الله إليها بصرها. كذا في «الإصابة» (4/ 312).

المجلد الثاني

حياة الصحابة

تأليف

محمد بن يوسف الكاندهلوي

نوبليس

حَيَاةُ الصَّحَابَة

تأليف

محمد بن يوسف الكاندهلوي

قدّم له

أبو الحسن علي الحسني الندوي

المجلد الثالث

نوبليس

اسم المجموعة:	حياة الصحابة
اسم الكتـاب:	المجلد الثالث
المـؤلـــف:	محمد بن يوسف الكاندهلوي
التدقيق والمراقبة:	قسم الدراسات في دار نوبليس
قيـاس الكتـاب:	17 × 24
عدد الصفحات:	200
عدد صفحات المجموعة:	2400
مكـان النشـر:	بيروت
دار النشر والتوزيع:	دار نوبليس
تلفاكس:	961 (1) 58 34 75
هاتـــف:	961 (1) 58 11 21 - 961 (3) 58 11 21
بريد إلكتروني:	NOBILIS_INTERNATIONAL@hotmail.com
الطبعة الأولـى:	2006

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هجرة أبي سلمة وأم سَلَمة
رضي الله عنهما إلى المدينة

أخرج ابن إسحاق عن أم سَلَمة رضي الله عنها قالت: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحّل لي بعيره، ثم حملني عليه، وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حِجري، ثم خرج يقود بي بعيره. فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبْتَنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده وأخذوني منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سَلَمة وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا. قالت: فتجاذبوا ابني سَلَمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة؛ قالت: ففُرّق بيني وبين ابني وبين زوجي. قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريباً منها؛ حتى مرّ بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمني. فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟ قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت. قالت: فردّ بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني. قالت: فارتحلت بعيري، ثم أخذت ابني فوضعته في حجْري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة.

قالت: وما معي أحد من خلق الله. حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار. فقال: إلى أين يا ابنة أبي أُمية؟ قلت: أُريد زوجي بالمدينة. قال: أو ما معك أحد؟ قلت: ما معي أحد إلا الله وبُنيّ هذا. فقال: والله ما لك من مترك. فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي؛ فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قطُّ أرى أنه كان أكرم منه. كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحطَّ عنه، ثم قيّده في الشجر، ثم تنحّى إلى شجرة فاضطجع تحتها. فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحَّله، ثم استأخر عني وقال: اركبي، فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي، فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة. فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقُباء قال: زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها نازلاً - فادخليها على بركة الله. ثم انصرف راجعاً إلى مكة. فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سَلَمة؛ وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة. أسلم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري هذا بعد الحديبية، وهاجر هو وخالد بن الوليد رضي الله عنهما معاً. كذا في البداية (3/ 169).

* * *

هجرة صُهَيْب بن سنان
رضي الله عنه

أخرج البيهقي عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُريت دار هجرتكم سَبْخَة بين ظهراني حرّتين، فإما أن تكون هَجَر أو تكون يثرب». قال: وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة وخرج معه أبو بكر رضي الله عنه، وكنت قد هممت معه بالخروج فصدني فتيان من قريش، فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد، فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه ـ ولم أكن شاكياً ـ فناموا. فخرجت ولحقني منهم ناس بعدما سرتُ بريداً ليردوني، فقلت لهم: إن أعطيتكم أواقيّ من ذهب وتخلوا سبيلي وتوفون لي؟ ففعلوا، فتبعتهم إلى مكة فقلت: احفروا تحت أُسْكُفَّة الباب فإن بها أواقيّ؛ واذهبوا إلى فلانة فخذوا الحُلَّتَين. وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ بقُباء قبل أن يتحوّل منها. فلما رآني قال: «يا أبا يحيى ربح البيع!!» فقلت: يا رسول الله، ما سبقني إليك أحد، وما أخبرك إلا جبرائيل عليه السلام. كذا في «البداية» (3/ 173). وأخرجه الطبراني أيضاً نحوه ـ قال الهيثمي (6/ 60): وفيه جماعة لم أعرفهم. انتهى. وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 152).

وأخرج أيضاً هو وابن سعد (3/ 162)، والحارث، وابن المنذر، وابن عساكر، وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيَّب أنَّ صهيباً رضي الله عنه أقبل مهاجراً نحو النبي ﷺ، فتبعه نفر من قريش مشركون، فنزل

فانتثل كنانته فقال: قد علمتم يا معشر قريش أني أرماكم رجلاً بسهم، وايْمُ الله لا تصلون إليَّ حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي، ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه (شي)، ثم شأنكم بعد ذلك. وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وتخلُّوا سبيلي. قالوا: نعم، فتعاهدوا على ذلك فدلَّهم. فأنزل الله على رسوله القرآن: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: 207] ـ حتى فرغ من الآية. فلما رأى النبي ﷺ صهيباً قال: «ربح البيع يا أبا يحيى!! ربح البيع يا أبا يحيى!!» وقرأ عليه القرآن. كذا في «كنز العمال» (1/ 237). وأخرجه أيضاً ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» (2/ 180) عن سعيد نحوه. وأخرج الحاكم في «المستدرك» (3/ 398) من طريق سليمان بن حرب عن حمّاد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال: لما خرج صهيب رضي الله عنه مهاجراً تبعه أهل مكة، فنثل كنانته فأخرج منها أربعين سهماً، فقال: لا تصلون إليّ حتى أضع في كل رجل منكم سهماً، ثم أصير بعد إلى السيف فتعلمون أني رجل، وقد خلَّفت بمكة قينتين فهما لكم. قال: وحدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه ـ نحوه: ونزلت على النبي ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: 207] ـ الآية. فلما رآه النبي ﷺ قال: «أبا يحيى ربح البيع». قال: وتلا عليه الآية. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه.

وأخرجه أيضاً ابن أبي خَيْثمة بمعناه كما في «الإصابة» (2/ 195)، وقال: ورواه ابن سعد أيضاً من وجه آخر عن أبي عثمان النَّهْدي، ورواه الكلبي في «تفسيره» عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وله طريق أخرى. انتهى.

وأخرجه ابن مَرْدَويه من طريق أبي عثمان النَّهدي عن صهيب

رضي الله عنه قال: لمَّا أردت الهجرة من مكة إلى النبي ﷺ قالت لي قريش: يا صهيب، قدمتَ إلينا ولا مال لك، وتخرج أنت ومالك، والله لا يكون ذلك أبداً. فقلت لهم: أرأيتم إن دفعت إليكم مالي تخلّون عني؟ قالوا: نعم. فدفعت إليهم مالي، فخلَّوْا عني؛ فخرجت حتى قدمت المدينة. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ربح صهيب، ربح صهيب» مرتين. كذا في «التفسير» لابن كثير (1/ 247). وأخرجه ابن سعد (3/ 162) من طريق أبي عثمان - بنحوه.

* * *

هجرةُ عَبْدِ اللّهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 303) عن عمر بن محمد بن زيد عن أبيه قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذ مرّ برَبْعهم - وقد هاجر منه - غمَّض عينيه ولم ينظر إليه ولم ينزله قط. وعند البيهقي في «الزهد» بسند صحيح عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر يقول: ما ذكر ابن عمر رسول الله ﷺ إلا بكى، ولا مرّ على رَبْعهم إلا غمَّض عينيه. كذا في الإصابة (2/ 349).

* * *

هجرةُ عَبْدِ بن جَحْشٍ رضي الله عنه

أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن عبد بن

جحش رضي الله عنه، وكان آخر من بقي ممّن هاجر، وكان قد كُفَّ بصره؛ فلما أجمع على الهجرة كرهت امرأته ذلك بنت (أبي سفيان بن حرب بن أمية)، وجعلت تشير عليه أن يهاجر إلى غيره، فهاجر بأهله وماله مكتتماً من قريش حتى قدم المدينة على رسول الله ﷺ. فوثب أبو سفيان بن حرب فباع داره بمكة، فمرّ بها بعد ذلك أبو جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والعباس بن عبد المطلب، وحويطب بن عبد العزى وفيها أُهُبٌ معْطُونة، فذرفت عينا عتبة وتمثل ببيت من شعر:

وكلُّ دار وإن طالت سلامتها
يوماً ستدركها النكباء والحوب

قال أبو جهل - وأقبل على العباس - فقال: هذا ما أدخلتم علينا. فلما دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح قام أبو أحمد يَنشُد داره. فأمر النبي ﷺ عثمان بن عفان، فقام إلى أبي أحمد فانتحاه، فسكت أبو أحمد عن نشيد داره. قال ابن عباس رضي الله عنهما: وكان أبو أحمد يقول - والنبي ﷺ متكيء على يده يوم الفتح -:

حبذا مكة من وادي
بها أمشي بلا هادي
بها يكثر عُوّادي
بها تركز أوتادي

قال الهيثمي (6/ 64): وفيه عبد الله بن شبيب وهو ضعيف ا هـ.

قال ابن إسحاق: كان أول من قدم المدينة من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة، وعبد الله بن جحش رضي الله عنهما، احتمل بأهله

وبأخيه عبد أبي أحمد. وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البصر، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد، وكان شاعراً وكانت عنده الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت أُمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنها فغُلِّقت دار بني جحش هجرة، فمرّ بها عتبة فذكر قصتهم بمعنى ما تقدم كما في «البداية» (3/ 170). فالظاهر أنه سقط ذكر أبي أحمد في الحديث، أو عبد الله تصحيفاً. والصحيح عبد بن جحش فإنه كان ضرير البصر، لا أخوه عبد الله بن جحش. وقال: أبو أحمد بن جحش هذا في هجرتهم كما ذكر ابن كثير في «البداية» عن ابن إسحاق (3/ 171):

ولـمَّـا رأتـنـي أم أحـمـدَ غـاديـاً
بذمّة من أخشى بغيب وأرهَبُ
تـقـول فـإمّـا كـنـت لا بـدَّ فـاعـلاً
فيمّم بنا البلدان وَلْتَنْأَ يثربُ
فـقـلـت لـهـا مـا يـثـرب بـمـظِـنّـة
وما يشا الرحمن فالعبد يركب
إلى الله وجهي والرسول ومن يُقم
إلى الله يوماً وجهه لا يُخَيَّب
فكم قد تركنا من حميم مناصح
وناصحة تبكي بدمع وتندُب
ترى أنّ وِتْراً نائينا عن بلادنا
ونحن نرى أن الرغائب نَطْلُب
دعوت بني غَنْم لِحَقْنِ دمائهم
وللحق لما لاح للناس مَلْحَب

أجــابــوا بــحــمــد الله لــمّــا دعــاهــم
إلــى الــحــق داعٍ والــنــجــاحِ فــاوْعــبــوا
وكــنــا وأصــحــابــاً لــنــا فــارقــوا الــهــدى
أعــانــوا عــلــيــنــا بــالــسـلام وأجــلــبــوا
كــفَــوجــيــن امــا مــنــهــمــا فــمــوفَّــق
عــلــى الــحــق مــهــدي وفــوج مــعــذَّب
طَــغَــوا وتــمــنَّــوا كــذبــة وأزلــهــم
عن الــحــق إبــلــيــس فــخــابــوا وخــيّــبــوا

* * *

هجرة ضَمْرة بن أبي العيص أو ابن العيص

أخرج الفريابي عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: لما أنزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: 95] ـ الآية. ثم ترخَّص عنها أناس من المساكين ممّن بمكة حتى نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: 97] ـ الآية. فقالوا: هذه مُرْجفة حتى نزلت: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ [النساء: 98]، فقال ضمرة بن العيص ـ أحد بني لَيْث وكان مُصاب البصر، وكان موسِراً ـ: لئن كان ذهاب بصري إني لأستطيع الحيلة، لي مال ورقيق، احملوني. فحُمل ودَبَّ وهو مريض، فأدركه الموت وهو عند التَّنْعيم؛ فدفن عند مسجد التَّنْعيم. فنزلت فيه خاصة: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ ـ حتى بلغ ـ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 100] ـ الآية. وعلّقهُ ابن مَنْده لهُشَيم عن سالم.

وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق إسرائيل عن سالم الأفطس،

فقال: عن سعيد بن جبير عن أبي ضمرة بن العيص الزُرَقي رضي الله عنه. كذا في «الإصابة» (2/ 212).

وأخرجه أبو يعلى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجراً فقال لأهله: احملوني فأخرجوني من أرض المشركين إلى رسول الله ﷺ، فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي ﷺ. فنزل الوحي: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ - حتى بلغ - وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. قال الهيثمي في «المجمع» (7/ 10): ورجاله ثقات.

* * *

هجرة واثلة بن الأسقع رضي الله عنه

أخرج ابن جرير عن خالد بن الوليد عن واثلة بن الأسقَع رضي الله عنهما قال: خرجت من أهلي أريد الإسلام، فقدمت على رسول الله ﷺ وهو في الصلاة، فصففت في آخر الصفوف فصلَّيت بصلاتهم. فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة انتهى إليَّ وأنا في آخر الصفوف. فقال: «ما حاجتك؟» قلت: الإسلام. قال: «هو خير لك». قال: «وتهاجر؟» قلت: نعم. قال: «هجرةَ البادي أو هجرة الباتي؟» قلت: أيتها خير؟ قال: «هجرة الباتي». قال: «وهجرة الباتي أن تثبت مع رسول الله ﷺ، وهجرة البادي أن يرجع إلى باديته». قال: «وعليك الطاعة في عسرك ويُسْرك ومنشطك ومكرهك وأثرَة عليك». قلت: نعم. فقدَّم يده وقدمت يدي. فلما رآني لا أستثني لنفسي شيئاً قال: «فيما استطعت». فقلت: فيما استطعت. فضرب على يدي. كذا في «كنز العمال» (8/ 333).

هجرة بني أسلم

أخرج أبو نُعيم عن إياس بن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: أصاب أسَلَم وجعٌ. فقال رسول الله ﷺ: «يا أسلمُ ابدوا». قالوا: يا رسول الله نكره أن نرتد، ونرجع على أعقابنا. فقال رسول الله ﷺ: «أنتم باديتنا ونحن حاضرتكم، إذا دعوتمونا أجبناكم وإذا دعوناكم أجبتمونا؛ أنتم المهاجرون حيث كنتم». كذا في كنز العمال (7/ 142).

* * *

هجرة جُنادة بن أبي أمية رضي الله عنه

أخرج أبو نُعيم والحسن بن سفيان عن جنادة بن أبي أمية الأزدي رضي الله عنه قال: هاجرنا على عهد النبي ﷺ فاختلفنا في الهجرة، فقال بعضنا: قد انقطعت، وقال بعضنا: لم تنقطع. فدخلت على رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك. فقال: «لا تنقطع الهجرة، ما قوتل الكفار». كذا في «الكنز» (8/ 331). وعند ابن منده وابن عساكر عن عبدالله بن السعدي رضي الله عنه قال: وفدت في نفر من بني سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ سبعة أو ثمانية وأنا من أحدثهم سناً، فأتَوا رسول الله ﷺ فقضوا حوائجهم وخلّفوني في رَحْل لهم. فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أخبرني عن حاجتي. فقال: «وما حاجتك؟» قلت: رجال يقولون: قد انقطعت الهجرة. فقال: «أنت خيرهم حاجة ـ أو حاجتك خير من حاجاتهم ـ لا تنقطع الهجرة، ما قوتل الكفار». كذا في «الكنز» (8/ 333). وأخرجه أيضاً أبو حاتم، وابن حِبّان، والنّسائي. وقال أبو زُرعة: حديث صحيح متقن، رواه الأثبات عنه كما في «الإصابة» (2/ 319).

ما قيل لصفوان بن أمية وغيره في الهجرة

أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل لصفوان بن أمية ـ وهو بأعلى مكة ـ: إنه لا دين لمن لم يهاجر. فقال: لا أصل إلى بيتي حتى أقدَم المدينة، فقدم المدينة فنزل على العباس بن عبد المطلب، ثم أتى النبي ﷺ فقال: «ما جاء بك يا أبا وَهْب؟» قال: قيل: إنه لا دِين لمن لم يهاجر. فقال النبي ﷺ: «ارجع أبا وَهْب إلى أباطح مكة، فقرّوا على مسكنكم، فقد انقطعت الهجرة، ولكن جهاد ونية وإذا استُنفرتم فانفروا». كذا في «كنز العمال» (8/ 333). وأخرجه البيهقي أيضاً بلفظه (9/ 17). وعند عبد الرزاق عن طاوس قال: قيل لصفوان بن أمية: هلك من نُفيَت له هجرة، فحلف أن لا يغسل رأسه حتى يأتي النبي ﷺ، فركب راحلته ثم انطلق، فصادف النبي ﷺ عند باب المسجد، فقال: يا رسول الله، إنه قيل لي: هلك من لا هجرة له، فآليتُ بيمين لا أغسل رأسي حتى آتيك. فقال النبي ﷺ: «إنَّ صفوان سمع بالإسلام فرضي به ديناً، إن الهجرة قد انقطعت بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استُنفرتم فانفروا» كذا في «الكنز» (3/ 84).

وأخرج البغوي، وابن مَنْده، وأبو نُعيم عن صالح بن بشير بن فُدَيك: أن جده فُديكاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنهم يزعمون أن من لم يهاجر هلك. فقال النبي ﷺ: «يا فُدَيك، أقم الصلاة، وآتِ الزكاة، واهجر السوء، واسكن من أرض قومك حيث شئت تكن مهاجراً». كذا في «الكنز» (8/ 331)؛ وأخرجه البيهقي (9/ 17).

وأخرج البخاري عن عطاء بن أبي رباح قال: زُرت عائشة رضي الله عنها مع عبيد بن عمير الليثي فسألناها عن الهجرة. فقالت: لا هجرة

اليوم، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ مخافة أن يُفتن عليه. فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام واليوم يعبد ربه حيث شاء، ولكن جهاد ونية. وأخرجه البيهقي (9/ 17) أيضاً.

* * *

هجرة النساء والصبيان

هجرة أهل بيت النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنهم

أخرج ابن عبد البَرّ عن عائشة رضي الله عنها قالت: لمّا هاجر رسول الله ﷺ خلّفنا وخلّف بناته، فلما استقر بعث زيد بن حارثة وبعث معه أبا رافع مولاه، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم أخذاها من أبي رضي الله عنه يشتريان بها ما يحتاجان إليه من الظَّهْر، وبعث أبو بكر معهم عبد الله بن أريقط ببعيرين أو ثلاثة، وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر أن يحمل أمّي أم رومان وأنا وأختي أسماء امرأة الزبير، فخرجوا مصطحبين. فلما انتهوا إلى قُدَيد اشترى زيد بن حارثة بتلك الخمسمائة درهم ثلاثة أبْعِرة، ثم دخلوا مكة جميعاً، فصادفوا طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يريد الهجرة، فخرجوا جميعاً، وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة وأم كلثوم وسَوْدة بنت زمْعة، وحمل زيد أم أيمن وأسامة، حتى إذا كنا بالبيداء نَفَر بعيري وأنا في مِحفَّة معي فيها أمي، فجعلت تقول: وابنتاه، واعروساه، حتى أدرك بعيرنا وقد هبط الثنية ثنية هَرْشى فسلّم الله. ثم إنَّا قدمنا المدينة، فنزلت مع آل أبي بكر، ونزل آل النبي ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يبني مسجده وأبياتاً حول المسجد، فأنزل فيها أهله، فمكثنا أياماً ـ فذكر الحديث بطوله في تزويج عائشة. كذا في «الاستيعاب» (4/ 450). وأخرجه الزبير أيضاً كما في «الإصابة» (4/ 450). وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (9/ 227) ـ إلا أنه سقط عنه

ذكر مخرِّجه ـ وقال: وفيه محمد بن الحسن بن زُبالة وهو ضعيف. ثم ذكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدمنا مهاجرين، فسلكنا في ثنّية ضعينة فنفر جمل كنت عليه نفوراً منكراً، فوالله ما أنسى قول أمي: يا عُرَيِّسة! فركب بي رأسه، فسمعت قائلاً يقول: ألقي خطامه، فألقيته، فقام يستدير كأنما إنسان قائم تحته. ثم قال (8/ 228): رواه الطبراني وإسناده حسن. انتهى. وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (4/ 4) بطوله.

وأخرج ابن إسحاق عن زينب رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ أنّها قالت: بينا أنا أتجهّز لقيتني هند بنت عتبة فقالت: يا بنة محمد، ألم يبلغني أنك تريدين اللحوق بأبيك. قالت: فقلت: ما أردت ذلك. فقال: أيِ ابنةَ عم لا تفعلي، إن كان لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك أو بمال تتبلغين به إلى أبيك فإن عندي حاجتك، فلا تضْطَنِي مني، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال. قالت: والله ما أُراها قالت ذلك إلّا لتفعل. قالت: ولكني خِفتها فأنكرت أن أكون أريد ذلك. قال ابن إسحاق: فتجهَّزتُ، فلما فرغت من جهازها قدّم إليها أخو زوجها كنانة بن الربيع بعيراً فركبته، وأخذ قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهاراً يقود بها وهي في هودج لها، وتحدّث بذلك رجال من قريش، فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طُوىً، وكان أول من سبق إليها هَبّارُ بن الأسود الفِهْري، فروَّعها هبّار بالرمح وهي في الهودج، وكانت حاملاً ـ فيما يزعمون ـ فطَرَحت، وبرك حَموها كِنانة ونثر كنانته ثم قال: والله لا يدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً، فَتَكَرْكر الناس عنه، وأتى أبو سفيان في جِلّة من قريش، فقال: يا أيها الرجل، كفّ عنا نبلك حتى نكلمك. فكفّ. فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال: إنك لم تُصِب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل

علينا من محمد، فيظن الناس إذا خرجت بابنته إليه علانيةً على رؤوس الناس من بين أظهرنا أنَّ ذلك عن ذلّ أصابنا وأن ذلك ضعف منا وَوَهن، ولعمري، ما لنا بحبسها من أبيها حاجةٌ وما لنا من ثؤرة، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأتِ الأصوات وتحدَّث الناس أن قد رددناها؛ فَسُلَّها سِراً وألحقها بأبيها. قال: ففعل. كذا في «البداية» (3/ 330).

وعند الطبراني عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما: أن رجلاً أقبل بزينب رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ، فلحقه رجلان من قريش فقاتلاه حتى غلباه عليها فدفعاها، فوقعت على صخرة فأسقطت وهُريقت دماً، فذهبوا بها إلى أبي سفيان، فجاءته نساء بني هاشم فدفعها إليهن. ثم جاءت بعد ذلك مهاجرة، فلم تزل وجعة حتى ماتت من ذلك الوجع؛ فكانوا يرون أنها شهيدة. قال الهيثمي (9/ 216): وهو مرسل، ورجاله رجال الصحيح ا هـ.

وعند الطبراني في «الكبير» عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ لما قدم من مكة خرجت ابنته زينب رضي الله عنها من مكة مع كِنانة ـ أو ابن كِنانة ـ فخرجوا في طلبها، فأدركها هَبَّار بن الأسود، فلم يزل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها وألقت ما في بطنها، فتحملت؛ واشتجر فيها بنو هاشم وبنو أُمية. فقال بنو أُمية: نحن أحقّ بها وكانت تحت ابن عمهم أبي العاص؛ وكانت عند هند بنت عتبة بن ربيعة، وكانت تقول: هذا في سبب أبيك. فقال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: «ألا تنطلق فتجيء بزينب؟» قال: بلى يا رسول الله، قال: فخذ خاتمي فأعطِها إيَّاه. فانطلق زيد فلم يزل يتلطف، فلقي راعياً فقال: لمن ترعى؟ فقال: لأبي العاص. فقال: لمن هذه الغنم؟ فقال: لزينب بنت محمد، فسار معه شيئاً ثم قال: هل لك أن

أعطيك شيئاً تعطيها إياه ولا تذكره لأحد؟ قال: نعم. فأعطاه الخاتم، فعرفته. فقالت: من أعطاك هذا؟ قال: رجل. قالت: فأين تركته؟ قال: بمكان كذا وكذا. فسكتت حتى إذا كان الليل خرجت إليه فلما جاءته قال لها: اركبي بين يدي ـ على بعيره ـ. قالت: لا، ولكن اركب أنت بين يدي، فركب وركبت وراءه حتى أتت، فكان رسول الله ﷺ يقول: «هي خير بناتي أُصيبت فيّ» فبلغ ذلك علي بن حسين رضي الله عنهما، فانطلق إلى عروة فقال: ما حديث بلغني عنك أنك تحدثه تنتقص حقَّ فاطمة؟ فقال عروة: والله ما أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وأني أنتقص فاطمة حقاً لها، وأما بعد ذلك إني لا أحدّث به أبداً. قال الهيثمي (9/213): روه الطبراني في «الكبير» و «الأوسط» بعضه؛ ورواه البزار؛ ورجاله رجال الصحيح. انتهى.

* * *

هجرة درّة بنت أبي لهب
رضي الله عنها

أخرج الطبراني عن ابن عمر، وأبي هريرة، وعمار بن ياسر رضي الله عنهم قالوا: قدمت درَّة بنت أبي لهب رضي الله عنها مهاجرة، فنزلت دار رافع بن المُعلَّى الزُّرقي رضي الله عنه. فقال لها نسوة جلسن إليها من بني زُرَيق: أنت بنت أبي لهب الذي قال الله فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾؛ ما يغني عنك مهاجَرُك. فأتت دُرّة النبيَّ ﷺ فشكت إليه ما قُلنَ لها. فسكّنها رسول الله ﷺ وقال: اجلسي. ثم صلّى بالناس الظهر وجلس على المنبر ساعة وقال: «يا أيها الناس، ما لي أوذى في أهلي، فوالله إن شفاعتي لتنالُ حيَّ حا، وحَكَم، وصُدا، وسَهلب يوم القيامة. قال الهيثمي (9/ 257): وفيه عبد الرحمن بن بشير الدمشقي وثَّقه ابن حِبَّان، وضعَّفه أبو حاتم؛ وبقية رجاله ثقات. وقد تقدّمت هجرة أُم سَلَمة في هجرة أبي سلمة رضي الله عنهما؛ وهجرة أسماء بنت عُميس وأُم عبد الله ليلى بنة أبي حَثْمة رضي الله عنهما في هجرة جعفر بن أبي طالب والصحابة رضي الله عنهم إلى الحبشة.

* * *

هجرة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وغيره من الصبيان

أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قدومنا على رسول الله ﷺ لخمسٍ من الهجرة. خرجنا متوصّلين مع قريش عام الأحزاب، وأنا مع أخي الفضل، ومعنا غلامنا أبو رافع، حتى انتهينا إلى العَرْج فضلّ لنا في الطريق رَكوبة، وأخذنا في ذلك الطريق على الجثجاثة حتى خرجنا على بني عمرو بن عوف حتى دخلنا المدينة، فوجدنا رسول الله ﷺ في الخندق وأنا يومئذٍ ابن ثمان سنين، وأخي ابن ثلاث عشرة سنة. قال الهيثمي (6/ 64): رواه الطبراني في «الأوسط» من طريق عبد الله بن محمد بن عمارة الأنصاري عن سليمان بن داود بن الحصين، وكلاهما لم يوثّق ولم يضعّف، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

* * *

الباب الخامس

باب النصرة

كيف كانت نُصْرة الدين القويم والصراط المستقيم أحبَّ إليهم من كل شيء؟ وكيف كانوا يفتخرون بذلك ما لم يفتخر أحد منهم بالعزَّة الدنيوية؟ وكيف صبروا مع ذلك عن لذّاتها؟ فكأنهم فعلوا كلَّ ذلك ابتغاء مرضاة الله عزّ وجلّ، واتّباعاً لما أمرهم رسوله ﷺ وعلى آله وأصحابه، وبارك، وسلَّم.

ابتداء أمر الأنصار
رضي الله عنهم

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في كل سنة على قبائل من العرب؛ أن يؤووه إلى قومهم حتى يبلّغ كلام الله ورسالاته ولهم الجنّة. فليست قبيلة من العرب تستجيب له، حتى أراد الله إظهار دينه، ونصر نبيه، وإنجاز ما وعده ـ ساقه الله إلى هذا الحي من الأنصار، فاستجابوا له، وجعل الله لنبيّه ﷺ دار هجرة. قال الهيثمي (6/ 42): وفيه عبد الله بن عمر العُمَري، وثّقه أحمد وجماعة، وضعّفه النّسائي وغيره؛ وبقية رجاله ثقات. ا هـ.

وأخرج البزار ـ وحسّنه ـ عن عمر رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ بمكة يعرض نفسه على قبائل العرب قبيلة قبيلة في الموسم، ما يجد أحداً يجيبه حتى جاء الله بهذا الحيّ من الأنصار، لِمّا أسعدهم الله وساق لهم من الكرامة، فآوَوا ونصروا، فجزاهم الله عن نبيهم خيراً. كذا في «كنز العمال» (7/ 134). وزاد في «جمع الفوائد» (2/ 30) في حديث عمر رضي الله عنه هذا: والله ما وفينا لهم كما عاهدناهم عليه، إنا قلنا لهم: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، ولئن بقيت إلى رأس الحَوْل لا يبقى لي عامل إلا أنصاري. وقال: البزّار بضعف، وهكذا ذكره في «مجمع الزوائد» (6/ 42) عن البزار بتمامه، وقال: رواه البزار وحسَّن إسناده، وفيه ابن شبيب وهو ضعيف.

وأخرج الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «هل من رجل يحملني إلى قومه، فإنَّ قريشاً قد منعوني أن أبلِّغ كلام ربي عزّ وجلّ؟» فأتاه رجل من هَمْدان. فقال: ممن أنت؟ فقال الرجل: من هَمْدان. فقال: هل عند قومك من مَنَعة؟ قال: نعم. ثم إنّ الرجل خشي أن يُخفِره قومه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم أخبرهم، ثم آتيك من قابل. قال: نعم. فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب. قال الهيثمي (6/ 35): رجاله ثقات. وعزاه الحافظ في «الفتح» (7/ 156) إلى أصحاب السُّنَن، والإمام أحمد، وقال: صحَّحه الحاكم. وقد تقدم في «البَيْعة على النُّصرة» من حديث جابر رضي الله عنه عند الإمام أحمد قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم عُكاظ ومِجَنَّة وفي المواسم، يقول: «من يؤويني، من ينصرني، حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟» فلا يجد أحداً يؤويه ولا ينصره، حتى إنَّ الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر فيأتيه قومه وذوو رحمه فيقولون: احذر غلام قريش، لا يفتنك! ويمضي بين رحالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع. حتى بعثنا الله إليه من يثرب، فآويناه وصدَّقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويُقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم تبقَ دار من دور الأنصار إلا وفيها رَهْط من المسلمين يظهرون الإسلام ثم ائتمروا جميعاً فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدمنا عليه في الموسم، فواعدناه شِعْب العَقَبة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ ـ فذكر الحديث. وأخرجه الحاكم (2/ 625) وقال: صحيح الإسناد.

وأخرج الطبراني عن عروة رضي الله عنه مرسلاً قال: لما حضر الموسم حجَّ نفر من الأنصار من بني مازن بن النجار، منهم: معاذ بن عفراء، وأسعد بن زُرارة؛ ومن بني زُرَيق: رافع بن مالك، وذَكوان بن عبد القيس؛ ومن بني عبد الأشهل: أبو الهيثم بن التَّيِّهان، ومن بني عمرو بن عوف: عُويم بن ساعدة ـ رضون الله عليهم أجمعين ـ. وأتاهم رسول الله ﷺ وأخبرهم خبر الذي اصطفاه الله من نبوته وكرامته، وقرأ عليهم القرآن. فلما سمعوا قوله، أنصتوا واطمأنت أنفسهم إلى دعوته، وعرفوا ما كانوا يسمعون من أهل الكتاب من ذكرهم إيّاه بصفته وما يدعوهم إليه، فصدَّقوه وآمنوا به، وكانوا من أسباب الخير. ثم قالوا له: قد علمتَ الذي بين الأوس والخزرج من الدماء، ونحن نحبُّ ما أرشد الله به أمرك، ونحن لله ولك مجتهدون، وإنا نشير عليك بما ترى، فامكث على اسم الله حتى نرجع إلى قومنا فنخبرَهم بشأنك وندعوَهم إلى الله ورسوله، فلعلّ الله يصلح بيننا ويجمع أمرنا، فإنا اليوم متباعدون متباغضون، فإن تَقْدَمْ علينا اليوم ولم نصطلح لم يكن لنا جماعة عليك، ونحن نواعدك الموسم من العام القابل. فرضي رسول الله ﷺ الذي قالوا. فرجعوا إلى قومهم فدعَوهم سِرّاً، وأخبروهم برسول الله ﷺ، والذي بعثه الله به، ودعا عليه بالقرآن، حتى قلّ دار من دور الأنصار إلّا أسلم فيها ناس لا محالة ـ فذكر الحديث كما تقدم في «دعوة مصعب بن عمير رضي الله عنه». قال الهيثمي (6/ 42): فيه ابن لَهيعة وفيه ضعف، وهو حسن الحديث؛ وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج الحاكم (2/ 626) عن يحيى بن سعيد قال: سمعت عجوزاً من الأنصار تقول: رأيت ابن عباس رضي الله عنهما يختلف إلى صِرْمة بن قيس يتعلم منه هذه الأبيات:

ثَوَى في قريشٍ بِضْع عَشْرة حَجة
يذكِّر لو ألفى صديقاً مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلم يرَ من يُؤوي ولم يرَ داعيا
فلما أتانا واستقرّت به النَّوَى
وأصبح مسروراً بطَيْبة راضيا
وأصبح ما يخشى ظُلامَة ظالمٍ
بعيدٍ، وما يخشى من الناس باغيا
بذلنا له الأموال من جُلِّ مالنا
وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
نعادي الذي عادَى من الناس كلِّهم
بحق وإن كان الحبيبَ المواتيا
ونعلم أنَّ الله لا شيءَ غيره
وأن كتاب الله أصبح هاديا

* * *

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم

أخرج الإمام أحمد عن أنس أن عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة، فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه، فقال له سعد: أيْ أخي، أنا أكثر أهل المدينة مالاً، فانظر شَطْر مالي فَخُذه؛ وتحتي امرأتان فانظر أيتهما أعجب إليك حتى أطلِّقَها. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلُّوني على السوق، فدلّوه، فذهب فاشترى وباع فربح، فجاء بشيء من أقِطٍ وسمن، ثم لبث ما شاء الله أن يلبث، فجاء وعليه رَدْعُ زعفران. فقال رسول الله ﷺ: «مَهْيَمْ»؟ فقال: يا رسول الله، تزوجت امرأة. قال: «ما أصدقتها»؟ قال: وَزْنَ نَواة من ذهب. قال: «أوْلم ولو بشاة». قال عبد الرحمن: فلقد رأيتُني لو رفعتُ حَجَراً لرجوتُ أن أصيب ذهباً وفضة!!. كذا في البداية (3/ 228). وأخرجه أيضاً الشيخان عن أنس رضي الله عنه، والبخاري من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ـ كما في «الإصابة» (2/ 26)؛ وابن سعد (3/ 89) عن أنس رضي الله عنه.

* * *

التوارث بين المهاجرين والأنصار

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان

المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رَحِمِهِ للأخوّة التي آخى النبي ﷺ بينهم. فلما نزلت: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ [النساء: 33] نُسخت. هكذا وقع في هذه الرواية أنَّ ناسخَ ميراث الحليف هذه الآية، وفي اللاحقة أنَّ الناسخ هو نزول: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال: 75] ـ الآية، فصاروا جميعاً يرثون. وعلى هذا يُنَزَّل حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ثم نسخ ذلك آية الأحزاب وخُصّ الميراث بالعَصَبة، وبقي للمعاقد النصر والإرفاد ونحوهما؛ وعلى هذا تنزل بقية الآثار اهـ. وعند أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه نحوه كما في «فتح الباري» (7/ 191). وذكر ابن سعد بأسانيد الواقدي إلى جماعة من التابعين قالوا: لما قدم النبي ﷺ المدينة آخى بين المهاجرين، وآخى بين المهاجرين والأنصار على المؤاساة، وكانوا يتوارثون، وكانوا تسعين نفساً بعضهم من المهاجرين وبعضهم من الأنصار ـ وقيل: كانوا مائة ـ. فلمّا نزل: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾ بطلت الموارث بينهم بتلك المؤاخاة. كذا في «الفتح» (7/ 191).

* * *

مؤاساة الأنصار المهاجرين بأموالهم

أخرج البخاري (1/ 312 برقم 2719، 3782) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال: «لا». فقالوا: أفتكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة؟ قالوا: سمعنا وأطعنا. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ للأنصار: «إنَّ إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم»، فقالوا: أموالنا بيننا قطائع، فقال رسول الله ﷺ: «أوَ غير ذلك؟» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر». قالوا: نعم. كذا في «البداية» (3/ 228).

وأخرج الإمام أحمد عن يزيد عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: قال المهاجرون: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسنَ مواساةً في قليل، ولا أحسن بذلاً من كثير، لقد كَفَونا المؤونة وأشركونا في المهنإ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كلِّه. قال: «لا، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم». هذا حديث ثلاثيُّ الإسناد على شرط الصحيحين، ولم يخرِّجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه. كذا في «البداية» (3/ 228). أخرجه أيضاً ابن جرير، والحاكم، والبيهقي كما في «كنز العمال» (7/ 136).

وأخرج البزار عن جابر رضي الله عنه قال: كانت الأنصار إذا

جَزُّوا نخلهم قسم الرجل تمره قسمين أحدُهما أقل من الآخر، ثم يجعلون السَّعَف مع أقلهما، ثم يخيِّرون المسلمين، فيأخذون أكثرهما، ويأخذ الأنصار أقلهما من أجل السَّعَف حتى فُتحت خيبر. فقال رسول الله ﷺ: «قد وفَّيتم لنا بالذي كان عليكم، فإن شئتم أن تطيب أنفسكم بنصيبكم من خيبر ويطيب ثماركم فعلتم». قالوا: إنَّه قد كان لك علينا شروط ولنا عليك شرط بأن لنا الجنة، فقد فعلنا الذي سألتنا بأنَّ لنا شرطنا. قال: «فذاكم لكم» قال الهيثمي (10/ 40) رواه البزّار من طريقين وفيهما مجالِد وفيه خلاف، وبقية رجال إحداهما رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: دعا النبي ﷺ الأنصار أن يُقْطِعَ لهم البحرين. قالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها. قال: «أمّا لا، فاصبروا حتى تلقَوني، فإنه سيصيبكم أَثَرَةٌ».

* * *

كيف قطعت الأنصار رضي الله عنهم حبال الجاهلية لتشييد حبال الإِسلام

أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف فإنّه قد آذى الله ورسوله؟» فقام محمد بن مَسْلَمة رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم». قال: فأذنْ لي أن أقول شيئاً. قال: «قل». فأتاه محمد بن مَسْلَمة فقال: إنّ هذا الرجل قد سألَنا صدقة، وإنّه قد عنَّانا، وإني قد أتيتك أستسلفك. قال: وأيضاً - والله - لتَمَلُّنَّه!! قال: إنَّا قد اتّبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه. وقد أردنا أن تُسلِفَنا وَسقاً أو وَسْقين، فقال: نعم، ارهنوني، قالوا: أي شيء تريد؟. قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا؟. فيُسَبّ أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسْقين، هذا عار علينا!! ولكن نرهنك اللأْمَة - يعني السلاح - فواعده أن يأتيه ليلاً.

فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم. فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟! فقال: إنّما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة - وفي رواية: قالت: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم. قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دُعي إلى طعنة بِلَيلٍ لأجاب - قال:

ويُدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، فقال: إذا ما جاء فإنِّي قائل بشعره فأشَمُّهُ، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه.

فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفح منه ريح الطِّيب. فقال: ما رأيت كاليوم ريحاً!! ـ أي أطيب ـ قال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب!! فقال: أتأذن لي أن أشمَّ رأسك؟ قال: نعم. فشمّه ثم أشَمَّ أصحابه. ثم قال: أتأذن لي قال: نعم. فلمّا استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه، ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه. وفي رواية عروة: فأخبروا النبي ﷺ، فحمد الله تعالى. وفي رواية ابن سعد: فلما بلغوا بَقيع الغَرْقد كبّروا، وقد قام رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلِّي. فلما سمع تكبيرهم كبَّر، وعرف أن قد قتلوه، ثم انتَهوا إليه. فقال: «أفلحت الوجوه» فقالوا: ووجهك يا رسول الله. ورمَوا رأسه بين يديه، فحمد الله على قتله. وفي مرسل عكرمة: فأصبحت يهودُ مذعورين، فأتَوا النبي ﷺ فقالوا: قُتل سيدنا غِيلَة. فذكَّرهم النبي ﷺ صنيعه وما كان يحرِّض عليه ويؤذي المسلمين. زاد ابن سعد: فخافوا فلم ينطقوا. كذا في «فتح الباري» (7/ 239).

وعند ابن إسحاق: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لي بابن الأشرف؟» فقال محمد بن مسلمة رضي الله عنه: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله. قال: «فافعل إن قدرتَ على ذلك». قال: فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلّا ما يُعْلِق به نفسَه. فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ، فدعَاه فقال له: «لم تركتَ الطعام والشراب؟» فقال: يا رسول الله، قلت لك قولاً لا أدري هل أفي لك به أم لا. قال: «إنما عليك الجُهد». وعنده أيضاً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد، ثم وجَّههم وقال: «انطلقوا على اسم الله

اللَّهمَّ أعنْهم». كذا في «البداية» (4/ 7). وحسَّن الحافظ ابن حجر إسناد حديث ابن عباس رضي الله عنهما. كذا في «فتح الباري» (7/ 237).

* * *

قتل أبي رافع سَلاّم بن أبي الحُقَيق

أخرج ابن إسحاق عن عبد الله بن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ أن هذين الحيَّين من الأنصار: الأوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاولَ الفحلين، لا تصنع الأوس شيئاً فيه غَنَاء عن رسول الله ﷺ إلا وقالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ، فلا ينتهون حتى يُوقعوا مثلَها. وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك. قال: ولما أصابت الأوس كعبَ بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج: والله لا تذهبون بها فضلاً علينا أبداً. قال: فتذاكروا مَنْ رجلٌ لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف، فذكروا ابن أبي الحُقَيق وهو بخيبر، فاستأذنوا الرسول ﷺ في قتله، فأذن لهم. فخرج من الخزرج من بني سَلِمة خمسة نفر: عبد الله بن عَتِيك، ومسعود بن سِنان، وعبد الله بن أُنيس، وأبو قتادة الحارث بن رِبعي، وخُزاعي بن الأسود ـ حليف لهم من أسلَم ـ فخرجوا، وأمّر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة.

فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتَوا دار ابن أبي الحُقَيق ليلاً، فلم يَدَعوا بيتاً في الدار حتى أغلقوه على أهله. قال: وكان في عِلِّية له إليها عَجَلة. قال: فأسندوه إليها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا. فخرجت إليهم امرأته فقالت: من أنتم؟ قالوا: أناس من العرب نلتمس المِيرَة. قالت:

ذاكم صاحبكم، فادخلوا عليه. فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليه الحجرة تَخَوّفاً أن يكون دونه مجادلة تحول بيننا وبينه. قال: فصاحت امرأته فنوَّهت بنا فابتدرناه ـ وهو على فراشه ـ بأسيافنا، فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه، كأنه قُبْطِيّة ملقاة. قال: فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهي رسول الله ﷺ فيكفّ يده، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل. قال: فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أُنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول: قَطْني قَطْني ـ أي حَسْبي حَسْبي ـ. قال: وخرجنا ـ وكان عبد الله بن عتيك سيّيء البصر ـ فوقع من الدرجة، فوثئت يده وثئاً شديداً، وحملناه حتى نأتي به مَنْهَراً من عيونهم فندخل فيه. قال: فأوقدوا النيران واشتدوا في كل وجه يطلبوننا، حتى إذا يئسوا رجعوا إليه فاكتنفوه، وهو يقضي بينهم.

قال: فقلنا: كيف لنا بأن نعلم أن عدوَّ الله قد مات؟ قال: فقال رجل منا: أنا أذهب فأنظر لكم، فانطلق حتى دخل في الناس. قال: فوجدتها ـ يعني امرأته ـ ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدّثهم، وتقول: أما ـ والله ـ لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي وقلت: أنّى ابن عتيك بهذه البلاد؟! ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه فقالت: فاظَ، وإله يهود!! فما سمعت كلمة كانت ألذّ على نفسي منها. قال: ثم جاءنا فأخبرنا، فاحتملنا صاحبنا وقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدو الله، واختلفنا عنده في قتله، كلنا يَدَّعيه. قال: فقال: «هاتوا أسيافكم» فجئنا بها فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أُنيس: «هذا قتله، أرى فيه أثر الطعام». كذا في «البداية» (4/ 137)، و «سيرة ابن هشام» (2/ 190).

وعند البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ

إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار، وأمّر عليهم عبد الله بن عتِيك رضي الله عنه، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويُعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز. فلما دَنوا منه ـ وقد غربت الشمس وراح الناس بسَرْحهم ـ قال عبد الله: اجلسوا مكانكم، فإني منطلق ومتلطّف للبواب لعلّي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه، كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس؛ فهتف به البواب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب. فدخلتُ فكمنتُ. فلمَّا دخل الناس أغلق الباب، ثم علّق الأغاليق على وَدٍّ. قال: فقمت إلى الأقاليد وأخذتها وفتحت الباب. وكان أبو رافع يُسمَر عنده، وكان في عَلاليَّ له. فلما ذهب عنه أهل سَمَره صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت باباً أغلَقت عليّ من داخل فقلت: إن القومُ نذروا بي لم يخلُصوا إليّ حتى أقتله، فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم ـ وَسْطَ عياله ـ، لا أدري أين هو من البيت. قلت: أبا رافع، قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف ضربة وأنا دهش فما أغنيت شيئاً، وصاح فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمّك الويل!! إنَّ رجلاً في البيت ضربني قَبْلُ بالسيف. قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله، ثم وضعت ظُبَةَ السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي، فعصبته بعمامة ثمَّ انطلقت، حتى جلست على الباب، فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته. فلما صاح الديك قام الناعي على السور، فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز؛ فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاءَ، فقد قتل الله أبا رافع. فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدَّثته. فقال: «ابسط رجلك» فبسطت

رجلي فمسحها فكأنما لم أشتكِها قط. وأخرجه البخاري أيضاً بسياق آخر، تفرّد به البخاري بهذه السياقات من بين أصحاب الكتب الستة، ثم قال: قال الزهري: قال أبيّ بن كعب: فقدموا على رسول الله ﷺ وهو على المنبر فقال: «أفلحت الوجوه». قالوا: أفلح وجهك يا رسول الله. قال: «أفتكتموه؟» قالوا: نعم. قال: «ناولني السيف»، فسلَّه فقال: «أجل، هذا طعامه في ذُباب السيف». كذا في «البداية» (4/ 137).

* * *

قتل ابن شيبة اليهودي

أخرج أبو نُعيم عن بنت مُحَيِّصة عن أبيها رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه». فوثب مُحيّصة على ابن شيبة - رجل من تجار يهود وكان يلابسهم ويبايعهم - فقتله؛ وكان حُوَيِّصة إذ ذاك لم يسلم وكان أسنَّ من مُحَيِّصة. فلما قتله جعل حُوَيِّصة يضربه ويقول: أي عدوِ الله، قتلته؟! أما - والله - لربَّ شحم في بطنك من ماله!! فقلت: والله، لو أمرني بقتلك لضربت عنقك!! قال: فوالله إنْ كان لأول إسلام حُوَيِّصة. قال: والله إن أمرك محمد بقتلي لتقتلني؟! قال محيِّصة: نعم والله!! قال حويصة: فوالله إن ديناً بلغ بك هذا إنه لعجب. كذا في «كنز العمال» (7/ 90). وأخرجه أيضاً ابن إسحاق نحوه، وفي حديثه: قال محيِّصة فقلت: والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك!! وزاد في آخره: فأسلم حويِّصة. وأخرجه أيضاً أبو داود من طريقه إلا أنه اقتصر إلى قوله: «في بطنك من ماله»؛ ولم يذكر ما بعده.

* * *

غزوات بني قينقاع وبني النضير وقريظة وما وقع من الأنصار في ذلك

أخرج ابن إسحاق بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أصاب رسول الله ﷺ قريشاً يوم بدر جمع يهود في سوق بني قينقاع، فقال: «يا يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم ما أصاب قريشاً يوم بدر». فقالوا: إنَّهم كانوا لا يعرفون القتال، ولو قاتلتَنا لعرفتَ أنّا الرجال. فأنزل الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ إلى قوله ﴿لِأُوْلِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: 12، 13]. كذا في «فتح الباري» (7/ 334). وأخرجه أيضاً أبو داود (4/ 141) من طريق ابن إسحاق بمعناه، وفي حديثه: قالوا: يا محمد، لا يغرَّنَّك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال؛ إنَّك لو قاتلتَنا لعرفتَ أنّا نحن الناس، وأنك لم تَلْقَ مثلنا!!.

وعند ابن جرير كما في «التفسير» لابن كثير (2/ 69) عن الزُّهري قال: لمّا انهزم أهل بدر قال المسلمون لأوليائهم من اليهود: أسلموا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر. فقال مالك بن الصَّيف: أغرّكم أن أصبتم رهطاً من قريش لا عِلم لهم بالقتال، أما لو أسررنا العزيمة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يَدٌ أن تقاتلونا. فقال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: يا رسول الله، إنَّ أوليائي من اليهود كانت شديدةً أنفسهم، كثيراً سلاحهم، شديدةً شوكتهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من

ولاية يهود، ولا مولى لي إلا الله ورسوله. فقال عبد الله بن أبيّ: لكني لا أبرأ من ولاية يهود، إني رجل لا بدّ لي منهم. فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا الحُباب، أرأيتَ الذي نَفِسْت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه». فقال: إذنْ أقبل. قال: فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: 51 ـ 67].

وعند ابن إسحاق عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه كما في «البداية» (4/ 4): قال: لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبّث بأمرهم عبد الله بن أبيّ بن سلول وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، وكان من بني عوف له من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبيّ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وقال: يا رسول الله، أتولّى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم. قال: وفيه وفي عبد الله نزلت الآيات من «المائدة»: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: 51 ـ 56].

* * *

حديث بني النَّضِير

أخرج ابن مردويه بإسناد صحيح إلى مَعْمَر عن الزُّهري: أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: كتب كفار قريش إلى عبد الله بن أُبيّ وغيره ممن يعبد الأوثان قبل بدر يهدّدونهم بإيوائهم النبي ﷺ وأصحابه ويتوعّدونهم أن

يغزوهم بجميع العرب، فهمّ ابن أُبيّ ومن معه بقتال المسلمين، فأتاهم النبي ﷺ فقال: «ما كادكم أحد بمثل ما كادتكم قريش، يريدون أن تُلقوا بأسكم بينكم» فلما سمعوا ذلك عرفوا الحق فتفرَّقوا. فلما كانت وقعة بدر كتبت كفار قريش بعدها إلى اليهود: إنكم أهل الحَلْقة والحصون، يتهدّدونهم، فأجمع بنو النضير على الغدر، فأرسلوا إلى النبي ﷺ: اخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا، فإن آمنوا بك اتَّبعناك؛ ففعل. فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر، فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بني النضير، فأخبر أخوها النبي ﷺ قبيل أن يصل إليهم، فرجع وصَبَّحهم بالكتائب فحصرهم يومه، ثم غدا على بني قريظة فحاصرهم فعاهدوه، فانصرف عنهم إلى بني النضير فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أنَّ لهم ما أقلَّت الإبل إلا السلاح، فاحتملوا حتى أبواب بيوتهم، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم فيهدمونها ويحملون ما يوافقهم من خشبها، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام. وكذا أخرجه عَبْدُ بن حُمَيد في «تفسيره» عن عبد الرزاق، وفي ذلك ردٌّ على ابن التين في زعمه أنه ليس في هذه القصة حديث بإسناد. كذا في «فتح الباري» (7/ 232). وأخرجه أيضاً أبو داود من طريق عبد الرزاق عن مَعْمَر بطوله مع زيادة؛ وعبد الرزاق، وابن منذر، والبيهقي في «الدلائل» كما في «بذل المجهود» (4/ 142) عن «الدر المنثور».

وأخرج البيهقي أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ، فأعطوه ما أراد منهم، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم، وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم، وأن يُسيِّرهم إلى أذْرِعات الشام، وجعل لكل ثلاثة

منهم: بعيراً وسِقاء. وأخرج أيضاً عن محمد بن مسلمة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النَّضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثة أيام. كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 333). وعند ابن سعد: أن رسول الله ﷺ أرسل إليهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه: «أن اخرجوا من بلدي، فلا تساكنوني بعد أن هممتم بما هممتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشراً». كذا في «الفتح» (7/ 233).

* * *

حديث بني قريظة

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت يوم الخندق أقفو الناس، فسمعت وئيد الأرض ورائي، فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مِجَنَّة. قالت: فجلست إلى الأرض، فمرَّ سعد وعليه دِرْعٌ من حديد قد خرجت منها أطرافه، فأنا أتخوف على أطراف سعد. قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم، فمرّ وهو يرتجز ويقول:

لَبِّثْ قليلاً يدرك الهيجا جَمَلْ

ما أحسن الموت إذا حان الأجلْ

قالت: فقمت فاقتحمت حديقة، فإذا نفر من المسلمين، فإذا فيها عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سَبْغَة له - تعني المِغْفر - فقال عمر: ما جاء بك؟ والله إنك لجريئة، وما يؤمنك أن يكون بلاء أو تَحوُّز؟ فما زال يلومني حتى تمنّيت أن الأرض فتحت ساعتئذٍ فدخلتُ فيها. فرفع الرجل السبغة عن وجهه فإذا هو طلحة بن عبيد الله، فقال: يا عمر، ويحك إنك قد أكثرتَ منذ اليوم، وأين التحوُّز أو الفرار إلّا إلى الله عزّ

وجلّ. قالت: ويرمي سعداً رجل من قريش يقال له ابن العَرِقة وقال: خذها وأنا ابن العرقة. فأصاب أكْحَله فقطعه؛ فدعا اللّهَ سعدٌ فقال: اللَّهمَّ لا تمتني حتى تقرّ عيني من بني قريظة. قالت: وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية. قالت: فرقأ كَلْمُهُ، وبعث الله الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً.

فلحق أبو سفيان ومن معه بتِهامة، ولحق عُيَينة بن بدر ومن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة فتحصّنوا في صياصيهم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأمر بقبة من أدَم فضُربت على سعد في المسجد. قالت: فجاء جبريل عليه السلام وإن على ثناياه لَنَقْعَ الغبار فقال: (أقد وضعتَ السلاح؟ لا والله ما وضعت الملائكة السلاح بعد، اخرج إلى بني قريظة فقاتلهم). قالت: فلبس رسول الله ﷺ لأْمَتَه، وأذَّن في الناس بالرحيل أن يخرجوا؛ فمرّ على بني غَنْم ـ وهم جيران المسجد حوله ـ فقال: «من مرّ بكم؟» قالوا: مرّ بنا دحية الكلبي ـ وكان دحية الكلبي تشبه لحيته وسنّه ووجهه جبرائيل عليه السلام ـ فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة. فلما اشتد حَصْرُهم واشتد البلاء قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فاستشاروا أبا لُبابة بن عبد المنذر، فأشار إليهم إنَّه الذَّبْح. قالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ. فقال رسول الله ﷺ: «انزلوا على حكم سعد بن معاذ». فأُتِيَ به على حمار عليه إكاف من ليف، قد حُمل عليه وحفّ به قومه. فقالوا: يا أبَا عمرو، حلفاؤك ومواليك وأهل النِكاية ومن قد علمت. قالت: ولا يَرجِع إليهم شيئاً، ولا يلتفت إليهم، حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه، فقال: قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم. قالت: قال أبو سعيد رضي الله عنه: فلما طلع قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيِّدكم فأنزلوه». قال

عمر: سيدنا الله. قال: «أنزِلوه»، فأنزَلوه. قال رسول الله ﷺ: «احكم فيهم». قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تُقتل مقاتِلَتُهم. وتُسبى ذراريهم، وتُقسم أموالهم. فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله». ثم دعا سعد فقال: اللَّهمَّ إن كنت أبقيتَ على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقني لها. وإن كنتَ قطعتَ الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك. قالت: فانفجر كَلْمُهُ، وكان قد برىء حتى لا يُرى منه إلا مثلُ الخُرْص، ورجع إلى قبّته التي ضَربَ عليه رسول الله ﷺ. قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمر. قالت: فوالذي نفس محمد بيده، إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حُجْرتي، وكانوا كما قال الله: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29]. قال علقمة فقلت: يا أُمَّهْ، فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان إذا وجِدَ فإنما هو آخذ بلحيته. وهذا الحديث إسناده جيد، وله شواهد من وجوه كثيرة. كذا في «البداية» (4/ 123). وأخرجه ابن سعد (3/ 3) عن عائشة رضي الله عنها مثله. وقال الهيثمي (6/ 138) رواه أحمد وفيه: محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث، بقية رجاله ثقات. انتهى. وقال الحافظ في «الإصابة» (1/ 274): حديث صحيح، صحّحه ابن حبان. انتهى. وأخرجه أيضاً أبو نعيم بطوله كما في «الكنز» (7/ 40). وقد زاد بعد هذا الحديث عدة أحاديث من طريق محمد بن عمرو، وهذا في فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه.

وعند ابن جرير في «تهذيبه» كما في كنز «العمال» (7/ 42) عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ بكى وبكى أصحابه حين توفي سعد بن معاذ رضي الله عنه. قالت: وكان النبي ﷺ إذا اشتد وَجْده فإنّما هو آخذ بلحيته. قالت عائشة رضي الله عنها: وكنت أعرف بكاء أبي من

بكاء عمر. وعند الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت: رجع رسول الله ﷺ من جنازة سعد بن معاذ ودموعه تَحَادَر على لحيته. قال الهيثمي (9/ 309): وسهل أبو حريز ضعيف.

* * *

فخر الأنصار رضي الله عنهم بالعزة الدينيّة

أخرج أبو يَعلى ، والبزار ، والطبراني - ورجالهم رجال الصحيح - كما قال الهيثمي (10/ 41) عن أنس رضي الله عنه قال: افتخر الحيّان الأوس والخزرج. فقالت الأوس: منا غسيل الملائكة حنظلة بن الراهب، ومنا من اهتز له العرش سعد بن معاذ، ومنا من حمته الدَّبْر عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خُزيمة بن ثابت رضوان الله عليهم أجمعين. وقالت الخزرجيون: منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ لم يجمعه غيرهم: زيد بن ثابت، وأُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، رضوان الله عليهم أجمعين. وأخرجه أيضاً أبو عَوانة، وابن عساكر وقال: هذا حديث حسن صحيح كما في «المنتخب» (5/ 139).

* * *

صبر الأنصار عن اللّذات الدنيوية والأمتعة الفانية والرضاء بالله تعالى وبرسوله ﷺ

أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن رَبَاح رضي الله عنه قال: وفدت وفود إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة وذلك في رمضان، فجعل بعضنا يصنع لبعض الطعام. قال: وكان أبو هريرة يكثر ما يدعونا. قال هاشم: يكثر أن يدعونا إلى رحله. قال: فقلت: ألا أصنع طعاماً فأدعوهم إلى رَحْلي؟ قال: فأمرتُ بطعام يُصنع، فلقيت أبا هريرة من العِشاء؛ قال: قلت: يا أبا هريرة الدعوة عندي الليلة. قال: أسبقتني؟ قال هاشم: قلت: نعم. فدعوتهم فهم عندي. فقال أبو هريرة: ألا أعلمكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار؟.

قال: فذكر فتح مكة. قال: أقبل رسول الله ﷺ فدخل مكة. قال: فبعث الزبير على أحد المجَنِّبَتَيْن، وبعث خالداً على المُجَنِّبة الأخرى، وبعث أبا عبيدة على الحُسَّر، وأخذوا بطن الوادي، ورسول الله ﷺ في كتيبته؛ وقد وبَّشَت قريش أوباشها. قال: قالوا: نُقدِّم هؤلاء، فإن كان لهم شيء كنّا معهم، وإن أصيبوا أعطيناه الذي سَأَلَنا. قال أبو هريرة: فنظر، فرآني فقال: «يا أبا هريرة»: فقلت: لبيك رسول الله، فقال: «اهتفْ لي بالأنصار، ولا يأتيني إلا أنصاري». فهتفت بهم، فجاؤوا فأطافوا برسول الله ﷺ. قال: فقال رسول الله ﷺ: «أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم؟» ثم قال بيديه إحداها على الأخرى: «احصدوهم حصداً حتى توافوني بالصَّفا». قال: فقال أبو هريرة: فانطلقنا فما يشاء واحد منا

أن يقتل منهم ما شاء إلا قتله، وما أحد منهم يوجِّه إلينا منهم شيئاً. قال: فقال أبو سفيان: يا رسول الله، أبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم. قال: فقال رسول الله ﷺ: «من أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن». قال: فغلَّق الناس أبوابهم. قال: وأقبل رسول الله ﷺ إلى الحَجَر فاستلمه، ثم طاف بالبيت. قال: وفي يده قوس آخذ بسِيَة القوس. قال: فأتى في طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه. قال: فجعل يطعن بها في عينه ويقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: 81] قال: ثم أتى الصَّفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت، فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه. قال: والأنصار تحت. قال: يقول بعضهم لبعض: أمَّا الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته. قال أبو هريرة: وجاء الوحي، وكان إذا جاء لم يخفَ علينا، فليس أحد من الناس يرفع طرفَه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضي. قال هاشم: فلما قُضِيَ الوحيُ رفع رأسه، ثم قال: «يا معشر الأنصار، أقلتم: أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته؟» قالوا: قلنا ذلك يا رسول الله، قال: «فما اسمي إذاً، كلّا إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، فالمحيا محياكم والممات مماتكم». قال: فأقبلوا إليه يبكون ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلَّا الضنَّ بالله ورسوله. قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ورسوله يصدِّقانِكم ويَعذِرانِكم». وقد رواه مسلم، والنسائي من حديث أبي هريرة. نحوه. كذا في «البداية» (4/ 307). وأخرجه ابن أبي شيبة مختصراً كما في «الكنز» (7/ 135).

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم حُنين أقبلت هوازن وغَطفان وغيره بنَعَمهم وذراريهم، ومع رسول الله ﷺ عشرة

آلاف والطلقاء، فأدبروا عنه حتى بقي وحده. فنادى يومئذٍ نداءَين لم يخلط بينهما، التفت عن يمينه فقال: «يا معشر الأنصار» قالوا: لبيك يا رسول الله، أبشر نحن معك. ثم التفت عن يساره فقال: «يا معشر الأنصار» فقالوا: لبيك يا رسول الله، أبشر نحن معك ـ وهو على بغلة بيضاء ـ فنزل، فقال: «أنا عبد الله ورسوله»، فانهزم المشركون، وأصاب يومئذٍ مغانم كثيرة، فقسم بين المهاجرين والطلقاء ولم يعطِ الأنصار شيئاً. فقالت الأنصار: إذا كانت شديدة فنحن نُدعى، ويُعطي الغنيمة غيرنا. فبلغه ذلك فجمعهم في قبة فقال: «يا معشر الأنصار، ما حديث بلغني؟!» فسكتوا. فقال: «يا معشر الأنصار، ألا ترضونَ أن يذهب الناس بالدنيا، وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى بيوتكم». قالوا: بلى. فقال: «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شِعباً لسلكتُ شِعْب الأنصار». قال هشام: قلت: يا أبا حمزة وأنت شاهد ذلك. قال: وأين أغيب عنه؟ كذا في «البداية» (4/ 357). وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة، وابن عساكر بنحوه كما في «الكنز» (5/ 307).

وعند ابن إسحاق من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما أصاب رسول الله ﷺ الغنائم يوم حُنين، وقسم للمتألّفين من قريش وسائر العرب ما قسم، ولم يكن في الأنصار منها شيء قليل ولا كثير ـ وجَدَ هذا الحيُّ من الأنصار في أنفسهم حتى قال قائلهم: لقي ـ والله ـ رسول الله ﷺ قومَه. فمشى سعد بن عبادة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وَجَدوا عليك في أنفسهم. فقال: «فيم؟» قال: فيما كان من قَسْمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب، لم يكن فيهم من ذلك شيء. فقال رسول الله ﷺ: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟» قال: ما أنا إلا آمرؤ من

قومي. قال: فقال رسول الله ﷺ: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، فإذا اجتمعوا فأعلمني». فخرج سعد فصرخ فيه، فجمعهم بتلك الحظيرة. فجاء رجال من المهاجرين فأذن لهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردّهم، حتى إذا لم يبقَ من الأنصار أحد إلا اجتمع له أتاه فقال: يا رسول الله، قد اجتمع لك هذا الحيُّ من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم.

فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: يا معشر الأنصار، ألم آتكم ضُلَّالاً فهداكم الله؛ وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألّف الله بين قلوبكم؟» قالوا: بلى. ثم قال رسول الله ﷺ: «ألا تجيبون يا معشر الأنصار؟» قالوا: وما نقول يا رسول الله؟ وبماذا نجيبك؟ المنُّ لله ولرسوله. قال: «والله، لو شئتم لقلتُم فصدَقْتُم وصُدِّقْتُم: جئتنا طريداً فآويناك، وعائلاً فواسيناك، وخائفاً فأمَّنّاك، ومخذولاً فنصرناك». فقالوا: المنّ لله ولرسوله. فقال رسول الله ﷺ «أَوَجَدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لُعَاعَة من الدنيا تألّفت بها قوماً أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفسي بيده، لو أن الناس سلكوا شِعباً، وسلكت الأنصار شِعباً لسلكتُ شِعْب الأنصار، ولولا الهجرة لكنت آمرأً من الأنصار، اللَّهمّ ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار». قال: فبكى القوم حتى أخْضَلوا لحاهم، وقالوا: رضينا بالله رباً، ورسوله قِسْماً، ثم انصرف وتفرّقوا. وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث ابن إسحاق ولم يرْوِه أحد من أصحاب الكتب من هذا الوجه وهو صحيح. كذا في «البداية» (4/ 358). وقال الهيثمي (10/ 30): رجال أحمد رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق، وقد صرح بالسماع ـ انتهى. وأخرجه

أيضاً ابن أبي شيبة من حديث أبي سعيد رضي الله عنه ـ بطوله بمعناه كما في «الكنز» (7/ 135). وأخرج البخاري شيئا من هذا السياق من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه كما في «البداية» (4/ 358)؛ وابن أبي شيبة أيضاً كما في «الكنز» (7/ 136).

وأخرج الطبرني من حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قسم الفيء الذي أفاء الله بحُنين من غنائم هوازن، فأحسن، فأفشى في أهله من قريش وغيرهم، فغضبت الأنصار. فلما سمع بذلك النبي ﷺ أتاهم في منازلهم، ثم قال: «من كان ها هنا من الأنصار فليخرج إلى رحله». ثم تشهَّد رسول الله ﷺ، فحمد الله عزّ وجلّ، ثم قال: «يا معشر الأنصار: قد بلغني من حديثكم في هذه المغانم التي آثرت بها أُناساً أتألّفهم على الإسلام لعلهم أن يشهدوا بعد اليوم، وقد أدخل الله قلوبهم الإسلام». ثم قال: «يا معشر الأنصار، ألم يمنّ الله عليكم بالإيمان، وخصَّكم بالكرامة، وسماكم بأحسن الأسماء أنصارَ الله وأنصارَ رسوله؟ ولولا الهجرة لكنت آمرأً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وسلكتم وادياً لسلكت واديكم؛ أفلا ترضَوْن أن يذهب الناس بالشاء والنَّعَم والبعير، وتذهبون برسول الله ﷺ؟». فلما سمعت الأنصار قول رسول الله ﷺ قالوا: رضينا. قال: «أجيبوني فيما قلت». قالت الأنصار: يا رسول الله، وجدتَنا في ظلمة فأخرجنا الله بك إلى النور، ووجدتنا على شَفا حفرة من النار فأنقذنا الله بك، ووجدتنا ضُلَّالاً فهدانا الله بك؛ قد رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، فاصنع يا رسول الله ما شئت في أوسع الحِلّ. فقال رسول الله ﷺ: «والله لو أجبتموني بغير هذا القول لقلت: صدقتم. لو قلتم: ألم تأتنا طريداً فآويناك، ومكذَّباً فصدَّقناك، وقَبِلْنا ما ردَّ الناس عليك؟ لو قلتم

هذا لصُدِّقْتُم». فقال الأنصار: بل لله ولرسوله المنّ، ولرسوله المنّ والفضل علينا وعلى غيرنا. ثم بكوا، فكثر بكاؤهم وبكى النبي ﷺ معهم. قال الهيثمي (10/ 31): وفيه رُشْدِين بن سعد، وحديثه في الرِقاق ونحوها حسن، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج البخاري أيضاً من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوازن، فطفق النبي ﷺ يعطي رجالاً المائة من الإبل. فقالوا: يغفرُ الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا، وسيوفنا تقطُر من دمائهم؟! قال أنس بن مالك: فحُدِّث رسول الله ﷺ بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قُبة أَدَم لم يَدْعُ معهم غيرهم. فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال: «ما حديث بلغني عنكم؟» فقال فقهاء الأنصار: أما رؤساؤنا ـ يا رسول الله ـ فلم يقولوا شيئاً، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم؟! فقال رسول الله ﷺ: «فإني لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألَّفهم، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال، وتذهبون بالنبي إلى رحالكم؟ فوالله لَمَا تنقلبون به خيرٌ مما ينقلبون به». قالوا: يا رسول الله، قد رضينا. فقال لهم النبي ﷺ: «فستجدون أُثْرَة شديدة، فاصبروا حتى تلقَوا الله ورسولَه، فإنِّي على الحوض». قال أنس: فلم يصبروا.

وعند أحمد أيضاً من حديث أنس: قال: «أنتم الشِّعار والناس الدِّثار. أما ترضَوْن أن يذهب الناس بالشاه والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ إلى دياركم؟» قالو: بلى. قال: «الأنصار كَرِشي وعَيْبتي، لو سلك الناس وادياً وسلكتِ الأنصار شِعباً لسلكتُ شعبهم، ولولا الهجرة لكنت امْرأً من الأنصار». كذا في «البداية» (4/ 356).

صفة الأنصار رضي الله عنهم

أخرج العسكري في «الأمثال» عن أنس رضي الله عنه قال: قُدم على رسول الله ﷺ بمال من البحرين، فتسامعت به المهاجرون والأنصار. فغَدو إلى رسول الله ﷺ. وذكر حديثاً طويلاً، وفيه: وقال للأنصار: «إنكم ـ ما علمتُ ـ تكثرون عند الفزع، وتقلّون عند الطمع». كذا في «كنز العمال» (7/ 136).

وأخرج البزار عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبي طلحة رضي الله عنه: «أقرىء قومك السلام، وأخبرهم أنهم ما علمتهم أعِفَّةٌ صُبُرٌ». قال الهيثمي (10/ 41) وفيه محمد بن ثابت البُناني وهو ضعيف. وسيأتي ذلك من وجه آخر عن أنس. وأخرجه أبو نُعيم عن أنس رضي الله عنه كما في «الكنز» (7/ 136)، قال: دخل أبو طلحة رضي الله عنه على النبي ﷺ في شكواه الذي قُبض فيه. فقال: «أقرىء قومك السلام، فإنهم أعِفَّةٌ صُبُرٌ». وأخرجه الحاكم (4/ 79) وقال: صحيح الإِسناد، ولم يخرِّجاه. وافقه الذهبي فقال: صحيح.

وأخرج ابن سعد (3/ 9) عن عبد الله بن شدّاد رضي الله عنه يقول: دخل رسول الله ﷺ على سعد بن معاذ رضي الله عنه ـ وهو يكيد بنَفْسه ـ فقال: «جزاك الله خيراً من سيد قوم، فقد أنجزت الله ما وعدته، ولَيُنْجِزَنَّك الله ما وعدك».

وأخرج الإمام أحمد، والبزار عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما يضر امرأةً نزلت بين بيتين من الأنصار، أو نزلت بين أبويها». قال الهيثمي (10/ 40): رجالهما رجال الصحيح.

* * *

إكرام الأنصار
رضي الله عنهم وخدمتهم

أخرج ابن عدي، والبيهقي، وابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال: جاء أُسيد بن حضير رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وقد كان قسم طعاماً، فذكر له أهل بيت من الأنصار من بني ظَفَر فيهم حاجة، وجُلُّ أهل ذلك البيت نِسوة. فقال له النبي ﷺ: «تركتنا ـ يا أُسيد ـ حتى ذهب ما في أيدينا، فإذا سمعت بشيء قد جاءنا، فاذكر لي أهل ذلك البيت». فجاءه بعد ذلك طعام من خيبر شعيراً وتمراً، فقسم رسول الله ﷺ في الناس، وقسم في الأنصار وأجزل، وقسم في أهل ذلك البيت فأجزل. فقال أُسيد بن حضير متشكِّراً: جزاك الله أيْ نبيَّ الله أطيب الجزاء ـ أو قال: خيراً ـ فقال النبي ﷺ: «وأنتم معشر الأنصار، فجزاكم الله أطيب الجزاء ـ أو قال: خيراً ـ فإنكم ما علمتُ أعِفَّة صُبُرٌ، وسترون بعدي أَثَرَة في الأمر والقَسْم، فاصبروا حتى تلقَوني على الحوض». كذا في «كنز العمال» (7/ 135). وأخرجه الحاكم أيضاً في «المستدرك» (4/ 79)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: صحيح ا هـ.

وعند الإمام أحمد عن أُسيد بن حضير رضي الله عنه قال: أتاني أهل بيتين من قومي أهل بيت من ظَفَر وأهل بيت من بني معاوية، فقالوا: كلِّم لنا رسول الله ﷺ يَقسم لنا أو يُعطينا أو نحو هذا، فكلمته،

فقال: «نعم، أقسم لكل واحد منهم شطراً، فإن عاد الله علينا عدنا عليه». قال: قلت: جزاك الله خيراً يا رسول الله. قال: «وأنتم فجزاكم الله خيراً؛ فإنكم ما علمتكم أعِفَّةٌ صُبُرٌ، إنكم ستلقون أَثَرَة بعدي». فلما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم بين الناس فبعث إليّ منها بحُلّة، فاستصغرتها. فبينا أنا أصلي إذ مرّ بي شاب من قريش عليه حُلَّة من تلك الحلل يجرّها، فذكرت قول رسول الله ﷺ: «إنكم ستلقَون أَثَرَةً بعدي» فقلت: صدق الله ورسوله؛ فانطلق رجل إلى عمر رضي الله عنه فأخبره. فجاء وأنا أصلّي فقال: صلِّ يا أسيد. فلما قضيت صلاتي قال: كيف قلت؟ فأخبرته. فقال: تلك حُلَّة بعثت بها إلى فلان وهو بَدْرِيٌّ أُحُدِيٌّ عَقَبِيٌّ، فأتاه هذا الفتى فابتاعها منه، فلبسها، فظننتُ أن ذلك يكون في زماني؟ قال: قلت: قد - والله - يا أمير المؤمنين، ظننت أن ذلك لا يكون في زمانك. قال الهيثمي (10/ 33): رواه الإمام أحمد، ورجاله ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلّس وهو ثقة ا هـ.

وأخرج ابن عساكر عن محمد بن مسلمة رضي الله عنه قال: توجَّهت إلى المسجد فرأيت رجلاً من قريش عليه حُلّة، فقلت: من كساك هذه؟ قال: أمير المؤمنين. قال: فجاوزت فرأيت رجلاً من قريش عليه حُلَّة، فقلت: من كساك هذه؟ قال: أمير المؤمنين. قال: فدخل المسجد فرفع صوته بالتكبير، فقال: الله أكبر، صدق الله ورسوله! الله أكبر، صدق الله ورسوله! قال: فسمع عمر رضي الله عنه صوته، فبعث إليه أن ائتني. فقال: حتى أصلّي ركعتين، فردَّ عليه الرسول يعزم عليه لمَّا جاء. فقال محمد بن مسلمة رضي الله عنه: وأنا أعزم على نفسي أن لا آتيه حتى أصلّي ركعتين، فدخل في الصلاة. وجاء عمر رضي الله عنه فقعد إلى جنبه، فلما قضى صلاته قال: أخبرني عن رفعك صوتَك في مصلّى

رسول الله ﷺ بالتكبير، وقولك: صدق الله ورسوله ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، أقبلتُ أريد المسجد فاستقبلني فلان بن فلان القرشي عليه حُلّة؛ قلت: من كساك هذه؟ قال: أمير المؤمنين. فجاوزت فاستقبلني فلان بن فلان القرشي عليه حُلّة قلت: من كساك هذه؟ قال: أمير المؤمنين، فجاوزت فاستقبلني فلان بن فلان الأنصاري عليه حُلَّة دون الحلتين فقلت: من كساك هذه؟ قال: أمير المؤمنين. إن رسول الله ﷺ قال: «أما إنكم سترون بعدي أثرة»، وإني لم أحِبَّ أن تكون على يديك يا أمير المؤمنين. قال: فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال: أستغفر الله ولا أعود. قال: فما رُئِيَ بعد ذلك اليوم فَضَّلَ رجلاً من قريش على رجل من الأنصار. كذا في «كنز العمال» (2/ 329).

وأخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: دخل سعد بن عبادة رضي الله عنه على رسول الله ﷺ معه ابنه فسلم. فقال رسول الله ﷺ: «ها هنا وها هنا»، وأجلسه عن يمينه، وقال: «مرحباً بالأنصار، مرحباً بالأنصار» وأقام ابنه بين يدي رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «اجلس» فجلس فقال: «ادنُ» فدنا فقبَّل يدي رسول الله ﷺ ورجلَه. فقال النبي ﷺ: «وأنا من الأنصار وأنا من فراخ الأنصار». فقال سعد رضي الله عنه: أكرمك الله كما أكرمتنا. فقال: «إنَّ الله أكرمكم قبل كرامتي، إنكم ستلقَون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقَوني على الحوض». وفيه عاصم بن عبد العزيز الأشجعي. قال الخطيب: ليس بالقوي: كذا في «كنز العمال» (7/ 134). وكذا قال النَّسائي؛ والدارقطني. وقال البخاري: فيه نظر، قلت: روى عنه علي بن المديني، ووثَّقه معن القزّاز. كذا في «الميزان» (2/ 3).

وأخرج البغوي، والبيهقي، وابن عساكر، عن أنس رضي الله عنه

قال: كان جرير معي في سفر، فكان يخدمني، فقال: إني رأيت الأنصار تصنع برسول الله ﷺ شيئاً، فلا أرى أحداً منهم إلا خدمته. كذا في «كنز العمال» (7/ 136).

وأخرج الرُّوياني، وابن عساكر عن حبيب بن أبي ثابت أن أبا أيوب أتى معاوية فشكا عليه أن عليه ديناً، فلم يرَ منه ما يحبُّ ورأى ما يكرهه. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنكم سترون بعدي أثَرة». قال: فأيُّ شيء قال لكم؟ قال: «اصبروا» قال: فاصبروا، فقال: والله لا أسألك شيئاً أبداً. فقدم البصرة فنزل على ابن عباس رضي الله عنهما ففرّغ له بيته وقال: لأصنعنّ بك كما صنعتَ برسول الله ﷺ. فأمر أهله فخرجوا، وقال: لك ما في البيت كلُّه وأعطاه أربعين ألفاً وعشرين مملوكاً. كذا في «كنز العمال» (7/ 95). وأخرجه أيضاً الحاكم من طريق مِقْسَم ـ فذكره بمعناه، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، لم يخرِّجاه. قال الذهبي: صحيح.

وأخرجه الطبراني أيضاً كما في المجمع (9/ 323)، وفي حديثه: فأتى عبدَ الله بن عباس رضي الله عنهما بالبصرة، وقد أمَّره عليها عليّ رضي الله عنه. فقال: يا أبا أيوب، إني أريد أن أخرج لك عن مسكني كما خرجت لرسول الله ﷺ، فأمر أهله فخرجوا، وأعطاه كل شيء أُغلق عليه الدار. فلما كان انطلاقه قال: حاجتّك. قال: حاجتي عطائي وثمانية أعبد يعملون في أرضي، وكان عطاؤه أربعة آلاف فأضعفها له خمس مرات فأعطاه عشرين ألفاً، وأربعين عبداً. قال الهيثمي: ذكر الحديث ـ أي الطبراني ـ بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح، إلّا أن حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من أبي أيوب رضي الله عنه. قلت: وأخرجه الحاكم (3/ 461) أيضاً من طريق حبيب بن أبي ثابت هذا، فزاد

بعده: عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ فذكر الحديث بسياق الطبراني بطوله، ثم قال: قد تقدَّم هذا الحديث بإسناد متصل صحيح، وأعدتُه للزيادات فيه بهذا الإسناد. انتهى.

وأخرج الحاكم (3/ 544): عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه وعبد الله بن فضل بن عباس بن أبي ربيعة بن الحارث أن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال: إنا معشر الأنصار طلبنا إلى عمر أو إلى عثمان ـ شك ابن أبي الزِّناد ـ فمشينا بعبد الله بن عباس رضي الله عنهما وبنفر معه من أصحاب رسول الله ﷺ، فتكلّم ابن عباس وتكلّموا، وذكروا الأنصار ومناقبهم، فاعتلَّ الوالي. قال حسان: وكان أمراً شديداً طلبناه. قال: فما زال يراجعهم حتى قاموا وعذَروه إلا عبد الله بن عباس فإنه قال: لا والله، ما للأنصار من منزل، لقد نصروا وآوَوا وذكر من فضلهم وقال: إنَّ هذا لشاعر رسول الله ﷺ والمنافح عنه، فلم يزل يراجعه عبد الله بكلام جامع يسدّ عليه كل حاجة، فلم يجد بداً من أن قضى حاجتنا. قال: فخرجنا وقد قضى الله عزّ وجلّ حاجتنا بكلامه، فأنا آخذ بيد عبد الله أُثني عليه وأدعو له، فمررت في المسجد بالنفر الذين كانوا معه فلم يبلغوا ما بلغ، فقلت حيث يسمعون: إنّه كان أولاكم بنا. قالوا: أجل. فقلت لعبد الله: إنها ـ والله ـ صُبابة النبوّة، ووراثة أحمد ﷺ كان أحقكم بها. قال حسان: ـ وأنا أشير إلى عبد الله ـ:

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل
بملتقطات لا يُرى بينها فصلا
كفى وشفى ما في الصدور فلم يدع
لذي إربة في القول جداً ولا هزلا

سموتَ إلى العليا بغير مشقّةٍ

فنلتَ ذراها لا دَنِيًّا ولا وَغلا

وأخرجه أيضاً الطبراني عن حسان بن ثابت رضي الله عنه كما في «مجمع الزوائد» (9/ 284) بنحوه، وفي حديثه: إنه ـ والله ـ كان أولاكم بها، إنّها ـ والله ـ صُبابة النبوة، ورواية أحمد ﷺ، ويهديه أعراقه وانتزاع شِبه طباعه. فقال القوم: أجمِلْ يا حسان، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: صدقوا. فأنشأ يمدح ابنَ عباس رضي الله عنهما فقال:

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه

رأيتَ له في كل مجمعة فضلا

ثم ذكر الأشعار الثلاثة المذكورة، ثم زاد بعدها:

خُلقتَ حليفاً للمروءة والنَّدَى

بليغاً ولم تخلق كَهاماً ولا خَلاًّ

فقال الوالي: والله ما أراد بالكهام غيري، والله بيني وبينه.

* * *

الدعاء للأنصار رضي الله عنهم

أخرج الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: شقّ على الأنصار النواضح، فاجتمعوا عند النبي ﷺ يسألونه أن يكري لهم نهراً سَحّاً، فقال لهم رسول الله ﷺ: «مرحباً بالأنصار، مرحباً بالأنصار، مرحباً بالأنصار. لا تسألوني اليوم شيئاً إلا أعطيتكموه؛ ولا أسأل الله لكم شيئاً إلا أعطانيه». فقال بعضهم لبعض: اغتنموها وسلوه المغفرة؛ قالوا: يا رسول الله ادعُ لنا بالمغفرة. فقال: «اللّهمّ اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار». وفي رواية: «ولأزواج الأنصار». قال الهيثمي (10/ 40): رواه الإمام أحمد، والبزار بنحوه، وقال: «مرحباً بالأنصار» ثلاثاً. والطبراني في «الأوسط» و «الصغير» و «الكبير» بنحوه، وقال: «وللكنائن». وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح. انتهى. وعند البزّار، والطبراني عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ اغفر للأنصار ولذراري الأنصار، ولذراري ذراريهم وجيرانهم». قال الهيثمي (10/ 40): ورجالهما رجال الصحيح غير هشام بن هارون وهو ثقة. انتهى. وعند الطبراني عن عوف الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهمَّ اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولموالي الأنصار». قال الهيثمي (10/ 41): وفيه من لم أعرفهم. انتهى. وعند البزّار عن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الإيمان يمان، الإيمان في قحطان، والقسوة في

ولد عدنان، حِمْيَر رأس العرب ونابُها، ومَذْحِج هامتها وعِصمتها، والأزد كاهلها وجمجمتها، وهَمْدان غاربها وذِروتها اللَّهمَّ أعِزَّ الأنصار الذين أقام الله الدين بهم، الذين آوَوْني، ونصروني، وحَمَوني، وهم أصحابي في الدنيا وشيعتي في الآخرة، وأول من يدخل الجنة من أمتي» قال الهيثمي (10/ 41): وإسناده حسن. انتهى. وأخرج ابن أبي الدنيا في «الأشراف» كما في «الكنز» (7/ 134) عن عثمان بن محمد بن الزبيري قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في بعض خطبه: نحن ـ والله ـ والأنصار كما قال:

جزى الله عنا جعفراً حين أشرقت
بنا نعلنا للواطئين فزَلَّتِ
أبَوا أن يملُّونا ولو أن أمّنا
تُلاقي الذي يلْقون منّا لمَلَّتِ

* * *

إيثار الأنصار رضي الله عنهم
في أمر الخلافة

أخرج الإمام أحمد، وابن جرير بإسناد حسن عن حُميد بن عبد الرحمن الحِميري قال: توفي رسول الله ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه في طائفة المدينة، فجاء فكشف عن وجهه، فقال: فدىً لك أبي وأمي! ما أطيبك حيّاً وميّتاً!! مات محمد وربِّ الكعبة. وانطلق أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما يتقاودان حتى أتوهم. فتكلم أبو بكر فلم يترك أبو بكر شيئاً أُنْزِلَ في الأنصار، ولا ذكره رسول الله ﷺ في شأنهم إلَّا ذكره. وقال: لقد علمت أن رسول الله ﷺ قال: «لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً لسلكت وادي الأنصار» ولقد علمتَ ـ يا سعد ـ أن رسول الله ﷺ قال ـ وأنت قاعد ـ: «قريش ولاة هذا الأمر، فَبَرُّ الناس تبعٌ لبَرِّهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم». فقال له سعد رضي الله عنه: صدقت. نحن الوزراء وأنتم الأمراء. كذا في «الكنز» (3/ 137). وقال الهيثمي (5/ 191): رواه الإمام أحمد ـ وفي الصحيح طرف من أوله ـ، ورجاله ثقات إلا أنَّ حُميد بن عبد الرحمن لم يدرك أبا بكر. انتهى.

وأخرج الطيالسي، وابن سعد (3/ 151) وابن أبي شيبة، والبيهقي (8/ 143) وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار، فجعل الرجل منهم يقول: يا معشر

المهاجرين إنَّ رسول الله ﷺ كان إذ استعمل رجلاً منكم قَرَن معه رجلاً منا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان أحدهما منكم والآخر منا؛ فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك. فقام زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وإن الإمام يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنّا أنصار رسول الله ﷺ. فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: جزاكم الله يا معشر الأنصار خيراً، وثبّت قائلكم؛ ثم قال: أما ـ والله ـ لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم. ثم أخذ زيد بن ثابت بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه. فذكر الحديث كما في «كنز العمال» (3/ 131). وقال الهيثمي (5/ 183): رواه الطبراني، وأحمد ورجاله رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه الطبراني عن أبي طلحة رضي الله عنه ـ بنحوه كما في «الكنز» (3/ 140).

وأخرج ابن سعد، وابن جرير عن القاسم بن محمد أن النبي ﷺ لما توفي اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه. فأتاهم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، فقام حُباب بن المنذر رضي الله عنه ـ وكان بدرياً ـ فقال: منَّا أمير ومنكم أمير، فإنّا ـ والله ـ ما نَنْفَس هذا الأمر عليكم أيها الرهط، ولكنّا نخاف أن يليه أقوام قتلنا آباءهم وإخوتهم. فقال له عمر رضي الله عنه: إذا كان ذلك فمُتْ إن استطعت؛ فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فقال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وهذا الأمر بيننا وبينكم نصفين كقدِّ الأُبْلُمة ـ يعني الخوصة ـ فبايع أولُ الناس بشيرُ بن سعد أبو النعمان رضي الله عنه. فلما اجتمع الناس على أبي بكر قسم بين الناس قَسْماً، فبعث إلى عجوز من بني عدي بن النجار قَسْمها مع زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقالت: ما هذا؟ قال: قَسْم قسمه أبو بكر للنساء. فقالت: أتراشوني عن ديني؟. فقالوا:

لا . فقالت: أتخافون أن أدَعَ ما أنا عليه؟ فقالوا: لا . فقالت: فوالله لا آخذ منه شيئاً أبداً . فرجع زيد إلى أبي بكر فأخبره بما قالت، فقال أبو بكر: ونحن لا نأخذ مما أعطيناها شيئاً أبداً . كذا في «كنز العمال» (3/ 130).

* * *

الباب السادس

باب الجهاد

كيف كان النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يجاهدون في سبيل الله، وينفرِون للدعوة إلى الله وإلى رسوله ﷺ خفافاً وثقالاً ومُكْرَهاً ومَنْشَطاً؟ وكيف كانوا يتهيّؤون لذلك في زمان العُسر واليُسر والشتاء والصيف؟

تحريض النبي ﷺ وترغيبه على الجهاد وإنفاق الأموال

أخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه - واللفظ له - عن أبي عمران أنه سمع أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ - ونحن بالمدينة -: «إني أُخبرت عن عِير أبي سفيان أنَّها مقبلة؛ فهل لكم أن نخرج قِبَل هذه العير لعلّ الله يُغَنِّمنَاها؟» فقلنا: نعم. فخرج وخرجنا. فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا: «ما ترون في القوم فإنهم قد أُخبروا بمخرجكم؟» قلنا: لا - والله - ما لنا طاقة بقتال القوم، ولكنا أردنا العير. ثم قال: «ما ترون في قتال القوم؟» فقلنا مثل ذلك. فقام المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال: إذاً لا نقول لك - يا رسول الله - كما قال قوم موسى لموسى عليه السلام: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]. قال: فتمنّينا - معشر الأنصار - لو أنّا قلنا مثل ما قال المقداد أحبّ إلينا من أن يكون لنا مال عظيم فأنزل الله عزّ وجلّ على رسوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ۝٥﴾ [الأنفال: 5] - وذكر تمام الحديث. كذا في «البداية» (3/ 263) وقد ذكره بتمامه في «مجمع الزوائد» (6/ 73)؛ ثم قال (6/ 74): رواه البزّار بتمامه، والطبراني ببعضه وفيه: عبد العزيز بن عمران وهو متروك. انتهى.

وقد **أخرج الإمام أحمد** كما في «البداية» (3/ 263) عن أنس

رضي الله عنه قال: استشار النبي ﷺ مَخْرَجه إلى بدر، فأشار عليه أبو بكر رضي الله عنه، ثم استشارهم فأشار عليه عمر رضي الله عنه، ثم استشارهم فقال بعض الأنصار: إياكم يريد رسول الله ﷺ يا معشر الأنصار، فقال بعض الأنصار: يا رسول الله، إذاً لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]، ولكن - والذي بعثك بالحق - لو ضربت أكبادها إلى بَرْكِ الغِمَادِ لاتَّبعناك. قال ابن كثير: هذا إسناد ثلاثي صحيح على شرط الصحيح.

وعند الإمام أحمد أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان. قال: فتكلّم أبو بكر رضي الله عنه فأعرض عنه، ثم تكلّم عمر رضي الله عنه فأعرض عنه. فقال سعد بن عبادة رضي الله عنه: إيّانا يريد رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نخيضها البحار لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا. فندب رسول الله ﷺ الناس. كذا في «البداية» (3/ 263). وأخرجه ابن عساكر أيضاً عن أنس بنحوه كما في «كنز العمال» (5/ 273).

وأخرج ابن مَرْدَوَيْه عن علقمة بن وقَّاص الليثي رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى بدر حتى إذا كان بالرَّوْحاء خطب الناس فقال: «كيف ترون؟» فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، بَلَغنا أنهم بكذا وكذا. قال: ثم خطب الناس فقال: «كيف ترون؟» فقال عمر رضي الله عنه مثل قول أبي بكر. ثم خطب الناس فقال: «كيف ترون؟» فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه: يا رسول الله إيانا تريد، فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط، ولا لي بها علم، ولئن

سرتَ حتى تأتي بَرْكَ الغِمَادِ من ذي يَمَنٍ لنسيرن معك، ولا نكون كالذين قالوا لموسى عليه السلام: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: 24] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكم مُتَّبِعون، ولعلَّ أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره، فانظر الذي أحدث الله إليك فامضِ، فصِلْ حبالَ من شئتَ، واقطع حبال من شئتَ، وعادِ من شئتَ، وسالم من شئتَ؛ وخذ من أموالنا ما شئت. فنزل القرآن على قول سعد رضي الله عنه: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ [الانفال: 5] ـ الآيات. وذكر الأمويُّ في مغازيه، وزاد بعد قوله: وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منَّا كان أحب إلينا ممّا تركت، وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غُمْدان لنسيرن معك. كذا في «البداية» (3/ 264).

وذكره ابن إسحاق وفي سياقه: قال سعد بن معاذ رضي الله عنه: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله، قال: «أجل». قال: فقد آمنّا بك، وصدَّقناك، وشهدنا أنَّ ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامضِ ـ يا رسول الله ـ لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضتَه لخضناه معك، ما تخلّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقَى بنا عدونا غداً. إنا لصُبُرٌ في الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، لعل الله يُرِيك منا ما تقرُّ به عينك، فسِرْ على بركة الله. فسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشّطه، ثم قال: «سيروا وأبشروا؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله، لكأنّي الآن أنظر إلى مصارع القوم» كذا في «البداية» (3/ 262).

وأخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ بُسْبُساً عيناً ينظر ما صنعتْ عير أبي سفيان، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير النبي ﷺ - قال: لا أدري ما استثنى من بعض نسائه - قال: فحدّثه الحديث. قال: فخرج رسول الله فتكلّم فقال: «إنَّ لنا طَلِبَة، فمن كان ظَهْره حاضراً فليركب معنا». فجعل رجال يستأذنونه في ظهورهم في عُلْو المدينة. قال: «لا، إلّا من كان ظهره حاضراً». وانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: «لا يتقدَّمَنّ أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه»، فدنا المشركون، فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض». قال: يقول عُمير بن الحُمام الأنصاري رضي الله عنه: يا رسول الله، جنة عرضها السماوات والأرض؟! قال: «نعم». قال: بَخٍ بَخٍ!! فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قول: بَخٍ بَخٍ؟» قال: لا والله يا رسول الله، إلّا رجاءَ أن أكون من أهلها. قال: «فإنّك من أهلها». قال: فأخرج تمرات من قَرْنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها حياة طويلة. قال: فرمى ما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل - رحمه الله -. ورواه مسلم أيضاً كذا في البداية (3/ 277). وأخرجه البيهقي (9/ 99) أيضاً بطوله: والحاكم (3/ 426) مختصراً.

وعند ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرَّضهم وقال: «والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتَل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر؛ إلّا أدخله الله الجنة». قال عُمَيْرُ بن الحُمام رضي الله عنه - أخو بني سَلِمة وفي يده تمرات يأكلهنَّ -: بَخٍ، بَخٍ!! أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟! قال: ثم قذف

التمرات من يده، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل. وقد ذكر ابن جرير: أن عميراً قاتل وهو يقول:

رَكْضاً إلى الله بغير زادِ
إلاّ التُّقى وعملِ المعادِ
والصبرِ في الله على الجهاد
وكلُّ زادٍ عُرضةُ النفاد
غيرُ التقى والبِرِّ والرشادِ

كذا في «البداية» (3/ 277).

وأخرج ابن عساكر (1/ 105) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جئت رسول الله ﷺ بعد خروجه من الطائف بستة أشهر، ثم أمره الله بغزوة تبوك، وهي التي ذكر الله في ساعة العسرة، وذلك في حرّ شديد، وقد كثر النفاق وكثر أصحاب الصُّفَّة ـ والصُّفَّة بيت كان لأهل الفاقة يجتمعون فيه، فتأتيهم صدقة النبي ﷺ والمسلمين. وإذا حضر غزو عمد المسلمون إليهم فاحتمل الرجلُ الرجلَ أو ما شاء الله بشبعه؛ فجهزوهم وغزَوا معهم واحتسبوا عليهم ـ فأمر رسول الله ﷺ المسلمين بالنفقة في سبيل الله والحِسبة؛ فأنفقوا احتساباً. وأنفق رجال غير محتسبين، وحُمل رجال من فقراء المسلمين وبقي أُناس، وأفضل ما تصدّق به يومئذٍ أحد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه. تصدّق بمائتي أوقية، وتصدّق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمائة أوقية، وتصدّق عامر الأنصاري رضي الله عنه بتسعين وَسْقاً من تمر. وقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، إني لا أرى عبد الرحمن إلا قد احْتَوَب ما ترك لأهله شيئاً. فسأله رسول الله ﷺ: «هل تركت لأهلك شيئاً؟» قال: نعم، أكثر ممّا أنفقت وأطيب. قال: «كم؟» قال: ما وعد الله ورسوله من الرزق

والخير. وجاء رجل من الأنصار يقال له أبو عقيل رضي الله عنه بصاع من تمر فتصدّق به. وعمد المنافقون حين رأوا الصدقات يتغامزون، فإذا كانت صدقة الرجل كثيرة تغامزوا به وقالوا: مراءٍ. وإذا تصدّق رجل بيسير تمر من طاقته قالوا: هذا أحوج إلى ما جاء به. فلما جاء أبو عقيل بصاع من تمر قال: بِتُّ ليلتي أجرٌّ بالجرير على صاعَين، والله ما كان عندي من شيء غيره ـ وهو يعتذر وهو يستحيي ـ، فأتيت بأحدهما وتركت الآخر لأهلي. فقال المنافقون: هذا أفقر إلى صاعه من غيره، وهم في ذلك ينتظرون أن يُصيبوا من الصدقات غنيهم وفقيرهم.

فلما أزف خروج رسول الله ﷺ أكثروا الاستئذان، وشكَوا الحرّ، وخافوا ـ زعموا ـ الفتنة إن غَزَوا ويحلفون بالله على الكذب. فجعل رسول الله ﷺ يأذن لهم لا يدري ما في أنفسهم، وبنى طائفة منهم مسجد النفاق يرصدون به الفاسق أبا عامر ـ وهو عند هرقل قد لحق به ـ وكنانة بن عبد ياليل، وعلقمة بن عُلَاثة العامري ـ وسورة «براءة» تنزل في ذلك أرسالاً، ونزلت فيها آية ليست فيها رخصة لقاعد. فلما أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: 41]، اشتكى الضعيف الناصح لله ولرسوله والمريض والفقير إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: هذا الأمر لا رخصة فيه. وفي المنافقين ذنوب مستورة لم تظهر حتى كان بعد ذلك، وتخلّف رجال غير مستيقنين ولا ذوي علّة. ونزلت هذه السورة بالبيان والتفصيل في شأن رسول الله ﷺ تخبر بنبإ من اتَّبعه حتى بلغ تبوك. فبعث منها علقمة بن مُجَزِّز المُدْلجي رضي الله عنه إلى فلسطين، وبعث خالد بن الوليد إلى دُومة الجندل: فقال: أسرعْ لعلّك أن تجده خارجاً يتقنّص، فتأخذه؛ فوجده فأخذه.

وأرجف المنافقون في المدينة بكل خبر سوء، فإذا بلغهم أنَّ

المسلمين أصابهم جَهْد وبلاء تباشروا به وفرحوا وقالوا: قد كنَّا نعلم ذلك ونحذر منه، وإذا أُخبروا بسلامة منهم وخير حزنوا. وعرف ذلك منهم فيهم كل عدو لهم بالمدينة، فلم يبقَ أحد من المنافقين أعرابي ولا غيره إلّا استخفى بعمل خبيث ومنزلة خبيثة، واستعلن، ولم يبق ذو علَّة إلّا وهو ينظر الفَرَج فيما ينزل الله في كتابه، ولم تزل سورة «براءة» تنزل حتى ظنَّ الناس بالمؤمنين الظنون، وأشفقوا أن لا ينفلت منهم كبير ولا صغير أذنب في شأن التوبة قط ذنباً إلا أُنزل فيه أمر بلاء حتى انقضت. وقد وقع بكل عامل تبيان منزلته من الهدى والضلالة. انتهى. وذكره في «كنز العمال» (1/ 249) عن ابن عساكر وابن عابد ـ بطوله.

وأخرج البيهقي من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم أنه قال: ما كان النبي ﷺ يخرج في وجه من مغازيه إلَّا أظهر أنه يريد غيره؛ غير أنه في غزوة تبوك قال: «يا أيها الناس، إنِّي أريد الروم»، فأعلمهم، وذلك في زمان من البأس، وشدة الحرّ، وجدب من البلاد، وحين كانت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها. فبينما رسول الله ﷺ ذات يوم في جَهازه ذلك قال للجَدّ بن قيس: «يا جدّ، هل لك في جِلّاد بني الأصفر؟» فقال: يا رسول الله، ائذن لي ولا تفتنِّي، لقد علم قومي أنَّه ليس من أحد أشدّ عجباً بالنساء مني، وإني أخاف إن رأيت نساء بني الأصفر أن يَفْتِنَّني، فأْذن لي يا رسول الله. فأعرض عنه وقال: «قد أذنت لك». فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة: 49]، يقول: ما وقع فيه من الفتنة بتخلّفه عن رسول الله ﷺ ورغبته بنفسه عن نفسه (أكبر) ما يخاف من فتنة نساء بني الأصفر: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يقول لِمَنْ وراءه. وقال رجل من جملة

المنافقين: لا تنفروا في الحر، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: 81]. قال: ثم إنَّ رسول الله ﷺ جدّ في سفره، وأمر الناس بالجهاد، وحضّ أهل الغنى على النفقة والحُملان في سبيل الله. فحمل رجال من أهل الغنى وأحسنوا؛ وأنفق عثمان رضي الله عنه في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم منها، وحمل على مائتي بعير. كذا في «التاريخ» لابن عساكر (1/ 108) وأخرجه البيهقي في «السِيَر» (9/ 33) عن عروة رضي الله عنه مختصراً. وذكره في «البداية» (5/ 3) عن ابن إسحاق عن الزُّهري ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر ـ بنحوه.

وأخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال للجدّ بن قيس: «ما تقول في مجاهدة بني الأصفر؟» قال: يا رسول الله، إنِّي امرؤٌ صاحب نساء، ومتى أرى نساء بني الأصفر أفتتن، أفتأذن لي في الجلوس ولا تَفْتِنِّي؟ فأنزل الله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: 49]. قال الهيثمي (7/ 30): وفيه يحيى الحِمَّاني وهو ضعيف.

وذكر ابن عساكر (1/ 110): أن رسول الله ﷺ بعث إلى القبائل وإلى مكة يستنفرهم إلى عدوّهم، فبعث بُرَيدة بن الحُصَيب رضي الله عنه إلى أَسْلَمَ وأمره أن يَبْلغ الفُرْع، وبعث أبا رُهْم الغِفاري رضي الله عنه إلى قومه وأمره أن يطلبهم ببلادهم، وخرج أبو واقد الليثي رضي الله عنه في قومه، وخرج أبو جعد الضَّمري رضي الله عنه في قومه بالساحل، وبعث رافع بن مَكِيث وجُنْدَب بنَ مكِيث رضي الله عنهما إلى جُهَينة، وبعث نُعَيم بن مسعود رضي الله عنه إلى أشْجَعَ، وبعث في بني كعب بن عمرو

عِدَّةً، وهم: بُدَيل بن ورقاء، وعمرو بن سالم، وبِشر بنِ سفيان رضي الله عنهم، وبعث في سُلَيم عِدَّةً، منهم العباس بن مرداس رضي الله عنه.

وحضَّ رسول الله ﷺ المسلمين على الجهاد ورغَّبهم فيه، وأمرهم بالصدقة. فحملوا صدقات كثيرة، وكان أولَ من حمل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فجاء بماله كله؛ أربعة آلاف درهم، فقال له رسول الله ﷺ: «هل أبقيت لأهلك شيئاً؟» فقال: الله ورسوله أعلم. ثم جاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله. فقال رسول الله ﷺ: هل أبقيت لأهلك شيئاً؟ قال: نعم، نصف ما جئت به. وبلغ عمر ما جاء به أبو بكر الصديق، فقال: ما استبقنا إلى خير قط إلَّا سبقني إليه. وحمل العباس بن عبد المطلب، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما إلى النبي ﷺ مالاً، وحمل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إليه مائتي أوقية، وحمل سعد بن عُبادة رضي الله عنه إليه مالاً، وكذلك محمد بن مَسْلمة رضي الله عنه، وتصدَّق عاصم بن عدي رضي الله عنه بتسعين وَسْقاً تمراً، وجهّز عثمان بن عفّان رضي الله عنه ثلث ذلك الجيش، وكان من أكثرهم نفقة حتى كفى ثلث ذلك الجيش مؤونتهم؛ حتى إنْ كان ليُقال ما بقيت لهم حاجة، حتى كفاهم إشفى أسقيتهم؛ فيقال: إنَّ رسول الله ﷺ قال يومئذٍ: «ما يضر عثمانَ ما فعل بعد هذا!!».

ورغب أهل الغنى في الخير والمعروف واحتسبوا في ذلك الخير، وقوَّى ناس دون هؤلاء من هو أضعف منهم، حتى إنَّ الرجل ليأتي بالبعير إلى الرجل والرجلين فيقول: هذا البعير بينكما تعتقبانه، ويأتي الرجل بالنفقة فيعطيها بعض من يخرج، حتى إنْ كنّ النساءُ ليُعِنَّ بكل ما قَدَرْن عليه. لقد قالت أم سِنَان الأسلمية رضي الله عنها: لقد رأيت ثوباً مبسوطاً بين يدي النبي ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها فيه: مَسَكٌ،

ومعاضِدُ، وخلاخلُ، وأقْرِطةٌ، وخواتيمُ، وقد مُلىء ممَّا بعث من النساء يُعِنَّ به المسلمين في جهَازهم، والناس في عُسْرة شديدة وحين طابت الثمار وأُحبّت الظِّلال، فالناس يحبُّون المقام ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه. وأخذ رسول الله ﷺ بالانكماش والجدِّ، وضرب رسول الله ﷺ عسكره بثَنِيَّة الوَداع، والناس كثير لا يجمعهم كتاب؛ قلَّ رجل يريد أن يتغيّب إلَّا ظَنَّ أن ذلك سيخفَى له ما لم ينزل فيه وحيٌ من الله.

فلما استمرّ برسول الله ﷺ سفره وأجمع السير، استخلف على المدينة سِباع بن عُرْفُطة الغِفاري ـ ويقال محمد بن مَسْلمة رضي الله عنهما ـ فقال رسول الله ﷺ: «استكثروا من النِّعال، فإنَّ الرجل لا يزال راكباً ما دام متنعّلاً». فلمَّا سار رسول الله ﷺ تخلَّف ابن أُبيّ عنه فيمن تخلَّف من المنافقين، وقال: يغزو محمد بني الأصفر مع جَهْد الحال والحرّ والبلد البعيد إلى ما لا قبَلَ له به!! يحسب محمد أن قتال بني الأصفر اللعب؟! ونافق من هو معه على مثل رأيه. ثم قال ابن أُبيّ: والله، لكأنّي أنظر إلى أصحابه غداً مُقَرَّنين في الحبال ـ إرجافاً برسول الله ﷺ وأصحابه ـ. فلمَّا رحل رسول الله ﷺ من ثنيّة الوَداع إلى تبوك وعقد الألوية والرايات دفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر، ورايته العظمى إلى الزبير، ودفع راية الأوس إلى أُسَيد بن الحُضَير؛ ولواء الخزرج إلى أبي دُجَانة ويقال إلى الحُباب بن المنذر رضوان الله عليهم أجمعين. وكان الناس مع رسول الله ﷺ ثلاثين ألفاً، ومن الخيل عشرة آلاف فرس، وأمر كل بَطْن من الأنصار أن يتَّخذ لواءه ورايته، والقبائل من العرب فيها الراياتُ والألوية. انتهى بحذف يسير.

* * *

اهتمامه ﷺ ببَعْث أسامة رضي الله عنه في مرض وفاته، وشدة اهتمام أبي بكر رضي الله عنه بذلك في أول خلافته

أخرج ابن عساكر (1/ 120) من طريق الزُّهري عن عُرْوة عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: أنَّ النبي ﷺ أمره أن يُغير على أهل أُبْنَى صباحاً وأن يحرِّق. ثم قال رسول الله ﷺ لأسامة: «امضِ على اسم الله». فخرج بلوائه معقوداً، فدفعه إلى بُرَيدة بن الحُصَيب الأسلمي، فخرج به إلى بيت أسامة. وأمرَ رسول الله ﷺ أُسامة فعسكر بالجُرف، وضرب عسكره في موضع سقاية سليمان اليوم. وجعل الناس يأخذون بالخروج؛ فيخرج من فرغ من حاجته إلى معسكره، ومن لم يقضِ حاجته فهو على فراغ. ولم يبق أحد من المهاجرين الأوَّلين إلَّا انتُدب في تلك الغزوة: عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص، وأبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، في رجال المهاجرين. والأنصار عِدَّة: قتادة بن النعمان، وسَلَمة بن أسلم بن حريش رضي الله عنهم.

فقال رجال من المهاجرين ـ وكان أشدهم في ذلك قولاً عيَّاش بن أبي ربيعة ـ: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين!! فكثرت القالة في ذلك. فسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض ذلك القول، فردَّه على من تكلم به، وجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بقول من قال، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً ـ وقد عصب على رأسه بعصابة وعليه قطيفة ـ

ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد أيها الناس: فما مقالةٌ بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة؟ فوالله لئن طَعَنتم في إمارتي أسامة، لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله. وايْمُ الله، إنْ كان للإمارة لخَليق، وإنَّ ابنه من بعده لخليق بالإمارة. وإنْ كان لأحبَّ الناس إليّ، وإنَّ هذا لمن أحب الناس إليّ، وإنهما لمخيَّلان لكل خير، فاستوصوا به خيراً، فإنه من خياركم». ثم نزل رسول الله ﷺ فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشر ليالٍ خَلَون من ربيع الأول.

وجاء المسلمون الذين سيخرجون مع أسامة رضي الله عنه يودّعون رسول الله ﷺ، وفيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورسول الله ﷺ يقول: «أنْفِذوا بَعْث أُسامة». ودخلت أم أيمن رضي الله عنها فقالت: أيْ رسول الله، لو تركتَ أُسامة يقيم في معسكره حتى تَماثل، فإن أُسامة إن خرج على حاله هذه لم ينتفع بنفسه. فقال رسول الله ﷺ: «أنفِذُوا بَعْثَ أُسامة». فمضى الناس إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحد، ونزل أُسامة يوم الأحد، ورسول الله ﷺ ثقيل مَغْمور وهو اليوم الذي لَدُّوه فيه، فدخل على رسول الله ﷺ وعيناه تهملان وعنده العباس والنساء حوله، فطأطأ عليه أُسامة فقبَّله ـ ورسول الله ﷺ لا يتكلّم ـ، فجعل يرفع يديه إلى السماء، ويصبُّهما على أُسامة. قال أُسامة: فأعرف أنَّه كان يدعو لي. قال أُسامة: فرجعت إلى معسكري. فلما أصبح يوم الإثنين غدا من معسكره وأصبح رسول الله ﷺ مُفيقاً، فجاءه أُسامة، فقال: «أُغْدُ على بركة الله» فودّعه أُسامة ورسول الله ﷺ مفيق، وجعل نساؤه يتماشطن سروراً براحته. ودخل أبو بكر رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، أصبحت مُفيقاً بحمد الله، واليومُ يوم ابنة خارجة، فأْذنْ لي، فأذن له، فذهب إلى السُّنْح وركب أُسامة إلى معسكره، وصاح في أصحابه

باللحوق إلى العسكر، فانتهى إلى معسكره، ونزل وأمر الناس بالرحيل وقد مَتَع النهار.

فبينا أُسامة يريد أن يركب من الجُرْفَ أتاه رسول أُم أيمن رضي الله عنها ـ وهي أُمه ـ تخبره أنَّ رسول الله ﷺ يموت، فأقبل أُسامة إلى المدينة ومعه عمر، وأبو عبيدة، فانتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو يموت، فتوفي عليه السلام حين زاغت الشمس يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلةً خَلَت من ربيع الأول. ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجُرْف إلى المدينة، ودخل بُرَيدة بن الحُصَيب رضي الله عنه بلواء أُسامة معقوداً حتى أتى به باب رسول الله ﷺ فغرزه عنده. فلمَّا بُويع لأبي بكر أمر بُرَيدة أن يذهب باللواء إلى بيت أُسامة ولا يَحُلَّه أبداً حتى يغزو بهم أُسامة. قال بريدة: فخرجت باللواء حتى انتهيت به إلى بيت أُسامة، ثم خرجتُ به إلى الشام معقوداً مع أُسامة، ثم رجعت به إلى بيت أُسامة، فما زال معقوداً في بيته حتى توفي.

فلما بلغ العربَ وفاةُ رسول الله ﷺ وارتد من ارتد منها عن الإسلام؛ قال أبو بكر لأسامة: (أُنفُذْ في وجهك الذي وجَّهك فيه رسول الله ﷺ) وأخذ الناس بالخروج وعسكروا في موضعهم الأول، وخرج بُرَيدة باللواء حتى انتهى إلى معسكرهم الأول. فشقَّ ذلك على كبار المهاجرين الأوَّلين، ودخل على أبي بكر، عمر، وعثمان، وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد رضي الله عنهم، فقالوا: يا خليفة رسول الله، إنّ العرب قد انتقضت عليك من كل جانب، وإنَّك لا تصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئاً، اجعلهم عدّة لأهل الردّة ترمي بهم في نحورهم، وأُخرى: لا نأمن على أهل المدينة أن يُغار عليها وفيها الذراري والنساء، ولو تأخرت لغزو الروم حتى يضرب الإسلام

بجِرَانه، ويعود أهل الرّدة إلى ما خرجوا منه أو يُفنيهم السيف، ثم تبعث أسامة حينئذٍ فنحن نأمن الروم أن تزحف إلينا.

فلما استوعب أبو بكر كلامهم قال: هل منكم أحد يريد أن يقول شيئاً؟ قالوا: لا، قد سمعتَ مقالتنا. فقال: والذي نفسي بيده، لو ظننتُ أنَّ السِباع تأكلني بالمدينة لأنفذت هذا البَعْث، ولا بد أن يؤوب منه، كيف ورسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي من السماء يقول: أنفِذوا جيش أسامة؟! ولكن خصلة أكلّم بها أسامة، أكلِّمه في عمر يقيم عندنا فإنّه لا غنى بنا عنه؛ والله ما أدري يفعل أسامة أم لا، والله إن أبى لا أُكرِهُه. فعرف القوم أن أبا بكر قد عزم على إنفاذ بعث أسامة.

ومشى أبو بكر إلى أسامة في بيته وكلّمه في أن يترك عمر، ففعل، وجعل يقول له: أذنتَ ونفسك طيبة؟ فقال أسامة: نعم. قال: فخرج، وأمر مناديه ينادي: عَزْمةٌ مني أن لا يتخلَّف عن أسامة مِنْ بَعْثه مَنْ كان انتدب معه في حياة رسول الله ﷺ، فإنّي لن أُوتى بأحد أبطأ عن الخروج معه إلا ألحقته به ماشياً. وأرسل إلى النَّفر من المهاجرين الذين كانوا تكلموا في إمارة أسامة، فغلَّظ عليهم وأخذهم بالخروج، فلم يتخلَّف إنسان واحد.

وخرج أبو بكر يُشيِّعُ أسامة والمسلمين، فلما ركب من الجُرف في أصحابه وهم ثلاثة آلاف رجل، وفيهم ألف فرس، فسار أبو بكر إلى جنب أسامة ساعة ثم قال: (أستودِعُ الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، إنَّ رسول الله ﷺ أوصاك، فانفُذ لأمر رسول الله، فإني لستُ آمرك ولا أنهاك عنه، إنّما أنا مُنَفِّذ لأمْرٍ أمَرَ به رسول الله ﷺ). فخرج سريعاً فوطىء بلاداً هادئة لم يرجعوا عن الإسلام مثل جُهَينة وغيرها من قُضاعة. فلما نزل وادي القُرى قدَّم عيناً له من بني عُذْرة يدعى حُرَيثاً،

فخرج على صدر راحلته أمامه فغزا حتى انتهى إلى أبنى، فنظر إلى ما هناك وارتاد الطريق، ثم رجع سريعاً حتى لقي أسامة على مسيرة ليلتين من أُبْنى، فأخبره أنَّ الناس غارُّون ولا جموع لهم، وأمره أن يسرع السير قبل أن تجتمع الجموع، وأن يشنّها غارة. كذا في مختصر ابن عساكر. وقد ذكره في «كنز العمال» (5/ 312) عن ابن عساكر من طريق الواقدي عن أسامة رضي الله عنه. وأشار إليه الحافظ في «فتح الباري» (8/ 107).

وأخرج ابن عساكر أيضاً عن الحسن بن أبي الحسن قال: ضرب رسول الله ﷺ بَعْثاً قبل وفاته على أهل المدينة ومن حولهم، وفيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأمَّر عليهم أسامة بن زيد رضي الله عنه، فلم يجاوز آخرهم الخندق حتى قُبِضَ رسول الله ﷺ. فوقف أسامة بالناس، ثم قال لعمر: ارجع إلى خليفة رسول الله ﷺ فاستأذنه؛ يأذن لي فليرجع الناس، فإنَّ معي وجوههم وحدَّهم، ولا آمن على خليفة رسول الله ﷺ وَثَقَل رسول الله وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون. وقالت الأنصار: فإن أبى إلَّا أن نمضي فأبلغه عنَّا واطلب إليه أن يولِّي أمرنا رجلاً أقدم سِنّاً من أسامة. فخرج عمر بأمر أسامة، فأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة. فقال أبو بكر: لو اختطفتني الكلاب والذئاب لم أردَّ قضاءً قضاه رسول الله ﷺ. قال: فإن الأنصار أمروني أن أبْلِغك أنهم يطلبون إليك أن تولِّي أمرهم رجلاً أقدم سنّاً من أسامة، فوثب أبو بكر - وكان جالساً - فأخذ بلحية عمرَ وقال: ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب! استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزِعه؟! فخرج عمر إلى الناس؛ فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: امضوا ثكلتكم أمهاتكم، ما لقيت في سببكم اليوم من خليفة رسول الله!!.

ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم فأشجعهم وشيّعهم، وهو ماش وأسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر رضي الله عنهم، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله، لتركبنّ أو لأنزلنّ، فقال: والله لا تنزل، ووالله لا أركب؛ وما عليّ أنْ أُغبِّر قدميَّ ساعة في سبيل الله، فإنَّ للغازي بكل خطوةٍ يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، وسبعمائة درجة ترفع له، وتُمحى عنه سبعمائة خطيئة، حتى إذا انتهى قال له: إنْ رأيت أن تعينني بعمر بن الخطاب فافعل، فأذن له. كذا في «مختصر ابن عساكر» (1/ 117)، و «كنز العمال» (5/ 314). وذكره في «البداية» (6/ 305) عن سَيْف عن الحسن مختصراً.

وأخرج ابن عساكر أيضاً عن عروة قال: لما فرغوا من البَيْعة واطمأنَّ الناس، قال أبو بكر لأسامة: (امضِ لوجهك الذي بعثك له رسول الله ﷺ). فكلَّمه رجال من المهاجرين والأنصار وقالوا: أمسك أسامة وبَعْثه، فإنَّا نخشى أن تميل علينا العرب إذا سمعوا بوفاة رسول الله ﷺ. فقال أبو بكر ـ وكان أحزمَهم أمراً ـ: أنا أحبس جيشاً بعثه رسول الله ﷺ؟! لقد اجترأت على أمر عظيم!! والذي نفسي بيده، لأن تميل عليّ العرب أحبُّ إليّ من أن أحبس جيشاً بعثه رسول الله ﷺ!! امضِ يا أسامة في جيشك للوجه الذي أُمِرْتَ به، ثم اغزُ حيث أمرك رسول الله ﷺ من ناحية فلسطين، وعلى أهل مؤتة، فإنَّ الله سيكفي ما تركت، ولكن إنْ رأيتَ أن تأذن لعمر بن الخطاب فأستشيره وأستعين به، فإنه ذو رأي ومناصح للإسلام، فافعل. ففعل أُسامة. ورجع عامة العرب عن دينهم، وعامة أهل المشرق وغَطَفان وبنو أسد، وعامة أشْجَع، وتمسك طيّء بالإسلام.

وقال عامة أصحاب النبي ﷺ: أمسك أُسامة وجيشه، ووجِّهْهم إلى

من ارتد عن الإسلام من غَطَفان وسائر العرب. فأبى أبو بكر أن يحبس أسامة وجيشه، وقال: إنكم قد علمتم أنه قد كان من عَهْد رسول الله ﷺ إليكم في المشورة، فيما لم يمضِ من نبيكم فيه سنة، ولم ينزل عليكم به كتاب، وقد أشرتم وسأشير عليكم فانظروا أرشدَ ذلك فأتمروا به، فإن الله لن يجمعكم على ضلالة؛ والذي نفسي بيده، ما أرى من أمر أفضل في نفسي من جهاد مَنْ منع منا عِقالاً كان يأخذه رسول الله ﷺ، فانقاد المسلمون لرأي أبي بكر، ورأوا أنَّه أفضل من رأيهم. فبعث أبو بكر حينئذٍ أسامة بن زيد لوجهه الذي أمره به رسول الله ﷺ، فأصيب في الغزو مصيبة عظيمة، وسلَّمه الله وغنَّمه هو وجيشه وردّهم صالحين. وخرج أبو بكر رضي الله عنه في المهاجرين والأنصار حين خرج أسامة، وهربت الأعراب بذراريهم. فلما بلغ المسلمين هربُ الأعراب بذراريهم، كلّموا أبا بكر وقالوا: ارجع إلى المدينة وإلى الذراري والنساء، وأمِّرْ رجلاً من أصحابك على الجيش واعهد إليه بأمرك، فلم يزل المسلمون بأبي بكر حتى رجع، وأمّر خالد بن الوليد رضي الله عنه على الجيش، فقال له: إذا أسلموا وأعطَوا الصدقة؛ فمن شاء منكم أن يرجع فليرجع؛ ورجع أبو بكر إلى المدينة. كذا في مختصر «ابن عساكر» (1/ 118). وذكره في «الكنز» (5/ 314).

وقد ذكره في «البداية» (6/ 304) عن سيف بن عمر عن هشام بن عروة عن أبيه رضي الله عنهما، قال: لما بويع أبو بكر وجمع الأنصار في الأمر الذي افترقوا فيه وقال: ليتمّ بعث أسامة، وقد ارتدّت العرب إمّا عامة وإمّا خاصة في كل قبيلة، ونجم النفاق واشرأبت اليهودية والنصرانية، والمسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيِّهم ﷺ وقلّتهم وكثرة عدوّهم. فقال له الناس: إن هؤلاء جلّ المسلمين، والعرب

على ما ترى قد انتقضت بك، وليس ينبغي لك أن تفرِّق عنك جماعة المسلمين. فقال: (والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننتُ أنَّ السبع تخطَفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذته!!) قال ابن كثير: وقد رُوي هذا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها. ومن حديث القاسم وعَمْرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قُبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب قاطبة واشرأبَّ النفاق، والله لقد نزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، وصار أصحاب محمد ﷺ كأنهم مِعزى مطيرة في حش في ليلة مطيرة بأرض مَسْبعة، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بخَطَلِها وعِنانها وفَصْلها. انتهى. وقد أخرجه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها ـ بنحوه. قال الهيثمي (9/ 50): رواه الطبراني من طرق، ورجال أحدها ثقات.

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله إلا هو لولا أنَّ أبا بكر رضي الله عنه استُخلِفَ ما عُبد الله!! ثم قال الثانية، ثم قال الثالثة. فقيل له: مَهْ يا أبا هريرة. فقال: إن رسول الله ﷺ وجَّه أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام، فلمَّا نزل بذي خُشُب قُبض رسول الله ﷺ، وارتدت العرب حول المدينة. فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا بكر رُدّ هؤلاء، تُوَجِّهُ هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة؟! فقال: والذي لا إله غيره لو جرّت الكلابُ بأرجلِ أزواج رسول الله ﷺ ما رَدَدْتُ جيشاً وجَّهه رسول الله ولا حللتُ لواءً عقده رسول الله ﷺ. فوجَّه أسامة، فجعل لا يمرُّ بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أنَّ لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقُوا الروم، فلقُوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا

سالمين، فثبتوا على الإسلام. كذا في «البداية» (6/ 305). وأخرجه أيضاً الصابوني في المائتين كما في «الكنز» (3/ 129)، وابن عساكر كما في «المختصر» (1/ 124) عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ بنحوه. قال ابن كثير: عبَّاد بن كثير ـ أي في إسناده ـ هذا أظنه البرمكي لرواية الفِرْيابي عنه، وهو متقارب الحديث، فأما البَصْري الثَّقَفي فمتروك الحديث. انتهى. وقال في كنز العمال: وسنده ـ أي حديث أبي هريرة ـ حسن. انتهى.

وأخرج ابن جرير الطبري (4/ 43) من طريق سيف: أنَّ أبا بكر مرض بعد مخرج خالد إلى الشام مرضته التي مات فيها بأشهر. فقدم المثنَّى رضي الله عنه وقد أشْفى وعقد لعمر رضي الله عنه فأخبره الخبر. فقال: عليّ بعمر. فجاء فقال له: اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به، إنِّي لأرجو أن أموت من يومي هذا ـ وذلك يوم الإثنين ـ، فإن أنا متُّ فلا تمسينّ حتى تندب الناس مع المثنَّى، وإن تأخّرتُ إلى الليل فلا تصبحنّ حتى تندب الناس مع المثنَّى، ولا يشغلنَّكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم، وقد رأيتني مُتَوفَّى رسول الله ﷺ وما صنعتُ ولم يُصَبِ الخلق بمثله، وبالله لو أنّي أَنِي عن أمر الله وأمر رسوله لخَذَلَنا ولعاقَبَنا، فاضطرمت المدينة ناراً. انتهى.

* * *

اهتمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة

أخرج الخطيب في «رواة مالك» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما قبض النبي ﷺ إشرأبَّ النفاق بالمدينة، وارتد العرب وأرعدت العجم وأبرقت، وتواعدوا نهاوند، وقالوا: قد مات هذا الرجل الذي كانت العرب تُنصر به. فجمع أبو بكر رضي الله عنه المهاجرين والأنصار وقال: إنَّ هذه العرب قد منعوا شاتهم وبعيرهم ورجعوا عن دينهم، وإنَّ هذه العجم قد تواعدوا نهاوند ليجمعوا لقتالكم، وزعموا أنَّ هذا الرجل الذي كنتم تُنصرون به قد مات، فأشيروا عليّ فما أنا إلا رجلٌ منكم، وإنّي أثقلكم حِملاً لهذه البليّة. فأطرقوا طويلاً، ثم تكلّم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: أرى ـ والله ـ يا خليفة رسول الله أن تقبل من العرب الصلاة وتدع لهم الزكاة، فإنَّهم حديثو عهد بجاهلية لم يُعدَّهم الإسلام، فإمَّا أن يردَّهم الله عنه إلى خير، وإما أن يعزّ الله الإسلام فنقوى على قتالهم، فما لبقية المهاجرين والأنصار يَدان للعرب والعجم قاطبة. فالتفت إلى عثمان رضي الله عنه فقال مثل ذلك، وقال علي رضي الله عنه مثل ذلك، وتابعهم المهاجرون. ثم التفت إلى الأنصار فتابعوهم. فلما رأى ذلك صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد: فإنَّ الله بعث محمداً ﷺ والحقُّ قُلٌّ شريد، والإسلام غريبٌ طريد، قد رَثَّ حبلُه، وقلّ أهلُه، فجمعهم الله بمحمد ﷺ،

وجعلهم الأمة الباقية الوُسْطى، والله لا أبرح أقوم بأمر الله وأجاهد في سبيل الله حتى ينجز الله لنا ويفي لنا عهده، فيقتل من قُتل منَّا شهيداً في الجنة، ويبقى من بقي منا خليفة الله في أرضه ووارث عباده. قضى الله الحقَّ؛ فإن الله تعالى قال ـ وليس لقوله خُلْف ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: 55] والله لو منعوني عِقالاً ممّا كانوا يُعطون رسول الله ﷺ، ثم أقبل معهم الشجر والمَدَر والجن والإنس لجاهدتهم حتى تلحق روحي بالله!! إنَّ الله لم يفرِّق بين الصلاة والزكاة ثم جمعهما. فكبَّر عمر وقال: والله قد علمت ـ والله حين عزم الله لأبي بكر على قتالهم ـ أنَّه الحق. كذا في «كنز العمال» (3/ 142).

وأخرج ابن عساكر عن صالح بن كَيْسان قال: لما كانت الردّة قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (الحمد لله الذي هدى فكفى، وأعطى فأغنى، إن الله بعث محمداً ﷺ شريداً، والإسلام غريباً (طريداً)، قد رث حبلُه، وخَلَق عهدُه، وضلّ أهله عنه، ومَقَتَ الله أهل الكتاب فلم يعطهم خيراً لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم، وقد غيّروا كتابهم وألحقوا فيه ما ليس فيه، والعرب الأميون صِفْر من الله لا يعبدونه ولا يَدْعونه، أجهدُهم عيشاً، وأضلُّهم ديناً، في ظَلَف من الأرض، معه فئة الصحابة؛ فجمعهم الله بمحمد ﷺ وجعلهم الأمة الوسطى، نصرهم بمن اتبعهم ونصرهم على غيرهم حتى قبض الله نبيه ﷺ. فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله الله عنه، وأخذ بأيديهم وبغَى هُلْكهم، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: 144]، إنَّ مَنْ حولكم من العرب منعوا شاتهم

وبعيرهم، ولم يكونوا في دينهم؛ ـ وإن رجعوا إليه ـ أزهدَ منهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا على ما فقدتم من بركة نبيكم ﷺ. ولقد وَكَلَكُم إلى الكافي الأول الذي وجَدَه ضالاً فهداه، وعائلاً فأغناه، وكنتم على شَفَا حُفْرة من النار فأنقذكم منها، والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجزَ الله وعده، ويوفيَ لنا عهده؛ ويُقتلَ من قُتل شهيداً من أهل الجنة، ويبقى من بقي منا خليفته وارثَه في أرضه، قضى الله الحق؛ وقوله الذي ـ لا خُلْف فيه ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: 55]، ثم نزل. قال ابن كثير: فيه انقطاع بين صالح بن كَيْسان والصدِّيق، لكنه يشهد لنفسه بالصِّحَّة لجزالة ألفاظه وكثرة ما له من الشواهد. كذا في «الكنز» (3/ 142). وقد ذكره في «البداية» (6/ 311) عن ابن عساكر بنحوه.

وأخرج العدني عن عمر رضي الله عنه قال: لما اجتمع رأي المهاجرين ـ وأنا فيهم ـ حين ارتدت العرب، فقلنا: يا خليفة رسول الله، اترك الناس يُصلُّون ولا يُؤدّون الزكاة، فإنَّهم لو قد دخل الإيمان في قلوبهم لأقرُّوا بها. فقال أبو بكر رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لأن أقعَ من السماء أحبُّ إليَّ من أن أترك شيئاً قاتل عليه رسول الله ﷺ إلَّا أقاتل عليه. فقاتل العرب حتى رجعوا إلى الإسلام، فقال عمر: والذي نفسي بيده، لذلك اليوم خير من آل عمر. كذا في «الكنز» (3/ 141).

وعند الإسماعيلي عن عمر رضي الله عنه قال: لما قُبض رسول الله ﷺ ارتد من ارتد من العرب، وقالوا: نصلِّي ولا نزكِّي. فأتيت أبا بكر رضي الله عنه، فقلت: يا خليفة رسول الله، تألَّف الناس وارفُقْ بهم، فإنَّهم بمنزلة الوحش. فقال: رجوتُ نصرتك، وجئتني بخذلانك!! جباراً في الجاهلية، خَوَّاراً في الإسلام؟ ماذا عسيت أن

أتألّفهم؟! بشعر مفتعل، أو بسحر مفترى؟! هيهات، هيهات!! مضى النبي ﷺ وانقطع الوحي، والله لأجاهدنّهم ما استمسك السيف في يدي وإن منعوني عقالاً. قال عمر رضي الله عنه: فوجدته في ذلك أمضى مني وأعزم مني، وأدّب الناس على أمور هان عليّ كثير من مؤونتهم حين وُلِّيتُهم. كذا في «الكنز» (3/ 300).

وأخرج الدِينَوري في «المجالسة»، وأبو الحسن بن بِشْران في فوائده، والبيهقي في «الدلائل»، واللالكائي في «السُّنَّة» عن ضَبَّة بن المحصن العَنَزي قال: قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنت خير من أبي بكر؟ فبكى وقال: والله، لليلةٌ من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر، هل لك أن أحدثك بليلته ويومه؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: أما ليلته: فلمّا خرج رسول الله ﷺ هارباً من أهل مكة، خرج ليلاً فتبعه أبو بكر ـ فذكر الحديث في الهجرة كما تقدم؛ قال: وأما يومه: فلما توفي رسول الله ﷺ وارتدت العرب فقال بعضهم: نصلّي ولا نزكّي، وقال بعضهم: لا نصلّي ولا نزكّي. فأتيته ـ ولا آلو نصحاً ـ، فقلت: يا خليفة رسول الله تألَّفِ الناسَ ـ فذكره بنحوه كما في منتخب «كنز العمال» (4/ 348).

وعند الإمام أحمد والشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب قال عمر رضي الله عنه: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله؟». قال أبو بكر رضي الله عنه: والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإنَّ الزكاة حق المال. والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدُّونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم

عليه!! قال عمر: فوالله ما هو إلَّا أن رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنَّه الحق. وأخرجه أيضاً الأربعة إلا ابن ماجه، وابن حِبَّان، والبيهقي كما في «الكنز» (3/ 301).

* * *

اهتمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بإرسال الجيوش في سبيل الله، وترغيبه على الجهاد، ومشاورته للصحابة في جهاد الروم

أخرج ابن عساكر (1/ 133) عن القاسم بن محمد ـ فذكر الحديث، وفيه: وقام أبو بكر رضي الله عنه في الناس خطيباً، فحمد الله وصلّى على رسول الله ﷺ، وقال: إنَّ لكل أمر جوامعَ، فمن بلغها فهو حَسْبه، ومن عمل لله عزّ وجلّ كفاه الله. عليكم بالجدِّ والقصد، فإنَّ القصد أبلَغ. ألَا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حِسْبة له، ولا عمل لمن لا نيَّة له. ألَا وإنَّ في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله، لَمَا ينبغي للمسلم أن يحب أن يُخصَّ به، هي النجاة التي دل الله عليها ونجَّى بها من الخِزْي، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة. كذا في المختصر. وذكره في «الكنز» (8/ 207) مثله. وأخرجه ابن جرير الطبري (4/ 30) عن القاسم بن محمد بمثله.

وأخرج البيهقي في «سننه» (9/ 179) عن ابن إسحاق بن يَسار في قصة خالد بن الوليد رضي الله عنه حين فرغ من اليمامة. قال: فكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد ـ وهو باليمامة ـ:

«من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد والذين معه من المهاجرين والأنصار والتابعين

بإحسان: سلام عليكم. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد: فالحمد لله الذي أنجز وعده، ونصر عبده، وأعزَّ وليَّه، وأذلَّ عدوَّه، وغلب الأحزاب فرداً. فإن الله الذي لا إله إلا هو قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: 55] - وكتب الآية كلَّها وقرأ الآية - وعداً منه لا خُلْف له، ومقالاً لا ريب فيه. وفرض الجهاد على المؤمنين، فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 216] - حتى فرغ من الآيات؛ فاستتِمُّوا بوعد الله إيَّاكم، وأطيعوه فيما فرض عليكم وإن عظمت فيه المؤونة، واستبدت الرزيّة، وبعدت المشقة، وفُجعتم في ذلك بالأموال والأنفس، فإن ذلك يسير في عظيم ثواب الله. فاغزوا - رحمكم الله - في سبيل الله ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: 41] - كتب الآية - ألا وقد أمرت خالد بن الوليد بالمسير إلى العراق؛ فلا يبرحها حتى يأتيه أمري، فسيروا معه ولا تتثاقلوا عنه؛ فإنه سبيل يعظِّم الله فيه الأجر لمن حسنت فيه نيته، وعظمت في الخير رغبته. فإذا وقعتم العراق فكونوا بها حتى يأتيكم أمري. كفانا الله وإياكم مهمات الدنيا والآخرة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» - انتهى.

أخرج ابن عساكر (1/ 126) عن الزُّهري عن عبد الله بن أبي أوفى الخُزاعي رضي الله عنه أنه قال: لما أراد أبو بكر رضي الله عنه غزو الروم دعا عليّاً، وعمر، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي

وقاص، وسعيد بن زيد، وأبا عبيدة بن الجراح، ووجوه المهاجرين، والأنصار من أهل بدر وغيرهم، فدخلوا عليه ـ قال عبد الله بن أبي أوفى: وأنا فيهم ـ. فقال أبو بكر رضي الله عنه: إنَّ الله عزّ وجلّ لا تُحصى نعماؤه، ولا تبلغ جزاءَها الأعمالُ، فله الحمد؛ قد جمع الله كلمتكم، وأصلح ذات بينكم، وهداكم إلى الإسلام، ونفَى عنكم الشيطان، فليس يطمع أن تُشركوا به، ولا تتخذوا إلهاً غيره؛ فالعرب اليوم بنو أم وأب. وقد رأيت أن أستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيّد الله المسلمين، ويجعل الله كلمته العليا، مع أن للمسلمين في ذلك الحظ الأوفر، لأنه من هلك منهم هلك شهيداً، وما عند الله خير للأبرار؛ ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين مستوجباً على الله ثواب المجاهدين. وهذا رأيي الذي رأيته، فلْيُشِر امرؤ عليّ برأيه.

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: الحمد لله الذي يخصّ بالخير من شاء من خلقه، والله ما استبقنا إلى شيء من الخير قط إلا سبقتنا إليه؛ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. قد ـ والله ـ أردتُ لقاءك بهذا الرأي الذي رأيتَ فيما قُضي أن يكون حتى ذكرتَه، فقد أصبتَ ـ أصاب الله بك سبيل الرشاد ـ سرِّبْ إليهم الخيل في إثر الخيل، وابعث الرجال بعد الرجال والجنود تتبعها الجنود؛ فإنَّ الله ناصرٌ دينَه ومعزٌّ الإسلامَ وأهله.

ثم إن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قام فقال: يا خليفة رسول الله، إنَّها الروم وبنو الأصفر!! حدٌّ حديد وركن شديد، ما أرى أن نقتحم عليهم اقتحاماً، ولكن نبعث الخيل فتُغير في قواصي أرضهم ثم ترجع إليك، وإذا فعلوا ذلك بهم مراراً أضرُّوا بهم، وغنموا من أداني أرضهم فقعدوا بذلك عن عدوهم؛ ثم تبعث إلى أراضي اليمن وأقاصي

ربيعة ومضر، ثم تجمعهم جميعاً إليك. ثم إن شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وإن شئت أغزيتهم. ثم سكت وسكت الناس.

ثم قال لهم أبو بكر: ما ترون؟ فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: إني أرى أنك ناصح لأهل هذا الدين، شفيق عليهم، فإذا رأيت رأياً تراه لعامتهم صلاحاً، فاعزم على إمضائه فإنك غيرُ ظَنين. فقال طلحة، والزبير، وسعد، وأبو عبيدة، وسعيد بن زيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم: صَدَقَ عثمان، ما رأيتَ من رأي فأمْضِه، فإنّا لا نخالفك ولا نتهمك، وذكروا هذا وأشباهه؛ وعليّ رضي الله عنه في القوم لم يتكلَّم.

فقال أبو بكر: ماذا ترى يا أبا الحسن؟ فقال: أرى أنك إن سرتَ إليهم بنفسك أو بعثتَ إليهم نُصرت عليهم إن شاء الله. فقال: بشّرك الله بخير! ومن أين علمت ذلك؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون». فقال: سبحان الله، ما أحسن هذا الحديث! لقد سررتني به سرَّك الله. ثم إن أبا بكر رضي الله عنه قام في الناس فذكر الله بما هو أهله، وصلَّى على نبيِّه ﷺ، ثم قال: أيها الناس، إنَّ الله قد أنعم عليكم بالإسلام، وأكرمكم بالجهاد، وفضَّلكم بهذا الدين على كل دين، فتجهّزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام، فإني مُؤمِّر عليكم أمراء، وعاقد لكم ألوية، فأطيعوا ربَّكم ولا تخالفوا أمراءكم لِتَحْسُنْ نيتكم وأشربتكم وأطعمتكم، فإنَّ الله مع الذين اتَّقوا والذين هم محسنون.

قال: فسكت القوم، فوالله ما أجابوا. فقال عمر رضي الله عنه: يا معشر المسلمين، ما لكم لا تجيبون خليفة رسول الله وقد دعاكم لما يحييكم؟ أمَا إنه لو كان عَرَضاً قريباً أو سفراً قاصداً لابتدرتموه. فقام

عمرو بن سعيد رضي الله عنه فقال: يا بن الخطاب، ألنا تضرب الأمثال أمثال المنافقين؟! فما منعك مما عبت علينا فيه أن تبدأ به؟! فقال عمر رضي الله عنه: إنَّه يعلم أني أجيبه لو يدعوني، وأغزو لو يُغزيني. فقال عمرو بن سعيد رضي الله عنه: ولكن نحن لا نغزو لكم إن غزونا، إنما نغزو لله. فقال عمر: وفقك الله، فقد أحسنت!! فقال أبو بكر لعمرو: اجلس ـ رحمك الله ـ فإن عمر لم يُرد بما سمعت أذى مسلم ولا تأنيبه، إنما أراد بما سمعت أن ينبعث المتثاقلون إلى الأرض إلى الجهاد.

فقام خالد بن سعيد رضي الله عنه فقال: صدق خليفة رسول الله، اجلس أيْ أخي، فجلس. وقال خالد: الحمد لله الذي لا إله إلا هو، الذي بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهرَه على الدين كلّه ولو كره المشركون، فالحمد لله منجزِ وعدِه، ومظهرِ وعدِهِ، ومهلِك عدوِّه، ونحن غير مخالفين ولا مختلفين، وأنت الوالي الناصح الشفيق، ننفر إذا استنفرتنا، ونطيعك إذا أمرتنا. ففرح بمقالته أبو بكر رضي الله عنه وقال له: جزاك الله خيراً من أخ وخليل؛ فقد كنت أسلمت مرتغِباً، وهاجرت محتسباً، قد كنت هربت بدينك من الكفر لكيما ترضي الله ورسوله وتعلو كلمته، وأنت أمير الناس فسِرْ يرحمك الله. ثم إنه نزل.

ورجع خالد بن سعيد رضي الله عنه فتجهّز. وأمر أبو بكر بلالاً فأذَّن في الناس أنِ انفِرُوا أيُّها الناس إلى جهاد الروم بالشام، والناس يَرَوْنَ أن أميرهم خالد بن سعيد، وكان الناس لا يشكُّون أن خالد بن سعيد أميرهم؛ وكان قد عسكر قبل كل أحد، ثم إن الناس خرجوا إلى معسكرهم من عشرة، وعشرين، وثلاثين، وأربعين، وخمسين، ومائة كل يوم حتى اجتمع أناس كثيرون. فخرج أبو بكر رضي الله عنه ذات يوم ومعه رجال من الصحابة حتى انتهى إلى عسكرهم، فرأى عدّة حسنة لم

يرضَ عدّتها للروم؛ فقال لأصحابه: ما ترون في هؤلاء إن أرسلتهم إلى الشام في هذه العِدّة؟ فقال عمر رضي الله عنه: ما أرضى هذه العِدة لجموع بني الأصفر. فقال لأصحابه: ماذا ترون أنتم؟ فقالوا: نحن نرى ما رأى عمر، فقال: ألا أكتب كتاباً إلى أهل اليمن ندعوهم به إلى الجهاد ونرغِّبهم في ثوابه؟ فرأى ذلك جميع أصحابه فقالوا: نِعْمَ ما رأيت، افعل. فكتب:

* * *

كتاب أبي بكر رضي الله عنه إلى أهل اليمن للجهاد في سبيل الله

«بسم الله الرحمن الرحيم. من خليفة رسول الله إلى من قُرِىء عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن. سلام عليكم. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنَّ الله تعالى كتب على المؤمنين الجهاد، وأمرهم أن ينفروا خفافاً وثقالاً ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والجهاد فريضة مفروضة، والثواب عند الله عظيم. وقد استنفرنا المسلمين إلى جهاد الروم بالشام، وقد سارعوا إلى ذلك وقد حسنت بذلك نيَّتهم، وعظمت حسبتهم؛ فسارعوا عباد الله إلى ما سارعوا إليه، ولتحسنْ نيتكم فيه؛ فإنكم إلى إحدى الحُسْنَيَيْن: إما الشهادة، وإما الفتح والغنيمة، فإن الله تبارك وتعالى لم يرضَ لعباده بالقول دون العمل، ولا يزال الجهاد لأهل عداوته حتى يدينوا بدين الحق، ويقرُّوا لحكم الكتاب. حفظ الله لكم دينكم، وهدى

قلوبكم، وزكّى أعمالكم، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين».

وبعث بهذا الكتاب مع أنس بن مالك رضي الله عنه. كذا في «المختصر» (2/ 126)؛ و «الكنز» (3/ 143).

وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن جبير أن أبا بكر لمَّا وجّه (الجيش) قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم أمرهم بالمسير إلى الشام وبشّرهم بفتح الله إياها حتى يبنوا فيها المساجد، فلا يعلم أنكم إنما تأتونها تلهياً، فالشام شبيعة يكثر لكم فيها من الطعام؛ فإياي والأشر. أما وربِّ الكعبة لتأشَرُنْ ولتبطَرُنَّ، وإني موصيكم بعشر كلمات فاحفظوهن: لا تقتُلنَّ شيخاً فانياً ـ فذكر الحديث؛ كما في «الكنز» (3/ 143).

* * *

تحريض عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الجهاد والنَّفر في سبيل الله ومشاورته للصحابة فيما وقع له

أخرج ابن جرير الطبري (4/ 61) عن القاسم بن محمد قال: وتكلم المثنَّى بن حارثة فقال: يا أيها الناس، لا يعظمنَّ عليكم هذا الوجه، فإنَّا قد تبحبحنا رِيف فارس وغلبناهم على خير شِقَّي السواد، وشاطرناهم، ونلنا منهم، واجترأ مَنْ قِبَلَنا عليهم، ولها إن شاء الله ما بعدها. وقام عمر رضي الله عنه في الناس فقال: إنَّ الحجاز ليس لكم بدار إلا على النُّجعة، ولا يقوَى عليه أهلُه إلا بذلك، أين الطُّراء المهاجرون عن موعود الله؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثَكُموها، فإنه قال: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح: 28] والله مظهرُ دينه، ومعزُّ ناصرِه، ومُولي أهلِه مواريث الأمم، أين عبادُ الله الصالحون؟.

فكان أول منتدب أبو عُبيد بنُ مسعود، ثم ثنّى سعد بن عبيد ـ أو سَليط بن قيس ـ رضي الله عنهم. فلما اجتمع ذلك البَعْث قيل لعمر: أمِّرْ عليهم رجلاً من السابقين من المهاجرين والأنصار. قال: لا والله لا أفعل، إن الله إنَّما رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدوّ، فإذا جبنتم وكرهتم اللقاء فأولى بالرياسة منكم مَنْ سبق إلى الدَّفْع وأجاب إلى الدعاء. والله لا أؤمر عليهم إلا أوّلهم انتداباً؛ ثم دعا أبا عُبيد وسَلِيطا

وسعداً، فقال: أما إنكما لو سبقتماه لولّيتكا ولأدركتما بها إلى ما لَكما من القِدْمة؛ فأمَّر أبا عُبيدٍ على الجيش وقال لأبي عُبيد: اسمع من أصحاب النبي ﷺ، وأشرِكهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبين؛ فإنَّها الحرب، والحرب لا يُصلحها إلا الرجل المكِيث الذي يعرف الفرصة والكفَّ.

وأخرجه الطبري أيضاً (4/ 61) من طريق الشَّعْبي، وفي حديثه: فقيل لعمر رضي الله عنه: أمِّر عليهم رجلاً له صحبة. فقال عمر: إنما فَضلَ الصحابة بسرعتهم إلى العدوّ وكفايتهم مَن أبَى؛ فإذا فعل فِعْلهم قومٌ واثّاقلوا كان الذين ينفِرون خفافاً وثقالاً أولى بها منهم، والله لا أبعث عليهم إلا أولَهم انتداباً. فأمّر أبا عُبَيد، وأوصاه بجنده. انتهى.

أخرج الطبري أيضاً (4/ 83) عن عمر بن عبد العزيز قال: لما انتهى قتل أبي عُبيد بن مسعود إلى عمر واجتماع أهل فارس على رجل من آل كسرى، نادى في المهاجرين والأنصار، وخرج حتى أتى صِرَاراً. وقدَّم طلحة بن عبيد الله حتى يأتي الأعوَص، وسمَّى لميمنته عبد الرحمن بن عوف ولميسرته الزبير بن العوام رضي الله عنهم، واستخلف علياً رضي الله عنه على المدينة، واستشار الناس، فكلّهم أشار عليه بالسَّير إلى فارس، ولم يكن استشار في الذي كان حتى نزل بِصرَار ورجع طلحة، فاستشار ذوي الرأي فكان طلحة ممَّن تابع الناس، وكان عبد الرحمن بن عوف ممّن نهاه. فقال عبد الرحمن: فما فَدَيْتُ أحداً بأبي وأمي بعد النبي ﷺ قبل يومئذٍ ولا بعده. فقلت: بأبي وأمي، اجعل عَجْزها بي، وأقِم وابعثْ جنداً، فقد رأيت قضاء الله لك في جنودك قبلُ وبعدُ، فإنه إن يُهزم جيشك ليس كهزيمتك، وإنك إن تُقتل أو تُهزم في أنْف الأمر، خشيتُ أن لا يكبِّر المسلمون وأن لا يشهدوا أن لا إله إلا

الله أبداً، وهو في ارتياد مِنْ رجل؛ وأتى كتاب سعد على حَفَف مشورتهم وهو على بعض صدقات نجد. فقال عمر: فأشيروا عليّ برجل. فقال عبد الرحمن: وجدتَه. قال: من هو؟. قال: الأسدُ في براثنه؛ سعد بن مالك، ومالأه أولو الرأي. انتهى.

* * *

ترغيب عثمان بن عفان
رضي الله عنه على الجهاد

أخرج الإمام أحمد (1/ 65) عن أبي صالح مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت عثمان يقول على المنبر: أيها الناس إنِّي كتمتكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ كراهةَ تفرُّقِكم عنِّي، ثم بدا لي أن أحدثَكُموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم في سبيل الله تعالى خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل».

وأخرجه الإمام أحمد أيضاً (1/ 61) عن مُصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قال عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ وهو يخطب على منبره ـ: إنِّي محدِّثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، ما كان يمنعني أن أحدثكم إلا الضنّ عليكم، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حرسُ ليلة في سبيل الله تعالى أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها».

* * *

ترغيب علي بن أبي طالب
رضي الله عنه على الجهاد

أخرج الطبري (4/ 9) عن زيد بن وَهْب: أن علياً رضي الله عنه قام في الناس فقام: الحمد لله الذي لا يُبرم ما نقض، وما أبرَم لا ينقضه الناقضون، لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه، ولا تنازعت الأمة في شيء من أمره، ولا جَحَد المفضول ذا الفضل فضله. وقد ساقتنا وهؤلاء القومَ الأقدار فلفَّت بيننا في هذا المكان، فنحن من ربنا بمرأى ومسمع، فلو شاء عجَّل النِقْمة وكان منه التغيير حتى يكذِّب الله الظالمَ، ويعلم الحق أين مصيره؛ ولكنّه جعل الدنيا دار الأعمال، وجعل الآخرة عنده هي دار القرار؛ ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: 31]، ألا إنكم لاقو القوم غداً، فأطيلوا الليلة القيام، وأكثروا تلاوة القرآن، وسلُوا الله عزّ وجلّ النصر والصبر، والقَوهم بالجدّ والحزم وكونوا صادقين ثم انصرف. انتهى.

وأخرج أيضاً (4/ 11) عن أبي عَمْرة الأنصاري وغيره: أن علياً رضي الله عنه حرّض الناس يوم صِفِّين، فقال: إنَّ الله عزّ وجلّ قد دلّكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم، تُشفي بكم على الخير: الإيمان بالله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ، والجهادِ في سبيل الله تعالى ذكرُه، وجعل ثوابه مغفرة الذنب ومساكن طيبةً في جنّات عدن؛ ثم أخبركم أنه يحب الذين

يقاتلون في سبيله صفاً كأنَّهم بنيان مرصوص، فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص، وقدّموا الدارع وأخّروا الحاسر، وعضّوا على الأضراس ـ فذكر الخطبة بطولها.

وأخرج أيضاً (4/57) عن أبي الوَدّاك الهمْداني: أنَّ علياً رضي الله عنه لما نزل بالنُّخَيلة وأيِسَ من الخوارج قام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: فإنه من ترك الجهاد في الله وأدْهَن في أمره كان على شفا هُلْكِهِ؛ إلَّا أن يتداركه الله بنعمة، فاتقوا الله وقاتلوا من حادّ الله، وحاول أن يطفىء نور الله من الخاطئين الضالّين القاسطين المجرمين، الذين ليسوا بقرّاء للقرآن، ولا فقهاءَ في الدين، ولا علماءَ في التأويل، ولا لهذا الأمر بأهل في سابقة الإسلام، والله لو وُلُّوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كِسْرى وهِرَقْل. تيسَّروا وتهيَّؤوا للمسير إلى عدوُكم من أهل المغرب، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدَموا عليكم، فإذا قدموا فاجتمعتم شَخَصْنا إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. انتهى.

وأخرج أيضاً (4/ 67) من طريق أبي مِخْنَف عن زيد بن وَهْب، أن عليّاً رضي الله عنه قال للناس ـ وهو أول كلام قال لهم بعد النهر ـ: أيها الناس، استعدوا للمسير إلى عدو في جهاده القُربة إلى الله، ودَرْك الوسيلة عنده، حيارى في الحق، جُفاة عن الكتاب نُكُبٌ عن الدين، يعمهون في الطغيان، ويُعكَسون في غمرة الضلال، فأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، وتوكَّلوا على الله وكفى بالله وكيلاً، وكفى بالله نصيراً.

قال: فلا هم نفروا ولا تيسَّروا، فتركهم أياماً حتى إذا أيسَ من أن يفعلوا، دعا رؤساءهم ووجوههم، فسألهم عن رأيهم، وما الذي

يُنْظِرهم؛ فمنهم المعتلّ، ومنهم المُكرَه، وأقلهم من نَشِط، فقام فيهم خطيباً فقال:

عباد الله، ما لكم إذا أمرتكم أن تنفِروا اثّاقلتُم إلى الأرض؟! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟! وبالذل والهوان من العزّ؟! أوَ كلما ندبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سَكْرة، وكأن قلوبكم مألوسة، فأنتم لا تعقلون، وكأن أبصاركم كُمْه فأنتم لا تبصرون، لله أنتم!! ما أنتم إلا أسودُ الشرى في الدَّعة . وثعالبُ روَّاغة حين تُدْعَون إلى البأس، ما أنتم لي بثقة سجيسَ الليالي، ما أنتم بركب يُصال بكم ولا ذي عِزٍّ يعتصم إليه، لعمر الله لبئس حُشاش الحرب أنتم، إنكم تُكادون ولا تَكِيدون، ويُتنقَّص أطرافكم ولا تتحاشَوْن، ولا يُنام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، إنَّ أخا الحرب اليقظان ذو عقل، وبات لذل مَنْ وادَعَ، وغُلِب المتجادلون، والمغلوب مقهور ومسلوب.

ثم قال: أما بعد: فإنَّ لي عليكم حقاً وإنّ لكم عليَّ حقاً؛ فأما حقُّكم عليَّ فالنصيحة لكم ما صحبتكم، وتوفير فَيْئكم عليكم، وتعليمكم كيما لا تجهلوا، وتأديبكم كي تعلَّموا. وأما حقِّي عليكم فالوفاء بالبَيْعة، والنصح لي في الغيب والمشهد، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم، فإنْ يُرِدِ الله بكم خيراً انتَزِعُوا عما أكرَه وتَراجَعوا إلى ما أحب؛ تنالوا ما تَطلُبون وتُدرِكوا ما تأمُلون. انتهى.

وأخرج ابن عبد البرِّ في «الاستيعاب» (1/ 315) عن عبد الواحد الدمشقي قال: نادى حوشب الحِمْيري علياً رضي الله عنه يوم صفِّين، فقال: انصرف عنا يا بن أبي طالب، فإنَّا ننشدك الله في دمائنا ودمك، ونخلّي بينك وبين عِراقك، وتخلّي بيننا وبين شامنا؛ وتحقن دماء المسلمين. قال علي رضي الله عنه: هيهات يا ابن أم ظُلَيم والله لو

علمتُ أنَّ المداهنة تسعني في دين الله لفعلت، وكان أهون عليّ في المؤونة، ولكن الله لم يرضَ من أهل القرآن بالسكوت والإدْهان، إذا كان الله يُعصَى وهم يُطيقون الدفاع والجهاد حتى يظهر أمر الله. انتهى.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 85) مثله.

* * *

ترغيبُ سعد بن أبي وقّاص
رضي الله عنه على الجهاد

أخرج ابن جرير الطبري (3/ 44) من طريق سيف عن محمد، وطلحة، وزياد بإسنادهم، قالوا: خطب سعد ـ أي يوم القادسية ـ فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن الله هو الحق لا شريك له في الملك وليس لقوله خُلْف؛ قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: 105] إنَّ هذا ميراثُكم وموعودُ ربكم، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حِجَج، فأنتم تطعَمون منها وتأكلون منها، وتقتلون أهلها وتَجْبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام منكم، وقد جاءكم منهم هذا الجمع، وأنتم وجوه العرب وأعيانهم وخيار كل قبيلة وعزّ مَنْ وراءكم، فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة ولا يقرِّبُ ذلك أحداً إلى أجله، وإن تفشلوا وتَهنوا وتضعفوا تذهبْ ريحكم وتوبقوا آخرتكم.

وقام عاصم بن عمرو رضي الله عنه فقال: إن هذه بلاد قد أحلَّ الله لكم أهلها، وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم، وأنتم الأعلَون، والله معكم إن صبرتم وصدقتموهم الضرب والطعن، فلكم أموالهم ونساؤهم وأبناؤهم وبلادهم، وإن خرتم وفشِلتم ـ والله لكم من ذلك جار وحافظ ـ لم يبقِ هذا الجمع منكم باقية؛ مخافة أن تعودوا

عليهم بعائدة هلاك؛ الله الله، اذكروا الأيام وما منحكم الله فيها، أوَ لا ترون أنَّ الأرض وراءكم بسابسُ قفار ليس فيها خَمَر ولا وَزَر يُعقل إليه ولا يُمتنع به؟ اجعلوا همَّكم الآخرة. انتهى.

* * *

رغبة الصحابة رضي الله عنهم وشوقهم إلى الجهاد والنفر في سبيل الله

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (9/ 37) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: (عندما) همّ رسول الله ﷺ بالخروج إلى بدر. أجمع الخروج معه، فقال له (خاله) أبو بردة بن نيار: أقم على أمك. قال: بل أنت فأقم على أختك. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فأمر أبا أمامة بالمُقام (على أمه). وخرج أبو بردة؛ فرجع رسول الله ﷺ وقد توفيت فصلّى عليها.

وأخرج الإمام أحمد في «الزهد»، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة وغيرهم عن عمر رضي الله عنه قال: لولا ثلاثٌ لأحببت أن أكون لحقت بالله: لولا أن أسير في سبيل الله، أو أضع جبهتي لله في التراب ساجداً، وأجالس قوماً يلتقطون طيّب الكلام كما يلتقط طيب التمر. كذا في الكنز.

وأخرج ابن أبي شيبة عن عمر رضي الله عنه قال: عليكم بالحج، فإنه عمل صالح أمر الله به، والجهاد أفضل منه. كذا في «الكنز» (2/ 288).

وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: عُرِضْتُ على رسول الله ﷺ يوم بدر فاستصغرني فلم يقبلني، فما أتت عليَّ ليلة قط مثلُها من السهر والحزن والبكاء إذ لم يقبلني رسول الله ﷺ، فلما كان من العام المقبل عُرِضْتُ عليه فقبلني، فحمدت الله على ذلك. قال

رجل: يا أبا عبد الرحمن، تولّيتم يوم التقى الجمعان، قال: نعم، فعفا الله عنا جميعاً، فله الحمد كثيراً. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 231).

وأخرج هنّاد عن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، احملني فإني أريد الجهاد، فقال عمر رضي الله عنه لرجل: خذ بيده، فأدخله بيت المال يأخذ ما شاء. فدخل فإذا بيضاء وصفراء، فقال: ما هذا؟ ما لي في هذا حاجة، إنما أردت زاداً وراحلة. فردّوه إلى عمر فأخبروه بما قال، فأمر له بزادٍ وراحلة، وجعل عمر يُرَحِّل له بيده، فلما ركب رفع يده فحمد الله وأثنى عليه بما صنع به وأعطاه، وعمر يمشي خلفه يتمنى أن يدعو له. فلما فرغ قال: اللهمّ، وعمر فأجْزِه خيراً. كذا في «الكنز» (2/ 288).

وأخرج ابن عساكر عن أرطاة بن منذر أن عمر رضي الله عنه قال لجلسائه: أي الناس أعظم أجراً؟ فجعلوا يذكرون له الصوم والصلاة، ويقولون: فلان وفلان بعد أمير المؤمنين. فقال: ألا أخبركم بأعظم الناس أجراً ممّن ذكرتم ومن أمير المؤمنين؟ قالوا: بلى. قال: رُويجل بالشام آخذ بلجام فرسه يكلأ مِنْ وراء بيضة المسلمين، لا يدري أسبع يفترسه، أم هامَّة تلدغه، أو عدوّ يغشاه؟ فذلك أعظم أجراً ممن ذكرتم ومن أمير المؤمنين. كذا في «كنز العمال» (2/ 289).

وأخرج ابن سعد من طريق الواقدي عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب يقول: خرج معاذ إلى الشام لقد أخلّ خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه، وما كان يفتيهم به، ولقد كنت كلمت أبا بكر رحمه الله أن يحبسه لحاجة الناس إليه، فأبى عليّ وقال: رجل أراد وجهاً يريد الشهادة فلا أحبسه. فقلت: والله إنَّ الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه وفي بيته عظيم الغنى عن مِصره. قال كعب بن

مالك: وكان معاذ بن جبل يفتي الناس بالمدينة في حياة النبي ﷺ وأبي بكر. كذا في «الكنز» (7/ 87).

وأخرج ابن عساكر عن نوفل بن عمارة قال: جاء الحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو إلى عمر بن الخطاب فجلسا عنده وهو بينهما، فجعل المهاجرون الأولون يأتون عمر فيقول: ها هنا يا سهيل، ها هنا يا حارث، فينحيهما عنهم. فجعل الأنصار يأتون عمر فينحيهما عنهم كذلك حتى صارا في آخر الناس. فلما خرجا من عند عمر قال الحارث بن هشام لسهيل بن عمرو: ألم ترَ ما صنع بنا؟ فقال له سهيل: أيها الرجل لا لوم عليه، ينبغي أن نرجع باللوم على أنفسنا، دُعِيَ القوم فأسرعوا ودُعينا فأبطأنا. فلما قاموا من عند عمر أتياه فقالا له: يا أمير المؤمنين قد رأينا ما فعلتَ اليوم وعلمنا أنا أُتينا من (قِبَلِ) أنفسنا، فهل (من) شيء نستدرك به (ما فاتنا من الفضل)؟ فقال لهما: لا أعلمه إلا هذا الوجه، وأشار لهما إلى ثغر الروم. فخرجا إلى الشام فماتا بها. كذا في «كنز العمال» (7/ 136).

وأخرجه أيضاً الزبير عن عمه مصعب عن نوفل بن عمارة بنحوه؛ كما ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (2/ 111).

وأخرجه الحاكم (3/ 282) من طريق ابن المبارك عن جرير بن حازم عن الحسن يقول: حضر أناس باب عمر وفيهم: سهيل بن عمرو، وأبو سفيان بن حرب، والشيوخ من قريش رضي الله عنهم. فخرج آذنه فجعل يأذن لأهل بدر كصهيب، وبلال، وعمار رضي الله عنهم ـ وقال: وكان والله بدرياً، وكان يحبهم وكان قد أوصى بهم ـ فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط! إنه يأذن لهذه العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا. فقال سهيل بن عمرو ـ ويا له من رجل ما كان أعقله! ـ أيها القوم، إني ـ

والله ـ قد أرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم، دُعِيَ القوم ودُعيتم؛ فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لَمَا سبقوكم به من الفضل فيما يرون أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تَنافَسون عليه، ثم قال: إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون ولا سبيل لكم ـ والله ـ إلى ما سبقوكم إليه، فانظروا هذا الجهاد فالزموه، عسى الله عزّ وجلّ أن يرزقكم الجهاد والشهادة، ثم نفض ثوبه فقام فلحق بالشام. قال الحسن: صدق والله، لا يجعل الله عبداً أسرع إليه كعبد أبطأ عنه. وهكذا ذكره في «الاستيعاب» (2/ 110).

وأخرجه الطبراني أيضاً عن الحسن بمعناه ـ مطولاً. قال الهيثمي (8/ 46): رجاله رجال الصحيح، إلا أن الحسن لم يسمع من عمر. انتهى.

وأخرجه البخاري في «تاريخه»، والباوَرْدي من طريق حُميد عن الحسن بمعناه مختصراً، كما في «الإصابة» (2/ 94).

وأخرج ابن سعد (5/ 335) عن أبي سعيد بن فُضالة ـ وكانت له صحبة ـ قال: اصطحبت أنا وسهيل بن عمرو إلى الشام فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مُقام أحدكم في سبيل الله ساعة من عمره خير من عمله عمره في أهله». قال سهيل: فإنما أرابط حتى أموت، ولا أرجع إلى مكة. قال: فلم يزل مقيماً بالشام حتى مات في طاعون عَمْواس. كذا في «الإصابة» (2/ 94). وأخرجه الحاكم (3/ 282) عن أبي سعيد رضي الله عنه. مثله.

وأخرج ابن المبارك عن الأسود بن شيبان عن أبي نوفل بن أبي عقرب قال: خرج الحارث بن هشام رضي الله عنه من مكة فجزع أهل مكة جزعاً شديداً، فلم يبق أحد يطعَم إلا خرج معهُ يشيِّعه، حتى إذا كان

بأعلى البطحاء أو حيث شاء الله من ذلك، وقف ووقف الناس حوله يبكون. فلما رأى جزع الناس قال: يا أيها الناس، إني - والله - ما خرجت رغبة بنفسي عن أنفسكم، ولا اختيار بلد عن بلدكم، ولكن كان هذا الأمر، فخرجت فيه رجال من قريش - والله - ما كانوا من ذوي أسنانها، ولا في بيوتاتها، فأصبحنا - والله - ولو أن جبال مكة ذهباً أنفقناها في سبيل الله؛ ما أدركنا يوماً من أيامهم، والله لئن فاتونا به في الدنيا لنلتمس أن نشاركهم في الآخرة، فاتَّقى الله امرؤٌ فعل. فتوجّه إلى الشام واتَّبَعه ثَقَله، فأصيب شهيداً رحمه الله. كذا في «الاستيعاب» (1/ 310). وأخرجه الحاكم (3/ 278). من طريق ابن المبارك. نحوه.

وأخرج ابن سعد عن زياد مولى آل خالد قال: قال خالد رضي الله عنه عند موته: ما كان في الأرض من ليلة أحب إليّ من ليلة شديدة الجليد في سريّة من المهاجرين، أصبّح بهم العدوّ؛ فعليكم بالجهاد. كذا في «الإصابة» (1/ 414).

وأخرجه أبو يَعْلى عن قيس بن أبي حازم قال: قال خالد بن الوليد رضي الله عنه: ما ليلة تُهدى إلى بيتي فيها عروس أنا لها محب، أو أبشَّر فيها بغلام، بأحبَّ إليّ من ليلة شديدة الجليد في سريّة من المهاجرين أصَبِّح بها العدوّ. كذا في «المجمع» (9/ 350) وقال: رجاله رجال الصحيح.

وأخرج أبو يَعْلى أيضاً عن قيس بن أبي حازم قال: قال خالد بن الوليد رضي الله عنه: لقد منعني كثيراً من القراءة الجهادُ في سبيل الله. قال الهيثمي (9/ 350): رجاله رجال الصحيح. وذكره في «الإصابة» (1/ 414) عن أبي يَعْلى عن خالد رضي الله عنه: لقد شغلني الجهاد عن تعلّم كثير من القرآن.

وأخرج ابن المبارك في كتاب الجهاد عن عاصم بن بَهْدَلة عن أبي وائل قال: لما حضرتْ خالداً رضي الله عنه الوفاةُ قال: لقد طلبت القتل في مظانّه فلم يُقدَّر لي إلّا أن أموت على فراشي. وما من عملي شيءٌ أرجى عندي بعد أن لا إله إلا الله من ليلة بِتُّها وأنا متترِّس، والسماء تُهلُّني تمطر إلى الصبح حتى نُغير على الكفار. ثم قال: إذا أنا متّ فانظروا في سلاحي وفرسي فاجعلوه عُدّةً في سبيل الله. فلما توفي خرج عمر رضي الله عنه إلى جنازته فقال: ما على نساء آل الوليد أن يسفحن على خالد دموعهن ما لم يكن نقعاً أو لقلقة. كذا في الإصابة، وقال (1/ 415): فهذا يدلُّ على أنه مات بالمدينة ولكن الأكثر على أنه مات بحِمص. انتهى.

وأخرجه الطبراني أيضاً عن أبي وائل ـ بنحوه مختصراً. قال الهيثمي (9/ 350): وإسناده حسن. انتهى.

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن محمد، وعمر، وعمار ابني حفص عن آبائهم عن أجدادهم قالوا: جاء بلال إلى أبي بكر رضي الله عنهما، فقال: يا خليفة رسول الله، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أفضل عمل المؤمنين جهاد في سبيل الله». وقد أردت أن أرابط في سبيل الله حتى أموت. فقال أبو بكر رضي الله عنه: أنا أنشدك بالله يا بلال، وحُرمتي وحقِّي، لقد كبرت سنّي وضعفت قوتي واقترب أجلي. فأقام بلال معه، فلما توفي أبو بكر جاء عمر فقال له مثل مقالة أبي بكر؛ فأبى بلال عليه. فقال عمر: فمن يا بلال؟ قال: إلى سعد، فإنه قد أذَّن بقُباء على عهد رسول الله ﷺ. فجعل عمر الأذان إلى عقبة وسعد. قال الهيثمي (5/ 274): وفيه عبد الرحمن بن سهل بن عمار وهو ضعيف. انتهى. وأخرجه ابن سعد (3/ 168) أيضاً بهذا الإسناد بنحوه.

وأخرج عن موسى بن محمد بن إبراهيم التَّيْمي عن أبيه قال: لما توفي رسول الله ﷺ أذّن بلال رضي الله عنه ورسول الله ﷺ لم يقبر، فكان إذا قال: أشهد أنَّ محمداً رسول الله، انتحب الناس في المسجد. قال: فلما دفن رسول الله ﷺ قال له أبو بكر رضي الله عنه: أذّن. فقال: إن كنتَ إنما أعتقتني لأن أكون معك فسبيل ذلك، وإن كنت أعتقتني لله فخلّني ومن أعتقتني له. فقال: ما أعتقتك إلا لله. قال: فإني لا أؤذّن لأحد بعد رسول الله ﷺ. قال: فذاك إليك. قال: فأقام حتى خرجت بعوث الشام فسار معهم حتى انتهى إليها. وعن سعيد بن المسيَّب: أن أبا بكر لما قعد على المنبر يوم الجمعة قال له بلال: يا أبا بكر، قال: لبيك. قال: أعتقتني لله أو لنفسك؟ قال: لله. قال: فأْذَن لي حتى أغزو في سبيل الله، فأذِنَ له. فذهب إلى الشام فمات ثَمَّ. وأخرجه أبو نُعيم في «الحِلية» (1/ 150) عن سعيد ـ بنحوه.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (9/ 47) عن أبي يزيد المكي قال: كان أبو أيوب والمقداد رضي الله عنهما يقولان: أُمرنا أن ننفِر على كل حال، ويتأوَّلان هذه الآية: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: 41].

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 176) عن أبي راشد الحَبْراني قال: وافيت المقداد بن الأسود رضي الله عنه فارس رسول الله ﷺ جالساً على تابوت من تابوت الصيارفة بحمص، قد فَضَل عنها من عِظَمِه، يريد الغزو؛ فقلت له: لقد أعذَر اللّهُ إليك. قال: أتت علينا سورة البعوث: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

وأخرجه الطبراني عن أبي راشد ـ بنحوه؛ قال: الهيثمي (7/ 30): وفيه بقيّة بن الوليد وفيه ضعف، وقد وُثّق؛ وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرجه الحاكم ، **و ابن سعد** (3/ 115) عن أبي راشد ـ بنحوه. وقال الحاكم (3/ 349): هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه. انتهى.

وأخرجه البيهقي (9/ 21) عن جُبير بن نُفير قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود رضي الله عنه بدمشق وهو على تابوت ما به عنه فَضْل. فقال له رجل: لو قعدت العام عن الغزو. قال: أتت علينا سورة البعوث يعني سورة التوبة؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ فلا أجدني إلا خفيفاً.

وذكر ابن عبد البر في «الاستيعاب» (1/ 550) عن حمَّاد بن سلمة عن ثابت البُناني، وعلي بن زيد عن أنس: أن أبا طلحة رضي الله عنه قرأ سورة براءة؛ فأتى على قوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾. فقال: لا أرى ربَّنا إلَّا يستنفرنا شباباً وشيوخاً؛ يا بَنيَّ، جهّزوني جهّزوني. فقالوا له: يرحمك الله! قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات، ومع أبي بكر رضي الله عنه حتى مات، ومع عمر رضي الله عنه حتى مات؛ فدعنا نغزُ عنك. قال: لا، جهزوني. فغزا البحر فمات في البحر، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام، فدفنوه بها وهو لم يتغير. انتهى.

وأخرجه ابن سعد (3/ 66) من طريق ثابت، وعلي عن أنس ـ بنحوه مطوّلاً.

وقد أخرجه البيهقي (9/ 21)، والحاكم (3/ 353) من طريق حماد عن ثابت وعلي عن أنس بمعناه مختصراً، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرِّجاه.

وأخرجه أيضاً أبو يعلى كما في «المجمع» (9/ 312) مختصراً، وقال: رجاله رجال الصحيح.

وأخرج الحاكم (3/ 458) عن محمد بن سِيرين قال: شهد أبو أيوب رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ بدراً، ثم لم يتخلَّف عن غزاة إلا عاماً واحداً؛ فإنه استُعمل على الجيش رجلٌ شاب فقعد ذلك العام؛ فجعل بعد ذلك يتلهّف ويقول: ما عليّ من استُعمل، فمرض وعلى الجيش يزيد بن معاوية. فدخل عليه يعوده فقال: ما حاجتك؟ فقال: حاجتي إذا أنا متّ، فاركب بي ثم سُغْ بي في أرض العدوّ ما وجدت مساغاً، فإذا لم تجد مساغاً فادفني، ثم ارجع (فلما مات ركب به ثم سار به في أرض العدو وما وجد مساغاً ثم دفنه ثم رجع). قال: وكان أبو أيوب رضي الله عنه يقول: قال الله عزّ وجلّ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ فلا أجدُني إلا خفيفاً أو ثقيلاً.

وأخرجه أيضاً ابن سعد (3/ 49) عن محمد ـ بنحوه، كما في «الإصابة» (1/ 405). وقال: ورواه ابن إسحاق الفَزَاري عن محمد، وسمّى الشاب: عبد الملك بن مروان ـ انتهى.

وأخرج ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» (1/ 404) عن أبي ظَبْيان عن أشياخه عن أبي أيوب رضي الله عنه: أنه خرج غازياً في زمن معاوية رضي الله عنه فمرض. فلما ثَقُل قال لأصحابه: إذا أنا متّ فاحملوني؛ فإذا صافقتم العدو فادفنوني تحت أقدامكم؛ ففعلوا ـ وذكر تمام الحديث. انتهى.

وأخرجه الإمام أحمد كما في «البداية» (8/ 59) عن أبي ظَبْيان قال: غزا أبو أيوب رضي الله عنه مع يزيدَ بن معاوية. قال فقال: إذا متّ فأدخلوني في أرض العدو، فادفنوني تحت أقدامكم حيث تلقَون

العدوّ. قال: ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة». وأخرجه ابن سعد (3/ 49) نحو سياق ابن عبد البرّ.

وذكر ابن إسحاق أن أبا خيثمة رجع ـ بعدما سار رسول الله ﷺ أياماً ـ إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه، قد رشَّت كل واحدة منها عريشها وبرَّدت (له) فيه ماء وهيأت له فيه طعاماً. فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له. فقال: رسول الله ﷺ في الضِّحِّ والريح والحرّ، وأبو خيثمة في ظلّ بارد وطعام مهيَّإ وامرأة حسناء في ماله مقيم، ما هذا بالنَّصَف!! (ثم قال) والله، لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهيِّئا (لي) زاداً، ففعلتا. ثم قدّم ناضحه فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عميرُ بن وهْب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا حتى إذا دَنَوا من تبوك. قال أبو خيثمة لعُمير بن وهْب: إنَّ لي ذنباً فلا عليك أن تتخلَّف عني حتى آتي رسول الله ﷺ، ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ (وهو نازل بتبوك) قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل. فقال رسول الله ﷺ: «كُنْ أبا خيثمة». فقالوا: يا رسول الله هو ـ والله ـ أبو خيثمة!! فلما (أناخ أقبل فسلَّم على رسول الله ﷺ. فقال له: (رسول الله ﷺ): «أولى لك يا أبا خيثمة» ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر فقال له رسول الله: خيراً، ودعا له بخير. وقد ذكر عُروة بن الزبير، وموسى بن عُقبة قصَّة أبي خيثمة بنحو من سياق ابن إسحاق وأبسط، وذكر أن خروجه إلى تبوك كان في زمن الخريف. كذا في «البداية» (5/ 7).

وأخرج الطبراني كما في «المجمع» (6/ 192) عن سعد بن خيثمة رضي الله عنه قال: تخلّفت عن رسول الله ﷺ، فدخلت حائطاً، فرأيت عريشاً قد رُش بالماء، ورأيت زوجتي، فقلت: ما هذا بالإنصاف، إنَّ رسول الله ﷺ في السَّموم والحميم وأنا في الظلّ والنعيم!! فقمت إلى ناضح فاحتقبته، وإلى تمرات فتزوَّدتها، فنادت زوجتي: إلى أين يا أبا خيثمة؟ فخرجت أُريد رسول الله ﷺ حتى إذا كنت ببعض الطريق لقيني عُمير بن وهب، فقلت: إنك رجل جريء وإني أعرف حيث النبي ﷺ، وإني امرؤ مذنب، فتخلّف عني حتى أخلوَ برسول الله ﷺ؛ فتخلف عني عمير. فلما طلعت على العسكر فرآني الناس، فقال رسول الله ﷺ: «كُنْ أبا خيثمة». فجئت فقلت: كدتُ أهلِك يا رسول الله! فحدثته حديثي. فقال لي رسول الله ﷺ: خيراً، ودعا لي. قال الهيثمي (6/ 193): وفيه يعقوب بن محمد الزهري، وهو ضعيف. انتهى.

* * *

حزن الصحابة رضي الله عنهم على عدم القدرة على الخروج والإنفاق في سبيل الله

قال ابن إسحاق: بلغني أن ابن يامين النَّضْري لقي أبا ليلى وعبد الله بن مُغَفَّل رضي الله عنهما وهما يبكيان. فقال: ما يبكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله ﷺ ليحملَنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوّى به على الخروج معه. فأعطاهما ناضحاً له، فارتحلاه وزوّدهما شيئاً من تمر، فخرجا مع النبي ﷺ. زاد يونس بن بكير عن ابن إسحاق: وأما عُلْبة بن زيد رضي الله عنه فخرج من الليل فصلَّى من ليلته ما شاء الله ثم بكى وقال: اللهمّ إنك أمرتَ بالجهاد ورغَّبتَ فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوّى به، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه، وإني أتصدّق على كل مسلم بكل مَظْلِمَةٍ أصابني فيها2 في مال أو جسد أو عرض، ثم أصبح مع الناس. فقال رسول الله ﷺ: «أين المتصدّق هذه الليلة؟» فلم يقم أحد، ثم قال: «أين المتصدّق، فلْيقم؟» فقام إليه فأخبره. فقال رسول الله ﷺ: «أبشر، فوالذي نفسي بيده لقد كُتبت في الزكاة المتقبّلة». كذا في «البداية» (5/ 5). قال في «الإصابة» (2/ 500): ذكر ابن إسحاق الحديث بغير إسناد، وقد ورد مسنداً موصولاً من حديث مجمع بن جارية، ومن حديث عمرو بن عوف وأبي عبس بن جَبْر، ومن حديث عُلْبة بن زيد وقتيبة. فقد روى ذلك ابن مردويه عن مجمع بن حارثة.

وروى ابن منده عن أبي عَبْس بن جَبْر قال: كان عُلبة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه رجلاً من أصحاب النبي ﷺ. فلما حضّ على الصدقة جاء كل رجل منهم بطاقته وما عنده. فقال عُلبة بن زيد: اللهمّ إنَّه ليس عندي ما أتصدّق به. اللهمّ إنِّي أتصدّق بعِرضي على من ناله من خلقك. فأمر رسول الله ﷺ منادياً، فنادى: «أين المتصدِّق بعرضه البارحة؟». فقام علبة فقال: «قد قُبلت صدقتك».

وروى البزار عن عُلبة بن زيد رضي الله عنه نفسه قال: حثّ رسول الله ﷺ على الصدقة ـ فذكر الحديث. قال البزّار: عُلبة هذا رجل مشهور من الأنصار، ولا نعلم له غير هذا الحديث. وروى ابن أبي الدنيا، وابن شاهين من طريق كَثِير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده نحوه ـ انتهى مختصراً. وأخرجه ابن النجار عن عُلبة بن زيد ـ مختصراً؛ كما في «كنز العمال» (7/ 80).

* * *

الإِنكار على من أخّر الخروج في سبيل الله

أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث إلى مؤتة، فاستعمل زيداً، فإنْ قتل زيد فجعفر، فإنْ قتل جعفر فابن رواحة؛ فتخلّف ابن رواحة. فجمَّع مع النبي ﷺ، فرآه فقال: «ما خلَّفك؟» فقال: أجمِّع معك. قال: «لَغَدوة أو رَوْحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» - كذا في «البداية» (4/ 242). وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة عن ابن عباس - نحوه؛ كما في «الكنز» (5/ 309).

وأخرج الإمام أحمد أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في سريّة، فوافق ذلك يوم الجمعة. قال: فقدَّم أصحابه وقال: أتخلَّف فأصلِّي مع رسول الله ﷺ الجمعة، ثم ألحقهم. قال: فلما صلَّى رسول الله ﷺ رآه، فقال: «ما منعك أن تغدوَ مع أصحابك؟» فقال: أردتُ أن أصلِّي معك الجمعة ثم ألحقَهم. قال رسول الله ﷺ: «لو أنفقتَ ما في الأرض جميعاً ما أدركت غَدْوتهم». وهذا الحديث قد رواه الترمذي ثم علَّله بما حكاه عن شُعبة أنه قال: لم يسمع الحكم عن مِقْسَم إلا خمسةَ أحاديث، وليس هذا منها. كذا في «البداية» (4/ 242).

وأخرج الإمام أحمد أيضاً عن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه أمر أصحابه بالغزو. فقال رجل لأهله: أتخلّف حتى أصلي مع رسول الله ﷺ، ثم أسلِّم عليه وأودّعه، فيدعو لي بدعوة تكون

سابقة يوم القيامة. فلما صلّى النبي ﷺ أقبل الرجل مسلّماً عليه. فقال له رسول الله ﷺ: «أتدري بكم سبقك أصحابك؟» قال: نعم، سبقوني اليوم بغدوتهم. فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لقد سبقوك بأبعدَ ممّا بين المشرقين والمغربين في الفضيلة». قال الهيثمي (5/ 284): وفيه زَبّان بن فائد وثّقه أبو حاتم، وضعّفه جماعة؛ وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج البيهقي (9/ 158) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أمر رسول الله ﷺ بسرّية تخرج. فقالوا: يا رسول الله، أنخرج الليلة أم نمكث حتى نصبِّح؟ فقال: «أوَ لا تحبون أن تبيتوا في خريف من خرائف الجنة؟» - والخريف: الحديقة -.

وأخرجه الطبراني أيضاً عن أبي هريرة - بنحوه: قال الهيثمي (5/ 276): وشيخه بكر بن سهل الدِمياطي؛ قال الذهبي: مقارب الحديث؛ وقال النّسائي: ضعيف، وفيه ابن لهيعة أيضاً. انتهى.

أخرج ابن راهَوَيْه، والبيهقي عن أبي زُرعة بن عمر بن جرير قال: بعث عمر بن الخطاب جيشاً وفيهم معاذ بن جبل رضي الله عنهما، فلما ساروا رأى معاذاً، فقال: ما حبسك؟ قال: أردت أن أصلّي الجمعة ثم أخرج. فقال عمر: أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الغَدْوة والرَّوْحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها؟!» كذا في «كنز العمال» (2/ 289).

* * *

العتاب على من تخلَّف عن سبيل الله وقصَّر فيه

أخرج البخاري عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلّفت في غزوة بدر ولم يعاتِب أحداً تخلّف عنها؛ إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عِيرَ قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعاد. ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحبّ أن لي بها مشهد بدر؛ وإن كانت بدر أذكَرَ في الناس منها. وكان من خبري: أني لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسر حين تخلَّفت عنه في تلك الغزوة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قطّ حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله يريد غزوة إلا وَرَّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حرّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً وعدوّاً كثيراً، فجلّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد. والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ ـ يريد الديوان ـ. قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظنّ أنْ سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله.

وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه. فطفقت أغدو لكي أتجهَّز معهم فأرجع ولم أقضِ شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادَى

بي حتى اشتد بالناس الجدّ، فأصبح رسول الله والمسلمون معه، لم أقضِ من جَهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعد يوم أو يومين، ثم ألحقهم؛ فغدوت بعد أن فَصَلوا لأتجهّز، فرجعت ولم أقضِ شيئاً. ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقضِ شيئاً. فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم، ـ وليتني فعلت ـ فلم يقدَّر لي ذلك. فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم، أحزنني أني لا أرى إلَّا رجلاً مغموصاً عليه النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء. ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك. فقال ـ وهو جالس في القوم بتبوك ـ: «ما فعل كعب؟» فقال رجل من بني سَلِمة: يا رسول الله، حبسه بُرادهُ ونَظَرُه في عِطْفيه. فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله، ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ.

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني همِّي، وطفقت أتذكَّر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غداً؟ واستعنتُ على ذلك بكل ذي رأي من أهلي. فلما قيل: إنَّ رسول الله ﷺ قد أظلَّ قادماً زاح عني الباطل، وعرفت أنِّي لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه. وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، فكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس. فلما فعل ذلك جاءه المخلَّفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له ـ وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً ـ فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكَل سرائرهم إلى الله عزّ وجلّ. فجئته، فلما سلّمت عليه تَبَسَّم تَبَسُّمَ المُغْضَب، ثم قال: «تعالَ». فجئت أمشي حتى جلست بين يديه. فقال لي: «ما خلّفك؟ ألم تكن قد ابتعتَ ظَهْرك؟» فقلت: بلى، إني ـ والله ـ لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيتُ أن سأخرج من سخطه بعذر،

ولقد أُعطيتُ جدلاً، ولكني ـ والله ـ لقد علمتُ لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضَى به عني ليوشِكَنَّ الله أنْ يُسخطك عليّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، ووالله ما كنت قطُّ أقوى ولا أيسر مني حين تخلّفت عنك. فقال رسول الله ﷺ: «أمّا هذا فقد صدق، فقم حتى يقضيَ الله فيك». فقمت. فثار رجال من بني سَلِمة فاتّبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا؟ ولقد عَجزت أن لا تكون اعتذرتَ إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلّفون، وقد كان كافيكَ ذنبَكَ استغفارُ رسول الله ﷺ لك. فوالله ما زالوا يؤنّبونني حتى هممت أن أرجع فأكذّب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان. قالا مثل ما قلت، وقيل لهما مثل ما قيل لك. فقلت: من هما؟ قالوا: مُرارة بن الربيع العَمْري، وهِلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما أُسوة، فمضيت حين ذكروهما لي.

ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيُّها الثلاثة من بين من تخلّف عنه، فاجْتنبَنَا الناس وتغيّروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرضُ، فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشَبَّ القوم وأجلَدهم؛ فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلّمُ عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، وأقول في نفسي: هل حرَّك شفتيه بردّ السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلّي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ، وإذا التفتّ نحوه أعرض عني. حتى إذا طال عليّ ذلك من جَفْوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة ـ وهو ابن عمّي وأحبُّ الناس إليّ ـ

فسلّمت عليه، فوالله ما رد عليّ السلام؛ فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلمني أحبّ الله ورسوله؟ فسكت. فعدت له فنَشَدته، فسكت. فعدت له فنَشَدته، فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي وتولّيت حتى تسوّرتُ الجدار.

قال: وبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نَبَطيٌ من أنباط أهل الشام ممّن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلّني على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إليّ كتاباً من ملك غسان (في سَرَقة من حرير) فإذا فيه:

«أما بعد: فإنه قد بلغني أنَّ صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هَوانٍ ولا مَضْيَعة، فالحقْ بنا نواسِك».

فقلت لما قرأتها وهذا أيضاً من البلاء، فتيممت بها التنور فسجرته بها.

(فأقمنا على ذلك)، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك. فقلت: أطلّقها أم ماذا أفعل؟ قال: «لا، بل اعتزلها ولا تقربها»، وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك. فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أُمية إلى رسول الله فقالت: يا رسول الله إنَّ هلال بن أُمية شيخ ضائع، ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «لا، ولكن لا يقربْك». قالت: إنه ـ والله ـ ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استأذنتَ رسول الله ﷺ في امرأتك كما استأذن هلال بن أُميّة أن تخدمه. فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يُدريني ما يقول

رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب؟!.

قال: فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا. فلما صليت الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عزّ وجلّ قد ضاقت عليَّ نفسي، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت ـ سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سَلْع يقول بأعلى صوته: يا كعب أبشر، فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج. وآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صلّى صلاة الفجر. فذهب الناس يبشّروننا، وذهب قِبَل صاحبيَّ مبشرون، وركض رجل إليّ فرساً، وسعى ساعٍ من أسلَم فأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه، ووالله ما أملك غيرهما يومئذٍ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ؛ فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئونني بالتوبة يقولون: لتهنِكَ توبة الله عليك. قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا برسول الله ﷺ جالس حولَه الناس؛ فقام إليّ طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يهرول حتى صافحني وهنّأني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيرُه؛ ولا أنساها لطلحة. قال كعب: فلما سلّمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ ـ وهو يبرق وجهه من السرور ـ «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك». قال: قلت: أمِنْ عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله». وكان رسول الله ﷺ إذا سُرّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر؛ وكنا نعرف ذلك منه. فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صَدَقةً إلى الله وإلى رسوله. قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك». قلت:

فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. وقلت: يا رسول الله إنَّ الله إنما نجّاني بالصدق، وإن من توبتي، ألا أُحدِّث إلا صدقاً ما بقيت؛ فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت. وأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: 117 ـ 119]، فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته، فأهلِك كما هلَك الذين كذبوا؛ فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرّ ما قال لأحد؛ قال الله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: 95، 96].

قال كعب: وكنا خُلِّفنا ـ أيها الثلاثة ـ عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه. فبذلك قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: 118]، ليس الذي ذكر الله مما خُلِّفنا من الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له، واعتذر إليه، فقبل منهم. وهكذا رواه مسلم، وابن إسحاق. رواه الإمام أحمد بزيادات يسيرة. كذا في «الإصابة» (5/ 23). وأخرجه أيضاً أبو داود، والنَّسائي بنحوه مفرقاً مختصراً. وروى الترمذي قطعة من أوله، ثم قال: وذكر الحديث. كذا في «الترغيب» (4/ 366). وأخرجه البيهقي (9/ 33) بطوله.

التهديد على من أقام في الأهل والمال وترك الجهاد

أخرج البيهقي (9/ 45) عن أبي عمران رضي الله عنه قال: كنا بالقسطنطينية، وعلى أهل مصر عُقبة بن عامر، وعلى أهل الشام رجل ـ يريد فَضالة بن عبيد ـ رضي الله عنهما، فخرج من المدينة صف عظيم من الروم، فصففنا لهم، فحمل رجل من المسلمين على الروم حتى دخل فيهم ثم خرج علينا، فصاح الناس إليه فقالوا: سبحان الله! ألقى بيده إلى التهلكة. فقام أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه ـ صاحبُ رسول الله ﷺ ـ فقال: يا أيها الناس، إنكم لَتُؤَوِّلون هذه الآية على هذا التأويل، إنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، إنَّا لما أعزّ الله دينه وكَثُر ناصروه فقلنا ـ فيما بيننا بعضنا لبعض سراً من رسول الله ﷺ ـ: إنَّ أموالنا قد ضاعت، فلو أقمنا فيها فأصلحنا ما ضاع منها. فأنزل الله عزّ وجلّ ـ يردّ علينا ما هممنا به ـ فقال: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195]، فكانت التهلكة في الإقامة التي أردنا أن نقيم في أموالنا نصلحها. فأمرنا بالغزو فما زال أبو أيوب رضي الله عنه غازياً في سبيل الله حتى قبضه الله عزّ وجلّ.

وأخرجه أيضاً البيهقي (9/ 99) من وجه آخر عن أبي عمران رضي الله عنه قال: غزونا المدينة ـ يريد القُسطنطينية ـ، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة.

فحمل رجل على العدوّ. فقال الناس: مَهْ مَهْ! لا إله إلا الله يلقي بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب رضي الله عنه: إنما أُنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار؛ لمّا نصر الله نبيه وأظهر الإسلام. قلنا: هَلُمَّ نقيم في أموالنا ونصلحها. فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:195]، فالإلقاء بأيدينا إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحَها وندعَ الجهاد. قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقُسطنطينية.

وأخرج أبو داود، والترمذي، والنَّسائي عن أبي عمران رضي الله عنه قال: حمل رجل من المهاجرين بالقُسطنطينية على صفّ العدوّ حتى خرقه؛ ومعنا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه. فقال ناس: ألقَى بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية، إنما نزلت فينا. صحبنا رسول الله ﷺ وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فلما فشا الإسلام وظهر اجتمعنا معشر الأنصار تحبّياً، فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ ونصره حتى فشا الإسلام وكثر أهله، وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهما؛ فنزل فينا ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195]، فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد. وأخرجه أيضاً عبد بن حُميد في «تفسيره»، وابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن مَرْدَوَيْه، وأبو يَعْلى في «مسنده»، وابن حِبَّان في «صحيحه»، والحاكم في «مستدركه». وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. وقال الحاكم: على شرط الشيخين، ولم يخرِّجاه. كذا في «تفسير» لابن كثير (1/ 228).

* * *

التهديد والترهيب لمن اشتغل بالزراعة وترك الجهاد

أخرج ابن عائذ في «المغازي» عن يزيد بن أبي حبيب قال: بلغ عمر بن الخطاب أنَّ عبد الله بن الحرّ العنسي رضي الله عنهما زرع أرضاً بالشام، فأنهب زرعه وقال: انطلقت إلى ذلٍّ وصَغار في أعناق الكبار، فجعلته في عنقك. كذا في «الإصابة» (3/ 88).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 342) عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني قال: مرّ بعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما نفر من أهل اليمن، فقالوا له: ما تقول في رجل أسلم فحسن إسلامه، وهاجر فحسنت هجرته، وجاهد فحسن جهاده، ثم رجع إلى أبويه باليمن فبرّهما ورحمهما؟ قال: ما تقولون أنتم؟ قالوا: نقول: قد ارتدّ على عقبيه. قال: بل هو في الجنة؛ ولكن سأخبركم بالمرتد على عقبيه: رجل أسلم فحسن إسلامه، وهاجر فحسنت هجرته، وجاهد فحسن جهاده، ثم عَمَدَ إلى أرض نَبَطيّ فأخذها منه بجزيتها ورزقها، ثم أقبل عليها يعمّرها وترك جهاده، فذلك المرتد على عقبيه.

* * *

السرعة في السير في النفر في سبيل الله لاستئصال الفتنة

أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا في غزاة - قال سفيان مرة: في جيش - فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار؛ فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ما بال دعوى جاهلية؟» قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال: «دعوها فإنَّها منتنة». فسمع بذلك عبد الله بن أبيّ فقال: فَعَلوها؟!؛ - والله - لئن رجعنا إلى المدينة ليخرِجنّ الأعزّ منها الأذلّ. فبلغ النبي ﷺ، فقام عمر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله دَعْني أضربْ عنق هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «دَعْه، لا يتحدّث الناس أنَّ محمداً يقتل أصحابه». كانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كثروا بعد. وأخرجه أيضاً مسلم، والإمام أحمد، والبيهقي عن جابر رضي الله عنه - بنحوه؛ كما في «التفسير» لابن كثير (4/ 370).

وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة بن الزبير، وعمرو بن ثابت الأنصاري أن رسول الله ﷺ غزا غزوة المُرَيْسيع، - وهي التي هدم رسول الله ﷺ فيها مناة الطاغية التي كانت بين قفا المشلَّل وبين البحر - فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه فكسر مَناة، فاقتتل رجلان في غزوة رسول الله ﷺ تلك، أحدهما من المهاجرين والآخر من

بَهْز ـ وهم حلفاء الأنصار ـ فاستعلى البهزيّ على الرجل الذي من المهاجرين فقال: يا معشر الأنصار. فنصره رجال من الأنصار وقال المهاجري: يا معشرَ المهاجرين، فنصره رجال من المهاجرين، حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شيء من القتال. ثم حُجز بينهم، فانكفأ كل منافق أو رجل في قلبه مرض إلى عبد الله بن أبيّ بن سلول. فقال: قد كنت تُرجى وتَدفع فأصبحت لا تضرّ ولا تنفع، قد تناصرت علينا الجلابيب ـ وكانوا يَدْعون كل حديثِ الهجرة الجلابيب ـ فقال عبد الله بن أُبيّ ـ عدو الله ـ: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ. قال مالك بن الدُّخشُن ـ وكان من المنافقين ـ: ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عندَ رسول الله حتى ينفَضُّوا؟ فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضربْ عنقه ـ يريد عمر رضي الله عنه عبد الله بن أبيّ ـ. فقال رسول الله ﷺ لعمر: «أوَ قاتله أنت إن أمرتك بقتله؟» فقال: عمر: نعم ـ والله ـ لئن أمرتني بقتله لأضربنَّ عنقه. فقال رسول الله ﷺ: اجلس. فأقبل أُسَيد بن حُضَير رضي الله عنه وهو أحد الأنصار ثم أحد بني عبد الأشهل حتى أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضربْ عنقه. فقال رسول الله ﷺ: أوَ قاتله أنت إن أمرتك بقتله؟ قال: نعم ـ والله ـ لئن أمرتني بقتله لأضربنّ بالسيف تحت قُرْط أذنيه. فقال رسول الله ﷺ: اجلس؛ ثم قال رسول الله ﷺ: «آذنوا بالرحيل»، فهجَّر بالناس، فسار يومه وليلته والغد حتى متع النهار؛ ثم نزل ثم هجَّر بالناس مثلها حتى صبَّح في ثلاث سارها من قفا المشلّل. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أرسل إلى عمر فدعاه، فقال رسول الله ﷺ: «أيْ عمر، أكنت قاتله لو أمرتك بقتله؟» فقال عمر:

نعم. فقال رسول الله ﷺ: والله لو قتلته يومئذٍ لأرغمت أنوف رجال، لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه، فيتحدّث الناس أنّي قد وقعت على أصحابي فأقتلهم صَبْراً وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [المنافقون: 7، 8] - الآية. قال ابن كثير في «تفسيره» (4/ 372): هذا سياق غريب، وفيه أشياء نفيسة لا توجد إلا فيه، انتهى. وقال ابن حجر في «فتح الباري» (8/ 458): وهو مرسل جيد. انتهى. وقد ذكر ابن إسحاق القصة بطولها كما في «الإصابة» (4/ 157)، وفي سياقه: ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصَدْرَ يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مَسَّ الأرض فوقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أُبيّ.

* * *

الإنكار على من لم يتم الأربعين في سبيل الله

أخرج عبد الرزاق عن زيد بن أبي حبيب قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: أين كنت؟ قال: كنت في الرباط. قال: كم رابطت؟ قال: ثلاثين. قال: فهلّا أتممت أربعين. كذا في «كنز العمال» (2/ 288).

* * *

الخروج لثلاثة أربعينات في سبيل الله

أخرج عبد الرزاق عن ابن جُريج قال: أخبرني من أصدِّق أن عمر رضي الله عنه بينا هو يطوف سمع امرأة تقول:

تَطاولَ هذا الليلُ واسودَّ جَانبهْ

وأرَّقني أنْ لا حبيبَ الاعبُهْ

فَلولا حِذارُ اللهِ لا شيءَ مثلُه

لزُعزِعَ من هذا السريرِ جوانبُهْ

فقال عمر رضي الله عنه: ما لَكِ؟ قالت: أغرَبْت زوجي منذ أشهر، وقد اشتقت إليه. قال: أردتِ سوءاً؟. قالت: معاذ الله! قال: فاملكي عليك نفسك، فإنما هو البريد إليه. فبعث إليه، ثم دخل على حفصة رضي الله عنها فقال: إني سائلك عن أمر قد أهمّني فأفرجيه عني، في كم تشتاق المرأة إلى زوجها؟ فخفَضَت رأسها واستحيت. قال: فإن الله لا يستحيي من الحق. فأشارت بيدها ثلاثة أشهر، وإلا فأربعة أشهر. فكتب عمر رضي الله عنه أن لا تُحبس الجيوش فوق أربعة أشهر. كذا في «الكنز» (8/ 308).

وأخرجه البيهقي (9/ 29) من طريق مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الليل فسمع امرأة تقول:

تطاول هذا الليل واسودَّ جانبُهْ

وأرّقني أنْ لا حبيبَ ألاعِبُهْ

فقال عمر بن الخطاب لحفصة بنت عمر رضي الله عنهما: كم أكثرُ ما تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت: ستةَ أو أربعةَ أشهر. فقال عمر: لا أحبس الجيش أكثر من هذا.

* * *

رغبة الصحابة في تحمُّل الغبار في سبيل الله

أخرج الطبراني عن ربيعِ بن زيد قال: بينما رسول الله ﷺ يسير معتدلاً إذ أبصر شاباً من قريش يسير معتزلاً (عن الطريق). فقال: «أليس ذاك فلاناً؟» قالوا: نعم. قال: «فادعوه»، فجاء فقال له النبي ﷺ: «ما لك اعتزلت عن الطريق؟» قال: كرهت الغبار. قال: «فلا تعتزله، فوالذي نفسي بيده إنه لذَرِيرَةُ الجنة».

قال الهيثمي (5/ 287): رواه الطبراني، ورجاله ثقات. انتهى.

وأخرج ابن حِبَّان في «صحيحه» عن أبي المُصبِّح المُقْرائي قال: بينما نحن نسير بأرض الروم في طائفة عليها مالك بن عبد الله الخثعمي، إذ مرّ مالك بجابر بن عبد الله رضي الله عنهما وهو يقود بغلاً له، فقال له مالك: أيْ أبا عبد الله اركب فقد حملك الله. فقال جابر: أصلح دابتي، وأستغني عن قومي، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغبرت قدماه في سبيل الله حرَّمه الله على النار». فسار حتى إذا كان حيث يسمعه الصوت نادى بأعلى صوته: يا أبا عبد الله اركب فقد حملك الله. فعرف جابر الذي يريد، فقال: أصلح دابتي، وأستغني عن قومي، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اغبرت قدماه في سبيل الله حرّمه الله على النار». فتواثب الناس عن دوابهم، فما رأيت يوماً أكثر ماشياً منه. ورواه أبو يَعْلى بإسناد جيِّد إلا أنه قال: عن سليمان بن موسى قال: بينما نحن نسير ـ فذكره بنحوه؛ وقال

فيه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله إلا حرّم الله عليهما النار»؛ فنزل مالك ونزل الناس يمشون، فما رُئي يومٌ أكثر ماشياً منه. كذا في «الترغيب» (2/ 396). قال الهيثمي (5/ 286): رواه أبو يَعلى، ورجاله ثقات. انتهى. وقال في «الإصابة» (3/ 126): وهذا الحديث قد أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده بسنده المذكور - أي عن أبي المُصَبِّح - فقال فيه: إذ مرّ جابر بن عبد الله. وكذا أخرجه ابن المبارك في كتاب الجهاد؛ وهو في مسند الإمام أحمد؛ وصحيح ابن حِبَّان من طريق ابن المبارك. انتهى. وأخرجه البيهقي (9/ 162) من طريق أبي المُصَبِّح - بنحوه.

* * *

الخدمة في الجهاد في سبيل الله

أخرج مسلم (1/ 356 برقم 1119) عن أنس رضي الله عنه قال: كنَّا مع النبي ﷺ في السفر، فمنّا الصائم، ومنَّا المفطر. قال: فنزلنا منزلاً في يوم حار أكثرنا ظلاً صاحب الكِساء؛ ومنَّا من يتقي الشمس بيده. قال: فسقط الصُوَّام وقام المفطرون فضربوا الأبنية، وسقَوا الركاب. فقال رسول الله ﷺ: «ذهب المفطرون اليوم بالأجر».

وأخرجه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ أكثرنا ظلًّا من يستظل بكِسائه؛ وأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئاً، وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب، وامتهنوا، وعالجوا فقال النبي ﷺ: «ذهب المفطرون اليوم بالأجر».

وأخرج أبو داود في «مراسيله» عن أبي قِلابة رضي الله عنه: أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ قدموا يُثْنون على صاحب لهم خيراً. قالوا: ما رأينا مثل فلان قط، ما كان في مسير إلا كان في قراءة، ولا نزلنا في منزل إلا كان في صلاة. قال: «فمن كان يكفيه ضيعته» ـ حتى ذكر ـ: «ومن كان يعلف جمله أو دابته؟» قالوا: نحن. قال: «فكلّكم خير منه». كذا في «الترغيب» (4/ 172).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 369) عن سعيد بن جَمْهان قال: سألت سفينة عن اسمه. فقال: إني مخبرك باسمي: سمّاني رسول الله ﷺ سفينة. قلت: لِمَ سماك سفينة؟ قال: خرج ومعه أصحابه، فثقل عليهم

متاعهم. فقال: «ابسط كساءك». فبسطته، فجعل فيه متاعهم ثم حَملَه عليّ. فقال: «احمل ما أنت إلا سفينة» قال: فلو حملت يومئذٍ وقْرَ بعير أو بعيرين أو خمسة أو ستة ما ثقل عليَّ.

وأخرج الحسن بن سفيان، وابن مَنْدَه، والمالِيني، وأبو نُعيم عن أحمرَ مولى أم سَلَمة رضي الله عنهما قال: كنَّا مع النبي ﷺ في غَزَاة، فمررنا بوادٍ فجعلت أعبِّرُ الناس. فقال لي النبي ﷺ: «ما كنت في هذا اليوم إلا سفينة». كذا في «المنتخب» (5/ 194).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (3/ 285) عن مجاهد قال: كنت أصحب ابن عمر رضي الله عنهما في السفر، فإن أردت أن أركب يأتيني فيمسك ركابي، وإذا ركبت سوّى ثيابي. قال مجاهد: فجاءني مرة فكأني كرهت ذلك. فقال: يا مجاهد إنَّك ضيِّق الخُلُق.

* * *

الصوم في سبيل الله

أخرج مسلم (1/ 357 برقم 1122) عن أم الدَّرْداء قالت: قال أبو الدَّرْداء: لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في يوم شديد الحرّ، حتى إن الرجل ليضع يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة. وفي رواية أخرى له عن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنهما قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان في حرّ شديد ـ فذكره.

وأخرج مسلم أيضاً (1/ 356 برقم 1116) عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ في رمضان، فمنّا الصائم ومنّا المفطر، فلا يجد، الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم، يَروْن أنّ من وَجَد قوة فصام فإن ذلك حسن ويرون أنَّ من وجد ضعفاً فأفطر فإن ذلك حسن.

وأخرج ابن عبد البَرِّ في «الاستيعاب» (2/ 316) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتيت على عبد الله بن مَخْرَمة رضي الله عنه صريعاً يوم اليمامة فوقفت عليه. فقال: يا عبد الله بن عمر هل أفطر الصائم؟ قلت: نعم. قال: فاجعل في هذا المِجَنُّ ماءً لعلِّي أفطر عليه. قال: فأتيت الحوض وهو مملوء ماء فضربته بحَجَفة معي، ثم اغترفت فيه؛ فأتيت به فوجدته قد قضى نحبه. وأخرجه أيضاً ابن أبي شَيْبة، والبخاري في «التاريخ»؛ كما في «الإصابة» (2/ 366)، قال: وأخرجه ابن المبارك

في الجهاد من وجه آخر عن ابن عمر أتم منه.

وأخرج ابن أبي شيبة في «مصنَّفه» بسند صحيح عن قيس بن أبي حازم عن مُدْرِك بن عوف الأحْمسي قال: بينما أنا عند عمر رضي الله عنه إذ أتاه رسول النعمان بن مقرِّن، فسأله عمر عن الناس. فذكر من أصيب من المسلمين وقال: قتل فلان وفلان، وآخرون لا نعرفهم، فقال عمر: لكنَّ الله يعرفهم. قالوا: ورجل اشترى نفسه ـ يعنون عوف بن أبي حيَّة الأحمسي أبا شَبِيل ـ قال مدرك بن عوف: يا أمير المؤمنين، والله، خالي يزعم الناس أنه ألقى بيده إلى التهلكة. فقال عمر: كذب أولئك، ولكنه اشترى الآخرة بالدنيا. قال: وكان أصيب وهو صائم، فاحتُمل وبه رمق، فأبى أن يشرب حتى مات. كذا في «الإصابة» (3/ 122).

وقد تقدم حديث محمد بن حنفية في «تحمُّل شدّة العطش» قال: رأيت أبا عمرو الأنصاري رضي الله عنه ـ وكان بَدْرِياً عَقَبِياً أُحُدِياً ـ وهو صائم يتلوّى من العطش، وهو يقول لغلامه: ويحك تَرِّسني، فترَّسه الغلام حتى نزع بسهم نزعاً ضعيفاً ـ فذكر الحديث، وفيه: فقُتِل قبل غروب الشمس: أخرجه الطبراني، والحاكم.

* * *

الصلاة في سبيل الله

أخرج ابن خُزيمة عن علي رضي الله عنه قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتُنا وما فينا إلا نائم؛ إلا رسولَ الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح. كذا في «الترغيب» (4/ 316).

وأخرج الإمام أحمد عن أبي عياش رضي الله عنه قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ بعُسْفان؛ فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة؛ فصلَّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الظهر. فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غِرَّتهم، ثم قالوا: تأتي الآن عليهم صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم. قال: فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات بين الظهر والعصر: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: 102] - فذكر صلاة الخوف. وعند مسلم عن جابر رضي الله عنه قالوا: إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد. كذا في «البداية» (4/ 81).

وأخرج ابن إسحاق عن جابر رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرِقاع من نخل، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين. فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً أتى زوجُها - وكان غائباً - فلما أُخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يُهرِيقَ في أصحاب محمد دماً. فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً فقال: «من (رجل) يكلؤنا ليلتَنا؟» فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار فقالا: نحن يا رسول الله. قال: «فكونا بفم الشِّعب من الوادي»

وهما: عمار بن ياسر وعبَّاد بن بشر. فلما خرجا إلى فم الشِّعب قال الأنصاري للمهاجري: أيَّ الليل تحب أن أكفيكَهُ أولَه أم آخرَه؟ قال: بل اكفني أوّلَه. فاضطجع المهاجري فنام؛ وقام الأنصاري يصلِّي. قال: وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئةُ القوم، فرمى بسهمٍ فوضعه فيه، فانتزعه ووضعه وثبت قائماً. قال: ثم رمى بسهم آخرَ فوضعه فيه، فنزعه فوضعه وثبت قائماً. قال: ثم عاد له بالثالث، فوضعه فيه، فنزعه فوضعه، ثم ركع وسجد، ثم أهبَّ صاحبه، فقال: اجلس فقد أُثْبِتُّ. قال: فوثب الرجل، فلما رآهما عرف أنه قد نذِرا به، فهرب. قال: ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال: سبحان الله! أفلا أهببتني أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرؤها، فلم أحبَّ أن أقطعها حتى أنفذها. فلما تابع عليَّ الرمي ركعت فآذنتك، وايْمُ الله، لولا أن أضيِّع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقَطَع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها. ورواه أبو داود (1/ 29 برقم 198) من طريقه ـ كذا في «البداية» (4/ 85). وأخرجه أيضاً ابن حِبَّان في صحيحه، والحاكم في «المستدرك» ـ وصححه ـ والدارقطني، والبيهقي في سننهما؛ وعلقه البخاري في «صحيحه» كما في «نصب الراية» (1/ 43). ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» وقال فيه: فنام عمار بن ياسر، وقام عبَّاد بن بشر رضي الله عنهما يصلي، وقال: كنت أصلي بسورة وهي الكهف، فلم أحب أن أقطعها اهـ.

وأخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن أُنَيس رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نُبَيح الهُذلي يجمع لي الناس ليغزوَني وهو بعُرْنَةَ فأْتِهِ فاقتله». قال قلت: يا رسول الله، انعته لي حتى أعرفَه. قال: «إذا رأيتَه وجدتَ له قُشعريرة».

قال: فخرجت متوشِّحاً بسيفي حتى وقعت عليه وهو بعُرنَة مع ظُعُن يرتاد لهنَّ منزلاً وحين كان وقت العصر. فلما رأيتُه وجدتُ ما وصف لي رسول الله ﷺ من القُشعريرة، فأقبلت نحوه، وخشيتُ أن يكون بيني وبينه مجاولة تشغلني عن الصلاة، فصلّيت وأنا أمشي نحوه أومىء برأسي للركوع والسجود. فلما انتهيت إليه قال: مَنِ الرجل؟ قلت: رجل من العرب، سمع بك ويجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك. قال: أجلْ، أنا في ذلك.

قال: فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنني حملت عليه السيف حتى قتلته، ثم خرجت وتركت ظعائنه مُكِبَّات عليه. فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني قال: «أفلح الوجه». قال: قلت: قتلته يا رسول الله. قال: «صدقت». قال: ثم قام معي رسول الله ﷺ فدخل في بيته فأعطاني عصاً، فقال: «أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أُنَيس». قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قال: قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ وأمرني أن أمسكَها. قالوا: أوَ لا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: «آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقلَّ الناس المتخصِّرون يومئذٍ». قال: فقرنها عبد الله بسيفه، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضُمَّت في كفنه، ثم دُفِنا جميعاً. كذا في «البداية» (4/ 140).

وأخرج الطبري (2/ 610) عن عروة رضي الله عنه قال: لما تدانى العسكران يوم اليرموك بعث القُبُقْلار رجلاً عربياً ـ فذكر الحديث؛ وفيه: فقال له: ما وراءك؟ قال: بالليل رهبان وبالنهار فرسان.

وأخرج أحمد بن مروان المالكي عن أبي إسحاق ـ فذكر الحديث،

وفيه: قال هِرَقل: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار. وأخرجه ابن عساكر (1/ 143) عن ابن إسحاق.

وستأتي تلك الأحاديث في «أسباب التأييدات الإلهية». وقد تقدم حديث هند بنت عتبة عند ابن منده في «بيعة النساء»، قالت هند: إني أريد أن أبايع محمداً. قال أبو سفيان: قد رأيتك تكفرين. قالت: إي والله. والله ما رأيت الله تعالى عُبد حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، والله إنْ باتوا إلّا مصلِّين قياماً وركوعاً وسجوداً.

* * *

الذكر في سبيل الله

أخرج البيهقي عن سعيد بن المسيِّب قال: لمَّا كان ليلةُ دخل الناس مكة ليلةَ الفتح، لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا. فقال أبو سفيان لهند: أتَرين هذا من الله؟ قالت: نعم، هذا من الله. قال: ثم أصبح أبو سفيان فغدا على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «قلتَ لهند: أتَرين هذا من الله؟ قالت: نعم، هذا من الله». فقال أبو سفيان: أشهد أنك عبد الله ورسوله؛ والذي يَحلِف به (أبو سفيان) ما سمع قولي هذا أحد من الناس غير هند. كذا في «البداية» (4/ 304). وأخرجه ابن عساكر عن سعيد مثله، كما في «الكنز» (5/ 297): وقال: سنده صحيح.

وأخرج البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر ـ أو قال: لما توجه رسول الله ﷺ إلى خيبر ـ أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر، لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «أرْبِعوا على أنفسكم، إنكم لا تدْعُون أصمّ ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم». وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ فسمعني، وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله: فقال: «يا عبد الله بن قيس» قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «ألّا أدلك على كلمة من كنز الجنة». قلت: بلى، يا رسول الله فِداك أبي وأمي. قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله». وقد رواه بقية الجماعة. والصواب أنه كان

مرجعَهم من خيبر، فإن أبا موسى إنما قدم بعد فتح خيبر. كذا في «البداية» (4/ 213).

وأخرج البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: كنا إذا صَعِدنا كبَّرنا، وإذا نزلنا سبّحنا. وفي رواية أخرى عنده عنه: قال: كنا إذا صعِدنا كبّرنا، وإذا تصوّبنا سبّحنا. وأخرجه أيضاً النسائي في «اليوم والليلة» عن جابر (برقم 541 و 542) ـ نحوه؛ كما في العيني (7/ 36).

وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: الناس في الغزو جزءان: فجزء خرجوا يكثرون ذكر الله والتذكير به، ويجتنبون الفساد في السير، ويواسون الصاحب، وينفقون كرائم أموالهم، فهم أشدّ اغتباطاً بما أنفقوا من أموالهم منهم بما استفادوا من دنياهم، فإذا كانوا في مواطن القتال استحيَوا من الله في تلك المواطن أن يطّلع على ريبة في قلوبهم أو خذلانٍ للمسلمين، فإذا قدروا على الغلول طهَّروا منه قلوبهم وأعمالهم؛ فلم يستطع الشيطان أن يفتنهم ولا يُكلِّم قلوبهم؛ فبهم يعزّ الله دينه ويَكبت عدوّه. وأما الجزء الآخر: فخرجوا فلم يكثروا ذكر الله ولا التذكير به، ولم يجتنبوا الفساد، ولم ينفقوا أموالهم إلا وهم كارهون، وما أنفقوا من أموالهم رأوه مَغْرَماً وحدَّثهم به الشيطان، فإذا كانوا عند مواطن القتال كانوا مع الآخرِ الآخرِ والخاذل الخاذل، واعتصموا برؤوس الجبال ينظرون ما يصنع الناس؛ فإذا فتح الله كانوا أشدهم تخاطباً بالكذب؛ فإذا قدروا على الغلول اجترؤوا فيه على الله، وحدثهم الشيطان أنها غنيمة؛ وإن أصابهم رَخاء بطِروا، وإن أصابهم حَبْس فتنهم الشيطان بالعَرَض؛ فليس لهم من أجر المؤمنين شيء غير أن أجسادهم مع أجسامهم، وسَيْرهم مع سيرهم، ونياتهم وأعمالهم شتى حتى يجمعهم الله يوم القيامة ثم يفرق بينهم. كذا في «الكنز» (2/ 290).

الاهتمام بالدعوات في الجهاد في سبيل الله

الدعاء عند الخروج من قريته

أخرج أبو نُعيم من طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق قال: بلغني أن رسول الله ﷺ لما خرج من مكة مهاجراً إلى الله يريد المدينة قال: «الحمد لله الذي خلقني ولم أكُ شيئاً. اللهمّ أعنّي على هول الدنيا، وبوائق الدهر، ومصائب الليالي والأيام. اللهم اصحبني في سفري، واخلفني في أهلي، وبارك لي فيما رزقتني، ولك فذلّلني، وعلى صالح خُلُقي فقوّمني، وإليك رب فحبّبني، وإلى الناس فلا تكلني. ربَّ المستضعفين وأنت ربي، أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السماوات والأرض وكُشفت به الظلمات، وصَلَح عليه أمر الأوَّلين أن تُحلَّ عليّ غضبك، وتُنزل بي سخطك. أعوذ بك من زوال نعمتك، وفجاءة نقمتك، وتحول عافيتك، وجميع سَخَطك. لك العُتْبى عندي خير ما استطعت، ولا حول ولا قوة إلا بك». كذا في «البداية» (3/ 178).

* * *

الدعاء عند الإِشراف على القرية

أخرج البيهقي عن أبي مروان الأسلمي عن أبيه عن جده قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر؛ حتى إذا كنا قريباً وأشرفنا عليها قال رسول الله ﷺ للناس: «قفوا». فوقف الناس، فقال: «اللهمَّ ربَّ السماوات السبع وما أظللنَ، وربَّ الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، (وربَّ الرياح وما أَذْرَيْن)، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرّ هذه القرية وشرّ أهلها وشرّ ما فيها. أقدِموا بسم الله الرحمن الرحيم». وأخرجه ابن إسحاق من طريق أبي مروان عن أبي مُعَتِّب. كما في «البداية» (4/ 183). وأخرجه الطبراني عن أبي معتّب بن عمرو ـ نحوه؛ وزاد في آخره: وكان يقولها لكل قرية يريد يدخلها. قال الهيثمي (10/ 135): وفيه راوٍ لم يُسمَّ، وبقية رجاله ثقات.

* * *

الدعاء عند افتتاح الجهاد

أخرج الإمام أحمد عن عمر رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيِّف، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل النبي ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزارُه، ثم قال: «اللهمَّ أنجز لي ما وعدتني. اللهمَّ إن تهلك هذه العِصابة من أهل الإسلام فلا تُعبَدُ بعد في الأرض أبداً»، فما زال يستغيث بربه ويدعوه حتى سقط رداؤه. فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فأخذ رداءه فرده، ثم التزمه من ورائه، ثم قال: يا رسول الله، كفاك مناشدَتُك ربَّك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال: 9] - وذكر تمام الحديث. وقد رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن جرير وغيرهم؛ وصحَّحه علي بن المديني، والترمذي. كذا في البداية (3/ 275). وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة. وأبو عَوانة، وابن حِبَّان، وأبو نعيم، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مَرْدَوَيْه، والبيهقي؛ كما في «الكنز» (5/ 266).

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً، فلما انتهى إليها قال: «اللهم إنَّهم حُفاةٌ فاحملهم. اللهمَّ إنهم عراةٌ فاكسهم. اللهمَّ إنهم جياعٌ فأشبعهم». ففتح الله بهم يوم بدر، فانقلبوا ما منهم

رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين، واكتسوا وشبعوا؛ كذا في «جمع الفوائد» (2/ 38). وأخرجه البيهقي (9/ 57) مثله، وابن سعد (2/ 13) بنحوه.

وأخرج النَّسائي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما سمعت مناشداً ينشد أشدّ من مناشدة محمد ﷺ يوم بدر، جعل يقول: «اللهمَّ إني أنشدك عهدك ووعدك. اللهمّ إن تَهْلِك هذه العصابة لا تُعبَدْ»، ثم التفت وكأن شِقَّ وجهه القمرُ، وقال: «كأني أنظر إلى مصارع القوم عشيّة». كذا في «البداية» (3/ 276). وأخرجه الطبراني بنحوه؛ قال الهيثمي (6/ 82): ورجاله ثقات إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه.

وأخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أُحُد: «اللهمَّ إنك إن تشأْ لا تُعبَدُ في الأرض». ورواه مسلم. كذا في «البداية» (4/ 28).

وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله، هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال: «نعم. اللهمّ استر عوراتِنا، وآمن رَوْعاتنا». قال: فضرب الله وجوه أعدائه (بالريح). وأخرجه ابن أبي حاتم.

وأخرج الإمام أحمد عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى مسجد الأحزاب، فوضع رداءه وقام ورفع يديه مدّاً يدعو عليهم ولم يصلِّ. قال: ثم جاء ودعا عليهم وصلَّى.

وثبت في «الصحيحين» عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال: «اللهمَّ مُنزل الكتاب، سريع الحساب، اهزِم الأحزاب. اللهمَّ اهزِمهم وزلزلهم». وفي رواية:

«اللهمَّ اهزِمهم وانصرنا عليهم». وعند البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «لا إله إلا الله وحده، أعزّ جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده». كذا في «البداية» (4/ 111).

* * *

الدعاء عند الجهاد

أخرج البيهقي عن علي رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر قاتلتُ شيئاً من قتال، ثم جئت مسرعاً لأنظر إلى رسول الله ﷺ ما فعل. قال: فجئت فإذ هو ساجد يقول: «يا حيُّ يا قيّوم، يا حيُّ يا قيُّوم»، لا يزيد عليه. فرجعت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك أيضاً. فذهبت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك حتى فتح الله على يديه. وقد رواه النسائي في «اليوم والليلة» (برقم 611). كذا في «البداية» (3/ 275). وأخرجه أيضاً البزّار، وأبو يَعْلى، والفِرْيابيّ، والحاكم بمثله؛ كما في كنز العمال (5/ 267).

* * *

الدعاء في الليل

أخرج ابن مَرْدَوَيْه، وسعيد بن منصور عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلِّي تلك الليلة، ليلة بدر، وهو يقول: «اللهمَّ إن تَهْلِك هذه العصابة لا تُعبَدْ»، وأصابهم تلك الليلة مطر. وعند أبي يَعْلى، وابن حِبَّان عنه قال: لما أصبح النبي ﷺ ببدر من الغد أحيا تلك الليلة كلَّها وهو مسافر. كذا في «كنز العمال» (5/ 267).

* * *

الدعاء بعد الفراغ

أخرج الإمام أحمد عن رِفاعة الزُّرَقيّ قال: لما كان يوم أُحُد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ: «استووا حتى أُثني على ربي عزّ وجلّ»، فصاروا خلفه صفوفاً. فقال: «اللهم لك الحمد كلُّه، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضلّ لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرّب لما باعدت، ولا مبعِّد لما قرَّبت. اللهمَّ ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك. اللهمَّ إنّي أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول. اللهمَّ إني أسألك النعيم يوم العَيْلة والأمن يوم الخوف. اللهمَّ إني عائذ بك من شرّ ما أعطيتنا وشر ما منعتنا. اللهمَّ حبِّبْ إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. اللهمَّ توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين. اللهمَّ قاتل الكفرة الذين يكذِّبون رسلك، ويصدّون عن سبيلك، واجعل عليهم رِجْزك وعذابك. اللهمَّ قاتل الكفرة الذين أُوتوا الكتاب، إله الحق». ورواه النسائي في «اليوم والليلة». كذا في البداية (4/ 38). وأخرجه أيضاً البخاري في «الأدب»، والطبراني، والبغوي، والباوَرْدي، وأبو نُعيم في «الحلية»، والحاكم، والبيهقي. قال الذهبي: الحديث مع نظافة إسناده منكر أخاف أن يكون موضوعاً. كذا في «كنز العمال» (5/ 276). وقال الهيثمي (6/ 122) بعدما ذكر الحديث: رواه الإمام

أحمد، والبزار؛ ورجال أحمد رجال الصحيح. انتهى.

وقد تقدم دعاؤه ﷺ بعد فراغه من عرض الدعوة على أهل الطائف في «تحمُّل النبي ﷺ الشدائد والأذى في الدعوة إلى الله».

* * *

الاهتمام بالتعليم في الجهاد في سبيل الله

أخرج البيهقي (9/ 47) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال الله تبارك وتعالى: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا﴾ [النساء: 71] وقال: ﴿انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ [التوبة: 41] وقال: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [التوبة: 39]، ثم نسخ هذه الآيات فقال: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ [التوبة: 122]. قال: فتغزو طائفة مع رسول الله ﷺ وتقيم طائفة. قال: فالماكثون مع رسول الله ﷺ هم الذين يتفقّهون في الدين، وينذرون قومهم إذا رجعوا إليهم من الغزو، لعلّهم يحذرون ما نزَّل الله من كتابه وفرائضه وحدوده.

وأخرج آدم بن أبي إياس في «العلم» عن الأحوص بن حكيم بن عُمَيْر العَبْسيّ قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد: تفقّهوا في الدين فإنه لا يُعذر أحد باتباع باطل وهو يرى أنه حق، ولا بترك حق وهو يرى أنه باطل. كذا في «كنز العمال» (5/ 228).

وأخرج عبد الرزاق عن حِطّان بن عبد الله الرَّقَاشي قال: كنا مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في جيش على ساحل دِجلة، إذ حضرت الصلاة فنادى مناديه للظهر؛ فقام الناس إلى الوضوء فتوضأ، ثم صلّى بهم، ثم جلسوا حِلَقاً. فلما حضرت العصر نادى منادِي العصر، فهبَّ الناس للوضوء أيضاً. فأمر مناديَه: ألا لا وضوء إلَّا على من

أحدث. قال: أوشك العلم أن يذهب، ويظهر الجهل حتى يضرب الرجل أمّه بالسيف من الجهل. كذا في «الكنز» (5/ 114). وأخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (1/ 27) مختصراً.

* * *

النفقة في الجهاد في سبيل الله

أخرج مسلم (2/ 37 برقم 1892) عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل بناقة مخطومة. فقال: هذه في سبيل الله. فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يومَ القيامة سبعمائة ناقة. كلُّها مخطومة». وأخرجه أيضاً النَّسائي، كما في «جمع الفوائد» (2/ 3).

وأخرج الإمام أحمد - ورجاله رجال الصحيح - عن عبد الله بن الصامت قال: كنت مع أبي ذرّ رضي الله عنه فخرج عطاؤه ومعه جارية له. قال: فجعلت تقضي حوائجه، ففضل معها سبعة، فأمرها أن تشتري به فلوساً، قال: قلت: لو أخَّرتَه للحاجة تنوبك أو للضيف ينزل بك. قال: إنَّ خليلي عهد إليّ أنْ «أيّما ذهبٍ أو فضةٍ أوكِيَ عليه فهو جَمْر على صاحبه حتى يفرغَه في سبيل الله عزّ وجلّ». وعند أحمد أيضاً والطبراني - واللفظ له -: «من أوكَى على ذهب أو فضة ولم ينفقه في سبيل الله كان جمراً يوم القيامة يكوى به». كذا في «الترغيب» (2/ 178).

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن قيس بن سَلْع الأنصاري رضي الله عنه أن إخوته شكَوه إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إنه يبذِّر ماله، وينبسط فيه. قلت: يا رسول الله، آخذ نصيبي من التمر، فأنفقه في سبيل الله وعلى من صحبني. فضرب رسول الله صدره وقال: «أنفق ينفقِ الله عليك» ثلاث مرات. فلما كان بعد ذلك خرجت في سبيل الله ومعي

راحلة، وأنا أكثر أهل بيتي اليوم وأيسره. كذا في «الترغيب» (2/ 173). وأخرجه أيضاً ابن مَنْده. وهو عند البخاري من هذا الوجه باختصار، كما في «الإصابة» (3/ 250).

وأخرج الطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن أكثر في الجهاد في سبيل الله من ذكر الله تعالى، فإنَّ له بكل كلمة سبعين ألف حسنة، كل حسنة منها عشرة أضعاف مع الذي له عند الله من المزيد». قيل: يا رسول الله النفقة؟ قال: «النفقة على قدر ذلك». قال عبد الرحمن: فقلت لمعاذ رضي الله عنه: إنّما النفقة بسبعمائة ضعف. فقال معاذ: قلَّ فهمك! إنما ذاك إذا أنفقوها وهم مقيمون بين أهليهم غير غُزاة. فإذا غزوا وأنفقوا خبّأ الله لهم من خزائن رحمته ما ينقطع عنه علم العباد ووصفهم، فأولئك حزب الله، وحزب الله هم الغالبون. قال الهيثمي (5/ 282): وفيه رجل لم يُسمَّ. انتهى.

وقد أخرجه القزويني بمجهول وإرسال، كما في «جمع الفوائد» (2/ 3) عن الحسن عن علي، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، وأبي أمامة، وابن عمرو بن العاص، وجابر، وعمران بن حصين رضي الله عنهم رَفَعوه: «من أرسل نفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم. ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه ذلك فله بكل درهم سبعُمائة ألف درهم» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: 261]. وقد تقدم ما أنفق أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، والعباس، وسعد بن عبادة، ومحمد بن مسلمة، وعاصم بن عدي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين في «تحريض النبي ﷺ على الجهاد وإنفاق الأموال». وسيأتي التفصيل في تلك القصص وغير ذلك في «نفقات الصحابة رضي الله عنهم أجمعين».

إخلاص النية في الجهاد في سبيل الله

أخرج أبو داود، وابن حِبَّان في صحيحه، والحاكم باختصار، - وصححه - عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسول الله؛ رجل يريد الجهاد وهو يريد عرضاً من الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: «لا أجر له». فأعظمَ ذلك الناس، فقالوا للرجل: عُدْ لرسول الله ﷺ فلعلَّك لم تُفهمه. فقال الرجل: يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرض الدنيا. فقال: «لا أجر له». فأعظمَ ذلك الناس، وقالوا: عُدْ لرسول الله ﷺ. فقال له الثالثة: رجل يريد الجهاد وهو يبتغي عرضاً في الدنيا. فقال: «لا أجر له» كذا في «الترغيب» (2/ 419).

وعند أبي داود، والنَّسائي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذِكْر، ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا شيء له». فأعادها ثلاث مرات، يقول رسول الله: «لا شيء له»؛ ثم قال: «إنَّ الله لا يقبل من العمل إلَّا ما كان خالصاً وابتُغي به وجهُه». كذا في «الترغيب» (2/ 421).

وأخرج ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة رضي الله عنه قال: كان فينا رجل أَتِيّ لا يُدرى من هو يقال له «قُزْمان»، فكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذُكر: «إنه لمن أهل النار». قال: فلما كان يوم أُحد قاتل قتالاً شديداً، فقتَل هو وحده ثمانية أو سبعة من المشركين،

وكان ذا بأس، فأثبتته الجراحة، فاحتُمل إلى دار بني ظَفَر قال: فجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قُزْمان فأبشر. قال: بماذا أبشر؟ فوالله إنْ قاتلت إلا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت. قال: فلما اشتدّت عليه جراحته أخذ سهماً من كِنانته فقتل به نفسه. كذا في «البداية» (4/ 36).

وأخرج ابن إسحاق عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه كان يقول: حدِّثوني عن رجل دخل الجنة لم يصلّ قط، فإذا لم يعرفه الناس سألوه: من هو؟ فيقول: أُصَيْرِم بني عبد الأشهل: عمرو بن ثابت بن وَقْش. قال الحصين: فقلت لمحمود بن أسد: كيف كان شأن الأصيرم؟ قال: كان يأبى الإِسلام على قومه. فلما كان يوم أُحد بَدَا له فأسلم، ثم أخذ سيفه فغدا حتى دخل في عُرْض الناس فقاتل حتى أثبتته الجراحة. قال: فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إنَّ هذا للأُصَيْرِم ما جاء به؟! لقد تركناه؛ وإنه لَمنكِرٌ لهذا الحديث. فسألوه فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أَحَدَب على قومك أم رغبة في الإِسلام؟ فقال: بل رغبة في الإِسلام، آمنت بالله وبرسوله، وأسلمت؛ ثم أخذت سيفي وغدوت مع رسول الله ﷺ، فقاتلت حتى أصابني ما أصابني. فلم يلبث أن مات في أيديهم. فذكروه لرسول الله ﷺ. فقال: «إنَّه من أهل الجنة». كذا في «البداية» (4/ 37). قال في «الإِصابة» (2/ 526): هذا إسناد حسن، رواه جماعة من طريق ابن إسحاق. انتهى. وأخرجه أيضاً أبو نعيم في «المعرفة» بمثله، كما في «الكنز» (7/ 8)؛ والإمام أحمد بمثله، كما في «المجمع» (9/ 362)؛ وقال: ورجاله ثقات.

وأخرجه أبو داود، والحاكم من وجه آخر عن أبي هريرة رضي الله

عنه: أن عمرو بن أُقَيس كان له رِباً في الجاهلية فكره أن يسلم حتى يأخذه؛ فجاء يوم أُحد فقال: أين بنو عمي؟ قالوا: بأُحُد. قال: بأُحُد؟ فلبس لأْمَتَه، وركب فرسه؛ ثم توجه قِبَلهم. فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنّا يا عمرو. قال: إني قد آمنت، فقاتل قتالاً حتى جرح فحمل إلى أهله جريحاً. فجاءه سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال لأخيه سلَمة: حمية لقومه أو غضباً لله ورسوله؟ قال: بل غضباً لله ورسوله. فمات فدخل الجنة؛ وما صلى لله صلاة. قال في «الإصابة» (2/ 526): هذا إسناد حسن. وأخرجه البيهقي (9/ 167) بهذا السياق - بنحوه.

وأخرج البيهقي عن شدّاد بن الهادِ: أن رجلاً من الأعراب جاء رسول الله ﷺ فآمن به واتّبعه، فقال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه. فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ فقسمه، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له؛ وكان يرعى ظَهْرهم. فلما جاء دفعوه إليه؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك رسول الله ﷺ. فقال: ما على هذا اتّبعتك، ولكني اتّبعتك على أن أُرمى ها هنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت؛ فأدخل الجنة. فقال: «إن تصدِق الله يَصْدُقْك». ثم نهضوا إلى قتال العدوّ. فأُتِيَ به رسول الله ﷺ يُحمل، وقد أصابه سهم حيث أشار. فقال النبي ﷺ: «هُوَ هُوَ!» قالوا: نعم. قال: صدق الله، فصدقه»؛ وكفَّنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ، ثم قدَّمه فصلَّى عليه؛ وكان ممّا ظهر من صلاته: «اللهمّ هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك، قُتل شهيداً؛ وأنا عليه شهيد». وقد رواه النسائي - نحوه. كذا في «البداية» (4/ 191). وأخرجه الحاكم (3/ 595) بنحوه.

وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني رجل أسود اللون، قبيح الوجه، لا مالَ لي، فإن

قاتلت هؤلاء حتى أُقتل، أدخل الجنة؟ قال: «نعم». فتقدّم فقاتل حتى قُتل. فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو مقتول. فقال: «لقد حسّن الله وجهك، وطيّب ريحك، وكثّر مالك»؛ وقال: «لقد رأيتُ زوجتيه من الحور العين يتنازعان جبته عليه يدخلان فيما بين جلده وجبته». كذا في «البداية» (4/ 191). وأخرجه الحاكم أيضاً - بنحوه، وقال: صحيح على شرط مسلم، كما في «الترغيب» (2/ 447).

وأخرج الإمام أحمد - بسند حسن - عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: بعث إليّ النبي ﷺ فقال: «خذ عليك ثيابك وسلاحك، ثم ائتني». فأتيته فقال: «إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلّمك الله ويُغْنِمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة». فقلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، بل أسلمت رغبة في الإسلام. قال: «يا عمرو، نِعمّا المال الصالح للمرء الصالح». كذا في «الإصابة» (3/ 3).

وأخرجه الطبراني في «الأوسط» و «الكبير»، وقال فيه: ولكن أسلمت رغبة في الإسلام، وأكون مع رسول الله ﷺ. فقال: «نعم؛ ونِعمّا المال الصالح» للمرء الصالح. كذا في «المجمع» (9/ 353)، وقال: رجال أحمد، وأبي يَعْلى رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج الحارث عن أبي البَخْتري الطائي: أن ناساً كانوا بالكوفة مع أبي المختار - يعني والد المختار بن أبي عُبيد حيث قتل بجسر أبي عُبيد. قال: فقتلوا إلا رجلين حملا على العدوّ بأسيافهما فأفرجوا لهما فنجيا - أو ثلاثة -، فأتَوا المدينة. فخرج عمر رضي الله عنه وهم قعود يذكرونهم، فقال عمر: عمّ قلتم لهم؟. قالوا: استغفرنا لهم ودعونا لهم. قال: لتحدثُنّي بما قلتم لهم أو لتلقون مني بَرْحاً. قالوا: إنا قلنا إنهم شهداء. قالوا: والذي لا إله غيره، والذي بعث محمداً بالحق، لا تقوم

الساعة إلا بإذنه، لا تعلم نفس حيّة ماذا عند الله لنفس ميتة إلا نبي الله، فإن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر. والذي لا إله غيره والذي بعث محمداً بالحق والهدى، لا تقوم الساعة إلّا بإذنه. إن الرجل يقاتل رياءً، ويقاتل حمية، ويقاتل يريد الدنيا، ويقاتل يريد المال؛ وما للذين يقاتلون عند الله إلا ما في أنفسهم. كذا في «كنز العمال» (2/ 292)، وقال: قال الحافظ ابن حجر: رجاله ثقات إلا أنه منقطع. انتهى.

وأخرج تَمّام عن مالك بن أوس بن الحَدَثان رضي الله عنه قال: تحدثنا بيننا عن سرية أصيبت في سبيل الله على عهد عمر رضي الله عنه. فقال قائلنا: عمالُ الله، في سبيل الله، وقع أجرهم على الله. وقال قائلنا: يبعثهم الله على ما أماتهم عليه. فقال عمر: أجل - والذي نفسي بيده - ليبعثهم الله على ما أماتهم عليه؛ إنَّ مِنَ الناس من يقاتل رياءً وسمعة، ومنهم من يقاتل ينوي الدنيا؛ ومنهم من يلحمه القتال فلا يجد من ذلك بُدّاً. ومنهم من يقاتل صابراً محتسباً فأولئك هم الشهداء، مع أني لا أدري ما هو مفعول بي ولا بكم؛ غير أني أعلم أن صاحب هذا القبر - يعني رسول الله ﷺ - قد غُفر له ما تقدم من ذنبه.

وعند ابن شيبة عن مسروق قال: إن الشهداء ذُكروا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فقال عمر للقوم: ما ترون الشهداء؟ قال القوم: يا أمير المؤمنين هم من يُقتل في هذه المغازي. فقال عند ذلك: إن شهداءكم إذاً لكثير، إني أخبركم عن ذلك: إن الشجاعة والجبن غرائز في الناس يضعها الله حيث يشاء، فالشجاع يقاتل من وراء لا يبالي أن يؤوب إلى أهله. والجبان فارّ عن حليلته، ولكن الشهيد من احتسب بنفسه، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. كذا في «كنز العمال» (2/ 292).

وأخرج نعيم بن حمّاد في «الفتن» عن ضِمام: **أن** عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أرسل إلى أمه أن الناس قد انفضُّوا عني وقد دعاني هؤلاء إلى الأمان. فقالت: إن خرجت لإحياء كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ فَمُتْ على الحق، وإن كنت إنما خرجت على طلب الدنيا فلا خير فيك حيّاً ولا ميّتاً. كذا في «الكنز» (7/ 57).

* * *

امتثال أمر الأمير في الجهاد والنَّفْر في سبيل الله

أخرج ابن عساكر عن أبي مالك الأشعري قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، وأمّر علينا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. فسرنا حتى نزلنا منزلاً، فقام رجل فأسرج دابته، فقلت له: أين تريد؟ فقال: أريد العلف، فقلت له: لا تفعل حتى نسأل صاحبنا. فأتينا أبا موسى الأشعري، فذكرنا ذلك له. فقال: لعلك تريد أن ترجع إلى أهلك، قال: لا، قال: انظر ما تقول، قال: لا. قال: فامضِ راشداً. فانطلق فبات مليّاً، ثم جاء، فقال له أبو موسى: لعلك أتيت أهلك. قال: لا، قال: فانظر ما تقول. قال: نعم. قال أبو موسى: فإنك سرت في النار إلى أهلك، وقعدت في النار، وأقبلت في النار، واستقبلْ. كذا في الكنز (3/ 169).

* * *

انضمام بعضهم إلى بعض في النَّفْر
والجهاد في سبيل الله

أخرج أبو داود، والنَّسائي عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: كان الناس إذا نزلوا تفرّقوا في الشّعاب والأودية. فقال رسول الله ﷺ: «إن تفرقكم في الشُّعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان»؛ فلم ينزلوا بعد ذلك منزلاً إلَّا انضم بعضهم إلى بعض. كذا في «الترغيب» (5/ 40). وأخرجه البيهقي (9/ 152) نحوه، وزاد: حتى يقال: لو بُسط عليهم ثوب لعمَّهم. وهكذا أخرجه ابن عساكر، كما في «الكنز» (3/ 341)، ولفظه: حتى لو بسط عليهم ثوب لوسعهم.

وأخرجه البيهقي أيضاً (9/ 152) عن سهل بن معاذ الجهني عن أبي رضي الله عنه قال: غزوت مع رسول الله ﷺ غزوة كذا وكذا، فضيّق الناس المنازل وقطعوا الطريق. فبعث نبي الله ﷺ منادياً ينادي في الناس: «إن من ضيّق منزلاً أو قطع طريقاً فلا جهاد له». وأخرجه أيضاً أبو داود بمثله؛ كما في «المشكاة» (ص 332).

* * *

الحراسة في سبيل الله

أخرج أبو داود عن سهل بن الحنظليَّة رضي الله عنه أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حُنَين، فأطنبوا السير حتى كانت عشيّة؛ فحضرتُ صلاة (الظهر مع) رسول الله ﷺ. فجاء رجل فارس فقال: يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت (على) جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بظُعُنِهم ونَعَمهم وشائهم اجتمعوا إلى حنين. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله»، (ثم) قال: «من يحرسنا الليلة؟» قال أنس بن [أبي] مرثد الغنوي رضي الله عنه: أنا يا رسول الله؟ قال: «فاركب»، فركب فرساً له، وجاء إلى رسول الله ﷺ. فقال له رسول الله ﷺ: «استقبل هذا الشِّعْب حتى تكون في أعلاه، ولا نُغْرر من قِبَلك الليلة». فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلَّاه فركع ركعتين، ثم قال: «هل أحسستم فارسكم؟» قالوا: يا رسول الله ما أحسسناه. فثُوِّب بالصلاة؛ فجعل رسول الله ﷺ - وهو يصلي - يلتفت إلى الشِّعب، حتى إذا قضى (رسول الله ﷺ) صلاته وسلَّم. فقال: «أبشروا فقد جاءكم فارسكم». فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر في الشِّعب، فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ؛ فسلّم وقال: إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشِّعب حيث أمرني رسول الله ﷺ. فلما أصبحت اطَّلعت الشِّعبين كليهما، فنظرت فلم أرَ أحداً. فقال له رسول الله ﷺ: «هل نزلت الليلة؟» قال: لا، إلا مصلياً أو قاضياً حاجة. فقال له رسول الله ﷺ: «قد أوجبتَ، فلا عليك أن لا

تعمل بعدها». وأخرجه البيهقي أيضاً بمثله (9/ 149). وأخرجه أبو نعيم عن سهل بن الحنظلية ـ نحوه؛ كما في «المنتخب» (5/ 143).

وأخرج الطبراني عن أبي عطية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جلس فحُدِّث أن رجلاً توفي، فقال: «هل رآه أحد منكم على عمل من أعمال الخير؟» فقال رجل: نعم، حرست معه ليلة في سبيل الله. فقام رسول الله ﷺ ومن معه، فصلى عليه. فلما أُدخل القبر حثا رسول الله ﷺ بيده من التراب، ثم قال: «إن أصحابك يظنون أنك من أهل النار، وأنا أشهد أنك من أهل الجنة»؛ ثم قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تسأل عن أعمال الناس، لكن سل عن الفِطرة». قال الهيثمي (5/ 288): إبراهيم بن محمد بن عِرق الحمصي شيخ الطبراني ضعفه الذهبي ا هـ.

وأخرجه أيضاً ابن عساكر عن أبي عطية رضي الله عنه أن رجلاً توفي على عهد رسول الله ﷺ، فقال بعضهم: يا رسول الله لا تصلِّ عليه. فقال رسول الله ﷺ: «هل رآه؟» فذكره؛ كما في «الكنز» (2/ 291). وأخرجه البيهقي في «شُعَب الإيمان» عن ابن عائذ رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل. فلما وُضع قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تصلِّ عليه يا رسول الله فإنه رجل فاجر. فالتفت رسول الله ﷺ إلى الناس فقال: «هل رآه؟» فذكره ـ بنحوه؛ كما في «المشكاة» (ص 328).

وقد تقدم حديث أبي رَيْحانة رضي الله عنه في «تحمُّل شدة البرد»، وفيه: قال: «من يحرسنا الليلة فأدعو له بدعاء يصيب فضله؟» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، قال: «من أنت؟» قال: فلان، قال: «ادْنُه»، فدنا، فأخذ ببعض ثيابه ثم استفتح الدعاء. فلما سمعت

قلت: أنا رجل. قال: «من أنت؟» قال: أبو ريحانة، قال: فدعا لي دون ما دعا لصاحبي ثم قال: «حرّمت النار على عين حرست في سبيل الله». أخرجه الإمام أحمد، والنَّسائي، والطبراني، والبيهقي. وحديث جابر رضي الله عنه في الصلاة في سبيل الله، وفيه: فقال: من يكلؤنا ليلنا؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، قال: فكونا بفم الشِّعب من الوادي؛ وهما عمار بن ياسر، وعباد بن بشر ـ فذكر الحديث بطوله. أخرجه ابن إسحاق وغيره.

* * *

تحمُّل الأمراض في الجهاد والنفر في سبيل الله

أخرج ابن عساكر عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من شيء يصيب المؤمن في جسده إلا كفّر الله عنه به من الذنوب». فقال أُبيّ بن كعب رضي الله عنه: اللهمَّ إني أسألك أن لا تزال الحمَّى مصارعة لجسد أُبيّ بن كعب حتى يلقاك؛ لا تمنعه من صلاة، ولا صيام، ولا حجٍ، ولا عُمْرة، ولا جهاد في سبيلك. فارتكبته الحمَّى مكانه، فلم تفارقه حتى مات. وكان في ذلك يشهد الصلاة، ويصوم، ويحج، ويعتمر، ويغزو.

وعنده أيضاً، وعند الإمام أحمد (3/ 23)، وأبي يَعلى (995) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا، ما لنا بها؟ قال: «كفَّارات». قال له أُبيّ: وإنْ قلّت؟ قال: «وإنْ شوكة فما فوقها». قال: فدعا أُبيّ على نفسه أن لا يفارقه الوعك حتى يموت، وأن لا يشغله عن حج، ولا عمرة، ولا جهاد في سبيل الله، ولا صلاة مكتوبة في جماعة. فما مسَّه إنسان إلَّا وجد حرّه حتى مات. كذا في «الكنز» (2/ 153). قال في «الإصابة» (1/ 20): رواه الإمام أحمد، وأبو يَعلى، وابن أبي الدنيا؛ وصحَّحه ابن حِبّان؛ ورواه الطبراني من حديث أبيّ بن كعب بمعناه، وإسناده حسن. انتهى. وأخرجه ابن عساكر كما في «الكنز» (7/ 2)؛ وأبو نُعيم في «الحلية» (1/ 255) عن أبيّ بن كعب بمعناه.

الطعن والجراحة في الجهاد في سبيل الله

أخرج البخاري (ص 98) عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ يمشي إذ أصابه حجر فعثر، فدَميت أصبُعه. فقال:

هـــل انـــتِ إلاّ أصـــبـــعٌ دَمِـــيـــتِ

وفـــي ســـبـــيـــل الله مـــا لـــقـــيـــتِ

وقد تقدم في ذكر «تحمُّل النبي ﷺ الشدائد والأذى» من حديث أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ كُسرت رَباعِيَتُه يوم أُحد، وشُجَّ في رأسه ـ فذكر الحديث. أخرجه الشيخان وغيرهما.

وقد تقدم من حديث عائشة رضي الله عنها عند الطيالسي قالت: كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يوم أُحد قال: ذاك يوم كله لطلحة ثم أنشأ يحدّث ـ فذكر الحديث، وفيه: فانتهينا إلى رسول الله ﷺ وقد كُسرت رباعيته، وشُجَّ في وجهه، وقد دخل في وجنته حَلقتان من حِلق المِغفر. قال رسول الله ﷺ: «عليكما صاحبكما» ـ يريد طلحة رضي الله عنه ـ وقد نزف، فذكر الحديث وفيه: ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار، فإذا به بضع وسبعون بين طعنة ورمية وضربة، وإذا قد قطعت أصبعه؛ فأصلحنا من شأنه.

وأخرج أبو نُعيم عن إبراهيم بن سعد قال: بلغني أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه جُرح يوم أُحد إحدى وعشرين جراحة، وجُرح في رجله فكان يعرج منها. كذا في «المنتخب» (5/ 77).

وأخرج **البخاري** ـ واللفظ له ـ **ومسلم والنَّسائي** عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبتُ عن أول قتال قاتلتَ المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليَرَيَنَّ الله ما أصنع!! فلما كان يوم أُحد وانكشف المسلمون فقال: اللهمَّ إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ؛ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ، ثم تقدم، فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة وربِّ النضر! إني أجد ريحها (من) دون أحد. قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم؛ ووجدناه قد قُتل، وقد مثّل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه. فقال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الاحزاب: 23] ـ إلى آخر الآية. كذا في «الترغيب» (2/ 436). وأخرجه أيضاً الإمام أحمد، والترمذي عن أنس رضي الله عنه بنحوه.

وعند الإمام أحمد أيضاً من وجه آخر عن أنس رضي الله عنه قال: عمي سُمِّيتُ به ولم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر. قال: فشقَّ عليه، وقال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، ولئن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليَرَينَّ الله ما أصنع!! قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أُحد. قال: فاستقبل سعدَ بن معاذ، فقال له أنس: يا أبا عمرو أين؟ واهاً لريح الجنة!! أجده دون أحد. قال: فقاتلهم حتى قُتل، فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية. قال: فقالت أخته عمتي الرُّبَيِّعُ بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه. ونزلت هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23]، قال: فكانوا يَرَوْن أنها نزلت فيه وفي أصحابه. ورواه الترمذي، والنَّسائي؛ وقال الترمذي: حسن صحيح. كذا في «البداية» (4/ 32). وأخرجه أيضاً الطيالسي، وابن سعد، وابن أبي شيبة، والحارث، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، كما في «الكنز» (7/ 15). وأبو نعيم في «الحلية» (1/ 121)، والبيهقي (9/ 44).

وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أمَّر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة رضي الله عنه، فقال رسول الله ﷺ: «إن قُتِل زيد فجعفر؛ وإن قُتِل جعفر فعبد الله بن رواحة». قال عبد الله: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى؛ ووجدنا في جسده بضعاً وتسعين من ضربة ورمية. وزاد في أخرى عنه: ليس منها شيء في دُبُرِه. كذا في «البداية» (4/ 245). وأخرجه الطبراني أيضاً عن ابن عمر ـ نحوه؛ كما في «الإصابة» (1/ 238). وأبو نعيم في «الحلية» (1/ 117)؛ وابن سعد (4/ 26).

وأخرج ابن أبي شيبة عن عمرو بن شرحبيل رضي الله عنه قال: لما أُصيب سعد بن معاذ رضي الله عنه بالرَّمية يوم الخندق جعل دمه يسيل على النبي ﷺ. فجاء أبو بكر رضي الله عنه فجعل يقول: وانقطاع ظهراه، فقال النبي ﷺ ـ «مَهْ يا أبا بكر»، فجاء عمر رضي الله عنه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. كذا في «الكنز» (8/ 122).

وأخرج ابن عساكر عن سعيد بن عبيد الثقفي رضي الله عنه قال: رأيت أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه يوم الطائف قاعداً في حائط أبي يعلى يأكل، فرميته فأصيبت عينه. فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله،

هذه عيني أصيبت في سبيل الله. فقال النبي ﷺ: «إن شئت دعوتُ الله فرُدّت عليك، وإن شئت فالجنة». قال: فالجنة. كذا في «الكنز» (5/ 307). وأخرجه أيضاً الزبير بن بكّار ـ نحوه؛ كما في «الكنز» (2/ 178).

وأخرج البغوي، وأبو يعلى عن عاصم بن عمر بن قتادة عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه أنه أصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته على وجنته؛ فأرادوا أن يقطعوها ـ فذكر الحديث؛ كما سيأتي في «باب كيف أُيّدت الصحابة».

وأخرج البزار، والطبراني عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه، قال: لما كان يوم بدر تجمّع الناس على أمية بن خَلَف؛ فأقبلنا إليه. فنظرت إلى قطعة من درعه قد انقطعت من تحت إبطه، فأطعنه بالسيف طعنة، ورُميت يوم بدر بسهم، ففقئت عيني؛ وبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لي فيها، فما آذاني شيء. قال الهيثمي (6/ 82): وفيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف. انتهى.

وقد تقدم حديث يحيى بن عبد الحميد عن جدته: أن رافع بن خديج رضي الله عنه رُمي بسهم في تُندُوَته. وحديث أبي السائب رضي الله عنه في احتمال الجراح والأمراض (ص 332): أن رجلاً من بني عبد الأشهل قال: شهدت أُحُداً أنا وأخ لي، فرجعنا جريحين ـ فذكر الحديث، وفيه: والله ما لنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً منه؛ فكان إذا غُلب حملته عُقبة ومشى عُقبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون.

وأخرج خليفة عن أنس رضي الله عنه قال: رمى البراء رضي الله عنه بنفسه عليهم ـ أي على أهل الحديقة يوم قتال مُسَيْلِمَة ـ، فقاتلهم

حتى فتح الباب؛ وبه بضع وثمانون جراحة من بين رمية بسهم وضربة. فحمل إلى رَحْله يُداوَى، وأقام عليه خالد رضي الله عنه شهراً. وأخرجه أيضاً بقيّ بن مَخْلَد في مسنده عن خليفة بإسناده مثله؛ كما في «الإِصابة» (1/ 143).

وأخرج الطبراني عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة رضي الله عنه قال: بينما أنس بن مالك وأخوه عند حصن من حصون العدوّ يعني بالحريق - بالعراق -، كانوا يلقون كلاليب في سلاسل محمَّاة، فتعلق بالإِنسان فيرفعونه إليهم؛ ففعلوا ذلك بأنس. فأقبل البراء حتى تراءى في الجدار، ثم قبض يده على السلسلة؛ فما برح حتى قطع الحبل. ثم نظر إلى يده، فإذا عظامها تلوح، قد ذهب ما عليها من اللحم. وأنجى الله أنس بن مالك بذلك. كذا في «الإِصابة» (1/ 143).

وذكره في «المجمع» عن الطبراني، وفيه: فعَلِق بعض تلك الكلاليب بأنس بن مالك، فرفعوه حتى أقلّوه من الأرض؛ فأُتي أخوه البراء فقيل له: أدرك أخاك - وهو يقاتل الناس -، فأقبل يسعى حتى نزا في الجدار؛ ثم قبض بيده على السلسلة وهي تُدار، فما برح يجرّهم ويداه تُدَخِّنان حتى قطع الحبل. ثم نظر إلى يديه - فذكره؛ قال الهيثمي (9/ 325): وإسناده حسن. انتهى.

* * *

تمنِّي الشهادة والدعاء لها

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده، لولا أنَّ رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلّفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه؛ ما تخلَّفت عن سريّة تغزو في سبيل الله. والذي نفسي بيده، لوددتُ أنّي أُقتل في سبيل الله ثم أُحيا، ثم أُقتل ثم أُحيا، ثم أُقتل ثم أُحيا. ثم أُقتل».

وأخرج مسلم (2/ 133) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تضمّن الله لمن خرج في سبيله؛ لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي، وإيمانٌ بي، وتصديقٌ برسلي، فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة، أو أَرْجِعَهُ إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة. والذي نفس محمد بيده، ما من كَلْمٍ يُكْلَم في سبيل الله تعالى إلا جاء يوم القيامة كَهَيْئتِهِ حين كُلِم، لونه لَون الدم وريحه ريح مسك. والذي نفس محمد بيده، لولا أن أشقَّ على المسلمين ما قعدت خِلاف سَريّة تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سَعَة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني. والذي نفس محمد بيده لوددتُ أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل». وأخرج الحديث أيضاً الإمام أحمد، والنَّسائي، كما في «كنز العمال» (2/ 255).

وأخرج الطبراني وابن عساكر عن قيس بن أبي حازم قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس ذات يوم فقال في خطبته: إنَّ في

جنات عَدْن قصراً له خمسمائة باب، على كل باب خمسة آلاف من الحور العين، لا يدخله إلا نبي. ثم التفت إلى قبر رسول الله ﷺ فقال: هنيئاً لك يا صاحب القبر. ثم قال: أو صدِّيق، ثم التفت إلى قبر أبي بكر رضي الله عنه فقال: هنيئاً لك يا أبا بكر. ثم قال: أو شهيد، ثم أقبل على نفسه فقال: وأنَّى لك الشهادةُ يا عمر؟ ثم قال: إنَّ الذي أخرجني من مكة إلى هجرة المدينة قادر أن يسوق إليّ الشهادة. كذا في «كنز العمال» (7/ 275). وزاد في «مجمع الزوائد» (9/ 55) عن الطبراني: قال ابن مسعود رضي الله عنه: فساقها الله إليه على يد شرّ خلقه عبد مملوك للمغيرة. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير شَرِيك النَخَعي وهو ثقة، وفيه خلاف ا هـ.

وأخرج البخاري عن أسْلَم عن عمر رضي الله عنه: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك ﷺ.

وأخرجه الإسماعيلي عن حَفْصَة رضي الله عنها قالت: سمعت عمر رضي الله عنه يقول: اللهم قتلاً في سبيلك، ووفاةً ببلد نبيك ﷺ. قالت: فقلت: وأنّى يكون هذا؟ قال: يأتي به الله إذا شاء. كذا في «فتح الباري» (4/ 71).

وأخرج الطبراني عن سعد بن أبي وقاص أن عبد الله بن جحش قال له يوم أُحد: ألا تدعو الله؟ فَخَلَوا في ناحية، فدعا سعد فقال: يا رب، إذا لقيت العدوّ فلقّني رجلاً شديداً بأسُه، شديداً حَرَدُه، أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه، حتى أقتله وآخذ سَلَبه؛ فأمّن عبد الله بن جحش، ثم قال: اللهم، ارزقني رجلاً شديداً حَرَدُه، شديداً بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً قلتَ: فيم جُدِعَ أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك ﷺ. فتقول: صدقتَ. قال

سعد: يا بُنيّ، كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار، وإن أنفه وأذنه لمعلَّقان في خيط. قال الهيثمي (9/ 301): رجاله رجال الصحيح ا هـ وهكذا أخرجه البغوي كما في «الإصابة» (2/ 278)، وابن وَهْب كما في «الاستيعاب» (2/ 274)؛ والبيهقي (6/ 207) ـ مثله: وهكذا أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 109)، إلا أنه لم يذكر دعاء سعد، واقتصر على دعاء عبد الله.

وأخرجه الحاكم (3/ 200) عن سعيد بن المسيَّب قال: قال عبد الله بن جحش رضي الله عنه: اللهم إنّي أُقسم عليك أن ألقى العدوّ غداً، فيقتلوني ثم يبقروا بطني، ويجدعوا أنفي وأذني، ثم تسألني: بمَ ذاك؟ فأقول: فيك. قال سعيد بن المسيَّب: إني لأرجو أن يبرّ الله آخر قسمه كما برّ أوله. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا إرسال فيه. وقال الذهبي: مرسل صحيح ـ ا هـ. وهكذا أخرجه ابن شاهين، وابن المبارك في الجهاد، كما في «الإصابة» (2/ 287)، وأبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 109)، وابن سعد (3/ 63).

وأخرج أبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ربّ ذي طِمْرَين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبّره، منهم البراء بن مالك» رضي الله عنه. فلما كان يومُ تُسْتَر انكشف الناس فقالوا: يا براء، أقسمْ على ربك. فقال: لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك ﷺ، فاستُشهد. كذا في «الكنز» (7/ 11). وأخرجه الترمذي ـ نحوه؛ كما في «الإصابة» (1/ 144).

وأخرجه الحاكم (3/ 291) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من ضعيف متضعّف ذي طِمْرين، لو أقسم على الله لأبرّ قسمه، منهم البراء بن مالك» رضي الله عنه؛ فإن البراء لقي زحفاً

من المشركين ـ وقد أوجع المشركون في المسلمين ـ فقالوا: يا براء، إنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنك لو أقسمت على الله لأبَرّك». فأقسم على ربك. فقال: أقسمت عليك يا ربّ لَمَّا منحتنا أكتافَهم، ثم التقوا على قنطرة السوس، فأوجعوا في المسلمين.. فقالوا له: يا براء أقسمْ على ربك. فقال: أقسمت عليك يا رب لَمَّا منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبيك ﷺ، فمُنحوا أكتافهم، وقتل البراء شهيداً. قال الحاكم (3/ 292): هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: صحيح. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1 ـ 7) ـ نحوه.

وأخرج أبو داود، ومُسدِّد، والحارث، وابن أبي شيبة، وابن المبارك من طريق حميد بن عبد الرحمن الحميري: أن رجلاً يقال له حُمَمَةُ (الدَّوْسي) من أصحاب النبي ﷺ غزا أصبهان زمن عمر رضي الله عنه، فقال: اللهمَّ إنَّ حُمَمة يزعم أنه يحب لقاءك. اللهم إن كان صادقاً فاعزم له بصدقه، وإن كان كاذباً فاحمل عليه وإن كره ـ الحديث، وفيه: أنه استشهد، وأن أبا موسى قال: إنه شهيد. كذا في «الإصابة» (1/ 355).

وأخرجه أيضاً الإمام أحمد، وزاد: وإن كان كارهاً فاعزم له وإن كره. اللهم لا يرجع حُمَمة من سفره هذا، فأخذه الموت ـ قال عفان مرة: البطن ـ فمات بأصبهان. قال: فقام أبو موسى رضي الله عنه فقال: يَا أيها الناس، والله ما سمعنا فيما سمعنا من نبيكم ﷺ، وما بلغ علمنا إلا أنَّ حُمَمة شهيد. قال الهيثمي (9/ 400): رجاله رجال الصحيح، غير داود بن عبد الله الأودي، وهو ثقة؛ وفيه خلاف. انتهى. وأخرجه أيضاً أبو نُعيم ـ نحوه؛ كما في «المنتخب» (5/ 170).

وأخرج الطبري (4/ 249) عن مَعْقِل بن يَسَار أن عمر بن الخطاب

رضي الله عنه شاور الهُرْمُزان. فقال: ما ترى، أبدأ بفارس، أو بأذْرَبيجان، أم بأصبهان؟ فقال: إنّ فارس وأذربيجان: الجناحان، وأصبهان: الرأس؛ فإن قطعت أحد الجناحين قام الجناح الآخر؛ فإن قطعت الرأس وقع الجناحان؛ فابدأ بالرأس. فدخل عمر رضي الله عنه المسجد والنعمانُ بن مقرّن رضي الله عنه يصلّي، فقعد إلى جنبه فلما قضى صلاته قال: إني أريد أن أستعملك. قال: جابياً، فلا؛ ولكن غازياً. قال: فأنت غازٍ. فوجّهه إلى أصبهان ـ فذكر الحديث، وفيه: فقال المغيرة للنعمان: يرحمك الله، إنه قد أسرع في الناس، فاحمل. فقال: والله إنك لذو مناقب، لقد شهدتُ مع رسول الله ﷺ القتال، وكان إذا لم يقاتل أول النهار أخّر القتال حتى تزول الشمس، وتهب الرياح، وينزل النصر. قال: ثم قال: إني هازٌّ لوائي ثلاث مرات: فأما الهزة الأولى فقَضَى رجل حاجته وتوضأ، وأما الثانية فنظر رجل في سلاحه، وفي شِسْعه فأصلحه، وأما الثالثة فاحملوا ولا يلوِينّ أحد على أحد، وإن قُتل النعمان فلا يَلْوِ عليه أحد، فإني أدعو الله عزّ وجلّ بدعوة، فعزمت على كل امرىء منكم لَمَّا أمّن عليها: اللهم أعطِ اليوم النعمان الشهادة في نصر المسلمين، وافتح عليهم.

وهز لواءه أول مرة، ثم هزّ الثانية؛ ثم هزَّ الثالثة، ثم شل درعه؛ ثم حمل فكان أول صريع. فقال معقِل: فأتيت عليه، فذكرت عزمته، فجعلت عليه علماً، ثم ذهبت ـ وكنا إذا قتلنا رجلاً شَغَل عنا أصحابه ـ ووقع ذو الحاجبين عن بغلته، فانشقَّ بطنه، فهزمهم الله. ثم جئت إلى النعمان ومعي إداوة فيها ماء، فغسلت عن وجهه التراب. فقال: من أنت؟ قلت: معقِل بن يَسَار. قال: ما فعل الناس؟ فقلت: فتح الله عليهم. قال: الحمد لله، اكتبوا بذلك إلى عمر. وفاضت نفسه. وعند

الطبري (4/ 235) أيضاً عن زياد بن جبير عن أبيه رضي الله عنه ـ فذكر الحديث بطوله في وقعة نهاوند، وفيه: أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار لم يعجِّل حتى تحضر الصلاة، وتهب الأرواح، ويطيب القتال فما منعني إلا ذلك. اللهمَّ إني أسألك أن تقرّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عزّ الإِسلام، وذلّ يذِلّ به الكفار؛ ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة. أمِّنوا ـ يرحمكم الله ـ فَأَمَّنَّا وبكينا.

وقد أخرج الطبراني حديث معقِل بن يسار رضي الله عنه ـ بطوله مثل ما روى الطبري. قال الهيثمي (6/ 217): رجاله رجال الصحيح غير علقمة بن عبد الله المُزَني، وهو ثقة. انتهى. وأخرجه الحاكم أيضاً (3/ 293) عن معقل ـ بطوله.

* * *

رغبة الصحابة في الموت والقتل
في سبيل الله يوم بدر

أخرج الحاكم (3/ 189) عن سليمان بن بلال رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ لمَّا خرج إلى بدر أراد سعد بن خيثمة وأبوه جميعاً الخروج معه، فذُكر ذلك للنبي ﷺ، فأمر أن يخرج أحدهما. فاسْتَهما، فقال خيثمة بن الحارث لابنه سعد ـ رضي الله عنهما ـ: إنه لا بدّ لأحدنا من أن يقيم، فأقِمْ مع نسائك، فقال سعد: لو كان غيرَ الجنة لآثرتك به، إنِّي أرجو الشهادة في وجهي هذا. فاستهما، فخرج سهم سعد؛ فخرج مع رسول الله ﷺ إلى بدر. فقتله عمرو بن عبد ودّ، وأخرجه أيضاً ابن المبارك عن سليمان، وموسى بن عقبة عن الزهري؛ كما في «الإصابة» (2/ 25).

وأخرج ابن عساكر عن محمد بن علي بن الحسين قال: لما كان يوم بدر فدعا عتبة إلى البراز؛ قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الوليد بن عتبة، وكانا مشْتَبِهَيْن حَدثين، وقال بيده، فجعل باطنها إلى الأرض فقتله. ثم قام شيبة بن ربيعة، فقام إليه حمزة رضي الله عنه، وكانا (مشتبِهين)، وأشار بيده فوق ذلك فقتله. ثم قام عتبة بن ربيعة، فقام إليه عبيدة بن الحارث رضي الله عنه وكانا مثل هاتين الأسطوانتين، فاختلفا ضربتين، فضربه عبيدة ضربة أرخت عاتقه الأيسر؛ فأسفَّ عتبة لرجل عبيدة، فضربها بالسيف فقطع ساقه؛ ورجع حمزة وعلي رضي الله

عنهما على عتبة، فأجهزا عليه، وحملا عبيدة إلى النبي ﷺ في العريش، فأدخلاه عليه فأضجعه رسول الله ﷺ، ووسَّدَه رجله وجعل يمسح الغبار عن وجهه. فقال عبيدة: أما ـ والله ـ يا رسول الله، لو رآني أبو طالب لعلم أنّي أحقُّ بقوله منه حين يقول:

ونُسلِمُه حتى نُصرَّعَ حوله

ونَذْهَلَ عن أبنائِنا والحلائلِ

ألستُ شهيداً؟ قال: «بلى، وأنا الشاهد عليك». ثم مات. فدفنه رسول الله ﷺ بالصَّفْراء، ونزل في قبره وما نزل في قبر أحد غيره. كذا في «كنز العمال» (5/ 272).

وأخرجه الحاكم (3/ 188) عن الزهري قال: اختلف عتبة وعبيدة رضي الله عنه بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه، وكرّ حمزة، وعلي رضي الله عنهما على عتبة، فقتلاه، واحتملا صاحبهما رضي الله عنه، فجاءا به إلى النبي ﷺ وقد قطعت رجله، ومخُّها يسيل، فلما أتَوا بعبيدة إلى رسول الله ﷺ قال: ألستُ شهيداً يا رسول الله؟ قال: بلى. فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حياً لعلم أنّا أحق بما قال منه حيث يقول:

ونُسلِمُهُ حتى نُصَرَّعَ حولَهُ

ونَذهلَ عن أبنائنا، والحلائلِ

* * *

يوم أُحُد

أخرج الطبراني عن ابن عمر أن عمر رضي الله عنه قال يوم أُحد لأخيه: خذ درعي يا أخي. قال: أريد من الشهادة مثل الذي تريد، فتركاها جميعاً. فقال الهيثمي (5/ 298): رجاله رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه ابن سعد (3/ 275)، أبو نعيم في «الحلية» (1/ 367) ـ نحوه.

وأخرج أبو يَعلى، وابن أبي عاصم، والبورَقي، وسعيد بن منصور عن علي رضي الله عنه قال: لما انجلى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحد نظرت في القتلى، فلم أرَ رسول الله ﷺ، فقلت: والله ما كان لِيَفِرَّ، وما أراه في القتلى، ولكن أرى الله غضب علينا بما صنعنا؛ فرفع نبيه، فما (فيَّ) خير من أن أقاتل حتى أقتل؛ فكسرت جفن سيفي ثم حملت على القوم، فأفرجوا لي، فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم. كذا في «كنز العمال» (5/ 274). قال الهيثمي (6/ 112): رواه أبو يَعلى، وفيه محمد بن مروان العُقَيلي وثَّقه أبو داود، وابن حِبّان، وضعّفه أبو زُرْعة وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج ابن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخي بني عديٍّ بن النجار قال: انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين، والأنصار رضي الله عنهم ـ وقد ألقَوا بأيديهم ـ فقال: فما يجلسكم؟ قالوا: قُتل رسول الله ﷺ. قال: فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا، فموتوا على ما

مات عليه رسول الله ﷺ. ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قتل. كذا في «البداية» (4/ 34).

وأخرج الواقدي عن عبد الله بن عمّار الخَطْمي قال: أقبل ثابت بن الدّحْداحة رضي الله عنه يوم أُحد والمسلمون أوزاع، قد سُقِط في أيديهم، فجعل يصيح: يا معشر الأنصار، إليّ إليّ. أنا ثابت بن الدحداحة، إن كان محمد ﷺ قد قتل، فإنَّ الله حيّ لا يموت؛ فقاتلوا عن دينكم فإنَّ الله مظهركم وناصركم. فنهض إليه نفر من الأنصار فجعل يحمل بمن معه من المسلمين، وقد وقفت له كتيبة خَشْناء فيها رؤساؤهم: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب، فجعلوا يناوشونهم، وحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فطعنه فأنفذه، فوقع ميتاً، وقتل من كان معه من الأنصار. فيقال: إن هؤلاء آخر من قتل من المسلمين، كذا في «الاستيعاب» (1/ 195).

وأخرج البيهقي في «دلائل النبوة» من طريق ابن أبي نَجيح عن أبيه رضي الله عنه قال: مرّ رجل من المهاجرين يوم أُحد على رجل من الأنصار وهو يتشحَّط في دمه، فقال له: يا فلان، أشعرت أن محمداً ﷺ قد قُتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد ﷺ قد قُتل فقد بلَّغ الرسالة، فقاتلوا عن دينكم. فنزل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: 144]. كذا في «البداية» (4/ 31).

وأخرج الحاكم (3/ 201) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ يوم أُحد لطلب سعد بن الربيع رضي الله عنه، وقال لي: «إن رأيته فأقرِئه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ ـ: «كيف تجدك؟» قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأصبته وهو في آخر رمق، وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم.

فقلت له: يا سعد، إنَّ رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «أخبرني كيف تجدك؟» قال: على رسول الله السلام، وعليك السلام، قل له: يا رسول الله أجدني أجد ريح الجنة؛ وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن يُخْلَصَ إلى رسول الله ﷺ وفيكم شُفْر يطرِف. قال: وفاضت نفسه ـ رحمه الله ـ. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي. صحيح. ثم أخرج الحاكم من طريق ابن إسحاق أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة حدَّثه عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «من ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع؟» فذكر الحديث بنحو منه. وقال: فقال سعد: أخبر رسول الله ﷺ أني في الأموات؛ وأقرِئه السلام، وقل له: يقول سعد: جزاك الله عنا وعن جميع الأمة خيراً. قال الذهبي: مرسل ـ ا هـ. وقد ذكر في «البداية» (4/ 39) رواية ابن إسحاق بتمامها. وذكره مالك في «الموطإ» (ص 175) عن يحيى بن سعيد بمعناه مختصراً. وهكذا أخرجه ابن سعد (3/ 523) عن معن عن مالك عن يحيى ـ مختصراً.

وأخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه عنه أن المشركين لمّا رَهِقوا النبي ﷺ يوم أُحد ـ وهو في سبعة من الأنصار، ورجل من قريش ـ قال: «مَنْ يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة؟» فجاء رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل. فلما رهقوه أيضاً قال: «من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة؟» حتى قتل السبعة. فقال رسول الله ﷺ: «ما أنصفْنا أصحابَنا». ورواه مسلم أيضاً.

وعند البيهقي عن جابر رضي الله عنه قال: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحد وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار، وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد في الجبل، فلحقهم المشركون. فقال:

«ألا أحد لهؤلاء؟» فقال طلحة: فأنا يا رسول الله، فقال: «كما أنت يا طلحة» فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله ﷺ. فقاتل عنه؛ وصعِد رسول الله ﷺ ومن بقي معه، ثم قتل الأنصاري، فلحقوه. فقال: «ألا رجل لهؤلاء؟» فقال طلحة مثل قوله. فقال رسول الله ﷺ مثل قوله. فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل، وأصحابه يصعدون؛ ثم قتل فلحقوه، فلم يزل يقول مثل قوله الأول، ويقول طلحة: أنا يا رسول الله، فيحبسه، فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال، فيأذن له، فيقاتل مثل ما كان قبله؛ حتى لم يبق معه إلا طلحة؛ فغشُوهما. فقال رسول الله ﷺ: «من لهؤلاء؟» فقال طلحة: أنا، فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله، وأصيبت أنامله، فقال: حَسِّ. فقال: «لو قلت: باسم الله، لرفعتك الملائكة، والناس ينظرون إليك حتى تلج بك في جوّ السماء»؛ ثم صعِد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون. كذا في «البداية» (4/ 26).

وأخرج الحاكم (3/ 202) عن محمود بن لبيد قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد رُفع اليمان بن جابر أبو حذيفة، وثابت بن وَقْش بن زعوراء في الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أبا لك ما ننتظر؟ فوالله، ما بقي لواحد منا من عمره إلا ظِمْءُ حمار، إنما نحن هامَة اليوم ألا نأخذ أسيافنا؟ ثم نلحق برسول الله ﷺ؟ فدخلا في المسلمين ولا يعلمون بهما. فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون. وأما أبو حذيفة فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه. فقال حذيفة: أبي أبي! فقالوا: والله ما عرفناه. وصَدَقوا. فقال حذيفة: يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين. فأراد رسول الله ﷺ أن يَدِيَه؛ فتصدَّق به حذيفة على المسلمين؛ فزاده ذلك عند

رسول الله ﷺ. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرِّجاه. انتهى. وأخرجه أبو نُعيم عن محمود ـ نحوه كما في «المنتخب» (5/ 167)، وزاد: ثم نلحق برسول الله ﷺ لعلَّ الله أن يرزقنا الشهادة مع رسول الله ﷺ، فأخذا أسيافهما حتى دخلا في الناس، ولا يُعلم بهما. وفي آخره: فزاده عند رسول الله ﷺ خيراً.

* * *

يوم الرَّجيع

آخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ سرية عيناً، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت رضي الله عنه - وهو جدّ عاصم بن عمر بن الخطاب - فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عُسْفان ومكة، ذُكروا لحيٍّ من هُذَيل يقال لهم بنو لِحْيان، فتبعوهم بقريب من مائة رام، فاقتصُّوا آثارهم حتى أتَوا منزلاً نزلوه، فوجدوا فيه نَوى تمر تزوَّدوه من المدينة. فقالوا: هذا تمر يثرب؛ فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم. فلما انتهى عاصم وأصحابه لجأوا إلى فَدْفَد، وجاء القوم فأحاطوا بهم، فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً. فقال عاصم: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر. اللهمّ أخبر عنا نبيك. فقاتلوهم حتى قتلوا عاصماً في سبعة نفر بالنبل. وبقي خُبيب وزيد ورجل آخر رضي الله عنهم، فأعطوهم العهد والميثاق، فلما أعطوهم العهد والميثاق، نزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم حلُّوا أوتار قسيِّهم فربطوهم بها. فقال الرجل الثالث الذي معهما: هذا أول الغَدر. فأبى أن يصحبهم، فجرَّروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه.

وانطلقوا بخُبَيب وزيد حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل - وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر -، فمكث عندهم أسيراً، حتى إذا أجمعوا قتله استعار موسَى من

بعض بنات الحارث ليستحدّ بها، فأعارته. قالت: فغفلت عن صبيٍّ لي، فدَرَج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعتُ فَزْعةً، عرف ذاك مني وفي يده الموسى. فقال: أتخشَين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ. وكانت تقول: ما رأيتُ أسيراً قطُّ خيراً من خُبَيب، لقد رأيته يأكل من قِطْف عنب وما بمكة يومئذٍ ثمرةٌ، وإنه لَمُوثق في الحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله. فخرجوا به من الحَرَم ليقتلوه. فقال: دعوني أصلِّ ركعتين، ثم انصرف إليهم. فقال: لولا أن تَروا أنَّ ما بي جزع من الموت لزدت، فكان أول من سنّ الركعتين عند القتل هو؛ ثم قال: اللهمَّ أحصهم عدداً ثم قال:

وما إن أبالي حين أُقتلُ مسلماً

على أيِّ شِقٍّ كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإِله، وإنْ يشأ

يبارِكْ على أوصال شِلْوٍ ممزَّعِ

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله.

وبعثت قريش إلى عاصم ليُؤتوا بشيء من جسده يعرفونه ـ وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر ـ فبعث الله عليه مثل الظُّلَّة من الدَّبْر، فحمته من رسلهم، فلم يقدروا منه على شيء. وأخرجه البيهقي (9/ 145) عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ نحوه. وهكذا أخرجه عبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في «الاستيعاب» (3/ 132)، وقال: أحسن أسانيد خبره في ذلك ما ذكره عبد الرزاق ـ فذكره. وأبو نُعيم في «الحلية» (1/ 112) ـ نحوه.

وأخرج ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: قدم على رسول الله ﷺ بعد أُحد رهط من عَضَل والقارَة، فقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقِّهوننا في الدين، ويقرؤوننا القرآن، ويعلِّموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ معهم نفراً ستة من أصحابه ـ فذكرهم. فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرَّجِيع ـ ماءٍ لِهُذَيْل بناحية الحجاز على صدور الهَدْأة ـ غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هذيلاً، فلم يَرُع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف فقد غَشُوهم، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم، فقالوا لهم: إنا ـ والله ـ ما نريد قتلكم ولكنَّا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم؛ فأمّا مرثد وخالد بن البُكير وعاصم بن ثابت رضي الله عنهم فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً.

وقال عاصم بن ثابت:

ما عِلَّتي وأنا جَلْدٌ نابِلُ

والقَوسُ فيها وترٌ عُنابِلُ

تزلُّ عن صفحتها المَعابِلُ

الموت حقٌّ والحياة باطلُ

وكل ما حَمَّ الإلهُ نازل

بالمرء والمرء إليه آيل

إن لم أقاتلكم فأمِّي هابل

وقال أيضاً:

أبـو سـلـيـمـان وريـشُ الـمُـقْـعَـدِ
وضالَـةٌ مـثـل الـجـحـيـم الـموقـدِ
إذا الـنـواجـي افـتُـرشـت لـم أرعَـدِ
ومُـجْـنـأٍ مـن جـلـد ثـور أجـرَدِ
ومـؤمـن بـمـا عـلـى مـحـمـدِ

وقال أيضاً:

أبـو سـلـيـمـان ومِـثـلـي رامَـى
وكـان قـومـي مـعـشـراً كـرامـا

قال: ثم قاتل حتى قتل؛ وقتل صاحباه. فلما قتل عاصم أرادت هُذَيل أخذ رأسه ليبيعوه من سُلافة بنت سعد بن (شُهيد)، وكانت قد نَذَرت حين أصاب ابنها يوم أُحد: لئن قَدَرت على رأس عاصم لتشربنّ في قِحْفه الخمر؛ فمنعته الدَّبْر. فلما حالت بينهم وبينه قالوا: دعُوه حتى يمسي فيذهب عنه فنأخذه. فبعث الله الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به. وقد كان عاصم قد أعطى الله عهداً أن لا يمسَّه مشرك ولا يمسَّ مشركاً أبداً تنجُساً، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ـ حين بلغه: أن الدَّبْر منعته ـ: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ولا يمسّ مشركاً أبداً في حياته، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته.

وأما خُبَيب، وزيد بن الدَّثِنة، وعبد الله بن طارق ـ رضي الله عنهم ـ، فلانوا ورقُّوا ورغبوا في الحياة، وأعطَوا بأيديهم فأسروهم. ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بالظَّهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القِرَان، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم،

فرمَوه بالحجارة حتى قتلوه: فقبره بالظهران. وأما خُبَيب بن عديّ، وزيد بن الدَّثِنة فقدموا بهما مكة، فباعوهما من قريش بأسيرين من هُذَيل كانا بمكة، فابتاع خبيباً حُجَيرُ بن أبي إهاب التميمي. وأما زيد بن الدَّثِنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه؛ فبعثه مع مولى له يقال له نِسْطاس إلى التَّنْعيم، وأخرجه من الحرم ليقتله. واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان - حين قُدِّم ليقتل - أنشدك بالله - يا زيد - أتحبُّ أن محمداً الآن عندنا مكانك تضرب عنقه، وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أنَّ محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي!! قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحبُّ أحداً كحبِّ أصحاب محمدٍ محمداً. قال: ثم قتله نِسْطاس.

قال: وأما خُبَيب بن عديّ فحدثني عبد الله بن أبي نَجِيح أنه حُدِّث عن ماوِيَّة مولاة حجير بن أبي إهاب - وكانت قد أسلمت -، قالت: كان عندي خبيب حبس في بيتي، فلقد اطَّلعت عليه يوماً وإن في يده لقِطْفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه؛ وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل!!.

قال ابن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي نَجِيح أنهما قالا: قالت: قال لي حين حضره القتل: ابعثي إليّ بحديدة أتطهَّر بها للقتل. قالت: فأعطيت غلاماً من الحيِّ الموسى، فقلت: ادخلْ بها على هذا الرجل البيت. فقالت: فوالله إنْ هو إلا أن ولَّى الغلام بها إليه، فقلت: ماذا صنعتُ؟ أصاب - والله - الرجل ثأره؛ يقتل هذا الغلام؛ فيكون رجلاً برجل. فلما ناوله الحديدة أخذها من يده، ثم قال: لعمرك، ما خافت أمك غدري حين بعثتك

بهذه الحديدة إليَّ؟! ثم خلَّى سبيله. قال ابن هشام: ويقال إنَّ الغلام ابنها.

قال ابن إسحاق: قال عاصم: ثم خرجوا بخُبَيب رضي الله عنه حتى إذا جاؤوا به إلى التَّنعيم ليصلبوه قال لهم: إن رأيتم أن تَدَعوني حتى أركع ركعتين، فافعلوا. قالوا: دونك فاركع. فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله، لولا أن تظنوا أنِّي إنما طوَّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة. قال: فكان خُبَيب رضي الله عنه أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين. قال: ثم رفعوه على خشبة، فلمّا أوثقوه قال: اللهم إنا قد بلّغنا رسالة رسولك، فبلِّغه الغداةَ ما يُصنع بنا. ثم قال: اللهمّ أحصِهم عَدَداً، واقتلهم بَدَداً، ولا تغادر منهم أحداً. ثم قتلوه. وكان معاوية بن أبي سفيان يقول: حضرته يومئذٍ مع مَنْ حضره مع أبي سفيان، فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فَرَقاً من دعوة خُبَيب، وكانوا يقولون: إنَّ الرجل إذا دُعِيَ عليه فاضطجع لجنبه زلَّت عنه.

وفي «مغازي» موسى بن عقبة: أن خبيباً وزيد بن الدَّثِنَة ـ رضي الله عنهما ـ قُتلا في يوم واحد، وأنَّ رسول الله ﷺ سُمع يوم قُتلا وهو يقول: «وعليكما ـ أو عليك ـ السلام. خُبَيب قتلته قريش». وذُكر أنَّهم لما صلبوا زيد بن الدَّثِنَة رمَوه بالنبل ليفتنوه عن دينه، فما زاده إلا إيماناً وتسليماً. وذكر عروة وموسى بن عقبة رضي الله عنهما: أنهم لما رفعوا خُبَيباً على الخشبة نادَوه يناشدونه: أتحب أنَّ محمداً مكانك؟ قال: لا والله العظيم!! ما أحب أن يفديني بشوكة يُشاكها في قدمه. فضحكوا منه. وهذا ذكره ابن إسحاق في قصة زيد بن الدَّثِنَة ـ فالله أعلم. كذا في «البداية» (4/ 63).

وقد أخرج الطبراني حديث عروة بن الزبير بطوله، وفيه: وقتَل خبيباً رضي الله عنه أبناءُ المشركين الذين قُتلوا يوم بدر. فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب نادَوه وناشدوه: أتحب أن محمداً مكانك؟ فقال: لا والله العظيم!! ما أحب أن يفديني بشوكة يُشاكها في قدمه؛ فضحكوا، وقال خبيب رضي الله عنه حين رفعوه إلى الخشبة:

لقد جَمَّع الأحزابُ حولي، وألّبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مَجْمعِ
وقد جمَّعوا أبناءهم، ونساءهم
وقُرِّبتُ من جِذْعٍ طويلٍ مُمنَّعِ
إلى الله أشكو غربتي، ثم كُربتي
وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي
فذا العرش صبِّرني على ما يُراد بي
فقد بضَّعوا لحمي وقَدْ بان مطمعي
وذلك في ذات الإله وإن يشا
يبارك على أوصال شِلْوٍ ممزَّعِ
لعمري ما أحفِلْ إذا متُّ مسلماً
على أيِّ حال كان لله مضجعي

قال الهيثمي (6/ 200): رواه الطبراني، وفيه ابن لَهيعة وحديثه حسن، وفيه ضعف. انتهى. وقد ذكر الأبيات ابن إسحاق؛ كما في «البداية» (4/ 67)، فزاد بعد البيت الأول:

وكلُّهم مُبدي العداوةِ جاهدٌ
عليَّ لأني في وثاق بمَضْيَع

وزاد بعد البيت الخامس:

وقد خيَّروني الكفر والموتُ دونَه
وقد هَمَلت عيناي من غيرِ مجزعِ

وما بي حِذارُ الموت إنِّي لميِّتٌ
ولكن حِذاري جحم نار مُلَفَّعِ

فوالله ما أرجو إذا متُّ مسلماً
على أيّ جنب كان في الله مضجعي

فلست بمُبْدٍ للعدوّ تخشُّعاً
ولا جَزَعاً إنِّي إلى الله مرجعي

* * *

المجلد الثالث

حياة الصحابة

تأليف
محمد بن يوسف الكاندهلوي

نوبليس

حياة الصحابة

حَيَاةُ الصَّحَابَة

تأليف
محمد بن يوسف الكاندهلوي

قدّم له
أبو الحسن علي الحسني الندوي

المجلد الرابع

نوبليس

اسم المجموعة: حياة الصحابة

اسم الكتـاب: المجلد الرابع

المـؤلـــف: محمد بن يوسف الكاندهلوي

التدقيق والمراقبة: قسم الدراسات في دار نوبليس

قياس الكتاب: 17 × 24

عدد الصفحات: 200

عدد صفحات المجموعة: 2400

مكـان النشـر: بيروت

دار النشر والتوزيع: دار نوبليس

تلفاكس: 961 (1) 58 34 75

هاتــف: 961 (3) 58 11 21 - 961 (1) 58 11 21

بريد إلكتروني: NOBILIS_INTERNATIONAL@hotmail.com

الطبعة الأولـى: 2006

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يوم بئر معونة

أخرج ابن إسحاق عن المغيرة بن عبد الرحمن وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيرهما من أهل العلم قالوا: قدم أبو بَراء عامرُ بن مالك بن جعفر مُلاعبُ الأسنَّة على رسول الله ﷺ المدينة. فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه؛ فلم يسلم ولم يَبْعُد (من الإسلام) وقال: يا محمد، لو بعثتَ رجالاً من أصحابك إلى أهل نَجْد، فدعوهم إلى أمرك رجوتُ أن يستجيبوا لك. فقال رضي الله عنه: «إني أخشى عليهم أهل نَجْد». فقال أبو بَراء: أنا لهم جارٌ، (فابعثهم فلْيدعوا الناس إلى أمرك).

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة ـ المعْنِق ليموت ـ في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين: الحارث بن الصِّمَّة، وحَرام بن مِلْحان أخو بني عدي بن النجار، وعُروة بن أسماء بن الصَّلت السُّلَمي، ونافع بن بُدَيل بن ورقاءَ الخزاعي، وعامر بن فُهَيرة مولى أبي بكر ـ رضي الله عنهم ـ في رجالٍ من خيار المسلمين. فساروا حتى نزلوا بئر معونة ـ وهي بين أرض بني عامر وحَرَّة بني سُلَيم ـ. فلما نزلوها بعثوا حَرام بن مِلحان رضي الله عنه بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطُّفيل، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر؛ فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم (إليه)

وقالوا: لن نخفر أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجواراً. فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُلَيم: عُصَيَّة ورِعْلاً وذَكْوان، فأجابوه إلى ذلك. فخرجوا حتى غَشُوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا أسيافهم، ثم قاتلوا القوم حتى قُتلوا عن آخرهم - يرحمهم الله -، إلا كعب بن زيد أخا بني دينار ابن النجار فإنهم تركوه وبه رَمَق، فارتُثَّ من بين القتلى، فعاش حتى قُتل يوم الخندق.

وكان في سَرْح القوم عمرو بن أُمية الضَّمْري ورجل من الأنصار من بني عمرو بن عوف، فلم ينبئهما بمُصاب القوم إلا الطير تحوم على العسكر. فقالا: والله إنَّ لهذه الطير لشأناً. فأقبلا لينظرا، فإذا القوم في دمائهم، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة. فقال الأنصاري لعمرو بن أُمية: ماذا ترى؟ فقال: أرى أن نلحَق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر. فقال الأنصاري: لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قُتل فيه المنذرُ بن عمرو، وما كنتُ لتخبرني عنه الرجال. فقاتل القوم حتى قُتل، وأخذوا عَمْراً أسيراً. فلما أخبرهم أنه من مُضرَ أطلقه عامر بن الطّفيل، وجزَّ ناصيته، وأعتقه عن رَقَبة كانت على أُمه فيما زعم. كذا في «البداية» (4/ 73). وأخرجه الطبراني أيضاً من طريق ابن إسحاق. قال الهيثمي (6/ 129): ورجاله ثقات إلى ابن إسحاق. انتهى.

وأخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث حراماً - أخاً لأم سُلَيْم - في سبعين راكباً، وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خَيَّرَ رسولَ الله ﷺ بين ثلاث خصال، فقال: يكون لك أهل السهل ولي أهل المَدَر، أو أكون خليفتك، أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف. فطُعن عامر في بيت أم فلان، فقال: غُدّة كغُدّة البَكْر في بيت امرأة من آل فلان، ائتوني بفرسي؛ فمات على ظهر فرسه. فانطلق

حَرام ـ أخو أم سُلَيمْ ـ وهو رجل أعرج ورجل من بني فلان، وقال: كونا قريباً حتى آتيهم، فإن آمنوني كنتم قريباً، وإن قتلوني أتيتم أصحابكم. فقال: أتؤمنونني حتى أبلِّغ رسالة رسول الله ﷺ؟ فجعل يحدِّثهم، وأومأوا إلى رجل، فأتاه من خلفه فطعنه ـ قال همَّام: أحسبه حتى أنفذه بالرمح ـ فقال: الله أكبر! فزت وربِّ الكعبة! فلُحِقَ الرجل، فقتلوا كلهم غير الأعرج، ـ وكان في رأس جبل ـ، فأنزل الله تعالى علينا، ثم كان من المنسوخ: «إنا لقد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا». فدعا النبي ﷺ ثلاثين صباحاً على رِعْل، وذَكْوان، وبني لحيان، وعُصَيَّة الذين عصوا الله ورسوله ﷺ.

وعند البخاري أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: لما طعن حَرَام بن مِلْحان ـ وكان خاله ـ يوم «بئر معونة» قال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه؛ ثم قال: فُزْت وربِّ الكعبة. وعند الواقدي أن الذي قتله جبّار بن سَلْمى الكِلابي. قال: ولما طعنه بالرمح قال: فُزْتُ وربِّ الكعبة! ثم سأل جبار بعد ذلك ما معنى قوله: «فزت». قالوا: يعني بالجنة. فقال: صدق والله! ثم أسلم جبَّار بعد ذلك لذلك. كذا في «البداية» (4/ 71).

* * *

يوم مؤتة

أخرج ابن إسحاق عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: «إن أُصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس»، فتجهَّز الناس ثم تهيأوا للخروج؛ وهم ثلاثة آلاف. فلمّا حضر خروجهم ودَّع الناسُ أمراءَ رسول الله ﷺ وسلَّموا عليهم، فلمّا وُدِّع عبد الله بن رواحة مع من وُدِّع بكى، فقالوا: ما يُبكيك يا بن رواحة؟ فقال: ـ والله ـ ما بي حبُّ الدنيا ولا صَبَابة بكم، ولكنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 71] فلست أدري كيف لي بالصَّدَر بعد الورود؟! فقال المسلمون: صحبكم الله، ودفع عنكم وردَّكم إلينا صالحين. فقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

لكنَّني أسال الرحمن مغفرة
وضَرْبةً ذات فَرْغٍ تقذف الزَّبدا
أو طعنةً بيدَيْ حرّان مُجْهِزة
بحربة تُنْفِذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مرُّوا على جَدَثي
أرشَدَه الله من غازٍ وقد رَشَدا

ثم إنَّ القوم تهيأوا للخروج، فأتى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه رسول الله ﷺ فودّعه، ثم قال:

فـثـبّـت الله مـا أتـاك مـن حَـسَـنٍ
تَثْبيتَ موسى ونصراً كالذي نُصروا
إنّـي تـفـرستُ فـيـك الـخـيـر نـافـلـةً
الله يـعـلـم أنـي ثـابـت الـبَـصَـر
انـت الـرسـول فـمـن يُـحـرم نـوافـلَـه
والـوجـهَ مـنـه فـقـد أزرى بـه الـقَـدَرُ

ثم خرج القوم، وخرج رسول الله ﷺ يشيّعهم حتى إذا ودَّعهم وانصرف. قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

خَـلَـف الـسَّـلامُ عـلـى امـرىء ودَّعـتُـهُ
فـي الـنَّـخـل خـيـرَ مُـشَـيِّـعٍ وخـلـيـلِ

ثم مضَوا حتى نزلوا «معاناً» من أرض الشام، فبلغ الناس أن هِرَقْل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليه من لَخْم وجُذام والقَيْن وبَهْراء وَبَليّ مائة ألف منهم، عليهم رجل من بَليّ، ثم أحد إراشة يقال له مالك بن زافلة. فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على «مَعان» ليلتين ينظرون في أمرهم؛ وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمُدَّنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له. فشجع الناسَ عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وقال: يا قوم، ـ والله ـ إنَّ التي تكرهون لَلَّتي خرجتم تطلبون: الشهادة. وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به؛ فانطلِقوا فإنَّما هي إحدى الحُسْنَيين: إما ظهور وإما شهادة. فقال الناس: قد ـ والله ـ صدق ابن رواحة.

فمضى الناس حتى إذا كانوا بتُخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من

الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها «مَشارف»، ثم دنا العدوّ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: «مُؤتَة»، فالتقى الناس عندها. فتعبَّى لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذْرة يقال له قُطْبَة بن قَتادة رضي الله عنه، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عَباية بن مالك رضي الله عنه، ثم التقى الناس فاقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة رضي الله عنه براية رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم، ثم أخذها جعفر رضي الله عنه فقاتل القوم حتى قُتل، فكان جعفر أول المسلمين عَقَر في الإسلام. كذا في «البداية» (4/ 241).

وأخرجه الطبراني عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما ـ مثله، وفيه: ثم أخذها جعفر رضي الله عنه فقاتل به حتى إذا ألحَمه القتال اقتحم عن فرس له «شقراء» فعقرها، فقاتل القوم حتى قتل، وكان جعفر أول رجل من المسلمين عَقَر في الإسلام. قال الهيثمي (6/ 157): رواه الطبراني، ورجاله ثقات إلى عروة. انتهى. وأخرجه أبو نعيم في «الحِلية» (1/ 118) عن عروة رضي الله عنه ـ مختصراً.

وأخرج ابن إسحاق عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة رضي الله عنه في حِجْره، فخرج بي في سفره ذلك مُرْدِفي على حقيبة رَحْله، فوالله إنه ليسير ليلتئذٍ وهو يُنْشِد أبياته:

إذا أدنيتِني وحملت رَحْلي
مسيرة أربع بعد الحِساء
فشأنك أنعمٌ وخلاك ذمٌّ
ولا أرجعْ إلى أهلي ورائي
وجاء المسلمون وغادروني
بأرض الشام مستنهى الثواء

وردَّك كــل ذي نَــسَــب قــريـــب

إلـى الـرحـمـن مـنـقـطـعَ الإِخـاء

هـنـالـك لا أُبـالـي طـلـع بَـعْـل

ولا نـــخـــل أســافــلــهــا رِواء

قال: فلما سمعتُهن منه بكيت، فخفقني بالدِّرة وقال: ما عليك يا لُكع أن يرزقني الله الشهادة؟! وترجع بين شعبتي الرَّحْل. كذا في «البداية» (4/ 243) وأخرجه أيضاً أبو نعيم في «الحلية» (1/ 119)، والطبراني من طريق ابن إسحاق عن زيد كما في «المجمع» (6/ 158).

وأخرج ابن إسحاق عن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: حدثني أبي الذي أرضعني ـ وكان أحد بني مرة بن عوف ـ قال: فلما قتل جعفر رضي الله عنه أخذ عبد الله بن رواحة رضي الله عنه الراية، ثم تقدَّم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردّد ويقول:

أقـسـمـت يـا نـفـسُ لـتـنـزِلـنَّـهْ

لـتـنـزِلِـنَّ أو لـتُـكْـرَهِـنَّـهْ

إن أجـلـبَ الـنـاس وشـدُّوا الـرَّنَّـهْ

مـا لـي أراك تـكـرهـيـن الـجـنَّـهْ؟

قـد طـال مـا قـد كـنـتِ مـطـمـئـنـهْ

هـل أنـت إلا نُـطـفـة فـي شَـنَّـهْ

وقال أيضاً:

يـا نـفـسُ إنْ لا تُـقـتـلـي تـمـوتـي

هـذا حِـمـامُ الـمـوتِ قـد صُـلِـيـتِ

وما تمنَّيتِ، فقد أعطيتِ
إنْ تفعلي فعلهما هُديتِ

يريد صاحبيه زيداً وجعفراً رضي الله عنهما، ثم نزل. فلما نزل أتاه ابن عمّ له بعَرْق من لحم، فقال: شُدّ بهذا صلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت. فأخذه من يده فانتهس منه نَهْسة، ثم سمع الحَطْمة في ناحية الناس. فقال: وأنت في الدنيا؟! ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه، ثم تقدم فقاتل حتى قتل. كذا في «البداية» (4/ 245). وأخرجه أيضاً أبو نعيم في «الحلية» (1/ 120)؛ والطبراني: ورجاله ثقات. كما قال الهيثمي (6/ 160).

وأخرج ابن إسحاق عن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: حدثني أبي الذي أرضعني ـ وكان أحد بني مرة بن عوف ـ وكان في تلك الغزوة «غزوة مؤتة» قال: والله لكأنِّي أنظر إلى جعفر رضي الله عنه حين اقتحم عن فرس له «شقراء» ثم عقرها، ثم قاتل القوم حتى قتل؛ وهو يقول:

يا حبَّذا الجنَّة واقترابُها
طيِّبة وباردٌ شرابُها
والرومُ رومٌ قد دنا عذابُها
كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها
عليَّ إذ لاقيتُها ضِرابُها

كذا في البداية (4/ 244). وأخرجه أبو داود من هذا الوجه؛ كما في الإصابة: (1/ 238). وأبو نُعَيْم في الحلية: (1/ 118).

* * *

يوم اليمامة

أخرج الحاكم (3/ 227) عن عمر بن عبد الرحمن ـ من ولد زيد بن الخطاب ـ عن أبيه رضي الله عنه قال: كان زيد بن الخطاب يحمل راية المسلمين يوم اليمامة، وقد انكشف المسلمون حتى ظهرت حنيفة على الرجال، فجعل زيد بن الخطاب يقول: أما الرحال فلا رحال، وأما الرجال فلا رجال؛ ثم جعل يصيح بأعلى صوته: اللهمَّ إني أعتذر إليك من فرار أصحابي، وأبرأ إليك مما جاء به مُسَيلِمة ومُحَكَّم بن الطُّفَيل، وجعل يشدّ بالراية يتقدم بها في نحر العدوّ، ثم ضارب بسيفه حتى قتل رحمة الله عليه، ووقعت الراية فأخذها سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه، فقال المسلمون: يا سالم إنا نخاف أن نُؤتى من قِبَلك! فقال: بئس حامل القرآن أنا إن أتيتُم من قِبَلي!! وقُتل زيد بن الخطاب سنة اثنتي عشرة من الهجرة. وأخرجه ابن سعد (3/ 274) عن عبد الرحمن رضي الله عنه ـ مثله.

وأخرج الطبراني عن ابنة ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه ـ فذكرت الحديث، وفيه: فلما استنفر أبو بكر رضي الله عنه المسلمين إلى قتال أهل الردة: اليمامة ومسيلمة الكذاب، سار ثابت بن قيس رضي الله عنه فيمن سار، فلما لَقُوا مسيلمة وبني حنيفة هزموا المسلمين ـ ثلاث مرّات. فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة ـ رضي الله عنهم ـ: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ، فجعلا لأنفسهما حفرة فدخلا فيها، فقاتلا

حتى قتلا. قال الهيثمي (9/ 322): وبنت ثابت بن قيس لم أعرفها، وبقية رجاله رجال الصحيح. والظاهر أن بنت ثابت بن قيس صحابية فإنها قالت: سمعت أبي. انتهى. وأخرجه ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» (1/ 194) ـ نحوه. وأخرجه البغوي أيضاً بهذا الإسناد، كما في «الإصابة» (1/ 196).

وأخرج ابن سعد (3/ 88) عن محمد بن ثابت بن قيس بن شمّاس رضي الله عنه قال: لمّا انكشف المسلمون يوم اليمامة قال سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما: ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ. فحفر لنفسه حفرة وقام فيها، ومعه راية المهاجرين يومئذٍ، فقاتل حتى قتل ـ رحمه الله ـ يوم اليمامة شهيداً سنة اثنتي عشرة؛ وذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

وأخرج أيضاً (3/ 441) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت عبَّاد بن بِشر رضي الله عنه يقول: يا أبا سعيد، رأيت الليلة كأن السماء قد فُرِجَت لي، ثم أطْبقت عليّ؛ فهي ـ إن شاء الله ـ الشهادة. قال: قلت: خيراً ـ والله ـ رأيت. قال: فأَنْظُر إليه يوم اليمامة وإنه ليصيح بالأنصار: احطِموا جفون السيوف، وتميَّزوا من الناس، وجعل يقول: أَخْلِصونا، أخلصونا، فأخلصوا أربع مائةِ رجل من الأنصار ما يخالطهم أحد، يَقْدُمُهمْ عبَّاد بن بشر، وأبو دُجانة، والبراء بن مالك رضي الله عنهم حتى انتهوا إلى باب الحديقة، فقاتلوا أشدَّ القتال؛ وقُتل عباد بن بشر رحمه الله، فرأيت بوجهه ضرباً كثيراً ما عرفته إلَّا بعلامة كانت في جسده.

وأخرج أيضاً (3/ 474) عن جعفر بن عبد الله بن أسلم الهمْداني رضي الله عنه قال: لما كان يوم اليمامة كان أول الناس جرح أبو عقيل

الأُنَيْفي رضي الله عنه؛ رُمِيَ بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده، فشَطَبَ في غير مقتل، فأُخرج السهمُ ـ ووهن له شقه الأيسر ـ لِمَا كان فيه، وهذا أول النهار، وجُرّ إلى الرَّحْل ـ فلما حمي القتال وانهزم المسلمون وجازوا رحالهم ـ وأبو عقيل واهن من جرحه ـ سمع مَعْنَ بن عدي رضي الله عنه يصيح بالأنصار: الله الله! والكرّةَ على عدوّكم، وأعنق مَعْن يَقْدُم القوم، وذلك حين صاحت الأنصار: أَخلصونا، أخلصونا، فأخلَصوا رجلاً رجلاً يُمَيَّزون. قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: فنهض أبو عَقيل يريد قومه، فقلت: ما تريد يا أبا عَقِيل، ما فيك قتال؟! قال: قد نوَّه المنادي باسمي. قال ابن عمر: فقلت: إنما يقول: يا للأنصار، لا يعني الجَرْحى!! قال أبو عَقِيل: أنا رجل من الأنصار، وأنا أجيبه ولو حَبْواً!! قال ابن عمر: فتحزمَّ أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى مجرداً، ثم جعل ينادي: يا للأنصار، كرّة كيوم حُنَين، فاجتمعوا ـ رحمهم الله ـ جميعاً يقدُمُون المسلمين دُرْبة دون عدوْهم حتى أقحموا عدوَّهم الحديقة، فاختلطوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم.

قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب، فوقعت الأرض وبه من الجراح أربعة عشر جرحاً كلها قد خَلَصت إلى مقتل، وقُتل عدوّ الله مسيلمة. قال ابن عمر فوقعتُ على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق، فقلت: أبا عقيل، فقال: لبيك ـ بلسان ملتاث ـ لِمَن الدَّبْرة؟ قال: قلت: أبشر، ورفعت صوتي: قد قُتل عدوّ الله، فرفع أصبعه إلى السماء يحمد الله، ومات ـ يرحمه الله ـ. قال ابن عمر: فأخبرت عمر بعد أن قدمت خبره كلَّه. فقال: رحمه الله، ما زال يسأل الشهادة ويطلبها، وإنْ كان ما علمت من خيار أصحاب نبينا ﷺ وقديمَ إسلام.

وأخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه قال: لما انكشف الناس يوم اليمامة قلت لثابت بن قيس رضي الله عنه: ألا ترى يا عمّ؟ ووجدته يتحنَّط. فقال: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ، بئس ما عوَّدتم أقرانكم: اللهمَّ إنِّي أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، ومما صنع هؤلاء، ثم قاتل حتى قتل .ـ فذكر الحديث؛ كما في «الإصابة» (1/ 195)، قال: وهو في البخاري ـ مختصراً. قال الهيثمي (9/ 323): رجاله رجال الصحيح ا هـ. وأخرجه الحاكم (3/ 235): وصحَّحه على شرط مسلم. وفي مرسل عكرمة عن ابن سعد بإسناد صحيح؛ كما في «فتح الباري» (6/ 405): فلما كان يوم اليمامة انهزم المسلمون. فقال ثابت رضي الله عنه: أُفٍ لهؤلاء ولما يعبدون، وأُفٍ لهؤلاء ولما يصنعون. وقال: ورجل قائم على ثُلْمة فقتله وقُتِل. وأخرجه البيهقي (9/ 44) عن أنس رضي الله عنه ـ بمعناه.

* * *

يوم اليرموك

أخرج يعقوب بن أبي سفيان، وابن عساكر عن ثابت البُناني رضي الله عنه: أن عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه ترجَّل يوم كذا وكذا، فقال له خالد بن الوليد رضي الله عنه: لا تفعل، فإنَّ قَتْلَكَ على المسلمين شديدٌ. فقال: خلِّ عني يا خالد؛ فإنَّه قد كان لك مع رسول الله ﷺ سابقة، وإني وأبي كنا من أشدّ الناس على رسول الله ﷺ، فمشى حتى قتل. كذا في «الكنز» (7/ 75). وأخرجه البيهقي عن ثابت رضي الله عنه ـ نحوه (9/ 44).

وعند سَيْف بن عمر عن أبي عثمان الغسَّاني عن أبيه رضي الله عنه قال: قال عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه يوم اليرموك: قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن، وأفرّ منكم اليوم؟! ثم نادى: من يبايع على الموت؟ فبايعه عمُّه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور رضي الله عنهما في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قُدَّامَ فسطاط خالد رضي الله عنه حتى أُثبِتوا جميعاً جراحاً، وقتل منهم خلق. منهم: ضرار بن الأزور رضي الله عنهم. كذا في «البداية» (7/ 11).

وقد أخرجه الطبري (4/ 36) عن السَّرِي عن شعيب عن سيف بإسناده ـ نحوه، إلا أنه قال: وقتلوا إلا من برأ، ومنهم ضرار بن الأزور رضي الله عنه، قال: وأُتي خالد رضي الله عنه بعدما أصبحوا بعكرمة

رضي الله عنه جريحاً، فوضع رأسه على فخذه وبعمرو بن عكرمة، فوضع رأسه على ساقه، وجعل يمسح عن وجوههما، ويقطر في حلوقهما الماء، ويقول: كلَّا، زعم ابن الحنتمة أنا لا نُستَشهد.

* * *

بقية قصص الصحابة رضي الله عنهم
في رغبتهم في القتل في سبيل الله

أخرج الطبراني وأبو يعلى عن أبي البَخْتَري ومَيْسَرة: أن عمَّار بن ياسر رضي الله عنه يوم صِفِّين كان يقاتل فلا يقتل، فيجيء إلى علي رضي الله عنه فيقول: يا أمير المؤمنين، يوم كذا وكذا هذا؟ فيقول: أذهب عنك. قال ذلك ثلاث مرات، ثم أُتيَ بلبن فشربه، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: إنَّ هذا آخر شَرْبة أشربها من الدنيا، ثم قام فقاتل حتى قُتل. قال الهيثمي (9/ 297): رواه الطبراني، وأبو يَعْلى بأسانيد؛ وفي بعضها عطاء بن السائب وقد تَغَيَّر، وبقية رجاله ثقات، وبقية الأسانيد ضعيفة. انتهى.

وعند الطبراني عن أبي سنان الدؤلي رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ قال: رأيت عمَّار بن ياسر رضي الله عنه دعا غلاماً له بشراب، فأتاه بقَدَح من لبن فشربه، ثم قال: صدق الله ورسوله، اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه ـ فذكر الحديث. قال الهيثمي (9/ 298): وإسناده حسن.

وعند الطبراني عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت عمار بن ياسر رضي الله عنه بصِفِّين في اليوم الذي مات فيه وهو ينادي: إني لقيت الجبار، وتزوجت الحور العين، اليوم نلقى الأحبة محمداً وحزبه، عهد إليّ رسول الله ﷺ أنَّ آخر زادِك من الدنيا ضَياح من

لبن. قال الهيثمي (9/ 296): رواه الطبراني في «الأوسط»، والإمام أحمد باختصار؛ ورجالهما رجال الصحيح. ورواه البزَّار بنحوه بإسناد ضعيف. وفي رواية عند الإمام أحمد: أنه لما أُتِيَ باللبن ضحك. انتهى.

وأخرج البغوي ـ بإسناد صحيح ـ عن أنس رضي الله عنه: دخلت على البراء بن مالك وهو يتغنّى، فقلت: قد أبدلك الله ما هو خير منه. فقال: أترهب أن أموت على فراشي؟ لا والله! ما كان ليحرمني ذلك، وقد قتلت مائة منفرداً سوى من شاركت فيه. كذا في «الإصابة» (1/ 143). وأخرجه الطبراني بمعناه. قال الهيثمي (9/ 324): ورجاله رجال الصحيح ـ ا هـ. وأخرجه الحاكم أيضاً (3/ 291) ـ بمعناه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرِّجاه. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 350) ـ نحوه. وأخرج الحاكم أيضاً عن أنس رضي الله عنه، قال: لمّا كان يوم العقبة بفارس ـ وقد زَوَى الناس ـ قام البراء رضي الله عنه فركب فرسه وهي تُزْجى، ثم قال لأصحابه: بئس ما عوَّدتم أقرانكم عليكم! فحمل على العدوّ، ففتح الله على المسلمين، واستُشهد البراء رضي الله عنه يومئذٍ.

أخرج ابن سعد، وأبو عُبَيد في «الغريب» عن عبيد بن عبد الله بن عتبة رضي الله عنه أنَّه بلغه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لمَّا توفي عثمان بن مظعون رضي الله عنه وفاة لم يُقتل، هبط من نفسي هبطةً ضخمة، فقلت: انظروا إلى هذا الذي كان أشدّ تخلياً من الدنيا، ثم مات ولم يقتل؛ فلم يزل عثمان بتلك المنزلة من نفسي حتى توفي رسول الله ﷺ؛ فقلت: وَيْك إنَّ خيارنا يموتون! ثم توفي أبو بكر رضي الله عنه فقلت: ويك، إن خيارنا يموتون! فرجع عثمان رضي الله عنه في نفسي إلى المنزلة التي كان بها قبل ذلك. كذا في «المنتخب» (5/ 240).

شجاعة الصحابة رضي الله تعالى عنهم

شجاعة أبي بكر الصديق
رضي الله عنه

أخرج البزّار عن علي رضي الله عنه أنه قال: أيها الناس أخبروني من أشجع الناس؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين. قال: أمَا إنّي ما بارزت أحداً إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس. قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر. إنَّه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً. فقلنا: من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ، لا يهوي إليه أحد إلا أهوى إليه؛ فهذا أشجع الناس ـ فذكر الحديث كذا في «المجمع» (9/ 46).

* * *

شجاعة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه

أخرج ابن عساكر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما علمت أحداً هاجر إلا مختفياً إلا عمرَ بن الخطاب فإنه لما همّ بالهجرة تقلّد سيفه، وتنكّب قوسه، وانتضى في يده أسهُماً، وأتى الكعبة ـ وأشراف قريش بفِنائها ـ فطاف سبعاً، ثم صلّى ركعتين عند المَقام، ثم

أتى حِلَقهم واحدة واحدة فقال: شاهت الوجوه. من أراد أن تثكله أمه، ويُؤتَم ولده، وتَرْمُل زوجته؛ فَلْيَلْقني وراء هذا الوادي. فما تبعه منهم أحد. كذا في منتخب «كنز العمال» (4/ 387).

* * *

شجاعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أخرج البزار عن جابر رضي الله عنه قال: دخل علي على فاطمة رضي الله عنهما يوم أُحد، فقال:

أفاطمُ هاكِ السيفَ غيرَ ذميمِ
فلستُ برعديدٍ ولا بلئيمِ
لعمري لقد أبليتُ في نصر أحمدٍ
ومرضاة ربٍّ بالعبادِ عليمِ

. فقال رسول الله ﷺ: «إن كنت أحسنت القتال فقد أحسنه سهل بن حُنَيف وابن الصِّمَّة» ـ وذكر آخر فنسيه مُعلَّى ـ. فقال جبريل عليه السلام: يا محمد هذا ـ وأبيك ـ المواساة. فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل إنَّه منِّي». فقال جبريل عليه السلام: وأنا منكما. قال الهيثمي (6/ 122): وفيه مُعَلَّى بن عبد الرحمن الواسطي وهو ضعيف جدّاً. وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به. انتهى.

وعند الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على فاطمة رضي الله عنها يوم أُحد فقال: خذي هذا السيف غير ذميم. فقال النبي ﷺ: «لئن كنت أحسنت القتال لقد

أحسنه سهل بن حُنَيْف وأبو دُجانة سِماك بن خَرَشَة» قال الهيثمي (6/ 123): رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن يزيدَ بن رومان عن عروة وعبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنهما قالا: لما كان يوم الخندق خرج عمرو بن عبد وُدّ مُعْلَماً ليُري مشهده، فلما وقف هو وخيله قال له علي: يا عمرو، إنَّك قد كنت تعاهد الله لقريش ألّا يدعوك رجل إلى خَلَّتين إلا اخترت إحداهما. قال: أجَل. قال: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام. قال: لا حاجة لي في ذلك، قال: فإني أدعوك إلى المبارزة. قال: لِمَ يا بن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك. قال علي رضي الله عنه: ولكني - والله - أحب أن أقتلك. فحمي عمرو عند ذلك، وأقبل إلى علي رضي الله عنه فتنازلا، فتجاولا، فقتله علي رضي الله عنه. كذا في «الكنز» (5/ 281).

وذكره في «البداية» (4/ 106) من طريق البيهقي عن ابن إسحاق قال: خرج عمرو بن عبد ودّ وهو مقنَّع بالحديد، فنادى: من يبارز؟ فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: أنا لها يا نبي الله. فقال: «إنه عمرو، اجلس». ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنّبهم، ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تُبرزون إليّ رجلاً؟ فقام علي رضي الله عنه فقال: أنا يا رسول الله، فقال: «اجلس». ثم نادى الثالثة. فقال: فذكر شعره. قال: فقام علي رضي الله عنه فقال: يا رسول الله أنا. فقال: «إنه عمرو». فقال: وإن كان عَمْراً. فأذن له رسول الله ﷺ، فمشى إليه حتى أتى وهو يقول:

لا تــعــجــلــنَّ فــقــد أتــاكَ

مــجــيــبُ صــوتــك غــيــر عــاجــزْ

فـــي نـــيـــة وبــــصـــيـــرة

والـصـدق مَـنْـجَـى كـلّ فـائـزْ

إنـــي لأرجـــو أن أقـــيـــم

عـلـيـك نـائـحـة الـجـنـائـزْ

مـــن ضـــربـــة نَـــجْـــلاء

يـبـقـى ذكـرهـا عـنـد الـهـزاهـزْ

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي، قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال: يا بن أخي مِنْ أعمامك من هو أسنّ منك؛ فإني أكره أن أُهْريق دمك. فقال له علي رضي الله عنه: لكني - والله - لا أكره أن أهْريق دمك. فغضب فنزل وسلَّ سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي رضي الله عنه مُغضَباً، واستقبله علي بدَرَقَته؛ فضربه عمرو في دَرَقَته فقدَّها، وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه. وضربه علي رضي الله عنه على حبل عاتقه فسقط، وثار العَجاج؛ وسمع رسول الله ﷺ التكبير، فعرفنا أن علياً رضي الله عنه قد قتله؛ فثَمَّ يقول علي رضي الله عنه:

أعـلـيَّ تـقـتـحـم الـفـوارسُ هـكـذا

عـنـي وعـنـهـم أخِّـروا أصـحـابـي

الـيـوم يـمـنـعـنـي الـفـرارَ حـفـيـظـتـي

ومُـصَـمِّـمٌ فـي الـرأس لـيـس بـنـابـي

إلى أن قال:

عَـبَـدَ الـحـجـارة مـن سـفـاهـة رأيـه

وعـبـدتُ ربَّ مـحـمـدٍ بـصـوابـي

فـصـدرت حـيـن تـركـتـه مـتـجـدلاً

كـالـجِـذْع بـيـن دكـادكٍ وروابـي

وعففت عن أثوابه ولو انني

كنت المُقَطَّر بزّني أثوابي

لا تحسبُنَّ الله خاذلَ دينه

ونبيِّه يا معشرَ الأحزابِ

قال: ثم أقبل علي رضي الله عنه نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلّل، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هلّا استلبته درعه؟ فإنه ليس للعرب درع خير منها، فقال: ضربته فاتّقاني بسوأته، فاستحييت ابن عمي أن أسلبه. انتهى.

وأخرج مسلم، والبيهقي - واللفظ له - عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه - فذكر حديثاً طويلاً، وذكر فيه رجوعهم من غزوة بني فَزارة. قال: فلم نمكث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر. قال: وخرج عامر رضي الله عنه فجعل يقول:

والله لولا أنت ما اهتدينا

ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا

ونحن من فضلك ما استغنينا

فأنزلنْ سكينةً علينا

وثبِّتِ الأقدامِ إنْ لاقينا

قال: فقال رسول الله ﷺ: «من هذا القائل؟» فقالوا: عامر. فقال: «غفر لك ربك». قال: ما خصّ رسول الله ﷺ قطُّ أحداً به إلا استشهد -. فقال عمر رضي الله عنه - وهو على جمل -: لولا متَّعْتَنا بعامر. قال: فقدمنا خيبر، فخرج مرحب وهو يخطِر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أني مَرْحَبُ

شاكي السلاحِ بطل مُجَرّبُ

إذا الحروب أقبلت تَلَهَّبُ

قال: فبرز له عامر رضي الله عنه وهو يقول:

قد علمت خيبر أني عامر

شاكي السلاحِ بطل مغامر

قال: فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر رضي الله عنه، فذهب يسفُل له، فرجع على نفسه فقطع أكْحَله فكانت فيها نَفْسهُ. قال سلمة رضي الله عنه: فخرجت فإذا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: بَطَل عَملُ عامر، قَتَلَ نفسَه. قال: فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي. فقال: «ما لك؟» فقلت: قالوا: إن عامراً بطل عمله! فقال: «من قال ذلك؟» فقلت: نفر من أصحابك. فقال: «كذب أولئك، بل له الأجر مرّتين». قال: وأرسل رسول الله ﷺ إلى علي يدعوه وهو أرمد؛ وقال: «لأُعْطِيَنَّ الراية اليوم رجلاً يحبُّ الله ورسولَه». قال: فجئت به أقوده. قال: فبصق رسول الله ﷺ في عينه فبرأ؛ فأعطاه الراية. فبرز مرحب وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحبُ

شاكي السلاحِ بطل مجرّبُ

إذا الحروب أقبلت تَلَهَّبْ

قال: فبرز له رضي الله عنه وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي حَيْدَرَهْ

كَلَيْثِ غاباتٍ كريهِ المنظرهْ

أُوفيهم بالصاع كيل السَّنْدَره

قال: فضرب مرحباً ففلق رأسه فقتله، وكان الفتح. هكذا وقع في هذا السياق: أنّ علياً هو الذي قتل مرحباً اليهودي ـ لعنه الله ـ.

وهكذا أخرجه الإِمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال: لمّا قتلتُ مرحباً جئت برأسه إلى رسول الله ﷺ. وقد روى موسى بن عقبة عن الزهري أن الذي قتل مرحباً هو محمد بن مسلمة رضي الله عنه. وكذلك أخرج محمد بن إسحاق، والواقدي عن جابر رضي الله عنه وغيره من السلف. كذا في «البداية» (4/ 187).

وأخرج ابن إسحاق عن بعض أهله عن أبي رافع رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع علي رضي الله عنه إلى خيبر، فبعثه رسول الله ﷺ برايته. فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل منهم من يهود فطرح ترسه من يده، فتناول علي رضي الله عنه باب الحصن فترَّس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده، فلقد رأيتُني في نفر معي سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما استطعنا أن نقلبه. وفي هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر؛ ولكن روى الحافظ البيهقي والحاكم من طريق أبي جعفر الباقر عن جابر أن علياً ـ رضي الله عنهما ـ حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه، فافتتحوها؛ وأنه جُرّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً، وفيه ضعف أيضاً. وفي رواية ضعيفة عن جابر رضي الله عنه: ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً وكان جهدهم أن أعادوا الباب. كذا في «البداية» (4/ 189). وقد أخرج ابن أبي شيبة عن جابر بن سَمُرة أن علياً ـ رضي الله عنهما ـ حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون ففتحوها؛ وأنه جُرِّب فلم يحمله إلا أربعون رجلاً. كذا في «منتخب كنز العمال» (5/ 44)، وقال: حسن. انتهى.

شجاعة طَلْحة بن عُبَيْد الله
رضي الله عنه

أخرج ابن عساكر عن طلحة رضي الله عنه قال: لما كان يوم أُحد ارتجزت بهذا الشعر:

نـحـن حـمـاة غـالـب ومـالـكِ
نـذبّ عـن رسـولـنـا الـمُـبَـارَك
نـضـرب عـنـه الـقـوم فـي الـمـعـارك
ضـرب صـفـاح الـكُـوم فـي الـمَـبَـارِكِ

وما انصرف رسول الله ﷺ يوم أُحد حتى قال لحسان رضي الله عنه: «قل في طلحة»: قال:

وطـلـحـة يـوم الـشِّـعـب آسى مـحـمـداً
عـلـى سـاعـة ضـاقـت عـلـيـه وشـقَّـتِ
يـقـيـه بـكـفَّـيـه الـرمـاح وأسـلـمـت
أشـاجِـعُـه تـحـت الـسـيـوف فـشُـلَّـتِ
وكـان أمـامَ الـنـاس إلا مـحـمـداً
أقـام رحـى الإِسـلام حـتـى اسـتـقـلَّـتِ

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

حـمى نـبيَّ الهدى والـخيلُ تـتـبعـه
حـتى إذا مـا لـقوا حـامَى عـن الـديـن
صبراً على الطعن إذ ولَّت حماتُهم
والـنـاس من بـيـن مـهديٍّ ومـفـتـون
يـا طـلـحـةُ بـن عُـبـيـد الله قـد وجـبـت
لـك الـجـنـان وزُوِّجـتَ الـمـهـا الـعِـيـنِ

وقال عمر رضي الله عنه:

حمى نبيَّ الهدى بالسيف منصلتاً

لمَّا تولَّى جميع الناس وانكشفوا

قال: فقال النبي ﷺ: «صدقت يا عمر» قال: في «منتخب الكنز» (5/ 68): وفيه سليمان بن أيوب الطَّلْحي. ا هـ. قال ابن عدي: عامة أحاديثه. لا يُتابَع عليها؛ وذكره ابن حِبَّان في «الثقات» كما في اللسان (3/ 77). وقد تقدم قتال طلحة يوم أُحد.

* * *

شجاعة الزُّبَيْر بن العَوَّام رضي الله عنه

أخرج ابن عساكر عن سعيد بن المسيَّب قال: إن أول من سلّ سيفاً في الله الزبير بن العوام رضي الله عنه، بينا هو ذات يوم قائل إذ سمع نغمةً: قُتِلَ رسول الله ﷺ، فخرج متجرِّداً بالسيف صلتاً، فلقيه النبيُّ ﷺ كَنَةً كَنَةً قال: «ما لك يا زبير» فقال: سمعت أنك قُتلت. قال: «فما أردت أن تصنع؟» قال: أردت ـ والله ـ أستعرض أهل مكة. فدعا له النبي ﷺ بخير، وفي ذلك يقول الأسَديّ:

هذاك أولُ سيفٍ سُلّ في غَضَبٍ

لله سيف الزبير المرتَضى أنَفَا

حميَّةٌ سبقتْ من فضل نجدته

قد يحبس النجدات المحبس الأرفا

وعند ابن عساكر أيضاً وأبي نعيم في «الحلية» (1/ 89) عن عروة

أن الزبير بن العوَّام رضي الله عنهما سمع نفخة من الشيطان أن محمداً ﷺ أُخذ، بعدما أسلم، وهو ابن اثنتي عشرة سنة؛ فسلّ سيفه، وخرج يشتدّ في الأزقة حتى أتى النبي ﷺ ـ وهو بأعلى مكة ـ والسيف في يده. فقال له النبي ﷺ: «ما شأنك؟» قال: سمعت أنك قد أخذت. فقال النبي ﷺ: «ما كنت تصنع؟» قال: كنت أضرب بسيفي هذا من أخذك. فدعا له رسول الله ﷺ ولسيفه، وقال: «انصرف». وكان أول سيف سُلّ في سبيل الله. كذا في «منتخب كنز العمال» (5/ 69). وأخرجه الزبير بن بكار، كما في «الإِصابة» (1/ 545). وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 226) عن سعيد بن المسيَّب ـ بمعناه.

وذكر يونس عن ابن إسحاق أن طلحة بن أبي طلحة العبدري حاملَ لواء المشركين يوم أُحد دعا إلى البِراز، فأحجم عنه الناس؛ فبرز إليه الزبير بن العوام رضي الله عنه. فوثب حتى صار معه على جمله، ثم اقتحم به الأرض، فألقاه عنه، وذبحه بسيفه، فأثنى عليه رسول الله ﷺ، وقال: «إنَّ لكل نبي حوارِيّاً، وحوارِيَّ الزبير»، وقال: «لو لم يبرز إليه لبرزت أنا إليه، لِمَا رأيت من إحجام الناس عنه». كذا في «البداية» (4/ 20).

وذكر يونس عن ابن إسحاق قال: خرج نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي ـ أي يوم الخندق ـ، فسأل المبارزة. فخرج إليه الزبير بن العوام رضي الله عنه فضربه، فشقّه باثنتين حتى فلّ في سيفه فلًّا؛ وانصرف وهو يقول:

إنـــي امـــرؤ أَحـــمـــي وأحـــتـــمـــي

عـــن الـنـبـــي الـمـصـطـفـى الأمـــي

كذا في «البداية» (4/ 107).

وقد أخرج ابن جرير عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: أقبل رجل من المشركين وعليه السلاح، حتى صعد على مكان مرتفع من الأرض فقال: من يبارز؟ فقال رسول الله ﷺ لرجل من القوم: «أتقوم إليه؟» فقال له الرجل: إن شئت يا رسول الله. فأخذ الزبير رضي الله عنه يتطلَّع، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقال: «قم يا بن صفية» فانطلق إليه حتى استوى معه، فاضطربا ثم عانق أحدهما الآخر، ثم تدحرجا. فقال رسول الله ﷺ: «أيهما وقع الحضيض أول فهو المقتول»، فدعا النبي ﷺ ودعا الناس فوقع الكافر، ووقع الزبير رضي الله عنه على صدره فقتله. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 69).

وأخرج البيهقي عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: جُعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الأُطُم، ومعي عمر بن أبي سلمة، فجعل يطأطىء لي، فأصعد على ظهره، فأنظر. قال: فنظرت إلى أبي وهو يحمل مرة ها هنا، ومرة ها هنا، فما يرتفع له شيء إلا أتاه. فلما أمسى جاءنا إلى الأُطُم قلت: يا أبت رأيتك اليوم وما تصنع. قال: ورأيتني يا بني؟ قلت: نعم. قال: فدىً لك أبي وأمي. كذا في «البداية» (4/ 107).

وأخرج البخاري عن عروة رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير رضي الله عنه يوم اليرموك: ألا تشدّ فنشدّ معك؟ فقال: إني إن شددت كذبتم. فقالوا: لا نفعل. فحمل عليهم حتى شقّ صفوفهم فجاوزهم، وما معه أحد، ثم رجع مقبلاً، فأخذوا بلجامه، فضربوه ضربتين على عاتقه، بينهما ضربة ضُربها يوم بدر. قال عروة رضي الله عنه: كنت أدخل أصابعي في تلك الضربات، ألعب وأنا صغير. قال عروة رضي الله عنه: وكان معه عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما يومئذٍ،

وهو ابن عشر سنين؛ فحمله على فرس ووكّل به رجلاً. وذكره في «البداية» (7/ 11) ـ بمعناه وزاد: ثم جاؤوا إليه مرّة ثانية، ففعل كما فعل في المرة الأولى.

* * *

شجاعةُ سعد بن أبي وقَّاص
رضي الله عنه

أخرج ابن عساكر عن الزهري قال: بعث رسول الله ﷺ سريّة فيها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى جانب من الحجاز يدعى رابغ، فانكفأ المشركون على المسلمين، فجاءهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يومئذٍ بسهامه، وكان أول من رمى في سبيل الله، وكان هذا أول قتال في الإِسلام. وقال سعد رضي الله عنه في رميه:

ألاَ هـــل أتـــى رســـولَ الله أنـــي
حَـمَـيْـتُ صـحـابـتـي بـصـدورِ نـبـلـي
أذودُ بـــهـــا أوائــلَـــهـــم ذيـــاداً
بـكـل حَـزونـةٍ وبـكـل سـهـلِ
فـمـا يَـعْـتَـدُّ رامٍ فـي عـدو
بـسـهـمٍ يـا رسـول الله قـبـلـي

كذا في «المنتخب» (5/ 72) عن ابن عساكر.

وأخرج ابن عساكر عن ابن شهاب قال: قَتلَ سعد رضي الله عنه يوم أُحد بسهم واحد ثلاثة، رمى به؛ فردّ عليهم فرموا به، فأخذه فرمى به سعد رضي الله عنه الثانية، فَقَتَل؛ فردّ عليهم، فرمى به الثالثة، فَقَتَل،

فعجب الناس مما فعل سعد رضي الله عنه، فقال: إنَّ النبي ﷺ أنبلنيه. قال: وجمع له رسول الله ﷺ أبويه. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 72).

وأخرج البزَّار عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان سعد رضي الله عنه يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدر قتال الفارس والراجل. قال الهيثمي (6/ 82): رواه البزَّار بإسنادين: أحدهما متصل، والآخر مرسل، ورجالهما ثقات. انتهى.

* * *

شجاعة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

أخرج الطبراني عن الحارث التيمي قال: كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه يوم بدر مُعْلَماً بريشة نعامة، فقال رجل من المشركين: من رجلٌ أُعْلِم بريشة نعامة؟ فقيل: حمزة بن عبد المطلب. قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل!! قال الهيثمي (6/ 18): وإسناده منقطع.

وعند البزَّار عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال لي أمية بن خلف: يا عبد الإله، مَنِ الرجل المعلم بريشة نعامة في صدره يوم بدر؟ قلت: ذاك عم رسول الله ﷺ؛ ذاك حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه. قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل. قال الهيثمي (6/ 81): رواه البزَّار من طريقين في إحداهما شيخه علي بن الفضل الكرابيسي ولم أعرفه، وبقية رجالهما رجال الصحيح، والأخرى ضعيفة ا هـ.

وأخرج الحاكم (3/ 199): عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

قال: فَقَدَ رسول الله ﷺ يوم أُحد حمزة رضي الله عنه حين فاء الناس من القتال. قال: فقال رجل: رأيته عند تلك الشجرة، وهو يقول: أنا أسد الله وأسد رسوله: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - لأبي سفيان وأصحابه -، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء - من انهزامهم -، فسارَ رسول الله ﷺ نحوه. فلما رأى جبهته بكى، ولما رأى ما مُثِّلَ به شَهِق، ثم قال: «ألا كفَنٌ؟» فقام رجل من الأنصار فرمى بثوب. قال جابر رضي الله عنه: فقال رسول الله ﷺ «سيد الشهداء عند الله تعالى يوم القيامة حمزة». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، لم يخرِّجاه. وقال الذهبي: صحيح.

وأخرج ابن إسحاق كما في «البداية» (4/ 18): عن جعفر بن عمرو بن أمية الضَّمري قال: خرجت أنا وعبيد الله بن عديّ بن الخِيار في زمان معاوية رضي الله عنه، فذكر الحديث، حتى جلسنا إليه - أي إلى وحشي - فقلنا: جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة كيف قتلته؟ فقال: أما إنِّي سأحدثكما كما حدَّثتُ رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك: كنت غلاماً لجبير بن مُطْعِم وكان عمه طُعَيمة بن عديّ قد أُصيب يوم بدر. فلما سارت قريش إلى أُحد قال لي جبير: إن قتلت حمزة عمّ محمد بعمّي فأنت عتيق.

قال: فخرجت مع الناس وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة قلّ ما أُخطىء بها شيئاً. فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصَّره حتى رأيته في عُرْض الناس كأنه الجمل الأورق يهدُّ الناس بسيفه هدّاً ما يقوم له شيء، فوالله إني لأتهيأ له أريده، وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني، إذ تقدَّمني إليه سِباع بن عبد العُزَّى. فلما رآه حمزة رضي الله عنه قال: هلمَّ إليَّ يا بن مقطِّعة البُظُور. قال: فضربه ضربة

كأنما أخطأ رأسه. قال: وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت في ثُنَّته حتى خرجت من بين رجليه، وذهب لينوء نحوي فغُلب؛ وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي ثم رجعت إلى العسكر، وقعدت فيه ولم يكن لي بغيره حاجة، إنما قتلته لأعتَق. فلما قدمت مكة عُتقت، ثم أقمتُ حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف فمكثت بها. فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليسلموا تعيَّت عليَّ المذاهب، فقلت: ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد، فوالله إنِّي لفي ذلك من همّي، إذ قال لي رجل: ويحك إنه ـ والله ـ لا يقتل أحداً من الناس دخل في دينه، وشهد شهادة الحق. قال: فلما قال لي ذلك خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة، فلم يَرُعه إلَّا بي قائماً على رأسه، أشهد شهادة الحق. فلما رآني قال لي: «أوحشي أنت؟» قلت: نعم يا رسول الله قال: «اقعُد، فحدثني كيف قتلت حمزة». قال: فحدثته كما حدثتكما، فلما فرغت من حديثي قال: «ويحك غَيِّب عني وجهك فلا أُرَينّك». قال: فكنت أتنكب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله عزّ وجلّ. فلما خرج المسلمون إلى مُسَيْلمة الكذاب صاحبِ اليمامة خرجت معهم، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس رأيت مُسَيْلمة قائماً وبيده السيف ـ وما أعرفه ـ فتهيأت له، وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى كلانا يريده، فهززتُ حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت فيه؛ وشدّ عليه الأنصاري (فضربه) بالسيف، فربُّك أعلم أيُّنا قتله، فإن كنت قتلته قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ وقد قتلت شر الناس.

وأخرجه البخاري عن جعفر بن عمرو ـ نحوه، وفي سياقه: فلما أن صف الناس للقتال خرج سِباع فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، فقال له: يا سباع، يا ابن أم أنمار مقطِّعةِ البظور! أتحادُّ الله ورسوله؟ ثم شدَّ عليه، فكان كأمس الذاهب.

* * *

شجاعةُ العبَّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه

أخرج ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه قال: لقد بعث رسول الله ﷺ يوم الطائف حنظلة بن الربيع رضي الله عنه إلى أهل الطائف، فكلمهم، فاحتملوه ليدخلوه حصنهم. فقال رسول الله ﷺ: «من لهؤلاء؟ وله مثل أجر غزاتنا هذه؟»، فلم يقم إلا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه حتى أدركه في أيديهم، قد كادوا أن يدخلوه في الحصن، فاحتضنه العباس رضي الله عنه ـ وكان رجلاً شديداً ـ فاختطفه من أيديهم؛ وأمطروا على العباس رضي الله عنه الحجارة من الحصن. فجعل النبي ﷺ يدعو له حتى انتهى به إلى النبي ﷺ. كذا في «الكنز» (5/ 307).

* * *

شجاعةُ مُعَاذ بن عَمْرو بن الجَموح ومُعَاذ بن عَفْراء رضي الله عنهما

أخرج الشيخان عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: إنِّي لواقف يوم بدر في الصف، فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثةٍ أسنانهما، تمنيت أن أكون بين أضلع منهما،

فغمزني أحدهما فقال: يا عماه، أتعرف أبا جهل؟ فقلت: نعم، وما حاجتك إليه؟ قال: أُخبرت أنه يسبّ رسول الله ﷺ؛ والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا. فتعجَّبت لذلك. فغمزني الآخر فقال لي أيضاً مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس، فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبُكما الذي تسألاني عنه. فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النبي ﷺ فأخبراه. قال: «أيكما قتله؟» قال كل منهما: أنا قتلته. قال: «هل مسحتما سيفيكما؟» قالا: لا. قال: فنظر النبي ﷺ في السيفين فقال: «كلاكما قتله»، وقضى بسَلَبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح، والآخرِ معاذ بن عفراء رضي الله عنهما. وأخرجه الحاكم (3/ 425)؛ والبيهقي (6/ 305) عن عبد الرحمن رضي الله عنه ـ بنحوه.

وعند **البخاري** أيضاً قال عبد الرحمن رضي الله عنه: إني لفي الصف يوم بدر، إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السنّ، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سِرّاً من صاحبه: يا عمّ، أرني أبا جهل. فقلت: يا بن أخي ما تصنع به؟! قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله، أو أموت دونه. فقال لي الآخر سرّاً من صاحبه مثله. قال: فما سرني أنني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدّا عليه مثلَ الصَّقْرين حتى ضرباه. وهما ابنا عفراء.

وعند **ابن إسحاق** عن ابن عباس وعبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهم قالا: قال معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بني سَلِمة: سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحَرَجَة، وهم يقولون: أبو الحكم لا يُخْلَصُ إليه، فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدت نحوه، فلمّا أمكنني حملت عليه، فضربته ضربة أطنّت قدمه بنصف ساقه، فوالله ما شبَّهتها حين طاحت إلّا

بالنَّواة تطيح من تحت مِرْضخة النوى حين يُضرب بها. قال: وضربني ابنه عِكرمة على عاتقي، فطرح يدي فتعلَّقَت بجلدة من جنبي، وأجهضني القتال عنه، فلقد قاتلت عامّة يومي، وإني لأسحبها خلفي. فلما آذتني وضعت عليها قدمي، ثم تمطّيت بها عليها حتى طرحتها. كذا في «البداية» (3/ 287).

* * *

شجاعة أبي دُجانة سِماك بن خَرَشة الأنصاري رضي الله عنه

أخرج الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أُحد فقال: «من يأخذ هذا السيف؟» فأخذ قوم؛ فجعلوا ينظرون إليه، فقال: «من يأخذه بحقه»، فأحجم القوم. فقال أبو دجانة سِمَاك رضي الله عنه: أنا آخذه بحقه، ففلق به هام المشركين. وأخرجه مسلم. كذا في «البداية» (4/ 15)، وابن سعد (3/ 101) عن أنس رضي الله عنه بمعناه.

وأخرج البزَّار عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: عرض رسول الله ﷺ سيفاً يوم أُحد فقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟»، فقام أبو دُجانة سِمَاك بن خَرَشة رضي الله عنه فقال: يا رسول الله ـ أنا آخذه بحقِّه، فما حقُّه؟ قال: فأعطاه إياه. فخرج واتبعته؛ فجعل لا يمرّ بشيء إلا أفراه وهتكه، حتى أتى نسوة في سَفح الجبل ومعهن هند وهي تقول:

نحنُ بناتُ طارقْ

نمشي على النمارقْ

والـمـسـك فـي الـمـفـارقْ

إنْ تُـقـبِـلـوا نُـعـانـقْ

أو تُـدبِـروا نُـفَـارِقْ

فـراق غـيـر وامـقْ

قال: فحملت عليها، فنادت بالصحراء فلم يجبها أحد، فانصرفت عنها. فقلت له: كل صنيعك رأيته فأعجبني؛ غير أنك لم تقتل المرأة. قال: فإنها نادت فلم يجبها أحد، فكرهت أن أضرب بسيف رسول الله ﷺ امرأة لا ناصر لها. قال الهيثمي (6/ 109): رجاله ثقات. انتهى.

وأخرجه الحاكم (3/ 230) عن الزبير رضي الله عنه قال: عرض رسول الله ﷺ سيفاً يوم أُحد فقال: «من يأخذ هذا السيف بحقِّه»؟ (فقمت) فقلت: أنا يا رسول الله فأعرض عني. ثم قال: من يأخذ هذا السيف بحقِّه؟ فقام أبو دجانة سِمَاك بن خَرَشَة رضي الله عنه فقال: أنا آخذه يا رسول الله ﷺ بحقِّه، فما حقُّه؟ قال: «أن لا تقتل به مسلماً، ولا تفرّ به عن كافر». قال: فدفعه إليه، وكان إذا أراد القتال أعْلَم بعصابة. قال: قلت: لأنظرنَّ إليه اليوم كيف يصنع؟ قال: فجعل لا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفراه ـ فذكره بمعناه. قال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: صحيح.

وعند ابن هشام كما في «البداية» (4/ 16): قال حدثني غير واحد من أهل العلم أن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: وَجَدْتُ في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف، فَمنَعنيه، وأعطاه أبا دجانة رضي الله عنه، وقلت: أنا ابن صفيَّة عمته ومن قريش، وقد قمت إليه فسألته إياه قبله؛ فأعطاه أبا دجانة وتركني! والله لأنظرنَّ ما يصنع؟ فاتبعته. فأخرج عصابة له حمراء. فعَصَب بها رأسه. فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة

عِصابة الموت ـ وهكذا كانت تقول له إذا تعصب (بها) ـ فخرج وهو يقول:

أنــا الــذي عــاهَــدنــي خــلــيــلــي
ونــحــن بــالــسَّــفْــح لــدى الــنــخــيــلِ
أنْ لا أقــومَ الــدهــرَ فــي الــكَــيُّــول
أضــرب بــســيــف الله والــرســولِ

فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله. وكان من المشركين رجل لا يدع (لنا) جريحاً إلا ذَفَّف عليه؛ فجعل كل (واحد) منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشركُ أبا دُجانة فاتَّقاه بدَرَقَته؛ فعضّت بسيفه، وضربه أبو دجانة فقتله. ثم رأيته قد حمل السيف على مَفْرِق رأس هند بنت عتبة، ثم عدل السيف عنها (قال الزبير)؛ فقلت: الله ورسوله أعلم.

وعند موسى بن عقبة، كما في «البداية» (4/ 17): أن رسول الله ﷺ لما عرضه طلبة منه عمر رضي الله عنه، فأعرض عنه. ثم طلبه منه الزبير رضي الله عنه، فأعرض عنه؛ فوجَدا في أنفسهما من ذلك. ثم عرضه الثالثة، فطلبه أبو دجانة رضي الله عنه، فدفعه إليه؛ فأعطى السيف حقَّه. قال: فزعموا أن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: كنت فيمن خرج من المسلمين، فلما رأيتُ مُثَلَ المشركين بقتلى المسلمين قمت فتجاوَزْتُ، فإذا رجل من المشركين جمع اللأمة يجوز المسلمين وهو يقول: اسْتَوْسِقوا كما استوسقت جزر الغنم. قال: وإذا رجل من المسلمين ينتظره وعليه لأمته، فمضيت حتى كنت من ورائه. ثم قمت أُقدِّر المسلم والكافر ببصري؛ فإذا الكافر أفضلهما عدّة وهيئة. قال: فلم أزل أنتظرهما حتى التقيا، فضرب المسلم الكافر على حبل عاتقه ضربة

بالسيف فبلغت وِرْكه وتفرق فرقتين، ثم كشف المسلم عن وجهه وقال: كيف ترى يا كعب؟ أنا أبو دجانة.

* * *

شجاعة قَتَادة بن النُّعْمان
رضي الله عنه

أخرج الطبراني عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: أُهدِي إلى رسول الله ﷺ قوس، فدفعها إليّ رسول الله ﷺ يوم أُحد، فرميت بها بين يدي رسول الله ﷺ حتى اندقَّت سِيَتُها ولم أزل على مقامي نُصْب وجه رسول الله ﷺ ألقى السهام بوجهي، كلما مال سهم منها إلى وجه رسول الله ﷺ ميَّلت رأسي لأقي وجه رسول الله ﷺ بلا رمي أرميه، فكان آخرُها سهماً ندرت منها حَدَقَتي بكفي، فسعَيت بها في كفِّي إلى رسول الله ﷺ. فلما رآها رسول الله ﷺ في كفِّي دمعت عيناه، فقال: «اللهم إنَّ قتادة قد وقى نبيك بوجهه، فاجعلها أحسن عينيه وأحدّهما نظراً»، فكانت أحسن عينيه وأحدّهما نظراً. قال الهيثمي (6/ 113): وفيه من لم أعرفه. وعنده أيضاً عنه قال: كنت نصب وجه رسول الله ﷺ يوم أُحد أقي وجه رسول الله ﷺ بوجهي، وكان أبو دجانة سِمَاك بن خَرَشة رضي الله عنه موقياً لظهرِ رسول الله ﷺ بظهره حتى امتلأ ظهره سِهاماً، وكان ذلك يوم أُحد. قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفه.

* * *

شجاعة سَلَمة بن الأكوع
رضي الله عنه

أخرج الإمام أحمد عن سَلَمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله ﷺ، فخرجت أنا ورَبَاح غلامُ النبي ﷺ ـ (بظهر رسول الله ﷺ) وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله أريد أن أُنَدِّيه مع الإبل. فلما كان بغَلَس أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول الله ﷺ، فقتل راعيها، وخرج يطردها هو وأناس معه في خيل. فقلت: يا رباح اقعد على هذا الفرس فألْحقهُ بطلحة، وأخبر رسول الله ﷺ أنه قد أُغير على سَرْحه. قال: وقمت على قُلٍّ، فجعلت وجهي من قِبل المدينة، ثم ناديت ـ ثلاث مرات ـ: يا صباحاه. قال: ثم اتَّبعت القوم معي سيفي ونبلي، فجعلت أرميهم وأعقِر بهم، وذلك حين يكثر الشجر، فإذا رجع إليّ فارس جلست له في أصل شجرة ثم رميت، فلا يُقبل إليّ فارس إلا عقرت به، فجعلت أرميهم وأنا أقول:

أنَــــا ابــــنُ الاكــــوعِ

والـــيــومُ يــومُ الـــرُّضَّــــع

قال: فألحق برجل منهم فأرميه وهو على راحلة، فيقع سهمي في الرجل حتى انتظم كتفه فقلت:

خُــذهــا وأنــا ابــنُ الاكــوعِ

والـــيـــوم يــــوم الـــرُّضَّـــعِ

فإذا كنت في الشجر أحرقتهم بالنبل، فإذا تضايقت الثنايا عَلَوت الجبل فردَّيتهم بالحجارة.

فما زال ذلك شأني وشأنهم أتبعهم، وأرتجز حتى ما خلق الله شيئاً

من ظَهْر رسول الله ﷺ إلَّا خلَّفته وراء ظهري، فاستنقذته من أيديهم، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقَوا أكثر من ثلاثين رمحاً وأكثر من ثلاثين بُرْدة يَستخِفُّون منها، ولا يُلْقون من ذلك شيئاً إلَّا جعلت عليه حجارة، وجمعته على طريق رسول الله ﷺ حتى إذا امتدّ الضحى أتاهم عُيَينة بن بدر الفَزاري مَدداً لهم وهم في ثنيَّة ضيِّقة، ثم علَوت الجبل فأنا فوقهم، فقال عيينة: ما هذا الذي أرى؟ قالوا: لقينا من هذا البَرَح!! ما فارقنا بسَحَر حتى الآن، وأخذ كلَّ شيء بأيدينا وجعله وراء ظهره. فقال عيينة: لولا أنَّ هذا يرى أن وراءه طلباً لقد ترككم، ليَقُم إليه نفر منكم. فقام إليه نفر منهم أربعة فصعدوا في الجبل. فلما أسمعتهم الصوت قلت: أتعرفونني؟ قالوا: ومن أنت؟ قلت: أنا ابن الأكوع، والذي كرّم وجه محمد لا يطلبني رجل منكم فيدركني، ولا أطلبه فيفوتني. فقال رجل منهم: إنْ أظنّ. قال: فما برحت مقعدي ذلك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله ﷺ يخلّلون الشجر، وإذا أولهم الأخرم الأسديّ، وعلى أثره أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ وعلى أثره المقداد بن الأسود الكِندي، فولّى المشركون مدبرين، وأنزِل من الجبل فآخذ عِنان فرسه، فقلت: يا أخرم ائذن القوم - يعني احذرهم - فإني لا آمن أن يقتطعوك فاتئد حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه. قال: يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أنَّ الجنة حق والنار حق فلا تَحُل بيني وبين الشهادة. قال: فخلّيت عنان فرسه، فيلحق بعبد الرحمن بن عيينة، ويعطف عليه عبد الرحمن فاختلفا طعنتين، فعقر الأخرم بعبد الرحمن، وطعنه عبد الرحمن فقتله؛ فتحول عبد الرحمن على فرس الأخرم، فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن، فاختلفا طعنتين فعقر بأبي قتادة وقتله أبو قتادة، وتحول أبو قتادة على فرس الأخرم.

ثم إنِّي خرجت أعدو في أثر القوم حتى ما أرى من غبار صحابة النبي ﷺ شيئاً، ويعرضون قبل غيبوبة الشمس إلى شِعْب فيه ماء يقال له «ذو قَرَد». فأرادوا أن يشربوا منه فأبصروني أعدو وراءهم فعطفوا عنه، وأسندوا في الثنيّة «ثنيّة ذي بثر» وغربت الشمس وألحق رجلاً فأرميه فقلت:

خـــذهـــا وأنـــا ابـــنُ الأكـــوعِ

والـــيـــوم يـــوم الـــرضّـــعِ

قال: فقال: يا ثُكَلْ أمِّ أكوع بكرة! فقلت: نعم، أي عدوَّ نفسه ـ وكان الذي رميته بكرة ـ، وأتبعته سهماً آخر، فعلق به سهمان، ويخلِّفون فرسين فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي أجليتهم عنه ـ ذي قَرَد ـ. وإذا بنبي الله ﷺ في خمسمائة، وإذا بلال قد نحر جزوراً ممَّا خلَّفت فهو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله خلِّني فأنتخب من أصحابك مائة، فآخذ على الكفار بالعَشوة فلا يبقى منهم مُخْبر إلا قتلته. فقال: «أكنت فاعلاً ذلك يا سلَمة؟» قال: قلت: نعم، والذي أكرمك. فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجذه في ضوء (النار)، ثم قال: «إنهم يُقْرَون الآن بأرض غطفان» فجاء رجل من غطفان فقال: مرّوا على فلان الغطفاني، فنحر لهم جزوراً، فلما أخذوا يكشِطون جلدها رأوا غَبَرة فتركوها وخرجوا هراباً.

فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ: «خير فرساننا أبو قتادة وخير رجَّالتِنا سلمة». فأعطاني رسول الله ﷺ سَهْمَ الفارس والراجل جميعاً، ثم أردفني وراءه على العَضْباء راجعين إلى المدينة. فلما كان بيننا وبينها قريبٌ من ضحوة ـ وفي القوم رجل من الأنصار كان لا يُسبق ـ جعل

ينادي: هل من مسابق؟ ألا رجل يسابق إلى المدينة؟ فأعاد ذلك مراراً وأنا وراء رسول الله ﷺ مُرْدِفي، فقلت له: أما تُكرم كريماً، ولا تهاب شريفاً؟ قال: لا، إلا رسول الله ﷺ. قال: قلت: يا رسول الله - بأبي أنت وأمّي - خلّني فلأسبق الرجل. قال: «إن شئت». قلت: أذهب إليك. فطفر عن راحلته، وثنيت رجلي فطفرت عن الناقة، ثم إنّي ربطت عليه شَرَفاً أو شَرَفين - يعني استبقيت من نَفَسي -، ثم إني عدوت حتى ألحقه فأصكَّ بين كتفيه بيدي، قلت: سبقتك والله! أو كلمة نحوها. قال: فضحك، قال: إنْ أظنُّ، حتى قدمنا المدينة. وهكذا رواه مسلم، وعنده: فسبقته إلى المدينة، فلم نلبث إلا ثلاثاً حتى خرجنا إلى خيبر. كذا في «البداية» (4/ 152).

* * *

شجاعةُ أبي حَدْرد أو عبد الله بن أبي حَدْرد الأسلمي رضي الله عنه

أسند ابن إسحاق عن أبي حدرد رضي الله عنه قال: تزوجت امرأة من قومي فأصدقتها مائتي درهم، قال: فأتيت رسول الله ﷺ أستعينه على نِكاحي. فقال: «كم أصدقت؟» فقلت: مائتي درهم. فقال: «سبحان الله! والله لو كنتم تأخذونها من وادٍ ما زدتم! والله ما عندي ما أعينك به». فلبثت أياماً؛ ثم أقبل رجل من جُشَم بن معاوية يقال له رِفاعة بن قيس - أو قيس بن رفاعة - في بطن عظيم من جُشَم حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة؛ يريد أن يجمع قيساً على محاربة رسول الله ﷺ، وكان ذا اسم وشَرَف في جُشَم. قال: فدعاني رسول الله ﷺ ورجلين من المسلمين، فقال: «اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم»، وقدَّم لنا

شارفاً عجفاء، فحُمِلَ عليها أحدنا، فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دَعَمها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلَّت وما كادت؛ وقال: «تبلَّغوا على هذه».

فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر مع غروب الشمس، فكَمَنت في ناحية، وأمرت صاحبيَّ فَكَمَنا في ناحية أخرى من حاضر القوم، وقلت لهما: إذا سمعتماني قد كبّرت وشددت في العسكر فكبّرا وشدّا معي. فوالله إنا كذلك ننتظر أن نرى غِرَّة أو نرى شيئاً، وقد غَشِيَنا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء؛ وقد كان له راعٍ قد سرح في ذلك البلد فأبطأ عليهم، وتخوّفوا عليه. فقام صاحبهم رفاعة بن قيس، فأخذ سيفه فجعله في عنقه، فقال: والله لأتيقنَنّ أمر راعينا ولقد أصابه شرّ. فقال نفر ممَّن معه: والله لا تذهب، نحن نَكْفيك. فقال: لا، إلا أنا. قالوا: نحن معك. فقال: والله لا يتبعني منكم أحد. وخرج حتى مرّ بي. فلما أمكنني نفحته بسهم فوضعته في فؤاده، فوالله ما تكلّم فوثبت إليه، فاحتززت رأسه، ثم شددت ناحية العسكر وكبّرت، وشدّ صاحباي وكبّرا، فوالله ما كان إلا النجاء ممّن كان فيه. عندك عندك، بكل ما قدروا عليه من نسائهم، وأبنائهم، وما خفّ معهم من أموالهم، واستقنا إبلاً عظيمة وغنماً كثيرة؛ فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ وجئت برأسه أحمله معي، فأعطاني من تلك الإبل ثلاثة عشر بعيراً في صَداقي؛ فجمعت إليَّ أهلي. كذا في «البداية» (4/ 223). وأخرجه أيضاً الإمام أحمد وغيره؛ إلا أن عنده عبد الله بن أبي حدرد رضي الله عنه؛ كما في «الإصابة» (2/ 295).

* * *

شجاعة خالد بن الوليد
رضي الله عنه

أخرج البخاري عن خالد بن الوليد رضي الله عنه يقول: لقد دُقَّ في يدي يوم مؤتة تسعةُ أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية. وأخرجه ابن أبي شيبة، كما في «الاستيعاب» (1/ 408)؛ والحاكم (3/ 42) وابن سعد (4/ 2).

* * *

قتله هُرْمز

وأخرج الحاكم (3/ 299) عن أوس بن حارثة بن لام رضي الله عنه قال: لم يكن أحد أعدى للعرب من هُرْمز، فلما فرغنا من مُسَيْلِمة وأصحابه أقبلنا إلى ناحية البصرة، فلقينا هُرمُز بكاظِمة في جمع عظيم. فبرز له خالد ودعاه للبراز، فبرز له هُرمُز؛ فقتله خالد بن الوليد رضي الله عنه؛ وكتب بذلك إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فَنَفَّله سَلَبه، فبلغت قلنسوته مائةَ ألف درهم، وكانت الفرس إذا شَرُف الرجل جعلوا قلنسوته مائةَ ألف درهم.

وأخرج الواقدي عن أبي الزناد قال: لما حضرت خالداً الوفاةُ بكى ثم قال: لقد حضرتُ كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير؛ فلا نامت أعين الجبناء، كذا في «البداية» (7/ 114).

* * *

شجاعة البراء بن مالك
رضي الله عنه

أخرج السَّرّاج في «تاريخه» عن أنس: أنّ خالد بن الوليد قال للبراء يوم اليمامة: قم يا براء. قال: فركب فرسه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل المدينة، لا مدينة لكم اليوم، وإنما هو الله وحدَه والجنة؛ ثم حمل وحمل الناس معه، فانهزم أهل اليمامة. فلقي البراء رضي الله عنه مُحَكَّم اليمامة، فضربه البراء وصرعه، فأخذ سيف مُحَكَّم اليمامة فضرب به حتى انقطع.

وعند البغوي عن البراء رضي الله عنه قال: لقيت يوم مسيلمة رجلاً يقال له «حمار اليمامة» رجلاً جسيماً بيده السيف أبيض، فضربت رجليه فكأنما أخطأته وانقعر، فوقع على قفاه، فأخذت سيفه وأغمدت سيفي، فما ضربت به ضربة حتى انقطع. كذا في «الإصابة» (1/ 143).

وعند ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» (1/ 138) عن ابن إسحاق قال: زحف المسلمون إلى المشركين (ـ في اليمامة ـ) حتى ألجأوهم إلى الحديقة وفيها عدوّ الله مسيلمة. فقال (ألبراء): يا معشر المسلمين ألقوني عليهم، فاحتمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم، فقاتلهم على الحديقة حتى فتحها على المسلمين، ودخل عليهم المسلمون، فقتل الله مسيلمة.

وأخرجه البيهقي (9/ 44) عن محمد بن سيرين: أن المسلمين انتهَوا إلى حائط قد أُغلق بابه فيه رجال من المشركين. فجلس البراء بن مالك رضي الله عنه على ترس فقال: ارفعوني برماحكم، فألقوني إليهم. فرفعوه برماحهم، فألقَوه من وراء الحائط، فأدركوه قد قتل منهم عشرة.

وأخرج ابن سعد كما في «منتخب الكنز» (5/ 144) عن ابن سيرين قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن لا تستعملوا البراء بن مالك (على جيش من جيوش المسلمين) فإنه مَهلكة من (المهالك يقدم بهم).

* * *

شجاعة أبي مِحْجن الثقفي رضي الله عنه

أخرج عبد الرزاق عن ابن سيرين قال: كان أبو مِحْجَن الثقفي رضي الله عنه لا يزال يُجلد في الخمر، فلما أكثر عليهم سجنوه وأوثقوه. فلما كان يوم القادسية رآهم يقتتلون، فكأنه رأى أن المشركين قد أصابوا من المسلمين، فأرسل إلى أم ولد سعد أو إلى إمرأة سعد يقول لها: إن أبا مِحَجن يقول لك: إن خلّيت سبيله وحملته على هذا الفرس ودفعت إليه سلاحاً؛ ليكونَنّ أول من يرجع إليك إلا أن يُقتل، وأنشأ يقول:

كفى حَزَناً أنْ تلتقي الخيلُ بالقنا
وأُترِكَ مشدوداً عليَّ وَثاقيا
إذا قمتُ عنَّانيَ الحديدُ، وغُلِّقتْ
مصاريعُ دوني قد تُصمُّ المناديا

فذهبت الأخرى، فقالت ذلك لامرأة سعد، فحلّت عنه قيوده، وحُمل على فرس كان في الدار وأُعطي سلاحاً. ثم خرج يركض حتى لحق بالقوم، فجعل لا يزال يحمل على رجل فيقتله ويدقّ صلبه. فنظر إليه (سعد) فجعل يتعجَّب منه ويقول: من ذلك الفارس؟! فلم يلبثوا إلا

يسيراً حتى هزمهم الله. ورجع أبو مِحجَن رضي الله عنه، وردّ السلاح، وجعل رجليه في القيود كما كان.

فجاء سعد رضي الله عنه فقالت له امرأته أو أم ولده: كيف كان قتالكم؟ فجعل يخبرها ويقول: لقينا ولقينا حتى بعث الله رجلاً على فرس أبلق، لولا أنِّي تركت أبا مِحجَن في القيود لظننتُ أنها بعض شمائل أبي مِحجَن. فقالت: والله إنه لأبو مِحجَن، كان من أمره كذا وكذا؛ فقصّت عليه قصّته. فدعا به وحلَّ قيوده. وقال: والله لا نجلدك على الخمر أبداً. قال أبو محجن رضي الله عنه: وأنا والله لا أشربها أبداً، كنت آنف أن أدعها من أجل جَلْدكم. قال: فلم يشربها بعد ذلك. كذا في «الاستيعاب» (4/ 184)، وسنده صحيح؛ كما في «الإصابة» (4/ 174).

وأخرجه أيضاً أبو أحمد الحاكم عن محمد بن سعد ـ بطوله، وفي حديثه: وانطلق حتى أتى الناس، فجعل لا يحمل في ناحية إلا هزمهم الله. فجعل الناس يقولون: هذا مَلَكٌ! وسعد رضي الله عنه ينظر. فجعل يقول: الضبر ضبر البلقاء، والطفْر طفْر أبي محجن، وأبو مِحْجَن في القَيْد!! فلما هزم العدوّ رجع أبو مِحْجَن حتى وضع رجله في القيد، فأخبرت بنتُ خَصَفَة سعداً بالذي كان من أمره؟ فقال: لا والله لا أحدُّ اليوم رجلاً أبلى الله المسلمين على (يده) ما أبلاهم. قال: فخلّى سبيله. فقال أبو محجن رضي الله عنه: لقد كنت أشربها إذ كان يقام عليّ الحدّ وأطهَّر منها؛ فأما إذ بَهْرَجتني فوالله لا أشربها (أبداً). وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة بهذا السند، وفيها: أنهم ظنّوه مَلَكاً من الملائكة. ومن طريقه أخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (4/ 187).

وذكره سيف في «الفتوح» وساق القصة مطوَّله، وزاد في الشعر أبياتاً أخرى؛ وفي القصة: فقاتل قتالاً عظيماً، وكان يُكبِّر ويحمل فلا

يقف بين يديه أحد، وكان يقصِف الناس قصفاً منكراً؛ فعجب الناس منه وهم لا يعرفونه. كذا في «الإصابة».

* * *

شجاعة عمّار بن ياسر
رضي الله عنه

أخرج الحاكم (3/ 385)، وأخرجه أيضاً ابن سعد (3/ 181) مثله عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت عمَّار بن ياسر رضي الله عنه يوم اليمامة على صخرة، وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين، أمِنَ الجنة تفرُّون؟! أنا عمار بن ياسر أمِن الجنة تفرون؟! أنا عمار بن ياسر؛ هلمّ إليّ. وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت فهي تذبذب وهو يقاتل أشدّ القتال.

وأخرج أيضاً (3/ 394) عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي رضي الله عنه قال: شهدنا صِفّين مع علي رضي الله عنه وقد وَكَلنا (به) رجلين. فإذا كان من القوم غفلة حمل عليهم، فلا يرجع حتى يخضب سيفَه دماً؛ فقال: أعذروني، فوالله ما رجعت حتى نبا عليَّ سيفي. قال: ورأيت عمَّاراً وهاشم بن عتبة رضي الله عنهما وهو يسعى بين الصفَّين. فقال عمار رضي الله عنه: يا هاشم، هذا والله ليخلفنّ أمره وليخذلنّ جنده. ثم قال: يا هاشم الجنة تحت الأبارقة، اليوم ألقى الأحبَّة: محمداً وحزبه. يا هاشم أعور، ولا خير في أعور لا يغشى البأس. قال: فهزّ هاشم رضي الله عنه الراية وقال:

أَعْورُ يبغي أهلُه مَحلاّ
قد عَالج الحياةَ حتى ملاّ

لا بـــدّ أن يَـــفـــلّ، أو يُـــفَـــلاًّ!

قال: ثم أخذ في وادٍ من أودية صِفِّين. قال أبو عبد الرحمن: ورأيت أصحاب محمد ﷺ يتبعون عماراً رضي الله عنه كأنه لهم عَلَمٌ.

وأخرجه ابن جرير أيضاً، كما في «البداية» (7/ 270)، وفي حديثه قال: ورأيت عماراً رضي الله عنه لا يأخذ وادياً من أودية صِفِّين إلا اتَّبعه من كان هناك من أصحاب رسول الله ﷺ، ورأيته جاء إلى هاشم بن عتبة ـ وهو صاحب راية علي رضي الله عنه ـ فقال: يا هاشم تقدَّم، الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسنّة، وقد فتحت أبواب الجنة، وتزيّنت الحور العين، اليوم ألقى الأحبّة، محمداً وحزبه. ثم حملا هو وهاشم، فقُتلا ـ رحمهما الله تعالى ـ. قال: وحمل حينئذٍ علي وأصحابه رضي الله عنهم على أهل الشام حملة رجل واحد، كأنهما كانا ـ يعني عماراً وهاشماً رضي الله عنهما ـ علماً لهم. وأخرجه أيضاً الطبراني، وأبو يعلى ـ بطوله؛ والإمام أحمد باختصار. قال الهيثمي (7/ 241): رجال أحمد، وأبي يَعْلى ثقات.

* * *

شجاعة عَمْرو بن مَعْدِ يكرب الزُّبيديّ رضي الله تعالى عنه

أخرج ابن عائذ في «المغازي» عن مالك بن عبد الله الخثعمي رضي الله عنه قال: ما رأيت أشرف من رجل برز يوم اليرموك، فخرج إليه عِلْج، فقتله. ثم آخر، فقتله. ثم آخر، فقتله. ثم انهزموا وتبعهم. ثم انصرف إلى خِباء له عظيم، فنزل ودعا بالجِفان، ودعا من حوله فقلت: من هذا؟ قال: عمرو بن معدِ يكرب رضي الله عنه.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن عائذ، وابن السَّكَن، وسيف بن عمر، والطبراني وغيرهم - بسند صحيح - عن قيس بن أبي حازم رضي الله عنه قال: شهدت القادسية فكان سعد رضي الله عنه على الناس، فجعل عمرو بن معدِ يكرب يمرّ على الصفوف ويقول: يا معشر المهاجرين، كونوا أسوداً أشدّاء، فإن الفارسيَّ إذا ألقى رمحه يئس، فرماه أُسْوار من الأساورة بنُشّابة، فأصب سِيَة قوسه فحمل عليه عمرو فطعنه فدقَّ صُلبه، ونزل إليه فأخذ سَلَبه.

وأخرجه ابن عساكر من وجه آخر أطول من هذا، وفي آخرها: إذا جاءته نُشّابة فأصابت قَرَبوس سرجه، فحمل على صاحبها فأخذه كما تؤخذ الجارية، فوضعه بين الصفَّين، ثم احتزّ رأسه وقال: اصنعوا هكذا.

وروى الواقدي من طريق عيسى الخياط قال: حمل عمرو بن معدِ يكرب رضي الله عنه يوم القادسية وحده، فضرب فيهم، ثم لحقه المسلمون، وقد أحدقوا به وهو يضرب فيهم بسيفه، فنَحَّوْهم عنه.

وأخرج الطبراني عن محمد بن سلَّام الجُمَحيّ رضي الله عنه قال: كتب عمر إلى سعد - رضي الله عنهما -: إني أمددتك بألفَي رجل: عمرِو بن معدِ يكرب، وطليحةَ بن خويلد.

وأخرج الدَّوْلابي، عن أبي صالح بن الوجيه رضي الله عنه قال: في سنة إحدى وعشرين كانت وقعة نهاوند، فقتل النعمان بن مُقَرِّن، ثم انهزم المسلمون، وقاتل عمرو بن معدِ يكرب رضي الله عنه يومئذٍ حتى كان الفتح، فأثبتته الجراحة، فمات بقرية روذة. كذا في «الإِصابة» (3/ 18).

* * *

شجاعة عبدِ الله بنِ الزُّبير
رضي الله عنهما

أخرج الطبراني عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: لما مات معاوية رضي الله عنه تثاقل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما عن طاعة يزيدَ بن معاوية، وأظهر شتمه، فبلغ ذلك يزيد، فأقسم لا يُؤتى به إلا مغلولاً وإلا أرسل إليه. فقيل لابن الزبير: ألا نصنع لك أغلالاً من فضة تلبس عليها الثوب، وتُبِرّ قَسَمه؛ فالصلح أجمل بك. قال: فلا أبرَّ الله قَسَمه، ثم قال:

ولا ألينُ لغيرِ الحقِّ أسألُه

حتى يلينَ لضرسِ الماضغِ الحَجَرُ

ثم قال: والله لضربةٌ بسيف في عز أحب إليّ من ضربة بسَوْط في ذل. ثم دعا إلى نفسه وأظهر الخلاف ليزيد بن معاوية. فوجَّه إليه يزيد بن معاوية مُسْلِم بن عُقبة المُرِّي في جيش أهل الشام، وأمره بقتال أهل المدينة، فإذا فرغ من ذلك سار إلى مكة.

قال: فدخل مسلم بن عقبة المدينة، وهرب منه يومئذٍ بقايا أصحاب رسول الله ﷺ، وعَبَث فيها وأسرف في القتل، ثم خرج منها. فلما كان ببعض الطريق مات، واستخلف حُصَين بن نُمير الكندي وقال: يا بن بَرْذَعة الحمار أحذر خدائع قريش، ولا تعاملهم إلا بالثِّقاف ثم بالقطاف. فمضى حصين حتى ورد مكة، فقاتل بها ابن الزبير رضي الله عنهما أياماً ـ فذكر الحديث، وفيه: قال: وبلغ حصين بن نمير موتُ يزيدَ بن معاوية، فهرب حُصَين بن نمير. فلما مات يزيد بن معاوية دعا مروان بن الحكم إلى نفسه ـ فذكر الحديث، وفيه: ثم مات مروان ودعا

عبد الملك لنفسه، وقام فأجابه أهل الشام، فخطب على المنبر وقال: من لابن الزبير منكم؟ فقال الحجاج: أنا يا أمير المؤمنين. فأسكته، ثم عاد فأسكته، ثم عاد فقال: أنا يا أمير المؤمنين! (فإني) رأيت في النوم أني انتزعت جبته فلبستها. فعقد له (ووجهه) في الجيش إلى مكة حتى قدمها على ابن الزبير رضي الله عنهما، فقاتله بها. فقال ابن الزبير رضي الله عنهما لأهل مكة: احفظوا هذين الجبلين فإنكم لن تزالوا بخير أعزّة ما لم يظهروا عليهما، فلم يلبثوا أن ظهر الحجّاج ومن معه على «أبي قُبَيس»، ونصب عليه المنجنيق؛ فكان يرمي به ابن الزبير ومن معه ـ رضي الله عنهم ـ في المسجد.

فلما كان الغداة ـ التي قُتل فيها ابن الزبير ـ دخل ابن الزبير على أمه أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنها ـ، وهي يومئذٍ ابنة مائة سنة لم يسقط لها سن ولم يفقد لها بصر ـ فقالت لابنها: ـ يا عبد الله ما فعلت في حربك؟ قال: بلغوا مكان كذا وكذا. وضحك ابن الزبير رضي الله عنهما فقال: إن في الموت لراحة. قالت: يا بني لعلَّك تتمنّاه لي؟ ما أحبّ أن أموت حتى آتي على أحد طرفيك، إمّا أن تملك فتَقَرّ بذلك عيني، وإما أن تقتل فأحتسبَك. قال: ثم ودَّعها، قالت له: يا بني إياك أن تُعطي خصلة من دينك مخافة القتل.

وخرج عنها ودخل المسجد، وقد جعل مصراعين على الحجر الأسود يتقي بهما أن يصيبه المنجنيق، وأتى ابن الزبير رضي الله عنهما آتٍ وهو جالس عند الحجر الأسود، فقال (له): ألا نفتح لك باب الكعبة فتصعد فيها؟ فنظر إليه عبد الله ثم قال له: من كل شيء تحفظ أخاك إلا من نفسه ـ يعني أجله ـ، وهل للكعبة حرمة ليست لهذا المكان؟ والله لو وجدوكم متعلّقين بأستار الكعبة لقتلوكم. فقيل له: ألا

تكلِّمهم في الصلح؟ قال: أوَحين صُلْحٍ هذا؟ والله لو وجدوكم فيها لذبحوكم جميعاً، وأنشد يقول:

ولستُ بمبتاعِ الحياةِ بسُبَّةٍ

ولا مُرْتَقٍ مِنْ خشيةِ الموتِ سُلَّما

أنافسُ سهماً إنه غير بارحٍ

ملاقي المنايا أيَّ حرف تيمَّما

ثم أقبل على آل الزبير يعظهم ويقول: ليُكِنَّ أحدكم سيفه كما يُكِنُّ وجهه، لا ينكسر (سيفه) فيدفع عن نفسه بيده كأنه امرأة، والله ما لقيت زحفاً قط إلا في الرعيل الأول، ولا أَلِمتُ جرحاً قط إلا أنْ آلم الدواء. قال: فبينما هم كذلك إذ دخل عليهم (قوم) من باب بني جُمَح فيهم أسْوَد. قال: من هؤلاء؟ قيل: أهل حمص، فحمل عليهم ومعه سيفان، فأول من لقيه الأسود، فضربه بسيفه حتى أطنّ رجله، فقال له الأسود: أخْ يا بن الزانية؟ فقال له ابن الزبير رضي الله عنهما: اخسأ يا بن حام، أسماء زانية!؟ ثم أخرجهم من المسجد، وانصرف. فإذا قوم قد دخلوا من باب بني سَهْم، فقال: من هؤلاء قيل: أهل الأردن، فحمل عليهم وهو يقول:

لا عهدَ لي بغارةٍ مثلِ السَّيلْ

لا ينجلي غبارها حتى الليل

فأخرجهم من المسجد، فإذا بقوم قد دخلوا من باب بني مخزوم، فحمل عليهم وهو يقول:

لو كان قِرْني واحداً كفيته

قال: وعلى ظهر المسجد من أعوانه من يرمي عدوّه بالآجر وغيره،

فحمل عليهم، فأصابته آجرة في مفرقه حتى فَلَقت رأسه: فوقف وهو يقول:

ولسنا على الأعقابِ تُدمى كُلومنا

ولكنْ على أقدامِنا تَقْطُر الدِّما

قال: ثم وقع فأكبَّ عليه مَوْلَيان له، وهما يقولان:

العَبْدُ يحمي ربَّه ويحتمي

قال: ثم سِير إليه، فحُزّ رأسه. قال الهيثمي (7/ 255): رواه الطبراني وفيه: عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري وثّقه ابن حِبّان وغيره، وضعفّه أبو زُرعة وغيره. انتهى. وأخرجه أيضاً ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» (2/ 203) ـ مطوّلاً؛ وأبو نُعيم في «الحلية» (1/ 331) ـ بنحوه مختصراً؛ (والحاكم في «المستدرك» (3/ 550) ـ قطعة من أوله.

وأخرج أبو نعيم، والطبراني أيضاً عن (إسحاق بن) أبي إسحاق قال: أنا حاضر قتل ابنِ الزبير رضي الله عنهما يوم قتل في المسجد الحرام، جعلت الجيوش تدخل من باب المسجد، فكلما دخل قوم من باب حمل عليهم وحده حتى يخرجهم، فبينا هو على تلك الحال إذ جاءت شُرفة من شرفات المسجد فوقعت على رأسه فصرعته، وهو يتمثل بهذه الأبيات:

أسماءُ إن قُتلتُ لا تبكيني

لم يبقَ إلا حَسَبي وديني

وصارمٌ لانَتْ به يميني

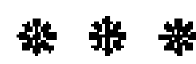
قال الهيثمي (7/ 256): رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم.

* * *

الإِنكار على مَن فرَّ في سبيل الله

أخرج الحاكم (3/ 42) عن أم سَلَمة رضي الله عنها أنها قالت لامرأة سَلَمة بن هشام بن المغيرة: ما لي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله ﷺ ومع المسلمين؟ قالت: والله ما يستطيع أن يخرج، كلما خرج صاح به الناس: يا فُرّار، أفررتم في سبيل الله عزّ وجلّ؟! حتى قعد في بيته فما يخرج، وكان في غزوة مؤتة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه. قال الحاكم ـ ووافقه الذهبي ـ هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرِّجاه. وأخرجه ابن إسحاق مثله؛ كما في «البداية» (4/ 249).

وأخرج الحاكم (3/ 42) من طريق الواقدي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لقد كان بيني وبين ابن عم لي كلام، فقال: إلَّا فرارك يوم مؤتة. فما دَرَيت أيّ شيء أقول له.



الندامة والجزع من الفرار

أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنت في سريّة من سرايا رسول الله ﷺ، فحاص الناس حَيْصة، وكنت فيمن حاص، فقلنا: كيف نصنع؛ وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟! ثم قلنا: لو دخلنا المدينة ثم بتنا. ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا توبة وإلَّا ذهبنا، فأتيناه قبل صلاة الغداة؛ فخرج، فقال: من القوم؟ قال: قلنا: نحن فرّارون. فقال: «لا، بل أنتم الكرّارون، أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين». قال: وأتيناه حتى قبَّلنا يده.

وعنده أيضاً عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سريّة. فلما لقينا العدوّ انهزمنا في أول غادِية، فقدمنا المدينة في نفر ليلاً فاختفينا، ثم قلنا: لو خرجنا إلى رسول الله ﷺ واعتذرنا إليه، فخرجنا إليه ثم التقيناه، فقلنا: نحن الفرّارون يا رسول الله، فقال: «بل أنتم العكّارون وأنا فئتكم». قال الأسود: «وأنا فئة كل مسلم». كذا في «البداية» (4/ 248).

وأخرجه البيهقي (9/ 77) عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بمعناه، وفي حديثه: فقلنا: نحن الفرّارون يا رسول الله فقال: «بل أنتم العكّارون». فقلنا: يا نبي الله، أردنا أن لا ندخل المدينة، وأن نركب البحر. قال: «لا تفعلوا، فإني فئة كل مسلم». وأخرجه أيضاً أبو داود، والترمذي: وحسّنه، وابن ماجه ـ بنحو رواية الإمام أحمد، كما في التفسير لابن كثير (2/ 294)؛ وابن سعد (4/ 107) بنحوه.

وأخرج ابن جرير (4/ 70) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قدم عبد الله بن زيد رضي الله عنه، فنادى: الخبر يا عبد الله بن زيد؟ وهو داخل المسجد، وهو يمرّ على باب حجرتي، فقال: ما عندك يا عبد الله بن زيد؟ قال: أتاك الخبر يا أمير المؤمنين. فلما انتهى إليه أخبره خبر الناس، فما سمعت برجل حضر أمراً فحدَّث عنه كان أثبت خبراً منه. فلما قدم فَلُّ الناس. ورأى عمر رضي الله عنه جزع المسلمين من المهاجرين والأنصار من الفِرار، قال: لا تجزعوا يا معشر المسلمين، أنا فئتكم إنما انحزتم إليّ.

وأخرج ابن جرير أيضاً (4/ 70): عن محمد بن عبد الرحمن بن الحصين وغيره: أنَّ معاذاً القاري رضي الله عنه أخا بني النجار كان ممن شهدها ففرّ يومئذٍ ـ أي يوم وقعة جسر أبي عبيد ـ، فكان إذا قرأ هذه

الآيــة: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: 16]؛ بكى. فيقول له عمر رضي الله عنه: لا تبكِ يا معاذ، أنا فئتك، وإنما انحَزت إليّ.

وأخرج ابن سعد (3/ 300) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى رضي الله عنه قال: قال عمر بن الخطاب لسعد بن عبيد رضي الله عنهما ـ قال: وكان رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان انهزم يوم أصيب أبو عبيد، وكان يسمى «القاري» ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ يُسمّى القاري غيره ـ قال: فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هل لك في الشام؟ فإن المسلمين قد نزفوا به، وإن العدوّ قد ذئروا عليهم، ولعلك تغسل عنك الهنيهة. قال: لا، إلا الأرض التي فررت منها، والعدوّ الذين صنعوا بي ما صنعوا. قال: فجاء إلى القادسية فقُتل.

* * *

تجهيز من خرج في سبيل الله وإعانته

أخرج الإمام أحمد والطبراني عن جبلة ـ يعني ابن حارثة رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ كان إذا لم يغزُ أعطى سلاحه علياً أو أُسامة رضي الله عنهما. قال الهيثمي (5/ 283): ورجال أحمد ثقات.

وأخرج أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن فتى من أَسْلَمَ قال: يا رسول الله إني أُريد الجهاد، وليس لي مال أتجهّز به. قال: «اذهب إلى فلان الأنصاري، فإنه قد تجهّز فمرض، فقُلْ له: إن رسول الله يقرئك السلام، وقل له: ادفع إليَّ ما تجهّزتَ به». فأتاه فقال

له ذلك، فقال لامرأته: يا فلانة ادفعي إليه، ما جهّزتني به ولا تحبسي منه شيئاً، فوالله لا تحبسين منه شيئاً؛ فيبارَكَ لك فيه. وأخرجه مسلم (2/ 137 برقم 1894)، والبيهقي (9/ 28) أيضاً عن أنس رضي الله عنه ـ بنحوه.

وأخرج مسلم (2/ 137 برقم 1894) عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أُبْدِعَ بي فاحملني. فقال: «ما عندي». فقال رجل: يا رسول الله، أنا أدلّه على من يحمله. فقال رسول الله ﷺ: «من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله». وأخرجه البيهقي (9/ 28) عن أبي مسعود رضي الله عنه ـ بنحوه.

وأخرج البيهقي (9/ 172)؛ والحاكم (2/ 90) وصحّحه، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه أراد أن يغزو: فقال: «يا معشر المهاجرين والأنصار، إن من إخوانكم قوماً ليس لهم مال ولا عشيرة فَلْيَضُمَّ أحدكم إليه الرجلين أو الثلاثة» (قال): فما لأحدنا من ظهر (جمله) إلا عُقبة كعقبة أحدهم. قال: فضممت إليّ اثنين أو ثلاثة ما لي عُقْبة إلا كعقبة أحدهم.

وأخرج البيهقي أيضاً (9/ 28) عن واثِلة بن الأَسْقَع رضي الله عنه قال: نادى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فخرجت إلى أهلي وأقبلت؛ وقد خرج أول صحابة رسول الله ﷺ، فطفقت في المدينة أنادي: ألا من يحمل رجلاً له سهمه؟ فنادى شيخ من الأنصار قال: لنا سهمه على أن نحمله عقبة وطعامه معنا. قلت: نعم. قال: فسِرْ على بركة الله. فخرجت مع خير صاحب حتى أفاء الله علينا، فأصابني قلائص فسقتهن حتى أتيته. فخرج فقعد على حقيبة من حقائب إبله، ثم قال: سقهن مُدْبرات، ثم قال: سقهن مُقْبلات. فقال: ما أرى قلائصَك إلا كراماً!!

قال: إنما هي غنيمتك التي شرطت. قال: خذ قلائصك ابن أخي! فغيرَ سهمك أردنا. قال البيهقي: يشبه أن يكون أراد أنا لم نقصد بما فعلنا الإِجارة، وإنما قصدنا الاشتراك في الأجر والثواب.

وأخرج الطبراني عن عبد الله رضي الله عنه قال: أن أمتِّعَ بسوط في سبيل الله أحبّ إليّ من أن أحج حَجَّه بعد حَجّة. قال الهيثمي (5/ 284): رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

* * *

الجهاد بالأجر

أخرج الطبراني عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ في سريَّة، فقال رجل: أخرج معك على أن تجعل لي سهماً من المغنم، ثم قال: والله ما أدري أتغنمون أم لا؟ ولن أجعل لي سهماً معلوماً. فجعلت له ثلاثة دنانير، فغزونا، فأصبنا مغنماً، فسألت النبي ﷺ عن ذلك. فقال له النبي ﷺ: «ما أجد له في الدنيا والآخرة إلا دنانيره هذه الثلاثة التي أخذها». قال الهيثمي (5/ 323): وفيه بقيَّة، وقد صرح بالسماع. انتهى.

وأخرج البيهقي (6/ 331) عن عبد الله بن الديلمي: أن يعلى بن مُنْيَة رضي الله عنه قال: أذَّن رسول الله ﷺ بالغزو ـ وأنا شيخ كبير ليس لي خادم ـ، فالتمست أجيراً وأُجري له سهمه؛ فوجدت رجلاً. فلما دنا الرحيل أتاني فقال: ما أدري ما السُّهمان؟ وما يبلغ سهمي؟ فسمِّ لي شيئاً كان السهم أو لم يكن، فسمّيت له ثلاثة دنانير. فلما حضرت غنيمة أردت أن أُجري له سهمه؛ فذكرت الدنانير؛ فجئت النبي ﷺ فذكرت له

أمره. فقال: «ما أجد له في غزوته هذه في الدنيا ـ أظنّه قال: والآخرة إلا دنانيره التي سَمَّى».

* * *

فيمن يغزو بمال غيره

أخرج الطبراني عن ميمونة بنت سعد رضي الله عنهما أنها قالت: أفتنا يا رسول الله عمَّن لم يغزُ وأعطى ماله يُغْزَى عليه، فله أجر أم للمنطلق؟ قال: له أجر مالِه وللمنطلق أجر ما احتسب من ذلك». قال: الهيثمي (5/ 323): وفيه من لم أعرفهم..

* * *

البَدَلُ في البعث

أخرج البيهقي وغيره عن علي بن أبي ربيعة الأسديّ رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بابن له بدلاً من بعث، فقال علي رضي الله عنه: لَرَأيُ شيخ أحب إليّ من مشهد شاب. كذا في «الكنز» (3/ 164).

* * *

الإِنكار على من سأل الناس للخروج في سبيل الله

أخرج البيهقي عن نافع قال: دخل شاب قويّ في المسجد وفي يده مشاقص، وهو يقول: من يعينني في سبيل الله؟ فدعا به عمر رضي الله

عنه، فأُتِي به. فقال: من يستأجر مني هذا يعمل في أرضه؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا أمير المؤمنين، بكم تأجره كل شهر؟ قال: بكذا وكذا. قال: خذه فانطلق به. فعمل في أرض الرجل أشهراً، ثم قال عمر رضي الله عنه للرجل: ما فعل أجيرنا؟ قال: صالحٌ يا أمير المؤمنين، قال: ائتني به وبما اجتمع له من الأجر. فجاء به وبصُرّة من دراهم. فقال: خذ هذه، فإن شئت فالآن اغزُ وإن شئت فاجلس. كذا في «الكنز» (2/ 217).

* * *

القرض للجهاد

أخرج أبو يعلى [برقم 5396] عن عبيد الله بن عبد الله (عن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل فقال: هل سمعت رسول الله ﷺ يقول في الخيل شيئاً؟ قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة. اشتروا على الله واستقرضوا على الله». قيل: يا رسول الله، كيف نشتري على الله ونستقرض على الله؟ قال: «قولوا: أقرضنا إلى مقاسمنا، وبِعْنا إلى أن يفتح الله (لنا)، لا تزالون بخير ما دام جهادكم خَضِراً، وسيكون في آخر الزمان قوم يشكُّون في الجهاد؛ فجاهدوا في زمانهم، ثم اغزوا فإن الغزو يومئذٍ خَضِر». قال الهيثمي (5/ 208): وفيه بَقِيَّة وهو مدلِّس، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

* * *

تشييعُ المجاهد في سبيل الله وتوديعه

أخرج الحاكم (2/ 98) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مشى

معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغَرْقد حين وجههم، ثم قال: «انطلقوا على اسم الله، اللهمَّ أعنهم». قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. وأخرج أيضاً (2/ 97) عن محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه قال: دُعي عبد الله بن يزيد إلى طعام، فلما جاء قال: كان رسول الله ﷺ إذا ودّع جيشاً قال: «أستودعُ الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم».

وأخرج ابن عساكر من طريق سيف عن الحسن رضي الله عنه ـ فذكر الحديث في تنفيذ جيش أسامة رضي الله عنه، وفيه: ثم خرج أبو بكر رضي الله عنه حتى أتاهم، فأشخصهم وشيّعهم وهو ماشٍ، وأسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر ـ رضي الله عنهم ـ، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله ﷺ، لتركبن أو لأنزلنّ. فقال: والله لا تنزل، ووالله لا أركب، وما عليّ أن أغبر قدميّ ساعة في سبيل الله! فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، وسبعمائة درجة ترفع له، وتمحى عنه سبعمائة خطيئة. حتى إذا انتهى قال له: إن رأيتَ أن تعينني بعمر بن الخطاب فافعل؟ فأذن له. كذا في «كنز العمال» (5/ 314).

وأخرج مالك عن يحيى بن سعيد أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ بعث جيوشاً إلى الشام، فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكان أمير رُبْع من تلك الأرباع، فزعموا أنّ يزيد قال لأبي بكر: إما أن تركب وإما أن أنزل، فقال أبو بكر: ما أنت بنازل وما أنا براكب، إنِّي أحتسب خطاي هذه في سبيل الله ـ فذكر الحديث. وأخرجه البيهقي عن صالح بن كَيْسان ـ بنحوه، كما في «الكنز» (2/ 295).

وأخرج البيهقي (9/ 173): عن جابر البرعيني أن أبا بكر الصديق ـ

رضي الله عنه ـ شيّع جيشاً، فمشى معهم فقال: الحمد لله الذي اغبرت أقدامنا في سبيل الله!! فقيل له: وكيف اغبرت وإنما شيّعناهم؟ فقال: إنما جهّزناهم وشيّعناهم ودَعَوْنا لهم. وأخرجه ابن أبي شيبة ـ بنحوه، كما في «الكنز» (2/ 288). وأخرجه ابن أبي شيبة عن قيس نحو حديث مالك مختصراً.

وأخرج البيهقي (9/ 173) عن مجاهد قال: خرجت إلى الغزو فشيَّعنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فلما أراد فراقنا قال: إنه ليس معي ما أعطيكماه، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله إذا استُودع شيئاً حفظه، وأنا أستودع الله دينكما وأمانتكما وخواتيم أعمالكما».

* * *

استقبال الغزاة

أخرج أبو داود عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة من غزوة تبوك تلقّاه الناس، فلقيته مع الصبيان على ثنيَّة الوداع.

وأخرجه البيهقي (9/ 175) عن السائب رضي الله عنه قال: لما قدم النبي ﷺ من تبوك خرج الناس يلتقّونه إلى ثنيَّة الوداع. فخرجت مع الناس وأنا غلام، فتلقّيناه.

* * *

الخروج في سبيل الله في رمضان

أخرج الترمذي عن عمر رضي الله عنه قال: غزونا مع النبي ﷺ في رمضان يوم بدر، ويوم الفتح ـ الحديث. كذا في «الفتح» (4/ 131).

وأخرجه أيضاً ابن سعد، والإمام أحمد عن عمر رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوتين في رمضان: يوم بدر، ويوم الفتح، فأفطرنا فيهما. وهو حسن. كذا في «الكنز» (4/ 329).

وعند الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر، وكان المهاجرون يوم بدر ستة وسبعين، وكان هزيمة أهل بدر لسبع عشرة مضين من شهر رمضان يوم الجمعة. كذا في «البداية» (3/ 269).

وأخرجه البزّار [برقم 1783] أيضاً إلا أنه قال: ثلاثمائة وبضعة عشر؛ وقال: وكانت الأنصار مائتين وستاً وثلاثين، وكان لواء المهاجرين مع علي رضي الله عنه. قال الهيثمي (6/ 93): رواه الطبراني كذلك، وفيه الحجَّاج بن أرْطأة وهو مدلِّس. انتهى.

وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره، واستخلف على المدينة أبا رُهْمٍ كلثومَ بن حُصَين بن عتبة بنِ خَلَف الغِفاري رضي الله عنه، وخرج لعشر مَضين من شهر رمضان، فصام وصام الناس معه حتى إذا كان بالكُدَيد ـ (ماء) بين عُسْفان وأمَج ـ أفطر، ثم مضى حتى نزل مَرّ الظهران في عشرة آلاف من

المسلمين. وروى البخاري ـ نحوه. كذا في «البداية» (4/ 285). وأخرجه الطبراني ـ مثله في حديث طويل. قال الهيثمي (6/ 167): رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وعند عبد الرزاق، وابن أبي شَيْبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ عام الفتح في شهر رمضان، فصام حتى بلغ الكُدَيد.

وعند عبد الرزاق [برقم 4473] أيضاً عنه قال: خرج رسول الله ﷺ عام الفتح في شهر رمضان، فصام حتى مرّ بقُدَيد في الطريق، وذلك في نحو الظهيرة، فعطش الناس، وجعلوا يمدّون أعناقهم وتتوق أنفسهم إليه. فدعا رسول الله ﷺ بقَدَح فيه ماء، فأمسكه على يده حتى رآه الناس، ثم شرب فشرب الناس. كذا في «كنز العمال» (4/ 330). وأخرج الحديث أيضاً مسلم، والترمذي، والنسائي، ومالك من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما، كما في «جمع الفوائد» (1/ 159).

* * *

كتابة اسم من خرج في سبيل الله

أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يخلونَّ رجل بامرأة، ولا تسافرنَّ إمرأة إلا ومعها مَحْرم». فقام رجل فقال: يا رسول الله ﷺ اكتتبت في غزوة كذا وكذا، وخرجت امرأتي حاجَّة. قال: «اذهب فاحجُجْ مع امرأتك».

* * *

الصلاة والطعام عند القدوم

أخرج البخاري عن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر ضُحًى دخل المسجد، فصلّى ركعتين قبل أن يجلس.

وأخرج أيضاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فلما قدمنا المدينة قال لي: «ادخل المسجد فصلّ ركعتين».

وأخرج أيضاً عنه قال: إن رسول الله لما قدم المدينة نحر جزوراً أو بقرة.

زاد مُعاذ عن شعبة عن محارب سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: اشترى منّي النبي ﷺ بعيراً بأُوقيتين ودرهم أو درهمين، فلما قدم صِراراً أمر ببقرة فذُبحت، فأكلوا منها. فلما قدم المدينة أمرني أن آتي المسجد فأصلّي ركعتين، ووزن لي ثمن البعير.

* * *

خروجُ النساء في الجهاد في سبيل الله

أخرج ابن إسحاق عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرَع بين نسائه، فأيتهنّ خرج سهمها خرج بها معه. فلما كان غزوة بني المُصطَلِق أقرع بين نسائه، كما (كان) يصنع، فخرج سهمي عليهنَّ معه؛ فخرج بي رسول الله ﷺ. قالت: وكان النساء إذ ذاك (إنَّما) يأكلن العُلَق لم يُهَبِّجْهُنَّ اللحم فيَثْقُلْن؛ وكنت إذ رُحِلَ (لي) بعيري جلست في هودجي؛ ثم يأتي القوم الذين كانوا يُرَحِّلون لي فيحملونني ويأخذون بأسفل الهودج، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير فيشدُّون بحباله، ثم يأخذون برأس البعير فينطلقون به.

قالت: فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وجَّه قافلاً، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل، ثم أذَّن مؤذن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس، وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عِقْدٌ لي فيه جَزْع ظفار. فلما فرغت انسلَّ من عنقي ولا أدري. فلما رجعت إلى الرَّحْل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده ـ وقد أخذ الناس في الرحيل ـ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته، وجاء القوم خِلافي الذين كانوا يُرَحِّلون لي البعير، وقد كانوا فرغوا من رَحْلته، فأخذوا الهودج وهم يظنُّون أنّي فيه كما كنت أصنع، فاحتملوه فشدّوه على البعير ولم يشكُّوا أنّي فيه، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به؛ فرجعت إلى العسكر وما فيه (من) داع ولا مجيب، قد انطلق الناس.

قالت: فتلففت بجلبابي، ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو افتُقدت لرجع الناس إليّ.

قالت: فوالله إني لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المُعَطّل السُلَميّ، وكان قد تخلَّف عن العسكر لبعض حاجاته، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادي، فأقبل حتى وقف عليّ ـ وقد كان يراني قبل أن يُضرب علينا الحجاب ـ فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ظعينة رسول الله ﷺ!! وأنا متلففة في ثيابي. قال: ما خلّفك ـ يرحمك الله؟ ـ قالت: فما كلمته، ثم قرَّب إليَّ البعير، فقال: اركبي. واستأخر عني. قالت: فركبت، وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس وما افتُقدت حتى أصبحت، ونزل الناس، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي، فقال أهل الإفك ما قالوا، فارتعج العسكر، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك.

ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة لا يبلغني من ذلك شيء؛ وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبويَّ لا يذكرون لي منه قليلاً ولا كثيراً؛ إلا أنّي قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي، كنت إذ اشتكيت رحمني ولطف بي، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك، فأنكرت ذلك منه. كان إذ دخل (عليَّ) وعندي أُمي تمرضني. قال: «كيف تيكم؟» لا يزيد على ذلك. قالت: حتى وجدت في نفسي فقلت: يا رسول الله ـ حين رأيت ما رأيت من جَفائه لي ـ لو أذنتَ لي فانتقلت إلى أُمي فمرضتني. قال: «لا عليك». قالت: فانقلبت إلى أُمي، ولا عِلْم لي بشيء مما كان، حتى نَقِهت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة.

وكنا قوماً عَرَباً لا نتخذ في بيوتنا هذه الكُنُف التي تتخذها الأعاجم

نعافها ونكرهها، إنما كنا نخرج في فُسَح المدينة، وإنما كانت النساء يخرجن في كل ليلة في حوائجهن. فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعي أم مِسْطَح ابنة أبي رُهْم بن المطَّلب. قالت: فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مِرْطها، فقالت: تعس مِسْطَح، قالت: فقلت: بئس - لعمر الله - ما قلت لرجل من المهاجرين وقد شهد بدراً!! قالت: أوَما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: وما الخبر؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك. قلت: أوَ قد كان هذا؟ قالت: نعم - والله - لقد كان. قالت: فوالله ما قدرت على أن أقضيَ حاجتي، ورجعت؛ فوالله ما زلت أبكي حتى ظننتُ أنَّ البكاء سيصدع كبدي. قالت: وقلت لأمِّي: يغفر الله لك! تحدَّث الناس بما تحدثوا به، ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً؟! قالت: أي بنية، خفِّفي عليك الشأن، فوالله لقلَّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبُّها لها ضرائر إلَّا كَثَّرن وكثَّر الناس عليها.

قالت: وقد قام رسول الله ﷺ فخطبهم - ولا أعلم بذلك - فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمتُ منهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل - والله - ما علمت منه إلَّا خيراً، ولا يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي». قالت: وكان كِبْر ذلك عند عبد الله بن أبيِّ بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مِسْطح وحَمْنة بنت جحش، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله ﷺ، ولم تكن امرأة من نسائه تناصيني في المنزلة عنده غيرها. فأما زينب فعصمها الله بدينها، فلم تقل إلا خيراً، وأما حمنة فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضادّني لأختها، فَشَقِيَتْ بذلك. فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة قال أسيد بن حضير رضي الله عنه: يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفِكَهم، وإن يكونوا

من أخواننا من الخزرج فمرنا أمرك، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم. قالت: فقام سعد بن عبادة ـ وكان قبل ذلك يُرَى رجلاً صالحاً ـ فقال: كذبت ـ لعمر الله ـ ما تُضرب أعناقهم، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا. فقال أسَيد بن حُضَير رضي الله عنه: كذبت ـ لعمر الله ـ ولكنَّك منافق تجادل عن المنافقين. قالت: وتساوَرَ الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيَّين من الأوس والخزرج شر.

ونزل رسول الله ﷺ فدخل عليَّ، فدعا علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد فاستشارهما، فأما أسامة فأثنى خيراً وقاله، ثم قال: يا رسول الله أهلك وما نعلم منهم إلا خيراً، وهذا الكذب والباطل. وأما علي فإنه قال: يا رسول الله إنَّ النساء لكثير، وإنَّك لقادر على أن تستخلف، وسَلِ الجارية فإنها ستصدقُك. فدعا رسول الله ﷺ بَرِيرَة يسألها. قالت: فقام إليها علي رضي الله عنه فضربها ضرباً شديداً، ويقول: اصدقي رسول الله ﷺ. قالت: فتقول: والله ما أعلم إلا خيراً، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أني كنت أعجن عجيني فآمرها أن تحفظه فتنام عنه، فتأتي الشاة فتأكله!!.

قالت: ثم دخل عليَّ رسول الله ﷺ، ـ وعندي أبواي، وعندي امرأة من الأنصار وأنا أبكي وهي تبكي ـ فجلس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يا عائشة، إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فاتَّقي الله، وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده». قالت: فوالله إنْ هو إلا أن قال لي ذلك، فقَلَص دمعي حتى ما أحسُّ منه شيئاً، وانتظرت أبويّ أن يجيبا عني رسول الله ﷺ فلم يتكلّما. قالت: وايْمُ الله، لأنا كنت أحقرَ في نفسي وأصغرَ شأناً من أن

يُنزِّل الله فيَّ قرآناً يُقرأ به ويُصلَّى به، ولكني كنت أرجو أن يرى النبي ﷺ في نومه شيئاً يكذِّب الله به عنِّي، لما يعلم من براءتي، ويخبر خبراً؛ وأما قرآناً يُنزَّل فيّ فوالله لنفسي كانت أحقرَ عندي من ذلك. قالت: فلما لم أرَ أبويَّ يتكلمان قلت لهما: ألا تجيبان رسول الله ﷺ؟ فقالا: والله ما ندري بما نجيبه. قالت: ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر رضي الله عنه في تلك الأيام. قالت: فلما استعجما عليّ استعبرت فبكيتُ، ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً. والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس، ـ والله يعلم أنِّي منه بريئة ـ، لأقولنّ ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدِّقونني! قالت: ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره. فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18]!!.

قالت: فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تَغَشَّاه من الله ما كان يتغشَّاه، فسُجِّي بثوبه، ووضعت وسادة من أَدَم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت وما باليت، قد عرفت أني بريئة، وأن الله غيرُ ظالمي، وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده ما سُرِّي عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجنَّ أنفسُهُما فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس.

قالت: ثم سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ فجلس وإنه ليتحدَّر من وجهه مثل الجُمان في يوم شاتٍ، فجعل يمسح العرق عن وجهه ويقول: «أبشري يا عائشة! قد أنزل الله عزّ وجلّ براءتك».

قالت: قلت: الحمد لله. ثم خرج إلى الناس، فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عزّ وجلّ من القرآن في ذلك، ثم أمر بمسطح بن أُثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش ـ وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ـ

فضُرِبوا حدّهم. وهذا الحديث مخرَّج في الصحيحين عن الزُّهري، وهذا السياق فيه فوائد جمة. كذا في «البداية» (4/ 160).

وأخرجه أيضاً الإمام أحمد ـ بطوله، وفي سياقه: قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله عزّ وجلّ، هو الذي أنزل براءتي. وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾ [النور: 11] ـ العشر الآيات كلّها.

فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر ـ وكان ينفق على مِسْطَح لقرابته منه وفقره ـ: والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة. فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النور: 22]. فقال أبو بكر رضي الله عنه: بلى ـ والله ـ إنِّي لأحبّ أن يغفر الله لي. فرجع إلى مِسْطح النفقة التي كان ينفق عليه؛ وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. كذا في «التفسير» لابن كثير (3/ 270). وأخرجه أيضاً الطبراني ـ مطوّلاً جداً؛ كما في «المجمع» (9/ 232).

وأخرج ابن إسحاق عن امرأة من بني غِفَار قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نِسوة من بني غِفَار، فقلنا: يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ـ وهو يسير إلى خيبر ـ، فنداوي الجرحى، ونعين المسلمين بما استطعنا. فقال: على بركة الله. قالت: فخرجنا معه. قالت: وكنت جارية حديثة السنّ، فأردفني رسول الله ﷺ (على) حقيبة رَحْله. قالت: فوالله لَنَزَل رسول الله ﷺ إلى الصبح (وأناخ) ونزلت عن حقيبة رَحْله. قالت: وإذا به دَمٌ مني، وكانت أولَ حَيْضةٍ حِضْتها. قالت: فتقبَّضْتُ إلى الناقة واستحيَيْت، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بي، ورأى الدم قال: «(ما لك) لعلَّك نفِست؟» قالت: قلت: نعم. قال:

«فأصلحي من نفسك، ثم خذي إناء من ماء، فاطرحي فيه مِلْحاً، ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودي لمركبك».

قالت: فلما فتح الله خيبر رضخ لنا من الفيء، وأخذ هذه القِلادة التي تَرَيْن في عنقي، فأعطانيها وعلّقها بيده في عنقي، فوالله لا تُفارقني أبداً؛ وكانت في عنقها حتى ماتت؛ ثم أوصت أن تُدفن معها. قالت: وكانت لا تَطَّهَّر من حيضها إلا جعلت في طهورها مِلْحاً، وأوصت به أن يجعل في غُسلها حين ماتت. وهكذا رواه الإِمام أحمد، وأبو داود من حديث ابن إسحاق. ورواه الواقدي بإسناده عن أمية بنت أبي الصّلْت رضي الله عنها. كذا في «البداية» (4/ 204).

وأخرج الإمام أحمد عن حُمَيد بن هلال قال: كان رجل من الطُّفاوَة طريقه علينا يأتي على الحيّ فيحدثهم. قال: أتيت المدينة في عِير لنا، فبعنا بضاعتنا، ثم قلت: لأنطلقنَّ إلى هذا الرجل فلآتين مَنْ بعدي بخبره. فانتهيت إلى رسول الله ﷺ فإذا هو يريني بيتاً. قال: «إنَّ إمرأة كانت فيه، فخرجت في سريّة من المسلمين وتركت اثنتي عشرة عنزة، وصيصتَها التي تنسج بها. قال: ففقدت عنزاً من غنمها وصيصتها. قالت: يا رب، قد ضَمِنتَ لمن خرج في سبيلك أن تحفظ عليه، وإنِّي قد فقدت عنزاً من غنمي وصيصتي، وإني أنشدك عنزي وصيصتي». قال: فجعل رسول الله ﷺ يذكر له شدَّة مناشدته لربها تبارك وتعالى. قال رسول الله ﷺ: «فأصبحت عنزها ومثلها وصيصتها ومثلها، وهاتيك فأتها، فاسألها إن شئت». قال: قلت: بل أصدّقك. قال الهيثمي (5/ 277): رواه الإِمام أحمد، ورجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ على ابنة مِلحان، فاتّكأ عندها ثم ضحك. فقالت: لم تضحك يا

رسول الله؟ فقال: «ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله، مَثَلُهم مَثَلُ الملوك على الأسِرَّة». فقالت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم. فقال: «اللهمَّ اجعلها منهم»، ثم عاد فضحك. فقالت له مثل ذلك ـ أم ممَّ ذلك؟ ـ فقال لها: مثل ذلك. فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم: «قال أنت من الأوَّلين، ولستِ من الآخرين». قال: قال أنس رضي الله عنه: فتزوَّجت عبادة بن الصامت، فركبت البحر مع بنت قَرَظَة. فلما قَفَلت ركبت دابتها، فوقصت بها فسقطت عنها فماتت.

* * *

خدمة النساء في الجهاد في سبيل الله

أخرج الطبراني عن أُم سُلَيم رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يغزو معه نسوة من الأنصار، فتسقي المرضى وتداوي الجرحى. قال الهيثمي (5/ 324): رجاله رجال الصحيح.

وأخرجه مسلم، والترمذي: وصحَّحه، عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بأُم سُلَيم رضي الله عنها ونِسوة معها من الأنصار، يسقين الماء، ويداوين الجرحى.

وأخرج البخاري عن الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ رضي الله عنها قالت: كنا مع النبي ﷺ نسقي، ونداوي الجرجى، ونرد القتلى. وعنده أيضاً عنها قالت: كنا نغزو مع النبي ﷺ فنسقي القوم، ونخدمهم، ونردّ القتلى الجرحى إلى المدينة، وأخرجه أيضاً الإمام أحمد كما في «المنتقى».

وأخرج الإمام أحمد، ومسلم وابن ماجه عن أمّ عطيّة الأنصارية رضي الله عنها قالت: غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، أخلُفهم في رحالهم، وأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على الزَّمْنى. كذا في «المنتقى».

وأخرج الطبراني عن ليلى الغِفارية رضي الله عنها قالت: كنت أخرج مع رسول الله ﷺ أداوي الجرحى. قال الهيثمي (5/ 324): وفيه القاسم بن محمد بن أبي شيبة وهو ضعيف. انتهى.

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم أُحد انهزم الناس عن النبي ﷺ. قال: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأمُ سُلَيم رضي الله عنهما وإنهما لمشمِّرتان، أرى خَدَم سوقهما، تنقزان القرب. وقال غيره: تنقلان القرب على متونهما ثم تُفرغانها في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم. وأخرجه أيضاً مسلم، والبيهقي (9/ 30): عن أنس رضي الله عنه ـ بنحوه.

وأخرج البخاري عن ثعلبة بن أبي مليك رضي الله عنه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطاً بين نساء من نساء المدينة، فبقي مِرْط جيّد، فقال له بعض من عندَه: يا أمير المؤمنين، أعطِ هذا ابنة رسول الله ﷺ التي عندك ـ يريدون أم كلثوم بنت علي رضي الله عنهما ـ، فقال عمر رضي الله عنه: أمُّ سَلِيط أحق ـ وأمُّ سَلِيط من (نساء) الأنصار ممّن بايع رسول الله ﷺ ـ قال عمر رضي الله عنه: فإنَّها كانت تزفر لنا القِرَب يوم أُحد (قال أبو عبد الله ـ أي البخاري ـ: تزفر: تخيط) وأخرجه أيضاً أبو نُعَيم وأبو عبيد؛ كما في «الكنز» (7/ 97).

وأخرج أبو داود من طريق حَشْرج بن زياد عن جدته (ـ أم أبيه ـ) رضي الله عنها: أنهنَّ خرجنَ مع النبي ﷺ في خيبر، وفيه أن النبي ﷺ سألهن عن ذلك؛ فقلن: خرجنا نغزل الشعَرَ، فنعين به في سبيل الله، ونداوي الجرحى، ونناول السِّهام، ونسقي السَّويق.

وعند عبد الرزاق عن الزُّهري قال: كان النساء يشهدن مع النبي ﷺ المشاهد، ويَسقين المقاتِلة، ويداوين الجرحى. كذا في «فتح الباري» (6/ 51).

قتال النساء في الجهاد في سبيل الله

ذكر ابن هشام عن سعيد بن أبي زيد الأنصاري رضي الله عنه: أن أم سعد بنت سعد بن الربيع رضي الله عنهما كانت تقول: دخلت عليّ أم عُمارة رضي الله عنها، فقلت لها: يا خالة أخبريني خبرك؟ فقالت: خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين. فلما انهزم المسلمون انحَزْت إلى رسول الله ﷺ، فقمت أباشر القتال، وأذبُّ عنه بالسيف، وأرمي عن القوس، حتى خَلَصت الجراحُ إليّ، قالت: فرأيت على عاتقها جرحاً أجْوَف له غور، فقلت لها: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قَمِيئَة، أقمأه الله. لما ولّى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلّوني على محمد، لا نجوتُ إن نجا، فاعترضت له أنا ومُصْعَب بن عُمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدوَّ الله كان عليه دِرْعان. كذا في «البداية» (4/ 34). وأخرجه أيضاً الواقدي من طريق ابن أبي صَعْصَعة عن أم سعد بنت سعد بن الربيع رضي الله عنها، كما في «الإصابة» (4/ 479).

وأخرج الواقدي بسند آخر إلى عُمارة بن غَزِيَة رضي الله عنهما أنها قتلتْ يومئذٍ فارساً من المشركين. ومن وجه آخر عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما التفت يوم أُحد

يميناً ولا شمالاً إلَّا وأراها تقاتل دوني». كذا في «الإصابة» (4/ 479).

وأخرج ابن سعد من طريق الواقدي عن ضَمْرة بن سعيد رضي الله عنه قال: أُتِيَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمُروط، وكان فيها مِرْط جيِّد واسع. فقال بعضهم؛ إنَّ هذا المِرْط لثمن كذا وكذا، فلو أرسلت به إلى زوجة عبد الله بن عمر صفيّة بنت أبي عبيد ـ وذلك حِدْثان ما دخلت على ابن عمر رضي الله عنهما ـ فقال: أبعثُ به إلى من هو أحقُّ به منها؛ أم عُمارة نُسَيبة بنت كعب، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما التفتّ يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني». كذا في «كنز العمال» (7/ 98).

وأخرج ابن سعد عن هشام عن أبيه أن صفيَّة رضي الله عنها جاءت يوم أُحد وقد انهزم الناس وبيدها رمح تضرب في وجوههم. فقال النبي ﷺ: «يا زبير المرأة». كذا في «الإصابة» (4/ 439).

وأخرج ابن إسحاق عن عبَّاد قال: كانت صفيّة بنت عبد المطلب رضي الله عنها في فارع ـ حصن حسان بن ثابت رضي الله عنه ـ، قالت: وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان؛ فمرّ بنا رجل من يهود فجعل يُطِيف بالحِصْن، قد حاربتْ بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ، وليس بيننا وبينهم أحد من يدفع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا، إذ أتانا آتٍ، فقلت: يا حسان إنَّ هذا اليهودي ـ كما ترى ـ يُطِيف بالحصن، وإني ـ والله ـ ما آمنه أن يدلّ على عوراتنا مَن وراءنا من يهود؛ وقد شُغِل رسول الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله. قال: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا.

قالت: فلما قال لي ذلك ولم أرَ عنده شيئاً احتجزتُ، ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى قتلته. فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسان انزل فاستلبه فإنَّه لم يمنعني من سَلبه إلا أنه رجل. قال: ما لي بسَلبه حاجة يا بنة عبد المطلب. كذا في «البداية» (4/ 108).

وأخرجه البيهقي (6/ 308) من طريق ابن إسحاق عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه رضي الله عنهما ـ بنحوه؛ ثم أخرج من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن صفية ـ رضي الله عنهم ـ مثله، وزاد فيه: قال: هي أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين. وأخرجه أيضاً ابن أبي خيثمة، وابن مَنْدَه من رواية أم عروة بنت جعفر بن الزبير عن أبيها عن جدتها صفيَّة رضي الله عنها؛ وابن سعد من طريق هشام عن أبيه، كما في «الإصابة» (4/ 349). وأخرجه ابن عساكر من حديث صفيَّة والزبير رضي الله عنهما ـ بمعناه، كما في «الكنز» (7/ 99). وأخرجه أيضاً الطبراني (عن عروة وأبو يَعْلى، والبزار عن الزبير رضي الله عنه (وإسنادهما ضعيف)؛ كما في مجمع الزوائد (6/ 133).

وأخرج ابن أبي شيبة عن أنس قال: جاء أبو طلحة يوم حنين يضحك (إلى) رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: ألم تر إلى أمّ سُلَيْم معها خنجر؟! فقال لها رسول الله ﷺ: «يا أمّ سُلَيْم: ما أردت إليه؟» قالت: أردت إن دنا إليّ أحد منهم طعنته به. كذا في «كنز العمال» (5/ 307). وأخرجه أيضاً ابن سعد بسند صحيح، كما في «الإصابة» (4/ 461). وعند مسلم عن أنس رضي الله عنه أنّ أمّ سُلَيْم رضي الله عنها اتَّخذت يوم حُنَين خنجراً، فكان معها فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، هذه أم سُلَيْم معها خنجر. فقال لها رسول الله ﷺ: «ما هذا

الخنجر؟» فقالت: اتخذته إنْ دنا مني أحد من المشركين بَقَرتُ به بطنه. فجعل رسول الله ﷺ يضحك.

وأخرج الطبراني عن مهاجر: أن أسماء بنت يزيد بن السَّكَن بنت عمّ معاذ بن جبل رضي الله عنهما قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاط. قال الهيثمي (9/ 260): ورجاله ثقات. انتهى.

* * *

الإِنكار على خروج النساء في الجهاد

أخرج الطبراني عن أمّ كبشة رضي الله عنها - امرأة من عذرة: عذرة بني قضاعة - أنها قالت: يا رسول الله ﷺ، أتأذن أن أخرج في جيش كذا وكذا. قال: «لا». قالت: يا رسول الله ﷺ إنه ليس أريد أن أقاتل، إنما أريد أداوي الجرحى والمرضى، أو أسقي المرضى. قال: «لولا أن تكون سنّة ويقال: فلانة خرجت لأذنت لك، ولكن اجلسي». قال الهيثمي (5/ 323): رواه الطبراني في «الكبير» و «الأوسط»، ورجالهما رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك: هذا الجهاد، كتبه الله على الرجال، فإن يصيبوا أُجِروا، وإن قُتلوا كانوا أحياء عند ربهم يُرزقون؛ ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «أبلغي من لقيت من النساء: أنَّ طاعة الزوج واعترافاً بحقّه يعدل ذلك، وقليل منكنّ من يفعله». وهكذا رواه البزار - مختصراً.

والطبراني في حديث ، قال في آخره: ثم جاءته - يعني النبي ﷺ - امرأة، فقالت: إني رسول النساء إليك، وما منهن امرأة علمت أو لم تعلم إلا وهي تهوَى مخرجي إليك، الله ربُّ الرجال والنساء وإلههنّ، وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء، كتب الله الجهاد على الرجال، فإن

أصابوا أثْرَوا، وإن استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يُرزقون؛ فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة؟ قال: «طاعة أزواجهن، والمعرفة بحقوقهن، وقليل منكنّ من يفعله» كذا في «الترغيب» (3/ 336).

* * *

خروج الصبيان وقتالهم في الجهاد

أخرج ابن أبي شَيْبة عن الشعْبي: أن امرأة دفعت إلى ابنها يوم أُحد السيف فلم يُطِق حمله، فشدّته على ساعده بِنِسْعة، ثم أتت به النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله هذا ابني يقاتل عنك. فقال النبي ﷺ: «أيْ بنيّ، احمل ها هنا. أيْ بنيّ، احمل ها هنا». فأصابته جراحة؛ فصُرِع؛ فأُتيَ به النبي ﷺ فقال: «أيْ بنيّ، لعلك جزعت». قال: لا، يا رسول الله. كذا في «كنز العمال» (5/ 277).

وأخرج ابن عساكر عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ردَّ رسول الله ﷺ عُمَير بن أبي وقاص عن مَخْرجه إلى بدر، واستصغره. فبكى عُمَير، فأجازه. قال سعد رضي الله عنه: فعقدت عليه حِمَالَة سيفه، ولقد شهدت بدراً، وما في وجهه إلّا شعرة واحدة أمسحها بيدي. كذا «الكنز» (5/ 270). وأخرجه أيضاً الحاكم (3/ 88)، والبغوي - بمعناه.

وأخرجه ابن سعد عن سعد رضي الله عنه قال: رأيت أخي عُمَير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارى، فقلت: ما لك يا أخي؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني فيردّني، وأنا أحب الخروج لعلّ الله أن يرزقني الشهادة. قال: فعُرِض على رسول الله ﷺ فردَّه، فبكى فأجازه. فكان سعد رضي الله عنه يقول: فكنت أعقِد حَمائل سيفه من صِغره فقتل وهو ابن ست عشرة سنة. كذا في «الإصابة» (3/ 135)، وأخرجه البزار، ورجاله ثقات؛ كما في «المجمع» (6/ 69).

الباب السابع

باب اهتمام الصحابة باجتماع الكلمة

كيف كان اهتمام الصحابة رضي الله عنهم باجتماع الكلمة.

باب اهتمام الصحابة باجتماع الكلمة

أقوال الصحابة رضي الله عنهم
في كراهية الاختلاف

أخرج البيهقي (8/ 145) عن ابن إسحاق في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه يومئذٍ (أي يوم سقيفة بني ساعِدَة) قال: وإنَّه لا يحل أن يكون للمسلمين أميران، فإنّه مهما يكنْ ذلك يختلفْ أمرهم وأحكامهم، وتتفرقْ جماعتهم، ويتنازعوا فيما بينهم. هنالك تُتْرك السُّنة، وتظهر البِدعة، وتعظم الفتنة، وليس لأحد على ذلك صلاح.

وأخرج أيضاً (8/ 145) عن سالم بن عُبَيد ـ فذكر الحديث في بَيْعة أبي بكر رضي الله عنه، وفيه: فقال رجل من الأنصار: منَّا رجل ومنكم رجل. فقال عمر رضي الله عنه: سَيْفان في غمد واحد؟! إذاً لا يصطلحان.

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنَّها حبل الله الذي أمر به، وإنّ ما تكرهون في الجماعة خيرٌ ممَّا تحبون في الفُرقة؛ فإن الله عزّ وجلّ لم يخلُق شيئاً إلا خلق له نهاية ينتهي إليها، وإن الإسلام قد أقبل له ثبات، وإنه يوشك أن يبلغ نهايته، ثم يزيد وينقص إلى يوم القيامة، وآية ذلك الفاقة، وتفظُع حتى لا يجد الفقير من يعود عليه، وحتى يرى الغني أنه

لا يكفيه ما عنده، حتى إنَّ الرجل يشكو إلى أخيه وابن عمه فلا يعود عليه بشيء، وحتى إنَّ السائل ليمشي بين الجمعتين فلا يوضع في يده شيء! حتى إذا كان ذلك خارت الأرض خَوْرة لا يرى أهل كل ساحة إلا أنها خارت بساحتهم، ثم تهدأ عليهم ما شاء الله، ثم تتقاحم الأرض تقيء أفلاذ كبدها. قيل: يا أبا عبد الرحمن، ما أفلاذ كبدها؟ قال: أساطين ذهب وفضة، فمِن يومئذٍ لا يُنْتَفَع بذهب ولا فضة إلى يوم القيامة. قال الهيثمي (7/ 328): رواه الطبراني بأسانيد، وفيه مجالد وقد وُثِّق وفيه خلاف؛ وبقية رجال إحدى الطرق ثقات. انتهى.

وأخرجه أبو نُعَيم في «الحِلية» (9/ 249) من غير طريق مجالد وفي روايته: وتُقطع الأرحام حتى لا يخاف الغنيُّ إلا الفقر، وحتى لا يجد الفقير من يعطف عليه، وحتى إنَّ الرجل ليشتكي الحاجة - وابن عمه غني - ما يعطف عليه بشيء - ولم يذكر ما بعده.

وأخرج أحمد عن رجل قال: كنَّا قد حملنا لأبي ذر رضي الله عنه شيئاً نريد أن نعطيَه إياه، فأتينا الرَّبَذَة فسألنا عنه فلم نجده. قيل: استأذن في الحج فأُذِن له، فأتيناه بالبلدة وهي مِنَى. فبينا نحن عنده إذ قيل له: إنَّ عثمان صلَّى أربعاً. فاشتدَّ ذلك عليه وقال قولاً شديداً، وقال: صلَّيت مع رسول الله ﷺ فصلَّى ركعتين، وصلَّيت مع أبي بكر، وعمر. ثم قام أبو ذر رضي الله عنه فصلَّى أربعاً. فقيل له: عِبْتَ على أمير المؤمنين شيئاً ثم تصنعه؟ قال: الخلاف أشد، إنَّ رسول الله ﷺ خطبنا فقال: «إنه كائن بعدي سلطان فلا تذلُّوه، فمن أراد أن يذلَّه فقد خلع رِبقة الإِسلام من عنقه، وليس بمقبول منه توبةٌ حتى يسدَّ ثُلْمَتَه التي ثَلَمَ وليس بفاعل، ثم يعود فيكون فيمن يعزُّه»، أمرنا رسول الله ﷺ: أن لا يغلبونا على ثلاث: (أن) نأمر بالمعروف، وننهي عن المنكر، ونُعلِّم الناس السُنن.

قال الهيثمي (5/ 216): وفيه راوٍ لم يُسمَّ، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج عبد الرزاق عن قتادة أن رسول الله ﷺ وأبا بكر، وعمر، وعثمان - صَدْراً من خلافته - كانوا يصلُّون بمكة ومِنى ركعتين، ثم إن عثمان صلَّاها أربعاً، فبلغ ذلك ابن مسعود، فاسترجع ثم قام فصلَّى أربعاً. فقيل له: استرجعت ثم صليت أربعاً؟ قال: الخلاف شر. كذا في «الكنز» (4/ 242).

وأخرج البخاري، وأبو عُبَيد في كتاب «الأموال»، والأصبهاني في «الحجَّة» عن علي رضي الله عنه قال: اقْضُوا كما كنتم تَقْضُون فإني أكره الإختلاف، حتى يكون للناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي فكان ابن سيرين يرى أن عامة ما يروون عن علي كذب. كذا في «المنتخب» (5/ 50).

وأخرج العسكري عن سليم بن قيس العامري قال: سأل ابن الكوَّاء علياً رضي الله عنه عن السُّنة، والبِدعة، وعن الجماعة، والفُرقة. فقال: يا ابن الكواء، حفظت المسألة فافهم الجواب: السنة - والله - سنّة محمد ﷺ، البدعة ما فارقها، والجماعة - والله - مجامعة أهل الحق وإن قلّوا، والفُرقة مجامعة أهل الباطل وإن كثروا. كذا في «الكنز» (1/ 96).

* * *

اجتماع الصحابة رضي الله عنهم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه

أخرج البيهقي عن عُروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: وأقبل أبو بكر رضي الله عنه من السُّنُح على دابته حتى نزل بباب المسجد، وأقبل

مكروباً حزيناً فاستأذن في بيت ابنته عائشة رضي الله عنها فأذنت له. فدخل ورسول الله ﷺ قد توفي على الفراش والنِّسوة حوله، فخمَّرن وجوههن واستترن من أبي بكر إلّا ما كان من عائشة، فكشف عن رسول الله ﷺ فجثا عليه يقبِّله ويبكي ويقول: ليس ما يقوله ابن الخطاب شيئاً، توفي رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده! رحمة الله عليك يا رسول الله، ما أطيبك حياً وميتاً.

ثم غشَّاه بالثوب، ثم خرج سريعاً إلى المسجد يتخطَّى رقاب الناس حتى أتى المنبر، وجلس عمر رضي الله عنه حين رأى أبا بكر رضي الله عنه مقبلاً إليه. وقام أبو بكر إلى جانب المنبر ونادى الناس، فجلسوا وأنصتوا، فتشهَّد أبو بكر بما عَلِمه من التشهد، وقال: إن الله عزّ وجلّ نَعَى نبيَّه إلى نفسه وهو حيٌّ بين أظهركم ونعاكم إلى أنفسكم، وهو الموت حتى لا يُبقي منكم أحداً إلا الله عزّ وجلّ. قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: 144] - الآية -. فقال عمر: هذه الآية في القرآن؟! والله ما علمت أن هذه الآية أنزلت قبل اليوم!! - وقد قال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: 30]؛ وقال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 88]؛ وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: 26، 27]؛ وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: 185].

وقال: إن الله عمَّر محمداً ﷺ وأبقاه حتى أقام دين الله، وأظهر أمر الله، وبلَّغ رسالة الله، وجاهد في سبيل الله، ثم توفَّاه الله على ذلك، وقد ترككم على الطريقة فلن يَهلك هالك إلا من بعد البيِّنة والشِّفاء. فمن كان الله ربَّه فإنَّ الله حيّ لا يموت، ومن كان يعبد محمداً ويُنْزِله إلَهاً فقد

هلك إلَـهه. فاتقوا الله أيها الناس، واعتصموا بدينكم، وتوكلوا على ربكم، فإن دين الله قائم، وإن كلمة الله تامّة، وإنَّ الله ناصرٌ من نصره ومعزٌّ دينه، وإنَّ كتاب الله بين أظهرنا وهو النور والشفاء، وبه هدى الله محمداً ﷺ، وفيه حلال الله وحرامه. والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله؛ إنَّ سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد، ولنجاهدنَّ من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ، فلا يبغِينَّ أحد إلا على نفسه. ثم انصرف معه المهاجرون إلى رسول الله ﷺ. كذا في «البداية» (5/ 243).

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه سمع خطبة عمر رضي الله عنه الأخيرة حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفي رسولُ الله ﷺ ـ وأبو بكر رضي الله عنه صامت لا يتكلم ـ. قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبِّرَنا ـ يريد بذلك أن يكون آخرهم ـ فإن يكُ محمد قد مات فإن الله قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به، هدى الله محمداً ﷺ وإن أبا بكر صاحبُ رسول الله ﷺ وثاني اثنين، وإنَّه أولى المسلمين بأموركم، فقوموا فبايعوه.

وكانت طائفة قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر. قال الزهري عن أنس: سمعت عمر يقول يومئذٍ لأبي بكر ـ رضي الله عنهم: اصعد المنبر. فلم يزل به حتى صعد المنبر، فبايعه عامة الناس.

وعند ابن إسحاق عن الزُّهري عن أنس رضي الله عنه قال: لما بُويع أبو بكر رضي الله عنه في السقيفة وكان الغد؛ جلس أبو بكر على المنبر فقال عمر رضي الله عنه فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إني قد كنتُ قلتُ لكم بالأمس مقالة ما كانت، وما وجدتها في كتاب الله، ولا كانت عهداً عهدها إليَّ

رسول الله ﷺ؛ ولكني (قد) كنت أرى أنَّ رسول الله سيدبر أمرنا ـ يقول: يكون آخرنا ـ وإنَّ الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه الله له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم: صاحبِ رسول الله ﷺ، وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه. فبايع الناس أبا بكر بَيْعة العامة بعد بَيْعة السقيفة.

ثم تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس: فإني قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني. الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أزيح علته إن شاء الله، والقويّ فيكم ضعيف (عندي) حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، لا يَدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا يُشيع قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء؛ أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله. كذا في «البداية» (5/ 248) وقال: هذا إسناد صحيح.

وأخرج أحمد عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ رجع إلى رحله ـ قال ابن عباس: وكنت أقرىء عبد الرحمن بن عوف ـ فوجدني وأنا أنتظره، وذلك بمنى في آخر حِجّة حجّها عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فقال عبد الرحمن بن عوف: إن رجلاً أتى عمر بن الخطاب فقال: إن فلاناً يقول: لو قد مات عمر بايعت فلاناً (والله ما كانت بَيْعة أبي بكر إلا فَلْتة فتمَّت). فقال عمر: إني قائم العشية إن شاء الله في الناس فمحذِّرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يَغْصِبوهم أمرهم. قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، وإنهم الذين يغلبون على مجلسك

إذا قمت في الناس، فأخشى أن تقول مقالة يَطير بها أولئك فلا يَعوها لا يضعوها مواضعها، ولكن حتى تَقْدَم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، وتخلص بعلماء الناس وأشرافهم فتقول ما قلت متمكناً فيعُون مقالتك ويضعونها مواضعها. قال عمر رضي الله عنه: لئن قدمتُ المدينة صالحاً لأكلمنَّ بها الناس في أول مقام أقومه.

فلما قدمنا المدينة في عقب ذي الحجَّة ـ وكان يوم الجمعة ـ عجَّلت الرواح صكَّة الأعمى. ـ قلتُ لمالك: وما صكَّة الأعمى؟ قال: إنه لا يبالي أي ساعة خرج لا يعرف الحرّ والبرد أو نحو هذا ـ. فوجدت سعيد بن زيد عند ركن المنبر الأيمن قد سبقني، فجلست حذاءه تحكُّ ركبتي ركبته. فلم أنشَب أن طلع عمر، فلما رأيته قلت: ليقولنَّ العشيّة على هذا المنبر مقالة ما قالها عليه أحد قبله. قال: فأنكر سعيد بن زيد ذلك، وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل أحد. فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذن قام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإنِّي قائل مقالة وقد قُدِّر لي أن أقولها لا أدري لعلَّها بين يدي أجلي، فمن وعاها وعَقلَها فليحدِّث بها حيث انتهت به راحلته، ومن لم يعها فلا أُحلُّ له أن يكذب عليَّ:

إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرَّجْم، فقرأناها ووعيناها وعقلناها ورجَم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: لا نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلُّوا بترك فريضة قد أنزلها الله عزّ وجلّ؛ فالرجم في كتاب الله حقٌّ على من زنى إذا أُحْصَن من الرجال والنساء إذا قامت البينة، أو كان الحَبَل، أو الاعتراف. ألا وإنَّا قد كنا نقرأ: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنَّ كُفْراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم» ألا وإنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا

تطروني كما أُطْرِيَ عيسى ابن مريم - عليهما الصلاة والسلام - فإنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسوله».

وقد بلغني أن قائلاً منكم يقول: لو قد مات عمر بايعت فلاناً، فلا يغترَّن امرؤ أنْ يقول: إنَّ بيعة أبي بكر رضي الله عنه كانت فلتة فتمَّت. ألا وإنها كانت كذلك؛ إلا أن الله وَقَى شرها، وليس فيكم اليوم من تَقَطَّعُ إليه الأعناق مثل أبي بكر، وإنه كان من خبرنا حين توفي رسول الله ﷺ أن علياً، والزبير ومن كان معهما تخلَّفوا في بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وتخلَّف عنها الأنصار بأجمعها في سقيفة بني ساعدة، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت له: يا أبا بكر، انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار. فانطلقنا نؤمهم حتى لقِيَنا رجلان صالحان فذَكَرا لنا الذي صنع القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلت: نريد إخواننا من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم واقضُوا أمركم يا معشر المهاجرين. فقلت: والله لنأتينّهم. فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا هم مجتمعون، وإذا بين ظهرانيهم رجل مُزَمَّل، فقلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عُبادة، فقلت: ما له؟ قالوا: وَجِعٌ.

فلما جلسنا قام خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله، وقال: أما بعد: فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط نبينا، وقد دَفَت دافَّة منكم (قال: وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا ويغصبونا الأمر)، فلما سكت أردت أن أتكلم - وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعض الحد -. (فقال أبو بكر: على رِسْلك يا عمر، فكرهت أن أغضبه فتكلم) - وهو كان أحكم مني وأوقر - فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني من تزويري

إلا قالها في بديهته (أو مثلها) أو أفضل (حتى) سكت. فقال:

أما بعد: فما ذكرتم من خير فأنتم أهله، وما تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين (فبايعوا) أيهما شئتم؛ وأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح، فلم أكره (شيئاً) مما قال غيرها. كان ـ والله ـ أن أُقدَّم فتُضرب عنقي لا يقرِّبُني ذلك إلى إثم أحبَّ إليّ أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر!! إلا (أن تغير نفسي عند الموت). فقال قائل من الأنصار: أنا جُذَيْلها المحكَّك، وعُذَيْقُها المرجّب. منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش ـ فقلت لمالك: ما يعني وأنا جُذيلها المحكَّك (وعُذيقها المرجَّب)، قال: كأنه يقول: أنا داهيتها.

قال: فكثر اللغط، وارتفعت الأصوات حتى خشينا الاختلاف. فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعه الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعداً. فقلت: قتل الله سعداً. قال عمر: أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمراً هو أرفق من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بَيْعة أن يُحدثوا بعدنا بَيْعة، فإما (أن) نبايعهم على ما لا نرضى، وإما أن نخالفهم فيكون فساد، فمن بايَع أميراً من غير مشورة المسلمين فلا بَيْعة له، ولا بَيْعة للذي بايعه تَغِرَّة أن يقتلا.

وذكر الزهري عن عروة رضي الله عنه أن الرجلين اللذين لقياهما: عُويم بن ساعدة، ومعن بن عدي. وعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أن الذي قال: أنا جُذَيلها المحكَّك (وعُذيقها المرجَّب) هو الحباب بن المنذر. رواه مالك ومن طريقه أخرج هذا الحديث الجماعة ـ كذا في البداية (5/ 245) ـ. وأخرجه أيضاً البخاري، وأبو عبيد في «الغرائب»،

والبيهقي، وابن أبي شيبة بنحوه مطوّلاً ـ كما في «كنز العمال» (3/ 138 و 139).

وعند ابن أبي شيبة في حديث ابن عباس عن عمر رضي الله عنهم: أنه كان من شأن الناس أنَّ رسول الله ﷺ توفي، فأُتينا فقيل لنا إنّ الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة مع سعد بن عبادة يبايعون، فقمت وقام أبو بكر، وأبو عبيدة بن الجراح نحوهم فَزِعين أن يُحدِثوا في الإسلام. فلقينا رجلَين من الأنصار، رجلا صدق: ـ عُويم بن ساعدة، ومعن بن عدي ـ فقالا: أين تريدون؟ قلنا: قومكم لِمَا بلغنا من أمرهم. فقالا: ارجعوا فإنَّكم لن تُخالفوا ولن يُؤتى بشيء تكرهونه. فأبينا إلا أن نمضي ـ وأنا أزوي كلاماً أن أُكلِّم به ـ حتى انتهينا إلى القوم، وإذا هم عكوف هنالك على سعد بن عبادة وهو على سرير له مريض.

فلما غشِيناهم تكلَّموا فقالوا: يا معشر قريش، منا أمير ومنكم أمير. فقال حُبَاب بن المنذر: أنا جُذَيلها المحكَّك وعُذَيقها المرجَّب، إن شئتم ـ والله ـ رددناها جَذَعة. فقال أبو بكر: على رِسْلكم، فذهبت لأتكلَّم، فقال: أنصت يا عمر. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر الأنصار، إنا ـ والله ـ ما نُنكر فضلكم، ولا بلاغَكم في الإسلام، ولا حقَّكم الواجب علينا، ولكنَّكم قد عرفتم أنَّ هذا الحي من قريش بمنزلة من العرب فليس بها غيرهم. وأن العرب لن تجتمع إلا على رجل منهم؛ فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، فاتقوا الله ولا تصدَعوا الإسلام، ولا تكونوا أول من أحدث في الإسلام. ألَا وقد رضيت لكم أحد، هذين الرجلين ـ لي ولأبي عبيدة بن الجراح ـ فأيهما بايعتم فهو لكم ثقة. قال: فوالله، لئن أُقتل ثم أُحيا، ثم أُقتل ثم أحيا في غير معصية أحبُّ إليَّ من أن أكون أميراً على قوم فيهم أبو بكر. ثم قلت: يا معشر الأنصار، يا معشر

المسلمين، إنَّ أولى الناس بأمر رسول الله ﷺ من بعده ثاني اثنين إذ هما في الغار ـ أبو بكر السبَّاق المبين. ثم أخذت بيده وبادرني رجل من الأنصار فضرب على يده قبل أن أضرب على يده. فتتابع الناس ومِيل عن سعد بن عبادة. كذا في «كنز العمال» (3/ 139).

وعند **ابن أبي شيبة** أيضاً عن ابن سيرين رحمه الله أن رجلاً من زُرَيق قال: لمَّا كان ذلك اليوم خرج أبو بكر، وعمر ـ رضي الله عنهما ـ حتى أتَوا الأنصار. فقال: يا معشر الأنصار، إنا لا ننكر حقكم ولا ينكر حقكم مؤمن، وإنا ـ والله ـ ما أصبنا خيراً إلا شركتمونا فيه، ولكن لا ترضى العرب ولا تقرّ إلا على رجل من قريش لأنهم أفصح الناس ألسنة، وأحسن الناس وجوهاً، وأوسط العرب داراً، وأكثر الناس شحمة في العرب، فهلمُّوا إلى عمر فبايعوه. فقالوا: لا. فقال عمر: فلم؟ فقالوا: نخاف الأَثَرة. فقال: أمَّا ما عشت فلا، بايعوا أبا بكر. فقال أبو بكر لعمر: أنت أقوى مني؛ فقال عمر: أنت أفضل مني. فقالها الثانية. فلما كانت الثالثة قال له عمر: إن قوتي لك مع فضلك؛ فبايَعوا أبا بكر رضي الله عنه. وأتى الناس عند بَيْعة أبي بكر أبا عبيدة بن الجراح فقال: تأتوني وفيكم ثاني اثنين. كذا في «الكنز» (3/ 140).

* * *

تقديمُ الصحابة أبا بكر في الخلافة ورضاهم به والرد على من أراد شق عصاهم

أخرج ابن عساكر عن مسلم قال: بعث أبو بكر إلى أبي عبيدة - رضي الله عنهما - هلمَّ حتى أستخلفَك؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ لكل أمة أميناً، وأنت أمين هذه الأمة». فقال أبو عبيدة: ما كنت لأتقدّم رجلاً أمره رسول الله ﷺ أن يؤمَّنا. كذا في «الكنز» (3/ 136). وأخرجه الحاكم (3/ 67) عن مسلم البَطِين عن أبي البختري بنحوه وقال: صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، وقال الذهبي: منقطع. ا هـ. وأخرجه ابن عساكر، وابن شاهين وغيرهما عن علي بن كثير بنحوه - كما في «كنز العمال» (3/ 126).

وأخرج أحمد عن أبي البختري قال: قال عمر لأبي عبيدة - رضي الله عنهما -: ابسط يدك حتى أبايعك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنت أمين هذه الأمة». فقال أبو عبيدة: ما كنت لأتقدَّم بين يدي رجل أمره رسول الله ﷺ أن يؤمَّنا فأمَّنا حتى مات. قال الهيثمي (5/ 183): رجاله رجال الصحيح إلا أن أبا البختري لم يسمع من عمر ا هـ. وأخرجه ابن عساكر أيضاً بنحوه - كما في «الكنز» (3/ 140). وأخرجه ابن سعد، وابن جرير عن إبراهيم التيمي بنحوه - كما في «الكنز» (3/ 140)، وفي حديثه: فقال أبو عبيدة: ما رأيت لك فهَّة (قبلها) منذ أسلمت أتبايعني؟ وفيكم الصدِّيق، وثاني اثنين. وعند خيثمة الأطرابلسي

عن حُمران قال عثمان بن عفان: إن أبا بكر الصديق أحقُّ الناس بها ـ يعني الخلافة ـ إنَّه لصدِّيق، وثاني اثنين، وصاحبُ رسول الله ﷺ. كذا في «كنز العمال» (3/ 140).

وأخرج الحاكم (3/ 66) والبيهقي (8/ 152) عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أن عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأن محمد بن مسلمة كَسَرَ سيف الزبير رضي الله عنه، ثم قام أبو بكر رضي الله عنه فخطب الناس واعتذر إليهم وقال: والله ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط، ولا كنت فيها راغباً ولا سألتها الله في سرّ ولا علانية، ولكني أشفقت من الفتنة، وما لي في الإمارة من راحة؛ ولكني قُلِّدتُ أمراً عظيماً ما لي به طاقة ولا يدٌ إلَّا بتقوية الله عزّ وجلّ، ولوددتُ أنَّ أقوى الناس عليها مكاني اليوم. فقبل المهاجرون منه ما قال وما اعتذر به. وقال علي، والزبير ـ رضي الله عنهما ـ: وما غضبنا إلَّا لأنَّا أُخِّرنا عن المشاورة، وإنَّا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ: إنَّه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعرف شرفه وكِبَره، ولقد أمرَه رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حيّ.

وأخرج ابن عساكر عن سُوَيد بن غَفْلة قال: دخل أبو سفيان على علي، والعباس ـ رضي الله عنهما ـ فقال: يا علي وأنت يا عباس، ما بال هذا الأمر في أذلّ قبيلة من قريش وأقلّها، والله لئن شئت لأملأنَّها عليه خيلاً ورجالاً. فقال له علي: لا والله ما أريد أن تملأها عليه خيلا ورجالاً، ولولا أنَّا رأينا أبا بكر لذلك أهلاً ما خلَّيناه وإياها. يا أبا سُفيان إن المؤمنين قومٌ نَصَحَة بعضهم لبعض، متوادّون وإن بعدت ديارهم وأبدانهم. وإن المنافقين قوم غَشَشَة بعضهم لبعض. كذا في «الكنز» (3/

141). وهكذا أخرجه أبو أحمد الدِّهْقان بمعناه وزاد في المنافقين: وإن قربت ديارهم وأبدانهم قوم غششة بعضهم لبعض، وإنّا قد بايعنا أبا بكر وكان لذلك أهلاً. كذا في «الكنز» (3/ 140).

وأخرج عبد الرزاق عن ابن أبجر قال: لما بُويع لأبي بكر الصديق جاء أبو سفيان إلى علي فقال: أغلبكم على هذا الأمر أقلُّ بيت في قريش؟! أمَا والله لأملأنها خيلاً ورجالاً (إن شئت). فقال علي: ما زلت عدوّاً للإسلام وأهله فما ضرَّ ذلك الإسلام وأهله شيئاً، إنا رأينا أبا بكر لها أهلاً. كذا في «الاستيعاب» (4/ 87).

وأخرجه الحاكم (3/ 78) عن مُرَّة الطيِّب قال: جاء أبو سفيان بن حرب إلى علي بن أبي طالب فقال: ما بال هذا الأمر في أقل قريش قلَّة، وأذلها ذلَّة ـ يعني أبا بكر ـ والله لئن شئت لأملأنَّها عليه خيلاً ورجالاً. فقال علي: لطال ما عاديت الإسلام وأهله يا أبا سفيان فلم يضرَّه ذلك شيئاً؛ إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً.

وأخرج الطبري (4/ 28) عن صخر حارس النبي ﷺ قال: كان خالد بن سعيد بن العاص باليمن زمن النبي ﷺ وتوفي النبي ﷺ وهو بها، وقدم بعد وفاته بشهر وعليه جبّة ديباج، فلقي عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ، فصاح عمر بمن يليه: مزِّقوا عليه جبته أيلبس الحرير وهو في رجالنا في السِّلْم مهجور؟!، فمزقوا جبته. فقال خالد: يا أبا الحسن، يا بني عبد مناف، أغُلِبتم عليها؟ فقال علي: أمغالبة ترى أم خلافة؟ قال: لا يغالِب على هذا الأمر أَوْلَى منكم يا بني عبد مناف. وقال عمر لخالد: فضَّ الله فاك! والله لا يزال كاذب يخوض فيما قلت ثم لا يضر إلا نفسه ـ الحديث. وأخرجه سيف، وابن عساكر عن صخر مختصراً ـ كما في «الكنز» (8/ 59).

وأخرج ابن سعد (4/ 97) عن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص قالت: قدم أبي من اليمن إلى المدينة بعد أن بويع لأبي بكر، فقال لعلي، وعثمان ـ رضي الله عنهما ـ: أرضيتم بني عبد مناف أن يلي هذا الأمر عليكم غيركم؟ فنقلها عمر إلى أبي بكر فلم يحملها أبو بكر على خالد وحملها عمر عليه، وأقام خالد ثلاثة أشهر لم يبايع أبا بكر. ثم مرّ عليه أبو بكر بعد ذلك مُظْهِراً وهو في داره فسلَّم عليه، فقال له خالد: أتحب أن أبايعك؟ فقال أبو بكر: أحبُّ أن تدخل في صُلحِ ما دخل فيه المسلمون. فقال: موعدك العشيّة أبايعك. فجاء وأبو بكر على المنبر فبايعه. وكان رأي أبي بكر فيه حسناً، كان معظِّماً له؛ فلما بعث أبو بكر الجنود على الشام عقد له على المسلمين، وجاء باللواء إلى بيته، فكلم عمر أبا بكر فقال: تولِّي خالداً وهو القائل ما قال!! فلم يزل به حتى أرسل أبا أَرْوى الدَّوْسي فقال: إن خليفة رسول الله ﷺ يقول لك: اردد إلينا لواءنا. فأخرجه فدفعه إليه، وقال: والله ما سرتنا ولايتكم، ولا ساءنا عزلكم، وإن المليم لغيرك. فما شعرت إلا بأبي بكر داخل على أبي يتعذر إليه، ويعزم عليه أن لا يذكر عمر بحرف. فوالله ما زال أبي يترحم على عمر حتى مات!.

وأخرج السَّاجي عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج أبي شاهراً سيفه راكباً راحلته إلى ذي القَصَّة، فجاء علي بن أبي طالب فأخذ بزمام راحلته وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أُحد: «شِمْ» سيفك ولا تفجعنا بنفسك» فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإِسلام بعدك نظام أبداً؛ فرجع وأمضى الجيش. كذا في «الكنز» (3/ 143). وأخرجه الدارقطني أيضاً بنحوه ـ كما في «البداية» (6/ 315).

رد الخلافة على الناس

أخرج أبو نُعيم في «فضائل الصحابة» عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: يا أيها الناس، إن كنتم ظننتم أني أخذت خلافتكم رغبة فيها أو إرادة استئثار عليكم وعلى المسلمين، فلا والذي نفسي بيده ما أخذتها رغبة فيها ولا استئثاراً عليكم ولا على أحد من المسلمين، ولا حرصت عليها ليلة ولا يوماً قط، ولا سألت الله سراً ولا علانية، ولقد تقلَّدت أمراً عظيماً لا طاقة لي به إلا أن يُعين الله؛ ولوددت أنَّها إلى أيِّ أصحاب رسول الله ﷺ؛ على أن يعدل فيها. فهي إليكم ردّ، ولا بَيْعة لكم عندي، فادفعوا لمن أحببتم فإنما أنا رجل منكم. كذا في «الكنز» (3/ 131).

وعند الطبراني عن عيسى بن عطية قال: قام أبو بكر رضي الله عنه الغد حين بويع فخطب الناس، فقال: يا أيها الناس، إني قد أَقَلْتُكم رأيكم، إني لست بخيركم فبايعوا خيركم. فقاموا إليه فقالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ، أنت ـ والله ـ خيرنا. فقال: يا أيها الناس، إنَّ الناس قد دخلوا في الإسلام طَوْعاً وكَرْهاً، فهم عُوّاذ وجيران الله، فإن استطعتم أن لا يطلُبَنَّكم الله بشيء من ذمته فافعلوا، إن لي شيطاناً يحضرني، فإذا رأيتموني قد غضبت فاجتنبوني لا أُمَثِّل بأشعاركم وأبشاركم. يا أيها الناس، تفقَّدوا ضرائب غِلمانكم، إنَّه لا ينبغي للحم نبت من سُحْتٍ، أن يدخل الجنة، ألا وراعوني بأبصاركم فإن استقمت فأعينوني، وإن زُغْت فأقيموني، وإن أطعت الله فأطيعوني، وإن عصيت الله فاعصوني. كذا في «الكنز» (3/ 135). قال الهيثمي (5/ 184): في عيسى بن سليمان وهو ضعيف، وعيسى بن عطية لم أعرفه. انتهى.

وعند العُشّاري عن أبي الجحَّاف قال: لما بُويع أبو بكر رضي الله

عنه أغلق بابه ثلاثة أيام يخرج إليهم في كل يوم فيقول: أيها الناس، قد أقلتكم بيعتكم فبايعوا من أحببتم. وكل ذلك يقوم إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيقول: لا نُقيلك ولا نستقيلك وقد قدّمك رسول الله ﷺ فمن ذا يؤخرك؟! كذا في «الكنز» (3/ 141).

وأخرجه ابن النجار عن زيد بن علي عن آبائه رضي الله عنهم قال: قام أبو بكر رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ فقال: هل من كاره فأقيله؟ ـ ثلاثاً يقول ذلك ـ فعند ذلك يقوم علي بن أبي طالب فيقول: لا والله لا نُقيلك ولا نستقيلك، من ذا الذي يؤخرك وقد قدّمك رسول الله ﷺ؟!. كذا في «الكنز» (3/ 140).

* * *

قَبول الخلافة لمصلحة دينية

أخرج ابن راهَوَيْه، والعدَني، والبَغَوي، وابن خُزيمة عن رافع بن أبي رافع قال: لما استخلف الناس أبا بكر رضي الله عنه قلت: صاحبي الذي أمرني أن لا أتأمر على رجلين، فارتحلت فانتهيت إلى المدينة فتعرَّضت لأبي بكر فقلت له: يا أبا بكر أتعرفني؟ قال: نعم. قلت: أتذكر شيئاً قلته لي؛ أن لا أتأمَّر على رجلين وقد وَلِيتَ أمر الأمة؟! فقال: إن رسول الله ﷺ قُبض والناس حديثو عهد بكفر، فخفت عليهم أن يرتدوا وأن يختلفوا؛ فدخلت فيها وأنا كاره، ولم يزل بي أصحابي. فلم يزل يعتذر حتى عذرته. كذا في «الكنز» (3/ 125).

* * *

الحزن على قبول الخلافة

أخرج ابن راهَوَيْه، وخيثمة في «فضائل الصحابة» وغيرهُما عن رجل من آل ربيعة أنه بلغه: أن أبا بكر رضي الله عنه حين استُخلف قعد في بيته حزيناً، فدخل عليه عمر رضي الله عنه، فأقبل عليه يلومه وقال: أنت كلّفتني هذا الأمر، وشكا إليه الحُكْمَ بين الناس. فقال له عمر: أوَ ما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «إن الوالي إذا اجتهد فأصاب الحق فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ الحق فله أجر واحد»؛ فكأنه سهَّل على أبي بكر رضي الله عنه، كذا في «الكنز» (3/ 135).

وأخرج أبو عُبيد، والعُقَيلي، والطبراني، وابن عساكر، وسعيد بن منصور، وغيرهم عن عبد الرحمن بن عوف أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال له في مرض وفاته: إني لا آسى على شيء إلّا على ثلاث فعلتهن ووددت أني لم أفعلهن. وثلاث لم أفعلهن ووددت أني فعلتهن. وثلاث وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنهن ـ فذكر الحديث. وفيه: ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين: أبي عبيدة بن الجراح أو عمر، فكان أميراً وكنت وزيراً ـ وذكر: ووددت أني حين وجهت خالداً إلى الشام كنت وجهت عمر إلى العراق، فأكون قد بسطت يديَّ يميناً وشمالاً في سبيل الله. وأما الثلاث التي وددت أني سألت عنهن رسول الله ﷺ؛ فوددت أني سألته فيمن هذا الأمر فلا يُنازَعُه أهله، وددت أني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر شيء؟ كذا في «الكنز» (3/ 135). قال الهيثمي (5/ 203): وفيه علوان بن داود البجلي، وهو ضعيف وهذا الأثر مما أُنكر عليه.

* * *

أخرج ابن سعد (3/ 199) عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن وغيره أن أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه لما استُعِزَّ به دعا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب؟ فقال عبد الرحمن: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني. فقال أبو بكر: وإنْ. فقال عبد الرحمن: هو ـ والله ـ أفضل مَنْ رأيُك فيه. ثم دعا عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: أخبرني عن عمر؟ فقال: أنت أخبرنا به. فقال: على ذلك يا أبا عبد الله! فقال عثمان بن عفان: اللهمَّ علمي به أنّ سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله. فقال أبو بكر: يرحمك الله، والله لو تركتُه ما عدوتك؛ وشاور معهما سعيد بن زيد أبا الأعور، وأسَيْد بن الحُضَير وغيرهما من المهاجرين والأنصار. فقال أُسَيد: اللهمّ أعلمه الخَيْرة بعدك يرضى للرضى، ويسخط للسخط. الذي يُسرُّ خيرٌ من الذي يُعلِن، ولم يَلِ هذا الأمر أحد أقوى عليه منه.

وسمع بعض أصحاب النبي ﷺ بدخول عبد الرحمن، وعثمان على أبي بكر ـ رضي الله عنهم ـ وخَلْوتهما به، فدخلوا على أبي بكر فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غِلظته؟ فقال أبو بكر: أجلسوني، أبالله تُخوِّفوني، خاب من تزوَّد من أمركم بظلم!! أقول: اللهم استخلفت عليهم خير أهلك. أبلغ عني ما قلت لك مَنْ وراءك. ثم اضطجع ودعا عثمان بن عفان، فقال اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده من الدنيا خارجاً منها، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدُق الكاذب: إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن

الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا وإني لم آلُ الله ورسولَه ودينَه ونفسي وإياكم خيراً، فإن عدل فذلك ظنّي به، وعلمي فيه؛ وإن بدّل فلكل امرىء ما اكتسب (من الإثم). الخيرَ أردتُ، ولا أعـلـم الـغـيـب ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227] والسلام عليكم ورحمة الله.

ثم أمر بالكتاب فختمه. ثم قال بعضهم: لما أملَى أبو بكر رضي الله عنه صَدْر هذا الكتاب بقي ذِكْرُ عمر، فذُهب به قبل أن يُسمّي أحداً. فكتب عثمان رضي الله عنه: إني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب. ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليّ ما كتبت. فقرأ عليه ذكر عمر، فكبّر أبو بكر وقال: أراك خفت إن أقبلت نفسي في غشيتي تلك فتختلف، فجزاك الله عن الإسلام وأهله خيراً، والله إنْ كنت لها لأهلاً. ثم أمره فخرج بالكتاب مختوماً ومعه عمر بن الخطاب وأُسَيد بن سعيد القرظي، فقال عثمان للناس: أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا: نعم. وقال بعضهم: قد علمنا به - قال ابن سعد: عليٌّ القائل - وهو عمر. فأقرُّوا بذلك جميعاً. ورضوا به وبايعوا.

ثم دعا أبو بكر عمر خالياً وأوصى به بما أوصاه به، ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه مدّاً فقال: اللهمَّ إني لم أُرِدْ بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة، فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأيي، فولّيت عليهم خيرهم، وأقواهم عليهم، وأحصرهم على ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم، فهم عبادك ونواصيهم بيدك أصلِحْ لهم وإليّهم، واجعله من خلفائك الراشدين يتبع هَدْي نبي الرحمة وهَدْي الصالحينَ بعده، وأصلح له رعيته. وكذا في «الكنز» (3/ 145).

وعند ابن عساكر وسيف عن الحسن رضي الله عنه قال: لما ثَقُل أبو بكر رضي الله عنه استبان له في نفسه جمع الناس إليه فقال لهم: إنه قد نزل بي ما قد ترون، ولا أظنني إلّا لِمماتي، وقد أطلق الله تعالى أيْمانكم من بَيْعتي، وحلَّ عنكم عَقْدي، وردَّ عليكم أمركم: فأمِّروا عليكم من أحببتم، فإنَّكم إن أمَّرتم في حياةٍ مني كان أجدر أن لا تختلفوا بعدي. فقاموا في ذلك وخَلَّوه تخلية فلم تستقم لهم، فرجعوا إليه فقالوا: رَهْ لنا يا خليفة رسول الله. قال: فلعلكم تختلفون. قالوا: لا. فقال: فعليكم عهد الله على الرضا. قالوا: نعم. قال: فأمهلوني أنظر لله ولدينه ولعباده. فأرسل أبو بكر إلى عثمان فقال: أشر عليَّ برجل، فوالله إنك عندي لها لأهل وموضع، فقال: عمر. (فقال): اكتب. فكتب حتى انتهى إلى الاسم فغُشي عليه فأفاق، فقال: اكتب عمر.

وعند اللالكائي عن عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهم - قال: لما حضرت أبا بكر الصديق الوفاةُ دعا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فأملى عليه عهده، ثم أُغمِي على أبي بكر قبل أن يملي أحداً، فكتب عثمان: عمر بن الخطاب، فأفاق أبو بكر فقال لعثمان: كتبتَ أحداً؟ فقال: ظننتك لمآبك وخشيت الفُرقة فكتبت عمر بن الخطاب. فقال: يرحمك الله! أما لو كتبت نفسك لكنت لها أهلاً. فدخل عليه طلحة بن عبيد الله فقال: أنا رسول مَنْ ورائي إليك، يقولون: قد علمت غِلظة عمر علينا في حياتك فكيف بعد وفاتك إذا أفضيت إليه أُمورنا؟ والله سائلك عنه، فانظر ما أنت قائل. فقال: أجلسوني. أبالله تخوِّفوني، قد خاب امرؤ ظنَّ من أمركم وهماً، إذا سألني الله قلت: استخلفت على أهلك خيرهم لهم، فأبلِغهم هذا عنِّي.

وعند ابن سعد (3/ 196) عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما

حضر أبا بكر الوفاة استخلف عمر، فدخل عليه علي، وطلحة ـ رضي الله عنهما ـ فقالا: من استخلفت؟ قال: عمر. قالا: فماذا أنت قائل لربك؟ قال: أبالله تُفْرِقاني، لأنا أعلم بالله وبعمر منكما، أقول: استخلفت عليهم خير أهلك. كذا في «الكنز» (3/ 146). وأخرجه البيهقي (8/ 149) بنحوه عن عائشة رضي الله عنها، وابن جرير (4/ 54) بمعناه عن أسماء بنت عُمَيس رضي الله عنها.

وأخرج ابن أبي شيبة عن زيد بن الحارث أن أبا بكر رضي الله عنه حين حضرهُ الموتُ أرسل إلى عمر يستخلفه، فقال الناس: تستخلف علينا عمر فظاً غليظاً؟! فلو قد وَلينَا كان أفظّ وأغلظ، فما تقول لربك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر؟ فقال أبو بكر: أبربّي تخوّفوني؟ أقول: اللهمّ استخلفت عليهم خير أهلك. كذا في «الكنز» (3/ 146).

* * *

جعل الأمر شورى بين المستصلحين له

أخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما طعن أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنه طعنه طعنتين، فظن عمر أنَّ له ذنباً في الناس لا يعلمه، فدعا ابن عباس رضي الله عنهما ـ وكان يحبه ويدنيه ويسمع منه ـ فقال: أحب أن نعلم: عن ملأ من الناس كان هذا؟ فخرج ابن عباس فكان لا يمر بملأ من الناس إلا وهم يبكون، فرجع إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين، ما مررتُ على ملأ إلا رأيتهم يبكون، كأنهم فقدوا اليوم أبكار أولادهم. فقال: من قتلني؟ فقال: أبو لؤلؤة المجوسي عبد المغيرة بن شعبة. قال ابن عباس: فرأيت البِشْر في وجهه، فقال: الحمد لله الذي لم يبتلني أحد يحاجّني بقول لا إله إلا الله. أما إني قد

نهيتكم أن تجلبوا إلينا من العلوج أحداً فعصيتموني!!.

ثم قال: ادعوا لي إخواني. قالوا: ومن؟ قال: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنهم ـ فأرسل إليهم، ثم وضع رأسه في حِجْري. فلما جاؤوا قلت: هؤلاء قد حضروا، قال: نعم، نظرت في أمر المسلمين فوجدتكم ـ أيها الستة ـ رؤوس الناس وقادتهم، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم، ما استقمتم يستقم أمر الناس، وإن يكن اختلاف يكن فيكم ـ فما سمعته ذكر الاختلاف والشقاق وإن يكن؛ ظننت أنَّه كائن، لأنه قلَّما قال شيئاً إلا رأيتُه ثم نزفه الدم، فهمسوا بينهم حتى خشيت أن يبايعوا رجلاً منهم، فقلت: إن أمير المؤمنين حيّ بعد ولا يكون خليفتان ينظر أحدهما إلى الآخر. فقال: احملوني. فحملناه، فقال: تشاوروا ثلاثاً، ويصلِّي بالناس صُهَيب. قالوا: من نشاور يا أمير المؤمنين؟ قال: شاوروا المهاجرين والأنصار وسَرَاة من هنا من الأجناد.

ثم دعا بشَرْبة من لبن فشرب، فخرج بياض اللبن من الجرحين، فعرف أنَّه الموت، فقال: الآن لو أنَّ لي الدنيا كلَّها لافتديت بها من هول المُطَّلَع، وما ذاك ـ والحمد لله ـ أن أكون رأيت إلا خيراً. فقال (ابن عباس): وإن قلت فجزاك الله خيراً، أليس قد دعا رسول الله ﷺ أن يعزَّ الله بك الدين والمسلمين إذ يخافون بمكة، فلما أسلمت كان إسلامك عزّاً، وظهر بك الإسلام ورسول الله ﷺ وأصحابه، وهاجرت إلى المدينة فكانت هجرتك فتحاً، ثم لم تَغِب عن مشهد شهده رسول الله ﷺ من قتال المشركين من يوم كذا ويوم كذا. ثم قُبض رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ، فوازرت الخليفة بعده على منهاج رسول الله ﷺ، فضربت بمن أقبل على من أدبر حتى دخل الناس في

الإسلام طوعاً وكرهاً. ثم قُبض الخليفة وهو عنك راضٍ. ثم وَلِيت بخير ما وليَ الناس، مصَّرَ الله بك الأمصار، وجبى بك الأموال، ونفى بك العدو، وأدخل الله بك على كل أهل بيت من توسِعتهم في دينهم وتوسِعتهم في أرزاقهم؛ ثم ختم لك بالشهادة؛ فهنيئاً لك!!.

فقال: والله إنّ المغرور من تَغرونه، ثم قال: أتشهد لي يا عبد الله عند الله يوم القيامة؟ فقال: نعم، فقال: اللهمَّ لك الحمد، ألصِق خدي بالأرض يا عبد الله بن عمر فوضعته من فخذي على ساقي فقال: ألصق خدي بالأرض، فترك لحيته وخدَّه حتى وقع بالأرض، فقال: ويلك وويلَ أمك يا عمر إن لم يغفر الله لك يا عمر! ثم قُبض رحمه الله. فلما قُبض أرسلوا إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقال: لا آتيكم إن لم تفعلوا ما أمرك به من مشاورة المهاجرين والأنصار وسَراة من هنا من الأجناد. قال الحسن ـ وذُكر له فعل عمر رضي الله عنه عند موته وخشيته من ربه ـ فقال: هكذا المؤمن جمع إحساناً وشفقة، والمنافق جمع إساءة وغرَّة، والله ما وجدت فيما مضى ولا فيما بقي عبداً ازداد إساءة إلا ازداد غرَّة. قال الهيثمي (9/ 76): وإسناده حسن.

وأخرج ابن سعد (3/ 344)، وأبو عبيد، وابن أبي شيبة، والبخاري، والنَّسائي وغيرهم عن عمرو بن ميمون ـ فذكر الحديث في قصة شهادة عمر رضي الله عنه ـ وفيه: فقال لعبد الله بن عمر: أنظر ما عليَّ من الدَّين فاحسبه، فقال: ستة وثمانون ألفاً. فقال: إن وفَى بها مال آل عمر فأدِّها عني من أموالهم، وإلا فسَلْ بني عدي بن كعب، فإن تفِ أموالهم وإلا فسَلْ قريشاً، ولا تعْدُهم إلى غيرهم فأدِّها عني. اذهب إلى عائشة أم المؤمنين فسلِّم وقل: يستأذن عمر بن الخطاب ـ ولا تقل: أمير المؤمنين فإني لست اليوم بأمير المؤمنين ـ أن يدفن مع (صاحبيه). فأتاها عبد الله بن

عمر رضي الله عنهما فوجدها قاعدة تبكي فسلَّم ثم قال: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع (صاحبيه). قالت: قد كنت ـ والله ـ أريده لنفسي، ولأوثرنَّه اليوم على نفسي. فلما جاء قال: ما لديك؟ قال: أذنت لك. فقال عمر: ما كان شيء بأهمَّ عندي من ذلك، ثم قال: إذا أنا متُّ فاحملوني على سريري، ثم استأذن فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لك فأدخلني وإن لم تأذن فردَّني إلى مقابر المسلمين.

فلما حُمل كأنَّ الناس لم تصبهم مصيبة إلا يومئذٍ، فسلَّم عبد الله بن عمر، فقال: يستأذن عمر بن الخطاب. فأذنت له (فدفن رحمه الله) حيث أكرمه (الله مع النبي ﷺ وأبي بكر). فقالوا له حين حضره الموت: استخلف، فقال: لا أجد أحداً أحقّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فأيهم استخلفوا فهو الخليفة بعدي. فسمَّى علياً، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعداً ـ رضي الله عنهم ـ فإن أصابت الإمرة سعداً فذاك، وإلا فأيُّهم استخلف فليستعن به، فإني لم أنزعه عن عجز ولا خيانة، وجعل عبد الله يشاورونه معهم وليس له من الأمر شيء. اجتمعوا قال عبد الرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة نفر، فجعل الزبير أمره إلى عليٍّ، وجعل طلحة أمره إلى عثمان، وجعل سعد أمره إلى عبد الرحمن. فأتمر أولئك الثلاثة حين جُعل الأمر لهم. فقال عبد الرحمن: أيكم يتبرأ من الأمر، ويجعل الأمر لي؟ ولكم الله عليَّ أن لا آلو عن أفضلكم وخيركم للمسلمين. قالا: نعم، فخَلَا بعليٍّ فقال: إن لك من القرابة من رسول الله ﷺ والتقدم، ولي الله عليك لئن استُخْلفتَ لتعدلنَّ ولئن استخلفتُ عثمان لتسمعنَّ ولتطيعنَّ. قال: نعم. وخلا بعثمان فقال له مثل ذلك، فقال عثمان: نعم. ثم قال لعثمان: ابسط يدك يا عثمان، فبسط يده، فبايعه وبايعه عليٌّ والناس.

وعند ابن أبي شيبة، وابن سعد عن عمرو أيضاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حُضر قال: ادعو لي علياً، وطلحة، والزبير، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعداً ـ رضي الله عنهم ـ فلم يكلِّم أحداً منهم إلا علياً، وعثمان. فقال لعلي: يا علي، لعلَّ هؤلاء النفر يعرفون لك قرابتك من رسول الله ﷺ، وما آتاك الله من العلم والفقه، فاتَّقِ الله إن وليت هذا الأمر، فلا ترفعنَّ بني فلان على رقاب الناس. وقال لعثمان: يا عثمان، لعلَّ هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله ﷺ، وسنَّك وشرفك، فإن أنت ولِّيت هذا الأمر فاتَّقِ الله ولا ترفع بني فلان على رقاب الناس. وقال: ادعو لي صُهَيباً، فقال: صلِّ بالناس ثلاثاً، وليجتمع هؤلاء الرهط في بيت، فإن اجتمعوا على رجل فاضربوا رأس من خالفهم.

وعند ابن سعد عن أبي جعفر قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأصحاب الشورى: تشاوروا في أمركم، فإن كان اثنان، واثنان، واثنان فارجعوا في الشورى، وإن كان أربعة واثنان فخذوا صنف الأكثر. وعن أَسْلمَ عن عمر قال: وإن اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فاتبعوا صنف عبد الرحمن واسمعوا وأطيعوا.

وعن أنس رضي الله عنه قال: أرسل عمر بن الخطاب إلى أبي طلحة ـ رضي الله عنه ـ قبل أن يموت بساعة، فقال: يا أبا طلحة، كن في خمسين من قومك من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى، فإنهم فيما أحسب سيجتمعون في بيت أحدهما، فقم على ذلك الباب بأصحابك، فلا تترك أحداً يدخل عليهم، ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمِّروا أحدهم، اللهمَّ أنت خليفتي (عليهم). كذا في «الكنز» (3/ 156 ـ 157).

مَن يتحمَّل الخلافة

أخرج ابن عساكر عن عاصم قال: جمع أبو بكر رضي الله عنه الناس وهو مريض فأمر من يحمله إلى المنبر، فكانت آخرَ خطبة خطب بها، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

يا أيها الناس، احذروا الدنيا ولا تثقوا بها (فإنها) غرَّارة، وآثروا الآخرة على الدنيا فأحبوها، فبحب كل واحدة منهما تبغض الأخرى؛ وإن هذا الأمر الذي هو أملك بنا لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله، فلا يحمله إلا أفضلكم مقدرة، وأملككم لنفسه، أشدكم في حال الشدة، وأسلسكم في حال اللين، وأعلمكم برأي ذوي الرأي، لا يتشاغل بما لا يعنيه، ولا يحزن بما لا ينزل به، ولا يستحيي من التعلم، لا يتحير عند البديهة، قوي على الأموال، ولا يخون بشيء منها حدّة بعدوان ولا يقصِّر، يرصد لما هو آتٍ، عتاده من الحذر والطاعة ـ وهو عمر بن الخطاب.

ثم نزل. كذا في «كنز العمال» (3/ 147).

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خدمت عمر رضي الله عنه خدمة لم يخدمها أحد من أهل بيته، ولطفت به لطفاً لم يلطفه أحد من أهله؛ فخلَوْت به ذات يوم في بيته ـ وكان يجلسني ويكرمني ـ فشهق شهقة ظننت أنَّ نفسه سوف تخرج منها، فقلت: أمن

جزع يا أمير المؤمنين؟ قال: من جزع. قلت: وماذا؟ فقال: اقتربْ. فاقتربت. فقال: لا أجد لهذا الأمر أحداً. فقلت: وأين أنت عن فلان، وفلان، وفلان، وفلان، وفلان، وفلان ـ فسمَّى له الستة أهل الشورى ـ فأجابه في كل واحد منهم بقولٍ، ثم قال: إنه لا يصلح لهذا الأمر إلّا قويّ في غير عنف، ليِّن في غير ضعف، جواد من غير سرف، ممسك في غير بخل.

وعند أبي عُبيد في «الغريب»، والخطيب في «رواة مالك» قال: إني لجالس مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم إذ تنفَّس نفسة ظننت أنَّ أضلاعه قد تفرَّجت. فقلت: يا أمير المؤمنين ما أخرج هذا عنك إلا شرّ. قال: شر، إني لا أدري إلى من أجعل هذا الأمر بعدي. ثم التفت إليّ فقال: لعلك ترى صاحبك لها أهلاً. قلت: إنه لأهل ذلك في سابقته فضله. قال: إنه لكما قلت، ولكنه امرؤ فيه دُعابة ـ فذكره إلى أن قال: إنَّ هذا الأمر لا يصلحه إلا الشديد في غير عنف، الليِّن في غير ضعف، الجواد في غير سرف، الممسك في غير بخل. فكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: ما اجتمعت هذه الخصال إلا في عمر رضي الله عنه.

وعند ابن عساكر قال: خدمت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكنت له هائباً ومعظِّماً، فدخلت عليه ذات يوم في بيته وقد خلا بنفسه، فتنفَّس نفساً ظننت أنّ نفسه خرجت، ثم رفع رأسه إلى السماء فتنفَّس الصُعَداء. قال: فتحاملت وتشدّدت وقلت: والله لأسألنَّه. فقلت: والله ما أخرج هذا منك إلا همٌّ يا أمير المؤمنين. قال: همٌّ ـ والله ـ همٌّ شديد!! هذا الأمر لم أجد له موضعاً ـ يعني الخلافة ـ. ثم قال: لعلَّك تقول: إن صاحبك لها ـ يعني علياً رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، أليس هو أهلَها في هجرته، وأهلها في صحبته، وأهلها في قرابته؟ قال: هو كما ذكرت،

لكن رجل فيه دعابة ـ فذكره إلى أن قال: إن هذا الأمر لا يحمله إلا الليِّن في غير ضعف، والقويّ في غير عنف، والجواد في غير سَرَف، والممسك في غير بخل. قال: وقال عمر رضي الله عنه: لا يطيق هذا الأمر إلا رجل لا يصانع ولا يضارع، ولا يتَّبع المطامع؛ لا يطيق أمر الله إلا رجل لا يتكلم بلسانه كلمة لا ينتقض عزمه، ويحكم بالحق على حزبه ـ وفي الأصل ـ على وجوبه. كذا في «الكنز» (3/ 158 ـ 159).

وعند عبد الرزاق عن عمر رضي الله عنه قال: لا ينبغي أن يلي هذا الأمر إلا رجل فيه أربع خصال: اللين في غير ضعف، والشدَّة في غير عنف، والإمساك في غير بخل، والسماحة في غير سَرَف؛ فإن سقطت واحدة منهم فسَدَت الثلاث.

وعنده أيضاً وابن عساكر وغيرهما عن عمر رضي الله عنه قال: لا يقيم أمر الله إلا من لا يصانع، ولا يضارع، ولا يتبع المطامع، يكف عن عزته، ولا يكتم في الحق على حدَّته. كذا في «كنز العمال» (3/ 165).

وأخرج ابن سعد (3/ 221) عن سُفيان بن أبي العوجاء قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: والله ما أدري خليفة أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم!. قال قائل: يا أمير المؤمنين، إن بينهما فرقاً، فإن الخليفة لا يأخذ إلا حقاً، ولا يضعه إلا في حق، وأنت بحمد الله كذلك؛ والملك يعسِف الناس فيأخذ من هذا ويُعطي هذا. فسكت عمر. وعنده أيضاً عن سلمان أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال له: أملك أنا أم خليفة؟ فقال له سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة، فاستعبر عمر ـ كذا في «منتخب كنز العمال» (4/ 383).

وعند نُعيم بن حماد في «الفتن» عن رجل من بني أسد أنه شهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سأل أصحابه وفيهم طلحة، وسلمان، والزبير، وكعب ـ رضي الله عنهم ـ فقال: إني سائلكم عن شيء فإياكم أن تكذبوني فتهلكوني وتهلكوا أنفسكم، أنشدكم بالله، أخليفة أنا أم ملك؟ فقال طلحة، والزبير: إنك لتسألنا عن أمر ما نعرفه ما ندري ما الخليفة من الملك. فقال سلمان: ـ يشهد بلحمه ودمه ـ إنك خليفة ولست بملك. فقال عمر: إن تقل فقد كنت تدخل فتجلس مع رسول الله ﷺ. ثم قال سلمان: وذلك أنك تعدل في الرعية، وتقسم بينهم بالسويّة، وتشفق عليهم شفقة الرجل على أهله، وتقضي بكتاب الله تعالى. فقال كعب: ما كنت أحسب أنّ في المجلس أحداً يعرف الخليفة من الملك غيري، ولكن الله ملأ سلمان حكماً وعلماً، ثم قال كعب: أشهد أنك خليفة ولست بملك. فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ: وكيف ذاك؟ قال: أجدك في كتاب الله. قال عمر: تجدني باسمي؟ قال: لا، ولكن بنعِتك أجد: نبوة، ثم خلافة ورحمة على منهاج نبوة، ثم خلافة ورحمة على منهاج نبوة، ثم ملكاً عضوضاً. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 389).

* * *

لين الخليفة وشدته

أخرج الحاكم واللالكائي وغيرهما عن سعيد بن المسيَّب رضي الله عنه قال: لما وَلي عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ خطب الناس على منبر رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

يا أيها الناس، إِني قد علمت أنكم تؤنسون مني شدة وغلظة، وذلك أني كنت مع رسول الله ﷺ، وكنت عبده

وخادمه، وكان كما قال الله تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]. فكنت بين يديه كالسيف المسلول إلا أن يغمدني أو ينهاني عن أمر فأكفّ، وإلا قدمت على الناس لمكان لينه، فلم أزل مع رسول الله ﷺ على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راضٍ، والحمد لله على ذلك كثيراً، وأنا به أسعد. ثم قمت ذلك المقام مع أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ بعده. وكان قد علمتم في كرمه، ودَعته ولينه، فكنت خادمه كالسيف بين يديه أخلط شدتي بلينه؛ إلا أن يتقدم إليّ فأكف وإلا قدمت. فلم أزل على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راضٍ، والحمد لله على ذلك كثيراً، وأنا به أسعد. ثم صار أمركم إليَّ اليوم، وأنا أعلم فسيقول قائل: كان يشتد علينا والأمر إلى غيره فكيف به إذا صار إليه؟ واعلموا أنكم لا تسألون عني أحداً، قد عرفتموني، وجربتموني، وعرفتم من سنّة نبيكم ما عرفت، وما أصبحت نادماً على شيء أكون أحب أن أسأل رسول الله ﷺ عنه إلا وقد سألته. فاعلموا أن شدَّتي التي كنتم ترون قد ازدادت أضعافاً إذا صار الأمر إليّ على الظالم والمعتدي، والأخذ للمسلمين لضعيفهم من قويهم، وإني بعد شدتي تلك واضع خدِّي بالأرض لأهل العفاف والكفّ منكم والتسليم، وإني لا آبى إن كان بيني وبين أحد منكم شيء من أحكامكم أن أمشي معه إلى من أحببتم منكم، فلينظر فيما بيني وبينه أحد منكم. فاتَّقوا الله عباد الله، وأعينوني على أنفسكم بكفّها عني، وأعينوني على نفسي [بالأمر] بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإحضاري النصيحة فيما ولّاني الله من أمركم.

ثم نزل. كذا في «كنز العمال» (3/ 147).

وأخرج ابن سعد (3/ 206) وابن عساكر عن محمد بن زيد رضي الله عنه قال: اجتمع عليّ، وعثمان، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد ـ رضي الله عنهم ـ وكان أجرأهم على عمر عبدُ الرحمن بن عوف قالوا: يا عبد الرحمن، لو كلمتَ أمير المؤمنين للناس فإنَّه يأتي الرجل طالب الحاجة فتمنعه هيبتك أن يكلمك في حاجته حتى يرجع ولم يقضِ حاجته. فدخل عليه فكلَّمه. فقال: يا أمير المؤمنين، لِنْ للناس فإنه يقدم القادم فتمنعه هيبتك أن يكلمك [في حاجته حتى يرجع ولم يكلمك]. قال: يا عبد الرحمن، أنشدك الله أعلي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد أمروك بهذا؟ قال: اللهمّ نعم. قال: يا عبد الرحمن، والله لقد لنت للناس حتى خشيت الله في اللِّين، ثم اشتددت عليهم حتى خشيت الله في الشدّة، فأين المخرج؟ فقام عبد الرحمن يبكي يجرّ رداءه يقول بيده: أفٌّ لهم بعدك (أفٌّ لهم بعدك).

وعند أبي نُعيم في «الحِلية» عن الشَّعْبي قال: قال عمر رضي الله عنه: والله لقد لَانَ قلبي في الله حتى لهو ألين من الزُّبْد، واشتد قلبي في الله حتى لهو أشد من الحجر.

وعند ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما ولِيَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له رجل: لقد كاد بعض الناس أن يحيد هذا الأمر عنك. قال عمر: وما ذاك؟ قال: يزعمون أنك فظ. قال عمر: الحمد لله (الذي) ملأ قلبي لهم رُحْماً، وملأ قلوبهم لي رُعْباً. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 382).

* * *

حصر من يقع منه الانتشار في الأمة

أخرج سيف، وابن عساكر عن الشَّعْبي قال: لم يمت عمر رضي الله عنه حتى ملَّته قريش، وقد كان حَصَرهم بالمدينة وأسبغ عليهم وقال: إنَّ أخوف ما أخاف على هذه الأمة انتشاركم في البلاد، فإن كان الرجل يستأذنه في الغزو وهو ممن حُصِر في المدينة من المهاجرين ـ ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكة ـ فيقول: قد كان لك في غزوك مع النبي ﷺ ما يبلغك، وخير لك من الغزو اليوم أن لا ترى الدنيا، و (لا) تراك. فلما وَلِيَ عثمان رضي الله عنه خلَّى عنهم فاضطربوا في البلاد وانقطع إليهم الناس. قال محمد، وطلحة: فكان ذلك أول وَهْن دخل في الإِسلام، وأول فتنة كانت في العامّة ليس إلا ذلك. كذا في «الكنز» (7/ 139). وأخرجه الطبري (5/ 134) من طريق سيف بنحوه. وعند الحاكم (3/ 120) عن قيس بن أبي حازم قال: جاء الزبير إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يستأذنه في الغزو، فقال عمر: اجلس في بيتك فقد غزوت مع رسول الله ﷺ، قال: فردَّد ذلك عليه، فقال له عمر في الثالثة أو التي تليه: اقعد في بيتك، فوالله إني لأجد بطرف المدينة منك ومن أصحابك أن تخرجوا فتفسدوا على أصحاب محمد ﷺ. قال الذهبي: صحيح.

* * *

مشاورة أهل الرأي

مشاورة النبي ﷺ أصحابه

أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان. قال: فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فأعرض عنه، ثم تكلم عمر رضي الله عنه فأعرض عنه ـ فذكر الحديث كما تقدم في أول باب الجهاد (1/ 414).

وأخرج أحمد، ومسلم من حديث عمر رضي الله عنه في قصة بدر وفيه: واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر، وعلياً، وعمر ـ رضي الله عنهم ـ فقال أبو بكر: يا رسول الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة (الإخوان)، وإنِّي أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه (منهم) قوة (لنا) على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً. فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا بن الخطاب؟» قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه، وتمكن علياً من عَقِيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان ـ أخيه ـ فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم. فَهوِيَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهوَ ما قلت وأخذ منهم الفداء. فلما كان من الغد قال عمر: فغدوت إلى النبي ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان، فقلت: يا رسول الله، أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد بكاء

تباكيت لبكائكما. فقال رسول الله ﷺ: (أبكي) للذي عَرَضَ عليّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرِض ليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة - وأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ [الانفال: 67] - الآية -؛ وأخرجه أيضاً أبو داود، والترمذي، وابن أبي شيبة وأبو عَوانة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حِبَّان، وأبو الشيخ، وابن مردويه، وأبو نُعيم، والبيهقي؛ كما في «الكنز» (5/ 265).

وعند **أحمد** عن أنس رضي الله عنه قال: استشار رسول الله ﷺ الناس في الأسارى يوم بدر فقال: «إن الله قد أمكنكم منهم»، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، اضربْ أعناقهم. قال: فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم عاد عليه السلام فقال: «يا أيها الناس، إنّ الله قد أمكنكم منهم، وإنما هم إخوانكم بالأمس». فقال عمر مثل ذلك فأعرض عنه عليه السلام. ثم عاد عليه السلام فقال مثل ذلك. فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء. قال: فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان من الغم، ثم عفا عنهم وقبل منهم الفداء، وأنزل الله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ [الانفال: 68] - الآية -. كذا في «نَصْب الراية» (3/ 403). قال الهيثمي (6/ 87): رواه أحمد عن شيخه علي بن عاصم بن صهيب وهو كثير الغلط والخطإ، لا يرجع إذا قيل له الصواب، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح. انتهى.

وعند أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟» قال: فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، قومك وأهلك استبقهم واستأنِ بهم لعل الله

أن يتوب عليهم. قال: وقال عمر: يا رسول الله، أخرجوك وكذّبوك قرّبهم فاضربْ أعناقهم. قال: وقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: يا رسول الله، انظر وادياً كثير الحطب فأدخلهم فيه، ثم أضرمه عليهم ناراً. قال: فدخل رسول الله ﷺ ولم يردّ عليهم شيئاً. فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبد الله بن رواحة.

فخرج عليهم. فقال: «إنَّ الله ليلينٌ قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشدّ قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجار. وإنَّ مَثَلَك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: 36]؛ ومثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118]؛ وإن مَثَلَك يا عمر كمثل نوح قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: 26]؛ وإن مَثَلَك يا عمر كمثل موسى قال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: 88]. أنتم عَالَة فلا ينفلتنَّ أحد إلا بِفداء أو ضربة عنق». قال عبد الله: فقلت: يا رسول الله، إلا سهل بن بيضاء فإني قد سمعته يذكر الإسلام. قال: فسكت. قال: فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع عليّ حجارة من السماء (مني) (في) ذلك اليوم، حتى قال: «إلّا سهل بن بيضاء». قال: فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ ـ إلى آخر الآيتين ـ. وهكذا رواه الترمذي، والحاكم ـ وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه ـ ورواه ابن مَرْدَويه من طريق عبد الله بن عمر وأبي هريرة ـ رضي الله عنهم ـ بنحو ذلك، وقد رُوِيَ عن أبي أيوبَ الأنصاري رضي الله عنه بنحوه. كذا في «البداية» (3/ 297).

وأخرج ابن إسحاق عن الزهري قال: لما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ إلى عُيَيْنَة بن حصن، والحارث بن عوف المرِّي هما قائدا غطفان، وأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه. فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكِتاب، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلّا المراوضة (في ذلك). فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ذلك بعث إلى السَّعْدَين، فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله أمراً تحبه فنصنعه أم شيئاً أمرك الله به لا بدّ لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ فقال: «بل شيء أصنعه لكم؛ والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم عن قَوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكْسِر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما». فقال له سعد بن معاذ رضي الله عنه: يا رسول الله، قد كنا (نحن) وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة واحدة إلّا قِرىً أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له، وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا (والله) ما لنا بهذا من حاجة؛ والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال النبي ﷺ: «أنت وذاك». فتناول سعد بن معاذ رضي الله عنه الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال: لَيَجْهدوا علينا. كذا في «البداية» (4/ 104).

وأخرجه البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الحارث إلى رسول الله ﷺ فقال: ناصِفْنا تمر المدينة وإلَّا ملأتها عليك خيلاً ورجالاً. فقال: حتى أستأمر السعود سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ ـ رضي الله عنهما ـ »، يعني يشاورهما. فقالا: لا والله ما أعطينا (الدنية) من أنفسنا في الجاهلية؛ فكيف وقد جاء الله بالإسلام. فرجع إلى الحارث فأخبره، فقال: غدرت يا محمد.

وعند الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الحارث الغطفاني إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، شاطرنا تمر المدينة، فقال: حتى أستأمر السعود، فبعث إلى: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وسعد بن الربيع، وسعد بن خيثمة، وسعد بن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ، فقال: «إني قد علمت أن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وإن الحارث سألكم تشاطروه تمر المدينة، فإن أردتم أن تدفعوه عامكم هذا في أمركم بعد». فقالوا: يا رسول الله، أوَحيٌ من السماء فالتسليم لأمر الله، أو عن رأيك وهواك؛ فرأينا تَبَعُ هواك ورأيك، فإن كنت إنما تريد الإبقاء علينا فوالله لقد رأيتنا وإياهم على سواء، ما ينالون منا تمرة إلّا شراءً أو قِرىً. فقال رسول الله ﷺ: «هوذا، تسمعون ما يقولون»، قالوا: غدرت يا محمد. قال الهيثمي (6/ 132): رجال البزار، والطبراني فيهما محمد بن عمرو وحديثه حسن وبقية رجاله ثقات.

وأخرج مسدَّد ـ وهو صحيح ـ عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يسمرُ عند أبي بكر رضي الله عنه الليلة كذلك في الأمر من أمور المسلمين وأنا معه. كذلك في «كنز العمال» (4/ 45).

* * *

مشاورة أبي بكر رضي الله عنه أهل الرأي

أخرج ابن سعد (2/ 350) عن القاسم أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأي وأهل الفقه دعا رجالاً من المهاجرين والأنصار، ودعا عمر، وعثمان، علياً، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاذ بن جبل، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت ـ رضي الله عنهم ـ؛ وكل هؤلاء كان يفتي في خلافته وإنما يصير فتوى الناس إلى هؤلاء. فمضى أبو بكر على ذلك، ثم وُلي عمر فكان يدعو هؤلاء النَّفَر، وكان الفتوى تصير وهو خليفة إلى عثمان، وأبيّ وزيد. كذا في «الكنز» (3/ 134).

وأخرج ابن أبي شيبة، والبخاري في «تاريخه»، وابن عساكر، والبيهقي، ويعقوب بن سفيان عن عَبِيدة قال: جاء عيينة بن حصين، والأقرع بن حابس إلى أبي بكر رضي الله عنهم فقالا: يا خليفة رسول الله، إنَّ عندنا أرضاً سَبْخة ليس فيها كلأ، ولا منفعة؛ فإذا رأيت أن تُقْطِعنَاها لعلنا نحرثها ونزرعها؛ فأقطعها إياهما وكتب لهما عليه كتاباً وأشهد فيه عمر رضي الله عنه ـ وليس في القوم ـ، فانطلقا إلى عمر ليُشهداه (فيه). فلما سمع عمر ما في الكتاب تناوله من أيديهما ثم تفل فيه ومحاه، فتذمرا (له) وقالا (له) مقالة سيئة. قال عمر: إنَّ رسول الله ﷺ كان يتألفكما والإسلام يومئذٍ ذليل (قليل) وإن الله قد أعزَّ الإسلام فاذهبا فاجهدا (عليَّ) جهدكما، لا رعى الله عليكما إن رَعَيتما.

فأقبلا إلى أبي بكر وهما يتذمَّران فقالا: والله ما ندري أنت الخليفة أم عمر؟ فقال: بل هو ولو شاء كان. فجاء عمر مُغْضباً حتى وقف على أبي بكر فقال: أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعتها هذين الرجلين، أرض هي لك خاصّة أم هي بين المسلمين عامة؟ قال: بل هي بين المسلمين عامة. قال: فما حملك أن تخصَّ هذين بها دون جماعة المسلمين؟ قال: استشرت هؤلاء الذين حولي، فأشاروا عليَّ بذلك. قال: فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك أَوَكلَّ المسلمين أوْسَعْت مشورة ورضًى؟. فقال أبو بكر: قد كنتُ قلت لك: إنك أقوى على هذا مني ولكنك غلبتني. كذا في «الكنز» (2/ 189)، وعزاه في «الإصابة» (3/ 55) و (1/ 59) إلى البخاري في «تاريخه الصغير»، ويعقوب بن سفيان، وقال: بإسناد صحيح؛ وذكر عن علي بن المديني: هذا منقطع لأن عَبِيدة لم يدرك القصة، ولا رُوي عن عمر أنه سمع منه. قال: ولا يُروى عن عمر بأحسن من هذا الإسناد. انتهى. وأخرجه عبد الرزاق عن طاوس مختصراً، كما في «الكنز» (1/ 80).

وأخرج سيف، وابن عساكر عن الصعب بن عطية بن بلال عن أبيه وعن سهم بن منجاب قالا: خرج الأقرع، والزبرقان إلى أبي بكر ـ رضي الله عنهم ـ فقالا: اجعل لنا خراج البحرين ونضمن لك أن لا يرجع من قومنا أحد، ففعل وكتب الكتاب. وكان الذي يختلف بينهم طلحة بن عبيد الله، وأشهدوا شهوداً منهم عمر رضي الله عنه. فلما أُتيَ عمر بالكتاب ونظر فيه لم يشهد ثم قال: ولا كرامة. ثم مزق الكتاب ومحاه. فغضب طلحة وأتى أبا بكر فقال: أنت الأمير أم عمر؟ فقال: عمر غير أن الطاعة لي، فسكت. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 390).

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كتب

أبو بكر إلى عمرو بن العاص أنَّ رسول الله ﷺ شاور في الحرب فعليك به. قال الهيثمي (5/ 319): رواه الطبراني ورجاله قد وُثِّقوا. انتهى؛ وأخرجه أيضاً البزار، والعُقَيلي وسنده حسن، كما في «الكنز» (2/ 163). وقد تقدَّم مشاورة أبي بكر رضي الله عنهم أهل الرأي في غزو الروم من حديث عبد الله بن أبي أوفى مطوَّلاً (1/ 437).

* * *

مشاورة عمر بن الخطاب أهل الرأي

أخرج ابن سعد، وسعيد بن منصور عن أبي جعفر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب إلى علي بن أبي طالب ابنته أم كلثوم ـ رضي الله عنهما ـ، فقال علي: إنما حبست بناتي على بني جعفر، فقال عمر: أنكحنيها يا علي، فوالله ما على ظهر الأرض رجل يَرْصُد من حسن صحابتها ما أرصُد! فقال علي: قد فعلت. فجاء عمر إلى مجلس المهاجرين بين القبر والمنبر وكانوا يجلسون: علي، وعثمان، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنهم ـ. فإذا كان الشيء يأتي عمر بن الخطاب من الآفاق جاءهم فأخبرهم بذلك فاستشارهم فيه. فجاء عمر فقال: زفُّوني. فزفُّوه، وقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ قال: بابنة علي بن أبي طالب، ثم أنشأ يخبرهم فقال: إن النبي ﷺ قال: «كلُّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي»، وكنت قد صحبته فأحببت أن يكن هذا أيضاً. ورواه ابن راهَوَيْه مختصراً. كذا في «الكنز» (7/ 98). وأخرجه الحاكم (3/ 142) أيضاً مختصراً وقال: هذا حدث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: منقطع.

وأخرج ابن سعد عن عطاء بن يَسَار رضي الله عنه: أن عمر، وعثمان رضي الله عنهما كانا يدعوان ابن عباس رضي الله عنهما فيشير مع أهل بدر، ويفتي في عهد عمر، وعثمان إلى يوم مات. وعن يعقوب بن يزيد قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشير

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الأمر إذا أهمه ويقول: غُصْ غوَّاص! وعن سعد بن أبي قَّاص رضي الله عنه قال: ما رأيت أحداً أحضر فهماً، ولا ألبَّ لباً، ولا أكثر علماً، ولا أوسع حلماً من ابن عباس، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات ثم يقول: قد جاءتك معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار. وأخرج البيهقي، وابن السِمعاني عن ابن شهاب قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا نزل الأمر المعضِل دعا الفتيان فاستشارهم يقتفي حدَّة عقولهم. وعند البيهقي عن ابن سيرين قال: إنْ كان عمر بن الخطاب ليستشير حتى إن كان ليستشير المرأة، فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذ به. كذا في «الكنز» (2/ 163).

وأخرج ابن جرير (4/ 83) من طريق سيف عن محمد، وطلحة، وزياد بإسنادهم قالوا: خرج عمر حتى نزل على ماء يدعى صِراراً فعسكر به، ولا يدري الناس ما يريد أيسير أم يقيم؟ وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيء رمَوه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنهما ـ وكان عثمان يُدعى في إمارة عمر رديفاً ـ قالوا: والرديف بلسان العرب الذي بعد الرجل، العرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد رئيسهم ـ وكانوا إذا لم يقدر هذان على علم شيء مما يريدون ثلَّثوا بالعباس رضي الله عنه. فقال عثمان لعمر: ما بلغك؟ ما الذي تريد؟ فنادى الصلاة جامعة. فاجتمع الناس إليه فأخبرهم الخبر ثم نظر ما يقول الناس، فقال العامة: سِرْ وسِرْ بنا معك، فدخل معهم في رأيهم وكره أن يدَعَهم حتى يُخرجهم منه في رِفْق. فقال: استعدُّوا وأعدُّوا فإني سائر إلا أن يجيء رأي هو أمثل من ذلك. ثم بعث إلى أهل الرأي فاجتمع إليه وجوه أصحاب النبي ﷺ وأعلام العرب، فقال: أحضروني الرأي فإني

سائر. فاجتمعوا جميعاً وأجمع مَلَؤهم على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ويقيم ويرميه بالجنود؛ فإن كان الذي يشتهي من الفتح فهو الذي يريد ويريدون، وإلا أعاد رجلاً وندب جنداً آخر، وفي ذلك ما يغيظ العدو ويرعَوي المسلمون، ويجيء نصر الله بإنجاز موعود الله. فنادى عمر: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس إليه وأرسل إلى علي وقد استخلفه على المدينة فأتاه، وإلى طلحة وقد بعثه على المقدمة فرجع إليه (وجعل) على المجنِّبتين: الزبير، وعبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهما - فقام في الناس فقال:

«إنَّ الله عزّ وجلّ قد جمع على الإسلام أهله، فألَّفَ بين القلوب وجعلهم فيه إخواناً، والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شيء من شيء أصاب غيره، وكذلك يحق على المسلمين أن يكونوا أمرهم شورى بينهم بين ذوي الرأي منهم، فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر، ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم؛ ومن قام بهذا الأمر تبع لأولي رأيهم؛ ما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم. يا أيها الناس، إني إنما كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج، فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً، وقد أحضرت هذا الأمر من قدَّمت ومن خلَّفت».

وكان علي رضي الله عنه خليفته على المدينة وطلحة رضي الله عنه على مقدمته بالأعوص فأحضرهما ذلك. وقد أخرجه أيضاً ابن جرير عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: لما انتهى قتل أبي عبيد بن مسعود إلى عمر رضي الله عنه واجتماع أهل فارس على رجل من

آل كسرى نادى في المهاجرين والأنصار، وخرج حتى أتى صِراراً ـ فذكر الحديث مختصراً كما تقدم ـ.

وأخرج الطبراني عن محمد بن سلَّام يعني البيكندي قال: عمرو بن معدِ يكرب له في الجاهلية وقائع، وقد أدرك الإسلام، قدم على النبي ﷺ، ووجَّهه عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنهما ـ إلى القادسية وكان له هناك بلاء حسن، كتب عمر إلى سعد: قد وجَّهت إليك أو أمددتك بألفيْ رجل: عمرو بن معدِ يكرب وطُلَيحة بن خُوَيْلِد ـ رضي الله عنهما ـ وهو طُلَيحة بن خُوَيلد الأسديّ، فشاوِرْهما في الحرب ولا تولِّهما شيئاً. قال الهيثمي (5/ 319): رواه الطبراني هكذا منقطع الإسناد.

* * *

تأمير الأمراء

أخرج أحمد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءته جهينة فقالوا: إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق لنا حتى نأتيك وقومنا، فأوثق لهم فأسلموا. قال: فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب ـ ولا نكون مائة ـ وأمرنا أن نُغير على حيّ من بني كِنانة إلى جنب جُهَينة، فأغرنا عليهم وكانوا كثيراً، فلجأنا إلى جُهَينة فمنعونا وقالوا: لِمَ تقاتلون في الشهر الحرام؟ فقلنا: إنما نقاتل من أخرجنا من البلد الحرام. في الشهر الحرام فقال بعضنا لبعض: ما ترون؟ فقال بعضنا: نأتي نبيّ الله ﷺ فنخبره، وقال قوم: لا، بل نقيم ها هنا، وقلت أنا في أناس معي: لا، بل نأتي عير قريش فنقتطعها. وكان الفيء إذ ذاك من أخذ شيئاً فهو له، فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبي ﷺ فأخبروه الخبر، فقام غضبان محمرّ الوجه فقال: «أذهبتم من عندي جميعاً ورجعتم متفرقين! إنما أهلك من كان قبلكم الفُرقة، لأبعثنَّ عليكم رجلاً ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش». فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدي، فكان أول أمير (أُمِّرَ) في الإسلام. وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة كما في «الكنز» (7/ 60) والبغوي كما في «الإصابة» (2/ 278). وأخرجه أيضاً البيهقي في «الدلائل» وزاد بعد لم تقاتلون في الشهر الحرام؟ فقالوا: نقاتل في الشهر الحرام من أخرجنا من البلد الحرام. كما في «البداية» (3/ 248). قال الهيثمي (6/ 66): وفيه المجالد بن

سعيد وهو ضعيف عند الجمهور، ووثَّقه النَّسائي في رواية، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح. انتهى.

* * *

التأمير على عشرة

أخرج ابن أبي شيبة - وإسناده صحيح - عن شهاب العنبري والد حبيب قال: كنت أول من أوقد في باب تُسْتَر، ورُمِي الأشعري فصُرع، فلما فتحوها أمَّرني على عشرة من قومي. كذا في «الإصابة» (2/ 159).

* * *

التأمير في السفر

أخرج البزار ، وابن خزيمة، والدارقطني، والحاكم عن عمر رضي الله عنه قال: إذا كانوا ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم، ذاك أمير أمَّره رسول الله ﷺ. كذا في «الكنز» (3/ 344).

* * *

من يتحمل الإِمارة

أخرج الترمذي - وحسَّنه - وابن ماجه، وابن حبَّان - واللفظ للترمذي - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ بَعْثاً وهم ذوو عدد، فاستقرأهم، فاستقرأ كل رجل منهم - يعني ما معه من القرآن -. (قال) فأتى على رجل من أحدثهم سناً فقال: ما معك يا فلان؟ قال: معي كذا وكذا وسورة البقرة. فقال: «أمعك سورة البقرة؟» قال: نعم. قال: «اذهب فأنت أميرهم». فقال رجل من أشرافهم: والله ما

منعني أن أتعلم البقرة إلا خشية ألّا أقومَ بها. فقال رسول الله ﷺ: «تعلَّموا القرآن واقرأوه، فإن مَثَلَ القرآن لمن تعلمه فقرأه كمثل جِراب محشو مِسكاً يفوح ريحه في كل مكان، ومن تعلَّمه فيرقد وهو في جوفه فمثله كمثل جِراب أوكيء على مسك». كذا في «الترغيب» (3/ 12).

وأخرج الطبراني عن عثمان رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ وفداً إلى اليمن فأمَّر عليهم أميراً منهم وهو أصغرهم، فمكث أياماً لم يسر، فلقي النبي ﷺ رجلاً منهم فقال: «يا فلان، ما لك أما انطلقت؟»، قال: يا رسول الله، أميرنا يشتكي رجله؛ فأتاه النبي ﷺ ونفث عليه: «باسم الله، وبالله، أعوذ بالله وقدرته من شر ما فيها» ـ سبع مرات ـ فبرأ الرجل. فقال له شيخ: يا رسول الله، أتؤمره علينا وهو أصغرنا؟ فذكر النبي ﷺ قراءته القرآن. قال الشيخ: يا رسول الله، لولا أني أخاف أن أتوسّد فلا أقومَ به لتعلَّمته. فقال رسول الله ﷺ: «فإنما مثل القرآن كجراب ملأته مسكاً موضوعاً، كذلك مثل القرآن إذا قرأته وكان في صدرك». قال الهيثمي (7/ 161): وفيه يحيى بن سلمة بن كُهيل ضعَّفه الجمهور، ووثَّقه ابن حِبَّان وقال: في أحاديث ابنه عنه مناكير؛ قلت: ليس هذا من رواية ابنه عنه. انتهى.

وأخرج أبو نُعيم في الحِلية، وابن عساكر عن أبي بكر بن محمد الأنصاري أن أبا بكر رضي الله عنه قيل له: يا خليفة رسول الله، ألا تستعمل أهل بدر؟ قال: إني أرى مكانهم، ولكني أكره أن أدنسهم بالدنيا. كذا في «الكنز» (1/ 146).

وأخرج ابن سعد (3/ 60) عن عِمران بن عبد الله قال: قال أُبيّ بن كعب لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم: ما لك لا تستعملني؟ قال: أكره أن يُدنَّس دينك.

وأخرج ابن سعد، والحاكم، وسعيد بن منصور عن حارثة بن مُضَرِّب قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

> **«أما بعد: فإني قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً، وعبد الله بن مسعود معلِّماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب محمد ﷺ من أهل بدر، فتعلَّموا منهما، واقتدوا بهما؛ وإني قد آثرتكم بعبد الله على نفسي. وبعثت عثمان بن حُنَيف على السواد (ورزقتهم) كل يوم شاة، فأجعل شطرها وبطنها لعمار بن ياسر والشطر الثاني بين هؤلاء الثلاثة».**

كذا في «الكنز» (2/ 314)؛ وأخرجه الطبراني مثله إلا أنه لم يذكر: وبعثت عثمان ـ إلى آخره. قال الهيثمي (9/ 291): رجاله رجال الصحيح غير حارثة وهو ثقة. انتهى. وأخرجه البيهقي (9/ 136) أيضاً بسياق آخر مطوّلاً.

وأخرج الحاكم في «الكُنَى» عن الشعبي قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دلُّوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمَّني من أمر المسلمين. قالوا: عبد الرحمن بن عوف. قال: ضعيف. قالوا: فلان. قال: لا حاجة لي فيه. قالوا: من تريد؟ قال: رجل إذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم، وإذا لم يكن أميرهم كأنه أميرهم. قالوا: ما نعلمه إلا الربيع بن زياد الحارثي. قال: صدقتم. كذا في «الكنز» (3/ 164).

* * *

من ينجو في الإمارة

أخرج الطبراني عن أبي وائل شقيق بن سلمة أن عمر بن الخطاب

رضي الله عنه استعمل بِشْر بن عاصم رضي الله عنه على صدقات هوازن، فتخلَّف بِشْر فلقيه عمر، فقال: ما خلفك؟ أما لنا سمع وطاعة؟ قال: بلى، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من وُلِّي شيئاً من أمر المسلمين أُتيَ به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم، فإن كان محسناً نجا، وإن كان مسيئاً انخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريفاً». قال: فخرج عمر رضي الله عنه كئيباً حزيناً؟ فقال: ما لي لا أكون كئيباً وحزيناً وقد سمعت بشْر بن عاصم يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من وُلّيَ شيئاً من أمر المسلمين أُتيَ به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم، فإن كان محسناً نجا، وإن كان مسيئاً انخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريفاً؟!» فقال أبو ذر رضي الله عنه: أو ما سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: لا. قال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من وَلَّى أحداً من المسلمين أُتي به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنم، فإن كان محسناً نجا، وإن كان مسيئاً انخرق به الجسر فهوى فيه سبعين خريفاً، وهي سوداء مظلمة»؛ فأيُّ الحديثين أوجع لقلبك. قال: كلاهما قد أوجع قلبي فمن يأخذها بما فيها؟ فقال أبو ذر رضي الله عنه: من سَلَتَ الله أنفه، وألصق خدّه بالأرض؛ أما إنا لا نعلم إلا خيراً، وعسى إن ولَّيتها من لا يعدل فيها أن لا تنجو من إثمها. كذا في «الترغيب» (3/ 441). قال الهيثمي (5/ 205): رواه الطبراني وفيه سويد بن عبد العزيز وهو متروك. انتهى. وأخرجه أيضاً عبد الرزاق، وأبو نعيم، وأبو سعيد النقَّاش، والبغوي، والدارَقُطْني في «المتفق» من طريق سويد؛ كما في «الكنز» (3/ 163). وأخرجه ابن أبي شيبة، وابن مَنْدَه من غير طريق سويد؛ كما في «الإصابة» (1/ 152).

* * *

الإِنكار عن قبول الإِمارة

أخرج البزار عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ استعمل المقداد بن الأسود رضي الله عنه على حريدة (؟) جبل. فلما قدم قال: كيف رأيت؟ قال: رأيتهم يرفعون ويضعون حتى ظننت أني ليس ذلك. فقال النبي ﷺ: «هو ذاك». فقال المقداد: والذي بعثك بالحق لا أعمل على عمل أبداً، فكانوا يقولون له: تقدم فصلِّ بنا فيأبى. قال الهيثمي (5/ 201): وفيه سوار بن داود أبو حمزة وثَّقه أحمد، وابن حبان، وابن معين وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 174) عن أنس رضي الله عنه بنحوه؛ وفي رواية قال: كنت أُحمل وأُوضع حتى رأيت بأنَّ لي على القوم فضلاً. قال: «هو ذاك فخذ أو دع». قال: والذي بعثك بالحق لا أتأمر على اثنين أبداً. وأخرجه أيضاً عن المقداد مختصراً.

وعند الطبراني عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ مبعثاً، فلما رجعت قال لي: كيف تجد نفسك؟ قلت: ما زلت حتى ظننت أن معي خولاً لي، وايْمُ الله، لا ألي على رجلين بعدها أبداً. قال الهيثمي (5/ 201): رجاله رجال الصحيح خَلا عُمَير بن إِسحاق وثقه ابن حبان وغيره، وضعَّفه ابن مَعِين وغيره، وعبد الله بن أحمد ثقة مأمون.

وعند الطبراني عن رجل قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً على

سرية، فلما مضى ورجع إليه قال له: «كيف وجدت الإمارة؟» قال: كنت كبعض القوم، إذا ركبت ركبوا، وإذا نزلت نزلوا. فقال النبي ﷺ: «إن السلطان على باب عَتَب إلا من عصم الله عزّ وجلّ». فقال الرجل: والله لا أعمل لك، ولا لغيرك أبداً. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجِذُه. قال الهيثمي (5/ 201): وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج ابن المبارك في «الزهد» عن رافع الطائي قال: صحبت أبا بكر رضي الله عنه في غزوة، فلما قفلنا قلت: يا أبا بكر أوصني. قال: أقم الصلاة المكتوبة لوقتها، وأدِّ زكاة مالك طيبة بها نفسك، وصم رمضان، واحجج البيت، واعلم أن الهجرة في الإسلام حسن، وأن الجهاد في الهجرة حسن، ولا تكن أميراً. ثم قال: هذه الإمارة التي ترى اليوم سَبْرة قد أوشكت أن تفشو وتكثر حتى ينالها من ليس لها بأهل، وإنه من يكن أميراً فإنه من أطول الناس حساباً، وأغلظه عذاباً؛ ومن لا يكون أميراً فإنه من أيسر الناس حساباً، وأهونه عذاباً؛ لأن الأمراء أقرب الناس من ظلم المؤمنين ومن يظلم المؤمنين فإنما يخفر الله، هم جيران الله وهم عباد الله؛ والله إن أحدكم لتصاب شاة جاره أو بعير جاره فيبيت وارم العَضَل، يقول: شاة جاري أو بعير جاري، فإن الله أحق أن يَغْضَبَ لجاره. كذا في «الكنز» (3/ 162).

وأخرجه الطبراني عن رافع قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه على جيش ذات السلاسل، فبعث معه مع ذلك الجيش أبا بكر، وعمر، وسراة أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ. فانطلقوا حتى نزلوا جبلي طيِّىء. فقال عمر رضي الله عنه: انظروا إلى رجل دليل بالطريق. فقالوا: ما نعلمه إلا رافع بن عمرو فإنه كان ربيلاً. فسألت

طارقاً: ما الربيل؟ قال: اللص الذي يغزو القوم وحده فيسرق. قال رافع: فلما قضينا غَزاتنا وانتهيت إلى المكان الذي كنا خرجنا منه توسمت أبا بكر رضي الله عنه فأتيته فقلت: يا صاحب الحلال، إني توسمتك من بين أصحابك فائتني بشيء إذا حفظته كنت منكم ومثلكم. فقال: أتحفظ أصابعك الخمس؟ قلت: نعم. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة إن كان لك مال، وتحج البيت، وتصوم رمضان؛ حفظت؟ فقلت: نعم. قال: وأخرى: لا تَأَمَّرَنَّ على اثنين. قلت: وهل تكون الإمرة إلا فيكم أهل بدر؟ قال: يوشك أن تفشو حتى تبلغك ومن هو دونك. إن الله عزّ وجلّ لما بعث نبيه ﷺ دخل الناس في الإسلام، فمنهم من دخل فهداه الله، ومنهم من أكرهه السيف، فهم عوّاذ الله عزّ وجلّ وجيران الله في خفارة الله. إنَّ الرجل إذا كان أميراً فتظالم الناس بينهم فلم يأخذ لبعضهم من بعض انتقم الله منه. إنَّ الرجل منكم لتؤخذ شاة جاره فيظل ناتيء عضلته غضباً لجاره، والله من وراء جاره. قال رافع: فمكثت سنة ثم إن أبا بكر رضي الله عنه استُخلِف فركبت إليه. قلت: أنا رافع، كنت نقيبك بمكان كذا وكذا. قال: عرفت. قال: كنت نهيتني عن الإمارة ثم ركبت أعظم من ذلك: أمة محمد ﷺ. قال: نعم، فمن لم يقم فيهم كتاب الله فعليه بَهْلة الله - يعني لعنة الله -. قال الهيثمي (5/ 202): رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج الحاكم ، وأبو نُعَيم، وابن عساكر عن سعيد بن عمر بن سعيد بن العاص أنَّ أعمامه: خالداً، وأباناً، وعمرو بن سعيد بن العاص - رضي الله عنهم - رجعوا عن أعمالهم حين بلغهم وفاة رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما أحد أحقُّ بالعلم من

عمال رسول الله ﷺ فقالوا: لا نعمل لأحد. فخرجوا إلى الشام فقُتلوا عن آخرهم. كذا في «الكنز» (3/ 126).

وعند ابن سعد عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبان بن سعيد رضي الله عنه حين قدم المدينة: ما كان حقك أن تقدم وتترك عملك بغير إذن إمامك ثم على هذه الحالة ولكنك آمنته. فقال أبان: أما إني ـ والله ـ ما كنت لأعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ، ولو كنت عاملاً لأحد بعد رسول الله ﷺ كنت عاملاً لأبي بكر رضي الله عنه لفَضْله، وسابقته، وقديم إسلامه؛ ولكن لا أعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ. وشاور أبو بكر رضي الله عنه أصحابه فيمن يبعث إلى البحرين، فقال له عثمان بن عفان رضي الله عنه: ابعث رجلاً قد بعثه رسول الله ﷺ إليهم، فقدم عليهم بإسلامهم، وطاعتهم وقد عرفوه وعرفهم، وعرف بلادهم ـ يعني: العلاء بن الحَضْرمي رضي الله عنه ـ. فأبى ذلك عمر رضي الله عنه عليه وقال: أَكْرِه أبان بن سعيد بن العاص فإنه رجل قد خالفهم. فأبى أبو بكر رضي الله عنه أن يكرهه وقال: لا أفعل، لا أكره رجلاً يقول لا أعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ. وأجمع أبو بكر بَعْثَة العلاء بن الحضرمي ـ رضي الله عنهما ـ إلى البحرين. كذا في «الكنز» (3/ 133).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 380) عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ دعاه ليستعمله فأبى أن يعمل له. فقال: أتكره العمل وقد طلبه من كان خيراً منك؟ قال: من؟ قال: يوسف بن يعقوب عليه السلام. فقال أبو هريرة رضي الله عنه: يوسف نبي الله ابن نبي الله، وأنا أبو هريرة بن (أميمة)، فأخشى ثلاثاً واثنتين. فقال عمر رضي الله عنه: أفلا قلت خمساً؟ قال: أخشى أن أقول بغير علم، وأقضيَ بغير

حكم، وأن يُضرب ظهري، وينتزع مالي، ويُشتم عرضي. وأخرجه أيضاً أبو موسى في «الذَّيْل»؛ قال في «الإصابة» (4/ 241): وسنده ضعيف جداً، ولكن أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب، فقَوِيَ. انتهى. وأخرجه ابن سعد (4/ 59) عن ابن سيرين عن أبي هريرة بمعناه مع زيادة في أوله.

وأخرج الطبراني في «الكبير» و «الأوسط» عن عبد الله بن مَوْهَب أن عثمان قال لابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: اذهب فاقضِ بين الناس. قال: أوَ تُعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، عزمت عليك إلا ذهبت فقضيت. قال: لا تعْجَل، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من عاذ بالله فقد عاذ بمَعاذ». قال: نعم. قال: فإني أعوذ بالله أن أكون قاضياً. قال: وما يمنعك وقد كان أبوك يقضي؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان قاضياً، فقضى بجهل كان من أهل النار؛ ومن كان قاضياً عالماً فقضى بحق ـ أو بعدل ـ سأل التقلب كفافاً»، فما أرجو بعد هذا؟! قال الهيثمي (4/ 193): رواه الطبراني في «الكبير» و «الأوسط»، والبزَّار، وأحمد وكلاهما باختصار، ورجاله ثقات؛ وزاد أحمد: فأعفاه وقال: لا تجبرن أحداً. وعند الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أراده عثمان رضي الله عنه على القضاء فأبى وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «القضاة ثلاثة: واحد ناجٍ، واثنان في النار، من قضى بالجور أو بالهوى هلك، ومن قضى بالحق نجا». قال الهيثمي (4/ 193): رواه الطبراني في «الأوسط» و «الكبير»، ورجال «الكبير» ثقات. ورواه أبو يَعْلى بنحوه. انتهى. وأخرجه ابن سعد (4/ 108) عن عبد الله بن مَوْهَب بمعناه مطولاً.

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

لما كان اليوم الذي اجتمع فيه علي ومعاوية رضي الله عنهما بدومة الجندل؛ قالت لي أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها: إنه لا يجمُل بك أن تتخلف عن صلح يصلح الله به بين أمة محمد ﷺ، أنت صهر رسول الله ﷺ وابن عمر بن الخطاب. فأقبل معاوية يومئذٍ على بُخْتي عظيم فقال: من يطمع في هذا الأمر ويرجوه أو يمد له عنقه؟ قال ابن عمر: فما حدثت نفسي بالدنيا قبل يومئذٍ، ذهبت أن أقول يطمع فيه من ضربك وأباك على الإسلام حتى أدخلكما فيه، فذكرت الجنة ونعيمها فأعرضت عنه. قال الهيثمي (4/ 208): رجاله ثقات؛ والظاهر أنه أراد صلح الحسن بن علي رضي الله عنهما ووهم الراوي. انتهى. وأخرجه ابن سعد (4/ 134) عن ابن عمر نحوه. وأخرج أيضاً عن أبي حُصَين أن معاوية قال: ومن أحقُّ بهذا الأمر منا؟ فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: فأردت أن أقول: أحق منك من ضربك وأباك عليه، ثم ذكرت ما في الجنان فخشيت أن يكون في ذلك فساد. وعن الزُّهري قال: لما اجتمع علي، ومعاوية فقال: من كان أحقَّ بهذا الأمر مني؟ قال ابن عمر: فتهيأت أن أقوم فأقول: أحق به من ضربك وأباك على الكفر فخشيت أن يُظن بي غير الذي بي.

وأخرج أحمد عن عبد الله بن الصامت رضي الله عنه قال: أراد زياد أن يبعث عمران بن حصين رضي الله عنهما على خراسان، فأبى عليه، فقال له أصحابه: أتركت خراسان أن تكون عليها؟ قال: فقال: إني والله ما يسرني أن أَصْلَى بحرّها ويُصْلَون ببردها، إني أخاف إذا كنت في نحر العدو أن يأتيني بكتاب من زياد فإن أنا مضيت هلكت، وإن رجعت ضُربت عنقي. قال: فأراد الحكم بن عمرو الغفاري عليها فانقاد لأمره. قال: فقال عمران: ألا أحد يدعو لي الحكم؟ قال: فانطلق

الرسول، قال: فأقبل الحكم إليه. قال: فدخل عليه فقال عمران للحكم: أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا طاعة لأحد في معصية الله تبارك وتعالى». قال: نعم. فقال عمران: الحمد ﷺ ـ أو ـ الله أكبر!.

وفي رواية عن الحسن أن زياداً استعمل الغِفاري على جيش، فأتاه عمران بن حُصَين رضي الله عنها فلقيه بين الناس فقال: أتدري لم جئتك؟ فقال له: لِمَ؟ فقال: أتذكر قول رسول الله ﷺ للرجل الذي قال له أميره: ارمِ نفسك في النار فأُدْرِك فاحتُبِس، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «لو وقع فيها لدخلا النار جميعاً، لا طاعة في معصية الله تبارك وتعالى». قال: نعم. قال: إنما أردت أن أذكرك هذا الحديث. قال الهيثمي (5/ 226): رواه أحمد بألفاظ، والطبراني باختصار (وفي بعض طرقه «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»)؛ ورجال أحمد رجال الصحيح. انتهى.

* * *

احترام الخلفاء والأمراء وطاعة أوامرهم

أخرج ابن جرير، وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي على سرية ومعه في السرية عمار بن ياسر ـ رضي الله عنهما ـ قال: فخرجوا حتى أتَوا قريباً من القوم الذين يريدون أن يصبِّحوهم نزلوا، في بعض الليل. قال: وجاء القوم النذيرُ فهربوا حيث بلغوا، فأقام رجل منهم كان قد أسلم هو وأهل بيته، فأمر أهله فتحمَّلوا، وقال: قفوا حتى آتيكم، ثم جاء حتى دخل على عمار رضي الله عنه، فقال: يا أبا اليقظان، إني قد أسلمت وأهل بيتي، فهل ذلك نافعي إن أنا أقمت، فإن قومي قد هربوا حيث سمعوا بكم؟ قال: فقال له عمار: فأقم فأنت آمن. فانصرف الرجل هو وأهله. قال: فصبَّح خالد القوم فوجدهم قد ذهبوا فأخذ الرجل هو وأهله. فقال له عمار: إنه لا سبيل لك على الرجل قد أسلم. قال: وما أنت وذاك؟ أتجير عليّ وأنا الأمير؟ قال: نعم أجير عليك وأنت الأمير، إن الرجل قد آمن لو شاء لذهب كما ذهب أصحابه؛ فأمرته بالمقام لإسلامه. فتنازعا في ذلك حتى تشاتما. فلما قدما المدينة اجتمعا عند رسول الله ﷺ، فذكر عمار الرجل وما صنع، فأجاز رسول الله ﷺ أمان عمار ونهى يومئذٍ أن يجير أحد على الأمير. فتشاتما عند رسول الله ﷺ، فقال خالد: يا رسول الله، أيشتمني هذا العبد عندك؟ أما ـ والله ـ لولاك ما شتمني. فقال نبي الله ﷺ: «كفَّ يا خالد عن عمار، فإنه من يبغض عماراً يبغضه الله عزّ وجلّ، ومن يلعن عماراً يلعنه الله عزّ وجلّ». ثم قام

عمّار فولى واتبعه خالد بن الوليد حتى أخذ بثوبه فلم يزل يترضّاه حتى رضي الله عنه ـ وفي رواية أخرى: رضي عنه ـ ونزلت هذه الآية: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: 59] أمراء السرايا ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ فيكون الله ورسوله هو الذي يحكم فيه، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ يقول خير عاقبة. كذا في الكنز (1/ 242). وأخرجه أيضاً أبو يَعْلى، وابن عساكر، والنَّسائي، والطبراني، والحاكم من حديث خالد رضي الله عنه بمعناه مطوّلاً؛ وابن أبي شيبة، وأحمد، والنَّسائي مختصراً؛ كما في الكنز (7/ 73). قال الحاكم (3/ 390): صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: صحيح؛ وقال الهيثمي (9/ 294): رواه الطبراني مطولاً، ومختصراً منها ما وافق أحمد ورجاله ثقات.

وأخرج أحمد عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة رضي الله عنه من المسلمين في غزوة مؤتة و (رافقني) مَدَدي من اليمن ليس معه غير سيفه، فنحر رجل من المسلمين جزوراً، فسأله المددي طائفة من جلده فأعطاه إياه، فاتخذه كهيئة الدَّرَقة؛ ومضينا فلقينا جموع الروم، وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهَّب وسلاح مُذهَّب. فجعل الرومي يفري بالمسلمين، وقعد له المَدَدي خلف صخرة، فمر به الرومي (فعرقب فرسه) فخر وعلاه فقتله وحاز فرسه وسلاحه. فلما فتح الله للمسلمين بعث إليه خالد بن الوليد رضي الله عنه (فأخذ منه السلب) قال عوف: فأتيته فقلت: يا خالد، أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسَّلَب للقاتل؟ قال: بلى؛ ولكني استكثرته. فقلت: لتردنَّه إليه أو لأعرفنَّكها عند رسول الله ﷺ، فأبى أن يردّ عليه.

قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ فقصصت عليه قصة

المَدَدي وما فعل خالد. قال رسول الله ﷺ: «يا خالد ما حملك على ما صنعت؟» قال: يا رسول الله استكثرته. فقال رسول الله ﷺ: «يا خالد، ردّ عليه ما أخذت منه». قال عوف: فقلت: دونك يا خالد ألم أفِ لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك؟» فأخبرته. فغضب رسول الله ﷺ وقال: «يا خالد، لا ترده عليه، هل أنتم تاركون لي أُمرائي؟ لكم صفوة أمرهم وعليهم كدْرُهُ» ورواه مسلم، وأبو داود نحوه. كذا في «البداية» (4/ 249)؛ وأخرجه البيهقي (6/ 310) بنحوه.

وأخرج ابن سعد (3/ 206) عن راشد بن سعد أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُتِيَ بمال فجعل يقسمه بين الناس فازدحموا عليه، فأقبل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يزاحم الناس حتى خَلَص إليه، فعلاه عمر رضي الله عنه بالدِّرة وقال: إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض فأحببت أن أعلِّمك أن سلطان الله لن يهابك.

وأخرج البيهقي (9/ 41) عن عبد الله بن يزيد قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في سرية فيهم أبو بكر، وعمر ـ رضي الله عنهما ـ. فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو أن لا ينوِّروا ناراً؛ فغضب عمر وهمَّ أن يأتيه، فنهاه أبو بكر وأخبره أنه لم يستعمله رسول الله ﷺ عليك إلّا لعلمه بالحرب، فهدأ عنه عمر رضي الله عنه. وأخرجه الحاكم (3/ 42) عن عبد الله بن بُرَيْدة عن أبيه قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه في غزوة ذات السلاسل ـ فذكره بنحوه، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

وأخرج الحاكم (3/ 290) عن جُبَير بن نُفَير أنَّ عياض بن غُنْم الأشعري وقع على صاحبِ دارا حين فتحت، فأتاه هشام بن حكيم

فأغلظ له القول، ومكث هشام ليالي، فأتاه معتذراً فقال لعياض: ألم تعلم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدُّ الناس عذاباً للناس في الدنيا». فقال له عياض: يا هشام، إنا قد سمعنا الذي قد سمعت، ورأينا الذي قد رأيت، وصحبنا من صحبت؛ ألم تسمع يا هشام رسول الله ﷺ يقول: «من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلّمْه بها علانية، وليأخذ بيده، وليخْلُ به؛ فإنْ قبلها قبلها، وإلا كان قد أدَّى الذي عليه والذي له». وإنك يا هشام، لأنت المجترىء أن تجترىء على سلطان الله، فهلّا خشيت أن يقتلك سلطان الله فتكون قتيل سلطان الله؟ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد لم يخرِّجاه. وقال الذهبي: فيه ابن زريق واهٍ. وأخرجه البيهقي (8/ 164) بهذا الإسناد مثله. وذكره في «مجمع الزوائد» (5/ 229) بدون ذكر مخرِّجه، ثم قال: رجاله ثقات وإسناده متصل. وأخرجه أحمد عن شُرَيح بن عبيد وغيره، قال: جلد عياضُ بن غنم صاحبَ دارا حين فُتحت، فأغلظ له هشام ـ فذكر الحديث بنحوه ـ. قال الهيثمي (5/ 229): رجاله ثقات إلا أني لم أجد لشريح من عياض وهشام سماعاً وإن كان تابعياً.

وأخرج البزَّار عن زيد بن وهب قال: أنكر الناس على أمير في زمن حذيفة رضي الله عنه شيئاً، فأقبل رجل في المسجد ـ المسجد الأعظم ـ يتخلَّل الناس حتى انتهى إلى حذيفة وهو قاعد في حَلْقة، فقام على رأسه فقال: يا صاحب رسول الله ﷺ، ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فرفع حذيفة رضي الله عنه رأسه فعرف ما أراد، فقال له حذيفة: إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لَحَسن، وليس من السنة أن تُشهر السلاح على أميرك. قال الهيثمي (5/ 224): وفيه حبيب بن خالد وثَّقه ابن حِبّان، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي. انتهى.

وأخرج البيهقي (8/ 163) عن زياد بن كسيب العدوي قال: كان عبد الله بن عامر يخطب الناس، عليه ثياب رقاق مُرَجِّل شَعرَه. قال: فصلَّى يوماً ثم دخل. قال: وأبو بَكرة جالس إلى جنب المنبر، فقال مِرداس أبو بلال: ألا تَرَوْن إلى أمير الناس وسيدهم يلبس الرقاق ويتشبه بالفُسّاق؟! فسمعه أبو بَكْرة فقال لابنه الأُصَيْلع: ادعُ لي أبا بلال. فدعاه له. فقال أبو بَكْرة: أما إني قد سمعت مقالتك للأمير آنفاً، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أكرم سلطان الله أكرمه الله، ومن أهان سلطان الله أهانه الله».

وأخرج الشيخان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأنصار على سرية؛ بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا؟ قال: فأغضبوه في شيء فقال: اجمعوا لي حطباً. فجمعوا، فقال: أوقدوا ناراً: فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى. قال: فادخلوها. قال: فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ من النار. قال: فسكن غضبه وطفئت النار. فلما قدموا على النبي ﷺ ذكروا ذلك له، فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة في المعروف». وهذه القصة ثابتة أيضاً في «الصحيحين» عن ابن عباس رضي الله عنهما، كذا في «البداية» (4/ 226). وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس، وابن أبي شَيْبة عن أبي سعيد بمعناه. وسمَّى أبو سعيد الرجل الأنصاري عبد الله بن حذافة السهمي؛ كما في الكنز (3/ 170)، وهكذا سمّاه في البخاري عن ابن عباس، كما في «الإصابة» (2/ 296).

وأخرج أبو يَعْلى ، وابن عساكر ـ ورجاله ثقات ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كانت في نفر من أصحابه فأقبل عليهم

فقال: «ألستم تعلمون أنِّي رسول الله إليكم؟» قالوا: بلى، نشهد أنَّك رسول الله. قال: «ألستم تعلمون أنه من أطاعني فقد أطاع الله، ومن طاعة الله طاعتي؟» قالوا: بلى، نشهد أنه من أطاعك فقد أطاع الله، ومن طاعة الله طاعتك. قال: «فإن من طاعة الله أن تطيعوني، ومن طاعتي أن تطيعوا أُمراءكم، وإن صلَّوا قعوداً فصلوا قعوداً». كذا في «الكنز» (3/ 168).

وأخرج ابن جرير عن أسماء بنت يزيد أنَّ أبا ذر الغفاري رضي الله عنه كان يخدم رسول الله ﷺ، فإذا فرغ من خدمته أوى إلى المسجد، فكان هو بيته يضطجع فيه؛ فدخل رسول الله ﷺ ليلة إلى المسجد فوجد أبا ذر نائماً منجدلاً في المسجد، فركله رسول الله ﷺ برجله حتى استوى قاعداً. فقال له رسول الله ﷺ: «ألا أراك نائماً فيه؟» فقال أبو ذر: أين أنام يا رسول الله؟ ما لي من بيت غيره. فجلس إليه رسول الله ﷺ فقال: «فكيف أنت إذا أخرجوك منه؟» فقال: إذاً ألحق بالشام فإن الشام أرض الهجرة، والمحشر، والأنبياء، فأكون رجلاً من أهلها. قال: «فكيف أنت إذا أخرجوك من الشام؟» قال: إذاً أرجع إليه، فيكون بيتي ومنزلي. قال: «فكيف أنت إذا أخرجوك منه ثانياً؟» قال: آخذ سيفي فأقاتل حتى أموت. فشكر إليه رسول الله ﷺ فأثبته بيده فقال: «أدلّك على ما هو خير من ذلك؟» قال: بلى ـ بأبي وأُمي يا رسول الله ـ فقال رسول الله ﷺ: «تنقاد لهم حيث قادوك، وتنساق لهم حيث ساقوك؛ حتى تلقاني وأنت على ذلك». كذا في «الكنز» (3/ 168). وأخرجه أيضاً أحمد عن أسماء نحوه. قال الهيثمي (5/ 223): وفيه شَهْرُ بن حَوْشَب، وهو ضعيف وقد وُثِّق. انتهى.

وأخرجه ابن جرير أيضاً عن أبي ذر رضي الله عنه بنحوه، وفي

حديثه قال: «فكيف تصنع إذا أخرجت منها؟» قلت: آخذ سيفي فأضرب به من يخرجني. فضرب بيده على منكبي ثم قال: «غَفْراً يا أبا ذر، تنقاد معهم حيث قادوك، وتنساق معهم حيث ساقوك ولو لعبد أسود». قال: فلما أُنزلت الرَّبَذَة أُقيمت الصلاة فتقدم رجل أسود على بعض صدقاتها. فلما رآني أخذ ليرجع ويقدِّمني فقلت: كما أنت، بل أنقاد لأمر رسول الله ﷺ!!.

وأخرجه أيضاً عبد الرزاق عن طاووس، وفي حديثه: فلما خرج أبو ذرّ رضي الله عنه إلى الرَّبَذَة فوجد بها غلاماً لعثمان رضي الله عنه أسود، فأذَّن وأقام ثم قال: تقدم يا أبا ذر. قال: لا، إنَّ رسول الله ﷺ أمرني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً أسود. فتقدَّم فصلَّى خلفه. كذا في «الكنز» (3/ 168). وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، والبيهقي، ونُعَيم بن حَمَّاد وغيرهم عن عمر رضي الله عنه قال: «اسمع وأطع وإن أُمِّر عليك عبد حبشي مُجَدَّع، إن ضرك فاصبر، وإن أمرك بأمر فائتمر، وإن حرمك فاصبر، وإن ظلمك فاصبر، وأن أراد أن ينقص من دينك فقل: دمي دون ديني ولا تفارق الجماعة». كذا في «كنز العمال» (3/ 167).

وأخرج يعقوب بن سفيان بإسناد صحيح إلى الحسن قال: لقي عمر رضي الله عنه علقمة بن علاثَة في جوف الليل ـ وكان عمر يُشَبَّه بخالد بن الوليد رضي الله عنه ـ فقال له علقمة: يا خالد، عزلك هذا الرجل! لقد أبَى إلّا شُحّاً، حتى لقد جئتُ إليه وابن عم لي نسأله شيئاً، فأما إذا فعل فلن أسأله شيئاً. فقال له عمر: هيه فما عندك؟ فقال: هم قوم لهم علينا حق فنؤدِّي لهم حقهم وأجرُنا على الله. فلما أصبحوا قال عمر لخالد: ماذا قال لك علقمة منذ الليلة؟ قال: والله ما قال لي شيئاً. قال: وتحلف

أيضاً. ومن طريق أبي نَضْرة نحوه وزاد: فجعل علقمة يقول لخالد: مَهْ يا خالد. ورواه سيف بن عمر من وجه آخر عن الحسن وزاد في آخره: فقال عمر: كلاهما قد صدقا. وكذا رواه ابن عائد وزاد: فأجاز علقمة وقضى حاجته. وروى الزبير بن بكار عن محمد بن سلمة عن مالك ـ فذكر نحوه مختصراً جداً، وقال فيه: فقال: ماذا عندك؟ قال: ما عندي إلا سمع وطاعة، وزاد: فقال عمر رضي الله عنه: لأن يكون مَنْ ورائي على مثل رأيك أحبُّ إليّ من كذا وكذا. كذا في «الإصابة» (2/ 504).

وأخرج مالك عن ابن أبي مُلَيكة قال: إنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بامرأة مجذومة وهي تطوف بالبيت، فقال لها: يا أَمَةَ الله لا تؤذي الناس، لو جلست في بيتك. فجلست. فمر بها رجل بعد ذلك، فقال: إن الذي كان نهاك قد مات فاخرجي. قالت: ما كنت لأطيعه حياً وأعصيَه ميتاً. كذا في «كنز العمال» (5/ 192).

وأخرج ابن أبي شيبة عن شَمِر عن رجل قال: كنت عريفاً في زمن علي رضي الله عنه، فأمرنا بأمر فقال: أفعلتم ما أمرتكم؟ قلنا: لا، قال: والله لتفعَلُنَّ ما تؤمرون به أو لتركبَنَّ أعناقكم اليهود والنصارى. كذا في «الكنز» (3/ 167).

* * *

تطاوع الأمراء

أخرج البيهقي عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى ذات السلاسل من مشارف الشام في بَليٍّ وعبد الله ومن يليهم من قضاعة ـ وبنو بليّ أخوال العاص بن وائل ـ. فلمّا صار إلى هناك خاف من كثرة عدوه فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده. فندب رسول الله ﷺ المهاجرين الأولين، فانتدب أبو بكر، وعمر من سراة المهاجرين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وأمَّر عليهم رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. فلما قدموا على عمرو قال: أنا أميركم وأنا أرسلت إلى رسول الله ﷺ أستمده بكم. فقال المهاجرون: بل أنت أمير أصحابك، وأبو عبيدة أمير المهاجرين. فقال عمرو: إنما أنتم مدد أُمددته. فلما رأى ذلك أبو عبيدة ـ وكان رجلاً حسن الخلق لين الشِّيمة ـ قال: تعلم يا عمرو، أنَّ آخر ما عهد إليّ رسول الله ﷺ أن قال: «إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا» وإنك إن عصيتني لأطيعنَّك. فسلَّم أبو عبيدة الإمارة لعمرو بن العاص. كذا في «البداية» (4/ 273). وهكذا أخرجه ابن عساكر عن عروة، كما في «الكنز» (5/ 310)، وفيه مشارق بدل مشارف.

وأخرج أيضاً عن الزهري قال: بعث رسول الله ﷺ بَعْثَين إلى كلب، وغسّان، وكفار العرب الذين كانوا بمشارف الشام، وأمَّر على أحد البَعْثَين أبا عبيدة بن الجراح، وأمَّر على البعث الآخر عمرو بن

العاص ـ رضي الله عنهما ـ فانتدب في بعث أبي عبيدة أبو بكر، وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فلما كان عند خروج البعث دعا رسول الله ﷺ أبا عبيدة، وعَمْراً وقال: «لا تعاصَيا». فلما فصلا من المدينة خلا أبو عبيدة بعمرو فقال له: إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ وإليك أن لا تعاصيا، فإما أن تطيعني وإما أن أطيعك. قال: لا، بل أطعني. فأطاع أبو عبيدة وكان عمرو أميراً على البَعْثين كليهما. فوَجَد عمر رضي الله عنه من ذلك قال: أتطيع ابن النابغة وتؤمره على نفسك وعلى أبي بكر وعلينا؟ ما هذا الرأي! فقال أبو عبيدة لعمر: يا بن أم، إنَّ رسول الله ﷺ عهد إليّ وإليه أن لا تتعاصَيا فخشيت إن لم أُطعه أن أعصيَ رسول الله ﷺ ويدخل بيني وبين الناس، وإني ـ والله ـ لأطيعنَّه حتى أَقْفُل. فلما قفلوا كلَّم عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ وشكا إليه ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «لن أُؤمر عليكم بعد هذا إلا منكم» ـ يريد المهاجرين ـ. كذا في «الكنز» (5/ 319).

* * *

حق الأمير على الرعية

أخرج هَنَّاد، عن سَلَمة بن شهاب العبدي قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أيتها الرعية إنَّ لنا عليكم حقاً: النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير؛ وإنه ليس شيء أحبَّ إلى الله وأعمَّ نفعاً من حلم إمام ورِفْقه، وليس شيء أبغض إلى الله من جهل إمام وخُرْقه. كذا في «الكنز» (3/ 165). وأخرجه الطبري (5/ 32) عن سلمة بن كُهَيل بمعناه.

وأخرج هَنّاد أيضاً عن عبد الله بن عكيم قال: قال عمر بن

الخطاب رضي الله عنه: إنه لا حِلْمَ أحب إلى الله من حلم إمام ورفقه، ولا جهل أبغض إلى الله من جهل إمام وخُرْقه، ومن يعمل بالعفو فيما يظهر به تأتيه العافية، ومن ينصف الناس من نفسه يُعطى الظفر في أمره، والذل في الطاعة أقرب إلى البر من التعزّز بالمعصية. كذا في «الكنز» (3/ 165).

* * *

النهي عن سب الأمراء

أخرج ابن جرير عن أنس رضي الله عنه قال: نهانا كبراؤنا من أصحاب محمد ﷺ، قال: لا تسبُّوا أُمراءكم، ولا تَغَشُّوهم، ولا تعصوهم، واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب. كذا في «الكنز» (3/ 168).

أخرج البيهقي (8/ 165) عن عروة قال: أتيت عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، إنا نجلس إلى أئمتنا هؤلاء فيتكلَّمون بالكلام نحن نعلم أن الحق غيره فنصدقهم، ويقضون بالجَوْر فنقوِّيهم ونحسِّنه لهم، فكيف ترى في ذلك؟ فقال: يا ابن أخي، كنَّا مع رسول الله ﷺ نعدّ هذا نفاقاً فلا أدري كيف هو عندكم؟. وأخرج أيضاً (8/ 164) عن عاصم بن محمد عن أبيه قال: قال رجل لابن عمر رضي الله عنهما: إنا ندخل على سلطاننا فنقول ما نتكلم بخلافه إذا خرجنا من عندهم، قال: كنا نَعُدّ هذا نفاقاً. وأخرجه البخاري عن محمد بن زيد بنحوه وزاد: كنا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ. كذا في «الترغيب» (4/ 382).

وأخرج ابن عساكر عن مجاهد أنَّ رجلاً قدم على ابن عمر رضي الله عنهما فقال له: كيف أنتم وأبو أنيس؟ قال: نحن وهو إذا لقيناه قلنا له ما يحب، وإذا ولَّينا عنه قلنا غير ذلك. قال: ذلك ما كنا نَعُدّ ـ ونحن مع رسول الله ﷺ ـ من النفاق. كذا في «كنز العمال» (1/ 93).

وأخرجه أبو نُعيم في «الحِلية» (4/ 332) عن الشَّعْبي قال: قلنا لابن عمر رضي الله عنهما: إذا دخلنا على هؤلاء نقول ما يشتهون، فإذا خرجنا من عندهم قلنا خلاف ذاك. قال: كنا نَعُدّ ذلك نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ.

وأخرج البيهقي (8/ 165) عن علقمة بن وقّاص قال: كان رجل بَطّال يدخل على الأمراء فيضحكهم فقال له جدِّي: ويحك يا فلان، لمَ تدخل على هؤلاء فتضحكهم؟! فإني سمعت بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ يحدِّث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ العبد ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله ما يظنُّ أن تبلغ ما بلغت فيرضى الله بها عنه إلى يوم يلقاه، وإنَّ العبد ليتكلّم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيسخط الله بها إلى يوم يلقاه». وأخرج أيضاً (8/ 165) عن علقمة أنَّ بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه قال له: إني رأيتك تدخل على هؤلاء الأمراء وتَغْشاهم، فانظر ماذا تحاضرهم به، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الرجل ليتكلّم». فذكر نحوه.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 227) عن حذيفة رضي الله عنه قال: إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدِّقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 318) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي أبي: أي بنيّ، إني أرى أمير المؤمنين يدعوك ويقرِّبك ويستشيرك مع أصحاب رسول الله ﷺ، فاحفظ عني ثلاث خصال: اتق الله لا يجربنَّ عليك كَذِبة، ولا تُفشينَّ له سراً، ولا تغتابنَّ عنده أحداً. قال عامر: فقلت لابن عباس رضي الله عنهما: كل واحدة

خير من ألف. قال: كل واحدة خير من عشرة آلاف. ورواه الطبراني نحوه. قال الهيثمي (4/ 221): وفيه مجالد بن سعيد وثَّقه النِّسائي وغيره وضعفه جماعة.

وأخرجه البيهقي (8/ 167) عن الشَّعْبي أنَّ العباس قال لابنه عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ: إني أرى هذا الرجل قد أكرمك ـ يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ وأدنى مجلسك، وألحقك بقوم لست مثلهم، فاحفظ عني ثلاثاً: لا يجربنَّ عليك كذباً، ولا تُفْشِ عليه سرّاً، ولا تغتابنَّ عنده أحداً.

* * *

قول الحق عند الأمير وردُّ أمره إذا خالف أمر الله

أخرج ابن راهَوَيْه عن الحسن أنَّ عمر بن الخطاب ردّ عن أُبيّ بن كعب ـ رضي الله عنهما ـ قراءة آية، فقال أبيّ: لقد سمعتها من رسول الله ﷺ وأنت يلهيك ـ يا عمر ـ الصَّفْق بالبقيع. فقال عمر رضي الله عنه: صدقت إنما أردت أن أجربكم هل منكم من يقول الحق؟ فلا خير في أمير لا يُقال عنده الحق ولا يقوله. كذا في «كنز العمال» (7/ 2).

وعند عبد بن حُمَيد، وابن جرير، وابن عديّ عن أبي مِجْلَز أن أُبي بن كعب قرأ: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ [المائدة: 107] فقال عمر رضي الله عنه: كذبت. قال: أنت أكذب. فقال رجل: تكذِّب أمير المؤمنين؟ قال: أنا أشد تعظيماً لحقِّ أمير المؤمنين منك، ولكن كذَّبته في تصديق كتاب الله، ولم أُصدِّق أمير المؤمنين في تكذيب كتاب الله. فقال عمر: صدق. كذا في «الكنز» (1/ 285).

وأخرج ابن عساكر، وأبو ذر الهَرَوِي في «الجامع» عن النعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال في مجلس وحوله المهاجرون والأنصار: أرأيتم لو ترخصت في بعض الأمور ما كنتم فاعلين؟ فسكتوا. فقال ذلك مرتين وثلاثاً، فقال بشير بن سعد: لو فعلت ذلك قوَّمناك تقويم القِدْح. فقال عمر: أنتم إذاً، أنتم إذاً. كذا في «الكنز» (3/ 148).

وعند ابن المبارك عن موسى بن أبي عيسى قال: أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مَشْرَبة بني حارثة فوجد محمد بن مسلمة، فقال عمر: كيف تراني يا محمد؟ قال: أراك ـ والله ـ كما أحب وكما يحب من يحب لك الخير، أراك قوياً على جمع الأموال، عفيفاً عنه، عَدْلاً في قَسْمه، ولو مِلْتَ عدَّلْناك كما يعدل السهم في الثِّقاب. فقال عمر رضي الله عنه: هاه! وقال: لو ملت عدَّلناك كما يعدل السهم في الثقاب. فقال: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا مِلْت عدَّلوني. كذا في «منتخب كنز العمال» (4/ 381).

وأخرج الطبراني، وأبو يعلى عن أبي فنيل عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أنه صعد المنبر يوم الجمعة، فقال عند خطبته: إنما المال مالنا، والفيء فيئنا، فمن شئنا أعطيناه ومن شئنا منعناه؛ فلم يجبه أحد. فلما كان في الجمعة الثانية قال مثل ذلك، فلم يجبه أحد. فلما كان في الجمعة الثالثة قال مثل مقالته، فقام إليه رجل ممَّن حضر المسجد فقال: كلا، إنما المال مالنا، والفيء فيئنا، فمن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله بأسيافنا. فنزل معاوية رضي الله عنه فأرسل إلى الرجل فأدخله. فقال القوم: هلك الرجل. ثم دخل الناس فوجدوا الرجل معه على السرير. فقال معاوية للناس: إنَّ هذا أحياني، أحياه الله. سمعت

رسول الله ﷺ يقول: «سيكون بعدي أمراء يقولون ولا يُردّ عليهم، يتقاحمون في النار كما تتقاحم القردة»، وإنّي تكلّمت أول جمعة فلم يردّ عليّ أحد، فخشيت أن أكون منهم. ثم تكلّمت في الجمعة الثانية فلم يردّ عليّ أحد فقلت في نفسي: إني من القوم. ثم تكلّمت في الجمعة الثالثة فقام هذا الرجل فردّ عليّ، فأحياني أحياه الله. قال الهيثمي (5/ 236): رواه الطبراني في «الكبير»، و «الأوسط»، وأبو يعلى ورجاله ثقات. انتهى.

وأخرج ابن أبي عاصم، والبغَوي عن خالد بن حكيم بن حزام قال: كان أبو عبيدة ـ رضي الله عنه ـ أميراً بالشام، فتناول بعض أهل الأرض، فقام إليه خالد رضي الله عنه؛ فكلّمه. فقالوا: أغضبت الأمير؟ فقال: أما إني لم أرد أن أغضبه، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة أشدُّهم عذاباً للناس في الدنيا». وأخرجه أيضاً أحمد ، والبخاري في تاريخه، والطبراني ؛ وأخرجه الباوَرْدي وزاد فيه: وهو يعذّب الناس في الجزية. كذا في «الإصابة» (1/ 403). قال الهيثمي (5/ 234): رواه أحمد، والطبراني وقال: فقيل له: أغضبت الأمير؟ وزاد: اذهب فخلِّ سبيلهم. ورجاله رجال الصحيح خلا خالد بن حكيم وهو ثقة. انتهى.

وأخرج الحاكم (3/ 442) عن الحسن قال: بعث زيادٌ الحَكَم بن عمرو الغفاري على خراسان فأصابوا غنائم كثيرة، فكتب إليه زياد: أما بعد، فإن أمير المؤمنين كتب أن يُصطفى له البيضاء والصفراء ولا تقسم بين المسلمين ذهباً ولا فضة. فكتب إليه الحَكَم: أما بعد؛ فإنك كتبت تذكر كتاب أمير المؤمنين، وإني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين، وإني أُقسم بالله لو كانت السماوات والأرض رَتْقاً على عبد

فاتَّقى الله لجعل له من بينهم مخرجاً والسلام! وأمر الحكم منادياً فنادى أن اغدوا على فَيْئكم، فقسمه بينهم؛ وإنَّ معاوية رضي الله عنه لما فعل الحكم في قسمة الفيء ما فعل وجَّه إليه مَنْ قيَّده وحبسه، فمات في قيوده ودفن فيها وقال: إني مخاصم.

وأخرجه ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» (1/ 316) ـ فذكر نحوه إلا أنه قال في حديثه: فقسمه بينهم وقال الحكم: اللهمَّ إن كان الذي لي عندك خيراً فاقبضني إليك. فمات بخراسان بمرو. قال في «الإصابة» (1/ 347) والصحيح: أنه لما ورد عليه كتاب زياد بالعتاب دعا على نفسه فمات. انتهى.

وأخرج الحاكم (3/ 471) عن إبراهيم بن عطاء عن أبيه أنّ زياداً أو ابن زياد بعث عمران بن حصين رضي الله عنهما ساعياً فجاء ولم يرجع معه درهمٌ. فقال له: أين المال؟ فقال: وللمال أرسلتني؟! أخذناها كما كنا نأخذها على عهد رسول الله ﷺ، ووضعناها في الموضع الذي كنا نضعها على عهد رسول الله ﷺ. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وقال الذهبي: صحيح.

* * *

حق الرعية على الأمير

أخرج البيهقي عن الأسود (بن يزيد) قال: كان عمر رضي الله عنه إذا قدم عليه الوفد سألهم عن أميرهم: أيعود المريض؟ أيجيب العبد؟ كيف صنيعه؟ من يقوم على بابه؟، (فإن قالوا لخصلةٍ منها لا؛ عزله). كذا في «الكنز» (3/ 166). وأخرجه الطبري (5/ 33) عن الأسود بمعناه.

وعند هَنَّاد عن إبراهيم قال: كان عمر رضي الله عنه إذا استعمل عامِلاً فقدم إليه الوفد من تلك البلاد قال: كيف أميركم؟ أيعود المملوك؟ أيتبع الجنازة؟ كيف بابه؟ أَلِينٌ هو؟ فإن قالوا: بابه لين، ويعود المملوك، تركه، وإلَّا بعث إليه بنزعه. كذا في «كنز العمال» (3/ 166).

وأخرج البيهقي عن عاصم بن أبي النُّجُود أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا بعث عماله شرط عليهم أن لا تركبوا بِرْذوناً، ولا تأكلوا نقيّاً، ولا تلبسوا رقيقاً، ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس، فإن فعلتم شيئاً من ذلك فقد حلّت بكم العقوبة؛ ثم يُشيِّعهم. فإذا أراد أن يرجع قال: إني لم أسلطكم على دماء المسلمين، ولا على أبشارهم، ولا على أعراضهم، ولا على أموالهم، ولكني بعثتكم لتقيموا بهم الصلاة، وتقسموا فيهم فَيْئهم، وتحكموا بينهم بالعدل، فإذا أشكل عليكم شيء فارفعوه إليّ. ألا فلا تضربوا العرب فتذلّوها، ولا تجمّروها فتفتنوا، ولا تَعْتَلوا عليها فتُحرَموها، جرِّدوا القرآن. كذا في «الكنز» (3/ 148).

وأخرجه الطبري (5/ 19) عن أبي حُصَين بمعناه مختصراً، وزاد: جرِّدوا القرآن، وأقلُّوا الرواية عن محمد ﷺ وأنا شريككم. وكان يُقِصُّ من عماله، وإذا شُكِي إليه عامل له جمع بينه وبين من شكاه، فإن صحَّ عليه أمرٌ يجب أخذُه به أَخَذَه به.

وأخرج أيضاً ابن أبي شيبة، وابن عساكر عن أبي خُزيمة بن ثابت قال: كان عمر رضي الله عنه إذا استعمل رجلاً أشهد عليه رهطاً من الأنصار وغيرهم يقول: إني لم أستعملك على دماء المسلمين ـ فذكر بمعناه، كما في «الكنز» (3/ 148).

وأخرج ابن سعد، وابن عساكر عن عبد الرحمن بن سابط قال: أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر الجمحي فقال: إنا مستعملوك على هؤلاء تسير بهم إلى أرض العدو فتجاهد بهم، فقال: يا عمر لا تفتنّي. فقال عمر: والله لا أدعكم، جعلتموها في عنقي ثم تخلَّيتم عني، إنَّما أبعثك على قوم لست أفضلهم، ولست أبعثك لتضرب أبشارهم، ولتنتهك أعراضهم؛ ولكن تجاهد بهم عدوهم، وتقسم بينهم فيْئَهم. كذا في «الكنز» (3/ 149).

وأخرج ابن عساكر؛ وأبو نُعيم في «الحِلْية» عن أبي موسى رضي الله عنه قال: إنَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعثني (إليكم) أعلمكم كتاب ربكم، وسنّة نبيكم، وأنظف (لكم) طرقكم. كذا في «الكنز» (3/ 149). وأخرجه الطبراني بنحوه. قال الهيثمي (5/ 213): ورجاله رجال الصحيح. انتهى.

* * *

الإِنكار على ترفُّع الأمير واحتجابه عن ذوي الحاجة

أخرج ابن عبد الحكم عن أبي صالح الغِفاري قال: كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: إنا قد خَططْنا لك داراً عند المسجد الجامع. فكتب إليه عمر: أنَّى لرجل من الحجاز تكون له دار بمصر؟ وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين. كذا في «الكنز» (3/ 148).

وأخرج ابن عبد الحكم عن أبي تميم الجيشاني رضي الله عنه قال: كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ:

«أما بعد: فإنه بلغني أنك اتخذت منبراً ترقى به على رقاب الناس، أو ما بحسبك أن تقوم قائماً والمسلمون تحت عقبيك. فعزمت عليك لما كسرته».

كذا في «الكنز» (3/ 166).

وأخرج مسلم عن أبي عثمان رضي الله عنه قال؛ كتب إلينا عمر رضي الله عنه ونحن بأذربيجان:

«يا عتبة بن فرقد، إنَّه ليس من كدِّك ولا من كدِّ أبيك ولا من كدِّ أمك، فأشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منه في رَحْلك؛ وإياكم والتنعّم وزيّ أهل الشرك ولبوس الحرير»

كذا في الترغيب (3/ 458).

وأخرج ابن عساكر عن عروة بن رُوَيم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تصفَّح الناس، فمر به أهل حمص، فقال: كيف أميركم؟ قالوا: خير أمير إلا أنّه بنى عِلِّيَّة يكون فيها. فكتب كتاباً وأرسل بريداً، وأمره أن يحرقها. فلما جاءها جمع حطباً وحرق بابها. فأخبر بذلك فقال: دعوه فإنه رسول؛ ثم ناوله الكتاب، فلم يضعه من يده حتى ركب إليه. فلما رآه عمر رضي الله عنه قال: الحقني إلى الحرَّة - وفيها إبل الصدقة -. قال: انزع ثيابك، فألقى إليه نمرة من أوبار الإبل. ثم قال: افتح واسق هذه الإبل، فلم يزل ينزل حتى تعب، ثم قال: متى عهدك بهذا؟ قال: قريب يا أمير المؤمنين، قال: فلذلك بنيت العِلِّيَّة وارتفعت بها على المسكين، والأرملة، واليتيم. ارجع إلى عملك ولا تَعُدْ. كذا في «كنز العمال» (3/ 166).

وأخرج ابن المبارك، وابن راهَوَيْه، ومسدَّد عن عَتّاب بن رِفاعة قال: بلغ عمر بن الخطاب أنَّ سعداً - رضي الله عنه - اتخذ قصراً وجعل عليه باباً، وقال: انقطع الصوت. فأرسل عُمر محمدَ بن مسلمة رضي الله عنه - وكان عمر إذا أحب أن يُؤتى بالأمر كما يريد بعثه - فقال: ائتِ سَعْداً وأحرق عليه بابه. فقدم الكوفة، فلما أتى الباب أخرج زَنْده فاستورَى ناراً ثم أحرق الباب، فأُتي سعدٌ فأُخبر، ثم وُصِف له صفته، فعرفه. فخرج إليه سعد، فقال محمد: إنه بلغ أمير المؤمنين عنك أنك قلت: انقطع الصوت. فحلف سعد بالله ما قال ذلك، فقال محمد: نفعل الذي أمرنا ونؤدِّي عنك ما تقول.

وأقبل يعرض عليه أن يزوّده فأبى، ثم ركب راحلته حتى قدم المدينة. فلما أبصره عمر رضي الله عنه قال: لولا حسن الظن بك ما

رأينا أنك أدَّيت. وذكر أنه أسرع السير. وقال: قد فعلتُ، وهو يعتذر ويحلف بالله ما قال. فقال عمر: هل أمر لك بشيء؟ قال: (ما كرهت من ذلك أنَّ أرض العراق أرض رقيقة، وأنَّ أهل المدينة يموتون حولي من الجوع، فخشيت أن آمر لك فيكون لك البارد ولي الحار) أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يشبع المؤمن دون جاره». كذا في «الكنز» (3/ 165)؛ وقد ذكره في «الإصابة» (3/ 384) بتمامه إلّا أنه قال عن عباية بن رفاعة. وهكذا ذكره الهيثمي (8/ 167) عن عباية بطوله ثم قال: رواه أحمد ، وأبو يَعْلى ببعضه، ورجاله رجال الصحيح إلا أن عباية بن رفاعة لم يسمع من عمر. انتهى.

وأخرجه الطبراني عن أبي بَكْرة وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ مختصراً إلّا أنه وقع في حديثه: فبلغ عمر رضي الله عنه أنه يحتجب عنهم، ويغلق الباب دونهم. فبعث عمار بن ياسر رضي الله عنه وأمره إن قدم ـ والباب مغلق ـ أن يشعله ناراً. قال الهيثمي (8/ 168): وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

وأخرج ابن عساكر، واليشكري عن جُوَيرية رضي الله عنها ـ قال بعضه عن نافع، وبعضه عن رجل من ولد أبي الدرداء ـ قال: استأذن أبو الدرداء عمرَ في أن يأتي الشام. فقال: لا آذن لك إلّا أن تعمل. قال: فإني لا أعمل. قال: فإني لا آذن لك. قال: فأنطلقُ، فأُعلِّمُ الناس سنّة نبيهم ﷺ، وأصلِّي بهم. فأذن له. فخرج عمر رضي الله عنه إلى الشام، فلما كان قريباً منهم أقام حتى أمسى. فلما جنّه الليل قال: يا يرفأ انطلق إلى يزيد بن (أبي) سفيان، أبصره عنده سُمَّار، ومصباح، مفترشاً ديباجاً، وحريراً من فيء المسلمين، فتسلِّم عليه فيرد عليك السلام، وتستأذن فلا يأذن لك حتى يعلم من أنت. فانطلقنا حتى انتهينا إلى بابه فقال: السلام

عليكم. فقال: وعليكم السلام. قال: أدخل؟ قال: ومن أنت؟ قال يرفأ: هذا من يسوؤك، هذا أمير المؤمنين. ففتح الباب. فإذا سمّار، ومصباح، وإذا هو مفترش ديباجاً وحريراً. فقال: يا يرفأ، الباب، الباب. ثم وضع الدُّرَّة بين أذنيه ضرباً، وكوَّر المتاع فوضعه وسط البيت، ثم قال للقوم: لا يبرح منكم أحد حتى أرجع إليكم.

ثم خرجا من عنده ثم قال: يا يرفأ انطلق بنا إلى عمرو بن العاص أبصر عنده سمّار، ومصباح، مفترش ديباجاً من فيء المسلمين، فتسلِّم عليه فيرد عليك، وتستأذن عليه فلا يأذن لك حتى يعلم من أنت. فانتهينا إلى بابه، فقال عمر: السلام عليكم. قال: وعليكم السلام. قال: أدخل؟ قال: ومن أنت؟ قال يرفأ: هذا من يسوؤك، هذا أمير المؤمنين. ففتح الباب. فإذا سُمّار ومصباح، وإذا هو مفترش ديباجاً وحريراً. قال: يا يرفأ، الباب، الباب. ثم وضع الدُّرَّة بين أذنيه ضرباً، ثم كوَّر المتاع فوضعه في وسط البيت. ثم قال للقوم: لا تبرحُنَّ حتى أعود إليكم.

فخرجا من عنده فقال: يا يرفأ انطلق بنا إلى أبي موسى أبصره عنده سُمّار، ومصباح، مفترشاً صوفاً من مال فيء المسلمين، فتستأذن عليه، فلا يأذن لك حتى يعلم من أنت. فانطلقنا إليه وعنده سُمَّار ومصباح مفترشاً صوفاً، فوضع الدُّرَّة بين أذنيه ضرباً وقال: أنت أيضاً يا أبا موسى؟ فقال: يا أمير المؤمنين هذا وقد رأيت ما صنع أصحابي، أما والله لقد أصبت مثل ما أصابوا. قال: فما هذا؟ قال: زعم أهل البلد أنه لا يصلح إلّا هذا. فكوَّر المتاع فوضعه في وسط البيت وقال للقوم: لا يخرجنَّ منكم أحد حتى أعود إليكم.

فلما خرجنا من عنده قال: يا يرفأ انطلق بنا إلى أخي لنبصرنه، ليس عنده سمّار، ولا مصباح، وليس لبابه غَلَق، فتسلِّم عليه فيرد عليك

السلام، وتستأذن فيأذن لك من قبل أن يعلم من أنت. فانطلقنا حتى إذا قمنا على بابه قال: السلام عليكم. قال: وعليك السلام. قال: أأدخل؟ قال: أدخل. فدفع الباب فإذا ليس له غَلَق. فدخلنا إلى بيت مظلم، فجعل عمر رضي الله عنه يلمسه حتى وقع عليه، فجسّ وساده فإذا برذعة، وجسّ فراشه فإذا بطحاء، وجسّ دثاره فإذا كساء رقيق. فقال أبو الدرداء رضي الله عنه: من هذا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. قال: أما ـ والله ـ لقد استبطأتك منذ العام. قال عمر رضي الله عنه: رحمك الله، ألم أوسع عليك؟ ألم أفعل بك؟ فقال له أبو الدرداء رضي الله عنه: أتذكر حديثاً حدَّثناه رسول الله ﷺ يا عمر؟ قال: أيّ حديث؟ قال: «لِيَكُنْ بَلَاغُ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب». قال: نعم. قال: فماذا فعلنا بعده يا عمر؟ قال: فما زالا يتجاوبان بالبكاء حتى أصبحا. كذا في «كنز العمال» (7/ 77).

* * *

تفقد الأحوال

أخرج الخطيب عن أبي صالح الغِفاري أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتعاهد عجوزاً كبيرة عمياء في حواشي المدينة من الليل، فيستسقي لها ويقوم بأمرها، وكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت. فجاءها غير مرّة فلا يُسبق إليها، فرصده عمر فإذا هو بأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ الذي يأتيها وهو خليفة. فقال لعمر: أنت لعمري! كذا في «منتخب الكنز» (4/ 347).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 48) عن الأوزاعي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج في سواد الليل فرآه طلحة، فذهب عمر

فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر. فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال (لها): ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى؛ فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، أعثَرات عمر تتبع؟!.

* * *

الأخذ بظاهر الأعمال

أخرج عبد الرزاق عن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: سمعت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقول: إن ناساً كانوا يُؤخذون بالوحي في عهد رسول الله، وإنَّ الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً أمِنَّاه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته؛ ومن أظهر لنا شراً لم نأمنه ولم نصدِّقه وإن قال: إن سريرته حسنة. كذا في «الكنز» (3/ 147). وأخرجه البيهقي (8/ 201) عن عبد الله مثله وقال: رواه البخاري في «الصحيح».

وأخرج ابن سعد (3/ 196) والبيهقي عن الحسن قال: إن أول خطبة خطبها عمر رضي الله عنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أما بعد: فقد ابتليت بكم، وابتليتم بي، وخلفت فيكم بعد صاحبيَّ؛ فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا؛ ومهما غاب عنا ولّيناه أهل القوة والأمانة. فمن يحسن نزده حسناً، ومن يسيء نعاقبه؛ ويغفر الله لنا ولكم». كذا في «الكنز» (3/ 147).

* * *

النظر في العمل

أخرج البيهقي، وابن عساكر عن طاوس أنَّ عمر رضي الله عنه قال: أرأيتم إن استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل، أقضيت ما عليّ؟ قالوا: نعم. قال: لا، حتى أنظر في عمله أَعمِل بما أمرته أم لا؟ كذا في «الكنز» (3/ 165).

* * *

تعقيب الجيوش

أخرج أبو داود، والبيهقي عن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ أنَّ جيشاً من الأنصار كانوا بأرض فارس مع أميرهم، وكان عمر رضي الله عنه يُعَقِّب الجيوش في كل عام، فشُغل عنهم عمر. فلما مرّ الأجل قفل أهل ذلك الثغر، فاشتد عليه، وأوعدهم وهم أصحاب رسول الله ﷺ. قالوا: يا عمر إنك غفلت عنا، وتركت فينا ما أمر به النبي ﷺ من إعقاب بعض الغزيَّة بعضاً. كذا في «كنز العمال» (3/ 148).

* * *

رعاية الأمير المسلمين فيما نزل بهم

أخرج ابن عساكر عن طارق بن شهاب عن أبي موسى أن أمير المؤمنين كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - حيث سمع بالطاعون الذي أخذ الناس بالشام: إنِّي بدت لي حاجة إليك فلا غنى لي عنك فيها، فإن أتاك كتابي ليلاً فإني أعزم عليك أن تصبح حتى تركب إليّ، وإن أتاك نهاراً فإني أعزم عليك أن تمسي حتى تركب إليّ. فقال أبو عبيدة رضي الله عنه: قد علمت حاجة أمير المؤمنين التي عرضت، وإنه يريد أن يستبقي من ليس بباقٍ. فكتب إليه: إني في جند من المسلمين لن أرغب بنفسي عنهم، وإني قد علمت حاجتك التي عرضت لك، وإنك تستبقي من ليس بباقٍ، فإذا أتاك كتابي هذا فحلِّلني من عزمك، وائذن لي في الجلوس.

فلما قرأ عمر رضي الله عنه كتابه فاضت عيناه وبكى. فقال له من عنده: يا أمير المؤمنين، مات أبو عبيدة؟ قال: لا، وكأنْ قد. فكتب إليه عمر رضي الله عنه أن الأردن أرض وبئة، وكان قد كتب عمقة، وأن الجابية أرض نَزِهة، فاظهرْ بالمهاجرين إليها. قال أبو عبيدة حين قرأ الكتاب: أمّا هذا فنسمع فيه أمر أمير المؤمنين ونطيعه. فأمرني أن أركب وأبوّىء الناس منازلهم. فطُعنت امرأتي، فجئت أبا عبيدة فانطلق أبو عبيدة يبوىء الناس منازلهم، فطُعن فتوفي، وانكشف الطاعون. قال أبو الموجِّه: زعموا أن أبا عبيدة كان في ستة وثلاثين ألفاً من الجند، فماتوا

فلم يبقَ إلا ستة آلاف رجل. وروى سفيان بن عيينة أخصر منه. كذا في «الكنز» (4/ 324).

وأخرجه الحاكم (3/ 263) من طريق سفيان، وفي سياقه: فقال أبو عبيدة رضي الله عنه: يرحم الله أمير المؤمنين يريد بقاء قوم ليسوا بباقين. قال: ثم كتب إليه أبو عبيدة: إني في جيش من جيوش المسلمين لست أرغب بنفسي عن الذي أصابهم. قال الحاكم: رواة هذا الحديث كلهم ثقات وهو عجيب بمرة؛ وقال الذهبي: على شرط البخاري، ومسلم. وأخرجه ابن إسحاق من طريق طارق بطوله، كما في «الإصابة» (7/ 78)، وفي سياقه: يا أمير المؤمنين، إني قد عرفت حاجتك إليّ، وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضاءه، فخلِّني من عزمتك يا أمير المؤمنين ودعني في جندي. وأخرجه الطبري (4/ 201) أيضاً بطوله عن طارق.

* * *

رحمة الأمير

أخرج ابن أبي شيبة عن أبي جعفر أن أبا أسَيد جاء النبي ﷺ بسَبْي من البحرين، فنظر النبي ﷺ إلى امرأة منهنّ تبكي. فقال: «ما شأنك؟» فقالت: باع إبني. فقال النبي ﷺ لأبي أسيد: «أبعت إبنها؟» قال: نعم. قال: «فيمن؟» قال: في بني عبس. فقال النبي ﷺ: «اركب أنت بنفسك فائت به». كذا في «الكنز» (2/ 229).

وأخرج ابن المنذر، والحاكم (2/ 458)، والبيهقي عن بُرَيدة قال: كنت جالساً عند عمر رضي الله عنه إذ سمع صائحة، فقال: يا يَرْفأ انظر ما هذا الصوت؟ فنظر ثم جاء فقال: جارية من قريش تباعُ أمها. فقال عمر رضي الله عنه: ادع لي المهاجرين والأنصار. فلم يمكث إلا ساعة حتى امتلأ الدار والحجرة. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أما بعد: فهل تعلمونه كان فيما جاء به محمد ﷺ القطيعة؟! قالوا: لا. قال: فإنها أصبحت فيكم فاشية!! ثم قـــــرأ: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [محمد: 22] **ثم قال: وأي قطيعة أقطع من أن تباع أم امرأة فيكم وقد أوسع الله لكم؟ قالوا: فاصنع ما بدا لك. فكتب في الآفاق أن لا تباع أمُّ حرٍّ فإنها قطيعة رحم وإنه لا يحل»**. كذا في «كنز العمال» (2/ 226).

وأخرج البيهقي (9/ 41) **وهَنَّاد** عن أبي عثمان النَّهْدي قال:

استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً من بني أسد على عمل، فجاء يأخذ عهده، (قال) فأُتي عمرُ ببعض ولده فقبّله. فقال الأسديّ: أتقبِّل هذا يا أمير المؤمنين؟! والله ما قبّلت ولداً قط! قال عمر رضي الله عنه: فأنت ـ والله ـ بالناس أقل رحمة، هاتِ عهدنا، لا تعمل لي عملاً أبداً، فردّ عهده. كذا في «الكنز» (3/ 165).

وأخرجه الدِّينَوَري عن محمد بن سلام وفي حديثه: قال عمر: فما ذنبي إن كان نزع من قلبك الرحمة، إنَّ الله لا يرحم من عباده إلّا الرحماء؛ ونزعه عن عمله فقال: أنت لا ترحم ولدك فكيف ترحم الناس. كذا في «الكنز» (8/ 310).

* * *

عدل النبي ﷺ وأصحابه

عدل النبي ﷺ

أخرج البخاري عن عروة أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد رضي الله عنه يستشفعونه. قال عروة: فلما كلّمه أسامة فيها تلوّن وجه رسول الله ﷺ وقال: «أتكلّمني في حدٍّ من حدود الله تعالى؟!» فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله. فلما كان العشيّ قام رسول الله ﷺ خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال:

«أما بعد: فإنَّما هلك الناس (قبلكم) أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. والذي نفس محمد بيده لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

ثم أمر رسول الله بتلك المرأة، فقُطعت يدها، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت. قالت عائشة رضي الله عنها: كانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ. وقد رواه البخاري في موضع آخر ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها. كذا في «البداية» (4/ 418). وأخرجه أيضاً الأربعة عن عائشة كما في الترغيب (4/ 26).

وأخرج البخاري عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: خرجنا مع

رسول الله ﷺ عام حُنَين. فلما التقينا كانت للمسلمين جَوْلة، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين فضربته من ورائه على حبلِ عاتقه بالسيف فقطعت الدرع، وأقبل عليّ فضمني ضمَّة وجدت منها ريح الموت، ثم أدركه الموت فأرسلني، فلحقت عمر رضي الله عنه فقلت: ما بال الناس؟ فقال: أمر الله. ثم رجعوا وجلس رسول الله ﷺ فقال: «من قتل قتيلاً له عليه بيِّنة فله سَلَبه». فقمت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست. فقال رسول الله ﷺ مثله. فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست. فقال رسول الله ﷺ مثله. فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست. ثم قال رسول الله ﷺ مثله. فقمت فقال: «ما لك يا أبا قتادة؟» فأخبرته، فقال رجل: صَدَق، وسَلَبُه عندي فأرضِه عنّي. فقال أبو بكر رضي الله عنه: لا ها الله، إذاً يعمِدُ إلى أَسَدٍ من أُسْدِ الله يقاتل عن الله ورسوله ﷺ فيعطيك سَلَبه!! فقال النبي ﷺ: «صدق فأعطه». فأعطانيه، فابتعتُ به مَخْرَفاً في بني سَلِمة، فإنَّه لأول مال تَأثَّلْتُه في الإسلام. وأخرجه أيضاً مسلم (2/ 86)، وأبو داود (2/ 16)، والترمذي (1/ 202)، وابن ماجه (ص 209) والبيهقي (9/ 50).

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلمي رضي الله عنه أنه كان ليهودي عليه أربعة دراهم فاستعدى عليه. فقال: يا محمد، إنَّ لي على هذا أربعة دراهم وقد غلبني عليها. قال: «أعطه حقَّه». قال: والذي بعثك بالحق ما أقدر عليها. قال: «أعطه حقَّه». قال: والذي نفسي بيده ما أقدر عليها، قد أخبرته أنك تبعثنا إلى خيبر فأرجو أن تُغَنِّمنا شيئاً فأرجع فأقضيه. قال: «أعطه حقَّه». وكان رسول الله ﷺ إذا قال ثلاثاً لم يراجَع. فخرج ابن أبي حَدْرَد إلى السوق وعلى رأسه عصابة

وهو متَّزر ببردة، فنزع العمامة عن رأسه فاتَّزر بها ونزع البُردة فقال: اشترِ مني هذه البردة. فباعها منه بأربعة دراهم. فمرّت عجوز فقالت: ما لك يا صاحب رسول الله ﷺ؟ فأخبرها، فقالت: ها دونك هذا البُرد ـ لبردٍ عليها طرحته عليه ـ كذا في «الكنز» (3/ 181). وأخرجه أحمد أيضا كما في «الإِصابة» (2/ 295).

وأخرج ابن أبي شيبة ، وأبو سعيد النقَّاش عن أم سَلَمة رضي الله عنها قالت: جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله ﷺ في مواريث قد دَرَست ليس لها بيِّنة. فقال النبي ﷺ: «إنكم تختصمون إليّ وإنما أقضي برأيـي فيما لم ينزل عليّ فيه، فمن قضيت له فيه بحجته يقتطع بها شيئاً من حق أخيه فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار، يأتي يوم القيامة انتظاماً في عنقه». فبكى الرجلان وقال كل واحد منهما: يا رسول الله حقِّي له. فقال النبي ﷺ: «أما إذا فعلتما ما فعلتما فاذهبا، وتوخَّيا الحقَّ، واقتسما، واستهما، وليحلِّل كل واحد منكما صاحبه». كذا في «الكنز» (3/ 182).

وأخرج ابن ماجه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يتقاضاه دَيْناً كان عليه، فاشتد عليه حتى قال: أحرِّجُ عليك إلَّا قضيتني. فانتهره أصحابه، فقالوا: ويحك، تدري من تكلّم؟! فقال: إني أطلب حقِّي. فقال النبي ﷺ: «هلَّا مع صاحب الحق كنتم؟». ثم أرسل إلى خَوْلة بنت قيس فقال لها: إن كان عندك تمر فأقرضينا حتى يأتينا تمر فنقضيَك. فقالت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فأقرضته، فقضى الأعرابيَّ وأطعمه. فقال: أوفيتَ أوفى الله لك! فقال: «أولئك خيار الناس إنه لا قدِّست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع»، ورواه البزار من حديث عائشة رضي الله عنها مختصراً، والطبراني من

حديث ابن مسعود رضي الله عنه بإسناد جيد. كذا في «الترغيب» (3/ 271).

وأخرج الطبراني عن خولة بنت قيس - امرأة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما - قالت: كان على رسول الله ﷺ وَسْق من تمر لرجل من بني ساعدة، فأتاه يقتضيه، فأمر رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار أن يقضيه، فقضاه تمراً دون تمره فأبى أن يقبله، فقال: أتردُّ على رسول الله ﷺ؟ قال: نعم ومن أحق بالعدل من رسول الله ﷺ؟! فاكتحلت عينا رسول الله ﷺ بدموعه ثم قال: «صدق، ومن أحق بالعدل مني؟! لا قدّس الله أمةً لا يأخذ ضعيفها حقّه من شديدها، ولا يتعتعه». ثم قال: «يا خولة، عِدِيه واقضيه، فإنه ليس من غريم يخرج من غريمه راضياً إلّا صلّتْ عليه دوابّ الأرض ونون البحار. وليس من عبد يلوي غريمة وهو يجد إلا كتب الله عليه في كل يوم وليلة إثماً». رواه أحمد بنحوه عن عائشة رضي الله عنها بإسناد جيد قوي. كذا في «الترغيب» (3/ 270).

* * *

عدل أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه

أخرج البيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قام يوم جمعة فقال: إذا كان بالغداة فأحضروا صدقات الإبل نقسم، ولا يدخل علينا أحد إلا بإذن. فقالت امرأة لزوجها: خذ هذا الخِطام لعل الله يرزقنا جملاً. أتى الرجل فوجد أبا بكر، وعمر ـ رضي الله عنهما ـ قد دخلا إلى الإبل فدخل معهما. فالتفت أبو بكر فقال: ما أدخلك علينا؟ ثم أخذ منه الخطام فضربه. فلما فرغ أبو بكر من قَسْم الإبل دعا بالرجل فأعطاه الخِطام، وقال: استَقِد. قال له عمر: والله لا يستقيد، لا تجعلْها سُنّة. قال أبو بكر: فمن لي من الله يوم القيامة؟ فقال عمر: أرضِهِ؛ فأمر أبو بكر غلامه أن يأتيه براحلة ورحْلِها وقطيفة، وخمسة دنانير فأرضاه بها. كذا في «كنز العمال» (3/ 127).

* * *

عدل عمر الفاروق
رضي الله عنه

أخرج ابن عساكر، وسعيد بن منصور، والبيهقي عن الشَّعْبي قال: كان بين عمر وبين أُبيّ بن كعب ـ رضي الله عنهما ـ خصومة. فقال عمر: اجعل بيني وبينك رجلاً. فجعلا بينهما زيد بن ثابت رضي الله عنه. فأتياه فقال عمر: أتيناك لتحكم بيننا وفي بيته يُؤتى الحَكَمُ. فلما دخلا عليه وسَّع له زيد عن صدر فراشه فقال: ها هنا أمير المؤمنين. فقال له عمر: هذا أول جَوْر جُرْت في حكمك، ولكن أجلس مع خصمي. فجلسا بين يديه. فادّعى أُبيّ وأنكر عمر، فقال زيد لأُبيّ: أعفِ أمير المؤمنين من اليمين وما كنت لأسألها لأحد غيره. فحلف عمر، ثم أقسم: لا يدرك زيدٌ القضاءَ حتى يكون عمرٌ ورجلٌ من عُرْض المسلمين عنده سواء.

وعند ابن عساكر عن الشَّعْبي قال: تنازع في جَذاذ نخل أبيّ بن كعب، وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ، فبكى أبيّ ثم قال: أفي سلطانك يا عمر؟! فقال عمر: اجعل بيني وبينك رجلاً من المسلمين. قال أبيّ: زيد، قال: رِضًى، فانطلقا حتى دخلا على زيد ـ فذكر الحديث كما في «كنز العمال» (3/ 174) و (3/ 181).

وأخرج عبد الرزاق عن زيد بن أسلم قال: كان للعباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ دار إلى جنب مسجد المدينة، فقال له عمر رضي الله عنه: بِعْنيها. فأراد عمر أن يزيدها في المسجد، فأبى

العباس أن يبيعها إيّاه. فقال عمر: فهَبْها لي. فأبى. فقال: فوسِّعْها أنت في المسجد. فأبى. فقال عمر: لا بدّ لك من إحداهنّ. فأبى عليه. فقال: خذ بيني وبينك رجلاً، فأخذ أبيّ بن كعب رضي الله عنه، فاختصما إليه. فقال أبيّ لعمر: ما أرى أن تخرجه من داره حتى ترضيَه. فقال له عمر: أرأيت قضاءك هذا في كتاب الله وجدته أم سنّةً من رسول الله ﷺ؟ فقال أبيّ: بل سنّة من رسول الله ﷺ. فقال عمر: وما ذاك؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن سليمان بن داود ـ عليهما الصلاة والسلام ـ لما بنى بيت المقدس جعل كلّما بني حائطاً أصبح منهدماً، فأوحى الله إليه أن لا تبني في حقِّ رجل حتى ترضيَه». فتركه عمر، فوسَّعها العباس بعد ذلك في المسجد.

وأخرج عبد الرزاق أيضاً عن سعيد بن المُسَيَّب قال: أراد عمر رضي الله عنه أن يأخذ دار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فيزيدها في المسجد، فأبى العباس أن يعطيها إياه. فقال عمر: لآخذنَّها. قال: فاجعل بيني وبينك أبيّ بن كعب. قال: نعم. فأتيا أبيّاً، فذكرا له. فقال أبيّ: أوحى الله إلى سليمان بن داود ـ عليهما الصلاة والسلام ـ أن يبني بيت المقدس، وكانت أرضاً لرجل فاشترى منه الأرض، فلما أعطاه الثمن قال: الذي أعطيتني خير أم الذي أخذت مني؟ قال: بل الذي أخذت منك. قال: فإني لا أجيز. ثم اشتراها منه بشيء أكثر من ذلك، فصنع الرجل مثل ذلك مرتين أو ثلاثاً، فاشترط عليه سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أني أبتاعها منك على حكمك فلا تسألني أيهما خير. قال: فاشتراها منه بحكمه، فاحتكم اثني عشر ألف قنطارٍ ذهباً. فتعاظم ذلك سليمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يعطيه، فأوحى الله إليه إن كنت تعطيه من شيء هو لك فأنت أعلم، وإن كنت تعطيه من رزقنا فأعطِه حتى يرضى، ففعل. قال: وأنا أرى أن عباساً أحقُّ بداره حتى يرضَى. قال

العباس: فإذا قضيت لي فإني أجعلها صدقة للمسلمين. كذا في «كنز العمال» (4/ 260). وأخرجه ابن سعد (4/ 13)، وابن عساكر عن سالم أبي النَّضر مطوَّلاً جداً، وسنده صحيح إلّا أن سالماً لم يدرك عمر. وأخرجاه أيضاً، والبيهقي، ويعقوب بن سفيان عن ابن عباس رضي الله عنهما مختصراً، وسنده حسن؛ كما في «الكنز» (7/ 66). وأخرجه الحاكم، وابن عساكر من طريق أَسْلَمَ من وجه آخر مطوَّلاً؛ كما في «الكنز» (7/ 65)، وفي حديثه حذيفة بدل أُبيّ بن كعب رضي الله عنهما.

وأخرج عبد الرزاق، والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: شرب أخي عبد الرحمن، وشرب معه أبو سَرْوَعة عُقْبة بن الحارث ـ وهما بمصر ـ في خلافة عمر رضي الله عنه، فسكرا. فلما أصبحا انطلقا إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه ـ وهو أمير مصر ـ فقالا: طهِّرنا، فإن قد سكرنا من شرب شربناه. قال عبد الله: فذكر لي أخي أنه سكر، فقلت: أدخل الدار أطهرك؛ لم أشعر أنهما قد أتيا عَمْراً، فأخبرني أخي أنه قد أخبر أمير المؤمنين بذلك. فقلت: لا تُحْلَق اليوم على رؤوس الناس، ادخل الدار أحلقك، وكانوا إذْ ذاك يحلقون مع الحد، فدخلا الدار. قال عبد الله: فحلقت أخي بيدي ثم جلدهم عمرو. فسمع بذلك عمر فكتب إلى عمرو رضي الله عنهما: أن أبعث إليّ بعبد الرحمن على قَتَب، ففعل ذلك. فلما قدم على عمر رضي الله عنه جلده وعاقبه لمكانه منه. ثم أرسله فلبث شهراً صحيحاً ثم أصابه قدره فمات، فيحسب عامة الناس إنما مات من جلد عمر، ولم يمت من جلد عمر. قال في منتخب «كنز العمال» (4/ 422): وسنده صحيح. وأخرجه ابن سعد عن أسْلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه بطوله؛ كما في «منتخب الكنز» (4/ 420).

وأخرج عبد الرزاق، والبيهقي عن الحسن قال: أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى امرأة مُغِيبَة كان يُدخل عليها، فأنكر ذلك،

فأرسل إليها فقيل لها: أجيبي عمر؛ فقالت: يا ويلها! ما لها ولعمر!! فبينما هي في الطرق فزعت فضربها الطَّلْق، فدخلت داراً؛ فألقت ولدها؛ فصاح الصبي صيحتين ثم مات: فاستشار عمر أصحاب النبي ﷺ فأشار عليه بعضهم أن ليس عليك شيء، إنما أنت والٍ ومؤدب؛ وصمت علي رضي الله عنه، فأقبل على علي فقال: ما تقول؟ قال: إن كانوا قالوا برأيهم فقد أخطأ رأيهم، وإن كانوا قالوا في هواك فلم ينصحوا لك، أرى أنَّ ديته عليك فإنك أنت أفزعتها، وألقت ولدها في سببك؛ فأمر علياً رضي الله عنه أن يقسم عَقْله على قريش يعني يأخذ عقله من قريش لأنه خطأ. كذا في كنز العمال (7/ 300).

وأخرج ابن سعد (3/ 211) عن عطاء: قال كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافوه بالمَوْسم، فإذا اجتمعوا قال:

«يا أيها الناس، إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم، ولا من أموالكم، (ولا من أعراضكم) إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم، وليقسموا فيئكم بينكم، فمن فعل به غير ذلك فليقم».

فما قام أحد إلا رجل، قام فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ عاملك فلاناً ضربني مائة سوط. قال: فيم ضربته؟ قم فاقتص منه. فقام عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر عليك، وتكونُ سنّة يأخذ بها مَنْ بعدك. فقال: أنا لا أُقيد وقد رأيت رسول الله ﷺ يقيد في نفسه؟! قال: فدعنا لنرضيه. قال: دونكم فأرضوه. فافتدى منه بمائتي دينار عن كل سَوْط بدينارين. وأخرجه أيضاً ابن راهويه؛ كما في «منتخب الكنز» (4/ 419).

وأخرج ابن عبد الحكم عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من أهل

مصر أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم. قال: عذتَ معَاذاً. قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين. فكتب عمر إلى عمرو ـ رضي الله عنهما ـ يأمره بالقدوم ويقدَم بابنه معه. فقدم فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب. فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الألأمَينْ. قال أنس: فضرب والله! لقد ضربه ونحن نحب ضربه؛ فلما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه. ثم قال للمصري: ضَعْ على صلعة عمرو. فقال: يا أمير المؤمنين إنّما ابنه الذي ضربني وقد استَقَدْت منه. فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني. كذا في «منتخب كنز العمال» (4/ 420).

أخرج ابن جرير عن يزيد بن أبي منصور قال: بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن عامله على البحرين ابن الجارود أو ابن أبي الجارود أتِيَ برجل يقال له أدِرْياس قامت عليه بينة بمكاتبة عدو المسلمين، وأنه قد همَّ أن يلحق بهم، فضرب عنقه وهو يقول: يا عُمَرَاه، يا عمراه! فكتب عمر رضي الله عنه إلى عامله ذلك فأمره بالقدوم عليه؛ فقدم فجلس له عمر وبيده حربة. فدخل على عمر فعَلَا عمر لحيته بالحربة وهو يقول: أدرياس لبيك، أدرياس لبيك! وجعل الجارود يقول: يا أمير المؤمنين إنه كاتبهم بعورة المسلمين وهمّ أن يلحَق بهم. فقال عمر: قتلته على همِّه وأيّنا لم يهمه، لولا أن تكون سُنَّة لقتلتك به. كذا في «الكنز» (7/ 298).

وأخرج البيهقي عن زيد بن وَهْب قال: خرج عمر ـ رضي الله عنه ـ ويداه في أذنه ـ وهو يقول: يا لَبيْكاه، يا لَبيْكاه! قال الناس: ما له؟

قال: جاءه بريد من بعض أمرائه أن نَهَراً حال بينهم وبين العبور ولم يجدوا سفناً، فقال أميرهم: اطلبوا لنا رجلاً يعلم غَوْر النهر. فأُتي بشيخ فقال: إني أخاف البرد ـ وذلك في البرد ـ فأكرهه فأدخله، فلم يُلْبِثْه البرد، فجعل ينادي: يا عُمَراه! فغرق. فكتب إليه، فأقبل، فمكث أياماً معرضاً عنه، وكان إذا وجد على أحد منهم فعل به ذلك. ثم قال: ما فعل الرجل الذي قتلته؟ قال: يا أمير المؤمنين ما تعمدت قتله، لم نجد شيئاً يُعبر فيه، وأردنا أن نعلم غَوْر الماء، ففتحنا كذا وكذا. فقال عمر: لَرَجلٌ مسلم أحبُّ إليّ من كل شيء جئت به، لولا أن تكون سنّةً لضربت عنقك، فأعطِ أهلَه ديته، واخرج فلا أراك. كذا في «الكنز» (7/ 299).

وأخرج البيهقي عن جرير أنَّ رجلاً كان مع أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ فغنموا مغنماً، فأعطاه أبو موسى نصيبه ولم يُوَفِّه، فأبى أن يأخذه إلا جميعه، فضربه أبو موسى عشرين سوطاً وحلق رأسه. فجمع شعره وذهب به إلى عمر رضي الله عنه. فأخرج شَعَراً من جيبه فضرب به صدر عمر. قال: ما لك؟ فذكر قصته. فكتب عمر إلى أبي موسى:

«سلام عليك، أما بعد، فإن فلان بن فلان أخبرني بكذا وكذا، وإني أقسم عليك إن كنت فعلت ما فعلت في ملأ من الناس (إلّا) جلست له في ملأ فاقتصَّ منك، وإن كنت فعلت ما فعلت في خلاٍ فاقعد له في خلاٍ فليقتص منك».

فلما دُفع إليه الكتاب قعد للقصاص. فقال الرجل: قد عفوت عنه لله. كذا في «كنز العمال» (7/ 299).

وأخرج ابن عساكر عن الحرماوي قال: كتب عمر بن الخطاب إلى فيروز الديلمي ـ رضي الله عنهما ـ:

«أما بعد: فقد بلغني أنه قد شغلك أكل اللباب بالعسل، فإذا أتاك كتابي هذا فاقدَم على بكرة الله، فاْغزُ في سبيل الله».

فقدم فيروز فاستأذن على عمر ـ رضي الله عنه ـ فأذن له، فزاحمه فتى من قريش، فرفع فيروز يده فلطم أنف القرشي، فدخل القرشي على عمر مستدمي. فقال له عمر: من فعل بك؟ قال: فيروز، وهو على الباب. فأذن لفيروز بالدخول فدخل. فقال: ما هذا يا فيروز؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنا كنا حديثي عهد بملك، وإنك كتبت إليّ ولم تكتب إليه، وأذنت لي بالدخول ولم تأذن له، فأراد أن يدخل في إذني قبلي، فكان مني ما قد أخبرك. قال عمر رضي الله عنه: القِصاص. قال فيروز: لا بدَّ؟ قال: لا بد. فجثى فيروز على ركبتيه وقام الفتى ليقتص منه. فقال له عمر رضي الله عنه: على رِسْلك أيها الفتى حتى أخبرك بشيء سمعته من رسول الله ﷺ؛ سمعت رسول الله ﷺ ذات غداة وهو يقول: «قُتل الليلة الأسود العنسي الكذّاب، قتله العبد الصالح فيروز الديلمي؟» أفتراك مقتصاً منه بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟! قال الفتى: قد عفوت عنه بعد إذ أخبرتني عن رسول الله ﷺ بهذا. فقال فيروز لعمر: أفترى هذا مُخرجي مما صنعت إقراري له وعفوه غير مستكره؟ قال: نعم. قال فيروز: فأشهدك أن سيفي، وفرسي، وثلاثين ألفاً من مالي هبة له. قال: عفوت مأجوراً يا أخا قريش، وأخذت مالاً. كذا في «الكنز» (7/ 83).

وأخرج الطبراني في «الأوسط»، و «ابن عساكر»، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت جارية إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت إن سيدي اتهمني فأقعدني على النار حتى احترق فَرْجي. فقال لها عمر: هل رأى ذلك عليك؟ قالت: لا. قال: فهل

اعترفت له بشيء؟ قالت: لا. فقال عمر: عليَّ به. فلما رأى عمر الرجل قال: أتعذِّب بعذاب الله؟ قال: يا أمير المؤمنين اتهمتها في نفسها. قال: أرأيت ذلك عليها؟ قال: لا. قال: فاعترفت لك به؟؟ قال: لا. قال: والذي نفسي بيده لو لم أسمع رسول الله ﷺ يقول: «لا يُقاد مملوك من مالكه، ولا ولد من والده» لأقدتها منك. وضربه مائة سوط، وقال للجارية: اذهبي فأنت حرة لوجه الله، وأنت مولاة الله ورسوله؛ أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حُرِق بالنار أو مُثِّل به فهو حرٌّ، وهو مولى الله ورسوله». كذا في «الكنز» (7/ 299).

وأخرج البيهقي عن مَكْحول أنَّ عبادة بن الصامت رضي الله عنه دعا نَبَطِياً يمسك له دابته عند بيت المقدس فأبى، فضربه فشجَّه، فاستعدَى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له: ما دعاك إلى ما صنعت بهذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أمرته أن يمسك دابتي فأبى، وأنا رجل فيّ حدّة فضربته. فقال: اجلس للقِصاص. فقال زيد بن ثابت رضي الله عنه: أتُقيد عبدك من أخيك؟ فترك عمر رضي الله عنه القَوَد وقضى عليه بالدِّيَة. كذا في «الكنز» (7/ 303).

وأخرج أبو عُبيد، والبيهقي، وابن عساكر عن سُوَيد بن غَفْلة رضي الله عنه قال: لما قدم عمر رضي الله عنه الشام قام إليه رجل من أهل الكتاب فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ رجلاً من المؤمنين صنع بي ما ترى. فقال: ـ وهو مشجوج مضروب ـ. فغضب عمر رضي الله عنه غضباً شديداً، ثم قال لصهيب رضي الله عنه: انطلق وانظر مَنْ صاحبه فأتني به. فانطلق صهيب فإذا هو عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، فقال: إن أمير المؤمنين قد غضب عليك غضباً شديداً فأتِ معاذ بن جبل فلْيكلِّمْه، فإنِّي أخاف أن يَعْجَل إليك. فلما قضى عمر الصلاة قال:

أين صهيب؟ أجئت بالرجل؟ قال: نعم. وقد كان عوف أتى معاذاً فأخبره بقصته، فقام معاذ فقال: يا أمير المؤمنين، إنه عوف بن مالك فاسمع منه ولا تَعْجَل إليه. فقال له عمر: ما لك ولهذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، رأيت هذا يسوق بامرأة مسلمة على حمار، فنخس بها ليصرع بها، فلم يصرع بها، فدفعها فصُرِعت فغَشِيَها أو أكب عليها. فقال له: ائتني بالمرأة فلتصدّق ما قلت. فأتاها عوف فقال له أبوها وزوجها: ما أردت إلى صاحبتنا قد فضحتنا. فقالت: والله لأذهبنَّ معه. فقال أبوها وزوجها: نحن نذهب فنبلّغ عنك. فأتيا عمر رضي الله عنه فأخبراه بمثل قول عوف، وأمر عمر باليهودي فصُلِب، وقال: ما على هذا صالحناكم. ثم قال: أيها الناس، اتقوا الله في ذمّة محمد، فمن فعل منهم هذا فلا ذمّة له. قال سويد: فذلك اليهودي أول مصلوب رأيته في الإسلام. كذا في «الكنز» (2/ 299). وأخرجه الطبراني عن عوف بن مالك رضي الله عنه مختصراً. قال الهيثمي (6/ 13): ورجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج ابن مَنْده، وأبو نُعيم عن عبد الملك بن يَعلى الليثي أنَّ بكر بن شَدَّاخ الليثي رضي الله عنه - وكان ممن يخدم النبي ﷺ وهو غلام - فلما احتلم جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني كنت أدخل على أهلك وقد بلغت مبلغ الرجال. فقال النبي ﷺ: «اللهُم صدِّق قوله، ولقِّه الظفر». فلما كان في ولاية عمر رضي الله عنه وُجِد يهوديٌّ قتيلاً، فأعظم ذلك عمر وجزع وصعد على المنبر فقال: أفيما ولّاني الله واستخلفني يُفتك بالرجال، أذكِّرُ الله رجلاً كان عنده علم إلا أعلمني. فقام إليه بكر بن شدَّاخ قال: أنا به. فقال: الله أكبر بُؤْتَ بدمه. فهاتِ المخرج. فقال: بلى، خرج فلان غازياً ووكّلني بأهله، فجئت فوجدت هذا اليهودي في منزله وهو يقول:

واشـعـث غـرّة الإسـلامُ حـتـى
خَـلَـوْتُ بـعِـزِسـه لـيـلَ الـتـمـام
أبـيـت عـلـى تـرائـبـهـا ويُـمـسـي
عـلـى جـرداء لاحـقـة الـحـزام
كـأنَّ مـجـامـعَ الـربـلات مـنـهـا
فـئـامٌ يـنـهـضـون إلـى فـئـام

فصدَّق عمر رضي الله عنه قوله، وأبطل دمه بدعاء النبي ﷺ. كذا في «الكنز» (7/ 13). وأخرجه ابن أبي شيبة عن الشَّعْبي بمعناه كما في «الإصابة» (1/ 52).

وأخرج عبد الرزاق والبيهقي عن القاسم بن أبي بزة أن رجلاً مسلماً قتل رجلاً من أهل الذمة بالشام، فرُفع إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب عمر إن كان ذاك فيه خُلُقاً فقدِّمه فاضرب عنقه، وإن كان هي طِيرة طارها فأغرمه دية أربعة آلاف. كذا في «كنز العمال» (7/ 298).

وأخرج مالك عن رجل من أهل الكوفة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عامل جيش كان بعثه: أنَّه بلغني أنَّ رجالاً منكم يطلبون العِلْج، حتى إذا اشتد في الجبل وامتنع، فقال الرجل: ـ مترس ـ، يقول: لا تخف؛ فإذا أدركه قتله، وإني ـ والذي نفسي بيده ـ لا يبلغني أنَّ أحداً فعل ذلك إلَّا ضربت عنقه. وعند ابن صاعد، واللالكائي عن أبي سَلَمة قال: قال: والذي نفسي بيده لو أنَّ أحدكم أشار إلى السماء بأصبعه إلى مشرك، ثم نزل إليه على ذلك ثم قتله لقتلته. كذا في «كنز العمال» (2/ 298).

وأخرج البيهقي (9/ 96) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

حاصرنا تُسْتَر، فنزل الهُرْمُزان على حكم عمر رضي الله عنه، فقدمت به على عمر، فلما انتهينا إليه قال له عمر رضي الله عنه: تكلَّم. قال: كلام حيٍّ أو كلام ميِّت؟ قال: تكلَّم لا بأس. قال: إنا وإياكم معاشر العرب؛ ما خلّى الله بيننا وبينكم، كنا نتعبدكم، ونقتلكم، ونغصبكم. فلما كان الله معكم لم يكن لنا يدان. فقال عمر رضي الله عنه: ما تقول؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، تركت بعدي عدواً كثيراً، وشوكة شديدة، فإن قتلته ييأس القوم من الحياة ويكون أشد لشوكتهم. فقال عمر رضي الله عنه: استحيي من قاتل براء بن مالك، ومجْزأة بن ثور؟! فلما خشيت أن يقتله قلت: ليس إلى قتله سبيل قد قلت له: تكلم لا بأس. فقال عمر رضي الله عنه: ارتشيت وأصبت منه؟ فقال: والله ما ارتشيت ولا أصبت منه. قال: لتأتِيَني على ما شهدت به بغيرك أو لأبْدَأنّ بعقوبتك. قال: فخرجت فلقيت الزبير بن العوام، فشهد معي، وأمسك عمر رضي الله عنه، وأسلم ـ يعني الهرمزان ـ وفرض له. وأخرجه أيضاً الشافعي أيضاً بمعناه مختصراً. كما في «الكنز» (2/ 298). وأخرجه البيهقي (9/ 69) أيضاً من طريق جبير بن حيَّة سياق آخر بطوله. وذكره في «البداية» (7/ 87) مطوّلاً جداً.

وأخرج ابن عساكر، والواقدي عن عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلمي رضي الله عنهما قال: لما قدمنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية؛ إذا هو بشيخ من أهل الذمة يستطعم، فسأل عنه فقال: هذا رجل من أهل الذمة كبر وضعف. فوضع عنه عمر رضي الله عنه الجزية التي في رقبته، وقال: كلّفتموه الجزية حتى إذا ضعف تركتموه يستطعم؟؟ فأجرى عليه من بيت المال عشرة دراهم وكان له عيال.

وعند أبي عُبيد، وابن زنجويه، والعُقَيلي عن عمر رضي الله عنه أنه

مرَّ بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب المساجد. فقال: ما أنصفناك. كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك. ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه. كذا في «الكنز» (2/ 301 ـ 302).

وأخرج أبو عبيد عن يزيد بن أبي مالك قال: كان المسلمون بالجابية وفيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأتاه رجل من أهل الذمة يخبره أنَّ الناس قد أسرعوا في عنبه. فخرج عمر رضي الله عنه حتى لقي رجلاً من أصحابه يحمل ترساً عليه عنب، فقال عمر: وأنت أيضاً؟! فقال: يا أمير المؤمنين أصابتنا مجاعة. فانصرف عمر رضي الله عنه وأمر لصاحب الكرم بقيمة عنبه. كذا في «كنز العمال» (2/ 299).

وأخرج مالك عن سعيد بن المسيَّب أنَّ مسلماً ويهودياً اختصما إلى عمر رضي الله عنه، فرأى الحق لليهودي فقضى له عمر به. فقال له اليهودي: والله لقد قضيت بالحق، فضربه عمر بالدِّرة وقال: وما يدريك؟ فقال اليهودي: والله إنا نجد في التوراة: ليس قاض يقضي بالحق إلا كان عن يمينه مَلَك وعن شماله ملك يسدِّدانه ويوفقانه ما دام مع الحق، فإذا ترك الحق عرجا وتركاه. كذا في «الترغيب» (3/ 455).

وأخرج الطبري (5/ 32) عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: مر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في السوق ومعه الدِّرَّة، فخفقني بها خفقة فأصاب طرف ثوبي فقال: أمط عن الطريق. فلما كان في العام المقبل لقيني فقال: يا سلمة تريد الحج؟ فقلت: نعم. فأخذ بيدي فانطلق بي إلى منزله فأعطاني ستمائة درهم وقال: استعن بها على حجِّك، واعلم أنها بالخفقة التي خفقتك. قلت: يا أمير المؤمنين ما ذكرتها. قال: وأنا ما نسيتها.

عدلُ عثمان ذي النورين رضي الله عنه

أخرج السمَّان في «الموافقة» عن أبي الفرات قال: كان لعثمان رضي الله عنه عبد، فقال له: إني كنت عركت أُذنك فاقتصَّ مني، فأخذ بأذنه ثم قال عثمان رضي الله عنه: اشدد، يا حبذا قصاص في الدنيا، لا قِصاص في الآخرة. كذا في «الرياض النضرة في مناقب العشرة» للمحب الطبري (2/ 111).

أخرج الإمام الشافعي في «مسنده» (ص 47) عن نافع بن عبد الحارث قال: قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه مكة، فدخل دار النَّدْوة في يوم الجمعة، وأراد أن يستقرب منها الرواح إلى المسجد، فألقى رداءه على واقف في البيت، فوقع عليه طير من هذا الحمام فأطاره، فانتهزته حيّة فقتلته.

فلما صلّى الجمعة دخلت عليه أنا وعثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: احكما عليّ في شيء صنعته اليوم: إني دخلت هذه الدار وأردت أن أستقرب منها الرواح إلى المسجد، فألقيت ردائي على هذا الواقف، فوقع عليه طير من هذا الحمام، فخشيت أن يلّطخه بسَلْحه فأَطرته عنه، فوقع على (ظهر) هذا الواقف الآخر، فانتهزته حيّة فقتلته. فوجدت في نفسي أني أطرته من منزل كان فيه آمناً إلى موقعة كان فيها حتفه. فقلت لعثمان بن عفان رضي الله عنه: كيف ترى في عنزٍ ثنيةٍ عفراء تحكم بها على أمير المؤمنين؟ فقال: إني أرى ذلك، فأمر بها عمر رضي الله عنه.

عدل علي رضي الله عنه

أخرج البيهقي (6/ 348) وابن عساكر عن كُلَيْب قال: قدم على علي رضي الله عنه مال من أصبهان، فقسمه على سبعة أسهم، فوجد فيه رغيفاً فكسره على سبعة وجعل على كل قسم منها كِسرة، ثم دعا الأمراء الأسباع فأقرع بينهم لينظر أيهم يعطي أولاً. كذا في «الكنز» (3/ 116) وأخرجه ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» (3/ 49).

وأخرج البيهقي (6/ 349) عن عيسى بن عبد الله الهاشمي عن أبيه عن جده قال: أتت علياً رضي الله عنه امرأتان تسألانه عربية ومولاة لها، فأمر لكل واحدة منهما بِكُرٍّ من طعام، وأربعين درهماً، أربعين درهماً. فأخذت المولاة الذي أعطيت وذهبت. وقالت العربية: يا أمير المؤمنين تعطيني مثل الذي أعطيت هذه وأنا عربية وهي مولاة؟ قال لها علي رضي الله عنه: إني نظرت في كتاب الله عزَّ وجلَّ فلم أرَ فيه فضلاً لولد إسماعيل على ولد إسحاق - عليهما الصلاة والسلام -.

وأخرج ابن عساكر عن علي بن ربيعة قال: جاء جَعْدة بن هُبَيرة إلى علي - رضي الله عنه - فقال: يا أمير المؤمنين، يأتيك الرجلان أنت أحبُّ إلى أحدهما من نفسه، أو قال: من أهله وماله، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك، فتقضي لهذا على هذا! قال: فلهزه عليٌّ رضي الله عنه وقال: إنَّ هذا شيء لو كان لي فعلت، ولكن إنما ذا شيء لله. كذا في «الكنز» (3/ 166).

وأخرج أبو عُبَيد في «الأموال» عن الأصبغ بن نباتة قال: خرجت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى السوق، فرأى أهل السوق قد جاوزوا أمكنتهم. فقال: ما هذا؟ قالوا: أهل السوق قد جاوزوا أمكنتهم. فقال: أليس ذلك إليهم، سوق المسلمين كمصلَّى المصلين؟ من سبق إلى شيء فهو له يومه حتى يدعه. كذا في «الكنز» (3/ 176):

وفيه تقدّم قصة علي رضي الله عنه مع اليهودي في قصص الصحابة في الأعمال والأخلاق المفضية إلى هداية الناس (1/ 234).

* * *

عدل عبد الله بن رَوَاحة رضي الله عنه

أخرج البيهقي عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ فذكر الحديث بطوله في قصة خيبر، وفيه: كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يأتيهم كل عام، فيَخْرِصُها عليهم ثم يُضَمِّنهم الشطر. فشكَوا إلى رسول الله ﷺ شدَّة خَرْصه وأرادوا أن يرشوه. فقال: يا أعداء الله، تطعموني السحت؟! والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليّ، ولأنتم أبغض إليّ من عِدَّتكم من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إياكم، وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم. فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض. كذا في «البداية» (4/ 199).

* * *

عدل المقداد بن الأسود رضي الله عنه

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 176) عن الحارث بن سويد قال: كان المقداد بن الأسود ـ رضي الله عنه ـ في سرية، فحصرهم (العدو)، فعزم الأمير أن لا يجْشُر أحد دابته، فجشر رجل دابته لم تبلغه العزيمة، فضربه؛ فرجع الرجل وهو يقول: ما رأيت كما لقيت اليوم قطّ. فمرّ المقداد، فقال: ما شأنك؟ فذكر له قصته، فتقلَّد السيف و انطلق معه حتى انتهى إلى الأمير فقال: أقده من نفسك. فأقاده فعفا الرجل، فرجع المقداد وهو يقول: لأموتَنَّ والإسلام عزيز.

خوف الخلفاء
رضي الله عنهم

أخرج ابن أبي شيبة ، وهنَّاد، والبيهقي عن الضحاك قال: رأى أبو بكر الصديق رضي الله عنه طيراً واقفاً على شجرة فقال: طوبى لكَ يا طير! والله لوددتُ أني كنت مثلك، تقع على الشجر، وتأكل من الثمر، ثم تطير وليس عليك حساب ولا عذاب! والله لوددت أنِّي كنت شجرة إلى جانب الطريق مرّ عليَّ جمل فأخذني، فأدخلني فاه، فلاكني ثم ازدردني، ثم أخرجني بعراً ولم أكُ بشراً.

وعند ابن فَنْحَوَيْه في الوَجَل عن الضحَّاك بن مزاحم قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ـ ونظر إلى عصفور ـ: طوبى لك يا عصفور! تأكل من الثمار، وتطير في الأشجار، لا حساب عليك ولا عذاب! والله لوددتُ أني كبش يسمِّنني أهلي، فإذا كنت أعظم ما كنت وأسمنه يذبحوني، فيجعلون بعضي شواء، وبعضي قديداً، ثم أكلوني، ثم ألقوني عَذِرَةً في الحش، وأني لم أكن خُلقت بشراً.

وعند أحمد في «الزهد» عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 361).

وأخرج هنَّاد، وأبو نُعيم في «الحلية» (1/ 52)، والبيهقي عن الضحَّاك قال: قال عمر رضي الله عنه: يا ليتني كنت كبش أهلي،

يسمِّنوني ما بدا لهم، حتى إذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض من يحبون، فجعلوا بعضي شِواء، وبعضي قديداً، ثم أكلوني، فأخرجوني عَذِرَةً، ولم أكن بشراً.

وعند ابن المبارك، **وابن سعد**، وابن أبي شيبة، ومسدِّد، وابن عساكر عن عامر بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أخذ تبنة من الأرض فقال: يا ليتني كنت هذه التبنة، ليتني لم أُخلق، ليتني لم أكن شيئاً، ليت أُمي لم تلدني، ليتني كنت نَسْياً مَنْسياً.

وعند أبي نُعيم في «الحلية» (1/ 53) عن عمر رضي الله عنه قال: لو نادى منادٍ من السماء: يا أيها الناس، إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلاً واحداً لخفتُ أن أكون أنا هو. ولو نادى منادٍ: أيها الناس، إنكم داخلون النار إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا هو.

وعند ابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر لقي أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، فقال له: يا أبا موسى، أيسرك أنَّ عملك الذي كان مع رسول الله ﷺ خَلَص لك، وأنك خرجت من عملك كفافاً، خيره بشره، وشره بخيره كفافاً، لا لك، ولا عليك؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. والله قدمت البصرة وإن الجفاء فيهم لفاشٍ، فعلَّمتهم القرآن والسنّة، وغزوت بهم في سبيل الله، وإني لأرجو بذلك فضله. قال عمر رضي الله عنه: لكن وددتُ أني خرجت من عملي خيره بشره، وشره بخيره كفافاً، لا علي ولا لي، وخَلَص لي عملي مع رسول الله ﷺ المخلص. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 401).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 52) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما طُعن عُمر رضي الله عنه دخلت عليه فقلت له: أبشر يا

أمير المؤمنين، فإن الله قد مصَّر بك الأمصار، ودفع بك النفاق، وأفشى بك الرزق. قال: أفي الإمارة تثني عليّ يا بن عباس؟! فقلت: وفي غيرها. قال: والذي نفسي بيده، لوددت أني خرجت منها كما دخلت فيها، لا أجر ولا وزر. وأخرجه الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في حديث طويل، وأبو يَعْلى كذلك عن أبي رافع كما في المجمع (9/ 76).

وأخرجه ابن سعد (3/ 254) عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه. وأخرج أيضاً (3/ 256) من طريق آخر عنه ـ فذكر الحديث، وفيه: فقلت: أبشر بالجنة. صاحبت رسول الله فأطلت صحبته؛ ووُلِّيتَ أمر المؤمنين فقويت، وأديت الأمانة. فقال: أما تبشيرك إياي بالجنة فوالله الذي لا إله إلّا هو، لو أنّ لي الدنيا وما فيها لافتديت به من هول ما أمامي قبل أن أعلم الخبر. وأما قولك في بإمرة المؤمنين، فوالله لوددتُ أن ذلك كفاف لا لي ولا عليَّ. وأما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ فذاك. وأخرجه أيضاً (3/ 257) من حديث عبد الله بن عبيد بن عُمَير مطوّلاً، وزاد فيه: فقال عمر رضي الله عنه: أجلسوني. فلما جلس قال لابن عباس رضي الله عنه: أعد عليَّ كلامك، فلما أعاد عليه قال: أتشهد بذلك عند الله يوم تلقاه؟ فقال ابن عباس رضي الله عنه: نعم. قال: ففرح عمر رضي الله عنه بذلك وأعجبه.

وعند أبي نعيم في «الحلية» (1/ 52) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رأس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه. فقال لي: ضَعْ رأسي على الأرض. قال: فقلت: وما عليك، كان على فخذي أم على الأرض؟ قال: ضعه على الأرض. قال: فوضعته على الأرض، فقال: ويلي وويلَ أمي إن لم يرحمني ربي. وعن المِسْوَر قال: لما طُعن

عُمر رضي الله عنه قال: والله لو أنَّ لي طِلَاعَ الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله من قبل أن أراه.

* * *

هل يخاف الأمير لومة لائم

أخرج البيهقي عن السائب بن يزيد رضي الله عنه أن رجلاً قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأن أخاف في الله لومة لائم خيرٌ لي أم أُقْبِل على نفسي؟ فقال: أمَّا من ولي من أمر المسلمين شيئاً فلا يخاف في الله لومة لائم، من كان خِلْواً فليقبل على نفسه، ولينصح لوليِّ أمره. كذا في «الكنز» (3/ 164).

* * *

المجلد الرابع

* * *



حياة الصحابة

تأليف

محمد بن يوسف الكاندهلوي

نوبلیس

حَيَاةُ الصَّحَابَةِ

حياة الصحابة

تأليف
محمد بن يوسف الكاندهلوي

قدم له
أبو الحسن علي الحسني الندوي

المجلد الخامس

نوبليس

اسم المجموعة:	حياة الصحابة
اسم الكتـاب:	المجلد الخامس
المـؤلـف:	محمد بن يوسف الكاندهلوي
التدقيق والمراقبة:	قسم الدراسات في دار نوبِليس
قياس الكتـاب:	17 × 24
عدد الصفحات:	200
عدد صفحات المجموعة:	2400
مكـان النشر:	بيروت
دار النشر والتوزيع:	دار نوبِليس
تلفاكس:	961 (1) 58 34 75
هاتـف:	961 (1) 58 11 21 - 961 (3) 58 11 21
بريد إلكتروني:	NOBILIS_INTERNATIONAL@hotmail.com
الطبعة الأولى:	2006

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصايا الخلفاء للخلفاء والأمراء

وصايا أبي بكر لعمر رضي الله عنهما

أخرج الطبراني عن الأغرّ ـ أغرّ بني مالك ـ قال: لما أراد أبو بكر أن يستخلف عمر ـ رضي الله عنه ـ بعث إليه فدعاه فأتاه، فقال:

«إني أدعوك إلى أمر متعب لمن وليه، فاتَّقِ الله يا عمر بطاعته، وأطعه بتقواه، فإن التقي (آمن) محفوظ، ثم إنَّ الأمر معروض لا يستوجبه إلا من عمل به؛ فمن أمر بالحق وعمل بالباطل، وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر يوشك أن تنقطع أمنيته وأن يحبط به عمله. فإن أنت وليت عليهم أمرهم فإن استطعت أن تجف يديك من دمائهم، وأن تضمر بطنك من أموالهم، وأن تجف لسانك عن أعراضهم، فافعل ولا قوة إلا بالله».

قال الهيثمي (5/ 198): والأغرّ لم يدرك أبا بكر رضي الله عنه، وبقية رجاله ثقات. انتهى. وقال الحافظ المنذري في «الترغيب» (4/ 15): ورواته ثقات إلا أن فيه إنقطاعاً. انتهى.

وأخرج ابن عساكر عن سالم بن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهم ـ قال: لما حضر أبا بكر رضي الله عنه الموتُ أوصى:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا عهدُ من أبي بكر الصدِّيق، عند آخر عهده بالدنيا، خارجاً منها، وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حيث يؤمن الكافر، ويتَّقي الفاجر، ويصدّق الكاذب: إني استخلفت من بعدي عمر بن الخطاب. فإنْ عدل فذلك ظنّي فيه، وإنْ جار وبدَّل فالخيرَ أردت، ولا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227].

ثم بعث إلى عمر رضي الله عنه فدعاه فقال:

«يا عمر، أبغضَكَ مبغضٌ، وأحبَّك محبٌّ، وقِدْماً يُبغض الخير ويُحب الشر - قال: فلا حاجة لي فيها - قال: لكن لها بك حاجة، وقد رأيتَ رسول الله ﷺ وصحبتَه، ورأيت أثرته أنفسنا على نفسه، حتى إن كنا لنهدي لأهله فضل ما يأتينا منه، ورأيتني وصحبتني وإنما اتبعت أثر من كان قبلي، والله ما نمت فحلمت، ولا شهدت فتوهَّمت، وإني لعلى طريق ما زغت، تَعَلَّم يا عمر، إنَّ لله حقاً في الليل لا يقبله بالنهار، وحقاً بالنهار لا يقبله بالليل، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتِّباعهم الحق، وحُقَّ لميزان أن يثقل لا يكون فيه إلا الحق، وإنما خفَّت موازين من خفَّت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل، وحُقَّ لميزان أن يخفَّ لا يكون فيه إلا الباطل. إنَّ أول ما أحذرك نفسك، وأحذرك الناس فإنَّهم قد طمحت أبصارهم، وانتفخت أهواؤهم، وأن لهم الخيرة عن زلّة تكون، فإياه تكونه، فإنهم لن يزالوا خائفين لك فرقين منك ما خفت الله وفرقته. وهذه وصيتي، وأقرأُ عليك السلام». كذا في «الكنز» (3/ 146).

وعند ابن المبارك ، وابن أبي شيبة ، وهَنَّاد، وابن جرير، وأبي نُعَيم في «الحلية» (1/ 36) عن عبد الرحمن بن سابط، وزيد بن زبيد بن الحارث، ومجاهد قالوا: لما حضر أبا بكر الموتُ دعا عمر ـ رضي الله عنه ـ وقال له:

«اتَّق الله يا عمر، واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تُودى الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم، وحُقّ لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفَّت موازين من خفَّت موازينه يوم القيامة باتِّباعهم الباطل في الدنيا وخفَّته عليهم، وحُقّ لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً. وأن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم، وتجاوز عن سيِّئه، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأخاف أن لا ألحق بهم؛ وأن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم، وردَّ عليهم أحسنه؛ فإذا ذكرتهم قلت: إني أخاف أن أكون مع هؤلاء ـ وذكر آية الرحمة وآية العذاب ـ فيكون العبد راغباً راهباً، ولا يتمنَّى على الله غير الحق، ولا يقنط من رحمته، ولا يُلقي بيديه إلى الهلكة. فإن أنت حفظت وصيتي فلا يكُ غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك؛ وإن أنت ضيَّعت وصيتي فلا يكُ غائب أبغض إليك من الموت، ولست بمعجِزِه». كذا في منتخب الكنز (4/ 363).

* * *

وصايا أبي بكر لعمرو بن العاص وغيره رضي الله عنهم

أخرج ابن سعد عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: أجمع أبو بكر رضي الله عنه أن يجمع الجيوش إلى الشام. كان أول من سار من عماله عمرو بن العاص رضي الله عنه، وأمره أن يسلك على أيْلَة عامداً لفلسطين. وكان جند عمرو الذين خرجوا من المدينة ثلاثة آلاف، فيهم ناس كثير من المهاجرين والأنصار، وخرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه يمشي إلى جنب راحلة عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو يوصيه ويقول:

«يا عمرو، اتَّق الله في سرائرك وعلانيتك واستحيه، فإنه يراك ويرى عملك؛ وقد رأيتَ تقديمي إياك على من هم أقدم سابقة منك، ومن كان أعظمَ غِنًى عن الإسلام وأهله منك. فكن من عمَّال الآخرة، وأرد بما تعمل وجه الله، وكن والداً لمن معك، ولا تكشفنَّ الناس عن أستارهم، واكتف بعلانيتهم، وكن مجداً في أمرك، واصدق اللقاء إذا لقيت ولا تجبُن، وتَقدَّم في الغُلول وعاقب عليه، وإذا وعظت أصحابك فأوجز، وأصلح نفسك تصلح لك رعيَّتُك». كذا في «كنز العمال» (3/ 133). وأخرجه أيضاً ابن عساكر (1/ 129) بنحوه.

وأخرج ابن جرير الطبري (4/ 29) عن القاسم بن محمد قال: كتب أبو بكر إلى عمرو وإلى الوليد بن عقبة - رضي الله عنهما - وكان على النِّصف من صدقات قُضاعة، وقد كان أبو بكر شيَّعهما مَبْعَثهما على الصدقة، وأوصى كل واحد منهما بوصية واحدة فقال:

«اتَّقِ الله في السرّ والعلانية، فإنه مَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ، وَمَنْ يَتَّقِ الله يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أجْراً، فإنَّ تقوى الله خيرُ ما تَواصَى به عباد الله. إنَّك في سبيل من سُبُل الله، لا يسعُك فيه الإذهان والتفريط، ولا الغفلة عما فيه قِوام دينكم وعِصمة أمركم، فلا تَنِ ولا تفتر».

وأخرجه أيضاً ابن عساكر (1/ 132) عن القاسم بنحوه.

وأخرج ابن سعد عن المطَّلب بن السائب بن أبي وَدَاعة رضي الله عنه قال: كتب أبو بكر الصديق إلى عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -:

«إني كتبت إلى خالد بن الوليد ليسير إليك مدداً لك، فإذا قدم عليك فأحسن مصاحبته، ولا تَطاوَلْ عليه، ولا تقطع الأمور دونه لتقديمي إياك عليه وعلى غيره، شاورهم ولا تخالفهم». كذا في «كنز العمال» (3/ 133).

وأخرج ابن سعد عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه أنَّ أبا بكر قال لعمرو بن العاص - رضي الله عنهما -:

«إني قد استعملتك على من مَررت به: بَلِيّ، وعُذْرة، وسائر قُضاعة، ومن سقط هناك من العرب، فاندبهم إلى الجهاد في سبيل الله ورغِّبهم فيه، فمن تبعك منهم فاحمله، وزوِّده ووافق بينهم، واجعل كل قبيلة على حدَّتها ومنزلها». كذا في «الكنز» (3/ 133)، وأخرجه ابن عساكر (1/ 129).

أخرج ابن سعد (4/ 70) عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمي

رضي الله عنه قال: لما عزل أبو بكر خالد بن سعيد أوصى به شرحبيل بن حسنة ـ رضي الله عنهم ـ وكان أحد الأمراء قال:

«انظر خالد بن سعيد، فاعرف له من الحق عليك مثل ما كنت تحب أن يعرفه لك من الحق عليه لو خرج والياً عليك، وقد عرفتَ مكانه من الإسلام، وأن رسول الله ﷺ توفي وهو له والٍ، وقد كنتُ ولَّيته، ثم رأيت عزله، وعسى أن يكون ذلك خيراً له في دينه، ما أغبط أحداً بالإمارة، قد خيَّرته في أمراء الأجناد فاختارك على غيرك وعلى ابن عمه. فإذا نزل بك أمر تحتاج فيه إلى رأي التقيّ الناصح فليكن أول من تبدأ به، أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذُ بن جبل، ولْيَكُ ثالثاً خالدُ بن سعيد، فإنك واجد عندهم نصحاً وخيراً، وإياك واستبداد الرأي عنهم أو تطوي عنهم بعض الخبر». كذا في «الكنز» (3/ 134).

* * *

وصية أبي بكر الصديق ليزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما

أخرج ابن سعد (4/ 98) عن الحارث بن الفضل قال: لما قعد أبو بكر ليزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما، فقال:

«يا يزيد، إنك شاب تُذْكر بخير قد رُئِي منك، وذلك لشيء خلوت به في نفسك، وقد أردتُ أن أبلوك وأستخرجك من أهلك، فأنظرُ كيف أنت؟ وكيف ولايتك؟ وأخبُرُك. فإن

أحسنتَ زدتُك، وإن أسأتَ عزلتُك، وقد وليتُك عمل خالد بن سعيد».

ثم أوصاه بما أوصاه يعمل به في وجهه وقال له:

«أوصيك بأبي عبيدة بن الجراح خيراً، فقد عرفتَ مكانه من الإسلام وأنَّ رسول الله ﷺ قال: «لكلّ أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»؛ فاعرف له فضله وسابقته؛ وانظر معاذ بن جبل، فقد عرفت مشاهده مع رسول الله ﷺ وأن رسول الله ﷺ قال: «يأتي أمام العلماء برتوة»، فلا تقطع أمراً دونهما وإنهما لن يألوَا بك خيراً.

قال يزيد: يا خليفة رسول الله، أوصهما بي كما أوصيتني بهما. قال أبو بكر: لن أدع أن أوصيَهما بك. فقال يزيد: يرحمك الله وجزاك الله عن الإسلام خيراً. كذا في «الكنز» (3/ 132).

وأخرج أحمد، والحاكم، ومنصور بن شعبة البغدادي في «الأربعين» ـ وقال: حسن المتن غريب الإسناد ـ عن يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: أبو بكر رضي الله عنه لمَّا بعثني إلى الشام:

«يا يزيد، إنَّ لك قرابة عسيتَ تؤثرهم بالإمارة، وذلك أكبر ما أخاف عليك، فإنَّ رسول الله ﷺ قال: «من وُلِّي من أمور المسلمين شيئاً فأمَّر عليهم أحداً محاباة له بغير حق فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صَرْفاً ولا عَدْلاً حتى يدخله جهنَّم. ومن أعطى أحداً من مال أخيه محاباة له فعليه لعنة الله ـ أو قال ـ برئت منه ذمة الله». إنَّ الله دعا الناس إلى أن يؤمنوا بالله فيكونوا حمى الله، فمن انتهك في حمى الله شيئاً

بغير حقٍّ فعليه لعنة الله - أو قال - برئت منه ذمة الله عزّ وجلّ».

قال ابن كثير: ليس هذا الحديث في شيء من الكتب الستة، وكأنهم أعرضوا عنه لجهالة شيخ لقيه، قال: والذي يقع في القلب صحّة هذا الحديث؛ فإنَّ الصدِّيق رضي الله عنه كذلك فعل، ولّى على المسلمين خيرهم بعده. كذا في «كنز العمال» (3/ 143). وقال الهيثمي (5/ 232): رواه أحمد، وفيه رجل لم يُسمَّ. انتهى.

* * *

وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه لولي الأمر من بعده

أخرج ابن أبي شيبة، وأبو عُبَيد في «الأموال»، أبو يَعْلى، والنَّسائي، وابن حِبّان، والبيهقي عن عمر رضي الله عنه أنه قال:

«أُوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأوَّلين أن يعلم لهم حقَّهم، ويحفظ لهم حرمتهم. وأوصيه بالأنصار الذين تبوؤا الدار والإِيمان من قبلهم؛ أن يقبل من محسنهم، وأن يعفو عن مسيئهم. وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، فإنَّهم رِدْء الإِسلام، وجُباة الأموال، وغَيْظ العدو، وأن يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإِسلام؛ أن لا يؤخذ من حواشي أموالهم فيرد على فقرائهم. وأوصيه بذمّة الله وذمّة رسوله أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلِّفهم إلا طاقتهم».

كذا في «المنتخب» (4/ 439).

وأخرج ابن سعد (3/ 197)، وابن عساكر عن القاسم بن محمد قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«لِيَعْلم من وُلِّيَ هذا الأمر من بعدي أنْ سَيريدُه عنه القريبُ والبعيدُ، إني لأقاتل الناس عن نفسي قتالاً، ولو علمتُ أنَّ أحداً من الناس أقوى عليه مني لكنت أُقدَّمُ فتُضربُ عنقي أَحبُّ إليَّ من أن أَلِيَه».

كذا في «الكنز» (3/ 147).

* * *

وصية عمر بن الخطاب لأبي عُبيدة بن الجرَّاح رضي الله عنهما

أخرج ابن جرير (4/ 54) عن صالح بن كَيسان قال: كان أولُ كتاب كتبه عمر حين وُلِّي إلى أبي عبيدة يولِّيه على جند خالد رضي الله عنهم:

«أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه، الذي هدانا من الضلالة، وأخرجنا من الظلمات إلى النور. وقد استعملتك على جُنْد ابن الوليد، فقم بأمرهم الذي يحق عليك، لا تقدِّم المسلمين إلى هَلَكَة رجاءَ غنيمة، ولا تُنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم، وتعلم كيف مأتاه، ولا تبعث سرية إلا في كثف من الناس، وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة، وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك، فغمِّض بصرك عن الدنيا وألْهِ قلبك عنها، وإياك أن تهلِكَك كما أهلكتْ من كان قبلك، فقد رأيت مصارعَهم».

وصية عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما

أخرج ابن جرير (4/ 84) من طريق سيف عن محمد، وطلحة بإسنادهما أن عمر أرسل إلى سعد ـ رضي الله عنهما ـ فقدم عليه، فأمَّره على حرب العراق وأوصاه فقال: .

«يا سعدُ سعد بني وُهَيْب، لا يغرنَّك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ، وصاحب رسول الله، فإن الله عزّ وجلّ لا يمحو السيء بالسيء، ولكنه يمحو السيء بالحسن، فإنَّ الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فالناس شريفُهم ووضيعهم في ذات الله سواءٌ، الله ربُّهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيتَ النبي ﷺ منذ بعث إلى أن فارقنا، فالزمه فإنَّه الأمر. هذه عظتي إياك إن تركتَها ورغبتَ عنها حَبِط عملك وكنت من الخاسرين».

ولما أراد أن يسرِّحه دعاه فقال:

«إني قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتي، فإنك تَقْدَم على أمر شديد كريه لا يخلِّص منه إلا الحقُّ، فعوِّد نفسك ومن معك الخير، واستفتح به، واعلم أنَّ لكل عادة عتاداً، فعتاد الخير الصبر، فالصبرَ الصبرَ على ما أصابك أو نابك، يجتمع لك خشية الله، واعلم أنَّ خشية الله تجتمع في أمرين: في طاعته واجتناب معصيته، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة، وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاءً، منها

السر، ومنها العلانية. فأما العلانية فأن يكون حامدُه وذامُّه في الحق سواء، وأما السر فيُعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبة الناس، فلا تزهد في التحبُّب فإنّ النبيين قد سألوا محبّتهم، وإنَّ الله إذا أحب عبداً حبَّبه، وإذا أبغض عبداً بغَّضه؛ فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس ممَّن يشرع معك في أمرك».

* * *

وصية عمر بن الخطاب لعتبة بن غزوان رضي الله عنهما

أخرج ابن جرير (4/ 150) عن عبد الملك بن عمير قال: إنَّ عمر قال لعتبة بن غزوان رضي الله عنهما إذ وجَّهه إلى البصرة:

«يا عتبة، إني قد استعملتك على أرض الهند وهي حَوْمة من حَوْمة العدو، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها وأن يعينك عليها، وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدك بعرْفَجَةَ بن هَرْثَمة وهو ذو مجاهدة العدو ومكايدته؛ فإذا قدم عليك فاستشره وقرِّبه، وادعُ إلى الله، فمن أجابك فاقبل منه، ومن أبَى فالجزية عن صَغار وذلّة، وإلا فالسيف في غير هوادة. واتق الله فيما وُلِّيت، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كِبْر يفسد عليك آخرتك، وقد صحبتَ رسول الله ﷺ فعززتَ به بعد الذلّة، وقويتَ به بعد الضعف حتى صرت أميراً مُسَلَّطاً، وَمَلِكاً مُطاعاً، تقول فيُسمع منك، فيُطاع أمرُك، فيا لها نعمةٌ إن لم ترفعك فوق قدرك وتُبطرك على من دونك،

احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية، ولهي أخوفهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم، أعيذك بالله ونفسي من ذلك. إنَّ الناس أسرعوا إلى الله حين رُفعت لم الدنيا فأرادوها، فأرِد الله ولا تُرِد الدنيا، واتَّق مصارع الظالمين».

ورواه علي بن محمد المدائني أيضاً مثله كما في «البداية» (7/ 48).

* * *

وصية عمر بن الخطاب للعلاء بن الحضرمي رضي الله عنهما

أخرج ابن سعد (4/ 78) عن الشَّعْبي قال: كتب عمر بن الخطاب إلى العلاء بن الحضرمي رضي الله عنهما وهو بالبحرين أن:

«سِرْ إلى عتبة بن غزوان فقد وليتك عمله، واعلم أنك تقدم على رجل من المهاجرين الأوَّلين الذين قد سبقت لهم من الله الحسنى؛ لم أعزله ألَّا يكون عفيفاً صليبا، شديد البأس؛ ولكنني ظننت أنك أغنى عن المسلمين في تلك الناحية منه، فاعرف له حقَّه؛ وقد ولَّيت قبلك رجلاً فمات قبل أن يصل، فإن يُرد الله تعالى أن تلي وُلِّيت، وإن يرد أن يلي عتبة، فالخلق والأمر لله رب العالمين. واعلم أن أمر الله محفوظ بحفظه الذي أنزله، فانظر الذي خلقت له، فاكدَحْ له ودَعْ ما سواه فإنَّ الدنيا أمد، والآخرة أبد، فلا يشغلنَّك شيء مدبر خيره عن شيء باقٍ شره، واهرب إلى الله من سخطه،

فإنَّ الله يجمع لمن يشاء الفضيلة في حكمه وعلمه. نسأل الله لنا ولك العون على طاعته والنجاة من عذابه».

* * *

وصية عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما

أخرج الدينوري عن ضبَّة بن مِحْصَن قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما:

«أما بعد: فإنَّ للناس نفرة من سلطانهم فأعوذ بالله أن تدركني وإياك، فأقم الحدود ولو ساعة من النهار، وإذا حضر أمران أحدهما لله والآخر للدنيا فآثر نصيبك من الله، فإنَّ الدنيا تنفد والآخرة تبقى، وأخفِ الفُسَّاق، واجعلهم يداً يداً ورجلا رجلاً، عُدْ مريض المسلمين، واحضر جنائزهم، وافتح بابك، وباشر أمورهم بنفسك، فإنما أنت رجل منهم غير أنَّ الله جعلك أثقلهم حملاً. وقد بلغني أنه نشأ لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك، ومطعمك، ومركبك ليس للمسلمين مثلها. فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرَّت بوادٍ خِصْب فلم يكن لها هم إلا التسَمُّن، وإنما حَتْفها في السِمَن. واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته، وأشقى الناس من شَقِيت به رعيته».

كذا في «الكنز» (3/ 149). وأخرجه ابن أبي شيبة، وأبو نعيم في «الحِلْية» عن سعيد بن أبي بردة مختصراً كما في «الكنز» (8/ 209).

وأخرج ابن أبي شيبة عن الضحَّاك قال كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما:

«أما بعد: فإنَّ القوة في العمل أن لا تؤخروا عمل اليوم لغد، فإنكم إذا فعلتم ذلك تداركت عليكم الأعمال فلا تدرون أيَّها تأخذون فأضعتم؛ فإن خُيِّرتم بين أمرين أحدهما للدنيا والآخر للآخرة، فاختاروا أمر الآخرة على أمر الدنيا، فإنَّ الدنيا تفنى والآخرة تبقى. كونوا من الله على وَجَل، وتعلَّموا كتاب الله فإنه ينابيع العلوم، وربيع القلوب».

* * *

وصية عثمان ذي النورين رضي الله عنه

أخرج الفضائلي الرازي عن العلاء بن الفضل عن أمه قال: لما قُتل عثمان رضي الله عنه فتَّشوا خزانته، فوجدوا فيها صندوقاً مقفلاً، ففتحوه فوجدوا فيه (حُقَّةً فيها) ورقة مكتوب فيها:

«هذه وصية عثمان: بسم الله الرحمن الرحيم. عثمان بن عفان يشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ الجنة حق، وأنَّ النار حق، وأنَّ الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد، عليها يحيا، وعليها يموت وعليها يُبعث إن شاء الله».

وأخرجه أيضاً نظام المُلْك وزاد: ووجدوا في ظهرها مكتوباً:

غنى النفس يُغني النفس حتى يُجلُها
وإنْ غضُّها حتى يَضُرَّ بها الفقرُ

وما عُسرة فاصبر لها إن لقيتها

بكائنة إلا سيتبعها يُسْرُ

ومَن لم يقاسِ الدهرَ لم يعرفِ الأسَى

وفي غيَر الأيامِ ما وعدَ الدهرُ

كذا في الرِّياض النضرة في مناقب العشرة للمحبّ الطبري: (2/ 133).

وأخرج أبو أحمد عن شدَّاد بن أوس رضي الله عنه قال: لما اشتد الحصار بعثمان رضي الله عنه يوم الدار أشرف على الناس فقال: يا عباد الله، قال: فرأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه خارجاً من منزله، معتماً بعمامة رسول الله ﷺ، متقلداً سيفه، أمامه الحسن وعبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهم ـ في نفر من المهاجرين والأنصار حتى حملوا على الناس وفرقوهم. ثم دخلوا على عثمان رضي الله عنه فقال له عليٌّ رضي الله عنه: السلام عليك يا أمير المؤمنين، إنَّ رسول الله ﷺ لم يَلْحَق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل المدبر، وإني ـ والله ـ لا أرى القوم إلّا قاتليك، فمرنا فلنقاتل. فقال عثمان رضي الله عنه:

«أنشد الله رجلاً رأى لله حقاً، وأقر أنَّ لي عليه حقاً؛ أن يُهريق في سببي ملء حجمة من دم، أو يهريق دمه فيَّ».

فأعاد عليٌّ رضي الله عنه عليه القول. فأجابه بمثل ما أجابه. قال: فرأيت علياً خارجاً من الباب وهو يقول: اللهمَّ إنَّك تعلم أنا بذلنا المجهود. ثم دخل المسجد وحضرت الصلاة. فقالوا له: يا أبا الحسن، تقدَّم فصلِّ بالناس. فقال: لا أصلِّي بكم والإمام محصور، ولكن أصلِّي وحدي، فصلَّى وحده وانصرف إلى منزله، فلحقه ابنه وقال: والله يا أبت قد اقتحموا عليه الدار. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، هم والله قاتلوه.

قالو: أين هو يا أبا الحسن؟ قال: في الجنة ـ والله ـ زلفى. قالوا: وأين هم يا أبا الحسن؟ قال: في النار والله ـ ثلاثاً ـ. كذا في «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (2/ 128).

وأخرج أبو أحمد عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن قال: دخل أبو قَتادة ورجل آخر على عثمان ـ رضي الله عنهم ـ وهو محصور، فاستأذناه في الحج فأذن لهم. فقالا له: إن غلب هؤلاء القوم مع من نكون؟ قال: عليكم بالجماعة. قال: فإن كانت الجماعة هي التي تغلب عليك مع من نكون؟ قال: فالجماعة حيث كانت!، فخرجنا فاستقبلنا الحسن بن علي رضي الله عنهما عند باب الدار داخلاً على عثمان رضي الله عنه، فرجعنا معه لنسمع ما يقول: فسلَّم على عثمان ثم قال: يا أمير المؤمنين مرني بما شئت، فقال عثمان:

«يا بن أخي، ارجع واجلس حتى يأتي الله بأمره».

فخرج وخرجنا عنه، فاستقبلنا ابن عمر رضي الله عنهما داخلاً إلى عثمان رضي الله عنه، فرجعنا معه نسمع ما يقول، فسلَّم على عثمان رضي الله عنه ثم قال: يا أمير المؤمنين، صحبتُ رسول الله ﷺ فسمعتُ وأطعتُ، ثم صحبتُ أبا بكر رضي الله عنه فسمعتُ وأطعتُ، ثم صحبتُ عمر رضي الله عنه فسمعتُ وأطعتُ ورأيتُ له حقَّ الوالد وحقَّ الخلافة، وها أنا طوع يديك يا أمير المؤمنين، فمرني بما شئت. فقال عثمان رضي الله عنه:

«جزاكم الله يا آل عمر خيراً ـ مرتين ـ **لا حاجة لي في إراقة الدم»**.

كذا في «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (2/ 128).

وأخرج أبو عمر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إني لَمحصور

مع عثمان رضي الله عنه في الدار. قال: فرُمِيَ رجل منَّا، فقلت: يا أمير المؤمنين الآن طاب الضِّراب، قتلوا منا رجلاً. قال:

«عزمتُ عليك يا أبا هريرة إِلَّا رميتَ سيفك، فإنما تُراد نفسي وسَأَقِي المؤمنين بنفسي».

قال أبو هريرة رضي الله عنه: فرميت سيفي لا أدري أين هو حتى الساعة. كذا في «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (2/ 129).

* * *

وصايا علي بن أبي طالب
رضي الله عنه لأمرائه

أخرج الدِينَوَري، وابن عساكر عن معاجر العامريّ قال: كتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه عهداً لبعض أصحابه على بلد فيه:

«أما بعد: فلا تُطَوِّلَنَّ حجابك على رعيتك، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شُعْبة عن الضِّيق، وقلّة علم من الأمور، والاحتجاب يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيُصغَّر عندهم الكبير، ويعظَّم الصغير، ويُقبَّح الحسن، ويحسَّن القبيح، ويُشاب الحق بالباطل؛ وإنما الوالي بشَرٌ لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على القول سمات يعرف بها صروفُ الصدق من الكذب، فيحصن من الإدخال في حقوق بلين الحجاب. فإنما أنت أحد رجلين: إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق فتقيم احتجابك من حق تعطيه أو خلق كريم تسْديه، وإما مبتلى بالمنع، فما أسرع كف الناس عنك وعن مسائلتك إذا يئسوا عن ذلك؛ مع أن أكثر حاجات الناس إليك لا مؤنة فيه عليك من مشكاة مظلمة أو طلب إنصاف. فانتفع بما وصفت، واقتصر على حظك ورشدك إن شاء الله». كذا في «منتخب الكنز» (5/ 58).

وأخرج الدينوري، وابن عساكر عن المدائني قال: كتب علي بن

أبي طالب رضي الله عنه إلى بعض عماله:

«رويداً، فكأن قد بلغت المدى، وعُرضتْ عليك أعمالك بالمحلِّ الذي ينادي المغتر بالحسرة، ويتمنى المضيِّع التوبة، والظالم الرجعة».

كذا في «منتخب الكنز» (5/ 58).

وأخرج ابن زنجويه عن رجل من ثقيف قال: استعملني علي بن أبي طالب رضي الله عنه على عُكْبَرا، فقال لي وأهل الأرض عندي:

«إنَّ أهل السواد قوم خُدَّع فلا يَخْدَعُنَّكَ، فاستوفِ ما عليهم».

ثم قال لي: رُحْ إليّ. فلما رجعت إليه قال لي:

«إنما قلت لك الذي قلت لأُسمعهم، لا تضربنَّ رجلاً منهم بسَوْط في طلب درهم، ولا تُقِمْه قائماً، ولا تأخذنَّ منهم شاة ولا بقرة، إنما أُمرنا أن نأخذ منهم العفْوَ، أتدري ما العفو؟ الطاقة». كذا في «الكنز» (3/ 166).

وأخرجه البيهقي (9/ 205) أيضاً، وفي حديثه: ولا تبيعنَّ لهم رزقاً ولا كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها، ولا تُقِم رجلاً قائماً في طلب درهم. قال: قلت: يا أمير المؤمنين، إذن أرجَع إليك كما ذهبت من عندك؟ قال: وإن رجعت كما ذهبت، ويحك! إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو ـ يعني الفَضْل ـ.

* * *

نصيحة الرعية الإِمام

أخرج ابن سعد، وابن عساكر عن مكحول أنَّ سعيد بن عامر بن حذْيم الجُمحي من أصحاب النبي ﷺ قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني أريد أن أوصيك يا عمر. قال: أجل فأوصني، قال:

«أوصيك أن تخشى الله في الناس، ولا تخشَ الناس في الله، ولا يختلف قولك وفعلك، فإن خير القول ما صدَّقه الفعل، لا تقض في أمر واحد بقضاءين فيختلف عليك أمرك وتزيغ عن الحق، وخُذْ بالأمر ذي الحجة تأخذ بالفَلْج، ويعينك الله ويصلح رعيتك على يديك، وأقم وجهك وقضاءك لمن ولّاك الله أمره من بعيد المسلمين وقريبهم، وأحبّ لهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك، وخُضِ الغمراتِ إلى الحق، ولا تخف في الله لومة لائم».

فقال عمر: من يستطيع ذلك؟ فقال سعيد: مثلك، من ولّاه الله أمر أمة محمد ﷺ، ثم لم يحل بينه وبين الله أحد. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 390).

وأخرج ابن راهَوَيْه، والحارث، ومسدَّد، وأبو يعلى ـ وصحّح ـ عن عبد الله بن بريدة أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمع الناس لقدوم الوفد فقال لزيد بن أرقم: انظر أصحاب محمد ﷺ فأذن لهم أول

الناس، ثم القَرَن الذين يلونهم. فدخلوا فصُفُّوا قدَّامه فنظر، فإذا رجل ضخم عليه مُقَطَّعة برود، فأومأ إليه عمر رضي الله عنه فأتاه. فقال عمر: إيهِ ـ ثلاث مرات ـ فقال الرجل: إيهِ ـ ثلاث مرات ـ فقال عمر: أفّ، قُمّ. فقام فنظر فإذا الأشعري ـ رجل أبيض، خفيف الجسم، قصير ثَبْط ـ فأومأ إليه فأتاه فقال عمر: إيه. فقال الأشعري: إيهِ. قال عمر: إيهِ. فقال: يا أمير المؤمنين افتح حديثاً فنحدثك. فقال عمر: أفّ، قم، فإنه لن ينفعك راعي ضأن. فنظر فإذا رجل أبيض، خفيف الجسم، فأومأ إليه فأتاه، فقال عمر: إيهِ. فوثب فحمد الله، وأثنى عليه، ووعظ بالله ثم قال:

«إنكَ وَلِيت أمر هذه الأمة، فاتَّق الله فيما وَلِيت من أمر هذه الأمة وأهل رعيتك في نفسك خاصّة، فإنك محاسب ومسؤول، وإنما أنت أمين، وعليك أن تؤدِّي ما عليك من الأمانة فتعطى أجرك على قدر عملك».

فقال: ما صدقني رجل منذ استخلفت غيرك. من أنت؟ قال: أنا ربيع بن زياد. فقال: أخو المهاجر بن زياد؟ قال: نعم. فجهَّز عمر جيشاً واستعمل عليه الأشعري، ثم قال: انظر ربيع بن زياد فإن يَكُ صادقاً فيما قال فإنَّ عنده عوناً على هذا الأمر فاستعمله، ثم لا يأتين عليكم عَشَرَة إلَّا تعاهدت منه عمله، وكتبت إليّ بسيرته في عمله حتى كأني أنا الذي استعملته، ثم قال عمر: عهد إلينا نبينا ﷺ فقال: **«إنَّ أخوف ما أخشى عليكم بعدي منافق عليم اللسان»**. كذا في «كنز العمال» (7/ 36).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 238) عن محمد بن سُوقة قال: أتيت نُعيم بن أبي هند فأخرج إليّ صحيفة فإذا فيها:

«من أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل إلى عمر بن

الخطاب: سلام عليك، أما بعد: فإنا عهدناك وأمر نفسك لك مهمٌّ، فأصبحت قد وُليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها، يجلس بين يديك الشريف والوضيع، والعدو والصديق، ولكل حصتُه من العدل، فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر. فإنا نحذِّرك يوماً تَعْنا فيه الوجوه، وتجفّ فيه القلوب، وتنقطع فيه الحجج لحجة ملك قهرهم بجبروته؛ فالخلق داخرون له، يرجون رحمته، ويخافون عقابه. وإنّا نُحدَّث أنَّ أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية، أعداء السريرة؛ وإنا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا إليك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا، فإنما كتبنا به نصيحة لك، والسلام عليك!».

فكتب إليهما عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه:

«من عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة، ومعاذ، سلام عليكما. أما بعد: أتاني كتابكما، تَذْكران أنكما عهدتماني وأمر نفسي لي مهم، فأصبحت قد وُلِّيت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها، يجلس بين يديَّ الشريف والوضيع، والعدو والصديق، ولكل حصته من العدل؛ كتبتما: فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر. وإنَّه لا حول ولا قوة لعمر عند ذلك إلا بالله عزّ وجلّ. وكتبتما تحذِّراني ما حُذِّرت منه الأمم قبلنا، وقديماً كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس يقرِّبان كل بعيد، ويبليان كل جديد، ويأتيان بكل موعود حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة والنار. كتبتما تحذراني: أنَّ أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان

العلانية أعداء السريرة، ولستم بأولئك، وليس هذا بزمان ذاك، وذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرهبة، تكون رغبة الناس بعضهم إلى بعض لصلاح دنياهم. كتبتما تعوذاني بالله أن أُنزل كتابكما سوى المنزل الذي نزل من قلوبكما؛ وإنكما كتبتما به نصيحة لي وقد صدَقتُما، فلا تَدَعا الكتاب إليَّ فإنه لا غنى بي عنكما، والسلام عليكما!».

وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة وهَنَّاد بمثله كما في الكنز (8/ 209)، والطبراني كما في المجمع (5/ 214). وقال: ورجاله ثقات إلى هذه الصحيفة.

* * *

وصية أبي عبيدة بن الجراح
رضي الله عنه

عن سعيد بن المُسَيَّب قال: لما طُعِن أبو عبيدة رضي الله عنه بالأردن دعا من حضره من المسلمين وقال:

«إنِّي موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير: أقيموا الصلاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدَّقوا، وحجُّوا، واعتمروا، وتواصَوا، وانصحوا لأمرائكم ولا تَغشوهم؛ ولا تُلْهِكم الدنيا، فإنَّ امرأ لو عُمِّر ألف حول ما كان له بدٌّ من أن يصير إلى مصرعي هذا الذي ترون، إن الله تعالى كتب الموت على بني آدم فهم ميتون، فأكْيَسهم أطوعهم لربه، وأعملهم ليوم معاده. والسلام عليكم ورحمة الله. يا معاذ بن جبل صلِّ بالناس».

ومات رحمه الله. فقام معاذ رضي الله عنه في الناس فقال:

«أيها الناس، توبوا إلى الله من ذنوبكم، فأيُّما عبدٍ يلقى الله تعالى تائباً من ذنبه إلا كان على الله حقاً أن يغفر له. من كان عليه دَيْن فليقضِه، فإنَّ العبد مُرْتَهنٌ بدَيْنه. ومن أصبح منكم مهاجراً أخاه فليلقه فليصالحه، ولا ينبغي لمسلم أن يهجر أخاه أكثر من ثلاثة أيام. أيها المسلمون، قد فُجعتم برجل ما أزعم أني رأيت عبداً أبرَّ صدراً ولا أبعد من الغائلة

ولا أشد حباً للعامة ولا أنصح منه. فترحَّموا عليه. واحضروا الصلاة عليه».

كذا في «الرياض النضرة في مناقب العشرة» للمحب الطبري (2/317).

* * *

سيرة الخلفاء والأمراء

سيرة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه

أخرج ابن سعد (3/ 131) عن ابن عمر، وعائشة، وابن المسيَّب وغيرهم رضي الله عنهم - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - قالوا: بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم قُبض رسول الله ﷺ يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلَت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مهاجر رسول الله ﷺ، وكان منزله بالسُّنْح عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير من بني الحارث بن الخزرج، وكان قد حجَّر عليه حُجْرة من شعر، فما زاد على ذلك حتى تحوَّل إلى منزله بالمدينة، فأقام هناك بالسُّنْح بعدما بويع له ستة أشهر يغدو على رجليه إلى المدينة، وربما ركب على فرس له وعليه إزار، ورداء مُمَشَّق، فيوافي المدينة فيصلّي الصلوات بالناس، فإذا صلَّى العشاء رجع إلى أهله بالسُّنْح، فكان إذا حضر صلَّى بالناس، وإذا لم يحضر صلَّى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكان يقوم يوم الجمعة في صدر النهار بالسُّنْح يصبغ رأسه ولحيته، ثم يروح لَقَدر الجمعة فيُجَمِّع بالناس.

وكان رجلاً تاجراً فكان يغدو كل يوم السوق فيبيع ويبتاع. وكانت له قطعة غنم تروح عليه وربما خرج هو نفسه فيها، وربما كُفِيَها فرُعِيت له. وكان يحلب للحيّ أغنامهم، فلما بُويع له بالخلافة قالت جارية من الحيّ: الآن لا تُحلب لنا مَنائح دارنا. فسمعها أبو بكر رضي الله عنه

فقال: بلى لعمري لأحلُبَنَّها لكم، وإنّي لأرجو أن لا يغيِّرني ما دخلت فيه عن خُلِق كنت عليه. فكان يحلب لهم فربما قال للجارية من الحي: يا جارية أتحبين أن أرغي للكِ أو أُصَرِّح. فربما قالت: صرِّح، فأي ذلك قالت فعل.

فمكث كذلك بالسنح ستة أشهر ثم نزل إلى المدينة، فأقام بها ونظر في أمره، فقال: لا والله ما يُصلح أمر الناس التجارة، وما يصلح لهم إلا التفرغ، والنظر في شأنهم، ولا بُدَّ لعيالي ممّا يصلحهم. فترك التجارة، واستنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوماً بيوم، ويحج، ويعتمر، وكان الذي فرضوا له كل سنة ستة آلاف درهم. فلما حضرته الوفاة قال: ردّوا ما عندنا من مال المسلمين فإنِّي لا أُصيب من هذا المال شيئاً، وإن أرضي التي بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم. فدُفع ذلك إلى عمر ولَقوح، وعبد صَيْقَل، وقطيفة ما يساوي خمسة دراهم. فقال عمر رضي الله عنه: لقد أتعب مَنْ بعده!!.

قالوا: واستعمل أبو بكر رضي الله عنه على الحج سنة إحدى عشرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم اعتمر أبو بكر رضي الله عنه في رجب سنة اثنتي عشرة، فدخل مكة ضَحْوة، فأتى منزله وأبو قحافة رضي الله عنه جالس على باب داره، معه فتيان أحداث يحدّثهم إلى أن قيل له: هذا ابنك. فنهض قائماً وعَجِل أبو بكر رضي الله عنه أن ينيخ راحلته فنزل عنها وهي قائمة، فجعل يقول: يا أبتِ لا تقم. ثم لاقاه فالتزمه وقبَّل بين عيني أبي قحافة، وجعل الشيخ يبكي فرحاً بقدومه. وجاء إلى مكة عتَّاب بن أسِيد، وسهيل بن عمرو، وعِكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام ـ رضي الله عنهم ـ فسلّموا عليه: سلام عليك يا

خليفة رسول الله. وصافحوه جميعاً، فجعل أبو بكر - رضي الله عنه يبكي حين يذكرون رسول الله ﷺ، ثم سلَّموا على أبي قحافة. فقال أب قحافة: يا عتيق، هؤلاء الملأ فأحسن صحبتهم. فقال أبو بكر: يا أب لا حول ولا قوة إلا بالله، طُوِّقت عظيماً من الأمر لا قوة لي به ولا يدا إلا بالله.

ثم دخل فاغتسل وخرج وتبعه أصحابه فنحَّاهم، ثم قال: امشو على رِسْلكم. ولقيه الناس يتمشّون في وجهه ويُعزُّونه بنبي الله ﷺ وه يبكي، حتى انتهى إلى البيت، فاضطبع بردائه، ثم استلم الركن ثم طاف سبعاً، وركع ركعتين ثم انصرف إلى منزله. فلما كان الظهر خرج فطاف أيضاً بالبيت ثم جلس قريباً من دار النَّدْوة فقال: هل من أحد يتشكّى م ظُلامة أو يطلب حقاً؟ فما أتاه أحد، وأثنى الناس على واليهم خيراً، ث صلَّى العصر وجلس فودَّعه الناس ثم خرج راجعاً إلى المدينة. فلما كا وقت الحج سنة اثنتي عشرة حجَّ أبو بكر - رضي الله عنه - بالناس تلك السنة، وأفرد الحج، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان - رضي ا عنه -. قال ابن كثير: هذا سياق حسن، وله شواهد من وجوه أخر ومثل هذا تقبله النفوس وتلقَّاه بالقبول.

* * *

قصة عُمَيْر بن سعد الأنصاري رضي الله عنه

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 247) عن عبد الملك بن هارون ب عنترة عن أبيه عن جده عن عمير بن سعد الأنصاري - رضي الله عنه قال: بعثه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عاملاً على حمص، فمكث حولاً لا يأتيه خبره. فقال عمر لكاتبه: اكتب إلى عمير، فوالله ما أر

إلا قد خاننا! . «إذا جاءك كتابي هذا فأقبل، وأقبل بما جبيت من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا».

فأخذ عمير ـ رضي الله عنه ـ جرابه، فجعل فيه زاده وقصعته، وعلَّق إداوته، وأخذ عَنَزَته، ثم أقبل يمشي من حمص حتى دخل المدينة. قال: فقدم وقد شحب لونه واغبرَّ وجهه وطالت شَعْرته. فدخل على عمر رضي الله عنه وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال عمر: ما شأنك؟ فقال عمير: ما ترى من شأني؟ ألست تراني صحيح البدن، طاهر الدم، معي الدنيا أجرُّها بقَرنها. قال: وما معك؟ فظن عمر رضي الله عنه أنه قد جاء بمال. فقال: معي جرابي أجعل فيه زادي، وقَصْعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثيابي، وإداوتي أحمل فيها وَضوئي وشرابي، وعَنَزَتي أتوكأ عليها وأُجاهد بها عدواً إن عرض؛ فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي. قال عمر: فجئت تمشي؟ قال: نعم. قال: أما كان لك أحد يتبرع لك بدابة تركبها؟ قال: ما فعلوا وما سألتهم ذلك. فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: بئس المسلمون خرجت من عندهم. فقال له عمير ـ رضي الله عنه ـ: اتَّق الله يا عمر، قد نهاك الله عن الغيبة، وقد رأيتُهم يصلّون صلاة الغداة.

قال عمر: فأين بعثتك؟ ـ وفي رواية الطبراني: فأين ما بعثتك به؟ ـ وأي شيء صنعت؟ قال: وما سؤالك يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: سبحان الله! فقال عمير: أما لولا أنِّي أخشى أن أغمَّك ما أخبرتك، بعثتني حتى أتيت البلد، فجمعت صُلَحاء أهلها فوليتهم جباية فيْئِهم، حتى إذا جمعوه وضعته مواضعه ولو نالك منه شيء لأتيتك به. قال: فما جئتنا بشيء؟ قال: لا. قال: جدِّدوا لعمير عهداً. قال: إنَّ ذلك لشيء لا عملت لك ولا لأحد بعدك، والله ما سلمت بل لم أسلم، لقد قلت

لنصراني ـ أي أخزاك الله ـ فهذا ما عرضتني له يا عمر! وإن أشقَى أيامي يوم خُلِّفت معك يا عمر؛ فاستأذنه فأذن له فرجع إلى منزله، قال: وبينه وبين المدينة أميال.

فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ حين انصرف عمير: ما أراه إلا قد خاننا. فبعث رجلاً يقال له الحارث وأعطاه مائة دينار، فقال له: انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنك ضيف، فإن رأيت أثر شيء فأقبل، وإن رأيت حالة شديدة فادفع إليه هذه المائة الدينار. فانطلق الحارث فإذا هو بعُمير جالس يَفلي قميصه إلى جانب الحائط. فسلَّم عليه الرجل، فقال له عُمَير: انزل ـ رحمك الله ـ فنزل. ثم سأله فقال: من أين جئت؟ قال: من المدينة. قال: فكيف تركت أمير المؤمنين؟ قال: صالحاً. قال: فكيف تركت المسلمين؟ قال: صالحين. قال: أليس يقيم الحدود؟ قال: بلى، ضرب ابناً له أتى فاحشة، فمات من ضربه. فقال عمير: اللهمَّ أعِن عمر، فإني لا أعلمه إلا شديداً حبه لك. قال: فنزل به ثلاثة أيام وليس لهم إلا قرصة من شعير كانوا يخصُّونه بها ويطوون حتى أتاهم الجهد. فقال له عمير: إنك قد أجعتنا فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل. قال: فأخرج الدنانير فدفعها إليه فقال: بعث بها إليك أمير المؤمنين فاستعن بها. قال: فصاح، وقال: لا حاجة لي فيها ردَّها. فقالت له امرأته: إن احتجت إليها وإلا فضعها مواضعها. فقال عمير: والله ما لي شيء أجعلها فيه، فشقَّت امرأته أسفل درعها فأعطته خِرقة فجعلها فيها. ثم خرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء، ثم رجع والرسول يظن أنه يعطيه منها شيئاً. فقال له عمير: أقرِىء مني أمير المؤمنين السلام.

فرجع الحارث إلى عمر، فقال: ما رأيت؟ قال: رأيت يا أمير المؤمنين حالاً شديداً. قال: فما صنع بالدنانير؟ قال: لا أدري. قال:

فكتب إليه عمر إذا جاءك كتابي هذا فلا تضعه من يدك حتى تقبل. فأقبل إلى عمر فدخل عليه فقال له عمر: ما صنعت بالدنانير؟ قال: صنعت ما صنعت وما سؤالك عنها؟ قال: أنشد عليك لتخبرنّي ما صنعت بها؟ قال: قدَّمتها لنفسي. قال: رحمك الله. فأمر له بوَسْق من طعام وثوبين. فقال: أما الطعام فلا حاجة لي فيه قد تركت في المنزل صَاعَين من شعير إلى أن آكل ذلك قد جاء الله تعالى بالرزق، ولم يأخذ الطعام. وأما الثوبان فقال: إنَّ أُم فلان عارية، فأخذهما ورجع إلى منزله فلم يلبث أن هلك، رحمه الله. فبلغ عمر ذلك فشقَّ عليه وترحَّم عليه، فخرج يمشي ومعه المشاؤون إلى بقيع الغرقد، فقال لأصحابه: لِيَتَمنَّ كل رجل منكم أمنية. فقال رجل: وددت يا أمير المؤمنين أنَّ عندي مالاً فأعتق لوجه الله عزّ وجلّ كذا وكذا. وقال آخر: وددت يا أمير المؤمنين أنَّ عندي مالاً فأنفق في سبيل الله، وقال آخر: وددت لو أنَّ لي قوة فأمتح بدلو زمزم لحجّاج بيت الله. فقال عمر: وددت أنَّ لي رجلاً مثل عمير بن سعد أستعين به في أعمال المسلمين. وأخرجه الطبراني أيضاً مثله عن عمير بن سعد. قال الهيثمي (9/ 384): وفيه عبد الملك بن إبراهيم بن عنترة وهو متروك. انتهى. هكذا وقع عند الهيثمي، والذي يظهر أن الصواب عبد الملك بن هارون بن عنترة كما في كتب أسماء الرجال، وقد أخرج ابن عساكر من طريق محمد بن مزاحم بطوله بمعناه مع زيادات، كما في «الكنز» (7/ 79).

* * *

قصة سعيد بن عامر بن حِذْيَمِ الجُمَحيِّ رضي الله عنه

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 245) عن خالد بن معدان قال:

استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمَحيّ ـ رضي الله عنه ـ. فلما قدم عمر بن الخطاب حمص قال: يا أهل حمص، كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه ـ وكان يقال لأهل حمص الكُوَيفة الصغرى لشكايتهم العمال ـ قالوا: نشكو أربعاً: لا يخرج إلينا حتى يتعالَى النهار. قال: أعْظِم بها. قال: وماذا؟ قالوا: لا يجيب أحداً بليل. قال: وعظيمة. قال: وماذا؟ قالوا: وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا. قال: عظيمة. قال: وماذا؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام ـ يعني تأخذه مُوتَة ـ.

قال: فجمع عمر رضي الله عنه بينهم وبينه وقال: اللهمّ لا تُفَيِّلْ رأيـي فيه اليوم، ما تشْكون منه؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. قال: والله إن كنت لأكره ذكره؛ ليس لأهلي خادم، فأعجن عجيني، ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم. فقال: ما تشْكون منه؟ قالوا: لا يجيب أحداً بليل. قال: ما تقول؟ قال: إن كنت لأكره ذكره؛ إنِّي جعلت النهار لهم، وجعلت الليل لله عزّ وجلّ. قال: وما تشكون؟ قالوا: إنَّ له يوماً في الشهر لا يخرج إلينا فيه. قال: ما تقول؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها. فأجلس حتى تجف، ثم أدلكها، ثم أخرج إليهم من آخر النهار، قال: ما تشكون منه؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام. قال: ما تقول؟ قال: شهدت مصرع خُبَيب الأنصاري رضي الله عنه بمكة، وقد بضَّعت قريش لحمه، ثم حملوه على جذعة فقالوا: أتحب أن محمداً مكانك؟ فقال: والله ما أحب أنِّي في أهلي وولدي وأن محمداً ﷺ شِيك بشوكة، ثم نادى: يا محمد، فما ذكرت ذلك اليوم، وتَرْكي نُصرته في تلك الحال، وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم؛ إلا ظننت أن الله عزّ وجلّ لا

يغفر لي بذلك الذنب أبداً. قال: فتصيبني تلك الغنظة. فقال عمر: الحمد لله الذي لم يفل فراستي.

فبعث إليه بألف دينار وقال: استعن بها على أمرك، فقالت امرأته: الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك، فقال لها: فهل لك في خير من ذلك؟ ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها، قالت: نعم. فدعا رجلاً من أهل بيته يثق به فصرَّرها صرراً، ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى يتيم آل فلان، وإلى مسكين آل فلان، وإلى مُبتَلى آل فلان. فبقيت منها ذُهيبة. فقال: أنفقي هذه، ثم عاد إلى عمله. فقالت: ألا تشتري لنا خادماً؟ ما فعل ذلك المال. قال: سيأتيك أحوج ما تكونين!!.

* * *

قصة أبي هريرة رضي الله عنه

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 385) عن ثعلبة بن أبي مالك القرظي أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ أقبل في السوق يحمل حزمة حطب ـ وهو يومئذٍ خليفة لمروان ـ فقال: أوسع الطريق للأمير يا بن أبي مالك، فقلت له: يكفي هذا. فقال: أوسع الطريق للأمير، والحزمة عليه.

* * *

الباب الثامن

باب إنفاق الصحابة في سبيل الله

كيف كان النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ينفقون الأموال وما أعطاهم الله تبارك وتعالى في سبيل الله ومواقع رضاء الله؟ وكيف كان ذلك أحبَّ إليهم من الإنفاق على أنفسهم؟ وكيف كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة؟!

ترغيب النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه ورغبتهم في الإِنفاق

أخرج مسلم والنسائي وغيرهما عن جرير رضي الله عنه قال: كنا في صَدْر النهار عند رسول الله ﷺ، فجاءه قوم عُراة حُفاة مُجْتابي النِّمار - أو العباء - متقلِّدي السيوف، عامتهم من مُضَر، بل كلُّهم من مُضَر؛ فتَمَعَّر وجه رسول الله ﷺ لِمَا رأى ما بهم من الفاقة. فدخل ثم خرج فأمر بلالاً رضي الله عنه فأذَّن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ - إلى آخر الآية -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، والآية التي في الحشر: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: 18]. تَصَدَّق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرِّه، من صاع تمره حتى قال: ولو بِشِقِّ تمره.

قال: فجاء رجل من الأنصار بصرَّة كادت كفه تعجِز عنها، بل عجزت. قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومَين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مَذْهَبة. فقال رسول الله ﷺ: «من سنَّ في الإِسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإِسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء». كذا في «الترغيب» (1/ 53). وقد تقدّم حديث حثّه ﷺ على الإِنفاق في سبيل الله.

وأخرج الحاكم ـ وصحّحه ـ عن جابر رضي الله عنه قال: أتى رسولُ الله ﷺ بني عمرو بن عوف يوم الأربعاء، فذكر الحديث إلى أن قال: «يا معشر الأنصار»، قالوا: لبيك يا رسول الله، فقال: «كنتم في الجاهلية إذ لا تعبدون الله تحملون الكَلّ، وتفعلون في أموالكم المعروف، وتفعلون إلى ابنِ السبيل، حتى إذا منَّ الله عليكم بالإِسلام وبنبيّه إذا أنتم تُحصِّنون أموالكم؟! فيما يأكل ابن آدم أجر، وفيما يأكل السبع والطير أجر». قال: فرجع القوم فما منهم أحد إلا هدم من حديقته ثلاثين باباً. كذا في «الترغيب» (4/ 156).

وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال: أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

«يا أيها الناس، إنَّ الله قد اختار لكم الإِسلام ديناً، فأحسنوا صحبة الإِسلام بالسَّخاء وحسن الخلق. ألا إن السخاء شجرة من الجنة وأغصانها في الدنيا، فمن كان منكم سخياً لا يزال متعلَّقاً بغصن منها حتى يورده الله الجنة. ألا إن اللؤم شجرة في النار وأغصانها في الدنيا، فمن كان منكم لئيماً لا يزال متعلقاً بغصن منها حتى يورده الله في النار. قال مرتين: السخاء في الله، السخاء في الله». كذا في «كنز العمال» (3/ 310).

* * *

رغبة النبي ﷺ وأصحابه في الإِنفاق

أخرج الترمذي عن عمر رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى

رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه، فقال: «ما عندي ما أعطيك، ولكن ابْتَعْ عليَّ شيئاً فإذا جاءني شيء قضيته». فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، قد أعطيته فما كلَّفك الله ما لا تقدر عليه. فكره النبي ﷺ قول عمر، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أنفق ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً. فتبسَّم رسول الله ﷺ وعرف التبسم في وجهه لقول الأنصاري، وقال: «بهذا أمرت». كذا في «البداية» (6/ 56). وأخرجه أيضاً البزّار، وابن جرير، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وسعيد بن منصور كما في «الكنز» (4/ 42). قال الهيثمي (10/ 242): رواه البزّار، وفيه إسحاق بن إبراهيم الحنيني وقد ضعَّفه الجمهور ووثَّقه ابن حِبّان وقال: يخطىء.

وأخرج ابن جرير عن جابر رضي الله عنه أنَّ رجلاً أتى النبي ﷺ فسأله فأعطاه، ثم أتاه آخر فسأله فوعده؛ فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، سُئلت فأعطيت، ثم سُئلت فأعطيت، ثم سُئلت فوعدت، ثم سئلت فوعدت. فكأنَّ رسول الله ﷺ كرهها؛ فقام عبد الله بن حُذافة السَّهمي رضي الله عنه فقال: أنفق يا رسول الله، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً، فقال: «بذلك أُمرت». كذا في «الكنز» (3/ 311).

وأخرج البزّار بإسناد حسن والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ على بلال رضي الله عنه وعنده صُبَر من تمر فقال: «ما هذا يا بلال؟» قال: أعدُّ ذلك لأضيافك. قال: «أما تخشى أن يكون لك دخان في نار جهنم، أنفق يا بلال ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً». وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 149) عن عبد الله ونحوه، ورواه أبو يَعْلى والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه بإسناد حسن، كذا في «الترغيب» (2/ 174).

وأخرج أبو يَعْلى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أُهديت للنبي ﷺ ثلاث طوائر، فأطعم خادمه طائراً. فلما كان من الغد أتته بها فقال رسول الله ﷺ: «ألم أنهك أن ترفعي شيئاً لغدٍ! فإنَّ الله تعالى يأتي برزق كل غد». قال الهيثمي (10/ 241): ورجاله ثقات.

وأخرج أحمد عن أبي البَخْتري عن علي رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه للناس: فَضَل عندنا من هذا المال. فقال الناس: يا أمير المؤمنين، قد شغلناك عن أهلك وضيعتك وتجارتك فهو لك. فقال لي: ما تقول أنت؟ قلت: قد أشاروا عليك. فقال: قل. قلت: لِمَ تجعل يقينك ظناً؟ فقال: لتخرجنَّ مما قلت. فقلت: أجل ـ والله ـ لأخرجنَّ منه، أتذكر حين بعثك نبي الله ﷺ ساعياً، فأتيت العباس بن عبد المطلب، فمنعك صدقته، فكان بينكما شيء فقلت لي: انطلق معي إلى النبي ﷺ فلنخبره بالذي صنع. فانطلقنا إلى النبي ﷺ فوجدناه خاثراً، فرجعنا ثم غدونا عليه الغد، فوجدناه طيِّب النفس فأخبرته بالذي صنع العباس. فقال لك: «أما علمت أنَّ عمَّ الرجل صِنْوُ أبيه»!، وذكرنا له الذي رأيناه من خثوره في اليوم الأول، والذي رأيناه من طيب نفسه في اليوم الثاني فقال: «إنكما أتيتما في اليوم الأول وقد بقي عندي من الصدقة ديناران، فكان الذي رأيتما من خثوري لذلك، وأتيتما في اليوم وقد وجهتهما فذلك الذي رأيتما من طيب نفسي». فقال عمر رضي الله عنه: صدقت. أما ـ والله ـ لأشكرنَّ لك الأولى والآخرة. وأخرجه أيضاً أبو يعلى (545)، والدَّوْرَقيّ، والبيهقي (4/ 111)، وأبو داود، وفيه إرسال بين أبي البختري وعلي. كذا في «الكنز» (4/ 39). وأخرجه أبو نُعَيم في «الحلية» (4/ 382) عن أبي البختري قال: قال عمر ـ فذكر بمعناه. قال الهيثمي (10/ 238): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح،

وكذلك أبو يَعْلى والبزّار إلَّا أن أبا البختري لم يسمع من علي ولا عمر فهو مرسل صحيح. انتهى.

وأخرج البزّار عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: أُتي عمر رضي الله عنه بمال فقسمه بين المسلمين، ففضلت منه فَضْلة فاستشار فيها فقالوا: لو تركته لنائبة إن كانت. قال: - وعلي رضي الله عنه ساكت لا يتكلم فقال: ما لك يا أبا الحسن لا تتكلم؟ قال: قد أخبر القوم. فقال عمر رضي الله عنه: لتكلمنِّي، فقال: إنَّ الله قد فرغ من قسمة هذا المال، وذكر مال البحرين حين جاء إلى النبي ﷺ وحال بينه وبين أن يقسمه الليل، فصلَّى الصلوات في المسجد، فلقد رأيت ذلك في وجه رسول الله ﷺ حتى فرغ منه. فقال: لا جَرَم لتقسمنَّه. فقسمه عليٌّ فأصابني منه ثمانُمائة درهم. قال الهيثمي (10/ 239): وفيه الحجاج بن أرْطاة وهو مدلِّس.

وأخرج أحمد وأبو يعلى عن أم سَلَمة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وهو ساهم الوجه، فخشيت ذلك من وجع فقلت: يا رسول الله ما لك ساهم الوجه؟ فقال: «من أجل الدنانير السبعة التي أُتينا بها أمس؛ أمسينا وهي في خُصم الفراش» وفي رواية: أتتنا ولم ننفقها». قال الهيثمي (10/ 238): رجالهما رجال الصحيح.

وأخرج الطبراني في «الكبير» - ورواته ثقات محتج بهم في الصحيح - عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كانت عند رسول الله ﷺ سبعة دنانير وضعها عند عائشة رضي الله عنها. فلما كان عند مرضه قال: «يا عائشة ابعثي بالذهب إلى عليٍّ»، ثم أُغميَ عليه وشَغَل عائشة ما به حتى قال ذلك مراراً، كل ذلك يُغمى على رسول الله ﷺ ويشغل عائشة رضي الله عنها ما به، فبعث إلى عليٍّ فتصدَّق بها. وأمسى رسول الله ﷺ

في حديد الموت ليلة الإثنين، فأرسلت عائشة رضي الله عنها بمصباح لها إلى امرأة من نسائها، فقالت: اهدي لنا في مصباحنا من عُكّتك السَّمْنَ فإن رسول الله ﷺ أمسى في حديد الموت. ورواه ابن حِبّان في صحيحه من حديث عائشة بمعناه. كذا في «الترغيب» (2/ 178).

وعند أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرني رسول الله ﷺ أن أتصدَّق بذهب كان عندنا في مرضه. قالت: فأفاق فقال: «ما فعلتِ؟» قلت: (لقد) شغلني ما رأيت منك. قال: «فَهَلُمِّيهَا». قال: فجاءت بها إليه سبعة أو تسعة دنانير ـ أبو حازم يشكُّ ـ فقال حين جاءت بها: «ما ظَنُّ محمد (أن) لو لقي الله (عزّ وجلّ) وهذه عنده؟! وما تبقي هذه من محمد لو لقي الله وهذه عنده؟!». قال الهيثمي (10/ 240): رواه أحمد بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح. وأخرجه البيهقي (6/ 356) من حديث عائشة بنحوه.

وأخرج البزار عن عبيد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي أبو ذر رضي الله عنه: يا ابن أخي، كنتُ مع رسول الله ﷺ آخذاً بيده فقال لي: «يا أبا ذر، ما أحبُّ أنَّ لي أُحُداً ذهباً وفضة أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت أدعُ منه قيراطاً». قلت: يا رسول الله قنطاراً؟ قال: «يا أبا ذر أذهبُ إلى الأقل وتذهب إلى الأكثر، أريد الآخرة وتريد الدنيا، قيراطاً!» فأعادها عليّ ثلاث مرات. وأخرجه الطبراني بنحوه. قال الهيثمي (10/ 39): وإسناد البزار حسن.

وأخرج أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه أنه جاء إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فأذن له وبيده عصا. فقال عثمان: يا كعب، إن عبد الرحمن مات وترك مالاً فما ترى فيه؟ فقال: إن كان قضى فيه حقَّ الله فلا بأس عليه؛ فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعباً وقال: سمعت

رسول الله ﷺ يقول: «ما أحبُّ لو أن هذا الجبل لي ذهباً أنفقه ويُتقبَّلُ مني؛ أذَرُ منه خلفي ستَّ أواقٍ»، أنشدك الله يا عثمان، سمعته ثلاث مرات؟ قال: نعم. قال الهيثمي (10/ 39): رواه أحمد وفيه ابن لَهِيعة وقد ضعَّفه غير واحد، ورواه أبو يعلى. ا هـ.

وأخرجه البيهقي عن غزوان بن أبي حاتم مطوّلاً، كما في «الكنز» (3/ 310) وفيه: فقال عثمان لكعب: يا أبا إسحاق، أرأيت المال إذا أُدّيَ زكاتُه هل يُخشى على صاحبه فيه تبعة؟ قال: لا. فقام أبو ذر رضي الله عنه معه عصا فضرب بها بين أذني كعب، ثم قال: يا ابن اليهودية أنت تزعم أنه ليس حق في ماله إذا أدَّى الزكاة والله تعالى يقول: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9]، والله تعالى يقول: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: 8]، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: 24، 25]، فجعل يذكر نحو هذا من القرآن.

وأخرج أبو داود، والترمذي ـ وقال: حسن صحيح ـ **والدارمي،** والحاكم، والبيهقي، وأبو نُعَيم في «الحِلْية»، وغيرهم عن عمر رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق، ووافق ذلك مالاً عندي فقلت: اليوم أسبق أبا بكر رضي الله عنه إن سبقته يوماً. فجئت بنصف مالي. فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك» قلت: أبقيت لهم. قال: «ما أبقيت لهم؟» قلت: مثلَهُ. وأتى أبو بكر بكلِّ ما عنده، فقال: يا أبا بكر، ما أبقيت إلى أهلك؟» قال: «أبقيت لهم الله ورسولَه. قلت: لا أسبقه إلى شيء أبداً. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 347).

وأخرج البيهقي في «شُعَب الإيمان» عن الحسن قال: قال رجل لعثمان رضي الله عنه: ذهبتم يا أصحاب الأموال بالخير!! تتصدّقون،

وتعتِقون، وتحجُّون، وتنفقون. فقال عثمان: وإنكم لتغبطوننا. قال: إنا لنغبُطكم قال: فوالله لدرهم ينفقه أحد من جَهْد خيرٌ من عشرة آلاف غيض من فيض. كذا في «الكنز» (3/ 320).

وأخرج العسكري عن عبيد الله بن محمد بن عائشة قال: وقف سائل على أمير المؤمنين عليّ فقال للحسن أو للحسين: اذهب إلى أمك فقل لها: تركت عندك ستة دراهم فهاتِ منها درهماً. فذهب ثم رجع فقال: قالت: إنما تركت ستة دراهم للدقيق. فقال علي: لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده. قل لها: ابعثي بالستة دراهم. فبعثت بها إليه فدفعها إلى السائل. قال: فما حلَّ حبوته حتى مرّ به رجل معه جمل يبيعه. فقال علي: بكم الجمل؟ قال: بمائة وأربعين درهماً. فقال علي: اعقله على أن نؤخرك بثمنه شيئاً. فعقله الرجل ومضى. ثم أقبل رجل فقال: لمن هذا البعير؟ فقال علي: لي؟ فقال: أتبيعه؟ قال: نعم. قال: بكم؟ قال: بمائتي درهم. قال: قد ابتعته. قال: فأخذ البعير وأعطاه المائتين. فأعطى الرجل الذي أراد أن يؤخره مائة وأربعين درهماً جاء بستين درهماً إلى فاطمة رضي الله عنها، فقالت: ما هذا؟ قال هذا ما وعدنا الله على لسان نبيه ﷺ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: 160]. كذا في «الكنز» (3/ 311).

وأخرج أحمد، وأبو داود، وأبو يَعْلى، وابن خزيمة وغيرهم عن أُبيّ رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ مُصَدِّقاً، فمررت برجل، فلما جمع ماله لم أجد عليه فيه إلا ابنة مخاض، فقلت: أدِّ ابنة مخاض فإنها صدقتك. فقال: ذاك ما لا لبنَ فيه ولا ظهر، لكن هذه ناقة فتية عظيمة سمينة فخذها. فقلت له: ما أنا بآخذ ما لم أؤمر به، وهذا رسول الله ﷺ منك قريب، فإن أحببت أن تأتيه فتعرض عليه ما عرضت

عليّ فافعل، فإن قبله منك قبلته، وإن ردَّه عليك رددته. قال: فإني فاعل. فخرج معي وخرج بالناقة التي عرض عليّ حتى قدمنا على رسول الله ﷺ، فقال له: يا نبي الله، أتاني رسولك ليأخذ مني صدقة مالي وايْمُ والله، ما قام في مالي رسول الله ﷺ ولا رسوله قط قبله، فجمعت له مالي، فزعم أن ما عليّ فيه ابنة مخاض، وذلك ما لا لبن فيه ولا ظهر، وقد عرضت عليه ناقة عظيمة فتية ليأخذها فأبى عليّ، وها هي ذه قد جئتك بها يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «ذاك الذي عليك، فإن تطوَّعت بخير جزاك الله فيه، وقبلناه منك». قال: فها هي ذه يا رسول الله، قد جئتك بها فخذها. فأمر رسول الله ﷺ بقبضها ودعا له في ماله بالبركة. كذا في «الكنز» (3/ 309).

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» (ص 43) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: ما رأيت امرأتين أجود من عائشة وأسماء ـ رضي الله عنهما ـ وجودهما مختلف، أما عائشة فكانت تجمع الشيء إلى الشيء حتى إذا كان اجتمع عندها قسمت، أما أسماء فكانت لا تمسك شيئاً لغدٍ.

وأخرج عبد الرزاق، وابن راهويه عن كعب بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: كان معاذ بن جبل رجلاً سمحاً شاباً جميلاً من أفضل شباب قومه، وكان لا يمسك شيئاً، فلم يزل يَدَّان حتى أُغلِق ماله كله من الدين. فأتى النبي ﷺ يطلب له أن يسأل له غرماءه أن يضعوا له فأبَوا ـ فلو تركوا لأحد من أجل أحد تركوا للنبي ﷺ ـ. فباع النبي ﷺ كل ماله في دينه حتى قام معاذ بغير شيء، حتى إذا كان عام فتح مكة بعثه النبي ﷺ على طائفة من اليمن أميراً ليَجْبُره، فمكث معاذ باليمن أميراً ـ وكان أول من اتَّجر في مال الله هو ـ ومكث حتى أصاب

وحتى قبض النبي ﷺ. فلما قدم قال عمر لأبي بكر: أرسل إلى هذا الرجل فدَعْ له ما يُعيشه وخذ سائره. فقال أبو بكر: إنما بعثه النبي ﷺ ليجبره ولست بآخذ منه شيئاً إلا أن يعطيني. فانطلق عمر إلى معاذ إذ لم يطعه أبو بكر، فذكر ذلك عمر لمعاذ، فقال معاذ: إنما أرسلني رسول الله ﷺ ليجبرني ولست بفاعل. ثم لقي معاذ عمر فقال: قد أطعتك وأنا فاعل ما أمرتني به. إني رأيت في المنام أني في حومة ماء وقد خشيت الغرق فخلصتني منه يا عمر. فأتى معاذ أبا بكر فذكر ذلك له وحلف له أنه لم يكتمه شيئاً حتى بيَّن له سوطه. فقال أبو بكر: والله لا آخذه منك قد وهبته لك. فقال عمر: هذا حين طاب وحل؟! فخرج معاذ عند ذلك إلى الشام. كذا في «الكنز» (3/ 126).

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 231) من طريق عبد الرزاق بإسناده عن ابن كعب بن مالك قال: كان معاذ بن جبل شاباً جميلاً سمحاً من خير شباب قومه لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه حتى ادّان ديناً أغلق له. فذكر الحديث نحوه.

وأخرج الحاكم (3/ 273) عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه فذكره مختصراً. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه، ووافقه الذهبي.

وأخرج الحاكم أيضاً من حديث جابر - رضي الله عنه - قال: كان معاذ بن جبل - رضي الله عنه - من أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خُلُقاً، وأسمحهم كفّاً، فادَّان ديناً كثيراً؛ فلزمه غرماؤه حتى تغيَّب عنهم أياماً في بيته، حتى استعدى رسول الله ﷺ غرماؤه. فأرسل رسول الله ﷺ إلى معاذ يدعوه فجاء ومعه غرماؤه، فقالوا: يا رسول الله، خذ لنا حقَّنا منه. فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله من تصدَّق عليه»، فتصدَّق عليه ناس وأبى

آخرون وقالوا: يا رسول الله، خذ لنا بحقنا منه. قال رسول الله ﷺ: «اصبر لهم يا معاذ». قال: فخلعه رسول الله ﷺ من ماله، فدفعه إلى غرمائه فاقتسموه بينهم، فأصابهم خمسة أسباع حقوقهم. قالوا: يا رسول الله بِعْه لنا. قال رسول الله ﷺ: «خلُّوا عليه فليس لكم عليه سبيل».

فانصرف معاذ إلى بني سَلِمة فقال له قائل: يا أبا عبد الرحمن، لو سألت رسول الله ﷺ فقد أصبحت اليوم مُعْدِماً، فقال: ما كنت لأسأله. قال: فمكث أياماً، ثم دعاه رسول الله ﷺ فبعثه إلى اليمن وقال: «لعلَّ الله أن يَجْبُرك ويؤدِّي عنك دينك». قال: فخرج معاذ إلى اليمن فلم يزل بها حتى توفي رسول الله ﷺ، فوافى السنة التي حج فيها عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ مكة فاستعمله أبو بكر رضي الله عنه على الحج، فالتقيا يوم التروية بها فاعتنقا وعزّى كل واحد منهما صاحبه برسول الله ﷺ، ثم أخلدا إلى الأرض يتحدَّثان، فرأى عمر عند معاذ غلماناً، فذكر نحو حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وهكذا أخرجه ابن سعد (3/ 123) عن جابر رضي الله عنه بنحوه.

وأخرج الحاكم من طريق أبي وائل عن عبد الله قال: لما قبض النبي ﷺ واستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه، وكان رسول الله ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن، فاستعمل أبو بكر عمر رضي الله عنهما على الموسم، فلقي معاذاً بمكة ومعه رقيق، فقال: ما هؤلاء؟ فقال: هؤلاء أُهدوا لي، وهؤلاء لأبي بكر. فقال له عمر: إني أرى لك أن تأتي بهم أبا بكر. قال: فلقيه من الغد، فقال: يا ابن الخطاب لقد رأيتني البارحة وأنا أنزو إلى النار وأنت آخذ بحُجْزَتي، وما أُراني إلا مطيعك. قال: فأتى بهم أبا بكر فقال: هؤلاء أهدوا لي، وهؤلاء لك. قال: فإنَّا قد سلمنا لك

هديتك. فخرج معاذ إلى الصلاة فإذا هم يصلُّون خلفه، فقال معاذ: لمن تصلون؟ قالوا: لله عزّ وجلّ، فقال: فأنتم له، فأعتقهم. قال الحاكم (3/ 272) ووافقه الذهبي: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه.

* * *

إنفاق ما يحبّ

أخرج الأئمة الستة عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أصاب عمر بخيبر أرضاً، فأتى إلى النبي ﷺ فقال: أصبتُ أرضاً لم أصب مالاً قط أنفس منه فكيف تأمرني به؟ قال: «إن شئت حبست أصلها، وتصدَّقت بها»؛ فتصدّق (بها) عمر رضي الله عنه أنه لا يباع أصلها، ولا يوهب، ولا يورث، (وتصدَّق) بها في الفقراء والقربى والرقاب، وفي سبيل الله والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقاً غير متمول. كذا في «نصب الراية» (3/ 476).

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن عمر رضي الله عنه أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن يبتاع له جارية من سبي جَلُولاء، فدعا بها، فقال: إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: 92] فأعتقها عمر. كذا في «الكنز» (3/ 314).

وأخرج ابن سعد (4/ 123) عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كانت له جارية، فلما اشتد عجبه بها أعتقها وزوَّجها مولى له، فولدت غلاماً. قال نافع: فلقد رأيت عبد الله بن عمر يأخذ ذلك الصبي فيقبله ثم يقول: واهاً لريح فلانة!! يعني الجارية التي أعتق.

وأخرج البزار عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: حضرتني هذه

الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فذكرت ما أعطاني الله عزّ وجلّ فلم أجد شيئاً أحبَّ إليَّ من مرجانة - جارية لي رومية - فقال: هي حرّة لوجه الله، فلو أني أعود في شيء جعلته لله لنكحتها. قال الهيثمي (6/ 326): رواه البزّار وفيه من لم أعرفه اهـ. وأخرجه الحاكم (3/ 561) وزاد: فأنكحها نافعاً فهي أم ولده. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 295) من طريق مجاهد وغيره.

وأخرج أبو نعيم في الحلية (1/ 294) عن نافع قال: كان ابن عمر - رضي الله عنهما - إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قرَّبه لربه عزّ وجلّ. قال نافع: وكان رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما شمَّر أحدهم فيلزم المسجد، فإذا رآه ابن عمر رضي الله عنهما على تلك الحالة الحسنة أعتقه. فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن - والله - ما بهم إلّا أن يخدعوك!! فيقول ابن عمر: فمن خدعنا بالله عزّ وجلّ انخدعنا له.

قال نافع: فلقد رأيتنا ذات عشية وراح ابن عمر على نجيب له قد أخذه بمال عظيم، فلما أعجبه سيره أناخه مكانه ثم نزل عنه. فقال: يا نافع انزعوا زمامه ورَحْله، وجلِّلوه وأشعروه وأدخلوه في البُدْن. وفي رواية أخرى عنده أيضاً عن نافع قال: بينا هو يسير على ناقته - يعني ابن عمر - إذا أعجبته فقال: إخ إخ، فأناخها ثم قال: يا نافع، حُطَّ عنها الرَّحْل، فكنت أرى أنه لشيء يريده أو لشيء رابه منها، فحططت الرحل، فقال لي: أنظر هل ترى عليها مثل رأسها؟ فقلت: أنشدك إنك إن شئت بعتها واشتريت بثمنها. قال: فجلَّلها وقلَّدها وجعلها في بُدْنه، ما أعجبه من ماله شيء قط إلّا قدمه. وعنده أيضاً عن نافع عن ابن عمر: أنه كان لا يعجبه شيء من ماله إلا خرج منه لله عزّ وجلّ. قال: وكان ربما تصدَّق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً - قال: وأعطاه ابن عامر

مرتين ثلاثين ألفاً، فقال: يا نافع إني أخاف أن تفتنني دراهم ابن عامر، اذهب فأنت حر. وكان لا يُدمن اللحم شهراً إلا مسافراً أو في رمضان. قال: وكان يمكث الشهر لا يذوق فيه مُزعة لحم وأخرجه الطبراني مختصراً، كذا في «المجمع» (9/ 347). وأخرجه ابن سعد عن نافع مختصراً (4/ 122).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 297) عن سعيد بن أبي هلال أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما نزل الجُحْفَةَ وهو شاكٍ. فقال: إني لأشتهي حيتاناً، فالتمسوا له فلم يجدوا (له) إلا حوتاً واحداً، فأخذته امرأته صفية بنت أبي عبيد فصنعته ثم قربته إليه، فأتى مسكين حتى وقف عليه فقال له ابن عمر: خذه. فقال أهله: سبحان الله، قد عنَّيتنا ومعنا زاد نعطيه؟! فقال: إنَّ عبد الله يحبّه. وأخرجه أيضاً من طريق عمر بن سعد بنحوه وفيه: قالت امرأته: نعطيه درهماً فهو أنفع له من هذا، واقضِ أنت شهوتك منه. فقال: شهوتي ما أُريدَ. وأخرجه أيضاً من طريق نافع. وأخرجه ابن سعد (4/ 122) عن حبيب بن (أبي) مرزوق مع زيادة بمعناه.

وأخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحبَّ أمواله إليه بَيْرُحَاءُ، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيِّب. قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإنَّ أحبّ أموالي إليَّ بيرحاء وإنَّها صدقة لله أرجو برَّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله ﷺ:

«بخٍ! ذلك مال رابح! ذلك مال رابح!». كذا في «الترغيب» (2/ 140) وزاد في «صحيح البخاري» بعده: «وقد سمعتُ ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين». فقال أبو طلحة: أفعلُ يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن محمد بن المنكدر قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ جاء زيد بن حارثة رضي الله عنه بفرس له يقال لها شِبلة لم يكن له مال أحبّ إليه منها، فقال: هي صدقة، فقبلها رسول الله ﷺ وحمل عليها ابنه أسامة رضي الله عنه، فرأى رسول الله ﷺ ذلك في وجه زيد فقال: «إن الله قد قبلها منك»، وأخرجه ابن جرير عن عمرو بن دينار مثله، وعبد الرزاق، وابن جرير عن أيوب بمعناه، كما في «الدر المنثور» (2/ 50).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 163) عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: في المال ثلاثة شركاء: القَدَر لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت، والوارث ينتظر أن تضع رأسك ثم يستاقها وأنت ذميم. فإن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكونَنّ فإنَّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ألا وإن هذا الجمل مما كنت أحبّ من مالي فأحببت أن أقدمه لنفسي.

* * *

الإنفاق مع الحاجة

أخرج ابن جرير عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ببردة ـ قال سهل: هي شَمْلة منسوجة فيها حاشيتها ـ

فقالت: يا رسول الله جئتك أكسوك هذه. فأخذها رسول الله ﷺ وكان محتاجاً إليها فلبسها، فرآها عليه رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه!! اكسُنيها، فقال: «نعم». فلما (قام) رسول الله ﷺ لامَهُ أصحابه، وقالوا: ما أحسنت حين رأيت رسول الله ﷺ أخذها محتاجاً إليها ثم سألته إياها، وقد عرفتَ أنه لا يُسأل شيئاً فيمنعه!! قال: والله ما حملني على ذلك إلا رجوت بركتها حين لبسها رسول الله ﷺ لعلِّي أُكَفَّن فيها.

وعند ابن جرير أيضاً عن سهل رضي الله عنه قال: حيكت لرسول الله ﷺ حُلَّةُ أنمار صوف سوداء، فجُعل حاشيتها بيضاء، فخرج فيها إلى أصحابه فضرب بيده على فخذه، فقال: «ألا ترون إلى هذه ما أحسنها!» فقال أعرابي: بأبي أنت وأمي يا رسول الله هبها لي ـ وكانت لا يُسأل شيئاً أبداً فيقول: لا ـ فقال: «نعم» فأعطاه الجبة ودعا بمِعْوَزَيْن له فلبسهما، وأمر بمثلها فحيكت له؛ فتوفي رسول الله ﷺ وهي في المحاكة. كذا في «كنز العمال» (3/ 42).

* * *

قصة أبي عقيل رضي الله عنه

أخرج الطبراني عن أبي عقيل رضي الله عنه أنه بات يجر الجرير على ظهره على صاعين من تمر، فانفلت بأحدهما إلى أهله ينتفعون به، وجاء بالآخر يتقرَّب به إلى الله عزّ وجلّ، فأتى به رسول الله ﷺ فأخبره، فقال له رسول الله ﷺ: «انثره في الصدقة». فقال فيه المنافقون ـ وسخروا منه ـ: ما كان أغنى هذا أن يتقرَّب إلى الله بصاع من تمر؟! فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي

﴿ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: 79] ـ الآية ـ. وقال الهيثمي (7/ 33): رجاله ثقات إلا أن خالد بن يسار لم أجد من وثّقه ولا جرَّحه. انتهى.

وعند البزَّار عن أبي سلمة، وأبي هريرة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «تصدَّقوا فإني أريد أن أبعث بعثاً». قال فجاء عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ فقال: يا رسول الله عندي أربعة آلاف: ألفان أقرضتهما ربي، وألفان لعيالي. فقال رسول الله ﷺ: «بارك الله لك فيما أعطيت، وبارك لك فيما أمسكت» وبات رجل من الأنصار فأصاب صاعين من تمر، فقال: يا رسول الله إني أصبت صاعين من تمر: صاع لربي، وصاع لعيالي. قال: فلمزه المنافقون وقالوا: ما أعطى مثل الذي أعطى ابن عوف إلا رياء ـ أو قالوا: لم يكن لله ورسوله غنيين عن صاع هذا ـ فأنزل الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ﴾ ـ الآية ـ. قال البزّار: لم نسمع أحداً أسنده من حديث عمر بن أبي سلمة إلا طالوت بن عباد. وقال الهيثمي (7/ 32): وفيه عمر بن أبي سلمة وثَّقه العِجْلي. وأبو خيثمة، وابن حِبّان؛ وضعَّفه شُعبة وغيره، وبقية رجالهما ثقات. انتهى.

* * *

قصة عبد الله بن زيد رضي الله عنه

أخرج الحاكم (3/ 336) عن عبد الله بن زيد بن عبد ربه الذي أُرِيَ النداء أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، حائطي هذا صدقة وهو إلى الله ورسوله؛ فجاء أبواه فقالا: يا رسول الله كان قَوام عيشنا. فردّه رسول الله ﷺ إليهما ثم ماتا. فورثهما ابنهما بعد. قال الذهبي: فيه إرسال.

قصة رجل من الأنصار

أخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء! ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال: «من يضيف هذا الليلة، رحمه الله»، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رَحْله فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: فعلِّليهم بشيء، فإذا أرادوا العشاء فنوِّميهم، فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل ـ وفي رواية: فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه ـ. قال: فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويَيْن. فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فقال: «قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما». زاد في رواية: فنزلت هذه الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9]. كذا في «الترغيب» (4/ 147). وأخرجه أيضاً البخاري، والنَّسائي؛ وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة، كما في «التفسير» لابن كثير (4/ 338). وفي رواية الطبراني تسمية هذا الرجل الذي جاء بأبي هريرة، كما ذكره الحافظ في «الفتح» (8/ 446).

* * *

قصة سبعة أبيات

أخرج ابن جرير عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: لقد تداولت سبعة أبيات رأس شاة يؤثر به بعضهم بعضاً، وإنَّ كلَّهم لمحتاج إليه حتى رجع إلى البيت الذي خرج منه. كذا في «الكنز» (3/ 176).

من أقرض الله تعالى

قصة بيع أبي الدحداح بستانه بنخلة في الجنة

أخرج أحمد والبغوي، والحاكم عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي بها، فأمره أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها. فقال له النبي ﷺ: «أعطه إياها بنخلة في الجنة» فأبى. قال: فأتاه أبو الدحداح رضي الله عنه فقال: بعني نخلتك بحائطي. قال: ففعل. فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ابتعت النخلة بحائطي فاجعلها له فقد أعطيتكها. فقال: «كم من عَذْق رَدَاح لأبي الدحداح في الجنة» قالها مراراً. قال: فأتى امرأته فقال: يا أم الدحداح، اخرجي من الحائط فإني قد بعته بنخلة في الجنة، فقالت: ربح البيع أو كلمة تشبهها. كذا في «الإصابة» (4/ 59). قال الهيثمي (9/ 324): رواه أحمد، والطبراني ورجالهما رجال الصحيح. انتهى.

* * *

قصة قول أبي الدحداح: قد أقرضت ربي حائطي

وعند أبي يَعْلى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: 245] قال أبو الدحداح ـ رضي الله عنه ـ: يا رسول الله، إن الله يريد منا القرض؟ قال: «نعم يا

أبا الدحداح» قال: أرنا يدك، قال: فناوله يده. قال: قد أقرضت ربي حائطي - وحائطه فيه ستمائة نخلة - فجاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعيالها، فنادى: يا أُم الدحداح، قالت: لبيك، قال: اخرجي فقد أقرضته ربي!! قال الهيثمي (9/ 324): رواه أبو يعلى، والطبراني ورجالهما ثقات، ورجال أبي يَعْلى رجال الصحيح. انتهى.

وأخرجه البزّار عن ابن مسعود رضي الله عنه نحوه بإسناد ضعيف كما في «المجمع» (3/ 113). وأخرجه أيضاً ابن منده كما في «الإصابة» (4/ 59). وابن أبي حاتم كما في «التفسير» لابن كثير (1/ 299). وأخرج الطبراني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمعناه بإسناد ضعيف كما في «المجمع» (3/ 113) وقد تقدم (160) قول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: يا رسول الله عندي أربعة آلاف، ألفان أقرضتهما ربي.

* * *

الإِنفاق على الإِسلام

قصة رجل في ذلك

أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لم (يكن) يُسأل شيئاً على الإِسلام إلا أعطاه. قال: فأتاه رجل فأمر له بشاءٍ كثير بين جبلين من شاء الصدقة. قال: فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإنَّ محمداً يعطي عطاء ما يخشى الفاقة. وزاد في رواية: وإن كان الرجل ليجيء إلى رسول الله ﷺ ما يريد إلا الدنيا، فما يمسي حتى يكون دينه أحب إليه وأعز عليه من الدنيا وما فيها، كذا في «البداية» (6/ 42) وأخرجه مسلم أيضاً نحوه عن أنس رضي الله عنه (ص 253).

* * *

حديث زيد بن ثابت في ذلك

وعند الطبراني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: جاء إلى رسول الله ﷺ رجل من العرب فسأله أرضاً بين جبلين، فكتب له بها، فأسلم ثم أتى قومه فقال لهم: أسلموا فقد جئتكم من عند رجل يعطي عطية من لا يخاف الفاقة. قال الهيثمي (9/ 13): وفيه عبد الرحمن بن يحيى العُذْري وقيل فيه: مجهول، وبقية رجاله وُثِّقوا. انتهى.

* * *

سبب إِسلام صفوان بن أمية وقوله في النبي ﷺ

وقد تقدَّم في قصة إِسلام صفوان بن أمية: فبينا رسول الله ﷺ يسير في الغنائم ينظر إِليها ومعه صفوان بن أمية، فجعل صفوان بن أمية ينظر إِلى شِعْب مَلاءٍ نَعماً وشاء ورعاء، فأدام النظر إِليه ورسول الله ﷺ يرمقه فقال: «أبا وهْب يعجبك هذا الشِّعب؟» قال: نعم. قال: «هو لك وما فيه». فقال صفوان عند ذلك: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إِلا نفس نبي، أشهد أن لا إِله إِلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأسلم مكانه. أخرجه الواقدي، وابن عساكر عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما كما في «الكنز» (5/ 294).

* * *

الإِنفاق في الجهاد في سبيل الله

إنفاق أبي بكر رضي الله عنه

أخرج ابن إسحاق (2/ 113) عن أسماء رضي الله عنها قالت: لمَّا خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر رضي الله عنه معه احتمل أبو بكر مالَه كله معه ـ خمسة آلاف درهم، أو ستة آلاف درهم ـ، فانطلق بها معه. قالت: فدخل علينا جدِّي أبو قحافة وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأُراه قد فجعكم بماله مع نفسه. قالت: قلت: كلا يا أبت، إِنه قد ترك لنا خيراً كثيراً. قالت: وأخذت أحجاراً فوضعتها في كوّة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه فقال: لا بأس، إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحْسَن، وفي هذا بَلاغٌ لكم؛ ولا ـ والله ـ ما ترك لنا شيئاً، ولكن أردت أن أُسَكِّن الشيخ بذلك. كذا في «البداية» (3/ 179). وأخرجه أحمد والطبراني بنحوه. قال الهيثمي (6/ 59): رجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق، وقد صرح بالسماع. انتهى. وقد تقدّم أن أبا بكر رضي الله عنه أعطى ماله كله أربعة آلاف درهم في غزوة تبوك.

* * *

إنفاق عثمان بن عفان
رضي الله عنه

أخرج أحمد عن عبد الرحمن بن خبَّاب السَّلَمي رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فحثَّ على جيش العُسْرة، فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها. قال: ثم نزل مرقاة من المنبر ثم حثَّ، فقال عثمان رضي الله عنه: عليَّ مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. قال: فرأيت رسول الله ﷺ يقول بيده هكذا يحركها ـ وأخرج عبد الصمد يده ـ كالمتعجِّب: «ما على عثمان ما عمل بعد هذا». وأخرجه البيهقي وقال: ثلاث مرات، وإنه التزم بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها. قال عبد الرحمن: فأنا شهدت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: «ما ضر عثمان بعدها» أو قال: «بعد اليوم»، كذا في «البداية» (5/ 4). وأخرجه أبو نعيم في «الحِلْية» (1/ 59) بنحوه.

وأخرج الحاكم (4/ 102) عن عبد الرحمن بن سَمُرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء عثمان رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة ففرَّغها عثمان في حِجْر النبي ﷺ. قال: فجعل النبي ﷺ يقلِّبها ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم»، قالها مراراً. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: صحيح. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 59) نحوَه عن عبد الرحمن وعن ابن عمر، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: فقال النبي ﷺ: «اللهمَّ لا تنسَ لعثمان، ما على عثمان ما عمل بعد هذا».

وعند ابن عديٍّ، والدارقطني، وأبي نُعَيم، وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: بعث النبي ﷺ إلى عثمان رضي الله عنه يستعينه في جيش العُسْرة، فبعث إليه عثمان بعشرة آلاف دينار فصُبَّت

بين يديه، فجعل النبي ﷺ يقلِّبها بين يديه ظهراً لبطن ويدعو له يقول: «غفر الله لك يا عثمان، ما أسررتَ وما أعلنتَ، وما أخفيتَ، وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ما يبالي عثمان ما عمل بعد هذا». كذا في «المنتخب» (5/ 12).

وأخرج أبو يعلى، والطبراني عن عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ أنه شهد ذلك حين أعطى عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ رسول الله ﷺ ما جهَّز به جيش العُسرة، وجاء بسبعمائة أوقية ذهب. قال الهيثمي (9/ 85): وفيه إبراهيم بن عمر بن أبان وهو ضعيف. انتهى.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 59) عن قتادة رضي الله عنه قال: حمل عثمان على ألف فيها خمسون فرساً في غزوة تبوك. وعند ابن عساكر عن الحسن قال: جهَّز عثمان رضي الله عنه تسعمائة وخمسين ناقة وخمسين فرساً أو قال تسعمائة وسبعين ناقة وثلاثين فرساً ـ يعني في غزوة تبوك ـ. كذا في «المنتخب» (5/ 13). وقد تقدَّم أن عثمان رضي الله عنه كفى في غزوة تبوك ثلث الجيش مُؤنتهم حتى إنْ كان ليقال ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم.

* * *

إنفاق عبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنه

أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: بينما عائشة رضي الله عنها في بيتها إذ سمعت صوتاً في المدينة، فقالت: ما هذا؟ قالوا: عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل كل شيء. قال: وكانت سبعمائة بعير. قال: فارتجت المدينة من الصوت. فقالت عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً». فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف، فقال: لئن استطعت لأدخلنَّها قائماً. فجعلها بأقتابها وأحمالها في سبيل الله (عزّ وجلّ). وأخرجه أبو نعيم في «الحِلْية» (1/ 98) عن أنس رضي الله عنه بنحوه، وابن سعد (3/ 93) عن حبيب بن أبي مرزوق بمعناه. قال في «البداية» (7/ 164): في سند أحمد تفرَّد به عمارة بن زاذان الصيدلاني وهو ضعيف.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 99) عن الزُّهري قال: تصدَّق عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدَّق بأربعين ألفاً، ثم تصدَّق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة. وهكذا ذكره في «البداية» (7/ 163) عن مَعْمَر عن الزُّهري إلا أنه قال: ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله.

وأخرجه أيضاً ابن المبارك عن معمَر عن الزُّهري قال: تصدَّق عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله، ثم تصدَّق بعد بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله وخمسمائة راحلة، وكان أكثر ماله من التجارة. كذا في «الإِصابة» (2/ 416). وقد تقدَّم (1/ 417) أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه تصدّق في غزوة تبوك بمائتي أوقية.

* * *

إنفاق حكيم بن حزام رضي الله عنه

أخرج الطبراني عن أبي حازم قال: ما كان بالمدينة أحد سمعنا به كان أكثر حملاً في سبيل الله من حكيم بن حزام رضي الله عنه. قال: لقد قدم أعرابيان المدينة يسألان من يحمل في سبيل الله فدُلَّا على حكيم بن حِزام فأتياه في أهله، فسألهما؛ ما يريدان؟ فأخبراه ما يريدان. فقال لهما: لا تعجلا حتى أخرج إليكما. وكان حكيم يلبس ثياباً يُؤتى بها من مصر كأنها الشِباك ثمنها أربعة دراهم، ويأخذ عصا في يده، ويخرج معه غلامان له؛ وكلما مرَّة بكُناسة أو قُمامة فرأى فيها خرقة تصلح في جَهَاز الإِبل التي يُحمل عليها في سبيل الله أخذها بطرف عصاه فنفضها ثم قال لغلاميه: أمسكا بسلعتكما في جَهازكما. فقال الأعرابيان أحدهما لصاحبه وهو يصنع ذلك: ويحك! انجُ بنا، فوالله ما عند هذا إلا لَقْط القِشَع. فقال له صاحبه: ويحك! لا تعجل حتى ننظر. فخرج بهما إلى السوق فنظر إلى ناقتين خَلِفَتَيْنِ، سميتين جليلتين، فابتاعهما وابتاع جَهازهما، ثم قال لغلاميه: رُمَّا بهذه الخرق ما ينبغي له المرمَّة من جَهازكما. ثم أوقرهما طعاماً وبُرّاً ووَدكاً، وأعطاهما نفقة ثم أعطاهما

الناقتين. قال: يقول أحدهما لصاحبه: والله ما رأيت من لاقط قِشَع خيراً من اليوم. كذا في «مجمع الزوائد» (9/ 384).

وأخرج الطبراني عن حكيم بن حزام رضي الله عنه أنه باع داراً له من معاوية رضي الله عنه بستين ألفاً. فقالوا: غبنك ـ والله ـ معاوية، فقال: والله ما أخذتها في الجاهلية إلا بزقٍّ خمر، أشهدكم أنها في سبيل الله، والمساكين، والرقاب؛ فأيُّنا المغبون. وفي رواية: بمائة ألف. قال الهيثمي (9/ 384): رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن. انتهى.

* * *

إنفاق ابن عمر وغيره من الصحابة رضي الله عنهم

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 296) عن نافع قال: باع ابن عمر رضي الله عنه أرضاً له بمائتي ناقة، فحمل على مائة منها في سبيل الله (عزّ وجلّ)، واشترط على أصحابها أن لا يبيعوا حتى يجاوزوا بها وادي القرى.

وقد تقدم (297) في ترغيبه ﷺ على الجهاد وإنفاق الأموال: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنفق في غزوة تبوك مائة أوقية، وعاصم بن عدي رضي الله عنه تسعين وَسْقاً من تمر، وحمل إليه ﷺ العباس، وطلحة، وسعد بن عبادة، ومحمد بن مسلمة ـ رضي الله عنهم ـ مالاً عظيماً كما تقدّم. وتقدم (347) في النفقة في الجهاد مجيء رجل بناقة في سبيل الله وإنفاق قيس بن سَلْع الأنصاري رضي الله عنه في الجهاد.

* * *

إنفاق زينب بنت جحش وغيرها من النساء

أخرج الشيخان ـ واللفظ لمسلم ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً». قالت: فكُنَّ يتطاولن أيتهنَّ أطول يداً. قالت: وكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت

تعمل بيدها وتتصدّق. وفي طريق آخر: قالت عائشة رضي الله عنها: فكنّا إذ اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا، فعرفنا حينئذٍ أن النبي ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة، وكانت زينب امرأة صَنَاع اليدين، فكانت تَدبُغ وتخرز وتتصدّق به في سبيل الله. كذا في «الإِصابة» (4/ 314). وأخرجه الطبراني في «الأوسط» عن عائشة رضي الله عنها وفي حديثه قالت: وكانت زينب تغزل الغزل وتعطيه سرايا النبي ﷺ يخيطون به ويستعينون به في مغازيهم. قال الهيثمي (8/ 289): ورجاله وُثِّقوا، وفي بعضهم ضعف اهـ.

وقد تقدم (1/ 422) ما بعث به النساء في إعانة المسلمين في جَهَازهم في غزوة تبوك من المَسَك، والمعاضِد والخلاخِل، والأقْرِطة، والخواتيم، (وقد مُلىء ـ أي الثوب المبسوط بين يديّ النبي ﷺ ـ ممَّا بَعث به النساء يُعِنَّ به المسلمين في جهازهم).

* * *

الإِنفاق على الفقراء والمساكين وأهل الحاجة

أخرج أبو عبيد في «الأموال» عن عمير بن سَلَمة الدؤلي رضي الله عنه قال: بينا عمر رضي الله عنه نصف النهار قائلٌ في ظل شجرة وإذ أعرابية، فتوسمت الناس فجاءته، فقالت: إني امرأة مسكينة ولي بنون، وإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان بعث محمد بن مسلمة ساعياً فلم يعطنا، فلعلك ـ يرحمك الله ـ أن تشفع لنا إليه، (قال): فصاح بِيَرْفَأ أن أدعُ محمد بن مسلمة. فقالت: إنه أنجح لحاجتي أن تقوم معي. إليه، فقال: إنه سيفعل إن شاء الله (فجاءه يرفأ)، فقال: أجب، فجاء فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فاستحيت المرأة منه، فقال عمر: (والله) ما آلو أن أختار خياركم، كيف أنت قائل إذا سألك الله تعالى عن هذه؟ فدمعت عينا محمد (ثَمَّ)، فقال عمر: إنَّ الله بعث (إلينا) نبيه ﷺ فصدَّقناه، واتبعناه، فعمل بما أمره الله (به)، فجعل الصدقة لأهلها من المساكين حتى قبضه الله على ذلك؛ ثم استخلف الله أبا بكر فعمل بسنّته حتى قبضه الله، ثم استخلفني فلم آلُ أن أختار خياركم، إنْ بعثتك فأدِّ إليها صدقة العام وعامِ أوَّل وما أدري لعلي (لا) أبعثك. ثم دعا لها بجمل فأعطاها دقيقاً وزيتاً وقال: خذي هذا حتى تلحقينا بخيبر، فإنا نريدها. فأتته بخيبر فدعا لها بجملين آخرين. فقال: خذي هذا فإن فيه بَلاغاً حتى يأتيكم محمد، فقد أمرته أن يعطيك حقَّك للعام وعام أول. كذا في «الكنز» (3/ 319).

وأخرج هو، والبخاري، والبيهقي عن أسلم قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق، فلحقت عمر امرأة شابة فقالت: يا أمير المؤمنين، هلك زوجي، وترك صبية صغاراً. والله ما يُنضجون كُرَاعاً ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت أن يأكلهم الضَّبعُ وأنا بنت خَفاف بن إيماء الغِفاري، وقد شهد أبي الحديبية مع النبي ﷺ. فوقف معها عمر ولم يمضِ، ثم قال: مرحباً بنسب قريب.

ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطاً في الدار، فحمل عليه غِرارتين ملأهما طعاماً، وجعل بينها نفقة وثياباً، ثم ناولها خِطامه، ثم قال: اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيَكم الله بخير. فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أكثرت لها! فقال عمر: ثكلتك أمك! شهد أبوها الحديبية مع النبي ﷺ، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها وقد حاصرا حصناً زماناً فافتتحاه، ثم أصبحنا نستفيء سهمانَنا فيه. كذا في «الكنز» (3/ 147).

* * *

إنفاق سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجمحي

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 244) عن حسان بن عطية قال: لما عزل عمر بن الخطاب معاوية عن الشام بعث سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجمحي ـ رضي الله عنه ـ قال: فخرج معه بجارية من قريش نضيرةِ الوجه، فما لبث إلا يسيراً حتى أصابته حاجة شديدة. قال: فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فبعث إليه بألف دينار. قال: فدخل بها على امرأته فقال: إن عمر بعث إلينا بما ترين. فقالت: لو أنك اشتريت لنا أُدْماً وطعاماً وادّخرت سائرها. فقال لها: أوَ لا أدلُّك على أفضل من ذلك؟ نعطي هذا المال من يتَّجر لنا فيه فنأكل من ربحها وضمانُها عليه.

قالت: فنعم إذاً. فاشترى أُدْماً وطعاماً، واشترى بعيرَين وغلامين يمتاران عليهما حوائجهم وفرَّقها في المساكين وأهل الحاجة، قال: فما لبث إلا يسيراً حتى قالت له امرأته: إنه قد نَفِد كذا وكذا، فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه. قال: فسكت عنها. قال: ثم عاودته. قال: فسكت عنها حتى آذته ـ ولم يكن يدخل بيته إلا من ليل إلى ليل ـ قال: وكان رجل من أهل بيته ممّن يدخل بدخوله، فقال لها: ما تصنعين؟ إنك قد آذيتيه وإنَّه قد تصدّق بذلك المال. قال: فبكت أسفاً على ذلك المال. ثم إنه دخل عليها يوماً فقال: على رسلك، إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أني صُددت عنهم، وإن لي الدنيا وما فيها، ولو أنَّ خَيْرة من خَيْرات الحسان اطَّلعت من السماء لأضاءت أهل الأرض ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر، ولَنصيفٌ تُكْسى خير من الدنيا وما فيها، فلأنت أحرى في نفسي أن أدَعك لهنَّ من أن أدعهنَّ لك. قال: فسمحت ورضيت.

وأخرجه أيضاً عن عبد الرحمن بن سابط الجُمَحي وفي حديثه: قال: وكان إذا خرج عطاؤه ابتاع لأهله قوتهم وتصدَّق ببقيته، فتقول له امرأته: أين فضل عطائك؟ فيقول: قد أقرضته. فأتاه ناس فقالوا: إنّ لأهلك عليك حقاً، وإن لأظهارك عليك حقاً. فقال: ما أنا بمستأثر عليهم ولا بملتمس رضى أحد من الناس لطلب الحور العين، لو اطَّلعت خَيْرة من خيرات الجنة لأشرقت لها الأرض كما تشرق الشمس، وما أنا بالمتخلِّف عن العَنَق الأول بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجمع الله عزّ وجلّ الناس للحساب، فيجيء فقراء المؤمنين يَزِفُّون كما تزف الحمام، فيقال لهم: قِفُوا عند الحساب، فيقولون: ما عندنا حساب ولا آتيتمونا شيئاً، فيقول ربهم: صدق عبادي، فيفتح لهم باب الجنة

فيدخلونها قبل الناس بسبعين عاماً». وقد تقدَّم (2/ 140) في قصة أخرى لسعيد فقال لها: فهل لك في خير من ذلك ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها؟ قالت: نعم. فدعا رجلاً من أهل بيته يثق به فصرَّرها صرراً ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى يتيم آل فلان، وإلى مسكين آل فلان، وإلى مُبتلى آل فلان. فبقيت منها ذُهَيبة. فقال: أنفقي هذه، ثم عاد إلى عمله. فقالت: ألا تشتري لنا خادماً؟ ما فعل ذلك المال؟ قال: سيأتيك أحوج ما تكونين. أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 245).

* * *

إنفاق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 297) عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما اشتكى فاشتُرِيَ له عنقود عنب بدرهم، فجاء مسكين فقال: أعطوه إياه. فخالف إليه إنسان، فاشتراه منه بدرهم. ثم جاء به إليه، فجاءه المسكين فسأل، فقال: أعطوه أياه. فخالف إليه إنسان فاشتراه منه بدرهم. ثم جاء به إليه، فجاءه المسكين يسأل فقال: أعطوه إياه. ثم خالف إليه إنسان فاشتراه منه بدرهم، فأراد أن يرجع فمُنع. ولو علم ابن عمر بذلك العنقود ما ذاقه.

وأخرجه أيضاً من طريق آخر عنه أن ابن عمر رضي الله عنه اشتهى عنباً وهو مريض، فاشتريت له عنقوداً بدرهم فجئت به فوضعته في يده - فذكر بمعناه. وفي آخره: فما زال يعود السائل ويأمر بدفعه إليه حتى قلت للسائل في الثالثة أو الرابعة: ويحك ما تستحيي؟! فاشتريته منه بدرهم

فجئت به إليه فأكله. وأخرجه أيضاً نحو السياق الأول مختصراً ابن المبارك كما في «الإصابة» (2/ 248)، والطبراني كما في «المجمع» (9/ 347)، وابن سعد (4/ 117). قال الهيثمي: رجال الطبراني رجال الصحيح غير نُعَيم بن حمَّاد وهو ثقة.

* * *

إنفاق عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه

أخرج الطبراني عن أبي نَضْرة قال: أتيت عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه في أيام العشر ـ وكان له بيت قد أخلاه للحديث ـ فمُرَّ عليه بكبش فقال لصاحبه: بكم أخذته؟ فقال: باثني عشر درهماً، فقلت: لو كان معي اثنا عشر درهماً اشتريت بها كبشاً فضحيت وأطعمت عيالي. فلما قدمت أتبعني بصرّة فيها خمسون درهماً، فما رأيت دراهم قط كانت أعظم بركة منها أعطاني وهو لها محتسب وأنا إليها محتاج. قال الهيثمي (9/ 371): رجاله رجال الصحيح.

* * *

إنفاق عائشة رضي الله عنها

أخرج مالك في «الموطإ» (ص 390) أنه بلغه عن عائشة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها أن مسكيناً سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيه إياه، فقالت: ليس لك ما تُفطرين عليه. فقالت: أعطيه إياه. قالت: ففعلت. فلما أمسينا أهدى لنا أهل

بيت أو إنسان ما كان يهدي لنا شاة وكتفها، فدعتني عائشة رضي الله عنها فقالت: كلي من هذا، هذا خير من قرصك!!.

قال مالك: بلغني أن مسكيناً استطعم عائشة زوج النبي ﷺ وبين يديها عنب، فقالت لإنسان: خذ حبة فأعطه إياها، فجعل ينظر إليها ويعجب، فقالت عائشة: أتعجب كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة!.

* * *

مناولة المسكين

أخرج الطبراني، والحسن بن سفيان عن محمد بن عثمان عن أبيه قال: كان حارثة بن النعمان رضي الله عنه ـ وفي رواية له: عن حارثة بن النعمان ـ وكان قد ذهب بصره فاتخذ خيطاً في مصلَّاه إلى باب حجرته، فكان إذا جاء المسكين أخذ من مِكتله شيئاً، ثم أخذ بطرف الخيط حتى يناوله، فكان أهله يقولون له: نحن نكفيك، فيقول: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مناولة المسكين تقي مصارع السوء». كذا في «الإصابة» (1/ 299). وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 365)، وابن سعد (3/ 52) عن محمد بن عثمان عن أبيه نحوه.

وأخرج ابن عساكر عن عمرو الليثي قال: كنَّا عند واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، فأتاه سائل، فأخذ كسرة فجعل عليها فَلْساً ثم قام حتى وضعها في يده، فقلت: يا أبا الأسقع، أمَا كان في أهلك من يكفيك هذا؟ قال: بلى، لكنه من قام بشيء إلى مسكين بصدقة حُطَّت عنه بكل خطوة خطيئة، فإذا وضعها في يده حُطَّت عنه بكل خطوة عشر خطيئات. كذا في «الكنز» (3/ 315).

وأخرج ابن سعد (4/ 122) عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يجمع أهل بيته على جفنته كل ليلة. قال: فربما سمع بنداء مسكين، فيقوم إليه بنصيبه من اللحم والخبز، فإلى أن يدفعه إليه ويرجع [يكونون] قد فرغوا مما في الجفنة، فإن كنتَ أدركت فيها شيئاً فقد أدرك فيها، ثم يصبح صائماً.

الإنفاق على السائلين

أخرج ابن جرير عن أنس رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ يوماً المسجد وعليه بُرْد نَجراني غليظ الصنعة، فأتاه أعرابي من خلفه، فأخذ بجانب ردائه حتى أثرت الصنعة في صفح عنق رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد أعطنا من مال الله الذي عندك. فالتفت رسول الله ﷺ فتبسم فقال: «مُرُوا له». كذا في «الكنز» (4/ 43). وأخرجه أيضاً الشيخان عن أنس رضي الله عنه كما في «البداية» (6/ 38).

وأخرج أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا نقعد مع رسول الله ﷺ بالغَدَوات في المسجد، فإذا قام إلى بيته لم نزل قياماً حتى يدخل بيته. فقام يوماً فلما بلغ وسط المسجد أدركه أعرابي فقال: يا محمد احملني على بعيرين فإنك لا تحملني من مالك ولا من مال أبيك. وجذب بردائه حين أدركه، فاحمرّت رقبته، فقال رسول الله ﷺ: «لا، وأستغفر الله، لا أحملك حتى تقيدَني» ـ قالها ثلاث مرات ـ ثم دعا رجلاً فقال له: «احمله على بعيرين: على بعيرٍ شعيرٌ، وعلى بعيرٍ تمرٌ». كذا في «الكنز» (4/ 47). وأخرجه أيضاً أحمد، والأربعة إلا الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه، كما في «البداية» (6/ 38).

وأخرج أحمد، والطبراني عن النعمان بن مُقَرِّن رضي الله عنه قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في أربعمائة من مُزَينة، فأمرنا رسول الله ﷺ بأمره، فقال بعض القوم: يا رسول الله، ما لنا طعام نتزوده. فقال النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه: «زوّدهم». فقال: ما

عندي إلا فاضلة من تمر وما أُراه يغني عنهم شيئاً. قال: «انطلق فزوِّدهم». فانطلق بنا إلى عِلِّية فإذا فيها تمر مثل البَكر الأورق، فقال: خذوا؛ فأخذ القوم حاجتهم. قال: وكنت من آخر القوم، قال: فالتفتُّ وما أفقِد موضع تمرة وقد احتمل منه أربعمائة رجل. قال الهيثمي (8/ 304): رجال أحمد رجال الصحيح. ا هـ.

وأخرج أحمد، والطبراني عن دُكَين بن سعيد الخثعمي رضي الله عنه قال: أتينا رسول الله ﷺ ونحن أربعون وأربعمائة نسأله الطعام، فقال النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه: «قم فأعطهم». فقال: يا رسول الله ما عندي إلا ما يقَيِّظُني والصبية ـ قال وكيع: القيظ في كلام العرب أربعة أشهر ـ قال: «قم فأعطهم». قال عمر: يا رسول الله سمعٌ وطاعة. قال: فقام عمر وقمنا معه فصعد بنا إلى غرفة له فأخرج المفتاح من حُجْزَته ففتح الباب ـ قال دُكَين: فإذا في الغرفة من التمر شبيه بالفصيل الرابض ـ قال: شأنَكم. قال: فأخذ كل رجل منا حاجته ما شاء. قال: فالتفتُّ وإني لمن آخرهم، فكأنا لم نرْزأ منه تمرة. قال الهيثمي (8/ 304): رجالهما رجال الصحيح، وروى أبو داود منه طرفاً. انتهى.

وأخرجه أيضاً أبو نعيم في «الحلية» (1/ 365) عن دُكَين رضي الله عنه قال: أتينا رسول الله ﷺ في أربعمائة راكب نسأله الطعام فذكر نحوه، وفي حديثه: ما عندي إلا آصُعُ تمر ما تقَيِّظني وعيالي، فقال أبو بكر: اسمع وأطع. قال عمر: سمعاً وطاعة. قال أبو نعيم: هذا حديث صحيح وهو أحد دلائل النبي ﷺ.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 300) عن أفلح بن كثير قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما لا يرد سائلاً، حتى إنَّ المجذوم ليأكل معه في صحنه، وإن أصابعه لتقطر دماً.

الصدقات

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 32) عن الحسن البصري أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بصدقته فأخفاها. فقال: يا رسول الله هذه صدقتي ولله عزّ وجلّ عندي معاد. وجاء عمر رضي الله عنه بصدقته فأظهرها فقال: يا رسول الله هذه صدقتي ولي عند الله معاد. فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر، وَتَّرْتَ قوسَك بغير وَتَر، ما بين صدقتيكما كما بين كلمتيكما». قال ابن كثير: إسناده جيد، ويعد من المرسلات. كذا في «المنتخب» (4/ 348).

وأخرج ابن عدي، وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من يشتري لنا بئر رُومة فيجعلها صدقة للمسلمين؟ سقاه الله يوم القيامة من العطش»؛ فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه فجعلها صدقة للمسلمين.

وعند الطبراني ، وابن عساكر عن بشير (الأسلمي) رضي الله عنه قال: لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكان لرجل من بني غِفار عين يقال لها رُومة، وكان يبيع منها القِربة بمدٌّ. فقال له رسول الله ﷺ: «بِعْنيها بعين في الجنة». فقال: يا رسول الله، ليس لي ولا لعيالي غيرها ولا أستطيع. فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم. ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أتجعل لي مثل الذي جعلته له عيناً في الجنة إن اشتريتها؟ قال: «نعم».

قال: قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين. كذا في «المنتخب» (5/ 11).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 88) عن سُعدى امرأة طلحة رضي الله عنهما قالت: فقد تصدّق طلحة يوماً بمائة ألف درهم، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفي ثوبه.

وقد تقدم أن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه تصدَّق على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدَّق بأربعين ألفاً، ثم تصدّق بأربعين ألف دينار.

وأخرج الحاكم (3/ 632) عن السائب بن أبي لبابة رضي الله عنهما قال: لما تاب الله على أبي لبابة قال أبو لبابة: جئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني أهجر دار قومي التي أصبت بها الذنب، وأنخلع من مالي كله صدقة لله عزّ وجلّ ولرسوله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا لبابة يجزىء عنك الثلث». قال: فتصدَّقت بالثلث.

وأخرج ابن سعد (4/ 64) عن النعمان بن حُمَيد رضي الله عنه قال: دخلت مع خالي على سلمان رضي الله عنه بالمدائن وهو يعمل الخُوص، فسمعته يقول: أشتري خوصاً بدرهم، فأعمله، فأبيعه بثلاثة دراهم، فأعيد درهماً فيه، وأنفق درهماً على عيالي، وأتصدَّق بدرهم؛ ولو أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهاني عنه ما انتهيت.

* * *

الهدايا

أخرج الطبراني عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: كنَّا مع النبي ﷺ في غزاة، فأصاب الناس جَهْد حتى رأيت الكآبة في وجوه المسلمين

والفرح في وجوه المنافقين. فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: «والله لا تغيب الشمس حتى يأتيكم الله برزق». فعلم عثمان رضي الله عنه أن الله ورسوله سيصدِّقان، فاشترى عثمان أربع عشرة راحلة بما عليها من الطعام، فوجّه إلى النبي ﷺ منها بتسعة. فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: «ما هذا؟» قال: أهدى إليك عثمان. فعُرف الفرح في وجه رسول الله ﷺ والكآبة في وجوه المنافقين، فرأيت رسول الله ﷺ قد رفع يديه حتى رُئي بياض إبطيه يدعو لعثمان دعاء ما سمعته دعا لأحد قبله ولا بعده: «اللهمَّ أعطِ عثمان، اللهمَّ افعل بعثمان». قال الهيثمي (9/ 85) رواه الطبراني، وفيه سعيد بن محمد الوراق، وهو ضعيف. وأخرج ابن عساكر عن أبي مسعود نحوه، كما في «المنتخب» (5/ 12).

وأخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 328) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهراً أو جمعة أو ما شاء الله أحبُّ إليّ من حجة بعد حجة، ولطبقٌ بدانق أهديه إلى أخ لي في الله عزّ وجلّ أحب إليّ من دينار أنفقه في سبيل الله عزّ وجلّ.

* * *

إطعام الطعام

أخرج البخاري في «الأدب»، وابن زنجويه عن علي رضي الله عنه قال: لأن أجمع ناساً من أصحابي على صاع من طعام أحبّ إليّ من أن أخرج إلى السوق فأشتري نَسمة فأعتقها. كذا في «الكنز» (5/ 65).

وأخرج البيهقي في «الشُّعَب» عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال: نزل بجابر رضي الله عنه ضيف فجاءهم بخبز وخلّ. فقال: كلوا فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم الإدام الخل. هلاك بالقوم أن

يحتقروا ما قُدم إليهم، وهلاك بالرجل أن يحتقر ما في بيته يقدِّمه إلى أصحابه». كذا في «الكنز» (5/ 64) وأخرجه أحمد، والطبراني عن عبد الله بن عبيد بن عمير بنحوه.

قال الهيثمي (8/ 180): رواه أحمد، والطبراني في «الأوسط»، وأبو يَعْلى إلا أنه قال: وكفى بالمرء شراً أن يحتقر ما قُرب إليه. وفي إسناد أبي يَعْلى أبو طالب القاص ولم أعرفه، وبقية رجاله أبي يَعْلى وُثِّقوا، وهو في «الصحيح» باختصار انتهى.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» بإسناد جيد عن حُمَيد الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل عليه قوم يعودونه في مرض له، فقال: يا جارية هلمِّي لأصحابنا ولو كِسَراً، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مكارم الأخلاق من أعمال الجنة». كذا في «الترغيب» (4/ 152). قال الهيثمي (8/ 177) بعدما ذكره عن الطبراني: وإِسناده جيد. ا هـ. وأخرجه ابن عساكر (1/ 438) بنحوه.

وأخرج الطبراني عن شقيق بن سَلَمة رضي الله عنه قال: دخلت أنا وصاحب لي إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه. فقال سلمان: لولا أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن التكلُّف لتكلَّفت لكم، ثم جاء بخبز وملح. فقال صاحبي: لو كان في ملحنا عنقز. فبعث سلمان بمطهرته فرهنها ثم جاء بعنقز فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنَّعنا بما رزقنا. فقال سلمان: لو قنعتَ بما رزقك لم تكن مطهرتي مرهونة. قال الهيثمي (8/ 179): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الطوسي وهو ثقة. وفي رواية عنده: نهانا رسول الله ﷺ أن نتكلَّف للضيف ما ليس عندنا.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 153) عن حمزة بن صهيب أن

صهيباً رضي الله عنه كان يطعم الطعام الكثير، فقال له عمر رضي الله عنه: يا صهيب إنك تطعم الطعام الكثير، وذلك سرف في المال، فقال صهيب: إنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: «خياركم من أطعم الطعام، وردّ السلام»؛ فذلك الذي يحملني على أن أطعم الطعام.

* * *

إطعام النبي ﷺ الطعام

أخرج مسلم (2/ 182) عن جابر رضي الله عنه قال: كنت جالساً في داري، فمر بي رسول الله ﷺ فأشار إليّ فقمت إليه، فأخذ بيدي فانطلقنا حتى أتى بعض حُجَر نسائه فدخل، ثم أذن لي فدخلت الحجاب عليها، فقال: «هل من غداء؟» فقالوا: نعم، فأُتي بثلاثة أقرصة فوُضعن على نَبِيٍّ، فأخذ رسول الله ﷺ قرصاً فوضعه بين يديه، وأخذ قرصاً آخر فوضعه بين يديّ، ثم أخذ الثالث فكسره باثنين، فجعل نصفه بين يديه ونصفه بين يديّ، ثم قال: «هل من أُدْم؟» قالوا: لا، إلّا شيء من خلٍّ؛ قال: «هاتوه، فنعم الأدْم هو». وأخرجه أيضاً أصحاب السنن كما في «جمع الفوائد» (1/ 295).

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن سَلَام رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى عثمان رضي الله عنه يقود ناقةً تحمل دقيقاً وسمناً وعسلاً، فقال ﷺ: «أنخ» فأناخ؛ فدعا بِبُرْمَةٍ فجعل فيها من السمن والعسل والدقيق، ثم أمر فأوقد تحته حتى نضج، ثم قال: «كلوا» فأكل منه ﷺ ثم قال: (هذا شيء يدعوه أهل فارس «الخبيص»). كذا في جمع الفوائد» (1/ 297). قال الهيثمي (5/ 38): رواه الطبراني في الثلاثة، ورجال «الصغير» و «الأوسط» ثقات.

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن بُسْر رضي الله عنهما قال: كان للنبي ﷺ قَصْعة يحملها أربعة رجال يقال لها «الغرّاء». فلما أضحَوا وسجدوا الضحى أُتي بتلك القصعة وقد ثُرِد فيها، فالتفُّوا عليها. فلما أكثروا جثا رسول الله ﷺ، فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال النبي ﷺ: «إن الله جعلني عبداً كريماً، ولم يجعلني جباراً عنيداً»؛ ثم قال: «كلوا من جوانبها ودَعُوا ذروتها يبارك فيها». كذا في «المشكاة» (ص 361).

* * *

إطعام أبي بكر الصديق رضي الله عنه

أخرج مسلم (2/ 186) عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: نزل علينا أضياف لنا. قال: وكان أبي يتحدَّث إلى رسول الله ﷺ من الليل. قال: فانطلق وقال: يا عبد الرحمن، افرُغ من أضيافك. قال: فلما أمسيت جئنا بقِراهم. قال: فأبَوا، قالوا: حتى يجيء أبو منزلِنا فيطعَم معنا. قال: فقلت لهم: إنَّه رجل حديد، وإنكم إن لم تفعلوا خفت أن يصيبني منه أذى. قال: فأبَوا. فلما جاء لم يبدأ بشيء أول منهم، فقال: أفرغتم من أضيافكم؟ قال: قالوا: لا والله ما فرغنا. قال: ألم آمر عبد الرحمن؟ قال: وتنحَّيت عنه. فقال: يا عبد الرحمن، قال: فتنحيت عنه. قال: فقال: يا غنثر، أقسمت عليك إن كنت تسمع صوتي إلا جئت. قال: فجئت. قال: فقلت: والله ما لي ذنب، هؤلاء أضيافك فسَلْهم قد أتيتهم بقِراهم فأبَوا أن يطعَموا حتى تجيء. قال: فقال: ما لكم أن لا تقبلوا عنا قِراكم؟ قال: فقال أبو بكر: فوالله لا أطعمه الليلة. قال: فقالوا: فوالله لا نطعمه حتى تطعمه.

قال: فقال: ما رأيت كالشرِّ كالليلة قط. ويلكم، ما لكم ألَّا تقبلوا عنا قِراكم؟ قال: ثم قال: أما الأولى فمن الشيطان، هلمُّوا قراكم. قال: فجيء بالطعام، فسمَّى فأكل وأكلوا. قال: فلما أصبح غداً على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله برّوا وحنِثت. قال: فأخبره، فقال: «بل أنت أبرُّهم وأخيرُهم». قال: ولم تبلغني كفارة.

* * *

إطعام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أخرج مالك عن أسلم أنه قال لعمر رضي الله عنه: إن في الظَّهر ناقة عمياء. فقال: ادفعها إلى أهل بيت ينتفعون بها: فقلت: وهي عمياء، فقال: يقطرونها بالإبل، قلت: كيف تأكل من الأرض؟ فقال: أمِنْ نَعم الجزية هي أم من نَعَم الصدقة؟ فقلت: مِن نَعَم الجزية. فقال: أردت ـ والله ـ أكلها. فقلت: إن عليها وَسْم نَعَم الجزية، فأمر بها فنُحرت، وكان عنده صحاف تسع، فلا تكون فاكهة ولا طُرَيْفَةٌ إلا جعل منها في تلك الصحاف، فبعث بها إلى أزواج النبي ﷺ، ويكون الذي يبعث به إلى حفصة رضي الله عنها من آخر ذلك، فإن كان فيه نقصان كان في حظ حفصة، فجعل في تلك الصحاف من لحم تلك الجزور، فبعث به؛ وأمر بما بقي فصنع فدعا عليه المهاجرين والأنصار. كذا في «جمع الفوائد» (1/ 296).

* * *

إطعام طلحة بن عبيد الله
رضي الله عنه

أخرج الحسن بن سفيان، وأبو نُعيم في «المعرفة» عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: ابتاع طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه بئراً بناحية الجبل وأطعم الناس، فقال رسول الله ﷺ: «إنك يا طلحة لفيّاض». كذا في «المنتخب» (5/ 67).

* * *

إطعام جعفر بن أبي طالب
رضي الله عنه

أخرج ابن سعد (4/ 28) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليُخرج إلينا العكَّة ليس فيها شيء فيشقها، فنلعق ما فيها.

* * *

إطعام صُهَيْب الرومي
رضي الله عنه

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 154) عن صهيب رضي الله عنه قال: صنعت لرسول الله ﷺ طعاماً فأتيته وهو في نفر جالس، فقمت حياله فأومأت إليه وأومأ إليَّ: وهؤلاء؟ فقلت: لا، فسكت فقمت مكاني. فلما نظر إليَّ أومأت إليه فقال: وهؤلاء؟ فقلت: لا، مرتين فعل

ذلك أو ثلاثاً، فقلت: نعم وهؤلاء؛ وإنما كان شيئاً يسيراً صنعته له، فجاء وجاؤوا معه؛ فأكلوا. قال: وفضَلَ منه.

* * *

إطعام عبد الله بن عمر رضي الله عنه

أخرج أبو نعيم (1/ 298) عن محمد بن قيس قال: كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يأكل إلا مع المساكين حتى أضرَّ ذلك بجسمه، فصنعت له امرأته شيئاً من التمر؛ فكان إذا أكل سقته. وعن أبي بكر بن حفص أن عبد الله بن عمر كان لا يأكل طعاماً إلا على خِوانه يتيم.

وعن الحسن أن ابن عمر كان إذا تغدّى أو تعشَّى دعا من حوله من اليتامى، فتغدَّى ذات يوم فأرسل إلى يتيم فلم يجده؛ وكانت له سَوِيقة مُحلَّاة يشربها بعد غدائه، فجاء اليتيم وقد فرغوا من الغداء وبيده السويقة ليشربها، فناولها إياه وقال: خذها فما أُراك غُبنت.

وأخرج أيضاً (1/ 298) عن ميمون بن مهران أن امرأة ابن عمر عوتبت فيه فقيل لها: أما تلطفين بهذا الشيخ؟! فقالت: فما أصنع به؟! لا نصنع له طعاماً إلا دعا عليه من يأكله، فأرسلت إلى قوم من المساكين كانوا يجلسون بطريقه إذا خرج من المسجد فأطعمتهم وقالت لهم: لا تجلسوا بطريقه. ثم جاء إلى بيته فقال: أرسلوا إلى فلان وإلى فلان، وكانت امرأته أرسلت إليهم بطعام وقالت: إن دعاكم فلا تأتوه. فقال ابن عمر: أردتم أن لا أتعشَّى الليلة. فلم يتعشَّ تلك الليلة. وأخرجه ابن سعد (4/ 122) بنحوه.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 302) عن أبي جعفر القارىء قال: قال مولاي: أخرجُ مع ابن عمر أخدمه. قال: فكان كل ماء ينزله يدعو أهل ذلك الماء يأكلون معه. قال: فكان أكابر ولده يدخلون فيأكلون، فكان الرجل يأكل اللقمتين والثلاث. فنزل الجُحْفة فجاؤوا. وجاء غلام أسود عُريان فدعاه ابن عمر، فقال الغلام: إني لا أجد موضعاً قد تراصُّوا. فرأيت ابن عمر تنحَّى حتى ألزقه إلى صدره.

وأخرج ابن سعد (4/ 109) عن أبي جعفر القارىء قال: خرجت مع ابن عمر من مكة إلى المدينة كان له جَفْنة من ثريد يجتمع عليها بنوه وأصحابه وكل من جاءَ حتى يأكل بعضهم قائماً، ومعه بعير له عليه مزادتان فيهما نبيذ وماء مملوءتان؛ فكان لكل رجل قَدَح من سَوِيق بذلك النبيذ حتى يتضلَّع منه شبعاً.

وأخرج ابن سعد (4/ 109) عن ممن قال: كان ابن عمر إذا صنع طعاماً فمر به رجل له هيئة لم يدعه ودعاه بنوه أو بنو أخيه، وإذا مر إنسان مسكين دعاه ولم يدعوه. وقال: يدْعون من لا يشتهيه ويَدَعون من يشتهيه!!.

* * *

إطعام عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 291) عن سليمان بن ربيعة أنه حجَّ في إمرة معاوية رضي الله عنه ومعه المنتصر بن الحارث الضبِّي في عصابة من قرّاء أهل البصرة، فقالوا: والله لا نرجع حتى نلقى رجلاً من

أصحاب محمد ﷺ مرضياً يحدثنا بحديث؛ فلم نزل نسأل حتى حُدِّثنا أن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما نازل في أسفل مكة، فعمدنا إليه؛ فإذا نحن بثَقَل عظيم يرتحلون ثلاثمائة راحلة، منها مائة راحلة ومائتا زاملة، قلنا: لمن هذا الثَّقَل؟ فقالوا: لعبد الله بن عمرو، فقلنا: أكل هذا له؟ - وكنا نُحدَّث أنه من أشد الناس تواضعاً - فقالوا: أمَّا هذه المائة راحلة فلإخوانه يحملهم عليها، وأما المائتان فلمن نزل عليه من أهل الأمصار له ولأضيافه. فعجبنا من ذلك عجباً شديداً، فقالوا: لا تعجبوا من هذا! فإنَّ عبد الله بن عمرو رجل غني وإنَّه يرى حقاً عليه أن يكثر من الزاد لمن نزل عليه من الناس. فقلنا: دلونا عليه. فقالوا: إنه في المسجد الحرام. فانطلقنا نطلبه حتى وجدناه في دُبُر الكعبة جالساً، رجل قصير أرمص، بين بُردين وعمامة، ليس عليه قميص؛ قد علَّق نعليه في شماله. وأخرجه ابن سعد (4/ 12) عن سليمان (بن) الربيع بمعناه مع زيادة.

* * *

إطعام سعد بن عبادة رضي الله عنه

أخرج ابن عساكر عن سعد بن عبادة رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ بصحفة - أو جفنة - مملوءة مخاً، فقال: «يا أبا ثابت، ما هذا؟» قال: والذي بعثك بالحق لقد نحرت أربعين ذات كبد، فأحببت أن أشبعك من المخ. فأكل النبي ﷺ ودعا له بخير. كذا في «الكنز» (7/ 40).

وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه أن سعد بن عبادة دعا النبي ﷺ، فأتاه بتمر وكِسَر فأكل، ثم أتاه بقَدَح من لبن فشرب، فقال:

«أكل طعامكم الأبرار، وأفطر عندكم الصائمون، وصلّت عليكم الملائكة، اللهمّ إجعل صلواتك على آل سعد بن عبادة». كذا في «الكنز» (5/ 66). وأخرجه أيضاً من وجه آخر عن أنس مطولاً بمعناه. وفيه: وقرَّب إليه منها شيئاً من سِمسِم وشيئاً من تمر. كما في «الكنز» (5/ 66).

وأخرج ابن سعد (3/ 142) عن عروة قال: أدركت سعد بن عبادة وهو ينادي على أُطُمِه: من أحب شحماً أو لحماً فليأت سعد بن عبادة. ثم أدركت ابنه مثل ذلك يدعو به، ولقد كنت أمشي في طريق المدينة وأنا شاب، فمر عليَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما منطلقاً إلى أرضه بالعالية، فقال: يا فتى تعال انظر هل ترى على أُطُم سعد بن عبادة أحداً ينادي؟ فنظرت فقلت: لا. فقال: صدقت.

* * *

إطعام أبي شعيب الأنصاري رضي الله عنه

أخرج البخاري عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: كان من الأنصار رجل يقال له: أبو شعيب رضي الله عنه، وكان له غلام لحّام فقال: اصنع لي طعاماً أدعو رسول الله ﷺ خامس خمسة. فدعا رسول الله ﷺ خامس خمسة، فتبعهم رجل، فقال النبي ﷺ: «إنك دعوتنا خامس خمسة وهذا رجل قد تبعنا، فإن شئت أذنت له وإن شئت تركته». قال: بل أذنتُ له. وأخرجه مسلم (2/ 176) عن أبي مسعود نحوه، وفيه: فرأى رسول الله ﷺ فعرف في وجهه الجوع، فقال لغلامه: ويحكم! اصنع لنا طعاماً لخمسة نفر. فذكر نحوه.

إطعام خياط

أخرج مسلم (2/ 180) ـ واللفظ له ـ والبخاري عن أنس رضي الله عنه أن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام، فقرَّب إلى رسول الله ﷺ خبزاً من شعير ومرقاً فيه دُبَّاء وقَدِيداً. قال أنس: فرأيت رسول الله ﷺ يتتبع الدبّاء من حوالي الصحفة، فلم أزل أحب الدُّبَّاء منذ يومئذٍ.

* * *

إطعام جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

أخرج البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: إنا يوم الخندق نحفر، فعرضت كُدْية شديدة، فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كُدْية عرضت في الخندق. فقال: «أنا نازل»، ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذَواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أهْيَل ـ أو أهْيَم ـ، فقلت: يا رسول الله، ائذن لي إلى البيت. فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صبر فعندك شيء؟ قالت: عندي شعير وعَنَاق، فذبحتُ العَناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البُرْمة، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت أن تنضَج. فقلت: طُعَيِّم لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان. قال: «كم هو؟» فذكرت له. فقال: «كثير طيب، قل لها: لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي». فقال: «قوموا» فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على امرأته قال: ويحك! جاء النبي ﷺ

بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال: «ادخلوا ولا تَضَاغطوا» فجعل يكسر الخبز، ويجعل عليه اللحم، ويُخَمِّر البرمة والتنورَ إذا أخذ منه، ويقرِّب إلى أصحابه ثم ينزع، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية، قال: «كُلي هذا وأهدي؛ فإن الناس أصابتهم مجاعة». تفرّد به البخاري.

ورواه البيهقي في «الدلائل» عن جابر أتم منه، قال فيه: لمَّا علم النبي ﷺ بمقدار الطعام قال للمسلمين جميعاً: «قوموا إلى جابر قال: فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله! وقلت: جاءنا بخَلْق على صاع من شعير وعنَاق! ودخلت على امرأتي أقول: افتَضحْتُ، جاءك رسول الله ﷺ بالخندق أجمعين!! فقالت: هل كان سألك كم طعامك؟ قلت: نعم، فقالت: الله ورسوله أعلم. قال: فكشفت عنِّي غماً شديداً. قال: فدخل رسول الله ﷺ فقال: «اخدمي ودعيني من اللحم» وجعل رسول الله ﷺ يَثْرُد ويغرف اللحم، ويخمِّر هذا ويخمِّر هذا. فما زال يقرب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين ويعود التنور والقدر أملأ ما كانا؛ ثم قال رسول الله ﷺ: «كُلي وأهدي!!» فلم تزل تأكل وتهدي يومها، وكذلك رواه ابن أبي شيبة وأبسط أيضاً، وقال في آخره: وأخبرني أنهم كانوا ثمانمائة، أو قال: ثلاثَمائة. كذا في البداية (4/ 97).

وأخرجه البخاري أيضاً من وجه آخر عن جابر نحوه وفيه: فصاح رسول الله ﷺ فقال: «يا أهل الخندق، إنَّ جابراً قد صنع سُوراً فحيَّهَلا بكم» فقال رسول الله ﷺ: «لا تُنزلنَّ برمتكم، ولا تخبزنَّ عجينكم حتى أجيء» فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدَم الناس حتى جئت امرأتي فقالت: بكَ وبكَ!! فقلت: قد فعلت الذي قلتِ، فأخرجت له عجيناً فبصق به وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك ثم قال: «ادعي خابزة

فلتخبز معك، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها». وهم ألف، فأقسم الله (لقد) أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإنَّ برمتنا لتغطُّ كما هي، وإن عجيننا (ليخبز) كما هو. وأخرجه مسلم (2/ 178) عن جابر نحوه.

وأخرج الطبراني عن جابر قال: صنعت أمي طعاماً وقالت: اذهب إلى رسول الله ﷺ فادعُه. فجئت النبي ﷺ فسارَرْته فقلت: إن أمي قد صنعت شيئاً. فقال لأصحابه: «قوموا» فقام معه خمسون رجلاً. فجلس على الباب فقال النبي ﷺ: «أدخِلْ عشرة عشرة» فأكلوا حتى شبعوا وفضل نحوُ ما كان. قال الهيثمي (8/ 308): رجاله وثُقُّوا.

* * *

إطعام أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه

أخرج مسلم (2/ 178) عن أنس رضي الله عنه قال: قال أبو طلحة لأم سُلَيْم رضي الله عنهما: قد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرفُ فيه الجوع فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخذت خماراً لها فلفَّت الخبز ببعضه ثم دسته تحت ثوبي وردَّتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ. قال: فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ جالساً في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «أرسلكَ أبو طلحة؟» (قال): فقلت: نعم، فقال: «ألطعام؟» فقلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «قوموا» قال: فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة: يا أم سُلَيْم، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي

رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ معه حتى دخلا، فقال رسول الله ﷺ: «هلمي ما عندك يا أُم سُلَيْم» فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففُتَّ وعَصرت عليه أُم سُلَيْم عُكَّة له فأَدَمَتْه، ثم قال فيه رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة» حتى أكل القوم كلهم وشبعوا؛ والقوم سبعون رجلاً أو ثمانون. وأخرجه أيضاً البخاري عن أنس بنحوه كما في «البداية» (9/ 105) والإمام أحمد، وأبو يعلى، والبَغَوي كما بسط طرق أحاديثهم وألفاظهم في البداية. وأخرجه الطبراني أيضاً كما في «المجمع» (8/ 306) وقال: رواه أبو يَعْلى، الطبراني وزاد: وهم زهاء مئة. ورجالهما رجال الصحيح.

* * *

إطعام الأشعث بن قيس الكندي رضي الله عنه

أخرج الطبراني عن قيس بن أبي حازم قال: لمّا قُدم بالأشعث أسيراً على أبي بكر رضي الله عنهما أطلق وثاقه وزَوَّجه أخته، فاخترط سيفه ودخل سوق الإبل فجعل لا يرى جملاً ولا ناقة إلَّا عرقبه، فصاح الناس: كفر الأشعث! فلما فرغ طرح سيفه وقال: إني ـ والله ـ ما كفرت، ولكني زوَّجني هذا الرجل أخته ولو كنا في بلادنا كانت (لنا) وليمة غير هذه، يا أهل المدينة (انحروا) وكلوا، ويا أصحاب الإبل تعالَوا خذوا شرواها. كذا في «الإصابة» (1/ 51) و «المجمع» (9/ 415). قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير عبد المؤمن بن علي وهو ثقة.

إطعام أبي برزة رضي الله عنه

أخرج ابن سعد (4/ 35) عن الحسن بن حكيم عن أمه أنها كانت لأبي بَرْزة رضي الله عنه جَفْنة من ثريد غدوة وجفنة عشية للأرامل واليتامى والمساكين.

* * *

ضيافة الأضياف الواردين إلى المدينة الطيبة

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 374) عن طلحة بن عمرو رضي الله عنه قال: كان الرجل إذا قدم على النبي ﷺ إن كان له عريف بالمدينة نزل عليه، فإذا لم يكن له عريف نزل مع أصحاب الصُّفَّة ـ رضي الله عنهم ـ. قال: فكنت فيمن نزل الصفَّة، فوافقت رجلاً، فكان يَجري علينا من رسول الله ﷺ كل يوم مدٌّ من تمر بين رجلين. فسلَّم ذات يوم من الصلاة فناداه رجل منا فقال: يا رسول الله، قد أحرق التمر بطوننا، وتخرّقت عنا الخُنُف ـ والخنف برود شبه اليمانية ـ قال: فمال النبي ﷺ إلى منبره فصعده، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر ما لقي من قومه فقال: «لقد مكثت أنا وصاحبي بضع عشرة ليلة ما لنا طعام إلا البرير» ـ والبرير ثم الأرَاك ـ قال: «فقدمنا على إخواننا من الأنصار وعُظْم طعامهم التمر، فواسَوْنا فيه؛ فوالله لو أجد لكم الخبز واللحم لأطعمتكم، ولكن لعلكم تدركون زماناً أو من أدركه منكم تلبسون فيه مثل أستار الكعبة، ويُغدى ويُراح عليكم بالجِفَان». وأخرجه أيضاً الطبراني، والبزار بنحوه. قال الهيثمي (10/ 323): رجال البزار رجال الصحيح غير محمد بن عثمان العقيلي وهو ثقة. انتهى.

وأخرجه ابن جرير كما في «الكنز» (4/ 41) وأحمد، والحاكم، وابن حِبَّان كما في «الإِصابة» (2/ 231).

وأخرج الطبراني عن فَضالة الليثي رضي الله عنه قال: قدمنا على

رسول الله ﷺ فكان من كان له عريف نزل على عريفه، ومن لم يكن له عريف نزل الصفَّة، فلم يكن لي عريف فنزلت الصفَّة، فناداه رجل يوم الجمعة فقال: يا رسول الله، أحرق بطوننا التمر. فقال رسول الله ﷺ: «توشكون أنَّ من عاش منكم يُغدى عليه بالجفان ويُراح، وتكتسون كما تُستر الكعبة». وفيه المقدام بن داود وهو ضعيف، وقد وُثِّق، وبقية رجاله ثقات؛ كما قال الهيثمي (10/ 323).

وأخرج البيهقي عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلِّي بأصحابه ثم ينصرف فيقول لأصحابه: «ليأخذ كل رجل بقدر ما عنده»، فيذهب الرجل بالرجل والرجلين والثلاثة، ويذهب رسول الله ﷺ بالباقين. كذا في «الكنز» (5/ 65).

وأخرج أبو نُعَيم في «الحِلية» (1/ 341) عن محمد بن سيرين قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمسى قَسَم ناساً من أهل الصُّفَّة بين ناس من أصحابه، فكان الرجل يذهب بالرجل، والرجل يذهب بالرجلين، والرجل يذهب بالثلاثة، حتى ذكر عَشَرة؛ فكان سعد بن عبادة رضي الله عنه يرجع كل ليلة إلى أهله بثمانين منهم يعشِّيهم. وأخرجه أيضاً ابن أبي الدنيا وابن عساكر نحوه مختصراً كما في «منتخب الكنز» (5/ 190).

وأخرج أبو نُعَيم في «الحِلْية» (1/ 238) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مرّ بي رسول الله ﷺ فقال: «أبا هر» فقلت: لبيك يا رسول الله. قال: «الحَقْ أهل الصفَّة فادعُهم» قال: وأهل الصفة أضياف الإِسلام لا يأوون على أهل ولا مال، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها. صحيح متفق عليه.

وأخرج أيضاً (1/ 352) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت من

أهل الصفَّة، فكنَّا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ، فيأمر كل رجل فينصرف برجل، فيبقى من بقي من أهل الصفّة عشرة أو أكثر أو أقل، فيُؤتى النبي ﷺ بعشائه فنتعشى معه؛ فإذا فرغنا قال رسول الله ﷺ: «ناموا في المسجد» قال: فمرَّ عليَّ رسول الله ﷺ وأنا نائم على وجهي، فغمزني برجله وقال: «يا جندب ما هذه الضجعة؟ فإنها ضجعة الشيطان».

وأخرج أيضاً (1/ 374) عن طِخْفَة بن قيس رضي الله عنه قال: أمر رسول الله ﷺ أصحابه، فجعل الرجل يذهب بالرجل، والرجل يذهب بالرجلين، حتى بقيت في خامس خمسة. قال: فقال لنا رسول الله ﷺ: «انطلقوا» فانطلقنا معه إلى عائشة رضي الله عنها فقال: «يا عائشة أطعمينا، اسقينا» فجاءت بجَشِيشَةٍ. قال: فأكلنا، ثم جاءت بحَيْسة مثل القطاة فأكلنا. ثم قال: «يا عائشة اسقينا» فجاءت بقَدَح صغير من لبن فشربنا؛ ثم قال: «إن شئتم بتم، وإن شئتم انطلقتم إلى المسجد». قال: قلنا: ننطلق إلى المسجد. قال: فبينا أنا مضطجع في المسجد على بطني إذ رجل يحركني برجله، فقال: «إن هذه ضجعة يُبغضها الله». قال: فنظرت فإذا هو رسول الله ﷺ.

وأخرج الطبراني وأبو نُعَيم عن جَهْجاه الغفاري رضي الله عنه قال: قدمت في نفر من قومي يريدون الإِسلام، فحضروا مع رسول الله ﷺ. فلما سلّم قال: «يأخذ كل رجل بيد جليسه»، فلم يبقَ في المسجد غيرُ رسول الله ﷺ وغيري ـ وكنت عظيماً طويلاً لا يقدِمُ عليَّ أحد ـ فذهب بي رسول الله ﷺ إلى منزله، فحلب لي عنزاً فأتيت عليها (ثم بصنيع برمة فأتيت عليه)، حتى حلب لي سبع أعنز فأتيت عليها، وقالت أم أيمن رضي الله عنها: أجاع الله من أجاع رسول الله الليلة!! قال: «مَهْ يا أم

أيمن، أكل رزقه ورزقنا على الله» فأصبحوا فغدَوا واجتمع هو وأصحابه، فجعل الرجل يخبر بما أُتي إليه، فقلت: حُلبت لي سبع أعنز فأتيت عليها، وصنيع برمة فأتيت عليها؛ فصلُّوا مع رسول الله ﷺ المغرب فقال: «ليأخذ كل رجل بيد جليسه» فلم يبقَ في المسجد غير رسول الله ﷺ وغيري ـ وكنت عظيماً طويلاً لا يُقدِمُ عليَّ أحد ـ، فذهب بي رسول الله ﷺ فحلب لي عنزاً فرويت وشبعت، فقالت أم أيمن: يا رسول الله، أليس هذا ضيفَنا؟ فقال: «بلى». فقال رسول الله ﷺ: «إنه أكل في مِعَى مؤمن الليلة، وأكل قبل ذلك في مِعَى كافر. الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في مِعَى واحد». كذا في «الكنز» (1/ 93). وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة نحوه كما في الإصابة (1/ 253)، والبزَّار (2891)، وأبو يَعْلى (916) كما في «المجمع» (5/ 31) وقال: فيه موسى بن عبيدة الرَّبَذِي وهو ضعيف.

وأخرج البيهقي عن واثِلة بن الأسْقَع رضي الله عنه قال: حضر رمضان ونحن في أهل الصفة فصُمْنا. فكنا إذا أفطرنا أتى كلَّ رجلٍ منا رجلٌ من أهل البَيْعة فانطلق به فعشّاه، فأتت علينا ليلة لم يأتنا أحد وأصبحنا صباحاً، وأتت علينا القابلة فلم يأتنا أحد، فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فأخبرناه بالذي كان من أمرنا، فأرسل إلى كل امرأة من نسائه يسألها هل عندها شيء؟ فما بقيت منهن امرأة إلا أرسلت تقسم ما أمسى في بيتها ما يأكل ذو كبد، فقال لهم رسول الله ﷺ: «(اجتمعوا)». فاجتمعوا، فدعا وقال: «اللهّم إني أسألك من فضلك ورحمتك، فإنها بيدك لا يملكها أحد غيرك»، فلم يكن إلا ومستأذن يستأذن، فإذا بشاة مَصْلِيَّة ورُغُف، فأمر بها رسول الله ﷺ فوضعت بين أيدينا، فأكلنا حتى شبعنا. فقال لنا رسول الله ﷺ: «إنا سألنا الله من فضله ورحمته، فهذا

فضله وقد ادَّخر لنا عنده رحمته». كذا في «البداية» (6/ 120).

وأخرج البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء، وأن النبي ﷺ قال مرة: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس» ـ أو سادس أو كما قال ـ وأن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق النبي ﷺ بعشرة، وأبو بكر رضي الله عنه بثلاثة. قال: فهو أنا وأبي وأمي ـ ولا أدري هل قال: امرأتي ـ وخادم بين بيتنا وبيت أبي بكر، وأن أبا بكر تعشَّى عند النبي ﷺ ثم لبث حتى صلى العشاء، ثم رجع فلبث حتى تعشَّى رسول الله ﷺ؛ فجاء بعدما مضى من الليل ما شاء الله. قالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك ـ أو ضيفك؟ ـ قال: أوَ ما عشيتِهم؟ قالت: أبَوا حتى تجيء؛ قد عرضوا عليهم فغلبوهم، فذهبتُ فاختبأتُ، فقال: يا غُنْثَر، فجدَّع وسبَّ وقال: كلوا، وقال: لا أطعمه أبداً (قال: وايْمُ الله) ما كنا نأخذ مِنْ لقمة إلا رَبَا من أسفلها أكثر منها، حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل. فنظر أبو بكر فإذا شيء أو أكثر! فقال لامرأته: يا أخت بني فِراس، قالت: لا ـ وقرةِ عيني ـ لهي الآن أكثر ما قبل بثلاث مرار. فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان الشيطان ـ يعني يمينه ـ ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلى النبي ﷺ، فأصبحتْ عنده؛ وكان بيننا وبين قوم عهد، فمضى الأجل، فعَرَّفنا اثني عشر رجلاً مع كل رجل منهم أُناس، الله أعلم كم مع كل رجل، غير أنه بعث معهم، قال: فأكلوا منها أجمعون ـ أو كما قال ـ وغيرهم يقول: فتفرقنا. وقد رواه في مواضع أخر من صحيحه، ورواه مسلم كذا في «البداية» (6/ 112).

وأخرج الدارقطني في كتاب «الأسخياء» عن يحيى بن عبد العزيز

قال: كان سعد بن عبادة يغزو سنة ويغزو ابنه قيس بن سعد رضي الله عنهما سنة، فغزا سعد مع الناس فنزل برسول الله ﷺ ضيوف كثير مسلمون، فبلغ ذلك سعداً وهو في ذلك الجيش فقال: إن يك قيس ابني فسيقول: يا نِسْطاس هات المفاتيح، أخرج لرسول الله ﷺ حاجته، فيقول نِسطاس: هات من أبيك كتاباً، فيدقُّ أنفه ويأخذ المفاتيح، ويُخرج لرسول الله ﷺ حاجته؛ فكان الأمر كذلك، وأخذ قيس لرسول الله ﷺ مائة وَسْق كذا في «الإِصابة» (3/ 553).

وأخرج الطبراني عن ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها قالت: أجدب الناس سنة، وكانت الأعرب يأتون المدينة، وكان النبي ﷺ يأمر الرجل فيأخذ بيد الرجل فيضِّيفه ويعشِّيه؛ فجاء أعرابي ليلة وكان لرسول الله ﷺ طعام يسير وشيء من لبن فأكله الأعرابي ولم يدع للنبي ﷺ شيئاً، فجاء به ليلة ـ أو ليلتين ـ فجعل يأكله كله، فقلت لرسول الله ﷺ: اللهمَّ لا تبارك في هذا الأعرابي يأكل طعام رسول الله ﷺ ويدعه. ثم جاء به ليلة فلم يأكل من الطعام إلا يسيراً، فقلت لرسول الله ﷺ ذاك ـ وجاء به وقد أسلم ـ فقال: «إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء، وإن المؤمن يأكل في مِعَى واحد». قال الهيثمي (5/ 33): رواه الطبراني بتمامه، وروى أحمد آخره، ورجال الطبراني رجال الصحيح. انتهى.

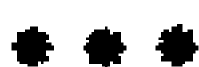
وأخرج ابن سعد (3/ 228) عن أسلم قال: لمَّا كان عام الرمادة تجلَّبت العرب من كل ناحية فقدموا المدينة. فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أمر رجالاً يقومون عليهم ويقسمون عليهم أطعمتهم وإدامهم، فكان يزيد ابن أخت النمر، وكان المِسْوَر بن مَخْرَمة، وكان عبد الرحمن بن عبد القاريّ، وكان عبد الله بن عتبة بن مسعود رضي الله

عنهم، فكانوا إذا أمسَوا اجتمعوا عند عمر فيخبرونه بكل ما كانوا فيه، وكان كل رجل منهم على ناحية من المدينة؛ وكان الأعراب حلولاً فيما بين رأس الثنية إلى راتج، إلى بني حارثة، إلى بني عبد الأشهل، إلى البقيع، إلى بني قريظة، ومنهم طائفة بناحية بني سَلِمة؛ هم محدقون بالمدينة. فسمعت عمر يقول ليلة ـ وقد تعشَّى الناس عنده ـ أحصُوا من تعشَّى عندنا. فأحصَوهم من القابلة فوجدوهم سبعة آلاف رجل. وقال: أحصوا العيالات الذين لا يأتون والمرضى والصبيان فأحصَوا فوجدوهم أربعين ألفاً!!.

ثم مكثنا ليالي فزاد الناس، فأمر بهم، فأُحصوا، فوجدوا من تعشَّى عنده عشرة آلاف والآخرين خمسين ألفاً. فما برحوا حتى أرسل الله السماء، فلما مطرت رأيت عمر قد وكل كل قوم من هؤلاء النفر بناحيتهم يُخرجونهم إلى البادية، ويعطونهم قوتاً وحُمْلاناً إلى باديتهم؛ ولقد رأيت عمر يخرجهم هو بنفسه. قال أسلم: وقد كان وقع فيهم الموت فأراه مات ثلثاهم وبقي ثلث، وكانت قدور عمر يقوم إليها العمال في السَّحَر يعملون الكركور حتى يصبحوا، ثم يطعمون المرضى منهم، ويعملون العصائد وكان عمر يأمر بالزيت فيفار في القدور الكبار على النار حتى يذهب حمته وحره، ثم يُثْرَد الخبز ثم يؤدَم بذلك الزيت. فكانت العرب يُحمُّون من الزيت. وما أكل عمر في بيت أحد من ولده ولا بيت أحد من نسائه ذَواقاً زمان الرمادة؛ إلَّا ما يتعشَّى مع الناس حتى أحيا الله الناس أول ما أُحْيَوا.

وأخرج ابن سعد (3/ 315) عن فراس الديلمي قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينحر كل يوم على مائدته عشرين جزوراً من جُزُر بعث بها عَمْرو بن العاص رضي الله عنه من مصر. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 387).

وأخرج الدِينَوَري، وابن شاذان، وابن عساكر عن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه طاف ليلة، فإذا هو بامرأة في جوف دار لها وحولَها صبيان يبكون. وإذا قِدْر على النار قد ملأتها ماءً، فدنا عمر من الباب فقال: يا أمةَ الله، ما بكاء هؤلاء الصبيان؟ قالت: بكاؤهم من الجوع، قال: فما هذا القدر التي على النار؟ قالت: قد جعلت ماءً هو ذا أعلِّلهم به حتى يناموا وأوهمهم أن فيها شيئاً. فبكى عمر، ثم جاء إلى دار الصَّدَقة، وأخذ غِرارة، وجعل فيها شيئاً من دقيق وشحم وسمن وتمر وثياب ودراهم حتى ملأ الغِرارة، ثم قال: يا أسلم احملْ عليَّ. فقلت: يا أمير المؤمنين أنا أحمله عنك. فقال لي: لا أمَّ لك يا أسلم! أنا أحمله لأني أنا المسؤول عنهم في الآخرة؛ فحمله حتى أتى به منزل المرأة، فأخذ القدر فجعل فيها دقيقاً وشيئاً من شحم وتمر وجعل يحركه بيده وينفخ تحت القِدْر، فرأيت الدخان يخرج من خَلَل لحيته حتى طبخ لهم، ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا. ثم خرج وربض بحذائهم كأنه سَبُع وخفت أن أكلّمه، فلم يزل كذلك حتى لعب الصبيان وضحكوا. ثم قام فقال: يا أسلم تدري لم ربضت بحذائهم؟ قلت: لا، قال: رأيتهم يبكون، فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى أراهم يضحكون، فلما ضحكوا طابت نفسي. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 415). وذكر في «البداية» (7/ 136) عن أسلم قال: خرجت ليلة مع عمر إلى حرَّة واقِمَ حتى إذا كنا بصرار إذا بنار، فقال: يا أسلم ها هنا رَكْبٌ قد قَصَّر بهم الليل، انطلق بنا إليهم. فأتيناهم، فإذا امرأة معها صبيان لها ـ فذكره بمعناه. وأخرجه الطبري (5/ 20) بمعناه مع زيادات.



تقسيم الطعام

أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: أهدى الأُكَيْدِر إلى النبي ﷺ جرة مِنْ مَنٍّ. فلما انصرف ﷺ من الصلاة مرّ على القوم، فجعل يعطي كل رجل منهم قطعة، وأعطى جابراً قطعة، ثم إنه رجع إليه فأعطاه قطعة أُخرى فقال: إنك قد أعطيتني مرة؛ فقال: «هذه لبنات عبد الله». كذا في «جمع الفوائد» (1/ 297). قال الهيثمي (5/ 44): وفيه علي بن زيد وفيه ضعف ومع ذلك فحديثه حسن.

وعند ابن جرير عن الحسن رضي الله عنه قال: أهدى أكَيْدِر دومة الجندل إلى رسول الله ﷺ جرة فيها المنُّ الذي رأيتم، وبالنبي ﷺ وأهل بيته يومئذٍ ـ والله ـ بها حاجة. فلما قضى الصلاة أمر طائفاً فطاف بها على أصحابه، فجعل الرجل يدخل يده فيستخرج فيأكل، فأتى على خالد بن الوليد رضي الله عنه فأدخل يده فقال: يا رسول الله أخذ القوم مرة وأخذت مرتين، فقال: «كل وأطعم أهلك». كذا في «الكنز» (4/ 47).

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قسم النبي ﷺ يوماً بين أصحابه تمراً فأعطى كل إنسان سبعاً، وأعطاني سبعاً إحداهن حَشَفَة، فكانت أعجَبهن إليَّ لأنها شدت في مضاغي.

وعند مسلم (2/ 18) عن أنس رضي الله عنه قال: أُتيَ رسول الله ﷺ بتمر فجعل النبي ﷺ يقسمه وهو مُحْتَفِز، يأكل منه أكلاً ذريعاً.

وأخرج ابن عبد الحَكَم عن الليث بن سعد أن الناس بالمدينة أصابهم جَهْد شديد في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة الرمادة، فكتب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو بمصر:

«من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاصي ابن العاصي، سلام، أما بعد: فلعمري ـ يا عمرو ـ ما تبالي إذا شبعت أنت ومن معك أن أَهْلِكَ ومن معي، فيا غوثاه، ثم يا غوثاه!».

ويردّد قوله.

فكتب إليه عمرو بن العاص:

«لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص أما بعد: فيا لبيك، ثم يا لبيك، وقد بعثت إليك بِعِيرٍ أولها عندك وآخرها عندي. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

وبعث عمرو بعيرٍ عظيمة، فكان أولها بالمدينة وآخرها بمصر، يتبع بعضها بعضاً، فلما قدمت على عمر وسَّع بها على الناس، ودفع إلى أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بَعيراً بما عليه من الطعام، وبعث عبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم يقسمونها على الناس، فدفعوا إلى أهل كل بيت بعيراً بما عليه من الطعام أن يأكلوا الطعام وينحروا البعير، فيأكلوا لحمه ويأتدموا شحمه، ويحتذوا جلده، وينتفعوا بالوعاء الذي كان فيه الطعام لما أرادوا من لحاف أو غيره؛ فوسَّع الله بذلك على الناس ـ فذكر الحديث بطوله في حفر الخليج من النيل إلى القلزم لحمل الطعام إلى المدينة ومكة. كذا في «المنتخب» (4/ 398).

وأخرجه أيضاً ابن خُزَيمة والحاكم، والبيهقي عن أسلم قال: كتب عمر بن الخطاب في عام الرمادة إلى عمرو بن العاص ـ فذكره، وفيه: فلما قدم أول عير دعا الزبير فقال: اخرج في أول هذه العير فاستقبل بها نجداً، فاحمل إليَّ أهل كل بيت قدرت أن تحملهم إليَّ، ومن لم تستطع حمله فمر لكل أهل بيت ببعير بما عليه، ومرهم فليلبسوا كسائين ولينحروا البعير، فليجمّلوا شحمه، وليقددوا لحمه، وليحذوا جلده، ثم ليأخذوا كُبة من قديد وكبة من شحم وحفنة من دقيق فليطبخوا ويأكلوا حتى يأتيهم الله برزق. فأبى الزبير أن يخرج، فقال: أما ـ والله ـ لا تجد مثلها حتى تخرج من الدنيا، ثم دعا آخر ـ أظنُّه طلحة رضي الله عنه ـ فأبى، ثم دعا أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فخرج في ذلك ـ فذكر الحديث في إعطاء عمر أبا عبيدة ألف دينار وردّه ثم قبوله على ما قاله له عمر، كذا في «المنتخب» (4/ 396) وسيأتي. وتقدَّم قَسْمه ﷺ الطعام في الأنصار وبني ظَفَر في إكرام الأنصار وخدمتهم.

* * *

إكساء الحلل وقسمها

أخرج أبو نُعَيم عن حِبان بن جُزْء السُّلَمي عن أبيه رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ بذلك الأسير، فكسا جُزْءاً بُرْدَين، وأسلم جزء عنده، ثم قال: «أدخل على عائشة تعطيك من الأبردة التي عندها بُرْدَين»، فدخل على عائشة فقال: أي - نضَّرك الله - اختاري لي من هذه الأبردة التي عندك بردَين، فإن نبي الله ﷺ كساني منها بردَين، فقالت - ومدَّت سواكا من أراك طويلاً -: خذ هذا، وخذ هذا. وكانت نساء العرب لا يُرَين، كذا في «المنتخب» (5/ 153).

وأخرج ابن سعد عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قدم على عمر رضي الله عنه حُلَلٌ من اليمن فكسا الناس، فراحوا في الحلل وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه فيسلِّمون عليه ويدعُون له، فخرج الحسن، والحسين رضي الله عنهما من بيت أمهما فاطمة رضي الله عنها يتخطَّيان الناس، وليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب صارٌّ بين عينيه، ثم قال: والله ما هنأ لي ما كسوتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطَّيان الناس وليس عليهما منها شيء، كَبُرت عنهما وصغرا عنها، ثم كتب إلى اليمن: أن أبعث بحلَّتين لحسنٍ، وحسينٍ وعجِّل. فبعث إليه بحلَّتين فكساهما، كذا في «كنز العمال» (7/ 106). وقد تقدَّم قصة أُسيد بن حضير، ومحمد بن مَسْلَمة مع عمر رضي الله عنهم في قَسْمه الحلل بين

الناس في إكرام الأنصار، وإعطاء عمر أم عمارة رضي الله عنها المِرْط الجيد لأنها كانت تقاتل يوم أُحد في قتال النساء.

وأخرج الزبير بن بكار عن محمد بن سلّام قال: أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشَّفَّاء بنت عبد الله العدويَّة رضي الله عنها أن اغدي عليَّ. قالت: فغدَوت عليه فوجدت عاتكة بنت أَسَيْد بن أبي العِيص رضي الله عنها ببابه، فدخلنا فتحدثنا ساعة، فدعا بنَمَط فأعطاها إياه، ودعا بنمط دونه فأعطانيه؛ قالت: فقلت: يا عمر أنا قبلها إسلاماً، وأنا بنت عمك دونها، وأرسلتَ إليَّ وأتتك من قِبَل نفسها؛ قال: ما كنتُ رفعت ذلك إلا لك، فلما اجتمعتما تذكرتُ أنها أقرب إلى رسول الله ﷺ منك. كذا في «الإصابة» (4/ 356).

وأخرج ابن عساكر، وأبو موسى المديني في كتاب استدعاء اللباس عن أصْبَغ بن نُباتة قال: جاء رجل إلى علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي إليك حاجة قد رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن أنت قضيتها حمدتُ الله وشكرتُك، وإن لم تقضِها حمدت الله وعذرتك؛ فقال علي: أكتب على الأرض؛ فإني أكره أن أرى ذلّ السؤال في وجهك، فكتب: إني محتاج، فقال علي: عليَّ بحلّة، فأُتيَ بها فأخذها الرجل فلبسها ثم أنشأ يقول:

كسوتَني حلّةً تبلَى مَحاسنُها
فسوفَ أكسوكَ من حُسْنِ الثَّنا حُلَلا
إنْ نلتَ حُسْنَ ثنائي نلتَ مكرمةً
ولستَ تبغي بما قد قلتُه بَدَلا
إنَّ الثناءَ لَيُحيي ذكر صاحبِهِ
كالغيثِ يُحيي نَدَاه السهلَ، والجَبَلا

لا تـزْهـدِ الـدهـرَ فـي خـيـرٍ تُـوفِّـقُـهُ
فـكـلُّ عـبـدٍ سـيُـجـزَى بـالـذي عَـمِـلا!

فقال علي: عليَّ بالدنانير! فأُتي بمائة دينار فدفعها إليه، قال الأصبغ: فقلت: يا أمير المؤمنين، حلة ومائة دينار؟! قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنزلوا الناس منازلهم» وهذه منزلة هذا الرجل عندي. كذا في «الكنز» (3/ 324).

وأخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما: جاءه سائل فقال له ابن عباس: أتشهد أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ قال: نعم، قال: وتصوم رمضان؟ قال: نعم، قال: سألت وللسائل حق، إنّه لحق علينا أن نصلك؛ فأعطاه ثوباً ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم (كسا) مسلماً ثوباً إلا كان في حفظ الله ما دام عليه منه خرقة». كذا في «جمع الفوائد» (1/ 147).

* * *

إطعام المجاهدين

أخرج أبو بكر في «الغيلانيات» وابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث بَعْثاً عليهم قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما، فجهِدوا، فنحر لهم قيس تسع ركائب. فلما قدموا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت». وعند ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: أقبل أبو عبيدة ومعه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال لقيس بن سعد: عزمتُ عليك أن لا تنحر. فلما نحر وبلغ النبي ﷺ قال: «إنه في بيت جود» ـ يعني في غزوة الخَبَط ـ. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 260).

وعند الطبراني عن جابر قال: مرَّ علينا قيس بن سعد بن عبادة على عهد رسول الله ﷺ فأصابتنا مخمصة، فنحر لنا سبع جزائر، فهبطنا ساحل البحر، فإذا نحن بأعظم حوت، فأقمنا عليه ثلاثاً، حملنا منه ما شئنا من وَدَك في الأسقية والغرائر، وسرنا حتى قدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بذلك فقالوا: «لو نعلم أنا ندركه قبل أن يُرْوِحَ أحببنا أن لو كان عندنا منه». قال الهيثمي (5/ 37): وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث، قال عبد الملك بن شعيب بن الليث: ثقة مأمون وضعَّفه أحمد وغيره، وأبو حمزة الخولاني لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج أبو عُبَيد عن قيس بن أبي حازم قال: جاء بلال إلى عمر

رضي الله عنهما حين قدم الشام وعنده أمراء الأجناد، فقال: يا عمر، يا عمر، فقال عمر: هذا عمر. فقال: إنك بين هؤلاء وبين الله، وليس بينك وبين الله أحد، فانظر مَنْ بين يديك ومَنْ عن يمينك ومَنْ عن شمالك، فإنَّ هؤلاء الذين جاؤوك ـ والله ـ إن يأكلوا إلا لحوم الطير، فقال عمر: صدقت، لا أقوم من مجلسي هذا حتى تكفَّلوا لي لكل رجل من المسلمين بمُدَّيْ برّ وحظهما من الخل والزيت، قالوا: تكفلنا لك يا أمير المؤمنين، هو علينا، قد أكثر الله من الخير وأوسع، قال: فنعم إذاً. كذا في «الكنز» (2/ 318). وأخرجه الطبراني أيضاً عن قيس نحوه، قال الهيثمي (5/ 213): ورجاله رجال الصحيح خلا عبد الله بن أحمد وهو ثقة مأمون.

* * *

كيف كانت نفقة النبي ﷺ

أخرج البيهقي عن عبد الله الهوزني قال: لقيت بلالاً رضي الله عنه مؤذن رسول الله ﷺ بحلب، فقلت: يا بلال، حدثني كيف كانت نفقة رسول الله ﷺ؟ فقال: ما كان له شيء إلا أنا الذي كنت ألي ذلك منه منذ بعثه الله إلى أن توفي، فكان إذا أتاه (الإنسان) المسلم فرآه عائلاً يأمرني فأنطلق فأستقرض فأشتري البُرْدة والشيء فأكسوه وأطعمه، حتى اعترضني رجل من المشركين، فقال: يا بلال، إن عندي سَعَة فلا تستقرض من أحد إلا مني. ففعلت. فلما كان ذات يوم توضأت ثم قمت لأؤذن بالصلاة، فإذا المشرك في عصابة من التجار فلما رآني قال: يا حبشي. (قال): قلت: يا لبيهْ. فتجهمني وقال قولاً عظيماً ـ أو غليظاً ـ وقال: أتدري كم بينك وبين الشهر؟ قلت: قريب، قال: إنما بينك وبينه أربع ليالٍ، فآخذك بالذي لي عليك، فإني لم أعطك الذي أعطيتك من كرامتك ولا من كرامة صاحبك، وإنما أعطيتك لتصير لي عبداً فأذرك ترعى في الغنم كما كنت قبل ذلك؛ قال: فأخذني في نفسي ما يأخذ في أنفس الناس، فانطلقت فناديت بالصلاة حتى إذا صلَّيت بالعَتَمة، ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله فاستأذنت عليه فأذن لي، فقلت: يا رسول الله ـ بأبي أنت وأمي ـ إنَّ المشرك الذي ذكرت لك أني (كنت) أتديَّن منه قد قال كذا وكذا، وليس عندك ما يقضي عني ولا عندي وهو فاضحي، فأذن لي أن آتي (إلى) بعض هؤلاء الأحياء الذين قد أسلموا حتى يرزق الله رسوله ﷺ ما يقضي عني.

فخرجت حتى أتيت منزلي فجعلت سيفي وحرابي ورمحي ونعلي عند رأسي فاستقبلت بوجهي الأفق، فكلما نمت انتبهت، فإذا رأيت عليَّ ليلاً نمت حتى انشق عمود الصبح الأول، فأردت أن أنطلق فإذا إنسان يدعو: يا بلال أجبْ رسول الله ﷺ. فانطلقت حتى آتيه، فإذا أربع ركائب عليهن أحمالهن، فأتيت رسول الله ﷺ فاستأذنت، فقال لي رسول الله: «أبشر، فقد جاءك الله بقضاء دينك». فحمدت الله، وقال: «ألم تمرّ على الركائب المناخات الأربع؟» قال: قلت: بلى، قال: «فإن لك رقابهن وما عليهن - فإذا عليهنَّ كسوة وطعام أهداهنَّ له عظيم فَدَك - فاقْبضهن إليك ثم اقضِ دينك» قال: ففعلت، فحططت عنهنَّ أحمالهنَّ، ثم علفتهنَّ، ثم عمدت إلى تأذين صلاة الصبح؛ حتى إذا صلَّى رسول الله ﷺ خرجت إلى البقيع، فجعلت أصبعي في أذنيَّ فقلت: من كان يطلب من رسول الله ﷺ دَيْناً فليحضر. فما زلت أبيع وأقضي وأعرض حتى لم يبقَ على رسول الله ﷺ دَيْن في الأرض حتى فضل عندي أوقيتان أو أوقية ونصف. ثم انطلقت إلى المسجد وقد ذهب عامة النهار فإذا رسول الله ﷺ قاعد في المسجد وحده، فسلَّمت عليه فقال (لي): «ما فعل ما قِبَلك؟» قلت: قضى الله كل شيء كان على رسول الله ﷺ فلم يبقَ شيء، قال: «فَضَل شيء؟» قلت: نعم، ديناران؛ قال: «انظر أن تريحني منهما؛ فلست بداخل على أحد من أهلي حتى تريحني منهما». فلم يأتنا أحد، فبات في المسجد حتى أصبح وظل في المسجد اليوم الثاني، حتى إذا كان في آخر النهار جاء راكبان، فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما، حتى إذا صلَّى العَتَمة دعاني فقال: «ما فعل الذي قِبَلك؟» قلت: قد أراحك الله منه، فكبَّر وحمد الله شفقاً من أن يدركه الموت وعنده ذلك، ثم اتَّبعته حتى جاء أزواجه فسلَّم على امرأة امرأة حتى أتى مبيته. فهذا الذي سألتني عنه. كذا في «البداية» (6/ 55). وأخرجه الطبراني أيضاً عن عبد الله نحوه، كما في «الكنز» (4/ 39).

قسم المال

قسم النبي ﷺ المال وكيف كان قسمه

أخرج الطبراني عن أم سَلَمة رضي الله عنها قالت: إني لأعلم أكثر مال قدم على النبي ﷺ حتى قبضه الله تعالى، قدم عليه في جُنْح الليل خريطة فيها ثمانمائة درهم وصحيفة، فأرسل بها إليّ وكانت ليلتي، ثم انقلب بعد العشاء الآخرة فصلَّى في الحجرة في مصلَّاه وقد مهدت له ولنفسي فأنا أنتظر، فأطال ثم خرج ثم رجع، فلم يزل كذلك حتى دُعِيَ لصلاة الصبح، فصلَّى ثم رجع، فقال: «أين تلك الخريطة التي فتنتني البارحة؟» فدعا بها فقسمها. قلت: يا رسول الله صنعت شيئاً لم تكن تصنعه؟! فقال: «كنت أصلي فأوتى بها، فأنصرف حتى أنظر إليها ثم أرجع فأصلِّي». قال الهيثمي (10/ 325): رواه الطبراني بأسانيد وبعضها جيد.

وأخرج الحاكم (3/ 329) عن حُمَيد بن هلال عن أبي بُرْدة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما أن العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه بعث إلى رسول الله ﷺ من البحرين بثمانين ألفاً، فما أتى رسول الله ﷺ مالٌ أكثر منه لا قبلها ولا بعدها، فأمر بها ونثرت على حصير، ونُودي بالصلاة، فجاء رسول الله ﷺ يميل على المال قائماً، فجاء الناس وجعل يعطيهم، وما كان يومئذٍ عدد ولا وزن وما كان إلا قبضاً؛ فجاء العباس رضي الله عنه فقال: يا رسول الله إني أعطيت فدائي

وفداء عقيل يوم بدر ولم يكن لعقيل مال، أعطني من هذا المال. فقال رسول الله ﷺ: «خذ» فحثى في خَميصة كانت عليه، ثم ذهب ينصرف فلم يستطع، فرفع رأسه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ارفع عليّ. فتبسَّم رسول الله ﷺ (حتى خرج ضاحكه أو نابه، قال: «ولكن أعِدْ في المال طائفة وقم بما تطيق»، ففعل، فانطلق بذلك المال) وهو يقول أمَّا أحد ما وعد الله فقد أنجز لي، ولا أدري الأخرى: ﴿قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: 70]، هذا خير مما أخذ مني، ولا أدري ما يصنع بالمغفرة. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرّجاه. وقال الذهبي: على شرط مسلم. وأخرجه ابن سعد (4/ 9) عن حُمَيد بن هلال بمعناه ولم يذكر أبا بردة ولا أبا موسى.

* * *

قسم أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه المال وتسويته في القسم

أخرج ابن سعد عن سهل بن أبي حَثْمة وغيره أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان له بيت مال بالسُّنح معروف ليس يحرسه أحد، فقيل له: يا خليفة رسول الله ألا تجعل على بيت المال من يحرسه؟ فقال: لا يُخاف عليه، فقلت: لم؟ قال: عليه قفل، وكان يعطي ما فيه (حتى) لا يبقى فيه شيء. فلما تحوَّل أبو بكر إلى المدينة حوَّله فجعل بيت ماله في الدار التي كان فيها، وكان قدم عليه مال من معادن القَبَليَّة ومن معادن جهينة كثير، وانفتح معدن بني سُلَيم في خلافة أبي بكر فقُدم عليه منه بصدقته، فكان يوضع ذلك في بيت المال، فكان أبو بكر يقسمه على الناس نُقَراً نُقَراً، فيصيب كل مائة إنسان كذا وكذا، وكان يسوِّي بين الناس في القَسْم: الحر والعبد والذكر والأنثى والصغير الكبير فيه (سواء)، وكان يشتري الإِبل والخيل والسلاح فيحمل في سبيل الله، واشترى عاماً قطائف أتيَ بها من البادية ففرقها في أرامل أهل المدينة في الشتاء. فلما توفي أبو بكر ودفن دعا عمر بن الخطاب الأمناء ودخل بهم بيت مال أبي بكر ومعه عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان رضي الله عنهم (وغيرهما)، ففتحوا بيت المال فلم يجدوا فيه ديناراً ولا درهماً، ووجدوا خَيْشة للمال فنُفضت فوجدوا فيها درهماً، فترحَّموا على أبي بكر؛ وكان في المدينة وزَّان على عهد رسول الله ﷺ وكان يزن ما كان عند أبي بكر من مال فسئل الوزَّان: كم بلغ ذلك المال الذي ورد على

أبي بكر؟ قال: مائتي ألف. كذا في «الكنز» (3/ 131).

وأخرج أحمد في «الزهد» عن إسماعيل بن محمد أنَّ أبا بكر رضي الله عنه قسم قَسْماً فسوَّى فيه بين الناس، فقال له عمر رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله، تسوِّي بين أصحاب بدر وسواهم من الناس؟! فقال أبو بكر: إنما الدنيا بلاغ وخير البلاغ أوسطه، وإنما فضله في أجورهم. وعند أبي عبيد عن يزيد بن أبي حبيب وغيره أن أبا بكر كُلِّمَ في أن يفضّل بين الناس في القسم، فقال: فضائلهم عند الله، وأما هذا المعاش فالسويّة فيه خير. كذا في «الكنز» (2/ 306).

وعند البيهقي (6/ 348) عن أسلم قال: ولي أبو بكر، فقسم بين الناس بالسوية، فقيل لأبي بكر: يا خليفة رسول الله لو فضَّلت المهاجرين والأنصار، فقال: أشتري منهم شرى، فأما هذا المعاش فالأسوة فيه خير من الأثرة. وعن عمر بن عبد الله مولى غَفْرة قال: قسم أبو بكر أول ما قسم فقال له عمر بن الخطاب: فضّل المهاجرين الأولين وأهل السابقة، فقال: أشتري منهم سابقتهم؟ فقسم فسوَّى.

وأخرج البيهقي أيضاً وابن أبي شيبة، والبزّار، والحسن بن سفيان عن عمر مولى غَفْرة قال: لمَّا توفي رسول الله ﷺ جاء مال من البحرين فقال أبو بكر رضي الله عنه: من كان له على رسول الله ﷺ شيء أو عِدَة فليقم فليأخذ. فقام جابر رضي الله عنه فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «إن جاءني مال من البحرين لأعطينَّك هكذا وهكذا وهكذا» ـ ثلاث مرات حثا بيده ـ فقال له أبو بكر: قم فخذ بيدك، فأخذ فإذا هي خمسمائة درهم، فقال: عدُّوا له ألفاً، وقسم بين الناس عشرة دراهم عشرة دراهم، عشرة دراهم وقال: إنَّما هذه مواعيد وعدها رسول الله ﷺ الناس؛ حتى إذا كان عام مقبل جاءه مال أكثرُ من ذلك المال، فقسم بين

الناس عشرين درهماً عشرين درهماً، وفَضَلت منه فَضْلة فقسم للخدم خمسة دراهم خمسة دراهم، وقال: إن لكم خداماً يخدمون لكم ويعالجون لكم فرضخنا لهم، فقالوا: لو فضّلت المهاجرين والأنصار لسابقتهم ولمكانهم من رسول الله ﷺ، فقال: أجر أولئك على الله، إنَّ هذا المعاش لَلأُسْوة فيه خير من الأَثرة؛ فعمل بهذا ولايته ـ فذكر الحديث كما سيأتي كذا في «الكنز» (3/ 127).

وقد تقدم (489) عدلُ علي رضي الله عنه وتسويته في القَسْم وما قال علي لعربية أعطاها نحو ما أعطى مولاة لها: إني نظرت في كتاب الله عزّ وجلّ فلم أرَ فيه فضلاً لولد إسماعيل على ولد إسحاق عليهما الصلاة والسلام.

* * *

قسم عمر الفاروق رضي الله عنه وتفضيله على السابقة والنسب

أخرج ابن أبي شيبة، والبزار، والبيهقي عن عمر مولى غَفْرة - فذكر الحديث كما تقدَّم آنفاً، وفيه فلما مات أبو بكر رضي الله عنه استخلف عمر رضي الله عنه ففتح الله عليه الفتوح فجاءه أكثر من ذلك، قال: قد كان لأبي بكر في هذا المال رأي ولي رأي آخر، لا أجعل من قاتل رسول الله ﷺ كمن قاتل معه؟ ففضَّل المهاجرين والأنصار، ففرض لمن شهد بدراً منهم خمسة آلاف خمسة آلاف، ومن كان إسلامه قبل إسلام أهل بدر فرض له أربعة آلاف أربعة آلاف. وفرض لأزواج رسول الله ﷺ اثني عشر ألفاً لكل امرأة إلا صفية وجُوَيْرِيَة رضي الله عنهما ففرض لكل واحدة ستة آلاف فأبَينَ أن يأخذنها، فقال: إنما فرضتُ لهنَّ بالهجرة، فقلنَ: ما فرضتَ لهنَّ بالهجرة، إنما فرضت لهنَّ لمكانهنَّ من رسول الله ﷺ ولنا مثل مكانهنّ. فأبصر ذلك فجعلهنَّ سواءً. وفرض للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه اثني عشر ألفاً لقرابة رسول الله ﷺ، وفرض لأسامة بن زيد رضي الله عنه أربعة آلاف، وفرض للحسن، والحسين رضي الله عنهما خمسة آلاف خمسة آلاف، فألحقهما بأبيهما لقرابتهما من رسول الله ﷺ، وفرض لعبد الله بن عمر رضي الله عنه ثلاثة آلاف، فقال: يا أبت فرضت لأسامة بن زيد، وفرضت لي ثلاثة آلاف؟! فما كان لأبيه من الفضل ما لم يكن لك! وما كان له من الفضل ما لم

يكن لي! فقال: «إن أباه كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وهو كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ منك!!.

وفرض لأبناء المهاجرين ممن شهد بدراً ألفين ألفين، فمر به عمر بن أبي سَلَمة رضي الله عنهما فقال: زيدوه ألفاً - أو قال زده ألفاً - يا غلام، فقال محمد بن عبد الله: لأي شيء تزيده علينا؟ ما كان لأبيه من الفضل ما كان لآبائنا! قال: فرضت له بأبي سَلَمة ألفين وزدته بأم سَلَمة رضي الله عنها ألفاً، فإن كانت لك أم مثل أم سَلَمة زدتك ألفاً. وفرض لعثمان بن عبيد الله بن عثمان وهو ابن أخي طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم - يعني عثمان بن عبيد الله - ثمانمائة، وفرض للنضر بن أنس ألفي درهم، فقال له طلحة: جاءك ابن عثمان مثلُه ففرضت له ثمانمائة وجاءك غلام من الأنصار ففرضت له في ألفين، فقال: إني لقيت أبا هذا يوم أحد فسألني عن رسول الله ﷺ فقلت: ما أُراه إلا قد قُتل. فسلّ سيفه وسدَّد زَنْده وقال: إن كان رسول الله ﷺ قد قتل فإنَّ الله حي لا يموت. فقاتل حتى قتل، وهذا يرعى الغنم فتريدون أجعلهما سواءً؟!. فعمل عمر عُمُره بهذا - فذكر الحديث كما سيأتي شيء منه، واللفظ للبزّار كما في «المجمع» (6/ 4)، وقال: وفيه أبو معشر نُجَيح ضعيف يعتبر بحديثه. اهـ.

وعند البيهقي (6/ 350) عن أنس بن مالك رضي الله عنه وابن المسيَّب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب المهاجرين على خمسة آلاف، والأنصار على أربعة آلاف، ومن لم يشهد بدراً من أبناء المهاجرين على أربعة آلاف، فكان منهم: عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وأسامة بن زيد، ومحمد بن عبد الله بن جحش الأسدي، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم، فقال عبد الرحمن بن عوف

رضي الله عنه: إنَّ ابن عمر ليس من هؤلاء إنَّه وإنَّه! فقال ابن عمر: إن كان لي حق فأعطنيه وإلا فلا تعطني. فقال عمر لابن عوف: اكتبه على خمسة آلاف واكتبني على أربعة آلاف، فقال عبد الله: لا أريد هذا، فقال عمر: والله لا أجتمع أنا وأنت على خمسة آلاف. وأخرجه ابن أبي شيبة نحوه، كما في «الكنز» (2/ 315).

وعند ابن عساكر عن زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فرض للناس فرض لعبد الله بن حنظلة رضي الله عنهما ألفي درهم، فأتاه طلحة رضي الله عنه بابن أخ له ففرض له دون ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين، فضَّلت هذا الأنصاري على ابن أخي؟ فقال: نعم، لأني رأيت أباه يستتر بسيفه يوم أُحد كما يستتر الجمل. كذا في «الكنز» (2/ 319).

وأخرج أحمد عن ناشِرَة بن سُميٍّ اليزَني قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الجابية وهو يخطب الناس: إن الله عزّ وجلّ جعلني خازناً لهذا المال وقاسمه، ثم قال: بل الله يقسمه، وأنا بادىء بأهل النبي ﷺ ثم أشرفهم. ففرض لأزواج رسول الله ﷺ عشرة آلاف إلا جويرية، وصفية، وميمونة رضي الله عنهن. قالت عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ كان يعدل بيننا، فعدل بينهنَّ عمر؛ ثم قال: إني بادىء بأصحابي المهاجرين الأوَّلين ـ فإنّا أُخرجنا من ديارنا ظلماً وعدواناً ـ ثم أشرفهم، ففرض لأهل بدر منهم خمسة آلاف ولمن شهد بدراً من الأنصار أربعة آلاف، وفرض لمن شهد أحداً ثلاثة آلاف. قال: ومن أسرع بالهجرة أسرع به العطاء ومن أبطأ بالهجرة أبطأ به العطاء، لا يلومنّ أمرؤ إلا مناخ راحلته، وإني أعتذر إليكم من عزل خالد بن الوليد، إني أمرته أن يحبس هذا المال على ضَعَفَة المهاجرين فأعطاه ذا البأس

وذا الشرف وذا اللسان، فنزعته، ووليت أبا عبيدة، فقال أبو عمرو بن حفص: والله ما أعذرت يا عمر بن الخطاب، لقد نزعت عاملاً استعمله رسول الله ﷺ، وغمدت سيفاً سلّه رسول الله ﷺ، ووضعت لواء نصبه رسول الله ﷺ، وحسدت ابن العم!! فقال عمر بن الخطاب: إنك قريب القرابة، حديث السن، مُغْضَب في ابن عمك. قال الهيثمي (6/ 3): رواه أحمد ورجاله ثقات. ا هـ. وأخرجه البيهقي (6/ 349) عن ناشِرَة بن سُمَيّ اليزني نحوه إلّا أنه لم يذكر معذرة عزل خالد وما بعده.

* * *

تدوينُ عمر رضي الله عنه الديوان للعطايا

أخرج ابن سعد (3/ 216)، **و البيهقي** (6/ 350) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدمت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه من عند أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بثمانمائة ألف درهم، فقال لي: بماذا قدمت؟ قلت: قدمت بثمانمائة ألف درهم، فقال: أطيِّبٌ ويلك؟ قلت: نعم. فبات عمر ليلة أرِقاً حتى إذا نُودي بصلاة الصبح قالت له امرأته: ما نمت الليلة! قال: كيف ينام عمر بن الخطاب وقد جاء الناس ما لم يكن يأتيهم مثلُه مذ كان الإسلام؟! فما يؤمن عمر لو هلك وذلك المال عنده فلم يضعه في حقه؟! فلما صلَّى الصبح اجتمع إليه نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم: إنه قد جاء الناس الليلة ما لم يأتهم مثلُه مذ كان الإسلام، وقد رأيت رأياً فأشيروا عليّ، رأيت أكيل للناس بالمكيال؛ فقالوا: لا تفعل يا أمير المؤمنين، الناس يدخلون في الإسلام ويكثر المال ولكن أعطهم على كتاب، فكلما كثر الناس وكثر المال أعطيتهم عليه. قال: فأشيروا عليّ بمن أبدأ منهم؟ قالوا: بك يا أمير

المؤمنين إنك وليّ ذلك الأمر ـ ومنهم من قال: أمير المؤمنين أعلم ـ قال: لا. ولكن أبدأ برسول الله ﷺ، ثم الأقرب فالأقرب إليه؛ فوضع الديوان على ذلك، بدأ ببني هاشم والمطَّلب وأعطاهم جميعاً، ثم أعطى بني عبد شمس، ثم بني نوفل بن عبد مناف؛ وأنما بدأ ببني عبد شمس لأنه كان أخا هاشم لأمه. كذا في «الكنز» (2/ 315).

وعند ابن سعد (3/ 212) و **الطبري** (5/ 22) من طريقه عن جبير بن الحويرث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما استشار المسلمين في تدوين الديوان، فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال ولا تمسك منه شيئاً. وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: أرى مالاً كثيراً يسع الناس وإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشية أن ينتشر الأمر. فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة: يا أمير المؤمنين، قد جئتُ الشام فرأيت ملوكها قد دوَّنوا ديواناً وجنَّدوا جنوداً، فدوِّن ديواناً وجنِّد جنوداً، فأخذ بقوله، فدعا عقيل بن أبي طالب ومَخرَمة بن نوفل، وجبير بن مطعِم رضي الله عنهم ـ وكانوا من نُسَّاب قريش ـ فقال: اكتبوا الناس على منازلهم، فكتبوا فبدؤوا ببني هاشم، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم عمر وقومه على الخلافة. فلما نظر فيه عمر قال: وددت ـ والله ـ أنه هكذا ولكن ابدؤوا بقرابة النبي ﷺ الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله. كذا في «الكنز» (2/ 316).

وعند ابن سعد أيضاً (3/ 212) والطبري من طريقه (5/ 23) عن أسلم قال: فجاءت بنو عديّ إلى عمر فقالوا: أنت خليفة رسول الله ﷺ، ـ قال: أو خليفة أبي بكر، وأبو بكر خليفة رسول الله ـ قالوا: وذاك، فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم. قال: بَخٍ بخٍ بني عدي! أردتم

الأكل على ظهري وأن أذهِب حسناتي لكم؟! لا والله، حتى تأتيكم الدعوة وإن أطبق عليكم الدفتر - يعني ولو أن تُكتبوا آخر الناس - إنَّ لي صاحبين سلكا طريقاً فإن خالفتهما خولف بي، والله ما أدركنا الفضل في الدنيا ولا نرجو ما نرجو من الآخرة من ثواب الله على ما عملنا إلا بمحمد ﷺ، فهو شرفنا، وقومه أشرف العرب، ثم الأقرب فالأقرب؛ إنَّ العرب شَرُفت برسول الله ﷺ، ولعل بعضها يلقاه إلى آباء كثيرة، وما بيننا وبين أن نلقاه إلى نسبه ثم لا نفارقه إلى آدم إلا آباء يسيرة، مع ذلك - والله - لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أوْلى بمحمد منا يوم القيامة، فلا ينظر رجل إلى قرابة، وليعملْ لما عند الله، فإن من قصَّر به عمله لم يسرع به نسبه.

* * *

رجوعُ عمر إلى رأي أبي بكر وعلي رضي الله عنهم في القَسْم

أخرج البزَّار عن عمر بن عبد الله مولى غَفْرة قال: قدم على أبي بكر رضي الله عنه مال من البحرين، فذكر الحديث بطوله كما تقدم، وفيه: فخرج يوم الجمعة - أي عمر رضي الله عنه - فحمد الله وأثنى عليه وقال: قد بلغني مقالة قائلكم: لو قد مات عمر - أو قد مات أمير المؤمنين - أقمنا فلاناً فبايعناه، وكانت إمرة أبي بكر فلتة. أجل، والله لقد كانت فلتة، ومن أين لنا مثل أبي بكر نمد أعناقنا إليه كما نمد أعناقنا إلى أبي بكر؟! وإن أبا بكر رأى رأياً ورأى أبو بكر أن يقسم بالسويَّة، ورأيت أنا أن أفضل فإن أعش إلى هذه السنة فسأرجع إلى رأي أبي بكر فرأيه خير من رأيي - فذكر الحديث. قال الهيثمي (6/ 6): وفيه أبو معشر نجيح ضعيف يعتبر بحديثه.

اعطاء عمر رضي الله عنه المال

أخرج ابن سعد (4/ 20) عن الحسن قال: بقي في بيت مال عمر رضي الله عنه شيء بعد ما قسم بين الناس، فقال العباس رضي الله عنه لعمر وللناس: أرأيتم لو كان فيكم عم موسى عليه السلام أكنتم تكرمونه؟ قالوا: نعم قال: فأنا أحق به، أنا عم نبيكم ﷺ، فكلَّم عمر الناس فأعطوه تلك البقية التي بقيت.

وأخرج أبو يَعْلى عن عائشة رضي الله عنها أن درجاً أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فنظر إليه أصحابه فيمن؟ فقال: أتأذنون أن أبعث به إلى عائشة لحبِّ رسول الله ﷺ إياها؟ قالوا: نعم، فأتى به عائشة ففتحته، فقيل: هذا أرسل به إليك عمر بن الخطاب. فقالت: ماذا فتح على ابن الخطاب بعد رسول الله ﷺ؟! اللهمَّ لا تبقني لعطيته قابل. قال الهيثمي (6/ 6): رجاله رجال الصحيح.

وأخرج ابن سعد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: استعملني أبو بكر رضي الله عنه على الصَّدَقة، فقدمت وقد مات أبو بكر فقال عمر رضي الله عنه: يا أنس أجئتنا بِظَهْر؟ قلت: نعم، قال: جِئْنا بالظَّهْر والمال لك. قلت: هو أكثر من ذاك. قال: وإن كان هو لك؛ وكان المال هو أربعة آلاف، فكنت أكثر أهل المدينة مالاً. كذا في «الكنز» (3/ 148).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (3/ 355) عن عبد الله بن عبيد بن

عمير قال: بينما الناس يأخذون أعطِيتهم بين يدي عمر إذ رفع رأسه فنظر إلى رجل في وجهه ضربة، قال: فسأله فأخبره أنه أصابته في غزاة كان فيها، فقال: عُدُّوا له ألفاً، فأُعطي الرجل ألف درهم، ثم حول المال ساعة، ثم قال: عدُّوا له ألفاً، فأُعطي الرجل ألفاً أخرى؛ قال له أربع مرات كل ذلك يعطيه ألف درهم. فاستحيَى الرجل من كثرة ما يعطيه فخرج، قال: فسأل عنه فقيل له: إنا رأينا أنه استحيَى من كثرة ما أُعطي فخرج. فقال عمر: أما ـ والله ـ لو أنه مكث ما زلت أعطيه ما بقي من المال درهم، رجل ضُرب ضربة في سبيل الله خضَّرت وجهه!.

* * *

قَسْم علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أخرج أبو عبيد في «الأموال» عن علي رضي الله عنه أنه أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات ثم أتاه مال من أصبهان فقال: اغدوا إلى عطاء رابع، إني لست بخازنكم، فقسم الحبال فأخذها قوم، وردّها قوم. كذا في «الكنز» (2/ 320).

* * *

قَسْم عمر وعلي رضي الله عنهما جميع ما في بيت المال

أخرج البيهقي (6/ 357) عن يحيى بن سعيد عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب لعبد الله بن الأرقم رضي الله عنهما: اقسم بيت مال المسلمين في كل شهر مرة، اقسم مال المسلمين في كل جمعة مِرة، ثم قال: اقسم بيت المال في كل يوم مرة، قال: فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين، لو أبقيت في بيت مال المسلمين بقية تعدّها لنائبة أو

صوت ـ يعني خارجة ـ قال: فقال عمر للرجل الذي كلَّمه: جرى الشيطان على لسانك، لقَّنني الله حجتها ووقاني شرها، أعدّ لها ما أعدّ لها رسول الله ﷺ طاعة الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ.

وعند **أبي نعيم** في «الحلية» (1/ 245) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قدم على عمر مال من العراق فأقبل يقسمه، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين لو أبقيت من هذا المال لعدو إن حضر أو نائبة إن نزلت. فقال عمر: ما لك قاتلك الله؟! نطق بها على لسانك شيطان، لقَّاني الله حجَّتها، والله لا أعصينَّ الله اليوم لغدٍ، لا، ولكن أعدُّ لهم ما أعدَّ لهم رسول الله ﷺ.

وعند **ابن عساكر** عن سَلَمة بن سعيد قال: أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمال، فقام إليه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين لو حبست من هذا المال في بيت المال لنائبة تكون أو أمر يحدث، فقال: كلمة ما عرض بها إلا شيطان، لقَّاني الله حجَّتها ووقاني فتنتها، أعصي الله العام مخافة قابل؟! أعدّ لهم تقوى الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2، 3]؛ ولتكون فتنة على من يكون بعدي!. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 391).

وأخرج ابن سعد (3/ 218) و **ابن عساكر** كما في «الكنز» (2/ 217) عن الحسن قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى رضي الله عنهما:

«أما بعد: فاعلم يوماً من السنة لا يبقى في بيت المال درهم، حتى يكتسح اكتساحاً، حتى يعلم الله أني قد أدّيت إلى كل ذي حقٍّ حقَّه».

وأخرج ابن سعد (3/ 215) عن الحسن قال: كتب عمر إلى حذيفة رضي الله عنهما أن أعطِ الناس أعطيتهم وأرزاقهم! فكتب إليه: إنَّا قد فعلنا وبقي شيء كثير. فكتب إليه عمر: إنَّه فيئهم الذي أفاء الله عليهم، ليس هو لعمر ولا لآل عمر؛ اقسمه بينهم.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 81) عن علي بن ربيعة الوالبي (عن علي بن أبي طالب) قال: جاءه ابن النبَّاج فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين، من صفراء وبيضاء، فقال: الله أكبر! فقام متوكئاً على ابن النبّاح حتى قام على بيت مال المسلمين، فقال:

هذا جناني وخيارُه فيه
وكلُّ جانٍ يَدُه إلى فيه

يا بن النبَّاج عليَّ بأشياع الكوفة، قال: فنُودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول: يا صفراء، ويا بيضاء، غُرِّي غيري، ها، وها؛ حتى ما بقي منه دينار ولا درهم. ثم أمره بنَضحه وصلَّى فيه ركعتين.

وعن مُجَمِّع التَّيمي قال: كان علي رضي الله عنه يكنس بيت المال ويصلي فيه يتخذه مسجداً رجاءَ أن يشهد له يوم القيامة. وأخرجه ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» (3/ 49) عن مُجَمِّع التَّيمي نحوه.

وعن معاذ بن العلاء عن أبيه عن جده قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: ما أصبت من فيئكم إلا هذه القارورة أهداها إليَّ الدِّهقان، ثم نزل إلى بيت المال ففرَّق كل ما فيه، ثم جعل يقول:

أفلحَ مَنْ كانتْ له قَوْصَرَّه
يأكلُ منها كلَّ يومٍ مرَّه

وعن عنترة الشيباني قال: كان علي رضي الله عنه يأخذ في الجز والخراج من أهل كل صناعة من صناعته وعمل يده، حتى يأخذ من أه الابر، الإبر، والمسال، والخيوط، والحبال، ثم يقسمه بين الناس وكان لا يدع في بيت المال مالاً يبيت فيه حتى يقسمه؛ إلا أن يغل شغل فيصبح إليه، وكان يقول: يا دنيا، لا تغريني وغُرِّي غيري، وينشد

هذا جناني وخيارُه فيه

وكلُّ جانٍ يَدهُ إلى فيه

وأخرج أبو عبيد عن عنترة قال: أتيت علياً رضي الله عنه يوه فجاءه قنبر، فقال: يا أمير المؤمنين إنَّك رجل لا تليق شيئاً، وإنَّ لأه بيتك في هذا المال نصيباً، وقد خبأت لك خبيئة، قال: وما هي؟ قال انطلق فانظر ما هي. قال: فأدخله بيتاً فيه باسنة مملوءة آنية ذهب وفض مموَّهة بالذهب، فلما رآها علي قال: ثكلتك أمك! لقد أردت أن تدخ بيتي ناراً عظيمة؟! ثم جعل يزنها ويعطي كل عريف بحصته؛ ثم قال:

هذا جناني وخيارُه فيه

وكلُّ جانٍ يدهُ إلى فيه

لا تغريني، وغرِّي غيري!. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 57 وأخرج أحمد في «الزهد» ومسدَّد عن مجمِّع نحو ما تقدم عن أبي نعي في «الحلية» كما في «المنتخب» (5/ 57).

* * *

رأي عمر رضي الله عنه في حق المسلمين في المال

أخرج البيهقي (6/ 351) عن أسلم قال: سمعت عمر رضي الله عن

يقول: اجتمعوا لهذا المال فانظروا لمن ترونه. ثم قال لهم: إني أمرتكم أن تجتمعوا لهذا المال فتنظرا لمن ترونه، وإني قد قرأت آيات من كتاب الله سمعت الله يقول: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: 7، 8] والله ما هو لهؤلاء وحدهم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحشر: 9] ـ الآية ـ. والله ما هو لهؤلاء وحدهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: 10] ـ الآية ـ، والله ما من أحد من المسلمين إلّا وله حق في هذا المال أُعطي منه أو مُنع حتى راعٍ بعَدَن.

وأخرج أيضاً (6/ 352) عن مالك بن أوس بن الحَدَثان رضي الله عنه في قصة ذكرها قال: ثم تلا: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ [التوبة: 60] ـ إلى آخر الآية ـ، فقال: هذه لهؤلاء، ثم تلا: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 41] ـ إلى آخر الآية ـ، ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم تلا: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ ـ إلى آخر الآية ـ، ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ﴾ ـ إلى آخر الآية ـ، ثم قال: هؤلاء المهاجرون، ثم تلا: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ـ إلى آخر الآية ـ، فقال: هؤلاء الأنصار، قال: وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ ـ إلى آخر الآية ـ. قال: فهذه استوعبت الناس، ولم يبق أحد من المسلمين إلا وله في هذا المال حق إلا ما تملكون من رقيقكم، فإن أعِشْ ـ إن شاء الله ـ

لم يبقَ أحد من المسلمين إلا سيأتيه حقُّه حتى الراعي بسروِ حمير يأتيه حقه ولم يعرق فيه جبينه. وأخرجه أيضاً ابن جرير عن مالك بن أوس نحوه، كما في «التفسير» لابن كثير (4/ 340).

* * *

قسم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه المال

أخرج الطبراني بإسناد حسن عن طلحة بن يحيى عن جدته سُعدى رضي الله عنها قالت: دخلت يوماً على طلحة - تعني ابن عبيد الله رضي الله عنه - فرأيت منه ثِقَلاً، فقلت له: ما لك؟ لعله رابك منا(شيء) فنعتبك قال: لا، ولنعمَ حليلة المرء المسلم أنت! ولكن اجتمع عندي مال ولا أدري كيف أصنع به! قالت: وما يغمك منه ادعُ قومك فاقسمه بينهم، فقال: يا غلام عليَّ بقومي، فسألت الخازن كم قسم؟ قال: أربعمائة ألف. كذا في «الترغيب» (2/ 176)، وقال الهيثمي (9/ 148): رجاله ثقات. وأخرجه ابن سعد (3/ 157) وأبو نعيم (1/ 88) بنحوه.

وأخرج أبو نعيم أيضاً في «الحلية» (1/ 89) عن الحسن قال: باع طلحة رضي الله عنه أرضاً له بسبعمائة ألف، فبات ذلك المال عنده ليلة، فبات أرقاً من مخافة ذلك المال حتى أصبح ففرقه. وأخرجه ابن سعد (3/ 157) أطول منه.

وأخرج الحاكم أيضاً (3/ 378) عن سُعدى امرأة طلحة رضي الله عنهما قالت: دخل عليَّ طلحة فوجدته مغموماً فقلت: ما لي أراك كالح الوجه، أرابك من أمرنا شيء؟ قال: لا والله ما رابني من أمرك شيء، ولنعم

الصاحبة أنت! ولكنَّ مالاً اجتمع عندي قالت: فابعث إلى أهلك وقومك فاقسم فيهم، قالت: ففعل فسألت الخازن كم قسم فقال: أربعمائة ألف، وكانت غلَّته كل يوم ألفَ وافٍ. قال: وكان يُسمى «طلحة الفيّاض».

* * *

قسم الزبير بن العوَّام رضي الله عنه المال

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 90) عن سعيد بن (عبد) العزيز قال: كان للزبير بن العوام رضي الله عنه ألف مملوك يؤدُّون إليه الخراج، فكان يقسمه كل ليلة، ثم يقوم إلى منزله وليس معه منه شيء.

وعن مُغيث بن سُمَيْ قال: كان للزبير ألف مملوك يؤدُّون إليه الخراج، ما يُدخل بيته من خراجهم درهماً. وأخرجه البيهقي (8/ 9) عن مُغيث مثله، وأخرجه يعقوب بن سفيان نحوه، كما في «الإِصابة» (1/ 546).

وأخرج البخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني، فقمت إلى جنبه فقال: يا بني إنه لا يُقتل اليوم إلَّا ظالم أو مظلوم، وإني لا أُراني إلَّا سأقتل اليوم مظلوماً، وإن من أكبر همي لَدَيْني، أفتُرى يبقي ديننا من مالنا شيئاً؟ فقال: يا بنيَّ بعْ مالنا فاقضِ دَيْني، وأوصى بالثلث وثُلُثه لبنيه - يعني عبد الله بن الزبير - يقول: ثلث الثلث، فإن فَضَلَ من مالنا فَضْلٌ بعد قضاء الدَّيْن فثُلُثه لولدك. قال هشام: وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزبير: خُبَيْبٌ، وعبَّاد، وله يومئذٍ تسعة بنين وتسع بنات. قال عبد الله: فجعل يوصيني بدَيْنه ويقول: يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه

مولاي. قال: والله ما دَرَيْت ما أراد حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: الله. قال: فوالله ما وقعتُ في كربة من دينه إلَّا قلت: يا مولى الزبير اقضِ عنه دَيْنه، فيقضيه.

فقُتل الزبير ولم يَدَعْ ديناراً ولا درهماً إلا أرَضين منها الغابة، وإحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارَين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر. قال: وإنما كان دَيْنه الذي عليه أنَّ الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه، فيقول الزبير: لا، ولكنه سَلَفٌ، فإني أخشَى عليه الضَّيْعة؛ وما ولي إمارة قط ولا جبايةَ خراج ولا شيئاً إلا أن يكون في غزوة مع النبي ﷺ أو مع أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم، قال عبد الله بن الزبير: فحسَبت ما عليه من الدَّيْن فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف. قال: فلقي حكيمُ بن حزم عبدَ الله بن الزبير رضي الله عنهم، فقال: يا بن أخي كم على أخي من الدَّيْن؟ فكتمه فقال: مائة ألف. فقال حكيم: والله ما أُرى أموالَكم تسع لهذه! فقال له عبد الله: أفرأيتَك إن كانت ألفي ألف ومائتي ألف؟ قال: ما أُراكم تطيقون هذا! فإن عجزتم عن شيء منه فاستعينوا بي.

قال: وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف، فباعها عبد الله بألف ألف وستمائة ألف؛ ثم قام فقال: من كان له على الزبير حقٌّ فليوافنا بالغابة، فأتاه عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ـ وكان له على الزبير أربعمائة ألف ـ فقال لعبد الله: إن شئتم تركتها لكم، قال عبد الله: لا، قال: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخِّرون إن أخرتم، فقال عبد الله: لا، قال: فاقطعوا لي قطعة، فقال عبد الله: لك من ها هنا إلى ها هنا. قال: فباع منها فقضى دينه فأوفاه؛ وبقي منها أربعة أسهم ونصف، فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان، والمنذر بن الزبير، وابن زَمْعة ـ

رضي الله عنهم ـ، فقال له معاوية: كم قوَّمتَ الغابة؟ قال: كل سهم مائة ألف، قال: كم بقي؟ قال: أربعة أسهم ونصف، فقال المنذر بن الزبير: قد أخذتُ سهماً بمائة ألف، وقال عمرو بن عثمان: قد أخذتُ سهماً بمائة ألف، وقال ابن زَمْعة: قد أخذتُ سهماً بمائة ألف؛ فقال معاوية: كم بقي؟ فقال: سهم ونصف. قال: أخذته بخمسين ومائة ألف. قال: وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألف.

قال: فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دَيْنه قال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا، قال: لا والله لا أقسم بينكم حتى أناديَ بالموسم أربع سنين: ألَا من كان له على الزبير دَيْن فليأتنا فلنقضِه. قال: فجعل كل سنة ينادي بالموسم، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم. قال: وكان للزبير أربع نِسْوة ورفع الثلث، فأصاب كل امرأة ألفُ ألفٍ ومائتا ألف، فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف. قال ابن كثير في «البداية» (7/ 349): مجموع ما قسم بين الورثة ثمانية وثلاثون ألف ألف وأربعمائة ألف، والثُلث الموصى به تسعة عشر ألف ألف ومائتا ألف، فتلك الجملة سبعة وخمسون ألف ألف وستمائة ألف والدّين المخرَّج قبل ذلك ألفا ألف ومائتا ألف فعلى هذا يكون جميع ما تركه من الدّيْن والوصية والميراث تسعة وخمسين ألف ألف وثمانمائة ألف؛ وإنما نبهنا على هذا لأنه وقع في صحيح البخاري ما فيه نظرٌ ينبغي أن يُنبَّه له.

* * *

قسم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه المال

أخرج الحاكم (3/ 310) عن أم بكر بنت المِسْور أن عبد الرحمن بن

عوف رضي الله عنه باع أرضاً له بأربعين ألف دينار، فقسمها في بني زُهْرة وفقراء المسلمين والمهاجرين وأزواج النبي ﷺ، فبعث إلى عائشة رضي الله عنها بمال من ذلك، فقالت: من بعث هذا المال؟ قلت: عبد الرحمن بن عوف، قال: وقص القصة. قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحنو عليكنَّ من بعدي إلا الصابرون، سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة» قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، وقال الذهبي: ليس بمتصل. ا هـ. وقد أخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 98) وابن سعد (3/ 94) عن المِسْوَر بن مَخْرَمة بنحوه إلَّا أن في رواية أبي نُعيم: «لن يحنوَ عليكم بعدي إلا الصالحون».

وأخرج الحاكم (3/ 308) وأبو نُعيم في «الحلية» (1/ 99) عن جعفر بن بُرقان قال: بلغني أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بيت.

* * *

قسم أبي عبيدة بن الجرّاح ومعاذ بن جبل وحذيفة رضي الله عنهم المال

أخرج الطبراني في «الكبير» عن مالك الدار رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صرة، فقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم تَلَهَّ في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع؟ فذهب بها الغلام إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك. فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالَي يا جارية، اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها. ورجع الغلام إلى عمر

فأخبره فوجده قد أعدّ مثلها لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، فقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل وتَلَهَّ في البيت حتى تنظر ما يصنع؟ فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك. فقال: رحمه الله ووصله، تعالَي يا جارية، اذهبي إلى بيت فلان بكذا، اذهبي إلى بيت فلان بكذا!، فاطَّلعت امرأة معاذ وقالت: ونحن ـ والله ـ مساكين فأعطِنا، فلم يبقَ في الخرقة إلا ديناران، فدحى بهما إليها؛ ورجع الغلام إلى عمر فأخبره فسر بذلك فقال إنهم إخوة بعضهم من بعض. ورواته إلى مالك الدار ثقات مشهورون، ومالك الدار لا أعرفه؛ كذا في «الترغيب» (2/ 177). وقال الهيثمي (3/ 125): رواه الطبراني في «الكبير»، ومالك الدار لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

قلت: ذكره الحافظ في «الإصابة» (3/ 484) وقال: مالك بن عياض مولى عمر وهو الذي يقال له مالك الدار، له إدراك وسمع من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، روى عن الشيخين ومعاذ، وأبي عبيدة، روى عنه ابناه عَوْن، وعبد الله، وأبو صالح السمَّان؛ وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين في أهل المدينة وقال: كان معروفاً، وقال علي بن المديني: كان مالك الدار خازناً لعمر. انتهى؛ وقال في «الإصابة»: وروينا في فوائد داود بن عمرو الضبي جَمْعِ البغوي من طريق عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومي عن مالك الدار ـ فذكر القصة ـ ا هـ. وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 237) عن مالك الداري ـ فذكر مثله. وأخرج ابن سعد (3/ 300) عن معن بن عيسى قال: عرضنا على مالك بن أنس ـ فذكره مختصراً.

وأخرج البخاري في «التاريخ الصغير» (ص 29) عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لأصحابه: تمنَّوا، فقال

أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فأنفقها في سبيل الله. فقال: تمنَّوا، فقال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهباً فأنفقها في سبيل الله. قال: تمنَّوا، قال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جوهراً ـ أو نحوه ـ فأنفقه في سبيل الله. فقال عمر: تمنَّوا، فقالوا: ما تَمَنَّينا بعد هذا؟ قال عمر: لكني أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم فأستعملهم في طاعة الله. قال: ثم بعث بمال إلى حذيفة قال: أنظر ما يصنع. قال: فلما أتاه قَسَمه، ثم بعث بمال إلى معاذ بن جبل فقَسَمه، ثم بعث بمال ـ يعني إلى أبي عبيدة ـ قال: أنظر ما يصنع. فقال عمر: قد قلت لكم، أو كما قال.

* * *

قسم عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما المال

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 296) عن ميمون بن مِهران قال: أتت ابن عمر رضي الله تعالى عنه اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس، فلم يَقُمْ حتى فرَّقها. وعن نافع أن معاوية رضي الله عنه بعث إلى ابن عمر مائة ألف فما حال الحول وعنده منها شيء.

وعن أيوب بن وائل الراسبي قال: قدمت المدينة فأخبرني رجل ـ جار لابن عمر ـ أنه أتى ابن عمر أربعة آلاف من قبل معاوية، وأربعة آلاف من قبل إنسان آخر، وألفان من قبل آخر، وقطيفة، فجاء إلى السوق يريد علفاً لراحلته بدرهم نسيئة، فقد عرفت الذي جاءه فأتيت سُرِّيَّته، فقلت: إني أريد أن أسألك عن شيء وأحب أن تصدقيني، قلت:

أليس قد أتت أبا عبد الرحمن أربعة آلاف من قبل معاوية، وأربعة آلاف من قبل إنسان آخر، وألفان من قبل آخر وقطيفة؟ قالت: بلى، قلت: فإني رأيته يطلب علفاً بدرهم نسيئة، قالت: ما بات حتى فرَّقها، فأخذ القطيفة فألقاها على ظهره ثم ذهب فوجهها ثم جاء؛ فقلت: يا معشر التجار، ما تصنعون بالدنيا وابن عمر أتته البارحة عشرة آلاف درهم وَضَح فأصبح اليوم يطلب لراحلته علفاً بدرهم نسيئة؟!.

وأخرج ابن سعد (4/ 109) عن نافع قال: أُتي ابن عمر ببضعة وعشرين ألفاً فما قام من مجلسه حتى أعطاها وزاد عليها، قال: لم يزل يعطي حتى أنفد ما كان عنده، فجاءه بعض من كان يعطيه فاستقرض من بعض من كان أعطاه فأعطاه، قال ميمون: وكان يقول له القائل: بخيل! وكذبوا ـ والله ـ ما كان ببخيل فيما ينفعه.

* * *

قَسْم الأشعث بن قيس رضي الله عنه المال

أخرج الطبراني عن أبي إسحاق قال: كان لي على رجل من كِنْدة دين، وكنت أختلف إليه بالأسحار، فأدركتني صلاة الفجر في مسجد الأشعث بن قيس فصلَّيت، فلما سلَّم الإمام وضع قدام كل إنسان حُلَّة ونعلاً وخمسمائة درهم، قلت: إني لست من أهل المسجد، فقلت: ما هذا؟ قالوا: قدم الأشعث بن قيس من مكة. قال الهيثمي (9/ 415): وفيه أبو إسرائيل المُلائي وقد اختلف فيه وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

* * *

قَسْم عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما المال

أخرج ابن سعد عن أم ذَرَّة قالت: أُتيت عائشة بمائة ألف ففرقتها وهي يومئذٍ صائمة. فقلت لها: أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً تُفطرين عليه؟ فقالت: لو كنت أذكرتني لفعلت. كذا في «الإِصابة» (4/ 461).

* * *

قَسْم أمِّ المؤمنين سَوْدة بنت زمعة رضي الله عنها المال

أخرج ابن سعد بسند صحيح عن محمد بن سيرين أن عمر بعث إلى سودة رضي الله عنهما بغِرارة من دراهم، فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم، قالت: في غرارة مثل التمر؟! ففرَّقتها. كذا في «الإِصابة» (4/ 339).

* * *

قَسْم أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها المال

أخرج ابن سعد (3/ 216) عن برة بنت رافع قالت: لما خرج العطاء أرسل عمر رضي الله عنه إلى زينب بنت جحش رضي الله عنها بالذي لها، فلما أُدخل عليها قالت: غفر الله لعمر، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني. قالوا: هذا كله لك، قالت: سبحان الله! واستترت منه بثوب. وقالت: ضعوه واطرحوا عليه ثوباً. ثم قالت لي: أدخلي يديك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها إلى بني فلان وبني فلان - من

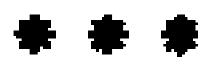
أهل رحمها وأيتامها ـ حتى بقيت منه بقية تحت الثوب، فقالت لها برَّة: غفر الله لك يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا في هذا حق، قالت: فلكم ما تحت الثوب، قالت: فوجدنا ما تحته خمسة وثمانين درهماً، ثم رفعت يدها إلى السماءِ فقالت: اللهمَّ لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا؛ فماتت.

وعند ابن سعد أيضاً عن محمد بن كعب قال: كان عطاء زينب بنت جحش رضي الله عنها اثني عشر ألفاً لم تأخذه إلَّا عاماً واحداً، فجعلت تقول: اللهمَّ لا يدركني هذا المال من قابل فإنَّه فتنة. ثم قسمته في أهل رَحِمها وفي أهل الحاجة، فبلغ عمر رضي الله عنه قال: هذه امرأة يُراد بها خير. فوقف عليها وأرسل بالسلام وقال: بلغني ما فرَّقتِ. فأرسل بألف درهم تستبقيها؛ فسلكت بها ذلك المسلك. كذا في «الإِصابة» (4/ 314).

* * *

الفرض للمولود

أخرج ابن سعد (3/ 217) وأبو عبيد، وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قدمتْ رُفقة من التجار فنزلوا المصلَّى، فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما: هل لك أن نحرسهم الليلة من السَّرَق؟ فباتا يحرسانهم ويصلِّيان ما كتب الله لهما، فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه، فقال لأمه: اتَّقي الله وأحسني إلى صبيِّك. ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال له مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه فلما كان في آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال: ويحك إني لأراك أمَّ سَوْء، ما لي أرى ابنك لا يقرُّ منذ الليلة؟! قالت: يا عبد الله قد برَّمتني هذه الليلة، إني أريغه عن الفطام فيأبى، قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للفُطُم، قال: وكم له؟ قالت: كذا وكذا شهراً، قال: ويحك لا تُعْجليه! فصلَّى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء، فلمَّا سلَّم قال: يا بؤساً لعمر! كم قتل من أولاد المسلمين؟! ثم أمر منادياً فنادى: ألا، لا تُعْجلوا صبيانكم عن الفطام. فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق: إنا نفرض لكل مولود في الإسلام. كذا في «الكنز» (2/ 317).



الاحتياط عن الإنفاق على نفسه وذوي القربى من بيت المال

أخرج ابن سعد (3/ 198) عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إني أنزلت مال الله مني بمنزلة مال اليتيم، فإن استغنيتُ عففتُ عنه، وإن افتقرت أكلت بالمعروف. وفي رواية أُخرى عنه قال: إني أنزلت مال الله مني بمنزلة مال اليتيم، ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 6].

وعنده أيضاً عن عروة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا يحلُّ لي من هذا المال إلَّا ما كنت آكلاً من صلب مالي. كما في «منتخب الكنز» (4/ 418).

وأخرج ابن سعد (3/ 198) عن عمران أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا احتاج أتى صاحب بيت المال فاستقرضه، فربما أعسرَ، فيأتيه صاحب بيت المال فيتقاضاه، فيلزمه فيحتال له عمر، وربما خرج عطاؤه فقضاه.

وأخرج أيضاً (3/ 199) عن إبراهيم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتجر وهو خليفة، جهَّز عيراً إلى الشام، فبعث إلى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يستقرضه أربعة آلاف درهم، فقال للرسول: قل له يأخذها من بيت المال ثم ليردها، فلما جاءه الرسول فأخبره بما قال شَقّ ذلك عليه، فلقيه عمر فقال: أنت القائل: ليأخذها من بيت المال؟! فإن

متُّ قبل أن تجيء قلتم: أخذها أمير المؤمنين، دعوها له، وأُوخذ بها يوم القيامة!! لا، ولكن أردت أن آخذها من رجل حريص شحيح مثلك، فإن مِتُّ أخذها من مالي. وأخرجه أيضاً أبو عبيد في «الأموال» وابن عساكر عن إبراهيم نحوه، كما في «المنتخب» (4/ 418).

وأخرج ابن عساكر عن ابن البراء بن معرور أن عمر رضي الله عنه خرج يوماً حتى أتى المنبر وقد (كان) اشتكى شكوى، فنُعت له العسل ـ وفي بيت المال عُكّة ـ فقال: إن أذنتم لي (فيها) أخذتها وإلا فإنها عليَّ حرام. فأذنوا له فيها. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 418).

وأخرج أحمد في «الزهد» عن الحسن قال: جيء إلى عمر رضي الله عنه بمال، فبلغ ذلك حفصة بنة عمر رضي الله عنهما، فجاءت فقالت: يا أمير المؤمنين حقُّ أقربائك من هذا المال، قد أوصى الله عزّ وجلّ بالأقربين، فقال لها: يا بنيَّة حقُّ أقربائي في مالي، فأما هذا ففيء المسلمين، غَشَشْتِ أباك، قومي. فقامت تجرُّ ذَيلَها. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 412).

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن أبي الدنيا، وابن أبي حاتم، وابن عساكر عن أسلم قال: رأيت عبد الله بن الأرقم جاء إلى عمر رضي الله عنهما فقال: يا أمير المؤمنين، عندنا حِلية من حِلية جَلُولاء آنية فضة، فانظر أن تفرغ يوماً فيها فتأمرنا بأمرك. فقال: إذا رأيتني فارغاً فآذِنّي، فجاء يوماً فقال: إني أراك اليوم فارغاً، قال: أجل، ابسُط لي نِطْعاً. فأمر بذلك المال فأُفيض عليه، ثم جاء حتى وقف عليه فقال: اللهمَّ إنك ذكرت هذا المال فقلت: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [آل عمران: 14] ـ حتى فرغ من الآية ـ وقلت: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: 23]، وإنَّا لا نستطيع إلَّا أن نفرح بما زيَّنت لنا.

اللهمَّ فاجعلنا ننفقه في حقٍّ، وأعوذ بك من شره. قال: فأُتي بابن له يُحمل يقال له عبد الرحمن بن بهية، فقال: يا أبت هَبْ لي خاتَماً. قال: اذهب إلى أمك تسقيك سَوِيقاً. قال: فوالله ما أعطاه شيئاً. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 412).

وأخرج أحمد في الزهد عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقّاص قال: قدم على عمر رضي الله عنه مسك وعنبر من البحرين، فقال عمر: والله لوددتُ أنّي وجدت امرأة حسنة الوزن تزن لي هذا الطيب حتى أقسمه بين المسلمين، فقالت له امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنهما: أنا جيّدة الوزن فهلمَّ أزن لك؟ قال: لا، قالت: لِمَ؟ قال: إني أخشى أن تأخذيه فتجعليه هكذا ـ أدخل أصابعه في صدغيه وتمسحين به عنقك، فأصبت فَضْلاً على المسلمين. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 413).

وأخرج ابن سعد، **وابن أبي شيبة**، **وابن عساكر** عن الحسن أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى جارية تطيش هزالاً، فقال: من هذه الجارية؟ فقال عبد الله رضي الله عنه: هذه إحدى بناتك. قال: وأيّ بناتي هذه؟ قال: ابنتي، قال: ما بلغ بها ما أرى؟ قال: عملك، لا تنفق عليها. قال: إني ـ والله ـ ما أغرك من ولدك، فأوسع على ولدك أيها الرجل. كذا في «المنتخب» (4/ 418).

وأخرج ابن سعد (3/ 227)، وأبو عبيد في «الأموال» عن عاصم بن عمر رضي الله عنهما قال: لما زوَّجني عمر أنفق عليَّ من مال الله شهراً، ثم أرسل إليّ عمر يرفأ فأتيته فقال: والله ما كنت أرى هذا المال يحلُّ لي من قبل أن أَلِيَه إلا بحقِّه، وما كان قط أحرم عليّ منه إذ وليته فعاد أمانتي، وقد أنفقت عليك شهراً من مال الله ولست بزائدك ولكني معينك

بثمر مالي بالغابة، فاجْدُدْه فبِعْه، ثم ائتِ رجلاً من قومك من تجّارهم فقم إلى جنبه، فإذا اشترى فاستشركه فاستنفق وأنفق على أهلك. كذا في المنتخب (4/ 418).

وأخرج الدِّينَوَري في «المجالسة» عن مالك بن أوس بن الحَدَثان قال: قدم بريد ملك الروم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فاستقرضت امرأة عمر بن الخطاب ديناراً، فاشترت به عطراً، وجعلته في قوارير، وبعثت به مع البريد إلى امرأة ملك الروم. فلما أتاها فرَّغتهن وملأتهن جواهر، وقالت: اذهب إلى امرأة عمر بن الخطاب. فلما أتاها فرغتهن على البساط، فدخل عمر بن الخطاب فقال: ما هذا؟ فأخبرته بالخبر، فأخذ عمر الجواهر فباعها، ودفع إلى امرأته ديناراً، وجعل ما بقي من ذلك في بيت المال للمسلمين. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 422).

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: اشتريت إبلاً وارتجعتها إلى الحِمَى، فلمّا سمنت قدمت بها، فدخل عمر السوق فرأى إبلاً سماناً، فقال: لمن هذه الإبل؟ فقيل: لعبد الله بن عمر. فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر، بَخٍ بخٍ، ابن أمير المؤمنين، فجئت أسعى فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين؟ قال: ما هذه الإبل؟ قلت: إبل اشتريتها وبعثت بها إلى الحِمَى أبتغي ما يبتغي المسلمون. فقال: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين! اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين! يا عبد الله بن عمر! أُغْدُ على رأس مالك واجعل الفَضْل في بيت مال المسلمين. كذا في «المنتخب» (4/ 419).

وأخرج ابن سعد (3/ 219) وابن جرير، وابن عساكر عن محمد بن سيرين أنَّ صِهْراً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم على عمر، فعرَّض

له أن يعطيه من بيت المال، فانتهره عمر وقال: أردتَ أن ألقى الله مَلِكاً خائناً؟! فلما كان بعد ذلك أعطاه من صُلْب ماله عشرة آلاف درهم. كذا في كنز العمال (2/ 317).

وأخرج أبو عبيد عن عنترة قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخَوَرْنَق وعليه قطيفة وهو يُرعد من البرد، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنَّ الله قد جعل لك ولأهل بيتك نصيباً في هذا المال وأنت تُرعد من البرد؟! فقال: إنِّي - والله - لا أرزأ من مالكم شيئاً، وهذه القطيفة هي التي خرجت من بيتي - أو قال من المدينة -، كذا في «البداية» (8/ 3).

وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 82) عن هارون بن عنترة عن أبيه نحوه.

* * *

رد المال

رد النبي ﷺ ما عرض عليه من المال

أخرج يعقوب بن سفيان عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله أرسل إلى نبيه ملكاً من الملائكة معه جبريل عليه السلام، فقال الملك لرسوله: إن الله يخيِّرك بين أن تكون عبداً نبياً وبين أن تكون مَلِكاً نبياً. فالتفت رسول الله إلى جبريل كالمستشير له، فأشار جبريل إلى رسول الله أنْ تَواضَعْ، فقال رسول الله ﷺ: «بل أكون عبداً نبياً»، قال: فما أكل بعد تلك الكلمة طعاماً متكئاً حتى لقي الله عزّ وجلّ. وهكذا رواه البخاري في «التاريخ» والنَّسائي. كذا في «البداية» (6/ 48).

وعند الطبراني بإسناد حسن والبيهقي عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم وجبريل عليه السلام على الصَّفا، فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سُفَّة من دقيق ولا كف من سَوِيق»، فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هَدَّة من السماء أفزعته، فقال رسول الله ﷺ: «أمر الله القيامة أن تقوم؟!» قال: لا، ولكن أمر الله إسرافيل عليه السلام، فنزل إليك حين سمع كلامك. فأتاه إسرافيل فقال: إن الله سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض، وأمرني أن أعرض عليك أن أُسيِّر معك جبال تِهامة زُمرُّداً وياقوتاً وذهباً وفضة فعلت، فإن شئت نبياً مَلِكاً، وإن شئت نبياً عبداً؟، فأومأ إليه جبريل أن تواضع، فقال: «بل نبياً عبداً» ـ ثلاثاً ـ كذا

في «الترغيب» (5/ 157)، وقال الهيثمي (10/ 315): رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه سعدان بن الوليد ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وعند الترمذي ـ وحسنَّه ـ عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، قلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً ـ أو قال ثلاثاً أو نحو هذا ـ فإذا جعتُ تضرَّعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك». كذا في «الترغيب» (5/ 150).

وعند العسكري عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني ملك فقال: يا محمد، إنَّ ربك يقرأ عليك السلام ويقول: إن شئتَ جعلتُ لك بطحاء مكة ذهباً». قال: فرفع رأسه إلى السماء وقال: «لا يا رب، أشبع يوماً فأحمدك، وأجوع يوماً فأسألك»، كذا في «الكنز» (4/ 39).

وأخرج البيهقي (9/ 133) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً من المشركين قتل يوم الأحزاب، فبعثوا إلى رسول الله ﷺ أنِ ابعثْ إلينا بجسده، ونعطيهم اثني عشر ألفاً فقال رسول الله ﷺ: «لا خير في جسده ولا في ثمنه». وعند أحمد فقال رسول الله ﷺ: «ادفعوا إليهم جيفته؛ فإنه خبيث الجيفة، خبيث الدية»؛ فلم يقبل منهم شيئاً. وأخرجه الترمذي أيضاً وقال: غريب. كذا في «البداية» (4/ 107). وعند ابن أبي شَيْبة (8/ 502) عن عكرمة أنَّ نوفل ـ أو ابن نوفل ـ تردَّى به فرسه يوم الخندق فقُتل، فبعث أبو سفيان إلى النبي ﷺ بديته مائة من الإبل، فأبى النبي ﷺ وقال: «خذوه؛ فإنه خبيث الدية، خبيث الجيفة». كذا في «الكنز» (5/ 281).

وأخرج ابن جرير عن عروة أن حكيم بن حِزَام رضي الله عنه خرج إلى اليمن فاشترى حلّة ذي يَزَن، فقدم بها المدينةَ على رسول الله ﷺ فأهداها له، فردّها رسول الله ﷺ وقال: «إنّا لا نقبل هدية مشرك». فباعها حكيم فأمر بها رسول الله ﷺ فاشتريت له، فلبسها ثم دخل فيها المسجد؛ قال (حكيم): فما رأيت أحداً قطُّ أحسن منه فيها، لكأنه القمر ليلة البدر! فما ملكت نفسي حين رأيته كذلك أن قلت:

وما تنظرُ الحكّام بالحكْمِ بعدما
بدا واضحٌ ذو غُرَّة وحُجُولِ
إذا واضحوه المجدَ أربى عليهم
بمفترغ ماء الذِّناب سجيلِ

فضحك رسول الله ﷺ. كذا في «الكنز» (3/ 177). وأخرجه الطبراني عن حكيم بن حزم بنحوه، كما في المجمع (8/ 278) وقال: وفيه يعقوب بن محمد الزهري وضعَّفه الجمهور وقد وُثّق. انتهى.

وعند الحاكم (3/ 484) عن حكيم بن حِزَام قال: كان محمد النبي ﷺ أحبَّ الناس إليّ في الجاهلية، فلما تنبأ وخرج إلى المدينة خرج حكيم بن حزام في الموسم، فوجد حلّة لذي يَزَن تُباع بخمسين درهماً، فاشتراها ليهديها إلى رسول الله ﷺ فقدم بها عليه وأراده على قبضها فأبى عليه. قال عبيد الله: حسبت أنه قال: «إنّا لا نقبل من المشركين شيئاً، ولكن إن شئت أخذناها بالثمن»، فأعطيتها إياه حتى أتى المدينة، فلبسها فرأيتها عليه على المنبر فلم أرَ شيئاً قط أحسن منه فيها يومئذٍ، ثم أعطاها أسامة بن زيد رضي الله عنهما؛ فرآها حكيم على أسامة فقال: يا أسامة أنت تلبس حلَّة ذي يزن؟! قال: نعم، لأنا خير من ذي يَزَن، ولأبي خير من أبيه، ولأمي خير من أمه!! قال حكيم:

فانطلقت إلى مكة أعجّبهم بقول أسامة. قال الحاكم: وهذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، وقال الذهبي: صحيح.

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن بُريدة قال: حدثني عمُّ عامر بن الطفيل العامري أن عامر بن الطفيل أهدى إلى رسول الله ﷺ فرساً، وكتب إليه عامر أنه قد ظهر فيَّ دبيلة فابعث إليَّ دواء من عندك، قال: فردَّ النبي ﷺ الفرس لأنه لم يكن أسلم وأهدى إليه عُكَّة من عسل وقال: «تداوَ بها».

وعنده أيضاً عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ملاعب الأسِنَّة إلى رسول الله ﷺ بهدية، فعرض عليه النبي ﷺ الإسلام، فأبَى أن يسلم، فقال النبي ﷺ: «فإني لا أقبل هدية مشرك». كذا في «كنز العمال» (3/ 177).

وأخرج أبو داود، والترمذي - وصحّحه - وابن جرير، والبيهقي عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أنه أهدى إلى النبي ﷺ هدية - أو ناقة - فقال: «أسلمت؟» قال: لا، قال: «فإني نُهيت عن زَبْدِ المشركين». كذا في «الكنز» (3/ 177).

* * *

رد أبي بكر الصديق
رضي الله عنه المال

أخرج البيهقي (6/ 553) عن الحسن أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنَّ أكيسَ الكَيْس التقوى ـ فذكر الحديث، وفيه: فلما أصبح غدا إلى السوق فقال له عمر رضي الله عنه: أين تريد؟ قال: السوق، قال: قد جاءك ما يشغلك عن السوق، قال: سبحان الله، يشغلني عن عيالي! قال: نفرض بالمعروف؛ قال: ويحَ عمر! إني أخاف أن لا يسعني أن آكل من هذا المال شيئاً. قال: فأنفقَ في سنتين وبعض أخرى ثمانية آلاف درهم، فلما حضره الموت قال: قد كنت قلت لعمر: إني أخاف أن لا يسعَني أن آكل من هذا المال شيئاً، فغلبني؛ فإذا أنا متُّ فخذوا من مالي ثمانية آلاف درهم وردوها في بيت المال! قال: فلما أُتي بها عمر قال: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده تعباً شديداً!!.

وأخرج ابن سعد (3/ 139) عن أبي بكر بن حفص بن عمر قال: جاءت عائشة رضي الله عنها إلى أبي بكر رضي الله عنه وهو يعالج ما يعالج الميت ونَفَسُه في صدره، فتمثَّلَتْ هذا البيت:

لعمرُك ما يغني الثراءُ عنِ الفتى

إذا حَشْرجَتْ يوماً وضاق بها الصَّدْرُ

فنظر إليها كالغضبان ثم قال: ليس كذاك يا أم المؤمنين! ولكن

﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾ [ق: 19]، إنِّي قد كنت نحلتك حائطاً، وإن في نفسي منه شيئاً، فردِّيه إلى الميراث. قالت: نعم، فرددته؛ فقال: أما إنَّا منذ وُلِّينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكنَّا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فَيء المسلمين قليل ولا كثير إلَّا هذا العبد الحبشي، وهذا البعير الناضح، وجَرْد هذه القطيفة؛ فإذا متُّ فابعثي بهنَّ إلى عمر وابرئي منهن، ففعلت. فلما جاء الرسول عمر بكى حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض ويقول: رحم الله، أبا بكر، لقد أتعب من بعده!! رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده!! يا غلام ارفعهنَّ. فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: سبحان الله، تسلُب عيال أبي بكر عبداً حبشياً وبعيراً ناضحاً وجَرْدَ قطيفة ثمنَ خمسة دراهم؟! قال: فما تأمر؟ قال: تردهنَّ على عياله، فقال: لا والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ـ أو كما حلف ـ لا يكون هذا في ولايتي أبداً، ولا خرج أبو بكر منهنَّ عند الموت وأردهن (أنا) على عياله!! الموت أقرب من ذلك.

* * *

رد عمر بن الخطاب رضي الله عنه المال

أخرج مالك عن عطاء بن يَسَار أن رسول الله ﷺ أرسل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعطاء فردّه عمر، فقال له رسول الله ﷺ: «لم رددته؟» فقال: يا رسول الله، أليس أخبرتنا أنَّ خيراً لأحدنا أن لا يأخذ من أحد شيئاً؟. فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك عن المسألة، فأما ما كان عن غير مسألة فإنما هو رزق يرزقكه الله». فقال عمر: أما ـ والذي نفسي بيده ـ لا أسأل أحداً شيئاً، ولا يأتيني شيء من غير مسألة إلّا أخذته. هكذا رواه مالك مرسلاً، ورواه البيهقي عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: ـ فذكره بنحوه؛ كذا في «الترغيب» (2/ 118).

وأخرج ابن سعد (3/ 308)، وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أهدى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه لامرأة عمر عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيل رضي الله عنهما طنفسة ـ أُراها تكون ذراعاً وشبراً ـ فدخل عليها عمر فرآها فقال: أنّى لك هذه؟ قالت: أهداها لي أبو موسى الأشعري. فأخذها عمر فضرب بها رأسها حتى نقض رأسها، ثم قال: عليَّ بأبي موسى الأشعري وأتعِبوه. فأُتي به قد أُتعب وهو يقول: لا تعجل عليَّ يا أمير المؤمنين. قال: ما يحملك على أن تهدي لنسائي؟ ثم أخذها عمر فضرب بها فوق رأسه وقال: خذها، فلا حاجة

لنا فيها. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 383).

وأخرج ابن عبد الحكم عن اللَّيث بن سعد قال: سأل المُقَوْقِس عمرو بن العاص رضي الله عنه أن يبيعه سفح المُقَطَّم بسبعين ألفَ دينار، فعجب عمرو من ذلك وقال: أكتب في ذلك إلى أمير المؤمنين، فكتب بذلك إلى عمر رضي الله عنه، فكتب إليه عمر: سَلْه لم أعطاك به ما أعطاك وهي لا تزرع ولا تستنبط به ماء ولا ينتفع بها؟ فسأله فقال: إنا لنجد صفتها في الكتب أنَّ فيها غراس الجنة. فكتب بذلك إلى عمر: فكتب إليه عمر: إنا لا نعلم غراس الجنة إلا للمؤمنين، فاقبر فيها مَنْ قِبَلك من المسلمين ولا تبعه بشيء. كذا في «كنز العمال» (3/ 152).

* * *

ردّ أبي عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه المال

وأخرج البيهقي (6/ 354) عن أسلم قال: لم كان يوم عام الرمادات وأجدبت بلاد العرب، كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه ـ فذكر الحديث، وقال فيه: ثم دعا أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فخرج في ذلك، فلما رجع بعث إليه بألف دينار، فقال أبو عبيدة: إني لم أعمل لك يا بن الخطاب إنما عملت لله!! ولست آخذ في ذلك شيئاً؛ فقال عمر: قد أعطانا رسول الله ﷺ في أشياء بعثنا لها فكرهنا ذلك فأبى علينا رسول الله ﷺ، فاقبلها أيها الرجل، فاستعن بها على دينك ودنياك. فقبلها أبو عبيدة. وأخرجه أيضاً ابن خزيمة، والحاكم نحوه عن أسلم، كما في «منتخب الكنز» (4/ 396).

* * *

ردّ سعيد بن عامر رضي الله عنه المال

أخرج الشاشي، وابن عساكر عن عبد الله بن زياد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعطى سعيد بن عامر رضي الله عنه ألف دينار، فقال: لا حاجة لي فيها؛ أعط من هو أحوج إليها مني. فقال عمر: على رِسْلك حتى أحدِّثكما، قال رسول الله ﷺ، ثم إن شئت فاقبل وإن شئت فدع، إنَّ رسول الله ﷺ عرض عليَّ شيئاً فقلتُ مثل الذي قلتَ، فقال رسول الله ﷺ: «من أُعطي شيئاً من غير سؤال ولا استشراف نفس فإنه رزق من الله فليقبله ولا يرده». فقال سعيد: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، فقبله. كذا في «الكنز» (3/ 325).

وعند الحاكم (3/ 286) عن زيد بن أسلم أنَّ عمر قال لسعيد بن عامر بن حِذْيَم رضي الله عنه: مال لأهل الشام يحبونك؟ قال: أراعيهم وأواسيهم؛ فأعطاه عشرة آلاف فردها وقال: إن لي أعبُداً وأفراساً وأنا بخير، وأنا أريد أن يكون عملي صدقة على المسلمين. فقال عمر: لا تفعل، إنَّ رسول الله ﷺ أعطاني مالاً دونها فقلت نحواً مما قلتَ، فقال لي: **«إذ أعطاك الله مالاً لَمَ تسأله ولم تَشْرَه نفسك إليه فخذه؛ فإنما هو رزقٌ الله أعطاك إياه».** وعند البيهقي، وابن عساكر عن أسلم كما في «الكنز» (3/ 325) قال: كان رجل من أهل الشام مرضياً فقال له عمر: علامَ يحبك أهل الشام؟ قال: أغازيهم وأواسيهم. فعرض عليه عشرة آلاف، قال: خذ واستعن بها في غزوك، قال: إني عنها غني ـ فذكر نحوه.

رد عبد الله السعدي رضي الله عنه المال

أخرج أحمد والحُميدي، وابن أبي شيبة، والدارمي، ومسلم والنَّسائي عن عبد الله بن السَّعدي رضي الله عنه أنه قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته، فقال له عمر: ألم أحدَّث أنك تلي من أعمال الناس أعمالاً؟ فإذا أُعطيت العُمالة كرهتها. فقلت: بلى. قال عمر: فما تريد إلى ذلك؟ قلت: إن لي أفراساً وأعبُداً وأنا بخير، وأريد أن تكون عُمالتي صدقة على المسلمين؛ قال عمر: فلا تفعل، فإني قد كنت أردتُ الذي أردتَ، وكان النبي ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أعطِه أفقرَ إليه مني، حتى أعطاني مرة فقلت: أعطه أفقر إليه مني، فقال النبي ﷺ: «خذه فتموَّلْه أو تصدَّقْ به، فما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تُتْبعه نفسك». وعند ابن جرير عنه قال: استعملني عمر رضي الله عنه على الصدقة فلما أديتها إليه أعطاني عُمالتي، فقلت: إنما عملت لله وأجرتي على الله، قال: خذ ما أعطيتك، فإني عملت على عهد رسول الله ﷺ فأعطاني فقلت مثل قولك فقال رسول الله ﷺ: «إذا أعطيتك شيئاً من غير أن تسألني فكل وتصدق». كذا في «الكنز» (3/ 325).

* * *

رد حكيم بن حزام
رضي الله عنه المال

أخرج عبد الرزاق عن سعيد بن المسيَّب قال: أعطى النبي ﷺ حكيم بن حزام رضي الله عنه يوم حُنَين عطاء فاستقلَّه فزاده، فقال: يا رسول الله، أي عطيتك خير؟ قال: «الأولى»، فقال النبي ﷺ: «يا حكيم بن حزام، إنَّ هذا المال خَضِرة حُلْوة، فمن أخذه بسخاوة نفس وحُسْن أُكْلة بورك له فيه، ومن أخذه باستشراف نفس وسوء أُكْلة لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل لا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى»، قال: ومنك يا رسول الله؟ قال: «ومنِّي» قال: فوالذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً أبداً. قال: فلم يقبل ديواناً ولا عطاءً حتى مات. قال: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: اللهمَّ إني أشهدك على حكيم بن حِزَام أني أدعوه لحقِّه من هذا المال وهو يأبى. فقال: إني - والله - ما أرزأك ولا غيرك شيئاً. كذا في «الكنز» (2/ 322).

وعند الشيخين عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: يا حكيم (إن) هذا المال خَضِر حُلْو - فذكر الحديث نحوه إلى أن قال: فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيماً ليعطيَه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئاً، ثم إنَّ عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيَه فأبى أن يقبله، فقال: يا معشر المسلمين، أشهدكم على حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسم

الله له من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه. فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد النبي ﷺ حتى توفي. كذا في «الترغيب» (2/ 101) وقال: رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنَّسائي باختصار ـ ا هـ. وعند الحاكم (3/ 483) عن عروة أن حكيم بن حزام لم يقبل من أبي بكر شيئاً حتى قُبض ولا من عمر ولا من عثمان ولا من معاوية حتى مات.

* * *

ردّ عامر بن ربيعة رضي الله عنه القطيعة

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 179) عن زيد بن أسلم (عن أبيه) عن عمر بن ربيعة رضي الله عنه أنه نزل به رجل من العرب فأكرم عامر مثواه، وكلَّم فيه رسول الله ﷺ، فجاءه الرجل، فقال: إني استقطعت رسول الله ﷺ وادياً ما في العرب وادٍ أفضل منه، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك. قال عامر: لا حاجة لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1].

* * *

رد أبي ذر الغفاري رضي الله عنه المال

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 160) عن عبد الله بن الصامت بن أخي أبي ذر رضي الله عنهما قال: دخلت مع عمي على عثمان رضي الله عنه، فقال لعثمان: ائذن لي في الرَّبَذَة، فقال: نعم ونأمر لك بنَعم من نَعَم الصدقة تغدو عليك وتروح، قال: لا حاجة لي في ذلك.

تكفي أبا ذر صِرْمتُه، ثم قام فقال: اعزموا دنياكم، ودعونا وربَّنا ودينَنا. وكانوا يقتسمون مال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وكان عنده كعب فقال عثمان لكعب: ما تقول فيمن جمع هذا المال، فكان يتصدّق منه ويعطي في السُّبُل ويفعل ويفعل؟ قال: إني لأرجو له خيراً. فغضب أبو ذر ورفع العصا على كعب وقال: وما يدريك يا بن اليهودية؟! لَيَوَدنَّ صاحب هذا المال يوم القيامة لو كانت عقارب تلسع السويداء من قلبه.

وعن أبي شعبة قال: جاء رجل إلى أبي ذر فعرض عليه نفقة، فقال أبو ذر: عندنا أعنُزٌ نحلبها، وحُمُرٌ تنقل، ومُحَرَّرَة تخدمنا، وفَضْل عباءة عن كسوتنا، إني أخاف أن أُحاسب على الفَضْل، كذا في «الحلية» (1/ 163).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 161) عن أبي بكر بن المنكدر قال: بعث حبيب بن مسلمة وهو أمير الشام إلى أبي ذر بثلاثمائة دينار وقال: استعن بها على حاجتك، فقال أبو ذر رضي الله عنه: ارجع بها إليه، أما وجد أحداً أغرَّ بالله منا؟! ما لنا إلّا ظل نتوارى به، وثَلّة من غنم تروح علينا، ومولاة لنا تصدّقت علينا بخدمتها، ثم إني لأتخوّف الفَضْل.

وأخرج الطبراني عن محمد بن سيرين قال: بلغ الحارث ـ رجل كان بالشام من قريش ـ أن أبا ذر رضي الله عنه كان به عَوَز، فبعث إليه بثلاثمائة دينار، فقال: ما وجد عبداً لله هو أهون عليه مني؟! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سأل وله أربعون فقد ألحف». ولأبي ذر أربعون درهماً، وأربعون شاة، وماهِنان؛ قال أبو بكر بن عياش: يعني خادمين. قال الهيثمي (9/ 331): رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن

أحمد بن عبد الله بن يونس وهو ثقة. ا هـ وأخرجه أبو نعيم عن ابن سيرين نحوه.

* * *

ردّ أبي رافع رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ المال

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 184) عن أبي رافع رضي الله عنه مولى النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «كيف بك يا أبا رافع إذا افتقرت؟» قلت: أفلا أتقدَّم في ذلك؟ قال: «بلى» قال: «ما مالك؟» قلت: أربعون ألفاً وهي لله عزّ وجلّ، قال: «لا، أعط بعضاً، وأمسك بعضاً وأصلح إلى ولدك». قال: قلت: أوَ لهم علينا يا رسول الله حق كما لنا عليهم؟ قال: «نعم حق الولد على الوالد أن يعلِّمه الكتاب ـ قال عثمان بن عبد الرحمن: كتاب الله عزّ وجلّ ـ والرميَ، والسباحة، ـ زاد يزيد ـ: وأن يُوَرِّثه طيِّباً». قال: ومتى يكون فقري؟ قال: «بعدي». قال أبو سُلَيم: فلقد رأيته افتقر بعد حتى كان يقعد فيقول: من يتصدَّق على الشيخ الكبير الأعمى، من يتصدَّق على رجل أعلمه رسول الله ﷺ أنه سيفتقر بعده، من يتصدّق فإن يد الله هي العليا ويد المعطي الوسطى ويد السائل السفلى، ومن سأل عن ظهر غنًى كان له شية يعرف بها يوم القيامة، ولا تحلُّ الصدقة لغني ولا لذي مِرَّة سويّ. قال: فلقد رأيت رجلاً أعطاه أربعة دراهم فردَّ عليه منها درهماً، فقال: يا عبد الله لا ترد عليَّ صدقتي فقال: إنَّ رسول الله ﷺ نهاني أن أكنز فُضول المال. قال أبو سُلَيم: فلقد رأيته بعدُ استغنى حتى أتى له عاشر عشرة، وكان يقول: ليت أبا رافع مات في فقره ـ أو وهو فقير ـ قال: ولم يكن يكاتبِ مملوكه إلّا بثمنه الذي اشتراه به.

ردّ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما المال

أخرج الحاكم (3/ 476) عن إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن أبيه عن جده قال: بعث معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بمائة ألف درهم بعد أن أبى البَيْعة ليزيد بن معاوية، فردّها عبد الرحمن وأبى أن يأخذها وقال: أبيع ديني بدنياي!، وخرج إلى مكة حتى مات بها. وأخرجه الزبير بن بكار عن عبد العزيز بنحوه، كما في الإصابة (2/ 408).

* * *

ردّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما المال

أخرج ابن سعد (4/ 121) عن ميمون قال: دسّ معاوية، عمرو بن العاص رضي الله عنهما وهو يريد (أن) يعلم ما في نفس ابن عمر رضي الله عنهما، يريد القتال أم لا؟ فقال: يا أبا عبد الرحمن ما يمنعك أن تخرج فنبايعك، وأنت صاحب رسول الله ﷺ وابن أمير المؤمنين وأنت أحق الناس بهذا الأمر؟ قال: وقد اجتمع الناس كلهم على ما تقول؟ قال: نعم إلا نُفَير يسير. قال: لو لم يبق إلا ثلاثة أعلاج بهَجَر لم يكن لي فيها حاجة، قال: فعلم أنه لا يريد القتال، قال: هل لك أن تبايع لمن قد كاد الناس أن يجتمعوا عليه ويكتب لك من الأرضين ومن الأموال ما لا تحتاج أنت ولا ولدك إلى ما بعده؟ فقال: أفٍّ لك! اخرج من عندي ثم لا تدخل عليَّ! ويحك! إنَّ ديني ليس بدينارِكم ولا درهمكم، وإني أرجو أن أخرج من الدنيا ويدي بيضاء نقية.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 301) عن ميمون بن مِهران أن ابن عمر رضي الله عنهما كاتب غلاماً له ونجَّمها عليه نجوماً، فلما حلّ أول النَّجْم أتاه المكاتب به، فسأله من أين أصبت هذا؟ قال: كنت أعمل وأسأل. قال ابن عمر: أفجئتني بأوساخ الناس تريد أن تطعمنيها؟ أنت حرٌّ لوجه الله، ولك ما جئت به.

* * *

ردّ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما المال

أخرج ابن أبي الدنيا والخرائطي بسند حسن عن محمد بن سيرين أن دِهْقاناً من أهل السواد كلَّم ابن جعفر في أن يكلم علياً رضي الله عنه في حاجة، فكلمه فيها فقضاها، فبعث إليه الدهقان أربعين ألفاً، فقالوا: أرسل بها الدِّهْقان. فردّها وقال: إنا لا نبيع معروفاً. كذا في «الإِصابة» (2/ 290).

* * *

ردّ عبد الله بن الأرقم رضي الله عنه المال

أخرج البغوي من طريق ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال: استعمل عثمانُ عبدَ الله بن الأرقم رضي الله عنهما على بيت المال، فأعطاه عُمالة ثلاثمائة ألف، فأبى أن يقبلها ـ فذكر نحوه أي نحو حديث مالك، قال: بلغني أنّ عثمان أجاز عبد الله بن الأرقم بثلاثين ألفاً فأبى أن يقبلها، وقال: إنما عملت لله. كذا في «الإِصابة» (2/ 274).

رد عمرو بن النعمان بن مقرِّن
رضي الله عنهم المال

أخرج ابن أبي شيبة عن معاوية بن قرَّة قال: كنت نازلاً على عمرو بن النعمان بن مقرِّن رضي الله عنهما، فلما حضر رمضان أتاه رجل بكيس دراهم، فقال: إن الأمير مُصْعَب بن الزبير يقرئك السلام ويقول: لم ندع قارئاً إلا وقد وصل إليه منا معروف فاستعن بهذا، فقال: قل له: والله ما قرأنا القرآن نريد به الدنيا، وردّه عليه. كذا في «الإصابة» (3/ 21).

* * *

رد أسماء وعائشة بنتي أبي بكر الصديق
رضي الله عنهم المال

أخرج أحمد، والبزَّار عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قدمت قُتَيلة ابنة عبد العزى بن عبد سعد من بني مالك بن حِسْل على ابنتها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها بهدايا؛ ضِبَابٍ، وقرص، وسمن، وهي مشركة، فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها، فسألت عائشة النبي ﷺ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [الممتحنة: 8] - إلى آخر الآية -، فأمرها أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها. قال الهيثمي (7/ 123): وفيه مصعب بن ثابت وثَّقه ابن حبان وضعَّفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (4/ 204) عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليَّ امرأة مسكينة ومعها شيء تهديه إليَّ، فكرهت أن أقبله

منها رحمة لها؛ فقال لي نبي الله ﷺ: «فهلا قبلتيه وكافأتيها، فأرى أنك حقَّرتيها فتواضعي يا عائشة؛ فإنَّ الله يحب المتواضعين ويبغض المستكبرين».

* * *

الاحتراز عن السؤال

أخرج ابن جرير عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: أعوزنا إعوازاً شديداً، فأمرني أهلي أن آتي النبي ﷺ فأسأله شيئاً، فأقبلت فكان أول ما سمعت النبي ﷺ يقول: «من استغنى أغناه الله، ومن استعفّ أعفّه الله، ومن سألنا لم ندّخر عنه شيئاً وجدناه» فلم أسأله شيئاً ورجعت فمالت علينا الدنيا.

وعنده أيضاً عن أبي سعيد أنه أصبح ذات يوم وقد عصب على بطنه حجراً من الجوع، فقالت له امرأته ـ أو أمته ـ: إيت النبي ﷺ فاسأله، فقد أتاه فلان فسأله فأعطاه. فأتيته وهو يخطب فأدركت من قوله وهو يقول: «من يستعفِفْ يعفّه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يسألنا إمّا أن نبذل له أو نواسيه ـ شكَّ أبو حمزة ـ ومن يستغنِ عنا أحبُّ إلينا ممن يسألنا»، قال: فرجعت فما سألته شيئاً؛ فما زال الله يرزقنا حتى ما أعلم أحداً من الأنصار أهل بيت أكثر أموالاً منا. كذا في «الكنز» (3/ 322).

وأخرج البزّار عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه رضي الله عنه قال: كانت لي عند رسول الله ﷺ عِدَة، فلما فتحت قريظة جئت لينجز لي ما وعدني فسمعته يقول: «من يستغن يغنه الله، ومن يقنع يقنعه الله»، فقلت في نفسي: لا جَرَم لا أسأله شيئاً. وأبو سَلَمة لم يسمع من أبيه ـ قاله ابن معين وغيره. كذا في «الترغيب» (2/ 104).

وأخرج أحمد، والنسائي، وابن ماجه، وأبو داود بإسناد صحيح

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تكفَّل لي أن لا يسأل الناس شيئاً أتكفل له بالجنة» فقلت: أنا، فكان لا يسأل أحداً شيئاً.

وعند ابن ماجه قال: «لا تسأل الناس شيئاً»، قال: فكان ثوبان يقع سوطه وهو راكب فلا يقول لأحد: ناوِلْنيه حتى ينزل فيأخذه. كذا في «الترغيب» (2/ 101). وقد تقدَّم في البَيْعة على أعمال الإِسلام من حديث أبي أمامة بَيْعة ثوبان على أن لا يسأل أحداً شيئاً. قال أبو أمامة: فلقد رأيته بمكة في أجمع ما يكون من الناس يسقط سوطه وهو راكب، فربما وقع على عاتق رجل فيأخذه الرجل فيناوله، فما يأخذه حتى يكون هو ينزل فيأخذه. أخرجه الطبراني وأخرجه أحمد، والنَّسائي عن ثوبان مختصراً.

وعند أحمد أيضاً كما في «الكنز» (3/ 321) عن ابن أبي مُلَيكة قال: كان ربما سقط الخِطَام من يد أبي بكر رضي الله عنه، فيضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه، فقالوا: أفلا أمرتنا نناولكه؟ قال: إن حبيبي ﷺ أمرني أن لا أسأل الناس شيئاً.

* * *

الخوف على بسط الدنيا

خوف النبي ﷺ

أخرج البخاري (ص 578) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: صلّى رسول الله ﷺ على قتلى أُحد بعد ثماني سنين كالمودِّع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: «إني بين أيديكم فَرَط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا؛ ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تَنافَسوها». قال: فكنت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ.

وعند البخاري في الرِّقاق عن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلّى على أهل أُحد - فذكره، وفيه: «وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أُعطيتِ مفاتيح خزائن الأرض - أو مفاتيح الأرض - وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي؛ ولكني أخاف عليكم أن تَنافَسوا فيها».

وأخرج الشيخان عن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين يأتي بجزيتها، فقدم بمال من البحرين، فسمعتْ الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافو صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ. فلما صلَّى رسول الله ﷺ انصرف فتعرَّضوا له، فتبسَّم رسول الله ﷺ حين رآهم، ثم قال: «أظُنُّكم سمعتم

أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟» قالوا: أجل، يا رسول الله. فقال: «أبشروا وأمِّلوا ما يسركم، فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافَسوها كما تنافَسوها، فتهلكَكم كما أهلكتهم». كذا في «الترغيب» (5/ 141).

وأخرج أحمد، والبزار عن أبي ذر رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ (جالس) إذ قام أعرابي فيه جفاء فقال: يا رسول الله، أكلتنا الضَّبُع، فقال النبي ﷺ: «غير ذلك أخوَف عليكم؛ حين تُصبُّ عليكم الدنيا صبّاً، فيا ليت أمتي لا تلبس الذهب» ورواة أحد رواة الصحيح. كذا في «الترغيب» (5/ 144).

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في حديث قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله، فقال: «إن ممّا أخاف عليكم ما يفتح الله عليكم من زَهرة الدنيا وزينتها» كذا في «الترغيب» (5/ 144).

وأخرج أبو يَعْلى، والبزّار عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأنا لفتنة السرَّاء أخوف عليكم من فتنة الضرَّاء، إنكم ابتُليتم بفتنة الضرَّاء فصبرتم، وإن الدنيا حلوة خَضِرة»، وفيه راوٍ لم يُسمَّ وبقية رواته رواة الصحيح. كذا في «الترغيب» (5/ 145).

وأخرج الطبراني عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ في أصحابه فقال: «الفقر تخافون - أو العَوَز - أم تُهمكم الدنيا؟! فإنَّ الله فاتح عليكم فارس، والروم، وتُصبُّ عليكم الدنيا صَبّاً؛ حتى لا يزيغكم بعد أن زغتم إلا هي» وفي إسناده بَقِيَّة. كذا في «الترغيب» (5/ 142).

خوف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبكاؤه على بسط الدنيا

أخرج البيهقي (6/ 358) عن المِسْوَر بن مخرمة رضي الله عنه قال: أُتيَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بغنائم من غنائم القادسية، فجعل يتصفَّحها وينظر إليها وهو يبكي ومعه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فقال له عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين، هذا يوم فرح وهذا يوم سرور. قال: فقال: أجل، ولكن لم يُؤتَ هذا قوم قطُّ إلا أورثهم العداوة والبغضاء. وأخرجه الخرائطي أيضاً عن المِسْوَر مثله، كما في «الكنز» (2/ 321).

وعند البيهقي أيضاً (6/ 358) عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: لما أُتيَ عمر رضي الله عنه بكنز كسرى قال له عبد الله بن أرقم الزهري رضي الله عنه: ألا تجعلها في بيت المال؟ فقال عمر رضي الله عنه: لا نجعلها في بيت المال حتى نقسمها، وبكى عمر رضي الله عنه، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إن هذا ليوم شكر ويوم سرور ويوم فرح، فقال عمر: إنَّ هذا لم يُعطِه الله قوماً قط إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء. وأخرجه ابن المبارك، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة عن إبراهيم مثله، كما في «الكنز» (2/ 321). وأخرجه أحمد في الزهد، وابن عساكر عن إبراهيم نحوه مختصراً، كما في «الكنز» (2/ 146).

وعند البيهقي أيضاً (6/ 358) عن الحسن أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُتي بفروة كسرى، فوضعت بين يديه وفي القوم سُراقة بن مالك بن جُعْشُم رضي الله عنه، قال: فألقى إليه سِوارَيْ كسرى بن هرمز، فجعلها في يده فبلغا مَنكبيه، فلما رآهما في يدي سراقة قال:

الحمد لله! سواري كسرى بن هرمز في يدِ سُراقة بن مالك بن جُعْشُم، أعرابيٌّ من بني مُدْلج!! ثم قال: اللهمَّ إني قد علمت أن رسولك ﷺ كان يحب أن يصيب مالاً فينفقَه في سبيلك وعلى عبادك، وزويت ذلك عنه نظراً منك له وخياراً. ثم قال: اللهَّم إني قد علمت أن أبا بكر رضي الله عنه كان يحب أن يصيب مالاً فينفقه في سبيلك وعلى عبادك، فزويت ذلك عنه نظراً منك له وخياراً، اللهمَّ إني أعوذ بك أن يكون هذا مكراً منك بعمر، ثم تلا: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾ [المؤمنون: 55، 56]. وأخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن عساكر عن الحسن مثله، كما في «منتخب الكنز» (4/ 412).

وأخرج أحمد بإسناد حسن، والبزار، وأبو يَعْلى عن أبي سِنان الدؤلي أنه دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنده نفر من المهاجرين الأولين، فأرسل عمر إلى سَفَط ـ هو شيء كالقُفَّة أو كالجُوَالِق ـ أُتي به من قلعة العراق، فكان فيه خاتم، فأخذه بعض بنيه فأدخله في فيه فانتزعه عمر منه، ثم بكى عمر رضي الله عنه، فقال له من عنده: لم تبكي وقد فتح الله عليك وأظهرك على عدوك وأقر عينك؟ فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا تُفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله عزّ وجلّ بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، وأنا أُشفق من ذلك». كذا في «الترغيب» (5/ 144).

وأخرج الحُميدي وابن سعد (3/ 207) والبزَّار، وسعيد بن منصور، والبيهقي (6/ 358) وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلَّى صلاة جلس للناس، فمن كان له حاجة كلَّمه، وإن لم يكن لأحد حاجة قام، فصلَّى صلوات

للناس لا يجلس فيهن، فقلت: يا يرفأ أبأمير المؤمنين شَكاة؟ فقال: ما بأمير المؤمنين شكو، فجلست فجاء عثمان بن عفان رضي الله عنه فجلس، فخرج يَرْفأ فقال: قم يا بن عفان، قم يا بنَ عباس. فدخلنا على عمر فإذا بين يديه صُبَرٌ من مال على كل صُبْرة منها كتف، فقال: إني نظرت إلى أهل المدينة فوجدتكما من أكثر أهلها عشيرة، فخذا هذا المال فاقتسماه، فما كان من فَضْل فردّا. فأمّا عثمان فحثا، وأما أنا فجثوت لركبتي وقلت: وإن كان نقصاناً رددت علينا؟ فقال عمر: شِنْشِنَةٌ من أخشَن - (قال سفيان): يعني حجراً من جبل - أما كان هذا عند الله إذ محمد ﷺ وأصحابه يأكلون القِد: فقلت؛ بلى، والله لقد كان هذا عند الله ومحمد حيّ، ولو عليه فُتِح لصنع فيه غير الذي تصنع؛ فغضب عمر وقال: إذاً، صنع ماذا؟ قلت: إذاً، لأكل وأطعمنا. فنشج عمر حتى اختلفت أضلاعه، ثم قال: وددتُ أني خرجت منها كفافاً لا لي ولا عليّ. كذا في «الكنز» (2/ 320)؛ وقال الهيثمي (10/ 242): رواه البزّار وإسناده جيد. ا هـ.

وأخرج أبو عبيد ، وابن سعد (3/ 218) وابن راهَوَيه، والشاشي - وحسن - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دعاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتيته، فإذا بين يديه نِطَعٌ فيه الذهب منثور. قال: هلمَّ فاقسم هذا بين قومك، فالله أعلم حيث زوى هذا عن نبيه ﷺ وعن أبي بكر فأُعطيته، لخير أعطيته أم لشر؟! ثم بكى وقال: كلّا والذي نفسي بيده، ما حبسه عن نبيه وعن أبي بكر إرادة الشرِّ لهما وأعطاه عمر إرادة الخير له. كذا في «الكنز» (2/ 317).

وأخرج أبو عُبَيد والعدني عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: بعث إليَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتيته، فلما بلغت الباب

سمعت نحيبه، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون! اعتُري - والله - أمير المؤمنين، فدخلت فأخذت بمنكبه وقلت: لا بأس لا بأس يا أمير المؤمنين. قال: بل أشد البأس، فأخذ بيدي فأدخلني الباب، فإذا حقائب بعضها فوق بعض!! فقال: الآن هان آل الخطاب على الله، إنَّ الله لو شاء لجعل هذا إلى صاحبيَّ - يعني النبي ﷺ وأبا بكر - فسنَّا لي فيه سُنّة أقتدي بها، قلت: اجلس بنا نفكر، فجعلنا لأمهات المؤمنين أربعة آلاف أربعة آلاف، وجعلنا للمهاجرين أربعة آلاف أربعة آلاف، ولسائر الناس ألفين ألفين، حتى وزعنا ذلك المال». كذا في «الكنز» (2/ 318).

* * *

خوفُ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وبكاؤه على بسط الدنيا

أخرج البخاري (ص 579) عن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أُتي بطعام وكان صائماً، فقال: قُتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كُفِّن في بردة إن غُطِّي رأسه بدت رجلاه، وإن غُطي رجلاه بدا رأسه - وأراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط - أو قال: أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عُجِّلت لنا. ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام. وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» نحوه (1/ 100).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 99) عن نوفل بن إياس الهُذَلي قال: كان عبد الرحمن رضي الله عنه لنا جليساً - وكان نعم الجليس -، وإنه انقلب بنا يوماً حتى دخلنا بيته، ودخل فاغتسل ثم خرج فجلس

معنا، وأتينا بصحفة فيها خبز ولحم، فلما وُضعت بكى عبد الرحمن بن عوف، فقلنا له: يا أبا محمد ما يبكيك؟ قال: هلك رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير؛ ولا أرانا أُخِّرنا لها لما هو خير منها. وأخرجه الترمذي والسّراج عن نوفل نحوه، كما في «الإصابة» (2/ 417).

وأخرج البزار عن أم سَلَمة رضي الله عنها أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه دخل عليها فقال: يا أمّه، قد خفت أن يهلكني مالي، أنا أكثر قريش مالاً؛ قالت: يا بني فأنفق؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه». فخرج عبد الرحمن بن عوف فلقي عمر رضي الله عنه فأخبره بالذي قالت أم سَلَمة، فدخل عليها عمر فقال: بالله منهم أنا؟ فقالت: لا، ولا أُبرّىء أحداً بعدك. قال الهيثمي (9/ 72) رجاله رجال الصحيح.

* * *

خوف خبّاب بن الأرتّ رضي الله عنه وبكاؤه على بسط الدنيا

أخرج أبو يَعْلى، والطبراني بإسناد جيد عن يحيى بن جَعْدة قال: عاد خبّاباً رضي الله عنه ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: أبشر يا أبا عبد الله، ترد على محمد ﷺ الحوض، فقال: كيف بهذا؟ وأشار إلى أعلى البيت وأسفله وقد قال رسول الله ﷺ: «إنّما يكفي أحدكم كزاد الراكب»، كذا في «الترغيب» (5/ 184).

وعند أبي نُعيم في «الحلية» (1/ 145) عن طارق بن شهاب قال:

عاد خبّاباً نفرٌ من أصحاب النبي ﷺ فقالوا: أبشر يا أبا عبد الله، إخوانك تَقْدَم عليهم غداً. قال: فبكى وقال: أمَا إنَّه ليس بي جزع، ولكنكم ذكَّرتموني أقواماً وسميتم لي إخواناً، وإن أولئك قد مَضَوا بأجورهم كلهم، وإني أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا بعدهم. وأخرجه ابن سعد (3/ 118) عن طارق بنحوه.

وعند أبي نعيم في «الحلية» (1/ 144) عن حارثة بن مُضَرِّب قال: دخلنا على خبّاب وقد اكتوى في بطنه سبع كيات، فقال: لولا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يتمنينَّ أحدكم الموت» لتمنيتُه، فقال بعضهم: اذكر صحبة النبي ﷺ والقدوم عليه، فقال: قد خشيت أن يبقى ما عندي القدوم عليه. هذه أربعون ألفاً دراهم في البيت.

وأخرج (1/ 145) من طريق آخر عن حارثة نحوه مختصراً وزاد: ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ ما أملك درهماً وإنَّ في جانب بيتي لأربعين ألف درهم! قال: ثم أُتي بكفنه فلما رآه بكى فقال: لكنَّ حمزةَ لم يوجد له كفن إلا بردة ملحاء، إذ جُعلت على رأسه قَلَصَت عن قدميه، وإذا جُعلت على قدميه قلصت عن رأسه، حتى مُدَّت على رأسه وجعل على قدميه الإِذخر؛ وأخرجه ابن سعد (3/ 117) عن حارثة بنحوه.

وعند أبي نعيم في «الحلية» (1/ 145) عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: دخلنا على خباب بن الأرت في مرضه فقال: إن في هذا التابوت ثمانين ألف درهم، والله، ما شددت لها من خيط لا منعتها من سائل، ثم بكى فقلنا: ما يبكيك؟ قال: أبكي أنَّ أصحابي مَضَوا ولم تَنقصهم الدنيا شيئاً، وإنا بقينا بعدهم حتى لم نجد لها موضعاً إلا التراب. قال أبو نُعيم: رواه أبو أسامة عن إدريس قال: ولوددتُ أنه كذا وكذا كما قال بَعْراً أو غيره.

وعند أبي نعيم أيضاً (1/ 146) من حديث قيس ثم قال: إنّه قد مضى قبلنا أقوام لم ينالوا من الدنيا شيئاً، وإنا بقينا بعدهم حتى نلنا من الدنيا ما لا يدري أحدنا في أيِّ شيء يضعه إلَّا في التراب، وإنَّ المسلم يُؤجر في كل شيء أنفقه إلا فيما أنفق في التراب.

وعند البخاري عن خباب قال: هاجرنا مع النبي ﷺ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله؛ فمنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئاً، كان منهم مصعب بن عمير قُتل يوم أُحد لم يترك إلا نَمرة، كنا إذا غطَّينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غُطِّي بها رجلاه خرج رأسه، فقال لنا النبي ﷺ: «غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله الإِذْخِر». ومنا من ينعت له ثمرته فهو يَهْدِبُها. وأخرجه ابن سعد (3/ 85) وابن أبي شيبة بمثله كما في الكنز (7/ 86).

* *

خوف سلمان الفارسي رضي الله عنه وبكاؤه على بسط الدنيا

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 199) عن أبي البَخْتري عن رجل من بني عبس قال: صحبت سلمان رضي الله عنه فذكر ما فتح الله تعالى على المسلمين من كنوز كسرى، فقال: إنَّ الذي أعطاكموه وفتحه لكم وخوَّلكم لممسك خزائنه ومحمد ﷺ حيّ، ولقد كانوا يصبحون وما عندهم دينار ولا درهم ولا مدٌّ من طعام، ثم ذاك يا أخا بني عبس!!. ثم مررنا ببيادر تُذرى فقال: إنَّ الذي أعطاكموه وخوَّلكم وفتحه لكم لممسك خزائنه ومحمد ﷺ حيٌّ، لقد كانوا يصبحون وما عندهم دينار ولا درهم ولا مد من طعام، ثم ذاك يا أخا بني عبس!!.

وعند الطبراني عن رجل من بني عبس قال: كنت أسير مع سلمان رضي الله عنه على شط دجلة، فقال: يا أخا بني عبس انزل فاشرب. فشربت فقال: ما نقص شرابك من دجلة؟ قلت: ما عسى أن ينقص، قال: فإنَّ العلم كذلك يؤخذ منه ولا ينقص، ثم قال: اركب. فمررنا بأكداس من حنطة وشعير، فقال: أفترى هذا فُتح لنا وقتر على أصحاب محمد ﷺ لخير لنا وشر لهم؟ قلت: لا أدري. (قال) ولكني أدري شر لنا وخير لهم. قال: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية حتى لحق بالله عزّ وجلّ. قال الهيثمي (10/ 324): وفيه راوٍ لم يُسمَّ وبقية رجاله وُثِّقوا.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 195) عن أبي سفيان عن أشياخه أنَّ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه دخل على سلمان رضي الله عنه يعوده، فبكى سلمان، فقال له سعد: ما يبكيك؟ تلقى أصحابك، وترد على رسول الله ﷺ الحوض، وتُوفي رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ! فقال: ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا؛ ولكنَّ رسول الله ﷺ عهد إلينا فقال: «ليكن بُلْغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب»، وهذه الأساود حولي ـ وإنما حوله [جفنة] مِطْهرة أو إجانة ونحوها ـ فقال له سعد: اعهد إلينا عهداً نأخذ به بعدك، فقال له: اذكر ربَّك عند همِّك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت؛ وأخرجه الحاكم وصحَّحه كما في «الترغيب» (5/ 127) وابن سعد (4/ 65) عن أبي سفيان عن أشياخه نحوه، وفي رواية الحاكم: وإنما حوله إجَّانة وجَفْنة ومِطْهَرة. وأخرجه ابن الأعرابي عن أبي سفيان عن أشياخه مختصراً، كما في «الكنز» (2/ 147).

وعند ابن ماجه ورواته ثقات عن أنس قال: اشتكى سلمان رضي الله

عنه فعاده سعد رضي الله عنه، فرآه يبكي فقال له سعد: ما يبكيك يا أخي؟ أليس قد صحبت رسول الله ﷺ؟ أليس؟ قال سلمان: ما أبكي وحدة من اثنين، ما أبكي ضناً على الدنيا، ولا كراهية الآخرة؛ ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً ما أُراني إلا قد تعدَّيت، قال: وما عهد إليك؟ قال: عهد إلينا أنه يكفي أحدكم مثل زاد الركب، ولا أُراني إلَّا قد تعدَّيت، وأما أنت يا سعد، فاتَّق الله عند حكمك إذا حكمت، وعند قسمك إذا قسمت، وعند همِّك إذا هممت. قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهماً مع نُفَيقة كانت عنده. كذا في «الترغيب» (5/ 128).

وعند ابن حِبَّان في صحيحه عن عامر بن عبد الله أن سلمان الخير رضي الله عنه حين حضره الموت عرفوا منه بعض الجزِع، فقالوا: ما يجزعك يا أبا عبد الله؟ وقد كانت لك سابقة في الخير، شهدت مع رسول الله ﷺ مغازي حسنة وفتوحاً عظاماً، قال: يجزعني أنَّ حبيبنا محمداً ﷺ حين فارقنا عهد إلينا قال: «لِيَكْفِ المرءَ منكم كزادِ الراكب، فهذا الذي أجزعني». فجُمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر درهماً. كذا في «الترغيب» (5/ 184). وأخرجه ابن عساكر عن عامر مثله، كما في «الكنز» (7/ 45) إلَّا أنه وقع عنده: خمسة عشر ديناراً، وهكذا ذُكر في «الكنز» عن ابن حِبَّان. وهكذا رواه أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 197) عن عامر بن عبد الله في هذا الحديث، ثم قال: كذا قال عامر بن عبد الله: ديناراً، واتفق الباقون على بضعة عشر درهماً، ثم أخرج عن علي بن بذيمة قال: بيع متاع سلمان فبلغ أربعة عشر درهماً. وهكذا أخرجه الطبراني عن علي، قال في «الترغيب» (5/ 186): وإسناده جيد إلا أنَّ علياً لم يدرك سلمان.

خوف أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة القرشي رضي الله عنه

أخرج الترمذي، والنَّسائي عن أبي وائل قال: جاء معاوية رضي الله عنه إلى أبي هاشم بن عتبة رضي الله عنه وهو مريض يعوده، فوجده يبكي، فقال: يا خال ما يبكيك؟ أوجع يُشْئِزُك أم حرص على الدنيا؟ قال: كلا، ولكنَّ رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً لم نأخذ به، قال: وما ذاك؟ قال: سمعته يقول: «إنما يكفي من جمع المال خادم ومركب في سبيل الله»، وأجدني اليوم قد جمعت. وقد رواه ابن ماجه عن أبي وائل عن سَمُرة بن سَهْم عن رجل من قومه لم يسمِّه قال: نزلت على أبي هاشم بن عتبة فجاءه معاوية ـ فذكر الحديث بنحوه، ورواه ابن حِبَّان في «صحيحه» (668) عن سَمُرة بن سَهْم قال: نزلت على أبي هاشم بن عتبة وهو مطعون، فأتاه معاوية ـ فذكر الحديث. وذكره رَزِين فزاد فيه فلما مات حُصِر ما خلَّف فبلغ ثلاثين درهماً، وحُسبت فيه القصعة التي كان يعجن فيها وفيها يأكل، كذا في «الترغيب» (5/ 184). وأخرجه البغوي وابن السَّكَن عن أبي وائل عن سَمُرة بن سَهْم عن رجل من قومه، كما في «الإصابة» (4/ 201) وقال: وروى الترمذي وغيره بسند صحيح عن أبي وائل قال: جاء معاوية إلى أبي هاشم، فذكره ـ اهـ. وأخرج الحديث أيضاً الحاكم (3/ 638) عن أبي وائل وابن عساكر من طريق سمرة، كما في «الكنز» (2/ 149).

* * *

خوف أبي عُبيدة بن الجراح رضي الله عنه وبكاؤه على بسط الدنيا

أخرج أحمد عن أبي حَسَنة مسلمِ بن أكَيْس مولى عبد الله بن عامر

عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: ذَكَر من دخل عليه فوجده يبكي، فقال: ما يبكيك يا أبا عبيدة؟ قال: نبكي أنَّ رسول الله ﷺ ذكر يوماً ما يفتح الله على المسلمين ويفيء عليهم حتى ذكر الشام، فقال: «إن يُنسأ في أجلك يا أبا عبيدة فحسبك من الخدم ثلاثة: خادم يخدمك، وخادم يسافر معك، وخادم يخدم أهلك ويرد عليه. وحسبك من الدواب ثلاثة: دابة لِرَحْلك، ودابة لنقلك، ودابة لغلامك»؛ ثم هذا أنا أنظر إلى بيتي قد امتلأ رقيقاً، وأنظر إلى مربطي قد امتلأ رقيقاً، وأنظر إلى مربطي قد امتلأ دوابَّ وخيلاً، فكيف ألقى رسول الله ﷺ بعد هذا؟! وقد أوصانا رسول الله ﷺ: «إنَّ أحبكم إليَّ وأقربكم مني من لقيني على مثل الحال الذي فارقني عليها». قال الهيثمي (10/ 253) رواه أحمد وفيه راوٍ لم يُسمَّ وبقية رجاله ثقات. انتهى. وأخرجه ابن عساكر نحوه، كما في «المنتخب» (5/ 73).

* * *

زهد النبي ﷺ وأصحابه عن الدنيا والخروج عنها بدون تلبس بها

زهد النبي ﷺ

أخرج ابن ماجه بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدَّثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير. قال: فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثَّر في جنبه. وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، وقَرَظ في ناحية في الغرفة، وإذا إهاب معلَّق، فابتدرتْ عيناي، فقال: «ما يبكيك يا ابن الخطاب؟» فقال: يا نبي الله وما لي لا أبكي! وهذا الحصير قد أثَّر في جنبك، وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى، وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزانتك!! قال: «يا بن الخطاب، أما ترضَى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟!» وأخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم. ولفظُه: قال عمر رضي الله عنه: استأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت عليه في مَشْرَبة وإنه لمضطجع على خَصَفة إنَّ بعضه لعلى التراب، وتحت رأسه وسادة محشوة ليفاً، وإنَّ فوق رأسه لإهاباً عَطِناً، وفي ناحية المشربة قَرَظ؛ وسلمت عليه فجلست فقلت: أنت نبي الله وصفوته، وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير؟! فقال: «أولئك عُجِّلت لهم طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع، وإنَّا قوم أُخِّرت لنا طيباتنا في آخرتنا»، ورواه

ابن حِبّان في «صحيحه» عن أنس أن عمر رضي الله عنهما دخل على النبي ﷺ ـ فذكر نحوه، كذا في الترغيب (5/ 161). وأخرج حديث أنس أيضاً أحمد، وأبو يَعْلى بنحوه، قال الهيثمي (10/ 326): رجال أحمد رجال الصحيح غير مبارك بن فَضالة وقد وثّقه جماعة وضعفه جماعة. انتهى.

وأخرجه أحمد، وابن حِبَّان في «صحيحه» والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر رضي الله عنه وهو على حصير قد أثَّر في جنبه، فقال: يا رسول الله، لو اتخذتَ فراشاً أوثَر من هذا، فقال: «ما لي وللدنيا؟! ما مَثَلي ومَثَل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها»، كذا في «الترغيب» (5/ 160). وأخرجه الترمذي ـ وصحَّحه ـ وابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه نحوه، والطبراني وأبو الشيخ عن ابن مسعود نحو حديث عمر، كما في الترغيب (5/ 159)، وابن حِبَّان، والطبراني عن عائشة رضي الله عنها، كما في «الترغيب» (5/ 162) و «المجمع» (10/ 327).

وأخرج البيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليَّ امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ قطيفة مثنية، فبعثت إليَّ بفراش حشوه الصوف، فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فقال: «ما هذا يا عائشة؟» قالت: قلت: يا رسول الله، فلانة الأنصارية دخلت فرأت فراشك، فذهبت فبعثت إليَّ بهذا، فقال: «ردِّيه يا عائشة، فوالله لو شئتُ لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة». وأخرجه أبو الشيخ أطول منه، كما في «الترغيب» (5/ 163).

وأخرج ابن ماجه، والحاكم عن أنس رضي الله عنه قال: لبس

رسول الله ﷺ الصوف، واحتذى المخصوف. وقال: أكل رسول الله ﷺ بَشِعاً، ولبس حِلْساً خشناً، قيل للحسن: ما البشع؟ قال: غليظ الشعير، ما كان النبي ﷺ يسيغه إلّا بجرعة من ماء. وفيه يوسف بن أبي كثير وهو مجهول عن نوح بن ذكوان وهو واهٍ، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، (وعنده: خشناً موضع بشعاً) كذا في «الترغيب» (5/ 163).

وأخرج ابن ماجه، وابن أبي الدنيا في كتاب «الجوع» وغيرهما عن أم أيمن رضي الله عنها أنها غربلت دقيقاً، فصنعته للنبي ﷺ رغيفاً، فقال: «ما هذا؟» قالت: طعام نصنعه بأرضنا فأحببت أن أصنع لك منه رغيفاً، فقال: «ردِّيه (فيه) ثم اعجنيه». كذا في «الترغيب» (5/ 154).

وأخرج الطبراني عن سَلمى امرأة أبي رافع رضي الله عنهما قالت: دخل عليَّ الحسن بن علي وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم فقالوا: اصنعي لنا طعاماً ممَّا كان يُعجب النبي ﷺ أكله، قالت يا بَنيَّ إذاً لا تشتهونه اليوم، فقمت فأخذت شعيراً فطحنته ونسفته وجعلت منه خبزة، وكان أُدْمُه الزيت، ونثرت عليه الفلفل فقربته إليه، وقلت: كان النبي ﷺ يحب هذا. قال الهيثمي (10/ 325): رجاله رجال الصحيح غير فائد مولى ابن أبي رافع وهو ثقة. وقال في الترغيب (5/ 159): رواه الطبراني وإسناده جيد.

وأخرج أبو الشيخ ابن حِبَّان في كتاب «الثواب» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال لي: «يا ابن عمر، ما لك لا تأكل؟» قلت: لا أشتهيه يا رسول الله، قال: «ولكني أشتهيه، وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاماً، ولو شئت لدعوتُ ربِّي عزّ وجلّ فأعطاني مثل ملك كِسرى وقيصر، فكيف بك يا بن عمر إذا بقيت في قوم يخبِّئون

رزق سنتهم ويضعف اليقين؟!» فوالله ما برحنا حتى نزلت: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦٠﴾ [العنكبوت: ٦٠] فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتِّباع الشهوات، فمن كنز دنيا يريد بها حياة باقية فإن الحياة بيد الله عزّ وجلّ، ألَا وإنّي لا أكنز ديناراً ولا درهماً ولا أخبأُ رزقاً لغد». كذا في «الترغيب» (5/ 149). وأخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عمر مثله، وفيه أبو العطوف الجزري وهو ضعيف؛ كما في «التفسير» لابن كثير (3/ 420).

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن عائشة رضي الله عنها قالت: أُتي رسول الله ﷺ بقَدَح فيه لبن وعسل فقال: «شَربتين في شَرْبة وأُدْمَين في قدح؟! لا حاجة لي به. أمَا إنِّي لا أزعم أنه حرام، ولكن أكره أن يسألني الله عزّ وجلّ عن فُضول الدنيا يوم القيامة، أتواضع لله، فمن تواضع لله رفعه الله، ومن تكبَّر وضعه الله، ومن اقتصد أغناه الله، ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله». كذا في «الترغيب» (5/ 158). قال الهيثمي (10/ 325): وفيه نُعَيم بن مُوَرِّع العنبري وقد وثَّقه ابن حِبَّان وضعَّفه غير واحد، وبقية رجاله ثقات.

* * *

زهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه

أخرج البزَّار عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنَّا مع أبي بكر رضي الله عنه فاستسقى، فأُتي بماء وعسل، فلما وضعه على يده بكى وانتحب حتى ظننا أن به شيئاً ولا نسأله عن شيء، فلما فرغ قلنا: يا خليفة رسول الله ﷺ ما حملك على هذا البكاء؟ قال: بينما أنا مع رسول الله ﷺ إذ رأيته يدفع عن نفسه شيئاً ولا أرى شيئاً، فقلت: يا رسول الله ما الذي أراك تدفع ولا أرى شيئاً؟ قال «الدنيا تطوَّلت لي فقلت: إليك عني، فقالت: أمَا إنَّك لست بمدركي»؛ قال أبو بكر: فشق عليَّ، وخشيت أن أكون قد خالفت أمر رسول الله ﷺ ولحقتني الدنيا. قال الهيثمي (10/ 265): رواه البزار وفيه عبد الواحد بن زيد الزاهد وهو ضعيف عند الجمهور، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: يعتبر حديثه إذا كان فوقه ثقة ودونه ثقة، وبقية رجاله ثقات. انتهى. وقال في «الترغيب» (5/ 168): رواه ابن أبي الدنيا والبزَّار ورواته ثقات إلا عبد الواحد بن زيد، وقد قال ابن حِبّان: يعتبر حديثه إذا كان فوقه ثقة ودونه ثقة وهو هنا كذلك. انتهى.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 30) عن زيد بن أرقم أن أبا بكر استسقى فأُتي بإناء فيه ماء وعسل، فلما أدناه من فيه بكى وأبكى من حوله، فسكت وما سكتوا، ثم عاد فبكى حتى ظنوا أن لا يقدروا على

مساءلته، ثم مسح وجهه وأفاق فقالوا: ما هاجك على هذا البكاء؟ فذكر نحوه وزاد: «فتنحَّت وقالت: أمَا ـ والله ـ لئن انفلتَّ مني لا ينفلت مني مَنْ بعدك». وهكذا أخرجه الحاكم، والبيهقي، كما في «الكنز» (4/ 37).

وأخرج أحمد في «الزهد» عن عائشة رضي الله عنه قالت: مات أبو بكر رضي الله عنه فما ترك ديناراً ولا درهماً، وكان قد أخذ قبل ذلك ماله فألقاه في بيت المال. وعنده أيضاً فيه عن عروة أن أبا بكر لما استُخلف ألقى كل درهم له ودينار في بيت مال المسلمين وقال: كنت أتَّجر فيه وألتمس به، فلما وليتهم شغلوني عن التجارة والطلب فيه. كذا في «الكنز» (3/ 132).

وعند ابن سعد (3/ 184) عن عطاء بن السائب قال: لما بويع أبو بكر رضي الله عنه أصبح وعلى ساعده أبراد وهو ذاهب إلى السوق، فقال عمر رضي الله عنه: أين تريد؟ قال: السوق، قال: تصنع ماذا وقد وُلِّيت أمر المسلمين؟! قال: فمن أين أطعم عيالي؟ فقال عمر: انطلق يفرض لك أبو عبيدة. فانطلقا إلى أبي عبيدة فقال: أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا بأوكسهم، وكسوة الشتاء والصيف، إذا أخلقتَ شيئاً رددته وأخذت غيره ففرضا له كل يوم نصف شاة، وما كساه في الرأس والبطن. كذا في الكنز (3/ 129).

وعنده أيضاً عن حُمَيْد بن هلال قال: لما ولي أبو بكر قال أصحاب رسول الله ﷺ: افرضوا لخليفة رسول الله ﷺ ما يغنيه، قالوا: نعم، برداه إن أخْلَقهما وضعهما وأخذ مثلهما، وظَهْره إذا سافر، ونفقته على أهله كما كان ينفق قبل أن يُستخلف، قال أبو بكر: رضيت. كذا في «الكنز» (3/ 130).

زهد عمر بن الخطاب
رضي الله عنه

وأخرج الطبري (4/ 164) عن سالم بن عبد الله قال: لما ولي عمر رضي الله عنه قعد على رزق أبي بكر رضي الله عنه الذي كانوا فرضوا له، فكان بذلك فاشتدت حاجته، فاجتمع نفر من المهاجرين منهم: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير رضي الله عنهم. فقال الزبير؛ لو قلنا لعمر في زيادة نزيدها إياه في رزقه، فقال علي؛ وددنا قَبل ذلك، فانطلقوا بنا، فقال عثمان: إنّه عمر! فهلُّموا فلنستبرىء ما عنده من وراء، نأتي حفصة فنسألها ونستكتمها. فدخلوا عليها وأمروها أن تخبر بالخبر عن نفر ولا تسمِّي له أحداً إلا أن يقبل، وخرجوا من عندها.

فلقيت عمر في ذلك فعرفت الغضب في وجهه، وقال: من هؤلاء؟ قالت: لا سبيل إلى علمهم حتى أعلم رأيك. فقال: لو علمت من هم لسؤت وجوههم، أنت بيني وبينهم، أنشدك بالله: ما أفضل ما اقتنى رسول الله ﷺ في بيتك من الملبس؟ قالت؛ ثوبين مُمَشَّقين كان يلبسهما للوفد ويخطب فيهما للجمع. قال: فأيُّ الطعام ناله عندك أرفع؟ قالت: خبزنا خبزة شعير فصببنا عليها وهي حارة أسفل عُكَّة لنا، فجعلناها هشَّة دسمة، فأكل منها وتطعَّم منها استطابة لها. قال: فأيُّ مبسط كان يبسطه عندك كان أوطأ؟ قالت: كساء لنا ثخين كنا نربِّعه في الصيف فنجعله تحتنا، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثَّرنا بنصفه. قال: يا حفصة،

فأبلغيهم عني أن رسول الله قَدَّر فوضع الفُضول مواضعها وتبلغ بالتزجية، وإني قدرت فوالله لَأضعنَّ الفُضول مواضعها ولأتبلغنَّ بالتزجية، وإنما مثلي ومثل صاحبيَّ كثلاثة سلكوا طريقاً، فمضى الأول وقد تزود زاداً فبلغ ثم اتَّبعه الآخر فسلك طريقه فأفضى إليه، ثم اتَّبعه الثالث فإن لزم طريقهما ورضي بزادهما لحق بهما وكان معهما، وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما. وأخرجه أيضاً ابن عساكر عن سالم بن عبد الله فذكر نحوه، كما في «منتخب الكنز» (4/ 408).

وأخرج ابن عساكر عن الحسن البصري قال: أتيت مجلساً في جامع البصرة، فإذا أنا بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ يتذاكرون زهد أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما وما فتح الله عليهما من الإسلام وحسن سيرتهما، فدنَوت من القوم، فإذا فيهم الأحنف بن قيس التميمي رضي الله عنه (جالس) معهم، فسمعته يقول: أخرَجنا عمر بن الخطاب في سرية إلى العراق ففتح الله علينا العراق وبلد فارس، فأصبنا فيها من بياض فارس، وخراسان، فجعلناه معنا واكتسينا منها. فلما قدمنا على عمر أعرض عنا بوجهه وجعل لا يكلمنا، فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتينا ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو جالس في المسجد، فشكونا إليه ما نزل بنا من الجفاء من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب؛ فقال عبد الله: إن أمير المؤمنين رأى عليكم لباساً لم يرَ رسول الله ﷺ يلبسه ولا الخليفة من بعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فأتينا منازلنا فنزعنا ما كان علينا وأتيناه في البِزة التي كان يعهدنا فيها، فقام يسلم علينا على رجل رجل، ويعانق منَّا رجلاً رجلاً؛ حتى كأنه لم يرنا قبل ذلك، فقدَّمنا إليه الغنائم فقسمها بيننا بالسوية، فعُرِض عليه في الغنائم سلال من أنواع الخبيص من أصفر وأحمر، فذاقه عمر فوجده

طيبَ الطعم طيبَ الريح، فأقبل علينا بوجهه وقال: والله يا معشر المهاجرين والأنصار ليقتلن منكم الابن أباه والأخ أخاه على هذا الطعام! ثم أمر به فحُمل إلى أولاد من قُتلوا بين يديّ رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار.

ثم إنَّ عمر قام منصرفاً فمشى وراءه أصحاب رسول الله ﷺ في أثره، فقالوا: ما ترون يا معشر المهاجرين والأنصار إلى زهد هذا الرجل وإلى حِلْيته؟ لقد تقاصرت إلينا أنفسنا مذ فتح الله على يديه ديار كسرى وقيصر، وطرفي المشرق والمغرب، ووفود العرب والعجم يأتونه فيَرون عليه هذه الجبَّة وقد رقعها اثنتي عشرة رقعة، فلو سألتم معاشر أصحاب محمد ﷺ ـ وأنتم الكبراء من أهل المواقف والمشاهد مع رسول الله ﷺ والسابقين من المهاجرين والأنصار ـ يغير هذه الجبة بثوب ليِّن يُهاب فيه منظره، ويُغدَى عليه بجفنة من الطعام، ويُراح عليه بجفنة يأكله ومن حضره من المهاجرين والأنصار. فقال القوم بأجمعهم: ليس لهذا القول إلا علي بن أبي طالب فإنه أجرأ الناس عليه وصهره على ابنته، أو ابنته حفصة فإنها زوجة رسول الله ﷺ، وهو مُوجب لها لموضعها من رسول الله ﷺ. فكلموا علياً، فقال عليٌّ: لست بفاعل ذلك، ولكن عليكم بأزواج النبي ﷺ فإنهن أمهات المؤمنين يجترئن عليه.

قال الأحنف بن قيس: فسألوا عائشة وحفصة رضي الله عنهما وكانتا مجتمعتين. فقالت عائشة: إني سائلة أمير المؤمنين ذلك. وقالت حفصة: ما أراه يفعل وسيبينُ لك ذلك. فدخلتا على أمير المؤمنين فقرَّبهما وأدناهما، فقالت عائشة: يا أمير المؤمنين، أتأذن أكلمك؟ قال: تكلَّمي يا أمَّ المؤمنين. قالت: إنَّ رسول الله ﷺ مضى لسبيله إلى جنته ورضوانه لم يُرد الدنيا ولم تُرده، وكذلك مضى أبو بكر رضي الله عنه

على إثره لسبيله بعد إحياء سنن رسول الله ﷺ وقَتل المكذبين، وأدحض حجة المبطلين بعد عدله في الرعية، وقسمه بالسوية، وإرضاء رب البرية، فقبضه الله إلى رحمته ورضوانه وألحقه بنبيه ﷺ بالرفيق الأعلى لم يرد الدنيا ولم ترده. وقد فتح الله على يديك كنز كسرى وقيصر وديارهما، وحُمل إليك أموالهما ودانت لك أطراف المشرق والمغرب ونرجو من الله المزيد وفي الإسلام التأييد، ورسل العجم يأتونك ووفود العرب يردون عليك وعليك هذه الجبة قد رقعتها اثنتي عشرة رقعة!! فلو غيَّرتها بثوب لين يُهاب فيه منظرك، ويُغدى عليك بجفنة من الطعام ويُراح عليك بجفنة تأكل أنت ومن حضرك من المهاجرين والأنصار.

فبكى عمر عند ذلك بكاءً شديداً، ثم قال: سألتك بالله هل تعلمين أنَّ رسول الله ﷺ شبع من خبز برٍّ عشرة أيام أو خمسة أو ثلاثة، أو جمع بين عشاء وغداء حتى لحق بالله؟ فقالت: لا، فأقبل على عائشة فقال: هل تعلمين أن رسول الله ﷺ قُرِّب إليه طعام على مائدة في ارتفاع شبر من الأرض، كان يأمر بالطعام فيوضع على الأرض ويأمر بالمائدة فتُرفع؟ قالتا: اللهمَّ نعم. فقال لهما: أنتما زوجتا رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين ولكما على المؤمنين حق وعليّ خاصة؛ ولكن أتيتما ترغِّباني في الدنيا! وإنِّي لأعلم أن رسول الله ﷺ لبس جبة من الصوف فربما حك جلده من خشونتها، أتعلمان ذلك؟ قالتا اللهمَّ نعم، فقال: هل تعلمين أنَّ رسول الله ﷺ كان يرقد على عباءة على طاقة واحدة وكان مِسْحاً في بيتك يا عائشة، تكون بالنهار بساطاً وبالليل فراشاً، فندخل عليه فنرى أثر الحصير على جنبه؟ ألا يا حفصة أنت حدثتيني أنك ثنيت له ذا ليلة فوجد لينها فرقد فلم يستيقظ إلا بأذان بلال، فقال لك: «يا حفصة ماذا صنعت؟ أَثَنيت المهاد ليلتي حتى ذهب بي النوم إلى الصباح؟ ما لي

وللدنيا!! وما لي شغلتموني بلين الفراش!!» يا حفصة أما تعلمين أ رسول الله ﷺ كان مغفوراً له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، أمسى جائعاً ورقد ساجداً، ولم يزل راكعاً وساجداً وباكياً ومتضرعاً في آناء الليل والنهار إلى أن قبضه الله برحمته ورضوانه! لا أكل عمر طيباً، ولبس ليِّناً. فله أسوة بصاحبيه، ولا جمع بين أُدمين إلا الملح والزيت، ولا أكل لحماً إلا في كل شهر ينقضي ما انقضى من القوم. فخرجتا فخبَّرتا بذلك أصحاب رسول الله ﷺ، فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عزّ وجلّ. كذ في «منتخب كنز العمال» (4/ 408).

وأخرج عبد الرزاق، والبيهقي وابن عساكر عن عكرمة بن خالد أنَّ حفصة، وابن مطيع، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم كلَّموا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا: لو أكلت طعاماً طيِّباً كان أقوى لك على الحق، فقال: قد علمت أنه ليس منكم إلا ناصح، ولكني تركت صاحبيَّ - يعني رسول الله ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه - على جادّة فإنْ تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 411).

وأخرج ابن سعد عن أبي أمامة بن سهل بن حُنَيف رضي الله عنهما قال: مكث عمر رضي الله عنه زماناً طويلاً لا يأكل من المال شيئاً حتى دخلت عليه في ذلك خَصاصة، وأرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فاستشارهم، فقال: قد شغلت نفسي في هذا الأمر فما يصلح لي منه. فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: كل وأطعم. وقال ذلك سعيد بن (زيد بن) عمرو بن نفيل رضي الله عنه، وقال: لعلي رضي الله عنه: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء. فأخذ بذلك عمر. كذا في منتخب الكنز (4/ 411).

وأخرج عبد بن حُمَيد وابن جرير عن قتادة رضي الله عنه قال: ذُكر

لنا أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: لو شئت كنت أطيبكم طعاماً، وألينكم لباساً، لكن أستبقي طيباتي. وذُكر لنا أنَّ عمر بن الخطاب لمَّا قدم الشام صُنع له طعام لم يَرَ قبله مثله، قال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟! فقال عمر بن الوليد: لهم الجنة، فاغرورقت عَينا عمر وقال: لئن كان حظُّنا من هذا الحطام وذهبوا بالجنة لقد بانوا بَوْناً عظيماً. كذا في «المنتخب» (4/ 406).

وأخرج ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه دخل عليه عمر وهو على مائدته، فأوسع له عن صدر المجلس، فقال: باسم الله ثم ضرب بيده، فلقم لقمة ثم ثنَّى بأخرى، ثم قال: إني لأجد طعمَ دسم ما هو بدَسم اللحم، فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين، إني خرجت إلى السوق أطلب السَّمين لأشتريه فوجدته غالياً، فاشتريت بدرهم من المهزول وجعلت عليه بدرهم سمناً، فأردت أن يتردد عيالي عظماً عظماً. ما اجتمعا عند رسول الله ﷺ قط إلا أكل أحدهما وتصدَّق بالآخر. فقال عبد الله: خذ يا أمير المؤمنين؛ فلن يجتمعا عندي إلا فعلت ذلك. قال: ما كنت لأفعل كذا في «الكنز» (2/ 146). وأخرج ابن سعد (3/ 230) عن أبي حازم قال: دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على حفصة ابنته رضي الله عنها فقدَّمت إليه مرقاً بارداً وخبزاً، وصبت في المرق زيتاً، فقال: أُدْمان في إناء واحد لا أذوقه حتى ألقى الله.

وأخرج ابن سعد (3/ 230) عن أنس رضي الله عنه قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يومئذٍ أمير المؤمنين يُطرح له صاع من تمر فيأكلها حتى يأكل حشفها. وعن السائب بن يزيد قال: ربما تعشَّيت عند عمر بن الخطاب فيأكل الخبز واللحم، ثم يمسح

يده على قدمه، ثم يقول: هذا منديل عمر وآل عمر. وعند الدِّينَوَرِي عن ثابت قال: أكل الجارود عند عمر بن الخطاب فلما فرغ قال: يا جارية هلمِّي الدستار - يعني المنديل يمسح يده - فقال عمر: امسح يدك باستِك.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 49) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قدم على عمر رضي الله عنه ناس من أهل العراق فرأى كأنهم يأكلون تعذيراً، فقال هذا يا أهل العراق، لو شئت أن يُدَهْمَقَ لي كما يُدَهْمَقُ لكم؛ ولكنا نستبقي من دنيانا نجده في آخرتنا، أما سمعتم الله عزّ وجلّ قال لقوم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: 20]؟.

وعنده أيضاً (1/ 49) وهنَّاد عن حبيب بن أبي ثابت عن بعض أصحابه عن عمر رضي الله عنه أنه قدم عليه ناس من أهل العراق فيهم جرير بن عبد الله رضي الله عنه فأتاهم بجفنة قد صنعت بخبز وزيت، فقال لهم: خذوا، فأخذوا أخذاً ضعيفاً، فقال لهم عمر: قد أرى ما تفعلون، فأي شيء تريدون؟ أحلواً وحامضاً وحاراً وبارداً، ثم قَذْفاً في البطون!! كذا في «منتخب الكنز» (4/ 405).

وأخرج ابن سعد (3/ 280) وعبد بن حُمَيد عن حُمَيد بن هلال أنَّ حفص بن أبي العاص رضي الله عنه كان يحضر طعام عمر رضي الله عنه وكان لا يأكل، فقال له عمر: ما يمنعك من طعامنا؟ قال: إن طعامك خشن غليظ، وإني راجع إلى طعام ليِّن قد صنع لي فأصيب منه. قال: أتراني أعجز أن آمر بشاة فيُلقى عنها شعرها، وآمر بدقيق فينخل في خرقة، ثم آمر به فيخبز خبزاً رُقاقاً، وآمر بصاع من زبيب فيقذف في سُعْن، ثم يُصبُّ عليه من الماء فيصبح كأنه دم غزال؟ فقال حفص: إني لأراك عالماً بطيِّب العيش. فقال عمر: أجل، والذي نفسي بيده! لولا

كراهية أن ينقص من حسناتي يوم القيامة لشاركتكم في (لِيْن) عيشكم. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 403).

وعند أبي نُعيم في «الحلية» (1/ 49) عن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: والله ما نعبأ بلذت العيش، أن نأمر بصغار المِعزى فتُسمط لنا. ونأمر بلباب الحنطة فيخبز لنا، ونأمر بالزبيب فينتبذ لنا في الأسعان، حتى إذا صار مثل عين اليعقوب أكلنا هذا، وشربنا هذا، ولكنا نريد أن نستبقي طيّباتنا لأنا سمعنا الله تعالى يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ ـ الآية ـ.

وعند ابن المبارك، وابن سعد (3/ 279) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع وفد أهل البصرة قال: فكنا ندخل عليه وله كلَّ يوم خبز يلتُّ؛ وربما وافيناه مأدوماً بسمن أحياناً وأحياناً بزيت وأحياناً بلبن، وربما وافقنا القدائد اليابسة قد دُقَّت ثم أُغلي بماء، وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل؛ فقال لنا يوماً: إني ـ والله ـ لقد أرى تعذيركم وكراهيتكم طعامي، وإني ـ والله ـ لو شئت لكنت أطيبكم طعاماً وأرقَّكم عيشاً، أما ـ والله ـ ما أجهل عن كراكر وأسنمة وعن صِلاء وعن صلائق وصِناب. ـ قال جرير بن حازم: الصِّلاء المشوي، والصِّناب الخردل، والصَّلائق الخبز الرقاق ـ؛ ولكني سمعت الله عيَّر قوماً بأمر فعلوه فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾. فقال أبو موسى: لو كلَّمتم أمير المؤمنين ففرض لكم من بيت المال طعاماً تأكلونه، فكلَّموه، فقال: يا معشر الأمراء أما ترضون لأنفسكم ما أرضى لنفسي؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين إنَّ المدينة أرضٌ العيشُ بها شديد، ولا نرى طعامك يُغشى ويؤكل، وإنا بأرض ذات ريف، وإن أميرنا يُغشى وإن طعامه يؤكل. فنكّس عمر ساعة ثم رفع

رأسه فقال: قد فرضت لكم من بيت المال شاتين وجريبين، فإذا كان الغداة فضع إحدى الشاتين على أحد الجريبين، فكل أنت وأصحابك، ثم ادع بشراب فاشرب ـ يعني الشراب الحلال ـ ثم اسق الذي عن يمينك، ثم الذي يليه، ثم قم لحاجتك؛ فإذا كان بالعشيّ فضع الشاة الغابرة على الجريب الغابر، فكل أنت وأصحابك. ألا وأشبعوا الناس في بيوتهم وأطعموا عيالهم، فإن تجفيتكم للناس لا يحسِّن أخلاقهم ولا يُشبع جائعهم، فوالله مع ذلك لا أظن رستاقاً يؤخذ منه كل يوم شاتان وجريبان إلّا يسرع ذلك في خرابة. كذا في «المنتخب» (4/ 402).

وأخرج هَنَّاد عن عتبة بن فَرْقد قال: قدمت على عمر رضي الله عنه بسِلال خَبِيص، فقال: ما هذا؟ قلت: طعام أتيتك به لأنك تقضي في حاجات الناس أول النهار، فأحببت إذا رجعت أن ترجع إلى طعام فتصيب منه فقوّاك، فكشف عن سلّة منها، فقال: عزمت عليك يا عتبة أرزقتَ كل رجل من المسلمين سلّة؟ قال: يا أمير المؤمنين، لو أنفقت مال قيس كلها ما وسعتْ ذلك! قال: فلا حاجة لي فيه، ثم دعا بقصعة ثريداً خبزاً خشناً ولحماً غليظاً وهو يأكل معي أكلاً شهياً، فجعلت أهوي إلى البَضْعة البيضاء أحسبها سنماً فإذا هي عصبة، والبَضْعَة من اللحم أمضغها فلا أُسيغها، فإذا غفل عني جعلتها بين الخِوان والقصعة، ثم دعا بعُس من نبيذ قد كاد أن يكون خلًّا فقال: اشرب، فأخذته وما أكاد أسيغه، ثم أخذ فشرب؛ ثم قال: اسمع يا عتبة: إنا ننحر كل يوم جزوراً، فأما وَدَكها وأطايبها فلمن حضرنا من آفاق المسلمين، وأما عنقها فلآل عمر، يأكل هذا اللحم الغليظ، ويشرب هذا النبيذ الشديد، يقطع في بطوننا أن يؤذينا. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 404).

وأخرج ابن سعد (3/ 230) عن الحسن أن عمر رضي الله عنه

دخل على رجل فاستسقاه وهو عطشان فأتاه بعسل، فقال: ما هذا؟ قال: عسل، قال: والله لا يكون فيما أحاسب به يوم القيامة. وأخرجه ابن عساكر عن الحسن مثله، كما في «المنتخب» (4/ 404). وذكر رَزِين عن زيد بن أسلم قال: استسقى عمر فجيء بماء قد شِيب بعسل، فقال: إنه لطيِّب، لكني أسمع الله عزّ وجلّ نَعَى على قوم شهواتهم فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ فأخاف أن تكون حسناتنا عُجِّلت لنا، فلم يشربه. كذا في «الترغيب» (5/ 168).

وأخرج الطبري (4/ 203) عن عروة قال: لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيْلة ومعه المهاجرون والأنصار دفع قميصاً له من كرابيس قد انجاب مؤخره عن قعدته من طول السير إلى الأُسقُف، وقال: اغسل هذا وارقعه، فانطلق الأُسقُف بالقميص ورقعه وخاط له آخر مثله، فراح به إلى عمر فقال: ما هذا؟ قال الأُسقُف: أما هذا فقميصك قد غسلته ورقعته، وأما هذه فكسوة لك مني؛ فنظر إليه عمر ومسحه ثم لبس قميصه ورد عليه ذلك القميص، وقال: هذا أنشفهما للعرق. وأخرجه ابن المبارك عن عروة عن عامل لعمر رضي الله عنه بنحوه؛ كما في «المنتخب» (4/ 402).

وأخرج الدينَوري وابن عساكر عن قتادة رضي الله عنه قال: كان عمر رضي الله عنه ـ وهو خليفة ـ يلبس جبة من صوف، مرقوعة بعضها بأَدَم، ويطوف بالأسواق وعلى عاتقه الدِّرَّة يؤدب الناس ويمر بالنِّكث والنوى فيلقطه ويلقيه في منازل الناس لينتفعوا به.

وعند أحمد في «الزهد» (154) وهَنَّاد، وابن جرير، وأبي نُعيم عن الحسن قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس ـ وهو خليفة ـ وعليه إزار فيه اثنا عشرة رقعة. كذا في «المنتخب» (4/ 405).

وعند مالك عن أنس رضي الله عنه قال: رأيت عمر رضي الله عنه - وهو يومئذٍ أمير المؤمنين - وقد رقّع بين كتفيه برقاع ثلاث لبَّد بعضها على بعض. كذا في «الترغيب» (3/ 396).

وأخرج ابن سعد (3/ 308) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان عمر يقوت نفسه أهله، ويكتسي الحلَّة في الصيف، ولربما خُرق الإزار حتى يرقعه فما يبدل مكانه حتى يأتي الإِبّان، وما من عام يكثر فيه المال إلا كسوته فيما أرى أدنى من العام الماضي؛ فكلَّمَتْه في ذلك حفصة رضي الله عنها فقال: إنما أكتسي من مال المسلمين وهذا يُبَلِّغني. كذا في «المنتخب» (4/ 411). وأخرج ابن سعد عن محمد بن إبراهيم قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستنفق كل يوم درهمين له ولعياله. كذا في «المنتخب» (4/ 411).

* * *

زهد عثمان بن عفان
رضي الله عنه

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 60) عن عبد الملك بن شداد قال: رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه يوم الجمعة على المنبر عليه إزار عدني غليظ ثمنه أربعة دراهم أو خمسة دراهم، ورَيْطة كوفية مُمَشَّقة. وعن الحسن وسئل عن القائلين في المسجد فقال: رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه يقيل في المسجد وهو يومئذٍ خليفة، قال: ويقوم وأثر الحصى بجنبه. قال: فيقال: هذا أمير المؤمنين! هذا أمير المؤمنين! وأخرجه أحمد كما في «صفة الصفوة» (1/ 116) مثله. وعن شرحبيل بن مسلم أن عثمان رضي الله عنه كان يطعم الناس طعام الإِمارة ويدخل بيته فيأكل الخلَّ والزيت.

* * *

المجلد الخامس



حياة الصحابة

تأليف

محمد بن يوسف الكاندهلوي

نوبليس

حَيَاةُ الصَّحَابَة

حياة الصحابة

تأليف

محمد بن يوسف الكاندهلوي

قدم له

أبو الحسن علي الحسني الندوي

المجلد السادس

نوبليس

اسم المجموعة: حياة الصحابة

اسم الكتـاب: المجلد السادس

المـؤلــف: محمد بن يوسف الكاندهلوي

التدقيق والمراقبة: قسم الدراسات في دار نوبِليس

قياس الكتـاب: 17 × 24

عدد الصفحات: 200

عدد صفحات المجموعة: 2400

مكـان النشـر: بيروت

دار النشر والتوزيع: دار نوبِليس

تلفاكس: 75 34 58 (1) 961

هاتــف: 21 11 58 (3) 961 - 21 11 58 (1) 961

بريد إلكتروني: NOBILIS_INTERNATIONAL@hotmail.com

الطبعة الأولى: 2006

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

زهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 82) عن رجل من ثقيف أن علياً رضي الله عنه استعمله على عُكَبرا قال: ولم يكن السَّواد يسكنه المصلون، وقال لي: إذا كان عند الظهر فَرُح إليَّ. فرحت إليه فلم أجد عنده حاجباً يحبسني عنه دونه، فوجدته جالساً وعنده قدح وكوز من ماء، فدعا بطينة فقلت في نفسي: لقد أمِنَني حتى يخرج إليَّ جوهراً ولا أدري ما فيها، فإذا عليها خاتم فكسر الخاتم، فإذا فيها سَوِيق فأخرج منها فصبَّ في القدح فصب عليه ماء فشرب وسقاني، فلم أصبر فقلت: يا أمير المؤمنين أتصنع هذا بالعراق وطعام العراق أكثر من ذلك؟! قال: أما والله ما أختم عليه بخلاً عليه، ولكني أبتاع قدر ما يكفيني، فأخاف أن يفنى فيصنع من غيره، وإنما حفظي لذلك، وأكره أن أدخل بطني إلا طيباً. وعن الأعمش قال: كان علي رضي الله عنه يُغدِّي ويُعشِّي، ويأكل هو من شيء يجيئه من المدينة.

وأخرج أيضاً (1/ 81) عن عبد الله بن شريك عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أُتي بفالوذج فوضع قدامه بين يديه، فقال: إنك طيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم؛ لكن أكره أن أعوّد نفسي ما لم تعتده. وأخرجه أيضاً عبد الله بن الإمام أحمد في «زوائده» عن عبد الله بن شريك مثله، كما في «المنتخب» (5/ 58).

وأخرج ابن المبارك عن زيد بن وهب قال: خرج علينا علي رضي الله عنه وعليه رداء وإزار قد وثَّقه بخرقة فقيل له، فقال: إنما ألبس هذين الثوبين ليكون أبعد لي من الزَّهْو، خيراً لي في صلاتي، وسنّة للمؤمن. كذا في «المنتخب» (5/ 58). وأخرج البيهقي عن رجل قال: رأيت على علي رضي الله عنه إزارا غليظاً، قال: اشتريته بخمسة دراهم، فمن أربحني فيه درهماً بعته إياه. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 58).

وأخرج يعقوب بن سفيان عن مُجمِّع بن سمعان التيمي قال: خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسيفه إلى السوق فقال: من يشتري مني سيفي هذا فلو كان عندي أربعة دراهم أشتري بها إزاراً ما بعته. كذا في «البداية» (8/ 3).

وأخرج أبو القاسم البغوي عن صالح بن أبي الأسود عمَّن حدثه أنه رأى علياً رضي الله عنه قد ركب حماراً ودلَّى رجليه إلى موضع واحد ثم قال: أنا الذي أهنتُ الدنيا. كذا في «البداية» (8/ 5).

وأخرج أحمد عن عبد الله بن رزين قال: دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم الأضحى، فقرب إلينا خزيرة، فقلنا: أصلحك الله! لو أطعمتنا هذا البط - يعني الإِوز - فإن الله قد أكثر الخير، قال: يا بن رزين، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان: قصعة يأكلها هو وأهله، وقصة يضعها بين يدي الناس». كذا في «البداية» (8/ 3).

* * *

زهد أبي عُبيدة بن الجرّاح
رضي الله عنه

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 101) عن عروة قال: دخل عمر بن الخطاب على أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما فإذا هو مضطجع على طُنفسة رَحْله، متوسدُ الحقيبة، فقال له عمر: ألا اتَّخذت ما اتخذ أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين هذا يبلِّغني المَقيل. وقال مَعْمَر في حديثه: لما قدم عمر الشام تلقَّاه الناس وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: مَنْ؟ قال: أبو عبيدة، قالوا: الآن يأتيك. فلما أتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته فلم يرَ في بيته إلا سيفه وترسه ورَحْله - ثم ذكر نحوه. وأخرجه الإِمام أحمد أيضاً نحو حديث مَعْمَر، كما في «صفة الصفوة» (1/ 143)، وابن المبارك في الزهد من طريق مَعْمَر نحوه، كما في «الإِصابة» (2/ 253).

* * *

زهد مصعب بن عمير
رضي الله عنه

أخرج الترمذي - وحسَّنه - **وأبو يعلى**، وابن راهويه عن علي رضي الله عنه قال: خرجت في غداة شاتية من بيتي جائعاً حرصاً قد أذلقني البرد، فأخذت إهاباً معطوناً كان عندنا، فجببته ثم أدخلته في عنقي ثم حزمته على صدري أستدفىء به، فوالله ما في بيتي شيء آكل

منه، ولو كان في بيت النبي ﷺ بلغني. فخرجت في بعض نواحي المدينة فاطَّلعت إلى يهودي في حائط من ثغرة جداره فقال: ما لك يا أعرابي، هل لك في كل دلو بتمرة؟ فقلت: نعم، فافتح الحائط، ففتح لي فدخلت، فجعلت أنزع دلواً ويعطيني تمرة حتى امتلأت كفي قلت: حسبي منك الآن. فأكلتهن ثم كرعت الماء، ثم جئت إلى النبي ﷺ فجلست إليه في المسجد وهو في عصابة من أصحابه، فاطَّلع علينا مُصْعَب بن عمير رضي الله عنه في بردة له مرقوعة؛ فلما رآه رسول الله ﷺ ذكر ما كان فيه من النعيم ورأى حاله التي هو عليها انذرفت عيناه فبكى، ثم قال: «كيف أنتم إذا غدا أحدكم في حلّة وراح في أخرى، وسُترت بيوتكم كما تُستر الكعبة؟» قلنا: نحن يومئذٍ خير نُكفى المؤنة ونتفرغ للعبادة؛ قال: «بل أنتم اليوم خير منكم يومئذٍ». كذا في «الكنز» (3/ 321). وقال الهيثمي (10/ 314): رواه أبو يعلى، وفيه راوٍ لم يُسمَّ، وبقية رجاله ثقات. اهـ.

وعند الطبراني، والبيهقي عن عمر رضي الله عنه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى مصعب بن عمير رضي الله عنه مقبلاً، عليه إهاب كبش قد تنطَّق به، فقال النبي ﷺ: «انظروا إلى هذا الذي نوَّر الله قلبه! لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، ولقد رأيت عليه حلّة شراها - أو شُريت - بمائتي درهم، فدعاه حبُّ الله وحب رسوله إلى ما ترون». كذا في «الترغيب» (3/ 395). وأخرجه أيضاً الحسن بن سفيان، وأبو عبد الرحمن السُّلَمي، والحاكم، كما في «الكنز» (7/ 86)، وأبو نعيم في «الحلية» (1/ 108) عن عمر نحوه.

وعند الحاكم (3/ 628) عن الزبير رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ جالساً بقُباء ومعه نفر، فقام مصعب بن عمير رضي الله عنه

عليه بردة ما تكاد تواريه، ونكّس القوم، فجاء فسلم فردوا عليه، فقال فيه النبي ﷺ خيراً وأثنى عليه، ثم قال: «لقد رأيت هذا عند أبويه بمكة يكرمانه وينعمانه، وما فتى من فتيان قريش مثله؛ ثم خرج من ذلك إبتغاء مرضاة الله ونصرة رسوله، أما إنه لا يأتي عليكم إلا كذا وكذا حتى يفتح (الله) عليكم فرس، والروم، فيغدوا أحدكم في حلة ويروح في حلة، ويُغدى عليكم بقصعة ويُراح عليكم بقصعة». قالوا: يا رسول الله، نحن اليوم خير أو ذلك اليوم؟! قال: «بل أنتم اليوم خير منكم ذلك اليوم. أما لو تعلمون من الدنيا ما أعلم لاستراحت أنفسكم منها». وقال في «الإصابة» (3/ 421): وفي الصحيح عن خبّاب أن مصعباً لم يترك إلا ثوباً فكان إذا غطّوا رأسه خرجت رجلاه، وإذ غطّوا رجليه خرج رأسه؛ فقال رسول الله ﷺ: «اجعلوا على رجليه شيئاً من الإذخر». انتهى.

* * *

زهد عثمان بن مظعون
رضي الله عنه

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 105) عن ابن شهاب أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه دخل يوماً المسجد وعليه نَمِرة قد تخلَّلت فرقعها بقطعة من فروة، فرَّق رسول الله ﷺ عليه ورقّ أصحابه لرقته، فقال: «كيف أنتم يوم يغدو أحدكم في حلَّة ويَرُوح في أخرى، وتوضع بين يديه قصعة وتُرفع أخرى، وسترتم البيوت كما تستر الكعبة؟» قالوا: وددنا أن ذلك قد كان يا رسول الله، فأصبنا الرخاء والعيش؛ قال: «فإن ذلك لكائن، وأنتم اليوم خير من أولئك».

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل

على عثمان بن مظعون رضي الله عنه يوم مات فأحنى عليه كأنَّه يوصيه، ثم رفع رأسه فرأوا في عينيه أثر البكاء، ثم أحنى عليه الثانية ثم رفع رأسه فرأوه يبكي، ثم أحنى عليه الثالثة ثم رفع رأسه وله شهيق، فعرفوا أنه قد مات؛ فبكى القوم، فقال النبي ﷺ: «مَهْ، إنما هذا من الشيطان، فاستغفروا الله» ثم قال: «اذهب عنك أبا السائب، فلقد خرجت ولم تتلبَّس منها بشيء». قال الهيثمي (9/ 303): رواه الطبراني عن عمر بن عبد العزيز بن مقلاص عن أبيه ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات. انتهى. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 105)، وابن عبد البرّ في «الاستيعاب» (3/ 87) عن ابن عباس من غير طريق عمر بن عبد العزيز عن أبيه نحوه. وأخرجه أبو نُعيم أيضاً عن عبد ربه بن سعيد المدني مختصراً، وفي حديثه: فقال: «رحمك الله يا عثمان، ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك!».

* * *

زهد سلمان الفارسي
رضي الله عنه

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 198) عن عطية بن عمر قال: رأيت سلمان الفارسي رضي الله عنه أُكره على طعام يأكله؛ فقال: حسبي، حسبي فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً في الآخرة، يا سلمان إنما الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». وأخرجه العسكري في الأمثال نحوه، كما في «الكنز» (7/ 45).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 197) عن الحسن قال: كان

عطاء سلمان رضي الله عنه خمسة آلاف درهم، وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين، وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها، وإذا خرج عطاؤه أمضاه، ويأكل من سفيف يده. وأخرجه ابن سعد (4/ 62) عن الحسن بنحوه.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 202) عن الأعمش قال: سمعتهم يذكرون أن حذيفة رضي الله عنه قال لسلمان رضي الله عنه: يا أبا عبد الله ألا أبني لك بيتاً؟ قال: فكره ذلك، قال: رويدك حتى أخبرك: إني أبني لك بيتاً إذا أضجعت فيه رأسك من هذا الجانب ورجلاك من الجانب الآخر، وإذا قمت أصاب رأسك. قال سلمان: كأنك في نفسي.

وعند ابن سعد (4/ 63) عن معن عن مالك بن أنس أن سلمان الفارسي رضي الله عنه كان يستظل بالفيء حيث ما دار ولم يكن له بيت. فقال له رجل: ألا أبني لك (بيتاً) تستظل به من الحر وتسكن فيه من البرد؟ فقال له سلمان رضي الله عنه: نعم، فلما أدبر صاح به فسأله سلمان: كيف تبنيه؟ فقال: أبنيه إن قمت فيه أصاب رأسك، وإن اضطجعت فيه أصاب رجلك. فقال سلمان: نعم.

* * *

زهد أبي ذر الغفاري
رضي الله عنه

أخرج أحمد عن أبي أسماء أنه دخل على أبي ذر رضي الله عنه وهو بالرَّبَذة وعنده امرأة سوداء مُشَنَّعة ليس عليها أثر المَجَاسِد ولا

الخَلوق. فقال: ألا تنظرون إلى ما تأمرني (به) هذه السويداء؟ تأمرني أن آتي العراق، فإذا أتيت العراق مالوا عليَّ بدنياهم، وإن خليلي ﷺ عهد إليَّ أنَّ دون جسر جهنم طريقاً ذا دَحْض ومَزَلَّة، وإنا إن نأتي عليه وفي أحمالنا اقتدار واضطمار أحرى أن ننجو من أن نأتي عليه ونحن مواقير. قال في الترغيب (5/ 93): رواه أحمد ورواته رواة الصحيح. ا هـ وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 161) عن أبي أسماء، وابن سعد (4/ 174) نحوه.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 160) عن عبد الله بن خِراش قال: رأيت أبا ذر رضي الله عنه بالرَّبَذَة في ظُلَّة له سوداء وتحته امرأة له سحماء، وهو جالس على قطعة جُوالق، فقيل له: إنك امرؤ ما يبقى لك ولد، فقال: الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء ويدخرهم في دار البقاء. قالوا: يا أبا ذر لو اتخذت امرأة غير هذه؟ قال: لأن أتزوج امرأة تضعني أحبّ إليَّ من امرأة ترفعني، فقالوا له: لو اتخذت بساطاً ألينَ من هذا؟ قال: اللهم غَفْراً خذ ممّا خُوِّلت ما بدا لك. وأخرجه الطبراني عن عبد الله بن خراش نحوه. قال الهيثمي (9/ 331): وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف. ا هـ.

وأخرج أبو نعيم (1/ 162) عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل له: ألا تتخذ ضَيْعة كما اتخذ فلان وفلان؟ قال: وما أصنع بأن أكون أميراً؛ وإنما يكفيني كل يوم شَرْبة ماء - أو لبن -، وفي الجمعة قَفيز من قمح!! وعنده أيضاً عن أبي ذر قال: كان قوتي على عهد رسول الله ﷺ صاعاً فلا أزيد عليه حتى ألقى الله عزّ وجلّ.

* * *

زهد أبي الدرداء
رضي الله عنه

أخرج الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت تاجراً قبل أن يُبعث النبي ﷺ، فلما بُعث النبي ﷺ أردت أن أجمع بين التجارة والعبادة فلم يستقم، فتركت التجارة وأقبلت على العبادة. قال الهيثمي (9/ 367): رجاله رجال الصحيح. ا هـ.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 209) عن أبي الدرداء رضي الله عنه نحوه، زاد: والذي نفس أبي الدرداء بيده، ما أحب أن لي اليوم حانوتاً على باب المسجد لا يخطئني فيه صلاة، أربح فيه كل يوم أربعين ديناراً وأتصدَّق بها كلِّها في سبيل الله. قيل له: يا أبا الدرداء، وما تكره من ذلك؟ قال: شدّة الحساب. وهكذا أخرجه ابن عساكر، كما في «الكنز» (2/ 149).

وعند أبي نعيم أيضاً من طريق آخر عنه قال: ما يسرني أن أقوم على الدرج من باب المسجد فأبيع وأشتري فأصيبَ كل يوم ثلاثمائة دينار أشهد الصلاة كلها في المسجد، ما أقول: إن الله عزّ وجلّ لم يحل البيع ويحرم الربا، ولن أحب أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 222) عن خالد بن حُدَير الأسلمي أنه دخل على أبي الدرداء رضي الله عنه وتحته فراش من جلد أو صوف، وعليه كساء صوف وسِبتية صوف وهو وَجِع وقد عرق، فقال: لو شئتَ كسيت فراشك بوَرِق وكساء مِرعِزّيّ مما يبعث به أمير المؤمنين؟ قال: إن لنا داراً، وإنا لنظعن إليها ولها نعمل. عن حسَّان بن عطية أن

أصحاباً لأبي الدرداء رضي الله عنه تضيَّفوه فضيّفهم، فمنهم من بات على لِبدة، ومنهم من بات على ثيابه ما هو فلما أصبح غدا عليهم فعرف ذلك منهم فقال: إن لنا داراً لها نجمع وإليها نرجع.

وعند أحمد عن محمد بن كعب أن ناساً نزلوا على أبي الدرداء رضي الله عنه ليلة قَرَّة، فأرسل إليهم بطعام سخن ولم يرسل إليهم بلُحُف. فقال بعضهم: لقد أرسل إلينا بالطعام فما هنأنا مع القرّ، لا أنتهي أو أبيِّن له، قال الآخر: دعه، فأبى فجاء حتى وقف على الباب رآه جالساً وامرأته ليس عليها من الثياب إلا ما لا يذكر؛ فرجع الرجل وقال: ما أراك بتّ إلا بنحو ما بتنا به. قال: إن لنا داراً ننتقل إليها قدَّمنا فرشنا ولحفنا إليها، ولو ألفيتَ عندنا منه شيئاً لأرسلنا إليك به، وإن بين أيدينا عقبة كئوداً المُخِفُّ فيه خير من المُثْقِل. أفهمت ما أقول لك؟ قال: نعم. كذا في «صفة الصفوة» (1/ 263).

وقد تقدَّم في الإِنكار على ترفع الأمير أن عمر رضي الله عنه دخل عليه فدفع الباب فإذا ليس له غَلَق، فدخل في بيت مظلم فجعل يلمسه حتى وقع عليه فجسَّ وساده فإذا برذعة، وجسَّ فراشه فإذا بطحاء، وجسَّ دثاره فإذا كساء رقيق. قال عمر: رحمك الله، ألم أوسِّع عليك؟! ألم أفعل بك؟ فقال له أبو الدرداء: أتذكر حديثاً حدَّثناه رسول الله ﷺ؟ قال: أي حديث؟ قال: «ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب». قال: نعم! قال: فماذا فعلنا بعده يا عمر؟ قال: فما زالا يتجاوبان بالبكاء حتى أصبحا.

* * *

زهد معاذ بن عفراء
رضي الله عنه

أخرج عمر بن شَبَّة عن أفلح مولى أبي أيوب رضي الله عنه قال: كان عمر رضي الله عنه يأمر بحلل تنسج لأهل بدر يتنوَّق فيها، فبعث إلى معاذ بن عفراء رضي الله عنه حلَّة. فقال لي معاذ: يا أفلح بعْ هذه الحلة، فبعتها له بألف وخمسمائة درهم، ثم قال: إذهب فابتع لي بها رِقاباً، فاشتريت له خمس رقاب، ثم قال: والله إن امرأ اختار قشرين يلبسهما على خمس رقاب يعتقها لغبين الرأي، اذهبوا فأنتم أحرار، فبلغ عمر أنه لا يلبس ما يبعث به إليه. فاتخذ له حلَّة غليظة أنفق عليها مائة درهم، فلما أتاه بها الرسول قال: ما أراه بعثك بها إليَّ قال: بلى ـ والله ـ فأخذ الحلّة فأتى بها عمر، فقال: يا أمير المؤمنين بعثت إليَّ بهذه الحلَّة؟ قال: نعم إنْ كنا لنبعث إليك بحلَّة مما نتخذ لك ولإخوانك فبلغني أنك لا تلبسها. فقال: يا أمير المؤمنين إني وإن كنت لا ألبسها فإني أحب أن يأتِيَن من صالح ما عندك، فأعاد له حلَّته. كذا في «صفوة الصفوة» (1/ 188).

* * *

زهد اللجلاج الغطفاني
رضي الله عنه

أخرج الطبراني بإسناد لا بأس به عن اللَّجْلاج رضي الله عنه قال: ما ملأت بطني طعاماً منذ أسلمت مع رسول الله ﷺ، آكل حسبي وأشرب حسبي ـ يعني قوتي ـ وزاد البيهقي: وكان قد عاش مائة وعشرين سنة: خمسين في الجاهلية، وسبعين في الإسلام. كذا في «الترغيب»

(3/ 423). وأخرجه أبو العباس السراج في «تاريخه» والخطيب في «المتفق»، كما في «الإصابة» (2/ 328)، وابن عساكر كما في «الكنز» (7/ 86).

* * *

زهد عبد الله بن عمر رضي الله عنه

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 298) عن حمزة بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لو أن طعاماً كثيراً كان عند عبد الله بن عمر ما شبع منه بعد أن يجد له آكلاً، فدخل عليه ابن مُطِيع يعوده، فرآه، قد نحل جسمه، فقال لصفيّة رضي الله عنها: ألا تُلْطِفِيهِ؟ لعله أن يرتدّ إليه جسمه، فتصنعي له طعاماً؟ قالت: إنا لنفعل ذلك ولكنه لا يدع أحداً من أهله ولا من يحضره إلا دعاه عليه؛ فكلِّمْه أنت في ذلك، فقال ابن مطيع: يا أبا عبد الرحمن لو اتخذت طعاماً فرجع إليك جسمك؛ فقال: إنه ليأتي عليَّ ثماني سنين ما أشبع فيها شَبْعة واحدة ـ أو قال: لا أشبع فيها إلا شبعة واحدة ـ فالآن تريد أن أشبع حين لم يبق من عمري إلا ظِمء حمار.

وعنده عن عمر بن حمزة بن عبد الله قال: كنت جالساً مع أبي فمر رجل فقال: أخبرني ما قلت لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما يوم رأيتك تكلمه بالجُرف؟ قال: قلت: يا أبا عبد الرحمن، رقَّت مضغتك وكبر سنك، وجلساؤك لا يعرفون حقك ولا شرفك؛ فلو أمرت أهلك أن يجعلوا لك شيئاً يُلْطِفونك إذا رجعت إليهم. قال: ويحكم! والله ما شبعت منذ إحدى عشرة سنة ولا ثنتي عشرة سنة ولا ثلاث عشرة سنة ولا

أربع عشرة سنة، ولا مرة واحدة؛ فكيف بي؟ وإنما بقي مني كِظْمء الحمار!!.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 300) عن عبيد الله بن عدي - وكان مولى لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما - قدم من العراق فجاءه يسلِّم عليه، فقال: أهديت إليك هدية، قال: وما هي؟ قال: جَوارِش، قال: وما جَوارش؟ قال: تهضم الطعام؛ فقال: فما ملأت بطني طعاماً منذ أربعين سنة فما أصنع به؟.

وعنده أيضاً عن ابن سيرين أنَّ رجلاً قال لابن عمر رضي الله عنهما: أجعل لك جوارش؟ قال: شيء إذا كظَّك الطعام فأصبت منه سهل عليك. قال: فقال ابن عمر: ما شبعت من الطعام منذ أربعة أشهر، وما ذاك أن لا أكون له واجداً؟ ولكني عهدت قوماً يشبعون مرة ويجوعون مرة. وأخرجه ابن سعد (4/ 110) عن ابن سيرين مختصراً، وكذلك عن نافع مختصراً.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 303) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ما وضعت لبنة على لبنة، ولا غرست نخلة منذ قُبض النبي ﷺ، وأخرجه ابن سعد (4/ 125) مثله.

وأخرج أبو سعيد ابن الأعرابي بسند صحيح عن جابر رضي الله عنه قال: ما منَّا من أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها غير عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وفي «تاريخ أبي العباس السّراج» بسند حسن عن السُّدِّي قال: رأيت نفراً من الصحابة كانوا يرون أنه ليس أحد فيهم على الحالة التي فارق عليها النبي ﷺ إلا ابن عمر. كذا في «الإصابة» (2/ 347).

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 277) عن ساعدة بن سعد بن حذيفة أنَّ حذيفة رضي الله عنه كان يقول: ما من يوم أقرَّ لعيني ولا أحب لنفسي من يوم آتي أهلي فلا أجد عندهم طعاماً، ويقولون ما نقدر على قليل ولا كثير!! وذلك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله أشد حِمْية للمؤمن من الدنيا من المريض أهله الطعام. والله تعالى أشد تعاهداً للمؤمن بالبلاء من الوالد لولده بالخير». وأخرجه الطبراني عن ساعدة مثله. قال الهيثمي (10/ 285): وفيه من لم أعرفهم.

* * *

الإِنكار على من لم يزهد في الدنيا وتلذذ بها والوصية بالتحفظ عنها

أخرج البيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: رآني رسول الله ﷺ وقد أكلت في اليوم مرتين فقال: «يا عائشة، أما تحبين أن يكون أن يكون لك شغل إلا جوفك؟ الأكل في اليوم مرتين من الإِسراف، والله لا يحب المسرفين». وفي رواية فقال: «يا عائشة، اتخذت الدنيا بطنك؟ أكثر من أكله كل يوم سَرَف، والله لا يحب المسرفين». كذا في «الترغيب» (3/ 423).

وعند ابن الأعرابي عن عائشة رضي الله عنها قالت: جلست أبكي عند رسول الله ﷺ فقال: «ما يبكيك؟ إن كنت تريدين اللحوق بي فليكفك من الدنيا مثل زاد الراكب، ولا تخالطين الأغنياء». كذا في «الكنز» (2/ 150). وأخرجه الترمذي، والحاكم، البيهقي نحوه وزادوا: «ولا تستخلفي ثوباً حتى ترقعيه». وذكره رَزِين فزاد فيه: قال عروة: فما كانت عائشة تستجدُّ ثوباً حتى ترقع ثوبها وتنكِّسه، لقد جاءها يوماً من عند معاوية رضي الله عنه ثمانون ألفاً فما أمسى عندها درهم، قالت لها جاريتها: فهلَّا اشتريت لنا منه لحماً بدرهم؟ قالت: لو ذكَّرتني لفعلت. كذا في «الترغيب» (5/ 126).

وأخرج الطبراني عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: أكلت ثريدة بلحم سمين، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أتجشَّأ، فقال: «اكفف عنا

جُشاءك أبا جحيفة، فإنَّ أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة». فما أكل أبو جحيفة ملءَ بطنه حتى فارق الدنيا، كان إذا تغدَّى لا يتعشَّى، وإذا تعشَّى لا يتغدَّى. قال الهيثمي (5/ 31): رواه الطبراني في «الأوسط» و «الكبير» بأسانيد، وفي أحد أسانيد الكبير محمد بن خالد الكوفي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. انتهى. وأخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (4/ 37) نحوه. وأخرج البزار (3669) بإسنادين نحوه مختصراً.، ورجال أحدهما ثقات. كما قال الهيثمي (10/ 323) وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (7/ 256) عن أبي جحيفة بمعناه ولم يذكر قوله: فما أكل إلى آخره.

وأخرج الطبراني عن جَعْدة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ رأى رجلاً عظيم البطن، فقال بأصبعه في بطنه: لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك».

وفي رواية أن النبي ﷺ رأى له رجل رؤيا، فبعث إليه فجاء فقصَّها عليه - وكان عظيم البطن - فقال بأصبعه في بطنه: «لو كان هذا في غير هذا المكان لكان خيراً لك». قال الهيثمي (5/ 13): رواه كله الطبراني، ورواه أحمد إلا أنه جعل: أن النبي ﷺ هو الذي رأى الرؤيا للرجل. ورجال الجميع رجال الصحيح غير أبي إسرائيل الجُشَمي وهو ثقة. انتهى.

وأخرج مالك عن يحيى بن سعيد أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أدرك جابر بن عبد الله رضي الله عنه ومعه حامل لحم، فقال عمر: أما يريد أحدكم أن يطوي بطنه لجاره وابن عمه، فأين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: 20]؟ كذا في «الترغيب» (3/ 424).

وعند البيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لقيني عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد ابتعت لحماً بدرهم، فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت: قَرِم أهلي فابتعت لهم لحماً بدرهم؛ فجعل عمر يردِّد: قَرِم أهلي، حتى تمنيت أن الدرهم سقط مني ولم ألقَ عمر. كذا في «الترغيب» (3/ 424) وأخرجه ابن جرير عن جابر أطول منه، كما في «منتخب الكنز» (4/ 407). وأخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حُميد، وابن المنذر، الحاكم، والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ عمر رأى في يد جابر بن عبد الله رضي الله عنه درهماً، فقال: ما هذا الدرهم؟ قال: أريد أن أشتري لأهلي به لحماً قَرِموا إليه. فقال: أكلما اشتهيتم شيئاً اشتريتموه؟ أين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾؟ فذكره. كذا في «المنتخب» (4/ 406).

وأخرج عبد الرزاق، وأحمد في «الزهد» (153)، والعسكري في «المواعظ»، وابن عساكر عن الحسن قال: دخل عمر على ابنه عبد الله رضي الله عنهم وإنَّ عنده لحماً، فقال: ما هذا اللحم؟ قال: اشتهيت، قال: وكلما اشتهيت شيئاً أكلته؟ كفى بالماء سَرَفاً أن يأكل كل ما اشتهاه. كذا في «المنتخب» (4/ 406).

وأخرج ابن المبارك عن سعيد بن جبير قال: بلغ عمر بن الخطاب أن يزيد بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ يأكل ألوان الطعام، فقال لمولى له يقال له يَرْفَأ: إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمني، فلما حضر عشاؤه أعلمه، فأتى عمر فسلَّم واستأذن فأذن له فدخل، فقُرِّب عشاؤه، فجاء بثريد ولحم فأكل عمر معه، ثم قُرِّب شواء فبسط يزيد يده وكف عمر، ثم قال عمر: الله يا يزيد بن أبي سفيان!! أطعام بعد طعام؟ والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنّتهم ليخالَفَنَّ بكم عن طريقهم. كذا في «منتخب كنز العمال» (4/ 401).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 48) عن الحسن قال: مرّ عمر رضي الله عنه على مَزبلة فاحتبس عندها، فكأن أصحابه تأذَّوا بها. فقال: هذه دنياكم التي تحرصون عليها ـ أو تتكلون عليها! ـ.

وأخرج ابن عساكر عن سَلَمة بن كلثوم أن أبا الدرداء رضي الله عنه ابتنى بدمشق قنطرة، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو بالمدينة، فكتب إليه: يا عُويمر ابن أم عويمر، أما كان لك في بنيان فارس، والروم ما يكفيك حتى تبني البنيانات؟ وإنما أنتم يا أصحاب محمد قدوة!!. وعنده أيضاً وهَنَّاد والبيهقي عن راشد بن سعد قال: بلغ عمر أنَّ أبا الدرداء ـ رضي الله عنه ـ ابتنى كنيفاً بحمص، فكتب إليه: أما بعد: يا عُويمر، أما كانت لك كفاية فيما بَنَت الروم عن تزيين الدنيا وقد أمر الله بخرابها! كذا في «كنز العمال» (8/ 62). وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (7/ 305) عن راشد بن سعد مثله، وزاد بعد قوله تزيين الدنيا: وتجديدها وقد آذن الله بخرابها، إذا أتاك كتابي هذا فانتقل من حمص إلى دمشق. قال سفيان: عاقبه بهذا.

وأخرج ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبي حبيب قال: أول من بنى غرفة بمصر خارجة بن حذافة رضي الله عنه، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه:

«سلام، أما بعد فإنه بلغني أن خارجة بن حذافة بنى غرفة، ولقد أراد خارجة أن يطَّلع على عورات جيرانه، فإذا أتاك كتابي هذا فاهدمها إن شاء الله، والسلام».

كذا في «الكنز» (8/ 63).

وأخرج ابن سعد، والبخاري في «الأدب» عن عبد الله الرومي

قال: دخلتُ على أمّ طَلْق بيتها، فإذا سقف بيتها قصير، فقلت: ما أقصر سقف بيتك يا أم طَلْق؟ قالت: يا بنيّ إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى عماله أن لا تطيلوا بناءكم؛ فإن شر أيامكم يوم تُطيلون بناءكم. كذا في «الكنز» (8/ 63).

وأخرج ابن أبي الدنيا، والدِينَوَري عن سفيان بن عُيَينة قال: كتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ وهو على الكوفة يستأذنه في بناء بيت يسكنه، فوقَّع في كتابه: ابن ما يسترك من الشمس، ويكنّك من الغيث، فإن الدنيا دار بُلْغة. وكتب إلى عمر بن العاص رضي الله عنه وهو على مصر: كن لرعيتك كما تحب أن يكون لك أميرك. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 406).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (7/ 304) عن سفيان قال: بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً بنى بالآجر فقال: ما كنت أحسب أنَّ في هذه الأمة مثل فرعون!! قال: يريد قوله: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ [القصص، آية: 38].

وأخرج ابن عساكر عن سالم بن عبد الله قال: اعرست في عهد أبي، فدعا أبي الناس، فكان فيمن دعا أبو أيوب وقد ستروا بيتي بجاديٍّ أخضر، فجاء أبو أيوب فطأطأ رأسه فنظر فإذا البيت ستر، فقال: يا عبد الله تسترون الجُدُر؟ فقال أبي ـ واستحيى ـ: غلبنا النساء يا أبا أيوب. فقال: من خشيتُ أن تغلبه النساء فلم أخش أن يغلبْنك! لا أدخل لكم بيتاً ولا أطعم لكم طعاماً. كذا في «كنز العمال» (8/ 63).

وأخرج أحمد في «الزهد» (137) وابن سعد (3/ 137) وغيرهما عن سلمان رضي الله عنه قال: أتيت أبا بكر رضي الله عنه فقلت: اعهد لي، فقال: يا سلمان اتّق الله واعلم أنْ سيكون فُتوح، فلا أعرفنَّ ما كان

حظك منها ما جعلته في بطنك وألقيته على ظهرك، واعلم أنَّه من صلّى الصلوات الخمس فإنه يصبح في ذمَّة الله ويمسي في ذمَّة الله، فلا تقتلنَّ أحداً من أهل الله فتخفرَ الله في ذمته فيكبَّك الله في النار على وجهك. كذا في «الكنز» (8/ 233).

وعند الدِينَوَري عن الحسن أنَّ سلمان الفارسي أتى أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ في مرضه الذي مات فيه، فقال: أوصني يا خليفة رسول الله، فقال أبو بكر: إن الله فاتحٌ عليكم الدنيا فلا يأخذنَّ منها أحد إلا بلاغاً. كذا في «الكنز» (2/ 146).

وعند أبي نعيم في «الحلية» (1/ 34) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: دخلت على أبي بكر رضي الله عنه في مرضه الذي توفي فيه، فسلَّمت عليه، فقال: رأيت الدنيا قد أقبلت ولَمَّا تقبل، وهي جائية، وستتخذون ستور الحرير ونضائد الديباج، وتألمون ضجائع الصوف الأذري، كأن أحدكم على حسك السَّعدان، ووالله لأن يقدَّم أحدكم فيضرب عنقه ـ في غير حدٍّ ـ خير له من أن يسبح في غَمْرة الدنيا. وأخرجه الطبراني أيضاً عن عبد الرحمن نحوه، كما في «المنتخب» (4/ 362). وقال: وله حكم الرفع لأنه من الإخبار عما يأتي ـ اهـ.

وأخرج أحمد عن علي بن رباح قال: سمعت عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: لقد أصبحتم وأمسيتم ترغبون فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه، أصبحتم ترغبون في الدنيا وكان رسول الله ﷺ يزهد فيها، والله ما أتت على رسول الله ﷺ ليلة من دهره إلَّا كان الذي عليه أكثرَ من الذي له. قال: فقال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: قد رأينا رسول الله ﷺ يستسلف. قال في الترغيب (5/ 166): رواه أحمد ورواته

رواة الصحيح، والحاكم إلا أنه قال: ما مرَّ به ثلاث من دهره إلا والذي عليه أكثر من الذي له. ورواه ابن حِبَّان في صحيحه مختصراً. انتهى. وفي رواية عند أحمد عن عمرو أيضاً أنه قال: ما أبعد هديَكم من هَدْي نبيكم؟! أما هو فكان أزهد الناس في الدنيا، أما أنتم فأرغبُ الناس فيها. قال الهيثمي (10/ 315): رجال أحمد رجال الصحيح. ا هـ. وأخرجه ابن عساكر، وابن النجار نحوه، كما في «الكنز» (2/ 148).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 301) عن ميمون أن رجلاً من بني عبد الله بن عمر رضي الله عنهما استكساه إزاراً وقال: قد تخرَّق إزاري. فقال له: اقطع إزارك ثم اكتسه. فكره الفتى ذلك، فقال له عبد الله بن عمر: ويحك اتق الله، لا تكونن من القوم الذين يجعلون ما رزقهم الله تعالى في بطونهم وعلى ظهورهم!!.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 163) عن ثابت أنَّ أبا ذر مرَّ بأبي الدرداء - رضي الله عنهما - وهو يبني بيتاً له، فقال: لقد حملت الصخر على عواتق الرجال! فقال: إنما هو بيت أبنيه. فقال له أبو ذر: مثلَ ذلك، فقال: يا أخي لعلك وَجَدت عليَّ في نفسك من ذلك؟! قال: لو مررت بك وأنت في عَذِرَة أهلك كان أحب إليَّ مما رأيتك فيه.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 37) عن عائشة رضي الله عنها قالت: لبست مرة دِرْعاً لي جديداً، فجعلت أنظر إليه وأُعجبت به، فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما تنظرين؟ إن الله ليس بناظر إليك! قلت: ومِمَّ ذاك؟ قال: أما علمت أنَّ العبد إذا دخله العُجْب بزينة الدنيا مَقَته ربه عزّ وجلّ حتى يفارق تلك الزينة؟ قالت: فنزعته فتصدَّقت به. فقال أبو بكر: عسى ذلك أن يكفِّر عنك.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 37) عن حبيب بن ضَمْرة قال:

حضرت الوفاةُ ابناً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، فجعل الفتى يلحظ إلى وسادة. فلما توفي قالوا لأبي بكر: رأينا ابنك يلحظ إلى الوسادة. قال: فرفعوه عن الوسادة فوجدوا تحتها خمسة دنانير ـ أو ستة ـ، فضرب أبو بكر بيده على الأخرى يرجِّع يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون! ما أحسب جلدك يتسع لها.

وأخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 142) عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: لما بنى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه داره قال لعمار رضي الله عنه: هلمَّ انظر إلى ما بنيت. فانطلق عمَّار فنظر إليه فقال: بنيتَ شديداً، وأمَّلْتَ بعيداً ـ أو تأمَّل بعيداً ـ وتموت قريباً.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (3/ 323) عن عطاء قال: دُعي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه إلى وليمة وأنا معه، فرأى صفرة وخضرة، فقال: أما تعلمون أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا تغدَّى لم يتعشَّ وإذا تعشَّى لم يتغدَّ؟. قال أبو نُعيم: غريب من حديث عطاء، لا أعلم عنه راوياً إلا الوَضين بن عطاء.

* * *

الباب التاسع

باب خروج الصحابة عن الشهوات النفسانية

كيف خرج الصحابة عن الشهوات النفسانية من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشائر والأموال والتجارات والمساكن.

قطع حبال الجاهلية لتشييد حبال الإسلام

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 101) عن ابن شَوْذَب قال: جعل أبو أبي عبيدة بن الجراح يتصدّى لابنه أبي عبيدة رضي الله عنه يوم بدر، فجعل أبو عبيدة يَحيد عنه، فلما أكثر قَصَدَه أبو عبيدة فقتله. فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية حين قتل أباه:

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: 22] ـ الآية ـ.

وأخرج البيهقي (9/ 27) والحاكم (3/ 265) عن عبد الله بن شوذب نحوه. قال البيهقي: هذا منقطع. وأخرجه الطبراني أيضاً بسند جيد عن ابن شَوْذَب نحوه، كما في الإصابة (2/ 253).

وأخرج البيهقي (9/ 27) عن مالك بن عمير رضي الله عنه ـ وكان قد أدرك الجاهلية ـ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لقيت العدو ولقيت أبي فيهم، فسمعت لك منه مقالة قبيحة فلم أصبح حتى طعنته بالرمح ـ أو حتى قتلته ـ. فسكت عنه النبي ﷺ. ثم جاء آخر فقال: إني لقيت أبي فتركته وأحببت أن يليه غيري، فسكت عنه. قال البيهقي: وهذا مرسل جيد.

وأخرج البزّار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ بعبد الله بن أُبي وهو في ظل أُطُم فقال: غبَّر علينا ابن أبي كبشة. فقال

ابنه عبد الله بن عبد الله رضي الله عنه: يا رسول الله والذي أكرمك لئن شئت لأتيتك برأسه؟ فقال: «لا، ولكن برَّ أباك وأحسن صحبته» قال الهيثمي (9/ 318): رواه البزّار ورجاله ثقات. وعند الطبراني عن عبد الله بن عبد الله أنه استأذن النبي ﷺ أن يقتل أباه قال: «لا تقتل أباك».

وعند ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أُبي بن سلول رضي الله عنه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنَّه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمر لي به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبرَّ بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله؛ فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبي يمشي في الناس، فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار. فقال رسول الله ﷺ: «بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا». كذا في البداية (4/ 158).

وأخرج الطبراني عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: لما رجع رسول الله ﷺ من بني المصطلق قام ابن عبد الله بن أبيٍّ رضي الله عنه فسلّ على أبيه السيف، وقال: لله عليَّ أن لا أغمده حتى تقول: محمد الأعزُّ وأنا الأذلُّ! قال: ويلك محمد الأعزّ وأنا الأذلُّ. فبلغت رسول الله ﷺ فأعجبه وشكرها له. قال الهيثم (9/ 318): وفيه محمد بن الحسن بن زَبالة وهو ضعيف.

وأخرج ابن شاهين بإسناد حسن عن عروة قال: استأذن حنظلة بن أبي عامر وعبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ـ رضي الله عنهما ـ رسول الله ﷺ في قتل أبويهما، فنهاهما عن ذلك. كذا في «الإصابة» (1/ 361).

وأخرج ابن أبي شيبة عن أيوب قال: قال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما لأبي بكر: رأيتك يوم أحد فصدفت عنك. فقال أبو بكر: لكني لو رأيتك ما صدفت عنك. كذا في «الكنز» (5/ 274) وأخرجه الحاكم (3/ 475) عن أيوب نحوه. وأسند الحاكم عن الواقدي أن عبد الرحمن دعا إلى البراز يوم بدر، فقام إليه أبوه أبو بكر رضي الله عنه ليبارزه. فذُكر أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: «متعنا بنفسك». وهكذا ذكره البيهقي (8/ 186) عن الواقدي.

وذكر ابن هشام عن أبي عبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لسعيد بن العاص رضي الله عنه ـ ومر به ـ: إني أراك كأنَّ في نفسك شيئاً أراك تظنُّ أنّي قتلت أباك، إني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله، ولكني قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة، فأما أبوك فإني مررت به وهو يبحث بحث الثور بروْقه، فحدت عنه وقصد له ابن عمه علي فقتله. كذا في البداية (3/ 290). وزاد في «الاستيعاب» و«الإصابة»: فقال له سعيد بن العاص: لو قتلته لكنت على الحق وكان على الباطل؛ فأعجبه قوله.

وأخرج ابن جرير عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمر رسول الله ﷺ بقتلى بدر أن يُسحبوا إلى القَليب، فطرحوا فيه، ثم وقف وقال: «يا أهل القليب، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربّي حقاً». فقالوا: يا رسول الله تكلِّم قوماً موتى؟! قال: «لقد علموا أنَّ ما وعدهم ربهم حق». فلما رأى أبو حذيفة بن عتبة رضي الله عنه أباه يسحب على القليب عرف رسول الله ﷺ الكراهية في وجهه قال: «يا أبا حذيفة، كأنك كاره لما رأيتَ». فقال: يا رسول الله، إنَّ أبي كان رجلاً سيداً فرجوت أن يهديه ربُّه إلى الإسلام، فلما وقع الموقع الذي وقع

أحزنني ذلك؛ فدعا رسول الله ﷺ لأبي حذيفة بخير. كذا في «الكنز» (5/ 296)، وأخرجه الحاكم (3/ 224) عن عائشة نحوه وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه، ووافقه الذهبي، وذكره ابن إسحاق نحوه بلا إسناد، كما في «البداية» (3/ 294). وذكر الحاكم (3/ 223) عن أبي الزِّناد قال: شهد أبو حذيفة رضي الله عنه بدراً ودعا أباه عتبة إلى البراز، وذكر ما قالت له أخته هند بنت عتبة رضي الله عنها من الأشعار في ذلك. وهكذا أسنده البيهقي (8/ 186).

وأخرج ابن إسحاق عن نبيه بن وَهْب أخي بني عبد الدار أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرَّقهم بين أصحابه وقال: «استوصوا بهم خيراً» قال: وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم ـ أخو مصعب بن عمير رضي الله عنه لأبيه وأمه ـ في الأسارى. قال أبو عزيز: مرَّ بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقال: شدَّ يديك به؛ فإنّ أمه ذات متاع لعلها تفديه منك!! قال أبو عزيز: فكنت في رَهْط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدَّموا غداءهم وعشاءهم خصُّوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها، فأستحي فأردها فيردها عليَّ ما يمسها. ولما قال أخوه مصعب لأبي اليَسَر ـ وهو الذي أسره ـ ما قال، قال له أبو عزيز: يا أخي، هذه وصاتك بي؟! فقال له مصعب: إنه أخي دونك. فسألت أمه عن أغلى ما فُديَ به قرشي فقيل لها: أربعة آلاف درهم فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدته بها. كذا في البداية (3/ 307).

وعند الواقدي عن أيوب بن النعمان قال: أُسر يومئذ أبو عزيز بن عمير ـ وهو أخو مصعب بن عمير رضي الله عنه لأبيه وأمه ـ وقع في يد مُحْرز بن نضلة، فقال مصعب لمحرز: اشدد يديك به، فإن له أماً بمكة

كثيرة المال. فقال له أبو عزيز: هذه وصايتك بي يا أخي؟ فقال: إن محرزاً أخي دونك، فبعثت أمه بأربعة آلاف. كذا في «نصب الراية» للزَّيْلعي (3/ 407).

وأخرج ابن سعد (8/ 70) عن الزهري قال: لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد غزو مكة، فكلَّمه أن يزيد في هدنة الحديبية فلم يُقْبِل عليه رسول الله ﷺ، فقام فدخل على ابنته أم حبيبة رضي الله عنها. فلمّا ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه. فقال: يا بنية أرغبتِ بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نَجِس مشرك. فقال: يا بنية لقد أصابك بعدي شر. وذكره ابن إسحاق نحوه بلا إسناد، كما في البداية (4/ 280) وزاد: فلم أحب أن تجلس على فراشه.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 133) عن أبي الأحوص قال: دخلنا على ابن مسعود رضي الله عنه وعنده بنون ثلاثة كأمثال الدنانير، فجعلنا ننظر إليهم ففطن بنا، فقال: كأنكم تغبطوني بهم؟ قلنا: وهل يُغبط الرجل إلا بمثل هؤلاء؟ فرفع رأسه إلى سقف بيت له قصير قد عشَّش فيه خُطَّاف، فقال: لأن أكون نفضت يديَّ من تراب قبورهم أحب إليَّ من أن يقع بيض هذا الخطاف فينكسر. وعن أبي عثمان عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يجالسه بالكوفة، فبينما هو يوم في صُفَّة له وتحته فلانة وفلانة ـ امرأتان ذواتا منصب وجمال ـ وله منهما ولد كأحسن الولد؛ إذ شقشق على رأسه عصفور ثم قذف أذى بطنه، فنكته بيده وقال: لأن يموت آل عبد الله ثم أتبعهم أحب إليَّ من أن يموت هذا العصفور.

وقد تقدّم قول عمر رضي الله عنه في مشاورة أهل الرأي: والله ما

أرى ما رأى أبو بكر؛ ولكن أرى أن تمكنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه، وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين؛ وأيضاً تقدَّمت قصص الأنصار في قطعهم حبال الجاهلية.

* * *

محبة النبي ﷺ في أصحابه

أسند ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر أن سعد بن معاذ رضي الله عنه قال: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، ونعدُّ عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا؟ فإن أعزَّنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلَّف عنك أقوام ما نحن بأشد حبّاً لك منهم، ولو ظنُّوا أنك تلقى حرباً ما تخلَّفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك. فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير، ثم بُني لرسول الله ﷺ عريش كان فيه. كذا في «البداية» (3/ 268).

وأخرج الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك لأحب إليَّ من نفسي، وإنك لأحب إليَّ من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيِّين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك؛ فلم يردّ عليه النبي ﷺ شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: 69]. قال الهيثمي (7/ 7): رواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة. انتهى. وأخرجه أبو نعيم في الحلية (4/ 240) عن عائشة رضي الله عنها بهذا

السياق والإسناد نحوه، وقال: هذا حديث غريب من حديث منصور وإبراهيم تفرد به فُضَيل، وعنه العابدي.

وعند الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني لأحبك حتى إني لأذكرك فلولا أنّي أجيء فأنظر إليك ظننت أن نفسي تخرج، فأذكر أنّي إن دخلت الجنة صرت دونك في المنزلة، فيشقُّ ذلك عليّ وأحب أن أكون معك في الدرجة، فلم يردّ عليه رسول الله ﷺ شيئاً، فأنزل الله عزل وجل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ - الآيــــة -. فدعاه رسول الله ﷺ فتلاها عليه. قال الهيثمي (7/ 7): رواه الطبراني، وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط. اهـ.

وأخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ قال: «وما أعددت لها؟» قال: لا شيء إلا أني أُحب الله ورسوله. قال: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فأنا أُحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما، وأرجو أن أكون معهم بحبّي إياهم.

وفي رواية للبخاري أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة قائمة؟ قال: «ويلك وما أعددت لها؟» قال: ما أعددت لها إلا أنّي أُحب الله ورسوله. قال: «إنك مع من أحببت. قال: ونحن كذلك. قال: «نعم» ففرحنا يومئذ فرحاً شديداً.

وعند الترمذي عنه قال: رأيت أصحاب رسول الله ﷺ فرحوا بشيء لم أرهم فرحوا بشيء أشد منه. قال رجل: يا رسول الله، الرجل يحب

الرجل على العمل من الخير يعمل به ولا يعمل بمثله. فقال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب».

وعند أبي داود عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل بعملهم؟ قال: «أنت يا أبا ذرٍّ مع من أحببت». قال: فإني أحب الله ورسوله. قال: «فإنك مع من أحببت» قال: فأعادها أبو ذر فأعادها رسول الله ﷺ. كذا في «الترغيب» (4/ 429 ـ 431 ـ 433).

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أصابت نبي الله ﷺ خَصَاصة، فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه، فخرج يلتمس عملاً يصيب فيه شيئاً لُيغيث به النبي ﷺ، فأتى بستاناً لرجل من اليهود فاستسقى له سبعة عشر دَلْواً، على كل دَلْوٍ تمرة، فخيَّره اليهودي على تمرهِ فأخذ سبعة عشر عجوة، فجاء بها إلى النبي ﷺ، فقال: «من أين لك هذا يا أبا الحسن؟» قال: بلغني ما بك من الخصاصة يا نبي الله، فخرجت ألتمس لك عملاً لأصيب لك طعاماً. قال: «حملك على هذا حبُّ الله ورسوله؟» قال: نعم يا نبي الله. قال النبي ﷺ: «ما من عبد يحب الله ورسوله إلا الفقر أسرع إليه جرية السيل على وجهه، ومن أحب الله ورسوله فليعدَّ للبلاد تجفافاً». كذا في «كنز العمال» (3/ 321) وقال: وفيه حَنَش.

وأخرج الطبراني عن كعب بن عُجرة رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فرأيته متغيراً، فقلت: بأبي أنت ما لي أراك متغيراً؟ قال: «ما دخل جوفي ما يدخل جوف ذات كبد منذ ثلاث» قال: فذهبت فإذا يهودي يسقي إبلاً له فسقيت له على كل دلو بتمرة، فجمعت تمراً، فأتيت به النبي ﷺ، فقال: «من أين لك يا كعب؟» فأخبرته، فقال النبي ﷺ:

«أتحبني يا كعب؟». قال: بأبي أنت، نعم. قال: «إن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى معادنه، وإنه سيصيبك بلاء فأعدّ له تجفافاً». قال: ففقده النبي ﷺ فقال: «ما فعل كعب؟» قالوا مريض، فخرج يمشي حتى دخل عليه، فقال: «أبشر يا كعب». فقالت أمه: هنيئاً لك الجنةُ يا كعب! فقال النبي ﷺ: «من هذه المتألِّية على الله؟» قلت: هي أمي يا رسول الله، قال: «ما يدريك يا أم كعب؟ لعل كعباً قال ما لا ينفعه ومنع ما لا يغنيه». قال الهيثمي (10/ 314): رواه الطبراني في «الأوسط» وإسناده جيد. اهـ، وكذا قال في «الترغيب» (5/ 153) عن شيخه الحافظ أبي الحسن. وأخرجه ابن عساكر مثله، كما في «الكنز» (3/ 320) إلا أنَّ في روايته: «لعل كعباً قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه».

وأخرج الطبراني عن حُصين بن وَحْوَح الأنصاري أن طلحة بن البراء رضي الله عنهما لما لقي النبي ﷺ فجعل يلصق برسول الله ﷺ ويقبِّل قدميه. قال: يا رسول الله، مرني بما أحببت ولا أعصي لك أمراً. فعجب لذلك النبي ﷺ وهو غلام، فقال له عند ذلك: «اذهب فاقتل أباك» فخرج مولياً ليفعل، فدعاه فقال له: «أقبل فإني لم أبعث بقطيعة رحم».

فمرض طلحة بعد ذلك فأتاه النبي ﷺ يعوده في الشتاء في برد وغيم. فلما انصرف قال لأهله: «لا أرى طلحة إلا قد حدث فيه الموت فآذنوني به حتى أشهده وأصلّي عليه وعجّلوه». فلم يبلغ النبي ﷺ بني سالم بن عوف حتى توفي وجنَّ عليه الليل. فكان فيما قال طلحة: ادفنوني وألحقوني بربي عزَّ وجل، ولا تدعو رسول الله ﷺ فإني أخاف عليه اليهود أن يصاب في سببي. فأخبر النبي ﷺ حين أصبح، فجاء حتى وقف على قبره، فصفّ الناس معه ثم رفع يديه فقال: «اللهمَّ الْقَ طلحة

تضحك إليه ويضحك إليك». كذا في «الكنز» (7/ 50) وأخرجه البغوي وابن أبي خيثمة وابن أبي عاصم وابن شاهين وابن السَّكَن، كما في «الإصابة» (2/ 227). قال الهيثمي (9/ 365) وقد روى أبو داود بعض هذا الحديث وسكت عليه، فهو حسن إن شاء الله. انتهى.

وأخرجه الطبراني أيضاً عن طلحة بن مسكين عن طلحة بن البراء رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ قال: «ابسط - يعني يدك - أبايعك، قال: «وإن أمرتك بقطيعة والديك؟» قلت: لا، ثم عدت له فقلت: ابسط يدك أبايعك. قال: علام؟» قلت: على الإسلام. قال: «وإن أمرتك بقطيعة والديك؟» قلت: لا، ثم عدت الثالثة، - وكانت له والدة وكان من أبرِّ الناس بها -، فقال له النبي ﷺ: «يا طلحة، إنه ليس في ديننا قطيعة الرحم، ولكن أحببت أن لا يكون في دينك ريبة». فأسلم فحسن إسلامه، ثم مرض فعاده النبي ﷺ فوجده مغمى عليه، فقال النبي ﷺ: «ما أظن طلحة إلا مقبوضاً من ليلته فإن أفاق فأرسلو إليَّ» فأفاق طلحة في جوف الليل فقال: ما عادني النبي ﷺ؟ قالوا: بلى، فأخبروه بما قال. فقال: لا ترسلوا إليه في هذه الساعة فتلسعه دابة أو يصيبه شيء، ولكن إذا فُقدت فأقرئوه منِّي السلام، وقولوا له: فليستغفر لي. فلما صلى النبي ﷺ الصبح سأل عنه، فأخبروه بموته وبما قال. قال: فرفع النبي ﷺ وقال: «اللهمَّ، الْقَهُ يضحك إليك وأنت تضحك إليه». قال الهيثمي (9/ 365): رواه الطبراني مرسلاً، وعبد ربه بن صالح لم أعرفه، وبقية رجاله وُثِّقوا. انتهى. وأخرجه ابن السَّكَن نحوه كما وسع في «الإصابة» (2/ 227).

وأخرج ابن عساكر عن الزُّهري قال: شُكي عبد الله بن حذافة رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ أنه صاحب مزاح وباطل، فقال:

«اتركوه فإن له بطانة يحب الله ورسوله». كذا في «المنتخب» (5/ 223).

وأخرج ابن ماجه والبغوي وابن منده وأبو نُعيم عن الأدرع رضي الله عنه قال: جئت ليلة أحرس النبي ﷺ فإذا رجل قراءته عالية. فخرج النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، هذا مراء. قال: «هذا عبد الله بن ذي البجادين» رضي الله عنه. فمات بالمدينة، ففرغوا من جهازه فحملوا نعشه، فقال النبي ﷺ: «ارفقوا به رفق الله به، إنه كان يحب الله ورسوله». وحضر حفرته فقال: «أوسعوا له أوسع الله عليه». فقال بعض أصحابه: يا رسول الله لقد حزنت عليه؟ فقال: «إنه كان يحب الله ورسوله». كذا في «المنتخب» (5/ 224). وقال: في سنده موسى بن عبيدة الرَّبذي ضعيف.

وأخرج ابن سعد (4/ 154) عن عبد الرحمن بن سعد قال: كنت عند ابن عمر رضي الله عنهما فخدرت رجله، فقلت: يا أبا عبد الرحمن ما لرجلك؟ قال: اجتمع عصبها من ها هنا. قلت: ادع أحب الناس إليك. قال: يا محمد. فبسطها.

وقد تقدم قول زيد بن الدَّثِنَة رضي الله عنه حين قال له أبو سفيان عند قتله: أنشدك بالله يا زيد: أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي!! قال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحبِّ أصحاب محمد محمداً. وقول خبيب رضي الله عنه حين نادَوه يناشدونه: أتحب أن محمداً مكانك؟ قال: لا والله العظيم! ما أحب أن يفديني بشوكة يُشاكها في قدمه ـ في رغبة الصحابة في القتل في سبيل الله.

إيثار حبِّه ﷺ على حبهم

أخرج عمر بن شَبَّة وأبو يَعْلى وأبو بشر سمويه في «فوائده» عن أنس رضي الله عنه في قصة إسلام أبي قحافة رضي الله عنه قال: فلما مدّ يده يبايعه بكى أبو بكر رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ: «ما يبكيك؟» قال: لأن تكون يد عمك مكان يده ويسلم ويقر الله عينك أحبّ إليَّ من أن يكون ـ وسنده صحيح. وأخرجه الحاكم من هذا الوجه وقال: صحيح على شرط الشيخين. كذا في الإصابة (4/ 116).

وعند الطبراني والبزّار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء أبو بكر بأبيه أبي قحافة رضي الله عنهما إلى رسول الله ﷺ يقوده شيخ أعمى يوم فتح مكة، فقال له رسول الله ﷺ: «ألا تركتَ الشيخ في بيته حتى نأتيه؟» قال: أردت أن يؤجره الله، لأنا كنت بإسلام أبي طالب أشد فرحاً مني بإسلام أبي، ألتمس بذلك قرة عينك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «صدقت». قال الهيثمي (6/ 174): وفيه موسى ابن عبيدة وهو ضعيف.

وأخرج ابن مردويه والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما أُسر الأساري يوم بدر أسر العباس ـ رضي الله عنه ـ فيمن أُسر، أسره رجل من الأنصار. قال: وقد أوعدته الأنصار أن يقتلوه. فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «إني لم أنم الليلة من أجل عمي العباس، وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه». قال عمر: أفآتيهم؟ قال: «نعم». فأتى عمر

الأنصار فقال لهم: أرسلوا العباس، فقالوا: لا والله لا نرسله، فقال لهم عمر: فإن كان لرسول الله رضى؟ قالوا: فإن كان له رضىً فخذه. فأخذه عمر. فلما صار في يده قال له عمر: يا عباس أسلم، فوالله لئن تسلم أحب إليَّ من أن يسلم الخطاب، وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك. كذا في «البداية» (3/ 298).

وعند ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عمر رضي الله عنه للعباس: أسلم، فوالله لئن تسلم كان أحب إليَّ من أن يسلم الخطاب، وما ذاك إلا ما رأيت رسول الله ﷺ يحب أن يكون لك سبقاً. كذا في «كنز العمال» (7/ 69).

وعند ابن سعد (4/ 20) عن الشَّعبي أن العباس رضي الله عنه تحفّى عمر رضي الله عنه في بعض الأمر فقال له: يا أمير المؤمنين أرأيتَ أن لو جاءك عمُّ موسى مسلماً ما كنت صانعاً به؟ قال: كنت ـ والله ـ محسناً إليه، قال: فأنا عم محمد النبي ﷺ. قال: وما رأيك يا أبا الفضل؟ فوالله لأبوك أحب إليَّ من أبي؟ قال: الله، الله! لأني كنت أعلم أنه أحب إلى رسول الله ﷺ من أبي، فأنا أوثر حب رسول الله ﷺ على حبِّي.

وعند ابن سعد (4/ 14) أيضاً عن أبي جعفر محمد بن علي أن العباس رضي الله عنه جاء إلى عمر رضي الله عنه فقال له: إنَّ النبي ﷺ أقطعني البحرين. قال: من يعلم ذلك؟ قال: المغيرة بن شعبة. فجاء به فشهد له، قال: فلم يمضِ له عمر ذلك كأنه لم يقبل شهادته، فأغلظ العباس لعمر فقال عمر: يا عبد الله خذ بيد أبيك ـ وقال سفيان عن غير عمرو قال: ـ قال عمر: والله يا أبا الفضل لأنا بإسلامك كنت أسر مني بإسلام الخطاب لو أسلم لمرضاة رسول الله ﷺ.

وأخرج ابن سعد (1/ 257) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا مقدم النبي ﷺ المدينة إذا حضر منا الميت أتيناه فأخبرناه فحضره واستغفر له، حتى إذا قبض انصرف ومن معه، وربما قعد حتى يدفن، وربما طال ذلك على رسول الله ﷺ من حبسه. فلما خشينا مشقة ذلك عليه قال بعض القوم لبعض: والله لو كنا لا نُؤذن النبي بأحد حتى يُقبض، فإذا قُبض آذنّاه، فلم تكن لذلك مشقّة عليه ولا حبس. قال: ففعلنا ذلك. قال: فكنَّا نؤذنه بالميت بعد أن يموت، فيأتيه فيصلِّي عليه ويستغفر له، فربما انصرف عند ذلك وربما مكث حتى يدفن الميت، فكُنّا على ذلك (أيضاً) حيناً، ثم قالوا: والله لو أنا لم نُشخص رسول الله ﷺ وحملنا الميت إلى منزله حتى نرسل إليه فيصلِّي عليه عند بيته لكان ذلك أرفق به وأيسر عليه. قال ففعلنا ذلك. قال محمد بن عمر: فمن هناك سُمي ذلك الموضع موضع الجنائز لأن الجنائز حُملت إليه. ثم جرى ذلك من فعل الناس في حمل جنائزهم والصلاة عليها في ذلك الموضع إلى اليوم.

وأخرج الحاكم عن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال: يا فاطمة، والله ما رأيت أحداً أحب إلى رسول الله ﷺ منك، والله ما كان أحد من الناس بعد أبيك أحب إلي منك. كذا في كنز العمال (7/ 111).

* * *

توقير النبي ﷺ وإجلاله

أخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر، فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما، ويبتسمان إليه ويبتسم إليهما. كذا في الشفا للقاضي عياض (2/ 23).

وأخرج الطبراني وابن حِبَّان في «صحيحه» عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير ما يتكلم منا متكلم؛ إذ جاءه أناس فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله تعالى؟ قال: «أحسنهم خلقاً». كذا في الترغيب (4/ 187)، وقال: ورواة الطبراني محتج بهم في الصحيح. وأخرجه الأربعة وصححه الترمذي عن أسامة بن شريك رضي الله عنه، قال: أتيت النبي ﷺ وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير. كذا في «ترجمان السنة» (1/ 367).

وأخرج أبو يَعْلى ـ وصحَّحه ـ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله ﷺ عن الأمر فأؤخر سنتين من هيبته. كذا في «ترجمان السنة» (1/ 370).

وأخرج البيهقي عن الزُّهري قال: حدثني من لا أتَّهم من الأنصار أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ أو تنخَّم ابتدروا نُخامته فمسحوا بها وجوههم وجلودهم، فقال رسول الله ﷺ: «لم تفعلون هذا؟» قالوا:

نلتمس به البركة. فقال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث، وليؤدِّ الأمانة، ولا يؤذِ جاره». كذا في الكنز (8/ 28).

وقد تقدّم في حديث صلح الحديبية عند البخاري وغيره من المسور بن مخرمة ومروان: ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب رسول الله ﷺ بعينيه، قال: فوالله ما تنخَّم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدّون إليه النظر تعظيماً له، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظِّمه أصحابه ما يعظِّم أصحاب محمد محمداً!!.

وأخرج الطبراني عن عبد الرحمن بن الحارث بن أبي مُرادس السُّلمي رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فدعا بطهور، فغمس يده فتوضأ، فتتبَّعناه فحسوناه. فقال النبي ﷺ: «ما حملكم على ما فعلتم؟» قلنا: حب الله ورسوله. قال: «فإن أحببتم أن يحبكم الله ورسوله فأدُّوا إذا ائتمنتم، واصدقوا إذا حدَّثتم، وأحسنوا جوار من جاوركم». قال الهيثمي (8/ 271): وفيه عبيد بن واقد القيسي وهو ضعيف.

وأخرج أبو يعلى والبيهقي في «الدلائل» عن عامر بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أن أباه حدَّثه أنه أتى النبي ﷺ وهو يحتجم، فلما فرغ قال: «يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد». فلما برز عن رسول الله ﷺ عمد إلى الدم فشربه. فلما رجع قال: «يا عبد الله ما صنعت بالدم؟» قال: جعلته في أخفى مكان علمت أنه يخفى على

الناس. قال: «لعلَّك شربته؟» قال: نعم، قال: «ولم شربت الدم؟ ويل للناس منك وويل لك من الناس!!» قال أبو موسى: قال أبو عاصم: فكانوا يرون أن القوة التي به من ذلك الدم. كذا في «الإصابة» (2/ 310). وأخرجه الحاكم (3/ 554)، والطبراني نحوه. قال الهيثمي (8/ 270): رواه الطبراني والبزار باختصار، ورجال البزار رجال الصحيح غير هُنيد بن القاسم وهو ثقة. انتهى. وأخرجه أيضاً ابن عساكر نحوه، كما في «الكنز» (7/ 57) مع ذكر قول أبي عاصم. وفي رواية: قال أبو سلمة: فيرون أن القوة التي كانت في ابن الزبير رضي الله عنهما من قوة دم رسول الله ﷺ.

وعند أبي نُعيم في «الحلية» (1/ 330) عن كَيْسان مولى عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: دخل سلمان رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وإذا عبد الله بن الزبير معه طست يشرب ما فيها، فدخل عبد الله على رسول الله ﷺ، فقال له: «فرغت؟» قال: نعم. قال سلمان: ما ذاك يا رسول الله؟ قال: «أعطيته غسالة محاجمي يُهريق ما فيها». قال سلمان: ذاك شربه والذي بعثك بالحق. قال: «شربته؟» قال: نعم، قال: «لم؟» قال: أحببت أن يكون دم رسول الله ﷺ في جوفي. فقال بيده على رأس ابن الزبير وقال: «ويل لك من الناس وويل للناس منك! لا تمسُّك النار إلا قَسَم اليمين». وأخرجه ابن عساكر عن سلمان نحوه مختصراً ورجاله ثقات. كذا في «الكنز» (7/ 56).

وأخرج الطبراني عن سفينة رضي الله عنه قال: احتجم النبي ﷺ قال: «خذ هذا الدم فادفنه من الدواب والطير والناس». فتغيَّبت فشربته، ثم ذكرت ذلك له فضحك. قال الهيثمي (8/ 270): رجال الطبراني ثقات.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أباه مالك بن سنان رضي الله عنه لما أُصيب رسول الله ﷺ في وجهه يوم أُحد مص دم رسول الله ﷺ وازدرده، فقيل له: أتشرب الدم؟ فقال: نعم، أشرب دم رسول الله ﷺ؛ فقال رسول الله ﷺ: «خالط دمي دمه لا تمسه النار». قال الهيثمي (8/ 270): لم أرَ في إسناده من أُجمع على ضعفه. انتهى.

وأخرج الطبراني عن حكيمة بنت أُميمة عن أمها قالت: كان للنبي ﷺ قدح من عيدان يبول فيه ويضعه تحت سريره، فقام فطلبه فلم يجده فسأل فقال: «أين القدح؟» قالوا: شربته سُرَّة خادم أم سلمة التي قدمت معها من أرض الحبشة. فقال النبي ﷺ: «لقد احتظرتْ من النار بحظار». قال الهيثمي (8/ 271): رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وحكيمة وكلاهما ثقة.

وأخرج الطبراني عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فنزل على أبي أيوب. فنزل رسول الله ﷺ السُّفل ونزل أبو أيوب العُلْو، فلمّا أمسى وبات جعل أبو أيوب يذكر أنه على ظهر بيتٍ رسولُ الله ﷺ أسفل منه، وهو بينه وبين الوحي!! فجعل أبو أيوب لا ينام يحاذر أن يتناثر عليه الغبار ويتحرك فيؤذيه. فلما أصبح غدا إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما جعلتُ الليلة فيها غمضاً أنا ولا أم أيوب. فقال: «ومِمَّ ذاك يا أبا أيوب؟» قال: ذكرت أني على ظهر بيت أنت أسفل مني، فأتحرك فيتناثر عليك الغبار ويؤذيك تحركي، وأنا بينك وبين الوحي. قال: «فلا تفعل يا أبا أيوب. ألا أعلِّمك كلمات إذا قلتهن بالغداة عشر مرات وبالعشي عشر مرات أعطيت بهنَّ عشر حسنات، وكُفِّر عنك بهنَّ عشر سيئات، ورُفع لك بهن عشر درجات، وكنَّ لك يوم

القيامة كعدل عشر محرَّرين؟ تقول: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد لا شريك له». كذا في «الكنز» (1/ 294).

وعند الطبراني أيضاً عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: لما نزل عليَّ رسول الله ﷺ قلت: ـ بأبي وأمي ـ إني أكره أن أكون فوقك وتكون أسفل مني. فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ أرفق بنا أن نكون في السفل لما يغشانا من الناس». فلقد رأيت جرة لنا انكسرت فأُهريق ماؤها، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء فرقاً من أن يصل إلى رسول الله ﷺ من شيء يؤذيه. فكنا نصنع طعاماً فإذا ردَّ ما بقي منه تيممنا موضع أصابعه فأكلنا منها نريد بذلك البركة. فردّ علينا عشاءه ليلة وكنا جعلنا فيه ثوماً أو بصلاً فلم نرَ فيه أثر أصابعه. فذكرت له الذي كنا نصنع والذي رأينا من ردِّه الطعام ولم يأكل، فقال: «إني وجدت منه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجَى فلم أحب أن يوجد مني ريحه، فأما أنتم فكلوه»، كذا في «الكنز» (8/ 50). وهكذا أخرجه الحاكم (3/ 461) إلاَّ أنه لم يذكر: فكنا نصنع طعاماً ـ إلى آخره، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه، ووافقه الذهبي.

وقد أخرجه أبو نُعيم وابن عساكر نحو سياق الطبراني إلاَّ أن في روايتهما: فقلت: يا رسول الله، لا ينبغي أن أكون فوقك، انتقل إلى الغرفة. فأمر رسول الله ﷺ بمتاعه فنُقل، ومتاعه قليل. كذا في «الكنز» (8/ 50). وهكذا أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي عاصم عن أبي أيوب، كما في «الإصابة» (1/ 405).

وأخرج ابن سعد (4/ 12) وأحمد وابن عساكر عن عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان للعباس ميزاب على طريق عمر رضي الله عنه، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة ـ وقد كان ذُبح للعباس فرخان ـ فلما

وافى الميزاب صُبَّ فيه من دمِ الفرخين، فأصاب عمر، فأمر عمر بقلعه، ثم رجع فطرح ثيابه ولبس غيرها. ثم جاء فصلّى بالناس، فأتاه العباس فقال: والله إنه الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ. فقال عمر للعباس: عزمتُ عليك لما صعدَتَ على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ!! ففعل ذلك العباس. كذا في «الكنز» (7/ 66). وأخرجه ابن سعد (4/ 13) أيضاً عن يعقوب بن زيد بنحوه، وزاد: قال فحمل عمر العباس رضي الله عنهما على عنقه فوضع رجليه على منكبي عمر، ثم أعاد الميزاب حيث كان فوضعه موضعه. وقد ذكره الهيثمي في المجمع (4/ 206) عن عبيد الله بن عباس رضي الله عنهما، ووقع في نقله ميراث بدل الميزاب، ولعله تصحيف، وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن هشام بن سعد لم يسمع من عبيد الله اهـ.

وأخرج ابن سعد (1/ 254) عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه نظر إلى ابن عمر رضي الله عنهما وضع يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه. وعنده أيضاً عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال: رأيت ناساً من أصحاب النبي ﷺ إذا خلا المسجد أخذوا برمانة المنبر الصلعاء التي تلي القبر بميامنهم، ثم استقبلوا القبلة يدعونه.

* * *

تقبيل جسده ﷺ

أخرج الحاكم (3/ 288) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: كان أسيد بن حضير رضي الله عنه رجلاً صالحاً ضاحكاً مليحاً، فبينما هو عند رسول الله ﷺ يحدِّث القوم ويضحكهم، فطعن رسول الله ﷺ في خاصرته. فقال: أوجعتني، قال: «اقتص»، قال: يا رسول الله إنَّ عليك قميصاً ولم يكن عليَّ قميص. قال: فرفع رسول الله ﷺ قميصه فاحتضنه ثم جعل يقبل كشحه، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أردتُ هذا. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، ووافقه الذهبي فقال: صحيح. وأخرجه ابن عساكر عن أبي ليلى رضي الله عنه مثله، كما في «الكنز» (7/ 301)، والطبراني عن أسيد بن حضير نحوه، كما في «الكنز» (4/ 43).

وأخرج ابن إسحاق عن حِبّان بن واسع عن أشياخ من قومه أن رسول الله ﷺ عدَّل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدِّل به القوم، فمر بسواد بن غزيَّة رضي الله عنه ـ حليف بني عديّ بن النجار وهو مستنتل من الصف ـ فطعن في بطنه بالقدح وقال: «استوِ يا سواد» فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقِدني. فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: «استقد». قال: فاعتنقه فقبَّل بطنه فقال: «ما حملك على هذا يا سواد؟» قال: يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير، وقال له. كذا في البداية (3/ 271).

وأخرج **عبد الرزاق** عن الحسن أن النبي ﷺ لقي رجلاً مختضباً بصفْرة وفي يد النبي ﷺ جريدة، فقال النبي ﷺ: «خط ورس»، فطعن بالجريدة بطن الرجل وقال: «ألم أنهك عن هذا؟» فأثَّر في بطنه دماً أدماه، فقال الرجل: القود يا رسول الله، فقال الناس: أمن رسول الله ﷺ تقتص؟ فقال: ما لبشرة أحد فضل على بشرتي. فكشف النبي ﷺ عن بطنه ثم قال: «اقتص»، فقبَّل الرجل بطن النبي ﷺ وقال: أدعها لك أن تشفع لي يوم القيامة. كذا في «الكنز» (7/ 302).

وأخرجه **ابن سعد** (3/ 72) عن الحسن أن رسول الله ﷺ رأى سواد بن عمرو هكذا ـ قال إسماعيل: ملتحفاً ـ فقال: خط خط ورس ورس. ثم طعن بعود أو سواك في بطنه، فماد في بطنه فأثَّر في بطنه ـ فذكر نحوه.

وأخرج عبد الرزاق أيضاً كما في «الكنز» (7/ 302) عن الحسن قال: كان رجل من الأنصار يقال له سواد بن عمرو رضي الله عنه يتخلق كأنه عرجون، وكان النبي ﷺ إذا رآه أَنْغَضَ له، فجاء يوماً وهو متخلق، فأهوى له النبي ﷺ بعود كان في يده فجرحه، فقال له: القصاص يا رسول الله، فأعطاه العود ـ وكان على النبي ﷺ قميصان ـ فجعل يرفعهما، فنهره الناس، وكف عنه حتى إذا انتهى إلى المكان الذي جرحه رمى بالقضيب وعلقه يقبله، وقال: يا نبي الله. بل أدعُها لك تشفع لي بها يوم القيامة. وأخرجه البغوي كما في «الإصابة» (2/ 96).

وقد تقدَّم في محبة النبي ﷺ في أصحابه عن حُصَين بن وحوَح أن طلحة بن البراء ـ رضي الله عنهما ـ لما لقي النبي ﷺ فجعل يلصق برسول الله ﷺ ويقبل قدميه. وسيأتي تقبيل أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه جبهة النبي ﷺ بعد وفاته.

بكاء الصحابة عندما اشتهر أنه ﷺ قتل وما صدر عنهم في وقايته

أخرج الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة وقالوا: قتل محمد، حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة فخرجت امرأة من الأنصار محرمة فاستُقبلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها لا أدري أيهم استُقبلت به أولاً، فلَّما مرت على أحدهم قالت: من هذا؟ قالوا: أبوك أخوك زوجك ابنك، تقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ يقولون: أمامك، حتى دَفَعت إلى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه، ثم قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي إذا سلمتَ مَنْ عطب! قال الهيثمي (6/ 115): رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه محمد بن شعيب ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وعند البزار عن الزبير رضي الله عنه قال: اجتمعتُ على النبي ﷺ بالمدينة يوم أحد، فلم يبق أحد من أصحاب النبي ﷺ - يعني بالمدينة - حتى كثرت القتلى، فصرخ صارخ: قد قُتل محمد، فبكين نسوة، فقالت امرأة: لا تعجلن بالبكاء حتى أنظر، فخرجت تمشي ليس لها همٌّ سوى رسول الله ﷺ وسؤالٍ عنه. قال الهيثمي (6/ 115): وفيه عمر بن صفوان وهو مجهول. انتهى.

وعند ابن إسحاق عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: مرَّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع

رسول الله ﷺ بأحد. فلما نُعُوا لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، قال: فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل!. كذا في البداية (4/ 47).

وأخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه أن أبا طلحة رضي الله عنه كان يرمي بين يدي النبي ﷺ يوم أحد والنبي ﷺ خلفه يتترَّس به ـ وكان رامياً ـ وكان إذا رمى رفع رسول الله ﷺ شخصه ينظر أين يقع سهمه، ويرفع أبو طلحة صدره، ويقول: هكذا ـ بأبي أنت وأمي ـ يا رسول الله، لا يصيبك سهم، نحري دون نحرك، وكان أبو طلحة يشور نفسه بين يدي رسول الله ﷺ ويقول: إني جَلْد يا رسول الله، فوجهني في حوائجك ومُرْني بما شئت. كذا في «البداية» (4/ 27). وأخرجه ابن سعد (3/ 65) عن أنس نحوه.

وأخرج الطبراني عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: أهدي إلى رسول الله ﷺ قوس فدفعها إليَّ رسول الله ﷺ يوم أحد فرميت بها بين يدي رسول الله ﷺ حتى انْدَقَّت سيتها، ولم أزل على مقامي نُصب وجه رسول الله ﷺ ألقى السهام بوجهي، كلما مال سهم منها إلى وجه رسول الله ﷺ ميَّلت رأسي لأقي وجه رسول الله ﷺ بلا رمي أرميه ـ فذكر الحديث كما تقدم في شجاعة قتادة رضي الله عنه.

* * *

بكاء الصحابة على ذكر فراقه ﷺ

أخرج ابن أبي شيبة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله يوماً ونحن في المسجد وهو عاصب رأسه بخرقة في المرض الذي مات فيه، فأهوى قبل المنبر حتى استوى عليه، فاتبعناه فقال: «والذي نفسي بيده، إني لقائم على الحوض الساعة» وقال: «إن عبداً عرضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة». فلم يفطن أحد إلا أبو بكر رضي الله عنه فذرفت عيناه فبكى، وقال: بأبي أنت وأمي، بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا. ثم هبط فما قام عليه حتى الساعة. كذا في «كنز العمال» (4/ 58). وأخرجه ابن سعد (2/ 230) عن أبي سعيد نحوه.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله عنها فقال: «إنه نُعيت إليَّ نفسي». فبكت، فقال لها: لا تبكي فإنك أول أهلي لاحق بي». فضحكت، فرآها بعض أزواج النبي ﷺ فقالت: رأيتك بكيت وضحكت، فقالت: إنه قال لي: «قد نعيت إليَّ نفسي» فبكيت فقال: «لا تبكين فإنك أول أهلي لاحق بي» فضحكت. قال الهيثمي (9/ 23): رجاله رجال الصحيح غير هلال بن خبَّاب وهو ثقة وفيه ضعف. انتهى.

وأخرج ابن سعد (2/ 247) عن عائشة رضي الله عنها أن

رسول الله ﷺ دعا فاطمة ابنته رضي الله عنها في وجعه الذي توفي فيه فسارَّها، بشيء فبكت. ثم دعاها فسارها فضحكت. قالت: فسألتها عن ذلك، فقالت: أخبرني رسول الله ﷺ أنه يقبض في وجعه هذا فبكيت، ثم أخبرني أني أول أهله لحاقاً به فضحكت. وأخرجه بإسناد آخر عنها أطول منه، وأخرجه أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها بنحوه. وفي روايتها: فسألت فاطمة رضي الله عنها عن بكائها وضحكها فقالت: أخبرني ﷺ أنه يموت ثم أخبرني أني سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران ـ عليها السلام ـ فلذلك ضحكت.

وأخرج ابن سعد (2/ 312) عن العلاء رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما حضرته الوفاة بكت فاطمة عليها السلام، فقال لها النبي ﷺ: «لا تبكي يا بنية، قولي إذا ما مت: إنّا لله وإنا إليه راجعون، فإنَّ لكل إنسان بها من كل مصيبة معوَضة». قالت: ومنك يا رسول الله؟ قال: «ومني».

وأخرج أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته. فلما فرغ قال: «يا معاذ، إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري»، فبكى معاذ جشعاً لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة، فقال: «إن أولى الناس بي المتَّقون مَنْ كانوا وحيث كانوا». قال الهيثمي (9/ 22): رواه أحمد بإسنادين وقال في أحدهما عن عاصم بن حميد أن معاذاً قال، وفيها قال: لا تبكِ يا معاذ، البكاء ـ أو إن البكاء ـ من الشيطان. ورجال الإسنادين رجال الصحيح غير راشد بن سعد وعاصم بن حميد وهما ثقتان. انتهى.

* * *

بكاء الصحابة على خوف موته ﷺ

أخرج البزّار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتي النبي ﷺ فقيل له: هذه الأنصار رجالها ونساؤها في المسجد يبكون، قال: «وما يبكيها؟» قال: يخافون أن تموت. قال: فخرج فجلس على منبره، متعطف بثوب، طارح طرفيه على منكبيه، عاصب رأسه بعصابة وسخة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أما بعد أيها الناس: فإن الناس يكثرون وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن ولي شيئاً من أمرهم فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم».

قال الهيثمي في «المجمع» (10/ 37): رواه البزَّار عن ابن كرامة عن ابن موسى ولم أعرف الآن أسماءهما وبقية رجاله رجال الصحيح، وهو في الصحيح خلا أوله إلى قوله: فخرج فجلس. انتهى. وقال في هامشه عن ابن حجر: ابن كرامة هو محمد بن عثمان بن كرامة، وابن موسى هو عبد الله؛ وهما من رجال الصحيح. انتهى، وأخرجه ابن سعد (2/ 252) عن ابن عباس نحوه.

وأخرج أحمد عن أم الفضل بنت الحارث رضي الله عنها: قالت أتيت النبي ﷺ في مرضه، فجعلت أبكي، فرفع رأسه فقال: «ما يبكيك؟» قالت: خفنا عليك ولا ندري ما نلقى من الناس بعدك يا رسول الله؟ قال: «أنتم المستضعفون بعدي». قال الهيثمي (9/ 34): وفيه يزيد بن أبي زياد وضعَّفه جماعة.

وداعه ﷺ

أخرج البزَّار عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نُعي إلينا حبيبنا ـ ونبينا ـ بأبي هو، ونفسي له الفداء ـ قبل موته بست. فلما دنا الفراق جمعنا في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها، فنظر إلينا فدمعت عيناه، ثم قال: «مرحباً بكم، وحياكم الله، وحفظكم الله، آواكم الله، ونصركم الله، رفعكم الله، هداكم الله، رزقكم الله، وفقكم الله، سلمكم الله، قبلكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم وأستخلفه عليكم. إنِّي لكم نذير مبين أن لا تعلوا على الله في عباده وبلاده، فإنَّ الله قال لي ولكم: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: 83] وقال: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: 60].

ثم قال: «قد دنا الأجل، والمنقلب إلى الله، وإلى سدرة المنتهى، وإلى جنة المأوى، والكأس الأوفى، والرفيق الأعلى» ـ أحسبه قال ـ فقلنا: يا رسول الله، فمن يغسلك إذاً؟ قال: «رجال أهل بيتي الأدنى فالأدنى». قلنا: ففيم نكفنك؟ قال: «في ثيابي هذه إن شئتم أو في حلّة يمنيّة أو في بياض مُضَر». قال: فقلنا: فمن يصلِّي عليك منا؟ فبكينا وبكى وقال: «مهلاً غفر الله لكم وجازاكم عن نبيكم خيراً، إذا غسلتموني ووضعتموني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري فاخرجوا عني ساعة، فإنَّ أول من يصلِّي عليَّ خليلي وجليسي جبريل ﷺ، ثم ميكائيل،

ثم إسرافيل، ثم ملك الموت مع جنوده. ثم الملائكة صلَّى الله عليهم بأجمعها، ثم ادخلوا عليَّ فوجاً فوجاً فصلُّوا عليَّ وسلِّموا تسليماً، ولا تؤذوني بباكية ـ أحسبه قال ـ ولا صارخة ولا رانّة، وليبدأ بالصلاة عليَّ رجال أهل بيتي، ثم أنتم بعد، واقرؤوا أنفسكم مني السلام، ومن غاب من إخواني فأقرئوه مني السلام، ومن دخل معكم في دينكم بعدي، فإني أشهدكم أني أقرأ السلام ـ أحسبه قال ـ عليه وعلى كل من تابعني على ديني من يومي هذا إلى يوم القيامة». قلنا: يا رسول الله، فمن يدخلك قبرك منا؟ قال: «رجال أهل بيتي مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم». قال الهيثمي (9/ 52): رجاله رجال الصحيح غير محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي وهو ثقة. ورواه الطبراني في «الأوسط» بنحوه إلا أنه قال: قبل موته بشهر، وذكر في إسناده ضعفاء منهم أشعث بن طابق؛ قال الأزدي: لا يصح حديثه. انتهى.

وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (4/ 168) عن ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه مطولاً بفرق يسير، ثم قال: هذا حديث غريب من حديث مرّة عن عبد الله، لم يروه متصل الإسناد إلاَّ عبد الملك بن عبد الرحمن وهو ابن الأصبهاني. وأخرجه ابن سعد (2/ 256) عن ابن مسعود بنحوه مطوّلاً، وفي إسناده الواقدي.

* * *

وفاته ﷺ

أخرج أحمد عن يزيد بن بابنوس قال: ذهبت أنا وصاحب لي إلى عائشة رضي الله عنها فاستأذنا عليها، فألقت لنا وسادة وجذبت إليها الحجاب، فقال صاحبي: يا أم المؤمنين، ما تقولين في العراك؟ قالت: وما العراك؟ فضربت منكب صاحبي. قالت: مَهْ، آذيت أخاك، ثم قالت: ما العراك؟ المحيض؟ قولوا ما قال الله عزّ وجل في المحيض، ثم قالت: كان رسول الله ﷺ يتوشحني وينال من رأسي وبيني وبينه ثوب وأنا حائض. ثم قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مرّ ببابي مما يلقي الكلمة ينفعني الله بها. فمرَّ ذات يوم فلم يقل شيئاً مرتين أو ثلاثاً، فقلت: يا جارية، ضعي لي وسادة على الباب وعصبت رأسي. فمر بي فقال: «يا عائشة ما شأنك؟» فقلت: أشتكي رأسي. فقال: «أنا وا رأساه!» فذهب فلم يلبث إلا يسيراً حتى جيء به محمولاً في كساء فدخل عليَّ وبعث إلى النساء فقال: إني قد اشتكيت وإني لا أستطيع أن أدور بينكن فَأْذَنَّ لي فَلأَكُنْ عند عائشة.

فكنت أمرِّضه ولم أمرِّض أحداً قبله، فبينما رأسه ذات يوم على منكبي إذ مال رأسه نحو رأسي، فظننت أنه يريد من رأسي حاجة، فخرجت من فيه نقطة باردة فوقعت على نقرة نحري، فاقشعر لها جلدي، فظننت أنه غُشي عليه فسجيته ثوباً. فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنا فأذنت لهما وجذبت إليَّ الحجاب، فنظر عمر إليه فقال: واغشياه، ما

أشدّ غشي رسول الله ﷺ!! ثم قاما، فلما دنوا من الباب قال المغيرة: يا عمر، مات رسول الله ﷺ. فقلت: كذبت بل أنت رجل تحوسك فتنة، إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله المنافقين. قالت: ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه فرفعت الحجاب فنظر إليه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! مات رسول الله ﷺ. ثم أتاه من قبل رأسه فحدر فاه فقبَّل جبهته، ثم قال: وانبياه! ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبَّل جبهته، ثم قال: واصفياه! ثم رفع رأسه وحدر فاه وقبَّل جبهته وقال: واخليلاه! مات رسول الله ﷺ.

وخرج إلى المسجد وعمر يخطب الناس ويتكلم ويقول: إن رسول الله لا يموت حتى يفني الله المنافقين. فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنَّ الله يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: 30] حتى فرغ من الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [آل عمران: 144] حتى فرغ من الآية، ثم قال: فمن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات. فقال عمر: أو إنها في كتاب الله؟ ثم قال عمر: يا أيها الناس، هذا أبو بكر وهو ذو شيبة المسلمين، فبايعوه. كذا في «البداية» (5/ 241). قال الهيثمي (9/ 33): رجال أحمد ثقات. ورواه أبو يعلى بنحوه مع زيادة بإسناد ضعيف. انتهى. وأخرجه ابن سعد (2/ 267) عن يزيد بن بَابَنُوس نحوه مختصراً.

* * *

جهازه ﷺ

حديث علي في ذلك

«أخرج ابن سعد» (2/ 61) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما أخذنا في جَهاز رسول الله ﷺ أغلقنا الباب دون الناس جميعاً، فنادت الأنصار: نحن أخواله ومكانُنا من الإسلام مكاننا! ونادت قريش: نحن عصبته. فصاح أبو بكر رضي الله عنه: يا معشر المسلمين، كل قوم أحقُّ بجنازتهم من غيرهم، فننشدكم الله فإنكم إن دخلتم أخرتموهم عنه، والله لا يدخل عليه أحد إلا من دُعي.

وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال: نادت الأنصار: إن لنا حقاً فإنما هو ابن أختنا، ومكاننا في الإسلام مكاننا، وطلبوا إلى أبي بكر، فقال: القوم أولى به، فاطلبوا إلى علي وعباس فإنه لا يدخل عليهم إلا من أرادوا.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ثَقُل وعنده عائشة وحفصة إذ دخل عليٌّ، فلما رآه النبي ﷺ رفع رأسه ثم قال: «ادنُ مني، ادنُ مني» فأسنده إليه، فلم يزل عنده حتى توفي. فلما قضَى قام علي وأغلق الباب، وجاء العباس رضي الله عنه ومعه بنو عبد المطلب فقاموا على الباب، فجعل علي يقول: بأبي أنت، طبت حياً، وطبت ميتاً!! وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها! فقال: إيهاً، دَعْ خنيناً كخنين المرأة، وأقبلوا على صاحبكم. قال علي: أدخلوا عليَّ الفضل بن

العباس، فقالت الأنصار: نشدناكم بالله ونصيبنا من رسول الله ﷺ؟ فأدخلوا رجلاً منهم يقال له أوس بن خَولي يحمل جرة بإحدى يديه. فسمعوا صوتاً في البيت: لا تجردوا رسول الله ﷺ واغسلوه كما هو في قميصه. فغسله علي يدخل يده من تحت القميص، والفضل يمسك الثوب عنه، والأنصاري ينقل الماء، وعلى يد علي خِرْقة يدخل يده تحت القميص. قال الهيثمي (9/ 36): فيه يزيد بن أبي زياد وهو حسن الحديث على ضعفه، وبقية رجاله ثقات. وروى ابن ماجه بعضه. انتهى. وأخرجه ابن سعد (2/ 63) عن عبد الله بن الحارث بمعناه.

* * *

كيفية الصلاة عليه ﷺ

أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما مات رسول الله ﷺ أُدخل الرجال فصلَّوا عليه بغير إمام أرسالاً، حتى فرغوا، ثم أُدخل النساء فصلَّين عليه، ثم أُدخل الصبيان فصلَّوا عليه، ثم أُدخل العبيد فصلَّوا عليه أرسالاً، لم يؤمَّهم على رسول الله أحد.

وأخرج الواقدي عن سهل بن سعد قال: لما أُدرج رسول الله ﷺ في أكفانه وضع على سريره، ثم وضع على شفير حفرته، ثم كان الناس يدخلون عليه رفقاء رفقاء لا يؤمهم عليه أحد. قال الواقدي: حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم قال: وجدت كتاباً بخط أبي فيه: أنه لمّا كُفِّن رسول الله ﷺ ووضع على سريره دخل أبو بكرو عمر رضي الله عنهما ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار بقدر ما يسع البيت، فقالا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. وسلَّم المهاجرون والأنصار كما سلم أبو بكر وعمر. ثم صفُّوا صفوفاً لا يؤمهم أحد. فقال أبو بكر وعمر ـ وهما في الصف الأول حِيال رسول الله ﷺ ـ: اللهم إنا نشهد أنه قد بلّغ ما أنزل إليه، ونصح لأمته وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه، وتمت كلمته وأومنَ به وحده لا شريك له، فاجعلنا إلهنا ممن يتبع القول الذي أُنزل معه، واجمع بيننا وبينه حتى تعرِّفه بنا وتعرِّفنا به، فإنه كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، لا نبتغي بالإِيمان به بديلاً، ولا نشتري به ثمناً أبداً. فيقول الناس: آمين آمين ويخرجون ويدخل آخرون، حتى

صلّى الرجال، ثم النساء، ثم الصبيان. كذا في «البداية» (5/ 265).
وأخرجه ابن سعد (2/ 69) أيضاً عن الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمي نحوه.

وأخرج ابن سعد (2/ 70) أيضاً عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنه قال: لما وُضِع رسول الله ﷺ على السرير قال: لا يقوم عليه أحد، هو إمامكم حياً وميتاً. فكان يدخل الناس رَسَلاً رَسَلاً فيصلُّون عليه صفاً صفاً ليس لهم إمام ويكبرون، وعلي قائم بحيال رسول الله ﷺ يقول: السلام عليك أيُّها النبي ورحمة الله وبركاته، اللهمَّ إنّا نشهد أنه قد بلغ ما نُزِّل إليه، ونصح لأمته، وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلمته. اللهمَّ فاجعلنا ممن يتبع ما أُنزل إليه، وثبتنا بعده، واجمع بيننا وبينه. فيقول الناس: آمين، حتى صلّى عليه الرجال، ثم النساء، ثم الصبيان. كذا في «الكنز» (4/ 55).

* * *

حال الصحابة عند وفاته ﷺ
وبكاؤهم على فراقه

أخرج ابن خسرو عن أنس رضي الله عنه قال: توفي رسول الله ﷺ فأصبح أبو بكر رضي الله عنه يرى الناس يترامسون، فأمر غلامه يستمع ثم يخبره. فقال: سمعتهم يقولون: مات محمد. فاشتد أبو بكر وهو يقول: وا انقطاع ظهري، فما بلغ المسجد حتى ظنُّوا أنه لم يبلغ. كذا في «الكنز» (4/ 48).

وأخرج عبد الرزاق وابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد والبخاري وابن حِبَّان وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه خرج حين توفي رسول الله ﷺ وعمر رضي الله عنه يكلِّم الناس، فقال: اجلس يا عمر. فتشهَّد ثم قال: أما بعد: فمن كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإنَّ الله تعالى حي لا يموت، فإنَّ الله تعالى قال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ - الآية. قال: والله لكأنَّ الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقَّاها منه الناس كلهم، فما تسمع بشراً من الناس إلاَّ يتلوها: وقال عمر بن الخطاب: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعقِرت حتى ما تُقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله ﷺ قد مات. كذا في «الكنز» (4/ 48).

وأخرج ابن سعد (2/ 84) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: توفي رسول الله ﷺ، فحزن عليه رجال من أصحابه حتى كاد بعضهم يوسوس، فكنت ممن حزن عليه، فبينا أنا جالس في أُطم من آطام المدينة - وقد بويع أبو بكر - إذ مرّ بي عمر فلم أشعر به لِمَا بي من الحزن، فانطلق عمر حتى دخل على أبي بكر فقال: يا خليفة رسول الله، ألا أعجِّبك! مررت على عثمان فسلمتُ عليه فلم يرد عليَّ السلام - فذكر الحديث بطوله كما سيأتي في السلام.

وأخرج ابن سعد (2/ 84) عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع رضي الله عنه قال: جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً متقنعاً متحازناً، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أراك متحازناً، فقال علي: إنه عَنَاني ما لم يُعنِك! قال أبو بكر: اسمعوا ما يقول! أنشدكم الله! أترَوْن أحداً كان أحزن على رسول الله ﷺ مني؟!

وأخرج الواقدي عن أم سَلَمة رضي الله عنها قالت: بينا نحن مجتمعون نبكي لم نَنَمْ، ورسول الله ﷺ في بيوتنا ونحن نتسلَّى برؤيته على السرير؛ إذ سمعنا صوت الكرازين في السَّحر؛ قالت أم سلمة: فصحنا وصاح أهل المسجد، فارتجت المدينة صيحة واحدة، وأذَّن بلال بالفجر، فلما ذكر النبيَّ ﷺ بكى وانتحب، فزادنا حزناً، وعالج الناس الدخول إلى قبره فغُلِّق دونهم، فيا لها من مصيبة! ما أصبنا بعدها بمصيبة إلا هانت إذا ذكرنا مصيبتنا به ﷺ!! كذا في «البداية» (5/ 271)، ورواه ابن سعد مختصراً (4/ 121).

وأخرج ابن منده وابن عساكر عن أبي ذؤيب الهذلي قال: قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج أهلُّوا جميعاً بالإحرام فقلت: مَهْ!؟ فقالوا: قُبض رسول الله ﷺ. كذا في «الكنز» (4/ 58).

وأخرجه ابن إسحاق بطوله، كما سنذكر فيما قالت الصحابة على وفاته ﷺ.

وأخرج سيف وابن عساكر عن عبيد الله بن عمير رضي الله عنه قال: مات رسول الله ﷺ وعلى مكة وعملها عَتَّاب بن أسيد رضي الله عنه، فلما بلغهم موت النبي ﷺ ضجَّ أهل المسجد، فخرج عتَّاب حتى دخل شعباً من شعاب مكة. فأتاه سهيل بن عمرو رضي الله عنه فقال: قم في الناس فتكلَّم. فقال: لا أطيق الكلام بعد موت رسول الله ﷺ! قال: فاخرج معي فأنا أكفيكَه. فخرجا حتى أتيا المسجد الحرام، فقام سهيل خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وخطب بمثل خطبة أبي بكر رضي الله عنه لم يخرِم عنها شيئاً. وقد كان رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ وسهيل بن عمرو رضي الله عنه في الأسرى يوم بدر ـ: «ما يدعوك إلى أن تنزع ثناياه؟ دَعْه، فعسى الله أن يقيمة مقاماً يسرك!» فكان ذلك المقام الذي قال النبي ﷺ، وضُبط عمل عتَّاب وما حوله. كذا في «الكنز» (7/ 46).

وأخرج ابن سعد (2/ 84) عن أبي جعفر رضي الله عنه قال: ما رأيت فاطمة رضي الله عنها ضاحكة بعد رسول الله ﷺ، إلا أنها قد تُمودي في طرف فيها.

* * *

ما قالت الصحابة على وفاته ﷺ

أخرج أبو إسماعيل الهروي في «دلائل التوحيد» عن محمد بن إسحاق عن أبيه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال عند وفاة النبي ﷺ: اليوم فقدنا الوحي ومِنْ عند الله عز وجل الكلام. كذا في «الكنز» (4/ 50).

وأخرج أحمد عن أنس أنَّ أم أيمن ـ رضي الله عنها ـ بكت لما قُبض رسول الله ﷺ، فقيل لها: ما يبكيك على النبي ﷺ؟ فقالت: إني قد علمتُ أنَّ رسول الله سيموت، ولكني إنما أبكي على الوحي الذي رفع عنا.

وعند البيهقي من حديثه قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها. فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله. قالت: والله ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله، ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء. فهيَّجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان. كذا في «البداية» (5/ 274). وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة ومسلم وأبو يعلى وأبو عوانة عن أنس مثله، كما في «الكنز» (4/ 48)، وابن سعد (8/ 164) عن أنس نحوه.

وعند ابن أبي شيبة عن طارق رضي الله عنه قال: لما قُبض النبي ﷺ جعلت أم أيمن رضي الله عنها تبكي، فقيل لها: لم تبكين يا أم

أيمن؟ قالت: أبكي على خبر السماء انقطع عنا. كذا في «الكنز» (4/ 60). وأخرجه أيضاً ابن سعد (8/ 164) بسند صحيح عن طارق نحوه. وعند موسى بن عقبة قالت: إنما أبكي على خبر السماء كأن يأتينا غضاً جديداً كل يوم وليلة فقد انقطع ورفع، فعليه أبكي. فعجب الناس من قولها. كذا في «البداية» (5/ 274).

وأخرج مالك عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بكى الناس على رسول الله ﷺ حين مات، وقالوا: والله وددنا أنا متنا قبله ونخشى أن نفتتن بعده. فقال معن بن عديّ: لكني - والله - ما أحب أن أموت قبله لأصدِّقه ميتاً كما صدَّقته حياً. كذا في «البداية» (6/ 339). وأخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (3/ 446) من طريق مالك نحوه. قال في «الإصابة» (3/ 450): وسعيد بن هاشم - أي راوي الحديث عن مالك - ضعيف، والمحفوظ مرسل عروة. انتهى. وقد أخرجه ابن سعد (3/ 465) عن عروة نحوه.

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشَّاه الكرب، فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكَرْب أبتاه! فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم». فلما مات قالت: وا أبتاه، أجاب رباً دعاه. يا أبتاه، من جنةُ الفردوس مأواهُ. يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه. فلما دُفن قالت فاطمة: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟!

وعند أحمد قالت فاطمة رضي الله عنها: يا أنس، أطابت أنفسكم أن دفنتم رسول الله ﷺ في التراب ورجعتم؟! قال حماد: فكان ثابت إذ حدَّث بهذا الحديث بكى حتى تختلف أضلاعه. كذا في «البداية» (5/ 273). وأخرج أيضاً ابن عساكر وأبو يعلى عن أنس نحو حديث

البخاري كما في «الكنز» (4/ 57). وأخرجه ابن سعد (2/ 83) عنه نحوه.

وأخرج الطبراني عن عروة قال: قالت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها ترثي رسول الله ﷺ:

لهْفَ نفسي وبتُّ كالمسلوبِ
أرقبُ الليلَ فَعْلة المحروبِ
من هموم وحَسْرةٍ أرَّقتني
ليتَ أنِّي سقيتُها بشَعوبِ
حين قالوا: إنَّ الرسول قَدَ امسى
وافقته منية المكتوب
حين جئْنا لآلِ بيتِ محمدْ
فأشابَ القَذال أيَّ مشيبِ
حين رَيْنا بيوتَه موحشاتٍ
ليس فيهنَّ بعد عيش غريبِ
فعراني لذاك حزنٌ طويلٌ
خالطَ القلبَ فهو كالمَرْعوبِ

وقالت أيضاً:

ألا يا رسولَ الله كنت رجاءنا
وكنتَ بنا براً ولم تَكُ جافيا
وكان بنا براً رحيماً نبيُّنا
ليَبْك عليك اليوم من كان باكيا
لعمري ما أبكي النبي لموته
ولكن لِهَرْجٍ كان بعدك آتيا

كأن على قلبي لفقدِ محمَّدٍ

ومن حبِّه من بعد ذاك المكاويا

أفاطمَ صلَّى الله ربُّ محمَّدٍ

على جَدَثٍ أمسى بيثربَ ثاويا

أرَى حَسَناً أيتمتَه وتركته

يبكِّي ويدعو جدَّه اليوم نائيا

فدىً لرسولِ الله أمِّي وخالتي

وعمِّي ونفسي قصرة وعياليا

صبرت وبلَّغت الرسالة صادقاً

ومتَّ صليب الدين أبلج صافيا

فلو أنَّ ربَّ العرشِ أبقاكَ بيننا

سعِدْنا ولكنْ أمره كان ماضيا

عليكَ من الله السلامِ تحيةً

وأُدْخِلْتَ جناتٍ من العَدن راضيا

قال الهيثمي (9/ 39): رواه الطبراني وإسناده حسن. انتهى.

وعند **الطبراني** عن محمد بن علي بن الحسين قال: لما قُبض رسول الله ﷺ خرجت صفية رضي الله عنها تلمع بردائها وهي تقول:

قد كان بعدك أنباء وهَنْبَثَةٌ

لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

قال الهيثمي (9/ 39): رجاله رجال الصحيح إلا أن محمداً لم يدرك صفية. انتهى.

وأخرج البخاري والبغَوي عن غُنيم بن قيس قال: سمعت من أبي كلمات قالهن لما مات النبي ﷺ وهي:

ألا لــي الـويـلُ عـلـى مـحـمَّـد

قـد كـنـتُ فـي حـيـاتـه بـمـقـعَـدْ

أبـيـتُ لـيـلـي آمـنـاً إلـى الـغـدْ

كذا في «الإصابة» (3/ 264). وأخرجه البزَّار نحوه. قال الهيثمي (9/ 39): رجاله رجال الصحيح غير بشر بن آدم وهو ثقة، وأخرجه ابن سعد (7/ 89) بمعناه.

* * *

بكاء الصحابة على ذكره ﷺ

أخرج ابن المبارك وابن عساكر عن زيد بن أسلم قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس، فرأى مصباحاً في بيت، فدنا فإذا عجوز تطرق شعراً لها لتغزله ـ أي تنفشه بقدح ـ وهي تقول:

على محمدٍ صلاة الأبرار
صلى عليك المصطَفون الأخيار
قد كنت قوّاماً بَكِيّ الأسحار
يا ليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار

ـ تعني النبي ﷺ ـ. فجلس عمر يبكي، فما زال يبكي حتى قرع الباب عليها، فقالت: من هذا؟ قال: عمر بن الخطاب، قالت: وما لي ولعمر؟ وما يأتي بعمر هذه الساعة؟ قال: افتحي رحمك الله فلا بأس عليك. ففتحت له فدخل، فقال: ردِّي عليَّ الكلمات التي قلت آنفاً. فردَّته عليه. فلما بلغت آخره قال: أسألك أن تدخليني معكما. قالت: وعمر، فاغفر له يا غفار. فرضي ورجع. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 381).

وأخرج ابن سعد (4/ 168) عن عاصم بن محمد عن أبيه قال: ما سمعت ابن عمر رضي الله عنهما ذاكراً رسول الله ﷺ إلا ابتدرت عيناه تبكيان.

وأخرج ابن سعد (7/ 20) عن المثنَّى بن سعيد الذارع قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي، ثم يبكي.

* * *

ضرب الصحابة شاتمه ﷺ

أخرج ابن المبارك عن حرملة بن عمران عن كعب بن علقمة أن غرفة بن الحارث الكندي رضي الله عنه ـ وكانت له صحبة من النبي ﷺ ـ سمع نصرانياً يشتم النبي ﷺ، فضربه ودقَّ أنفه، فرُفع إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال له: إنا قد أعطيناهم العهد، فقال له غرفة: معاذ الله أن نعطيهم العهد على أن يظهروا شتم النبي ﷺ! وإنما أعطيناهم العهد على أن نخلِّي بينهم وبين كنائسهم يقولون فيها ما بدا لهم، وأن لا نحمِّلهم ما لا يطيقون، وإن أرادهم عدو قاتلنا دونهم، وعلى أن نخلِّي بينهم وبين أحكامهم إلا أن يأتونا راضين بأحكامنا، فنحكم فيهم بحكم الله عز وجل وحكم رسوله ﷺ، وإن اغتنوا عنَّا لم نعرض لهم. فقال عمرو: صدقت. كذا في الاستيعاب (3/ 193). وأخرجه البخاري في «تاريخه» عن نُعيم بن حمّاد عن عبد الله بن المبارك عن حرملة بإسناده نحوه، وإسناده صحيح، كما في «الإصابة» (3/ 195).

وأخرجه الطبراني عن غرفة بن الحارث رضي الله عنه ـ وكانت له صحبة وقاتل مع عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه باليمن في الردّة ـ أنه مرَّ بنصراني من أهل مصر يقال له المندقون، فدعاه إلى الإسلام، فذكر النصراني النبي ﷺ، فتناوله، فرفع ذلك إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه، فأرسل إليه فقال: قد أعطيناهم العهد ـ فذكر نحوه. قال الهيثمي (6/ 13): وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث. قال: عبد الملك بن

سعيد الليث ثقة مأمون وضعَّفه جماعة وبقية رجاله ثقات اهـ. وأخرجه البيهقي (9/ 200) نحوه.

وعند ابن عساكر عن كعب بن علقمة أنَّ غرفة بن الحارث الكندي رضي الله عنه - وكانت له صحبة من النبي ﷺ - مرَّ على رجل كان له عهد، فدعاه غرفة إلى الإسلام، فسبَّ النبي ﷺ، فقتله غرفةُ. فقال له عمرو بن العاص رضي الله عنه: إنَّما يطمئنون إلينا للعهد؛ قال: وما عاهدناهم على أن يؤذونا في الله ورسوله - فذكر الحديث.

* * *

امتثال أمره ﷺ

أخرج البيهقي (9/ 58) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رُومان عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش رضي الله عنه إلى نخلة، فقال له: «كُنْ بها حتى تأتينا بخبر من أخبار قريش» ولم يأمره بقتال، وذلك في الشهر الحرام، وكتب له كتاباً قبل أن يعلمه أين يسير، فقال: «اخرج أنت وأصحابك، حتى إذا سرت يومين فافتح كتابك وانظر فيه، فما أمرتك فيه فامض له، ولا تَستكرهَنَّ أحداً من أصحابك على الذهاب معك».

فلمَّا سار يومين فتح الكتاب فإذا فيه أن «امضِ حتى تنزل نخلة فتأتينا من أخبار قريش بما يصل إليك منهم»، فقال لأصحابه حين قرأ الكتاب: سمعٌ وطاعةٌ، من كان منكم له رغبة في الشهادة فلينطلق معي فإني ماضٍ لأمر رسول الله ﷺ، ومن كره ذلك منكم فليرجع فإنَّ رسول الله ﷺ قد نهاني أن أستكره منكم أحداً. فمضى معه القوم حتى إذا كان ببُحران أضلَّ سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان رضي الله عنه عنهما بعيراً لهما كانا يتعقبانه، فتخلَّفاً عليه يطلبانه، ومضى القوم حتى نزلوا نخلة، فمر بهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان والمغيرة ابنا عبد الله معهم تجارة قدموا بها من الطائف أَدَمٌ وزبيب، فلما رآهم القوم أشرف لهم واقد بن عبد الله رضي الله عنه وكان قد حلق رأسه.

فلما رأوه حليقاً قالوا: عُمَّار ليس عليكم منهم بأس. وائتمر القوم بهم - يعني أصحاب رسول الله ﷺ - في آخر يوم من رجب. فقالوا: لئن قتلتموهم إنكم لتقتلونهم في الشهر الحرام، ولئن تركتموهم ليدخلنَّ في هذه الليلة الحرم فليمتنعنَّ منكم، فأجمع القوم على قتلهم، فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي. بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، وهرب المغيرة وأعجزهم، واستاقوا العير فقدموا بها على رسول الله ﷺ فقال لهم: «والله ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام!» فأوقف رسول الله ﷺ الأسيرين والعير فلم يأخذ منها شيئاً.

فلما قال لهم رسول الله ﷺ ما قال أسقط في أيديهم وظنوا أن قد هلكوا، وعنَّفهم إخوانهم من المسلمين، وقالت قريش حين بلغهم أمر هؤلاء: قد سفك محمد الدم في الشهر الحرام، وأخذ فيه المال، وأسر فيه الرجال، واستحل الشهر الحرام!! فأنزل الله في ذلك: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: 217] يقول: الكفر بالله أكبر من القتل. فلما نزلت ذلك أخذ رسول الله ﷺ العير وفدَى الأسيرين، فقال المسلمون: أتطمع لنا أن تكون غزوة؟ فأنزل الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ - إلى قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: 218] - إلى آخر الآية، وكانوا ثمانية وأميرهم التاسع عبد الله بن جحش رضي الله عنه. وأخرج أبو نُعيم هذه القصة من طريق أبي سعيد البقّال عن عكرمة عن ابن عباس مطوَّلة. وكذا أخرجها الطبري من طريق أسباط بن نصر عن السدِّي، كما في «الإصابة» (3/ 228).

وأخرج البيهقي أيضاً (9/ 11) عن جُنْدَبٍ بن عبد الله رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ رَهْطاً واستعمل عليهم عُبيدة بن الحارث رضي الله عنه. قال: فلما انطلق ليتوجه بكى صبابة إلى رسول الله ﷺ، فبعث مكانه رجلاً يقال له عبد الله بن جحش رضي الله عنه، وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأه إلا لمكان كذا وكذا، «لا تكرهنَّ أحداً من أصحابك على المسير معك». فلما صار إلى (ذلك) الموضع قرأ الكتاب واسترجع، وقال: سمعاً وطاعة لله ورسوله. قال: فرجع رجلان من أصحابه، ومضى بقيتهم معه فلقُوا ابن الحضرمي فقتلوه، فلم يُدْر ذلك من رجب أو من جمادى الآخرة. فقال المشركون: قتلهم في الشهر الحرام، فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ﴾ - إلى قوله: ﴿والفتنة أكبر من التقل﴾. قال: فقال بعض المسلمين: لئن كانوا أصابوا خيراً ما لهم أجر، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وأخرجه ابن أبي حاتم عن جندب بن عبد الله نحوه، كما في «البداية» (3/ 251).

وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «لا يصلينَّ أحد العصر إلاَّ في بني قُريظة». فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلِّي العصر حتى نأتيها. وقال بعضهم: بلى نصلِّي لم يرد منا ذلك. فذُكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنِّف واحداً منهم. وهكذا رواه مسلم.

وأخرج الطبراني عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب رجع فلبس لأمته واستجمر. زاد دُحَيم في حديثه: قال رسول الله ﷺ: «فنزل جبريل عليه السلام فقال: عذيرَك من مُحارب! ألا أراك قد وضعت اللأمة وما وضعناها بعد!» فوثب

رسول الله ﷺ فزعاً فعزم على الناس أن لا يصلُّوا العصر إلاَّ في بني قريظة، فلبسوا السلاح وخرجوا، فلم يأتوا بني قُريظة حتى غربت الشمس. واختصم الناس في صلاة العصر، فقال بعضهم: صلُّوا فإن رسول الله ﷺ لم يرد أن تتركوا الصلاة. وقال بعضهم: عز علينا أن لا نصلِّي حتى نأتي بني قريظة، وإنما نحن في عزيمة رسول الله ﷺ فليس علينا إثم. فصلَّت طائفة العصر إيماناً واحتساباً. وطائفة لم يصلوا حتى نزلوا بني قريظة بعدما غربت الشمس فصلُّوها إيماناً واحتساباً. فلم يعنِّف رسول الله ﷺ واحدة من الطائفتين. قال الهيثمي (6/ 140): رجاله رجال الصحيح غير ابن أبي الهذيل وهو ثقة اهـ. وأخرجه البيهقي نحوه عن عبيد الله بن كعب بن مالك ومن حديث عائشة رضي الله عنها أطول منه، كما في «البداية» (4/ 117).

وأخرج البيهقي عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين حين رأى من الناس ما رأى: «يا عباس، ناد: يا معشر الأنصار، يا أصحاب الشجرة». فأجابوه: لبيك، لبيك. فجعل الرجل يذهب ليعطف بعيره فلا يقدر على ذلك، فيقذف درعه في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه، ثم يؤم الصوت، حتى اجتمع إلى رسول الله ﷺ منهم مائة، فاستعرض الناس فاقتتلوا. وكانت الدعوة أول ما كانت للأنصار، ثم جُعلت آخراً للخزرج، وكانوا صُبراً عند الحرب، وأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه فنظر إلى مُجْتَلَد القوم، فقال: الآن حمي الوطيس. قال: فوالله ما راجعه الناس إلا والأسارى عند رسول الله ﷺ مكتَّفون، فقتل الله منهم من قتل، وانهزم منهم من انهزم، وأفاء الله على رسوله ﷺ أموالهم وأبناءهم. كذا في «البداية» (4/ 329).

وعند ابن وَهْب من حديث العباس رضي الله عنه ـ فذكره وفيه:

وقال رسول الله ﷺ: «أي عباس، نادِ أصحاب السَّمُرة» قال: فوالله لكأنَّما عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقرة على أولادها، فقالوا: يا لبيكاه، يا لبيكاه! ورواه مسلم عن ابن وهب. كذا في «البداية» (4/ 331) وقد أخرج ابن سعد (4/ 11) حديث العباس بطوله ـ فذكر نحوه.

وأخرج ابن أبي شَيْبة عن عكرمة رضي الله عنه قال: لما وادع رسول الله ﷺ أهل مكة، وكانت خُزاعة حِلْف رسول الله ﷺ في الجاهلية وكانت بنو بكر حلف قريش، فدخلت خزاعة في صلح رسول الله ﷺ ودخلت بنو بكر في صلح قريش، وكان بين خزاعة وبين بني بكر قتال. فأمدتهم قريش بسلاح وطعام وطلعوا عليهم، فظهرت بنو بكر على خزاعة وقتلوا منهم، فخافت قريش أن يكونوا قد نقضوا، فقالوا لأبي سفيان: اذهب إلى محمد فأجِزِ الحلف، وأصلح بين الناس.

فانطلق أبو سفيان حتى قدم المدينة، فقال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم أبو سفيان وسيرجع راضياً بغير حاجة». فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر، أجزِ الحلف وأصلح بين الناس. قال: ليس الأمر إليَّ، الأمر إلى الله وإلى رسوله. وأتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له نحواً مما قال لأبي بكر، فقال له عمر: أَنَقْضُهم، فما كان منها جديداً فأبلاه الله وما كان منه شديداً ـ أو قال: ثبتاً ـ فَقَطعه الله. فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم شاهد عشيرة. ثم أتى فاطمة رضي الله عنها فقال: يا فاطمة هل لك في أمر تسودين فيه نساء قومك؟ ثم ذكر لها نحواً مما ذكر لأبي بكر، فقالت: ليس الأمر إليَّ، الأمر إلى الله وإلى رسوله. ثم أتى علياً رضي الله عنه فقال له نحواً مما قال لأبي بكر، فقال له علي: ما رأيت كاليوم رجلاً أضلَّ، أنت سيد الناس فأجِزِ الحلف وأصلح بين الناس. فضرب بإحدى يديه على الأخرى وقال: قد

أجرت الناس بعضهم من بعض. ثم ذهب حتى قدم على أهل مكة فأخبرهم بما صنع فقالوا: والله ما رأينا كاليوم وافد قوم، والله ما أتيتنا بحرب فنحذر، ولا أتيتنا بصلح فنأمن. فذكر الحديث في فتح مكة، كما في «منتخب كنز العمال» (4/ 162).

وأخرج الطبراني في «الكبير» و«الصغير» عن أبي عزيز بن عمير أخي مصعب بن عمير رضي الله عنهما قال: كنت في الأسرى يوم بدر، فقال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالأسَارى خيراً». وكنت في نفر من الأنصار، فكانوا إذا قدَّموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر وأطعموني البر لوصية رسول الله ﷺ. قال الهيثمي (6/ 86): إسناده حسن.

وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه أتى النبي ﷺ ذات يوم وهو يخطب، فسمعه وهو يقول: «اجلسوا» فجلس مكانه خارجاً عن المسجد حتى فرغ النبي ﷺ من خطبته، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال له: «زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله». كذا في «الكنز» (7/ 52). وأخرجه البيهقي أيضاً نحوه عن عبد الرحمن بسند الصحيح، كما في «الإصابة» (2/ 306).

وأخرجه ابن عساكر أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ جلس على المنبر يوم الجمعة، فقال: «اجلسوا» فسمع عبد الله بن رواحة رضي الله عنه قول النبي ﷺ «اجلسوا» فجلس في بني غَنْم، فقيل: يا رسول الله، ذاك ابن رواحة سمعك وأنت تقول للناس اجلسوا فجلس في مكانه. كذا في «الكنز» (7/ 51). وهكذا أخرجه الطبراني في «الأوسط»، والبيهقي من حديث عائشة. قال الهيثمي (9/ 316): وفيه إبراهيم بن إسماعيل بن مُجمِّع وهو ضعيف، وقال في «الإصابة» (2/ 306): والمرسل أصح.

وأخرج ابن أبي شيبة عن عطاء رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يخطب فقال للناس: «اجلسوا»، فسمعه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو على الباب فجلس؛ فقال: «يا عبد الله ادخل» كذا في «الكنز» (7/ 56).

وأخرجه ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه قال: لما استوى رسول الله ﷺ على المنبر يوم الجمعة قال: «اجلسوا». فسمع ذلك ابن مسعود رضي الله عنه فجلس عند باب المسجد فرآه النبي ﷺ، فقال: «تعال يا عبد الله بن مسعود». كذا في «الكنز» (7/ 55).

وأخرج أبو داود عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج يوماً ونحن معه، فرأى قبة مشرفة فقال: ما هذه؟ قال له أصحابه: هذه لفلان ـ رجل من الأنصار ـ قال: فسكت وحملها في نفسه، حتى إذا جاء صاحبها رسول الله ﷺ يسلِّم عليه في الناس فأعرض عنه، فعل ذلك مراراً حتى عرف الرجل الغضب فيه والإعراض عنه، فشكا ذلك إلى أصحابه، فقال: والله إني لأنكر رسول الله ﷺ. قالوا: خرج فرأى قبتك. قال: فرجع الرجل إلى قبته فهدمها حتى سواها بالأرض؛ فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فلم يرها قال: «ما فعلت القبّة؟» قالوا: شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها، فقال: «أما إنَّ كل بناء وبال على صاحبه إلا ما لا إلا ما لا» ـ يعني ما لا بد منه ـ وأخرجه ابن ماجه مختصراً وفي روايته: فمر النبي ﷺ بعد فلم يرها، فسأل عنها فأخبر أنه وضعها لما بلغه، فقال: «يرحمه الله، يرحمه الله».

وأخرج الدولابي في «الكُنى» (2/ 44) عن عمرو بن شُعَيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: انطلقت مع رسول الله ﷺ عقبة أذاخر وعليَّ ريْطة مُضَرَّجة. فالتفت إليَّ رسول الله ﷺ فقال: «ما هذا الثوب؟» فعرفت كراهيته، فأتيت رَحْلي وهم يسجُرون التنور فألقيتها فيه، ثم أتيته فقال:

«ما فعلت الرَّبْطة؟» فقلت: ألقيتها في التنور. قال: «أفلا أعطيتها بعض أهلك؟».

وأخرج أحمد والبخاري في «التاريخ» وابن عساكر عن سهل بن الحنظلية العَبْشَمي رضي الله عنه قال: قال لي العَبْشَمي رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «نعم الرجل خريم الأسديّ لولا طول جُمَّته وإسبالُ إزاره!» فبلغ ذلك خُرَيماً فأخذ شفرة فقطع جُمّته إلى أنصاف أذنيه، ورفع إزاره إلى أنصاف ساقيه. كذا في «الكنز» (8/ 59).

وأخرج أبو نُعيم عن الكناني رسول عمر رضي الله عنهما إلى هرقل، وكان يقال له جثامة بن مُساحِق بن الربيع بن قيس الكناني. قال: جلست فلم أدرِ ما تحتي، فإذا تحتي كرسي من ذهب! فلما رأيته نزلت عنه فضحك. فقال لي: لم نزلت عن هذا الذي أكرمناك به؟ فقلت: إني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا. كذا في «الكنز» (7/ 15). وأخرجه ابن مَنْده نحوه كما في الإصابة (1/ 227).

وأخرج عبد الرزاق عن رافع بن خَدِيج رضي الله عنه قال: دخل عليَّ خالي يوماً فقال: نهانا رسول الله ﷺ اليوم عن أمر كان لكم نافعاً، وطواعية الله ورسوله أنفع لنا وأنفع لكم ـ فذكر الحديث في كراء الأرض كما في «كنز العمال» (8/ 73).

وأخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم في «المعرفة» عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن محمد بن أسلم بن بجرة أخي بلحارث بن الخزرج ـ رضي الله عنه ـ وكان شيخاً كبيراً. قد حدَّث نفسُه قال: إنْ كان ليدخل المدينة فيقضي حاجته بالسوق ثم يرجع إلى أهله، فإذا وضع رداءه ذكر أنه لم يصلِّ في مسجد رسول الله ﷺ، فيقول: والله ما صلَّيت في مسجد رسول الله ﷺ ركعتين، فإنه قد قال لنا: «من هبط

منكم هذه القرية فلا يرجعنَّ إلى أهله حتى يركع في هذا المسجد ركعتين». كذا في «الكنز» (3/ 346). وأخرج ابن مَنْده وقال: غريب؛ والطبراني إلا أنه سماه مسلم بن أسلم، كما في «الإصابة» (3/ 414).

وأخرج سعيد بن منصور وابن النجار عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: خطبت جارية من الأنصار فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال لي: «رأيتها؟» فقلت: لا. قال: «فانظر إليها فإنه أحرَى أن يُؤدَم بينكما». فأتيتها فذكرت ذلك لوالديها، فنظر أحدهما إلى صاحبه. فقمت فخرجت، فقالت الجارية: عليَّ الرجل. فوقفتُ ناحية خِدْرها، فقالت: إن كان رسول الله ﷺ أمرك أن تنظر إليَّ فانظر، وإلاّ فإني أحرِّج عليك أن تنظر. فنظرت إليها فتزوجتها فما تزوجت امرأة قط كانت أحب إليَّ منها ولا أكرم عليَّ منها، وقد تزوجت سبعين امرأة. كذا في «الكنز» (8/ 288).

وأخرج أبو داود عن المعرور بن سُوَيد قال: رأيت أبا ذر رضي الله عنه بالرَّبَذة وعليه بُرْد غليظ وعلى غلامه مثله. قال: فقال القوم: يا أبا ذر، لو كنت أخذت الذي على غلامك فجعلته مع هذا فكانت حُلَّة وكسوت غلامك ثوباً غيره. قال: فقال أبو ذر: إني كنت سابيت رجلاً، وكانت أمه أعجمية فعيَّرته بأمه، فشكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية». فقال: «إنَّهم إخوانكم فضَّلكم الله عليهم، فمن لم يلائمكم فبيعوه ولا تعذِّبوا خلق الله».

وأخرجه الشيخان والترمذي وعندهم: «هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبَس، ولا يكلِّفه من العمل ما يغلبه؛ فإن كلَّفه ما يغلبه فلْيعنه عليه». كذا في «الترغيب» (3/ 495). وأخرجه البيهقي (8/ 7) عن المعرور نحوه، وابن سعد (4/ 237) عن عَون بن عبد الله مختصراً.

التشديد على من خالف أمره ﷺ

أخرج ابن سعد (3/ 92) وابن منيع عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن قال: شكا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ كثرة القَمْل. وقال: يا رسول الله، تأذن لي أن ألبس قميصاً من حرير؟ قال: فأذن له. فلما توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، وقام عمر رضي الله عنه؛ أقبل بابنه أبي سلمة وعليه قميص من حرير. فقال عمر: ما هذا؟ ثم أدخل عمر يده في جيْب القميص فشقَّه إلى سُفله، فقال له عبد الرحمن: أما علمتَ أن رسول الله ﷺ أحلَّه لي؟ فقال: إنما أحلَّه لك لأنك شكوت إليه القَمْل، فأما لغيرك فلا.

وعند ابن عُيَيْنَة في «جامعه» ومسدَّد وابن جرير عن أبي سَلَمة قال: دخل عبد الرحمن بن عوف على عمر ـ رضي الله عنه ـ ومعه محمد ابنه وعليه قميص من حرير، فقام عمر فأخذ بجَيْبه فشقَّه، فقال عبد الرحمن: غفر الله لك! فقد أفزعت الصبي فأطَرت قلبه! قال: تكسوهم الحرير؟ قال: فإني ألبس الحرير. قال: فإنهم مثلك؟! كذا في «الكنز» (8/ 57).

وأخرج ابن عساكر عن ابن سيرين أن خالد بن الوليد رضي الله عنه دخل على عمر رضي الله عنه وعلى خالد قميص حرير، فقال له عمر: ما هذا يا خالد؟ قال: وما باله يا أمير المؤمنين؟ أليس قد لبسه ابن عوف؟ قال: فأنت مثل ابن عوف ولك مثل ما لابن عوف؟ عزمتُ على من في البيت إلاَّ أخذ كل واحد منه طائفة مما يليه، فمزّقوه حتى لم يبقَ منه شيء. كذا في «كنز العمال» (8/ 57).

وقد تقدَّم في تقديم الصحابة أبا بكر رضي الله عنه في الخلافة حديث صخر، وفيه: وقدم - أي خالد بن سعيد - بعد وفاته ﷺ بشهر وعليه جبّة ديباج، فلقي عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فصاح عمر بمن يليه: مزِّقوا عليه جبته؛ أيلبس الحرير وهو في رجالنا في السلم مهجور؟! فمزِّقوا جبته. أخرجه الطبري وسَيْف وابن عساكر.

وأخرج ابن جرير عن عَبْد بن أبي لُبابة قال: بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ في المسجد ورجل قائم يصلِّي عليه طيْلَسان مزرَّر بالديباج. فقام إلى جنبه فقال: طوِّل ما شئت فما أنا ببارح حتى تنصرف. فلما رأى ذلك الرجل انصرف إليه، قال: أرني ثوبك، فأخذه فقطع ما عليه من أزرار الديباج وقال: دونك ثوبك. كذا في «الكنز» (8/ 57).

وأخرج ابن عساكر (1/ 53) عن سعيد بن سفيان القاري قال: توفي أخي وأوصى بمائة دينار في سبيل الله، فدخلت على عثمان بن عفان رضي الله عنه وعنده رجل قاعد وعليَّ قَباءٌ جيبه وفَرُّوجُه مكفوف بحرير، فلما رآني ذلك الرجل أقبل يجاذبني قَبائي ليخرقه. فلما رأى ذلك عثمان قال: دَعِ الرجل، فتركني، ثم قال: قد عجَّلتم! فسألت عثمان فقلت: يا أمير المؤمنين، توفي أخي وأوصى بمائة دينار في سبيل الله فما تأمرني؟ قال: هل سألت أحداً قبلي؟ قلت: لا، قال: لئن استفتيت أحداً قبلي فأفتاك غير الذي أفتيتك به ضربتُ عنقك. إنَّ الله أمرنا بالإسلام فأسلمنا كلنا فنحن المسلمون، وأمرنا بالهجرة فهاجرنا فنحن المهاجرون أهل المدينة، ثم أمرنا بالجهاد فجاهدتم فأنتم المجاهدون أهل الشام، أنفقها على نفسك وعلى أهلك وعلى ذي

الحاجة ممن حولك، فإنه لو خرجتَ بدرهم ثم اشتريت به لحماً فأكلته أنت وأهلك كُتبت لك بسبعمائة درهم؛ فخرجت من عنده. فسألت عن الرجل الذي يجاذبني فقيل: هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأتيته في منزله فقلت: ما رأيت مني؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أوْشَك أن تستحل أمتي فروج النساء والحرير»؛ وهذا أول حرير رأيته على أحد من المسلمين. فخرجت من عنده فبعته، كذا في «الكنز» (8/ 57).

وأخرج عبد الرزاق عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن عمر رضي الله عنه استعمل قُدامة بن مظعون رضي الله عنه على البحرين وهو خال حفصة وعبد الله بني عمر - رضي الله عنهم، فقدم الجارود - رضي الله عنه - سيد عبد القيس على عمر من البحرين فقال: يا أمير المؤمنين، إن قدامة شرب فسكر، وإني رأيت حدّاً من حدود الله حقاً عليَّ أن أرفعه إليك. قال: من يشهد معك؟ قال: أبو هريرة. فدعا أبا هريرة فقال: بم تشهد؟ قال: لم أره شرب ولكني رأيته سكران يقيء. فقال: لقد تنطَّعت في الشهادة!

ثم كتب إلى قدامة أن يقدم عليه من البحرين، فقدم، فقال الجارود: أقم على هذا كتاب الله، فقال عمر: أخصم أنت أم شهيد؟ فقال: شهيد، فقال: قد أدَّيت شهادتك. قال: فصمت الجارود ثم غدا على عمر فقال: أقم على هذا حد الله، فقال عمر: ما أراك إلاَّ خصماً وما شهد معك إلاَّ رجل واحد. فقال الجارود: أنشدك الله. فقال عمر: لتمسكنَّ لسانك أو لأسوأنَّك. فقال: يا عمر، ما ذلك بالحق أن يشرب ابن عمك الخمر وتسوؤني؟ فقال أبو هريرة: يا أمير المؤمنين، إن كنت تشك في شهادتنا فأرسل إلى ابنة الوليد فاسألها وهي امرأة قُدامة. فأرسل

عمر إلى هند بنت الوليد ينشدها، فأقامت الشهادة على زوجها. فقال عمر لقُدامة: إني حادُّك، فقال: لو شربت كما تقول ما كان لكم أن تحدُّوني، فقال عمر: لم؟ قال قدامة: قال الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ [المائدة: 93] ـ الآية. فقال عمر: أخطأت التأويل إنك إذا اتَّقيت الله اجتنبت ما حرم الله، ثم أقبل عمر على الناس فقال: ما ترون في جلد قُدامة؟ فقالوا: لا نرى أن تجلده ما دام مريضاً. فسكت على ذلك أياماً ثم أصبح وقد عزم على جلده، فقال: ما ترون في جلد قدامة؟ فقالوا: لا نرى أن تجلده ما دام وَجِعاً. فقال عمر: لأن يلقى الله تحت السياط أحب إليَّ من أن ألقاه وهو في عنقي، ائتوني بسوط تام. فأمر به فجُلد.

فغاضب عمر قُدامة، وهجره، فحج عمر وحج قُدامة وهو مغاضِب له. فلما قفلا من حجهما ونزل عمر بالسُّقْيا نام. فلما استيقظ من نومه قال: عجِّلوا بقدامة، فوالله لقد أتاني آتٍ في منامي فقال لي: سالِمْ قدامة فإنه أخوك، فعجِّلوا عليَّ به، فلما أتَوه أبى أن يأتي، فأمر به عمر أن يجروه إليه؛ فكلمه واستغفر له. وأخرجه أبو علي ابن السَّكَن. كذا في «الإصابة» (3/ 229).

وأخرج البيهقي عن يزيد بن عبيد الله عن بعض أصحابه قال: رأى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رجلاً يضحك في جنازة فقال: أتضحك وأنت مع جنازة؟ والله لا أكلمك أبداً. كذا في «الكنز» (8/ 116).

* * *

خوف الصحابة عندما صدر عنهم
خلاف أمره ﷺ

أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لإصحابه يومئذٍ - يوم بدر -: «إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرِجوا كَرْهاً، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البَخْتَرِي بن هاشم بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عمَّ رسول الله ﷺ فلا يقتله فإنه إنما خرج مُستكرَهاً». فقال أبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة رضي الله عنه: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا ونترك العباس؟ والله لئن لقيته لألحمنَّه بالسيف. فبلغتْ رسول الله ﷺ، فقال لعمر رضي الله عنه: «يا أبا حَفْص - قال عمر: والله إنَّه لأول يوم كَنَّاني فيه رسول الله ﷺ بأبي حَفْص - أيُضرب وجه عم رسول الله بالسيف؟» فقال عمر: يا رسول الله دَعْني فَلأَضْرِب عنقه بالسيف، فوالله لقد نافق. فقال أبو حُذَيفة: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذٍ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفِّرها عني الشهادة، فقُتل يوم اليمامة شهيداً. كذا في «البداية» (3/ 248). وأخرجه ابن سعد (4/ 5) والحاكم (3/ 223) عن ابن عباس نحوه. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه.

وأخرج ابن إسحاق عن أبيه عن معبد بن كعب قال: حاصرهم -

أي بني قُرَيظة ـ خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار، وقذف (الله) في قلوبهم الرعب، فعرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد أن يؤمنوا، أو يقتلوا نساءهم وأبناءهم ويخرجوا مستقتلين، أو يبيِّتوا المسلمين ليلة السبت. فقالوا: لا نؤمن، ولا نستحل ليلة السبت، وأيّ عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟ فأرسلوا إلى أبي لُبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه وكانوا حلفاءه، فاستشاروه في النزول على حُكْم النبي ﷺ، فأشار إلى حلقه ـ يعني الذبح ـ، ثم ندم فتوجه إلى مسجد النبي ﷺ فارتبط به حتى تاب الله عليه. كذا في فتح الباري (7/ 291). وذكر في «البداية» (4/ 119) عن موسى بن عُقْبة وفي سياقه: قالوا: يا أبا لُبابة ماذا ترى؟ وماذا تأمرنا؟ فإنَّه لا طاقة لنا بالقتال، فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه، وأَمَرَّ عليه أصابعه يريهم أنما يُراد بهم القتل. فلما انصرف أبو لبابة سُقِط في يده ورأى أنه قد أصابته فتنة عظيمة، فقال: والله لا أنظر في وجه رسول الله ﷺ حتى أحدث لله توبة نصوحاً يعلمها الله من نفسي. فرجع إلى المدينة فربط يديه إلى جذع من جذوع المسجد. وزعموا أنه ارتبط قريباً من عشرين ليلة، فقال رسول الله ﷺ حين غاب عليه أبو لبابة: «أما فرغ أبو لبابة من حلفائه»، فذُكر له ما فعل. فقال: «لقد أصابته بعدي فتنة، ولو جاءني لاستغفرت له، وإذ قد فعل هذا فلن أُحركه من مكانه حتى يقضي الله فيه ما يشاء». قال ابن كثير: وهكذا رواه ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة، وكذا ذكره محمد بن إسحاق في «مغازيه».

وأخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس رضي الله عنه، فقال رجل: يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالساً في بيته منكِّساً رأسه، فقال: ما شأنك؟ فقال: شرٌّ! كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ، فقد حبط عمله وهو

من أهل النار. فأتى الرجل (النبي ﷺ) فأخبره أنه قال كذا وكذا. فقال موسى بن أنس: فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال: «اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار ولكنَّك من أهل الجنة!».

وعند الطبراني عن عطاء الخراساني عن ابنة ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنهما قالت: سمعت أبي يقول: لما أُنزل على رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 18] اشتدَّ على ثابت، وأغلق بابه عليه وطفق يبكي. فأخبر رسول الله ﷺ فأرسل إليه فسأله فأخبره بما كَبُر عليه منها، وقال: أنا رجل أحب الجمال وأن أسود قومي، فقال: «إنك لست منهم، بل تعيش بخير، وتموت بخير، ويدخلك الله الجنة». قال: فلما أنزل الله على رسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الحجرات: 2] فعل مثل ذلك. فأُخبر النبي ﷺ فأرسل إليه، فأخبره بما كبر عليه وأنه جهير الصوت، وأنه يتخوف أن يكون ممن حبط عمله، فقال النبي ﷺ: «بل تعيش حميداً، وتُقتل شهيداً، ويدخلك الله الجنة» فذكر الحديث. قال الهيثمي (9/ 322): وبنت ثابت بن قيس لم أعرفها، وبقية رجاله رجال الصحيح. والظاهر أنَّ بنت ثابت بن قيس صحابية، فإنها قالت: سمعت أبي. انتهى. وأخرجه الحاكم (3/ 235) عن عطاء عن ابنة ثابت بن قيس نحوه مختصراً.

وعن محمد بن ثابت الأنصاري أن ثابت بن قيس رضي الله عنه قال: يا رسول الله، لقد خشيت أن أكون قد هلكت، قال رسول الله ﷺ: «ولم؟» قال: نهانا الله أن نحب أن نُحمد بما لم نفعل وأجدني أحب الحمد، ونهانا عن الخُيَلاء وأجدني أحب الجمال، ونهانا أن نرفع أصواتنا فوق صوتك وأنا جهير الصوت. فقال رسول الله ﷺ: «يا ثابت،

ألا ترضى أن تعيش حميداً، وتُقْتَلَ شهيداً، وتدخل الجنة؟» قال: بلى يا رسول الله، قال: فعاش حميداً، وقتل شهيداً يوم مُسيلمة الكذاب. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي.

* * *

اتباع النبي ﷺ

أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لرسول الله ﷺ حصير، وكان يَحْجُره بالليل فيصلي عليه، ويبسطه بالنهار فيجلس عليه. فجعل الناس يثوبون إلى النبي ﷺ فيصلُّون بصلاته حتى كثروا، فأقبل عليهم فقال: «يا أيها الناس خُذوا من الأعمال ما تُطيقون، فإن الله لا يملُّ حتى تملوا، وإن أحبَّ الأعمال إلى الله ما دام وإن قلّ». وفي رواية: وكان آل محمد إذا عملوا عملاً أثبتوه. كذا في «الترغيب» (5/ 89).

وأخرج أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه رأى في يد النبي ﷺ خاتماً من وَرِق يوماً واحداً، فصنع الناس فلبسوا، وطرح النبي ﷺ فطرح الناس. وأخرجه البخاري بنحوه، وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يلبس خاتماً من ذهب فنبذه وقال: «لا ألبسه أبداً» فنبذ الناس خواتيمهم. كذا في «البداية» (6/ 3).

وأخرج ابن أبي شَيْبَة عن إياس بن سَلَمة عن أبيه قال: بَعَثَتْ قريش خارجة بن كُرْز يطَّلع لهم طليعة، فرجع حامداً يحسن الثناء، فقالوا: إنك أعرابي، قَعْقَعُوا لك السلاح فطار فؤادك، فما دَرَيت ما قيل لك وما قلت. ثم أرسلوا عروة بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فجاء فقال: يا محمد ما هذا الحديث؟ تدعو إلى ذات الله، ثم جئت قومك بأوياش الناس من

تَعْرف ومن لا تَعْرف لتقطع أرحامهم، وتستحلَّ حرمهم ودماءهم وأموالهم؟! فقال: «إني لم آتِ قومي إلا لأصِل أرحامهم، يبدلهم الله بدين خير من دينهم، ومعاش خير من معاشهم». فرجع حامداً يحسن الثناء.

قال سَلَمة: فاشتد البلاء على من كان في يد المشركين من المسلمين، فدعا رسول الله ﷺ عمر رضي الله عنه فقال: «يا عمر هل أنت مُبَلِّغ عني إخوانكم من أسارى المسلمين؟» قال: لا، يا رسول الله، والله ما لي بمكة من عشيرة، غيري أكثر عشيرة مني. فدعا عثمان رضي الله عنه فأرسله إليهم، فخرج عثمان على راحلته حتى جاء عسكر المشركين، فعبثوا به وأساؤوا له القول، ثم أجاره أبان بن سعيد بن العاص ابن عمه وحمله على السرج ورَدِفه. فلما قدم قال: يا ابن عم ما لي أراك متخشِّعاً؟ أسبلْ ـ وكان إزاره إلى نصف ساقيه ـ، فقال له عثمان: هكذا إزْرة صاحبنا. فلم يدع بمكة أحداً من أسارى المسلمين إلا بلَّغهم ما قال رسول الله ﷺ.

قال سَلَمة: فبينا نحن قائِلون نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناس، البيعةَ البيعةَ، نزل روح القدس، فسرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سَمُرة، فبايعناه. وذلك قول الله: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18] قال: فبايع لعثمان إحدى يديه على الأخرى، فقال الناس: هنيئاً لأبي عبد الله يطوف بالبيت ونحن ها هنا! فقال رسول الله ﷺ: «لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف حتى أطوف». كذا في «الكنز» (1/ 84). وأخرج الرُوياني وأبو يَعْلى وابن عساكر عن إياس بن سَلَمة عن أبيه مختصراً، كما في «الكنز» (8/ 56). وأخرجه ابن سعد (1/ 461) عن إياس بن سَلَمة عن أبيه مختصراً. وفي

روايته: فقال: يا ابن عم، أراك متخشِّعاً! أسبِلْ إزارك كما يسبل قومك، قال: هكذا يأتزر صاحبنا إلى أنصاف ساقيه. قال: يا ابن عمر طُفْ بالبيت، قال: إنا لا نصنع شيئاً حتى يصنع صاحبنا ونتبعَ أثَرَه.

وأخرج الطيالسي وابن سعد وأحمد والبخاري والترمذي والنَّسائي وابن حِبَّان وغيرهم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إليَّ أبو بكر رضي الله عنه مقتلَ أهل اليمامة وإن عنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: إنَّ هذا أتاني فأخبرني أنَّ القتل قد استحرَّ بقرَّاءِ القرآن في هذا الموطن - يعني يوم اليمامة -، وإنِّي أخاف أن يستحرَّ القتل بقرَّاء القرآن في سائر المواطن فيذهب القرآن، وقد رأيت أن تجمعه. فقلت له - يعني لعمر -: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال لي عمر: هو - والله - خير. فلم يزل بي عمر حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدره، ورأيت فيه مثل الذي رأى عمر. قال زيد: وعمر عنده جالس لا يتكلم. فقال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فاجمعه. قال زيد: فوالله لئن كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن، فقلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، ورأيت فيه الذي رأيا، فتتبَّعت القرآن أجمعه من الرِّقاع واللِّخَاف والأكتاف والعُسُب وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة براءة مع خُزيمة بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه فلم أجدها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: 128] حتى خاتِمةِ براءة. فكانت الصحف التي جُمع فيها القرآن عند أبي بكر حياته حتى توفَّاه الله، ثم عند عمر حياته حتى توفَّاه، ثم عند حَفْصة بنت عمر رضي الله عنهم. كذا في «كنز العمال» (1/ 279).

وقد تقدَّم قول أبي بكر رضي الله عنه: والذي نفسي بيده، لأن أقعَ من السماء أحب إليَّ من أن أترك شيئاً قاتل عليه رسول الله ﷺ إلَّا أُقاتل عليه، فقاتل العرب حتى رجعوا إلى الإسلام. رواه العدني عن عمر رضي الله عنه.

وعند الشيخين وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ فذكر الحديث وفيه: قال أبو بكر: والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة فإنَّ الزكاة حق المال. والله لو منعوني عِقالاً كانوا يؤدّونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه.

وتقدم قول أبي بكر: والذي لا إله غيره لو جرَّت الكلاب بأرجل أزواج النبي ﷺ ما رددتُ جيشاً وجهه رسول الله، ولا حللت لواءً عقده رسول الله؛ فوجَّه أسامة رضي الله عنه. أخرجه البيهقي عن أبي هريرة.

وعند سَيْف عن عُروة قال أبو بكر رضي الله عنه: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننتُ أنَّ السباع تخطفني لأنفذتُ بَعْثَ أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ، ولو لم يبقَ في القرى غيري لأنفذته.

وعند ابن عساكر عن عروة قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا أحبس جيشاً بعثهم رسول الله ﷺ؟! لقد اجترأت على أمر عظيم! فوالذي نفسي بيده لأن تميل عليَّ العرب أحب إليَّ من أن أحبس جيشاً بعثهم رسول الله ﷺ! امضِ يا أُسامة في جيشك للوجه الذي أُمرت به، ثم اغزُ حيث أمرك رسول الله ﷺ من ناحية فلسطين وعلى أهل مؤتة، فإن الله سيكفي ما تركت.

وعند سَيْف عن الحسن أن أبا بكر رضي الله عنه أخذ بلحية عمر وقال: ثكلتك أمك يا بن الخطاب أُؤمِّر غير أمير رسول الله؟!. وقد تقدمت تلك الروايات مطوَّلة.

وأخرج أبو نُعَيم في «الحِلْية» (1/ 48) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قالت حفصة بنت عمر لعمر رضي الله عنهما: يا أمير المؤمنين لو لبست ثوباً هو ألين من ثوبك، وأكلت طعاماً هو أطيب من طعامك، فقد وسَّع الله عز وجل من الرزق وأكثر من الخير! فقال: إني سأخصمك إلى نفسك، أما تذكرين ما كان يلقَى رسول الله ﷺ من شدّة العيش، فما زال يذكِّرها حتى أبكاها، فقال لها: والله إن قلتِ ذلك أما والله لئن استطعت لأشاركنَّهما بمثل عيشهما الشديد، لعلي أدرك معهما عيشهما الرخّي. وأخرجه ابن سعد (3/ 199) عن مصعب بن سعد بنحوه. وقد تقدَّمت الروايات المطوَّلة والمجملة في ذلك في زهد عمر رضي الله عنه.

وأخرج هنَّاد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أصحابه إذا بقميص كرابيس، فلبسه فما جاوز تراقيه، حتى قال: الحمد الله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمَّل به في حياتي. ثم أقبل على القوم فقال: هل تدرون لم قلتُ هؤلاء الكلمات؟ قالوا: لا، إلا أن تخبرنا. قال: فإنِّي شهدت رسول الله ﷺ ذات يوم وأُتيَ بثياب له جدد فلبسها، ثم قال: «الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمَّل به في حياتي»، ثم قال: «والذي بعثني بالحق ما من عبد مسلم كساه الله ثياباً جدداً، فعمد إلى سَمَل من أخلاق ثيابه، فكساه عبداً مسلماً مسكيناً، لا يكسوه، إلا لله، كان في حِرز الله وفي جوار الله وفي ضمان الله ما كان عليه منها سِلْك حياً وميتاً». قال: ثم مدَّ قميصه فأبصر فيه فضلاً عن أصابعه فقال لعبد الله: أي بني هاتِ الشفرة، فقام فجاء بها فمدَّ كُمَّ قميصه على يده فنظر ما فَضَل عن أصابعه فقدَّه. قلنا يا أمير المؤمنين: ألا نأتي بخيّاط فيكفّ هذه؟؟ قال: لا. قال

أبو أمامة: ولقد رأيت عمر بعد ذلك وإن هُدْب ذلك القميص منتشرة على أصابعه ما يكفُّه. كذا في «الكنز» (8/ 55).

وعند أبي نعيم في «الحلية» (1/ 45) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لبس عمر قميصاً جديداً، ثم دعاني بشفرة فقال: مدّ يا بني كُمّ قميصي والزق يديك بأطراف أصابعي ثم اقطع ما فَضَل عنها، فقطعت من الكمين من جانبيه جميعاً، فصار فم الكم بعضه فوق بعض. فقلت له: يا أبته لو سويته بالمقص، فقال: دعه يا بني، هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل فما زال عليه حتى تقطّع، وكان ربما رأيت الخيوط تَسَاقط على قدمه.

وأخرج البخاري عن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للركن: أمَا والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ استلمك ما استلمتك. فاستلمه ثم قال: وما لنا والرَّمَل إنما كنا راءينا به المشركين ولقد أهلكهم الله، ثم قال: شيء صنعه رسول الله ﷺ فلا نحب أن نتركه. كذا في «البداية» (5/ 153).

وأخرج ابن أبي شَيْبة والدارَقُطْني في «العلل» عن عيسى بن طلحة عن رجل رأى النبي ﷺ وقف عند الحَجَر فقال: «إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع» ثم قبَّله. ثم حج أبو بكر رضي الله عنه فوقف عند الحجر ثم قال: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك.. كذا في «كنز العمال» (3/ 34).

وأخرج أحمد (1/ 70) عن يَعْلى بن أمية رضي الله عنه قال طفت مع عثمان رضي الله عنه فاستلمنا الركن، قال يعلى: فكنت مما يلي البيت. فلما بلغنا الركن الغربي الذي يلي الأسود جررت بيده ليستلم

قال: ما شأنك؟ قلت: ألا تستلم؟ فقال: أَلَمْ تَطُف مع رسول الله ﷺ؟ فقلت: بلى، قال: أرأيته يستلم هذين الركنين الغربيين؟ قلت: لا، قال: أفليس لك فيه أسوة حسنة؟ قلت: بلى، قال: فانفُذْ عنك.

وأخرج أحمد عن بكر بن عبد الله أن أعرابياً قال لابن عباس رضي الله عنهما: ما شأن آل معاوية يسقون الماء والعسل، وآل فلان يسقون اللبن، وأنتم تسقون النبيذ؟ أمن بخل بكم أم حاجة؟ فقال ابن عباس: ما بنا بخل ولا حاجة ولكنَّ رسول الله ﷺ جاءنا ورديفه أسامة بن زيد، فاستسقى فسقيناه من هذا - يعني نبيذ السِّقاية - فشرب منه وقال: «أحسنتم هكذا فاصنعوا!».

وعند ابن سعد (4/ 16) عن جعفر بن تمَّام قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال: أرأيت ما تسقون الناس من نبيذ هذا الزبيب؟ أَسُنة تتبعونها أم تجدون هذا أهون عليكم من اللبن والعسل؟ فقال ابن عباس: إنَّ رسول الله ﷺ أتى العباس وهو يسقي الناس فقال: «اسقني» فدعا العباس بعِساس من نبيذ فناول رسول الله ﷺ عُسَّاً منها فشرب، ثم قال: «أحسنتم هكذا اصنعوا!» قال ابن عباس: فما يسرني أن سقايتها جرت عليَّ لبناً وعسلاً مكان قول رسول الله ﷺ «أحسنتم هكذا افعلوا!».

وأخرج أحمد عن ابن سيرين قال: كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما بعرفات، فلما كان حين راح رحت معه حتى أتى الإمام فصلَّى معه الأولى والعصر، ثم وقف وأنا وأصحاب لي حتى أفاض الإمام فأفضنا معه حتى انتهى إلى المضيق دون المأزمين، فأناخ وأنخنا ونحن نحسب أنه يريد أن يصلي. فقال غلامه الذي يمسك راحلته: إنه ليس يريد الصلاة، ولكنه ذكر أن النبي ﷺ لما انتهى إلى هذا المكان قضى حاجته

فهو يحب أن يقضي حاجته. قال في «الترغيب» (1/ 47): رواه أحمد، ورواته محتج بهم في الصحيح.

وأخرج البزّار بإسناد لا بأس به عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يأتي شجرة بين مكة والمدينة فيقيل تحتها، ويخبر أنَّ رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك. كذا في الترغيب (1/ 46). وقال الهيثمي (1/ 175): ورجاله موثّقون.

وأخرج ابن عساكر عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يتّبع آثار رسول الله ﷺ كل مكان صلى فيه، حتى إنَّ النبي ﷺ نزل تحت شجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس. كذا في «كنز العمال» (7/ 59).

وأخرج أحمد والبزّار بإسناد جيد عن مجاهد قال: كنا مع ابن عمر رضي الله عنهما في سفر، فمر بمكان فحاد عنه، فسأل لم فعلت ذلك؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلت. كذا في «الترغيب» (1/ 46).

وعند أبي نعيم في «الحلية» (1/ 310) عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان في طريق مكة يقول برأس راحلته، يثنيها ويقول: لعلَّ خفّاً يقع على خف ـ يعني خف راحلة النبي ﷺ ـ. وعند أبي نُعيم أيضاً عن نافع قال: لو نظرتَ إلى ابن عمر رضي الله عنهما إذا اتبع أثر النبي ﷺ لقلت: هذا مجنون! وأخرجه الحاكم (3/ 561) عن نافع نحوه.

وعند ابن سعد (4/ 107) عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان أحد يتبع آثار النبي ﷺ في منازله كما كان يتبعه ابن عمر.

وعند أبي نُعيم (1/ 310) عن عاصم الأحول عمَّن حدثه قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا رآه أحد ظنَّ أن به شيئاً من تتبُّعه آثار النبي ﷺ. وعن أسلم قال: ما ناقة أضلَّت فَصِيلها في فلاة من الأرض بأطلبَ لأثره من ابن عمر لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

وأخرج عبد الرزاق عن عبد الرحمن بن أمية بن عبد الله أنه قال لابن عمر رضي الله عنهما: نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة المسافر؟ فقال ابن عمر: بعث الله نبيه ونحن أجفَى الناس، فنصنع كما صنع رسول الله ﷺ.

وعند ابن جرير عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسِيد أنه قال لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إنا نجد في كتاب الله عز وجل قَصْر صلاة الخوف ولا نجد قصر صلاة السفر؟ فقال عبد الله؛ إنا وجدنا نبينا ﷺ يعمل عملاً عملنا به.

وعنده أيضاً عن وارد بن أبي عاصم أنه لقي ابن عمر رضي الله عنهما بمنى فسأله عن الصلاة في السفر فقال: ركعتين، فقال: كيف ترى ونحن ها هنا بمنى؟ فأخذته عند ذلك ضَجْرة فقال: ويحك! هل سمعت رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم وآمنت به! قال: فإن رسول الله ﷺ كان إذا خرج صلَّى ركعتين، فصلِّ إن شئت أو دَعْ.

وعنده أيضاً عن أبي مُنيب الجُرَشي قال: قيل لابن عمر رضي الله عنهما قول الله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [النساء: 101] - الآية، فنحن آمنون لا نخاف فنقصُر الصلاة؟ فقال: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة. كذا في «الكنز» (4/ 240).

وأخرج ابن خُزيمة في «صحيحه» والبَيْهقي عن زيد بن أسلَمَ قال:

رأيت ابن عمر رضي الله عنهما يصلِّي محلولة أزراره، فسألته عن ذلك، فقال: رأيت رسول الله ﷺ يفعله. كذا في «الترغيب» (1/ 46).

وأخرج ابن ماجه وابن حِبَّان في صحيحه ـ واللفظ له ـ عن عروة بن عبد الله بن قُشَير قال: حدثني معاوية بن قُرَّة عن أبيه رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في رَهْط من مُزَينة فبايعناه وإنه لمُطْلَق الأزرار، فأدخلت يدي في جَيْبِ قميصه فمسِسْت الخاتَم. قال عروة: فما رأيت معاوية ولا ابنه (قط) في شتاء ولا صيف إلا مُطْلَقي الأزرار. وعند ابن ماجه: إلا مطلقةً أزرارهما. كذا في الترغيب (1/ 45). وأخرجه أيضاً البغَوي وابن السكَن كما في «الإصابة» (3/ 233). وأخرجه ابن سعد (1/ 460) نحوه.

* * *

رعاية النسبة التي كانت لسيدنا محمد ﷺ بأصحابه وأهل بيته وعشيرته وأمته

أخرج الطبراني عن كعب بن عُجْرة رضي الله عنه قال: جلسنا يوماً أمام رسول الله ﷺ في المسجد في رَهْط منا معشر الأنصار، ورَهْط من المهاجرين، ورَهْط من بني هاشم؛ فاختصمنا في رسول الله ﷺ أينا أولَى به وأحبُّ إليه؟ قلنا: نحن معشر الأنصار، آمنا به واتَّبعناه، وقاتلنا معه، وكتيبته في نَحْر عدوه، فنحن أولى برسول الله ﷺ وأحبهم إليه. وقال إخواننا المهاجرون: نحن الذين هاجرنا مع الله ورسوله وفارقنا العشائر والأهلين والأموال، وقد حضرنا ما حضرتم وشهدنا ما شهدتم، فنحن أولى برسول الله ﷺ وأحبهم إليه. وقال إخواننا من بني هاشم: نحن عشيرة رسول الله ﷺ، وحضرنا الذي حضرتم، وشهدنا الذي شهدتم، فنحن أولى برسول الله ﷺ وأحبهم إليه. فخرج علينا رسول الله ﷺ فأقبل علينا فقال: «إنكم لتقولُون شيئاً». فقلنا مثل مقالتنا، فقال للأنصار: «صدقتم من يردُّ هذا عليكم!» وأخبرناه بما قال إخواننا المهاجرون، فقال: «صدقوا من يردُّ هذا عليهم!» وأخبرناه بما قال بنو هاشم، فقال: «صدقوا من يرد هذا عليهم!» ثم قال: «ألا أقضي بينكم؟» قلنا: بلى ـ بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله ـ قال: «أمّا أنتم ـ يا معشر الأنصار ـ فإنما أنا أخوكم» فقالوا: الله أكبر، ذهبنا به ورب الكعبة! «وأما أنتم ـ يا معشر المهاجرين ـ فإنما أنا منكم» فقالوا: الله أكبر، ذهبنا به ورب الكعبة!! «وأما أنتم ـ بنو هاشم ـ فأنتم مني وإليّ» فقمنا، وكلنا راضٍ مغتبط

برسول الله ﷺ. قال الهيثمي (10/ 14): رواه الطبراني، وفيه أبو مسكين الأنصاري ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف. انتهى.

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: شكا عبد الرحمن بن عوف خالد بن الوليد ـ رضي الله عنهما ـ إلى رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «يا خالد لا تؤذِ رجلاً من أهل بدر، فلو أنفقتَ مثل أُحُدٍ ذهباً لم تدرك عمله»، فقال: يقعون فيَّ فأرد عليهم. فقال: «لا تؤذوا خالداً فإنَّه سيف من سيوف الله صبَّه الله على الكفار». قال الهيثمي (9/ 349): رواه الطبراني في «الصغير» و«الكبير» باختصار والبزّار بنحوه، ورجال الطبراني ثقات. انتهى. وأخرجه أيضاً ابن عساكر وأبو يَعْلى كما في «الكنز» (7/ 138)، وابن عبد البرِّ في «الاستيعاب» (1/ 409) عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه مثله.

وعند ابن عساكر عن الحسن قال: كان بين عبد الرحمن بن عوف وبين خالد بن الوليد ـ رضي الله عنهما ـ كلام، فقال خالد: لا تفخر عليَّ يا ابن عوف بأن سبقتني بيوم أو يومين، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «دَعُوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده. لو أنفق أحدكم مثل أُحدٍ ذهباً ما أدرك نَصِيفهم». قال: فكان بعد ذلك بين عبد الرحمن والزبير شيء. فقال خالد: يا نبي الله نهيتني عن عبد الرحمن وهذا الزبير يسابُّه؛ فقال: «إنهم أهل بدر وبعضهم أحقُّ ببعض». كذا في «الكنز» (7/ 138).

وأخرجه أحمد عن أنس رضي الله عنه بنحوه مختصراً. قال الهيثمي (10/ 15): ورجاله رجال الصحيح. انتهى.

وعند البزّار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنهما ـ بعض ما يكون بين الناس، فقال رسول الله ﷺ: «دعُوا لي أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل

أحدٍ ذهباً لم يبلغ مدَّ أحدهم ولا نَصِيفه». قال الهيثمي (10/ 15): رجاله رجال الصحيح غير عاصم بن أبي النُّجُود وقد وُثّق. انتهى.

وأخرج البزّار عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين، واختار لي من أصحابي أربعة: أبا بكرو عمر وعثمان وعلياً - رحمهم الله -، فجعلهم أصحابي، - وقال: في أصحابي كلِّهم خيرٌ -، واختار أمتي على الأمم، واختار من أمتي أربعة قرون: القرن الأول والثاني والثالث والرابع». قال الهيثمي (10/ 16): ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف.

وأخرج الطبراني عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: لما حضرت النبي ﷺ الوفاة قالوا: يا رسول الله أوصِنا. قال: «أوصيكم بالسابقين الأولين من المهاجرين وبأبنائهم من بعدهم؛ إلا تفعلوه لا يُقبل منكم صَرْف ولا عَدْل». قال الهيثمي (10/ 17): رواه الطبراني في «الأوسط» والبزّار إلاَّ أنَّه قال: «أوصيكم بالسابقين الأوَّلين وبأبنائهم من بعدهم، وبأبنائهم من بعدهم»، ورجاله ثقات.

وأخرج الطبراني عن زيد بن سعد عن أبيه أن النبي ﷺ لما نُعِيَت إليه نفسه خرج متلفعاً في أخْلاق ثياب عليه حتى جلس على المنبر، فسمع الناس به وأهل السوق فحضروا المسجد، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا أيها الناس، احفظوني في هذا الحي من الأنصار؛ فإنهم كَرِشي الذي آكل فيها، وعيبتي، اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم». قال الهيثمي (10/ 36): وزيد بن سعد بن زيد الأشهلي لم أعرفه وبقية رجاله ثقات - انتهى.

وأخرج البزّار عن أنس رضي الله عنه قال: ذُكر مالك بن الدُّخْشُن

رضي الله عنه عن النبي ﷺ فوقعوا فيه ـ يقال له رأس المنافقين ـ. فقال النبي ﷺ: «دعُوا أصحابي، لا تسبُّوا أصحابي». قال الهيثمي (10/ 21): رجاله رجال الصحيح. اهـ.

وعند الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سبَّ أصحابي لعنه الله والملائكة والناس أجمعون». قال الهيثمي (10/ 21): وفيه عبد الله ابن خِراش وهو ضعيف.

وعند الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبُّوا أصحابي، لعن الله من سبَّ أصحابي». قال الهيثمي (10/ 21): رجاله رجال الصحيح غير علي بن سَهْل وهو ثقة.

وأخرج الطبراني عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه قال: «تأمروني بسبِّ أصحابي؟! بل صلَّى الله عليهم وغفر لهم» قال الهيثمي (10/ 21): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح ـ انتهى.

وأخرج الطبراني عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال: أوصني، فقال: أوصيك بتقوى الله، وإياك وذكر أصحاب رسول الله ﷺ فإنك لا تدري ما سبق لهم. قال الهيثمي (10/ 22): وفيه عمر بن عبد الله الثقفي وهو ضعيف. انتهى.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: آخر ما تكلَّم به رسول الله ﷺ: «اخلُفوني في أهل بيتي» قال الهيثمي (9/ 163): وفيه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف. انتهى.

وأخرج أبو يعلى عن أم سَلَمة رضي الله عنها قالت: جاءت فاطمة رضي الله عنها بنت النبي ﷺ إلى رسول الله ﷺ متورِّكة الحسن والحسين

رضي الله عنهما، في يدها بُرْمة للحسن فيها سَخين حتى أتت بها النبي ﷺ. فلما وضعتها قدّامه قال: «أين أبو حسن؟» قالت: في البيت؛ فدعاه. فجلس النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين يأكلون. قالت أم سَلَمة: وما سامني: النبي ﷺ، وما آكل طعاماً وأنا عنده إلا سامنيه قبل ذلك اليوم - تعني سامني دعاني إليه -. فلما فرغ التف عليهم بثوبه ثم قال: «اللهمَّ عادِ من عاداهم، ووالِ من والاهم». قال الهيثمي (9/ 167): وإسناده جيد.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب، إنِّي سألت الله لكم ثلاثاً: أن يثبِّت قائمكم، ويعلم جاهلكم، ويهدي ضالَّكم، وسألته أن يجعلكم جُوَداء رُحَماء. فلو أن رجلاً صَفَن بين الركن والمقام وصلَّى وصام، ثم مات وهو مبغض لآل بيت محمد ﷺ دخل النار». قال الهيثمي (9/ 171): رواه الطبراني عن شيخه محمد بن زكريا الغلابي وهو ضعيف. وذكره ابن حِبَّان في «الثِّقات» وقال: يُعتبر حديثُه إذا روى عن الثقات فإن في روايته عن المجاهيل بعض المناكير. قلت: روى هذا عن سفيان الثوري وبقية رجاله رجال الصحيح - انتهى.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صنع إلى أحد من ولد عبد المطلب يَداً فلم يكافئه بها في الدنيا، فعليَّ مكافأته غداً إذا لقيني». قال الهيثمي (9/ 173): وفي عبد الرحمن بن أبي الزِّناد وهو ضعيف. انتهى.

وأخرج الطبراني عن جابر رضي الله عنه أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول للناس حين تزوج بنت علي رضي الله عنه: ألا تهنئوني؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينقطع يوم القيامة كل سبب

ونسب إلاَّ سببي ونسبي». قال الهيثمي (9/ 173): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» باختصار، ورجالهما رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة.

وأخرج أحمد عن محمد بن إبراهيم التَّيْمي أن قتادة بن النعمان الظَّفَري رضي الله عنه وقع بقريش فكأنه نال منهم، فقال رسول الله ﷺ: «يا قتادة، لا تسبنَّ قريشاً، فإنك لعلك أن ترى منهم رجالاً يُزدرى عملُك من أعمالهم وفعلُك مع أفعاله، وتغبطهم إذا رأيتهم؛ لولا أن تطغَى قريش لأخبرتهم بالذي لهم عند الله». قال الهيثمي (10/ 23): رواه أحمد مرسلاً ومسنداً، وأحال لفظ المسند على المرسل، والبزّار كذلك، والطبراني مُسنداً، ورجال البزّار في المسند رجال الصحيح، ورجال أحمد في المسند والمرسل رجال الصحيح غير جعفر بن عبد الله بن أسلم في مسند أحمد وهو ثقة، وفي بعض رجال الطبراني خلاف اهـ.

وأخرج الطبراني عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال فيما أعلم: «قدِّموا قريشاً ولا تَقَدَّموها، ولولا أن تبطَر قريش لأخبرتها بما لها عند الله عز وجل». قال الهيثمي (10/ 25): وفيه أبو مَعْشر وحديثه حسن.

وعند أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فقال: «لولا أن تبطَر قريش لأخبرتها بما لها عند الله». ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي (10/ 25).

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اطلبوا ـ أو قال التمسوا ـ الأمانة من قريش؛ فإن الأمين من قريش له فَضْل على أمين مَنْ سواهم، وإن قويَّ قريش له

فضلان على قويّ مَنْ سواهم». قال الهيثمي (10/ 26): رواه الطبراني في «الأوسط» وأبو يَعْلى وإسناده حسن. اهـ.

وأخرج البزّار عن رِفاعة بن رافع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعمر رضي الله عنه: «اجمع لي قومك». فجمعهم عمر عند بيت رسول الله ﷺ، ثم دخل عليه فقال: يا رسول الله أُدخلهم عليك أو تخرج إليهم؟ قال: «بل أخرج إليهم». قال: فأتاهم فقال: «هل فيكم أحد من غيركم؟» قالوا: نعم، فينا حلفاؤنا، وفينا بنو أخواتنا، وفينا موالينا. فقال: «حلفاؤنا منا، وبنو أخواتنا منا، وموالينا منا، وأنتم ألا تسمعون؟ إنْ أولياؤه إلا المتقون، فإن كنتم أولئك فذاك؛ وإلا فانظروا. لا يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالأثقال فنُعرض عنكم»، ثم رفع يديه فقال: «يا أيها الناس إن قريشاً أهل أمانة، فمن بغاهم العوائر أكبه الله بمنخِريه» قالها ثلاثاً. قال الهيثمي (10/ 26): رواه البزار واللفظ له، وأحمد باختصار وقال: «كبَّه الله في النار لوجهه»، والطبراني (5/ 4544) بنحو البزّار، ورجال أحمد والبزار وإسناد الطبراني ثقات. انتهى.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بُغْض بني هاشم والأنصار كُفْر، وبغض العرب نفاق». قال الهيثمي (10/ 27): رواه الطبراني ورجاله ثقات. انتهى.

وأخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وهو يقول: «يا عائشة قومك أسرع أمتي بي لحاقاً». قالت: فلما جلس قلت: يا رسول الله ـ جعلني الله فداك ـ لقد دخلت وأنت تقول كلاماً ذَعَرني. قال: «وما هو؟» قلت: تزعم أن قومي أسرع «أمتك» بك لحاقاً! قال: «نعم»، قلت: ومم ذاك؟ قال: «تستحلبهم

المنايا، وتنفَس عليهم أمتهم». قالت: فقلت: كيف الناس بعد ذلك أو عند ذلك؟ قال: «دَبَىً يأكل أشدّاؤه ضِعافَه حتى تقوم عليهم الساعة». قال: والدَّبَى: الجنادب التي لم تنبت أجنحتها.

وفي رواية: «يا عائشة أول من يهلك من الناس قومك». قال: قلت: جعلني الله فداك، أمن سُم؟ قال: لا، ولكن هذا الحي من قريش تستخلبهم المنايا، وتنفَس الناس عنهم، أول الناس هلاكاً. قلت: فما بقاء الناس بعدهم؟ قال: «هم صُلْب الناس إذا هلكوا هلك الناس». قال الهيثمي (10/ 28): رواه أحمد والبزّار (2789) ببعضه، والطبراني في «الأوسط» ببعضه أيضاً، وإسناد الرواية الأولى عند أحمد رجال الصحيح، وفي بقية الروايات مقال اهـ.

وأخرج أبو يَعْلى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ جالساً فقال: «أنبئوني بأفضل أهل الإِيمان إيماناً؟» قالوا: يا رسول الله الملائكة، قال: «هم كذلك يحق لهم ذلك، وما يمنعهم من ذلك وقد أنزلهم الله المنزلة التي أنزلهم بها؟ بل غيرهم» قالوا: يا رسول الله الأنبياء الذين أكرمهم الله برسالته والنبوة، قال: «هم كذلك ويحق لهم، وما يمنعهم وقد أكرمهم الله بالمنزلة التي أنزلهم بها؟» قالوا: يا رسول الله الشهداء الذين استشهدوا مع الأنبياء، قال: «هم كذلك ويحق لهم، وما يمنعهم وقد أكرمهم الله بالشهادة؟ بل غيرهم». قالوا: فمن يا رسول الله؟ قال: «أقوام في أصلاب الرجال يأتون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني، ويصدِّقوني ولم يَروني، يجدون الورَق المعلق فيعملون بما فيه، فهؤلاء أفضل أهل الإيمان إيماناً». قال الهيثمي (10/ 65): رواه أبو يَعْلى.

ورواه البزّار فقال عن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «أخبروني

بأعظم الخلق عند الله منزلة يوم القيامة»، قالوا: الملائكة، قال: «وما يمنعهم مع قربهم من ربهم؟ بل غيرهم». قالوا: الأنبياء، قال: «وما يمنعهم والوحي ينزل عليهم؟ بل غيرهم»، قالوا: فأخبرنا يا رسول الله. قال: «قوم يأتون بعدكم يؤمنون بي ولم يرَوني، يجدون الوَرَق المعلَّق فيؤمنون به، أولئك أعظم الخَلْق عند الله منزلة أو أعظم الخلق إيماناً عند الله يوم القيامة». وقال: الصواب أنه مرسل عن زيد بن أسْلَم، وأحد إسنادي البزّار المرفوع حسن. انتهى.

وعند أحمد عن أبي جمعة رضي الله عنه قال: تغدَّينا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله! أحد أفضل منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك. قال: «نعم، قوم يكونون من بعدي يؤمنون بي ولم يروني». قال الهيثمي (10/ 66): رواه أحمد وأبو يَعْلى والطبراني بأسانيد، وأحد أسانيد أحمد رجاله ثقات. انتهى.

وعند أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني» سبع مرات. قال الهيثمي (10/ 67): رواه أحمد والطبراني بأسانيد، ورجالهما رجال الصحيح غير أيمن بن مالك الأشعري وهو ثقة. انتهى.

وأخرج البزّار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قوماً يأتون من بعدي يودُّ أحدهم أن يفتدي برؤيتي أهله وماله». قال الهيثمي (10/ 66): وفيه عبد الرحمن بن أبي الزِّناد وحديثه حسن وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات اهـ.

وعند أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وددت أني لو رأيت إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني». قال الهيثمي

(10/ 66) رواه أحمد وأبو يَعْلى ولفظه: «ومتى ألقى إخواني؟» قالوا: يا رسول الله ألسنا إخوانك؟ قال: «بل أنتم أصحابي، وإخواني الذين آمنوا بي ولم يروني». وفي رجال أبي يَعْلى محتسبٌ أبو عائذ وثَّقه ابن حبَّان وضعفَّه ابن عدي، وبقية رجال أبي يَعْلى رجال الصحيح غير الفَضْل بن الصَبَّاح وهو ثقة. وفي إسناد أحمد جَسر بن فرقد وهو ضعيف، ورواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح غير محتسب. انتهى.

وعند أحمد والبزّار والطبراني عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أمتي مثل المطر لا يُدْرَى أوله خير أم آخره». قال الهيثمي (10/ 68) ورجال البزّار رجال الصحيح غير الحسن بن قَزَعة وعُبيد بن سليمان الأغَر وهما ثقتان، وفي عبيد خلاف لا يضر. انتهى. وأخرجه البزّار وغيره عن عِمران، والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما، كما في «المجمع» (10/ 68). وقال ابن حجر في الفتح: هو حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة، قال المناوي (5/ 517).

وأخرج البزّار عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنَّ لله ملائكة سيّاحين يبلِّغوني عن أمتي السلام» قال: وقال رسول الله ﷺ: «حياتي خير لكم تُحَدِّثون ويُحَدَّث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض عليَّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم» قال الهيثمي (9/ 24): رواه البزّار ورجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج البيهقي عن أبي بُرْدة قال: كنت جالساً عند ابن زياد وعنده عبد الله بن يزيد ـ رضي الله عنه ـ فجعل يُؤتى برؤوس الخوارج، فكانوا إذا مرُّوا برأس قلت: إلى النار، فقال لي: لا تفعل يا بن أخي، فإني

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون عذاب هذه الأمة في دنياها» كذا في «الكنز» (3/ 85).

وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (8/ 308) عن أبي بُردة بنحوه، ولفظه في المرفوع: «إنَّ الله جعل عذاب هذه الأمة في الدنيا القتل». وأخرجه الطبراني في «الكبير» و«الصغير» باختصار، و«الأوسط» كذلك، ورجال الكبير رجال الصحيح، كما قال الهيثمي (7/ 225).

وعند الطبراني عن أبي بُرْدة رضي الله عنه قال: خرجت من عند عبيد الله بن زياد فرأيته يعاقب عقوبة شديدة، فجلست إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ فقال: قال رسول الله ﷺ: «عقوبة هذه الأمة بالسيف». قال الهيثمي (7/ 225). ورجاله رجال الصحيح.

* * *

حرمة دماء المسلمين وأموالهم

أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قُتل قتيل على عهد رسول الله ﷺ لا يُعلم قاتله، فصعد منبره فقال: «يا أيها الناس أيُقتل قتيل وأنا بين أظهُركم لا يُعلم من قتله؟! لو أنَّ أهل السماء والأرض اجتمعوا على قتل مسلم لعذَّبهم الله بلا عدد ولا حساب». قال الهيثمي (7/ 297): رجاله رجال الصحيح غير عطاء بن أبي مُسْلم وثقه ابن حبَّان وضعَّفه جماعة، انتهى.

وعند البزّار عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قُتل قتيل على عهد رسول الله ﷺ فصعد النبي ﷺ خطيباً فقال: «ألا تعلمون من قتل هذا القتيل بين أظهركم؟» ـ ثلاث مرات ـ قالوا: اللهم لا. فقال: «والذي نفس محمد بيده، لو أنَّ أهل السماوات وأهل الأرض اجتمعوا على قتل مؤمن أدخلهم الله جميعاً جهنم، ولا يبغضنا ـ أهل البيت ـ أحد إلا كبَّه الله في النار» قال الهيثمي (7/ 296): وفيه داود بن عبد الحميد وغيره من الضعفاء. انتهى.

وأخرج أحمد عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقة من جهينة. قال: فصبَّحناهم وكان منهم رجل إذا أقبل القوم كان من أشدهم علينا، وإذا أدبروا كان حاميتهم. قال: فغشِيتُه أنا ورجل من الأنصار، فلما تغشَّيناه قال: لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصاري وقتلته. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «يا أسامة أقتلته

بعد ما قال لا إله إلا الله؟!» قال: قلت: يا رسول الله إنما كان متعوِّذاً من القتل، قال: فكررها عليَّ حتى تمنَّيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ. وأخرجه البخاري ومسلم أيضاً. وعند ابن إسحاق: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه فقال: «يا أسامة، من لك بلا إله إلا الله؟!» فقلت: يا رسول الله إنما قالها تعوُّذاً من القتل. قال: «فمن لك يا أسامة بلا إله إلا الله؟» فوالذي بعثه بالحق ما زال يرددها عليَّ حتى تمنيت أنَّ ما مضى من إسلامي لم يكن، وأني أسلمت يومئذٍ ولم أقتله. فقلت: إني أعطي الله عهداً أن لا أقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً، فقال: «بعدي يا أسامة»، فقلت: بعدك. كذا في «البداية» (4/ 222).

وأخرجه ابن عساكر عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أدركت مِرداس بن نُهَيك أنا ورجل من الأنصار، فلما شهرنا عليه السيف قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فلم ننزع عنه حتى قتلناه. فلما قدمنا ـ فذكر نحو حديث ابن إسحاق.

وأخرجه أيضاً أبو داود والنَّسائي والطَّحاوي وأبو عَوَانة وابن حِبَّان والحاكم وغيرهم، وفي حديثهم: فقال النبي ﷺ: «قال لا إله إلا الله وقتلته؟!» قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح. قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا؟! من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟!» فما زال يكررها حتى تمنيت أنِّي أسلمت يومئذٍ. كذا في «كنز العمال» (1/ 78). وأخرجه البيهقي (8/ 192).

وأخرجه الدَّوْلابي وابن مَنْده وأبو نُعيم عن بكر بن حارثة رضي الله عنه قال: كنت في سرية بعثها رسول الله ﷺ، فاقتتلنا نحن والمشركون، وحملت على رجل من المشركين فتعوَّذ مني بالإسلام فقتلته. فبلغ ذلك النبي ﷺ فغضب وأقصاني. فأوحى الله إليه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن

﴿يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء: 92] ـ الآية، فرضي عني وأدناني. كذا في «الكنز» (7/ 316).

وأخرج أبو يَعْلى عن عقبة بن خالد الليثي رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ سرَية فغارت على قوم، فشذَّ رجل من القوم فأتبعه رجل من السرية ومعه السيفُ شاهرُه. فقال إنسان من القوم: إني مسلم، إني مسلم. فلم ينظر فيما قال: فضربه فقتله. قال: فنما الحديث إلى رسول الله ﷺ فقال فيه قولاً شديداً، فبلغ القاتل. قال: فبينا رسول الله ﷺ يخطب إذ قال القاتل: يا رسول الله، والله ما قال الذي قاله إلا تعوُّذاً من القتل، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعن مَنْ قِبَله من الناس وأخذ في خطبته. قال: ثم عاد فقال: يا رسول الله، ما قال الذي قال إلاَّ تعوُّذاً من القتل. فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعن مَنْ قِبَله من الناس؛ فلم يصبر أن قال في الثالثة فأقبل عليه تُعرف المساءة في وجهه، فقال: «إنَّ الله عز وجل أبى عليَّ أن أقتل مؤمناً» ـ ثلاث مرات ـ قال الهيثمي (7/ 293): رواه أبو يَعْلى وأحمد باختصار إلا أنه قال عقبة بن مالك بدل عقبة بن خالد، والطبراني بطوله، ورجاله رجال الصحيح غير بشر بن عاصم الليثي وهو ثقة. انتهى. وأخرجه أيضاً النَّسائي والبَغَوي وابن حِبَّان (5972) عن عُقبة بن مالك، كما في «الإصابة» (2/ 491)، والخطيب في «المتَّفِق والمُفْتَرِق»، كما في «الكنز» (1/ 79) عن عُقبة بن مالك نحوه، والبيهقي (9/ 116)، وابن سعد (7/ 48) عن عقبة بن مالك بنحوه.

وأخرج البزّار (2202) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد بن الأسود رضي الله عنه، فلما وجدوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير لم يبرح. فقال: أشهد

أن لا إله إلا الله. فأهوى إليه المقداد فقتله. فقال له رجل من أصحابه. أقتلت رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله؟! لأذكرنَّ ذلك للنبي ﷺ. فلما قدموا على النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله إنَّ رجلاً شهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد. فقال: «ادعُ لي المقداد. يا مقدادُ أقتلت رجلاً يقول لا إله إلا الله؟! فكيف لك بلا إله إلا الله غداً؟» قال: فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ﴾ [النساء: 94] فقال رسول الله ﷺ للمقداد: «كان رجل مؤمن يُخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته؟! وكذلك كنت تُخفي إيمانك بمكة من قبل». قال الهيثمي (7/ 9): رواه البزّار وإسناده جيد، وقال في هامشه: رواه الطبراني أيضاً في «الكبير»، والدارَقُطْني في «الأفراد».

وأخرج ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي حَدْرَد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضَم في نفر من المسلمين، منهم: أبو قتادة الحارث بن رِبْعي، ومُحَلِّم بن جَثَّامة بن قيس، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضَم مر بنا عامر بن الأضْبَط الأشجعي على قَعود له، معه مَتيع له وَوَطْب من لبن، فسلَّم علينا بتحية الإسلام، فأمسكنا عنه، وحمل عليه مُحَلِّم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه، وأخذ بعيره ومَتيعه. فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر فنزل فينا القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾. [النساء: 94] وهكذا رواه أحمد من طريق ابن

إسحاق. كذا في «البداية» (4/ 224) والطبراني كذلك. قال الهيثمي (7/ 8): ورجاله ثقات، والبيهقي (9/ 115) وكذلك ابن سعد (4/ 282) نحوه.

وعند ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ مُحلِّم بن جَثَّامة مَبْعثاً، فلقيهم عامر بن الأَضْبَط، فحياهم بتحية الإسلام، وكانت بينهم إِحْنَة في الجاهلية فرماه مُحَلِّم بسهم فقتله. فجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ، فتكلم فيه عيينة والأقرع رضي الله عنهما، فقال الأقرع: يا رسول الله سُنَّ اليوم غيِّر غداً. فقال عيينة: لا والله حتى تذوق نساؤه من الثكل ما ذاق نسائي. فجاء مُحَلِّم في بُرْدين فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له. فقال رسول الله ﷺ: «لا غفر لك الله» فقام وهو يتلقَّى دموعه ببرديه. فما مضت له سابعة حتى مات، فدفنوه فلفَظَته الأرض، فجاؤوا (إلى) النبي ﷺ فذكروا ذلك له، فقال: «إن الأرض لتقبل من هو شر من صاحبكم، ولكنَّ الله أراد أن يعظكم من حرمتكم»؛ ثم طرحوه بين صَدَفي جبل فألقوا عليه من الحجارة، ونزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ - الآية. كذا في «البداية» (4/ 225).

وأخرج عبد الرزاق وابن عساكر عن قَبِيصة بن ذُؤيب رضي الله عنه قال: أغار رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على سرية انهزمت، فغشي رجلاً من المشركين وهو منهزم، فلما أن أراد أن يعلوه بالسيف قال الرجل: لا إله إلا الله، فلم يتناه عنه حتى قتله. فَوَجد الرجل في نفسه مِنْ قَتْله، فذكر حديثه للنبي ﷺ وقال: إنما قالها متعوِّذاً. فقال النبي ﷺ: «فهلاً شققت عن قلبه؟! فإنَّما يعبِّر عن القلب باللسان». فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى توفي ذلك الرجل القاتل، فدُفن فأصبح على وجه الأرض،

فجاء أهله فحدّثوا النبي ﷺ فقال: «ادفنوه»، فدفن أيضاً فأصبح على وجه الأرض، فأخبر أهله النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «إنَّ الأرض أبَتْ أن تقبله فاطرحوه في غار من الغيران». كذا في «الكنز» (7/ 316).

وأخرج ابن إسحاق عن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه حين افتتح مكة داعياً ولم يبعثه مقاتلاً، ومعه قبائل من العرب، وسُلَيم بن منصور، ومدلج بن مرة. فوطئوا بني جَذِيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه القوم أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح، فإن الناس قد أسلموا. فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد فكُتِّفوا ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم. فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء ثم قال: «اللهمَّ إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد». ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: «يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك». فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله ﷺ، فَوَدَى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال، حتى إنه ليَدِي مَيْلغة الكلب، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وَدَاه بقيت معه بقية من المال، فقال لهم علي حين فرغ منهم: هل بقي لكم دم أو مال لم يُودَ لكم؟ قالوا: لا، قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله مما لا يعلم ولا تعلمون. ففعل ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر. فقال: «أصبت، وأحسنت». ثم قام رسول الله ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليُرى ما تحت مَنْكبيه يقول: «اللهمَّ إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد» ـ ثلاث مرات.

وعند أحمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: بعث

رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني - أحسبه قال: جَذِيمة - فدعاهم إلى الإسلام فلم يُحْسِنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، وخالد يأخذ بهم أسراً وقتلاً. قال: ودفع إلى كل رجل منا أسيراً، حتى إذا أصبح يوماً أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره. قال ابن عمر: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل أحد من أصحابي أسيره، قال: فقدموا على النبي ﷺ فذكروا صنيع خالد، فقال النبي ﷺ ورفع يديه: «اللهمَّ إني أبرأ إليك مما صنع خالد» - مرتين. ورواه البخاري والنسائي من حديث عبد الرزاق به نحوه. قال ابن إسحاق: وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما فيما بلغني كلام في ذلك، فقال له عبد الرحمن: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام. فقال: إنما ثأرتُ بأبيك. فقال عبد الرحمن: كذبتَ قد قتلتُ قاتل أبي، ولكنك ثأرتَ بعمك الفاكِه بن المغيرة. حتى كان بينهما شر. فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: «مهلاً يا خالد، دَعْ عنك أصحابي، فوالله لو كان (لك) أحدٌ ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غَدْوة رجل من أصحابي ولا رَوْحته». كذا في «البداية» (4/ 313).

وأخرج أبو داود عن صخر الأحْمَسي رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ غزا ثقيفاً، فلما أن سمع ذلك صخر ركب في خيل يُمدُّ النبي ﷺ، فوجده قد انصرف ولم يَفْتَح، فجعل صخر حينئذ عهداً وذمة: لا أفارق هذا القصر حتى ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ. ولم يفارقهم حتى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ. وكتب إليه صخر: أما بعد: فإنَّ ثقيفاً قد نزلت على حكمك يا رسول الله، وأنا مقبل بهم وهم في خيلي. فأمر رسول الله ﷺ بالصلاة جامعة، فدعا لأحْمَس عشر دعوات، «اللهمَّ بارك لأحْمَس في خيلها ورجالها». وأتى القوم فتكلَّم المغيرة بن شعبة رضي الله

عنه فقال: يا رسول الله إن صخراً أخذ عمتي ودخلت فيما دخل فيه المسلمون. فدعاه فقال: «يا صخر إن القوم إذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهم فادفع إلى المغيرة عمته». فدفعها إليه، وسأل رسول الله ﷺ ماءً لبني سليم قد هربوا عن الإسلام وتركوا ذلك الماء، فقال: يا رسول الله أنزلنيه أنا وقومي. قال: «نعم»، فأنزله وأسلم - يعني السُّلَميين - فأَتوا صخراً فسألوه أن يدفع إليهم الماء فأبى، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أسلمنا وأتينا صخراً ليدفع إلينا ماءنا فأبى علينا. فقال: «يا صخرُ إن القوم إذا أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم فادفع إليهم ماءهم». قال: نعم يا نبي الله، فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير عند ذلك حمرة حياء من أَخْذه الجارية وأخذه الماء. تفرّد به أبو داود وفي إسناده اختلاف. كذا في «البداية» (4/ 351). وأخرجه أيضاً أحمد والدارمي وابن راهَوَيْه والبزّار وابن أبي شَيْبة والطبراني، كما في نصب الراية (3/ 412)، والفِريابي في مسنده والبَغَوي وابن شاهين، كما في الإِصابة (2/ 180) والبيهقي في سننه (9/ 114).

* * *

الاحتراز عن قتل المسلمين وكراهية القتال على الملك

أخرج أحمد والدارمي والطَّحاوي والطَّيالسي عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن في قبة في مسجد المدينة، فأتاه رجل فسارَّه بشيء لا ندري ما يقول. فقال: «اذهب قل لهم: يقتلوه». ثم دعاه فقال: «لعله يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله». فقال: نعم، فقال: «اذهب فقل لهم: يرسلوه، فإني أُمرت أن يقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإذا قالوها حُرِّمت عليَّ دماؤهم وأموالهم إلا بحقِّها وكان حسابهم على الله».

وعند عبد الرزاق والحسن بن سفيان عن عبد الله بن عدي الأنصاي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس بين ظهراني الناس جاءه رجل يستأذنه أن يساره في قتل رجل من المنافقين، فجهر رسول الله ﷺ بكلامه، فقال: «أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟» قال: بلى ولا شهادة له، قال: «أليس يشهد أني رسول الله؟» قال: بلى ولا شهادة له، قال: «أليس يصلِّي؟» قال: بلى ولا صلاة له. قال: «أولئك الذين نُهيت عنهم». كذا في كنز العمال (1/ 78).

وأخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ادعُوا لي بعض أصحابي». قلت: أبو بكر؟ قال: «لا». قلت: عمر؟ قال: «لا». قلت: ابن عمك علي؟ قال «لا»: قالت: قلت: عثمان؟

قال: «نعم». فلما جاء قال: تنحَّي، فجعل يسارّه ولون عثمان يتغير. فلما كان يوم الدار وحُصِر فيها قلنا: يا أمير المؤمنين ألا تقاتل؟ قال: لا، إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهداً وإني صابر نفسي عليه. تفرَّد به أحمد، كذا في «البداية» (7/ 181). وأخرجه ابن سعد (3/ 46) عن أبي سهلة بمعناه أطول منه، وزاد: قال أبو سهلة: فيرون أنه ذلك اليوم.

وأخرج أحمد عن ابن عمر أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ أشرف على أصحابه وهو محصور فقال: علامَ تقتلونني؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل دم امرىء إلا بإحدى ثلاث: رجل زنى بعد إحصانه فعليه الرجم، أو قتل عمداً فعليه القَود، أو ارتد بعد إسلامه فعليه القتل». فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام، ولا قتلت أحداً فأُقيدَ نفسي منه، ولا ارتددت منذ أسلمت، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. ورواه النسائي، كذا في «البداية» (7/ 179).

وعند أحمد أيضاً عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: كنت مع عثمان رضي الله عنه في الدار وهو محصور. قال: وكنا ندخل مَدْخلاً إذا دخلناه سمعنا كلامَ مَنْ على البلاط. قال: فدخل عثمان يوماً لحاجته فخرج إلينا منتقعاً لونه، فقال: إنهم ليتواعدوني بالقتل آنفاً. قال: قلنا: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين، قال: ولم يقتلونني؟! فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس».. فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام (قط)، ولا تمنيت بدلاً بديني منذ هداني الله له، ولا قتلت نفساً؛ فبم يقتلونني؟! وقد رواه أهل السنن الأربعة. وقال الترمذي: حسن. كذا في «البداية» (7/ 179) وأخرجه ابن سعد (3/ 46) عن أبي أمامة مثله.

وأخرج أيضاً (3/ 49) عن أبي ليلى الكندي قال: شهدت عثمان رضي الله عنه وهو محصور فاطّلع من كُوَّة وهو يقول:

«يا أيها الناس لا تقتلوني واستتيبوني، فوالله لئن قتلتموني لا تصلّون جميعاً أبداً، ولا تجاهدون عدواً جميعاً أبداً، ولتختلفُنَّ حتى تصيروا هكذا ـ وشبك بين أصابعه ـ ثم قال: يَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ، وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيْدٍ».

وأرسل إلى عبد الله بن سَلاَم رضي الله عنه فقال: ما ترى؟ فقال: الكَفَّ، الكَفَّ، فإنه أبلغ لك في الحجة.

وأخرج أحمد عن المغيرة بن شُعبة رضي الله عنه أنه دخل على عثمان رضي الله عنه وهو محصور، فقال: إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى، وإني أعرض عليك خصالاً ثلاثاً اختر إحداهن: إما أن تخرج فتقاتلهم فإنَّ معك عدداً وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل. وإما أن تخرق باباً سوى الباب الذي هم عليه فتقعد على رواحلك فتلحق مكة فإنهن لن يستحلوك وأنت بها. وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية. فقال عثمان: أمَّا أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خَلَف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء، وأمّا أن أخرج إلى مكة فإنهم لن يستحلُّوني بها؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم» ولن أكون أنا، وأما أن ألحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ. كذا في «البداية» (7/ 211) قال الهيثمي: (7/ 230): رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن محمد بن عبد الملك بن مروان لم أجد له سماعاً من المغيرة ـ اهـ.

وأخرج ابن سعد (3/ 48) وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخلت على عثمان يوم الدار فقلت: يا أمير المؤمنين طاب أمْضَرْبُ! فقال: يا أبا هريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعاً وإياي؟ قلت: لا، قال: فوالله إنك إن قتلت رجلاً واحداً فكأنما قتلت الناس جميعاً. فرجعت ولم أقاتل. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 25).

وأخرج ابن سعد (3/ 49) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: قلت لعثمان رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين إن معك في الدار عصابة مستنصرة بنصر الله بأقل منهم لعثمان، فأْذن لي فَلأُقاتل. فقال: أنشدك الله رجلاً - أو قال: أذكِّر بالله رجلاً إهراق فيَّ دمه أو إهراق في دماً. وعنده أيضاً قال: قلت لعثمان رضي الله عنه يوم الدار: قاتلهم، فوالله لقد أحلَّ الله لك قتالهم، فقال: لا والله لا أقاتلهم أبداً - فذكر الحديث.

وأخرج أيضاً (3/ 48) عن عبد الله بن عامر رضي الله عنهما قال: قال عثمان رضي الله عنه يوم الدار: إن أعظمكم عني غناءً رجل كف يده وسلاحه.

وأخرج أيضاً (3/ 48) عن ابن سيرين قال: جاء زيد بن ثابت إلى عثمان رضي الله عنهما فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصاراً لله - مرتين. قال فقال عثمان: أما القتال فلا.

وأخرج أيضاً (3/ 49) عن ابن سيرين قال: كان مع عثمان يومئذٍ في الدار سبعمائة لو يدَعهم لضربوهم إن شاء الله حتى يخرجوهم من أقطارها، منهم ابن عمر، والحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، رضي الله عنهم.

وأخرج أيضاً (5/ 23) عن عبد الله بن ساعدة رضي الله عنه قال: جاء سعيد بن العاص إلى عثمان رضي الله عنهما فقال: يا أمير المؤمنين إلى متى تمسك بأيدينا؟ قد أكلنا أكلاً هؤلاء القوم، منهم مَنْ قد رمانا بالنبل، ومنهم مَنْ قد رمانا بالحجارة، ومنهم شاهر سيفه، فمُرنا بأمرك. فقال عثمان: إني والله ما أريد قتالهم، ولو أردت قتالهم لرجوت أن أمتنع منهم، ولكني أكِلُهم إلى الله وأكِلُ من أَلَّبهم عليَّ إلى الله، فإنا سنجتمع عند ربنا. فأما قتال فوالله ما آمرك بقتال. فقال سعيد: والله لا أسأل عنك أحداً أبداً. فخرج فقاتل حتى أُم.

وأخرج أحمد عن عمر بن سعد عن أبيه أنه جاءه ابنه عامر فقال: يا أبت، الناس يقاتلون (على الدنيا) وأنت ها هنا؟! فقال: يا بني أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأساً؟! لا والله حتى أُعطَى سيفاً إن ضربت به مؤمناً نَبَا عنه، وإن ضربت به كافراً قتلته. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب الغني الخفي التقي». كذا في «البداية» (7/ 283). وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 94) عن عمر بن سعد عن أبيه أنه قال لي: يا بني أفي الفتنة تأمرني ـ فذكر نحوه.

وعند الطبراني عن ابن سيرين قال: لما قيل لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ألا تقاتل إنك من أهل الشورى وأنت أحقُّ بهذا الأمر من غيرك؟ قال: لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان يعرف المؤمن من الكافر، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد. قال الهيثمي (7/ 299): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ـ اهـ. وأخرجه أبو نُعيم في الحلية (1/ 94) عن ابن سيرين مثله، وابن سعد (3/ 101) عن ابن سيرين بمعناه.

وأخرج ابن سعد (4/ 48) عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: قال ذو

البطن أسامة بن زيد رضي الله عنه: لا أقاتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً، فقال سعد بن مالك رضي الله عنه: وأنا - والله - لا أقاتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً. فقال لهما رجل: ألم يقل الله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: 39]. فقالا: قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة، وكان الدين لله. وأخرجه ابن مَرْدَوَيه عن إبراهيم التيمي عن أبيه نحوه، كما في التفسير لابن كثير (2/ 309).

وأخرج البخاري (4513) عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير رضي الله عنهما فقالا: إن الناس ضُيِّعوا وأنت ابن عمر وصاحب النبي ﷺ فما يمنعك أن تخرج؟! فقال: يمنعني أنَّ الله حرّم دم أخي. قالا: ألم يقل الله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؟ فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله. وزاد عثمان بن صالح من طريق بُكير بن عبد الله عن نافع أن رجلاً أتى ابن عمر رضي الله عنهما فقال: يا أبا عبد الرحمن ما حملك على أن تحج عاماً وتعتمر عاماً وتترك الجهاد في سبيل الله (عز وجل) وقد علمت ما رغَّب الله فيه؟! قال: يا بن أخي بُني الإسلام على خمس: إيمان بالله ورسوله، والصلوات الخمس، وصيام رمضان، وأداء الزكاة، وحج البيت. قال: يا أبا عبد الرحمن ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾؟ قال: فعلنا على عهد رسول الله ﷺ وكان الإسلام قليلاً، فكان الرجل يُفتن في دينه إمّا قتلوه وإما يعذبوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة. قال: فما قولك في علي وعثمان؟ قال: أما عثمان فكان الله عفا عنه، وأما أنتم فكرهتم أن يعفو عنه، وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وخَتَنه، وأشار بيده فقال:

هذا بيته حيث ترون. وأخرجه البيهقي (8/ 192) من طريق نافع بنحوه. وهكذا أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 292) عن نافع، وعند البخاري (4650) أيضاً من طريق نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاءه فقال: يا أبا عبد الرحمن ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات: 9] - الآية، فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: يا ابن أخي أُعيَّر بهذه الآية ولا أقاتل أحب إليَّ مِنْ أن أعيَّر بهذه الآية التي يقول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: 93] - إلى آخر الآية، قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قال ابن عمر قد فعلنا - فذكر نحو ما تقدم.

وعنده أيضاً من طريق سعيد بن جبير فقال: وهل تدري ما الفتنة؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنةً، وليس كقتالكم على الملك، كما في التفسير لابن كثير (2/ 308).

وعند البيهقي (8/ 192) عن أبي العالية البراء أن عبد الله بن الزبير وعبد الله بن صفوان - رضي الله عنهما - كانا ذات يوم قاعدين في الحِجْر، فمرَّ بهما ابن عمر رضي الله عنهما وهو يطوف بالبيت. فقال أحدهما لصاحبه: أتراه بقي أحد خيراً من هذا؟ ثم قال لرجل: ادعه لنا إذا قضى طوافه. فلما قضى طوافه وصلَّى ركعتين أتاه رسولهما فقال: هذا عبد الله بن الزبير وعبد الله بن صفوان يدعوانك. فجاء إليهما، فقال عبد الله بن صفوان: يا أبا عبد الرحمن ما يمنعك أن تبايع أمير المؤمنين؟ - يعني ابن الزبير - فقد بايع له أهل العروض وأهل العراق وعامة أهل الشام. فقال: والله لا أبايعكم وأنتم واضعوا سيوفكم على عواتقكم تَصَبَّبَ أيديكم من دماء المسلمين.

وعند أبي نُعيم في «الحلية» (1/ 293) عن الحسن رضي الله عنه قال: لما كان من أمر الناس ما كان من أمر الفتنة أتوا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقالوا: أنت سيد الناس وابن سيدهم والناس بك راضون اخرج نبايعك، فقال: لا والله، لا يهراق فيَّ مِحْجَمة من دم ولا في سببي ما كان فيَّ الروح. قال: ثم أُتي فخُوِّف فقيل له: لتخرجن أو لتُقتلن على فراشك! فقال مثل قوله الأول. قال الحسن: فوالله ما استقلُّوا منه شيئاً حتى لحق بالله تعالى. وأخرجه ابن سعد (4/ 111) عن الحسن بنحوه.

وعند ابن سعد أيضاً (4/ 111) عن خالد بن سُمَير قال: قيل لابن عمر رضي الله عنهما: لو أقمت للناس أمرهم، فإن الناس قد رَضوا بك كلهم، فقال لهم: أرأيتم إن خالف رجل بالمشرق؟ قالوا: إن خالف رجل قتل، وما قتل رجل في صلاح الأمة؟! فقال: والله ما أحب لو أن أمة محمد ﷺ أخذت بقائمة رمح وأخذت بزجه فقُتل رجل من المسلمين ولي الدنيا وما فيها!!

وعند ابن سعد (4/ 111) أيضاً عن قَطَن قال: أتى رجل ابن عمر رضي الله عنهما فقال: ما أحد شراً لأمة محمد منك! فقال: لم؟ فوالله ما سفكت دماءهم، ولا فرقت جماعتهم، ولا شققت عصاهم. قال: إنك لو شئت ما اختلف فيك اثنان، قال: ما أحب أنها أتتني ورجل يقول لا وآخر يقول بلى.

وعند أبي نعيم في «الحلية» (1/ 294) عن القاسم بن عبد الرحمن أنهم قالوا لابن عمر رضي الله عنهما في الفتنة الأولى: ألا تخرج فتقاتل؟ فقال: قد قاتلت والأنصاب بين الركن والباب حتى نفاها الله عز وجل من أرض العرب، فأنا أكره أن أقاتل من يقول لا إله إلا الله!

قالوا: والله ما رأيك ذلك، ولكنك أردت أن يُفني أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم بعضاً؛ حتى إذا لم يبقَ غيرك قيل: بايعوا لعبد الله بن عمر بإمارة المؤمنين. قال: والله ما ذلك فيَّ، ولكن إذا قلتم حيَّ على الصلاة أجبتكم، حيَّ على الفلاح أجبتكم، وإذا افترقتم لم أجامعكم، وإذا اجتمعتم لم أفارقكم.

وعن نافع قال: قيل لابن عمر رضي الله عنهما زمن ابن الزبير رضي الله عنهما والخوارج والخَشَبِيَّة: أتصلِّي مع هؤلاء ومع هؤلاء وبعضهم يقتل بعضاً؟ فقال: من قال حيَّ على الصلاة أجبته، ومن قال: حي على الفلاح أجبته، ومن قال: حيَّ على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله قلت لا. وأخرجه ابن سعد (4/ 125) عن نافع مثله.

وأخرج الحاكم (3/ 175) عن أبي الغريف قال: كنا في مقدِّمة الحسن بن علي رضي الله عنهما اثني عشر ألفاً تقطر أسيافنا من الحِدَّة على قتال أهل الشام وعلينا أبو العمرطة. فلما أتانا صلح الحسن بن علي ومعاوية ـ رضي الله عنهم ـ كأنما كُسرت ظهورنا من الحَرْد والغيظ. فلما قدم الحسن بن علي الكوفة قام إليه رجل منا يُكنى أبا عامر سفيان بن الليل، فقال: السلام عليك يا مذلَّ المؤمنين، فقال الحسن: لا تقل ذاك يا أبا عامر، لم أُذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلهم في طلب الملك. وأخرجه بن عبد البر في الاستيعاب (1/ 372) نحوه، والخطيب والبغدادي كذلك، كما في «البداية» (8/ 19).

وأخرج ابن عبد البر في «الاستيعاب» (1/ 374) عن الشَّعبي قال: لما جرى الصلح بين الحسن بن علي ومعاوية ـ رضي الله عنهم ـ قال له معاوية: قم فاخطب الناس واذكر ما كنت فيه، فقام الحسن فخطب فقال:

الحمد لله الذي هدى بنا أوّلكم، وحقن بنا دماء آخركم، ألا إن أكيس الكَيْس التقى، وأعجز العَجْز الفجور؛ وإنَّ هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إما أن يكون كان أحقَّ به مني وإما أن يكون حقي، فتركناه لله ولصلاح أمة محمد ﷺ وحقن دمائهم»

قال: ثم التفت إلى معاوية فقال: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الانبياء: 111]، ثم نزل، فقال عمرو لمعاوية: ما أردتُ إلاَّ هذا وأخرجه أيضاً الحاكم (3/ 175)، والبيهقي (8/ 173) عن الشعبي بنحوه.

وعند الحاكم (3/ 170) أيضاً عن جبير بن نفير رضي الله عنه قال: قلت للحسن بن علي رضي الله عنهما: إن الناس يقولون إنك تريد الخلافة، فقال: قد كان جماجم العرب في يدي يحاربون مَنْ حاربت ويسالمون من سالمت، تركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقن دماء أمة محمد ﷺ، ثم أبتزها باتئاس أهل الحجاز؟! قال الحاكم: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه، ووافقه الذهبي.

وأخرج أبو يَعْلى عن عامر الشَّعْبي قال: لما قاتل مروانُ الضحاكَ بن قيس أرسل إلى أيمن بن خُرَيم الأسدي رضي الله عنه فقال: إنا نحب أن تقاتل معنا. فقال: إن أبي وعمي شهدا بدراً فعهدا إليَّ أن لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله، فإن جئتني ببراءة من النار قاتلت معك. فقال: اذهب، ووقع فيه وسبَّه، فأنشأ أيمن يقول:

ولستُ مقاتِلاً رجلاً يُصلِّي
على سلطانِ آخرَ من قريشِ
أقاتلُ مسلماً في غيرِ شيءٍ
فليسَ بنافعي ما عشتُ عيشي

لــه ســلــطــانُــه، وعــلــيَّ إثــمــي

مَــعــاذ الله مــن جــهــلٍ وطــيــشٍ

قال الهيثمي (7/ 296): رواه أبو يعلى والطبراني (1/ 851) بنحوه إلا أنه قال: ولست أقاتل رجلاً يصلِّي، وقال: معاذ الله من فشل وطيش، وقال: أأقتل مسلماً في غير جُرْم. ورجال أبي يعلى رجال الصحيح غير زكريا بن يحيى رَحْمَويه وهو ثقة. انتهى. وأخرجه البيهقي (8/ 193) عن قيس بن أبي حازم والشَّعبي بنحوه.

وأخرج الطبراني عن ابن الحكم بن عمرو والغِفاري قال: حدثني جدي قال: كنت عند الحكم بن عمرو رضي الله عنه جالساً حين جاءه رسول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: إنك أحق من أعاننا على هذا الأمر، فقال: سمعت خليلي ابن عمك ﷺ يقول: «إذا كان هكذا أو مثل هذا أن أتخذ سيفاً من خشب»، فقد اتخذت سيفاً من خشب. قال الهيثمي (7/ 301): رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه.

وأخرج البزار عن أبي الأشعث الصنعاني قال: بعثني يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه ومعي ناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فقلت: ما تأمرون به الناس؟ فقال: أوصاني أبو القاسم ﷺ إن أنا أدركت شيئاً من هذه أن أعمد إلى أُحُد وأكسر سيفي وأقعد في بيتي، فإن دُخل عليَّ بيتي قال: «اقعد في مخدعك، فإن دُخل عليك فاجث على ركبتيك، وتقول: بُؤْ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار، وذلك جزاء الظالمين». فقد كسرت سيفي فإذا دُخل عليَّ بيتي دخلت مخدعي، فإذا دُخل عليَّ مخدعي جَثَوتُ على ركبتيَّ، فقلت: ما قال رسول الله ﷺ أن أقول. قال الهيثمي (7/ 300): رواه البزّار، وفيه من لم أعرفهم. انتهى.

وأخرج الطبراني عن محمد بن مسلمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيت الناس يقتتلون على الدنيا فاعمد بسيفك على أعظم صخرة في الحرّة فاضربه بها حتى ينكسر، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية»، ففعلت ما أمرني به رسول الله ﷺ. قال الهيثمي (7/ 301). رجاله ثقات.

وعند ابن سعد (3/ 20) عن محمد بن مسلمة رضي الله عنه قال: أعطاني رسول الله ﷺ سيفاً فقال: «يا محمد بن مسلمة جاهد بهذا السيف في سبيل الله، حتى إذا رأيت من المسلمين فئتين تقتتلان فاضرب به الحجر حتى تكسره، ثم كف لسانك ويدك حتى تأتيك منية قاضية أو يد خاطئة». فلما قتل عثمان رضي الله عنه وكان من أمر الناس ما كان؛ خرج إلى صخرة في فنائه فضرب الصخرة بسيفه حتى كسره.

وأخرج أحمد عن ربعي قال: سمعت رجلاً في جنازة حذيفة. رضي الله عنه يقول: صاحب هذا السرير يقول: ما بي بأس ما سمعت من رسول الله ﷺ، ولئن اقتتلتم لأدخلنَّ بيتي، فلئن دُخل عليَّ فلأقولنَّ: ها، بُؤْ بإثمي وإثمك. قال الهيثمي (7/ 301): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير الرجل المبهم.

وأخرج الطبراني عن وائل بن حُجر رضي الله عنه قال: لما بلغنا ظهورُ رسول الله ﷺ خرجتُ وافداً عن قومي. حتى قدمت المدينة، فلقيت أصحابه قبل لقائه فقالوا: بَشَّرَنا بك رسول الله ﷺ من قبل أن تقدَم علينا بثلاثة أيام فقال: «قد جاءكم وائل بن حُجْر». ثم لقيني عليه السلام فرحب بي، وأدنى مجلسي، وبسط لي رداءه فأجلسني عليه ثم دعا في الناس فاجتمعوا إليه، ثم اطّلع المنبر وأطلعني معه وأنا دونه، ثم حمد الله وقال:

«يا أيها الناس: هذا وائل بن حُجر أتاكم من بلاد بعيدة؛ من بلاد حضرموت، طائعاً غير مكره، بقيةُ أبناء الملوك، بارك الله فيك يا حُجر وفي ولدك!».

ثم نزل وأنزلني منزلاً شاسعاً عن المدينة، وأمر معاوية بن أبي سفيان أن يبوئني إياه. فخرجت وخرج معي، حتى إذا كنا ببعض الطريق قال: يا وائل إن الرمضاء قد أصابت بطن قدمي فأردفني خلفك، فقلت: ما أضن عليك بهذه الناقة ولكن لستَ من أبناء الملوك وأكره أن أعيَّر بك. قال: فألْقِ إليَّ حذاءك أتوقَّى به من حر الشمس. قلت: ما أضن عليك بهاتين الجلدتين ولكن لست ممن يلبس لباس الملوك وأكره أن أعيَّر بك ـ فذكر الحديث. وفيه:

فلما ملك معاوية بعث رجلاً من قريش يقال له بُسْر بن أبي أرطأة فقال له: قد ضممت الناحية فاخرج بجيشك، فإذا خلَّفت أفواه الشام فضع سيفك فاقتل من أبى بيعتي حتى تصير إلى المدينة، ثم ادخل المدينة فاقتل من أبى بيعتي، وإن أصبت وائل بن حُجر حياً فأتني به. ففعل، وأصاب وائلاً حياً فجاء به إليه، فأمر معاوية أن يُتلقَّى، وأذن له فأجلسه معه على سريره. فقال له معاوية: أسريري هذا خير أم ظهر ناقتك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين كنتُ حديث عهد بجاهلية وكفر وكانت تلك سيرة الجاهلية، فقد أتانا الله بالإسلام فستر الإسلام ما فعلتُ. قال: فما منعك من نصرنا وقد أعدَّك عثمان ثقة وصُهراً؟ قلت: إنك قاتلت رجلاً هو أحق بعثمان منك! قال: وكيف يكون أحق بعثمان مني وأنا أقرب إلى عثمان في النسب؟ قلت: إن النبي ﷺ كان آخى بين علي وعثمان فالأخ أولى من ابن العم، ولست أقاتل المهاجرين. قال: أَوَلَسْنا المهاجرين؟ قلت: أَوَلَسْنا قد اعتزلناكما جميعاً؟ وحجة أخرى: حضرتُ رسول الله ﷺ وقد رفع رأسه

نحو المشرق وقد حضره جمع كثير، ثم ردَّ إليه بصره فقال: «أتتكم الفتن كقطع الليل المظلم»، فشدَّد أمرَها وعجَّله وقبَّحه. قلت له من بين القوم: يا رسول الله وما الفتن؟ قال: «يا وائل إذا اختلف سيفان في الإسلام فاعتزلهما. فقال: أصبحت شيعياً؟ فقلت: لا، ولكن أصبحت ناصحاً للمسلمين. فقال معاوية: لو سمعتُ ذا وعلمته ما أقدمتُك! قلت: أو ليس قد رأيتَ ما صنع محمد بن مسلمة عند مقتل عثمان؟ انتهى بسيفه إلى صخرة فضربه حتى انكسر. فقال: أولئك قوم يُحملون. قلت: فكيف نصنع بقول رسول الله ﷺ: «من أحب الأنصار فبحبي أحبهم ومن أبغض الأنصار فببغضي أبغضهم». فقال: اختر أيَّ البلاد شئت فإنك لست براجع إلى حضرموت. فقلت: عشيرتي بالشام وأهل بيتي بالكوفة. فقال: رجل من أهل بيتك خير من عشرة من عشيرتك. فقلت: ما رجعت إلى حضرموت سروراً بها وما ينبغي للمهاجر أن يرجع إلى الموضع الذي هاجر منه إلا من علّة. قال: وما علتك؟ قلت: قول رسول الله ﷺ في الفتن، فحيث اختلفتم اعتزلناكم وحيث اجتمعتم جئناكم، فهذه العلة. فقال: إني قد وليتك الكوفة فسر إليها. فقلت: ما ألي بعد النبي ﷺ لأحد؛ أما رأيت أبا بكر رضي الله عنه أرادني فأبيت، وأرادني عمر رضي الله عنه فأبيت، وأرادني عثمان رضي الله عنه فأبيت ولم أترك بيعته. جاءني كتاب أبي بكر حيث ارتد أهل ناحيتنا فقمت فيهم حتى ردَّهم الله إلى الإسلام بغير ولاية، فدعا عبد الرحمن بن أم الحكم فقال: سر فقد وليتك الكوفة وسر بوائل فأكرمه واقضِ حوائجه. فقال: يا أمير المؤمنين أسأت بي الظن! تأمرني بإكرام مَنْ قد رأيت رسول الله ﷺ أكرمه، وأبا بكر وعمر وعثمان وأنت. فسرَّ معاوية بذلك منه. فقدمت معه الكوفة فلم يلبث أن مات. قال الهيثمي (9/ 376): رواه الطبراني في الصغير والكبير وفيه محمد بن حُجر وهو ضعيف. انتهى.

وأخرج البيهقي (8/ 193) عن أبي المنهال قال: لما كان زمن أُخرج ابن زياد وثبت مروان بالشام حيث وثب، ووثب ابن الزبير بمكة، ووثب الذين كانوا يُدعون القُرَّاء بالبصرة. قال: غُمَّ أبي غماً شديداً، فقال: انطلق ـ لا أبا لك ـ إلى هذا الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أبي بَرْزَة الأسلمي رضي الله عنه. قال: فانطلقت معه حتى دخلنا عليه في داره، فإذا هو قاعد في ظل عُلْوٍ له من قصب في يوم حار شديد الحر. فجلسنا إليه فأنشأ أبي يستطعمه، قال: يا أبا برزة ألا ترى؟ ألا ترى؟ قال: فكان أول شيء تكلم به أن قال: إني أحتسبُ عند الله أني أصبحت ساخطاً على أحياء قريش، إنكم معشر العُرَيب كنتم على الحال الذي قد علمتم في جاهليتكم من القلَّة والذلّة والضلالة وإن الله عز وجل نعشكم بالإسلام وبمحمد ﷺ حتى بلغ بكم ما ترون، وإن هذه الدنيا التي أفسدت بينكم. إن ذاك الذي بالشام ـ يعني مروان ـ والله ما يقاتل إلا على الدنيا، وإن ذاك الذي بمكة ـ والله ـ إن يقاتل إلا على الدنيا، وإن الذين حولكم الذين تدعونهم قراءكم ـ والله ـ إن يقاتلون إلا على الدنيا؛ قال: فلما لم يدع أحداً قال له أبي: فما تأمرنا إذاً؟ قال: إني لا أرى خير الناس اليوم إلا عصابة مُلْبِدة ـ وقال بيده ـ خماصَ البطون من أموال الناس، خفاف الظهور من دمائهم. وأخرجه البخاري، والإسماعيلي، ويعقوب بن سفيان في تاريخه عن أبي المنهال بنحوه كما في «فتح الباري» (13/ 57).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 280) عن شِمْر بن عطية قال: قال حذيفة رضي الله عنه لرجل: أيسرك أنك قتلت أفجر الناس؟ قال: نعم، قال: إذاً تكون أفجر منه.

* * *

الاحتراز عن تضييع الرجل المسلم

أخرج البيهقي (9/ 42) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأله إذا حاصرتم المدينة كيف تصنعون؟ قال: نبعث الرجل إلى المدينة ونصنع له هَنَةً من جلود. قال: أرأيت إن رُميَ بحجر؟ قال: إذن يُقتلَ. قال: فلا تفعلوا، فوالذي نفسي بيده ما يسرني أن تفتتحوا مدينة فيها أربعة آلاف مقاتل بتضييع رجل مسلم. وأخرجه الشافعي مثله كما في «الكنز» (3/ 165) إلا أن عنده: هبيئاً من جلود.

* * *

استنقاذ المسلم من أيدي الكفار

أخرج ابن أبي شيبة عن عمر رضي الله عنه قال: لأن استنقذ رجلاً من المسلمين من أيدي الكفار أحب إليَّ من جزيرة العرب. كذا في «كنز العمال» (2/ 312).

* * *

ترويع المسلم

أخرج الطبراني عن أبي الحسن رضي الله عنه ـ وكان عَقَبِياً بَدْرِياً ـ قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقام رجل ونسي نعليه، فأخذهما رجل فوضعهما تحته. فرجع الرجل فقال: نعليَّ. فقال القوم: ما رأيناهما. فقال: هُوَذَهْ، فقال: «فكيف بروعة المؤمن؟!» ـ مرتين أو ثلاثاً ـ. كذا في «الترغيب» (4/ 263). قال الهيثمي (6/ 253): رواه الطبراني وفيه حسين بن عبد الله بن عبيد الله الهاشمي وهو ضعيف انتهى.

وأخرجه أيضاً ابن السَّكَن مثله كما في «الإصابة» (4/ 43).

وعند البزَّار والطبراني وأبي الشيخ ابن حبان في كتاب «التوبيخ» عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه أن رجلاً أخذ نعل رجل فغيَّبها وهو يمزح، فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: «لا تروِّعوا المسلم فإنَّ روعة المسلم ظلم عظيم». كذا في «الترغيب» (4/ 263). قال الهيثمي (6/ 253): وفيه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف.

وأخرج الطبراني في «الكبير» - ورواته ثقات - عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مسير فخفق رجل على راحلته، فأخذ رجل سهماً من كنانته فانتبه الرجل ففزع، فقال رسول الله ﷺ: «لا يحل لرجل أن يروِّع مسلماً».

وعند أبي داود عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه، ففزع، فقال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروِّع مسلماً». كذا في الترغيب (4/ 262).

وأخرج الطبراني عن سليمان بن صُرَد رضي الله عنه أن أعرابياً صلَّى مع رسول الله ﷺ ومعه قَرَن فأخذها بعض القوم؛ فلما سلَّم النبي ﷺ قال الأعرابي: القَرَن. فكأن بعض القوم ضحك. فقال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُرَوِّعنَّ مسلماً». قال الهيثمي (6/ 254): رواه الطبراني من رواية ابن عيينة عن إسماعيل بن مسلم، فإن كان هو العبدي فهو من رجال الصحيح، وإن كان هو المكِّي فهو ضعيف وبقية رجاله ثقات. انتهى.

* * *

الاستخفاف بالمسلم واحتقاره

أخرج ابن سعد (4/ 43) عن عائشة رضي الله عنها قالت: عَثَر أسامة رضي الله عنه على عتبة الباب أو أُسْكُفَّة الباب، فشجَّ جبهته، فقال: «يا عائشة أميطي عنه الدم» فتقذرتُه. قالت: فجعل رسول الله ﷺ يَمُصُّ شَجته ويمجه ويقول: «لو كان أسامة جارية لكسوته وحَلَّيته حتى أُنفِقَه». وأخرج ابن أبي شيبة (7/ 533) نحوه كما في «المنتخب» (5/ 135).

وعند الواقدي وابن عساكر عن عطاء بن يسار رضي الله عنه قال: كان أسامة بن زيد رضي الله عنهما قد أصابه الجُدَري أول ما قدم المدينة، وهو غلام مُخاطه يسيل على فيه فتقَذَّرتْه عائشة رضي الله عنها، فدخل رسول الله ﷺ فطفق يغسل وجهه ويقبله. فقالت عائشة: أما ـ والله ـ بعد هذا فلا أُقصيه أبداً. كذا في «المنتخب» (5/ 136).

وأخرج ابن سعد (4/ 44) أيضاً عن عروة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخَّر الإفاضة من عَرفَة من أجل أسامة بن زيد رضي الله عنهما ينتظره، فجاء غلام أفطس أسود، فقال أهل اليمن: إنما حبسنا من أجل هذا؟! قال: فلذلك كفر أهل اليمن من أجل ذا. قال ابن سعد: قلت ليزيد بن هارون: ما يعني بقوله كفر أهل اليمن من أجل هذا؟ فقال: ردَّتُهم حين ارتدوا في زمن أبي بكر رضي الله عنه إنما كانت لاستخفافهم بأمر النبي ﷺ. وأخرجه ابن عساكر عن عروة نحوه وفيه قال

عروة: إنما كفرت اليمن بعد وفاة النبي ﷺ من أجل أسامة. كذا في «المنتخب» (5/ 135).

وأخرج أبو عبيد عن الحسن أن قوماً قدموا على أبي موسى رضي الله عنه، فأعطى العرب وترك الموالي. فكتب إليه عمر رضي الله عنه: ألا سويتَ بينهم؟! بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كذا في «الكنز» (2/ 319). وعند أحمد في «الزهد» عن عمر رضي الله عنه قال: بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كذا في «الكنز» (2/ 172).

* * *

إغضاب المسلم

أخرج مسلم (2/ 304) عن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال رضي الله عنهم في نفر، فقالوا: ما أخذتْ سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. قال: فقال أبو بكر رضي الله عنه: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره فقال: يا أبا بكر لعلك أغضبتهم؟! لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك». فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 346) وابن عبد البر في «الاستيعاب» (2/ 181) عن عائذ بن عمرو نحوه.

وأخرج ابن عساكر عن صهيب أن أبا بكر - رضي الله عنه - مرَّ بأسير له يستأمن له من رسول الله ﷺ وصهيب جالس في المسجد، فقال لأبي بكر: من هذا الذي معك؟ قال: أسير لي من المشركين أستأمن له

من رسول الله ﷺ. فقال صهيب: لقد كان في عنق هذا موضع للسيف. فغضب أبو بكر. فرآه النبي ﷺ فقال: «ما لي أراك غضبان؟» قال: مررت بأسيري هذا على صهيب فقال: لقد كان في رقبة هذا موضع للسيف، فقال النبي ﷺ: «فلعلك آذيته»: فقال: لا والله، فقال: «لو آذيته لآذيت الله ورسوله». كذا في «كنز العمال» (7/ 49).

* * *

لعنُ المسلم

أخرج البخاري وابن جرير والبيهقي عن عمر رضي الله عنه أن رجلاً كان على عهد رسول الله ﷺ اسمه عبد الله، وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ قد جلده في الشراب. فأُتي به يوماً فأمر به فجُلد، فقال رجل من القوم: اللهمَّ العنه فما أكثر ما يُؤتى به. فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه فوالله - ما علمت - إنه يحب الله ورسوله».

وعند أبي يعلى (1/ 176) وسعيد بن منصور وغيرهما عنه أن رجلاً كان يلقب حماراً وكان يهدي إلى النبي ﷺ العُكَّة من السمن والعُكَّة من العسل. فإذا جاء صاحبه يتقاضاه جاء به إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أعطِ ثمن متاعه. فما يزيد النبي ﷺ أن يتبسم فيأمر به فيُعطى. فجيء به يوماً إلى رسول الله ﷺ وقد شرب الخمر فقال رجل - فذكر بنحوه. كذا في «الكنز» (3/ 107).

وأخرج عبد الرزاق عن زيد بن أسلم قال: أُتي بابن النعمان - رضي الله عنه - إلى النبي ﷺ فجلده، ثم أُتي به فجلده مراراً، أربعاً أو

خمساً. فقال رجل: اللهمَّ العنه، ما أكثر ما يشرب! وما أكثر ما يجلد! فقال النبي ﷺ: «لا تلعنه فإنَّه يحب الله ورسوله». كذا في «الكنز» (3/ 108). وعند ابن سعد (3/ 56) عن زيد بن أسلم قال: أُتي بالنعيمان أو ابن النعيمان إلى النبي ﷺ ـ فذكر نحوه.

وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أُتي بشارب فأمر النبي ﷺ أصحابه فضربوه؛ فمنهم من ضربه بنعله، ومنهم من ضربه بيده، ومنهم بثوبه. ثم قال: ارفعوا، ثم أمرهم فبكَّتوه. فقالوا: ألا تستحيي من رسول الله ﷺ تصنع هذا؟ ثم أرسله. فلما أدبر وقع القوم يدعون عليه ويسبُّونه، يقول القائل: اللهمّ اخزه، اللهم العنه. فقال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا هكذا ولا تكونوا للشيطان على أخيكم، ولكن قولوا: اللهمّ اغفر له، اللهمَّ اهده» وفي لفظ: «لا تقولوا هكذا، لا تعينوا الشيطان، ولكن قولوا: رحمك الله» كذا في «كنز العمال» (3/ 105).

وأخرج الطبراني بإسناد جيد عن سلَمَة بن الأكوع رضي الله عنه قال: كنا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه رأينا أنْ قد أتى باباً من أبواب الكبائر. كذا في «الترغيب» (4/ 251).

* * *

شتم المسلم

أخرج أحمد والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل فقعد بين يدي رسول الله ﷺ فقال: إن لي مملوكِين يكذبونني، ويخونونني، ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟ فقال

رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك، وعصوك، وكذّبوك، وعقابك إياهم (فإن كان عقابك إياهم) بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتُص لهم منك الفَضْل». فتنحَّى الرجل وجعل يهتف ويبكي. فقال له رسول الله ﷺ: (أما تقرأ قول الله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾) [الأنبياء: 47] فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء خيراً من مفارقتهم، أشهد أنهم كلَّهم أحرار. كذا في الترغيب (3/ 499)، وقال (5/ 464): إسناد أحمد والترمذي متصلان ورواتهما ثقات.

وأخرج أحمد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً شتم أبا بكر رضي الله عنه والنبي ﷺ جالس، فجعل النبي ﷺ يُعجبه ويتبسم. فلما أكثر ردَّ عليه بعض قوله. فغضب النبي ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر فقال: يا رسول الله كان يشتمني وأنت جالس فلما رددتُ عليه بعض قوله غضبت وقمت؟!! قال: «إنه كان معك مَلَك يردُّ عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان»، ثم قال: «يا أبا بكر ثلاث كلهن حق: ما من عبد ظُلم بمَظْلِمة فيغضي عنها لله عز وجل إلا أعز الله بها نَصْره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده بها كثرة، وما فتح باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلّة»: قال الهيثمي (8/ 190): رجال أحمد رجال الصحيح، ورواه أبو داود إلا أنه لم يذكر: ثم قال يا أبا بكر.

أخرج أحمد، واللالكائي في «السنة»، وأبو القاسم بن بُشران في «أماليه»، وابن عساكر عن البهي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما شتم المقداد رضي الله عنه، فقال عمر: عليَّ نذر إن لم أقطع لسانك!

فكلَّموه وطلبوا إليه. فقال عمر: دعوني حتى أقطع لسانه حتى لا يشتم بعدُ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ.

وعند ابن عساكر عن البهي قال: كان بين عبد الله بن عمر وبين المقداد - رضي الله عنهم - شيء، فنال منه عبد الله، فشكاه المقداد إلى أبيه، فنذر عمر ليقطعنَّ لسانه. فلَّما خاف ذلك من أبيه تحمل على أبيه بالرجال، فقال: دعوني فأقطعَ لسانه فتكون سنةً يُعمل بها من بعدي، لا يوجد رجل شتم رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ إلاَّ قُطع لسانه. كذا في «منتخب كنز العمال» (4/ 424).

* * *

الوقوع في المسلم

أخرج أبو نعيم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: وقع رجل عند النبي ﷺ في رجل، فقال له النبي ﷺ: «قُمْ، لا شهادة لك» قال: يا رسول الله فلست أعود. قال: «أصبحت تهزأ بالقرآن؟! ما آمن بالقرآن من استحل محارمه». كذا في «الكنز» (1/ 231).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 94) عن طارق بن شهاب قال: كان بين خالد وسعد رضي الله عنهما كلام. فذهب رجل يقع في خالد عند سعد، فقال: مَهْ، إنَّ ما بيننا لم يبلغ دِيْنَنا!!. وأخرجه الطبراني عن طارق مثله. قال الهيثمي (7/ 223): ورجاله رجال الصحيح. انتهى.

* * *

غيبة المسلم

أخرج عبد الرزاق وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

جاء الأسلمي نبيَّ الله فشهد على نفسه أنه أصاب امرأة حراماً أربع مرات. كلُّ ذلك يعرض عنه ـ فذكر الحديث. وفيه قال: فأمر به فرجم. فسمع النبي ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعْه نفسه حتى رُجم رجم الكلب. فسكت النبي ﷺ عنهما ثم سار ساعة حتى مرَّ بجيفة حمار شائل برجله. فقال: «أين فلان وفلان»؟ قالا: نحن ذان يا رسول الله، قال: «انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار» فقالا: يا نبي الله ـ غفر الله لك ـ من يأكل من هذا؟ قال: «فما نلتما من عرض أخيكما آنفاً أشد من أكل الميتة، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها». كذا في «الكنز» (3/ 93)، وأخرجه ابن حبَّان في «صحيحه» (4399) عن أبي هريرة نحوه. كما في «الترغيب» (4/ 288) وأخرجه البخاري في «الأدب» (108) نحوه مختصراً، وصحَّحه ابن حبان كما قاله الحافظ في «الفتح» (10/ 361).

وأخرج عبد الرزاق (13349) عن ابن المنكدر أن النبي ﷺ رجم امرأة فقال بعض المسلمين: حبط عمل هذه، فقال النبي ﷺ: «بل هذه كفَّارة لما عملت وتحاسب أنت بما عملت». كذا في «الكنز» (3/ 93).

وأخرج أبو داود والترمذي والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: حَسْبك من صفية كذا وكذا ـ قال بعض الرواة: تعني قصيرة ـ فقال: «لقد قلت كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته ـ» قالت: وحكيتُ له إنساناً، فقال: «ما أحب أن حكيت لي إنساناً وإن لي كذا وكذا». قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وعند أبي داود أيضاً عنها أنه اعتلَّ بعير لصفية بنت حُيَي وعند زينب فَضْل ظَهْر ـ رضي الله عنهما ـ، فقال النبي ﷺ لزينب: «أعطيها بعيراً»، فقالت: أنا أعطي تلك اليهودية؟ فغضب رسول الله ﷺ فهجر ذا الحجة والمحرَّم وبعض صفر.

كذا في «الترغيب» (4/ 284). وأخرجه ابن سعد (8/ 127) نحوه، وفي حديثه: فتركها رسول الله ﷺ ذا الحجة والمحرَّم شهرين أو ثلاثة لا يأتيها. قالت زينب: حتى يئستُ منه.

وعند ابن أبي الدنيا عنها قالت: قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي ﷺ: إن هذه لطويلة الذيل، فقال: «الفظي، الفظي» فلفظتُ بَضْعة من لحم. كذا في «الترغيب» (4/ 284).

وأخرج ابن سعد (8/ 128) عن زيد بن أسلَم أن نبي الله ﷺ في الوجع الذي توفي فيه اجتمع إليه نساؤه، فقالت صفية بنت حيي: أما والله يا نبي الله لوددتُ أنَّ الذي بك بي. فغمزنَها أزواج النبي ﷺ، وأبصرهنَّ رسول الله ﷺ، فقال: «مَضْمِضْن» فيقلن: من أيِّ شيء يا نبي الله، قال: «من تغامزكن بصاحبتكن، والله إنَّها لصادقة!» وسنده حسن كما في الإصابة (4/ 348). وأخرجه ابن سعد أيضاً (2/ 313) من طريق عطاء بن يسار بمعناه.

وأخرج أبو يَعْلى والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ، فقام رجل، فقالوا: يا رسول الله ما أعجزه! أو قالوا: ما أضعف فلاناً! فقال النبي ﷺ: «اغتبتم صاحبكم وأكلتم لحمه». ولفظ الطبراني: أن رجلاً قام من عند النبي ﷺ فرأوا في قيامه عَجْزاً، فقالوا: ما أَعجز فلانٌ! فقال رسول الله ﷺ: «أكلتم أخاكم واغتبتموه». كذا في «الترغيب» (4/ 285) قال الهيثمي (8/ 94): وفي إسنادهما محمد بن أبي حُمَيد ويقال له حَمَّاد وهو ضعيف جداً ـ انتهى.

وأخرجه الطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه بمعنى السياق الأول وزاد فيه: قالوا: يا رسول الله قلنا ما فيه، قال: «إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه». قال الهيثمي (8/ 94): وفيه علي بن عاصم وهو ضعيف.

وأخرج الأصبهاني بإسناد حسن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنهم ذكروا عند رسول الله ﷺ رجلاً، فقالوا: لا يأكل حتى يُطعم، ولا يرحل حتى يُرحَّل له. فقال النبي ﷺ: «اغتبتموه». فقالوا: يا رسول الله إنما حدثنا بما فيه. قال: «حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه كذا في «الترغيب» (4/ 285).

وأخرج ابن أبي شَيْبة والطبراني - واللفظ له - ورواته رواة الصحيح - عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ، فقام رجل، فوَقَع فيه رجل من بعده، فقال النبي ﷺ: «تحلَّل» فقال: وممَّ أتحلَّل؟ قال: «إنك أكلت لحم أخيك!» كذا في «الترغيب» (4/ 285). وفيما نقل الهيثمي (8/ 94): «تخلَّل»، فقال: وممَّ أتخلل يا رسول الله، (ما) أكلت لحماً؟!

وأخرج أبو داود والطيالسي وابن أبي الدنيا في «ذم الغيبة» والبيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أمر النبي ﷺ الناس بصوم يوم وقال: «لا يُفطرنَّ أحد منكم حتى آذن له»، فصام الناس حتى إذا أمسَوا، فجعل الرجل يجيء فيقول: يا رسول الله إني ظللت صائماً فائذنْ لي فأفطر. فيأذن له، الرجل والرجل، حتى جاء رجل فقال: يا رسول الله فتاتان من أهلِك ظلتا صائمتين وإنهما تستحييان أن تأتياك فأذن لهما فلتُفطرا. فأعرض عنه. ثم عاوده فأعرض عنه، ثم عاوده فأعرض عنه، ثم عاوده فأعرض عنه. فقال: «إنهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس؟! اذهب فمُرهما إن كانتا صائمتين فلتستقيئا» فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا، فقاءت كل واحدة علقة من دم. فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: «والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار».

وأخرجه أحمد وابن أبي الدنيا أيضاً والبيهقي من رواية رجل لم يُسمَّ عن عُبَيد مولى رسول الله ﷺ بنحوه؛ إلا أن أحمد قال: فقال لإحداهما: «قيئي»، فقاءت قيحاً ودماً وصديداً ولحماً حتى ملأت نصف القدح، ثم قال للأخرى: «قيئي»، فقاءت من قيح ودم وصديد ولحم عبيط وغيره حتى ملأت القدح. ثم قال: «إنَّ هاتين صامتا عما أحلَّ الله لهما وأفطرتا على ما حرّم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان من لحوم الناس» كذا في «الترغيب» (4/ 286).

وأخرج الحافظ الضياء المقدسي في كتابه «المختارة» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت العرب تخدم بعضها بعضاً في الأسفار، وكان مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما رجل يخدمهما، فناما فاستيقظا ولم يهيىء لهما طعاماً. فقالا: إن هذا لنؤوم. فأيقظاه، فقالا له: ائت رسول الله ﷺ فقل له: إن أبا بكر وعمر يُقرئانك السلام ويستأدمانك. فقال ﷺ: «إنهما قد ائتدما»، فجاءا فقالا: يا رسول الله بأي شيء ائتدمنا؟ فقال ﷺ: «بلحم أخيكما! والذي نفسي بيده إني لأرى لحمه بين ثناياكما». فقالا رضي الله عنهما: استغفر لنا يا رسول الله. فقال ﷺ: «مُراه فليستغفر لكما» كذا في التفسير لابن كثير (4/ 216).

* * *

التجسس على عورات المسلم

أخرج عبد الرزاق وعبد بن حُمَيد والخرائطي عن المِسْور بن مَخْرَمة عن عبد الرحمن بن عوف أنه حرس مع عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ ليلةً المدينة، فبينما هم يمشون شبَّ لهم سراج في بيت، فانطلقوا يؤمونه، فلما دنوا منه إذا باب مُجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولَغَط. فقال عمر ـ وأخذ بيد عبد الرحمن بن عوف ـ: أتدري بيت من هذا؟ قال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خَلَف وهم الآن شَرْب فما ترى؟ قال: أرى أن قد أتينا ما نهى الله عنه، قال الله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: 12] فقد تجسسنا. فانصرف عنهم عمر رضي الله عنه وتركهم.

وأخرج ابن المنذر وسعيد بن منصور عن الشَّعْبي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد رجلاً من أصحابه، فقال لابن عوف رضي الله عنه: انطلق بنا إلى منزل فلان فننظر. فأتيا منزله فوجدا بابه مفتوحاً وهو جالس وامرأته تصب له في الإناء فتناوله إياه، فقال عمر لابن عوف: هذا الذي شغله عنا. فقال ابن عوف لعمر: وما يُدريك ما في الإناء؟ فقال عمر: أتخاف أن يكون هذا هو التجسس؟ قال: بل هو التجسس. قال: وما التوبة من هذا؟ قال: لا تُعلمه بما اطَّلعت عليه من أمره، ولا يكونَنَّ في نفسك إلاَّ خيراً، ثم انصرفا. كذا في «الكنز» (2/ 167).

وأخرج عبد الرزاق عن طاوس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

خرج ليلة يحرس رُفقة نزلت بناحية المدينة، حتى إذا كان في بعض الليل مر ببيت فيه ناس يشربون، فناداهم أفسقاً؟ أفسقاً؟ فقال بعضهم: قد نهاك الله عن هذا! فرجع عمر وتركهم. كذا في «الكنز» (2/ 141).

وأخرج الخرائطي عن ثَور الكندي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يَعُس بالمدينة من الليل، فسمع صوت رجل في بيت يتغنَّى، فتسوَّر عليه فقال: يا عدو الله، أظننت أن الله يسترك وأنت في معصية؟ فقال: وأنت يا أمير المؤمنين لا تعجل عليَّ؛ إن أكن عصيت الله واحدة فقد عصيت الله في ثلاث! قال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ وقد تجسست. وقال: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: 189] وقد تسوَّرت عليَّ، ودخلت عليَّ بغير إذن! وقال الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: 27] قال عمر: فهل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: نعم. فعفا عنه وخرج وتركه. كذا في «الكنز» (2/ 167).

وأخرج أبو الشيخ عن السُّدِّي قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإذا هو بضوء نار ومعه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فأَتْبَع الضوء حتى دخل داراً فإذا بسراج في بيت، فدخل وذلك في جوف الليل، فإذا شيخ جالس وبين يديه شراب وقَيْنة تغنِّيه، فلم يشعر حتى هجم عليه عمر، فقال عمر: ما رأيت كالليلة منظراً أقبح من شيخ ينتظر أجله!! فرفع رأسه إليه، فقال: بلى، يا أمير المؤمنين ما صنعت أنت أقبح! تجسست وقد نُهي عن التجسس، ودخلت بغير إذن؟ فقال عمر: صدقت. ثم خرج عاضاً على ثوبه يبكي وقال: ثكلت عمر أمه إن لم يغفر له ربه، يجد هذا كان يستخفي به من أهله فيقول الآن رآني عمر فيتتابع فيه. وهجر الشيخ مجلس عمر حيناً، فبينا عمر بعد ذلك جالس إذ به قد جاء شبه المستخفي حتى جلس في أخريات الناس، فرآه عمر

فقال: عليَّ بهذا الشيخ، فأُتي فقيل له: أجب. فقام وهو يرى أن عمر سيسوؤه بما رأى منه، فقال عمر: ادنُ مني، فما زال يدنيه حتى أجلسه بجنبه، فقال: أدنِ مني أذنك، فالتقم أذنه فقال: أما والذي بعث محمداً بالحق رسولاً ما أخبرت أحداً من الناس بما رأيت منك ولا ابن مسعود فإنه كان معي. فقال: يا أمير المؤمنين أدنِ مني أذنك، فالتقم أذنه فقال: ولا أنا والذي بعث محمداً بالحق رسولاً ما عدت إليه حتى جلست مجلسي هذا. فرفع عمر صوته يكبِّر، فما يدري الناس من أي شيء يكبر. كذا في «الكنز» (2/ 141).

وأخرج الطبراني عن أبي قِلابة أن عمر رضي الله عنه حُدِّث أن أبا محجن الثقفي يشرب الخمر في بيته هو وأصحاب له، فانطلق عمر حتى دخل عليه، فإذا ليس عنده إلا رجل، فقال أبو محجن: يا أمير المؤمنين إن هذا لا يحل لك قد نهاك الله عن التجسس. فقال عمر: ما يقول؟ فقال له زيد بن ثابت وعبد الرحمن بن الأرقم ـ رضي الله عنهما ـ: صدق يا أمير المؤمنين، هذا من التجسس، فخرج عمر وتركه. كذا في «الكنز» (2/ 141).

* * *

سَتْر المسلم

أخرج هَنَّاد والحارث عن الشَّعْبي أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: إنَّ لي ابنة كنت وأدتها في الجاهلية فاستخرجناها قبل أن تموت، فأدركت معنا الإسلام فأسلمت، فلما أسلمت أصابها حدٌّ من حدود الله تعالى، فأخذتِ الشفرة لتذبح نفسها فأدركناها وقد قطعت بعض أوداجها فداويناها حتى برئت، ثم أقبلت بعد بتوبة حسنة وهي تُخطب إلى قوم فأخبرتهم من شأنها بالذي كان، فقال عمر: أتعمِد إلى ما ستر الله فتبديه؟ والله لئن أخبرت بشأنها أحداً من الناس لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار، بل أنكِحْها نكاح العفيفة المسلمة. كذا في «الكنز» (2/ 150).

وعند سعيد بن منصور والبيهقي عن الشَّعْبي أن جارية فَجَرت فأُقيم عليها الحد، ثم إنهم أقبلوا مهاجرين فتابت الجارية وحسنت توبتها، فكانت تُخطب إلى عمها فيكره أن يزوجها حتى يخبر بما كان من أمرها، وجعل يكره أن يُفشي ذلك عليها، فذكر أمرها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: زوِّجوها كما تزوِّجوا صالحي فتياتكم. كذا في «الكنز» (8/ 296).

وأخرج البيهقي عن الشَّعبي قال: جاءت امرأة إلى عمر رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين إني وجدت صبياً ووجدت قُبْطية فيها مائة دينار، فأخذته واستأجرت له ظِئراً، وإن أربع نسوة يأتينه ويقبلنه لا أدري

أيتهنَّ أمه؟ فقال لها: إذا هنَّ أتينك فأعلميني. ففعلت، فقال لامرأة منهن: أيتكن أم هذا الصبي؟ فقالت: والله ما أحسنت ولا أجملت يا عمر! تعمد إلى امرأة ستر الله عليها فتريد أن تهتك سترها، قال: صدقت؛ ثم قال للمرأة: إذا أتينَك فلا تسأليهن عن شيء وأحسني إلى صبيهن، ثم انصرف. كذا في «الكنز» (7/ 329).

وأخرج عبد الرزاق عن صالح بن كرز أنه جاء بجارية له زنت إلى الحكم بن أيوب. قال: فبينا أنا جالس إذ جاء أنس بن مالك رضي الله عنه فجلس، فقال: يا صالح ما هذه الجارية معك؟ قلت: جارية لي بغت فأردت أن أرفعها إلى الإمام ليقيم عليها الحد، فقال: لا تفعل، ردَّ جاريتك واتَّقِ الله، واستر عليها. قلت: ما أنا بفاعل؟ قال: لا تفعل وأطعني، فلم يزل يراجعني حتى رددتها. كذا في «الكنز» (3/ 94).

وأخرج أبو داود والنَّسائي عن دُخَير أبي الهيثم كاتب عُقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت لعقبة بن عامر إن لنا جيراناً يشربون الخمر وأنا داع لهم الشرط ليأخذوهم، قال: لا تفعل وعِظهم وهددهم. قال: إني نهيتهم فلم ينتهوا وأنا داعٍ لهم الشُرَط ليأخذوهم. فقال عقبة: ويحك لا تفعل؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر عورة فكأنما استحيا مؤودة في قبرها» كذا في «الترغيب» (4/ 17). وقال: رواه أبو داود والنَّسائي بذكر القصة وبدونها، وابن حبّان في صحيحه واللفظ له، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، قال المنذري: رجال أسانيدهم ثقات، ولكن اختلف فيه على إبراهيم بن نَشِيط اختلافاً كثيراً.

وأخرج البخاري في «الأدب» (188) عن بلال بن سعد الأشعري أن معاوية ـ رضي الله عنه ـ كتب إلى أبي الدرداء رضي الله عنه: اكتب إلى فُساق دمشق، فقال: ما لي وفُسّاق دمشق ومن أين أعرفهم؟ فقال

ابنه بلال: أنا أكتبهم. فكتبهم: قال: من أين علمت؟ ما عرفتَ أنهم فساق إلا وأنت منهم، ابدأ بنفسك، ولم يرسل بأسمائهم.

وأخرج ابن سعد عن الشَّعبي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في بيت ومعه جرير بن عبد الله رضي الله عنه، فوجد عمر ريحاً، فقال: عزمت على صاحب هذه الريح لمَّا قام فتوضأ. فقال جرير: يا أمير المؤمنين أو يتوضأ القوم جميعاً؟ فقال عمر: رحمك الله! نعم السيد كنت في الجاهلية! نعم السيد أنت في الإِسلام! كذا في «الكنز» (2/ 151).

* * *

الصفح والعفو عن المسلم

أخرج البخاري عن علي رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد - رضي الله عنهم - فقال: «انطلقوا حتى تأتوا رَوضة خاخ فإنَّ بها ظَعينة معها كتاب فخذوه منها». فانطلقنا تَعادَى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا (لها): أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي، فقلنا: لَتُخرِجِنَّ الكتاب أو لنُلقِينَّ الثياب؟ قال: فأخرجته من عِقاصها. فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بَلتَعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال: «يا حاطب ما هذا؟» فقال: يا رسول الله لا تعجل عليَّ، إني كنت امرأ مُلصقاً في قريش - يقول: كنت حليفاً - ولم أكن من أنفُسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه قد صدقكم». فقال عمر: يا رسول الله دَعْني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعلَّ الله قد اطَّلع على من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله سورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ إلى قوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: 1]. وأخرجه بقية الجماعة إلاَّ ابن ماجه، وقال الترمذي: حسن صحيح. كذا في «البداية» (4/ 284).

وعند أحمد من حديث جابر رضي الله عنه ـ فذكر الحديث وفيه قال: أما إني لم أفعله غشّاً لرسول الله ﷺ ولا نفاقاً، قد علمت أن الله مظهرٌ رسوله، ومتمٌّ له أمره، غير أني كنت غريباً بين ظهرانيهم، وكانت والدتي معهم، فأردت أن أتخذ يداً عندهم. فقال له عمر رضي الله عنه: ألا أضرب رأس هذا؟ فقال: «أتقتل رجلاً من أهل بدر؟ وما يدريك لعلَّ الله قد اطَّلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم!» تفرَّد بهذا الحديث من هذا الوجه الإمام أحمد وإسناده على شرط مسلم. كذا في «البداية» (4/ 284)، وقال الهيثمي (9/ 303): رواه أحمد وأبو يَعْلَى (1/ 394) ورجال أحمد رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه الحاكم أيضاً كما في «الكنز» (7/ 137)، وأخرجه أيضاً أبو يعلى والبزّار (2695) والطبراني عن عمر. قال الهيثمي (9/ 304): ورجالهم رجال الصحيح ـ اهـ. وأحمد وأبو يَعْلَى عن ابن عمر رضي الله عنهما، ورجال أحمد رجال الصحيح، كما قال الهيثمي (9/ 303).

وأخرج أبو يعلى (1/ 328) عن أبي مطر: قال: رأيت علياً رضي الله عنه أُتي برجل فقالوا: إنه قد سرق جملاً. فقال: ما أراك سرقت؟ قال: بلى، قال: فلعله شُبِّه لك؟ قال: بلى قد سرقت. قال: فاذهب به يا قَنْبر فشدَّ أصبعه وأوقد النار وادع الجزار ليقطع، ثم انتظر حتى أجيء. فلما جاء قال له: أسرقت؟ قال: لا. فتركه؛ قالوا: يا أمير المؤمنين لم تركته وقد أقرَّ لك؟ قال: آخذه بقوله وأتركه بقوله، ثم قال علي رضي الله عنه: أُتي رسول الله ﷺ برجل قد سرق فأمر فقطع يده ثم بكى، فقلت: لم تبكي؟ قال: «كيف لا أبكي؟ وأمتي تقطع بين أظهركم!» قالوا: يا رسول الله أفلا عفوت عنه؟ قال: «ذاك سلطان سوء الذي يعفو عن الحدود، ولكن تَعافَوا الحدود بينكم». كذا في «الكنز» (3/ 117).

وأخرج عبد الرزاق (13519) وابن أبي الدنيا وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم والبيهقي (8/ 326) عن أبي ماجد الحنفي أن ابن مسعود رضي الله عنه أتاه رجل بابن أخيه وهو سكران فقال: إني وجدت هذا سكران، فقال: ترتروه، ومزمزوه، واستنهكوه، فترتروه ومزمزوه واستنهكوه، فوجدوا منه ريح شراب، فأمر به عبد الله إلى السجن، ثم أخرجه من الغد، ثم أمر بسوط فدُقَّت ثمرته حتى آضت له مخفقة ـ يعني صارت ـ ثم قال للجلاد: اضرب وارجع يدك وأعط كل عضو حقه، فضربه عبد الله ضرباً غير مبرِّح وارجعه. قيل يا أبا ماجد، ما المبرِّح؟ قال: ضرب الأمراء. قيل: فما قوله ارجع يدك؟ قال: لا يتمطَّى ولا يُرى إبطه. قال: فأقامه في قَباء وسراويل ثم قال: بئس لعمرو الله والي اليتيم هذا، ما أدبتَ فأحسنت الأدب، ولا سترت الخزية. ثم قال عبد الله: إن الله غفور يحب الغفور، وإنه لا ينبغي لوالٍ أن يؤتى بحد إلا أقامه، ثم أنشأ عبد الله يحدِّث قال: أول رجل قُطع من المسلمين رجل من الأنصار أُتيَ به رسول الله فكأنما أُسِفَّ في وجه رسول الله ﷺ رماد ـ يعني ذرّ عليه رماد ـ فقالوا: يا رسول الله، كأن هذا شق عليك؟ فقال النبي ﷺ: «وما يمنعني وأنتم أعوان الشيطان على صاحبكم، إن الله غفور يحب العفو، وإنه لا ينبغي لوالٍ أن يُؤتى بحد إلا أقامه». ثم قرأ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوٓا۟﴾.

وعند **عبد الرزاق** (13318) عن عمرو بن شعيب رضي الله عنه قال: إن أول حد أقيم في الإسلام لرجل أتي به رسول الله ﷺ، فشُهد عليه، فأمر به النبي ﷺ أن يقطع، فلما حُدَّ الرجل نُظر إلى وجه رسول الله ﷺ كأنما سُفي فيه الرماد، فقالوا: يا رسول الله كأنه اشتدَّ عليك قَطع هذا؟ قال: «وما يمنعني وأنتم أعوان الشيطان على أخيكم»،

قالوا: فأرسله، قال: فهلاً قبل أن تأتيني به، إن الإمام إذا أتي له بحدٍّ لم ينبغ له أن يعطِّله». كذا في «الكنز» (3/ 83 و89).

وأخرج البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت مع عمر في حج أو عمرة، فإذا نحن براكب، فقال عمر: أرى هذا يطلبنا، فجاء الرجل فبكى، قال: ما شأنك؟ إن كنتَ غارماً أعنّاك، وإن كنت خائفاً آمنّاك؛ إلا أن تكون قتلت نفساً فتقتل بها، وإن كنت كرهت جوار قوم حوَّلناك عنهم. قال: إني شربت الخمر وأنا أحد بني تَيْم، وإنَّ أبا موسى جلدني وحلقني وسوَّد وجهي وطاف بي الناس، وقال: لا تجالسوه ولا تواكلوه، فحدَّثت نفسي بإحدى ثلاث: إما أن أتخذ سيفاً فأضرب به أبا موسى، وإما أن آتيك فتحوِّلني إلى الشام فإنهم لا يعرفونني، وإما أن ألحق بالعدو فآكل معهم وأشرب. فبكى عمر وقال: ما يسرني أنك فعلت وإن لعمر كذا وكذا، وإني كنت لأشرَبَ الناس لها في الجاهلية، وإنها ليست كالزنى، وكتب إلى أبي موسى:

«سلام عليك. أما بعد: فإن فلان بن فلان التَّيْمي أخبرني بكذا وكذا، وايْمُ الله إني إن عُدتَ لأسودنَّ وجهك ولأطوفنَّ بك في الناس، فإن أردت أن تعلم حقَّ ما أقول لك فعُد فَأْمُرِ الناس أن يجالسوه ويواكلوه، فإن تاب فاقبلوا شهادته».

وحمله وأعطاه مائتي درهم. كذا في «الكنز» (3/ 107).

* * *

تأويل فعل المسلم

أخرج ابن سعد عن أبي عَون وغيره أن خالد بن الوليد رضي الله

عنه ادَّعى أن مالك بن نُوَيرة ارتد بكلام بلغه عنه، فأنكر مالك ذلك وقال: أنا على الإسلام ما غيَّرت ولا بدّلت. وشهد له أبو قتادة وعبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهم ـ فقدَّمه خالد وأمر ضرار بن الأَزوَر الأسدي رضي الله عنه فضرب عنقه، وقبض خالد امرأته أم مُتَمِّم فتزوجها. فبلغ عمر بن الخطاب قتلُه مالك بن نُوَيرة وتزويجه امرأته، فقال لأبي بكر رضي الله عنه: إنه قد زنى فارجمه. فقال أبو بكر: ما كنت لأرجمه تأوَّل فأخطأ. قال: فإنه قد قتل مسلماً فاقتله. قال: ما كنت لأقتله تأوَّل فأخطأ. قال: فاعزله، قال: ما كنت لأشيم سيفاً سلَّه الله عليهم أبداً. كذا في «الكنز» (3/ 132).

* * *

بغض الذنب لا المذنب

أخرج ابن عساكر عن أبي قلابة أن أبا الدرداء رضي الله عنه مرّ على رجل قد أصاب ذنباً فكانوا يسبونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قَليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى، قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم. قالوا: أفلا تُبغضه؟ قال: إنما أُبغض عمله، فإذا تركه فهو أخيه. كذا في «الكنز» (2/ 174). وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 225) عن أبي قلابة مثله، وأخرج أيضاً (4/ 205) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا رأيتم أخاكم قارف ذنباً فلا تكونوا أعواناً للشيطان عليه تقولوا: اللهمَّ اخزه، اللهم العنه، ولكن سَلُوا الله العافية، فإنا أصحابَ محمد ﷺ كنا لا نقول في أحد شيئاً حتى نعلم علامَ يموت، فإن خُتم له بخير علمنا أنه قد أصاب خيراً، وإن خُتم له بشر خفنا عليه.

سلامة الصدر من الغش والحسد

أخرج أحمد بإسناد حسن والنَّسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنَّا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة»، فطلع رجل من الأنصار تَنْطُف لحيته من وَضوئه، قد علَّق نعلَيه بيده الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول؛ فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقال: إني لاحيت أبي، فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت. قال: نعم. قال أنس: فكان عبد الله يحدِّث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يرَه يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعارَّ - تقلَّب على فراشه - ذكر الله عز وجل وكبَّر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً. فلما مضت الثلاث الليالي وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلعت أنت الثلاث المرات، فأردت أن آوي إليك فأنظر ما عملك فأقتدي بك، فلم أرك عملت كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلاَّ ما رأيت، فلمَّا ولَّيت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسُد أحداً على خير أعطاه الله إياه. فقال

عبد الله: هذه التي بلغت بك. ورواه أبو يعلى والبزار (1981) بنحوه وسمَّى الرجل المبهم سعداً، وقال في آخره، فقال سعد: ما هو إلا ما رأيت يا بن أخي إلا أني لم أبت ضاغناً على مسلم - أو كلمة نحوها - زاد النَّسائي في رواية له والبيهقي والأصبهاني: فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق. كذا في «الترغيب» (4/ 328). قال الهيثمي (8/ 79): رجال أحمد رجال الصحيح وكذلك أحد إسنادي البزار إلا أن سياق الحديث لابن لهيعة - اهـ. وقال ابن كثير في «تفسيره» (4/ 338) لحديث أحمد: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين. اهـ. وأخرجه أيضاً ابن عساكر ورجاله رجال الصحيح وسمَّى الرجل سعد بن أبي وقاص، وفي آخره: فقال: ما هو إلا الذي قد رأيت؛ غير أني لا أجد في نفسي سوءاً لأحد من المسلمين ولا أقوله، وقال: هذه التي قد بلغت بك وهي التي لا أُطيق. كذا في «الكنز» (7/ 43).

وأخرج ابن سعد (3/ 102) عن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: دُخل على أبي دجانة رضي الله عنه وهو مريض وكان وجهه يتهلل، فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عملي شيء أوثق عندي من اثنتين: أما إحداهما فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وأما الأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً.

* * *

الفرح بحسن حال المسلمين

أخرج الطبراني عن ابن بُرَيدة الأسلمي قال: شتم رجل ابن عباس رضي الله عنهما فقال ابن عباس: إنك لتشتمني وإن فيَّ ثلاث خصال: إني لآتي على الآية في كتاب الله فلوددتُ أن جميع الناس يعلمون ما أعلم، وإن لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح ولعلي لا أُقاضى إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح وما لي به سائمة. قال الهيثمي (9/ 284): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه البيهقي كما في الإصابة (2/ 334) وأبو نُعيم في «الحلية» (1/ 322) نحوه.

* * *

مداراة الناس

أخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن رجل على رسول الله ﷺ، فقال: «بئس ابن العشيرة»، فلما دخل هشَّ له رسول الله ﷺ وانبسط، ثم خرج، فاستأذن رجل آخر فقال رسول الله ﷺ: «نعم ابن العشيرة»، فلما دخل لم ينبسط وإليه لم يَهش له كما هشَّ للآخر؛ فلما خرج قلت: يا رسول الله استأذن فلان فقلت له ما قلت، ثم هَشَشْت له وانبسطت، وقلت لفلان ما قلت ولم أرك صنعت به ما صنعت بالآخر؟ فقال: «يا عائشة إنَّ من شرار الناس من اتُّقِيَ لفُحشه». قال الهيثمي (8/ 17): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وفي الصحيح بعضه. انتهى. وأخرجه البخاري في «الأدب» (ص190) مختصراً.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (4/ 191) عن صفوان بن عسَّال رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فأقبل رجل، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال: «بئس أخو العشيرة وبئس الرجل»، فلما دنا منه أدنى مجلسه، فلما قام وذهب قالوا: يا رسول الله حين أبصرته قلت: بئس أخو العشيرة وبئس الرجل، ثم أدنيت مجلسه؟! فقال رسول الله ﷺ: «إنَّه منافق أداريه عن نفاقه، فأخشى أن يُفسد عليَّ غيره». قال أبو نُعيم: هذا حديث غريب.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن بُرَيدة رضي الله عنه قال: كنَّا عند رسول الله ﷺ، فأقبل رجل من قريش، فأدناه رسول الله ﷺ وقرَّبه،

فلما قام قال: «يا بريدة أتعرف هذا؟» قلت: نعم، هذا أوسط قريش حسباً وأكثرهم مالاً - ثلاثاً - فقلت: يا رسول الله قد أنبأتك بعلمي فيه فأنت أعلم؛ فقال: «هذا ممّن لا يقيم الله له يوم القيامة وزناً». قال الهيثمي (8/ 17): وفيه عَوْن بن عُمارة وهو ضعيف. انتهى.

وأخرج **أبو نعيم** في «الحلية» (1/ 222) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم. وأخرجه ابن أبي الدنيا وإبراهيم الحربي في «غريب الحديث» والدِينوري في «المجالسة» عن أبيِ الدرداء - فذكر مثله وزاد: «ونضحك إليهم»، كما في فتح الباري (10/ 403). وهكذا أخرجه ابن عساكر كما في «الكنز» (2/ 162).

* * *

استرضاء المسلم

أخرج البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر رضي الله عنه آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي ﷺ: «أمَّا صاحبكم فقد غامر»، فسلّم فقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى عليَّ، فأقبلت إليك، فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر» ـ ثلاثاً ـ ثمَّ إنَّ عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فقال: أثَمَّ أبو بكر؟ قالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ (فسلَّم)، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعَّر حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه فقال: يا رسوّل الله ـ والله ـ أنا كنت أظلَمَ ـ مرتين ـ فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله أرسلني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي» ـ مرتين ـ فما أُوذي بعدها. كذا في «صفة الصفوة» (1/ 92).

وعند الطبراني عن ابن عمر أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ نال من عمر شيئاً، ثم قال: استغفر لي يا أخي. فغضب عمر، فقال ذلك مرات، فغضب عمر، فذُكر ذلك للنبي ﷺ وانتهوا إليه وجلسوا، فقال رسول الله ﷺ: «يسألك أخوك أن تستغفر له فلا تفعل؟» فقال: والذي بعثك بالحق نبياً ما من مرة يسألني إلا وأنا أستغفر له، وما من خلق الله أحب إليَّ بعدك منه. فقال أبو بكر: وأنا والذي بعثك بالحق ما من أحد بعدك أحب إليَّ منه. فقال رسول الله ﷺ: «لا تؤذوني في صاحبي، فإن

الله عز وجل بعثني بالهدى ودين الحق فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدقت، ولولا أن الله عز وجل سمّاه صاحباً لاتخذته خليلاً، ولكن أخوّة لله، ألا فسدُّوا كل خَوْخة إلاَّ خَوْخة ابن أبي قحافة». قال الهيثمي (9/ 45): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ـ اهـ.

وأخرج ابن سعد (8/ 100) عن عائشة رضي الله عنها قال: دعتني أم حبيبة ـ رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ عند موتها، فقالت: قد كان يكون بيننا وبين الضرائر، فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك، فقلت: غفر الله لك ذلك كله وتجاوز وحلَّلك من ذلك، فقالت: سررتني سرّك الله، وأرسلت إلى أم سَلَمة فقالت لها مثل ذلك.

وأخرج البيهقي (6/ 301) عن الشَّعْبي قال: لمَّا مرضت فاطمة رضي الله عنها أتاها أبو بكر الصديق رضي الله عنه فاستأذن عليها، فقال علي رضي الله عنه: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك. فقالت: أتحبُّ أن آذن له؟ قال: نعم. فأذنت له، فدخل عليها يترضَّاها وقال: والله ما تركتُ الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسوله ومرضاتكم أهل البيت. ثم ترضَّاها حتى رضيت. قال البيهقي: هذا مرسل حسن بإسناد صحيح ـ اهـ. وأخرج ابن سعد (8/ 27) عن عامر (الشَّعْبي) بنحوه مختصراً.

وأخرج ابن المنذر عن الشَّعْبي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إني لأبغض فلاناً. فقيل للرجل: ما شأن عمر يبغضك؟ فلما كثر القوم في الدار جاء فقال: يا عمر، أَفَتَقْتُ في الإسلام فتقاً؟ قال: لا، قال: فجنيت جناية؟ قال: لا، قال: أحدَثْتُ حدثاً؟ قال: لا، قال: فعلامَ تبغضني؟ وقال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 58] فقد آذيتني فلا غفر الله

لك. فقال عمر: صدق، والله ما فتق فتقاً، ولا، ولا، فاغفرها لي، فلم يزل به حتى غفر له. كذا في «الكنز» (1/ 260).

وأخرج البزّار (1632) عن رجاء بن ربيعة قال: كنت جالساً بالمدينة في مسجد الرسول ﷺ في حلقة فيها أبو سعيد وعبد الله بن عمرو، فمر الحسن بن علي فسلَّم، فرد عليه القوم وسكت عبد الله بن عمرو، ثم اتَّبعه فقال: وعليك السلام ورحمة الله، ثم قال: هذا أحبُّ أهل الأرض إلى أهل السماء، والله ما كلمته منذ ليالي صِفِّين؛ فقال أبو سعيد: ألا تنطلق إليه فتعتذر إليه؟ قال: نعم. فقام فدخل أبو سعيد فاستأذن فأذن له، ثم استأذن لعبد الله بن عمرو فدخل، فقال أبو سعيد لعبد الله بن عمرو: حدِّثنا بالذي حدَّثتنا به حيث مرّ الحسن، فقال: نعم، أنا أحدثكم إنه أحب أهل الأرض إلى أهل السماء، قال: فقال له الحسن: إذ علمت أني أحب أهل الأرض إلى أهل السماء فلم قاتلتنا أو كثَّرت يوم صِفِّين؟ قال: أما إني - والله - ما كثَّرت سَواداً ولا ضربت معهم بسيف، ولكني حضرت مع أبي - أو كلمة نحوها -. قال: أما علمت أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله؟ قال: بلى، ولكني كنت أسرد الصوم على عهد رسول الله ﷺ، فشكاني أبي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن عبد الله بن عمرو يصوم النهار ويقوم الليل! قال: «صم وأفطر، وصلِّ ونم، فإني أنا أصلِّي وأنام وأصوم وأفطر». قال لي: «يا عبد الله. أطع أباك»، فخرج يوم صِفِّين وخرجت معه. قال الهيثمي (9/ 177) رواه البزّار ورجاله رجال الصحيح غير هاشم بن البريد وهو ثقة. انتهى.

وأخرج الطبراني عن رجاء بن ربيعة قال: كنت في مسجد رسول الله ﷺ إذ مر الحسين بن علي - رضي الله عنهما - فسلَّم فرد عليه

القوم السلام وسكت عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، ثم رفع ابن عمرو صوته بعد ما سكت القوم فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم أقبل على القوم فقال: ألا أخبركم بأحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قالوا: بلى، قال: هو هذا المقفِّي، والله ما كلمته كلمة ولا كلمني كلمة منذ ليالي صِفِّين، ووالله لأن يرضى عني أحب إليَّ من أن يكون لي مثلُ أُحُد! فقال له أبو سعيد رضي الله عنه: ألا تغدو إليه؟ قال: بلى. فتواعدا أن يغدوا إليه وغدوت معهما؛ فاستأذن أبو سعيد فأذن فدخلنا، فاستأذن لابن عمرو فلم يزل به حتى أذن له الحسين فدخل، فلما رآه زحل له وهو جالس إلى جنب الحسين، فمدّه الحسين إليه، فقام ابن عمرو فلم يجلس، فلما رأى ذلك خلا عن أبي سعيد فأزحل له فجلس بينهما، فقصّ أبو سعيد القصة فقال: أكذاك يا بن عمرو؟ أتعلم أني أحبُّ أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قال: إي وربِّ الكعبة إنك لأحب أهل الأرض إلى أهل السماء. قال: فما حملك على أن قاتلتني وأبي يوم صِفِّين؟ والله لأبي خير مني؛ قال: أجل، ولكن عَمْراً شكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: إن عبد الله يصوم النهار ويقوم الليل؛ فقال رسول الله ﷺ: «صلِّ ونَمْ، وصم وأفطر، وأطع عَمْراً» فلما كان يوم صِفِّين أقسم عليَّ. والله ما كثَّرت لهم سَواداً، ولا اخترطت لهم سيفاً، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم. فقال الحسين: أما علمت أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؟ قال: بلى، قال: كأنه قبل منه. قال الهيثمي (9/ 187): رواه الطبراني في الأوسط وفيه علي بن سعد بن بشير وفيه لين وهو حافظ، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

* * *

قضاء حاجة المسلم

أخرج النَّرْسي عن علي رضي الله عنه قال: ما أدري أيُّ النعمتين أعظم عليَّ منه، من رجل بذل مُصاص وجهه إليَّ، فرآني موضِعاً لحاجته، وأجرى الله قضاءها أو يسَّره على يديَّ، ولأن أقضيَ لامرىء مسلم حاجة أحب إليَّ من ملء الأرض ذهباً وفضة. كذا في «الكنز» (3/ 317).

* * *

الوقوف لحاجة المسلم

أخرج ابن أبي حاتم والدارمي والبيهقي عن أبي يزيد قال: لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأة يقال لها خولة - رضي الله عنها - وهي تسير مع الناس، فاستوقفته فوقف لها، ودنا منها وأصغى إليها رأسه، ووضع يديه على مَنْكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت. فقال له رجل: يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذا العجوز؟ قال: ويحك! أتدري من هذه؟ قال: لا، قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات!! هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تُقضى حاجتها.

وعند البخاري في «تاريخه» وابن مَرَدَوَيه عن ثُمامة بن حَزْن رضي الله عنه قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير على حماره لقيته امرأة فقالت: قف يا عمر. فوقف فأغلظت له القول، فقال رجل: يا أمير المؤمنين ما رأيت كاليوم. قال: وما يمنعني أن أسمع لها!! وهي التي سمع الله لها وأنزل فيها ما أنزل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: 1]. كذا في «الكنز» (1/ 268).

المشي في حاجة المسلم

أخرج الطبراني والبيهقي - واللفظ له - والحاكم مختصراً وقال: صحيح الإسناد، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفاً في مسجد رسول الله ﷺ، فأتاه رجل فسلَّم عليه ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان أراك مكتئباً حزيناً. قال: نعم يا ابن عم رسول الله لفلان عليَّ حق وَلاءٍ؛ وحُرْمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه. قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ فقال: إن أحببت. قال: فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد، فقال له الرجل: أنسيتَ ما كنت فيه؟ قال: لا، ولكني سمعت صاحب هذا القبر ﷺ، والعهد به قريب - فدمعت عيناه - وهو يقول: «من مشى في حاجة أخيه وبَلَغ فيها كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعدَ مما بين الخافقين». كذا في «الترغيب» (2/ 272).

* * *

زيارة المسلم

أخرج أحمد عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يكثر زيارة الأنصار خاصّة وعامّة، فكان إذا زار خاصّة أتى الرجل في منزله، وإذا زار عامة أتى المسجد. قال الهيثمي (8/ 173): رواه أحمد وفيه راوٍ لم يُسَمَّ وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص52) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ زار أهل بيت من الأنصار، فطَعِم عندهم طعاماً، فلما خرج أمر بمكان من البيت فنُضح له على بساط، فصلّى عليه ودعا لهم.

وأخرج أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يؤاخي بين الاثنين من أصحابه فتطول على أحدهما الليلة حتى يلقى أخاه، فليقاه بوُدٍّ ولطف، فيقول: كيف كنت بعدي؟ وأما العامّة فلم يكن يأتي على أحدهما ثلاث لا يعلم علم أخيه. قال الهيثمي (8/ 174): وفيه عمران بن خالد الخُزاعي وهو ضعيف.

وأخرج الطبراني عن عَوْن قال: قال عبد الله ـ يعني ابن مسعود ـ رضي الله عنه لأصحابه حين قدموا عليه: هل تَجالَسون؟ قال: لا نترك ذلك، قال: فهل تَزَاوَرون؟ قالوا: نعم يا أبا عبد الرحمن، إنَّ الرجل منا ليفقِد أخاه فيمشي على رجليه إلى آخر الكوفة حتى يلقاه، قال: إنكم لن تزالوا بخير ما فعلتم ذلك. وهذا منقطع، كذا في «الترغيب» (4/ 144).

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص52) عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت: زارنا سلمان رضي الله عنه من المدائن إلى الشام ماشياً وعليه كساء أندروَرْد قال: يعني سراويل مشمَّرة.

* * *

إكرام الزائرين

أخرج أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه دخل على رسول الله ﷺ فألقى إليَّ وسادة حشوها ليف، فلم أقعد عليها. بقيتْ بيني وبينه. قال الهيثمي (8/ 174): رجاله رجال الصحيح .اهـ.

وأخرج الطبراني عن أم سعد بنت سعد بن الربيع ـ رضي الله عنهما ـ أنها دخلت على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فألقى لها ثوبه حتى جلست عليه، فدخل عمر رضي الله عنه فسأله، فقال: هذه ابنة من هو خير مني ومنك. قال: ومن هو يا خليفةَ رسول الله ﷺ؟ قال: رجل قُبض على عهد رسول الله ﷺ، تبوَّأ مقعده من الجنة وبقيت أنا وأنت. كذا في «الإصابة» (2/ 27). قال الهيثمي (9/ 310): رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد وهو ضعيف، وأخرجه الحاكم (3/ 607) وصححه، وقال الذهبي: بل إسماعيل ضعَّفوه.

وأخرج الحاكم (3/ 599) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل سلمان الفارسي على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وهو متكىء على وسادة فألقاها له، فقال سلمان: صدق الله ورسوله. فقال عمر: حدثنا يا أبا عبد الله. قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو متكىء على وسادة فألقاها إليَّ. ثم قال لي: «يا سلمان ما من مسلم يدخل على أخيه المسلم فيُلقي له وسادة إكراماً له إلا غفر الله له».

وأخرجه الطبراني أيضاً عن أنس قال: دخل سلمان على عمر

رضي الله عنهما وهو متكىء على وسادة، قال: فألقاها إليَّ، ثم قال: يا سلمان ما مِنْ مسلم يدخل على أخيه المسلم فيُلقي إليه وسادة إكراماً له إلا غفر الله له. قال الهيثمي (8/ 174): وفيه عمران بن خالد الخُزاعي وهو ضعيف اهـ. وفي إسناد الحاكم أيضاً عِمران هذا.

وأخرج الطبراني في «الصغير» (748) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل عمر على سلمان الفارسي رضي الله عنهما، فألقى له وسادة فقال: ما هذا يا أبا عبد الله؟ فقال سلمان الفارسي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من مسلم يدخل عليه أخوه المسلم فيُلقي له وسادة إكراماً وإعظاماً إلا غفر الله له». وفيه عِمران بن خالد الخُزاعي وهو ضعيف.

وأخرج الطبراني عن إبراهيم بن نَشِيط أنه دخل على عبد الله بن الحارث بن جَزْء الزُّبيدي رضي الله عنه، فرمى إليه بوسادة كانت تحته وقال: من لم يُكرم جليسه فليس من أحمد ولا من إبراهيم عليهما الصلاة والسلام. كذا في «الترغيب» (4/ 146)، وقال: رواه الطبراني موقوفاً، ورجاله ثقات.

* * *

إكرام الضيف

أخرج البخاري في «الأدب» (ص110) عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن أبا أسيد الساعدي رضي الله عنه دعا النبي ﷺ في عرسه، وكانت امرأته خادمهم يومئذٍ وهي العروس، فقالت: أتدرون ما أنقعت لرسول الله ﷺ؟ أنقعت له تمرات من الليل في تَوْر.

وأخرج ابن جرير عن إبراهيم بن شيبان عن رجل قال: دخل رجلان على عبد الله بن الحارث بن جَزْء الزبيدي رضي الله عنه، فنزع وسادة كان متكئاً عليها فألقاها إليهما، فقالا: لا نريد هذا إنما جئنا لنستمع شيئاً ننتفع به. فقال: إنه من لم يكرم ضيفه فليس من محمد ولا من إبراهيم صلى الله عليهما وسلم، طوبى لعبد أمسى متعلقاً برَسَن فرسه في سبيل الله أفطر على كِسرة وماء بارد، وويل للواشين الذين يلوثون مثل البقر، ارفع يا غلام، وضع يا غلام! وفي ذلك لا يذكرون الله عز وجل. كذا في «الكنز» (5/ 66).

* * *

إكرام كريم القوم

أخرج الطبراني في «الصغير» (780) و«الأوسط» عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه جاء إلى النبي ﷺ وهو في بيت مزحوم، فقام بالباب، فنظر النبي ﷺ يميناً وشمالاً فلم يرَ برحاء، فأخذ النبي ﷺ رداءه فلفّه ثم رمى به إليه، فقال: «اجلس عليه»، فأخذه جرير فضمه ثم قبَّله ثم ردّه على النبي ﷺ، وقال: أكرمك الله يا رسول الله كما أكرمتني. فقال رسول الله ﷺ: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه». قال الهيثمي (8/ 15): وفيه عَوْن بن عمرو القيسي وهو ضعيف ـ اهـ.

وعند الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن جرير بن عبد الله رضي الله عنه دخل البيت وهو مملوء، فلم يجد مجلساً، فرمى إليه رسول الله ﷺ بإزاره أو بردائه وقال: «اجلس على هذا» فأخذه فقبَّله وضمه إليه وقال: أكرمك الله يا رسول الله كما أكرمتني. فقال رسول الله ﷺ: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»: قال الهيثمي (8/ 16): رواه الطبراني في «الأوسط» والبزّار (1959) باختصار كثير وفيه من لم أعرفهم. انتهى.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال دخل عيينة بن حِصْن رضي الله عنه على النبي ﷺ وعنده أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وهم جلوس جميعاً على الأرض، فدعا لعيينة بنُمرُقة فأجلسه عليها، وقال: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» قال الهيثمي (8/ 16): رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم.

وأخرج العسكري وابن عساكر عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه لما دخل على النبي ﷺ ألقى إليه وسادة، فجلس على الأرض وقال: أشهد أنك لا تبغي علواً في الأرض ولا فساداً، وأسلم؛ فقالوا: يا نبي الله لقد رأينا منك منظراً لم نره لأحد. فقال: «نعم، هذا كريم قوم فإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه». كذا في «الكنز» (5/ 55).

وأخرج الدّوْلابي في «الكُنَى» (1/ 31) عن أبي راشد بن عبد الرحمن رضي الله عنه قال: قدمت على النبي ﷺ في مائة رجل من قومي، فلما دنَونا من النبي ﷺ وقفنا وقالوا لي: تقدَّم أنت يا أبا معاوية، فإن رأيت ما تحبّ رجعت إلينا حتى نتقدم إليه، وإن لم ترَ مما تحب شيئاً انصرفت إلينا حتى ننصرف. فأتيت النبي ﷺ وكنت أصغر القوم فقلت: أنعم صباحاً يا محمد. فقال النبي ﷺ: «ليس هذا بسلام المسلمين بعضهم على بعض»، فقلت له: وكيف يا رسول الله؟ فقال: «إذا أتيت قوماً من المسلمين قلت: السلام عليكم ورحمة الله. قلتُ: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. قال: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته»، فقال لي النبي ﷺ: «ما اسمك ومن أنت؟» فقلت: أنا أبو معاوية بن عبد اللاَّت والعُزَّى. فقال لي رسول الله ﷺ: «بل أنت أبو راشد بن عبد الرحمن»، وأكرمني وأجلسني إلى جانبه، وكساني رداءه، وأعطاني حذاءه، ودفع إليَّ عصاه وأسلمت. فقال للنبي ﷺ مِن جلسائه: يا رسول الله إنَّا نراك قد أكرمت هذا الرجل. فقال لهم رسول الله ﷺ: «هذا شريف قومه، فإذا أتاكم شريف قومه فأكرموه» ـ فذكر الحديث. وأخرجه ابن مَنْده من هذا الوجه مختصراً، وابن السَّكَن كما في «الإصابة» (2/ 409). وأخرجه أيضاً العُقَيلي، كما في «منتخب الكنز» (5/ 216).

تأليف رأس القوم

أخـرج أبـو نُـعـيـم (1/ 353) عـن أبـي ذر رضـي الله عـنـه أن رسول الله ﷺ قال له: «كيف ترى جُعَيلاً؟» قلت: مسكيناً كشكله من الناس، قال: «فكيف ترى فلاناً؟» قلت: سيداً من سادات الناس. قال: «فجعيل خير من مثل هذا مِلءِ الأرض». قلت: يا رسول الله ففلان هكذا وأنت تصنع به ما تصنع؟ قال: «إنه رأس قومه فأنا أتألفهم». كذا في «الكنز» (3/ 320). وأخرجه الرُّوياني في «مسنده» وابن عبد الحكم في «فتوح مصر»، وإسناده صحيح. وأخرجه ابن حِبَّان من وجه آخر عن أبي ذر لكن لم يُسمِّ جُعَيلاً. وأخرجه البخاري من حديث سَهْل بن سعد فأبهم جُعَيلاً وأبا ذر. وروى ابن إسحاق في المغازي عن محمد بن إبراهيم التَّيْمي قال: قيل: يا رسول الله، أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة وتركت جُعَيلاً؟ فقال: والذي نفسي بيده لَجعيل بن سراقة خير من طِلاع الأرض مثل عيينة والأقرع، لكني أتألفهما وأَكِلُ جُعَيلاً إلى إيمانه». وهذا مرسل حسن. كذا في «الإصابة» (1/ 239). وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 353) عن محمد بن إبراهيم نحوه.

* * *

إكرام آل بيت رسول الله ﷺ

أخرج مسلم عن يزيد بن حَيَّان قال: انطلقت أنا وحصين بن سَبْرة وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه، فلما جلسنا إليه قال حصين: لقد لقيتَ يا زيدُ خيراً كثيراً!! رأيت رسول الله ﷺ، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصلَّيت خلفه، لقد لقيت يا زيدُ خيراً كثيراً!! حدِّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: يا بن أخي - والله - لقد كَبرت سني، وقدُم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعِي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلِّفونيه. ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خُمّاً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكَّر ثم قال:

«أما بعد: ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشِك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولُهما كتابُ الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغَّب فيه. ثم قال: «وأهلُ بيتي أذكِّركم الله في أهل بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي».

فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته؛ ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس. قال: كل هؤلاء حُرِم الصدقة؟ قال: نعم، كذا في رياض الصالحين. وأخرجه

أيضاً ابن جرير كما في «منتخب الكنز» (5/ 95). وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: ارقُبوا محمداً ﷺ في أهل بيته. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 94).

وأخرج ابن عساكر عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ جالساً مع أصحابه وبجنبه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فأقبل العباس رضي الله عنه، فأوسع له أبو بكر فجلس بين النبي ﷺ وبين أبي بكر، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «إنما يعرف الفضلَ لأهل الفضلِ أهلُ الفضل». ثم أقبل العباس على النبي ﷺ يحدِّثه. فخفض النبي ﷺ صوته شديداً، فقال أبو بكر لعمر: قد حَدَث برسول الله ﷺ يحدِّثه. فخفض النبي ﷺ صوته شديداً، فقال أبو بكر لعمر: قد حَدَث برسول الله ﷺ علّة قد شغلت قلبي. فما زال العباس عند النبي ﷺ حتى فرغ من حاجته وانصرف. فقال أبو بكر: يا رسول الله حدثت بك علّة الساعة؟ قال: «لا». قال: فإني قد رأيتك قد خفضت صوتك شديداً. قال: «إنَّ جبريل أمرني إذا حضر العباس أن أخفض صوتي كما أمركم أن تخفضوا أصواتكم عندي». كذا في «الكنز» (7/ 68).

وعند الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان لأبي بكر رضي الله عنه مجلس من النبي ﷺ لا يقوم عنه إلا للعباس، فكان يسر ذلك رسول الله ﷺ، فأقبل العباس يوماً، فزال له أبو بكر عن مجلسه، فقال له رسول الله ﷺ: «ما لك؟» قال: يا رسول الله عمك قد أقبل. فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم أقبل على أبي بكر متبسماً. فقال: «هذا العباس قد أقبل وعليه ثياب بيض وسيلبس ولده من بعده السواد ويملك منهم اثنا عشر رجلاً». فلما جاء العباس قال: يا رسول الله، قلت لأبي بكر؟ فقال: «ما قلت إلا خيراً». قال: صدقت ـ بأبي وأمي ـ ولا تقول

إلا خيراً. قال: قلت: «قد أقبل العباس عمّي وعليه ثياب بياض وسيلبس ولده من بعده السواد ويملك منهم اثنا عشر رجلاً». قال الهيثمي (9/ 270): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» باختصار، وفيه جماعة لم أعرفهم - انتهى. وأخرجه ابن عساكر عن ابن عباس مختصراً كما في «منتخب الكنز» (5/ 211). وقال: لم أرَ في سنده من تُكلِّم فيه.

وعند ابن عساكر أيضاً عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال: كان النبي ﷺ إذا جلس جلس أبو بكر رضي الله عنه عن يمينه، وعمر رضي الله عنه عن يساره، وعثمان رضي الله عنه بين يديه، وكان كاتب سر رسول الله ﷺ. فإذا جاء العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه تنحَّى أبو بكر وجلس العباس مكانه. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 214).

وأخرج الحاكم عن المطَّلب بن ربيعة قال: جاء العباس رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ وهو مغضب فقال: «ما شأنك؟ فقال: يا رسول الله، ما لنا ولقريش؟ فقال: «ما لك ولهم؟» قال: يلقَى بعضهم بعضاً بوجوه مشرقة، فإذا لقونا لقونا بغير ذلك. قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى استدرَّ عِرْق بين عينيه. قال: فلما أسفر عنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يدخل قلب امرىء الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله». قال: ثم قال: «ما بال رجال يؤذونني في العباس؟ عم الرجل صِنْوُ أبيه.

وعند الحاكم (3/ 333) أيضاً عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله إنَّ قريشاً إذا لقي بعضها بعضاً لقوها ببشر حَسَن، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها. قال: فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، وقال: «والذي نفس محمد بيده، لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله».

وعند الطبراني عن عِصْمة قال: دخل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه يوماً إلى المسجد فنظر إلى الكراهية في وجوههم، فرجع إلى رسول الله ﷺ في بيته فقال: يا رسول الله ما لي إذا دخلت المسجد أرى الكراهية في وجوه الناس؟ فجاء رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد، فقال: «يا معشر الناس لم تؤمنوا ولم تكونوا مؤمنين حتى تحبُّوا عباساً». قال الهيثمي (9/ 269): وفيه الفضل ابن المختار وهو ضعيف.

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ساعياً على صدقة. فأول من لقيه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال: يا أبا الفضل هلمَّ صدقة مالك، فقال له: لو كنت وكنت. وأغلظ له في القول. فقال له عمر: أما والله لولا الله ومنزلتك من رسول الله ﷺ لكافأتك ببعض ما كان منك. فافترقا وأخذ هذا في طريق وهذا في طريق. فجاء عمر حتى دخل على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فذكر له ذلك، فأخذ علي بيد عمر حتى دخلا على رسول الله ﷺ، فقال عمر: يا رسول الله، بعثتني ساعياً على الصدقة فأول من لقيت عمك العباس، فقلت: يا أبا الفضل هلمَّ صدقة مالك. فقال لي: كَيْت وكَيْت، وأنبني وأغلظ لي القول. فقلت: أما - والله - لولا الله ومنزلتك من رسول الله ﷺ لكافأتك ببعض ما كان منك. فقال رسول الله ﷺ: «أكرمته أكرمك الله، أما علمتَ أنَّ عم الرجل صِنْو أبيه؟ لا تكلِّم العباس فإنَّا تعجَّلنا منه صدقة سنتين». كذا في «منتخب الكنز» (5/ 214). وأخرجه ابن سعد (4/ 27) عن قتادة مختصراً.

وأخرج الحاكم (3/ 329) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً ذكر أبا العباس فنال منه، فلطمه العباس. فاجتمعوا فقالوا: والله لنلطمنَّ العباس كما لطمه. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخطب فقال: «مَنْ أكرم

الناس على الله؟» قالوا: أنت يا رسول الله. قال: «فإن العباس مني وأنا منه، لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا به الأحياء». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، وقال الذهبي: صحيح. وأخرجه ابن عساكر عن ابن عباس بنحوه وزاد: فقالوا: يا رسول الله نعوذ بالله من غضبك، فاستغفر لنا فاستغفر لهم. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 211). وأخرجه ابن سعد (4/ 24) عن ابن عباس نحو رواية ابن عساكر.

وأخرج ابن عساكر عن ابن شهاب قال: كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في ولايتهما لا يلقى العباس منهما واحد وهو راكب إلا نزل عن دابته وقادها، ومشى مع العباس حتى بلَّغه منزله أو مجلسه، فيفارقه. كذا في «الكنز» (7/ 69).

وأخرج سَيْف وابن عساكر عن القاسم بن محمد قال: ممَّا أحدث عثمان فرُضي به منه أنه ضرب رجلاً في منازعة استخف فيها بالعباس بن عبد المطلب، فقيل له، فقال: أيفخِّم رسول الله ﷺ عمه وأرخِّص في الاستخفاف به؟! لقد خالف رسول الله ﷺ من رضي فعل ذلك، فرُضي به منه. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 213).

وأخرج ابن الأعرابي عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ جالساً بالمسجد وقد أطاف به أصحابه؛ إذ أقبل علي رضي الله عنه فسلم ثم وقف، فنظر مكاناً يجلس فيه، فنظر رسول الله ﷺ إلى وجوه أصحابه أيُّهم يوسع له، وكان أبو بكر رضي الله عنه عن يمين رسول الله ﷺ جالساً، فتزحزح أبو بكر عن مجلسه وقال: ها هنا أبا الحسن. فجلس بين رسول الله ﷺ وبين أبي بكر، فرأينا السرور في وجه رسول الله ﷺ ثم أقبل على أبي بكر فقال: «يا أبا بكر إنما يعرف الفضل لأهل الفضل». كذا في «البداية» (7/ 359).

وأخرج أحمد والطبراني عن رباح بن الحارث قال: جاء رهط إلى علي رضي الله عنه بالرَّحْبة. قالوا: السلام عليك يا مولانا. فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله ﷺ يوم غَدِير خُمٍّ يقول: «من كنت مولاه فهذا مولاه». قال رباح: فلما مضَوا تبعتهم فقلت: من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري. قال الهيثمي (9/ 104): رجال أحمد ثقات.

وأخرج البزّار (2535) عن بُرَيدة رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فاستعمل علينا علياً رضي الله عنه، فلما جئنا قال: «كيف رأيتم صاحبكم؟» فإما شكوتُه وإما شكاه غيري. قال: فرفع رأسه ـ وكنت رجلاً مِكباباً ـ فإذا النبي ﷺ قد احمر وجهه يقول: «من كنت وليَّه فعليٌّ وليه». فقلت: لا أسوؤك فيه أبداً. قال الهيثمي (9/ 108): رواه البزّار ورجاله رجال الصحيح ـ اهـ.

وأخرج ابن إسحاق عن عمرو بن شاس الأسلمي ـ رضي الله عنه، وكان من أصحاب الحديبية ـ قال: كنت مع علي رضي الله عنه في خيله التي بعثه فيها رسول الله ﷺ إلى اليمن، فجفاني علي بعض الجفاء، فوجدت عليه في نفسي. فلما قدمت المدينة اشتكيته في مجالس المدينة وعند من لقيته، فأقبلت يوماً ورسول الله جالس في المسجد، فلما رآني أنظر إلى عينيه نظر إليَّ حتى جلست إليه. فلما جلست إليه قال: أما إنه ـ والله ـ يا عمرو لقد آذيتني» فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون! أعوذ بالله والإسلام أن أوذي رسول الله ﷺ! فقال: «من آذى علياً فقد آذاني». وقد رواه الإمام أحمد عن عمرو بن شاس فذكره. كذا في «البداية» (7/ 347). قال الهيثمي (9/ 129): رواه أحمد والطبراني باختصار، والبزّار أخصر منه، ورجال أحمد ثقات. انتهى.

وأخرج أبو يَعْلى (2/ 770) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنت جالساً في المسجد أنا ورجلان معي فنلنا من علي رضي الله عنه، فأقبل رسول الله يُعرف في وجهه الغضب، فتعوذت بالله من غضبه، فقال: «ما لكم وما لي؟ من آذى علياً فقد آذاني!» كذا في «البداية» (7/ 347). قال الهيثمي (9/ 129): رواه أبو يعلى والبزّار (2561) باختصار ورجال أبي يَعْلى رجال الصحيح غير محمود بن خِداش وقَنَان وهما ثقتان. انتهى.

وأخرج ابن عساكر عن عروة رضي الله عنه أن رجلاً وقع في علي بمحضر من عمر رضي الله عنهما. فقال عمر: تعرف صاحب هذا القبر؛ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب لا تذكر علياً إلا بخير، فإنك إن آذيته آذيت هذا في قبره. كذا في «المنتخب» (5/ 46).

وأخرج أبو يَعْلَى (2/ 777) عن أبي بكر بن خالد بن عُرْفُطة أنه أتى سعد بن مالك رضي الله عنه فقال: بلغني أنكم تُعرَضون على سبِّ علي بالكوفة فهل سببته؟ قال: مَعاذ الله! والذي نفس سعد بيده! لقد سمعت من رسول الله ﷺ يقول في علي شيئاً لو وُضع المنشار على مفرقي ما سببته أبداً. قال الهيثمي (9/ 130): إسناده حسن.

وأخرج أحمد ومسلم والترمذي عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال له: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً رضي الله عنهم فقال: ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أمَّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ يقول وخلَّفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله أتخلِّفني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنه لا نبي بعدي». وسمعته يقول يوم

خيبر: «لأعطينَّ الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله». قال: فتطاولت لها قال: «ادعوا لي علياً» فأُتي به أرمد فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولمَّا نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ﴾ [آل عمران: 61] دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً رضي الله عنهم، ثم قال: «اللهمَّ هؤلاء أهلي».

وعند أبي زُرْعة الدمشقي عن عبد الله بن أبي نَجِيح عن أبيه قال: لما حج معاوية أخذ بيده سعد بن أبي وقاص فقال: يا أبا إسحاق إنا قوم قد أجفانا هذا الغزو عن الحج حتى كدنا أن ننسى بعض سننه، فطف نطف بطوافك. قال: فلما فرغ أدخله دار الندوة فأجلسه معه على سريره، ثم ذكر علي بن أبي طالب فوقع فيه. فقال: أدخلتني دارك وأجلستني على سريرك ثم وقعت في علي تشتمه؟! والله لأن يكون فيَّ إحدى خلاله الثلاث أحب إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، ولأن يكون لي ما قال له حين غزا تبوكاً: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنه لا نبي بعدي»، أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس؛ ولأن يكون لي ما قال له يوم خيبر: «لأعطينَّ الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرّار»، أحب إليَّ ممَّا طلعت عليه الشمس؛ ولأن أكون صهره على ابنته ولي منها من الولد ما له أحب إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، لا أدخل عليك داراً بعد هذا اليوم. ثم نفض رداءه ثم خرج. كذا في «البداية» (7/ 340 و341).

وأخرج أحمد عن أبي عبد الله الجَدَلي قال: دخلت على أم سَلَمة رضي الله عنها فقالت لي: أيُسب رسول الله ﷺ فيكم؟ قلت: معاذ الله

أو سبحان الله أو كلمة نحوها. قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سبَّ علياً فقد سبني». قال الهيثمي (9/ 130): رجاله رجال الصحيح غير أبي عبد الله الجدَلي وهو ثقة.

وعند الطبراني وأبي يعلى عن أبي عبد الله الجدلي قال: قالت لي أم سَلَمة رضي الله عنها: يا أبا عبد الله أيُسب رسول الله ﷺ فيكم؟ قلت: أنَّى يُسب رسول الله ﷺ؟ قالت: أليس يُسب علي ومن يحبه، وقد كان رسول الله ﷺ يحبه! قال الهيثمي: رجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي عبد الله وهو ثقة. وأخرجه ابن أبي شيبة عن أبي عبد الله نحوه كما في «المنتخب» (5/ 46).

وأخرج الخطيب في «المتَّفق» وابن عساكر عن أبي صادق قال: قال علي رضي الله عنه: حَسَبي حَسَب رسول الله ﷺ، وديني دينه؛ فمن تناول مني شيئاً فإنما تناوله من رسول الله ﷺ. كذا في «المنتخب» (5/ 46).

وأخرج أبو نُعيم والجابري في «جزئه» عن عبد الرحمن بن الأصبهاني قال: جاء الحسن بن علي إلى أبي بكر رضي الله عنهم وهو على منبر رسول الله ﷺ، فقال: انزل عن مجلس أبي، قال: صدقت، إنه مجلس أبيك. وأجلسه في حجره وبكى. فقال علي رضي الله عنه: والله ما هذا عن أمري. فقال: صدقتَ والله ما اتهمتك. وعند ابن سعد عن عروة أن أبا بكر خطب يوماً فجاء الحسن فصعد إليه المنبر، فقال: انزل عن منبر أبي. فقال علي: إن هذا شيء من غير ملأ منا. كذا في «الكنز» (3/ 132).

وأخرج ابن عساكر عن أبي البختري قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب على المنبر، فقام إليه الحسين بن علي رضي الله

عنهما، فقال: انزل عن منبر أبي. قال عمر: منبر أبيك لا منبر أبي، من أمرك بهذا؟ فقام علي رضي الله عنه فقال: ما أمره بهذا أحد! أما لأوجعنَّك يا غُدَر! فقال: لا توجع ابن أخي فقد صدق منبر أبيه. قال ابن كثير: سنده ضعيف. كذا في «الكنز» (7/ 105).

وعند ابن سعد وابن راهَوَيه والخطيب عن حسين بن علي رضي الله عنهما قال: صعدت إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه المنبر فقلت له: انزل عن منبر أبي واصعد منبر أبيك. فقال: إن أبي لم يكن له منبر. فأقعدني معه. فلما نزل ذهب إلى منزله فقال: أيْ بني من علَّمك هذا؟ قلت: ما علمنيه أحد. قال: أيْ بني لو جعلت تأتينا وتغشانا. فجئت يوماً وهو خالٍ بمعاوية، وابنُ عمر بالباب لم يُؤذن له فرجعت. فلقيني بعد فقال: يا بني لم أرَكَ أتيتنا؟ قلت: جئت وأنت خالٍ بمعاوية، فرأيت ابن عمر رجع فرجعت. فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، إنما أنبت في رؤوسنا ما ترى الله، ثم أنتم، ووضع يده على رأسه. كذا في «الكنز» (7/ 105). قال في «الإصابة» (1/ 333): سنده صحيح.

وأخرج ابن سعد وأحمد والبخاري والنسائي والحاكم عن عقبة بن الحارث قال: خرجت مع أبي بكر رضي الله عنه من صلاة العصر بعد وفاة رسول الله ﷺ بليال، وعلي رضي الله عنه يمشي إلى جنبه. فمر بحسن بن علي يلعب مع غِلمان، فاحتمله على رقبته وهو يقول:

بـــابـــي شـــبـــيـــهُ بـــالـــنـــبـــي

لـــيـــس شـــبـــيـــهـــاً بـــعـــلـــي

وعلي يضحك. كذا في «الكنز» (7/ 103).

وأخرج أحمد عن عمير بن إسحاق قال: رأيت أبا هريرة رضي الله عنه لقي الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال (له): اكشف عن بطنك

حيث رأيت رسول الله ﷺ يقبل منه. فكشف عن بطنه فقبّله. وفي رواية: فقبل سرته. قال الهيثمي (9/ 177): رواه أحمد والطبراني (3/ 2580) إلا أنه قال: فكشف عن بطنه ووضع يده على سرته. ورجالهما رجال الصحيح غير عمير بن إسحاق وهو ثقة اهـ. وأخرجه ابن النجار عن عمير كما في «الكنز» (7/ 104) وفيه: فوضع فمه على سرته.

وأخرج الطبراني عن المقبري قال: كنا مع أبي هريرة رضي الله عنه فجاء الحسن بن علي رضي الله عنهما فسلّم فرد عليه القوم، ومعنا أبو هريرة رضي الله عنه لا يعلم، فقيل له: هذا حسن بن علي يسلّم، فلحقه فقال: وعليك يا سيدي، فقيل له: تقول: يا سيدي، فقال: أشهد أن رسول الله ﷺ قال: «إنه سيد» قال الهيثمي (9/ 178): رجاله ثقات. وأخرجه أيضاً أبو يَعْلى (11/ 6561) وابن عساكر عن سعيد المقْبُري نحوه كما في «الكنز» (7/ 104). وأخرجه الحاكم (3/ 169) وصحّحه.

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه أن مروان أتاه في مرضه الذي مات فيه. فقال مروان لأبي هريرة: ما وجدت عليك في شيء منذ اصطحبنا إلا في حبّك الحسن والحسين. قال: فتحفّز أبو هريرة رضي الله عنه فجلس فقال: أشهد لخرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا ببعض الطريق سمع رسول الله ﷺ الحسن والحسين وهما يبكيان وهما مع أمهما، فأسرع السير حتى أتاهما فسمعته يقول: «ما شأن ابنيّ؟» فقالت: العطش، قال: فأخلَفَ رسول الله ﷺ إلى شَنّة يبتغي فيها ماء، وكان الماء يومئذٍ أعداراً والناس يردون، فنادى هل أحدٌ منكم معه ماء؟ فلم يبقَ أحد إلاّ أخلَفَ بيده إلى كلامه يبتغي الماء في شنّة، فلم يجد أحد منهم قطرة، فقال رسول الله ﷺ: «ناوليني أحدهما»، فناولته إياه من تحت الخدر، فرأيت بياض ذراعيها حين ناولته، فأخذه فضمّه

إلى صدره وهو يضغو ما يسكت، فأدلع لسانه فجعل يمصُّه حتى هدأ أو سكن، فلم أسمع له بكاء، والآخر يبكي كما هو ما يسكت، ثم قال: «ناوليني الآخر» فناولته ففعل به كذلك، فسكتا فلم أسمع لهما صوتاً. ثم قال: «سيروا» فصدعنا يميناً وشمالاً عن الظعائن حتى لقيناه على قارعة الطريق؛ فأنا لا أحب هذين وقد رأيت هذا من رسول الله ﷺ؟! قال الهيثمي (9/ 181): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

* * *

إكرام العلماء والكبراء وأهل الفضل

أخرج ابن عساكر عن عمار بن أبي عمار أن زيد بن ثابت رضي الله عنه ركب يوماً، فأخذ ابن عباس رضي الله عنهما بركابه، فقال: تنحَّ يا بن عم رسول الله ﷺ، فقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا. فقال زيد: أرني يدك، فأخرج يده، فقبَّلها فقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا. كذا في «الكنز» (7/ 37).

وعند يعقوب بن سفيان بإسناد صحيح عن الشَّعْبي قال: ذهب زيد بن ثابت رضي الله عنه ليركب فأمسك ابن عباس رضي الله عنهما بالركاب فقال: تنحَّ يا بن عم رسول الله. قال: لا، هكذا نفعل بالعلماء والكبراء. كذا في «الإصابة» (1/ 561). وأخرجه الطبراني عن الشَّعْبي نحوه ورجاله رجال الصحيح غير رَزِين الرُّمَّاني وهو ثقة كما قال الهيثمي (9/ 345). وأخرجه ابن سعد (4/ 175) نحوه. وأخرجه الحاكم (3/ 423) عن أبي سَلَمة نحوه وصحَّحه على شرط مسلم، ويعقوب بن سفيان عن الشَّعْبي نحو حديث عمار بن أبي عمار؛ كما في «الإصابة» (2/ 332).

وعند ابن النجار عن ابن عباس رضي الله عنه أنه أخذ بركاب زيد بن ثابت ثم قال: إنا أُمرنا أن نأخذ بركاب معلِّمينا وذوي أسناننا. كذا في «الكنز» (7/ 38).

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم في نفر من

أصحابه إذ أُتي بقدح فيه شراب، فناوله رسول الله ﷺ أبا عبيدة. فقال أبو عبيدة: أنت أولى به يا نبي الله. قال: «خذ» فأخذ أبو عبيدة القدح. قال له قبل أن يشرب: خذ يا نبي الله، فقال نبي الله ﷺ: «اشرب فإنَّ البركة مع أكابرنا، فمن لم يرحم صغيرنا ويجلّ كبيرنا فليس منا». قال الهيثمي (8/ 15): وفيه علي بن زيد الألهاني وهو ضعيف.

وأخرج البخاري عن رافع بن خَدِيج وسهل بن (أبي) حَثْمة أن عبد الله بن سهل ومحيِّصة بن مسعود رضي الله عنهم أتيا خيبر فتفرقا في النخل، فقُتل عبد الله بن سهل. فجاء عبد الرحمن بن سهل وحويِّصة ومحيِّصة ابنا مسعود إلى النبي ﷺ فتكلَّموا في أمر صاحبهم، فبدأ عبد الرحمن - وكان أصغر القوم - فقال النبي ﷺ: «كَبِّر الكُبْر» - قال يحيى: لِيَلي الكلامَ الأكبر - فتكلَّموا في أمر صاحبهم، فقال النبي ﷺ: «أتستحقون قتيلكم - أو قال: صاحبكم - بأيمانِ خمسين منكم؟». قالوا: يا رسول الله أمر لم نره قال: «فتبرئكم يهود في أيمان خمسين منهم». قالوا: يا رسول الله قوم كفار! فَوَداهم رسول الله ﷺ من قِبَله.

وأخرج البزّار عن وائل بن حُجْر رضي الله عنه قال: بلغنا ظهور رسول الله ﷺ ونحن في ملك عظيم وطاعة، فرفضتُه وخرجت راغباً في الله ورسوله، فلما قدمت على رسول الله ﷺ كان قد بشَّرهم بقدومي. فلما قدمت عليه فسلمت عليه فرد عليَّ وبسط لي رداءه وأجلسني عليه، ثم صعد منبره وأقعدني معه، فرفع يديه فحمد الله وأثنى عليه وصلَّى على النبيين، واجتمع الناس إليه فقال لهم: «أيها الناس، هذا وائل بن حُجْر قد أتاكم من أرض بعيدة من حضرموت طائعاً غير مكره، راغباً في الله وفي رسوله وفي دينه». قال: «صدقت». قال الهيثمي (9/ 373): وفيه محمد بن حجر وهو ضعيف.

وعند الطبراني عن وائل بن حجر رضي الله عنه قال: جئت إلى النبي ﷺ فقال: «هذا وائل بن حجر جاءكم لم يجئكم رغبة ولا رهبة، جاءكم حباً لله ولرسوله» وبسط له رداءه، وأجلسه إلى جنبه، وضمه إليه، وأصعده المنبر فخطب الناس فقال: «ارفقوا به، فإنه حديث عهد بالملك». فقال: إن أهلي غلبوني على الذي لي. قال: «أنا أعطيكه وأعطيك ضعفه». فذكر الحديث. قال الهيثمي (9/ 374): رواه الطبراني من طريق ميمونة بنت حُجْر عبد الجبار عن عمتها أم يحيى بنت عبد الجبار ولم أعرفها وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج ابن سعد (3/ 426) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما انفجرت يد سعد رضي الله عنه بالدم قام إليه رسول الله ﷺ فاعتنقه والدم ينفح في وجه رسول الله ﷺ ولحيته، لا يريد أحدٌ أن يقي رسول الله ﷺ الدمَ إلا ازداد منه رسول الله قرباً حتى قضى.

وعن رجل من الأنصار قال لما قضى سعد في بني قُرَيظة ثم رجع انفجر جرحه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاه فأخذ رأسه فوضعه في حجره، وسُجِّي بثوب أبيض إذا مُدَّ على وجهه خرجت رجلاه، وكان رجلاً أبيض جسيماً، فقال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إن سعداً قد جاهد في سبيلك، وصدَّق رسولك، وقضى الذي عليه، فتقبل روحه بخير ما تقبلت به روحاً». فلما سمع سعد كلام رسول الله ﷺ فتح عينيه ثم قال: السلام عليك يا رسول الله، أما إني أشهد أنك رسول الله. فلما رأى أهل سعد أن رسول الله ﷺ قد وضع رأسه في حجره ذُعروا من ذلك، فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ أن أهل سعد لما رأوك وضعت رأسه في حجرك ذُعروا من ذلك. فقال: «أستأذنُ الله من ملائكته عدَدَكم في البيت ليشهدوا وفاة سعد». قال: وأمه تبكي وهي تقول:

وَيْـــلُ امُّـــكَ سَـــعْـــدًا

حَـــزامـــةً وجِـــدًّا

فقيل لها: أتقولين الشعر على سعد؟ فقال رسول الله ﷺ: «دعوها فغيرها من الشعراء أكذب».

وأخرج ابن سعد (4/ 87) عن خارجة بن زيد أن عمر ـ رضي الله عنه ـ وُضع له العشاء مع الناس يتعشُّون، فخرج فقال لمعيقيب بن أبي فاطمة الدَّوسي رضي الله عنه ـ وكان له صحبة وكان من مهاجرة الحبشة ـ: ادنُ فاجلس، وَايْم الله لو كان غيرك به الذي بك لما جلس منِّي أدنى من قِيد رمح.

وعنده أيضاً من وجه آخر عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعاهم لغدائه، فهابوا ـ وكان فيهم معيقيب رضي الله عنه وكان به جذام ـ فأكل معيقيب معهم، فقال له عمر: خذ مما يليك ومن شِقِّك، فلو كان غيرك ما آكلني في صحفة، ولكان بيني وبينه قِيد رمح.

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن عبد الواحد بن عَون الدَّوسي قال: رجع الطفيل بن عمرو رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ وكان معه بالمدينة حتى قُبض. فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل، فقتل الطفيل باليمامة شهيداً، وجُرح معه ابنه عمرو بن الطفيل وقُطعت يده، فبينا هو عند عمر بن الخطاب إذ أُتي بطعام فتنحَّى عنه، فقال عمر: ما لك (لعلك) تنحيت لمكان يدك؟ قال: أجل، قال: لا والله لا أذوقه حتى تسوطَه بيدك، فوالله ما في القوم أحد بعضه في الجنة غيرك. ثم خرج عام اليرموك مع المسلمين فقتل شهيداً. كذا في «الكنز» (7/ 78).

وأخرج الدينوري عن الحسن قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما - أنه بلغني أنك تأذن للناس جماً غفيراً، فإذا جاءك كتابي هذا فابدأ بأهل الفضل والشرف والوجوه، فإذا أخذوا مجالسهم فأذن للناس. كذا في «الكنز» (5/ 55).

* * *

تسويد الأكابر

أخرج البخاري في الأدب (ص54) عن حكيم بن قيس بن عاصم أن أباه أوصى عند موته بنيه فقال:

اتقوا الله، وسوِّدوا أكبركم، فإنَّ القوم إذا سوَّدوا أكبرهم خَلَفوا أباهم، وإذا سوَّدوا أصغرهم أزرى بهم ذلك في أكفائهم. وعليكم بالمال واصطناعه فإنه منبهة للكريم، ويُستغنى به عن اللئيم، وإياكم ومسألة الناس فإنها من آخر كسب الرجل، وإذا متُّ فلا تنوحوا فإنه لم يُنح على رسول الله ﷺ. وإذا متُّ فادفنوني بأرض لا يشعر بدفني بكر بن وائل فإني كنت أغافلهم في الجاهلية.

وأخرجه أحمد (5/ 61) أيضاً نحوه كما في الإصابة (3/ 253). وأخرجه ابن سعد (7/ 36) أيضاً نحوه.

* * *

الإكرام مع اختلاف الرأي والعمل

أخرج البيهقي (8/ 180) عن يحيى بن سعيد عن عمه قال: لما تواقفنا يوم الجمل، وقد كان علي رضي الله عنه حين صفَّنا نادى في الناس: لا يرمينَّ رجل بسهم، ولا يطعن برمح، ولا يضرب بسيف، ولا تبدؤوا القوم بالقتال، وكلِّموهم بألطف الكلام، وأظنه قال: فإن هذا مَقامٌ من فَلَج فيه فَلَج يوم القيامة. فلم نزل وقوفاً حتى تعالى النهار حتى نادى القوم بأجمعهم يا ثَاراتِ عثمان، فنادى علي رضي الله عنه محمد بن الحنيفة ـ وهو أمامنا ومعه اللواء ـ فقال: يا ابن الحنفية ما يقولون؟ فأقبل علينا محمد بن الحنفية فقال: يا أمير المؤمنين: يا ثارات عثمان، فرفع علي رضي الله عنه يديه فقال: اللهمَّ كبَّ اليوم قتلة عثمان لوجوههم!!

وعنده أيضاً (8/ 181) عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب أن علياً رضي الله عنه لم يقاتل أهل الجمل حتى دعا الناس ثلاثاً، حتى إذا كان اليوم الثالث دخل عليه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم، فقالوا: قد أكثروا فينا الجراح. فقال: يا بن أخي والله ما جهلت شيئاً من أمرهم إلاَّ ما كانوا فيه. وقال: صب لي ماء فصب له ماء، فتوضأ به ثم صلَّى ركعتين حتى إذا فرغ رفع يديه ودعا ربَّه وقال لهم: إن ظهرتم على القوم فلا تطلبوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، وانظروا ما حُضِرت به الحرب من آياته فاقبضوه، وما كان سوى ذلك

فهو لورثته. قال البيهقي: هذا منقطع والصحيح أنه لم يأخذ شيئاً ولم يسلب قتيلاً.

وعنده أيضاً (8/ 181) عن علي بن الحسين قال: دخلت على مروان بن الحكم فقال: ما رأيت أحداً أكرم غلبة من أبيك، ما هو إلا أن ولَّينا يوم الجمل فنادى مناديه: لا يُقتل مدبر، ولا يُذفَّف على جريح.

وعنده أيضاً (8/ 182) عن عبد خير قال: سئل علي رضي الله عنه عن أهل الجمل فقال: إخواننا بغَوا علينا فقاتلناهم، وقد فاؤوا وقد قبلنا منهم. وعن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال: قال علي رضي الله عنه يوم الجمل: نمنُّ عليهم بشهادة أن لا إله إلا الله، ونورِّث الآباء من الأبناء.

وأخرج أيضاً (8/ 173) عن أبي البختري قال: سئل علي رضي الله عنه عن أهل الجمل أمشركون هم؟ قال: من الشرك فرُّوا. قيل: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بَغَوا علينا.

وأخرج أيضاً (8/ 173) عن أبي حبيبة مولى طلحة رضي الله عنه قال: دخلت على علي رضي الله عنه مع عِمران بن طلحة بعدما فرغ من أصحاب الجمل قال: فرحَّب به وأدناه وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: 47]. فقال: يا بن أخي كيف فلانة؟ كيف فلانة؟ قال: وسأله عن أمهات أولاد أبيه، قال ثم قال: لم نقبض أرضكم هذه السنين إلاّ مخافة أن ينتهبها الناس، يا فلان انطلق معه إلى ابن قرظَة مُرْه فليعطِه غلَّة هذه السنين ويدفع إليه أرضه. قال: فقال رجلان جالسان ناحيةً أحدهما الحارث الأعور: الله أعدل من ذلك أن

نقتلهم ويكونوا إخواننا في الجنة. قال: قُوما أبعد أرض الله وأسحقَها، فمن هو إذا لم أكن أنا وطلحة، يا بن أخي إذا كانت لك حاجة فأتِنا.

وأخرجه ابن سعد (3/ 224) عن أبي حبيبة نحوه، وعن رِبعي بن حِراش بمعناه وفي حديثه: فصاح علي صيحة تداعَى لها القصر قال: فمن ذاك إذا لم نكن نحن أولئك؟

وعنده أيضاً (3/ 113) عن إبراهيم قال: جاء ابن جُرموز يستأذن على علي رضي الله عنه فاستجفاه فقال: أما أصحاب البلاء، فقال عليّ: بِفِيك التراب! إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير رضي الله عنهم من الذين قال الله في حقهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾. وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: علي رضي الله عنه: إني لأرجو أن أكون أن وطلحة والزبير من الذين قال الله في حقهم - فذكر الآية.

وأخرج ابن عساكر عن عمرو بن غالب قال: سمع عمار بن ياسر رضي الله عنه رجلاً ينال من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقال له: اسكت مقبوحاً منبوحاً، فأشهدُ أنها زوجة رسول الله ﷺ في الجنة. كذا في «الكنز» (7/ 116). وأخرجه ابن سعد (8/ 65) نحوه، والترمذي، وفي حديثه: اغرب مقبوحاً؛ أتؤذي محبوبة رسول الله ﷺ؟!. كذا في «الإصابة» (4/ 360).

وعند ابن عساكر وأبي يَعْلى عن عمار رضي الله عنه قال: لقد سارت أمنا عائشة رضي الله عنها مسيرها، وإنا لنعلم أنها زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلانا بها ليعلم إياه نطيع أو إياها. كذا في «الكنز» (7/ 116).

وأخرجه البيهقي (8/ 174) عن أبي وائل رضي الله عنه قال: لمَّا بعث علي عمار بن ياسر والحسن بن علي رضي الله عنهم إلى الكوفة ليستنفرهم خطب عمار فقال: إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاهم بها لينظر إياه تتَّبعون أو إياها. قال البيهقي: رواه البخاري في الصحيح.

* * *

المجلد السادس

* * *

حَيَاةُ الصَّحَابَة

تأليف

محمد بن يُوسُف الكاندهلوي

نوبليس

حَيَاةُ الصَّحَابَةِ

حَيَاةُ الصَّحَابَة

تأليف
محمد بن يوسف الكاندهلوي

قدم له
أبو الحسن علي الحسني الندوي

المجلد السابع

نوبليس

اسم المجموعة:	حياة الصحابة
اسم الكتـاب:	المجلد السابع
المـؤلــف:	محمد بن يوسف الكاندهلوي
التدقيق والمراقبة:	قسم الدراسات في دار نوبليس
قيـاس الكتـاب:	24 × 17
عدد الصفحات:	200
عدد صفحات المجموعة:	2400
مكـان النشـر:	بيروت
دار النشر والتوزيع:	دار نوبليس
تلفاكس:	961 (1) 58 34 75
هاتـف:	961 (1) 58 11 21 - 961 (3) 58 11 21
بريد إلكتروني:	NOBILIS_INTERNATIONAL@hotmail.com
الطبعة الأولى:	2006

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الأمر باتباع الأكابر على خلاف رأيه

أخرج ابن سعد (3/ 371) عن زيد بن وَهْب قال: أتيت ابن مسعود رضي الله عنه استقرئه آية من كتاب الله فأقرأنيها كذا وكذا، فقلت: إنَّ عمر رضي الله عنه أقرأني كذا وكذا - خلاف ما قرأها عبد الله -. قال: فبكى حتى رأيت دموعه خلال الحصى، ثم قال: اقرأها كما أقرأك عمر، فوالله لهي أبين من طريق السَّيْلَحين، إن عمر كان للإسلام حصناً حصيناً يدخل الإسلامُ فيه ولا يخرج منه، فلما قتل عمر انثلم الحصن فالإسلام يخرج منه ولا يدخل فيه.

* * *

الغضب للأكابر

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 210) عن شُريح بن عبيد أن رجلاً قال لأبي الدرداء رضي الله عنه: يا معشر القراء، ما بالكم أجبن منا وأبخل إذا سئلتم، وأعظم لُقماً إذا أكلتم!! فأعرض عنه أبو الدرداء ولم يردَّ عليه شيئاً. فأُخبر بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسأل أبا الدرداء عن ذلك، فقال أبو الدرداء: اللهمَّ غفراً، وكل ما سمعنا منهم نأخذهم به؟! فانطلق عمر إلى الرجل الذي قال لأبي الدرداء ما قال، فأخذ عمر بثوبه وخَنَقه وقاده إلى النبي ﷺ، فقال الرجل: إنما كنا نخوض ونلعب، فأوحى الله تعالى إلى نبيه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: 65].

وأخرج أبو نعيم في «فضائل الصحابة» عن جبير بن نُفير أن نفراً قالوا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: والله ما رأينا رجلاً أقضى بالقسط، ولا أقولَ بالحق، ولا أشد على المنافقين منك يا أمير المؤمنين! فأنت خير الناس بعد رسول الله ﷺ، فقال عوف بن مالك رضي الله عنه: كذبتم ـ والله ـ لقد رأينا خيراً منه بعد النبي ﷺ، فقال: من هو يا عوف؟ فقال: أبو بكر. فقال عمر: صدق عوف وكذبتم، والله لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك وأنا أضل من بعير أهلي. قال ابن كثير: إسناده صحيح. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 350).

وعند أسد بن موسى عن الحسن قال: كان لعمر رضي الله عنه

عُيون على الناس، فأتَوه فأخبروه أن قوماً اجتمعوا ففضَّلوه على أبي بكر رضي الله عنه، فغضب وأرسل إليهم فأُتي بهم، فقال: يا شر قوم! يا شر حيّ! يا مفسد الحصان! فقالوا: يا أمير المؤمنين لم تقول لنا هذا؟ ما شأننا؟ فأعاد ذلك عليهم ثلاث مرات، ثم قال بعد: لم فرقتم بيني وبين أبي بكر الصدِّيق؟ فوالذي نفسي بيده لوددتُ أني من الجنة حيث أرى فيها أبا بكر مدَّ البصر.

وعند اللالكائي عن عمر رضي الله عنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، فمن قال غير هذا بعد مقالي هذا فهو مفترٍ وعليه ما على المفتري.

وعند خيثمة في «فضائل الصحابة» عن زياد بن عِلاقة قال: رأى عمر رضي الله عنه رجلاً يقول: إن هذا لخير الأمة بعد نبينا. فجعل عمر يضرب الرجل بالدِّرة ويقول: كذب الآخِرا لأبو بكر خير مني ومن أبي ومنك ومن أبيك!! كذا في «منتخب الكنز» (4/ 350).

وأخرج خيثمة وابن عساكر عن أبي الزِّناد قال: قال رجل لعلي رضي الله عنه يا أمير المؤمنين ما بال المهاجرين والأنصار قدَّموا أبا بكر وأنت أوفى منه مَنْقَبَة، وأقدم منه سِلماً، وأسبق سابقة؟ قال: إن كنت قُرشياً فأحسبك من عائذة، قال: نعم، قال: لولا أن المؤمن عائذ الله لقتلتك، ولئن بقيت ليأتينَّك مني روعة حصراء، ويحك! إن أبا بكر سبقني إلى أربع: سبقني إلى الإمامة، وتقديم الإمامة، وتقديم الهجرة وإلى الغار، وإفشاء الإسلام؛ ويحك إن الله ذمَّ الناس كلَّهم ومدح أبا بكر فقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠] الآية. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 355). وأخرجه العِشاري عن ابن عمر بمعناه، كما في «المنتخب» (4/ 447).

وأخرج الطبراني عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: كنت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه فعُرض عليه فرس، فقال رجل احملني على هذا، فقال: لأن أحمل عليه غلاماً قد ركب الخيل على غِرّته أحب إليّ من أن أحملك عليه، فغضب الرجل وقال: أنا ـ والله ـ خير منك ومن أبيك فارساً! فغضبت حين قال ذلك لخليفة رسول الله ﷺ، فقمت إليه فأخذت برأسه فسحبته على أنفه، فكأنما كان على أنفه عزلاء مَزادة، فأرادت الأنصار أن يستقيدوا مني، فبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه فقال: إن ناساً يزعمون أني مُقيدهم من المغيرة بن شعبة؛ ولأن أخرجَهم من ديارهم أقرب من أن أقيدهم من وَزَعَة الله الذي يَزَعون عباد الله. قال الهيثمي (9/ 361): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج ابن عساكر عن أبي وائل أن ابن مسعود رضي الله عنه رأى رجلاً قد أسبل فقال: ارفع إزارك، فقال: وأنت يا بن مسعود ارفع إزارك. فقال له عبد الله: إني لست مثلك إن بساقيَّ حُموشةً وأنا أؤم الناس. فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه، فجعل يضرب الرجل ويقول: أتردُّ على ابن مسعود؟ كذا في «الكنز» (7/ 55).

وأخرج يعقوب بن سفيان وابن عساكر عن العلاء عن أشياخ لهم قال: كان عمر على دار لابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بالمدينة ينظر إلى بنائها. فقال رجل من قريش: يا أمير المؤمنين إنك تُكفى هذا، فأخذ لبنة فرمى بها، وقال: أترغب بي عن عبد الله؟! كذا في «الكنز» (7/ 55).

وأخرج أبو عبيد في «الغريب» وسفيان بن عيينة واللالكائي عن أبي وائل أن رجلاً كان له حقٌّ على أم سَلَمة رضي الله عنها، فأقسم عليها، فضربه عمر رضي الله عنه ثلاثين سوطاً تَبضَع وتَحدِر. كذا في «المنتخب» (5/ 120).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (8/ 253) عن أم موسى قالت: بلغ علياً رضي الله عنه أن ابن سبا يفضله على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فهمَّ علي بقتله، فقيل له: أتقتل رجلاً إنما أجلَّك وفضلك؟ فقال: لا جَرَم لا يساكنني في بلدة أنا فيها.

وأخرج العِشَاري واللالكائي عن إبراهيم قال: بلغ علياً رضي الله عنه أن عبد الله بن الأسود ينتقص أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فدعا بالسيف فهمَّ بقتله، فكُلم فيه، فقال: لا يساكنني في بلد أنا فيها، فنفاه إلى الشام. كذا في «المنتخب» (4/ 447).

وأخرج العِشَاري عن الحسن بن كَثِير عن أبيه قال: أتى علياً رضي الله عنه رجل فقال: أنت خير الناس. فقال: هل رأيت رسول الله ﷺ؟ قال: لا، قال: ما رأيت أبا بكر؟ قال: لا، قال: أما إنك لو قلت إنك رأيت النبي ﷺ لقتلتك، ولو قلت رأيت أبا بكر وعمر لحددتك.

وأخرج ابن أبي عاصم وابن شاهين واللالكائي والأصبهاني وابن عساكر عن علقمة قال: خطبنا علي رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنه بلغني أن ناساً يفضلوني على أبي بكر وعمر، ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه، ولكني أكره العقوبة قبل التقدُّم، فمن قال شيئاً من ذلك بعد مقامي هذا فهو مفتر، عليه ما على المفتري. خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم أحدَثْنا بعدهم أحداثاً يقضي الله فيها ما يشاء.

وعند خيثمة واللالكائي وأبي الحسن البغدادي والشيرازي وابن مَنْده وابن عساكر عن سُويد بن غَفْلة قال: مررتُ بقوم يذكرون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وينتقصونهما. فأتيت علياً رضي الله عنه فذكرت له

ذلك فقال: لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل، أخوا رسول الله ﷺ ووزيراه! ثم صعد المنبر فخطب خطبة بليغة فقال:

«ما بال أقوام يذكرون سيدَي قريش وأبوَي المسلمين بما أنا عنه متنزه، وممّا يقولون بريء، وعلى ما يقولون معاقب؟ والذي فَلَق الحبة وبرأ النَّسَمة إنه لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يُبغضهما إلا فاجر رديء، صحبا رسول الله ﷺ بالصدق والوفاء يأمران وينهيان ويعاقبان، فما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله ﷺ، ولا يرى رسول الله ﷺ كرأيهما رأياً، ولا يحب حبهما حباً، مضى رسول الله ﷺ وهو عنهما راضٍ والناس راضون، ثم وُلي أبو بكر الصلاة، فلما قبض الله نبيه ﷺ ولاّه المسلمون ذلك وفوَّضوا إليه الزكاة لأنهما مقرونتان، ـ وكنت أولَ من يُسمِّي له من بني عبد المطلب ـ وهو لذلك كاره، يود أن بعضنا كفاه، فكان ـ والله ـ خير من بقي، أرأفه رأفة، وأرحمه رحمة، وأكيسه ورعاً، وأقدمه إسلاماً، شبهه رسول الله ﷺ بميكائيل رأفة ورحمة، وبإبراهيم عفواً ووقاراً، فسار بسيرة رسول الله حتى قبض رحمة الله عليه.

ثم وَلي الأمر من بعده عمر بن الخطاب، واستأمر في ذلك الناس، فمنهم من رضي ومنهم من كره، فكنت ممن رضي. فوالله ما فارق عمر الدنيا حتى رضي من كان له كارهاً، فأقام الأمر على منهاج النبي ﷺ وصاحبه، يتبع آثارهما كما يتبع الفصيل أثر أمه. وكان ـ والله ـ خيْر من بقي، رفيقاً رحيماً، وناصر المظلوم على الظالم. ثم ضرب

الله بالحق على لسانه حتى رأينا أن مَلَكاً ينطلق على لسانه، وأعز الله بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته للدين قِواماً، وقذف في قلوب المؤمنين الحب له وفي قلوب المنافقين الرهبة له، شبهه رسول الله ﷺ بجبريل فظاً غليظاً على الأعداء، وبنوح حَنقاً ومغتاظاً على الكافرين. فمن لكم بمثلهما؟ لا يُبلغ مبلغهما إلا بالحبِّ لهما واتباع آثارهما، فمن أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني وأنا منه بريء. ولو كنت تقدمتُ في أمرهما لعاقبت أشد العقوبة، فمن أُتيت به بعد مقامي هذا فعليه ما على المفتري. ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ثم الله أعلم بالخير أين هو. أقول قولي هذا ويغفر الله لي ولكم». (كذا في «منتخب الكنز» (4/ 446).

وأخرج ابن عساكر عن أبي إسحاق قال: قال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن عثمان ـ رضي الله عنه ـ في النار. قال: ومن أين علمت؟ قال: لأنّه أحدث أحداثاً. فقال له علي: أتراك لو كانت لك بنت أكنت تزوجها حتى تستشير؟ قال: لا، قال: أفرأي هو خير من رأي رسول الله ﷺ لابنتيه؟ وأخبرني عن النبي ﷺ أكان إذا أراد أمراً يستخير الله أو لا يستخيره؟ قال: لا، بل كان يستخيره، قال: أفكان الله يخير له أم لا؟ قال: بل يخير له، قال: فأخبرني عن رسول الله ﷺ، اختار الله له في تزويجه عثمان أم لم يختر له؟ ثم قال: لقد تجردتُ لك لأضرب عنقك فأبى الله ذلك، أما والله لو قلت غير ذلك لضربت عنقك. كذا في المنتخب (5/ 18).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (9/ 235) عن سالم عن أبيه قال:

لقيني رجل من أصحاب النبي ﷺ في لسانه ثقل ما يُبِين كلامَه، فذكر عثمان رضي الله عنه، قال: عبد الله، فقلت: والله ما أدري ما تقول غير أنكم تعلمون يا معشر أصحاب محمد ﷺ أنا كنا نقول على عهد رسول الله ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان، وإذا هو هذا المال فإن أعطاه؛ يعني يرضيه ذلك.

وأخرج الطبراني عن عامر بن سعد قال: بينما سعد رضي الله عنه يمشي إذ مر برجل وهو يشتم علياً وطلحة والزبير رضي الله عنهم، فقال له سعد: إنك تشتم أقواماً قد سبق لهم من الله ما سبق، والله لتكفنَّ عن شتمهم أو لأدعُونَّ الله عز وجل عليك، قال: يخوفني كأنه نبي! فقال سعد: اللهمَّ إن كان يشتم أقواماً قد سبق لهم منك ما سبق فاجعله اليوم نكالاً! فجاءت بُخْتِيَّة، فأفرج الناس لها فتخبطته، فرأيت الناس يتبعون سعداً يقولون: استجاب الله لك يا أبا إسحاق. قال الهيثمي (9/ 154): رجاله رجال الصحيح ـ اهـ. وعند الحاكم (3/ 499) عن مصعب بن سعد عن سعد رضي الله عنه أن رجلاً نال من علي رضي الله عنه، فدعا عليه سعد بن مالك، فجاءته ناقة أو جمل فقتله فأعتق سعد نَسَمة وحلف أن لا يدعو على أحد.

وعنده أيضاً عن قيس بن أبي حازم قال: كنت بالمدينة فبينا أنا أطوف في السوق إذ بلغت أحجار الزيت، فرأيت قوماً مجتمعين على فارس قد ركب دابة وهو يشتم علي بن أبي طالب رضي الله عنه والناس وقوف حواليه، إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فوقف عليهم، فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يشتم علي بن أبي طالب. فتقدَّم سعد فأفرجوا له حتى وقف عليه، فقال: ما هذا؟ علامَ تشتم علي بن أبي طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلَّى مع

رسول الله ﷺ؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ - وذكر حتى قال: ألم يكن خَتَنَ رسول الله ﷺ على ابنته؟ ألم يكن صاحب راية رسول الله ﷺ في غزواته؟ ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللهمَّ إنَّ هذا يشتم ولياً من أوليائك، فلا تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك. قال قيس: فوالله ما تفرقنا حتى ساخت به دابته فرمته على هامته في تلك الأحجار فانفلق دماغه ومات. قال الحاكم (3/ 500) - ووافقه الذهبي: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه - اهـ. وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص206) عن ابن المسيَّب نحو السياق الأول.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 95) عن رياح بن الحارث أن المغيرة رضي الله عنه كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره، فجاء رجل يدعى سعيد بن زيد فحياه المغيرة وأجلسه عند رجليه على السرير، فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسب، فقال: من يسب هذا يا مغيرة؟ قال: سبَّ علي بن أبي طالب. فقال: يا مغيرة بن شعبة - ثلاثاً - ألا أسمع أصحاب رسول الله ﷺ يُسبون عندك لا تنكر ولا تغيِّر! وأنا أشهد على رسول الله ﷺ مما سمعت أذناني ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ - فإني لم أكن أروي عنه كذباً يسألني عنه إذا لقيته - أنه قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، (وعبد الرحمن في الجنة)، وسعد بن مالك في الجنة» وتاسع المؤمنين في الجنة، ولو شئت أن أسميه لسميته، قال: فرجَّ أهل المسجد يناشدونه: يا صاحب رسول الله من التاسع؟ قال: ناشدتموني بالله والله عظيم؛ أنا تاسع المؤمنين ورسول الله العاشر. ثم أتبع ذلك يميناً فقال: لمشهد

شهده رجل مع رسول الله ﷺ يغبر وجهه مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل أحدكم ولو عُمِّر عمر نوح.

وعنده أيضاً (1/ 96) عن عبد الله بن ظالم المازني قال: لما خرج معاوية رضي الله عنه من الكوفة استعمل المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: فأقام خطباء يقعون في علي وأنا إلى جنب سعيد بن زيد. قال: فغضب فقام فأخذ بيدي فتبعته، فقال: ألا ترى إلى هذا الرجل الظالم لنفسه الذي يأمر بلعن رجل من أهل الجنة! فأشهد على التسعة أنهم في الجنة ولو شهدت على العاشر لم آثم. وأخرجه أحمد وأبو نُعيم في المعرفة وابن عساكر عن رياح نحو ما تقدم؛ كما في منتخب «الكنز» (5/ 79).

* * *

البكاء على موت الأكابر

أخرج ابن سعد (3/ 362) عن ابن سيرين قال: أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشراب حين طُعن فخرج من جراحته، فقال صهيب رضي الله عنه: واعُمَراه! واأخاه! من لنا بعدك! فقال له عمر: مَهْ يا أخي! أما شعرت أنه من يُعوَّل عليه يُعذَّب.

وعن أبي بردة عن أبيه قال: لما طُعن عمر أقبل صهيب يبكي رافعاً صوته، فقال عمر: أعليَّ؟ قال: نعم، قال عمر: أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «من يُبْكَ عليه يُعذَّب».

وعن المقدام بن معدِ يكرب رضي الله عنه قال: لما أصيب عمر دخلت عليه حَفْصة رضي الله عنها فقالت: يا صاحب رسول الله، ويا صهر رسول الله، ويا أمير المؤمنين. فقال عمر لابن عمر: يا عبد الله أجلسني فلا صبر لي على ما أسمع. فأسند إلى صدره فقال لها: إني أحرِّج عليك بما لي عليك من الحق أن تَنْدُبيني بعد مجلسك هذا فأما عينك فلن أملِكَها، إنه ليس من ميت يندب بما ليس فيه إلا الملائكة تَمقُتُهُ.

وأخرج ابن سعد (3/ 372) عن عبد الملك بن زيد عن أبيه قال: بكى سعيد بن زيد رضي الله عنه فقال له قائل: يا أبا الأعور ما يبكيك؟ فقال: على الإسلام أبكي. إن موت عمر رضي الله عنه ثَلَمَ الإسلام، ثُلمة لا تُرتق إلى يوم القيامة. وعن أبي وائل قال: قدم علينا عبد الله بن

مسعود رضي الله عنه فنَعى إلينا عمر، فلم أرَ يوماً كان أكثر باكياً ولا حزيناً منه، ثم قال: والله لو أعلم عمر كان يحب كلباً لأحببته، والله إني أحسب العِضاه قد وَجَدَ فَقْد عمر.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي عثمان قال: رأيت عمر رضي الله عنه لما جاءه نعيُ النعمان وضع يده على رأسه وجعل يبكي. كذا في «الكنز» (8/ 117).

وأخرج أبو نعيم عن أبي الأشعث الصَّنْعاني قال: كان أمير على صنعاء يقال له ثمامة بن عدي ـ رضي الله عنه، وكانت له صحبة ـ فلما جاء نعي عثمان رضي الله عنه بكى وقال: هذا حين انتزعت خلافة النبوة وصار ملكاً وجَبْرية، من غلب على شيء أكله. كذا في منتخب «الكنز» (5/ 27). وأخرجه ابن سعد (3/ 80) نحوه.

وأخرج ابن سعد (3/ 81) عن زيد بن علي أن زيد بن ثابت رضي الله عنه كان يبكي على عثمان رضي الله عنه يوم الدار.

وعن أبي صالح قال: كان أبو هريرة رضي الله عنه إذا ذكر ما صُنع بعثمان رضي الله عنه بكى، قال: فكأني أسمعه يقول: هاه هاه! ينتحب.

وعن يحيى بن سعيد قال: قال أبو حُمَيد الساعدي رضي الله عنه لما قتل عثمان ـ وكان ممن شهد بدراً ـ: اللهمَّ إن لك عليَّ ألا أفعل كذا، ولا أفعل كذا، ولا أضحك حتى ألقاك.

* * *

التنكر بموت الأكابر

أخرج البزّار عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: ما عدا [أن] وارينا رسول الله ﷺ في التراب فأنكرنا قلوبنا. قال الهيثمي (9/ 38): رجاله رجال الصحيح - اهـ.

وعند أبي نُعيم في «الحلية» (1/ 254) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ ووجوهنا واحدة حتى فارقنا، فاختلفت وجوهنا يميناً وشمالاً؛ وفي رواية أخرى عنه عنده قال: كنا مع نبينا ﷺ ووجهنا واحد فلما قُبِض نظرنا هكذا وهكذا.

وعند ابن سعد (2/ 274) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان اليوم الذي قُبض فيه النبي ﷺ أظلم منها - يعني المدينة - كل شيء، وما نفضنا عنه الأيدي من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا.

وعنده أيضاً (1/ 234) عن أنس في حديث الهجرة قال: فشهدته يوم دخل المدينة علينا فما رأيت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل المدينة علينا، وشهدته يوم مات فما رأيت قط يوماً كان أقبح ولا أظلم من يوم مات.

وأخرج ابن سعد (3/ 374) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أصحاب الشورى اجتمعوا، فلما رآهم أبو طلحة رضي الله عنه وما يصنعون قال: لأنَا كنت لأَنْ تَدَافعوها أخوفَ مني مِنْ أن تَنَافَسوها، فوالله ما من أهل بيت من المسلمين إلا وقد دخل عليهم في موت عمر رضي الله عنه نقص في دينهم وفي دنياهم.

إكرام ضعفاء المسلمين وفقرائهم

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 346) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ ونحن ستة نفر فقال المشركون: اطرد هؤلاء عنك فإنهم وإنهم! قال: فكنت أنا وابن مسعود رضي الله عنه ورجل من هذيل وبلال رضي الله عنه ورجلان نسيت اسميهما. قال: فوقع في نفس النبي ﷺ من ذلك ما شاء الله، فحدَّث به نفسه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: 52]؛ وأخرجه الحاكم (3/ 319) عن سعد مختصراً وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 346) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار رضي الله عنهم ونحوهم وناس من ضعفاء المسلمين فقالوا: يا رسول الله أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أفنحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ أهؤلاء الذين منَّ الله عليهم؟ اطردهم عنك فلعلك إن طردتهم اتبعناك، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ - إلى قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: 51]؛ وأخرجه أحمد والطبراني نحوه، قال الهيثمي (7/ 21) رجال أحمد رجال الصحيح غير كُردوس وهو ثقة. انتهى.

وأخرج أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ

وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ [عبس: 1]: جاء ابن أم مكتوم رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وهو يكلم أبي بن خَلف، فأعرض عنه، فأنزل الله عز وجل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾، فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه.

وعند أبي يعلى وابن جرير عن عائشة رضي الله عنها قالت: أُنزلت «عبس وتولى» في ابن أم مكتومَ الأعمى أتى إلى رسول الله ﷺ فجعل يقول: أرشدني: قالت: وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، قالت: فجعل النبي ﷺ يُعرضُ عنه ويقبل على الآخر ويقول: «أترى بما أقول بأساً؟» فيقول: لا، ففي هذا أُنزلت «عبس وتولى». وروى الترمذي هذا الحديث مثله؛ كذا في التفسير لابن كثير (4/ 470).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 146) عن خبّاب بن الأرت رضي الله عنه قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفَزَاري فوجدا النبي ﷺ قاعداً مع عمار وصهيب وبلال وخباب بن الأرت ـ رضي الله عنهم ـ في أناس من ضعفاء المؤمنين، فلما رأوهم حقروهم فخلوا به فقالوا: إن وفود العرب تأتيك فنستحي أن يرانا العرب قعوداً مع هذه الأعبُد، فإذا جئناك فأقمهم عنا، قال: «نعم»، قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً، فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب ـ ونحن قعود في ناحية ـ إذ نزل جبريل عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٢ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأنعام: 52 ـ 54] ـ الآية، فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة ودعانا فأتيناه وهو يقول: «سلام عليكم» فدنونا منه حتى وضعنا رُكَبنا على ركبته، فكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام

وتركنا فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: 28] قال: فكنا بعد ذلك نقعد مع النبي ﷺ، فإذا بلغنا الساعة التي كان يقوم فيها قمنا وتركناه وإلا صبر أبداً حتى نقوم. وأخرجه ابن ماجه عن خباب بنحوه، كما في «البداية» (6/ 56)، وأخرجه ابن أبي شيبة عن الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن نحوه إلى آخر الآية ولم يذكر ما بعده، كما في «كنز العمال» (1/ 245).

وعند أبي نُعيم أيضاً (1/ 345) عن سلمان رضي الله عنه قال: جاءت المؤلَّفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وذوُوهم، فقالوا: يا رسول الله إنك لو جلست في صدر المسجد ونحَّيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم - يعنون أبا ذر، وسلمان رضي الله عنهما، وفقراء المسلمين، وكان عليهم جباب الصوف لم يكن عندهم غيرها - جلسنا إليك، وخالصْناك، وأخذنا عنك، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ حتى بلغ ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: 27] - يتهددهم بالنار، فقام نبي الله يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات».

وأخرج ابن عساكر عن مالك عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي رضي الله عنهم فقال: هؤلاء الأوس

والخزرج قاموا بنصرة هذا الرجل، فما بال هؤلاء؟ فقام معاذ رضي الله عنه فأخذ بتلبيبه حتى أتى به النبي ﷺ فأخبره بمقالته فقام رسول الله ﷺ مغضباً يجر رداءه حتى دخل المسجد، ثم نُودي الصلاة جامعة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا أيها الناس إنَّ الربَّ رب واحد، وإن الأب أب واحد، وإن الدين دين واحد، ألا وإن العربية ليست لكم بأب ولا أم، إنما هي لسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي». فقال معاذ وهو آخذ بتلبيبه: يا رسول الله ما تقول في هذا المنافق؟ فقال: «دعه إلى النار». قال: فكان فيمن ارتد فقُتل في الردة. كذا في «الكنز» (7/ 46).

* * *

إكرام الوالدين

أخرج الطبراني في «الصغير» (247) عن بريدة أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني حملت أمي على عنقي فرسخين في رمضاء شديدة لو ألقيتُ فيها بضعة من لحم لنضجت فهل أدَّيت شكرها؟ فقال: «لعله أن يكون لطلقة واحدة». قال الهيثمي (8/ 137): وفيه الحسن بن أبي جعفر وهو ضعيف من غير كذب، وليث بن أبي سُلَيم مدلِّس - انتهى.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن عائشة رضي الله عنها قالت: أتى رسول الله ﷺ رجل ومعه شيخ فقال له: «يا فلان من هذا معك؟» قال: أبي، قال: «فلا تمشِ أمامه، ولا تجلس قبله، ولا تَدْعُه باسمه، ولا تَسْتَسِبَّ له» قال الهيثمي (8/ 137): وفيه علي بن سعيد بن بشير شيخ الطبراني وهو ليِّن، وقد نقل ابن دقيق العيد أنه وُثِّق، ومحمد بن عروة بن البِرِند لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن أبي غسان الضَّبِّي قال: خرجت أمشي مع أبي بظَهْر الحرَّة، فلقيني أبو هريرة رضي الله عنه فقال لي: من هذا؟ قلت: أبي، قال: لا تمش بين يدي أبيك ولكن امش خلفه أو إلى جانبه، ولا تدع أحداً يحول بينك وبينه، ولا تمش فوق إجَّار أبيك تُخفه، ولا تأكل عَرقاً قد نظر أبوك إليه لعله قد اشتهاه. قال الهيثمي (8/ 137): وأبو غسان وأبو غنم الراوي عنه لم أعرفهما وبقية رجاله ثقات.

وأخرج الستة إلا ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى نبي الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال: «أحيٌّ والداك؟» قال: نعم، قال: «فيهما فجاهد». وفي رواية لمسلم قال: أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله. قال: «فهل منْ والديك أحد حيٌّ؟» قال: نعم، بل كلاهما حي، قال: «فتبتغي الأجر من الله»؟. قال: نعم، قال: «فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما» وفي رواية لأبي داود قال: جئت أبايعك على الهجرة وتركت أبواي يبكيان. فقال: «ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما». وعنده أيضاً من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن رجلاً من أهل اليمن هاجر إلى رسول الله ﷺ فقال: «هل لك أحد باليمن؟» قال: أبواي، قال: «أذنا لك؟» قال: لا، قال: «فارجع إليهما فاستأذنهما فإن أذِنا لك فجاهد وإلا فَبِرَّهما».

وعند أبي يعلى والطبراني بإسناد جيد عن أنس رضي الله عنه قال: «أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه، قال: «هل بقي من والديك أحد؟» قال: أمي، قال: «قابل الله في برِّها فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد». كذا في «الترغيب» (4/ 93).

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «تجهَّزوا إلى هذه القرية الظالم أهلها فإن الله فاتُحها عليكم إن شاء الله» - يعني خيبر - ولا يخرجنَّ معي مُصعِب ولا مُضعِف»؛ فانطلق أبو هريرة رضي الله عنه إلى أمه فقال: جهِّزيني فإن رسول الله ﷺ قد أمر بالجهاد للغزو. فقالت: تنطلق، وقد علمت ما أدخل إلا وأنت معي؟! قال: ما كنت لأتخلَّف عن رسول الله ﷺ. فأخرجت ثديها فناشدته بما رضع من لبنها، فأتت رسول الله ﷺ سراً

فأخبرته فقال: «انطلقي فقد كُفيت». فجاء أبو هريرة فأعرض عنه رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أرى إعراضك عني لا أرى ذلك إلا لشيء بلغك. قال: «أنت الذي تناشدك أمك وأخرجت ثديها تناشدك بما رضعت من لبنها! أيحسب أحدكم إذا كان عند أبويه أو أحدهما أنه ليس في سبيل الله؟ بل هو في سبيل الله إذا برَّهما وأدّى حقَّهما». فقال أبو هريرة: لقد مكثت بعد ذلك سنتين ما أغزو حتى ماتت ـ فذكر الحديث. قال الهيثمي (5/ 323): وفي علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف ـ انتهى.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ على السِّقاية، فجاءته امرأة بابن لها فقالت: إن ابني هذا يريد الغزو وأنا أمنعه. فقال: «لا تبرح من أمك حتى تأذن لك أو يتوفَّاها الموت لأنه أعظم لأجرك». وعنده أيضاً عنه قال: جاء رجل وأمه إلى النبي ﷺ وهو يريد الجهاد وأمه تمنعه فقال النبي ﷺ: «عند أمك قَرَّ، فإن لك من الأجر عندها مثل ما لك في الجهاد»؛ وفي الإسنادين رُشْدِين بن كريب وهو ضعيف، كما قال الهيثمي (5/ 322).

وعنده أيضاً عن طلحة بن معاوية السُّلمي رضي الله عنه قال أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إني أريد الجهاد في سبيل الله، قال: «أمك حية؟» قلت: نعم، قال النبي ﷺ: «الزم رجلها فثمَّ الجنة». قال الهيثمي (8/ 138): رواه الطبراني عن ابن إسحاق ـ وهو مدلِّس ـ عن محمد بن طلحة ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وعنده أيضاً عن معاوية بن جاهِمة عن أبيه رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله أستشيره في الجهاد فقال النبي ﷺ: «ألك والدان؟»

قال: نعم، قال: «الزمهما فإنَّ الجنة تحت أقدامهما». قال الهيثمي (8/ 138) رجاله ثقات. اهـ.

وأخرجه ابن سعد (4/ 17) عن معاوية بن جاهمة السُّلمي أن جاهمة جاء النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئتك أستشيرك. فقال: «هل لك من أم؟» قال: نعم. قال: «فالزمها فإنَّ الجنة تحت رجلها». ثم الثانية ثم الثالثة في مقاعد شتى وكمثل هذا القول.

وأخرج أبو يَعْلى عن نُعيم مولى أم سلمة رضي الله عنها قال: خرج ابن عمر رضي الله عنهما حاجاً حتى كان بين مكة والمدينة أتى شجرة فعرفها فجلس تحتها، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ تحت هذه الشجرة إذ أقبل رجل شاب من هذه الشُّعبة حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني جئت لأجاهد معك في سبيل الله أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، فقال: «أبواك حيان كلاهما؟» قال: نعم، قال: «فارجع فبرهما» فانفتل راجعاً من حيث جاء. قال الهيثمي (8/ 138): وفيه ابن إسحاق وهو مدلِّس ثقة، وبقية رجاله رجال الصحيح إن كان مولى أم سلمة ناعم وهو الصحيح، وإن كان نُعيماً فلم أعرفه - انتهى.

وأخرج البيهقي (7/ 94) عن حسن بن حسن عن أبيه أن عمر بن الخطاب خطب أم كلثوم، فقال له علي - رضي الله عنه - إنها تصغر عن ذلك. فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي» فأحبُّ أن يكون لي من رسول الله ﷺ سبب ونسب، فقال علي للحسن والحسين رضي الله عنهم: زوِّجا عمكما. فقالا: هي امرأة من النساء تختار لنفسها. فقام علي مُغْضباً، فأمسك الحسن بثوبه وقال: لا صبر لي على هجرانك يا أبتاه، قال: فزوَّجاه. كذا في «الكنز» (8/ 296).

وأخرج ابن سعد (4/ 94) عن محمد بن سيرين قال: بلغت النَّخلة على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ألف درهم، قال: فعمد أسامة رضي الله عنه لى نخلة فنقرها وأخرج جُمَّارها فأطعمها أمه. فقالوا له: ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم؟ قال: إنَّ أمي سألتنيه ولا تسألني شيئاً أقدر عليه إلا أعطيتها.

* * *

الرحمة على الأولاد والتسوية بينهم

أخرج الطبراني عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر يخطب الناس، فخرج الحسين بن علي رضي الله عنهما في عنقه خِرْقة يجرها، فعثر فيها فسقط على وجهه، فنزل النبي ﷺ عن المنبر يريده، فلما رآه الناس أخذوا الصبي فأتوه به، فأخذه وحمله فقال: «قاتل الله الشيطان! إن الولد فتنة، والله ما علمت أني نزلت عن المنبر حتى أُتيت به». قال الهيثمي (8/ 155): رواه الطبراني عن شيخه حسن ولم ينسبه عن عبد الله بن علي الجارودي ولم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج البزار عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: جاء حسن رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ وهو ساجد فركب على ظهره، فأخذه رسول الله ﷺ بيده حتى قام ثم ركع فقام على ظهره، فلما قام أرسله فذهب. قال الهيثمي (9/ 175): رواه البزار وفي إسناده خلاف. اهـ.

وعند الطبراني عن الزبير رضي الله عنه قال: لقد رأيت رسول الله ﷺ ساجداً حتى جاء الحسن بن علي رضي الله عنهما فصعد على ظهره، فما أنزله حتى كان هو الذي نزل، وإن كان ليُفرج له رجليه فيدخل من ذا الجانب ويخرج من ذا الجانب الآخر. قال الهيثمي (9/ 175): وفيه علي بن عابس وهو ضعيف ـ اهـ.

وعند البزار عن البهيّ قال: قلت لعبد الله بن الزبير رضي الله

عنهما: أخبرني بأقرب الناس شبهاً برسول الله ﷺ، فقال: الحسن بن علي كان أقرب الناس شبهاً برسول الله ﷺ وأحبهم إليه، كان يجيء ورسول الله ﷺ ساجد فيقع على ظهره فلا يقوم حتى يتنحّى، ويجيء فيدخل تحت بطنه فيُفرج له رجليه حتى يخرج. قال الهيثمي (9/ 176): وفيه علي بن عابس وهو ضعيف. انتهى.

وعند أبي يَعْلى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلّي فإذا سجد وثب الحسن والحسين رضي الله عنهما على ظهره، فإذا أرادوا أن يمنعوهما أشار إليهم أن دعوهما، فإذا قضى الصلاة وضعهما في حِجْره وقال: «من أحبّني فليحبَّ هذين». قال الهيثمي (9/ 179): رواه أبو يَعْلى والبزار وقال: فإذا قضى الصلاة ضمَّهما إليه، والطبراني باختصار، ورجال أبي يَعْلى ثقات، وفي بعضهم خلاف - انتهى. وعند أبي يعلى عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسجد فيجيء الحسن أو الحسين فيركب ظهره فيطيل السجود، فيقال: يا نبي الله أطلت السجود؟ فيقول: «ارتحلني ابني فكرهت أن أعجله». قال الهيثمي (9/ 181): وفيه محمد بن ذكوان وثّقه ابن حِبَّان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج البخاري (2/ 887) عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص رضي الله عنهما على عاتقه، فصلى، فإذا ركع وضع، وإذا رفع رفعها. وأخرجه ابن سعد (8/ 39) عن أبي قتادة نحوه.

وأخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين عليهما السلام هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا، فقال رجل: يا

رسول الله إنك لتحبهما! قال: «من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني». قال الهيثمي (9/ 179): رواه أحمد ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف، ورواه البزّار (2627) ورواه ابن ماجه باختصار (143). انتهى.

* * *

مصّه عليه السلام لسان الحسن

وأخرج أحمد عن معاوية رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يمص لسانه ـ أو قال شفته: يعني الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ وإنه لن يعذب لسان أو شفتان مصّهما رسول الله ﷺ. قال الهيثمي (9/ 177): رجال رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن أبي عوف وهو ثقة. انتهى.

وأخرج الطبراني عن السائب بن يزيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قبّل حسناً رضي الله عنه، فقال له الأقرع بن حابس رضي الله عنه: لقد وُلد لي عشرة ما قبلت واحداً منهم. فقال النبي ﷺ: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس». قال الهيثمي (8/ 156): ورجاله ثقات. انتهى. وأخرجه البخاري (887) عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه.

وعند البزّار (1891) عن الأسود بن خَلَف رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه أخذ حسناً فقبّله، ثم أقبل عليهم فقال: «إن الولد مبخلة، مجهلة، مَجْبنة». ورجاله ثقات كما قال الهيثمي (8/ 155).

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص56) عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أرحم الناس بالعيال، وكان له ابن مسترضع في ناحية المدينة، وكان ظئره قَيْناً، وكنا نأتيه وقد دَخّن البيت بإذخر، فيقبله وَيَشمُّه. وأخرجه ابن سعد (1/ 87) عن أنس بمعناه.

وأخرج البزار (1890) عن أنس رضي الله عنه أن امرأة دخلت على عائشة رضي الله عنها ومعها بنتان لها، فأعطتها عائشة ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة ثم أخذت تمرة لتضعها في فمها، قال: فنظر الصبيتان إليها، قال: فصدعتها نصفين، فأعطت كل واحدة منهما نصفاً وخرجت، فدخل رسول الله ﷺ فحدَّثته عائشة بما فعلت ـ أو تفعل ـ المرأة، قال: «فلقد دخلت بذلك الجنة» قال الهيثمي (8/ 158): وفيه عبيد الله بن فَضالة ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وعند الطبراني في «الصغير» (836) و«الكبير» (3/ 2715) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما، قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ومعها ابناها، فسألته فأعطاها ثلاث تَمَرات لكل واحد منهم تمرة، فأعطت كل واحد منهم تمرة فأكلها، ثم نظرا إلى أمهما فشقَّت التمرة بنصفين وأعطت كل واحد منهما نصف تمرة، فقال رسول الله ﷺ: «قد رحمها الله برحمتها ابنيها». قال الهيثمي (8/ 158): وفيه خديج بن معاوية الجُعفي وهو ضعيف.

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص56) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل ومعه صبي، فجعل يضمه إليه، فقال النبي ﷺ: «أترحمه؟» قال: نعم، قال: «فالله أرحم بك منك به وهو أرحم الراحمين».

وأخرج البزار (1893) عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه، وجاءته بنت له فأجلسها بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: «ألا سوّيت بينهم؟» قال الهيثمي (8/ 156): رواه البزّار فقال: حدثنا بعض أصحابنا، ولم يسمِّه وبقية رجاله ثقات.

إكرام الجار

أخرج الطبراني عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما حقُّ جاري؟ قال: «إن مرض عدته، وإن مات شيَّعته، وإن استقرضك أقرضته، وإن أعوز سترته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزَّيته، ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح، ولا تؤذه بريح قدرك إلا أن تغرف له منها».

قال الهيثمي (8/ 165): وفيه أبو بكر الهذلي وهو ضعيف. اهـ. وأخرجه البيهقي في «شُعَب الإيمان» عن معاوية رضي الله عنه مثله إلا أن في روايته: «وإن عَرِي سترته»، كما في «الكنز» (5/ 44).

وأخرج أبو نُعيم في «المعرفة» عن محمد بن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: آذاني جاري، فقال: «اصبر» ثم عاد إليه الثانية فقال: آذاني جاري، فقال: «اصبر» ثم عاد الثالثة، فقال: آذاني جاري، فقال: «اعتمد إلى متاعك فاقذفه في السِّكة، فإذا أتى عليك آتٍ فقل: آذاني جاري، فتحقَّق عليه اللعنة. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت». كذا في «الكنز» (5/ 44).

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ في غزاة فقال: «لا يصحبنا اليوم من

آذى جاره». فقال رجل من القوم: أنا بُلت في أصل حائط جاري. فقال: «لا تصحبنا اليوم». قال الهيثمي (8/ 170): وفيه يحيى بن عبد الحميد الحمَّاني وهو ضعيف. اهـ.

وأخرج أحمد والطبراني عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «ما تقولون في الزنى؟» قالوا: حرام حرّمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة. قال: فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره». قال: فقال: «ما تقولون في السرقة؟» قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام. قال: «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره». قال الهيثمي (8/ 168): رواه أحمد والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ورجاله ثقات.

وأخرج أحمد والطبراني واللفظ له عن مُطَرِّف بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان يبلغني عن أبي ذر رضي الله عنه حديث، وكنت أشتهي لقاءه، فلقيته فقلت: يا أبا ذر كان يبلغني عنك حديثك وكنت أشتهي لقاءك قال: لله - تبارك وتعالى - أبوك! قد لقيتني فهات. قلت: حديثاً بلغني أن رسول الله ﷺ حدَّثك، قال: «إن الله عز وجل يحب ثلاثة ويُبغض ثلاثة» قال: فما إخالني أكذب على رسول الله ﷺ. قال: قلت: فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل؟ قال: «رجل غزا في سبيل الله صابراً محتسباً فقاتل حتى قتل، وأنتم تجدونه عندكم في كتاب الله عز وجل ثم تلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾، قلت: ومَنْ؟ قال: «رجل كان له جار سوء يؤذيه فصبر على أذاه حتى يكفيه الله إياه بحياة أو موت» - فذكر الحديث. قال الهيثمي (8/ 171):

إسناد الطبراني وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح. وقد رواه النسائي (5/ 81) وغيره غير ذكر الجار.

وأخرج ابن المبارك وأبو عبيد في «الغريب» والخرائطي وعبد الرزاق عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن أبا بكر مرَّ بعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما وهو يُمَاظُّ جاراً له، فقال: لا تماظ جارك، فإن هذا يبقى ويذهب الناس. كذا في «الكنز» (5/ 44).

* * *

إكرام الرفيق الصالح

أخرج الطبراني عن رَبَاح بن الربيع رضي الله عنه قال: غزونا مع النبي ﷺ ـ وكان قد أعطى كل ثلاثة منا بعيراً يركبه اثنان ويسوقه واحد في الصحارى وننزل في الجبال ـ فمرّ بي رسول الله ﷺ وأنا أمشي فقال لي: «أراك يا رَبَاح ماشياً». فقلت: إنما نزلت الساعة وهذان صاحباي قد ركبا. فمرَّ بصاحبيَّ فأناخا بعيرهما ونزلا عنه، فلما انتهيت قالا: اركب صدر هذا البعير فلا تزال عليه حتى ترجع ونعتقب أنا وصاحبي. قلت: ولم؟ قالا: قال رسول الله ﷺ: «إن لكما رفيقاً صالحاً فأحسنا صحبته». كذا في «الكنز» (5/ 42).

* * *

إنزال الناس منازلهم

أخرج الخطيب في «المتفق» عن عمرو بن مِخراق قال: مرّ على عائشة رضي الله عنها رجل ذو هيبة وهي تأكل فدعته فقعد معها، ومر آخر فأعطته كسرة، فقيل لها، فقالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم. كذا في «الكنز» (2/ 142).

وأخرجه أيضاً أبو داود في «السنن» وابن خزيمة في «صحيحه» والبزار وأبو يعلى وأبو نُعيم في «المستخرج» والبيهقي في «الأدب» والعسكري في «الأمثال» من طريق ميمون بن أبي شبيب قال: جاء سائل إلى عائشة فأمرت له بكسرة، وجاء رجل ذو هيئة فأقعدته معها، فقيل لها: لم فعلت ذلك؟ قالت: أمرنا ـ فذكره؛ ولفظ أبي نُعيم في «الحلية» (4/ 379): أن عائشة كانت في سفر، فأمرت لناس من قريش بغداء، فجاء رجل غني ذو هيئة فقالت: ادعوه فنزل فأكل ومضى، وجاء سائل فأمرت له بكسرة (فقالوا لها: أمرتينا أن ندعو هذا الغني، وأمرت بهذا السائل بكسرة!) فقالت: إن هذا الغني لم يجمُل بنا إلا ما صنعناه به، وإن هذا الفقير سأل فأمرت له بما يترضّاه، وإن رسول الله ﷺ أمرنا ـ فذكره، وقد صحّح هذا الحديث الحاكم في «معرفة علوم الحديث» وكذا غيره، وتُعقِّب بالانقطاع وبالاختلاف على راويه في رَفْعه، قال السخاوي: وبالجملة فحديث عائشة حسن. كذا في «شرح الإحياء» للزبيدي (6/ 265). وقد تقدَّم أن علياً رضي الله عنه أعطى رجلاً حلّة ومائة دينار، فقيل له، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنزلوا الناس منازلهم، وهذه منزلة هذا الرجل عندي».

التسليم على المسلم

أخرج الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» - وأحد إسنادي «الكبير» روايته محتج بهم في الصحيح - عن الأغرّ أغرّ مزينة قال: كان رسول الله ﷺ أمر لي بجريب من تمر عند رجل من الأنصار، فمطلني به، فكلَّمت فيه رسول الله ﷺ فقال: «اغدُ يا أبا بكر فخُذْ له تمره». فوعدني أبو بكر المسجد إذا صلَّينا الصبح فوجدته حيث وعدني، فانطلقنا فكلّما رأى أبا بكر رجل من بعيد سلَّم عليه، فقال أبو بكر: أما ترى ما يصيب القوم عليك من الفضل لا يسبقك إلى السلام أحد. فكنّا إذا طلع الرجل من بعيد بادرناه بالسلام قبل أن يسلِّم علينا. كذا في «الترغيب» (4/ 206). وأخرجه أيضاً البخاري في «الأدب» (ص145) وابن جرير وأبو نُعيم والخرائطي، كما في «الكنز» (5/ 52).

وعند ابن أبي شيبة عن زُهرة بن خميصة رضي الله عنه قال: رَدَفت أبا بكر رضي الله عنه، فكنَّا نمر بالقوم فنسلِّم عليهم فيردون علينا أكثر مما نسلِّم، فقال أبو بكر: ما زال الناس غالبين لنا منذ اليوم؛ وفي لفظ: فضلنا الناسُ اليوم بخير كثير.

وعند البخاري في «الأدب» عن عمر رضي الله عنه قال: كنت رديف أبي بكر رضي الله عنه، فيمر على القوم فيقول: السلام عليكم، فيقولون: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال أبو بكر: فضلَنا الناس اليوم بزيادة كثيرة. كذا في «الكنز» (5/ 52 و53).

وأخرج ابن عساكر عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه وعظ فقال: عليكم بالصبر فيما أحببتم أو كرهتم فنعم الخصلة الصبر، ولقد أعجبتكم الدنيا، وجرَّت لكم أذيالها ولبست ثيابها وزينتها. إنَّ أصحاب محمد ﷺ كانوا يجلسون بفناء بيوتهم يقولون: نجلس فنُسلم ويسلَّم علينا. كذا في «الكنز» (2/ 156).

وأخرج الطبراني بإسناد حسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع رسول الله ﷺ فتفرَّق بيننا شجرة، فإذا التقينا يسلِّم بعضنا على بعض. كذا في «الترغيب» (4/ 207). وأخرجه البخاري في «الأدب» (ص148) بنحوه.

وأخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 310) عن الطفيل بن أبيٍّ بن كعب أنه كان يأتي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيغدو معه إلى السوق؛ قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمرر عبد الله بن عمر على سقَّاط، ولا صاحب بيعة، ولا مسكين ولا أحد إلا وسلَّم عليه، (قال الطفيل: فجئت عبد الله بن عمر يوماً فاستتبعني إلى السوق)، فقلت: ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس في مجالس (السوق) ـ قال: وأقول، اجلس بنا ههنا نتحدّث ـ، فقال لي عبد الله: يا أبا بطن ـ وكان الطفيل ذا بطن ـ إنما نغدو من أجل السلام، فسلِّم على من لقيت. وأخرجه مالك عن الطفيل بن أبي بن كعب بنحوه. وفي رواية: إنما نغدو من أجل السلام، نسلّم على من لقينا، كما في «جمع الفوائد» (2/ 141). وأخرجه «البخاري» في الأدب (ص148) عن الطفيل بن أبي بنحوه.

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أنه كان يسلِّم على كل من لقيه، قال: فما علمت أحداً سبقه بالسلام إلا يهودياً مرة

اختبأ له خلف أسطوانة فخرج فسلَّم عليه، فقال له أبو أمامة: ويحك يا يهودي ما حملك على ما صنعت؟ قال له: رأيتك رجلاً تكثر السلام فعلمت أنه فضل فأردت أن آخذ به. فقال له أبو أمامة: ويحك إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله جعل السلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل ذمتنا». قال الهيثمي (8/ 33): رواه الطبراني عن شيخه بكر بن سهل الدِّمياطي، ضعَّفه النسائي وقال غيره: مُقارب الحديث. انتهى.

وعند أبي نُعيم في «الحلية» (6/ 112) عن محمد بن زياد قال: كنت آخذ بيد أبي أمامة وهو منصرف إلى بيته، فلا يمر على أحد مسلم ولا نصراني ولا صغير ولا كبير إلا قال: سلام عليكم، سلام عليكم، فإذا انتهى إلى باب الدار التفت إلينا ثم قال: يا ابن أخي أمرنا نبينا عليه السلام أن نفشي السلام بيننا.

وعند البخاري في «الأدب» (ص145) عن بشير بن يسار قال: ما كان أحد يبدأ ـ أو: يبدُر ـ ابن عمر رضي الله عنهما بالسلام.

* * *

رد السلام

أخرج الطبراني عن سلمان رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، قال: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته». ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله، قال: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته» فقال له رسول الله ﷺ: «وعليك»، فقال الرجل: يا رسول الله أتاك فلان وفلان فحييتهما بأفضل

مما حييتني، فقال رسول الله ﷺ: «إنك لن - أو: لم - تدع شيئاً». قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: 86] فرددت عليك التحية. قال الهيثمي (8/ 33): فيه هشام ابن لاحِق قوَّاه النَّسائي وترك أحمد حديثه، وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: «يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام»، فقلت: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. وذهبت تزيد، فقال النبي ﷺ: «إلى هذا انتهى السلام»، فقال: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت. قال الهيثمي (8/ 33): رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح، وهو في «الصحيح» باختصار. انتهى.

وأخرج أحمد عن ثابت البُناني عن أنس رضي الله عنه أو غيره عن النبي ﷺ أنه استأذن على سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال: «السلام عليكم ورحمة الله». فقال سعد: وعليك السلام ورحمة الله، ولم يُسمع النبي ﷺ - حتى سلم ثلاثاً - ورد عليه سعد ثلاثاً ولم يُسمعه، فرجع النبي ﷺ فاتَّبعه سعد، فقال: يا رسول الله - بأبي أنت وأمي - ما سلمتَ تسليمة إلاَّ وهي بأذني، ولقد رددت عليك ولم أسمعك، أحببت أن أستكثر من سلامك ومن البركة، ثم أدخله البيت فقرَّب إليه زيتاً فأكل النبي ﷺ، فلما فرغ قال: «أكل طعامكم الأبرار، وصلَّت عليكم الملائكة، وأفطر عندكم الصائمون». وروى أبو داود بعضه.

ورواه البزّار (338) عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار، فإذا جاء إلى دور الأنصار جاء صبيان الأنصار حوله فيدعو لهم ويمسح رؤوسهم ويسلم عليهم، فأتى النبي ﷺ باب سعد فسلَّم عليه فقال: «السلام عليكم ورحمة الله»، فرد سعد رضي الله عنه

فلم يُسمع النبي ﷺ، حتى سلَّم ثلاث مرات، وكان النبي ﷺ لا يزيد على ثلاث تسليمات، فإن أذن له وإلا انصرف، فرجع - فذكر نحوه. ورجالهما رجال الصحيح كما قال الهيثمي (8/ 34).

وأخرج أبو يعلى (1/ 133) عن محمد بن جُبير أن عمر رضي الله عنه مرَّ على عثمان رضي الله عنه فسلَّم عليه ولم يردَّ عليه، فدخل على أبي بكر رضي الله عنه فاشتكى ذلك إليه، فقال أبو بكر: ما منعك أن ترد على أخيك؟ قال: والله ما سمعت وأنا أحدِّث نفسي. قال أبو بكر: فبماذا تحدِّث نفسك؟ قال: خلاف الشيطان، فجعل يُلْقي في نفسي أشياء ما أحب أنِّي تكلمت بها وإن لي ما على الأرض، قلت في نفسي حين ألقى الشيطان ذلك في نفسي: يا ليتني سألت رسول الله ﷺ ما ينجينا من هذا الحديث الذي يُلقي الشيطان في أنفسنا. فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لقد اشتكيت إلى رسول الله ﷺ وسألته: ما الذي ينجينا من هذا الحديث الذي يُلقي الشيطان في أنفسنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «ينجيكم من ذلك أن تقولوا مثل الذي أمرت به عمي عند الموت فلم يفعل». كذا في «الكنز» (1/ 74) وقال: قال البوصيري في «زوائد العشرة»: سنده حسن.

وأخرجه ابن سعد (2/ 312) عن عثمان رضي الله عنه أطول منه وفي حديثه: فانطلق عمر رضي الله عنه حتى دخل على أبي بكر رضي الله عنه، فقال: يا خليفة رسول الله ألا أعجِّبك!! مررت على عثمان فسلَّمت عليه فلم يرد عليَّ السلام؟ فقام أبو بكر فأخذ بيد عمر فأقبلا جميعاً حتى أتياني. فقال لي أبو بكر: يا عثمان جاءني أخوك فزعم أنه مرَّ بك فسلَّم عليك فلم تردّ عليه، فما الذي حملك على ذلك؟ فقلت: يا خليفة رسول الله ما فعلت. فقال عمر: بلى - والله - ولكنها عُبِّيَّتكم يا بني أمية؟

فقلت: والله ما شعرت أنك مررت بي ولا سلمت عليَّ!! فقال أبو بكر: صدقتَ، أراك والله شُغلت عن ذلك بأمر حدَّثت به نفسك. قال: فقلت: أجل، قال: فما هو؟ فقلت: توفي رسول الله ﷺ ولم أسأله عن نجاة هذه الأمة ما هو، وكنت أحدِّث بذلك نفسي وأعجب من تفريطي في ذلك. فقال أبو بكر: قد سألته عن ذلك فأخبرني به، فقال عثمان: ما هو؟ قال أبو بكر: سألته فقلت: يا رسول الله ما نجاة هذه الأمة؟ فقال: «ممن قَبِل مني الكلمة التي عرضتها على عمي فردَّها عليَّ فهي له نجاة»؛ والكلمة التي عرضها على عمه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً أرسله الله.

وأخرج أحمد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: مررت بعثمان بن عفان رضي الله عنه في المسجد فسلَّمت عليه، فملأ عينيه مني ثم لم يردّ عليَّ السلام، فأتيت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين هل حدَث في الإسلام شيء؟ - مرتين - قال: وما ذاك؟ قلت: لا، إلاَّ أني مررت بعثمان آنفاً في المسجد فسلَّمت عليه فملأ عينيه مني ثم لم يردّ عليَّ السلام. قال: فأرسل عمر إلى عثمان فدعاه فقال: ما منعك أن لا تكون رددت على أخيك السلام؟ قال عثمان: ما فعلت. قلت: بلى، قال: حتى حلف وحلفتُ، قال: ثم إن عثمان ذكر فقال: بلى، وأستغفر الله وأتوب إليه، إنك مررت بي آنفاً وأنا أحدِّث نفسي بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ، والله ما ذكرتها قطُّ إلاَّ يغشَى بصري وقلبي غشاوة. قال سعد: فأنا أنبئك بها: إنّ رسول الله ﷺ ذكر لنا أولَ دعوة ثم جاءه أعرابي فشغله حتى قام رسول الله ﷺ، فتبعته حتى أشفقت أن يسبقني إلى منزله ضربتُ بقدميَّ الأرض، فالتفت إليَّ رسول الله ﷺ فقال: «من هذا أبو إسحاق؟» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «فَمَهْ؟» قلت: لا والله إلاَّ أنك ذكرتَ لنا أول

دعوة ثم جاءك هذا الأعرابي فشغلك قال: «نعم، دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فإنه لن يدعو بها مسلم ربَّه في شيء قط إلا استجاب له». قال الهيثمي (7/ 68): رواه أحمد ورجاله رجال غير إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص وهو ثقة؛ وروى الترمذي طرفاً من آخره. انتهى. وأخرجه أيضاً أبو يَعْلى (2/ 2772) والطبراني في الدعاء وصحَّح عن سعد بن أبي وقاص نحوه، كما في «الكنز» (1/ 298).

* * *

إرسال السلام

أخرج الطبراني عن أبي البختري قال: جاء الأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله البجلي إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه فدخلا عليه في حصن في ناحية المدائن، فأتياه فسلَّما عليه وحيَّياه، ثم قالا: أنت سلمان الفارسي؟ قال: نعم. قالا: أنت صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: لا أدري، فارتابا وقالا: لعله ليس الذي نريد، قال لهما: أنا صاحبكُما الذي تريدان، إني قد رأيت رسول الله ﷺ وجالسته، فإنما صاحبه من دخل معه الجنة! فما حاجتكما؟ قالا: جئناك من عند أخٍ لك بالشام، فقال: من هو؟ قالا: أبو الدرداء. قال: فأين هديته التي أرسل بها معكما؟ قالا: ما أرسل معنا هدية، قال: اتَّقيا الله وأدِّيا الأمانة، ما جاءني أحد من عنده إلا جاء معه بهدية. قالا: لا يُرفع علينا هذا، إنَّ لنا أموالاً فاحتكم فيها. قال: ما أريد أموالكما ولكني أريد الهدية التي بعث بها معكما، قالا: والله ما بعث معنا بشيء إلا أنه قال لنا: إنَّ فيكم رجلاً كان رسول الله ﷺ إذا خلا به لم يبغِ أحداً غيره، فإذا أتيتماه

فاقرِئاه مني السلام. قال: فأيُّ هدية كنت أريد منكما غير هذه، وأيُّ هدية أفضل من السلام تحية من عند الله مباركة طيبة!! قال الهيثمي (8/ 40): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن إبراهيم المسعودي وهو ثقة. انتهى. وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 201) عن أبي البختري مثله.

* * *

المصافحة والمعانقة

أخرج الطبراني عن جندب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا لقي أصحابه لم يصافحهم حتى يسلِّم عليهم. قال الهيثمي (8/ 36): رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم. انتهى.

وأخرج أحمد والرُّوياني عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قيل له: أريد أن أسألك عن حديث من حديث النبي ﷺ، قال: إذنْ أُحَدِّثَكَ به إلا أن يكون سرّاً، قال: كان رسول الله ﷺ يصافحكم إذا لقيتموه؟ قال: ما لقيته قط إلا صافحني كذا في «الكنز» (5/ 54).

وأخرج البزار (2005) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ لقي حذيفة رضي الله عنه فأراد أن يصافحه، فتنحَّى حذيفة فقال: إني كنت جُنُباً، فقال: «إن المسلم إذا صافح أخاه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجرة». قال الهيثمي (8/ 37): وفيه مصعب بن ثابت وثَّقه ابن حبان وضعَّفه الجمهور.

وأخرج الدارقطني وابن أبي شيبة (6/ 138) عن أنس رضي الله عنه قال قلنا: يا رسول الله، أينحني بعضنا لبعض؟ قال: «لا»، قلنا: فيعانق بعضنا بعضاً؟ قال: «لا»، قلنا: فيصافح بعضنا بعضاً؟ قال: «نعم». كذا في «الكنز» (5/ 54).

وعند الترمذي (2728) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: «لا»،

قال: أفليتزمه ويقبِّله؟ قال: «لا»، قال: فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: «نعم». قال الترمذي: هذا حديث حسن، وزاد رزين بعد قوله: ويقبله. قال: «لا، إلا أن يأتي من سفر»، كما في «جمع الفوائد» (2/ 142).

وأخرج الترمذي (2732) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم زيد بن حارثة رضي الله عنه المدينة ورسول الله ﷺ في بيتي، فأتاه فقرع الباب، فقام إليه رسول الله ﷺ عُرياناً يجر ثوبه ـ والله ما رأيته عرياناً قبله ولا بعده ـ فاعتنقه وقبَّله. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وأخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه قال: كان أصحاب النبي ﷺ إذا تلاقوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا. قال الهيثمي (8/ 36): رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج المحاملي عن الحسن رضي الله عنه قال: كان عمر رضي الله عنه يذكر الرجل من إخوانه في الليل فيقول: يا طولها! فإذا صلَّى المكتوبة شدَّ فإذا لقيه اعتنقه أو التزمه. كذا في «الكنز» (5/ 42).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 101) عن عروة رضي الله عنه قال: لما قدم عمر رضي الله عنه الشام تلقَّاه الناس وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: مَنْ؟ قال: أبو عبيدة. قالوا: الآن يأتيك. فلما أتاه نزل فاعتنقه ـ فذكر الحديث كما سيأتي.

* * *

تقبيل يد المسلم ورجله ورأسه

أخرج ابن سعد (4/ 34) عن الشَّعبي قال: لما رجع رسول الله ﷺ من خيبر تلقَّاه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فالتزمه رسول الله ﷺ وقبَّل ما بين عينيه وقال: «ما أدري بأيهما أنا أفرح، بقدوم جعفر أو بفتح خيبر!» وزاد في رواية أخرى عنه: وضمّه إليه واعتنقه.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: بايعت النبي ﷺ بيدي هذه، فقبلناها فلم ينكر ذلك. قال الهيثمي (8/ 42): رجاله ثقات، وفي الصحيح منه البيعة - اهـ. وأخرج أبو يعلى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قبل يد النبي ﷺ. قال الهيثمي (8/ 42): وفيه يزيد بن أبي زياد وهو ليِّن الحديث وبقية رجاله رجال الصحيح - انتهى. وذكر في جمع الفوائد (2/ 143) عن عمر رضي الله عنه أنه قبَّل النبي ﷺ، وقال: للمَوْصلي بلين - اهـ. وأخرجه أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما بسند حسن، كما قال العراقي (2/ 181).

أخرج الطبراني (19/ 186) عن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه لما نزل عُذرة أتى النبي ﷺ فأخذه بيده فقبلها. قال الهيثمي (8/ 42): وفيه يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني وهو ضعيف - اهـ. وأخرجه أبو بكر بن المقرِّي في «كتاب الرخصة» في تقبيل اليد بسند ضعيف - قاله العراقي (2/ 181).

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص144) عن أم أبان بنة الوازع عن

جدها أن جدها الوازع بن عامر رضي الله عنه قال: قدمنا، فقيل: ذاك رسول الله ﷺ، فأخذنا بيديه ورجليه نقبلها.

وعنده أيضاً في «الأدب» (ص86) عن مَزِيدَة العبدي رضي الله عنه قال: جاء الأشجُّ رضي الله عنه يمشي حتى أخذ بيد النبي ﷺ فقبَّلها، فقال له النبي ﷺ: «أمَا إنَّ فيك لخُلقين يحبهما الله ورسوله»، قال: جَبْلاً جُبِلتُ عليه أو خُلِقا معي؟ قال: «لا، بل جَبْلاً جبلتَ عليه»، قال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله.

وأخرج ابن عساكر عن أبي رجاء العُطاردي قال: أتيت المدينة فإذا الناس مجتمعون، وإذا في وسطهم رجل يقبل رأس رجل ويقول: أنا فداك! لولا أنت هلكنا. فقلت: من المقبِّل؟ قال: ذاك عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبِّل رأس أبي بكر رضي الله عنه في قتال أهل الردَّة الذين منعوا الزكاة. كذا في «المنتخب» (4/ 350).

وأخرج عبد الرزاق والخرائطي في «مكارم الأخلاق» والبيهقي وابن عساكر عن تميم بن سلمة قال: لما قدم عمر رضي الله عنه الشام استقبله أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فصافحه وقبّل يده، ثم خَلَوا يبكيان، فكان تميم يقول: تقبيل اليد سنة. كذا في «الكنز» (5/ 54).

وأخرج الطبراني عن يحيى بن الحارث الذِماري قال: لقيت واثلة بن الأسقع رضي الله عنه فقلت: بايعت بيدك هذه رسول الله؟ فقال: نعم، قلت: أعطني يدك أقبلها، فأعطانيها فقبلتها. قال الهيثمي (8/ 42): وفيه عبد الملك القارّي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وعند أبي نعيم في الحديث (9/ 306) عن يونس بن ميسرة قال: دخلنا على يزيد بن الأسود عائدين، فدخل عليه واثِلة بن الأسقع

رضي الله عنه، فلما نظر إليه مدَّ يده، فأخذ يده فمسح بها وجهه وصدره لأنه بايع رسول الله ﷺ، فقال له: يا يزيد كيف ظنك بربك؟ فقال: حسن، فقال: فأبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى يقول: أنا عند ظن عبدي بي، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر».

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» (ص144) عن عبد الرحمن بن رَزِين قال: مررنا بالرَّبذَة فقيل لنا: ههنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، فأتيته فسلمنا عليه وأخرج يده فقال: بايعتُ بهاتين نبي الله ﷺ، فأخرج كفاً له ضخمة كأنها كف بعير، فقمنا إليها فقبلناها. وأخرجه ابن سعد (4/ 39) عن عبد الرحمن بن زيد العراقي نحوه.

وأخرج البخاري أيضاً في الأدب (ص144) عن ابن جدعان قال ثابت لأنس رضي الله عنه: أمَسِسْت النبي ﷺ بيدك؟ قال: نعم، فقبلها، وأخرج البخاري أيضاً في الأدب (ص144) عن صهيب قال: رأيت علياً رضي الله عنه يقبل يد العباس رضي الله عنه ورجليه.

* * *

القيام للمسلم

أخرج البخاري في الأدب (ص138) عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحداً من الناس كان أشبه بالنبي ﷺ كلاماً ولا حديثاً ولا جِلسة من فاطمة رضي الله عنها، قالت: وكان النبي ﷺ إذا رآها قد أقبلت رحَّب بها ثم قام إليها فقبَّلها، ثم أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه، وكانت إذا أتاها النبي ﷺ رحبت به ثم قامت إليه فقبلته، وإنها دخلت على النبي ﷺ في مرضه الذي قُبض فيه فرحب وقبلها وأسرَّ إليها فبكت، ثم أسرَّ إليها فضحكت، فقلت للنساء: إن كنت لأرى أن لهذه المرأة فضلاً على النساء فإذا هي من النساء؛ بينما هي تبكي إذا هي تضحك!! فسألتها: ما قال لك؟ قالت: إني إذاً لبَذِرة! فلما قُبض النبي ﷺ فقالت: أسرَّ إليَّ، فقال: «إني ميِّت»، فبكيت، ثم أسر إليَّ فقال: «إنك أول أهلي بي لحوقاً»، فسررت بذلك وأعجبني.

وأخرج البزّار عن محمد بن هلال عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا خرج قمنا له حتى يدخل بيته. قال الهيثمي (8/ 40): هكذا وجدته فيما جمعته، ولعله عن محمد بن هلال عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو الظاهر فإن هلالاً تابعي ثقة، أو عن محمد بن هلال عن أبيه عن جده، وهو بعيد، ورجال البزار ثقات. انتهى.

وأخرج ابن جرير عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئاً على عصاه فقمنا له، فقال: «لا تقوموا كما يقوم

الأعاجم يعظِّم بعضها بعضاً». كذا في «الكنز» (5/ 55). وأخرجه أبو داود مثله، كما في «جمع الفوائد» (2/ 143).

وأخرج أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر رحمه الله: قوموا نستغيث إلى رسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال رسول الله ﷺ: «لا يقام، إنما يقام لله تبارك وتعالى». قال الهيثمي (8/ 40): وفيه راوٍ لم يُسمَّ وابن لَهيعة. اهـ.

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص138) عن أنس رضي الله عنه قال: ما كان شخص أحبَّ إليهم رؤية من النبي ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا إليه لما يعلمون من كراهيته لذلك. وأخرجه الترمذي وصحَّحه، كما قال العراقي في تخريج الإحياء، والإمام أحمد وأبو داود، كما في البداية (6/ 57).

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص169) عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى النبي ﷺ أن يقيم (الرجلُ) الرجلَ من المجلس ثم يجلس فيه، وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه. وأخرج ابن سعد (4/ 120) عن نافع عن ابن عمر مقتصراً على فعله.

وأخرج ابن سعد (6/ 28) عن أبي خالد الوالبي قال: خرج علينا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونحن قيام ننتظر ليقدم، فقال: ما لي أراكم سامدين؟!

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص144) عن أبي مِجْلَز قال: إن معاوية رضي الله عنه خرج وعبد الله بن عامر وعبد الله بن الزبير رضي الله

عنهم قعود، فقام ابن عامر وقعد ابن الزبير وكان أوزَنهما، قال معاوية: قال النبي ﷺ: «من سره أن يمثُلَ له عباد الله قياماً فليتبوأ بيتاً من النار».

* * *

التزحزح للمسلم

أخرج البيهقي وابن عساكر عن واثِلة بن الخطاب القرشي رضي الله عنه قال: دخل رجل المسجد والنبي ﷺ وحده فتحرك له النبي ﷺ، فقيل له: يا رسول الله المكان واسع. فقال له: «إنَّ للمؤمن حقاً إذا رآه أخوه أن يتزحزح له». كذا في «الكنز» (5/ 55).

وعند الطبراني عن واثلة ـ يعني ابن الأسقع ـ قال: دخل المسجد والنبي ﷺ فيه وحده فتزحزح له، فقال الرجل: يا رسول الله إن المكان واسع، فقال النبي ﷺ: «إنَّ للمسلم حقاً». قال الهيثمي (8/ 40): رجاله ثقات إلا أن أبا عُمير عيسى بن محمد بن النحاس لم أجد له سماعاً من أبي الأسود، والله أعلم. انتهى.

وقد تقدَّم في إكرام أهل البيت أن أبا بكر رضي الله عنه تزحزح لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال: ههنا يا أبا الحسن، فجلس بين رسول الله ﷺ وبين أبي بكر. الحديث.

* * *

إكرام الجليس

أخرج البخاري في «الأدب» (ص167) عن كثير بن مرة قال: دخلت المسجد يوم الجمعة فوجدت عوف بن مالك الأشجعي رضي الله

عنه جالساً في حلقة مدَّ رجليه بين يديه، فلما رآني قبض رجليه ثم قال لي: تدري لأي شيء مددت رجلي؟ ليجيء رجل صالح فيجلس. وعن محمد بن عبَّاد بن جعفر قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أكرم الناس عليَّ جليسي. وعن ابن أبي مُلَيكة عن ابن عباس قال: أكرم الناس عليَّ جليسي، أن يتخطَّى رقاب الناس حتى يجلس إليَّ.

* * *

قبول كرامة المسلم

أخرج ابن أبي شيبة (6/ 21) وعبد الرزاق عن أبي جعفر قال: دخل على عليٍّ رجلان، فطرح لهما وسادة، فجلس أحدهما على الوسادة وجلس الآخر على الأرض، فقال للذي جلس على الأرض: قم فاجلس على الوسادة، فإنه لا يأبى الكرامة إلاَّ حمار. قال عبد الرزاق: هذا منقطع. كذا في «الكنز» (5/ 55).

* * *

حفظ سر المسلم

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 361) عن عمر رضي الله عنه قال: تأيمت حَفْصة بنت عمر ـ رضي الله عنهما ـ من خُنَيس بن حُذافة السَّهْمي رضي الله عنه ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدراً فتوفي بالمدينة ـ فلقيت أبا بكر رضي الله عنه فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فلم يَرجع إليَّ شيئاً، فلبثت ليالي فخطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وَجَدْت حين عرضت عليَّ

حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال قلت: نعم، قال: فإنّه لم يمنعني أن أرجع إليك شيئاً حين عرضتها عليَّ إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يذكرها، ولم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها نكحتها. وأخرجه أيضاً أحمد وابن سعد والبخاري والنسائي والبيهقي وأبو يعلى وابن حبّان مع زيادة، كما في «المنتخب» (5/ 120).

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص169) عن أنس رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ يوماً، حتى إذا رأيت أني قد فرغت من خدمته قلت: يقيل النبي ﷺ، فخرج من عنده فإذا غِلْمة يلعبون، فقمت أنظر إلى لعبهم، فجاء النبي ﷺ فانتهى إليهم فسلَّم عليهم ثم دعاني فبعثني إلى حاجة، فكأنه في فيَّ حتى أتيته وأبطأت على أمي، فقالت: ما حبسك؟ قلت: بعثني النبي ﷺ إلى حاجة، قالت: ما هي؟ قلت: إنه سر للنبي ﷺ فقالت: احفظ على رسول الله ﷺ سره، فما حدثت بتلك الحاجة أحداً من الخلق، فلو كنتُ محدِّثاً حدثتك بها. وأخرجه البخاري أيضاً في صحيحه ومسلم عن أنس رضي الله عنه بنحوه مختصراً، كما في «جمع الفوائد» (2/ 148).

* * *

إكرام اليتيم

أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال: «امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين». قال الهيثمي (8/ 160): رجاله رجال الصحيح ـ اهـ.

وعند الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ

رجل يشكو قسوة قلبه، قال: «أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك، وتدرك حاجتك». وفي إسناده من لم يُسمَّ، وبَقِيَّة مدلِّس، كما قال الهيثمي (8/ 160).

وأخرج البزّار (1910) عن بشير بن عقربة الجهني رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله يوم أحد، فقلت: ما فعل أبي؟ قال: «استُشهد رحمة الله عليه» فبكيت، فأخذني فمسح رأسي وحملني معه وقال: «أما ترضى أن أكون أباك وتكون عائشة أمك؟» قال الهيثمي (8/ 161): وفيه من لا يُعرف ـ اهـ، وأخرجه البخاري في تاريخه عن بشير بن عقربة نحوه، كما في «الإصابة» (1/ 153) وابن مَنْدَه وابن عساكر أطول منه، كما في «المنتخب» (5/ 146).

* * *

إكرام صديق الأب

أخرج أبو داود والترمذي ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروَّح عليه إذا ملّ ركوب الراحلة وعمامة يشدُّ بها رأسه، فبينما هو يوماً على ذلك الحمار إذ مرَّ به أعرابي فقال: ألست فلان بن فلان؟ قال: بلى، فأعطاه الحمارَ فقال: اركب هذا، والعمامةَ وقال: اشدُدْ بها رأسك، فقال له بعض أصحابه: غفر الله لك! أعطيت هذا الأعرابي حماراً كنت تَرَوَّح عليه وعمامة كنت تشدُّ بها رأسك؟! فقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: «إنَّ من أبرِّ البر صلة الرجل أهل وُدِّ أبيه بعد أن تَوَلَّى، وإن أباه كان وُدّاً لعمر رضي الله عنه». كذا في «جمع الفوائد» (2/ 169)، وأخرجه البخاري في «الأدب» (ص9)

بنحوه مختصراً، وفي حديثه: فقال بعض من معه: أما يكفيه درهمان؟! فقال: قال النبي ﷺ: «احفظ وُدَّ أبيك لا تقطعه، فيطفىءَ الله نورك».

وعند أبي داود عن أبي أُسَيد الساعدي رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله هل بقي من برِّ أبويَّ شيء، أبَرُّهما به بعد موتهما؟ قال: «نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وصلة الرحم التي لا تُوصل إلا بهما، وإكرام صديقهما».

* * *

إجابة دعوة المسلم

أخرج البخاري في «الأدب» (ص134) عن زياد بن أنعَم الإفريقي أنهم كانوا غُزاة في البحر زمن معاوية رضي الله عنه، فانضم مركبنا إلى مركب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، فلما حضر غداؤنا أرسلنا إليه فأتانا فقال: دعوتموني وأنا صائم، فلم يكن لي بدٌّ من أن أجيبكم لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ للمسلم على أخيه ستَّ خصال واجبةً؛ إن ترك منها شيئاً فقد ترك حقاً واجباً لأخيه عليه: يسلِّم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويشمِّته إذا عطَس، ويعوده إذا مرض، ويحضره إذا مات، وينصحه إذا استنصحه» ـ فذكر الحديث.

وأخرج ابن المبارك وأحمد في «الزهد» (157) عن حُميد بن نُعيم أن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما دُعيا إلى طعام فأجابا، فلما خرجا قال عمر لعثمان: لقد شهدت طعاماً لوددت أني لم أشهده. قال: وما ذاك؟ قال: خشيت أن يكون مباهاة كذا في «الكنز» (5/ 66) وأخرج أحمد في «الزهد» (161) عن عثمان رضي الله عنه أن

تشميت العاطس

أخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فعطس، فقالوا: يرحمك الله؛ قال رسول الله ﷺ: «يهديكم الله ويُصلح بالكم» قال الهيثمي (8/ 57): وفيه أسْباط بن عزرة ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. اهـ.

وأخرج أحمد وأبو يَعْلى عن عائشة رضي الله عنها قالت: عطس رجل عند رسول الله ﷺ؟ قال: «قولوا: يرحمك الله» قال: ما أقول لهم يا رسول الله؟ قال: «قل لهم: يهديكم الله ويصلح بالكم» قال الهيثمي (8/ 57): وفيه أبو مَعْشر نَجِيح وهو ليِّن الحديث، وبقية رجاله ثقات. وأخرجه ابن جرير والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها نحوه، كما في «كنز العمال» (5/ 56).

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا إذا عطس أحدنا أن نشمِّته، وإسناده جيد كما قال الهيثمي (8/ 57). وعنده أيضاً عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله رب العالمين، فإذا قال ذلك فليقل مَنْ عنده: يرحمك الله، فإذا قال ذلك فليقل: يغفر الله لي ولكم» قال الهيثمي: وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

وأخرج ابن جرير عن أم سَلَمة رضي الله عنها قالت: عطس رجل في جانب بيت النبي ﷺ فقال: الحمد لله، فقال النبي ﷺ: «يرحمك

الله»، ثم عطس آخر في جانب البيت فقال: الحمد لله. كثيراً طيباً مباركاً فيه، فقال النبي ﷺ: «ارتفع هذا على هذا تسع عشرة درجة». كذا في «الكنز» (5/ 56) وقال: لا بأس بسنده.

وأخرج الشيخان وأبو داود والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: عطس رجلان عند النبي ﷺ فشمَّت أحدهما ولم يشمِّت الآخر، فقيل له فقال: «هذا حمد الله وهذا لم يحمد الله». كذا في جمع الفوائد (2/ 145).

وعند أحمد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: عطس رجلان عند النبي ﷺ أحدهما أشرف من الآخر، فعطس الشريف فلم يحمد الله فلم يشمِّته النبي ﷺ، وعطس الآخر فحمد الله فشمَّته النبي ﷺ، قال: فقال: الشريف: عطستُ عندك فلم تشمِّتني وعطس هذا عندك فشمَّته؟ قال: فقال: «إنَّ هذا ذكر الله فذكرتهُ وأنت نسيت الله فنسيتك» قال الهيثمي (8/ 58): رجال أحمد رجال الصحيح غير رِبعي بن إبراهيم وهو ثقة مأمون ـ اهـ. وأخرجه البخاري في «الأدب» (ص136) والبيهقي وابن النجار وابن شاهين، كما في «الكنز» (5/ 57).

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص137) عن أبي بُرْدة قال: دخلت على أبي موسى رضي الله عنه وهو في بيت أم الفضل بن العباس رضي الله عنهم، فعطستُ فلم يشمِّتني وعطستْ فشمَّتها فأخبرتُ أمي، فلما أن أتاها وقعت به وقالت: عطس ابني فلم تشمِّته وعطستْ فشمَّتها؟! فقال لها: إني سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمِّتوه، وإن لم يحمد الله فلا تشمِّتوه» وإن ابني عطس فلم يحمد الله فلم أشمته، وعطست فحمدت الله فشمتها، فقالت: أحسنت.

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص136) عن مكحول الأزدي قال:

كنت إلى جنب ابن عمر رضي الله عنهما، فعطس رجل من ناحية المسجد، فقال ابن عمر: يرحمك الله إن كنت حمدت الله.

وأخرج **البيهقي** عن نافع رضي الله عنه أن ابن عمر رضي الله عنها كان إذا عطس فقيل له: يرحمك الله، قال: يرحمنا الله وإياكم وغفر لنا ولكم. كذا في «الكنز» (5/ 57). وأخرجه البخاري في «الأدب» (ص136) نحوه.

وأخرج **البيهقي** عن نافع رضي الله عنه قال: عطس رجل عند ابن عمر رضي الله عنهما فحمد الله، فقال له ابن عمر: قد بخلت، فهلاّ حيث حمدت الله صلَّيت على النبي ﷺ.

وعن **الضحاك بن قيس اليَشْكُري** قال: عطس رجل عند ابن عمر فقال: الحمد لله رب العالمين. فقال عبد الله: لو تممتها والسلام على رسول الله. كذا في «الكنز» (5/ 57).

وأخرج **البخاري** في «الأدب» (ص135) عن أبي جَمْرة قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول إذا شُمِّت: «عافانا الله وإياك من النار، يرحمكم الله».

* * *

عيادة المريض وما يقال له

أخرج أبو داود عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: عادني رسول الله ﷺ من وجع كان بعيني، كذا في جمع الفوائد (1/ 124).

وأخرج البخاري (1/ 173) ـ واللفظ له ـ ومسلم (1628) والأربعة عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجعٍ اشتد بي، فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا»، فقلت: فالشطر؟ فقال: «لا»، ثم قال: «الثلث والثلث كبير ـ أو: كثير ـ إنك إن تَذَر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفَّفون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرتَ بها حتى ما تجعل في فيِّ امرأتك»، قلت: يا رسول الله أُخَلَّف بعد أصحابي؟ قال: «إنك لن تُخلَّف فتعمل عملاً صالحاً إلا ازددتَ به درجة ورفعة، ثم لعلَّك أن تُخلَّف حتى ينتفع بك أقوام ويُضر بك آخرون. اللهمَّ أمضِ لأصحابي هجرتهم ولا تردّهم على أعقابهم، لكن البائس سعد بن خَوْلة!» يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة.

وأخرج البخاري في «صحيحه» (5661) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: مرضت مرضاً فأتاني النبي ﷺ يعودني وأبو بكر رضي الله عنه وهما ماشيان، فوجداني أُغمي عليَّ، فتوضأ النبي ﷺ ثم صبَّ وضوءه عليَّ، فأفقت فإذا النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله كيف أصنع

في مالي؟ كيف أقضي في مالي؟ فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث. وأخرجه في «الأدب» (ص75) مثله.

وأخرج البخاري في صحيحه (5663) عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ركب على حمار على إكاف على قطيفة فَدَكِيَّة وأردف أسامة وراءه يعود سعد بن عبادة رضي الله عنه قبل وقعة بدر، فسار حتى مرَّ بمجلس فيه عبد الله بن أبيّ بن سلول - وذلك قبل أن يسلم عبد الله - وفي المجلس أخلاطٌ من المسلمين والمشركين عبدةِ الأوثان واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فلما غشّيت المجلسَ عجاجةُ الدابة خَمَّر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، قال: لا تغبِّروا علينا. فسلَّم النبي ﷺ ووقف ونزل، فدعاهم إلى الله فقرأ عليهم القرآن، فقال له عبد الله بن أبيّ: يا أيها المرء إنَّه لا أحسنَ مما تقول، إن كان حقاً فلا تؤذِنا به في مجالسنا، وارجع إلى رَحْلك فمن جاءك فاقصُص عليه. قال ابن رواحة: بلى - يا رسول الله - فاغشَنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك. فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفِّضهم حتى سكتوا، فركب النبي ﷺ دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له: «أيْ سعد، ألم تسمع ما قال أبو حُبَاب؟» - يريد عبد الله بن أبي، قال سعد: يا رسول الله اعفُ عنه واصفح، فلقد أعطاك الله ما أعطاك، ولقد اجتمع أهل هذه البُحَيرة على أن يتوِّجوه فيعصِّبوه، فلما رُدَّ ذلك بالحق الذي أعطاك الله شَرِقَ بذلك، فذلك الذي فعل به ما رأيت.

وأخرج البخاري (5656) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده، قال: وكان النبي ﷺ إذا دخل على مريض يعوده قال له: «لا بأس، طَهور إن شاء الله تعالى». قال: قلت:

طهور؟! كلا، بل هي حمى تفور، أو ـ تثور ـ على شيخ كبير، تزيره القبور. فقال النبي: «فنعم إذاً».

وأخرج البخاري (5677) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وُعِك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما، قالت: فدخلت عليهما فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت: وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كلُّ امرئٍ مُصَبَّحٌ في أهلِهِ

والموتُ أدنى من شِراكِ نَعْلِهِ

وكان بلال إذا أقلعت عنه يقول:

ألاَ ليتَ شِعْري هل أبيتَنَّ ليلةً

بوادٍ وحولي إذخرٌ وجليلُ

وهل أرِدَنْ يوماً مياهَ مَجِنَّةٍ

وهل يَبْدُوَنْ لي شامةٌ وطَفيلُ

قالت عائشة: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «اللهمَّ حبِّب إلينا المدينة كحبِّنا مكة أو أشد، اللهمَّ وصحِّحها، وبارك لنا في مدِّها وصاعها، وانقل حُمَّاها فاجعلها بالجُحْفة».

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» (ص75) عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟» قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا، قال: من عاد منكم اليوم مريضاً؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «من شهد منكم اليوم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «من أطعم اليوم مسكيناً؟» قال أبو بكر: أنا. قال

مروان: بلغني أن النبي ﷺ قال: «ما اجتمعت هذه الخصال في رجل في يوم إلا دخل الجنة».

وأخرج ابن جرير والبيهقي عن عبد الله بن نافع قال: عاد أبو موسى الحسن بن علي رضي الله عنهم فقال علي: أما إنه ما من مسلم يعود مريضاً إلا وعاد معه سبعون ألف ملك يستغفرون له إن كان مصبحاً حتى يمسي، وكان له خريف في الجنة، وإن كان ممسياً خرج له سبعون ألف ملك كلهم يستغفرون له، وكان له خريف في الجنة. كذا في «الكنز» (5/ 50)، وقال: قال ـ أي البيهقي ـ: هكذا رواه أكثر أصحاب شعبة مرفوعاً، وقد رُوي من غير وجه عن علي مرفوعاً. انتهى؛ وهكذا أخرجه أبو داود عن عبد الله بن نافع نحوه موقوفاً، وقال: أسند هذا عن علي عن النبي ﷺ من غير وجه صحيح، وهكذا أخرجه أحمد (1/ 121) عن عبد الله بن نافع قال: عاد أبو موسى الأشعري الحسن بن علي بن أبي طالب، فقال له علي: أعائداً جئت أم زائراً؟ قال: لا، بل جئت عائداً، قال علي: أما إنه ما من مسلم ـ فذكر نحوه.

وأخرج أحمد (1/ 91) عن أبي فاخِتة قال: عاد أبو موسى الأشعري الحسن بن علي ـ رضي الله عنهم ـ قال: فدخل علي فقال: أعائداً جئت يا أبا موسى أم زائراً؟ فقال: يا أمير المؤمنين لا، بل عائداً. فقال علي رضي الله عنه: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما عاد مسلمٌ مسلماً إلا صلَّى عليه سبعون ألف ملك من حين يصبح إلى أن يمسي، وجعل الله تعالى له خريفاً في الجنة». قال: فقلنا: يا أمير المؤمنين وما الخريف؟ قال: الساقية التي تسقي النخل.

وأخرج أحمد أيضاً (1/ 97) عن عبد الله بن يَسَار أن عمرو بن حُرَيْث عاد الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ فقال له علي: أتعود

الحسن وفي نفسك ما فيها؟ فقال له عمرو: إنك لست بريئٌ فتُصرِّف قلبي حيثُ شئت. قال علي رضي الله عنه: أما إن ذلك لا يمنعنا أن نؤدي إليك النصيحة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم عاد أخاه إلا ابتعث الله له سبعين ألف ملك يصلُّون عليه من أيِّ ساعات النهار كان حتى يمسي ومن أيِّ ساعات الليل كان حتى يصبح». وأخرجه البزّار. قال الهيثمي (3/ 31): ورجال أحمد ثقات.

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص72) عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبيه قال: كنت مع سلمان رضي الله عنه وعاد مريضاً في كِندة، فلما دخل عليه قال: أبشر فإن مَرَض المؤمن يجعله الله له كفارة ومستعتَباً، وإن مَرَض الفاجر كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلا يدري لم عُقل ولم أُرسل.

وعند أبي نعيم في «الحلية» (1/ 206) عن سعيد بن وَهْب قال: دخلت مع سلمان رضي الله عنه على صديق له من كِندة يعوده فقال له سلمان: إن الله تعالى يبتلي عبده المؤمن بالبلاء ثم يعاقبه، فيكون كفارة لما مضى فيَستعتب فيما بقي. وإن الله عز اسمه يبتلي عبده الفاجر بالبلاء ثم يعاقبه، فيكون كالبعير عقله أهله ثم أطلقوه؛ فلا يدري فيم عقلوه حين عقلوه ولا فيمَ أطلقوه حين أطلقوه.

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص78) عن نافع رضي الله عنه قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا دخل على مريض يسأله كيف هو، فإذا قام من عنده قال: خارَ الله لك ولم يَزده عليه.

وأخرج أيضاً (ص78) عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: دخل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على مريض يعوده ومعه قوم وفي البيت

امرأة، فجعل رجل من القوم ينظر إلى المرأة، فقال له عبد الله: لو انفقأتْ عينك كان خيراً لك.

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص79) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا عاد المريض جلس عند رأسه ثم قال ـ سبع مرار ـ: «أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم أن يشفيك». فإن كان في أجَله تأخير عُوفي من وجعه.

وأخرج ابن أبي شيبة (7/ 77) عن علي رضي الله عنه. كان رسول الله ﷺ إذ دخل على المريض قال: «أذهبِ البأسَ ربَّ الناس واشف أنت الشافي لا شافيَ إلا أنت» ورواه أحمد والترمذي ـ وقال حسن غريب ـ والدَّوْرَقي وابن جرير وصحَّحه بلفظ: «لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً». كذا في «الكنز» (5/ 50).

وعند ابن مردويه وأبي علي الحداد في «معجمه» عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا عاد مريضاً وضع يده اليمنى على خده اليمنى وقال: «لا بأس أذهبِ البأسَ ربَّ الناس، اشف أنت الشافي لا يكشف الضر إلا أنت».

وعند ابن أبي شيبة (7/ 79) عن أنس رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا دخل على مَريض قال: «أذهب البأس ربَّ الناس، واشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقماً». كذا في «الكنز» (5/ 51).

وأخرج أبو يَعْلى (7/ 4459) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا عاد مريضاً يضع يده على المكان الذي يألم ثم يقول: «بسم الله لا بأس». قال الهيثمي (2/ 299): رجاله موثَّقون.

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن سلمان رضي الله عنه قال: دخل عليَّ رسول الله ﷺ يعودني، فلما أراد أن يخرج قال: «يا سلمان، كشف الله ضرَّك، وغفر ذنبك، وعافاك في دينك وجسدك إلى أجلك». وفيه عمر بن خالد القرشي وهو ضعيف، كما قال الهيثمي (2/ 299).

وأخرج البخاري في صحيحه (2/ 847) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضاً أو أُتي به إليه قال عليه الصلاة والسلام: «أذهب البأسَ ربَّ الناس، اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، (شفاء) لا يغادر سَقَماً». وأخرجه ابن سعد (2/ 14) عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يعوِّذ بهذه الكلمات ـ فذكر نحوه، وفيه قالت: فلما ثَقُل رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه أخذت بيده، فجعلت أمسحه بها وأعوِّذه بها، قالت: فنزع يده مني وقال: «ربِّ اغفر لي وألحقني بالرفيق»، قالت: وكان هذا آخر ما سمعت من كلامه.

* * *

الاستئذان

أخرج البخاري في «صحيحه» (2/ 923) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا سلَّم سلم ثلاثاً، وإذا تكلَّم بكلمة أعادها ثلاثاً.

وعند أبي داود عن قيس بن سعد رضي الله عنهما قال: زارنا النبي ﷺ في منزلنا فقال: «السلام عليكم ورحمة الله»، فردّ أبي ردّاً خفياً، فقلت: ألا تأذن لرسول الله ﷺ؟ فقال: ذَرْه حتى يكثر علينا من السلام. فقال ﷺ: «السلام عليكم ورحمة الله»، فردّ سعد ردّاً خفياً، ثم قال ﷺ: «السلام عليكم ورحمة الله»، ثم رجع. فاتَّبعه سعد فقال: يا رسول الله، إنِّي كنت أسمع تسليمك وأردُّ عليك ردّاً خفياً لتكثر علينا من السلام، فانصرف معه النبي ﷺ، وأمر له سعد بغُسل فاغتسل، ثم ناوله مِلحفة مصبوغة بزعفران أو وَرْس فاشتمل بها، ثم رفع يده وهو يقول: «اللهمَّ اجعل صلواتك ورحمتك على (آل) سعد». ثم أصاب ﷺ من الطعام، فلما أراد الانصراف قرب له سعد حماراً قد وُطِّأ عليه بقطيفة، فقال سعد: يا قيس اصحب رسول الله ﷺ، فصحبته، فقال لي: «اركب معي» فأبيت، فقال: «إمَّا أن تركب وإما أن تنصرف» فانصرفت. كذا في «جمع الفوائد» (2/ 143).

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» (ص158) عن رِبْعي بن حِراش رضي الله عنه قال: حدثني رجل من بني عامر جاء إلى النبي ﷺ قال: «أألج؟ فقال النبي ﷺ للجارية: «اخرجي فقولي له قل: السلام

عليكم أأدخلُ؟ فإنه لم يحسن الاستئذان»، قال: فسمعتها قبل أن تخرج إليَّ الجارية، فقلت: السلام عليكم أأدخل؟ فقال: «وعليك، ادخل» - فذكر الحديث وأخرجه أيضاً أبو داود، كما في «جمع الفوائد» (2/ 143).

وأخرج أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء عمر رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وهو في مشربة له، فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليكم، أيدخل عمر؟ قال الهيثمي (8/ 44) رجاله رجال الصحيح - اهـ. وأخرجه أبو داود والنَّسائي عن عمرو رضي الله عنه نحوه والخطيب ولفظه: قال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليكم، أيدخل عمر؟ والترمذي. كذا في «الكنز» (5/ 51).

وأخرج البيهقي عن عمر قال: استأذنت على رسول الله ﷺ ثلاثاً فأذن لي. قال البيهقي: حسن غريب. كذا في «الكنز» (5/ 51).

وأخرج أبو يَعْلى (10/ 6129) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث إلينا رسول الله ﷺ فجئنا فاستأذنا. قال الهيثمي (8/ 45): رجاله رجال الصحيح غير إسحاق بن أبي إسرائيل وهو ثقة.

وأخرج الطبراني عن سفينة رضي الله عنه قال: كنت عند النبي ﷺ وجاء علي رضي الله عنه يستأذن، فدقَّ الباب دقّاً خفيفاً، فقال النبي ﷺ: «افتح له». قال الهيثمي (8/ 45): وفيه ضرار بن صُرَد وهو ضعيف.

وأخرج الطبراني عن سعد بن عبادة رضي الله عنه أنه استأذن وهو مستقبل الباب، فقال له النبي ﷺ: «لا تستأذن وأنت مستقبل الباب». وفي رواية قال: جئت إلى النبي ﷺ وهو في بيت، فقمت مقابل الباب

فاستأذنت، فأشار إليَّ أن تباعد، ثم جئت فاستأذنت فقال: «وهل الاستئذان إلا من أجل النظر». ورجال الرواية الثانية رجال الصحيح، كما قال الهيثمي (8/ 44).

وأخرج البخاري (6242) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً اطَّلع من بعض حُجَر النبي ﷺ، فقام إليه النبي ﷺ بمشقص أو بمشاقص؛ فكأنِّي أنظر إليه يختِل الرجل ليطعنه.

وعنده أيضاً (6901) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رجلاً اطَّلع في حُجْرٍ في باب رسول الله ﷺ ومع رسول الله ﷺ مِدْرَى يحك به رأسه، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «لو أعلم أنك تنتظرني لطعنتُ به في عينيك»، قال رسول الله ﷺ: «إنما جُعل الإذن من قِبَل البصر».

وأخرج البخاري (6245) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنت في مجلس الأنصار إذ جاء أبو موسى رضي الله عنه كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر رضي الله عنه ثلاثاً لم يُؤذن لي فرجعت. قال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثاً فلم يُؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم فلم يُؤذن له فليرجع»، فقال: والله لتقيمنَّ عليه بينة، أمنكم أحد سمعه من النبي ﷺ؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم فقمت معه فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك.

وعنده أيضاً (7353) من طريق عُبيد بن عُمير فقال عمر: خفي عليَّ هذا من أمر النبي ﷺ، ألهاني الصَّفْق بالأسواق.

وعنده أيضاً في «الأدب المفرد» (ص157) عن أبي موسى رضي الله

عنه قال: استأذنت على عمر رضي الله عنه فلم يُؤذن لي ثلاثاً فأدبرت، فأرسل إليَّ فقال: يا عبد الله اشتد عليك أن تحتبس على بابي؟! اعلم أن الناس كذلك يشتد عليهم أن يحتبسوا على بابك.

فقلت: بل استأذنت عليك ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ممن سمعت هذا؟ فقلت: سمعته من النبي ﷺ، فقال: أسمعت من النبي ما لم نسمع؟ لئن لم تأتني على هذا ببينة لأجعلنَّك نكالاً، فخرجت حتى أتيت نفراً من الأنصار جلوساً في المسجد فسألتهم، فقالوا: أوَيشك في هذا أحد؟ فأخبرتهم ما قال عمر، فقالوا: لا يقوم معك إلا أصغرنا، فقام معي أبو سعيد الخدري - وأبو مسعود رضي الله عنهما - إلى عمر، فقال: خرجنا مع النبي ﷺ وهو يريد سعد بن عبادة رضي الله عنه حتى أتاه فسلّم فلم يُؤذن له، ثم سلّم الثانية ثم الثالثة فلم يُؤذن له، فقال: «قضينا ما علينا»، ثم رجع فأدركه سعد فقال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما سلمتَ من مرة إلا وأنا أسمع وأردُّ عليك، ولكن أحببت أن تكثر من السلام عليَّ وعلى أهل بيتي، فقال أبو موسى: والله إن كنتُ لأميناً على حديث رسول الله ﷺ! فقال: أجل، ولكن أحببت أن استثبت.

وأخرج البيهقي عن عامر بن عبد الله أن مولاة له ذهبت بابنة الزبير إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: أدخل؟ فقال عمر: لا، فرجعت فقال: ادعوها، فتقولي: السلام عليكم أدخل؟ كذا في «الكنز» (5/ 51).

وأخرج ابن سعد (3/ 309) عن أسلم قال: قال لي عمر رضي الله عنه: يا أسلم أمسك عليَّ الباب فلا تأخذنَّ من أحد شيئاً، فرأى عليَّ يوماً ثوباً جديداً فقال: من أين لك هذا؟ قلت: كسانيه عبيد الله بن عمر

ـ رضي الله عنهما ـ فقال: أما عبيد الله فخذ منه وأما غيره فلا تأخذنّ منه شيئاً. قال أسلم: فجاء الزبير رضي الله عنه وأنا على الباب فسألني أن يدخل، فقلت: أمير المؤمنين مشغول ساعة. فرفع يده فضرب خلف أذني ضربة صيَّحني، فدخلت على عمر فقال: ما لك؟ فقلت: ضربني الزبير وخبَّرته خبره، فجعل عمر يقول: الزبير والله أرى، ثم قال: أدخله فأدخلته على عمر، فقال: لم ضربت هذا الغلام؟ فقال الزبير: زعم أنه سيمنعنا من الدخول عليك. فقال: هل ردَّك عن بابي قط؟ قال: لا، قال عمر: فإن قال لك: اصبر ساعة فإن أمير المؤمنين مشغول لم تعذُرني، إنه والله؟ إنما يُدمى السبع للسباع فتأكله. كذا في «الكنز» (5/ 51).

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» (ص189) عن زيد بن ثابت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاءه يستأذن عليه يوماً، فأذن له ورأسه في يد جارية له ترجِّله، فنزع رأسه، فقال له عمر: دَعْها ترجِّلك. فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليَّ جئتك. فقال عمر: إنما الحاجة لي.

وأخرج الطبراني عن رجل قال: استأذنا على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بعد صلاة الصبح، فأذن لنا وألقى على امرأته قطيفة، وقال: إني كرهت أن أحبسكم. قال الهيثمي (8/ 46): والرجل لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص155) عن موسى بن طلحة رضي الله عنه قال: دخلت مع أبي على أمي فدخل فاتَّبعته، فالتفت فدفع في صدري حتى أقعدني على استي، ثم قال: أتدخل بغير إذن؟! وصحَّح سنده الحافظ في «الفتح» (11/ 20).

وأخرج أيضاً (ص159) عن مسلم بن نذير قال: استأذن رجل على

حذيفة رضي الله عنه فاطَّلع وقال: أدخل؟ قال حذيفة: أما عينك فقد دخلت، وأما استُك فلم تدخل! وقال رجل: أستأذنُ على أمي؟ قال: إن لم تستأذن رأيت ما يسوءك.

وأخرج أحمد عن أبي سُويد العبدي قال: أتينا ابن عمر رضي الله عنهما فجلسنا ببابه ليُؤذنَ لنا، قال: فأبطأ علينا الإذن، فقمت إلى حُجْر في الباب فجعلت أطَّلع فيه ففطن بي، فلما أذن لنا جلسنا، فقال: أيكم اطَّلع آنفاً في داري؟ قلت: أنا، قال: بأي شيء استحللت أن تطَّلع في داري؟ قلت: أبطأ علينا فنظرت فلم أتعمد ذلك، قال: ثم سألوه عن أشياء، قلت: يا أبا عبد الرحمن ما تقول في الجهاد، قال: من جاهد فإنما يجاهد لنفسه. قال الهيثمي (8/ 44): وأبو الأسود وبركة بن يَعْلى التميمي لم أعرفهما.

* * *

حب المسلم لله

أخرج أحمد عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: «أيُّ عُرى الإسلام أوثق؟» قالوا: الصلاة، قال: «حسنة وما هي بها»، قالوا: صيام رمضان، قال: «حسن وما هو به»، قالوا: الجهاد، قال: «حسن وما هو به»، قال: «إنَّ أوثق عُرى الإيمان أن تحب لله وتُبغض في الله». وفيه ليث بن أبي سُليم وضعَّفه الأكثر.

وعنده أيضاً عن أبي ذر رضي الله عنه قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: «أتدرون أي الأعمال أحب إلى الله؟» قال قائل: الصلاة والزكاة. وقال قائل: الجهاد، قال: «إنَّ أحب الأعمال إلى الله عز وجل الحب لله والبغض لله». وفيه رجل لم يُسمَّ. وعند أبي داود طَرَف منه. كذا في مجمع الزوائد (1/ 90).

وأخرج أبو يَعْلى عن (8/ 4552) عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما أحب رسول الله ﷺ إلا ذا تُقى. وإسناده حسن، كما قال الهيثمي (10/ 274).

وأخرج ابن عساكر عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: رجلان مات النبي ﷺ وهو يحبهما: عبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر رضي الله عنهم. وعنده أيضاً عن الحسن رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يبعث عمرو بن العاص رضي الله عنه على الجيش عاملاً وفيهم عامة أصحابه، فقيل لعمرو: إنَّ رسول الله ﷺ قد كان يستعملك

ويُذْنيك ويحبك، فقال: قد كان يستعملني فلا أدري يتألَّفني أو يحبني. ولكن أدلكم على رجلين مات رسول الله ﷺ وهو يحبهما: عبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر رضي الله عنهم. كذا في «المنتخب» (5/ 238). وأخرجه ابن سعد (3/ 188) عن الحسن نحو وزاد: قالوا: فذاك والله قتيلكم يوم صفين، قال: صدقتم ـ والله ـ لقد قتلناه.

وأخرج الطيالسي والترمذي ـ وصحّحه ـ والرُّوياني والبَغَوي والطبراني والحاكم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كنت جالساً إذ جاء عليٌّ والعباس رضي الله عنهما يستأذنان فقالا: يا أسامة استأذن لنا على رسول الله ﷺ. فقلت: يا رسول الله عليٌّ والعباس يستأذنان، فقال: «أتدري ما جاء بهما؟» قلت: لا، قال النبي ﷺ: «لكني أدري، ائذن لهما» فدخلا فقالا: يا رسول الله جئناك نسألك أيُّ أهلك أحب إليك؟ قال: «فاطمة بنت محمد» قالا: ما جئناك نسألك عن أهلك، قال: «فأحب الناس إليَّ مَنْ أَنْعَمَ الله عليه وأنعمتُ عليه أسامة بن زيد»، قالا: ثم من؟ قال: «ثم عليّ بن أبي طالب»، فقال العباس: يا رسول الله جعلت عمَّك آخرهم. قال: «إنَّ علياً سبقك بالهجرة». كذا في «المنتخب» (5/ 136).

وعند ابن عساكر عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ﷺ أيُّ الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، قال: ومن الرجال؟ قال: أبو بكر» قال: ثم من، قال: «ثم أبو عبيدة» كذا في «المنتخب» (4/ 351).

وعند ابن سعد (8/ 67) عن عمرو رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله من أحب الناس إليك قال: «عائشة» قال: إنما أقول من الرجال، قال: «أبوها».

وأخرج أبو داود عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فمر رجل فقال: يا رسول الله إني لأحب هذا، فقال له ﷺ: «أعلمته؟» قال: لا، قال: «فأعلمه» فلحقه فقال: إني أحبك في الله، قال: أحبَّك الذي أحببتني له. كذا في «جمع الفوائد» (2/ 147). وأخرجه ابن عساكر وابن النجار عن أنس رضي الله عنه وأبو نعيم عن الحارث بنحوه، كما في «الكنز» (5/ 42).

وعند الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما أنا جالس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فسلَّم ثم ولَّى عنه، فقلت: يا رسول الله إني أحب هذا، قال: «هل أعلمتَه؟» قلت: لا، قال: «فأعلم ذاك أخاك». فأتيته فسلَّمت عليه فأخذت بمنكبه وقلت: والله إني لأحبك في الله، وقال هو: وإني أحبُّك في الله، وقلت: لولا أن النبي ﷺ أمرني لم أفعل. قال الهيثمي (10/ 282): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، ورجالهما رجال الصحيح غير الأزرق بن علي وحسان بن إبراهيم وكلاهما ثقة.

وعند الطبراني أيضاً عن عبد الله بن سَرْجَس رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ: إني أحب أبا ذر رضي الله عنه، فقال: «أعلمتَه بذلك؟» قلت: لا، قال: «فأعلمه» فلقيت أبا ذر فقلت: إني أحبك في الله. قال: أحبُّك الذي أحببتني له. فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته فقال: «أما إنَّ ذلك لِمَن ذكره أجر». قال الهيثمي (10/ 282): وفيه من لم أعرفهم.

وأخرج أبو يَعْلى (7208) عن مجاهد فقال: مرَّ رجل بابن عباس رضي الله عنهما قال: إن هذا يحبني، قالوا: وما يدريك يا أبا عباس، قال: لأني أحبُّه. وفيه محمد بن قادمة شيخ أبي يَعْلى ضعَّفه الجمهور ووثَّقه ابن حِبَّان وغيره، وبقية رجاله ثقات، كما قال الهيثمي (10/ 275).

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» (ص80) عن مجاهد قال: لقيني رجل من أصحاب النبي ﷺ فأخذ بمَنكبي من ورائي قال: أما إني أحبك قال: أحبك الذي أحببتني له، فقال: لولا أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الرجلُ الرجلَ فليخبره أنَّه أحبَّه» ما أخبرتك، قال: ثم أخذ يعرض عليَّ الخِطبة قال: أما إنَّ عندنا جارية. أمَا إنها عوراء.

وأخرج الطبراني عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال لي: أحبَّ في الله وأبغض في الله، ووال في الله وعاد في الله، فإنّه لا تُنال ولا ية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك، وصارت مؤاخاة الناس في أمر الدنيا. وفيه ليث بن أبي سُلَيم والأكثر على ضَعْفه، كما قال الهيثمي (1/ 90).

* * *

هجرة المسلم

أخرج البخاري (6073) عن عوف بن الطفيل وهو ابن أخي عائشة ـ رضي الله عنها زوج النبي ﷺ لأمها ـ أن عائشة حُدِّثت أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهينَّ عائشة أو لأحجرنَّ عليها. فقالت: أهو قال هذا؟! قالوا: نعم، قالت: هو لله علي نَذْر أن لا أُكلِّم ابن الزبير أبداً. فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة، فقالت: لا والله لا أُشَفِّع فيه أبداً ولا أتحنث إلى نَذْري. فلما طال ذلك على ابن الزبير كلَّم المِسْوَر بن مَخْرَمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يَغُوث رضي الله عنهما ـ وهما من بني زُهْرة ـ وقال لهما: أنشدكما بالله لَمَا أدخلتماني على عائشة فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي، فأقبل به المِسْوَر وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة، فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا. قالوا: كلُّنا؟ قالت: نعم ادخلوا كلُّكم ـ ولا تعلم أنَّ معهما ابن الزبير ـ، فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة فطفق يناشدها ويبكي، وطفق المِسْوَر وعبد الرحمن يناشدانها إلاَّ ما كلمت وقبلت منه، ويقولان: إن النبي ﷺ نهى عمَّا قد علمتِ من الهجرة، وأنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ. فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكِّرهما وتبكي وتقول: إني نذرت والنَّذْر شديد، فلم يزالا بها حتى كلَّمت ابن الزبير وأعتقت في نَذْرها ذلك أربعين رقبة، وكانت تذكر نَذْرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل

دموعها خمارها. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص59) عن عوف بن الحارث بن الطفيل نحوه.

وأخرج أيضاً في «الصحيح» (1/ 497) عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أحب البشر إلى عائشة رضي الله عنها بعد النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه، وكان أبرّ الناس بها، وكانت لا تمسك شيئاً مما جاءها من رزق الله إلاَّ تصدقت، فقال ابن الزبير: ينبغي أن يؤخذ على يديها. فقالت: أيُؤخذ على يدي؟ عليّ نَذْر إن كلمته. فاستشفع إليها برجال من قريش وبأخوال رسول الله ﷺ خاصة فامتنعت، فقال له الزهريون أخوال النبي ﷺ منهم عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يَغُوث والمِسْوَر بن مَخْرَمة رضي الله عنهما: إذا استأذنَّا فاقتحم الحجاب. ففعل، فأرسل إليها بعشر رقاب فأعتقتهم، ثم لم تزل تعتقهم حتى بلغت أربعين وقالت: وددت أني جعلت حين حلفت عملاً أعمله فأفرغَ منه.

* * *

إصلاح ذات البين

أخرج البخاري (2693) عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن أهل قُباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأُخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «اذهبوا بنا نصلح بينهم». وعنده أيضاً (2690) من حديثه أن أُناساً من بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء، فخرج إليهم ﷺ في أُناس من أصحابه يصلح بينهم فذكر الحديث.

وأخرج البخاري (2691) عن أنس رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: أتيت عبد الله بن أُبيّ، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حماراً فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سَبْخة، فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، والله لقد آذاني نَتْن حمارك! فقال رجل من الأنصار منهم: والله، لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك! فغضب لعبد الله رجلٌ من قومه فشتما، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها نزلت ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: 9].

وقد تقدّم في عيادة المريض حديث أسامة رضي الله عنه أخرجه البخاري وفيه: فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل رسول الله ﷺ يخفّضهم حتى سكتوا.

وأخرج الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان الأوس والخزرج حيَّين من الأنصار وكان بينهما عداوة في الجاهلية،

فلمّا قدم عليهم رسول الله ﷺ ذهب ذلك وألَّف الله بين قلوبهم، فبينما هم قعود في مجلس لهم إذ تمثَّل رجل من الأوس ببيت فيه هجاء الخزرج، وتمثَّل رجل من الخزرج ببيت فيه هجاء الأوس، فلم يزل هذا يتمثَّل ببيت وهذا يتمثَّل ببيت حتى وثب بعضهم إلى بعض وأخذوا أسلحتهم وانطلقوا للقتال، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأُنزل الوحي فَجاء مسرعاً قد حسر عن ساقَيه، فلما رآهم ناداهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]. حتى فرغ من الآيات، فوحشوا بأسلحتهم فرمَوا بها، واعتنق بعضهم بعضاً يبكون. قال الهيثمي (8/ 80): رواه الطبراني في «الصغير» وفيه غسان بن الربيع وهو ضعيف اهـ.

* * *

صِدْقُ الوعد للمسلم

أخرج ابن عساكر عن هارون بن رياب أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما لما حضرته الوفاة: قال: انظروا فلاناً فإني كنت قلت له في ابنتي قولاً كشبه العِدَة، فما أحب أن ألقى الله بثلث النفاق فأشهدكم أني قد زوجته. كذا في «كنز العمال» (2/ 159).

* * *

الاحتراز عن ظن السوء بالمسلم

وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً مرّ بمجلس في عهد رسول الله ﷺ فسلّم الرجل فردّوا عليه، فلما جاوزها قال أحدهم: إني لأبغضُ هذا. قالوا: مَهْ، فوالله لننبئنّه بهذا. انطلق يا فلان فأخبره بما قال له، فانطلق الرجل إلى النبي ﷺ فحدّثه بالذي كان وبالذي قال؛ قال الرجل: يا رسول الله أرسل إليه فاسأله لم يبغضني؟ قال له رسول الله ﷺ: «لم تبغضه؟» قال: يا رسول الله أنا جاره وأنا به أخبر، ما رأيته يصلّي صلاة إلا هذه الصلاة التي يصليها البر والفاجر. فقال له الرجل: يا رسول الله سَلْه هل أسأت لها وضوءاً أو أخرّت عن وقتها. فقال: لا، ثم قال: يا رسول الله أنا له جار وأنا به خابر، ما رأيته يطعم مسكيناً قطُّ إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر. فقال: يا رسول الله سَلْهُ هل رآني منعت منها طالبها؟ فسأله، فقال: لا، فقال يا رسول الله أنا له جار وأنا به خابر ما رأيته يصوم يوماً قط إلا الشهر الذي يصومه البرَ والفاجر. فقال الرجل: يا رسول الله سَلْه هل رآني أفطرت يوماً قط لست فيه مريضاً ولا على سفر؟ فسأله عن ذلك، فقال: لا، فقال له رسول الله ﷺ: «فإني لا أدري لعلّه خير منك». كذا في «كنز العمال» (2/ 170).

* * *

مدح المسلم وما يكره منه

أخرج الطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: جاء رجل من بني ليث إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أُنشدك - قالها ثلاث مرات - فأنشده الرابعة مديحه له، فقال رسول الله ﷺ: «إن كان أحد من الشعراء يحسن فقد أحسنت»؛ قال الهيثمي (8/ 119): وفيه راوه لم يُسمَّ، وعطاء بن السائب اختلط.

وأخرج الطبراني عن خلّاد بن السائب رضي الله عنه قال: دخلت على أسامة بن زيد فمدحني في وجهي، وقال: إنه حملني على أن أمدحك في وجهك، أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مُدح المؤمن في وجهه رَبَا الإيمان في قلبه». قال الهيثمي (8/ 119): وفيه ابن لَهيعة وبقية رجاله وُثِّقوا.

وأخرجه أبو داود عن مُطرِّف قال قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيد الله». قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طَوْلاً، فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يَسْتَجْرِيَنَّكم، الشيطان». ورواه رَزِين نحوه عن أنس رضي الله عنه وزاد في آخره: «إني لا أريد أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلنيها الله تعالى، أنا محمد بن عبد الله ورسوله». كذا في جمع الفوائد (2/ 150).

وعند ابن النجار عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا؛ فقال النبي ﷺ: «قولوا ما

أقول لكم ولا يستهوِيَنَّكم الشيطان، أنزلوني حيث أنزلني الله، أنا عبد الله ورسوله». كذا في «الكنز» (2/ 182). وأخرجه أحمد عن أنس نحوه، كما في البداية (6/ 44).

وأخرج الشيخان وأبو داود عن أبي بَكْرة رضي الله عنه قال: أثنى رجل على رجل عند النبي ﷺ فقال: «ويلك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك!!» ـ ثلاثاً ـ، ثم قال: «من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة فليقل: أحسب فلاناً ـ والله حسيبه ـ، ولا يزكِّي على الله أحداً، أحسب كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه». كذا في «جمع الفوائد» (2/ 150). وعند البخاري أيضاً (6060) عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على رجل ويُطريه في المدحة فقال: «أهلكتم ـ أو: قطعتم ـ ظهر الرجل». وأخرجه ابن جرير مثله، كما في «الكنز» (2/ 182).

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» (ص51) عن رجاء بن أبي رجاء عن مِحْجَن الأسلمي رضي الله عنه قال رجاء: أقبلت مع مِحْجَن ذات يوم حتى انتهينا إلى مسجد أهل البصرة فإذا بُرَيدة الأسلمي رضي الله عنه على باب من أبواب المسجد جالس، قال: وكان في المسجد رجل يقال له سَكْبَة يطيل الصلاة، فلما انتهينا إلى باب المسجد وعليه بردة وكان بُرَيدة صاحب مزاحات، فقال: يا محجن أتصلِّي كما يصلِّي سَكْبة؟ فلم يرد عليه مِحْجَن ورجع، قال: قال مِحْجَن: إنَّ رسول الله ﷺ أخذ بيدي فانطلقنا نمشي حتى صعدنا أُحُداً، فأشرف على المدينة فقال: «وَيْل امِّها من قرية يتركها أهلها كأعمرِ ما تكون، يأتيها الدجال فيجد على كل باب من أبوابها مَلَكاً فلا يدخلها» ثم انحدر حتى إذا كنا في المسجد رأى رسول الله ﷺ رجلاً يصلِّي ويسجد ويركع، فقال لي رسول الله ﷺ:

«من هذا؟» فأخذت أُطريه فقلت: يا رسول الله هذا فلان وهذا فلان، فقال: «أمسك، لا تسمعه فتهلِكَه» قال: فانطلق يمشي حتى إذا كان عند حُجره لكنه نفض يديه ثم قال: «إنَّ خير دينكم أيسرُه، إنّ خير دينكم أيسره» ثلاثاً.

وأخرجه الإمام أحمد عن رجاء بطوله نحوه إلا أن في روايته قال: فأخذت أُطريه له، قال: قلت: يا رسول الله هذا فلان وهذا فلان، قال: «اسكت، لا تسمعْه فتهلِكَه» قال: ثم انطلق يمشي حتى إذا كنا عند حجره لكنه رفض يدي ثم قال: «إنَّ خير دينكم أيسره، إنَّ خير دينكم أيسره، إنَّ خير دينكم أيسره». وأخرجه أحمد أيضاً (5/ 32) من طريق عبد الله بن شقيق عن مِحجن رضي الله عنه وفي روايته قال: قلت: يا نبي الله هذا فلان وهذا من أحسن أهل المدينة ـ أو قال: أكثر أهل المدينة ـ صلاة، قال: «لا تسمعه فتهلكه ـ مرتين أو ثلاثاً ـ إنكم أمة أريد بكم اليسر». وأخرجه ابن جرير والطبراني مختصراً، كما في «كنز العمال» (2/ 182).

وأخرجه ابن أبي شيبة والبخاري في «الأدب» عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا قعوداً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدخل عليه رجل فسلَّم عليه، فأثنى عليه رجل من القوم في وجهه، فقال عمر: عَقَرتَ الرجل عقَرك الله، تثني عليه في وجهه في دينه، كذا في «الكنز» (2/ 182). وعند ابن أبي الدنيا في الصمت عن الحسن أن رجلاً أثنى على عمر رضي الله عنه فقال: تهلكني وتهلك نفسك!! كذا في «الكنز» (2/ 167).

وأخرج ابن أبي الدنيا في «الصمت» عن الحسن قال: كان عمر رضي الله عنه قاعداً ومعه الدِّرَّة والناس حوله إذ أقبل الجارود رضي الله

عنه، فقال رجل: هذا سيد ربيعة. فسمعه عمر ومن حوله وسمعه الجارود، فلما دنا منه خَفَقَه بالدُّرَّة، فقال: ما لي ولك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ما لي ولك؟ أمَا لقد سمعتها، قال: سمعتها فَمْه؟ قال: خشيت أن يخالط قلبك منها شيء فأحببت أن أطأطىء منك. كذا في «الكنز» (2/ 167).

وأخرج مسلم (3002/ 69) واللفظ له وأبو داود (4854) عن هَمَّام بن الحارث أن رجلاً جعل يمدح عثمان رضي الله عنه، فعمد المقداد رضي الله عنه فجثى على ركبتيه ـ وكان رجلاً ضخماً ـ فجعل يحثو في وجهه الحصى، فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم المدَّاحين فاحثُوا في وجوههم التراب». وأخرجه مسلم أيضاً (3002/ 68) والترمذي (2393) والبخاري في «الأدب» (ص50) من طريق أبي مَعْمر قال: قام رجل يثني على أمير من الأمراء فجعل المقداد رضي الله عنه يحثي عليه التراب وقال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثي في وجوه المداحين التراب.

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص51) عن عطاء بن أبي رباح أن رجلاً كان يمدح رجلاً عند ابن عمر رضي الله عنهما، فجعل ابن عمر يحثو التراب نحو فيهِ وقال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم المدَّاحين فاحثُوا في وجوههم التراب».

وعند أحمد والطبراني عن عطاء بن أبي رباح قال: كان رجل يمدح ابن عمر رضي الله عنهما يقول هكذا: يحثو في وجهه التراب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا رأيتم المدَّاحين فاحثُوا في وجوههم التراب». قال الهيثمي (8/ 117): رواه أحمد والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ورجاله رجال الصحيح. اهـ.

وعند أبي نُعَيم في «الحلية» (1/ 307) عن نافع رضي الله عنه وغيره أن رجلاً قال لابن عمر رضي الله عنهما: يا خير الناس ـ أو: يا ابن خير الناس ـ فقال ابن عمر: ما أنا بخير الناس ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عباد الله أرجو الله تعالى وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل ليخرج ومعه دينه فيرجع وما معه شيء منه، يأتي الرجلَ لا يملك له ولا لنفسه ضَراً ولا نفعاً فيقسم له بالله: لأنت وأنت! فيرجع ما حلَّ من حاجته بشيء وقد أسخط الله عليه. قال الهيثمي (8/ 118): رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدهما رجال الصحيح.

* * *

صلة الرحم وقطعه

أخرج البزّار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أصابت قريشاً أزمة شديدة حتى أكلوا الرِّمَّة، ولم يكن من قريش أحد أيسر من رسول الله ﷺ والعباس بن عبد المطلب، فقال رسول الله ﷺ للعباس: «يا عم إن أخاك أبا طالب قد علمت كثرة عياله وقد أصاب قريشاً ما ترى، فاذهب بنا إليه حتى نحمل عنه بعض عياله». فانطلقا إليه فقالا: يا أبا طالب إن حال قومك ما قد ترى ونحن نعلم أنك رجل منهم، وقد جئنا لنحمل عنك بعض عيالك. فقال أبو طالب: دعا لي عقيلاً وافعلا ما أحببتما، فأخذ رسول الله ﷺ علياً - رضي الله عنه - وأخذ العباس جعفراً - رضي الله عنه - فلم يزالا معهما حتى استغنيا، قال سليمان بن داود: ولم يزل جعفر مع العباس حتى خرج إلى أرض الحبشة مهاجراً. قال الهيثمي (8/ 153): وفيه من لم أعرفهم.

وأخرج البزّار عن جابر رضي الله عنه أن جُوَيْرِية رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ: إني أريد أن أعتق هذا الغلام، قال: «أعطه خالك الذي في الأعراب يرعى عليه فإنه أعظم لأجرك» ورجاله رجال الصحيح، كما قال الهيثمي (8/ 153).

وأخرج الحاكم في «تاريخه» وابن النجار عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: 26] قال النبي ﷺ: «يا فاطمة لك فَدَك». قال الحاكم: تفرَّد به إبراهيم بن محمد بن ميمون

عن علي بن عابس. كذا في «الكنز» (2/ 158).

وأخرج مسلم (2/ 215) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إنَّ لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلُم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهم المَلَّ، ولا يزال معك من الله ظَهِير عليهم ما دمت على ذلك». وأخرجه البخاري في «الأدب» (ص11) عن أبي هريرة مثله.

وعند أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّ لي ذوي أرحام أصل ويقطعوني، وأعفو ويظلموني، وأحسن ويسيئوني، أفأكافئهم؟ قال: «إذاً تشتركون جميعاً، ولكن خذ بالفَضْل وصِلْهم، فإنه لن يزال معك مَلَك ظَهِير من الله عز وجل ما كنت على ذلك».

فيه ابن أَرْطاة وهو مدلِّس وبقية رجاله ثقات، كما قال الهيثمي (8/ 154).

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص12) عن أبي أيوب سليمان مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: جاءنا أبو هريرة رضي الله عنه عشية الخميس ليلة الجمعة فقال: أُحرِّج على كل قاطع رحم لمَّا قام من عندنا، فلم يقم أحد حتى قال ثلاثاً، فأتى فتًى عمة له قد صرمها منذ سنين فدخل عليها فقالت: يا بن أخي ما جاء بك؟ قال: سمعت أبا هريرة يقول كذا وكذا، قالت: ارجع إليه فسَلْه لم قال ذاك؟ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أعمال بني آدم تُعرض على الله تبارك وتعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع الرحم».

وأخرج الطبراني عن الأعمش قال: كان ابن مسعود رضي الله عنه

جالساً بعد الصبح في حَلْقة قال: أنشد الله قاطع رحم لمَّا قام عنّا، فإنّا نريد أن ندعو ربنا، وإن أبواب السماءُ مُرتَجَة دون قاطع رحم. قال الهيثمي (8/ 151): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن الأعمش لم يدرك ابن مسعود ـ انتهى.

* * *

الباب العاشر

باب أخلاق الصحابة وشمائلهم

باب كيف كانت أخلاق النبي ﷺ وأصحابه. وشمائلهم؟ وكيف كانوا يعاشرون فيما بينهم؟

خلق النبي ﷺ

أخرج مسلم عند سعد بن هشام قال: سألت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقلت: أخبريني عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، فقالت: كان خُلُقه القرآن. وأخرجه أحمد عن جبير بن نُفَير والحسن البصري عن عائشة نحوه، كما في «البداية» (6/ 35)، وأخرجه ابن سعد (1/ 90) عن سعد بن هشام عائشة نحوه وزاد: قال قتادة رضي الله عنه: وإن القرآن جاء بأحسن أخلاق الناس. وأخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» ص(56) عن جبير بن نُفَير عن عائشة نحوه، وابن سعد (1/ 90) عن مسروق عنها نحوه.

وعند يعقوب بن سفيان (3/ 289) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه.

وأخرجه البيهقي عن زيد بن بَابَنوس قال: قلنا لعائشة: يا أم المؤمنين كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟ فذكره. وفي حديثه: ثم قالت: أتقرأ سورة المؤمنون؟ اقرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: 1] إلى العشر، قالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ. ورواه النسائي، كما في «البداية» (6/ 35).

وأخرج أبو نعيم في «الدلائل» (ص57) عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ، ما

دعاه أحد من أصحابه ولا من أهله إلا قال: لبيك؛ ولذلك أنزل الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

وعند ابن أبي شيبة عن قيس بن وَهْب عن رجل من بني سواة قال: قلت لعائشة: أخبريني عن خلق رسول الله ﷺ؛ فقالت: أما تقرأ القرآن ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ قالت: كان رسول الله ﷺ مع أصحابه فصنعت له طعاماً وصنعتْ له حفصة رضي الله عنها طعاماً، فسبقتني حفصة فقلت للجارية: انطلقي فاكفئي قصعتها، فأهوت أن تضعها بين يدي النبي ﷺ فكفأتها، فانكفأت القصعة فانتشر الطعام، فجمعها النبي ﷺ وما فيها من الطعام على الأرض فأكلوا، ثم بعثت بقصعتي فدفعها النبي ﷺ إلى حفصة فقال: «خذوا ظرفاً مكان ظرفكم وكلوا ما فيها». قالت: فما رأيتُه في وجه رسول الله ﷺ. كذا في «الكنز» (4/ 44).

وأخرج أبو نعيم في «الدلائل» (ص57) عن خارجة بن يزيد أن نفراً دخلوا على أبيه زيد بن ثابت رضي الله عنه قالوا: حدِّثنا عن بعض أخلاق النبي ﷺ، فقال: كنت جاره فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إليَّ فآتيه فأكتب الوحي، فكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، فكل هذا أحدثكم عنه. وأخرجه الترمذي (ص25) نحوه، وكذلك البيهقي، كما في «البداية» (6/ 42)، والطبراني كما في «المجمع» (9/ 17) وقال: وإسناده حسن، وابن أبي داود في «المصاحف» وأبو يَعْلى والرُّوياني وابن عساكر، كما في «المنتخب» (5/ 185)، وأخرجه ابن سعد (1/ 90) أيضاً نحوه.

وأخرج الطبراني عن صفية بنت حُيَي رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحداً أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ، لقد رأيته وقد ركب بي من

خيبر على عجز ناقته ليلاً فجعلت أنعس، فضرب رأسي مؤخرة الرَّحْل فمسني بيده: «يا هذه مهلاً، يا بنت حيي مهلاً» حتى إذا جاء الصهباء قال: «إني أعتذر إليك يا صفية مما صنعت بقومك، إنهم قالوا لي كذا وقالوا لي كذا». قال الهيثمي (9/ 15): رواه الطبراني في «الأوسط» وأبو يَعْلى باختصار (13/ 720) ورجالهما ثقات إلا أن الربيع ابن أخي صفية بنت حيي لم أعرفه. اهـ.

وأخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص57) عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ من أشد الناس لطفاً، والله ما كان يمتنع في غَداة باردة من عبدٍ ولا من أَمَةٍ ولا صبي أن يأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه، وما سأله سائل قط إلا أصغى إليه أذنه فلم ينصرف حتى يكون هو الذي ينصرف عنه، وما تناول أحد بيده إلا ناوله إياها، فلم ينزع حتى يكون هو الذي ينزعها منه. وعند مسلم (2334) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يُؤتى بإناء إلا غمس يده فيه، وربما جاءه في الغداة الباردة بغمس يده فيها.

وعند يعقوب بن سفيان عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا صافح أو صافحه الرجل لا ينزع يده حتى يكون الرجل ينزع يده من يده، وإن استقبله بوجه لا يصرفه عنه حتى يكون الرجل ينصرف عنه، ولا يُرى مُقدِّماً ركبتيه بين يدي جليس له. ورواه الترمذي وابن ماجه، كما في البداية (6/ 39)، وابن سعد (1/ 99) نحوه.

وعند أبي داود عنه قال: ما رأيت رجلاً قط التقم أذن النبي ﷺ فينحِّي رأسه، حتى يكون الرجل هو الذي ينحِّي رأسه وما رأيت رسول الله ﷺ آخذاً بيده رجل فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع

يده. تفرد به أبو داود؛ كذا في «البداية» (6/ 39).

وعند البزّار والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لم يكن أحد يأخذ بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسله، ولم يكن يرى ركبتيه أو ركبته خارجاً عن ركبة جليسه، ولم يكن أحد يصافحه إلا أقبل عليه بوجهه، ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه. وإسناد الطبراني حسن، كما قال الهيثمي (9/ 15).

وعند أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: إن كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت. ورواه ابن ماجه.

وعند أحمد عنه قال: إن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به في حاجتها. ورواه البخاري في كتاب الأدب من صحيحه معلّقاً، كما في «البداية» (6/ 39)، وروى مسلم في صحيحه (2326) عن أنس أنَّ امرأة كان في عقلها شيء فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة، فقال: «يا أمَّ فلان انظري أي السِّكَك شئت حتى أقضي لك حاجتك»، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها. وأخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص57) عن أنس مثله. وأخرج الطبراني عن محمد بن مسلمة رضي الله عنه قال: قدمت من سفر فأخذ رسول الله ﷺ يدي، فما ترك يدي حتى تركت يده. وفيه الجَلْد بن أيوب وهو ضعيف، كما قال الهيثمي (9/ 17).

وأخرج مالك عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم لنفسه إلا أن تُنتهك حرمة الله فينتقم لله بها. وأخرجه البخاري ومسلم، كما في «البداية» (6/ 36). وأخرجه أبو داود

والنَّسائي وأحمد، كما في «الكنز» (4/ 47)، وأبو نُعَيم في «الدلائل» (ص57).

وعند أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قطُّ ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خُيِّر بين شيئين قطُّ إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثماً، فإذا كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله عز وجل. كذا في «البداية» (6/ 36). وأخرجه مسلم (2328) وأبو نُعَيم في «الدلائل» مختصراً وعبد الرزاق وعبد بن حُمَيد والحاكم نحو حديث أحمد كما في «الكنز» (4/ 47).

وعند الترمذي في الشمائل (ص25) عن عائشة قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمة ظُلمها قط ما لم يُنتهك من محارم الله تعالى شيء، فإذا انتُهك من محارم الله تعالى شيء كان من أشدهم في ذلك غضباً، وما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً. وأخرجه أبو يَعْلى (7/ 4452) والحاكم، كما في «الكنز» (4/ 47).

وأخرج أبو داود الطيالسي عن أبي عبد الله الجَدَلي قال: سمعت عائشة رضي الله عنها وسألتها عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: لم يكن فاحشاً ولا متفحِّشاً ولا سخَّاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ـ أو قال: يعفو ويغفر، شك أبو داود ـ. رواه الترمذي (2016) وقال: حسن صحيح؛ كذا في «البداية» (6/ 36). وأخرجه ابن سعد (1/ 90) عن أبي عبد الله عن عائشة نحوه وأحمد والحاكم كما في «الكنز» (4/ 47).

وعند يعقوب بن سفيان عن صالح مولى التوأمة قال: كان أبو

هريرة رضي الله عنه ينعت رسول الله ﷺ قال: كان يُقبل جميعاً ويُدبر جميعاً، - بأبي وأمي - لم يكن فاحشاً ولا متفحّشاً ولا سخّاباً في الأسواق. زاد آدم: لم أرَ مثله قبله ولم أرَ مثله بعده.

وعند أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: لم يكن رسول الله ﷺ سبّاباً ولا لعّاناً ولا فاحشاً، كان يقول لأحدنا عند المعاتبة: «ما له تَرِبَتْ جبينه» ورواه البخاري.

وعند البخاري أيضاً عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً». ورواه مسلم، كذا في «البداية» (6/ 36).

وأخرج مسلم (2/ 253) عن أنس رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذ أبو طلحة رضي الله عنه بيدي فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أنساً غلام كَيِّس فليخدمك. قال: فخدمته في السَّفَر والحَضَر، والله ما قال لي لشيء صنعته: لم صنعتَ هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه: لم لم تصنع هذا هكذا؟.

وعنده أيضاً عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً فأرسلني يوماً لحاجة فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ، فخرجت حتى أمرّ على الصبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك فقال: «أُنَيْسُ أذهبت حيث أمرتك؟» قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله. - قال أنس: والله لقد خدمته تسع سنين، ما علمته قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا وكذا؟. أو لشيء تركته: هلاَّ فعلت كذا وكذا؟.

وعنده أيضاً عنه قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أفاً قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلاً فعلت كذا؟ زاد أبو الربيع: لشيء ليس مما يصنعه الخادم، ولم يذكر قوله: والله. وأخرجه البخاري عن أنس بنحوه.

وعند أحمد عن أنس قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما أمرني بأمر فتوانيت عنه أو ضيعته فلامني، وإن لامني أحد من أهله إلا قال: دعوه، فلو قُدِّر ـ أو قال: قُضي ـ أن يكون كان. كذا في «البداية» (6/ 37). وأخرجه ابن سعد (7/ 11) عن أنس مثله.

وعند أبي نُعَيم في «الدلائل» (ص57) عن أنس رضي الله عنه قال: خدمتُ رسول الله ﷺ سنينَ فما سبَّني سبة قط، ولا ضربني ضربة، ولا انتهرني، ولا عبس في وجهي، ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فعاتبني عليه، فإن عاتبني عليه أحد من أهله قال: «دعُوه فلو قُدِّر شيء لكان».

وعند ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا يومئذٍ ابن ثمان سنين، فذهبت بي أمي إليه فقالت: يا رسول الله ﷺ إنَّ رجال الأنصار ونساءهم قد أتْحفوك غيري، وإني لم أجد ما أتحفك به إلا ابني هذا فتقبَّلْه مني يخدُمْك ما بدا لك، فخدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، لم يضربني قط، ولم يسبني، ولم يعبس في وجهي. كذا في «الكنز» (7/ 9).

* * *

خلق أصحاب النبي ﷺ

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 56) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ثلاثة من قريش أصبَحُ الناس وجوهاً، وأحسنها أخلاقاً، وأثبتها حياء، إن حدثوك لم يكذبوك وإن حدثتهم لم يكذبوك: أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة الجراح رضي الله عنهم.

وعند الطبراني عن عبد الله بن عمر قال: ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوهاً، وأحسنهم خلقاً، وأشدهم حياء: أبو بكر وعثمان وأبو عبيدة. كذا في «الإصابة» (2/ 253)، وقال: في سنده ابن لَهيعة.

وأخرج يعقوب بن سفيان عن الحسن رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد من أصحابي إلاّ لو شئت لأخذت عليه في خُلُقه ليس أبا عبيدة بن الجراح». كذا في «الإصابة» (2/ 253)، وقال: هذا مرسل ورجاله ثقات ـ اهـ، وأخرجه الحاكم (2/ 266) عن الحسن نحوه، وقال: هذا مرسل غريب ورواته ثقات.

وأخرج الطبراني عن عبد الرحمن بن عثمان القرشي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنته وهي تغسل رأس عثمان رضي الله عنه، فقال: «يا بنيّة أحسني إلي أبي عبد الله فإنَّه أشبه أصحابي بي خُلُقاً». قال الهيثمي (9/ 81): رجاله ثقات.

وعنده أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخلت على رقيّة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ امرأة عثمان رضي الله عنه وفي يدها

مُشط، فقالت: خرج من عندي رسول الله ﷺ آنفاً رجّلت رأسه. فقال: «كيف تجدين أبا عبد الله؟» قلت: بخير، قال: «فأكرميه فإنَّه من أشبه أصحابي بي خُلُقاً»، قال الهيثمي (9/ 81): وفيه محمد بن عبد الله يروي عن المطَّلب ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. اهـ. وأخرجه الحاكم وابن عساكر، كما في «المنتخب» (5/ 4).

وأخرج أحمد عن عبد الله بن أسْلَم رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لجعفر رضي الله عنه: «أشبهت خَلْقي وخُلُقي». وإسناده حسن، كما قال الهيثمي (9/ 272).

وعند ابن أبي شَيْبة وأبي يَعْلى (4/ 2379) والبيهقي (8/ 6) عن علي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ أنا وجعفر وزيد ـ رضي الله عنهم ـ فقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا» فحجل، ثم قال لجعفر: «أشبهت خَلْقي وخُلُقي»، فحجل وراء حَجْل زيد، ثم قال لي: «أنت منّي وأنا منك» فحجلت وراء حَجل جعفر. كذا في «المنتخب» (5/ 130).

وعند الطبراني عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لجعفر: «خُلُقك كخلقي، وأشبَهَ خَلْقي خَلْقك، فأنت منّي، وأنت يا علي فمني وأبو ولدي» قال الهيثمي (9/ 272): رواه الطبراني عن شيخه أحمد ابن عبد الرحمن بن عفَّال وهو ضعيف. انتهى.

وأخرج العُقَيلي وابن عساكر عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: سمعت من النبي ﷺ كلمة ما أحبُّ أنَّ لي بها حُمْر النَّعَم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعفر أشبَه خَلْقي وخُلُقي، وما أنت يا عبد الله فأشبه خَلْق الله بأبيك». كذا في «المنتخب» (5/ 222).

وأخرج ابن سعد (7/ 57) عن بَحْريَّة قالت: استوهب عمي خِداش رضي الله عنه من رسول الله ﷺ قصعة رآه يأكل فيها فكانت عندنا، فكان

عمر رضي الله عنه يقول: أخرجوها إليَّ، فنملؤها من ماء زمزم فنأتيه بها فيشرب منها ويصب على رأسه ووجهه، ثم إنَّ سارقاً عَدَا علينا فسرقها مع متاع لنا، فجاءنا عمر رضي الله عنه بعدما سُرقت فسألنا أن نخرجها له، فقلنا: يا أمير المؤمنين سرقت في متاع لنا، فقال: ـ لله أبوه ـ سرق صَحْفة رسول الله ﷺ؟! قال: فوالله ما سبّه ولا لعنه، وأخرجه أيضاً ابن بُشْران في «أماليه»، كما في «المنتخب» (4/ 400).

وأخرج البخاري وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن بن بدر رضي الله عنه فنزل على ابن أخيه الحرِّ بن قيس رضي الله عنه ـ وكان من النفر الذين يُدنيهم عمر رضي الله عنه، وكان القرّاء أصحاب مجلس عمر ومشورته كهولاً كانوا أو شباناً ـ، فقال عيينة لابن أخيه: يا بن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه. فاستأذن له فأذن له (عمر)، فلما دخل عليه قال: هِي يا بن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجَزْل، ولا تحكم بيننا بالعدل! فغضب عمر حتى همَّ أن يُوقع به، فقال الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]. وإنَّ هذا من الجاهلين!!. فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل. كذا في «المنتخب» (4/ 416). وعند ابن سعد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ما رأيت عمر غضب قط فذُكر الله عنده أو خُوِّف، أو قرأ عنده إنسان آية من القرآن إلا وقف عما كان يريد.

وعن أسلم قال: قال بلال رضي الله عنه: يا أسلم كيف تجدون عمر؟ قلت: خير، إذا غضب فهو أمر عظيم، فقال بلال: لو كنت عنده إذا غضب قرأت عليه القرآن حتى يذهب غضبه.

وعن مالك الدار قال: صاح عليَّ عمر رضي الله عنه يوماً وعلاني بالدِّرَّة فقلت: أذكِّرك بالله، فطرحها فقال: لقد ذكرتني عظيماً. كذا في «المنتخب» (4/ 413).

وأخرج ابن سعد (3/ 82) عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: كان مصعب بن عُمَيْر رضي الله عنه لي خِدْناً وصاحباً منذ يوم أسلم إلى أن قتل رحمه الله بأُحد، خرج معنا إلى الهجرتين جميعاً بأرض الحبشة، وكان رفيقي من بين القوم، فلم أرَ رجلاً قط كان أحسن خلقاً ولا أقلَّ خلافاً منه.

وأخرج ابن سعد (3/ 110) عن حَبَّة بن جُوَيْن قال: كنا عند علي رضي الله عنه فذكرنا بعض قول عبد الله (بن مسعود) رضي الله عنه، وأثنى القوم عليه فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما رأينا رجلاً كان أحسن خلقاً، ولا أرفق تعليماً، ولا أحسن مجالسة، ولا أشد ورعاً من عبد الله بن مسعود!! فقال علي: نشدتكم الله إنَّه لصدق من قلوبكم؟ قالوا: نعم، فقال: اللهم إني أشهدك اللهمَّ إني أقول فيه مثل ما قالوا أو أفضل، وزاد في رواية أخرى عنه: قرأ القرآن فأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه، فقيه في الدين، عالم بالسنَّة.

وأخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 307) عن الزُّهري عن سالم قال: ما لعن ابن عمر رضي الله عنهما قطّ خادماً إلا واحداً فأعتقه. وقال الزُّهْري: أراد ابن عمر أن يلعنَ خادمه فقال: اللهمّ الْعَ، فلم يتمّها وقال: هذه كلمة ما أحب أن أقولها.

وقد تقدَّم حديث جابر رضي الله عنه في رغبة الصحابة في الإنفاق قال: كان معاذ بن جبل رضي الله عنه من أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خلقاً، وأسمحهم كفّاً ـ فذكره. أخرجه الحاكم بطوله.

الحِلْم والصفح

حلم النبي ﷺ

أخرج البخاري عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما كان يوم حُنَين آثر النبي ﷺ ناساً، أعطى الأقرع بن حابس رضي الله عنه مائة من الإبل، وأعطى عُيَينة رضي الله عنه مثل ذلك، وأعطى ناساً، فقال رجل: ما أريد بهذه القسمة وجهُ الله، فقلت: لأخبرنَّ النبي ﷺ، فأخبرته فقال: «رحم الله موسى، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر» وفي رواية للبخاري، فقال رجل: والله إنَّ هذه لقسمة ما عُدل فيها وما أريد فيها وجه الله، فقلت: والله لأخبرنَّ رسول الله ﷺ، فأتيته فأخبرته فقال: «من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟! رحم الله موسى، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر».

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يَقْسم قَسْماً إذ أتاه ذو الخُوَيصرة ـ رجل من بني تميم ـ فقال: يا رسول الله اعدل، فقال رسول الله ﷺ: «ويلك ومن يعدل إن لم أعدل!! لقد خبتُ وخسرتُ!! إذا لم أعدل فمن يعدل؟!» فقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «دَعْه فإنّ له أصحاباً يَحْقِر أحدُكم صلاتَه مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرُق السهم من الرَّمِيَّة، ينظر إلى نَصْله فلا يوجد فيه شيء، ثم إلى رُصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نَضِيِّهِ ـ وهو قِدْحه

ـ فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قُذَذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفَرْث والدم، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تَدَرْدَرُ، ويخرجون على حين فُرْقة من الناس»، قال أبو سعيد: فأشهد أنّي سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم وأنا معه، وأمر بذلك الرجل فالتُمس فأُتي به حتى نظرت إليه على نَعْت رسول الله ﷺ الذي نعت. كذا في «البداية» (4/362).

وأخرج الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عبد الله بن أبي لما توفي جاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال: أعطني قميصك أكفنه فيه، وصلِّ عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه وقال: «آذنّي أصلِّ عليه» فآذنه، فلما أراد أن يصلِّي جذبه عمر فقال: أليس الله نهاك أن تصلِّي على المنافقين؟ فقال: «أنا بين خِيَرتين، قال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فصلَّى عليه فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: 84].

وعند أحمد عن عمر قال: لمَّا توفي عبد الله بن أبي دُعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه فقام إليه، فلما وقف عليه يريد الصلاة تحوَّلتُ حتى قمتُ في صدره فقلت: يا رسول الله أَعَلى عدوِّ الله عبد الله بن أُبيّ القائل يوم كذا كذا وكذا ـ يعدِّد أيامه ـ قال: ورسول الله ﷺ يتبسَّم، حتى إذا أكثرتُ عليه قال: «أخِّر عني يا عمر، إني خُيِّرت فاخترتُ، قد قيل لي ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ـ الآية، لو أعلم أنِّي لو زدت على السبعين غُفر له لزدتُ» قال: ثم صلَّى عليه ومشى معه وقام على قبره حتى فرغ منه، قال: فعجبتُ من جرأتي على رسول الله ﷺ. والله ورسولُه أعلم! قال: فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان

الآيتان ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا﴾ ـ الآية، فما صلّى رسول الله ﷺ بعده على منافق، ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل. وهكذا رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، ورواه البخاري مثله.

وعند أحمد عن جابر رضي الله عنه قال: لما مات عبد الله بن أُبيّ أتى ابنه النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك إن لم تأته لم نزل نُعيَّر بهذا. فأتاه النبي ﷺ فوجده قد أُدخل في حفرته فقال: «أفلا قبل أن تُدخلوه» فأُخرج من حفرته وتَفَل عليه من ريقه من قَرْنه إلى قدمه وألبسه قميصه؛ ورواه النَّسائي.

وعند البخاري عنه قال: أتى النبي ﷺ عبد الله بن أُبيّ بعدما أُدخل في قبره فأمر به فأُخرج ووضع على ركبتيه، ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه. كذا في «التفسير» لابن كثير (2/ 378).

وأخرج أحمد عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: سحر النبي ﷺ رجلٌ من اليهود فاشتكى لذلك أياماً، قال: فجاءه جبريل عليه السلام فقال: إنَّ رجلاً من اليهود سحرك، عقد لك عقداً في بئر كذا وكذا فأرسِلْ إليها من يجيء بها. فبعث رسول الله ﷺ (علياً رضي الله تعالى عنه) فاستخرجها فجاءه بها فحلَّلها، قال: فقام رسول الله ﷺ كأنما نَشِط من عِقال، فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات ورواه النسائي.

وعند البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ سُحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ـ قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا ـ فقال: «يا عائشة أعلمتِ أنَّ الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر

عند رجليَّ، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طَبَّه؟ قال: لبيد بن أعصم ـ رجل من بني زُرَيق حليف اليهود كان منافقاً ـ، قال: وفيم؟ قال: في مُشْط ومُشَاطة، قال: وأين؟ قال: في جُفّ طلعة ذكرٍ تحت راعوفة في بئر ذَرْوان» قالت: فأتى البئر حتى استخرجه، فقال: هذه البئر التي أُريتها وكأن ماءها نُقاعة الحنَّاء وكأن نخلها رؤوس الشياطين، قال: فاستخرج فقلت: أفلا تَنَشَّرت، فقال: «أمَّا الله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً»؛ ورواه مسلم وأحمد وعند أحمد أيضاً عن عائشة قالت: لبث النبي ﷺ ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتي، فأتاه مَلَكان ـ فذكر الحديث. كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 574).

وأخرجه الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك قالت: أردت لأقتلك: فقال: «ما كان الله ليسلطك عليَّ ـ أو قال: على ذلك ـ» قالوا: ألا تقتلها؟ قال أنس: فما زلت أعرفها في لَهَوات رسول الله ﷺ.

وعند البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن امرأة من يهود أهدت لرسول الله ﷺ شاة مسمومة، فقال لأصحابه: «أمسكوا فإنَّها مسمومة». وقال لها: «ما حملك على ما صنعت؟» قالت: أردت أن أعلم إن كنت نبياً فسيطلعك الله عليه، وإن كنت كاذباً أريح الناس منك، قال: فما عرض لها رسول الله ﷺ. ورواه أبو داود نحوه وأحمد والبخاري عن أبي هريرة مطوّلاً.

وعند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما نحو حديث أبي هريرة عند البيهقي وزاد: قال فكان رسول الله ﷺ إذا وجد من ذلك شيئاً

احتجم، قال: فسافر مرّة، فلما أحرم وجد من ذلك شيئاً فاحتجم. تفرَّد به أحمد وإسناده حسن.

وعند أبي داود عن جابر رضي الله عنه أن يهودية من أهل خيبر سمَّت شاة مصليَّة ثم أهدتها لرسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله ﷺ الذرع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «ارفعوا أيديكم». وأرسل رسول الله ﷺ إلى المرأة فدعاها فقال لها: «أسَممتِ هذه الشاة؟» قالت اليهودية: من أخبرك؟ قال: «أخبرتني هذه التي في يدي» ـ وهي الذراع ـ قالت: نعم، قال: «فما أردت بذلك؟» قالت: قلت إن كنت نبياً فلن تضرك، وإن لم تكن نبياً استرحنا منك، فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها، وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة، واحتجم النبي ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة، حجمه أبو هند رضي الله عنه بالقرن والشفرة، وهو مولى لبني بياضة من الأنصار.

وأخرجه أبو داود عن أبي سلمة رضي الله عنه نحو حديث جابر، وفي حديثه قال: فمات بشر بن البراء بن معرور رضي الله عنهما ـ فذكره، وفيه: فأمر رسول الله ﷺ فقُتلت.

وعند ابن إسحاق عن مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المُعَلَّى رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ قد قال في مرضه الذي توفي فيه ـ ودخلت عليه أخت بشر بن البراء بن معرور ـ: «يا أمَّ بِشْر، إنّ هذا الأوان وجدتُ انقطاع أبْهري من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخيبر»، ـ قال ابن هشام: الأبْهر العرق المعلَّق بالقلب ـ، قال: فإن كان المسلمون ليرَون أنَّ رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة. وهكذا ذكر موسى بن عقبة عن الزّهري عن جابر. انتهى، من «البداية» (4/ 208) مختصراً.

وأخرج أحمد عند جعدة بن خالد بن الصِّمَّة الجُشَمي رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ - ورأى رجلاً سميناً فجعل النبي ﷺ يومىء إلى بطنه بيده - ويقول: «لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك!» قال: وأُتي النبي ﷺ برجل فقيل: هذا أراد أن يقتلك، فقال النبي ﷺ: «لم تُرَعْ، ولو أردتَ ذلك لم يسلطك الله عليَّ». قال الخفاجي (2/ 25): أخرجه أحمد والطبراني بسند صحيح. اهـ.

وأخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلاً من أهل مكة بالسلاح من قِبَل جبل التَّنعيم يريدون غِرَّة رسول الله ﷺ، فدعا عليهم فأُخذوا -، قال عفان: - فعفا عنهم، ونزلت هذه الآية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: 24]. ورواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

وأخرجه أحمد أيضاً والنَّسائي من حديث عبد الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه مطوَّلاً وفيه: فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ الله تعالى بأسماعهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال رسول الله ﷺ: «هل جئتم في عهد أحد؟ - أو هل جعل لكم أحد أماناً؟» فقالوا: لا، فخلَّى سبيلهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ﴾ - الآية. كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 192).

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء الطفيل بن عمر الدَّوْسي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فقال: إن دَوْساً قد عَصَت وأبت فادْعُ الله عليهم، فاستقبل القبلة رسول الله ﷺ ورفع يديه، فقال الناس: هلكوا، فقال: «اللهمَّ اهدِ دَوْساً وائتِ بهم، اللهمَّ اهْدِ دَوْساً وائت بهم، اللهمَّ اهدِ دَوْساً وائت بهم».

حلم أصحاب النبي ﷺ

أخرج عبد الغني بن سعيد في «إيضاح الإشكال» عن أبي الزعراء رضي الله عنه قال: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إني وأطايب أزواجي وأبرار عِتْرَتي أحلم الناس صغاراً وأعلم الناس كباراً، بنا ينفي الله الكذب، وبنا يعقر الله أنياب الذئب الكَلِب، وبنا يفك الله عَنْوتكم وينزع ربق أعناقكم. وبنا يفتح الله ويختم. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 50)، وقد تقدَّم قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ما رأيت أحداً أحضر فهماً، ولا ألب لباً، ولا أكثر علماً، ولا أوسع حلماً من ابن عباس رضي الله عنهما. أخرجه ابن سعد في «مشاورة أهل الرأي» (1/ 400).

* * *

الشفقة والرحمة

شفقة النبي ﷺ

أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «إني لأدخل الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجوَّز في صلاتي مما أعلم من شدة وَجْد أمه من بكائه». كذا في «صفة الصفوة» (ص66). وأخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رجل للنبي ﷺ: أين أبي؟ قال: «في النار»، فلما رأى ما في وجهه قال: «إنَّ أبي وأباك في النار». انفرد بإخراجه مسلم، كذا في صفوة الصفوة (1/ 66).

وأخرج البزّار (2476) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ يستعينه في شيء - قال عكرمة أراه قال في دَمٍ -، فأعطاه رسول الله ﷺ شيئاً، ثم قال: «أحسنت إليك؟»، قال الأعرابي: لا، ولا أجملت. فغضب بعض المسلمين وهمُّوا أن يقوموا إليه، فأشار رسول الله ﷺ إليهم أن كفُّوا، فلما قام رسول الله ﷺ وبلغ إلى منزله دعا الأعرابي إلى البيت فقال: «إنك جئتنا تسألنا فأعطيناك، فقلت ما قلت»، فزاده رسول الله ﷺ شيئاً وقال: «أحسنت إليك؟»، فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً. قال النبي ﷺ: «إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك فقلت ما قلت، وفي أنفس أصحابي عليك من ذلك شيء، فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلتَ ما بين يديَّ حتى يذهب عن صدورهم».

فقال: نعم، فلما جاء الأعرابي قال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال، وإنا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضي، أكذلك يا أعرابي؟» فقال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً. فقال النبي ﷺ: «إن مَثَلي ومثَلَ هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة، فشردت عليه، فاتَّبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً. فقال لهم صاحب الناقة: خلُّوا بيني وبين ناقتي فأنا أرفق بها وأنا أعلم بها، فتوجَّه إليها وأخذ لها من قُمَام الأرض ودعاها، حتى جاءت واستجابت وشدَّ عليها رحلها، وإنِّي لو أطعتكم حيث قال ما قال لدخل النار»، قال البزّار: لا نعلمهُ يروى إلا من هذا الوجه، قلت: وهو ضعيفٌ بحال إبراهيم بن الحكم بن أبان. كذا في «التفسير» لابن كثير (2/ 404)؛ وأخرجه أيضاً ابن حبان في صحيحه وأبو الشيخ وابن الجوزي في الوفاء، كما قال الخفاجي (2/ 78).

* * *

شفقة أصحاب النبي ﷺ

أخرج الدينوري عن الأصمعي قال: كلَّم الناس عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن يكلِّم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أن يلين لهم حتى خاف الأبكار في خدورهن، فكلمه عبد الرحمن فقال: إني لا أجد لهم إلاَّ ذلك، والله لو أنهم يعلمون ما لهم عندي من الرأفة والرحمة والشفقة لأخذوا ثوبي عن عاتقي!! كذا في «منتخب الكنز» (4/ 416).

* * *

الحياء

حياء النبي ﷺ

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خِدْرها، وزاد في رواية: وإذا كره شيئاً عُرِف ذلك في وجهه. ورواه مسلم، كذا في «البداية» (6/ 36)، والترمذي في «الشمائل» (ص26) وابن سعد (1/ 92)، وأخرجه الطبراني عن عِمران بن حُصَين نحوه، قال الهيثمي (9/ 17): رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح ـ اهـ.

وأخرجه البزّار عن أنس رضي الله عنه نحوه وزاد: وقال رسول الله ﷺ نحوه وزاد: وقال رسول الله ﷺ: «الحياء خير كله». قال الهيثمي (9/ 17): رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمر المقدَّمي وهو ثقة.

وأخرج أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى على رجل صفرة فكرهها، قال: فلما قام قال: «لو أمرتم هذا أن يغسل عنه هذه الصفرة» قال: وكان لا يكاد يواجه أحداً بشيء يكرهه، ورواه أبو داود والترمذي في «الشمائل» والنسائي في اليوم والليلة».

وعند أبي داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا بلغه عن رجل شيء لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: «ما بال

أقوام يقولون كذا وكذا». كذا في «البداية» (6/ 38).

وأخرجه الترمذي في «الشمائل» (ص26) عن موسى بن عبد الله بن يزيد الخطمي عن مولى لعائشة رضي الله عنها قال قالت عائشة: ما نظرت إلى فرج رسول الله ﷺ - أو قالت: ما رأيت فرج رسول الله قط.

* * *

حياء أصحاب النبي ﷺ

أخرج أحمد عن سعيد بن العاص رضي الله عنه أن عائشة زوج النبي ﷺ وعثمان - رضي الله عنهما - حدّثاه أن أبا بكر رضي الله عنه استأذن على النبي وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة، فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف، فاستأذن عمر رضي الله عنه فأذن له وهو على تلك الحالة فقضى إليه حاجته ثم انصرف، قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس وقال: «اجمعي عليك ثيابك» فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله ما لي لا أراك فزعت لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ عثمان رجل حيّي، وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحالة لا يبلغ إلى حاجته»، قال الليث: وقال جماعة الناس: إنّ رسول الله ﷺ قال لعائشة: «ألا أستحيي ممَّن تستحي منه الملائكة» ورواه مسلم وأبو يَعْلى عن عائشة ورواه أحمد من وجه آخر عن عائشة بنحوه وأحمد والحسن بن عرفة عن حفصة رضي الله عنها مثل حديث عائشة.

وعند الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ جالس وعائشة رضي الله عنها وراءه إذ استأذن أبو بكر رضي الله عنه فدخل، ثم استأذن عمر رضي الله عنه فدخل، ثم استأذن سعد بن مالك رضي الله عنه فدخل، ثم استأذن عثمان بن عفان رضي الله

عنه فدخل ورسول الله ﷺ يتحدث كاشفاً عن ركبتيه، فرد ثوبه على ركبته حين استأذن عثمان، وقال لامرأته: «استأخري». فتحدّثوا ساعة ثم خرجوا، فقالت عائشة: يا نبي الله دخل أبي وأصحابه فلم تصلح ثوبك على ركبتك ولم تؤخرني عنك! فقال النبي ﷺ: «ألا أستحي من رجل تستحيي منه الملائكة، والذي نفسي بيده إن الملائكة لتستحيي من عثمان كما تستحيي من الله ورسوله، ولو دخل وأنت قريب مني لم يتحدث ولم يرفع رأسه حتى يخرج». هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه زيادة على ما قبله وفي سنده ضعف. كذا في «البداية» (7/ 203 و204) وحديث حفصة رضي الله عنها أخرجه أيضاً الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» مطوّلاً وأبو يعلى (12/ 7037) باختصار كثير وإسناده حسن، كما قال الهيثمي (9/ 82)، وحديث ابن عمر أخرجه أيضاً أبو يعلى (7/ 2437) نحوه وفيه إبراهيم بن عمر بن أبان وهو ضعيف، كما قال الهيثمي (9/ 82).

وأخرج أحمد (1/ 74) عن الحسن رضي الله عنه ـ وذكر عثمان رضي الله عنه وشدة حيائه ـ قال: إن كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه ثوبه ليفيض عليه الماء يمنعه الحياء أن يقيم صلبه. قال الهيثمي (9/ 82): رواه أحمد ورجاله ثقات ـ اهـ. ورواه أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 56) مثله.

وأخرج سفيان عن عائشة رضي الله عنها قلت: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: استحيوا من الله فإني لأدخل الخلاء فأقنّع رأسي حياء من الله عز وجل. كذا في «الكنز» (2/ 144).

وأخرج ابن سعد (3/ 287) عن سعد بن مسعود رضي الله عنه وعُمارة بن غُراب اليَحْصُبي أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أتى

النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنِّي لا أحب أن ترى امرأتي عورتي، قال رسول الله ﷺ: «ولم؟» قال: أستحيي من ذلك وأكرهه. قال: «إنَّ الله جعلها لك لباساً وجعلك لها لباساً وأهلي يرون عورتي وأنا أرى ذلك منهم»، قال: أنت تفعل ذلك يا رسول الله؟ قال: «نعم»، قال: فمن بعدك. فلما أدبر قال رسول الله ﷺ: «إن ابن مظعون لحيّي ستّير».

وأخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 260) عن أبي مِجْلَز قال: قال أبو موسى رضي الله عنه: إني لأغتسل في البيت المظلم فما أقيم صلبي حتى آخذ ثوبي حياء من ربي عز وجل. وأخرجه ابن سعد (4/ 84) عن أبي مِجْلَز نحوه وعن ابن سيرين مثله.

وعنده أيضاً عن قتادة رضي الله عنه قال: كان أبو موسى إذا اغتسل في بيت مظلم تجاذب وحنى ظهره حتى يأخذ ثوبه ولا ينتصب قائماً. وعنده أيضاً (4/ 82) عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو موسى الأشعري إذا نام لبس ثياباً عند النوم مخافة أن تنكشف عورته.

وأخرج أيضاً (4/ 84) عن عبادة بن نُسَيّ قال: رأى أبو موسى قوماً يقفون في الماء بغير أُزر فقال: لأن أموت ثم أنشر، ثم أموت ثم أنشر، ثم أموت ثم أنشر أحب إليَّ من أن أفعل مثل هذا!!!

وأخرج ابن أبي شَيْبة (7/ 516) وأبو نعيم عن الأشجّ ـ أشجّ عبد القيس رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ فيك لخُلُقين يحبهما الله»، قلت: ما هما؟ قال: «الحلم والحياء»، قلت: قديماً كانا فيَّ أو حديثاً؟ قال: «لا»، بل قديماً»، قلت: الحمد لله الذي جبلني على خُلُقين يحبهما الله. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 140).

* * *

التواضع

تواضع النبي ﷺ

أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ، فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال جبريل: هذا الملك ما نزل منذ خُلق قبل الساعة، فلمّا نزل قال: يا محمد أرسلني إليك ربك؛ أفَملكاً نبياً أجعلك أو عبداً رسولاً؟ قال جبريل: تواضع لربك يا محمد. قال: «بل عبداً رسولاً». قال الهيثمي (9/ 19): رواه أحمد والبزّار (2462) وأبو يعلى ورجال الأوّلين رجال الصحيح. ورواه أبو يعلى (8/ 4920) بإسناده حسن، كما قال الهيثمي عن عائشة رضي الله عنها بمعناه مع زيادة في أوله وزاد في آخره: قال: فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لا يأكل متكئاً يقول: «آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد». وقد تقدَّم حديث ابن عباس رضي الله عنه بمعناه في رد المال عند الطبراني وغيره.

وأخرج الطبراني عن أبي غالب قال: قلت لأبي أمامة رضي الله عنه: حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، قال: كان حديث رسول الله ﷺ القرآن، يكثر الذكر، ويُقصِّر الخطبة، ويطيل الصلاة، ولا يأنف ولا يستكبر أن يذهب مع المسكين والضعيف حتى يفرغ من حاجته. وإسناده حسن، كما قال الهيثمي (9/ 20). وأخرجه البيهقي والنسائي عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه نحوه كما في «البداية» (6/ 45).

وأخرجه الطيالسي عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر، ويقل اللغو، ويركب الحمار، ويلبس الصوف، ويجيب دعوة المملوك، ولو رأيته يوم خيبر على حمارٍ خِطامه من ليف!! وفي الترمذي وابن ماجه عن أنس بعض ذلك، كذا في البداية (6/ 45)، قلت: زاد الترمذي عن أنس: يعود المريض، ويشهد الجنازة. وأخرجه ابن سعد (1/ 95) عن أنس بطوله.

وأخرج البيهقي عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يركب الحمار، ويلبس الصوف، ويعتقل الشاة، ويأتي مراعاة الضيف. وهذا غريب من هذا الوجه ولم يخرِّجوه وإسناده جيد؛ كذا في «البداية» (6/ 45). وأخرجه الطبراني عن أبي موسى مثله ورجاله رجال الصحيح، كما قال الهيثمي (9/ 20).

وعند الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يجلس على الأرض ويأكل على الأرض، ويعقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير، وإسناده حسن كما قال الهيثمي (9/ 20).

وعنده أيضاً عنه قال: إن كان الرجل من أهل العوالي ليدعو رسول الله ﷺ بنصف الليل على خبز الشعير فيجيب. ورجاله ثقات، كما قال الهيثمي (9/ 20).

وعند «الترمذي» في الشمائل (ص23) عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُدعى إلى خبز الشعير والإهالة السَّنِخَة فيجيب، ولقد كانت له درع عند يهودي فما وجد ما يفكُّها حتى مات.

وأخرج أبو يعلى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً نادى النبي ﷺ ثلاثاً كل ذلك يردُّ عليه: «لبيك، لبيك» قال الهيثمي (9/

20): رواه أبو يَعْلى في الكبير عن شيخه جُبارة بن المغلِّس، وثَّقه ابن نُمير وضعَّفه الجمهور وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه أيضاً أبو نُعَيم في «الحلية» وتمَّام والخطيب، كما في «الكنز» (4/ 45).

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: كانت امرأة ترافث الرجال وكانت بذيئة، فمرّت بالنبي ﷺ وهو يأكل ثريداً على طِرْبال فقالت: انظروا إليه يجلس كما يجلس العبد، ويأكل كما يأكل العبد. فقال النبي ﷺ: «وأيُّ عبد أعبد مني؟!» قالت: ويأكل ولا يطعمني، قال: «فكلي» قالت: ناولني بيدك، فناولها، فقالت: أطعمني مما في فيك، فأعطاها، فأكلت فغلبها الحياء فلم ترافث أحداً حتى ماتت. وإسناده ضعيف، كما قال الهيثمي (9/ 21).

وأخرج الطبراني عن جرير رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ من بين يديه فاستقبلته رِعْدة، فقال النبي ﷺ: «هوِّن عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد». قال الهيثمي (9/ 20): وفيه من لم أعرفهم. وأخرجه البيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً كلَّم رسول الله ﷺ يوم الفتح فأخذته الرِعْدة ـ فذكر نحوه، كما في «البداية» (4/ 293).

وأخرج البزّار (2468) عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: خرجت مع النبي ﷺ إلى المسجد فانقطع شِسْعه، فأخذت نعله لأصلحها، فأخذها من يدي وقال: «إنها أَثَرة ولا أحب الأثرة». قال الهيثمي (9/ 21): وفيه من لم أعرفه اهـ.

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن جبير الخزاعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يمشي في أناس من أصحابه فتستَّر بثوب، فلما رأى ظلَّه رفع رأسه فإذا هو بملاءة قد سُتر بها فقال له: «مَهْ!!». وأخذ الثوب

فوضعه، فقال: «إنما أنا بشر مثلكم» ورجاله رجال الصحيح، كما قال الهيثمي (9/ 21).

وأخرج البزّار (2466) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال العباس: قلت: لا أدري ما بقيُّ رسول الله فينا، فقلت: يا رسول الله لو اتخذت عريشاً يظلك. قال: «لا أزال بين أظهرهم يطأون عقبي، وينازعون ردائي، حتى يكون الله يريحني منهم». ورجاله رجال الصحيح، كما قال الهيثمي (9/ 21).

وأخرجه الدارمي عن عكرمة رضي الله عنه قال قال العباس: لأعلمنَّ ما بقي رسول الله ﷺ فينا. فقال: يا رسول الله، إني أراهم قد آذَوك وآذاك غبارهم، فلو اتخذتَ عَرْشاً تكلمهم منه، فقال: «لا أزال» فذكر نحوه وزاد: فعلمت أن بقاءه فينا قليل. كذا في «جمع الفوائد» (2/ 180)، وأخرجه ابن سعد (2/ 193) عن عكرمة نحوه.

وأخرج أحمد عن الأسود قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع إذا دخل بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلَّى. ورواه البخاري وابن سعد (1/ 91) نحوه. وعند البيهقي عن عروة رضي الله عنه قال: سأل رجل عائشة: هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: نعم، كان يخْصف نعله، ويخيط ثوبه كما يعمل أحدكم في بيته.

وعند البيهقي عن عمرة قالت: قلت لعائشة: ما كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: كان رسول الله ﷺ بشراً من البشر يفلي ثوبه، ويحلُب شاته، ويخدم نفسه. ورواه الترمذي في «الشمائل»؛ كذا في «البداية» (6/ 44).

وعند القزويني بضعف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ لا يَكِل طَهوره إلى أحد، ولا صدقته التي يتصدق بها يكون هو الذي يتولاّها بنفسه. كذا في جمع الفوائد (2/ 180).

وأخرج البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: جاء النبي ﷺ يعودني ليس براكب بغلاً ولا بِرذوناً. كذا في صفة الصفوة (1/ 65).

وأخرج الترمذي في «الشمائل» (ص24) عن أنس رضي الله عنه قال: حجَّ رسول الله ﷺ على رَحْل رَثٍّ وعليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم فقال: «اللهمَّ اجعله حجّاً لا رياء فيه ولا سمعة».

وأخرج أبو يَعْلى (6/ 3393) عن أنس رضي الله عنه قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة استشرفه الناس، فوضع رأسه على رحله تخشُّعاً. قال الهيثمي (6/ 169): وفيه عبد الله بن أبي بكر المقدَّمي وهو ضعيف. اهـ.

وأخرجه البيهقي عن أنس قال: دخل رسول الله مكة يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشِّعاً. وقال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذي طُوى وقف على راحلته معتجراً بشقَّة بُرْدةٍ حَبَرةٍ حمراء. وإنّ رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى إن عُثنونه ليكاد يمس واسطة الرَّحْل. كذا في «البداية» (4/ 293).

وأخرج الطبراني في «الأوسط» وأبو يعلى (11/ 6162) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: دخلت يوماً السوق مع رسول الله ﷺ فجلس إلى البزّازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم، وكان لأهل السوق وزّان، فقال له: زن وأرجح، وأخذ رسول الله ﷺ السراويل فذهبت

لأحمل عنه فقال: «صاحب الشيء أحقُّ بشيئه أن يحمله، إلا أن يكون ضعيفاً فيعجز عنه، فيعينه أخوه المسلم». فقلت: يا رسول الله إنك لتلبس السراويل؟ قال: «أجل، في السفر والحضر، وبالليل والنهار، فإني أُمرت بالستر فلم أجد شيئاً أستر منه». أخرجه من طريق ابن زياد الواسطي، وأخرجه أحمد وفي سنده ابن زياد وهو وشيخه ضعيفان؛ كذا في «نسيم الرياض» (2/ 105) وقال: انجبر ضعفه بمتابعته، ومنه يعلم أن تخطئة ابن القيِّم لا وجه لها. انتهى، وذكر الحديث الهيثمي في الجمع (5/ 121) عن أبي هريرة مثله وزاد: فقال له رسول الله ﷺ: «زِنْ وأرجح» فقال الوزّان: إنَّ هذه لكلمة ما سمعتها من أحد. فقال أبو هريرة: فقلت له: كفاك من الرَّهَق والجفاء في دينك ألاَّ تعرف نبيك!! فطرح الميزان ووثب إلى يد رسول الله ﷺ يريد أن يقبلها، فحذف رسول الله ﷺ يده منه فقال: «ما هذا! إنما يفعل هذا الأعاجم بملوكها، ولست بملك إنما أنا رجل منكم»، فوزن وأرجح وأخذ ـ فذكر مثله؛ قال الهيثمي: رواه أبو يَعْلى (11/ 6162) والطبراني في «الأوسط» وفيه يوسف بن زياد وهو ضعيف.

* * *

تواضع أصحاب النبي ﷺ

أخرج ابن عساكر عن أسلم قال: قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام على بعير، فجعلوا يحدِّثون بينهم، فقال عمر: تطمح أبصارهم إلى مراكب من لا خلاق له. وأخرجه ابن المبارك؛ كذا في «المنتخب» (4/ 417).

وأخرج ابن سعد عن حِزام بن هشام عن أبيه قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ على امرأة وهي تعصدُ عصيدة لها، فقال: ليس هكذا يُعصد، ثم أخذ المِسْوَط فقال: هكذا، فأراها.

وعن هشام بن خالد قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لا تذرَنَّ إحداكنَّ الدقيق حتى يسخن الماء، ثم تذره قليلاً قليلاً، وتسوطه بمِسْوَطِها؛ فإنَّه أريَع له، وأحرى أن لا يتقرَّد. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 417).

وأخرج المَروَزي في «العيدين» عن زِرٍّ قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمشي إلى العيد حافياً. كذا في «المنتخب» (4/ 418)؛ وأخرج الدينوري عن محمد بن عمر المخزومي عن أبيه قال: نادى عمر بن الخطاب: الصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس وكثروا صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلَّى على نبيه ﷺ، ثم قال: أيها الناس، لقد رأيتني أرعى على خالات لي من بني مخزوم، فيقبضن لي القبضة من التمر والزبيب، فأظل يومي وأي يوم! ثم نزل فقال عبد

الرحمن بن عوف رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين ما زدت على أن قمأتَ نفسك - يعني عبتَ - فقال: ويحك يا بن عوف!! إني خلوت فحدثتني نفسي، فقالت: أنت أمير المؤمنين؛ فمن ذا أفضل منك! فأردت أن أعرِّفها نفسها. كذا في «المنتخب» (4/ 417)، وأخرجه ابن سعد (3/ 293) عن أبي عمير الحارث بن عمير عن رجل بمعناه، وفي روايته: أيها الناس لقد رأيتني ومالي من أكال يأكله الناس إلا أنَّ لي خالات من بني مخزوم، فكنت أستعذب لهن الماء، فيقبِضْن لي القَبَضات من زبيب. وفي آخره: إني وجدت في نفسي شيئاً فأردت أن أطأطىء منها.

وأخرج الدينوري عن الحسن قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه في يوم حار واضعاً رداءه على رأسه، فمر به غلام على حمار، فقال: يا غلام احملني معك. فوثب الغلام عن الحمار وقال: اركب يا أمير المؤمنين، قال: لا، اركب وأركب أنا خلفك، تريد تحملني على المكان الوطيء وتركب أنت على الموضع الخشن، فركب خلف الغلام، فدخل المدينة وهو خلفه والناس ينظرون إليه. كذا في «المنتخب» (4/ 417).

وأخرج ابن سعد (7/ 90) عن سِنان بن سلمة الهذليّ قال: خرجت مع الغلمان ونحن بالمدينة نلتقط البلح، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه معه الدِّرَّة، فلما رآه الغلمان تفرقوا في النخل، قال: وقمت وفي إزاري شيء قد لقطته فقلت: يا أمير المؤمنين هذا ما تُلقي الريح. قال: فنظر إليه في إزاري فلم يضربني، فقلت: يا أمير المؤمنين الغلمان الآن بين يدي وسيأخذون ما معي، قال: كلا، امش. قال: فجاء معي إلى أهلي.

وأخرج البيهقي عن مالك عن عمه عن أبيه أنه رأى عمر وعثمان

رضي الله عنهما إذا قدما من مكة ينزلان بالمُعَرَّس، فإذا ركبوا ليدخلوا المدينة لم يبقَ أحد إلا أردف غلاماً فدخلوا المدينة على ذلك. قال: وكان عمر وعثمان يُردفان، فقلت له: إرادة التواضع؟ قال: نعم، والتماس حَمْل الرجل لئلا يكون كغيرهم من الملوك، ثم ذكر ما أحدث الناس من أن يُمَشُّوا غلمانهم خلفهم وهم ركبان ويعيب ذلك عليهم. كذا في «الكنز» (2/ 143).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 60) عن ميمون بن مِهران قال: أخبرني الهَمْداني أنه رأى عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو على بغلة وخَلفه عليها غلامه نائل وهو خليفة.

وأخرج ابن سعد وأحمد في «الزهد» (159) وابن عساكر عن عبد الله الرومي قال: كان عثمان رضي الله عنه يلي وَضوء الليل بنفسه، فقيل: لو أمرتَ بعض الخدم فكَفَوك. فقال: لا، إن الليل لهم يستريحون فيه. كذا في «الكنز» (5/ 48).

وعند ابن المبارك في «الزهد» عن الزبير بن عبد الله أن جدته أخبرته، وكانت خادماً لعثمان وقالت: كان عثمان لا يوقظ نائماً من أهله إلا أن يجده يقظاناً فيدعوه فيناوله وضوءه، وكان يصوم الدهر. كذا في «الإصابة» (2/ 463).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 60) عن الحسن قال: رأيت عثمان رضي الله عنه نائماً في المسجد في مِلْحفة ليس حوله أحد وهو أمير المؤمنين.

وأخرج ابن سعد (3/ 186) عن أُنيسة قالت: كنَّ جواري الحي يأتين بغنمهن إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيقول لهن: أتحبون أن

أحلب لكن حلب ابن عفراء؟ كذا في «المنتخب» (4/ 361). وقد تقدّم في سيرة الخلفاء عن عائشة وابن عمر وابن المسيَّب وغيرهم رضي الله عنهم عند ابن سعد وغيره، وفي حديثهم: وكان رجلاً تاجراً، فكان يغدو كل يوم السوق فيبيع ويبتاع، وكانت له قطعة غنم تروح عليه، وربما خرج هو بنفسه فيها وربما كُفِيهَا فرُعيت له، وكان يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحي: الآن لا تُحلب لنا منائح دارنا. فسمعها أبو بكر فقال: بلى، لعمري لأحلبنَّها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيِّرني ما دخلت فيه عن خُلُق كنت عليه. فكان يحلب لهم، فربما قال للجارية من الحي: يا جارية أتحبين أن أُرغي لكم أو أصرِّح؟ فربما قالت: أرغ، وربما قالت: صرِّح، فأيّ ذلك قالت فعل.

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص81) عن صالح بياع الأكْسِيَة عن جدته قالت: رأيت علياً رضي الله عنه اشترى تمراً بدرهم فحمله في ملحفته، فقلت له - أو قال له رجل -: أحمل عنك يا أمير المؤمنين، قال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل. وأخرجه ابن عساكر كما في «المنتخب» (5/ 56)، وأبو القاسم البَغَوي، كما في «البداية» (8/ 5) عن صالح بنحوه.

وأخرج ابن عساكر عن زاذان عن علي رضي الله عنه أنه كان يمشي في الأسواق وحده وهو والٍ، يرشد الضال، ويَنْشُد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبيّاع والبقّال فيفتح عليه القرآن ويقرأ ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: 83] ويقول: نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة على سائر الناس. كذا في «المنتخب» (5/ 56)، وأخرجه أبو القاسم البغوي نحوه كما في «البداية» (8/ 5).

وأخرجه ابن سعد (3/ 18) عن جرموز قال: رأيت علياً رضي الله عنه وهو يخرج من القصر وعليه قطريتان: إزارٌ إلى نصف الساق، ورداء مشمّر قريب منه، ومعه دِرَّة له يمشي بها في الأسواق، ويأمرهم بتقوى الله وحسن البيع، ويقول: أوفوا الكيل والميزان، ويقول: لا تنفخوا اللحم. وأخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب (3/ 48).

وأخرج ابن راهَوَيه وأحمد في «الزهد» (162) وعبد ابن حُميد وأبو يعلى والبيقي وابن عساكر - وضُعِّف - عن أبي مطر قال: خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي خلفي: ارفع إزارك فإنه أتقى لربك، وأنقى لثوبك، وخذ من رأسك إن كنت مسلماً؛ فإذا هو علي ومعه الدِّرَّة، فانتهى إلى سوق الإبل فقال: بيعوا ولا تحلفوا فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة. ثم أتى صاحب التمر فإذا خادم تبكي فقال: ما شأنك؟ قالت: باعني هذا تمراً بدرهم فأبى مولاي أن يقبله، فقال: خذه وأعطها درهماً فإنه ليس لها أمر، فكأنه أبى، فقلت: ألا تدري من هذا؟ قال: لا، قلت: عليّ أمير المؤمنين، فصبَّ تمره وأعطاها درهماً وقال: أحب أن ترضى عنّي يا أمير المؤمنين، قال: ما أرضاني عنك إذ وَفَّيْتهم. ثم مرَّ مجتازاً بأصحاب التمر فقال: أطعموا المسكين يربو كسبكم. ثم مرَّ مجتازاً حتى انتهى إلى أصحاب السمك فقال: لا يباع في سوقنا طاف. ثم أتى دار بَزَّازِز وهي سوق الكرابيس، فقال: يا شيخ أحسن بيعي في قميص بثلاثة دراهم. فلما عرفه لم يشترِ منه شيئاً، ثم أتى آخر فلما عرفه لم يشترِ منه شيئاً، ثم أتى غلاماً حدثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم لبسه ما بين الرسغين إلى الكعب، فجاء صاحب الثوب فقيل: إن ابنك باع من أمير المؤمنين قميصاً بثلاثة دراهم. قال: فهلاَّ أخذت منه درهمين؟ فأخذ الدرهم ثم جاء به إلى علي فقال: أمسك هذا الدرهم،

قال: ما شأنه؟ قال: كان قميصاً ثمنه درهمان باعك ابني بثلاثة دراهم، قال: باعني رضاي وأخذت رضاه. كذا في «المنتخب» (5/ 57).

وأخرج أبو نُعَيم في «الحِلْية» (3/ 312) عن عطاء قال: إن كانت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ لتعجن وإن قصَّتها لتكاد أن تضرب الجَفْنة.

وأخرج ابن سعد (8/ 64) عن المطَّلب بن عبد الله قال: دخلت أيِّمُ العرب على سيد المسلمين أول العشاء عروساً وقامت من آخر الليل تطحن - يعني أم سلمة رضي الله عنها -.

وأخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 197) عن سلامة العجلي قال: جاء ابن أخت لي من البادية يقال له قُدامة، فقال لي أحب أن ألقى سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه فأسلّم عليه. فخرجنا إليه فوجدناه بالمدائن وهو يومئذ على عشرين ألفاً، ووجدناه على سرير يسف خوصاً، فسلَّمنا عليه، قلت: يا أبا عبد الله هذا ابن أخت لي قدم عليَّ من البادية فأحب أن يسلم عليك. قال: وعليه السلام ورحمة الله، قلت: يزعم أنه يحبك، قال: أحبه الله.

وأخرج ابن عساكر عن الحارث بن عميرة قال: قدمت إلى سلمان رضي الله عنه المدائن فوجدته في مدبغة له يعرك إهاباً بكفيه، فلما سلَّمت عليه قال: مكانك حتى أخرج إليك. قلت: والله ما أراك تعرفني، قال: بلى، قد عرفت روحي روحك قبل أن أعرفك، فإن الأرواح جنود مجنَّدة فما تعارف منها في الله ائتلف وما كان في غير الله اختلف. كذا في «المنتخب» (5/ 196)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 198) عن الحارث مطوَّلاً، وجعل ما ذكره سلمان من المرفوع.

وأخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 201) عن أبي قلابة أن رجلاً دخل على سلمان رضي الله عنه وهو يعجن فقال: ما هذا؟ فقال: بعثنا الخادم في عمل - أو قال: صنعة - فكرهنا أن نجمع عليه عملين - أو قال: صنعتين - ثم قال: فلان يقرئك السلام، قال: متى قدمت؟ قال: منذ كذا وكذا، قال فقال: أما إنك لو لم تؤدها كانت أمانة لم تؤدها. وأخرجه ابن سعد (4/ 64) وأحمد، كما في «صفة الصفوة» (1/ 218) عن أبي قلابة بنحوه.

وأخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 198) عن عمرو بن أبي قرّة الكندي قال: عرض أبي على سلمان رضي الله عنه أخته أن يزوّجه فأبى، فتزوج مولاة يقال لها بقيرة، فبلغ أبا قرّة أنه كان بين حذيفة رضي الله عنه وبين سلمان رضي الله عنه شيء، فأتاه فطلبه فأُخبر أنه في مبقلة له، فتوجه معه زُنْبيل فيه بقل قد أدخل عصاه في عروة الزنبيل وهو على عاتقه، فانطلقنا حتى أتينا دار سلمان فدخل الدار فقال: السلام عليكم، ثم أذن لأبي قرّة، فإذا نمط موضوع، وعند رأسه لَبِنات، وإذا قرطاط، فقال: اجلس على فراشِ مولاتك التي تمهد لنفسها.

وأخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 199) عن ميمون بن مِهْران عن رجل من بني عبد القيس قال: رأيت سلمان رضي الله عنه في سرية وهو أميرها على حمار وعليه سراويل، وخدمتاه تَذَبذبان، والجند يقولون: قد جاء الأمير، فقال سلمان: إنما الخير والشر بعد اليوم.

وعند ابن سعد (4/ 63) عن رجل من عبد القيس قال: كنت مع سلمان الفارسي وهو أمير على سرية، فمر بفتيان من (فتيان) الجند فضحكوا وقالوا: هذا أميركم، فقلت: يا أبا عبد الله ألا ترى هؤلاء ما

يقولون؟ قال: دَعْهم؛ فإنما الخير والشر فيما بعد اليوم، إن استطعت أن تأكل من التراب فكل منه ولا تكونن أميراً على اثنين، واتَّقِ دعوة المظلوم والمضطر فإنها لا تُحجب.

وعنده أيضاً عن ثابت أن سلمان كان أميراً على المدائن وكان يخرج إلى الناس في أَنْدَرْوَرْدٍ وعباءة، فإذا رأواه قالوا: كُرْك آمذ، كُرْك آمذ!! فيقول سلمان: ما يقولون؟ قالوا: يشبهونك بلعبة لهم، فيقول سلمان: لا عليهم فإنَّما الخير فيما بعد اليوم.

وعن هُرَيم قال: رأيت سلمان الفارسي على حمار عُرْيٍ وعليه قميص سنبلاني قصير ضيق الأسفل، وكان رجلاً طويل الساقين كثير الشعر، وقد ارتفع القميص حتى بلغ قريباً من ركبتيه، قال: ورأيت الصبيان يُحضِرون خلفه. فقلت: ألا تنحون عن الأمير؟ فقال: دَعْهم فإنما الخير والشر فيما بعد اليوم.

وأخرج ابن سعد (4/ 63) عن ثابت قال: كان سلمان رضي الله عنه أميراً على المدائن، فجاء رجل من أهل الشام من بني تيم الله معه حمل تبن، وعلى سلمان أندَرْوَرْدٌ وعباءة، فقال سلمان: تعالَ احملْ - وهو لا يعرف سلمان -، فحمل سلمان، فرآه الناس فعرفوه فقالوا: هذا الأمير، قال: لم أعرفك، فقال له سلمان: لا، حتى أبلغ منزلك. وأخرجه أيضاً من وجه آخر بنحوه وزاد: فقال: قد نويت فيه نية فلا أضعه حتى أبلغ بيتك.

وأخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 200) عن عبد الله بن بُريدة رضي الله عنه أن سلمان رضي الله عنه كان يعمل بيديه، فإذا أصاب شيئاً اشترى به لحماً - أو سمكاً - ثم يدعو المجذَّمين فيأكلون معه.

وأخرج ابن سعد عن محمد بن سيرين قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بعث عاملاً كتب في عهده أن اسمعوا له وأطيعوا ما عدل عليكم، فلما استعمل حذيفة رضي الله عنه على المدائن كتب في عهده: أن اسمعوا له وأطيعوا وأعطوه ما سألكم. فخرج حذيفة من عند عمر على حمار موكّف وعلى الحمار زاده، فلما قدم المدائن استقبله أهل الأرض والدَّهاقين وبيده رغيف وعَرْق من لحم على حمار على إكاف، فقرأ عهده إليهم، فقالوا: سَلْنا ما شئت، قال: أسألكم طعاماً آكله، وعلف حماري هذا ما دمت فيكم. فأقام فيهم ما شاء الله، ثم كتب إليه عمر أن أقدم، فلما بلغ عمر قدومه كمن له على الطريق في مكان لا يراه، فلما رآه عمر على الحال الذي خرج من عنده عليه أتاه فالتزمه وقال: أنت أخي وأنا أخوك!! كذا في «الكنز» (7/ 23).

وعند أبي نُعَيم في «الحلية» (1/ 277) عن ابن سيرين قال: إن حذيفة رضي الله عنه لما قدم المدائن قدم على حمار على إكاف وبيده رغيف وعَرْقٌ وهو يأكل على الحمار. وزاد طلحة بن مصرف في روايته: وهو سادل رجليه من جانب.

وأخرج الطبراني عن سليم أبي الهذيل قال: كنت رقَّاءاً على باب جرير بن عبد الله رضي الله عنه، فكان يخرج فيركب بغلة - أي ويحمل غلامه خلفه -. قال الهيثمي (9/ 373): وسلمة ومحمد بن منصور الكلبي لم أعرفهما وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج الطبراني بإسناد حسن عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه مرَّ في السوق وعليه حزمة من حطب فقيل له: ما يحملك على هذا وقد أغناك الله عن هذا؟ قال: أردت أن أدفع الكِبْر، سمعت رسول الله ﷺ

يقول: «لا يدخل الجنة من في قلبه خردلة من كِبْر». ورواه الأصبهاني إلا أنه قال: مثقال ذرة من كِبْر. كذا في «الترغيب» (4/ 345).

وأخرج العسكري عن علي رضي الله عنه قال: ثلاث هن رأس التواضع: أن يبدأ بالسلام من لقيه، ويرضى بالدون مِنْ شرف المجلس، ويكره الرياء والسمعة. كذا في «الكنز» (2/ 143).

* * *

المزاح والمداعَبة

مزاح رسول الله ﷺ

أخرج الترمذي في «الشمائل» (ص17) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: «إني لا أقول إلا حقّاً». وأخرجه البخاري في «الأدب» (ص41) عن أبي هريرة مثله.

وأخرج ابن عساكر - وضعَّفه - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً سأله فقال: أكان رسول الله ﷺ يمزح؟ قال: نعم، فقال رجل: ما كان مزاحه؟ فقال ابن عباس: كسا النبي ﷺ بعض نسائه ثوباً واسعاً، قال: «البسيه واحمدي الله، وجرِّي من ذيلك هذا كذيل العروس». كذا في «الكنز» (4/ 43).

وأخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً، وكان لي أخ يقال له: أبو عمير - قال: فطيماً - قال: فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال: «أبا عمير ما فعل النُّغَيْرُ؟» قال: نُغَر كان يلعب به، قال: فربما تحضر الصلاة وهو في بيتنا، فيأمر بالبساط الذي تحته فيكنس ثم ينضح، ثم يقوم رسول الله ﷺ ونقوم خلفه يصلِّي بنا، قال: وكان بساطهم من جريد النخل. وقد رواه الجماعة إلا أبا داود من طرق عن أنس بنحوه. كذا في «البداية» (6/ 38).

وأخرجه البخاري في «الأدب» (ص42) بلفظ: كان النبي ﷺ

ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «يا أبا عمير ما فعل النُّغير؟» وهكذا لفظ الترمذي.

وعند ابن سعد (3/ 506) عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ دخل على أبي طلحة رضي الله عنه فرأى ابناً له يكنى أبا عمير حزيناً قال: وكان إذا رآه مازحه النبي ﷺ، قال: فقال: «ما لي أرى أبا عمير حزيناً؟» قالوا: مات يا رسول الله نُغَره الذي كان يلعب به، قال: فجعل النبي ﷺ يقول: «أبا عمير ما فعل النُّغَير؟».

وأخرج أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فاستحمله، فقال رسول الله ﷺ: «إنا حاملوك على ولد ناقة»، فقال: يا رسول الله ما أصنع بولد ناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «وهل تلد الإبل إلا النوق». ورواه داود والترمذي، وقال الترمذي: صحيح غريب؛ كذا في «البداية» (6/ 46). وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص41) عن أنس نحوه، وأخرجه ابن سعد (8/ 224) عن محمد بن قيس رضي الله عنه بمعناه إلا أنه جعل السائلة أم أيمن رضي الله عنها.

وأخرج أبو داود عن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا ذا الأذنين» كذا في «البداية» (6/ 46). وأخرجه الترمذي في «الشمائل» (ص16) وقال: قال أبو أسامة: يعني يمازحه، وأخرجه أبو نُعَيم وابن عساكر؛ كما في «المنتخب» (5/ 142).

وأخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً ـ رضي الله عنه ـ وكان يُهدي النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ زاهراً باديتنا ونحن حاضروه»، وكان رسول الله ﷺ يحبُّه وكان رجلاً دميماً، فأتاه رسول الله ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ولا يبصره الرجل، فقال: أرسلني مَنْ هذا؟

فالتفت فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل رسول الله ﷺ يقول: «من يشتري العبد؟» فقال: يا رسول الله إذن ـ والله ـ تجدني كاسداً، فقال رسول الله ﷺ: «لكن عند الله لست بكاسد ـ أو قال: ـ لكن عند الله أنت غالٍ». وهذا إسناد رجاله كلّهم ثقات على شرط الصحيحين، ولم يروه إلا الترمذي في «الشمائل»، ورواه ابن حبَّان في «صحيحه» (5790)؛ كذا في البداية (6/ 46). وأخرجه أيضاً أبو يَعْلى (6/ 3456) والبزّار (2735). قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح، وأخرجه البزّار والطبراني (5/ 5310) عن سالم بن أبي الجعد عن رجل من أشجع يقال له أزهر بن حَرام الأشجعي رجل بدوي، وكان لا يزال يأتي النبي ﷺ بطُرْفة أو هدية ـ فذكر بمعناه. قال الهيثمي (9/ 369): رواه البزار والطبراني ورجاله موثقون ـ اهـ.

وأخرج أبو داود عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: استأذن أبو بكر رضي الله عنه على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة رضي الله عنها عالياً على رسول الله ﷺ، فلما دخل تناولها ليلطمها وقال: ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله؟! فجعل النبي ﷺ يحجزه، وخرج أبو بكر مُغْضباً، فقال رسول الله ﷺ حين خرج أبو بكر: «كيف رأيتني أنقذتك من الرجل» فمكث أبو بكر أياماً ثم استأذن على رسول الله ﷺ فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما: أدخلاني في سِلمكما كما أدخلتماني في حربكما. فقال رسول الله ﷺ: «قد فعلنا قد فعلنا». كذا في «البداية» (6/ 46).

وأخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدُنْ، فقال للناس: «تقدَّموا» فتقدَّموا، ثم قال لي: «تعالي حتى أسابقك» فسابقته

فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدُنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «تقدَّموا ثم قال لي: «تعالي حتى أسابقك» فسابقته. فسبقني، فجعل يضحك ويقول: «هذه بتلك» كذا في «صفة الصفوة» (1/ 68).

وأخرج أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان في مسير، وكان حاد يحدو بنسائه ـ أو سائق ـ قال: فكان نساؤه يتقدَّمن من بين يديه فقال: «يا أنجشه وَيْحك، ارفق بالقوارير» وفي الصحيحين نحوه عن أنس، كما في «البداية» (6/ 47).

وعند البخاري في «الأدب» (ص41) عن أنس قال: أتى النبي ﷺ على بعض نسائه ومعهن أم سليم رضي الله عنها، فقال: «يا أنجشة رويداً، سوقك بالقوارير». قال أبو قلابة: فتكلَّم النبي ﷺ بكلمة لو تكلم بعضكم لعبتموها عليه قوله «سوقك بالقوارير».

وأخرج الترمذي في «الشمائل» (ص17) عن الحسن رضي الله عنه قال: أتت عجوز النبي ﷺ. فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال: «يا أم فلان، إنَّ الجنة لا تدخلها عجوز». قال: فولَّت تبكي. فقال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: 35 ـ 36].

* * *

مزاح أصحاب النبي ﷺ

أخرج أبو داود عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فسلمت فرد وقال: «ادخل»، فقلت: أكلِّي يا رسول الله؟ فقال: «كلُّك»، فدخلت، قال الوليد بن عثمان بن أبي العالية إنما قال: أدخل كلِّي؟ من صِغَر القبة. كذا في «البداية» (6/ 46).

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص41) عن ابن أبي مليكة رضي الله عنه قال: مزحت عائشة رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ، فقالت أمها: يا رسول الله بعض دعابات هذا الحي من كنانة، قال النبي ﷺ: «بل بعض مزحنا هذا الحي».

وأخرج الزبير بن بكار وابن عساكر عن أبي الهيثم عمن أخبره أنه سمع أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه مازح النبي ﷺ في بيت ابنته أم حبيبة رضي الله عنها ويقول: والله إنْ هو إلاَّ أن تركتُك فتركتك العرب إن انتطحت فيك، وقالوا: جمَّاء ولا ذات قرن. ورسول الله ﷺ يضحك ويقول: «أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة!» كذا في «الكنز» (4/ 43).

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص41) عن بكر بن عبد الله قال: كان أصحاب النبي ﷺ يتبادحون بالبطِّيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال. وذكر الهيثمي (8/ 89) عن قرّة قال: قلت لابن سيرين: هل

كانوا يتمازحون؟ قال: ما كانوا إلا كالناس، كان ابن عمر رضي الله عنهما يمزح وينشد:

يـحـبُّ الـخـمـرَ مـن مـالِ الـنَّـدامـى
ويـكـرهُ أنْ تـفـارِقَـهُ الـفـلـوسُ

هكذا ذكره الهيثمي بلا إسناد وسقط ذكر مخرِّجه.

وأخرج أحمد عن أم سلمة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه خرج تاجراً إلى بصرى ومعه نُعيمان سُويبط بن حرملة رضي الله عنهما ـ وكلاهما بدري ـ وكان سُويبط على الزاد، فقال له نعيمان: أطعمني. قال: حتى يجيء أبو بكر، وكان نُعيمان مضحاكاً مزَّاحاً، فذهب إلى ناس جلبوا ظهراً فقال: ابتاعوا مني غلاماً عربياً فارهاً، قالوا: نعم، قال: قال إنه ذو لسان، ولعله يقول أنا حر، فإن كنتم تاركيه لذلك فدعوني لا تفسدوه عليَّ. فقال: بل نبتاعه، فابتاعوه منه بعشر قلائص، فأقبل بها يسوقها وقال: دونكم هو هذا. فقال سويبط: هو كاذب أنا رجل حر!! قالوا: قد أخبرنا أخبرك. فطرحوا الحبل في رقبته فذهبوا به، فجاء أبو بكر فأُخبر، فذهب هو وأصحابه إليهم فردُّوا القلائص وأخذوه، ثم أخبروا النبي ﷺ بذلك فضحك هو وأصحابه منها حَوْلاً.

وأخرجه أبو داود الطيالسي والروياني، وقد أخرجه ابن ماجه فقلبه؛ جعل المازح سويبط والمبتاع نُعيمان، وروى الزبير بن بكار في كتاب «الفُكاهة» هذه القصة من طريق أخرى عن أم سلمة إلاَّ أنه سماه سليط بن حرملة وأظنه تصحيفاً، وقد تعقَّبه ابن عبد البر وغيره. كذا في «الإصابة» (2/ 98)، وقد أخرج ابن عبد البر في «الاستيعاب» (2/ 162 و3/ 573) حديث أم سلمة من طرق.

وأخرج ابن عبد البر في «الاستيعاب» (3/ 575) عن ربيعة بن عثمان رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فدخل المسجد وأناخ ناقته بفنائه، فقال بعض أصحاب النبي ﷺ لنعمان بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه ـ وكان يقال له النعيمان ـ: لو نحرتها فأكلناها فإنا قد قرمنا إلى اللحم ويغرم رسول الله ﷺ ثمنها، قال: فنحرها النعيمان، ثم خرج الأعرابي فرأى راحلته فصاح: واعقراه يا محمد! فخرج النبي ﷺ فقال: «من فعل هذا؟» قالوا: النعيمان. فأتبعه يسأل عنه فوجده في دار ضُباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ـ رضي الله عنها ـ قد اختفى في خندق وجعل عليه الجريد والسَّعف، فأشار إليه رجل ورفع صوته يقول: ما رأيته يا رسول الله، وأشار بإصبعه حيث هو، فأخرجه رسول الله ﷺ وقد تغيَّر وجهه بالسعف الذي سقط عليه فقال له: «ما حملك على ما صنعت؟» قال: الذين دلوك عليَّ يا رسول الله هم الذين أمروني. قال: فجعل رسول الله ﷺ يمسح عن وجهه ويضحك، قال: ثم غرمها رسول الله ﷺ. وهكذا ذكره في «الإصابة» (3/ 570) عن الزبير بن بكار عن ربيعة ابن عثمان.

وأخرج الزبير عن عمه مصعب بن عبد الله عن جده عبد الله بن مصعب قال: كان مخرمة بن نوفل بن أُهيب الزهري شيخاً كبيراً بالمدينة أعمى، وكان قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة، فقام يوماً في المسجد يريد أن يبول فصاح به الناس، فأتاه النعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد النجاري رضي الله عنه فتنحى به ناحية من المسجد ثم قال: اجلس ههنا. فأجلسه يبول وتركه، فبال وصاح به الناس، فلما فرغ قال: من جاء بي ويحكم في هذا الموضع؟ قال له: النعيمان بن عمرو. قال: فعل الله به وفعل! أما إنَّ لله عليَّ إن ظفرت به إن أضربه بعصاي

هذه ضربة تبلغ منه ما بلغت! فمكث ما شاء الله حتى نسي ذلك مخرمة، ثم أتاه يوماً وعثمان رضي الله عنه قائم يصلي في ناحية المسجد ـ وكان عثمان إذا صلى لم يلتفت ـ فقال له: هل لك في نعيمان؟ قال: نعم، أين هو؟ دلني عليه. فأتى به حتى أوقفه على عثمان فقال: دونك هذا هو، فجمع مخرمة يديه بعصاه فضرب عثمان فشجه، فقيل له: أنما ضربت أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، فسمعت بذلك بنو زُهرة فاجتمعوا في ذلك، فقال عثمان رضي الله عنه: دعوا نُعيمان، لعن الله نعيمان فقد شهد بدراً. كذا في الاستيعاب (3/ 577) وهكذا ذكره في «الإصابة» (3/ 570) عن بكار.

* * *

الجود والكرم

جود سيدنا محمد رسول الله ﷺ

أخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال كان رسول الله ﷺ أجود الناس (بالخير)، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقى جبريل عليه السلام، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، قال: فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة. كذا في «صفة الصفوة» (1/ 69)، وأخرجه ابن سعد (2/ 195) عنه نحوه.

وأخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا. كذا في «البداية» (6/ 42).

وعند أحمد في حديث طويل عن عبد الله بن أبي بكر أن أبا أُسيد ـ رضي الله عنه ـ كان يقول: وكان رسول الله ﷺ لا يمنع شيئاً يسأله. قال الهيثمي (9/ 13): ورجاله ثقات إلا أن عبد الله بن أبي بكر لم يسمع من أبي أُسيد. اهـ.

وعند الطبراني في «الأوسط» في حديث طويل عن علي رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا سئل شيئاً فأراد أن يفعله قال: نعم، وإذا أراد أن لا يفعله سكت، وكان لا يقول لشيء: لا. قال الهيثمي (9/ 13): وفيه محمد بن كثير الكوفي وهو ضعيف. اهـ.

وأخرج الطبراني (24/ 697) عن الرُّبَيِّع بنت معوِّذ بن عفراء رضي الله عنهما قالت: بعثني معوِّذ بن عفراء بصاع من رُطَب عليه أَجْرٍ من قِثَّاء زُغْب إلى رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ يحب القثاء، وكانت حلية قد قدمت من البحرين فملأ يده منها فأعطانيها ـ وفي رواية: فأعطاني ملء كفي حلياً أو ذهباً. ورواه أحمد بنحوه وزاد: فقال: تحلَّي بهذا. قال الهيثمي (9/ 13): وإسنادهما حسن اهـ. وأخرجه الترمذي عن الرُّبَيِّع مختصراً، كما في «البداية» (6/ 56).

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن أم سنبلة رضي الله عنها أنها أتت النبي ﷺ بهدية فأبى أزواجه أن يقبلنها، فقلن: إنا لا نأخذ. فأمرهن النبي ﷺ فأخذنَها، ثم أقطعها وادياً، فاشتراه عبد الله بن جحش من حسن بن علي رضي الله عنهم. قال الهيثمي (9/ 14). وفيه عمرو بن قيظي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. اهـ. وقد تقدَّمت قصص سخائه ﷺ في إنفاق الأموال.

* * *

جود أصحاب النبي ﷺ

أخرج الزبير بن بكار وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني نويت أن أعطي هذا الثوب أكرم العرب، فقال: «أعطيه هذا الغلام» ـ يعني سعيد بن العاص رضي الله عنه ـ وهو واقف، فلذلك سميت الثياب السعيدية. كذا في «المنتخب» (5/ 189). وقد تقدمت قصص جود الصحابة وكرمهم في إنفاق الأموال.

* * *

الإيثار

أخرج الطبراني عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: أتى علينا زمان وما يرى أحد منا أنّه أحق بالدينار والدرهم من أخيه المسلم، وإنا في زمان الدينار والدرهم أحب إلينا من أخينا المسلم ـ فذكر الحديث. قال الهيثمي (10/ 285): رواه الطبراني بأسانيد وبعضها حسن ـ اهـ. وقد تقدّمت قصص الإيثار في شدّة العطش، وفي قلة الثياب، وفي قصص الأنصار، وفي الإنفاق مع الحاجة.

* * *

الصبر

الصبر على الأمراض مطلقاً

صبر سيدنا محمد رسول الله ﷺ على شدة الحمى

أخرج ابن ماجه وابن أبي الدنيا والحاكم - واللفظ له وقال صحيح على شرط مسلم وله شواهد كثيرة - عن أبي سعيد رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو موعوك عليه قطيفة، فوضع يده فوق القطيفة، فقال: ما أشد حمَّاك يا رسول الله؟! قال: «إنا كذلك يُشدَّدُ علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر». ثم قال: يا رسول الله مَنْ أشد الناس بلاء؟ قال: «الأنبياء»، قال: ثم مَنْ؟ قال: «العلماء»، قال: ثم مَنْ؟ قال: «الصالحون»، وكان أحدهم يُبتلى بالقمل حتى يقتله، ويُبتلى أحدهم بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يلبسها، ولأحدهم كان أشد فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء». وكذا في «الترغيب» (5/ 243)؛ وأخرجه البيهقي، كما في «الكنز» (2/ 154) وأبو نُعيم في «الحلية» (1/ 370) نحوه.

وأخرج البيهقي عن أبي عبيدة بن حذيفة رضي الله عنه عن عمته فاطمة رضي الله عنها قالت: أتينا رسول الله ﷺ في نساء نعوده وقد حُمَّ، فأمر بسقاء فعُلِّقَ على شجرة ثم اضطجع تحته، فجعل يقطر على فواقه من شدة ما يجد من الحمى، فقلت: يا رسول الله لو دعوتَ الله أن يكشف عنك، فقال: «إنَّ أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». كذا في «الكنز» (2/ 154)؛ وأخرجه

أحمد والطبراني في الكبير بنحوه، قال الهيثمي (2/ 292): وإسناد أحمد حسن.

وأخرج ابن سعد (2/ 206) والحاكم والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ طرقه وجع، فجعل يشتكي ويتقلّب على فراشه، فقالت له عائشة: لو فعل هذا بعضنا وجدتَ عليه! فقال: «إنَّ المؤمنين ليشدَّد عليهم، وإنَّه ليس من مؤمن تصيبه نكبة شوكة ولا وجع إلا كفَّر الله عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة». كذا في «الكنز» (2/ 154)، وأخرجه أحمد نحوه، قال الهيثمي (2/ 292): ورجاله ثقات.

* * *

صبر أصحاب النبي ﷺ على الأمراض

أخرج أحمد عن جابر رضي الله عنه قال: استأذنت الحمَّى على رسول الله ﷺ فقال: «من هذه؟» قالت: أمُّ مِلْدَم، فأمر بها إلى أهل قُباء، فلقوا منها ما يعلم الله، فأتوه فشكوا ذلك إليه، فقال: «ما شئتم؟ إن شئتم دعوت الله فكشفها عنكم، وإن شئتم أن تكون لكم طهوراً»، قالوا: أو تفعل؟ قال: «نعم»، قالوا: فدَعْها. قال في «الترغيب» (5/ 260): رواه أحمد ـ ورواته رواة الصحيح ـ وأبو يعلى (3/ 1892) وابن حِبَّان في صحيحه (2935) ـ اهـ.

وعند الطبراني (6/ 6113) عن سلمان رضي الله عنه قال: استأذنت الحمَّى على رسول الله ﷺ فقال لها: «من أنت؟» فقالت: أنا الحمى، أبري اللحم، وأمصُّ الدم. قال: «اذهبي إلى أهل قُباء» فأتتهم فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ وقد اصفرّت وجوههم، فشكوا الحمَّى إلى رسول الله ﷺ فقال: «ما شئتم؟ إن شئتم دعوت الله فدفعها عنكم، وإن شئتم تركتموها وأسقطت بقية ذنوبكم؟» قالوا: بلى، فدَعْها يا رسول الله. قال الهيثمي (2/ 306): وفيه هشام بن لاحق، وثقه النسائي وضعَّفه أحمد وابن حِبَّان. اهـ. وأخرجه البيهقي عن سلمان نحوه، كما في «البداية» (6/ 160).

وأخرجه البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءت الحمى إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ابعثني إلى أحبِّ قومك إليك ـ

أو أحب أصحابك إليك، شك قُرَّة ـ فقال: «اذهبي إلى الأنصار». فذهبت إليهم فصرعتهم، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله قد أتت الحمّى علينا فادعُ الله لنا بالشِّفاء، فدعا لهم فكشفت عنهم، قال: فاتَّبعته امرأة فقالت: يا رسول الله أُدْعُ الله لي فإني لمن الأنصار، فادع الله لي كما دعوت لهم، فقال: «أيهما أحب إليك: أن أدعو لك فيكشف عنك، أو تصبرين وتجب لك الجنة؟» فقالت: لا والله يا رسول الله بل أصبر ـ ثلاثاً ـ ولا أجعل والله لجنته خَطَراً؛ كذا في «البداية» (6/ 160)، وأخرجه البخاري في «الأدب» (ص73) عن أبي هريرة بمعناه.

وأخرج الطبراني في «الصغير» (306) و«الأوسط» عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقد النبي ﷺ رجلاً كان يجالسه فقال: «ما لي فقدت فلاناً» فقالوا: اعتبط ـ وكانوا يسمون الوعك الاعتباط ـ فقال: «قوموا حتى نعوده» فلما دخل عليه بكى الغلام فقال له النبي ﷺ: «لا تبكِ فإنَّ جبريل أخبرني أنَّ الحمَّى حظُّ أمتي من جهنم». وفيه عمر بن راشد ضعَّفه أحمد وغيره ووثقه العجلي، كما في المجمع (2/ 306).

وأخرج ابن سعد (3/ 141) وابن أبي شيبة (8/ 146) وأحمد في «الزهد» (140) وأبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 34) وهنّاد عن أبي السَّفر قال: دخل على أبي بكر رضي الله عنه ناس يعودونه في مرضه، فقالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ ألا ندعو لك مُطَبِّباً ينظر إليك؟ قال: قد نظر إليَّ، قالوا: فماذا قال لك؟ قال قال: إنِّي فعّال لما أريد. كذا في «الكنز» (2/ 153).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 218) عن معاوية بن قُرَّة أن أبا الدرداء رضي الله عنه اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا: ما تشتكي يا أبا

الدرداء؟ قال: أشتكي ذنوبي، قالوا: فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنَّة؛ قالوا: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: هو الذي أضجعني. وأخرجه ابن سعد (7/ 118) عن معاوية مثله.

وأخرجه ابن خزيمة وابن عساكر عن عبد الرحمن بن غنم قال: وقع الطاعون بالشام فقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: إن هذا الطاعون رجس ففروا منه في الأودية والشِّعاب، فبلغ ذلك شُرَحبيل بن حسنة رضي الله عنه، فغضب وقال: كذب عمرو بن العاص، لقد صحبت رسول الله ﷺ وعمرو أضلُّ من جمل أهله، إنَّ هذا الطاعون دعوة نبيكم، ورحمة ربكم، ووفاة الصالحين قبلكم. فبلغ ذلك معاذاً رضي الله عنه فقال: اللهمّ اجعل نصيب آل معاذ الأوفر، فماتت ابنتاه، وطُعن ابنه عبد الرحمن، فقال: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝١٤٧﴾، فقال: ستجدني إن شاء الله من الصابرين. وطُعن معاذٌ في ظهر كفه، فجعل يقول: هي أحبُّ إليّ من حمر النَّعم، ورأى رجلاً يبكي عنده فقال: ما يبكيك؟ قال: على العلم الذي كنت أصيبه منك. قال: فلا تبكِ فإن إبراهيم كان في الأرض وليس بها عالم، فآتاه الله علماً، فإذا مت فاطلب العلم عند أربعة: عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن سلام، وسلمان، وأبي الدرداء رضي الله عنهم. كذا في «الكنز» (2/ 325)، وأخرجه أحمد عن عبد الرحمن بن غنم مختصراً والبزّار (3042) عنه مطوَّلاً، كما ذكر الهيثمي (2/ 312) وقال: أسانيد أحمد حسان صحاح. اهـ.

وأخرجه الحاكم (1/ 276) وأبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 240) عن عبد الرحمن مختصراً ولفظ أبي نعيم، قال: طُعن معاذ وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة وأبو مالك الأشعري رضي الله عنهم في يوم واحد فقال معاذ: إنَّه رحمة ربكم عز وجل، ودعوة نبيكم ﷺ، وقبض

الصالحين قبلكم، اللهمَّ آتِ آلَ معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة، فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن بِكره الذي كان يكنى به وأحب الخلق إليه، فرجع من المسجد فوجله مكروباً، فقال: يا عبد الرحمن كيف أنت؟ فاستجاب له، فقال: يا أبتِ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾، فقال معاذ: وأنا إن شاء الله ستجدني من الصابرين. فأمسكه ليله، ثم دفنه من الغد، فطُعن معاذ فقال حين اشتد به النَّزع: نزع الموت، فنزع نزعاً لم يُنزعه أحد، وكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال: ربِّ اخنقني خنقتك، فوعزَّتك إنك لتعلم أنَّ قلبي يحبك!! وأخرجه أحمد عن أبي منيب مختصراً ورجاله ثقات وسنده متصل، كما قال الهيثمي (2/ 311).

وأخرجه ابن إسحاق عن شَهْر بن حَوْشَب عن رابة ـ رجل من قومه ـ قال: لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة رضي الله عنه في الناس خطيباً فقال: أيها الناس، إنَّ هذا الوجع رحمةٌ بكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم لأبي عبيدة حظَّه. فطُعن فمات، واستخلف على الناس معاذ بن جبل رضي الله عنه، فقام خطيباً بعده فقال: أيّها الناس، إنَّ هذا الوجع رحمة بكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وإنَّ معاذاً يسأل الله تعالى أن يقسم لآل معاذ حظَّهم، فطُعن ابنه عبد الرحمن فمات، ثم قام فدعا لنفسه فطُعن في راحته، فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقلِّب ظهر كفه، ثم يقول: ما أحبُّ أنَّ لي بما فيك شيئاً من الدنيا؛ فلما مات استخلف على الناس عمرو بن العاص رضي الله عنه، فقام فيهم خطيباً فقال أيها الناس إنَّ هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار فتحصنوا منه في الجبال. فقال أبو واثلة الهذلي رضي الله عنه: كذبت، والله لقد صحبت رسول الله ﷺ

وأنت شر من حماري هذا!! فقال: والله ما أرُدُّ عليك ما تقول، وايم الله لا نقيم عليه! قال: ثم خرج وخرج الناس فتفرّقوا ودفعه الله عنهم، قال: فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه من رأي عمرو بن العاص، فوالله ما كرهه. كذا في «البداية» (7/ 78).

وأخرج أحمد عن أبي قلابة أن الطاعون وقع بالشام فقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: إنَّ هذا الرجز قد وقع فتفرقوا عنه في الشِّعاب والأودية، فبلغ ذلك معاذاً رضي الله عنه فلم يصدقه بالذي قال، قال: فقال: بل هو شهادة ورحمة، ودعوة نبيكم ﷺ، اللهمَّ أعطِ معاذاً وأهله نصيبهم من رحمتك. قال أبو قلابة: فعرفت الشهادة، وعرفت الرحمة، ولم أدر ما دعوة نبيكم حتى أُنبئت أن رسول الله ﷺ بينا هو ذات ليلة يصلِّي إذ قال في دعائه: «فحمًّى إذاً أو طاعوناً» ـ ثلاث مرات ـ، فلما أصبح قال له إنسان من أهله: يا رسول الله لقد سمعتك الليلة تدعو بدعاء، قال: «وسمعته؟» قال: نعم، قال: «إنِّي سألت ربي عز وجل أن لا يهلك أمتي بسنةٍ فأعطانيها، وسألت الله أن لا يسلِّط عليهم عدواً يبيدهم، وسألته أن لا يُلبِسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض فأبى عليَّ ـ أو قال: فمُنعت ـ فقلت: حمى إذاً أو طاعوناً» ـ يعني ثلاث مرات، قال الهيثمي (2/ 311). رواه أحمد. وأبو قلابة لم يدرك معاذ بن جبل. انتهى.

وأخرج ابن عساكر عن عروة بن الزبير رضي الله عنه أن وجع عمواس كان معافًى منه أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ثم أهله، فقال: اللهمَّ نصيبك في آل (أبي) عبيدة، فخرجت بأبي عبيدة في خنصره بثرة، فجعل ينظر إليها فقيل: إنها ليست بشيء، فقال: إني أرجو أن يبارك الله فيها، فإنه إذا بارك في القليل كان كثيراً.

وعنده أيضاً عن الحارث ابن عميرة الحارثي أن معاذ بن جبل رضي الله عنه أرسله إلى أبي عبيدة بن الجراح يسأله كيف هو؟ - وقد طُعن - فأراه أبو عبيدة طعنة خرجت في كفِّه، فتكاثر شأنها في نفس الحارث، وفرق منها حين رآها، فأقسم أبو عبيدة بالله ما يحب أن له مكانها حُمْرَ النَّعم. كذا في «المنتخب» (5/ 74).

* * *

الصبر على ذهاب البصر

صبر أصحاب النبي ﷺ على ذهاب بصرهم

أخرج البخاري في «الأدب» (ص78) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه يقول: رمدت عيني، فعادني النبي ﷺ ثم قال: «يا زيد، لو أن عينك لِمَا بها كيف كنت تصنع»؟ قال: كنت أصبر وأحتسب، قال: «لو أنَّ عينك لما بها ثم صبرت واحتسبت كان ثوابك الجنة».

وعند أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: دخلت مع النبي ﷺ نعود زيد بن أرقم وهو يشتكي عينيه، فقال له: «يا زيد لو كان بصرك لما به وصبرت واحتسبت لتلقينَّ الله عز وجل ليس عليك ذنب» قال الهيثمي (2/ 308): وفيه الجُعفي وفيه كلام كثير وقد وثَّقه الثوري وشعبة ـ انتهى.

وعند أبي يعلى وابن عساكر عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل عليه يعوده من مرض كان به فقال: «ليس عليك من مرضك هذا بأس، ولكن كيف بك إذا عُمِّرت بعدي فعُميت؟» قال: إذن أصبرَ وأحتسبَ. قال: «إذن تدخلَ الجنة بغير حساب». فعمي بعد ممات النبي ﷺ.

وأخرجه البيهقي عن زيد بمعناه، كما في «الكنز» (2/ 157)، وأخرجه الطبراني في «الكبير» عن زيد نحوه وزاد: فعمي بعدما مات النبي ﷺ، ثم ردَّ الله عز وجل إليه بصره، ثم مات رحمه الله. قال

الهيثمي (2/ 309) ونباتة بنت برير بن حماد لم أجد من ذَكَرها.

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص78) عن القاسم بن محمد أن رجلاً من أصحاب محمد ﷺ ذهب بصره فعادوه فقال: كنت أريدهما لأنظر إلى النبي ﷺ، فأما إذا قُبض النبي ﷺ فوالله ما يسرني أن ما بهما بظبي من ظِباء تَبالة. وأخرجه ابن سعد (2/ 85) عن القاسم نحوه.

* * *

الصبر على موت الأولاد والأقارب والأحباب

صبر سيدنا محمد رسول الله ﷺ على موت ابنه إبراهيم

أخرج ابن سعد (1/ 90) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رأيت إبراهيم وهو يَكِيد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنَّا بك لمحزونون».

وعنده أيضاً (1/ 88) عن مكحول قال: دخل رسول الله ﷺ وهو معتمد على عبد الرحمن بن عوف، وإبراهيم يجود بنفسه، فلما مات دمعت عينا رسول الله ﷺ، فقال له عبد الرحمن: أيْ رسول الله هذا الذي تنهى الناس عنه متى يرك المسلمون تبكي يبكوا!! قال: فلما سُرِيت عنه عبرته، قال: «إنَّما هذا رُحْم، وإن من لا يَرحم لا يُرحم، إنَّما ننهي الناس عن النياحة، وأن يُندب الرجل بما ليس فيه» ثم قال: «لولا أنه وعدٌ جامع، وسبيل مئتاء وأن آخرنا لاحق بأولنا، لوجدنا عليه وَجداً غير هذا، وإنا عليه لمحزنون، تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، وفَضْل رضاعه في الجنة». وأخرجه أيضاً (1/ 89) عن عبد الرحمن بن عوف أطول منه بمعناه.

وأخرجه الطيالسي وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأبو

عَوانة وابن حِبَّان عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: كان عند النبي ﷺ، فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبياً لها في الموت، فقال للرسول: «ارجع إليها فأخبرها أنَّ لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمّى، فمرها فلتصبر ولتحتسب» فعاد الرسول فقال: إنها قد أقسمت لتأتينَّها، فقام النبي ﷺ وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهم ورجال، وانطلقت معهم، فرُفع إلى رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تَقَعْقَع كأنها في شَنٍّ، ففاضت عيناه فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء». كذا في «الكنز» (8/ 118).

وأخرج البزار (1795) والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ وقف على حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حين استشهد، فنظر إلى منظر لم ينظر إلى منظر أوجع للقلب منه ـ أو أوجع لقلبه منه ـ، ونظر إليه وقد مُثِّل به، فقال: «رحمة الله عليك، إن كنتَ ما علمتُ لوصولاً للرحم، فعولاً للخيرات، والله لولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أتركك حتى يحشرك الله من بطون السباع ـ أو كلمة نحوها ـ. أما والله على ذلك لأمثلنَّ بسبعين كميتتك» فنزل جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بهذه السورة وقرأ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: 126] ـ إلى آخر الآية ـ، فكفَّر رسول الله ﷺ وأمسك عن ذلك. وفيه صالح بن بشير المرّي وهو ضعيف، كما قال الهيثمي (6/ 119)، وأخرجه الحاكم (3/ 197) بهذا الإسناد نحوه.

وعند الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما وقف رسول الله ﷺ على حمزة رضي الله عنه نظر إلى ما به فقال: «لولا أن

يحزنُ نساؤنا ما غيبته، ولتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير يبعثه الله ممَّا هنالك» قال: وأحزنه ما رأي به فقال: «لئن ظفرت بهم لأمثلنَّ بثلاثين رجلاً منهم» فأنزل الله عز وجل في ذلك ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ - إلى قوله ﴿يَمْكُرُونَ﴾، ثم أمر به فهيىء إلى القبلة، ثم كبَّر عليه تسعاً، ثم جمع إليه الشهداء كلما أتي بشهيد وضع إلى جنبه فصلَّى عليه وعلى الشهداء اثنتين وسبعين صلاة، ثم قام على أصحابه حتى واراهم؛ ولما نزل القرآن عفا رسول الله ﷺ وتجاوز وترك المُثَل. وفيه أحمد بن أيوب بن راشد وهو ضعيف. قاله الهيثمي (6/ 120).

وأخرج ابن أبي شيبة (7/ 532) وابن مَنيع والبزار (2675) والباوَرْدي والدارقطني في «الأفراد» وسعيد بن منصور عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: لما قُتل أبي أتيت النبي ﷺ، فلما رآني دمعت عيناه، فلما كان من الغد أتيته فقال: «ألاقي منك اليوم ما لاقيت منك أمس». كذا في «المنتخب» (5/ 136).

وعند ابن سعد (3/ 32) عن خالد بن شُمَير قال: لما أصيب زيد بن حارثة رضي الله عنه أتاهم النبي ﷺ قال: فجهَشتْ بنت زيد في وجه رسول الله ﷺ فبكى رسول الله حتى انتحب، فقال له سعد بن عبادة رضي الله عنه: يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذا شوق الحبيب إلى حبيبه».

وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قبَّل النبي ﷺ عثمان بن مظعون رضي الله عنه وهو ميت وهو يبكي وعيناه تذرفان. كذا في الإصابة (2/ 464)؛ وأخرجه ابن سعد (3/ 288) عن عائشة نحوه، وفي روايته قال: فرأيت دموع النبي ﷺ تسيل على خدِّ عثمان بن مظعون.

صبر أصحاب النبي ﷺ على الموت

أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن حارثة بن سراقة رضي الله عنه قتل يوم بدر وكان في النظارة، أصابه سَهْمٌ غَرْبٌ فقتله، فجاءت أمه فقالت: يا رسول الله أخبرني عن حارثة، فإن كان في الجنة صبرت، وإلاَّ فليَرَيَنَّ الله ما أصنع - يعني من النياح وكانت لم تحرم بعد - فقال لها رسول الله ﷺ: «ويحك أهَبِلْتِ؟! إنها جنان ثمان، وإنَّ ابنك أصاب الفردوس الأعلى». كذا في «البداية» (3/ 274).

وأخرجه البيهقي (9/ 167) عن أنس نحوه. وفي رواية: فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه البكاء، قال: يا أم حارثة إنَّها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى». وأخرجه ابن أبي شيبة، كما في «الكنز» (5/ 273)، والحاكم (3/ 208) وابن سعد (3/ 68) عن أنس بمعناه والطبراني كما في «الكنز» (5/ 275) عن حصن بن عوف الخثعمي رضي الله عنه بمعناه وفي حديثه قال: «يا أم حارثة إنَّها ليست بجنة واحدة ولكنها جنان كثيرة وهو في الفردوس الأعلى»، قالت: فسأصبر. وأخرجه ابن النجار عن أنس مطوَّلاً، كما في «الكنز» (7/ 26)، وفي حديثه: فقالت: يا رسول الله إنَّ يكن في الجنة لم أبكِ ولم أحزن، وإن يكن في النار بكيت ما عشت في الدنيا، فقال: «يا أم حارث - أو حارثة - إنها ليست بجنة ولكنها جنة في جنات، والحارث في الفردوس الأعلى»، فرجعت وهي تضحك وتقول: بخٍ بخٍ يا حارث!!.

وأخرج ابن سعد (3/ 83) عن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه قال: قتل يوم قريظة رجل من الأنصار يدعى خلاَّداً رضي الله عنه قال؛ فأتيت أُمه فقيل لها: يا أُم خلاَّد قُتل خلاَّد، قال: فجاءت متنقِّبة فقيل لها: قُتل خلاَّد وأنت متنقِّبة! قالت: إن كنت رُزئت خلاَّداً فلا أُرزأ حيائي. فأُخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «أما إنَّ له أجر شهيدين»، قال: قيل: ولم ذاك يا رسول الله؟ فقال: «لأن أهل الكتاب قتلوه». وأخرجه أبو نعيم عن عبد الخير بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده، كما في «الكنز» (2/ 157)؛ وأخرجه أيضاً أبو يَعْلى من طريق عبد الخير بن قيس بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جدِّه نحوه، كما في الإصابة (1/ 454)، وقال: قال ابن منده: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. اهـ.

وأخرج البزار (2669) عن أنس رضي الله عنه قال: جاءت أُم سُلَيم رضي الله عنها إلى أبي أنس فقالت: جئت اليوم بما تكره، فقال: لا تزالين تجيئين بما أكره من عند هذا الأعرابي. قالت: كان أعرابياً اصطفاه الله واختاره وجعله نبياً. قال: ما الذي جئت به؟ قالت: حُرِّمت الخمر. قال: هذا فراق بيني وبينك. فمات مشركاً، وجاء أبو طلحة رضي الله عنه إلى أُم سليم قالت: لم أكن أتزوجك وأنت مشرك، قال: لا والله ما هذا دهرك، قالت: فما دهري؟ قال: دهرك في الصفراء والبيضاء، قالت: فإني أشهدك وأشهد نبيَّ الله ﷺ أنك إن أسلمت فقد رضيت بالإسلام منك. قال: فمن لي بهذا؟ قالت: يا أنس قم فانطلق مع عمك. فقام، فوضع يده على عاتقي فانطلقنا حتى إذا كنا قريباً من نبي الله ﷺ فسمع كلامنا، فقال: «هذا أبو طلحة بين عينيه عزَّة الإسلام». فسلَّم على نبي الله ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن

محمداً عبده ورسوله. فزوَّجه رسول الله ﷺ على الإسلام، فولدت له غلاماً، ثم إن الغلام دَرَج وأعجب به أبوه، فقبضه الله تبارك وتعالى، فجاء أبو طلحة فقال: ما فعل ابني يا أُم سُلَيْم؟ قالت: خير ما كان. فقالت: ألا تتغدَّى قد أخَّرتُ غداك اليوم؟ قالت: فقدَّمت إليه غداءه فقلت: يا أبا طلحة عارية استعارها قوم وكانت العارية عندهم ما قضى الله، وإن أهل العارية أرسلوا إلى عاريتهم فقبضوها ألهم أن يجزعوا؟ قال: لا. قالت: فإن ابنك قد فارق الدنيا. قال: فأين هو؟ قالت: ها هو ذا في المخدع. فدخل فكشف عنه واسترجَع، فذهب إلى رسول الله ﷺ فحدَّثه بقول أُم سُلَيْم فقال: «والذي بعثني بالحق لقد قذف الله تبارك وتعالى في رحمها ذكراً لصبرها على ولدها». قال: فوضعته، فقال نبي الله ﷺ: «اذهب يا أنس إلى أُمك فقل لها: إذا قطعتِ سَرَر ابنك فلا تذيقيه شيئاً حتى ترسلي به إليَّ» قال: فوضعته على ذراعي حتى أتيت به رسول الله ﷺ فوضعته بين يديه، فقال: «ائتني بثلاث تمرات عجوة». قال: فجئت بهن فقذف نواهن ثم قذفه في فيه فلاكه، ثم فتح فاه الغلام فجعله في فيه، فجعل يتلمظ فقال: «أنصاري يحب التمر»، فقال: «اذهب إلى أُمك فقل: بارك الله لك فيه وجعله بَرّاً تقياً». قال الهيثمي (9/ 261): رواه البزار (2970) ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقة، وفي رواية للبزار أيضاً قالت له: أتزوجك وأنت تعبد خشبة نجرها عبدي فلان ـ فذكر الحديث ورجاله رجال الصحيح ـ انتهى، وأخرجه ابن سعد (8/ 316) عن أنس بدون ذكر قصة إسلام أبي طلحة.

وعند البخاري (5470) عن أنس رضي الله عنه قال: كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي، فخرج أبو طلحة فقُبِض الصبي، فلما رجع

أبو طلحة قال: ما فعل ابني؟ قالت أُم سُلَيم: هو أسكن ما كان. فقربت إليه العشاء فتعشَّى، ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: واروا الصبي. فلما أصبح (أتى) أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «أعرستم الليلة؟» قال: نعم، قال: «اللهمَّ بارك لهما». فولدت غلاماً، قال لي أبو طلحة: احفظه حتى تأتي به النبي ﷺ، فأتى به النبي ﷺ: وأرسلت معه بتمرات فأخذه النبي ﷺ فقال: «أمعه شيء؟» قالوا: نعم تمرات، فأخذها النبي ﷺ فمضغها، ثم أخذ مِن فيه فجعلها في في الصبي وحنَّكه به وسمَّاه عبد الله. وفي رواية أخرى عنده (1/ 174): فقال رسول الله ﷺ: «لعل الله أن يبارك لهما في ليلتهما» قال سفيان: فقال رجل من الأنصار: فرأيت (لهما) تِسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن.

وأخرج الحاكم (3/ 477) عن القاسم بن محمد قال: رُمي عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما بسهم يوم الطائف، فانتقضت به بعد وفاة رسول الله ﷺ بأربعين ليلة فمات، فدخل أبو بكر على عائشة رضي الله عنها فقال: أي بنية والله لكأنما أُخذ بأُذن شاة فأخرجت من دارنا. فقالت: الحمد لله الذي ربط على قلبك وعزم لك على رشدك، فخرج ثم دخل فقال: أي بنية أتخافون أن تكونوا دفنتم عبد الله وهو حي؟ فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون يا أبت، فقال: أستعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أي بنية إنه ليس أحد إلا وله لَمَّتان: لمة من المَلَك، ولمة من الشيطان، قال: فقدم عليه وفد ثقيف ولم يزل ذلك السهم عنده، فأخرج إليهم فقال: هل يعرف هذا السهم منكم أحد؟ فقال سعد بن عبيد أخو بني العجلان: هذا سهم أنا بريته ورشته وعقبته وأنا رميت به. فقال أبو بكر: فإن هذا السهم الذي قتل عبد الله بن أبي بكر، فالحمد لله الذي أكرمه بيدك ولم يهنك بيده فإنه واسع الحمى. وأخرجه

البيهقي (9/ 89) نحوه وفي روايته: ولم يهنك بيده فإنه أوسع لكما.

وأخرج ابن سعد (31/ 59) عن عمرو بن سعيد رضي الله عنه قال: كان عثمان رضي الله عنه إذا ولد له ولد دعا به وهو في خِرقة فشمَّه، فقيل له: لم تفعل هذا؟ فقال: إني أُحب إن أصابه شيء يكون قد وقع له في قلبي شيء - يعني الحب -. كذا في «الكنز» (2/ 157). وأخرجه أبو نُعَيم عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قيل له: إنك امرؤ ما يبقى لك ولد، فقال: الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء ويدَّخرهم في دار البقاء. كذا في «الكنز» (2/ 157).

وأخرج الحاكم (3/ 227) عن عمر بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب رضي الله عنه قال: كان عمر يصاب بالمصيبة فيقول: أُصبت بزيد بن الخطاب فصبرت. وأبصر عمر رضي الله عنه قاتل أخيه زيد فقال له: ويحك لقد قتلت لي أخاً ما هبَّت الصَّبا إلا ذكرته. وأخرجه البيهقي (9/ 98) عن عبد الرحمن بن زيد مثله.

وأخرجه الحاكم (3/ 197) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قُتل حمزة رضي الله عنه أقبلت صفية رضي الله عنها تطلبه لا تدري ما صنع، فلقيت علياً والزبير رضي الله عنهما فقال علي للزبير: اذكر لأُمك. وقال الزبير لعلي: لا، اذكر أنت لعمتك. قالت: ما فعل حمزة؟ فأرياها أنهما لا يدريان. فجاءت النبي ﷺ فقال: «إني أخاف على عقلها» فوضع يده على صدرها ودعا، فاسترجعتْ وبكتْ، ثم جاء فقام عليه وقد مُثِّل به فقال: «لولا جزع النساء لتركته حتى يُحصَّل من حواصل الطير وبطون السباع»، ثم أمر بالقتلى فجعل يصلِّي عليهم، فيضع تسعة وحمزة رضي الله عنهم فيكبر عليهم سبع تكبيرات، ثم يرفعون ويترك حمزة، ثم يؤتوا بتسعة فيكبر عليهم بسبع تكبيرات، ثم يرفعون ويترك

حمزة، ثم يؤتوا بتسعة فيكبر عليهم سبع تكبيرات حتى فرغ منهم. وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة (8/ 493) والطبراني نحوه عن ابن عباس، كما في «المنتخب» (5/ 170)، والبزَّار (796) كما في «المجمع» (6/ 118) وقال: في إسناده البزار والطبراني يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف.

وعند البزار وأحمد وأبي يعلى عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أنه لما كان يوم أُحُد أقبلت امرأة تسعى حتى كادت أن تشرف على القتلى، قال: فكره النبي ﷺ أن تراهم، فقال: المرأة المرأة. وقال الزبير: فتوسَّمتُ أنها أُمي صفية، قال: فخرجت أسعى إليها، قال: فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، قال: فلَدَمت في صدري - وكانت امرأة جَلْدة قالت: إليك عني لا أرض لك، فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك، قال: فوقفتْ وأخرجتْ ثوبين معها فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فقد بلغني مقتله فكفِّنوه فيهما، قال: فجئنا بالثوبين لنكفن فيهما حمزة فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قتيل فُعل (به) كما فعل بحمزة، قال: فوجدنا غضاضة وحياء أن يكفَّن حمزة في ثوبين والأنصاري لا كفن له فقلنا: لحمزة ثوب وللأنصاري ثوب، فقدَّرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر، فأقرعنا بينهما فكفَّنَّا كل واحد منهما في الثوب الذي صار له. قال الهيثمي (6/ 118): وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وهو ضعيف وقد وُثِّق. انتهى.

وعند ابن إسحاق في «السيرة» عن الزُّهْري وعاصم بن عمر بن قتادة ومحمد بن يحيى وغيرهم عن قتل حمزة رضي الله عنه قال: فأقبلت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها لتنظر إلى أخيها، فلقيها الزبير رضي الله عنه فقال: أيْ أُمه إنَّ رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت: ولِمَ وقد بلغني أنه مُثِّل بأخي؟ وذلك في الله فما أرضانا بما كان من

ذلك؟! لأصبرنَّ وأحتسبنَّ إن شاء الله. فجاء الزبير فأخبره فقال: «خلِّ سبيلها» فأتت إليه واستغفرت له ثم أمر به فدفن. كذا في الإصابة (4/ 349).

وأخرج أحمد عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: أتاني أبو سلمة رضي الله عنه يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال: لقد سمعت (من) رسول الله ﷺ قولاً سُررت به، قال: «لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة، فيسترجع عند مصيبته، ثم يقول: اللهمَّ آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا فُعل به»، قالت أم سلمة: فحفظت ذلك منه، فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت: اللَّهمَّ آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها. ثم رجعت إلى نفسي فقلت: من أين لي خير من أبي سلمة؟! فلما انقضت عِدَّتي استأذن عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهاباً لي، فغسلت يديَّ من القَرَظ وأذنت له، فوضعت له وسادة أَدَم حشوها ليف فقعد عليها، فخطبني إلى نفسي، فلما فرغ من مقالته قلت: يا رسول الله ما بي أن لا تكون بك الرغبة؛ ولكني امرأة بي غَيْرة شديدة فأخاف أن ترى مني شيئاً يعذبني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السن، وأنا ذات عيال. فقال: «أما ما ذكرتِ من الغَيرة فسيُذهبها الله عنك، وأما ما ذكرت من السنِّ فقد أصابني مثل الذي أصابك، وأما ما ذكرت من العيال فإنما عيالك عيالي». فقالت: فقد سلَّمت لرسول الله، فقالت أم سلمة: فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه رسول الله ﷺ، ورواه النسائي وابن ماجه والترمذي وقال: حسن غريب. كذا في «البداية» (4/ 91)، وأخرجه ابن سعد (8/ 63، 64).

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والشاشي وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَدِمنا من حج أو عمرة فتُلُقِّينا بذي الحُليفة، وكان

غلمان الأنصار يتلقون أهليهم، فلقوا أُسيد بن حُضَير رضي الله عنه فنَعَوا له امرأته، فتقنَّع وجعل يبكي، فقلت: غفر الله لك أنت صاحب رسول الله ولك من السابقة والقدم ما لك وما أنت تبكي على امرأة؟ قالت: فكشف رأسه، قال: صدقت لعمري ليحق أن لا أبكي على أحد بعد سعد بن معاذ وقد قال له رسول الله ﷺ ما قال!! قلت: وما قال له رسول الله ﷺ؟ قال: قال: «لقد اهتزَّ العرش لوفاة سعد بن معاذ!!» قالت: وهو يسير بيني وبين رسول الله ﷺ. كذا في «الكنز» (7/ 42)؛ وأخرجه ابن سعد (3/ 12) والحاكم (3/ 289) عن عائشة نحوه، قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه، وقال الذهبي: صحيح؛ وأخرجه أبو نعيم أيضاً عن عائشة نحوه، كما في «الكنز» (8/ 118) إلا أنه وقع عنده: قال: أفيحق لي أن لا أبكي وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اهتزَّ العرش أعواده لموت سعد بن معاذ». وعند الطبراني كما في المجمع (9/ 309) فقال: وما لي لا أبكي وقد سمعت ـ فذكره، وقال: وأسانيدها كلها حسنة.

وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (4/ 253) عن عون قال: لما أتت عبد الله ـ يعني ابن مسعود ـ رضي الله عنه وفاة عتبة رضي الله عنه ـ يعني أخاه ـ بكى فقيل له: أتبكي؟ قال: كان أخي في النسب، وصاحبي مع رسول الله ﷺ، وما أحب مع ذلك أني كنت قبله. أن يموت فأحتسبه أحب إليَّ من أن أموت فيحتسبني. وعند ابن سعد (4/ 94) عن خيثمة رضي الله عنه قال: لما جاء عبد الله نعي أخيه عتبة دمعت عيناه فقال: إن هذه رحمة جعلها الله لا يملكها ابن آدم.

وأخرج ابن سعد (8/ 80) عن عبد الله بن أبي سَليط رضي الله عنه قال: رأيت أبا أحمد بن جحش رضي الله عنه يحمل سرير زينب بنت

جحش وهو مكفوف وهو يبكي، فأسمع عمر رضي الله عنه وهو يقول: يا أبا أحمد تنحَّ عن السرير لا يُعَنِّك الناس، وازدحموا على سريرها، فقال أبو أحمد: يا عمر هذه التي نلنا بها كل خير، وإنَّ هذا يبرِّد حرَّ ما أجد، فقال عمر: الزم، الزم.

وأخرج ابن سعد (4/ 19) وابن مَنِيع وابن عساكر عن الأحنف بن قيس رضي الله عنه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إن قريشاً رؤوس الناس لا يدخل أحد منهم في باب إلا دخل معه فيه طائفة من الناس. فلم أدرِ ما تأويل قوله في ذات حتى طُعن، فلما احتُضر أمر صهيباً رضي الله عنه أن يصلي بالناس ثلاثة أيام، وأمر أن يُجعل للناس طعام فيطعموا حتى يستخلفوا إنساناً، فلما رجعوا من الجنازة جيء بالطعام، ووضعت الموائد، فأمسك الناس عنها للحزن الذي هم فيه، فقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ قد مات فأكلنا بعده وشربنا، ومات أبو بكر رضي الله عنه فأكلنا بعده وشربنا، وإنه لا بدَّ من الأكل فكلوا من هذا الطعام، ثم مد يده العباس فأكل ومدَّ الناس أيديهم فأكلوا، فعرفت قول عمر إنهم رؤوس الناس. كذا في «الكنز» (7/ 67)؛ وأخرجه الطبراني نحوه، قال الهيثمي (5/ 196): وفيه علي بن زيد وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح.

وأخرج ابن أبي خيثمة والدينوري في «المجالسة» وابن عساكر عن أبي عُيينة رضي الله عنه قال: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا عزَّى رجلاً قال: ليس مع العزاء مصيبة وليس مع الجزع فائدة. الموت أهون ما قبله وأشد ما بعده، اذكروا فَقْدَ رسول الله ﷺ تصغر مصيبتكم وأعظمَ الله أجركم. كذا في «الكنز» (8/ 122). وأخرج ابن عساكر عن

سفيان قال: عزّى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الأشعث بن قيس رضي الله عنه على ابنه فقال: إن تحزن فقد استحقت منكم الرَّحِم، وإن تصبر ففي الله خَلَفٌ من ابنك، إنك إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك وأنت مأثوم. كذا في «الكنز» (8/ 122).

* * *

الصبر على البلايا مطلقاً

أخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ بمكة فجاءته امرأة من الأنصار فقالت: يا رسول الله إن هذا الخبيث قد غلبني، فقال له: «إن تصبري على ما أنت عليه تجيئين يوم القيامة ليس عليك ذنوب ولا حساب»، قالت: والذي بعثك بالحق لأصبرنَّ حتى ألقى الله. قالت: إني أخاف الخبيث أن يجرِّدني، فدعا له، فكانت إذا خشيت أن يأتيها تأتي أستار الكعبة فَتَعَلَّق بها وتقول له: اخسأ فيذهب عنها.

وعند أحمد عن عطاء رضي الله عنه قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه السوداء، أتت رسول الله ﷺ فقالت: إني أصرع وأنكشف فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله لك أن يعافيك». قالت: لا، بل أصبر فادع الله ألا أنكشف ولا ينكشف عني. قال: فدعا لها. وهكذا رواه الشيخان ثم قال البخاري عن عطاء: أنه رأى أم زُفَر رضي الله عنها تلك امرأة طويلة سوداء على ستر الكعبة. كذا في «البداية» (6/ 160).

وأخرج البيهقي عن عبد الله بن مغفَّل رضي الله عنه أن امرأة كانت بَغِياً في الجاهلية، فمر بها رجل أو مرت به، فبسط يده إليها فقالت: مَهْ، إنَّ الله ذهب بالشرك وجاء بالإسلام، فتركها وولَّى، وجعل ينظر إليها حتى أصاب وجهه الحائط، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال:

«أنت عبد أراد الله بك خيراً، إن الله إذا أراد بعبد خيراً عجل له عقوبة ذنبه، وإذا أراد بعبد شراً أمسك عليه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة». كذا في «الكنز» (2/ 155).

وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة وعبد بن حُمَيد وابن المنذر والبيهقي عن عبد الله بن خليفة قال: كنت مع عمر رضي الله عنه في جنازة فانقطع شِسْعه، فاسترجع، ثم قال: كلٌّ ما ساءك فهو لك مصيبة.

وعند المروزي عن سعيد بن المسيب قال: انقطع قِبال نعل عمر، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقالوا: يا أمير المؤمنين أتسترجع في قِبال نعلك؟ قال: إنَّ كل شيء يصيب المؤمن يكرهه فهو مصيبة. كذا في «الكنز» (2/ 154).

وأخرج مالك وابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا وابن جرير والحاكم والبيهقي عن أسلم قال: كتب أبو عبيدة رضي الله عنه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذكر له جموعاً من الروم وما يتخوف منهم، فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من شدة يجعل الله بعدها فرجاً، وإنه لن يغلب عسر يسرين، وإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]. كذا في «الكنز» (2/ 154).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 58) عن عبد الرحمن بن مهدي يقول: كان لعثمان رضي الله عنه شيئان ليس لأبي بكر ولا عمر ـ رضي الله عنهما ـ مثلهما: صبره على نفسه حتى قُتل مظلوماً، وجمعه الناس على المصحف.

* * *

الشكر

شكر سيدنا محمد رسول الله

أخرج أحمد عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ فتوجه نحو مشربته، فدخل، فاستقبل القبلة فخر ساجداً فأطال السجود حتى ظننت أن الله (عز وجل) قد قبض نفسه فيها، فدنوت منه (فجلست)، فرفع رأسه قال: من هذا؟ قلت: عبد الرحمن، قال: «ما شأنك؟» قلت: يا رسول الله سجدت سجدة خشيت إن يكون الله (عز وجل) قد قبض نفسك فيها. فقال: «إن جبريل ﷺ أتاني فبشرني فقال: إن الله عز وجل يقول: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه، فسجدت لله (عز وجل) شكراً» قال الهيثمي (2/ 287): رواه أحمد ورجاله ثقات.

وأخرج الطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أقبلت إلى رسول الله ﷺ فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي، فلم يزل قائماً حتى أصبح، فسجد سجدة ظننت أن نفسه قُبضت فيها، قال: «تدري لم ذاك؟» قلت: الله ورسوله أعلم، فأعادها عليَّ ثلاثاً أو أربعاً، فقال: «إنّي صلّيت ما كتب لي ربي وأتاني ربي، فقال لي في آخرها: ما أفعل بأمتك؟ قلت: أي رب أنت أعلم، فأعادها عليَّ ثلاثاً أو أربعاً، فقال لي في آخرها: فسجدت لربي. وربي شاكر يحب الشاكرين». قال الهيثمي (2/ 288): رواه الطبراني في «الكبير» عن حجاج بن عثمان السَّكْسَكي

عن معاذ، ولم يدرك معاذاً فقد ذكره ابن حِبَّان في أتباع التابعين وهو من طريق بَقِيَّة وقد عَنْعَنه.

وأخرج الطبراني عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: جئت أزور رسول الله فإذا هو يوحى إليه، فلما سُرِّي عنه قال لعائشة رضي الله عنها: «ناوليني ردائي» فخرج فدخل المسجد فإذا فيه قوم ليس في المسجد غيرهم، فجلس في ناحية القوم حتى قضى المذكر تذكرته، قرأ تنزيل السجدة فأطال السجود حتى إذا جاء من كان على قدر ميلين وتسامع الناس سجوده، فعجز المسجد عن الناس، فأرسلت عائشة إلى أهلها احضروا رسول الله ﷺ فلقد رأيت منه شيئاً لم أره، فرفع رأسه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله ﷺ فلقد رأيت منه شيئاً لم أره، فرفع رأسه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله أطلتَ السجود، فقال: «سجدت لربي شكراً. فيما أعطاني من أمتي. سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب»، فقال أبو بكر: يا رسول الله أمتك أكثر وأطيب فاستكثرتهم، فقال مرتين أو ثلاثاً، فقال عمر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقد استوهبت أمتك. وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف، كما في «المجمع» (2/ 289).

وأخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مرّ به رجل به زَمانة، فنزل وسجد، ومر به أبو بكر رضي الله عنه فنزل وسجد، ومربه عمر فنزل فسجد. وفيه عبد العزيز بن عبيد الله وهو ضعيف، كما في «المجمع» (2/ 289).

وأخرج البيهقي عن علي رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ

سرية من أهله فقال: «اللهمَّ إنَّ لك علي إن رددتهم سالمين أن أشكرك حق شكرك»، فما لبثوا أن جاؤوا سالمين، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله على سابغ نعم الله». فقلت: يا رسول الله، ألم تقل إن ردهم الله أن أشكره حق شكره؟ فقال: «أو لم أفعل؟» كذا في «الكنز» (2/ 151).

* * *

شكر أصحاب النبي ﷺ

أخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: جاء سائل إلى النبي ﷺ فأمر له بتمرة، فوحّش بها، وأتاه آخر فأمر له بتمرة فقال: سبحان الله تمرة من رسول الله ﷺ. فقال للجارية: «اذهبي إلى أم سلمة فمريها فتعطِه الأربعين درهماً التي عندها».

وعنده أيضاً عن الحسن رضي الله عنه أن سائلاً أتى النبي ﷺ فأعطاه تمرة فقال الرجل: سبحان الله نبي من الأنبياء يتصدَّق بتمرة؟! فقال له النبي ﷺ: «أو ما علمت أن فيها مثاقيل ذرٌّ كثير» فأتاه آخر فسأله فأعطاه تمرة فقال: تمرة من نبي من الأنبياء!! لا تفارقني هذه التمرة ما بقيت، ولا أزال أرجو بركتها أبداً. فأمر النبي ﷺ بمعروف وما لبث الرجل أن استغنى. كذا في «الكنز» (4/ 42).

وأخرج ابن سعد (3/ 266) وابن عساكر عن سليمان بن يسار قال: مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بضَجنانَ فقال: لقد رأيتني وإني لأرعى على الخطاب في هذا المكان، وكان - والله - ما علمتُ فظاً غليظاً، ثم أصبحت إلى أمر أمة محمد ﷺ، ثم قال متمثلاً:

لا شيءَ فيما تَرى إلاّ بشاشتُه

يبقى الإلهُ ويُودي المالُ والولدُ

ثم قال لبعيره حَوْب. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 417).

وأخرج ابن عساكر عن عمر رضي الله عنه قال: لو أُتيت

بِرَاحلتين: راحلة شكر، وراحلة صبر؛ لم أبالِ أيهما ركبت. كذا في «المنتخب» (4/ 417).

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة رضي الله عنه قال: مرّ عمر بن الخطاب برجل مبتلى أجذم أعمى أصم وأبكم، فقال لمن معه: هل ترون في هذا من نعم الله شيئاً؟ قالوا: لا، قال: بلى ألا ترون يبول فلا يعتصر ولا يلتوي يخرج به بوله سهلاً، فهذه نعمة من الله. كذا في «الكنز» (2/ 154).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن إبراهيم قال: سمع عمر رضي الله عنه رجلاً يقول: اللهمَّ إني أستنفق نفسي ومالي في سبيلك، فقال عمر: أو لا يسكت أحدكم فإن ابتلي صبر وإن عوفي شكر. كذا في «الكنز» (2/ 154).

وأخرج مالك وابن المبارك والبيهقي عن أنس رضي الله عنه أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسلّم عليه رجل فردّ عليه السلام ثم سأله عمر: كيف أنت؟ فقال: أحمد إليك الله، فقال عمر: ذلك الذي أردتُ منك. كذا في «الكنز» (2/ 151).

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن البصري قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما -: اقنع برزقك من الدنيا فإنَّ الرحمن فضَّل بعض عباده على بعض في الرزق، بلاء يبتلي به كلاً، فيبتلي به من بسط له كيف شكره، وشكره، لله أداء للحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوَّله. كذا في «الكنز» (2/ 151).

وأخرج الدينوري عن عمر قال: أهل الشكر مع مزيد من الله فالتمسوا الزيادة، وقد قال الله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7]. كذا في «الكنز» (2/ 151).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 60) عن سليمان بن موسى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دُعي إلى قوم كانوا على أمر قبيح، فخرج إليهم فوجدهم قد تفرقوا ورأى أثراً قبيحاً، فحمد الله إذ لم يصادفهم وأعتق رقبة.

وأخرج البيهقي عن علي رضي الله عنه قال: إنَّ النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قَرَن، ولن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد. وعند ابن ماجه والعسكري عن محمد بن كعب القرظي قال: قال علي بن أبي طالب: ما كان الله ليفتح باب الشكر ويخزن باب المزيد، وما كان الله ليفتح باب الدعاء ويخزن باب الإجابة، وما كان الله ليفتح باب التوبة ويخزن باب المغفرة. أتلو عليكم من كتاب الله. قال الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]، وقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7]، وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: 152]، وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: 110]. كذا في «الكنز» (2/ 151).

وأخرج ابن عساكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ما أمسيت ليلة وأصبحت لم يرمني الناس فيها بداهية إلا رأيتها نعمة من الله عليَّ عظيمة. وعنده أيضاً عنه قال: من لم يرَ أن لله عليه نعمة إلا في الأكل والشرب فقد قلَّ فهمه وحَضَر عذابه. كذا في «الكنز» (2/ 152). وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 220 و210) عنه نحوه بالوجهين.

وأخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما من عبد يشرب الماء القَرَاح فيدخل بغير أذى ويخرج بغير أذى إلا وجب عليه الشكر. كذا في «الكنز» (2/ 152).

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنه لما قتل ابن الزبير رضي الله عنهما كان عندها شيء أعطاها إياه النبي ﷺ في سفَط ففقدته، فأخذت تطلبه، فلما وجدته خرّت ساجدة. قال الهيثمي (2/ 290): إسناده حسن وفي بعض رجاله كلام.

* * *

الأجر

أجر سيدنا محمد رسول الله ﷺ

أخرج أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير. كان أبو لبابة وعلي رضي الله عنهما زميلي رسول الله ﷺ، قال: فكانت عُقبة رسول الله ﷺ، فقالا: نحن نمشي عنك، فقال: «ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما» ورواه النسائي. كذا في «البداية» (3/ 261)؛ وأخرجه البزّار وقال: فإذا كانت عقبة رسول الله ﷺ قالا: اركب حتى نمشي عنك ـ والباقي بنحوه، كما في «المجمع» (6/ 69)، وقال: وفيه عاصم بن بَهْدَلة وحديثه حسن وبقية رجال أحمد رجال الصحيح اهـ.

* * *

أجر أصحاب النبي ﷺ

أخرج الطبراني في «الكبير» عن المطلب بن أبي وَداعة رضي الله عنه قال: رأى رسول الله ﷺ رجلاً يصلِّي قاعداً، فقال رسول الله ﷺ: «صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم» فتجشَّم الناس القيام. قال الهيثمي (2/ 150): وفيه صالح بن أبي الأخضر وقد ضعَّفه الجمهور، وقال أحمد: يُعتبر بحديثه. اهـ.

وعند أحمد عن ابن شهاب عن أنس رضي الله عنه قال: قدم النبي ﷺ المدينة وهي مَحَمّة، فَحُمَّ الناس فدخل النبي ﷺ المسجد والناس يصلُّون من قعود، فقال: «صلاة القاعد نصف صلاة القائم»، ورجاله ثقات كما قال الحافظ في «الفتح» (3/ 395)، وقال زياد عن ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمّى المدينة حتى جُهِدوا مرضاً، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ، حتى كانوا وما يصلُّون إلا وهم قعود، قال: فخرج رسول الله ﷺ وهم يصلّون كذلك، فقال لهم: «اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم»، فتجشَّم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسَّقَم التماس الفَضْل. كذا في «البداية» (3/ 224).

وأخرج أحمد عن ربيعة بن كعب رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ نهاري أجمع حتى يصلّي العشاء الآخرة، فأجلس ببابه إذا

دخل بيته أقول: لعلَّها أن تحدث لرسول الله حاجة، فما أزال أسمع رسول الله ﷺ يقول: «سبحان الله وبحمده» حتى أمل فأرجع أو تغلبني عيناي فأرقد، فقال لي يوماً لما يرى من حقِّي له وخدمتي إياه: «يا ربيعة بن كعب سَلْني أعطِك». قال: فقلت: انظر في أمري يا رسول الله ثم أعلمك ذلك. قال: ففكرت في نفسي، فعرفت أنَّ الدنيا منقطعة وزائلة وأن لي فيها رزقاً سيكفيني ويأتيني. قال: فقلت: أسأل رسول الله لآخرتي فإنَّه من الله بالمنزل الذي هو به، قال: فجئته، فقال: «ما فعلت يا ربيعة؟» قال: فقلت: نعم يا رسول الله، أسألك أن تشفع لي إلى ربك فيعتقني من النار. قال: فقال: «من أمرك بهذا يا ربيعة؟» قال: فقلت: لا والذي بعثك بالحق ما أمرني به أحد ولكنك لما قلت: «سلني أعطك» وكنتَ من الله بالمنزل الذي أنت به نظرت في أمري، فعرفت أنَّ الدنيا منقطعة وزائلة، وأن لي فيها رزقاً سيأتيني، فقلت: أسأل رسول الله لآخرتي. قال: فصمتَ رسول الله ﷺ طويلاً، ثم قال لي: «إنِّي فاعل، فأعنِّي على نفسك بكثرة السجود» كذا في «البداية» (5/ 335)؛ وأخرجه الطبراني في «الكبير» (5/ 4530) من رواية ابن إسحاق نحوه، وأخرجه مسلم وأبو داود مختصراً، ولفظ مسلم قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوَضوئه وحاجته فقال لي: «سلني» فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: «أوَ غيرَ ذلك؟» قلت: هو ذاك، قال: «فأعنّي على نفسك بكثرة السجود» كذا في «الترغيب» (1/ 213).

وأخرج ابن منده وابن عساكر ـ وقال: حديث غريب ـ من عبد الجبار بن الحارث بن مالك الحرشي ثم المَناري رضي الله عنه قال: وفدت على رسول الله ﷺ من أرض سَراة، فأتيت النبي ﷺ فحييته بتحية العرب فقلت: أنعم صباحاً، فقال: «إن الله عز وجل قد حيَّا محمداً

وأمته بغير هذه التحية بالتسليم بعضها على بعض»، فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فقال لي: «وعليك السلام» ثم قال: «ما اسمك؟» قلت: الجبار بن الحارث، فقال: «أنت عبد الجبار بن الحارث» فقلت: وأنا عبد الجبار بن الحارث. فأسلمت وبايعت النبي ﷺ، فلما بايعت قيل له: إن هذا المناري فارس من فرسان قومه. فحملني رسول الله ﷺ على فرس، فأقمت عند رسول الله ﷺ أقاتل معه، ففقد رسول الله ﷺ صهيل فرسي الذي حملني عليه، فقال: «ما لي لا أسمع صهيل فرس الحرشي»؟ فقلت: يا رسول الله، بلغني أنك تأذيت من صهيله فأخصيته، فنهى رسول الله ﷺ عن إخصاء الخيل فقيل لي: «لو سألت النبي ﷺ كتاباً كما سأله ابن عمك تميم الداري ـ رضي الله عنه ـ» فقلت: أعاجلاً سأله أم آجلاً؟ فقالوا: بل عاجلاً سأله، فقلت: عن العاجل رغبت، ولكن أسأل رسول الله ﷺ أن يغيثني غداً بين يدي الله عز وجل. كذا في «المنتخب» (5/ 215).

وأخرج البخاري عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه قال: أعطى رسول الله ﷺ قوماً ومنع آخرين، فكأنهم عتبوا عليه، فقال: «إنِّي أعطي قوماً أخاف هلعهم وجزعهم، وأَكِل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى. منهم عمرو بن تغلب»، قال عمرو: فما أحب أنَّ لي بكلمة رسول الله ﷺ حُمْرَ النَّعَمْ. كذا في «البداية» (4/ 361)، وأخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (2/ 518) من طرق عن عمرو بن تغلب نحوه.

وأخرجه البيهقي عن عمرو بن حمَّاد قال: حدثنا رجل قال: خرج علي وعمر رضي الله عنهما من الطواف، فإذا هما بأعرابي معه أم له يحملها على ظهره وهو يرتجز ويقول:

أنا مطيتُها لا أنفرْ * وإذا الركاب ذُعرت لا أُذعرْ * وما حَملَتْني وأرضعتني أكثرْ * لبيك اللهم لبيك؛ فقال علي: يا أبا حفص ادخل بنا الطواف لعلَّ الرحمة تنزل فتعمنا، فدخل يطوف بها وهو يقول:

أنا مطيتها لا أنفر

وإذا الركاب ذُعرت لا أُذعر

وما حَملَتْني وأرضعتني أكثرْ

لبيك اللهم لبيك، وعلي يقول:

إنْ تبرّها فالله أَشْكَرْ

يجزيك بالقليلِ الأكثرْ

كذا في «الكنز» (8/ 310).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 300) عن ميمون بن مِهران قال: مرّ أصحاب نَجدة الحروري على إبل لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما فاستاقوها، فجاء راعيها فقال: يا أبا عبد الرحمن احتسب الإبل، قال: وما لها؟ قال: مرّ بها أصحاب نجدة، فذهبوا بها، قال: كيف ذهبوا بالإبل وتركوك؟ قال: قد كانوا ذهبوا بي معها ولكنِّي انفلتُّ منهم، قال: ما حملك على أن تركتهم وجئتني؟ قال: أنت أحب إليَّ منهم، قال: آللَّهِ الذي لا إله إلا هو لأنا أحب إليك منهم؟ قال: فحلف له، قال: فإني أحتسبك معها. فأعتقه، فمكث ما مكث ثم أتاه آتٍ فقال: هل لك في ناقتك الفلانية؟ - سماها باسمها - ها هي ذا تباع في السوق، قال: أرني ردائي، فلما وضعه على منكبيه وقام جلس فوضع رداءه، ثم قال: لقد كنت احتسبتُها فلم أطلبها؟! قال في «الإصابة» (2/ 348): أخرجه السراج في «تاريخه» وأبو نُعيم من طريقه بسند صحيح عن ميمون - فذكره.

وأخرج ابن سعد (4/ 125) عن عمرو بن دينار رضي الله عنه قال: أراد ابن عمر رضي الله عنهما ألاَّ يتزوج، فقالت له حفصة رضي الله عنها: تزوَّج فإن ماتوا أُجرت فيهم وإن بقُوا دعوا الله لك.

وأخرج ابن سعد (3/ 258) عن عبد الرحمن بن أبْزَى رضي الله عنه عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنه قال وهو يسير إلى صفّين على شط الفرات: اللّمَّ إنَّه لو أعلم أنه أرضى لك عن أن أرمي بنفسي من هذا الجبل فأتردّى فأسقط فعلت، ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن أوقد ناراً عظيمة فأقع فيها فعلت. اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عني أن أُلقي نفسي في الماء فأغرق نفسي فعلت، فإني لا أقاتل إلا أريد وجهك، وأنا أرجو أن لا تخيبني وأنا أريد وجهك. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 143) عن عبد الرحمن بن أبزَى عن عمار بنحوه مختصراً.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 287) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لخير أعمله اليوم أحب إليَّ من مثليه مع رسول الله ﷺ، لأنا كنّا مع رسول الله ﷺ تهمنا الآخرة ولا تهمنا الدنيا، وإنا اليوم قد مالت بنا الدنيا. وأخرجه الطبراني عن عبد الله نحوه؛ قال الهيثمي (9/ 354): ورجاله رجال الصحيح.

* * *

الاجتهاد في العبادة

اجتهاد سيدنا محمد رسول الله ﷺ

أخرج الشيخان عن علقمة قال: سألت عائشة رضي الله عنها: أكان رسول الله يخص شيئاً من الأيام؟ قالت: لا، كان عمله ديمة، وأيكم يُطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق! كذا في صفة الصفوة (ص74).

وأخرج الشيخان عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام حتى تفطَّرت قدماه، فقيل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟!» كذا في «البداية» (6/ 58)؛ وأخرجه ابن سعد (1/ 384) عن المغيرة نحوه وسيأتي مزيد ذلك في الصلاة.

* * *

اجتهاد أصحاب النبي ﷺ

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 56) عن الزبير بن عبد الله عن جدة له يقال لها زهيمة قالت: كان عثمان رضي الله عنه يصوم الدهر ويقوم الليل إلا هَجْعة من أوله، وأخرجه ابن أبي شيبة نحوه، كما في «المنتخب» (5/ 10).

وأخرج ابن عساكر عن مجاهد قال: بلغ ابن الزبير رضي الله عنهما من العبادة ما لم يبلغ أحد، وجاء سيل فحال بين الناس وبين الطواف، فجاء ابن الزبير فطاف أسبوعاً سباحة. كذا في «المنتخب» (5/ 226).

وأخرج ابن جرير عن قَطَن بن عبد الله قال: كان ابن الزبير رضي الله عنهما يواصل سبعة أيام حتى تيبس أمعاؤه. وعنده أيضاً عن هشام بن عروة قال: كان عبد الله بن الزبير يواصل سبعة أيام، فلما كَبِر جداً جعلها ثلاثة. كذا في «المنتخب» (5/ 226) وستأتي قصتهما وقصة غيرهما من الصحابة في الصلاة.

* * *

الشجاعة

شجاعة سيِّدنا محمد رسول الله ﷺ وأصحابه

أخرج الشيخان ـ واللفظ لمسلم ـ عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قِبَل الصوت، فتلقَّاهم رسول الله راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة رضي الله عنه عُرْيٍ في عنقه السيف وهو يقول: «لم تُراعوا، لم تُراعوا»، قال: «وجدناه بحراً ـ أو إنه لبحر»، قال: وكان فرساً يبطأ.

وعند مسلم عنه قال: كان فزع بالمدينة فاستعار رسول الله ﷺ فرساً لأبي طلحة يقال له مندوب، فركبه فقال: «ما رأينا من فزع وإنْ وجدناه لبحراً»، قال: كنا إذا اشتد البأس اتَّقينا برسول الله ﷺ. وعند أحمد والبيهقي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر اتَّقينا المشركين برسول الله ﷺ، وكان أشد الناس بأساً. وكذا في «البداية» (6/ 37).

وأخرج البخاري عن أبي إسحاق سمع البراء بن عازب رضي الله عنهما وسأله رجل من قيس أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفرّ. كانت هوازن رُماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكبينا على الغنائم فاستقبلتنا بالسهام، ولقد رأيت رسول الله ﷺ

على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان رضي الله عنه آخذ بزمامها وهو يقول: «أنا النبي لا كذب». وفي رواية للبخاري وقال: «أنا النبي لا كذب. أنا ابن عبد المطلب»؛ وفي رواية أخرى عنده: ثم نزل عن بغلته، ورواه مسلم والنسائي، وعند مسلم عن البراء قال: ثم نزل فاستنصر وهو يقول:

أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، اللهم نزّل نصرك.

قال البراء: ولقد كنّا إذا حمي البأس نتقي برسول الله ﷺ: وإن الشجاع الذي يحاذِي به. كذا في «البداية» (4/ 328).

وقد تقدّمت قصص شجاعة أبي بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وسعد وحمزة والعباس ومعاذ بن عمرو ومعاذ بن عفراء وأبي دُجانة وقتادة وسلمة بن الأكوع وأبي حدرد وخالد بن الوليد والبراء بن مالك وأبي محجن وعمار بن ياسر وعمرو بن معديكرب وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم في شجاعة الصحابة في الجهاد.

* * *

الورع

ورع سيّدنا محمد رسول الله ﷺ

أخرج أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ وجد تحت جنبه تمرة من الليل فأكلها، فلم ينم تلك الليلة، فقال بعض نسائه: يا رسول الله أرقتَ الليلة، قال: «إني وجدت تحت جنبي تمرة فأكلتها، وكان عندنا تمر من تمر الصدقة، فخشيت أن تكون منه». تفرد به أحمد وأسامة بن زيد هو الليثي من رجال مسلم. كذا في «البداية» (6/ 59).

* * *

ورع أصحاب النبي ﷺ

أخرج أحمد في «الزهد» (137) عن محمد بن سيرين قال: لم أعلم أحداً استقاء من طعام أكله غير أبي بكر رضي الله عنه، فإنه أُتي بطعام فأكله ثم قيل له: جاء به النعمان رضي الله عنه. قال: فأطعمتموني كهانة ابن النعمان! ثم استقاء.

وعند البغوي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ابن نعيمان رضي الله عنه وكان من أصحاب النبي ﷺ وكان ذا هيئة وضيئة، فأتاه قوم فقالوا: أعندك في المرأة لا تعلق شيء؟ قال: نعم، قالوا: ما هو؟ قال: يا أيتها الرحم العقوق. صه لداها وفوق. وتحرم من العروق. يا ليتها في الرحم العقوق. لعلها تَعْلَق أو تُفيق. فأهدى له غنماً وسمناً، فجاء ببعضه إلى أبي بكر فأكل منه، فلما أن فرغ قام أبو بكر فاستقاء، ثم قال: يأتينا أحدكم بالشيء لا يخبرنا من أين هو؟ قال ابن الزبير: إسناده جيد حسن. كذا في «المنتخب» (4/ 360).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 31) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه مملوك يغلُّ عليه، فأتاه ليلة بطعام، فتناول منه لقمة، فقال له المملوك: ما لك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة؟ قال: حملني على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم في الجاهلية فرَقَيت لهم، فوعدوني فلما أن كان اليوم مررت بهم فإذا عُرس لهم فأعطوني،

قال: إن كدت أن تهلكني. فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ وجعلت لا تخرج، فقيل له: إن هذه لا تخرج إلا بالماء، فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها، فقيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة. قال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به». فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة. قال أبو نُعيم: ورواه عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها نحوه. والمنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر رضي الله عنه نحوه انتهى. وقال ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (1/ 95): وقد أخرج البخاري من أفراده من حديث عائشة طَرَفاً من هذا الحديث. انتهى؛ وأخرج الحسن بن سفيان والدِّينَوري في المجالسة عن زيد بن أرقم رضي الله عنه نحوه، كما في «المنتخب» (4/ 360).

وأخرج مالك والبيهقي عن زيد بن أسلم قال: شرب عمر رضي الله عنه لبناً فأعجبه فسأل الذي سقاه: من أين لك هذا اللبن؟ فأخبره أنه ورد على ماء فإذا نَعَم من نعم الصدقة وهم يسقون، فحلبوا لنا من ألبانها فجعلته في سقائي هذا. فأدخل عمر أصبعه فاستقاءه. كذا في المنتخب (4/ 418).

وأخرج ابن سعد (3/ 290) عن المِسْوَر بن مَخْرمة رضي الله عنه قال: كنا نلزم عمر بن الخطاب نتعلم منه الورع.

وأخرج ابن عساكر عن الشَّعْبي قال: خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً بالكوفة فوقف على باب فاستسقى ماء، فخرجت إليه جارية بإبريق ومنديل فقال لها: يا جارية لمن هذه الدار؟ قالت: لفلان القسطال، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تشرب من بئر قسطال

ولا تستظلن في ظل عشار». كذا في «الكنز» (2/ 165) وقال: ولم أرَ في رجاله من تُكلم فيه. اهـ.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 234) عن يحيى بن سعيد أن معاذ بن جبل رضي الله عنه كانت له امرأتان، فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ من بيت الأخرى، ثم توفيتا في السقم الذي أصابهما بالشام والناس في شغل، فدفنتا في حفرة فأسهم بينهما أيتهما تقدّم في القبر.

وعنده أيضاً من طريق مالك عن يحيى قال: كان تحت معاذ بن جبل امرأتان، فإذا كان عند إحداهما لم يشرب من بيت الأخرى الماء.

وأخرج ابن سعد عن طاوس قال: أشهد لسمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: أشهد لسمعت عمر رضي الله عنه يهل، فإنا لواقفون في الموقف فقال له رجل: أرأيت حين دَفَع؟ فقال ابن عباس: لا أدري. فعجب الناس من ورع ابن عباس. كذا في «المنتخب» (5/ 229).

* * *

التوكل

توكل سيدنا محمد رسول الله

أخرج **الشيخان** عن جابر رضي الله عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ أدركته القائلة في وادٍ كثير العِضاه، فتفرق الناس يستظلون بالشجر، وكان رسول الله ﷺ تحت ظل شجرة فعلَّق بها سيفه، قال جابر: فنمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا فأجبناه، وإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صَلْتاً، فقال: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فقال: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فشام السيف وجلس»، ولم يعاقبه رسول الله ﷺ وقد فعل ذلك.

وعند البيهقي عن جابر رضي الله عنه قال: قاتل رسول الله ﷺ محارب وغطفان بنخل، فرأوا من المسلمين غِرّة، فجاء رجل منهم يقال له غَوْرث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف وقال: من يمنعك مني؟! قال: «الله» قال: فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ وقال: «من يمنعك مني؟» فقال: كن خير آخذ، قال: «تشهد أن لا إله إلا الله؟» قال: لا، ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك: فخلَّى سبيله؛ فأتى أصحابه وقال: جئتكم من عند خير الناس ـ ثم ذكر صلاة الخوف. كذا في «البداية» (4/ 84).

توكل أصحاب النبي ﷺ

أخرج أبو داود في القدر وابن عساكر عن يحيى بن مرة قال: كان علي رضي الله عنه يخرج بالليل إلى المسجد يصلّي تطوعاً، فجئنا نحرسه، فلما فرغ أتانا فقال: ما يجلسكم؟ قلنا: نحرسك، فقال: أمن أهل السماء تحرسون أم من أهل الأرض؟ قلنا: بل من أهل الأرض، قال: إنَّه لا يكون في الأرض شيء حتى يُقضى في السماء، وليس من أحد إلاّ وقد وُكِل به مَلَكان يدفعان عنه ويكلآنه. حتى يجيء قدره فإذا جاء قدره خلّيا بينه وبين قدره، وإنَّ عَلَيَّ من الله جُنَّةً حصينةً فإذا جاء أجلي كشف عنّي، وإنه لا يجد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وعندهما أيضاً عن قتادة رضي الله عنه قال: إن آخر ليلة أتت على علي رضي الله عنه جعل لا يستقر، فارتاب به أهله، فجعل يدسُّ بعضهم إلى بعض حتى أجمعوا فناشدوه، قال: إنه ليس من عبد إلا ومعه ملكان يدفعان عنه ما لم يقدَّر ـ أو قال: ما لم يأت القدر ـ فإذا أتى القدر خلّيا بينه وبين القدر. ثم خرج إلى المسجد فقُتل.

وعند ابن سعد وابن عساكر عن أبي مِجْلَز قال: جاء رجل (من مراد) إلى علي وهو يصلي في المسجد فقال: احترس فإنَّ ناساً من مراد يريدون قتلك، فقال: إنَّ مع كل رجل مَلَكين يحفظانه مما لم يقدر، فإذا جاء القدر خلّيا بينه وبينه، وإن الأجل جُنَّة حصينة. كذا في «الكنز» (4/

88)، وعند أبي نُعيم في «الحلية» (1/ 75) عن يحيى بن أبي كَثِير وغيره قال: قيل لعلي: ألا نحرسك؟ فقال: حرس أمرأً أجلُه.

وأخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص211) عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: عرض لعلي رضي الله عنه رجلان في حكومة، فجلس في أصل جدار، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، الجدار يقع، فقال علي: امضِ كفى بالله حارساً. فقضى بينهما وقام، ثم سقط الجدار.

وأخرج ابن عساكر عن أبي ظَبْية قال: مرض عبد الله رضي الله عنه مرضه الذي توفي فيه، فعاده عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه، قال: يكون لبناتك من بعدك، قال: أتخشى على بناتي الفقر؟! إني أمرت بناتي يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً». كذا في التفسير لابن كثير (4/ 281). وقد تقدَّم نحو هذه القصة لأبي بكر الصديق وأبي الدرداء رضي الله عنهما في الصبر على الأمراض مطلقاً بدون ذكر قراءة سورة الواقعة.

* * *

الرضا بالقضاء

أخرج ابن المبارك (425) وابن أبي الدنيا في «الفرج» والعسكري في «المواعظ» عن عمر رضي الله عنه قال: ما أبالي على أيِّ حال أصبحت: على ما أحب، أو على ما أكره، لأني لا أدري الخير في ما أحب أو في ما أكره. كذا في «الكنز» (2/ 145)، وأخرج ابن عساكر عن الحسن عن علي رضي الله عنهما أنه قيل له: إن أبا ذر رضي الله عنه يقول: الفقر أحب إليّ من الغنى، والسُّقم أحب إليّ من الصحة! فقال: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتّكل على حسن اختيار الله له يتمنَّ أنه في غير الحالة التي اختار الله له، وهذا حدُّ الوقوف على الرضا بما تصرّف به القضاء. كذا في «الكنز» (2/ 145).

وأخرج ابن عساكر عن علي قال: من رضي بقضاء الله جرى عليه وكان له أجر، ومن لم يرضَ بقضاء الله جرى عليه وحبط عمله. كذا في «الكنز» (2/ 145).

وأخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 137) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ما أحد من الناس يوم القيامة إلا يتمنى أنه كان يأكل في الدنيا قوتاً، وما يضرُّ أحدكم على ما أصبح وأمسى من الدنيا إلا أن تكون في النفس حزازة، ولأن يعض أحدكم على جمرة حتى تُطفأ خير من أن يقول لأمر قضاه الله: ليت هذا لم يكن!!

* * *

التقوى

أخرج الدِّيْنَوري وابن عساكر عن كُمَيل بن زياد قال: خرجت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلما أشرف على الجبَّان التفت إلى المقبرة فقال: يا أهل القبور، يا أهل البِلى، يا أهل الوحشة: ما الخبر عندكم؟ فإن الخبر عندنا قد قُسمت الأموال، وأُيتمت الأولاد، واستُبدل بالأزواج، فهذا الخبر عندنا؛ فما الخبر عندكم؟ ثم التفت إليَّ فقال: يا كُمَيل لو أُذن لهم في الجواب لقالوا: إنَّ خير الزاد التقوى. ثم بكى وقال: يا كميل، القبر صندوق العمل، وعند الموت يأتيك الخبر. كذا في «الكنز» (2/ 142).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» وابن عساكر عن قيس بن أبي حازم قال: قال علي رضي الله عنه: كونوا بقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالتقوى، فإنَّه لن يقل عمل مع التقوى، وكيف يقل عمل تُقُبِّل؟!

وعند أبي نُعيم في «الحلية» وابن أبي الدنيا عن عبدِ خير رضي الله عنه قال: قال علي رضي الله عنه: لا يقل عمل مع تقوى، وكيف يقل ما يُتقبل؟!. كذا في «الكنز» (2/ 142).

وأخرج يعقوب بن سفيان وابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لأن أكون أعلم أن الله يقبل مني عملاً أحب إليَّ من أن يكون لي ملء الأرض ذهباً. كذا في «الكنز» (2/ 142).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 211) عن أبي الدرداء رضي الله

عنه أنه قال: يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم!! كيف يعيبون سهر الحمقى وصيامهم، ومثقال ذرة من برٍّ صاحب تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترِّين.

وعند ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء قال: لإن أستيقن أن الله قد تقبَّل لي صلاة واحدة أحب إليَّ من الدنيا وما فيها. إنَّ الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27] كما في «التفسير» لابن كثير (2/ 43).

وأخرج ابن عساكر عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: ما ترك أحد منكم لله شيئاً إلا آتاه الله مما هو خير له منه من حيث لا يحتسب، ولا تهاون به وأخذه من حيث لا يعلم إلا آتاه الله مما هو أشد عليه من حيث لا يحتسب. كذا في «الكنز» (2/ 142).

* * *

الخوف

خوف سيدنا محمد رسول الله ﷺ

أخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله أراك شِبت؟ فقال: «شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعمَّ يتساءلون، وإذا الشمس كُوِّرَتْ!!». وفي رواية له عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله أسرع إليك الشيب؟! فقال: «شيبتني هود وأخواتها: الواقعة، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كُوِّرَتْ». كذا في «البداية» (6/ 59).

وأخرج أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرنِ القرنَ، وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر؟!» قال المسلمون: يا رسول الله فما نقول؟ قال: «قولوا: حَسْبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا». ورواه الترمذي وقال: حسن. كذا في «البداية» (6/ 56).

وأخرج ابن النجار عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع قارئاً يقرأ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾﴾ [المزمل: 12] فصعِق. كذا في «الكنز» (4/ 43).

* * *

المجلد السابع

حياة الصحابة

تأليف

محمد بن يوسف الكاندهلوي

نوبليس

حَيَاةُ الصَّحَابَةِ

حياة الصحابة

تأليف

محمد بن يوسف الكاندهلوي

قدّم له

أبو الحسن علي الحسني الندوي

المجلد الثامن

نوبليس

اسم المجموعة: حياة الصحابة

اسم الكتاب: المجلد الثامن

المؤلف: محمد بن يوسف الكاندهلوي

التدقيق والمراقبة: قسم الدراسات في دار نوبليس

قياس الكتاب: 24 × 17

عدد الصفحات: 200

عدد صفحات المجموعة: 2400

مكان النشر: بيروت

دار النشر والتوزيع: دار نوبليس

تلفاكس: 961 (1) 58 34 75

هاتف: 961 (1) 58 11 21 - 961 (3) 58 11 21

بريد إلكتروني: NOBILIS_INTERNATIONAL@hotmail.com

الطبعة الأولى: 2006

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

خوف أصحاب النبي ﷺ

أخرج الحاكم (2/ 494) ـ وقال: صحيح الإسناد ـ والبيهقي من طريقه عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن فتًى من الأنصار دخلته خشية الله، فكان يبكي عند ذكر النار حتى حبسه ذلك في البيت، فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ، فجاءه في البيت. فلما دخل عليه اعتنقه النبي ﷺ وخرّ ميتاً، فقال النبي ﷺ: «جهِّزوا صاحبكم؛ فإن الفَرَق فلَذ كبده». كذا في الترغيب (5/ 223)؛ وأخرجه ابن أبي الدنيا وابن قُدامة عن حذيفة رضي الله عنه فذكر نحوه، وفي حديثه: فأتاه النبي ﷺ، فلما نظر إليه الشاب قام فاعتنقه وخر ميتاً، فقال النبي ﷺ: «جهِّزوا صاحبكم؛ فإن الفَرَق من النار فلذ كبده، والذي نفسي بيده لقد أعاذه الله منها، من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه». كذا في «الكنز» (2/ 144).

وأخرج الحاكم (2/ 351) ـ وصحّحه ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمّا أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: 6] تلاها رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه، فخر فتًى مغشياً عليه، فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده، فإذا هو يتحرك، فقال رسول الله ﷺ: «يا فتى قل: لا إله إلا الله»، فقالها، فبشّره بالجنة، فقال أصحابه: يا رسول الله

أمن بيننا؟ فقال: «أو ما سمعتم قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: 14]؟». كذا في «الترغيب» (5/ 194).

وأخرج البيهقي عن سعيد بن المسيَّب رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشتكى، فدخل عليه النبي ﷺ يعوده فقال: «كيف تجدك يا عمر؟» قال: أرجو وأخاف. فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمع الرجاء والخوف في قلب مؤمن إلا أعطاه الله الرجاء وآمنه الخوف». كذا في «الكنز» (2/ 145).

وأخرج أبو الشيخ عن الحسن رضي الله عنه أن أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه قال: ألم ترَ أنَّ الله ذكر آية الرخاء عند آية الشدة وآية الشدة عند آية الرخاء؛ ليكون المؤمن راغباً راهباً، لا يتمنى على الله غير الحق، ولا يُلقي بيده إلى التهلكة؟. كذا في «الكنز» (2/ 144). وقد تقدَّمت قصص خوف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في خوف الخلفاء.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 60) عن عبد الله بن الرومي قال: بلغني أن عثمان رضي الله عنه قال: لو أنِّي بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيتهما يُؤمر بي لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير. وأخرجه أيضا أحمد في «الزهد» (160) عن عثمان مثله، كما في «المنتخب» (5/ 10).

وأخرج ابن عساكر عن قتادة قال: قال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: لوددت أني كبش يذبحني أهلي فيأكلون لحمي ويَحسُون مرقي. قال: قال عِمران بن حصين رضي الله عنهما: لوددتُ أني كنت رماداً على أكمةٍ، فتنسفني الريح في يوم عاصف. كذا في «المنتخب» (5/ 74)؛ وأخرجه ابن سعد (3/ 413) عن قتادة عن أبي عبيدة نحوه. وعند ابن سعد (4/ 26) أيضاً عن قتادة قال: بلغني أن عِمْران بن حُصَين قال: وددت أني رماد تذروني الرياح.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 133) عن عامر بن مسروق قال: قال رجل عند عبد الله رضي الله عنه: ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين، أكون من المقرَّبين أحب إليَّ. قال: فقال عبد الله: لكنْ ههنا رجل ودَّ لو أنه إذا مات لم يبعث ـ يعني نفسه ـ.

وعنده أيضاً عن الحسن قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لو وقفت بين الجنة والنار، فقيل لي: اختر نخيرك من أيهما أحب إليك أو تكون رماداً؛ لأحببت أن أكون رماداً.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 164) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: والله لو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم، ولا تقاررتم على فرشكم، والله لوددتُ أنَّ الله عز وجل خلقني يوم خلقني شجرة تُعضد ويؤكل ثمرها!!

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 216) عن حزام بن حكيم قال: قال أبو الدرداء رضي الله عنه: لو تعلمون (ما أنتم) راؤون بعد الموت لما أكلتم طعاماً على شهوة، ولا شربتم شراباً على شهوة، ولا دخلتم بيتاً تستظلون فيه، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم؛ ولوددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل.

وعند ابن عساكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه كما في «الكنز» (2/ 145) قال: لوددتُ أنِّي كبش لأهلي فمرَّ عليهم ضيف فأمرُّوا على أوداجي فأكلوا وأطعموا. وأخرج ابن سعد (4/ 12) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لوددتُ أني هذه السارية.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 236) عن طاوس قال: قدم معاذ بن جبل رضي الله عنه أرضنا، فقال له أشياخ لنا: لو أمرتَ ننقل

لك من هذه الحجارة والخشب فنبني لك مسجداً. فقال: إني أخاف أن أكلّف حمله يوم القيامة على ظهري.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 292) عن نافع قال: دخل ابن عمر رضي الله عنهما الكعبة فسمعته وهو ساجد يقول: قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش على هذه الدنيا إلا خوفك.

وعنده أيضاً (1/ 312) عن أبي حازم رضي الله عنه قال: مرّ ابن عمر برجل ساقط من أهل العراق فقال: ما شأنه؟ قالوا: إنه إذا قُرىء عليه القرآن يصيبه هذا، قال: إنا لنخشى الله وما نسقط.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 264) عن شدّاد بن أوس الأنصاري رضي الله عنه أنه كان إذا دخل الفراش يتقلّب على فراشه لا يأتيه النوم فيقول: اللهمّ إنَّ النار أذهبت مني النوم؛ فيقوم فيصلي حتى يصبح.

وأخرج ابن سعد (8/ 74) عن عمرو بن سلمة رضي الله عنه أن عائشة رضي الله عنها قالت: والله لوددت أني كنت شجرة، والله لوددتُ أني كنت مَدَرة، والله لوددتُ أنَّ الله لم يكن خلقني شيئاً قط.

وعنده أيضاً عن ابن أبي مُليكة أن ابن عباس رضي الله عنهما دخل على عائشة قبل موتها فأثنى عليها، قال: أبشري زوجة رسول الله، ولم ينكح بكراً غيرك، ونزل عُذْرك من السماء!! فدخل عليها ابن الزبير رضي الله عنهما خِلافه، فقالت: أثنى عليَّ عبد الله بن عباس ولم أكن أحب أن أسمع أحداً اليوم يثني عليَّ، لوددت أني كنت نَسْياً مَنْسياً.

* * *

البكاء

بكاء سيدنا محمد رسول الله ﷺ

أخرج البخاري عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ عليَّ» فقلت: اقرأ عليك وعليك أُنزل؟! فقال: «إني أحب أن أسمعه من غيري»، قال: فقرأت سورة النساء حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [البقرة: 24] قال: «حَسْبك» فالتفتُّ، فإذا عيناه تذرِفان. كذا في «البداية» (6/ 59) وسيأتي بعض قصصه ﷺ في الصلاة.

* * *

بكاء أصحاب النبي ﷺ

أخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠﴾ [النجم: 60] بكى أصحاب الصُّفَّة حتى جرت دموعهم على خدودهم، فلمّا سمع رسول الله ﷺ حسَّهم بكى معهم فبكينا ببكائه، فقال رسول الله ﷺ: «لا يلجُ النار من بكى من خشية الله، ولا يدخل الجنَّة مصرٌّ على معصية، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم». كذا في «الترغيب» (5/ 190).

وأخرج البيهقي والأصبهاني عن أنس رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: 6] فقال: «أوقد عليها ألف عام حتى احمرَّت، وألف عام حتى ابيضَّت، وألف عام حتى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة لا يُطفأ لهيبها» قال: وبين يدي رسول الله ﷺ رجل أسود، فهتف بالبكاء، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال: من هذا الباكي بين يديك؟ قال: «رجل من الحبشة» وأثنى عليه معروفاً، قال: فإن الله عز وجل يقول «وعزَّتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي، لا تبكي عين عبد في الدنيا من مخافتي إلا كثرت ضحكها في الجنة». كذا في «الترغيب» (5/ 194).

وأخرج عبد الرزاق عن قيس بن أبي حازم رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه قائم في مقامه، فأطاب الثناء وأكثر البكاء. كذا في «المنتخب» (5/ 260).

وأخرج الشافعي عن حسن بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقرأ في خطبته يوم الجمعة: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: 1] حتى بلغ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: 14] ثم يقطع السورة. وعند أبي عبيد عن الحسن قال: قرأ عمر بن الخطاب: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور: 7 و8] فَرَبا منها ربوة عِيد منها عشرين يوماً.

وعند أبي عبيد عن عبيد بن عمير رضي الله عنه قال: صلَّى بنا عمر بن الخطاب صلاة الفجر فافتتح سورة يوسف فقرأها حتى بلغ: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: 84] بكى حتى انقطع، فركع. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 401).

وعند عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن سعد وابن أبي شيبة والبيهقي عن عبد الله بن شدَّاد بن الهاد قال: سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصفوف في صلاة الصبح وهو يقرأ سورة يوسف، حتى بلغ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: 86]. كذا في «المنتخب» (4/ 387)؛ وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 51) عن هشام بن الحسن قال: كان عمر يمر بالآية فتخنقه، فيبكي حتى يسقط، ثم يلزم بيته حتى يعاد يحسبونه مريضاً.

وأخرج الترمذي ـ وحسَّنه ـ عن هانيء مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان عثمان إذا وقف على قبر يبكي حتى يُبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتذكر القبر فتبكي!؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر (منه)، وإن لم ينج منه فما بعده أشد». قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه»،

وزاد رَزِين فيه: قال هانىء: وسمعت عثمان ينشد على قبر:

فإنْ تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمةٍ
وإلاّ فـإنِّـي لا إخـالـك نـاجـيـاً

كذا في «الترغيب» (5/ 322)؛ وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 61) عن هانىء مختصراً.

وأخرج الحاكم (3/ 270) ـ واللفظ له ـ وأبو نعيم في «الحلية» (1/ 51) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مرّ عمر بمعاذ بن جبل رضي الله عنهما وهو يبكي فقال: ما يبكيك؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ: «إنَّ أدنى الرياء شرك، وأحب العبيد إلى الله تبارك وتعالى الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا وإذا شهدوا لم يُعرفوا، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم»؛ قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه؛ وقال الذهبي: أبو قحذم، قال أبو حاتم: لا يُكتب حديثه، وقال النسائي: ليس بثقة.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 305) عن القاسم بن أبي بَزَّة قال: حدثني من سمع ابن عمر رضي الله عنهما قرأ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: 1] حتى بلغ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: 6] قال: فبكى حتى خر وامتنع من قراءة ما بعده؛ وأخرجه أحمد نحوه، كما في «صفة الصفوة» (1/ 234).

وعندهما أيضاً عن نافع رضي الله عنه قال: ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قطُّ من آخر سورة البقرة إلا بكى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: 284] ـ الآية ـ، ثم يقول: إنَّ هذا الإحصاء شديد.

وعند أبي نعيم أيضاً في «الحلية» (1/ 305) عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: 16] بكى حتى يغلبه البكاء. وأخرجه أبو العباس في «تاريخه» بسنده جيد، كما في «الإصابة» (2/ 349).

وأخرج ابن سعد (4/ 162) عن يوسف بن ماهَك قال: انطلقت مع ابن عمر إلى عبيد بن عمير رضي الله عنه وهو يقصُّ على أصحابه، فنظرت إلى ابن عمر فإذا عيناه تُهرِقان؛ وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 305) عن يوسف بن ماهَك مختصراً.

وعند ابن سعد (4/ 162) عن عبيد بن عمير أنه قرأ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: 41] حتى ختم الآية فجعل ابن عمر يبكي حتى لثقت لحيته وجيبه من دموعه، قال عبد الله: فحدثني الذي كان إلى جنب ابن عمر قال: لقد أردت أن أقوم إلى عبيد بن عمير فأقول له: اقصُر عليك؛ فإنك قد آذيت هذا الشيخ.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 327) عن عبد الله بن أبي مُلَكية قال: صحبت ابن عباس رضي الله عنهما من مكة إلى المدنية، فكان إذا نزل قام شطر الليل قال: فسأله أيوب كيف كانت قراءته؟ قال: قرأ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: 19] فجعل يرتل ويكثر في ذاكم النشيج.

وعنده أيضاً (1/ 329) عن أبي رجاء رضي الله عنه قال: كان هذا الموضع من ابن عباس ـ مجرى الدموع ـ كأنه الشراك البالي.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (6/ 110) عن عثمان بن أبي سَوْدة قال: رأيت عبادة بن الصامت رضي الله عنه وهو على هذا الحائط ـ

حائط المسجد المشرف على واد جهنم ـ واضعاً صدره عليه وهو يبكي فقلت: يا أبا الوليد ما يبكيك؟ قال: هذا المكان الذي أخبرنا رسول الله ﷺ أنه رأى فيهم جهنَّم.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 290) عن يَعْلى بن عطاء عن أمه أنها كانت تصنع لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما الكُحْل وكان يكثر من البكاء، قال: ويغلق عليه بابه ويبكي حتى رَمِصت عيناه، قال: وكانت أمي تصنع له الكحل.

وأخرج ابن سعد (4/ 62) عن مسلم بن بشر قال: بكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه فقيل له: ما يبكيك يا أبا هريرة؟ قال: أمّا إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكنّي أبكي لبُعد سفري وقلّة زادي، أصبحت في صُعود مُهْبطة على جنة ونار، فلا أدري إلى أيهما يُسلك بي؛ وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 383) نحوه.

* * *

التفكُّر والاعتبار

تفكر أصحاب النبي ﷺ واعتبارهم

أخرج ابن المبارك في «الزهد» (876) عن ضَمْرة بن حبيب عن مولى لأبي ريحانة الصحابي رضي الله عنه أن أبا ريحانة قفل من غزوة له، فتعشى ثم توضأ وقام إلى مسجده فقرأ سورة، فلم يزل في مكانه حتى أذَّن المؤذن، فقالت له امرأته: يا أبا ريحانة غزوت فتعبت، ثم قدمت أفما كان لنا نصيب؟! قال: بلى والله، لكن لو ذكرتك لكان لك عليَّ حق. قالت: فما الذي شغلك؟ قال: التفكر فيما وصف الله في جنته ولذاتها حتى سمعت المؤذن. كذا في «الإصابة» (2/ 157).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 164) عن محمد بن واسع: أن رجلاً من البصرة ركب إلى أم ذرٍّ رضي الله عنها بعد وفاة أبي ذر رضي الله عنه يسألها عن عبادة أبي ذر، فأتاها فقال: جئتك لتخبريني عن عبادة أبي ذر رضي الله تعالى عنه، قالت: كان النهار أجمع خالياً يتفكَّر.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 208) عن عون بن عبد الله بن عتبة قال: سئلت أم الدرداء رضي الله عنها: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء؟ قالت: التفكر والاعتبار.

وعنده أيضاً عنه قال: قيل لأم الدرداء: ما كان أكثر عمل أبي الدرداء رضي الله عنه؟ قالت: الاعتبار.

وعن سالم بن أبي الجَعْد نحوه إلا أنه قال: فقالت: التفكر. وأخرجه أحمد نحو الحديث الأول عن عون كما في «صفة الصفوة» (1/ 258).

وعندهما أيضاً عن أبي الدرداء أنه قال: تفكُّر ساعة خير من قيام ليلة، وأخرجه ابن سعد (7/ 392) مثله.

وعند ابن عساكر عن أبي الدرداء قال: من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر ولهم بذلك أجر، ومن الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير وعليهم بذلك إصْر، وتفكر ساعة خير من قيام ليلة. كذا في «الكنز» (2/ 142).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 209) عن حبيب بن عبد الله أن رجلاً أتى أبا الدرداء وهو يريد الغزو فقال: يا أبا الدرداء أوصني، فقال: اذكر الله في السّراء يذكرك في الضرّاء، وإذا أشرفت على شيء من الدنيا فانظر إلى ما يصير.

وعنده أيضاً عن سالم بن أبي الجَعْد قال: مرّ ثوران على أبي الدرداء وهما يعملان، فقام أحدهما ووقف الآخر فقال أبو الدرداء: إنَّ في هذا لمعتبراً؛ وأخرج أحمد أيضاً الحديث الأول عن حبيب نحوه، كما في «صفة الصفوة» (1/ 258).

* * *

محاسبة النفس

أخرج ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» عن مولى أبي بكر رضي الله عنه قال: قال أبو بكر الصديق: من مَقَت نفسه في ذات الله آمنه الله من مقته. كذا في «الكنز» (2/ 162).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 52) عن ثابت بن الحجاج قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: زِنُوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا؛ فإنّه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم، وتزيَّنوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: 18].

وأخرج مالك وابن سعد وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» وأبو نعيم في «المعرفة» وابن عساكر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً ـ وخرجت معه حتى دخل حائطاً ـ فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في جوف الحائط: أمير المؤمنين، والله لتتقينَّ الله أو ليعذبنَّك الله. كذا في «المنتخب» (4/ 400).

* * *

الصمت وحفظ اللسان

صمت سيدنا محمد رسول الله ﷺ

أخرج أحمد والطبراني في حديث طويل عن سِماك قال: قلت لجابر بن سَمُرَة رضي الله عنه: أكنت تجالس النبي ﷺ؟ قال: نعم، وكان كثير الصمت. قال الهيثمي (10/ 297): ورجال أحمد رجال الصحيح غير شَرِيك وهو ثقة؛ وأخرجه ابن سعد (1/ 372) عن سِماك نحوه.

وعند الطبراني عن أبي مالك الأشجعي رضي الله عنه عن أبيه قال: كنا نجلس عند النبي ﷺ ونحن غلمان فلم أرَ رجلاً كان أطول صمتاً من رسول الله ﷺ، فكان إذا تكلّم أصحابه فأكثروا الكلام تبسَّم. قال الهيثمي (10/ 298): وفيه إبراهيم بن زكريا العِجْلي وهو ضعيف. انتهى.

وأخرج الطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم فسار على راحلته وأصحابه معه لم يتقدم منهم أحد بين يديه، فقال معاذ بن جبل: يا رسول الله أسألُ الله أن يجعل يومنا قبل يومك، أرأيت إن كان شيء - ولا يرينا الله ذلك - أيُّ الأعمال نعملها بعدك، فسألت رسول الله ﷺ، قال: «الجهاد في سبيل الله» قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال: «نعمَ الشيء الجهاد في

سبيل الله، وعاد بالناس أملك من ذلك، قال: الصيام والصدقة، قال: «نعم الشيء الصيام والصدقة، وعاد بالناس أملك من ذلك»، فذكر معاذ كلَّ خير يعلمه. كل ذلك يقول رسول الله ﷺ: «وعاد بالناس أملك من ذلك»، قال: يا رسول الله عاد بالناس أملك من ذلك؟ فأشار رسول الله ﷺ إلى فيه، قال: «الصمت إلاَّ من خير»، قال: وهل نؤاخذ بما تكلمت ألسنتنا؟ فضرب رسول الله ﷺ على فخذ معاذ ثم قال: «ثكلتك أُمك!! ـ وما شاء الله أن يقول ـ وهل يَكُب الناسَ على مناخرهم في جهنم إلا ما نطقت به ألسنتهم، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيَقُلْ خيراً أو ليسكت عن شر، قولوا خيراً تغنموا، واسكتوا عن شر تسلموا». قال الهيثمي (10/ 299): رجاله رجال الصحيح غير عمرو وابن مالك الجَنْبي وهو ثقة. انتهى.

* * *

صمت أصحاب النبي ﷺ

أخرج أبو يَعْلى (11/ 6646) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قُتل رجل على عهد رسول الله ﷺ، قال: فبكت عليه باكية فقالت: واشهيداه! قال: فقال النبي ﷺ: مَهْ، ما يدريك أنه شهيد؟! ولعله كان يتكلَّم فيما لا يعنيه، ويبخل بما لا ينقصه» وفيه عصام بن طَلِيق وهو ضعيف كما قال الهيثمي (10/ 303).

وعنده أيضاً (7/ 4017) عن أنس رضي الله عنه قال: استشهد رجل منا يوم أحد، فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع، فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت: هنيئاً لك يا بني الجنة! فقال النبي ﷺ: «وما يدريك لعله كان يتكلَّم فيما لا يعنيه، ويمنع ما لا يضره» وفيه يحيى بن يَعْلى الأسلمي وهو ضعيف، كما قال الهيثمي؛ وأخرجه الترمذي عن أنس مختصراً كما في المشكاة.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 142) عن خالد بن نُمَير قال: كان عمار بن ياسر رضي الله عنهما طويل الصمت، طويل الحزن والكآبة، كان عامة كلامه عائذاً بالله من فتنته.

وأخرج الحاكم (3/ 269) عن أبي إدريس الخَوْلاني قال: دخلت مسجد دمشق، فإذا أنا برجل برَّاق الثنايا، طويل الصمت، وإذا الناس معه إذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن رأيه، فسألت عنه فقيل: معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وأخرج أبو يَعْلى (1/ 5) عن أسلم أنَّ عمر رضي الله عنه اطَّلع على أبي بكر رضي الله عنه وهو يمد لسانه، فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله ﷺ؟ فقال: إن هذا أوردني الموارد، إن رسول الله ﷺ قال: «ليس شيء من الجسد إلا يشكو ذَرَبَ اللسان». قال الهيثمي (10/ 302): رجاله رجال الصحيح غير موسى بن محمد ابن حَيَّان وقد وثقه ابن حبان. اهـ. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 33) عن أسلم مختصراً.

وأخرج الطبراني (10/ 10446) عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله عنه أنه ارتقى الصفا فأخذ بلسانه فقال: يا لسان، قل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أكثر خطايا ابن آدم من لسانه. قال الهيثمي (10/ 300): رجاله رجال الصحيح.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 328) عن سعيد الجريري عن رجل قال: رأيت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أخذ بثمرة لسانه وهو يقول: ويحك!! قل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلم. فقال له رجل: يا بن عباس، ما لي أراك آخذاً بثمرة لسانك تقول كذا؟ قال: إنَّه بلغني أنَّ العبد يوم القيامة ليس هو على شيء أحنقَ منه على لسانه.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 265) عن ثابت البُناني قال: قال شدّاد بن أوس رضي الله عنه يوماً لرجل من أصحابه: هات السُّفْرة نتعلَّل بها. قال: فقال رجل من أصحابه: ما سمعت منك مثل هذه الكلمة منذ صحبتك فقال: ما أُفلتت مني كلمة منذ فارقت رسول الله ﷺ إلا مزمومة مخطومة، وايْمُ الله لا تنفلت غير هذه.

وعنده أيضاً عن سليمان بن موسى أن شدَّاد بن أوس رضي الله عنه

قال يوماً: هاتوا السفرة نعبث بها. قال: فأخذوها عليه، قال: انظروا إلى أبي يَعْلى ما جاء منه! فقال: أي بُنَيَّ أخي، إنِّي ما تكلمتُ بكلمة منذ بايعت رسول الله ﷺ إلا مزمومة مخطومة قبل هذه، فتعالَوا حتى أحدثكم ودعوا هذه وخذوا خيراً منها: اللهمَّ إنَّا نسألك التثبُّت في الأمر، ونسألك عزيمة الرشد، ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، ونسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً، ونسألك خير ما تعلم ونعوذ بك من شر ما تعلم. فخُذوا هذه ودعُوا هذه. كذا رواه سليمان بن موسى موقوفاً، ورواه حسان بن عطية عن شدَّاد بن أوس مرفوعاً، ثم أسند أبو نُعيم روايته نحو ما تقدّم وفيه: فلا تحفظوها عليَّ، واحفظوا عني ما أقول لكم، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهمَّ إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد» ـ فذكر مثله وزاد: «وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علاّم الغيوب». وأخرجه أبو نعيم أيضاً (1/ 266) من طريق أبي الأشعث الصنعاني وغيره مرفوعاً نحوه، وأخرجه أحمد من طريق حسان بن عطية عن شدّاد نحوه، كما في «التفسير» لابن كثير (2/ 351).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 134) عن عيسى بن عقبة قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: والذي لا إله إلا هو ما على ظهر الأرض شيء أحوجَ إلى طول سَجن من لسان. وأخرجه الطبراني نحوه بأسانيد ورجالها ثقات كما قال الهيثمي (10/ 303).

وعند الطبراني أيضاً عن ابن مسعود قال: أنذركم فُضول الكلام، بحَسْب أحدكم أن يبلغ حاجته، وفيه المسعودي وقد اختلَط، كما قال الهيثمي.

وعنده أيضاً عنه قال: أكثر الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً

في الباطل، ورجاله ثقات كما قال الهيثمي.

وأخرج ابن أبي الدنيا في «الصمت» عن علي رضي الله عنه قال: اللسان قوام البدن، فإذا استقام اللسان استقامت الجوارح، وإذا اضطرب اللسان لم تقم له جارحة.

وعنده أيضاً عنه قال: وار شخصك لا تُذكر، واصمت تسلم. وعنده أيضاً عنه قال: الصمت داعية إلى الجنة. وعنده أيضاً عنه قال:

لا تُفْشِ سرّك إلا إليكْ
فإنّ لكل نصيحٍ نصيحا
فإني رأيتُ غُواةَ الرجالِ
لا يدَعون أديماً صحيحا

كذا في «كنز العمال» (2/ 158).

وأخرج ابن عساكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: تعلَّموا الصَّمْت كما تَعَلَّمون الكلام، فإن الصمت حلم عظيم، وكن إلى أن تسمع أحرص منك إلى أن تتكلم، ولا تتكلَّم في شيء لا يعنيك، ولا تكن مضحاكاً من غير عجب، ولا مشَّاء إلى غير أرب. كذا في «الكنز» (2/ 159)، وعند أبي نُعيم في «الحلية» (1/ 220) عنه قال: ما في المؤمن بَضْعة أحبُّ إلى الله عز وجل من لسانه، به يدخله الجنة. وما في الكافر بَضْعة أبغضُ إلى الله عز وجل من لسانه، به يدخله النار.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 307) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أحقُّ ما طهَّر العبد لسانه.

وأخرج ابن سعد (7/ 22) عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: لا يتقي (الله) عبد حتى يخزن من لسانه.

الكلام

كلام سيدنا محمد رسول الله ﷺ

أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يحدِّث حديثاً ولو عدّه العادُّ لأحصاه.

وعنده أيضاً عنها قالت: ألا أُعجِّبك، أبو فلان جاء فجلس إلى جانب حجرتي يحدث رسول الله ﷺ يسمعني ذلك وكنت أسبِّح، فقام قبل أن أقضي سبحتي، ولو أدركته لرددتُ عليه، إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم. وقد رواه أحمد ومسلم وأبو داود وفي روايتهم: ألا أعجِّبك من أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ فذكرت نحوه.

وعند أحمد عنها قالت: كان كلام النبي ﷺ فَصْلاً يفهمه كل أحد، لم يكن يسرد سرداً، وقد رواه أبو داود.

وعند أبي يَعْلى عن جابر رضي الله عنه أو ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان في كلام النبي ﷺ ترتيل أو ترسيل.

وعند أحمد عن أنس رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا تكلَّم بكلمة ردَّدها ثلاثاً، وإذا أتى قوماً يسلِّم عليهم ثلاثاً، ورواه البخاري.

وعند أحمد عن ثُمامة بن أنس رضي الله عنه أن أنساً كان إذا تكلَّم

تكلَّم ثلاثاً، ويذكر أن النبي ﷺ كان إذا تكلَّم تكلَّم ثلاثاً، وكان يستأذن ثلاثاً.

وعند الترمذي عن ثمامة عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلَّم يعيد الكلمة ثلاثاً لتُعقل عنه، ثم قال الترمذي: حسن صحيح غريب.

وعند أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بُعثت بجوامع الكَلِم، ونصرت بالرعب، وبينا أنا نائم أُتيتُ بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي»؛ وهكذا رواه البخاري.

وعند ابن إسحاق عن عبد الله بن سَلاَم رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس يتحدّث كثيراً ما يرفع طَرْفه إلى السماء، وهكذا رواه أبو داود في كتاب الأدب من حديث ابن إسحاق. كذا في «البداية» (6/ 40 و41).

وأخرج الترمذي في «الشمائل» (ص25) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقبل بوجهه وحديثه على أشر القوم يتألَّفهم بذلك، فكان يقبل بوجهه وحديثه عليَّ حتى ظننت أنّي خير القوم، فقلت: يا رسول الله أنا خير أو أبو بكر؟ فقال: «أبو بكر»، فقلت: يا رسول الله أنا خير أم عمر؟ فقال: «عمر»، فقلت: يا رسول الله أنا خير أم عثمان؟ فقال؛ «عثمان»، فلما سألت رسول الله فصدَقني؛ فلوددتُ أني لم أكن سألته، وأخرجه الطبراني عنه نحوه وإسناده حسن، كما قال الهيثمي (9/ 15) وقال في الصحيح: بعضه بغير سياقه.

* * *

الضحك والتبسم

ضحك سيدنا محمد رسول الله

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته؛ إنما كان يتبسَّم.

وعند الترمذي عن عبد الله بن الحارث بن جَزْء رضي الله عنه قال: ما رأيت أحداً أكثر تبسُّماً من رسول الله ﷺ.

وعنده أيضاً عنه قال: ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلاَّ تبسُّماً، وقال: صحيح.

وعند مسلم عن سِماك بن حرب قلت لجابر بن سَمُرة رضي الله عنه: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم كثيراً، كان لا يقوم من مُصَلاَّه الذي يصلِّي فيه الصبح حتى تطلع الشمس، (فإذا طلعت) قام، وكانوا يتحدَّثون فيأخذون في أمر الجاهلية، فيضحكون ويتبسَّم رسول الله ﷺ.

وعند الطيالسي عن سِماك قال: قلت لجابر بن سَمُرة: أكنت تجالس النبي ﷺ؟ قال: نعم، كان قليل الصمت، قليل الضحك، فكان أصحابه ربما يتناشدون الشعر عنده، وربما قال الشيء من أمورهم فيضحكون وربما يبتسم. كذا في «البداية» (6/ 41 و42)، وأخرجه ابن سعد (1/ 372) عن سِماك نحوه.

وأخرج أبو نُعيم وابن عساكر عن الحصين بن يزيد الكلبي رضي الله عنه قال: ما رأيت النبي ﷺ ضاحكاً، ما كان إلا متبسّماً، وربما شدَّ النبي ﷺ الحجر على بطنه من الجوع. كذا في «الكنز» (4/ 42)، وأخرجه ابن قانع عن الحُصَين نحوه ولم يذكر: وربما شد ـ إلى آخره، كما في «الإصابة» (1/ 340).

وأخرج الخرائطي والحاكم عن عَمْرة قالت: سألت عائشة رضي الله عنها كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا مع نسائه؟ قالت: كالرجل من رجالكم إلا أنه كان أكرم الناس، وألين الناس ضحاكاً بسّاماً. كذا في «الكنز» (4/ 47)؛ وأخرجه ابن عساكر عن عَمْرة نحوه، كما في «البداية» (6/ 44)، وأخرجه ابن سعد (1/ 91) بمعناه.

وأخرجه البزّار (2477) عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه الوحي أو وعظ قلتَ: نذير قوم أتاهم العذاب، فإذا ذهب عنه ذلك رأيتَ أطلق الناس وجهاً، وأكثرهم ضحكاً، وأحسنهم بِشْراً. قال الهيثمي (9/ 17): إسناده حسن.

وعند الطبراني (8/ 7838) عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ من أضحك الناس وأطيبهم نَفْساً. وفيه علي بن يزيد الألْهاني وهو ضعيف، كما قال الهيثمي (9/ 17).

وأخرج الترمذي في «الشمائل» (ص16) عن عامر بن سعد قال: قال سعد رضي الله عنه: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك يوم الخندق حتى بدت نواجذه، قال: قلت كيف كان (ضحكه)؟ قال: كان رجل معه تُرس، وكان سعد رامياً وكان (الرجل) يقول كذا وكذا بالترس يغطي جبهته، فنزع له سعد بسهم فلمّا رفع رأسه رماه فلم يخطىء هذه منه ـ يعني جبهته ـ، وانقلب (الرجل) وشال برجله. فضحك رسول الله حتى

بدت نواجذه، قلت: من أي شيء ضحك؟ قال: مِنْ فعله بالرجل.

وأخرج البخاري في «صحيحه» (1936) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل النبي ﷺ فقال: هلكت! وقعت على أهلي في رمضان، قال: «أعتق رقبة» قال: ليس لي، قال: «فصم شهرين متتابعين» قال: لا أستطيع، قال: «فأطعم ستين مسكيناً» قال: لا أجد، فأُتي النبيُّ ﷺ بعَرَق فيه تمر - قال إبراهيم: العَرَق المِكْتَل - فقال: «أين السائل؟ تصدَّق بها» قال: على أفقر مني؟ والله ما بين لابتيها أهل بيت أفقر منا، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، قال: «فأنتم إذاً».

وأخرج الترمذي في «الشمائل» (ص16) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم أول رجل يدخل الجنة وآخر رجل يخرج من النار، يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وتُخبأ عنه كبارها، فيقال له: عملت يوم كذا كذا وكذا، وهو مقر لا ينكر وهو مُشْفق من كبارها، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول: إنَّ لي ذنوباً ما أراها ههنا» قال أبو ذر: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه.

وعنده أيضاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً رجل يخرج منها زحفاً فيقال له: انطلق فادخل الجنة» قال: «فيذهب ليدخل الجنة فيجد الناس قد أخذوا المنازل فيرجع فيقول: يا رب قد أخذ الناس المنازل، فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ فيقول: نعم، قال: فيقال له: تمنَّ، قال: فيتمنّى، فيقال له: فإن لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا، قال: فيقول: أتسخر مني وأنت الملِك!» قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه.

الوقار

أخرج القاضي عِياض في «الشِفاء» عن خارجة بن زيد رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أوقر الناس في مجلسه، لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه، وأخرجه أبو داود في «المراسيل»، كما في «شرح الشفاء» للخفاجي (2/ 117).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 231) عن شَهْر بن حَوْشَب قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا تحدّثوا وفيهم معاذ بن جبل رضي الله عنه نظروا إليه هيبة له.

وعنده أيضاً عن أبي مسلم الخَوْلاني قال: دخلت مسجد حمص فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي ﷺ، وإذا فيهم شاب أكحل العينين، برَّاق الثنايا، لا يتكلم، ساكت، فإذا امترى القوم في شيء أقبلوا عليه فسألوه، فقلت لجليس لي: من هذا؟ فقال: معاذ بن جبل رضي الله عنه، فوقع في نفسي حبه، فكنت معهم حتى تفرقوا.

وعنده أيضاً عنه أنه دخل المسجد يوماً مع أصحاب رسول الله ﷺ أحضر ما كانوا أول إمرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: فجلست مجلساً فيه بضع وثلاثون كلُّهم يذكرون حديثاً عن رسول الله ﷺ، وفي الحلقة فتى شاب شديد الأُدْمة، حلو المنطق، وضيء، وهو أشبُّ القوم سناً، فإذا اشتبه عليهم من أحاديث القوم شيء ردُّوه إليه فحدَّثهم حديثهم، ولا يحدثهم شيئاً إلا أن يسألوه، قلت: من أنت يا عبد الله؟ قال: أنا معاذ بن جبل.

كظم الغيظ

أخرج الطيالسي وأحمد والحميدي وأبو داود والترمذي وأبو يعلى وسعيد بن منصور وغيرهم عن أبي بَرْزة الأسلمي رضي الله عنه قال: أغلظ رجل لأبي بكر الصِّديق رضي الله عنه، فقال أبو برزة: ألا أضرب عنقه؟ فانتهره فقال: ما هي لأحد بعد رسول الله ﷺ. كذا في «الكنز» (2/ 161).

وأخرج أحمد في «الزهد» عن عمر رضي الله عنه، قال: ما تجرّع عبد جرعة من لبن أو عسل خيراً من جرعة غيظ؛ كذا في «الكنز».

* * *

الغَيْرة

أخرج ابن عساكر عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إنَّ فلاناً يدخل على امرأة أبيه، فقال أبيّ: لو كنت أنا لضربته بالسيف. فضحك النبي ﷺ، قال: «ما أغيرك يا أبي! إني لأغيْرَ منك، والله أغْيَر مني» كذا في «المنتخب» (5/ 132).

وأخرج الشيخان عن المغيرة قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصْفَح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أتعجبون من غَيْرة سعد؟ والله لأنا أغْيَر منه، والله أغْيَر مني، ومن أجل غَيْرة الله حرّم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث المنذرين والمبشِّرين، ولا أحب إليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الله الجنة».

وعند مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال سعد بن عبادة: لو وجدت مع أهلي رجلاً لم أمسَّه حتى آتي بأربعة شهداء؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم»، قال: كلا، والذي بعثك بالحق إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك! قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا إلى ما يقول سيدكم! إنه لغيور وأنا أغْيَر منه والله أغْيَر مني». كذا في «المشكاة» (ص278).

وأخرجه أبو يَعْلى (5/ 2740) عن ابن عباس رضي الله عنهما مطوّلاً، وفي حديثه: قالوا: يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور، والله ما تزوّج امرأة قط إلا بكراً، ولا طلَّق امرأة قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غَيْرته، فقال سعد: يا رسول الله (والله) إني لأعلم أنها

حق، وأنّها من عند الله، ولكن قد تعجّبت أن لو وجدتُ لَكاعاً قد تفخَّذها رجل لم يكن لي أن أهيجّه ولا أن أحركه حتى آتي بأربعة شهداء!! فوالله لا آتي بهم حتى يقضي حاجته. قال الهيثمي (5/ 12): رواه أبو يعلى والسياق له وأحمد باختصار عنه، ومداره على عبَّاد بن منصور وهو ضعيف.

وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت: فغِرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع فقال: «ما لك يا عائشة أغِرْتِ» فقلت: ما لي لا يغار مثلي على مثلك؟! فقال: رسول الله ﷺ: «لقد جاءك شيطانك»، قلت: يا رسول الله أمعي شيطان؟ قال: «نعم»، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: «نعم»، ولكن أعانني الله حتى أسلم»: كذا في «المشكاة» (ص280).

وأخرج ابن سعد (8/ 94) عن عائشة قالت: لما تزوَّج رسول الله أم سَلَمة رضي الله عنها حزنت حزناً شديداً لِمَا ذكروا لنا من جمالها، قالت: فتلطَّفت لها حتى رأيتها، فرأيتها ـ والله ـ أضعاف ما وُصفت لي في الحسن والجمال، قالت: فذكرت ذلك لحفصة ـ وكانتا يداً واحدة ـ فقالت: لا والله إنْ هذه إلا الغَيْرة، ما هي كما تقولون، فتلطَّفت لها حفصة حتى رأتها، فقالت: قد رأيتها، ولا والله ما هي كما تقولين ولا قريب، وإنها لجميلة. قالت: فرأيتها بعد، فكانت لعمري كما قالت حفصة، ولكني كنت غَيْرى.

وأخرج رُسْته عن علي رضي الله عنه قال: ألم يبلغني عن نسائكم أنهنَّ يزاحمن العلوج في الأسواق، ألا تغارون؟ من لم يغر فلا خير فيه.

وعنده أيضاً عنه قال: الغَيْرة غَيْرتان: حسنة جميلة يصلح بها الرجل أهله، وغَيْرة تدخله النار؛ كذا في «الكنز» (2/ 161).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ فقال: «يا بن مسعود» فقلت: لبيك يا رسول الله - قالها ثلاثاً - قال: «تدري أي الناس أفضل»؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنَّ أفضل الناس أفضلهم عملاً إذا فقهوا في دينهم»، ثم قال: «يا بن مسعود» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «تدري أي الناس أعلم»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «إنَّ أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس، وإن كان مقصِّراً في العمل، وإن كان يزحف على استه زحفاً. واختلف من كان قبلي على ثِنْتَيْن وسبعين فرقة نجا منها ثلاثة وهلك سائرهن. فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دينهم ودين عيسى بن مريم، وأخذوهم وقتلوهم وقطعوهم بالمناشير، وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بأن يقيموا بين ظهرانيهم فيدعوهم إلى الله ودين عيسى بن مريم، فساحوا في البلاد وترهَّبوا، قال: وهم الذين قال الله عز وجل: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ - الآية -، فقال النبي ﷺ: «من آمن بي وصدَّقني واتَّبعني فقد رعاها حق رعايتها، ومن لم يتبعني فأولئك هم الهالكون». وفي رواية: «فرقة أقامت في الملوك والجبابرة فدعت إلى دين عيسى فأخذت وقُتلت بالمناشير، وحرِّقت بالنيران، فصبرت حتى لحقت بالله» - والباقي بنحوه -، قال الهيثمي (7/260): رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير بُكَير بن معروف وثَّقه أحمد وغيره وفيه ضعف. انتهى.

وأخرج البزّار (3382) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّكم على بيِّنة من ربكم ما لم تظهر فيكم سكرتان: سكرة الجهل، وسكرة حب العيش، وأنتم تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتجاهدون في سبيل الله، فإذا ظهر فيكم حب الدنيا فلا تأمرون بالمعروف، ولا تنهون عن المنكر، ولا تجاهدون في سبيل الله. القائلون يومئذ بالكتاب والسنة كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار». قال الهيثمي (7/ 271): وفيه الحسن بن بِشر وثَّقه أبو حاتم وغيره وفيه ضعف. انتهى.

وأخرج البيهقي والنقّاش في «معجمه» وابن النجار عن واقد بن سلامة عن يزيد الرَّقَاشي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بأقوام ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم يوم القيامة الأنبياء والشهداء بمنازلهم من الله، على منابر من نور يُعرفون»، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «الذين يحبِّبون عباد الله إلى الله، ويحبِّبون الله إلى عباده، ويمشون على الأرض نُصْحاً»، فقلت: هذا يحبِّب الله إلى عباده فكيف يحبِّبون عباد الله إلى الله؟ قال: «يأمرونهم بما يحبُّ الله، وينهونهم عما يكره الله، فإذا أطاعوهم أحبّهم الله عز وجل». وواقد ويزيد ضعيفان؛ كذا في «الكنز» (2/ 139).

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن حذيفة رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ: يا رسول الله، متى يُترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهما سيدا أعمال أهل البر؟ قال: «إذا أصابكم ما أصاب بني إسرائيل». قلت: يا رسول الله، وما أصاب بني إسرائيل؟ قال: «إذا داهن خياركم فُجّاركم، وصار الفقه في شِراركم، وصار الملك في صغاركم، فعند ذلك تلبسكم فتنة تُكرون، ويُكَر عليكم». وفيه عمّار بن سيف وثَّقه

العِجْلي وغيره وضعَّفه جماعة، وبقية رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف، كما قال الهيثمي (7/ 286)؛ وأخرجه أيضاً ابن عساكر وابن النجار عن أنس رضي الله عنه وابن أبي الدنيا عن عائشة رضي الله عنها بمعناه، كما في «الكنز» (2/ 139).

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد وعبدُ بن حُميد والعدني وابن منيع والحُميدي وأبو داود والترمذي ـ وقال: حسن صحيح ـ؛ والنَّسائي وابن ماجه وأبو يَعْلى وأبو نُعيم في «المعرفة» والدارقطني في «العلل» ـ وقال: جميع رواته ثقات ـ، والبيهقي وسعيد بن منصور وغيرهم عن قيس بن أبي حازم قال: لمَّا ولي أبو بكر رضي الله عنه صعد المنبر فحمد الله ثم قال: يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: 105] وإنكم تضعونها على غير مواضعها، وإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيروه أوشك أن يعمَّهم الله بعقاب».

وعند ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قعد أبو بكر على منبر رسول الله ﷺ يوم سُمِّي خليفة رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه وصلَّى على النبي ﷺ، ثم مدّ يديه، ثم وضعهما على المجلس الذي كان النبي ﷺ يجلس عليه من منبره ثم قال: سمعت الحبيب وهو جالس على هذا المجلس يتأوَّل هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: 105] ثم فسَّرها، فكان تفسيره لنا أن قال: «نعم، ليس من قوم عُمل فيهم بمنكر ويُفسد فيهم بقبيح فلم يغيروه ولم ينكروه إلاَّ حق على الله أن يعمهم بالعقوبة جميعاً، ثم لا يستجاب لهم». ثم أدخل أُصبعيه في أُذنيه فقال: أن لا أكون سمعته من الحبيب فصُمَّتَا. كذا في «كنز العمال» (2/ 138).

وأخرج البيهقي عن أبي بكر قال: إذا عمل قوم بالمعاصي بين ظهراني قوم هم أعزُّ منهم فلم يغيروه عليهم، أنزل الله عليهم بلاء، ثم لم ينزِعْه منهم. كذا في «الكنز» (2/ 138).

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو عبيد في «الغريب» وابن أبي الدنيا في «الصمت» عن عمر رضي الله عنه قال: ما يمنعكم إذا رأيتم السفية يُخَرِّق أعراض الناس أن لا تُعرِّبوا عليه؟ قالوا: نخاف لسانه، قال: ذاك أدنى أن تكونوا شهداء. كذا في «الكنز» (2/ 139).

وأخرج ابن أبي شيبة عن عثمان رضي الله عنه قال: مُروا بالمعروف وانهَوا عن المنكر قبل أن يُسلَّط عليكم شراركم، ويدعوا عليهم خياركم فلا يستجاب لهم. كذا في «الكنز» (2/ 139).

وأخرج ابن أبي شيبة عن علي رضي الله عنه قال: لتأمرنَّ بالمعروف ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكر، ولتجِدُّنَّ في أمر الله، أو ليسومنَّكُم أقوام يعذبونكم ويعذبهم الله. وعند الحارث قال: لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليُسلّطنَّ عليكم شراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم.

وعند ابن أبي حاتم عنه قال في خطبته: أيها الناس، إنَّما هلك من هلك قبلكم بركوبهم المعاصي ولم تنههم الربانيون والأحبار، كما تمادَوا في المعاصي ولم تنههم الربانيون والأحبار أخذتم العقوبات، فمُروا بالمعروف وانهَوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً ولا يقرِّب أجلاً. كذا في «الكنز» (2/ 139).

وأخرج مسدَّد والبيهقي - وصححه - عن علي قال: الجهاد ثلاثة:

جهاد بيد، وجهاد بلسان، وجهاد بقلب؛ فأول ما يُغلب عليه من الجهاد جهاد اليد ثم جهاد اللسان، ثم جهاد القلب، فإذا كان القلب لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً نُكِّس وجعل أعلاه أسفله.

وعند ابن أبي شيبة وأبي نُعيم ونصر في الحجّة عن علي قال: أولى ما تُغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم، ثم الجهاد بقلوبكم، فأي قلب لم يعرف المعروف ولم ينكر المنكر نُكِّس أعلاه أسفله كما ينكس الجراب فينثر ما فيه. كذا في «الكنز» (2/ 139).

وأخرج الطبراني عن طارق بن شهاب قال: جاء عِتريس بن عرقوب الشيباني إلى عبد الله رضي الله عنه فقال: هلك من لم يأمر بالمعروف ويَنْهَ عن المنكر؛ قال الهيثمي (7/ 275): رجاله رجال الصحيح. اهـ. وأخرجه أيضاً أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 35) عن طارق مثله وابن أبي شيبة ونُعيم في الفتن عن ابن مسعود رضي الله عنه نحوه، كما في «الكنز» (2/ 140).

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: الناس ثلاثة فما سواهم فلا خير فيه: رجل رأى فئة تقاتل في سبيل الله فجاهد بنفسه وماله، ورجل جاهد بلسانه وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ورجل عرف الحق بقلبه. قال الهيثمي (7/ 276): وفيه من لم أعرفه.

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاهدوا المنافقين بأيديكم، فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهروا في وجوههم فاكفهروا في وجوههم. كذا في «الكنز» (2/ 140). وأخرجه الطبراني عنه بمعناه، قال الهيثمي (7/ 276): رواه الطبراني بإسنادَين في أحدهما شَريك وهو حسن الحديث وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج ابن أبي شيبة ونعيم عن ابن مسعود قال: إذا رأيت المنكر فلم تستطع له تغييراً فحسبك أن يعلم الله أنك تكره بقلبك، كذا في «الكنز» (2/ 140).

وعندهما أيضاً عنه قال: إنَّ الرجل يشهد المعصية يُعمل بها فيكرهها فيكون كمن غاب عنها، ويغيب عنها فيرضاها فيكون كمن شهدها. وعند نعيم وابن النجار عنه قال: ستكون أمور فمن رضيها ممَّن غاب عنها كان كمن شهدها، ومن كرهها ممَّن شهدها فهو كمن غاب عنها. كذا في «الكنز» (2/ 140).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 135) عنه قال: يذهب الصالحون أسلافاً ويبقى أهل الرِّيْب من لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً. وأخرجه الطبراني نحوه ورجاله رجال الصحيح، كما قال الهيثمي (7/ 280).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 279) عن أبي الرقَّاد قال: خرجت مع مولاي وأنا غلام، فدُفعت إلى حذيفة رضي الله عنه وهو يقول: إن كان الرجل ليتكلَّم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقاً، وإنِّي لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات، لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهَوُنَّ عن المنكر، ولتحضُنَّ على الخير؛ أو ليسحتكم الله جميعاً بعذاب، أو لَيُؤَمَّرَنَّ عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم. وأخرجه ابن أبي شيبة نحوه، كما في «الكنز» (2/ 140).

وعند أبي نعيم في «الحلية» (1/ 279) عنه قال: لعن الله من ليس منَّا، والله لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتناهَوُنَّ عن المنكر، أو لتقتتلن بينكم، فليظهرَنَّ شرارُكم على خياركم، فليقتُلُنَّهم حتى لا يبقى أحد يأمر بالمعروف ولا ينهَى عن المنكر، ثم تدعون الله عز وجل فلا يجيبكم بمقتكم.

وعنده أيضاً (1/ 280) عنه قال: ليأتينَّ عليكم زمان خيركم فيه من لم يأمر بمعروف وينه عن منكر. وأخرجه ابن أبي شيبة عنه نحوه، كما في «الكنز» (2/ 140). وأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه نحوه، كما في «الكنز» (2/ 140).

وأخرج ابن عساكر عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: إن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى، وإن منكركم اليوم معروف زمان يأتي، وإنكم لن تبرحوا بخير ما دمتم تعرفون ما كنتم تنكرون، ولا تنكرون ما كنتم تعرفون، وما قام عالمكم يتكلم بينكم غير مستخفٍ. كذا في «الكنز» (2/ 141).

وأخرج ابن عساكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إني لآمركم بالمعروف وما أفعله، ولكني أرجو من الله أن أوجر عليه. كذا في «الكنز» (2/ 140). وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 213) عنه نحوه.

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان عمر إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدَّم إلى أهله (فقال): لا أعلمنَّ أحداً وقع في شيء ممّا نهيت عنه إلاّ أضعفت له العقوبة. كذا في «الكنز» (2/ 141).

وأخرج مالك وابن سعد عن ابن شهاب قال: كان هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنهما يأمر بالمعروف في رجال معه، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: أمَّا ما عشت أنا وهشام فلا يكون هذا. كذا في «الكنز» (2/ 141).

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن أبي جعفر الخَطْمي أن جده

عمير بن حبيب بن خُماشة رضي الله عنه ـ وكان قد أدرك النبي ﷺ عند احتلامه ـ أوصى ولده فقال: يا بني إياك ومجالسة السفهاء فإن مجالستهم داء، ومن يحلم عن السفيه يُسرَّ، ومن يجبه يندم، ومن لا يرضى بالقليل ممّا يأتي به السفيه يرضى بالكثير، وإذا كان أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطّن نفسه على الصبر على الأذى ويثق بالثواب من الله تعالى، فإنه من وثق بالثواب من الله عز وجل لم يضره مس الأذى. ورجاله ثقات، كما قال الهيثمي (7/ 266). وأخرجه أيضاً أبو نعيم وأحمد في كتاب «الزهد»، كما في «الإصابة» (3/ 30).

وأخرج الطبراني عن عبد العزيز بن أبي بَكْرة أن أبا بَكرة رضي الله عنه تزوج امرأة من بني غُدانة، وأنها هلكت فحملها إلى المقابر، فحال إخوتها بينه وبين الصلاة، فقال لهم: لا تفعلوا فإني أحق بالصلاة منكم. قالوا: صدق صاحب رسول الله ﷺ، فصلّى عليها، ثم إنه دخل القبر فدفعوه دفعاً عنيفاً فوقع فغُشي عليه، فحُمل إلى أهله فصرخ عليه يومئذ عشرون من ابن وبنت له ـ قال عبد العزيز: وأنا يومئذ من أصغرهم ـ، فأفاق إفاقة فقال: لا تصرخوا عليّ، فوالله ما من نفس تخرج أحب إليَّ من نفس أبي بَكْرة. ففزع القوم فقالوا: لم يا أبانا؟ قال: إني أخشى أن أدرك زماناً لا أستطيع أن آمر بالمعروف ولا أنهى عن منكر، ولا خير يومئذ. ورجاله ثقات، كما قال الهيثمي (7/ 280).

وأخرج الطبراني (1/ 304) عن علي بن زيد قال: كنت في القصر مع الحجّاج وهو يعرض الناس من أجل ابن الأشعث، فجاء أنس بن مالك رضي الله عنه حتى دنا، فقال له الحجاج: هيه يا خِبْثة، يا جوالُ في الفتن. مرة مع علي بن أبي طالب، ومرة مع ابن الزبير، ومرة مع ابن الأشعث، أما والذي نفسي بيده لأستأصلنَّك كما تُستأصل الصمغة،

ولأجردنَّك كما يجرد الضب. فقال: من يعني الأمير ـ أصلحه الله؟ ـ قال الحجاج: إياك أعني ـ أصمَّ الله سمعك ـ، فاسترجع فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم خرج من عنده فقال: لولا أنِّي ذكرت ولدي فخشيته عليهم لكلمته في مقامي بكلام لا يستحيبني بعده أبداً. قال الهيثمي (7/ 274): وعلي بن زيد ضعيف وقد وثِّق. اهـ.

وأخرج البزار (3323) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت الحجاج يخطب، فذكر كلاماً أنكرته، فأردت أن أغيِّر فذكرت قول رسول الله ﷺ «لا ينبغي للمؤمن أن يذلَّ نفسه»، قال: قلت: يا رسول الله كيف يذلّ نفسه؟ قال: «يتعرّض من البلاء لما لا يُطيق». قال الهيثمي (7/ 274): رواه البزار والطبراني في «الأوسط» و«الكبير» باختصار، وإسناد الطبراني في «الكبير» جيّد ورجاله رجال الصحيح غير زكريا بن يحيى بن أيوب الضرير ذكره الخطيب، روى عن جماعته وروى عنه جماعة ولم يتكلم فيه أحد. اهـ.

* * *

العزلة

أخرج ابن أبي شيبة وأحمد في «الزهد» (139) وابن أبي الدنيا في «العزلة» عن عمر رضي الله عنه قال: إن في العزلة لراحة من خلاط السوء. وعند أحمد فيه وابن حبان في «الروضة» والعسكري في «المواعظ» عن عمر قال: خذوا بحظكم من العزلة. كذا في «الكنز» (2/ 159). وأخرجه ابن المبارك في كتاب «الرقائق» عن عمر نحوه، كما في «فتح الباري» (11/ 262).

وأخرج الدينوري عن المعافى بن عمران أنَّ عمر بن الخطاب مرَّ بقوم يتبعون رجلاً قد أُخذ في الله فقال: لا مرحباً بهذه الوجوه التي لا تُرى إلا في الشر. كذا في «الكنز» (2/ 159).

وأخرج الطبراني عن عَدَسة الطائي قال: كنت بِسَرِفَ، فنزل علينا عبد الله رضي الله عنه، فبعثني إليه أهلي بأشياء، وجاء غِلمة لنا كانوا في الإبل من مسيرة أربع ليالٍ بطير فذهبت به إليه، فلما ذهبت به إليه سألني: من أين جئتني بهذا الطائر؟ قال: قلت: جاء غلمان لنا كانوا في الإبل من مسيرة أربع ليال. فقال عبد الله: لوددت أني حيث صِيد لا أكلم أحداً بشيء ولا يكلمني حتى ألحق بالله عز وجل. قال الهيثمي (10/ 304): رجاله رجال الصحيح غير عَدَسة الطائي وهو ثقة. وأخرجه ابن عساكر بمعناه مختصراً عن ابن مسعود كما في «الكنز» (2/ 159).

وعند أبي نُعيم في «الحلية» (1/ 135) عن القاسم قال: قال رجل

لعبد الله: أوصني (يا أبا عبد الرحمن) قال: ليسعْك بيتك، واكفف لسانك، وابك على ذكر خطيئتك.

وعند الطبراني (9/ 8536) عن إسماعيل بن أبي خالد قال: أوصى ابن مسعود أبا عبيدة بثلاث كلمات: أي بني، أوصيك بتقوى الله، وليسعْك بيتك، وابك على خطيئتك. قال الهيثمي (10/ 299): رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج الحاكم عن حذيفة رضي الله عنه قال: لوددت أن لي من يصلح من مالي، فأغلق بابي فلا يدخل عليَّ أحد ولا أخرج إليهم حتى ألحق بالله، كذا في «الكنز» (2/ 159). وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 278) عنه نحوه.

وأخرج ابن أبي الدنيا في «العزلة» عن مالك عن رجل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لولا مخافة الوسواس دخلت إلى بلاد لا أنيس بها، وهل يفسد الناسَ إلا الناس، كذا في «الكنز» (2/ 159).

وأخرج ابن أبي الدنيا في «العزلة» عن مالك قال: سمعت يحيى بن سعيد قال: كان أبو الجهم (ابن) الحارث بن الصِّمَّة رضي الله عنه لا يجالس الأنصار، فإذا ذُكرت له الوحدة قال: الناس شرٌّ من الوحدة، كذا في «الكنز» (2/ 159).

وأخرج ابن عساكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: نعم صومعة الرجل المسلم بيته، يكف فيه نفسه وبصره وفرجه، وإياكم والمجالس في السوق؛ فإنها تُلهي وتُلغي. كذا في «الكنز» (2/ 159).

وأخرج الطبراني (20/ 54) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه مرَّ بمعاذ بن جبل رضي الله عنه وهو قائم على بابه يشير بيده كأنه

يحدِّث نفسه، فقال له عبد الله بن عمر: ما شأنك يا أبا عبد الرحمن تحدِّث نفسك؟ قال: ما لي يريد عدوُّ الله أن يُلفتني عما سمعت رسول الله ﷺ. قال: تكابد دهرك في بيتك؟! ألاَ تخرج إلى المجلس؟ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خرج في سبيل الله كان ضامناً على الله، ومن عاد مريضاً كان ضامناً على الله عز وجل، ومن غدا إلى المسجد، أو راح كان ضامناً على الله عز وجل، ومن دخل على إمام يُعزِّره كان ضامناً على الله عز وجل، ومن جلس في بيته لم يغتب أحداً بسوء كان ضامناً على الله عز وجل»، فيريد أن يخرجني عدو الله من بيتي إلى المجلس. قال الهيثمي (10/ 304): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» بنحوه باختصار والبزار رجال أحمد رجال الصحيح غير ابن لَهيعة وحديثه حسن على ضعفه. اهـ.

* * *

القناعة

أخرج ابن المبارك عن عبد الله بن عبيد قال: رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الأحنف رضي الله عنه قميصاً، فقال: يا أحنف بكم أخذت قميصك هذا؟ قال: أخذته باثني عشر درهماً، قال: ويحك ألا كان بستة دراهم وكان فضله فيما تعلم؟ كذا في «الكنز» (2/ 161).

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن البصري قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: اقنع بروحك في الدنيا، فإن الرحمن فضَّل بعض عباده على بعض في الرزق، بل يبتلي به كلاً، فيبتلي به من بسط له كيف شُكْره فيه، وشكره الله أداؤه الحق الذي افترض عليه فيما رزقه وخوَّله؛ كذا في «الكنز» (2/ 161).

وأخرج العسكري عن أبي جعفر قال: أكل علي رضي الله عنه من تمرٍ دَقَل، ثم شرب عليه الماء، ثم ضرب على بطنه وقال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله، ثم تمثل:

فإنَّك مهما تُعْطِ بطنَكَ سُؤْلَهُ

وفرجَكَ نالا منتهى الذمِّ أجْمَعَا

كذا في الكنز (2/ 161).

وعند الدينوري عن الشعبي قال: قال علي بن أبي طالب: يا بن آدم لا تعجِّل همَّ يومك الذي يأتي على يومك الذي أنت فيه، فإن لم

يكن من أجلك يأت فيه رزقك، واعلم أنك لا تكتسب من المال فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك. كذا في «الكنز» (2/ 161).

وأخرج ابن عساكر عن سعد رضي الله عنه أنه قال لابنه: يا بنيّ إذا طلبت الغناء فاطلبه بالقناعة، فإنه من لم يكن له قناعة لم يغنِه مال. كذا في «الكنز» (2/ 161).

* * *

هدي النبي ﷺ وأصحابه في النكاح

أخرج الطبراني عن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه - أو رجل من أصحاب النبي ﷺ - قال: كان النبي ﷺ يرعَى غنماً فاستعلى الغنم، فكان في الأبل وهو وشريك له، فأكريا أخت خديجة، فلما قضَوا السفر بقي لهم عليها شيء، فجعل شريكهم يأتيها فيتقاضاهم وهو يقول لمحمد: انطلق، فيقول: «اذهب أنت فإني أستحيي»، فقالت مرة - وأتاهم -: فأين محمد؟ قال: قد قلت له فزعم أنه يستحيي. فقالت: ما رأيت رجلاً أشدّ حياء ولا أعفّ ولا ولا، فوقع في نفس أختها خديجة، فبعثت إليه فقالت: ائت أبي فاخطبني، قال: «أبوك رجل كثير المال وهو لا يفعل»، قالت: انطلق فالقَه فكلِّمه، فأنا اكفيك وائت عند سُكْره ففعل، فأتاه فزوجه، فلما أصبح جلس في المجلس فقيل له: أحسنت زوَّجت محمداً. فقال: أو قد فعلت؟ قالوا: نعم، فقام فدخل عليها فقال: إنَّ الناس يقولون: إني قد زوَّجت محمداً، قالت: بلى، فلا تسفهنَّ رأيك فإن محمداً كذا، فلم تزل به حتى رضي، ثم بعثت إلى محمد ﷺ بأوقيتين من فضة أو ذهب وقالت: اشتر حلَّة واهدها لي وكبشاً وكذا وكذا، ففعل. قال الهيثمي (9/ 222): رواه الطبراني والبزّار (2657) ورجال الطبراني رجال الصحيح غيرأبي خالد الوالبي وهو ثقة، ورجال البزّار أيضاً إلاَّ أن شيخه أحمد بن يحيى الصوفي ثقة ولكنه ليس من رجال الصحيح، وقال فيه: قالت: وأنه غير مكره - بدل: سكره، وقالت في الحلّة: فأهدها إليه - بدل إليّ. انتهى.

وعند أحمد والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ فيما يحسب حمّاد ـ أن رسول الله ﷺ ذكر خديجة وكان أبوها يرغب عن أن يزوجه، فصنعت طعاماً وشراباً فدعت أباها ونفراً من قريش فطعموا وشربوا حتى ثملوا، فقالت خديجة: إن محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني إياه، فزوجها إياه فخلَّقته وألبسته حلة ـ وكذلك كانوا يفعلون بالآباء ـ فلمَّا سُرِّي عنه سكره نظر فإذا هو مخلَّق وعليه حلَّة، فقال: ما شأني؟ ما هذا؟ قالت: زوجتني محمد بن عبد الله، فقال: أنا أزوج يتيم أبي طالب؟! لا لعمري! قالت خديجة: ألا تستحيي؟ تريد أن تسفِّه نفسك عند قريش تخبر الناس أنك كنت سكران؟ فلم تزل به حتى رضي. ورجالهما رجال الصحيح، كما قال الهيثمي (9/ 220).

وعند ابن سعد (1/ 131) عن نفيسة قالت: كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة جَلْدة شريفة؛ مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً، وكلُّ قومها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك، قد طلبوها وبذلوا لها الأموال، فأرسلتني دَسِيساً، إلى محمد بعد أن رجع في عيرها من الشام، فقلت: يا محمد، ما يمنعك أن تَزَوَّجَ؟ فقال: «ما بيدي ما أتزوَّج به»، قلت: فإن كفيت ذلك ودُعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال: «فمن هي؟» قلت: خديجة، قال: «وكيف لي بذلك؟» قالت: قلت: عليَّ، قال: «فأنا أفعل»، فذهبت فأخبرتها، فأرسلت إليه أنِ ائتِ الساعة كذا وكذا، وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوِّجها، فحضر ودخل رسول الله ﷺ في عمومته فزوجه أحدهم، فقال عمرو بن أسد: هذا البُضْع لا يقرع أنفه! وتزوجها رسول الله ﷺ وهو ابن خمس وعشرين وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة؛ ولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة.

نكاحه ﷺ لعائشة وسَوْدة رضي الله عنهما

أخرج الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت: لمَّا توفيت خديجة رضي الله عنها قالت خولة بنت حكيم بن الأوقص رضي الله عنها ـ امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه وذلك بمكة ـ: يا رسول الله ألا تَزَوَّج؟ قال: «من؟» قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيِّباً، قال: «فمن البكر؟» قالت: ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر. قال: «فمن الثيب؟» قالت: سَوْدة بنت زَمْعة، آمنت بك، واتبعتك على ما أنت عليه. قال: «فاذهبي فاذكريهما عليَّ» فجاءت فدخلت بيت أبي بكر فوجدت أم رومان أم عائشة رضي الله عنهما، فقالت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟! أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. قالت: وددت، انتظري أبا بكر فإنه آتٍ. فجاء أبو بكر فقالت: يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟! أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة، فقال: هل تصلح له؟ إنما هي بنت أخيه. فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فذكرتُ ذلك له فقال: «ارجعي إليه فقولي له: أنت أخي في الإسلام وأنا أخوك وابنتك تصلح لي»، فأتتْ أبا بكر فقال: ادعي لي رسول الله ﷺ، فجاء فأنكحه. قال الهيثمي (9/ 225): رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث.

وأخرجه أحمد عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قالا: لما هلكت خديجة ـ فذكر الحديث بمعناه وزاد في آخره قال: «ارجعي فقولي له: أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلح لي»، فرجعت فذكرت ذلك له فقال: انتظري وخرج، قالت أم رومان: إنَّ مُطْعِم بن عديّ كان قد ذكرها على ابنه (جبير ووعده) فوالله ما وعد وعداً قطُّ فأخلفه ـ لأبي بكر ـ، فدخل أبو بكر على مُطْعِم بن عديّ.

[فقال: ما تقول في أمر هذه الجارية؟ قال: فأقبل على امرأته فقال لها: ما تقولين يا هذه؟ فأقبلت على أبي بكر وقالت له: لعلنا إن أنكحنا هذا الفتى تصبيه وتدخله في دينك الذي أنت عليه فأقبل أبو بكر فقال: ما تقول أنت؟ فقال: إنها لتقول ما تسمع]، فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عِدته التي وعد، فقال لخولة: ادعي لي رسول الله ﷺ فدعته، فزوَّجها إياه وعائشة رضي الله عنها يومئذ بنت ست سنين.

ثم خرجت فدخلت على سَوْدة بنت زَمْعة، فقالت: ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك عليه، قالت: وددتُ، ادخلي على أبي فاذكري ذلك له ـ وكان شيخاً كبيراً قد أدركته السن قد تخلَّف عن الحج ـ، فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية، فقال: من هذه؟ فقالت: خولة بنة حكيم، قال: فما شأنك؟ قالت: أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة. فقال: كفء كريم، فماذا تقول صاحبتك؟ قالت: تحب ذلك، قال: ادعيه لي. فجاءه رسول الله ﷺ فزوَّجها إياه، فجاء أخوها عبد بن زَمْعة من الحج فجعل يحثي في رأسه التراب، فقال بعد أن أسلم: لعمري إني لسفيه يوم أحثي في رأسي التراب أن تَزَوَّج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة!!

قالت عائشة: فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج بالسُّنُح، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فدخل بيتنا، فجاءت بي أُمي وأنا في أرجوحة ترجح بي بين عَذقين، فأنزلتني من الأرجوحة ولي جُمَيمة ففرَّقتها، ومسحت وجهي بشيء من ماء، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت عند الباب وإني لأنهج حتى سكن من نفسي، ثم دخلت بي فإذا رسول الله ﷺ جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من

الأنصار، فاحتبستني في حجرة ثم قالت: هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم وبارك لهم فيك، فوثب الرجال والنساء فخرجوا، وبنى بي رسول الله ﷺ في بيتنا، ما نُحرت عليَّ جزور ولا ذُبحت عليَّ شاة؛ حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة رضي الله عنه بجفنة كانَ يرسل بها إلى رسول الله ﷺ إذا دار إلى نسائه، وأنا يومئذ ابنة سبع سنين. قال الهيثمي (9/ 227): رواه أحمد، بعضُه صرّح فيه بالاتصال عن عائشة، وأكثره مرسل، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وثّقه غير واحد، وبقية رجاله رجال الصحيح، وفي الصحيح طرف منه. انتهى.

* * *

نكاحه ﷺ بحفصة بنت عمر رضي الله عنهما

أخرج البخاري والنِّسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه حين تأيَّمت حفصة من خُنَيس بن حذافة السهمي - وكان شهد بدراً وتوفي بالمدينة - لقي عثمان رضي الله عنه فقال: إن شئتَ أنكحتك حفصة، قال: سأنظر في أمري، فلبث ليالي فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج. قال عمر: فقلت لأبي بكر رضي الله عنه: إن شئت أنكحتك حفصة، فصمت، فكنت عليه أوجد مني على عثمان، فلبث ليالي، ثم خطبها النبي ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وَجدْت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً. قلت: نعم، قال: إنه لم يمنعني أن أرجع إليك إلاَّ أنِّي علمت أن النبي ﷺ ذكرها، فلم أكن لأفشي سرّه، ولو تركها لقبلتها. كذا في «جمع الفوائد» (1/ 214).

وأخرجه أيضاً أحمد والبيهقي وأبو يَعْلى وابن حِبّان وزاد: قال

عمر: فشكوت عثمان إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «تُزوج حفصة خيراً من عثمان، ويُزوج عثمان خيراً من حفصة»، فزوّجه النبي ﷺ ابنته. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 120).

* * *

نكاحه ﷺ بأم سَلَمة بنت أبي أمية رضي الله عنها

أخرج النَّسائي بسند صحيح عن أمّ سلمة قالت: لما انقضتِ عِدَّة أم سَلَمة خطبها أبو بكر رضي الله عنه فلم تتزوجه، فبعث النبي ﷺ (من) يخطبها عليه، فقالت: أخبر رسول الله ﷺ أني امرأة غَيْرى، وأني امرأة مُصْبِية، وليس أحد من أوليائي شاهداً، فقال: «قل لها: أما قولك: غَيْرى. فسأدعو الله فتذهب غَيْرتك، وأما قولك: إني امرأة مصبية، فستُكْفَين صبيانك، وأما قولك: ليس أحد من أوليائي شاهداً، فليس أحد من أوليائك شاهد أو غائب يكره ذلك»، فقالت لابنها عمر رضي الله عنه: قُمْ فزوِّج رسول الله ﷺ، فزوَّجه كذا في «الإصابة» (4/ 459) و«جمع الفوائد» (1/ 214).

وعند ابن عساكر عن أم سَلَمة أنَّها لمّا قدمت المدينة أخبرتهم أنها ابنة أبي أمية بن المغيرة، فكذَّبوها، حتى أنشأ أناس منهم الحج، فقالوا: أتكتبين إلى أهلك؟ فكتبت معهم فرجعوا إلى المدينة يصدِّقونها، فازدادت عليهم كرامة. قالت: فلَّما وضعتُ زينب جاءني النبي ﷺ فخطبني، فقلت: مثلي تُنْكح؟ أما أنا فلا ولد فيَّ، وأنا غيور ذات عيال، قال: «أنا أكبر منك، وأما الغَيْرة فيذهبها الله، وأما العيال فإلى الله وإلى رسوله»، فتزوَّجها رسول الله ﷺ فجعل يأتيها فيقول: «أين زُناب؟» حتى جاء عمّار فاختلجها، فقال: هذه تمنع رسول الله (حاجته) ـ وكانت ترضعها ـ فجاء

النبي ﷺ فقال: «أين زُناب؟» فقالت قريبة بنت أبي أميّة ـ وافقها عندها: ـ أخذها ابن ياسر، فقال النبي ﷺ: «إني آتيكم الليلة»، فوضعتُ ثِفالي فأخرجتُ حبات من شعير كانت في جرتي، وأخرجت شحماً فعصدت له، فبات ثم أصبح فقال حين أصبح: «إنَّ لكِ على أهلك كرامة، إن شئت سبَّعتُ لك، وإن أسبِّع لكِ أسبع لنسائي». كذا في «الكنز» (7/ 117). وأخرجه النَّسائي بسند صحيح عن أم سلمة نحوه، كما في «الإصابة» (4/ 459). وأخرجه ابن سعد (8/ 93) عن أم سَلَمة نحوه

* * *

نكاحه ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما

أخرج الزبير بن بكار عن إسماعيل بن عمرو أنَّ أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت: ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي ـ جارية يقال لها أبرهة، كانت تقوم على ثيابه ودُهنه ـ فاستأذنت عليَّ فأذنت لها، فقالت: إن الملك يقول لك: إنَّ رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أزوجكِهُ، فقلت: بشَّرك الله بالخير، وقالت: يقول لك الملك: وكِّلي مَنْ يزوجك، قالتْ: فأرسلتُ إلى خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه فوكلته، وأعطيت أبرهةَ سِوارَين من فضَّة، وخَدَمتين من فضة كانتا عليَّ، وخواتيم من فضة في كل أصابع رجلي سروراً بما بشَّرتني به فلما أن كان من العشيّ أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن كان هناك من المسلمين أن يحضروا، وخطب النجاشي وقال: الحمد لله الملك القدُّوس المؤمن العزيز الجبار، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم. أما بعد: فإنَّ رسول الله ﷺ طلب أن أزوجه أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبت إلى ما دعا إليه

رسول الله ﷺ، وقد أصدقها أربعمائة دينار، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم، فتكلم خالد بن سعيد، فقال: الحمد لله أحمده وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد: فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوَّجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسول الله، ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها، ثم أرادوا أن يقوموا فقال: اجلسوا فإنَّ من سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يُؤكل طعام على التزويج، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا. كذا في «البداية» (4/ 143).

وأخرجه الحاكم (4/ 20) عن إسماعيل بن عمرو بن سعيد بن العاص قال: قالت أم حبيبة: رأيت في المنام كأن عبيد الله بن جحش زوجي بأسوإ صورة وأشوهه، ففزعت فقلت: تغيّرت - والله - حاله، فإذا هو يقول حين أصبح: يا أمَّ حبيبة، إني نظرت في الدين فلم أر ديناً خيراً من النصرانية، وكنت قد دِنْتُ بها، ثم دخلت في دين محمد، ثم رجعت إلى النصرانية، فقلت: والله ما خير لك! وأخبرته بالرؤيا التي رأيت له فلم يحفل بها، وأكبَّ على الخمر حتى مات، فأرى في النوم كأن آتياً يقول لي: يا أمَّ المؤمنين. ففزعت وأوَّلتها أن رسول الله ﷺ يتزوجني، قال: فما هو إلاَّ أن انقضت عِدَّتي، فما شعرت إلا برسول النجاشي - فذكر الحديث نحوه، وزاد في آخره بعد قوله: فأكلوا ثم تفرقوا، قالت أم حبيبة: فلما وصل إليَّ المال أرسلت إلى أبرهة التي بشَّرتني فقلت لها: إني أعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدي وهذه خمسون مثقالاً فخذيها فاستعيني بها، فأخرجت إليَّ حُقَّة فيها جميع ما أعطيتها فردّته إليَّ وقالت: عزم عليَّ الملك أن لا أرزأك شيئاً وأنا التي أقوم على ثيابه

ودُهنه، وقد اتّبعتُ دين رسول الله ﷺ وأسلمت لله، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر. فلما كان الغد جاءتني بعُود ووَرْس وعنبر وزُبّاد كثير، وقدمت بذلك كلّه على رسول الله ﷺ وكان يراه عليّ وعندي فلا ينكر، ثم قالت أبرهة: فحاجتي إليك أن تقرئي رسول الله ﷺ مني السلام وتعليمه أنّي قد اتّبعت دينه. قالت: ثم لطفت بي وكانت هي التي جهَّزتني، وكانت كلما دخلت عليّ تقول: لا تنسَيْ حاجتي إليك. قالت: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت الخِطبة، وما فعلت بي أبرهة، فتبسم رسول الله ﷺ وأقرأتُه منها السلام، فقال: «وعليها السلام ورحمة الله وبركاته». وأخرجه ابن سعد (8/ 97) عن إسماعيل بن عمرو بن سعيد الأموي بمعناه.

* * *

نكاحه ﷺ بزينب بنت جحش رضي الله عنها

أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: لمّا انقضت عِدَّة زينب رضي الله عنها قال النبي ﷺ لزيد رضي الله عنه: «اذهب فاذكرها عليّ»، فانطلق حتى أتاها وهي تخمّر عجينها، قال: فلمّا رأيتها عَظُمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أنَّ رسول الله ﷺ ذكرها، فولَّيتها ظهري ونكصت على عقبي، وقلت: يا زينب أبشري، أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك. قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل. ثم قامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن، قال أنس: ولقد رأيتنا حين دخل عليها رسول الله ﷺ أطعمنا عليها الخبز واللحم، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتّبعته، فجعل يتبع حُجَر نسائه يسلّم

عليهن ويقلن: يا رسول الله كيف وجدت أهلك؟ فما أدري أنا أخبرته ـ والقوم قد خرجوا ـ أو أُخبر قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه، فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب، ووعُظ القوم بما وعظوا به ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: 53] ـ الآية ـ. وكذا رواه مسلم والنسائي.

وعند البخاري عنه قال: بُنيَ على النبي ﷺ بزينب بنت جحش بخبز ولحم، فأرسلتُ على الطعام داعياً، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون فدعوتُ حتى ما أجد أحداً أدعوه، فقلت: يا نبي الله ما أجد أحداً أدعوه، قال: «ارفعوا طعامكم» وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت، فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته»، قالت: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، كيف وجدت أهلك؟ بارك الله لك، فتقرّى حُجَر نسائه كلهن، ويقول لهن كما يقول لعائشة ويقلن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبي ﷺ فإذا رهط ثلاثة في البيت يتحدثون ـ وكان النبي ﷺ شديد الحياء ـ فخرج منطلقاً نحو حجرة عائشة، فما أدري أخبرته أو أُخبر أن القوم خرجوا، فرجع حتى إذا وضع رجله في أُسكفّة الباب (داخله) وأخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب.

وعند أبي حاتم عنه قال: أعرس رسول الله ﷺ ببعض نسائه، فصنعت أمُّ سُلَيْم رضي الله عنها حَيْساً ثم حطَّته في تَوْر، فقالت: اذهب إلى رسول الله ﷺ وأخبره أن هذا منَّا له قليل ـ قال أنس: والناس يومئذ في جَهْد ـ، فجئت به فقلت: يا رسول الله بعثت بهذا أم سُلَيْم إليك، وهي تُقرئك السلام وتقول لك: إنَّ هذا منَّا له قليل، فنظر إليه ثم قال:

«ضعه في ناحية البيت» ثم قال: «اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً»، فسمَّى رجالاً كثيراً، قال: «ومن لقيت من المسلمين» فدعوت من قال لي ومن لقيت من المسلمين، فجئت والبيت والصُّفَّة والحُجْرة ملاءٌ من الناس - فقلت: يا أبا عثمان كم كانوا؟ قال: كانوا زهاء ثلاثمائة -. قال أنس: فقال لي رسول الله ﷺ: «جيء» فجئت به إليه، فوضع يده عليه ودعا وقال ما شاء الله، ثم قال: «ليتحلَّق عشرة عشرة، وليسمُّوا، وليأكل كل إنسان مما يليه»، فجعلوا يسمُّون ويأكلون حتى أكلوا كلهم. فقال لي رسول الله ﷺ: «ارفعه» قال: فجئت فأخذت التور فنظرت فيه فلا أدري أهو حين وضعته أكثر أم حين رفعته!!

قال: وتخلّف رجال يتحدّثون في بيت رسول الله ﷺ وزوجُ رسول الله ﷺ التي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط، فأطالوا الحديث، فشقُّوا على رسول الله ﷺ، وكان أشد الناس حياء، ولو علموا كان ذلك عليهم عزيزاً، فقام رسول الله ﷺ فسلَّم على حُجَره وعلى نسائه، فلما رأوه قد جاء ظنُّوا أنهم قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا، وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر ودخل البيت وأنا في الحجرة، فمكث رسول الله ﷺ في بيته يسيراً، وأنزل الله القرآن، فخرج وهو يقرأ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ - إلى قوله: ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: 53 و54]، قال أنس: فقرأهنَّ عليَّ قبل الناس وأنا أحْدَثُ الناس بهنَّ عهداً. وقد رواه مسلم والنسائي الترمذي وقال: حسن صحيح، والبخاري وابن جرير. كذا في «البداية» (4/ 146). وأخرجه ابن سعد (8/ 104) من طرق عن أنس.

* * *

نكاحه ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها

أخرج أبو داود عن أنس رضي الله عنه قال: جُمع السبي - يعني بخيبر - فجاء دِحْية رضي الله عنه فقال: يا رسول الله أعطني جارية من السبي، قال: «اذهب فخذ جارية» فأخذ صفية بنت حُيَي، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، أعطيت دِحْية - قال يعقوب: صفية بنت حيي سيدة قُرَيظة والنَّضِير ما تصلح إلا لك - قال: «ادعوا بها»، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: «خذ جارية من السبي غيرها» وإنَّ رسول الله ﷺ أعتقها وتزوَّجها. وأخرجه البخاري ومسلم.

وعند البخاري عن أنس قال: قدما خيبر، فلما فتح (الله عليه) الحصن ذُكِرَ له جمال صفية بنت حيي بن أخطب، وقد قُتل زوجها وكانت عروساً، فاصطفاها النبي ﷺ لنفسه، فخرج بها حتى بلغ بها سدَّ الصهباء حلَّت، فبنى بها رسول الله ﷺ، ثم صنع حَيْساً في نِطَع صغير ثم قال لي: «آذنْ من حولك» فكانت تلك وليمته على صفيّة، ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت النبي ﷺ يحوِّي لها وراءه بعباءة، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب.

وعنده أيضاً عنه قال: أقام رسول الله ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يُبنى عليه بصفية، فدعوت المسلمين إلى وليمته وما كان فيها من خبز (ولا) لحم، وما كان فيها إلا أن أمر بلالاً بالأنطاع فبسطت، فألقى عليها التمر والأقِط والسمن، فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه؟ فقالوا: إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه، فلما ارتحل وطَّأ لها خلفه ومدّ الحجاب. كذا في «البداية» (4/ 196).

وأخرج أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما

دخلت صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها على رسول الله ﷺ فُسطاطه حضر ناس وحضرت معهم ليكون لي فيها قِسْم، فخرج رسول الله ﷺ فقال: «قوموا عن أمِّكم»، فلما كان العشاء حضرنا فخرج رسول الله ﷺ إلينا من طرف ردائه نحو من مد ونصف من تمر عجوة، فقال: «كُلُوا من وليمة أمكم» قال الهيثمي (9/ 251): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وأخرجه ابن سعد (8/ 124) نحوه

وأخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان بعينيّ صفية خُضْرة، فقال لها النبي ﷺ: «ما هذه الخضرة بعينيك؟» قالت: قلت لزوجي: إني رأيت فيما يرى النائم كأن قمراً وقع في حجري فلطمني، وقال: أتريدين مَلِك يثرب؟. قالت: وما كان أبغض إليَّ من رسول الله ﷺ، قتل أبي وزوجي، فما زال يعتذر إليَّ وقال «يا صفية إن أباك ألَّب عليَّ العرب وفعل وفعل»، حتى ذهب ذلك من نفسي. قال الهيثمي (9/ 251): رجاله رجال الصحيح.

وأخرج الحاكم (4/ 28) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما دخل رسول الله ﷺ بصفية بات أبو أيوب رضي الله عنه على باب النبي ﷺ. فلما أصبح فرأى رسول الله ﷺ كبَّر ومع أبي أيوب السيف، فقال: يا رسول الله كانت جارية حديثة عهد بعرس، وكنتَ قتلتَ أباها وأخاها وزوجها فلم آمنها عليك. فضحك رسول الله ﷺ وقال له خيراً. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، وقال الذهبي: صحيح. وأخرجه ابن عساكر عن عروة بمعناه أطول منه كما في «الكنز» (7/ 119). وأخرجه ابن سعد (2/ 116) عن ابن عباس رضي الله عنهما أطول منه، وفي روايته: قلت: إن تحركتْ كنت قريباً منك.

وأخرج ابن سعد (8/ 126) عن عطاء بن يَسَار قال: لما قدمت

صفية من خيبر أُنزلت في بيت لحارثة بن النعمان رضي الله عنه، فسمع نساء الأنصار فجئن ينظرن إلى جمالها، وجاءت عائشة رضي الله عنها متنقبة، فلما خرجت خرج النبي ﷺ عى إثرها، فقال: «كيف رأيت يا عائشة؟» قالت: رأيت يهودية!! فقال: «لا تقولي ذلك، فإنها أسلمت وحسن إسلامها».

وعند سعيد بن المسيَّب بسند صحيح قال: قدمت صفية وفي أذنها خُوصة من ذهب، فوهبت منه لفاطمة رضي الله عنها ولنساء معها؛ كذا في «الإصابة» (4/ 347).

* * *

نكاحه ﷺ بجويرية بنت الحارث الخزاعية رضي الله عنها

أخرج ابن إسحاق عن عائشة رضي الله عنها قالت: لمّا قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المُصْطلق وقعتْ جُويرية بنت الحارث رضي الله عنها في السهم لثابت بن قيس بن شمّاس رضي الله عنه أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة مُلّاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنَفْسه، فأتت رسول الله ﷺ لتستعينه في كِتابتها، قالت: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حُجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيتُ، فدخلتْ عليه فقالت: يا رسول الله أنا جُويرية بنت الحارث بن أبي ضِرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخفَ عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن شماس، فكاتبتُه على نفسي فجئتك أستعينك على كِتابتي، قال: «فهل لك في خير من ذلك؟» قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: «أقضي عنك كتابتك وأتزوجك»، قالت: نعم، يا رسول الله قد فعلت. قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ. قد تزوَّج

جُويرية بنت الحارث، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، فأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أُعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها. كذا في «البداية» (5/ 159). وأخرج ابن سعد (8/ 116) عن الواقدي بسند له عن عائشة نحوه ولكن سمّى زوجها صفوان بن مالك، وهكذا أخرجه الحاكم (4/ 26) من طريق الواقدي.

وأخرج الواقدي عن عروة قال: قالت جويرية بنت الحارث: رأيت قبل قدوم النبي ﷺ بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حِجري، فكرهت أن أُخبر به أحداً من الناس حتى قدم رسول الله ﷺ، فلما سُبينا رجوت الرؤيا، قالت: فأعتقني رسول الله ﷺ وتزوَّجني، والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم، وما شعرت إلاّ بجارية من بنات عمي تخبرني الخبر فحمدت الله تعالى. كذا في «البداية» (4/ 159). وأخرجه الحاكم (4/ 27) من طريق الواقدي عن حزّام بن هشام عن أبيه نحوه.

* * *

نكاحه ﷺ بميمونة بنت الحارث الهلالية رضيَ الله عنها

أخرج الحاكم (4/ 30) عن ابن شهاب قال: خرج رسول الله ﷺ من العام القابل عامَ الحديبية معتمراً في ذي القعدة سنة سبع وهو الشهر الذي صدّه فيه المشركون عن المسجد الحرام، حتى إذا بلغ يأْجُج بعث جعفر بن أبي طالب بين يديه إلى ميمونة بنت الحارث بن حَزْن العامرية فخطبها عليه، فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وكانت أختها أم الفضل تحته فزوجها العباس رسول الله ﷺ فأقام

النبي ﷺ بسَرِفَ بعد ذلك بحين حتى قدمت ميمونة فبنى بها بسَرِفَ. وقدَّر الله تعالى أن يكون موت ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها بعد ذلك بحين، فتوفيت حيث بنى بها رسول الله ﷺ.

وعنده أيضاً (4/ 33) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها وأقام بمكة ثلاثاً، فأتاه حُوَيْطب بن عبد العزَّى في نفر من قريش في اليوم الثالث، فقالوا له: إنَّه قد انقضى أجلك فاخرج عنا. قال: «وما عليكم لو تركتموني فأعرستُ بين أظهركم، فصنعت لكم طعاماً فحضرتموه؟» قالوا: لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا. فخرج بميونة بنت الحارث رضي الله عنها حتى أعرس بها بسَرِفَ. قال الحاكم وافقه الذهبي: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه.

* * *

تزويج النبي ﷺ ابنته فاطمة بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه

أخرج البيهقي في «الدلائل» (3/ 160) عن علي قال: خُطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خُطبت إلى رسول الله ﷺ؟ قلت: لا، قالت: فقد خُطبت فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك، فقلت: وعندي شيء أتزوج به؟ فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوَّجك. قال: فوالله ما زالت ترجِّيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فلما قعدت بين يديه أُفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلَّم جلالة وهيبة، فقال رسول الله ﷺ: «ما جاء بك ألك حاجة؟» فسكتُّ، فقال: «لعلك جئت تخطب فاطمة»، فقلت: نعم،

فقال: «وهل عندك من شيء تستحلُّها؟» فقلت: لا والله يا رسول الله. فقال: «ما فعلت درع سلحتُكَها؟» ـ فوالذي نفس علي بيده إنها لحُطَمِيَّة ما قيمتها أربعة دراهم ـ فقلت: عندي، فقال: «قد زوجتَكها فابعث إليها بها فاستحلَّها بها» فإنْ كانت لَصَداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ. كذا في «البداية» (3/ 346). وأخرجه أيضاً الدَّوْلابي في «الذريّة الطاهرة»، كما في «كنز العمال» (7/ 113).

وأخرج الطبراني (2/ 1153) عن بُرَيدة رضي الله عنه قال: قال نفر من الأنصار لعلي: عندك فاطمة، فأتى رسول الله ﷺ فقال: «ما حاجة ابن أبي طالب؟» فقال: يا رسول الله ذكرتُ فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقال: «مرحباً وأهلاً» لم يزد عليها، فخرج علي بن أبي طالب على أولئك الرهط من الأنصار ينتظرونه فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما أدري غير أنه قال لي: «مرحباً وأهلاً»، قالوا: يكفيك من رسول الله ﷺ إحداهما، أعطاك الأهل والمرحب، فلما كان بعد ما زوجه قال: «يا علي إنَّه لا بد للعروس من وليمة». قال سعد رضي الله عنه: عندي كبش، وجمع له رهط من الأنصار أصْوُعاً من ذرة، فلما كانت ليلة البناء قال: «لا تُحدِث شيئاً حتى تلقاني» فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على (علي) فقال: «اللهم بارك فيهما وبارك لهما في بنائهما» قال الهيثمي (9/ 209): رواه الطبراني والبزار (1407) بنحوه إلا أنه قال: قال نفر من الأنصار لعلي: لو خطبت فاطمة، وقال في آخره «اللهم بارك لهما في شبلَيهما» ورجالهما رجال الصحيح غير عبد الكريم بن سَليط ووثَّقه ابن حبان. انتهى. وأخرجه الرُّوياني وابن عساكر نحوه، كما في «الكنز» (7/ 113) وفي روايتهما: «اللهمَّ بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في بنائهما، وبارك لهما في نسلهما». وأخرجه أيضاً النَّسائي نحوه كما في

«البداية» (7/ 342) وفي رواية: «اللهمَّ بارك لهما في شملهما» ـ يعني في الجماع. وأخرجه ابن سعد (8/ 21) عن بريدة نحوه.

وأخرج الطبراني عن أسماء بنت عُمَيس رضي الله عنها قالت: لما أهديت فاطمة إلى علي بن أبي طالب لم نجد في بيته إلا رَمْلاً مبسوطاً، ووسادة حشوها ليف، وجرّة وكوزاً، فأرسل رسول الله ﷺ: «لا تحدثنّ حدثاً ـ أو قال: لا تقربنَّ أهلك ـ حتى آتيك» فجاء النبي ﷺ فقال: «أثَمَّ أخي؟» فقالت أم أيمن رضي الله عنها ـ وهي أم أسامة بن زيد رضي الله عنهما وكانت حبشية وكانت امرأة صالحة ـ: يا رسول الله هذا أخوك وزوجته ابنتك؟ ـ وكان النبي ﷺ آخى بين أصحابه وآخى بين علي ونفسه ـ، قال: «إن ذلك يكون يا أم أيمن». قالت: فدعا النبي ﷺ بإناء فيه ماء، ثم قال: ما شاء الله أن يقول، ثم مسح صدر علي ووجهه، ثم دعا فاطمة فقامت إليه فاطمة تعثر في مِرْطها من الحياء، فنضح عليها من ذلك وقال لها ما شاء أن يقول، ثم قال لها؛ «أما إني لم آلُك أن أنكحتك أحبَّ أهلي إليَّ». ثم رأى سواداً من وراء الستر أو من وراء الباب، فقال: «من هذا؟» قالت: أسماء، قال: «أسماء بنت عُمَيس؟» قالت: نعم يا رسول الله، قال: «جئت كرامةً لرسول الله ﷺ؟». قالت: نعم، إن الفتاة ليلة يُبنى بها لا بدَّ لها من امرأة تكون قريباً منها، إن عرضت لها حاجة أفضت ذلك إليها، قالت: فدعا لي بدعاء إنه لأوثق عملي عندي. ثم قال لعلي: «دونك أهلك» ثم خرج فولّى فما زال يدعو لهما حتى توارى في حُجَره.

وفي رواية عن أسماء بنت عُميس أيضاً: قالت: كنت في زِفاف فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله ﷺ، فلما أصبحت جاء النبي ﷺ فضرب الباب، فقامت إليه أم أيمن ففتحت له الباب فقال لها: «يا أم

أيمن ادعي لي أخي» فقالت: أخوك هو وتنكحه ابنتك؟ قال: «يا أم أيمن ادعي لي» فسمع النساء صوت النبي ﷺ فَتَحَشْحَشْنَ، فجلس في ناحيةٍ، ثم جاء علي فدعا له ثمَّ نضح عليه من الماء، ثم قال: «ادعوا لي فاطمة» فجاءت وهي عرقة أو حزقة من الحياء، فقال: «اسكتي فقد أنكحتك أحب أهلي إليَّ» ـ فذكر نحوه قال الهيثمي (9/ 210): رواه الطبراني ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح. اهـ.

وأخرج ابن عساكر عن علي أن النبي ﷺ حيث زوج فاطمة دعا بماء فمجَّه، ثم أدخله معه فرشَّه في جيبه وبين كتفيه وعوَّذه بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾ والمعوِّذتين. كذا في «الكنز» (7/ 113).

وأخرج أبو يَعْلى (1/ 353) وسعيد بن منصور عن عَلْباء بن أحمر قال: قال علي بن أبي طالب: خطبت إلى النبي ﷺ ابنته فاطمة، قال: فباع علي درعاً له وبعض ما باع من متاعه فبلغ أربعمائة وثمانين درهماً، قال: وأمر النبي ﷺ أن يجعل ثلثيه في الطيب وثلثاً في الثياب، ومجَّ في جرة من ماء فأمرهم أن يغتسلوا به، وأمرها أن لا تسبقه برضاع ولدها فسبقته برضاع الحسين، وأما الحسن فإنه ﷺ صنع في فِيه شيئاً لا يدرى ما هو فكان أعلم الرجلين. كذا في «الكنز» (7/ 112). وأخرجه ابن سعد (8/ 21) عن عَلْباء قصة الطيب والثياب.

وأخرج البزار (1408) عن جابر رضي الله عنه قال: حضرنا عرس علي رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها، فما رأينا عرساً كان أحسن منه، حشونا الفراش ـ يعني الليف ـ، وأُتينا بتمر وزبيب فأكلنا، وكان فراشها ليلة عرسها إهاب كبش؛ قال الهيثمي (9/ 209): وفيه عبد الله بن ميمون القدَّاح وهو ضعيف اهـ.

وأخرج البيهقي في «الدلائل» (3/ 161) عن علي قال: جهَّز

رسول الله ﷺ فاطمة في خميل وقِربة ووسادة أدَم حشوها إذخر. كذا في «الكنز» (7/ 113).

وعند الطبراني عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لما جهَّز رسول الله ﷺ فاطمة إلى علي رضي الله عنهما بعث معها بخَميل، ـ قال عطاء: ما الخميل؟ قال: قطيفة ـ ووسادة من أدَم حشوها ليف، وإذخر وقِربة، كانا يفترشان الخميل ويلتحفان بنصفه؛ قال الهيثمي (9/ 210): وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

* * *

نكاح ربيعة الأسلمي رضي الله عنه

أخرج أحمد والطبراني عن ربيعة الأسلمي قال: كنت أخدم النبي ﷺ فقال لي: «يا ربيعة ألا تَزَوَّج؟» قلت: لا والله يا رسول الله ما أريد أن أتزوَّج، ما عندي ما يقيم المرأة، وما أحب أن يشغلني عنك شيء. فأعرض عني، ثم قال لي الثانية: «يا ربيعة ألا تَزَوَّج»؟ فقلت: ما أريد أن أتزوَّج، ما عندي ما يقيم المرأة، وما أحب أن يشغلني عنك شيء. فأعرض عني ثم رجعت إلى نفسي فقلت: والله لرسول الله ﷺ أعلم مني بما يصلحني في الدنيا والآخرة، والله لئن قال لي: ألا تزوَّج؟ لأقولنَّ: نعم يا رسول الله، مرني بما شئت، فقال لي: «يا ربيعة ألا تَزَوَّج»؟ فقلت: بلى، مرني بما شئت. قال: «انطلق إلى آل فلان ـ حيّ من الأنصار كان فيهم تراخٍ عن رسول الله ﷺ ـ فقل لهم: إن رسول الله ﷺ أرسلني إليكم يأمركم أن تزوجوني فلانة» ـ لامرأة منهم ـ، فذهبت إليهم فقلت لهم: إنَّ رسول الله ﷺ أرسلني إليكم يأمركم أن تزوِّجوني، فقالوا: مرحباً برسول الله وبرسول رسول الله ﷺ، والله لا

يرجع رسولُ رسول الله ﷺ إلا بحاجته، فزوّجوني وألطفوني وما سألوني البيِّنة.

فرجعت إلى رسول الله ﷺ حزيناً فقلت: يا رسول الله أتيت قوماً كراماً فزوّجوني وألطفوني وما سألوني البيِّنة، وليس عندي صداق. فقال رسول الله ﷺ: «يا بُريدة الأسلمي، اجمعوا لي وزن نواة من ذهب»، قال: فجمعوا لي وزن نواة من ذهب، فأخذت ما جمعوا لي فأتيت النبي ﷺ قال: «اذهب بهذا إليهم فقل لهم: هذا صَدَاقُها». فأتيتهم فقلت: هذا صَدَاقُها، فقبلوه ورضوه وقالوا: كثير طيب. قال: ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ حزيناً فقال: «يا ربيعة ما لك حزين؟» فقلت: يا رسول الله ما رأيت قوماً أكرم منهم، ورضوا بما آتيتهم وأحسنوا، وقالوا: كثير طيِّب، وليس عندي ما أُولِمُ. فقال: «يا بُريدة اجمعوا له شاة» قال: فجمعوا لي كبشاً عظيماً سميناً، فقال رسول الله ﷺ: «اذهب إلى عائشة فقل لها: فلتبعثْ بالمكتل الذي فيه الطعام»، قال: فأتيتها فقلت لها ما أمرني به رسول الله ﷺ، فقالت: هذا المكتل فيه سبع آصُع شعير، لا والله لا والله إن أصبح لنا طعام غيره، خذه. قال: فأخذته فأتيت به النبي ﷺ وأخبرته بما قالت عائشة، قال: «اذهب بهذا إليهم فقل لهم: ليصبح هذا عندكم خبزاً وهذا طبيخاً» فقالوا: أمّا الخبز فسنكفيكموه، وأما الكبش فاكفونا أنتم، فأخذنا الكبش أنا وأناس من أسلم فذبحناه وسلخناه وطبخناه فأصبح عندنا خبز ولحم، فأولمت ودعوت النبي ﷺ.

ثم قال: إنَّ رسول الله ﷺ أعطاني بعد ذلك أرضاً وأعطى أبا بكر رضي الله عنه أرضاً، وجاءت الدنيا، فاختلفنا في عَذْق نخلة، فقلت أنا هي في حدِّي، وقال أبو بكر: هي في حدِّي، وكان بيني وبين أبي بكر

كلام، فقال لي أبو بكر كلمة كرهتها، وندم فقال لي: يا ربيعة ردَّ عليَّ مثلها حتى يكون قصاصاً، قلت: لا أفعل، قال أبو بكر: لتقولنَّ أو لأستعدينَّ عليك رسول الله ﷺ. قلت: ما أنا بفاعل، قال: ورفض الأرض وانطلق أبو بكر إلى النبي ﷺ، وانطلقت أتلوه، فجاء أناس من أسلم فقالوا: رحم الله أبا بكر، في أي شيء يستعدي رسول الله ﷺ وهو الذي قال لك ما قال؟ فقلت: أتدرون ما هذا؟ هذا أبو بكر الصِّديق!! هذا ثاني اثنين!! هذا ذو شيبة المسلمين!! إيَّاكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب، فيأتي رسول الله ﷺ فيغضب لغضبه، فيغضب الله عز وجل لغضبهما، فيهلك ربيعة!! قال: ما تأمرنا؟ قال: ارجعوا. فانطلق أبو بكر رحمة الله عليه إلى رسول الله ﷺ فتبعته وحدي، حتى أتى النبي ﷺ فحدَّثه الحديث كما كان، فرفع رأسه إليَّ فقال: «يا ربيعة ما لك وللصدِّيق؟» قلت: يا رسول الله كان كذا، كان كذا، قال لي كلمة كرهتها قال لي: قل كما قلت حتى يكون قصاصاً، فأبيت، فقال رسول الله ﷺ: «أجل، لا تردَّ عليه، ولكن قل: غَفَر الله لك يا أبا بكر». قال الحسن: فولّى أبو بكر رحمه الله يبكي. قال الهيثمي (4/ 257): رواه أحمد والطبراني وفيه مبارك بن فضالة وحديثه حسن وبقية رجال أحمد رجال الصحيح. اهـ. وأخرجه أبو يعلى عن ربيعة نحوه بطوله، كما في «البداية» (5/ 336)، والحاكم وغيره قصّة النكاح، كما في «الكنز» (7/ 36)، وابن سعد (3/ 44) قصته مع أبي بكر.

* * *

نكاح جُليبيب رضي الله عنه

أخرج أحمد عن أبي بَرْزة الأسلمي رضي الله عنه أن جليبيباً كان

امرأ يدخل على النساء يمرُّ بهن ويلاعبهن، فقلت لامرأتي: لا تدخِلُنَّ عليكم جُلَيبيباً، إن دخل عليكم لأفعلنَّ ولأفعلنَّ. قال: وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيِّم لم يزوجها حتى يعلم هل للنبي ﷺ فيها حاجة أم لا. فقال النبي ﷺ لرجل من الأنصار: «زوجني ابنتك» قال: قال: نعم وكرامة رسول الله ﷺ ونعمة عين. قال: «إنِّي لست أريدها لنفسي»، قال: فلمن يا رسول الله؟ قال: «لجليبيب» قال: أشاور أمها. فقال: إنَّ رسول الله ﷺ يخطب ابنتك. قالت: نعم ونعمة عين، قال: إنَّه ليس يخطبها لنفسه إنما يخطبها لجليبيب، قالت: لجليبيب، إنيه لجليبيب إنيه! لا لعمر الله لا نزوجه! فلما أن أراد ليقوم ليأتي النبي ﷺ ليخبره بما قالت أمها قالت الجارية: من خطبني إليكم؟ فأخبرتها أمها، فقالت: أتردُّون على رسول الله ﷺ أمره! ادفعوني إليه فإنه لن يضيعني. فانطلق أبوها إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: شأنك بها، فزوَّجها جليبيباً. قال: فخرج رسول الله ﷺ في غزاة له، قال: فلما أفاء الله عز وجل عليه قال: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: لا، قال: «لكني أفقد جليبيباً»، قال: «فاطلبوه» فوجدوه إلى جنب سبعة قتلهم ثم قتلوه، فقالوا: يا رسول الله، ها هو ذا إلى جنب سبعة قتلهم ثم قتلوه. فأتاه النبي ﷺ فقال: «قتل سبعة، ثم قتلوه!! هذا مني وأنا منه» مرتين أو ثلاثاً ـ، ثم وضعه رسول الله ﷺ على ساعديه وحفرله، ما له سرير إلا ساعد النبي ﷺ، ثم وضعه في قبره، لم يذكر أنه غسَّله؛ قال: ثابت: فما كان في الأنصار أيِّم أنفق منها، وحدَّث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ثابتاً هل تعلم ما دعا لها رسول الله ﷺ؟ قال: «اللهم صب عليها الخير صباً، ولا تجعل عيشها كدّاً كدّاً». قال: فما كان في الأنصار أيِّم أنفق منها. قال الهيثمي (9/ 368): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وهو في الصحيح خالياً عن الخطبة والتزويج. انتهى.

نكاح سَلْمان الفارسي رضي الله عنه

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 185) عن أبي عبد الرحمن السُّلمي عن سلمان رضي الله عنه أنه تزوج امرأة من كِنْدة، فبنى بها في بيتها، فلما كان ليلة البناء مشى معه أصحابه حتى أتى بيت امرأته، فلما بلغ البيت قال: ارجعوا آجركم الله. ولم يدخلهم عليها كما فعل السفهاء، فلما نظر إلى البيت والبيت منجَّد قال: أمحموم بيتكم، أم تحولت الكعبة في كندة؟ قالوا: ما بيتنا بمحموم، ولا تحولت الكعبة في كندة. فلم يدخل البيت حتى نُزع كل ستر البيت غير ستر الباب، فلما دخل رأى متاعاً كثيراً فقال: لمن هذا المتاع؟ قالوا: متاعك ومتاع امرأتك، قال: ما بهذا أوصاني خليلي ﷺ!! أوصاني خليلي أن لا يكون متاعي من الدنيا إلا كزادِ الراكب. ورأى خدماً فقال: لمن هذا الخدم؟ فقالوا: خدمك وخدم امرأتك، فقال: ما بهذا أوصاني خليلي أوصاني خليلي ﷺ أن لا أمسك إلا ما أنكح أو أُنكح، فإن فعلت فبغين كان عليَّ أوزارهن من غير أن ينتقص من أوزارهنَّ شيء، ثم قال للنسوة اللاتي عند امرأته: هل أنتن مخرجات عني مخلِّيات بيني وبين امرأتي؟ قلن: نعم، فخرجن فذهب إلى الباب حتى أجافه، وأرخى الستر، ثم جاء حتى جلس عند امرأته فمسح بناصيتها ودعا بالبركة، فقال لها: هل أنت مطيعتي في شيء آمرك به؟ قالت: جلست مجلس من يُطاع، قال: فإن خليلي ﷺ أوصاني إذا اجتمعت إلى أهلي أن أجتمع على طاعة الله عز وجل، فقام وقامت إلى المسجد، فصلَّيا ما بدا لهما، ثم خرجا فقضى منها ما يقضي الرجل من امرأته، فلما أصبح غدا عليه أصحابه فقالوا: كيف وجدت أهلك؟ فأعرض عنهم، ثم أعادوا فأعرض عنهم، ثم أعادوا فأعرض عنهم، ثم قال: «إنما جعل الله تعالى الستور والخدور

والأبواب لتواري ما فيها. حسب امرىء منكم أن يسأل عما ظهر له، فأمّا ما غاب عنه فلا يسألن عن ذلك». سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المتحدّث عن ذلك كالحمارين يتسافدان في الطريق».

وعنده أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم سلمان من غيبة له فتلقّاه عمر رضي الله عنه فقال: أرضاك الله تعالى عبداً، قال: فزوّجني، قال: فسكت عنه، فقال: أترضاني لله عبداً ولا ترضاني لنفسك؟ فلما أصبح أتاه قوم عمر فقال: حاجة؟ قالوا: نعم، قال: وما هي؟ إذاً تُقضى، قالوا: تُضرب عن هذا الأمر ـ يعنون خطبته إلى عمر ـ، فقال: أما ـ والله ـ ما حملني على هذا إمرته ولا سلطانه، ولكن قلت: رجل صالح عسى الله أن يخرج مني ومنه نَسَمة صالحة، قال: فتزوج في كندة فذكر الحديث نحوه. وأخرجه الطبراني (6/ 6050) عن ابن عباس مختصراً، وفي إسنادهما الحجاج بن فَروخ وهو ضعيف، كما قال الهيثمي (4/ 291).

* * *

نكاح أبي الدرداء رضي الله عنه

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 200) عن ثابت البُناني أن أبا الدرداء رضي الله عنه ذهب مع سلمان رضي الله عنه يخطب عليه امرأة من بني ليث، فدخل فذكر فضل سلمان وسابقته وإسلامه، وذكر أنه يخطب إليهم فتاتهم فلانة، فقالوا: أما سلمان فلا نزوّجه ولكنا نزوّجك. فتزوجها ثم خرج، فقال: إنه قد كان شيء وإني أستحيي أن أذكره لك. قال: وما ذاك؟ فأخبره أبو الدرداء بالخبر، فقال سلمان: أنا أحق أن أستحيي منك أن أخطبها، وكان الله تعالى قد قضاها لك. وأخرجه

الطبراني مثله، قال الهيثمي (4/ 275): ورجاله ثقات إلا أن ثابتاً لم يسمع من سلمان ولا من أبي الدرداء. انتهى.

* * *

تزويج أبي الدرداء ابنته الدرداء برجلٍ من ضعفاء المسلمين

أخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 251) عن ثابت البُناني قال: خطب يزيد بن معاوية إلى أبي الدرداء رضي الله عنه ابنته الدرداء، فردّه، فقال رجل من جلساء يزيد: أصلحك الله تأذن لي أن أتزوجها؟ قال: اغرب ويلك! قال: فأذن لي أصلحك الله، قال: نعم، قال: فخطبها فأنكحها أبو الدرداء الرجل، (قال): فسار ذلك في الناس أن يزيد خطب إلى أبي الدرداء فردّه، وخطب إليه رجل من ضعفاء المسلمين فأنكحه، قال: فقال أبو الدرداء: إني نظرت للدرداء، ما ظنكم بالدرداء إذا قامت على رأسها الخصيان!! ونظرت في بيوت يلتمع فيها بصرها، أين دينها منها يومئذ؟! وأخرجه أيضاً الإمام أحمد مثله، كما في «صفة الصفوة» (1/ 260).

* * *

تزويج علي بن أبي طالب ابنته أم كلثوم بعمر بن الخطاب رضي الله عنهم

أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور عن أبي جعفر رضي الله عنه قال: خطب عمر رضي الله عنه إلى علي رضي الله عنه ابنته، فقال: إنها صغيرة. فقيل لعمر: إنما يريد بذلك منعها. فكلّمه، فقال علي: أبعث

بها إليك فإن رضيت فهي امرأتك. فبعث إليه فكشف عن ساقها فقالت له: أرسل فلولا أنك أمير المؤمنين لصككتُ عينك. كذا في «الكنز» (8/ 291). وأخرجه ابن عمر المقدسي عن محمد بن علي نحوه، كما في «الإصابة» (4/ 492).

وعند ابن سعد عن محمد أن عمر خطب أم كلثوم رضي الله عنها إلى علي، فقال: إنما حبست بناتي على بني جعفر. فقال: زوِّجنيها - فوالله - ما على ظهر الأرض رجل يَرْصُدُ من كرامتها ما أرصد. قال: قد فعلت، فجاء عمر إلى المهاجرين فقال: زُفُّوني فزفُّوه، فقالوا: بمن تزوجت؟ قال: بنت علي، إن النبي ﷺ قال: «كل نسب وسبب سيقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي» وكنت قد صاهرت فأحببت هذا أيضاً. ومن طريق عطاء الخراساني أن عمر أمهرها أربعين ألفاً. كذا في «الإصابة».

* * *

تزويج عدي بن حاتم ابنته لعمرو بن حريث رضي الله عنهم

أخرج ابن عساكر عن الشَّعبي أن عمرو بن حريث رضي الله عنه خطب إلى عدي بن حاتم رضي الله عنه فقال: لا أزوجك إلا على حكمي، فقال: وما هو؟ قال: لقد كان لكم في رسول الله ﷺ (أسوة حسنة)، حكمت عليك بمهر عائشة رضي الله عنها ثمانين وأربعمائة درهم.

وعنده أيضاً عن حُميد بن هلال قال: خطب عمرو بن حريث إلى عدي بن حاتم فقال: عرِّفني ما حكمت به عليَّ؟ فأرسل إليه أني حكمت

بأربعمائة درهم وثمانين درهماً سنة رسول الله ﷺ. كذا في «الكنز» (8/ 299).

* * *

نكاح بلال وأخيه رضي الله عنهما

أخرج ابن سعد (3/ 237) عن الشَّعبي قال: خطب بلال رضي الله عنه وأخوه إلى أهل بيت من اليمن، فقال: أنا بلال وهذا أخي، عبدان من الحبشة، كنّا ضالِّين فهدانا الله، وكنَّا عبدين فأعتقنا الله، إن تنكحونا فالحمد لله وإن تمنعونا فالله أكبر.

وعن عمرو بن ميمون عن أبيه أن أخاً لبلال كان ينتمي إلى العرب، ويزعم أنه منهم، فخطب امرأة من العرب فقالوا: إن حضر بلال زوَّجناك، قال: فحضر بلال فتشهَّد وقال: أنا بلال بن رباح وهذا أخي، وهو امرؤ سوء في الخلق والدين، فإن شئتم أن تزوِّجوه، وإن شئتم أن تدعوا فدعوا. فقالوا: من تكون أخاه نزوّجه. فزوَّجوه.

* * *

الإنكار على من تشبه بالكفرة في النكاح

أخرج أبو الشيخ في «كتاب النكاح» عن عروة بن رُوَيم أن عبد الله بن قُرْط الثُّمالي رضي الله عنه كان يَعسُّ بحمص ذات ليلة ـ وكان عاملاً لعمر رضي الله عنه ـ فمرَّت به عروس وهم يوقدون النيران بين يديها، فضربهم بدرته حتى تفرقوا عن عروسهم، فلما أصبح قعد على منبره فحمد الله وأثنى عليه فقال: إنَّ أبا جندلة نكح أمامة فصنع لها

حثيات من طعام، فرحم الله أبا جندلة وصلى على أُمامة، ولعن الله عروسكم البارحة! أوقدوا النيران، وتشبَّهوا بالكفرة والله مطفىء نورهم. قال: وعبد الله بن قُرط من أصحاب النبي ﷺ. كذا في «الإصابة» (4/ 38).

* * *

الصَّدَاقُ

أخرج ابن سعد (8/ 161) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان صَدَاق رسول الله ﷺ اثنتي عشرة أوقية ونَشّاً، فذلك خمسمائة درهم، قالت عائشة: الأوقية أربعون والنشّ عشرون.

أخرج سعيد بن منصور وأبو يعلى والمحاملي عن مسروق قال: ركب عمر رضي الله عنه المنبر فقال عمر: لا أعرف من زاد الصداق على أربعمائة درهم، فقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه وإنما الصَّدُقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى أو مكرُمة لما سبقتموهم إليها. ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في صدقاتهن على أربعمائة؟ قال: نعم، قالت: أما سمعت الله يقول في القرآن: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: 20] ـ الآية. فقال: اللهمَّ غَفْراً، كل الناس أفقه من عمر. ثم رجع فركب المنبر فقال: يا أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا في صدقاتهن على أربعمائة، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب أو ما طابت نفسه فليفعل. كذا في «الكنز» (8/ 298). قال الهيثمي (4/ 284): رواه أبو يعلى في «الكبير» وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف وقد وُثِّق ـ انتهى. وأخرجه ابن سعد (8/ 161) من طريق عطاء الخراساني أخصر منه.

وأخرجه سعيد بن منصور البيهقي عن الشَّعبي قال: خطب عمر بن

الخطاب فحمد الله وأثنى عليه وقال: ألا لا تغالُوا في صَدَاق النساء، وإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله ﷺ أو سيق إليه إلاَّ جعلت فضل ذلك في بيت المال، ثم نزل فعرضت له امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين لكتاب الله أحقُّ أن يتبع أم قولك؟ قال: كتاب الله فما ذاك؟ قالت: نهيت الناس آنفاً أن يتغالَوا في صَدَاق النساء والله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا﴾، فقال عمر: كل أحد أفقه من عمر - مرتين أو ثلاثاً -، ثم رجع إلى المنبر فقال للناس: إنِّي كنت نهيتكم أن تغالوا في صَدَاق النساء فليفعل رجل في ماله ما بدا له.

وعند أبي عمر بن فَضالة في «أماليه» عن عمر قال: لو كان المهر سناءً ورفعة في الآخرة كان بنات النبي ﷺ ونساؤه أحقَّ بذلك. كذا في «كنز العمال» (8/ 298).

وأخرج ابن أبي شَيْبة (31/ 23) عن ابن سيرين أن عمر رضي الله عنه رخّص أن تُصْدق المرأة ألفين، ورخَّص عثمان رضي الله عنه في أربعة آلاف. كذا في «الكنز» (8/ 298).

وأخرج ابن أبي شيبة عن نافع قال: تزوَّج ابن عمر رضي الله عنهما صفيّة رضي الله عنها على أربعمائة درهم، فأرسلت إليه أن هذا لا يكفينا، فزادها مائتين سراً من عمر، كذا في «الكنز» (8/ 298).

وأخرج الطبراني (3/ 2564) عن ابن سيرين قال: تزوّج الحسن بن علي رضي الله عنهما امرأة قال: فأرسل إليها بمائة جارية مع كل جارية ألف درهم؛ قال الهيثمي (4/ 284): رجاله رجال الصحيح. انتهى.

* * *

معاشرة النساء والرجال والصبيان

أخرج أبو يعلى (7/ 4476) عن عائشة رضي الله عنها قالت: أتيت النبي ﷺ بحريرة قد طبختها له، فقلت لسودة - والنبي ﷺ بيني وبينها -: كُلي، فأبت، فقلت: لتأكُلِنَّ أو لأُلَطِّخَنَّ وجهك، فأبت، فوضعت يدي على الحريرة فطليت وجهها، فضحك النبي ﷺ فوضع بيده لها وقال لها: «الطخي وجهها» (فلطخت وجهي) فضحك النبي ﷺ لها، فمرّ عمر رضي الله عنه فقال: يا عبد الله، يا عبد الله، فظن (النبي ﷺ) أنه سيدخل، فقال: قوما فاغسلا وجوهكما. قالت عائشة: فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ (إياه). قال الهيثمي (4/ 316): رجاله رجال الصحيح خلا محمد بن عمرو بن علقمة وحديثه حسن. اهـ. وأخرجه ابن عساكر مثله، كما في «المنتخب» (4/ 393). وابن النجار بنحوه، كما في «الكنز» (7/ 302). وفي رواية: فخفض لها ركبته لتستقيد مني، فتناولت من الصحفة شيئاً فمسحت به وجهي ورسول الله ﷺ يضحك.

وأخرج أبو يعلى (7160) عن رزينة رضي الله عنها - مولاة رسول الله ﷺ - أن سودة اليمانية جاءت عائشة تزورها وعندها حفصة بنت عمر رضي الله عنهما فجاءت سودة في هيئة وفي حالة حسنة، وعليها بُرْدة من دروع اليمن وخمار كذلك، وعليها نقطتان مثل الفرستين من صبر وزعفران إلى مُوقِها - قالت عليلة: وأدركتُ النساء يتزيَنَّ به - فقالت حفصة لعائشة: يا أمَّ المؤمنين يجيء رسول الله ﷺ وهذه بيننا

تبرُق. فقالت أم المؤمنين: أتَّقي الله يا حفصة، فقالت: لأفسدنَّ عليها زينتها. قالت: ما تقلنَ؟ ـ وكان في أذنها ثِقل ـ، قالت لها حفصة: يا سودة خرج الأعور، قالت: نعم. ففزعت فزعاً شديداً فجعلت تنتفض، قالت: أين أختبيء؟ قالت: عليك بالخيمة ـ خيمة لهم من سعف يختبئون فيها ـ، فذهبت فاختبأت فيها؛ وفيها القذر ونسيج العنكبوت، فجاء رسول الله ﷺ وهما تضحكان لا تستطيعان أن تتكلما من الضحك، فقال: «ماذا الضحك؟» ثلاث مرات، فأومأتا بأيديهما إلى الخيمة، فذهب فإذا سودة تُرعَد، فقال لها: «يا سودة ما لك؟ قالت: يا رسول الله خرج الأعور! قال: «ما خرج وليخرجنَّ، ما خرج وليخرجنَّ»، فأخرجها فجعل ينفض عنها الغبار ونسيج العنكبوت، قال الهيثمي (4/ 316): رواه أبو يعلى والطبراني إلا أنه قال: فقالت حفصة لعائشة: يدخل علينا رسول الله ﷺ ونحن فسقتين وهذه بيننا تبرُق، وفيه من لم أعرفهم. انتهى.

وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن عائشة أن النبي ﷺ كان جالساً فسمع ضوضاء الناس والصبيان، فإذا حبشيَّة تزفِن والناس حولها، فقال: «يا عائشة تعالي فانظري» فوضعت خدي على منكبيه فجعلت أنظر ما بين المنكبين إلى رأسه، فجعل يقول: «يا عائشة ما شبعت؟» فأقول: لا. لأنظر منزلتي عنده، فلقد رأيته يراوح بين قدميه، فطلع عمر فتفرق الناس والصبيان، فقال رسول الله ﷺ: «رأيت شياطين الإنس والجن فرُّوا من عمر» ـ فذكر الحديث، كما في «المنتخب» (4/ 393).

وعند الشيخين عنها، كما في «المشكاة» (ص272) قالت: والله: لقد رأيت النبي ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد، ورسول الله ﷺ يسترني بردائه لأنظر إلى لعبهم بين أذنه

وعاتقه، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدُروا قَدْر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو.

وأخرج البخاري عن عائشة أنَّ رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش رضي الله عنها ويشرب عندها عسلاً، فتواطأتُ أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل له: إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير، فدخل على إحداهما النبي ﷺ فقالت ذلك، فقال: «لا، بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له»، فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ [التحريم: 1] - إلى قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم: 6] لعائشة وحفصة، ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ لقوله: «بل شربت عسلاً»، وقال إبراهيم بن موسى عن هشام: «ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً» وأخرجه مسلم مثله.

وعند البخاري أيضاً عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى والعسل، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهنّ، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فغرت فسألت عن ذلك فقيل لي: أهدتِ لها امرأة من قومها عُكَّة عسل، فسقت النبي ﷺ منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالنَّ له. فقلت لسودة بنت زمعة: إنه سيدنو منك، فإذا دنا منك فقولي: أكلت مغافير؟ فإنه سيقول لك: لا، فقولي له: ما هذه الريح التي أجد؟ فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي: جَرَست نحلة العرفط، وسأقول ذلك، وقولي له أنت يا صفية ذلك. قالت: تقول سودة: فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أناديه بما أمرتني فرقاً منك، فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله أكلت مغافير؟ قال: «لا»، قالت: فما هذه

الريح التي أجد منك؟ قال: «سقتني حفصة شربة عسل»، قالت: جَرَست نحلةُ العرفطَ. فلما دار إليَّ قلت نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت له: يا رسول الله ألا أسقيك منه؟ قال: «لا حاجة لي فيه». قالت: تقول سودة: والله لقد حَرَمناه. قلت لها: اسكتي. وأخرجه مسلم كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 387) وأبو داود كما في جمع الفوائد (1/ 229) وابن سعد (8/ 85).

وأخرج أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ حتى حج عمر وحججت معه، فلمَّا كنَّا ببعض الطريق عدل عمروعدلت معه بالإداوة، فتبرَّز ثم أتاني، فسكبت على يديه فتوضأ، فقلت: يا أميرالمؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾؟ فقال عمر: واعجباً لك يا بن عباس - قال: هما: حفصة، وعائشة، قال: ثم أخذ يسوق الحديث قال: كنّا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلَّمن من نسائهم، قال: وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي، قال: فتغضَّبت يوماً على امرأتي فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني فقالت: ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل. قال: فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت: أتراجعين رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم، قلت: وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل؟ قالت: نعم، قلت: قد خاب من فعل ذلك منكنَّ وخسر! أَفَتَأْمَنُ إحداكنَّ أن يغضب الله عليها لغضب رسوله؟ فإذا هي قد هلكت! لا تراجعي رسول الله ولا تسأليه شيئاً وسليني ما بدا لك، ولا

يغرنَّك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك ـ يريد عائشة ـ.

قال: وكان لي جار من الأنصار، وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً، فيأتيني بخبر الوحي وغيره، وآتيه بمثل ذلك، قال: وكنَّا نتحدَّث أن غسان تُنعِل الخيل لتغزونا، فنزل صاحبي يوماً ثم أتاني عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت إليه، فقال: حدث أمر عظيم! فقلت: وماذا؟ أجاءت غسان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأطول؟ طلَّق الرسول نساءه، فقلت: قد خابت حفصة وخسرت! قد كنت أظن هذا كائناً، حتى إذا صليت الصبح شددت عليَّ ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي، فقلت: أطلقكنَّ رسول الله ﷺ، فقالت: لا أدري هو هذا معتزل في هذه المشربة، فأتيت غلاماً له أسود فقلت: استأذن لعمر، فدخل الغلام ثم خرج إليَّ فقال: قد ذكرتك له فصمت. فانطلقت حتى أتيت المنبر فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم، فجلست قليلاً ثم غلبني ما أجد، فأتيت الغلام فقلت: استأذن لعمر، فدخل الغلام ثم خرج عليَّ فقال: قد ذكرتك له فصمت، فولّيت مدبراً فإذا الغلام يدعوني، فقال: ادخل فقد أذن لك. فدخلت فسلَّمت على رسول الله ﷺ فإذا هو متكىء على رمل حصير ـ قال أحمد وحدثنا يعقوب في حديث صالح قال: رمال حصير قد أثَّر في جنبه ـ فقلت: أطلَّقت يا رسول الله نساءك؟ فرفع رأسه إليَّ وقال: «لا»، فقلت: الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله، وكنا معشر قريش قوماً نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلَّمن من نسائهم، فتغضَّبت على امرأتي يوماً فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت: ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج رسول الله ﷺ

ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل. فقلت: قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر، أفتأمن إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله؟ فإذا هي قد هلكت. فتبسم رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله فدخلت على حفصة فقلت: لا يغرك إن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك. فتبسَّم أخرى، فقلت: أستأنس يا رسول الله؟ قال: «نعم»، فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر إلا أهبَة ثلاثة، فقلت: ادع يا رسول الله أن يوسّع على أمتك، فقد وسَّع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله. فاستوى جالساً ثم قال: «أفي شك أنت يا بن الخطاب؟ أولئك قوم عُجِّلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا». فقلت: استغفر لي يا رسول الله، وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدّة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل، وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

وعند مسلم أيضاً عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه دخلت المسجد فإذا الناس ينكتُون بالحصى ويقولون: طلَّق رسول الله نساءه. وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب، فقلت: لأعلمنَّ ذلك اليوم ـ فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ووعظه إياهما إلى أن قال: فدخلت فإذا أنا برسول الله ﷺ على أسكفة المشربة فناديت فقلت: يا رباح استأذن لي على رسول الله ﷺ ـ فذكر نحو ما يتقدَّم إلى أن قال: فقلت: يا رسول الله ما يشقُّ عليك من أمر النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلّما تكلّمت ـ وأحمد الله ـ بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدِّق قولي، فنزلت هذه الآية آية التخيير: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: 5] ـ ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: 4] فقلت: أطلقتهنَّ؟ قال: «لا»، فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلِّق نساءه ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83] فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر؛ كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 389). وأخرج الحديث أيضاً عبد الرزاق وابن سعد وابن حِبّان والبيهقي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم، كما في «الكنز» (1/ 269).

وأخرج أحمد عن جابر رضي الله عنه قال: أقبل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ والناس ببابه جلوس، والنبي ﷺ جالس فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر رضي الله عنه فاستأذن له فلم يؤذن، ثم أذن لأبي بكر وعمر فدخلا والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو ﷺ ساكت، فقال عمر: لأكلمنَّ النبي ﷺ لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد ـ امرأة عمر ـ سألتني النفقة آنفاً فوجأت عنقها، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: «هنَّ حولي يسألنني النفقة». فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة، كلاهما يقولان: تسألان النبي ﷺ ما ليس عنده. فنهاهما رسول الله ﷺ فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده. قال: وأنزل الله عز وجل الخيار، فبدأ بعائشة فقال: «إني أذكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك»، قالت: وما هو؟ قال: فتلا عليها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب: 28] ـ الآية، قالت عائشة: أفيك استأمر أبويَّ؟ بل أختار الله تعالى ورسوله، وأسألك أن لا تذكر لامرأة من نسائك ما اخترت. فقال ﷺ: «إنَّ الله تعالى لم يبعثني معنِّفاً ولكن بعثني معلماً

ميسّراً، لا تسألني امرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها». وأخرجه مسلم والنسائي.

وعند ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت عائشة: أُنزلت آية التخيير، فبدأ بي أول امرأة من نسائه فقال ﷺ: «إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن تعجَلي حتى تستأمري أبويك»، قالت: وقد علم أن أبويَّ لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله تبارك وتعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ ـ الآيتين، قالت عائشة: فقلت: أفي هذا أستأمر أبويَّ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. ثم خيَّر نساءه كلَّهن، فقلن مثل ما قالت عائشة؛ وأخرجه البخاري ومسلم من عائشة مثله. وعندهما أيضاً وأحمد ـ واللفظ له ـ عن عائشة قالت: خيَّرنا رسول الله ﷺ فاخترناه فلم يَعُدَّها علينا شيئاً، كذا في «التفسير» لابن كثير (3/ 481).

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت عليَّ غضبى»، فقلت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: «إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا وربِّ محمد، وإذا كنت عليَّ غضبَى قلت: لا ورب إبراهيم». قالت: أجل، والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك، كذا في «المشكاة» (ص272).

وأخرج أبو داود عن عائشة أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر قالت: فسابقته فسبقته على رجليَّ، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني، قال: «هذه بتلك السبقة»؛ كذا في «المشكاة» (ص273).

وأخرج ابن النجار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تضيفتُ ميمونة رضي الله عنها وهي ليلتئذ لا تصلّي، فجاءت بكساء، ثم جاءت

بكساء آخر فطرحته عند رأس الفراش، ثم اضطجعت ومدَّت الكساء عليها وبسطت لي بسيطاً إلى جنبها، فتوسدت معها على وسادها، فجاء النبي ﷺ وقد صلَّى العشاء الآخرة فانتهى إلى الفراش، فأخذ خرقة عند رأس الفراش فاتَّزر بها، وخلع ثوبيه فعلَّقهما، ثم دخل معها في لحافها، حتى إذا كان في آخر الليل قام إلى سقاء معلَّق فحلَّه، ثم توضأ منه، فهممت أن أقوم فأصبّ عليه، ثم كرهت أن يرى أني كنت مستيقظاً، ثم جاء إلى الفراش فأخذ ثوبيه وخلع الخرقة، ثم قام إلى المسجد فقام يصلِّي، فقمت فتوضأت ثم جئت فقمت عن يساره، فتناولني بيده من ورائه فأقامني عن يمينه، فصلَّى وصلَّيت معه ثلاث عشرة ركعة، ثم جلس وجلست إلى جنبه، فأصغى بخده إلى خدي حتى سمعت نفس النائم، ثم جاء بلال رضي الله عنه قال: الصلاة يا رسول الله، فقام إلى المسجد فأخذ في الركعتين وأخذ بلال في الإقامة. كذا في «الكنز» (5/ 119).

وأخرج البيهقي وابن النجار عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ فقال لها: «من أنت؟» قالت: جَثَّامة المزنية، قال: «بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟». قالت: بخير ـ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ـ فلما خرجت قلتُ: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟! فقال: «يا عائشة إنَّها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان».

وعند البيهقي أيضاً عنها قالت: كانت عجوز تأتي النبي ﷺ فيهش بها ويكرمها، فقلت: بأبي أنت وأمي إنك لتصنع بهذه العجوز شيئاً لا تصنعه بأحد! قال: «إنا كانت تأتينا عند خديجة، أما علمت أن كرم الودِّ من الإيمان». كذا في «الكنز» (7/ 115).

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص188) عن أبي الطفيل رضي الله

عنه قال: رأيت النبي ﷺ يقسم لحماً بالجِعْرانة وأنا يومئذ غلام أحمل عضو البعير، فأتته امرأة فبسط لها رداءه قلت: من هذه؟ قال: أمه التي أرضعته.

وأخرج الطبراني والبزّار وابن السنّي وأبو نعيم وسعيد بن منصور عن عمرو رضي الله عنه قال: دخلتُ على النبي ﷺ وغُلَيِّم له حبشي يغمز ظهره، فقلت: يا رسول الله أتشتكي شيئاً؟ قال: «إن الناقة تقحَّمت بي البارحة». كذا في «الكنز» (4/ 44).

وأخرج ابن سعد (3/ 153) عن القاسم بن عبد الرحمن قال: كان عبد الله (بن مسعود) رضي الله عنه يُلبس رسول الله ﷺ نعليه، ثم يمشي أمامه بالعصا حتى إذا أتى مجلسه نزع نعليه فأدخلهما في ذراعيه وأعطاه العصا، فإذا أراد رسول الله ﷺ أن يقوم ألبسه نعليه، ثم مشى بالعصا أمامه حتى يدخل الحجرة قبل رسول الله ﷺ.

وعنده أيضاً عن أبي المليح قال: كان عبد الله يستر رسول الله ﷺ إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام، ويمشي معه في الأرض وحشاً.

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو نعيم عن أنس رضي الله عنه يقول: قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، ومات وأنا ابن عشرين سنة، وكن أمهاتي يحثثني على خدمته.

وعند ابن سعد وابن عساكر عن ثمامة قال: قيل لأنس: أشهدت بدراً؟ قال: وأين أغيب عن بدر لا أمَّ لك! قال محمد بن عبد الله الأنصاري: خرج أنس بن مالك مع رسول الله ﷺ حين توجه إلى بدر وهو غلام يخدم النبي ﷺ، كذا في «المنتخب» (5/ 141).

وأخرج البزّار (2445) عن أنس قال: كان عشرون شاباً من

الأنصار يلزمون رسول الله ﷺ لحوائجه، فإذا أراد أمراً بعثهم فيه. وفيه من لم أعرفهم. قاله الهيمثي (9/ 22).

وعنده أيضاً (2446) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: كان لا يفارق النبي ﷺ أو باب النبي ﷺ خمسة أو أربعة من أصحابه. وفيه موسى بن عبيدة الرَّبَذي وهو ضعيف، كما قال الهيثمي.

وعنده أيضاً (2448) عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: كنا نتناوب رسول الله ﷺ تكوّن له الحاجة أو يرسلنا في الأمر، فيكثر المحتسبون وأصحاب النُّوَب، فخرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الدجَّال فقال: «ما هذه النجوى؟ ألم أنهكم عن النجوى؟» ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف، كما قال الهيثمي.

وعنده أيضاً (2448) عن عاصم بن سفيان أنه سمع أبا الدرداء رضي الله عنه أو أبا ذر رضي الله عنه قال: استأذنت رسول الله ﷺ أن أبيت على بابه يوقظني لحاجته، فأذن لي فبت ليلة. ورجاله ثقات كما قال الهيثمي (9/ 22).

وأخرج ابن عساكر عن حذيفة رضي الله عنه قال: صلَّيت مع النبي في شهر رمضان، فقام يغتسل وسترته، ففضلت منه فضلة في الإناء فقال: «إن شئت فارفعه وإن شئت فصبّ عليه». قلت: يا رسول الله هذه الفضلة أحب إليَّ مما أصب عليه. فاغتسلت به وسترني، قلت: لا تسترني. قال: «بلى، لأسترنَّك كما سترتني»، كذا في «المنتخب» (5/ 164).

وأخرج مسلم (2/ 254/ح2316) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ. قال: كان

إبراهيم مسترضعاً له في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وإنَّه ليدخّن، وكان ظِئْرُه قيناً، فيأخذه فيقبله ثم يرجع، قال عمرو: فلما توفي إبراهيم قال رسول الله ﷺ: «إنَّ إبراهيم ابني، وإنَّه مات في الثدي، وإنَّ له لظئرين يكملان رضاعه في الجنة». وأخرجه أحمد كما في «البداية» (6/ 45).

وأخرج أحمد عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصفُّ عبد الله وعبيد الله وكثير بن العباس رضي الله عنهم ثم يقول: «مَنْ سبق إليَّ فله كذا وكذا» قال: فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم. قال الهيثمي (9/ 17): رواه أحمد وإسناده حسن.

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قدم من سفر تُلُقي بصبيان أهل بيته، وإنه جاء من سفر فسبق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة الحسن أو الحسين رضي الله عنهم فأردفه خلفه، فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة.

وعنده أيضاً عنه قال: مرّ بي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الصبيان فحملني أنا وغلاماً من بني العباس على الدابة، فكنا ثلاثة.

وعنده أيضاً عنه قال: لو رأيتني وقُثماً وعبيد الله ابني عباس ونحن صبيان نلعب، إذ مرّ رسول الله ﷺ على دابة فقال: «ارفعوا هذا إليَّ» فجعلني أمامه وقال: «ارفعوا هذا إليَّ» فجعله وراءه، وكان عبيد الله أحب إلى عباس من قُثَم، فما استحيى من عمه أن حمل قثماً وتركه، قال: ثم مسح على رأسي ثلاثاً، كلما مسح قال: «اللهمَّ اخلف جعفراً في ولده» كذا في «المنتخب» (5/ 222).

وأخرج أبو يعلى عن عمر ـ يعني ابن الخطاب رضي الله عنه ـ قال: رأيت الحسن والحسين رضي الله عنهما على عاتقي النبي ﷺ فقلت: نعم الفرس تحتكما، فقال النبي ﷺ: «ونعم الفارسان هما» كذا في «الكنز» (7/ 106) و«المجمع» (9/ 182) ورجاله رجال الصحيح، كما في «المجمع» وقال: ورواه البزّار (2621) بإسناده ضعيف، وأخرجه ابن شاهين كما في «الكنز».

وعند ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج النبي ﷺ حامل الحسن رضي الله عنه على عاتقه، فقال له رجل: يا غلام نعم المركب ركبت. فقال النبي ﷺ: «ونعم الراكب هو» كذا في «الكنز» (7/ 104).

وعند الطبراني عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يصلّي فجاء الحسن والحسين أو أحدهما رضي الله عنهما، فركب على ظهره، فكان إذا رفع رأسه قال بيده فأمسكه أو أمسكهما، قال: «نعم المطية مطيتكما» قال الهيثمي (9/ 182): وإسناده حسن.

وعنده أيضاً عن جابر رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يمشي على أربع وعلى ظهره الحسن والحسين رضي الله عنهما وهو يقول: «نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما» قال الهيثمي (9/ 182): وفيه مسروح أبو شهاب وهو ضعيف. اهـ.

وأخرج الطبراني عن سلمان رضي الله عنه قال: كنّا حول رسول الله ﷺ فجاءت أم أيمن رضي الله عنها فقالت: يا رسول الله لقد ضلّ الحسن والحسين، قال: وذاك رأدَ النهار ـ يقول ارتفاع النهار ـ، فقال النبي ﷺ: «قوموا فاطلبوا ابنيَّ» وأخذ كل رجل تجاه وجهه، وأخذت نحو النبي ﷺ، فلم يزل حتى أتى سفح جبل وإذا الحسن

والحسين ملتزق كل واحد منهما صاحبه، وإذا شجاع قائم على ذنبه يخرج من فيه شرر النار، فأسرع إليه رسول الله ﷺ، فالتفت مخاطباً لرسول الله ﷺ ثم انساب فدخل بعض الأحجار، ثم أتاهما فَفَرَّق بينهما، ثم مسح وجوههما وقال: «بأبي وأمي أنتما ما أكرمكما على الله» ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن والآخر على عاتقه الأيسر فقلت: طوباكما نعم المطية مطيتكما، فقال رسول الله ﷺ: «ونعم الراكبان هما، وأبوهما خير منهما» قال الهيثمي (9/ 182): وفيه أحمد بن راشد الهلالي وهو ضعيف. اهـ. وأخرجه الطبراني عن يَعْلى بن مرّة مثله، كما في «الكنز» (7/ 107).

وأخرج الطبراني (3/ 1589) عن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فدعينا إلى طعام، فإذا الحسين رضي الله عنه يلعب في الطريق مع صبيان، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يده، فجعل حسين يفر ههنا وههنا، فيضاحكه رسول الله ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه وأذنيه، ثم اعتنقه وقبّله، ثم قال: «حسين مني وأنا منه، أحبَّ الله من أحبَّه، الحسن والحسين سبطان من الأسباط». كذا في «الكنز» (7/ 107).

* * *

معاشرة أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 106) عن أبي إسحاق السبيعي قال: دخلت امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه على نساء النبي ﷺ سيئة الهيئة في أخلاق لها، فقلن لها: ما لك؟ فقالت: أمّا الليل فقائم وأمّا النهار فصائم. فأخبر النبي ﷺ بقولها، فلقي عثمان بن مظعون فلامه فقال: «أما لك بي أُسوة؟» قال: بلى، جعلني الله فداك. فجاءت بَعْدُ حسنة الهيئة طيبة الريح. وقالت حين قبض:

يا عينُ جودي بدمعٍ غيرِ ممنونِ
على رزية عثمان بن مظعونِ
على امرىءٍ باتَ في رضوان خالقه
طوبى له من فقيدِ الشخص مدفون
طابَ البقيعُ له سُكْنَى وغرقده
واشرقَتْ ارضُه من بعد تفتينِ
وأورثَ القلبَ حزناً لا انقطاعَ لهُ
حتى الممات فمَا ترقَى له شوني

وأخرجه ابن سعد (3/ 394) عن أبي بردة رضي الله عنه بمعناه، وعبد الرزاق عن عروة بنحوه، كما في «الكنز» (8/ 305) إلا أنهما لم يذكرا الأشعار، وسمّى عروة امرأته خولة ابنة حكيم، وذكر أنها دخلت

على عائشة رضي الله عنها وفي حديثه: فقال: «يا عثمان إنَّ الرهبانية لم تكتب علينا، أفما لك فيَّ أسوة حسنة؟ فوالله إنَّ أخشاكم وأحفظكم لحدوده لأنا».

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 285) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: زوجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلت عليَّ جعلت لا أنحاش لها مما بي من القوة على العبادة من الصوم والصلاة، فجاء عمرو بن العاص إلى كَنَّته حتى دخل عليها فقال لها: كيف وجدت بعلك؟ قالت: خير الرجال ـ أو كخير البعولة ـ من رجل لم يفتش لنا كنفاً، ولم يقرب لنا فراشاً. فأقبل عليَّ فعذمني، وعضني بلسانه فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب، فعضلتها وفعلت! ثم انطلق إلى النبي ﷺ فشكاني، فأرسل إليَّ النبي ﷺ فأتيته، فقال لي: «أتصوم النهار»؟ قلت: نعم، قال: «فتقوم الليل»؟ قلت: نعم، قال: «ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأمسُّ النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» ثم قال: «اقرأ القرآن في كل شهر». قلت: إني أجدني أقوى من ذلك، قال: «فاقرأه في كل عشرة أيام». قلت: إنِّي أجدني أقوى من ذلك، قال: «فاقرأه في كل ثلاث». ثم قال: صُمْ في كل شهر ثلاثة أيام». قلت: إني أقوى من ذلك، فلم يزل يرفعني حتى قال: «صُمْ يوماً وأفطر يوماً؛ فإنه أفضل الصيام وهو صيام أخي داود عليه السلام»، قال حُصَين في حديثه: ثم قال النبي ﷺ: «إن لكل عابد شِرَّة، وإن لكل شِرَّة فَتْرة، فإمَّا إلى سُنَّة وإمَّا إلى بدعة، فمن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك». قال مجاهد: وكان عبد الله بن عمرو حين ضعف وكبر يصوم الأيام كذلك، يصل بعضها إلى بعض ليتقوى بذلك، ثم يفطر بعد ذلك الأيام، قال: وكان يقرأ من أحزابه

كذلك يزيد أحياناً وينقص أحياناً، غير أنه يوفي به العدّة، إما في سبع وإما في ثلاث، ثم كان يقول بعد ذلك: لأن أكون قبلت رخصة رسول الله ﷺ أحب إليَّ مما عدل به - أو عدل -، لكنّي فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره. وأخرجه أيضاً البخاري وانفرد به، كما في «صفة الصفوة» (1/ 271) بنحوه مطوّلاً.

وأخرج البخاري (1/ 264/ 1968) عن أبي جُحَيفة رضي الله عنه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء رضي الله عنها مُتَبَذِّلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال: كل، فإني صائم. قال: ما أنا بآكل، حتى تأكل. فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصلّيا، فقال له سلمان: إنَّ لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، وأهلك عليك حقاً؛ فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه. فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان». وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 188) عن أبي جُحَيفة بنحوه مع زيادات وأبو يعلى (6/ 6065) كما في «الكنز» (1/ 137) والترمذي (2413) والبزّار وابن خزيمة والدارقطني والطبراني وابن حِبّان (320) كما في «فتح الباري» (4/ 151)، وأخرجه ابن سعد (4/ 85) بألفاظ مختلفة.

وأخرج ابن سعد (8/ 250) عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: تزوجني الزبير رضي الله عنه وما له في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه، قالت: فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤونته وأسوسه، وأدقُّ النوى لناضحه وأعلفه، وأسقيه الماء، وأخرز غربه

وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز فكان يخبز جارات لي من الأنصار؛ وكن نسوة صِدْق، قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي على ثلثي فرسخ، قالت: فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ومعه نفر من أصحابه، فدعاني ثم قال: «إخْ إخْ» ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغَيرته ـ قالت: وكان من أغْيَر الناس ـ، قالت: فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت، فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب معه، فاستحييت وعرفت غَيْرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد عليَّ من ركوبك معه. قالت: حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني.

وعنده أيضاً (8/ 251) عن عكرمة أن أسماء بنت أبي بكر كانت تحت الزبير بن العوام، وكان شديداً عليها، فأتت أباها فشكت ذلك إليه، فقال: يا بنية اصبري فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها فلم تزوَّج بعده جمع بينهما في الجنة.

وأخرج الطيالسي والبخاري في «تاريخه» والحاكم في «الكُنَى» عن كَهْمَس الهلالي قال: كنت عند عمر رضي الله عنه، فبينما نحن جلوس عنده إذ جاءت امرأة، فجلست إليه فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي قد كثر شره وقلَّ خيره. فقال لها: من زوجك؟ قالت: أبو سلمة، قال: إن ذاك رجل له صحبة وإنه لرجل صدق. ثم قال عمر لرجل عنده جالس: أليس كذلك؟ قال: يا أمير المؤمنين لا نعرفه إلا بما قلت. فقال لرجل: قم فادعُه لي. فقامت المرأة حين أرسل إلى زوجها فقعدت خلف عمر، فلم يلبث أن جاءا معاً حتى جلس بين يدي عمر، فقال عمر: ما

تقول هذه الجالسة خلفي؟ قال: ومن هذه يا أمير المؤمنين قال: هذه امرأتك، قال: وتقول ماذا؟ قال: تزعم أنه قلّ خيرك وكثر شرك. قال: قد بئسما قالت يا أمير المؤمنين! إنها لمن صالح نسائها، أكثرهن كسوة، وأكثرهن رفاهية بيت، ولكن فحلها بلي. فقال عمر للمرأة: ما تقولين؟ قالت: صدق، فقام عمر إليها بالدرّة فتناولها بها ثم قال: أي عدوّة نفسها! أكلت ماله، وأفنيت شبابه، ثم أنشأت تخبرين بما ليس فيه. قالت: يا أمير المؤمنين لا تعجل، فوالله لا أجلس هذا المجلس أبداً. فأمر لها بثلاثة أثواب فقال: خذي هذا بما صنعت بك، وإياك أن تشتكي هذا الشيخ. قال: فكأني أنظر إليها قامت ومعها الثياب، ثم أقبل على زوجها فقال: لا يحملك ما رأيتني صنعت بها أن تسيء إليها، فقال: ما كنت لأفعل، قال: فانصرفا، ثم قال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أمتي القرن الذي أنا منهم، ثم الثاني والثالث، ثم ينشأ قوم يسبق أيمانهم شهادتهم، يشهدون من غير أن يُستشهدوا، لهم لَغَطٌ في أسواقهم». قال ابن حجر: إسناده قوي، كذا في «الكنز» (8/ 303)؛ وأخرجه أيضاً أبو بكر ابن (أبي) عاصم، كما في «الإصابة» (4/ 93).

وأخرج ابن سعد عن الشَّعبي قال: جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب فقالت: أشكو إليك خير أهل الدنيا إلا رجلاً سبقه بعمل أو عمل مثل عمله. يقوم الليل حتى يصبح، ويصوم النهار حتى يمسي. ثم تجلاّها الحياء، فقالت: أقِلْني يا أمير المؤمنين. فقال: جزاك الله خيراً؛ فقد أحسنت الثناء. قد أقلتك. فلما ولّت قال كعب بن سُور: يا أمير المؤمنين لقد أبلغت إليك في الشكوى. فقال: ما اشتكت؟ قال: زوجَها، قال: عليَّ المرأة (فأرسل إلى زوجها فجاء)، فقال لكعب: اقضِ بينهما، قال: أقضي وأنت شاهد! قال: إنك قد فطنت إلى ما لم

.أفطن له، قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء: 3] صم ثلاثة أيام وأفطر عندها يوماً، وقم ثلاث ليالٍ وبتْ عندها ليلة. فقال عمر: لهَذا أعجب إليَّ من الأول؛ فبعثه قاضياً لأهل البصرة. وأخرجه اليَشْكري عن الشعبي بمعناه أطول منه وفيه: فقال لها عمر: أصدقيني ولا بأس بالحق، فقالت: يا أمير المؤمنين إني امرأة لأشتهي ما تشتهي النساء.

وعند عبد الرزاق عن قتادة قال: جاءت امرأة إلى عمر فقالت: زوجي يقوم الليل ويصوم النهار. قال: أفتأمريني أن أمنعه قيام الليل وصيام النهار؟ فانطلقت ثم عادت بعد ذلك، فقالت له مثل ذلك فرد عليها مثل قوله الأول، فقال له كعب بن سُور: يا أمير المؤمنين إنَّ لها حقاً. قال: وما حقُّها؟ قال: أحل الله له أربعاً، فاجعل واحدة من الأربع. لها في كل أربع ليالٍ ليلة، وفي كل أربعة أيام يوم؛ فدعا عمر زوجها وأمره أن يبيت معها من كل أربع ليالٍ ليلة، ويفطر من كل أربعة أيام يوماً، كذا في «الكنز» (8/ 307 و308). وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق ابن سيرين والزبير بن بكار في «الموفقيات» من طريق محمد بن معن وابن دريد في «الأخبار المنثورة» عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عبيدة وله طرق. كذا في «الإصابة» (3/ 315).

وأخرجه ابن جرير عن أبي غَرْزة رضي الله عنه أنه أخذ بيد ابن الأرقم رضي الله عنه فأدخله على امرأته، فقال: أتبغضيني؟ قالت: نعم، قال له ابن الأرقم: ما حملك على ما فعلت؟ قال: كثرت عليَّ مقالة الناس. فأتى ابن الأرقم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخبره، فأرسل إلى أبي غَرْزة فقال له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: كثرت عليَّ مقالة الناس، فأرسل إلى امرأته فجاءته ومعها عمة منكرة، فقالت: إن سألك

فقولي: استحلفني فكرهت أن أكذب. فقال لها عمر: ما حملك على ما قلت؟ قالت: إنه استحلفني فكرهتُ أن أكذب، فقال عمر: بلى فلتكذب إحداكُنّ ولتجمُل فليس كل البيوت تُبنى على الحب، ولكن معاشرة على الأحساب والإسلام. كذا في «الكنز» (8/ 303).

وأخرج وكيع عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنهما عند عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وكان يحبها حباً شديداً، فجعل لها حديقة على أن لا تَزَوَّج بعده، فرُمي بسهم يوم الطائف فانتقَض بعد وفاة رسول الله ﷺ بأربعين ليلة فمات، فرثته عاتكة فقالت:

وآليتُ لا تنفكُ عيني سخينةً
عليكَ ولا ينفكُّ جلدي أغبرَا
مدى الدهر ما غنَّت حمامةُ أيكةٍ
وما طردَ الليلُ الصَّباحَ المنوَّرا

فخطبها عمر بن الخطاب رضي الله عنه قالت: قد كان أعطاني حديقة (على) أن لا أتزوج، قال: فاستفتي. فاستفتت عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: ردِّي الحديقة إلى أهله وتزوَّجي. فتزوجها عمر فسرَّح إلى عدة من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم علي بن أبي طالب وكان أخا عبد الله بن أبي بكر من أصحاب النبي ﷺ، فقال علي لعمر: ائذن لي فأكلمها. فقال: كلمها. فقال: يا عاتكة:

وآليت لا تنفك عيني سخينة
عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

(فنشجت نشجاً عالياً) فقال عمر: غفر الله لك لا تفسد عليَّ أهلي! كذا في «الكنز» (8/ 302). وأخرجه ابن سعد بسند حسن عن يحيى بن

عبد الرحمن بن حاطب مختصراً، كما في «الإصابة» (4/ 356).

وأخرج عبد الرزاق عن ندبة مولاة ميمونة رضي الله عنها قالت: دخلت على ابن عباس رضي الله عنهما وأرسلتني ميمونة إليه، فإذا هو في بيته فراشان، فرجعت إلى ميمونة فقلت: ما أرى ابن عباس إلا مهاجراً لأهله، فأرسلت ميمونة بنت سرج الكِندي امرأة ابن عباس تسألها فقالت: ليس بيني وبينه هجر ولكني حائض. فأرسلت ميمونة إلى ابن عباس أترغب عن سنة رسول الله ﷺ؟! فقد كان رسول الله ﷺ يباشر المرأة من نسائه حائضاً تكون عليها الخرقة إلى الركبة وإلى نصف الفخذ، كذا في «الكنز» (5/ 138).

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص49) عن عكرمة قال: لا أدري أيهما جعل لصاحبه طعاماً ابن عباس أو ابن عمه، فبينا الجارية تعمل بين أيديهم إذ قال أحدهم لها: يا زانية، فقال: مَهْ إن لم تحدّك في الدنيا تحدّك في الآخرة، قال: أفرأيت إن كان كذاك؟ قال: إن الله لا يحب الفاحش المتفحِّش. ابن عباس الذي قال: إن الله لا يحب الفاحش المتفحش.

وأخرج ابن عساكر عن أبي عمران الفلسطيني قال: بينا امرأة عمرو بن العاص رضي الله عنه تفلي رأسه إذ نادت جارية لها، فأبطأت عنها، فقالت: يا زانية، فقال عمرو: رأيتها تزني؟ قالت: لا، قال: والله لتضربن لها يوم القيامة ثمانين سوطاً! فقالت لجاريتها وسألتها العفو عنها، فعفت عنها، فقال لها عمرو: ما لها لا تعفو عنك وهي تحت يدك فأعتقيها؛ فقالت: هل يجزي عن ذلك؟ قال: فلعلَّ. كذا في «الكنز» (5/ 84).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 384) عن أبي المتوكل أن أبا

هريرة رضي الله عنه كانت له زنجية قد غمتهم بعملها، فرفع عليها السوط يوماً فقال: لولا القصاص لأغشيتك به، ولكني سأبيعك ممن يوفيني ثمنك، اذهبي فأنت لله.

وأخرج أبو عبيد وابن عساكر عن عبد الله بن قيس أو ابن أبي قيس قال: كنت فيمن تلقَّى عمر رضي الله عنه مع أبي عبيدة رضي الله عنه مَقْدَمه الشام، فبينا عمر يسير إذ لقيه المُقَلِّسون من أهل أذْرِعَاتٍ بالسيوف فقال: مَهْ، ردُّوهم وامنعوهم. فقال: أبو عبيدة رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين هذه سنة العجم، فإنَّك إن تمنعهم منها يروا أن في نفسك نقضاً لعهدهم. فقال عمر: دعوهم (عمر وآل عمر) في طاعة أبي عبيدة. كذا في «الكنز» (7/ 334).

وأخرج المحاملي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر سابق الزبير رضي الله عنه فسبقه الزبير، فقال: سبقتك ورب الكعبة، ثم إن عمر سابقه مرة أخرى فسبقه عمر فقال عمر: سبقتك ورب الكعبة! كذا في «الكنز» (7/ 334).

وأخرج ابن أبي شيبة والخطيب في «الجامع» عن سليم بن حنظلة قال: أتينا أبيَّ بن كعب رضي الله عنه لنتحدث عنده، فلما قام قمنا نمشي معه، فلحقه عمر رضي الله عنه فقال: أما ترى فتنة للمتبوع ذلة للتابع. كذا في «الكنز» (8/ 61).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 203) عن أبي البختري قال: جاء رجل (إلى) سلمان رضي الله عنه فقال: ما أحسن صنيع الناس اليوم؛ إني سافرت فوالله ما أنزل بأحد منهم إلا كما أنزل على ابن أبي! قال: ثم قال: من حسن صنيعهم ولطفهم. قال: يا بن أخي ذاك طُرْفة

الإيمان، ألم ترَ الدابة إذا حمل عليها حملها انطلقت به مسرعة وإذ تطاول بها السير تتلكأ.

وأخرج مسدَّد وابن منيع والدارمي عن حية بنت أبي حية قالت: دخل عليَّ رجل بالظهيرة، قلت: ما حاجتك يا عبد الله؟ قال: أقبلت أنا وصاحب لي في بُغاء إبل لنا، فانطلق صاحبي يبغي ودخلت في الظل أستظل وأشرب من الشراب، قالت: فقمت إلى لُبَينة لنا حامضة فسقيته منها وتوسمته، وقلت: يا عبد الله من أنت؟ قال: أبو بكر، قلت: أبو بكر صاحب رسول الله ﷺ الذي سمعت به؟ قال: نعم، فذكرت له غزونا خثعم في الجاهلية وغزو بعضنا بعضاً وما جاء الله به من الإلف فقلت: يا عبد الله حتى متى أمر الناس هذا؟ قال: ما استقامت الأئمة (قلت: وما الأئمة؟)، قال: ألم تري السيد يكون في الحيِّ أيتبعونه ويطيعونه؟ فهم أولئك ما استقاموا؛ قال ابن كثير: إسناده حسن جيد. كذا في «الكنز» (3/ 162).

وأخرج يعقوب بن سفيان والبيهقي وابن عساكر عن الحارث بن معاوية أنه قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له: كيف تركت أهل الشام؟ فأخبره عن حالهم، فحمد الله ثم قال: لعلكم تجالسون أهل الشرك؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين، فقال: إنكم إن جالستموهم أكلتم معهم وشربتم معهم، ولن تزالوا بخير ما لم تفعلوا ذلك. كذا في «الكنز» (2/ 300).

وأخرج ابن أبي حاتم عن عياض أن عمر رضي الله عنه أمر أبا موسى الأشعري رضي الله عنه أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم واحد ـ وكان له كاتب نصراني ـ فرفع إليه ذلك، فعجب عمر وقال: إن هذا لحفيظ، هل أنت قارىء لنا كتاباً في المسجد جاء من الشام؟ فقال:

إنه لا يستطيع. فقال عمر: أجنبٌ هو؟ قال: لا بل نصراني. قال: فانتهرني وضرب فخذي ثم قال: أخرجوه! ثم قرأ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: 51] ـ الآية ـ كذا في «التفسير» لابن كثير (2/ 68).

* * *

هدي النبي ﷺ وأصحابه في الطعام والشراب

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه، كذا في «البداية» (6/ 40).

وأخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال: كان أحبّ ما في الشاة إلى رسول الله ﷺ الذراع، كذا «الكنز» (4/ 37). وعند الترمذي في «الشمائل» (ص12) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعجبه الذراع، قال: وسُمَّ في الذراع وكان يرى أن اليهود سمّوه.

وعنده أيضاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتانا النبي ﷺ في منزلنا، فذبحنا له شاة، فقال: «كأنهم علموا أنا نحب اللحم»، قال: وفي الحديث قصة.

وعنده أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يعجبه الدُّبّاء، فأُتي بطعام أو دعي له، فجعلت أتتّبعه بين يديه لما أعلم أنه يحبه.

وعنده أيضاً عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أكل طعاماً لعق أصابعه الثلاث.

وأخرج ابن النجار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان

رسول الله ﷺ يأكل على الأرض، ويعقِل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير، كذا في «الكنز» (4/ 44).

وأخرج ابن عساكر عن يحيى بن أبي كثير قال: كانت لرسول الله ﷺ من سعد بن عبادة رضي الله عنه جفنة من ثريد كل يوم تدور معه أينما دار من نسائه. كذا في «الكنز» (4/ 37).

وأخرج ابن جرير عن أنس رضي الله عنه قال: حُلبت لرسول الله ﷺ شاة فشرب من لبنها ثم أخذ ماء فمضمض وقال: «إنَّ له دَسَماً». كذا في «الكنز» (4/ 37).

وعند أبي يعلى (1/ 183) عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه قال: نزل النبي ﷺ منزلاً، فبعثت إليه امرأة مع ابن لها بشاة فحلب ثم قال: «انطلق به إلى أمك» فشربت حتى رويت، ثم جاء بشاة أخرى فحلب ثم سقى أبا بكر، ثم جاء بشاة أخرى فحلب ثم شرب، كذا في «الكنز» (4/ 44).

وأخرج سعيد بن منصور عن إبراهيم رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يفرِّغ يمينه لطعامه ولشرابه ولوضوئه وأشباه ذلك، ويفرغ شماله للاستنجاء والامتخاط وأشباه ذلك، كذا في «الكنز» (8/ 45).

وأخرج أبو نُعيم عن جعفر بن عبد الله بن الحكم بن رافع فقال: رآني الحكم رضي الله عنه وأنا آكل من ههنا وههنا، فقال لي: يا غلام لا تأكل هكذا كما يأكل الشيطان!! إنَّ النبي ﷺ كان إذا أكل لم تَعْدُ أصابعه بين يديه، كذا في «الكنز» (8/ 46)؛ وقال في «الإصابة» (1/ 344): سنده ضعيف ـ اهـ.

وأخرج ابن النجار عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال:

أكلت يوماً مع رسول الله ﷺ، فجعلت آخذ من لحم حول الصحفة، فقال رسول الله ﷺ: «كُلْ مَما يليك» كذا في «الكنز» (8/ 46). وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي وابن قانع والطبراني والحاكم وغيرهم عن أمية بن مَخْشي رضي الله عنه رأى النبي ﷺ رجلاً يأكل ولم يسمّ، حتى إذا لم يبقَ من طعامه إلا لقمة رفعها إلى فيه وقال: باسم الله أوله وآخره. فضحك النبي ﷺ وقال: «والله ما زال الشيطان يأكل معك حتى إذا سمّيت فما بقي في بطنه شيء إلا قاءه»؛ وفي لفظ: «حتى ذكرت اسم الله استقاء ما في بطنه». كذا في «الكنز» (8/ 45).

وأخرج النسائي عن حذيفة رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ أُتي بجفنة فوضعت، فكف عنها رسول الله ﷺ يده وكففنا أيدينا - وكنا لا نضع أيدينا حتى يضع يده - فجاء أعرابي كأنه يُطرد، فأومأ إلى الجفنة ليأكل منها، فأخذ النبي ﷺ بيده، فجاءت جارية كأنها تُدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها ثم قال: «أنَّ الشيطان ليستحلّ طعام القوم إذا لم يذكر اسم الله عليه، وإنه لما رآنا كففنا عنها جاءنا (بهذه الجارية) ليستحل بها (فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده)، فوالله الذي لا إله إلا هو إنَّ يده في يدي مع يديهما». كذا في «الكنز» (8/ 46).

وأخرج ابن النجار عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يأكل طعاماً في ستة رهط إذ دخل أعرابي، فأكل ما بين أيديهم بلقمتين، فقال رسول الله ﷺ: «لو كان ذكر اسم الله لكفاهم، فإذا أكل أحدكم طعاماً فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي ثم ذكر فليقل: باسم الله أوله وآخره». كذا في «الكنز» (8/ 47).

وأخرج ابن أبي شَيْبَة وأبو نُعيم عن عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه

قال: جاء النبي ﷺ إلى أبي فنزل، فأتاه بطعام سويقٍ وحَيْس فأكل، وأتاه بشراب فشرب، فناول من عن يمينه، وكان إذا أكل تمراً ألقى النوى هكذا ـ وأشار بأصبعه على ظهرها ـ فلما ركب النبي ﷺ قام أبي فأخذ بلجام بغلته، فقال: يا رسول الله ﷺ، ادعُ لنا، فقال: «اللهمَّ بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم، وارحمهم».

وعند الحاكم عنه قال: قال أبي لأمي: لو صنعت طعاماً لرسول الله ﷺ، فصنعت ثريدة، فانطلق أبي فدعا رسول الله ﷺ، فوضع النبي ﷺ يده على ذِروتها وقال: «خذوا باسم الله» فأخذوا من نواحيها، فلما طعموا قال النبي ﷺ: «اللهمَّ اغفر لهم، وارحمهم، وبارك لهم في رزقهم» كذا في «الكنز» (8/ 47).

وأخرج ابن أبي شيبة (6/ 30) وابن أبي الدنيا في «الدعاء» وأبو نعيم في «الحلية» والبيهقي عن ابن أعبَد قال: قال علي رضي الله عنه: يا بن أعبد هل تدري ما حق الطعام؟ قلت: وما حقُّه؟ قال: تقول: باسم الله، اللهمَّ بارك لنا فيما رزقتنا. ثم قال: أتدري ما شكره إذا فرغتَ؟ قلت: وما شكره؟ قال تقول: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا. كذا في «الكنز» (8/ 46).

وأخرج أبو نعيم عن عمر رضي الله عنه قال: إياكم والبِطْنة في الطعام والشراب؛ فإنها مفسدة للجسد، مورثة السقم، مكسِلة عن الصلاة، وعليكم بالقَصْد فيهما؛ فإنه أصلح للجسد وأبعد من السرف. وإن الله تعالى ليبغض الحبر السمين، وإنّ الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه. كذا في «الكنز» (8/ 47).

وأخرج ابن عساكر عن أبي محذورة رضي الله عنه قال: كنت جالساً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ جاء صفوان بن أمية بجفنة

فوضعها بين يدي عمر، فدعا عمر ناساً مساكين وأرقّاء من أرقّاء الناس حوله، فأكلوا معه، ثم قال عند ذلك: فعل الله بقوم ـ أو لحا الله قوماً ـ يرغبون عن أرقائهم أن يأكلوا معهم!! فقال صفوان: أما والله ما نرغب عنهم، ولكنا نستأثر، لا نجد من الطعام الطيب ما نأكل ونطعمه. كذا في «الكنز» (5/ 48).

وأخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 301) عن مالك بن أنس قال: حُدِّثت أنَّ ابن عمر رضي الله تعالى عنهما نزل الجحفة، فقال ابن عامر بن كُرَيز لخبّازه: اذهب بطعامك إلى ابن عمر. فجاء بصحفة فقال ابن عمر: ضعها، ثم جاء بأخرى، وأراد أن يرفع الأولى فقال ابن عمر: ما لك؟ قال: أريد أن أرفعها، قال: دَعْها، صُبَّ عليها هذه. قال: فكان كلما جاءه بصحفة صبَّها على الأخرى، قال: فذهب العبد إلى ابن عامر فقال: هذا جاف أعرابي، فقال له ابن عامر: هذا سيدك، هذا ابن عمر!!

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 323) عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يأخذ الحبة من الرمان فيأكلها، فقيل له: يا بن عباس لم تفعل هذا؟ قال: إنه بلغني أنه ليس في الأرض رمانة تُلقح إلا بحبة من حب الجنة، فلعلها هذه.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 207) عن سالم مولى زيد بن صوحان قال: كنت مع مولاي زيد بن صوحان في السوق، فمرّ علينا سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه وقد اشترى وَسْقاً من طعام، فقال له زيد: يا أبا عبد الله تفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟ فقال: إنَّ النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت، وتفرغت للعبادة، وأيس منها الوسواس.

وعنده أيضاً (1/ 200) عن أبي عثمان النَّهْدي أن سلمان الفارسي قال: إني لأحب أن آكل من كدِّ يدي.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 384) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كانت لي خمس عشرة تمرة، فأفطرت على خمس، وتسحَّرت بخمس، وبقَّيت خمساً لفطري.

وأخرج ابن سعد (6/ 237) عن القاسم بن مسلم مولى علي بن أبي طالب عن أبيه قال: دعا علي رضي الله عنه بشراب، فأتيته بقدح من ماء فنفخت فيه، فردَّه وأبى أن يشربه وقال: اشربه أنت.

* * *

هدي النبي ﷺ وأصحابه في اللباس

وأخرج ابن سعد (1/ 459) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كنت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: رأيت أبا القاسم ﷺ وعليه جبّة شاميّة ضيّقة الكمين. كذا في «الكنز» (4/ 37) وقال: وسنده صحيح.

وأخرج ابن سعد (4/ 346) عن جُنْدَب بن مَكِيث رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قدم الوفد لبس أحسن ثيابه، وأمر عِلْيَة أصحابه بذلك، فلقد رأيت رسول الله ﷺ يوم قدم وفد كِندة وعليه حلّة يمانية، وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مثل ذلك.

وأخرج ابن أبي شيبة (6/ 30) والترمذي في «الشمائل» عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: كان عثمان بن عفان رضي الله عنه يتَّزر إلى أنصاف ساقيه وقال: هكذا كانت إزرة حبِّي ﷺ. كذا في «الكنز» (8/ 55).

وعند الترمذي في «الشمائل» (ص9) عن الأشعث بن سُلَيم قال: سمعت عمَّتي تحدِّث عن عمِّها، قال: بينما أنا أمشي بالمدينة إذ إنسان خلفي يقول: «ارفع إزارك، فإنَّه أتقى وأبقى»، فالتفتُّ فإذا هو رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إنما هي بردة مَلْحاء. قال: «أما لك فيَّ أسوة»؟ فنظرت فإذ إزاره إلى نصف ساقَيْه.

وعنده أيضاً عن أبي بردة قال: أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساء ملبَّداً، وإزاراً غليظاً، فقالت: قبض روح رسول الله ﷺ في هذين.

وعنده أيضاً (ص5) عن أم سَلَمة رضي الله عنها قالت: كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص.

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: كان كُمُّ قميص رسول الله ﷺ إلى الرُّسغ.

وعن جابر رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء.

وعن عمرو بن حريث رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطب الناس وعليه عمامة سوداء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خطب الناس وعليه عصابة دَسْماء.

وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه، قال نافع: وكان ابن عمر يفعل ذلك، قال عبد الله: ورأيت القاسم بن محمد وسالماً يفعلان ذلك، كذا في «الشمائل» (ص9).

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن فراش رسول الله ﷺ فقالت: كان من أدم، حَشْوه ليف. وأخرجه ابن سعد (1/464) نحوه.

وعند الحسن بن عرفة عن عائشة قالت: دخلت عليَّ امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله عباءة مثنية، فانطلقت فبعثت إليَّ بفراش حشوه الصوف، فدخل عليَّ رسول الله فقال: «ما هذا يا عائشة»؟ قالت:

قلت: يا رسول الله فلانة الأنصارية دخلت عليَّ فرأت فراشك، فذهبت فبعثت إليَّ بهذا. فقال: «ردِّيه» قالت: فلم أردّه وأعجبني أن يكون في بيتي، حتى قال ذلك ثلاث مرات، قالت: فقال: «ردِّيه يا عائشة، فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة». وأخرجه ابن سعد (1/ 465) عن عائشة نحوه.

وعند الترمذي في «الشمائل» عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: سئلت عائشة رضي الله عنها: ما كان فراش رسول الله ﷺ في بيتك؟ قالت: من أَدَم حَشْوُه ليف. وسئلت حفصة رضي الله عنها: ما كان فراش رسول الله ﷺ؟ قالت: مِسْحاً نثنيه ثنيتين، فينام عليه، فلما كان ذات ليلة قلت: لو ثنيته بأربع ثنيات كان أوطأ له، فثنيناه له بأربع ثنيات، فلما أصبح قال: «ما فرشتم لي الليلة؟» قالت: قلنا: هو فراشك إلا أنا ثنيناه بأربع ثنيات، قلنا: هو أوطأ لك. قال: «ردُّوه لحالته الأولى؛ فإنه منعتني وطأتُه صلاتي الليلة. كذا في «البداية» (6/ 53). وأخرجه ابن سعد (1/ 465) عن عائشة.

وأخرج ابن المبارك والطبراني والحاكم والبيهقي وغيرهم عن عمر رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ دعا بثياب جُدُد فلبسها، فلما بلغت تراقية قال: «الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمَّل به في حياتي» ثم قال: «والذي نفسي بيده ما من عبد مسلم يلبس ثوباً جديداً، ثم يقول مثل ما قلت، ثم يعمد إلى سَمَل من أخلاقه التي وضع فيكسوه إنساناً مسلماً فقيراً لا يكسوه إلا لله؛ لم يزل في حِرز الله وفي ضمان الله وفي جوار الله، ما دام عليه منه سلك واحد حياً وميتاً، حياً وميتاً، حياً وميتاً»، قال البيهقي: إسناده غير قوي، وحسَّنه ابن حجر في «أماليه»، كذا في «الكنز» (8/ 55).

وأخرج البزار والعُقَيلي وابن عدي وغيرهم عن علي رضي الله عنه قال: كنت قاعداً عند رسول الله ﷺ عند البقيع في يوم مطير، فمرت امرأة على حمار ومعها مُكَارٍ، فمرت في وهدة من الأرض فسقطت، فأعرض عنها بوجهه، فقالوا: يا رسول الله إنها متسرولة، فقال: «اللهمَّ اغفر للمتسرولات من أمتي، يا أيها الناس اتخذوا السراويلات فإنَّها من أستر ثيابكم، وحصِّنوا بها نساءكم إذا خرجن». وأورده ابن الجوزي في الموضوعات فلم يُصِب، والحديث له عدة طرق، كذا في «الكنز» (8/ 55).

وأخرج ابن منده وابن عساكر عن دِحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه أنه بعثه رسول الله ﷺ إلى هرقل، فلما رجع أعطاه رسول الله ﷺ قُبْطِيَّة قال: «اجعل صديعها قميصاً، وأعط صاحبتك صديعاً تختمر به» فلما ولّى دعاه قال: «مُرْها تجعل تحته شيئاً لئلا يصف»، كذا في «الكنز» (8/ 61).

وأخرج ابن أبي شيبة وابن سعد وأحمد والروياني والباروردي والطبراني والبيهقي وسعيد بن منصور عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كساني رسول الله ﷺ قُبطية كثيفة مما أهدى دحية الكلبي، فكسوتها امرأتي، فقال رسول الله ﷺ: «ما لك لا تلبس القبطية»؟ قلت: يا رسول الله إني كسوتها امرأتي، قال: «فأْمُرْها فلتجعل تحتها غلالة فإني أخشى أن تصف عِظامها». كذا في «الكنز» (8/ 62).

وأخرج ابن المبارك وأبو نُعيم في «الحلية» عن عائشة رضي الله عنها قالت: لبست ثيابي، فطفقت انظر إلى ذيلي وأنا أمشي في البيت، وألتفت إلى ثيابي وذيلي، فدخل عليَّ أبو بكر رضي الله عنه وقال: يا عائشة أما تعلمين أنَّ الله لا ينظر إليك الآن؟

وعند أبي نُعيم في «الحلية» عنها قالت: لبست مرة دِرْعاً لي جديداً، فجعلت أنظر إليه وأعجب به، فقال أبو بكر: ما تنظرين؟ إنَّ الله ليس بناظر إليك، قلت: وممَّ ذاك؟ قال: أما علمتِ أنَّ العبد إذا دخله العجب بزينة الدنيا مقته ربه حتى يفارق تلك الزينة. قالت: فنزعته فتصدَّقت به. فقال أبو بكر: عسى ذلك أن يكفر عنك. كذا في «الكنز» (8/ 54)، قال: وهو في حكم المرفوع.

وأخرج ابن سعد عن عبد العزيز بن أبي جميلة الأنصاري قال: كان قميص عمر رضي الله عنه لا يجاوز كمُّه رسغَ كفَّيه.

وعن بَدِيل بن مسيرة قال: خرج عمر بن الخطاب يوماً إلى الجمعة وعليه قميص سيلاني، وجعل يمدُّ كمّه، فإذا تركه رجع إلى أطراف أصابعه.

وعن هشام بن خالد قال: رأيت عمر يأتزر فوق السرّة.

وعن عامر بن عبيدة الباهلي قال: سألت أنساً رضي الله عنه عن الخز قال: وددتُ أنَّ الله لم يخلقه، وما أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا وقد لبسه ما خلا عمر وابن عمر، كذا في منتخب «الكنز» (4/ 419). وهو صحيح.

وأخرج هنّاد وابن أبي الدنيا في «قِصَر الأمل» عن مسروق قال: خرج علينا عمر ذات يوم وعليه حلّة قطن، فنظر إليه الناس نظراً شديداً فقال:

لا شيءَ فيما ترى تبقى بشاشتهُ

يبقى الإلهُ ويودي المالُ والولدُ

واللَّهِ ما الدنيا في الآخرة إلا كَنَفْجة أرنب. كذا في منتخب «الكنز» (4/ 405).

وأخرج الحاكم (3/ 96) عن أبي عبد الله مولى شدّاد بن الهاد قال: رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه على المنبر يوم الجمعة وعليه إزار عدني غليظ قيمته أربعة دراهم أو خمسة دراهم، وَرَيطة كوفية ممشَّقة، ضَرْبَ اللحم، طويلَ اللحية، حسنَ الوجه. وأخرجه أيضاً الطبراني عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد مثله وإسناده حسن. كما قال الهيثمي (9/ 80).

وعنده أيضاً عن موسى بن طلحة قال: كان عثمان يوم الجمعة يتوكأ على عصا، وكان أجمل الناس، وعليه ثوبان أصفران: إزار ورداء، حتى يأتي المنبر فيجلس عليه. قال الهيثمي (9/ 80): رواه الطبراني عن شيخه المقدام بن داود وهو ضعيف. اهـ.

وأخرج ابن سعد (3/ 58) عن سليم أبي عامر قال: رأيت على عثمان بن عفان بُرْداً يمانياً ثمنَ مائة درهم.

وعنده أيضاً (3/ 58) عن محمد بن ربيعة بن الحارث قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يوسِّعون على نسائهم في اللباس الذي يصان ويُتجمَّل به، ثم يقول: رأيت على عثمان مِطْرف خزٍّ ثمن مائتي درهم، فقال: هذا لنائلة كسوتها إياه فأنا ألبسه أسرُّها به.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 82) عن زيد بن وهب قال: قدم على عليٍّ وفد من أهل البصرة فيهم رجل من أهل الخوارج يقال له الجعد بن نَعجة. فعاتب علياً في لَبوسه، فقال علي: ما لك وللبوسي؟ إنَّ لبوسي أبعد من الكِبْر، وأجدر أن يقتدي بي المسلم.

وعن عمرو بن قيس قال: قيل لعليّ: يا أمير المؤمنين لم ترقع قميصك؟ قال: يخشع (به) القلب، ويقتدي به المؤمن. وأخرجه هنّاد عن عمرو بن قيس مثله، كما في «المنتخب» (5/ 57). وأخرجه ابن سعد (3/ 28) عن عمرو نحوه.

وأخرج ابن أبي شيبة وهنّاد عن عطاء أبي محمد قال: رأيت على عليّ قميصاً من هذه الكرابيس غير غسيل.

عند هنَّاد وابن عساكر عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: رأيت على عليّ بن أبي طالب قميصاً رازيّاً إذا مدَّ يده بلغ أطراف الأصابع، وإذا تركه رجع إلى قريب نصف الذراع. كذا في «المنتخب» (5/ 57).

وأخرج ابن عيينة في «جامعه» والعسكري في «المواعظ» وسعيد بن منصور والبيهقي وابن عساكر عن عليّ أنَّه كان يلبس القميص ثم يمدُّ الكم، حتى إذا بلغ الأصابع قطع ما فضَل ويقول: لا فضل لكمَّين على اليدين. كذا في «الكنز» (8/ 55).

وعند أبي نُعيم في «الحلية» (1/ 83) عن أبي سعيد الأزدي ـ وكان إماماً من أئمة الأزد ـ قال: رأيت علياً رضي الله عنه أتى السوق وقال: من عنده قميص صالح بثلاثة دراهم؟ فقال رجل: عندي، فجاء به فأعجبه قال: لعلَّه خير من ذلك. قال: لا، ذاك ثمنه؛ قال: فرأيت علياً يقرِض رباط الدراهم من ثوبه، فأعطاه فلبسه، فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه، فأمر به فقُطع ما فضَل عن أطراف أصابعه.

وأخرج أحمد في «الزهد» عن مولى لأبي غُصين قال: رأيت علياً خرج فأتى رجلاً من أصحاب الكرابيس، فقال له: عندك قميص سنبلاني؟ قال: فأخرج إليه قميصاً، فلبسه فإذا هو إلى نصف ساقيه، فنظر

عن يمينه وعن شماله فقال: ما أرى إلا قدراً حسناً، بكم هذا؟ قال: بأربعة دراهم يا أمير المؤمنين، قال: فحلَّها من إزاره فدفعها إليه ثم انطلق. كذا في «البداية» (8/ 3).

وأخرج ابن سعد (3/ 131) عن سعد بن إبراهيم قال: كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يلبس البرد أو الحلّة تساوي خمسمائة أو أربعمائة.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 302) عن قرعة قال: رأيت على ابن عمر رضي الله عنهما ثياباً خشنة - أو خشبة - فقلت له: يا أبا عبد الرحمن إني أتيتك بثوب ليِّن مما يُصنع بخراسان وتقر عيناي أن أراه عليك، فإن عليك ثياباً خشنة - أو خشبة - فقال: أرنيه حتى أنظر إليه قال: فلمسه بيده وقال: أحرير هذا؟ قلت: لا، إنه من قطن؛ قال: إني أخاف أن ألبسه، أخاف أن أكون مختالاً فخوراً والله لا يحب كل مختال فخور.

وعنده أيضاً عن عبد الله بن حُبَيش قال: رأيت على ابن عمر ثوبين مَعَافِرِيِّين، وكان ثوبه إلى نصف الساق. وأخرجه ابن سعد (4/ 175) عن عبد الله بن حَنَش نحوه.

وعند أبي نُعيم (1/ 302) عن وَقْدان قال: سمعت ابن عمر وسأله رجل ما ألبس من الثياب؟ قال: ما لا يزدريك فيه السفهاء، ولا يعتبك به الحلماء، قال: ما هو؟ قال: ما بين الخمسة إلى العشرين درهماً.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (4/ 341) عن أبي إسحاق قال: رأيت ابن عمر يتَّزر إلى أنصاف ساقيه.

وعنده أيضاً عنه قال: رأيت عدّة من أصحاب رسول الله ﷺ

أسامة بن زيد. (وزيد) بن أرقم، والبراء بن عازب، وابن عمر رضي الله عنهم يتَّزرون إلى أنصاف سوقهم.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 321) عن عثمان بن أبي سليمان أن ابن عباس رضي الله عنهما اشترى ثوباً بألف درهم فلبسه.

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص68) عن كثير بن عبيد قال: دخلت على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، فقالت: أمسك حتى أخيط نُقبتي، فأمسكت، فقلت: يا أم المؤمنين لو خرجتُ فأخبرتهم لعدُّوا منك بخلاً، قالت: أبصر شأنك. إنه لا جديد لمن لا يلبس الخَلَق.

وأخرج ابن سعد (8/ 73) عن أبي سعيد أن داخلاً دخل على عائشة وهي تخيط نُقبة لها فقال: يا أم المؤمنين أليس قد أكثر الله الخير؟! قالت: دعنا منك، لا جديد لمن لا خَلَق له.

وأخرج ابن سعد (8/ 252) عن هشام بن عروة أن المنذر بن الزبير قدم من العراق فأرسل إلى أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بكسوة من ثياب مَرْويَّة وقوهيَّة رِقاق عِتاق بعدما كُف بصرها، قال: فلمستها بيدها ثم قالت: أف!! ردُّوا عليه كسوته! قال: فشقَّ ذلك عليه وقال: يا أمه، إنه لا يُشِف. قالت: إنها إن لم تشف فإنها تَصِف. قال: فاشترى لها ثياباً مرويَّة وقوهيَّة، فقبلتها، وقالت: مثل هذا فاكسُني.

وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن امرأة أتت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين إن دِرعي مخرَّق، قال: ألم أكسُك؟ قالت: بلى ولكنه تخرَّق، فدعا لها بدرع نجيب وخيط، وقال لها: البسي هذا - يعني الخَلَق - إذا خبزت وإذا جعلت البُرمة،

والبسي هذا إذا فرغت؛ فإنه لا جديد لمن لا يلبس الخَلَق. كذا في «الكنز» (8/ 55).

وأخرج سفيان بن عيينة في «جامعه» عن خَرَشة بن الحرّ قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومرَّ به فتى قد أسبل إزاره وهو يجره، فدعاه فقال له: أحائض أنت؟ قال: قال: يا أمير المؤمنين وهل يحيض الرجل؟ قال: فما بالك قد أسبلت إزارك على قدميك؟ ثم دعا بشفرة ثم جمع طرف إزاره فقطع ما أسفل الكعبين، وقال خَرَشة: كأنّي أنظر إلى الخيوط على عقبيه. كذا في «الكنز» (8/ 59).

وأخرج أبو ذر الهَرَوي في «الجامع» والبيهقي عن أبي عثمان النهدي قال: أتانا كتاب عمر بن الخطاب ونحن بأذربيجان مع عتبة بن فَرْقَد أما بعد: فاتّزروا، وارتدوا، وانتعلوا، وارموا بالخفاف، وألقوا السراويلات، وعليكم بلباس أبيكم إسماعيل، وإياكم والتنعُّم وزِيّ العجم، وعليكم بالشمس فإنها حمَّام العرب، وتَمَعْدَدُوا، واخشوشنوا، واخلولقوا، واقطعوا الركب، وارموا الأغراض، وأنـزُوا، وإنَّ رسول الله ﷺ نهى عن لبس الحرير إلا هكذا ـ وأشار بأصبعه الوسطى ـ. كذا في الكنز (8/ 58).

* * *

بيوت أزواج النبي ﷺ

أخرج ابن سعد (8/167): عن الواقدي قال: حدثني معاذ بن محمد الأنصاري قال: سمعت عطاء الخراساني في مجلس فيه عِمران بن أبي أنس يقول وهو فيما بين القبر والمنبر: أدركت حُجَر أزواج رسول الله ﷺ من جريد النخل، وعلى أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يُقرأ يأمر بإدخال حُجَر أزواج النبي في مسجد رسول الله، فما رأيت يوماً أكثر باكِياً من ذلك اليوم، قال عطاء: فسمعت سعيد بن المسيِّب يقول يومئذ: واللّهِ لوددتُ أنهم تركوها على حالها؛ ينشأ ناشىء من أهل المدينة، ويقدم القادم من الأفق، فيرى ما اكتفى به رسول الله في حياته، فيكون ذلك ممَّا يزهِّد الناس في التكاثر والتفاخر فيها ـ يعني الدنيا ـ. قال معاذ: فلما فرغ عطاء الخراساني من حديثه قال عمران بن أبي أنس: كان منها أربعة أبيات بلبن لها حُجَر من جريد، وكانت خمسة أبيات من جريد مطيَّنة لا حُجر لها، على أبوابها مُسوح الشعر، ذرعتُ الستر فوجدته ثلاث أذرع في ذراع، والعظم أو أدنى من العظم، فأما ما ذكرت من كثرة البكاء فلقد رأيتني في مجلس فيه نفر من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ، منهم أبو سَلَمة بن عبد الرحمن، وأبو أمامة بن سهل بن حُنَيف، وخارجة بن زيد، وإنهم ليبكون حتى أخضل لحاهم الدمعُ، وقال يومئذ أبو أمامة: ليتها تُركت فلم تُهدم حتى يقصرَ الناس عن البناء، ويَروا ما رضي الله لنبيه ومفاتيح خزائن الدنيا بيده!!

الباب الحادي عشر

باب إيمان الصحابة بالغيب

كيف كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يؤمنون بالغيب، ويتركون اللذائذ الفانية، والمشاهدات الإنسانية، والمحسوسات الوقتية، والتجربات المادية بإخبار النبي ﷺ، فكأنهم كانوا يعاينون المغيّبات، ويكذّبون المشاهدات؟!

عظمة الإِيمان

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا قعوداً حول رسول الله ﷺ ومعنا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في نفر، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا، فأبطأ علينا، وخشينا أن يُقْتَطع دوننا، ففزعنا فقمنا، فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطاً للأنصار لبني النجار، فدرت (به) هل أجد له باباً؟ فلم أجد، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئرٍ خارجةٍ فاحتفزت فدخلت على رسول الله ﷺ، فقال: «أبو هريرة»؟ فقلت: نعم يا رسول الله، قال: «ما شأنك»؟ قلت: كنتَ بين أظهرنا، فقمتَ فأبطأت علينا فخشينا أن تُقتطع دوننا ففزعنا، فكنت أول من فزع، فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب فدخلت وهؤلاء الناس ورائي، فقال: «يا أبا هريرة ـ وأعطاني نعليه ـ، فقال: اذهب بنعليَّ هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلاّ الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة».

فكان أول من لقيني عمر فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ قلت: هاتان نعلا رسول الله ﷺ بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلاّ الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة. فضربني عمر (بيده) بين ثدييَّ فخررت لاسْتي، فقال: ارجع يا أبا هريرة. فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأجهشت بالبكاء، وركبني عمر وإذا هو على إثري، فقال رسول الله ﷺ: «ما لك يا أبا هريرة»؟ قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به فضرب بين ثدييَّ

ضربة خررت لاستي، فقال ارجع. قال رسول الله ﷺ: «يا عمر ما حملك على ما فعلت»؟ قال: يا رسول الله ـ بأبي أنت وأمي ـ أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: «نعم»، قال: فلا تفعل فإني أخشى أن يتّكل الناس عليها، فخلِّهم يعملون، فقال رسول الله ﷺ: «فخلِّهم». كذا في «جمع الفوائد» (1/ 7).

وأخرج الشيخان عن أبي ذر رضي الله عنه قال: خرجت ليلة من الليالي، فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده وليس معه إنسان، فقلت: إنه يكره أن يمشي معه أحد. قال: فجعلت أمشي في ظل القمر، فالتفت فرآني فقال: «من هذا»؟ فقلت: أبو ذر ـ جعلني الله فداك ـ. قال: «يا أبا ذر تعالَهْ» قال: فمشيت معه ساعة، فقال: «إنَّ المكثرين هم المقلُّون يوم القيامة؛ إلاّ من أعطاه الله خيراً، فنفح فيه عن يمينه وشماله، وبين يديه ووراءه، وعمل فيه خيراً». قال: فمشيت ساعة معه فقال لي: «اجلس ههنا» قال: فأجلسني في قاع حوله حجارة فقال لي: «ههنا حتى أرجع إليك». قال: فانطلق في الحرَّة حتى لا أراه فلبث عني فأطال اللبث، ثم إني سمعته يقول وهو مقبل: «وإن زنى وإن سرق»، قال: فلما جاء فلم أصبر، فقلت: يا نبي الله ـ جعلني الله فداك ـ مَنْ تُكلِّم في جانب الحرَّة؟ ما سمعت أحداً يَرجع إليك شيئاً، قال: «ذاك جبريل عرض لي في جانب الحرَّة فقال: بشِّر أمتك من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، فقلت: يا جبريل وإن زنى وإن سرق، قال: نعم». قلتُ: يا رسول الله وإن سرق وإن زنى؟ قال: «نعم». قلتُ: وإن سرق وإن زنى، قال: «نعم، وإن شرب الخمر»، كذا في جمع الفوائد (1/ 7) قال: وزادا مع الترمذي في أخرى نحوها في المرة الرابعة: «على رغم أنف أبي ذر».

وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه أن شيخاً أعرابياً يقال له علقمة بن عُلاَثَة رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنّي شيخ كبير؛ وإني لا أستطيع أن أتعلم القرآن، ولكني أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله حق اليقين. فلما مضى الشيخ قال النبي ﷺ: «فقه الرجل ـ أو فقه صاحبكم»، كذا في «الكنز» (1/ 70). وأخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» والدارقطني في «الأفراد» من حديث أنس وإسناده ضعيف جداً، كما في «الإصابة» (2/ 503).

وأخرج أحمد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه إلاَّ حُرِّم على النار». قال عمر بن الخطاب: ألا أحدثك ما هي؟ هي كلمة الإخلاص التي ألزمها الله تبارك وتعالى محمداً ﷺ وأصحابه، وهي كلمة التقوى التي ألاص عليها نبي الله ﷺ عمه أبا طالب عند الموت؛ شهادة أن لا إله إلاَّ الله. كذا في «المجمع» (1/ 15). وأخرجه أيضاً أبو يَعْلى وابن خُزَيمة وابن حِبّان والبيهقي وغيرهم، كما في «الكنز» (1/ 74).

وأخرج أحمد عن يعلى بن شدّاد قال: حدثني أبي شداد رضي الله عنه ـ وعبادة بن الصامت رضي الله عنه حاضر يصدِّقه ـ قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: «هل فيكم غريب» ـ يعني أهل الكتاب؟ ـ قلنا: لا يا رسول الله. فأمر بغلق الباب وقال: «ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله» فرفعنا أيدينا ساعة، ثم وضع ﷺ يده ثم قال: «الحمد لله»، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد» ثم قال: «ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم». قال الهيثمي (1/ 19)، رواه أحمد والطبراني (7/ 7163) والبزار (10) ورجاله موثقون انتهى.

وأخرج أحمد عن رفاعة الجهني رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله حتى إذا كنا بالكديد أو ـ قال: بقديد ـ فجعل رجال يستأذنون رسول الله ﷺ إلى أهليهم فيأذن لهم، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «ما بال رجال يكون شق الشجرة التي تلي رسول الله ﷺ أبغض إليهم من الشق الآخر» فلم يُر عند ذلك من القوم إلاَّ باكياً، فقال رجل: إنَّ الذي يستأذن بعد هذا لسفيه، فحمد الله وقال خيراً وقال: «أشهد عند الله لا يموت عبد يشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنّي رسول الله صدقاً من قلبه ثم يُسدَّد إلاَّ سلك في الجنة»، قال: «وقد وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوأوا أنتم ومن صلَح من آبائكم وأزواجكم وذراريكم مساكن في الجنة»، قال الهيثمي (1/ 20): رواه أحمد وعند ابن ماجه بعضه ورجاله موثّقون. اهـ. وأخرجه أيضاً الدارمي وابن خزيمة وابن حِبّان والطبراني بطوله، كما في «الكنز» (5/ 287) وفي روايتهم فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن الذي يستأذنك عن شيء بعدها لسفيه.

وأخرج البزّار عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا فلان فعلت كذا وكذا»؟ قال: لا والذي لا إله إلا هو ما فعلت؛ ورسول الله ﷺ يعلم أنه قد فعله، فكرر عليه مراراً فقال رسول الله ﷺ: «كُفِّر عنك بتصديقك بلا إله إلا الله» قال الهيثمي (10/ 83): رواه البزار وأبو يَعْلى (6/ 3368) بنحوه إلا أنه قال: «كُفِّر عنك كذبك بتصديقك بلا إله إلا الله» ورجالهما رجال الصحيح. انتهى؛ وقال في هامشه عن ابن حجر: قلت: فيه الحارث بن عبيد أبو قُدامة وهو كثير المناكير وهذا منها، وقد ذكر البزّار أنه تفرد به ـ انتهى. وعند الطبراني عن ابن الزبير

مرفوعاً أن رجلاً حلف بالله الذي لا إله إلا هو كاذباً فغفر له. قال الهيثمي (10/ 83): ورجاله رجال الصحيح.

وأخرج الطبراني عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم الإسلام وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها. فسمع الله ما قالوا، فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأُخرجوا، فلما رأى ذلك من بقي من الكفار قالوا: يا ليتنا كنَّا مسلمين فنخرج كما خرجوا»، قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: 1 و2]. ورواه ابن أبي حاتم نحوه وفيه البسملة عوض الاستعاذة.

وعند الطبراني عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً «أن ناساً من أهل لا إله إلاَّ الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللاَّت والعزّى: ما أغنى عنكم قولكم لا إله إلاَّ الله وأنتم معنا في النار، فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقيهم في نهر الحياة، فيبرؤون من حَرْقهم كما يبرأ القمر من خسوفه، ويدخلون الجنة ويسمَّون فيها الجهنميين».

وأخرجه الطبراني أيضاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بسياق آخر نحوه، وفي رواية: «فيسمون في الجنة الجهنميين من أجل سواد في وجوههم، فيقولون: يا رب أذهب عنا هذا الاسم، فيأمرهم فيغتسلون في نهر (في) الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم». كذا في «التفسير» لابن كثير (2/ 546).

وأخرج الحاكم (4/ 545) عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «يُدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، لا يُدرى ما صيام ولا صدقة ولا نسك، ويُسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، ويبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلاّ الله فنحن نقولها»، فقال صلة: فما تغني عنهم لا إله إلاّ الله لا يدرون ما صيام ولا صدقة ولا نسك؟! فأعرض عنه حذيفة رضي الله عنه، فردّد عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال، يا صلة تنجيهم من النار، تنجيهم من النار، تنجيهم من النار؛ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: على شرط مسلم.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن علي رضي الله عنه قال: أفصح الناس وأعلمهم بالله عز وجل أشد الناس حباً وتعظيماً لحرمة أهل لا إله إلاّ الله، كذا في «الكنز» (1/ 76).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 219) عن سالم بن أبي الجعد قال: قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه: إن أبا سعد بن منبِّه أعتق مائة مُحَرَّر. فقال: إن مائة مُحَرَّر من مال رجل لكثير، وإن شئت أنبأتك بما هو أفضل من ذلك: إيمان ملزوم بالليل والنهار، ولا يزال لسانك رطباً من ذكرالله عز وجل. وأخرجه ابن أبي الدنيا موقوفاً بإسناد حسن عن سالم بن أبي الجعد قال: قيل لأبي الدرداء: إن رجلاً أعتق ـ فذكر نحوه، كما في «الترغيب» (3/ 55)..

وأخرج الطبراني (9/ 8990) عن عبد الله ـ يعني ابن مسعود ـ رضي الله عنه قال: إنَّ الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإنَّ الله يُؤتي المال من يحب ومن لا يحب، ولا يؤتي الإيمان إلاَّ من

أحب، فإذا أحب الله عبداً أعطاه الإيمان، فمن ضَنَّ بالمال أن ينفقه؛ وهاب العدو أن يجاهده، والليل أن يكابده، فليكثر من قول لا إله إلاَّ الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله. قال الهيثمي (10/ 90): رواه الطبراني موقوفاً ورجاله رجال الصحيح. انتهى. وقال المنذري في الترغيب (3/ 95): رواته ثقات وليس في أصلي رَفْعُه - انتهى.

* * *

مجالس الإيمان

أخرج أحمد بإسناد حسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: تعالَ نؤمن بربنا ساعة. فقال ذات يوم لرجل، فغضب الرجل فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة، فقال النبي ﷺ: «يرحم الله ابن رواحة إنَّه يحب المجالس التي تتباهَى بها الملائكة». كذا في «الترغيب» (3/ 63)، وقال الحافظ ابن كثير في «البداية» (4/ 258): هذا حديث غريب جداً.

وقال البيهقي بإسناده عن عطاء بن يسار: إن عبد الله بن رواحة قال لصاحب له: تعالَ حتى نؤمن ساعة. قال: أولسنا بمؤمنين؟ قال: بلى ولكنا نذكر الله فنزداد إيماناً. وقد روى الحافظ أبو القاسم اللالَكائي عن شريح بن عبيد أن عبد الله بن رواحة كان يأخذ بيد الرجل من أصحابه فيقول: قُمْ بنا نؤمن ساعة فنجلس في مجلس ذكر. وهذا مرسل من هذين الوجهين. انتهى.

وأخرج الطيالسي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يأخذ بيدي فيقول: تعالَ نؤمن ساعة، إن القلب أسرع تقلُّباً من القِدْر إذا استجمعت غليانها.

وعند ابن عساكر عنه قال: كان عبد الله بن رواحة إذا لقيني قال

لي: يا عُويمر اجلس نتذاكر ساعة، فنجلس فنتذاكر، ثم يقول: هذا مجلس الإيمان، مَثَلُ الإيمان مَثُلُ قميصك، بينا أنك قد نزعته إذْ لبسته، وبينا أنك قد لبسته إذ نزعته، القلب أسرع تقلُّباً من القدر إذا استجمعت غليانها، كذا في «الكنز» (1/ 101).

وأخرج ابن أبي شيبة واللالكائي في «السنة» عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كان عمر ممّا يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول: قم بنا نزداد إيماناً، فيذكرون الله عز وجل، كذا في «الكنز» (1/ 207).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 235) عن الأسود بن هلال قال: كنا نمشي مع معاذ رضي الله عنه فقال لنا: اجلسوا بنا نؤمن ساعة.

* * *

تجديد الإيمان

أخرج أحمد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «جدِّدوا إيمانكم». قيل: يا رسول الله وكيف نجدِّد إيماننا؟ قال: «أكثروا من قول لا إله إلاَّ الله». قال الهيثمي (1/ 82) رجال أحمد ثقات، وقال المنذري في «الترغيب» (3/ 75): إسناد أحمد حسن.

* * *

تكذيبُ التجربات والمشاهَدات

أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه، فقال: «اسقِه عسلاً» فذهب فسقاه عسلاً، ثم جاء فقال: «يا رسول الله سقيته عسلاً فما زاده إلاّ استطلاقاً، قال: «اذهب فاسقِه عسلاً» فذهب فسقاه عسلاً، ثم جاء فقال: يا رسول الله ما زاده إلاّ استطلاقاً، فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك، اذهب فاسقِه عسلاً» فذهب فسقاه عسلاً فبرأ. كذا في «التفسير» لابن كثير (2/ 575).

وأخرج أحمد عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه، قالت: وإنه جاء ذات يوم فتنحنح وعندي عجوز ترقيني من الحمرة، فأدخلتها تحت السرير، قالت: فدخل فجلس إلى جانبي فرأى في عِنقي خيطاً، فقال: ما هذا الخيط؟ قالت: قلت: خيط رُقي لي فيه. فأخذه فقطعه ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتِّوَلة شرك»، قالت: قلت له: لم تقول هذا وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها فكان إذا رقاها سكنت؟ فقال: إنما ذاك من الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رقاها كفَّ عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال النبي ﷺ: «أذهب البأس ربَّ الناس، أشفِ وأنت

الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً». كذا في «التفسير» لابن كثير (2/ 494).

وأخرج الدارقطني (ص44) عن عكرمة قال: كان ابن رَوَاحَة رضي الله عنه مضطجعاً إلى جنب امرأته، فقام إلى جارية له في ناحية الحجرة فوقع عليها، وفزعت امرأته فلم تجده في مضجعه، فقامت وخرجت فرأته على جاريته، فرجعت إلى البيت فأخذت الشفرة ثم خرجت، وفرغ فقام فلقيها تحمل الشفرة، فقال: مَهْيَم؟ فقالت: مَهْيَم؟ لو أدركتك حيث رأيتك لَوَجَأْتُ بين كتفيك بهذه الشفرة! قال: وأين رأيتني؟ قالت: رأيتك على الجارية. فقال: ما رأيتني، وقد نهى رسول الله ﷺ أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب: قالت: فاقرأ، فقال:

أتانا رسولُ اللّهِ يتلو كتابَه
كما لاحَ مشهورٌ من الفجرِ سَاطعُ
أتى بالهدى بعدَ العَمى، فقلوبُنا
به موقِناتٌ إنَّ ما قال واقعُ
يبيتُ يجافي جنبَه عن فراشِه
إذا استثقلتْ بالمشركين المضاجعُ

فقالت: آمنت بالله وكذَّبت البصر. ثم غدا على رسول الله ﷺ فأخبره، فضحك حتى رأيت نواجذه ﷺ. وأخرجه الدارقطني (1/ 121) (ص45) أيضاً من طريق آخر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخل عبد الله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ فذكر نحوه وقال: إن رسول الله ﷺ نهى أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب، قال في «التعليق المغني» (ص45): فيه سلمة بن وهرام وثَّقه ابن معين وأبو زُرعة وضعَّفه أبو داود. انتهى.

وأخرج البخاري في «التفسير» (4844) عن حبيب بن أبي ثابت قالت: أتيت أبا وائل أسأله فقال: كنا بصفِّين فقال رجل: ألم تر إلى الذين يُدعون إلى كتاب الله؟ فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: نعم. فقال سهل بن حُنيف رضي الله عنه: اتَّهموا أنفسكم، فلقد رأيتنا يوم الحديبية ـ يعني الصلح الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين ـ ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر رضي الله عنه فقال: ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ فقال: «بلى» قال: ففيم نُعطي الدنيَّة في ديننا ونرجع ولمَّا يحكم الله بيننا؟! فقال ﷺ: «يا بن الخطاب إنِّي رسول الله ﷺ ولن يضيعني الله أبداً» فرجع متغيظاً فلم يصبر حتى جاء أبا بكر رضي الله عنه، فقال: يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: يا بن الخطاب إنَّه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً. فنزلت سورة الفتح.

وقد رواه البخاري أيضاً في مواضع أخر، ومسلم والنسائي من طرق أُخر عن سهل بن حُنيف به وفي بعض ألفاظه: يا أيُّها الناس اتَّهموا الرأي فلقد رأيتُني يوم أبي جندل ولو أقدر على أن أردّ على رسول الله ﷺ أمره لرددته. وفي رواية: فنزلت سورة الفتح فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأها عليه. كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 200).

وقد تقدم الحديث بطوله في باب الدعوة إلى الله في قصة صلح الحديبية عن البخاري من طريق المسور بن مخرمة رضي الله عنه ومروان وفيه: قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أُردُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ ـ وكان قد عُذِّب عذاباً شديداً في الله ـ فقال عمر رضي الله عنه: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقاً؟ قال: «بلى»، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال:

«بلى»، قلت: فلم نعطي الدنيَّة في ديننا إذاً؟ قال: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري»، قلت: أولستَ كنت تحدثنا أنَّا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتك أنَّا نأتيه العام؟» قال: قلت: لا، قال: «فإنك آتيه ومطوِّف به». قال: فأتيت أبا بكر رضي الله عنه فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قال: قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغَرْزه، فوالله إنه لعلى الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ فقلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوِّف به، قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً.

وأخرج أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نزلت على النبي ﷺ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: 2] مرجعه من الحديبية، قال النبي ﷺ: «لقد أُنزلت عليَّ الليلة آية أحب إليَّ ممَّا على الأرض»، ثم قرأها عليهم النبي فقالوا: هنيئاً مريئاً يا نبي الله، بيَّن الله عز وجل ما يفعل بك فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه ﷺ: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ - حتى بلغ - فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 5]. وأخرجه الشيخان عن أنس كما في «التفسير» لابن كثير (4/ 183). وعند ابن جرير (26/ 44) في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: 1] عن أنس قال: نزلت على النبي ﷺ مرجعه من الحديبية وقد حيل بينهم وبين نسكهم، فنحر الهدي بالحديبية وأصحابه مخالطو الكآبة والحزن فقال: «لقد أُنزلت عليَّ آية أحبُّ إليَّ من الدنيا جميعاً»-فقرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ - إلى قوله - عَزِيزًا﴾ [الفتح: 1 - 3] فقال أصحابه: هنيئاً لك - فذكر نحوه.

وأخرج أحمد عن مجمِّع بن جارية الأنصاري رضي الله عنه ـ وكان أحد القرّاء الذين قرأوا القرآن ـ قال: شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها إذا الناس يُنفرون الأباعر، فقال الناس بعضهم لبعض: ما للناس؟ قالوا: أوحي إلى رسول الله ﷺ. فخرجنا مع الناس نوجف، فإذا رسول الله ﷺ على راحلته عند كُراع الغميم، فاجتمع الناس عليه فقرأ عليهم ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ قال: فقال رجل من أصحاب رسول الله: أي رسول الله أوَ فَتْحٌ هو؟ قال ﷺ: «إي، والذي نفس محمد بيده إنه لفتح» فذكر الحديث. ورواه أبو داود في الجهاد، كما في «التفسير» لابن كثير (4/ 173).

وأخرج البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: تعُدُّون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نَعُدُّ الفتح بَيْعة الرضوان يوم الحديبية ـ فذكر الحديث، كما في «التفسير» لابن كثير (4/ 182). وأخرجه ابن جرير في تفسيره (26/ 44) عن البراء نحوه وعن جابر قال: ما كنا نَعُد الفتح إلاّ يوم الحديبية.

وأخرج الحافظ أبو القاسم اللالكائي في «السنة» عن قيس بن حجاج عمن حدثه قال: لمَّا فُتحت مصر أتى أهلُها عمرو بن العاص رضي الله عنه وكان أميراً بها حين دخل بؤنة ـ من أشهر العجم ـ فقالوا: أيها الأمير، إنَّ لنيلنا هذا سُنَّة لا يجري إلا بها. قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر، عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أبويها، وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في النيل. فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما كان قبله، فأقاموا بؤنة والنيل لا يجري حتى هموا بالجلاء، فكتب عمرو رضي الله عنه إلى عمر بن الخطاب

رضي الله عنه بذلك، فكتب إليه عمر إنك قد أصبت بالذي فعلتَ، وقد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا فألقها في النيل - فذكر الحديث كما سيأتي في باب التأييدات الغيبية في تسخير البحار وفي آخره: فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، قد قطع الله تلك السُّنَّة عن أهل مصر إلى اليوم. كما في التفسير لابن كثير (3/ 464). وأخرجه أيضاً ابن عساكر وأبو الشيخ وغيرهما.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 7) عن سَهْم بن مِنْجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه فسرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم، فقال: يا عليم، يا حليم، يا علي، يا عظيم، إنا عبيدك، وفي سبيلك، نقاتل عدوك، اللهمّ فاجعل لنا إليهم سبيلاً. فتقحَّم بنا البحر فخضنا ما يبلغ لبودنا الماء، فخرجنا إليهم.

وأخرجه أيضاً (1/ 8) عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه وزاد: فلما رآنا ابن مُكَعْبر - عامل كسرى - قال: لا والله لا نقاتل هؤلاء!! ثم قعد في سفينة فلحق بفارس. وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص208) عن أبي هريرة والطبراني عنه، وابن أبي الدنيا عن سَهْم بن مِنْجاب، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه كما ستأتي أحاديث هؤلاء في تسخير البحار.

وستأتي أحاديث عبور سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه دجلة يوم القادسية وفيها قول حُجر بن عدي رضي الله عنه: ما يمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء العدو إلاَّ هذه النطفة - يعني دجلة - ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: 145] ثم أقحم فرسه فلما أقحم أقحم الناس، فلما رآهم العدو قالوا: ديوانه فهربوا، أخرجه ابن حاتم عن حبيب بن ظِبيان.

وأخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص212) عن معاوية بن حَرْمَل فذكر الحديث وفيه: خرجت نار بالحرة، فجاء عمر رضي الله عنه إلى تميم رضي الله عنه فقال: قُمْ إلى هذه النار، فقال: يا أمير المؤمنين من أنا؟ وما أنا؟ فلم يزل به حتى قام معه، قال: وتبعتهما فانطلقا إلى النار قال: فجعل يحوشها بيده هكذا حتى دخلت الشِّعب ودخل تميم خلفها، وجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم يره!!. وأخرجه البيهقي والبغوي كما سيأتي في التأييدات الغيبية في إطاعة النيران.

وأخرج النسائي عن أبي سكينة - رجل من البحرين - عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لما أمر رسول الله بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر، فقام النبي ﷺ وأخذ المِعْول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الانعام: 115]. فندر ثلث الحجر وسلمان الفارسي رضي الله عنه قائم ينظر، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة، ثم ضرب الثانية وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فندر الثلث الآخر وبرقت برقة فرآها سلمان. ثم ضرب الثالثة وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فندر الثلث الباقي. وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس فقال سلمان: يا رسول الله رأيتك حين ضربت لا تضرب ضربة إلا كانت معها برقة، قال رسول الله ﷺ: «يا سلمان رأيت ذلك»؟ قال: أي والذي بعثك بالحق يا رسول الله. قال: «فإني حين ضربت الضربة الأولى رُفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعينيّ». فقال له من حضره من أصحابه: يا رسول الله ادعُ الله أن يفتحها علينا ويغنّمنا ذراريهم ونخرب بأيدينا بلادهم. فدعا بذلك. قال: «ثم ضربت الضربة الثانية

فرُفعت لي مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعينيَّ». قالوا: يا رسول الله ادعُ الله أن يفتحها علينا ويغنِّمنا ذراريهم ونخرب بأيدينا بلادهم. فدعا، ثم قال: «ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعينيَّ». ثم قال رسول الله ﷺ: «دَعُوا الحبشة ما ودعوكم، واتركوا الترك ما تركوكم». قال ابن كثير في «البداية» (4/ 102): هكذا رواه النسائي مطوَّلاً وإنما روى منه أبو داود: «دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم» ـ انتهى.

وأخرجه ابن جرير (2/ 569) عن عمرو بن عوف المزني ـ فذكر حديثاً فيه: فجاء (النبي ﷺ) فأخذ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها ـ يعني المدينة ـ حتى كأنها مصباح في جوف ليل مظلم، فكبَّر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون، ثم ضربها الثانية فكذلك، ثم الثالثة فكذلك، وذكر ذلك سلمان والمسلمون لرسول الله ﷺ وسألوه عن ذلك النور فقال: «لقد أضاء لي من الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ومن الثانية أضاءت القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها. ومن الثالثة أضاءت قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا» واستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعود صادق، قال: ولمَّا طلعت الأحزاب قال المؤمنون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 22]. وقال المنافقون: يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تبرزوا؟! فنزل فيهم: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ

إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12]؛ وقال ابن كثير في «البداية» (4/ 100): وهذا حديث غريب.

وقد أخرج الطبراني في حديث طويل عن ابن عباس رضي الله عنهما كما سيأتي في التأييدات الغيبية في بركة طعامهم في المغازي فقال رسول الله ﷺ: «دعوني فأكون أول من ضربها. فقال: «باسم الله»، فضربها فوقعت فِلقةٌ ثلثُها، فقال: «الله أكبر قصور الروم وربِّ الكعبة»، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة، فقال: «الله أكبر قصور فارس وربِّ الكعبة»، فقال عندها المنافقون: نحن نخندق على أنفسنا وهو يعِدُنا قصور فارس والروم؟! قال الهيثمي (6/ 132): رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل ونُعيم العنبري وهما ثقتان. انتهى.

وسيأتي في التأييدات الغيبية في ذهاب أثر السم، شربُ خالد رضي الله عنه السمَّ وقوله: لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها. وقول عمرو: والله يا معشر العرب لتملكِنَّ ما أردتم ما دام منكم أحد أيها القرن. وقوله لأهل الحيرة: لم أرَ كاليوم أمراً أوضح إقبالاً!!

وسيأتي في أسباب النصرة قول ثابت بن أقرم رضي الله عنه: يا أبا هريرة، كأنك ترى جموعاً كثيرة؟ قلت: نعم، قال: إنك لم تشهد بدراً معنا، إنَّا لم ننصر بالكثرة. وقول خالد حين قال له رجل: ما أكثر الروم وأقل المسلمين؟! فقال: ما أقل الروم وأكثر المسلمين؟! إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر براء، وأنهم أُضعفوا في العدد. وكتاب أبي بكر رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أما بعد: فقد جاءني كتابك تذكر ما جمعت الروم من الجموع، وإن الله لم ينصرنا مع نبيه ﷺ بكثرة عدد ولا بكثرة جنود، وقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ وما معنا إلاَّ فرسان وإن

نحن إلا نتعاقب الإبل، وكنّا يوم أُحد مع رسول الله ﷺ وما معنا إلاّ فرس واحد كان رسول الله ﷺ يركبه، ولقد كان يُظهرنا ويعيننا على ما خالفنا.

وقد تقدم ما فعل أبو بكر رضي الله عنه في تنفيذ جيش أُسامة رضي الله عنه حين انتقضت عليه العرب من كل جانب، وارتدت العرب قاطبة، ونجم النفاق، واشرأبت اليهودية والنصرانية والمسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيِّهم ﷺ وقلتهم وكثرة عدوهم، فأشاروا عليه بحبس جيش أُسامة، فقال أبو بكر - وكان أحزمهم أمراً -: أنا أحبس جيشاً بعثه رسول الله ﷺ؟! لقد اجترأت على أمر عظيم، والذي نفسي بيده لأن تميل عليَّ العرب أحب إليَّ من أن أحبس جيشاً بعثه رسول الله ﷺ!! امض يا أُسامة في جيشك للوجه الذي أُمرت به ثم اغزُ حيث أمرك رسول الله ﷺ من ناحية فلسطين وعلى أهل مؤتة؛ فإن الله سيكفي ما تركت.

وتقدَّم في يوم مؤتة قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين اجتمع العدو مائتي ألف: يا قومُ والله إنَّ التي تكرهون لَلَّتي خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلاّ بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا؛ فإنما هي إحدى الحسنَيين: إما ظهور، وإما شهادة. فقال الناس: قد واللّهِ صدق ابن رواحة. وكم من قصص الصحابة في هذا الموضوع منتشرة مسطورة في هذا الكتاب وفي كتب الأحاديث والمغازي والسِّير، فلا نطيل الكتاب بذكرها وتكرارها.

* * *

حقيقة الإِيمان وكماله

أخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال: إنَّ رسول الله ﷺ دخل المسجد والحارث بن مالك رضي الله عنه راقد، فحركه برجله وقال: «ارفع رأسك» فرفع رأسه، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ﷺ. فقال النبي ﷺ: «كيف أصبحت يا حارث بن مالك»؟ قال: أصبحت يا رسول الله مؤمناً حقاً. قال: «إنَّ لكل حق حقيقة فما حقيقة ما تقول»؟ قال: عزفتُ عن الدنيا، وأظمأت نهاري، وأسهرت ليلي، وكأني أنظر إلى عرش ربي، وكأني أنظر إلى أهل الجنة فيها يتزاورون وإلى أهل النار يتعاوَون. فقال له النبي ﷺ: «أنت امرؤ نوّر الله قلبك، عرفتَ فالزم».

وأخرجه العسكري في «الأمثال» عن أنس نحوه إلاَّ أنّه سماه حارثة بن النعمان، وفي روايته: فقال: «أبصرت فالزم» ثم قال: «عبد نوّر الله الإِيمان في قلبه»، فقال: يا نبي الله، أُدع الله لي بالشهادة. فدعا له، قال: فنُودي يوماً: يا خيل الله اركبي، فكان أول فارس ركب وأول فارس استشهد. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 160).

وأخرجه ابن النجار عن أنس قال: بينما رسول الله ﷺ يمشي إذ استقبله شاب من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: «كيف أصبحت يا حارث»؟، قال: أصبحت مؤمناً بالله حقّاً، فقال: «انظر ما تقول فإنَّ لكل قول حقيقة»، قال: يا رسول الله عَرَفْتُ ـ فذكر نحو حديث العسكري مع الزيادة في آخره، كما في «المنتخب» (5/ 161).

وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (314) عن صالح بن مسمار نحو سياق ابن عساكر، وفي رواية: قال: إنَّ لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك»؟ قال الحافظ في «الإصابة» (1/ 289): وهو مُعْضل، وكذا أخرجه عبد الرزاق (20114) عن صالح بن مسمار وجعفر بن برقان وأخرجه في «التفسير» عن يزيد السلمي وجاء موصولاً ـ فذكر حديث أنس المذكور وقال: أخرجه الطبراني وابن منده ورواه البيهقي في الشُّعَب (10590) من طريق يوسف بن عطية الصفَّار وهو ضعيف جداً، وقال البيهقي: هذا منكر وقد خبط فيه يوسف فقال مرّة: الحارث، وقال مرّة: حارثة، وقال ابن صاعد: هذا الحديث لا يثبت موصولاً. انتهى مختصراً. وأخرجه البزّار (32) عن أنس، قال الهيثمي (1/ 57): وفيه يوسف بن عطية لا يُحتج به، والطبراني (2/ 3367) عن الحارث بن مالك الأنصار أنه مرّ بالنبي ﷺ فقال له: كيف أصبحت يا حارثة؟ فذكر نحو حديث ابن عساكر، قال الهيثمي (1/ 57): وفيه ابن لهيعة، وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 242) عن أنس بن مالك أن معاذ بن جبل رضي الله عنه دخل على رسول الله ﷺ فقال: «كيف أصبحت يا معاذ»؟ قال: أصبحت مؤمناً بالله تعالى. قال: «إنَّ لكل قول مصداقاً، ولكل حق حقيقة، فما مصداق ما تقول»؟ قال: يا نبي الله، ما أصبحت صباحاً قط إلاَّ ظننت أنِّي لا أمسي، وما أمسيت مساء قط إلاَّ ظننت أنِّي لا أصبح، ولا خطوت خطوة إلاَّ ظننت أنِّي لا أتبعها أخرى، وكأني أنظر إلى كل أمة جاثية تُدعى إلى كتابها معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله، وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة، قال: «عرفت فالزم».

وقد تقدَّم في باب الدعوة إلى الله وإلى رسوله من حديث سويد بن الحارث رضي الله عنه قال: وفدت على رسول الله ﷺ سابع سبعة من قومي فلما دخلنا عليه وكلّمناه فأعجبه ما رأى من سَمْتنا وزيِّنا، فقال: «ما أنتم؟» قلنا: مؤمنين، فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال: «إنَّ لكل قول حقيقة وما حقيقة قولكم وإيمانكم»؟ قال سويد: فقلنا: خمس عشرة خصلة: خمسٌ منها أمَرَتْنا رُسلُك أن نؤمن بها، وخمس منها أمرتْنا رسلُك أن نعمل بها، وخمس منها تخلّقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً ـ فذكر الحديث في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره وأركان الإسلام والأخلاق الطيبة.

وأخرج أبو نُعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ جاءه حرملة بن زيد الأنصاري رضي الله عنه ـ أحد بني حارثة ـ فجلس بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله الإيمان ههنا ـ وأشار بيده إلى لسانه ـ، والنفاق هاهنا ـ ووضع يده على صدره ـ ولا يذكر الله إلاَّ قليلاً، فسكت رسول الله ﷺ وردّ ذلك حرملة، فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان حرملة فقال: «اللهم اجعل له لساناً صادقاً، وقلباً شاكراً، وارزقه حبي وحب من يحبني، وصيِّر أمره إلى خير». فقال له حرملة: يا رسول الله إن لي إخواناً منافقين كنت فيهم رأساً أفلا أدلُّك عليهم؟ فقال: رسول الله ﷺ: «من جاءنا كما جئتنا استغفرنا له كما استغفرنا لك، ومن أصر على ذلك فالله أولى به». كذا في «الكنز» (2/ 250). وأخرجه الطبراني (4/ 3475) وإسناده لا بأس به، وأخرجه ابن مَنْدَة أيضاً، وروينا في «فوائد» هشام بن عمار رواية أحمد بن سليمان من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه نحوه، كذا في «الإصابة» (1/ 320).

* * *

الإيمان بذات الله عز وجل وصفاته تبارك وتعالى

أخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص208) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، فكان يقرأ لأصحابه في صلواتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه لأي شيء يصنع هذا»؟! فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأها. فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أنَّ الله عز وجل يحبه». وأخرجه الشيخان عن عائشة، كما قال البيهقي.

وأخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص245) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد - أو يا رسول الله - إن الله جعل السماوات على أصبع، والأرضين على أصبع، والجبال والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على أصبع، فيهزهن فيقول: أنا الملك، قال: فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الزمر: 67] - إلى آخر الآية. وأخرجه الشيخان في صحيحيهما كما قال البيهقي.

وأخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص356) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ سئل: كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادر أن يمشيه على

وجهه يوم القيامة». وأخرجه الشيخان وأحمد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم وغيرهم نحوه عن أنس، كما في «الكنز» (7/ 28).

وأخرج أحمد عن حذيفة بن أُسيد قال: قام أبو ذر رضي الله عنه فقال: يا بني غفار قولوا ولا تحلفوا، فإنَّ الصادق المصدوق حدثني أن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج: فوج راكبين طاعمين كاسين، وفوج يمشون ويسعَون، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم إلى النار؛ فقال قائل منهم: هذان قد عرفناهما فما بال الذين يمشون ويسعَون؟ قال: يلقي الله عز وجل الآفة على الظَّهر حتى لا يبقى ظهر، حتى إنَّ الرجل لتكون له الحديقة فيعطيها بالشارف ذات القتب فلا يقدر عليها، كذا في «التفسير» لابن كثير (3/ 65). وأخرجه الحاكم (4/ 564) عن حذيفة عن أبي ذر نحوه، هذا حديث صحيح الإسناد إلى الوليد بن جَميع ولم يخرِّجاه، وقال الذهبي: الوليد قد روى له مسلم متابعة واحتج به النَّسائي.

وأخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص110) عن الطفيل بن عبد الله رضي الله عنه ـ وكان أخا عائشة رضي الله عنها لأمها ـ أنه رأى فيما يرى النائم أنه لقي رهطاً من النصارى فقال: نعم القوم أنتم لولا أنكم تزعمون أن المسيح ابن الله، قال: أنتم القوم لولا تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم لقي رهطاً من اليهود فقال: أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أن عُزَيْراً ابن الله، قال: وأنتم قوم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. قال: فأتى النبي ﷺ فقصَّها عليه، فقال ﷺ: «حدَّثت بها أحداً بعد»؟ فقال: نعم، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: «إنَّ أخاكم قد رأى ما بلغكم فلا تقولوها، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده لا شريك له».

وعنده أيضاً عن حُذيفة رضي الله عنه قال: رأى رجل من المسلمين في النوم أنه لقي رجلاً من أهل الكتاب فقال: نِعْم القوم أنتم لولا أنكم تشركون تقولون: ما شاء الله ومحمد، فذكر ذلك النبي ﷺ، فقال: «إنِّي كنت لأكرهها لكم، وقولوا ما شاء الله ثم شاء فلان».

وأخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص110) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يكلِّمه في بعض الأمر فقال الرجل لرسول الله ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال رسول الله ﷺ: «أجعلتني لله عِدْلاً؟ بل شاء الله وحده».

وأخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص111) عن الأوزاعي قال: أتى النبي ﷺ يهوديٌّ فسأله عن المشيئة، فقال: «المشيئة لله تعالى» قال: فإني أشاء أن أقوم. قال: «قد شاء الله أن تقوم»، قال: فإني أشاء أن أقعد. قال: «فقد شاء الله أن تقعد»، قال: فإني أشاء أن أقطع هذه النخلة، قال: «فقد شاء الله أن تقطعها»، قال: فإني أشاء أن أتركها، قال: «فقد شاء الله أن تتركها». قال: فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال: لُقِّنت حجتك ما لُقِّنها إبراهيم عليه السلام، قال: ونزل القرآن فقال: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: 5] قال البيهقي: هذا وإنْ كان مرسلاً فما قبله من الموصولات في معناه يؤكده انتهى.

وأخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص109) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية نزل منزلاً فعرَّس فيه، فقال: «من يحرسنا»؟ فقال عبد الله: أنا أنا. فقال: «أنت» مرتين أو ثلاثاً يعني أنك تنام ـ ثم قال ﷺ: «أنت لها» فحرست، فلما كان في وجه الصبح أدركني ما قال رسول الله ﷺ فنمت، فلم

نستيقظ إلاَّ بحرِّ الشمس على ظهورنا، فقام رسول الله ﷺ فصنع كما كان يصنع، ثم صلَّى الصبح، ثم قال: «إن الله تعالى لو شاء لم تناموا عنها؛ ولكن أراد أن تكون لمن بعدكم فهكذا» أي لمن نام أو نسي. وعنده أيضاً عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه رضي الله عنه في حديث الميضأة قال: فقال النبي ﷺ: «إنَّ الله تعالى قبض أرواحكم حين شاء، وردّها حين شاء» فقضَوا حوائجهم، فتوضأوا إلى أنِ ابيضّت - يعني الشمس - ثم قام فصلَّى، وأخرجه البخاري في «الصحيح» بهذا الإسناد، كما قال البيهقي.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير (7/ 211) وابن المنذر وابن خسرو - وهو لفظه - عن طارق بن شهاب قال: جاء يهودي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: أرأيت قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: 133] فأين النار؟ فقال عمر لأصحاب محمد ﷺ: أجيبوه، فلم يكن عندهم فيها شيء، فقال عمر: أرأيت النهار إذا جاء الليل يملأ الأرض فأين الآخر؟ قال: حيث شاء الله، فقال عمر: والنار حيث شاء الله، فقال اليهودي: والذي نفسي بيده يا أمير المؤمنين إنها لفي كتاب الله المنزَّل كما قلت. كذا في «الكنز» (7/ 277).

وأخرج ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال: قيل لعلي: إنَّ ههنا رجلاً يتكلم في المشيئة. فقال له علي: يا عبد الله خلقك الله كما يشاء أو كما شئت؟ قال: بل كما شاء. قال: فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء، قال: فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت؟ قال: بل إذا شاء، قال: فيدخلك حيث شئت أو حيث شاء؟ قال: بل حيث يشاء، قال: والله لو قلتَ غير ذلك لضربت الذي فيه عيناك بالسيف. كذا في «التفسير» لابن كثير (3/ 211).

وأخرج البزار في «مسنده» (52) عن أنس رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله إنا تكون عندك على حال، فإذا فارقناك كنَّا على غيره، قال: «كيف أنتم وربكم؟» قالوا: الله ربنا في السر والعلانية. قال: «ليس ذلكم النفاق». كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 397).

وأخرج ابن النجار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ قال: من يحاسب الخَلق يوم القيامة يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: «الله عز وجل»، فقال الأعرابي: نجونا وربِّ الكعبة! فقال: «وكيف يا أعرابي»؟ فقال: إن الكريم إذا قدر عفا. كذا في «الكنز» (7/ 270).

وأخرج عبد الرزاق، والمحاملي في «أماليه» عن سعيد بن المسيَّب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث معاذاً رضي الله عنه ساعياً على بني كِلاب، فقسم فيهم حتى لم يَدَع شيئاً، حتى جاء بحِلْسِه الذي خرج به يحمله على رقبته، فقالت له امرأته: أين ما جئت به مما يأتي به العمال (من) عُراضة أهليهم؟ فقال: كان معي ضاغط. فقالت: قد كنت أميناً عند رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه، فبعث عمر رضي الله عنه معك ضاغطاً! فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر؛ فبلغ ذلك عمر فدعا معاذاً فقال: أنا بعثت معك ضاغطاً؟ فقال: لم أجد شيئاً اعتذر به إليها إلاَّ ذلك. فضحك عمر وأعطاه شيئاً فقال: أرضها به، قال ابن جرير: قول معاذ: الضاغط - يريد به ربه عز وجل؛ كذا في «الكنز» (7/ 87).

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: الحمد لله وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلِّمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي

﴿تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ [المجادلة: 1] إلى آخر الآية. وهكذا رواه البخاري في كتاب «التوحيد» تعليقاً. كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 318). وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص13). وفي رواية لابن أبي حاتم كما في «التفسير» لابن كثير (4/ 318) عن عائشة أنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ـ رضي الله عنها ـ ويخفى عليَّ بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ، وهي تقول: يا رسول الله، أكل مالي، وأفنى شبابي، ونثرت له بطني؛ حتى إذا كبرتْ سني وانقطع ولدي ظاهر مني. اللهمَّ إني أشكو إليك. قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ قالت: وزوجها أوس بن الصامت ـ رضي الله عنه.

وأخرج البخاري في «تاريخه» وعثمان الدارمي في «الردِّ على الجهمية» والأصبهاني في «الحجة» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما قُبض رسول الله ﷺ قال أبو بكر رضي الله عنه: أيها الناس، إنْ كان محمد إلهكم الذي تعبدون فإنه قد مات، وإن كان إلهكم الذي في السماء فإن إلهكم لم يمت، ثم تلا ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾ [آل عمران: 144] ـ الآية، قال ابن كثير: رجال إسناده ثقات. كذا في «الكنز» (4/ 51).

وقد تقدَّم في اجتماع الصحابة على أبي بكر الصدِّيق خطبة أبي بكر وفيها: إنَّ الله عمَّر محمداً ﷺ وأبقاه حتى أقام دين الله، وأظهر أمر الله، وبلَّغ رسالة الله، جاهد في سبيل الله، ثم توفَّاه الله على ذلك، وقد ترككم على الطريقة، فلن يهلك هالك إلا من بعد البينة والشفاء، فمن كان الله ربه فإن الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمداً وينزله إلهاً فقد هلك إلهه، فاتقوا الله أيها الناس واعتصموا بدينكم، وتوكَّلوا على ربكم،

فإن دين الله قائم، وإن كلمة الله تامة، وإن الله ناصر من نصره ومعز دينه، وإن كتاب الله بين أظهرنا، وهو النور والشفاء، وبه هدى الله محمداً ﷺ، وفيه حلال الله وحرامه، والله لا نبالي من أجلب علينا من خلق الله، إن سيوف الله لمسلولة ما وضعناها بعد، ولنجاهدنَّ من خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله ﷺ. أخرجه البيهقي عن عروة بن الزبير.

وأخرج الحاكم (3/ 476) عن علقمة عن أُمه أن امرأة دخلت بيت عائشة رضي الله عنها، فصلَّت عند بيت النبي ﷺ وهي صحيحة، فسجدت فلم ترفع رأسها حتى ماتت، فقالت عائشة: الحمد لله الذي يحيي ويميت، إنَّ في هذه لعبرة لي في عبد الرحمن بن أبي بكر، رَقَد في مَقِيل له قَاله، فذهبوا يوقظونه فوجدوه قد مات، فدخل نفس عائشة تُهَمة أن يكون صُنع به شرٌّ أو عُجِّلَ عليه فدفن وهو حيٌّ، فرأت أنه عبرة لها وذهب ما كان في نفسها من ذلك.

* * *

الإِيمان بالملائكة

أخرج ابن جرير (29/ 32) عن علي رضي الله عنه قال: لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي ملك، إلا يوم نوح عليه السلام، فإنه أُذن للماء دون الخزّان، فطغى الماء على الخزّان فخرج، فذلك قوله: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: 11] ولم ينزل شيء من الريح إلاّ بكيل على يدي ملك إلاّ يوم عاد، فإنه أذن لها دون الخزّان، فخرجت فذلك قوله: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: 6]، عتت على الخزّان، كذا في «الكنز» (1/ 273).

وأخرج ابن سعد (4/ 92) عن الشَّعبي عن الجزْل عن امرأة سلمان رضي الله عنهما بُقيرة، أنه لما حضرته الوفاة - دعاني وهو في عِلِيَّة له لها أربعة أبواب، فقال: افتحي الأبواب يا بُقيرة، فإنَّ لي اليوم زُوّاراً لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون عليّ. ثم دعا بِمسْك له، فقال: أديفيه في تنور، ففعلت، ثم قال: انضحيه حول فراشي ثم انزلي فامكثي فسوف تطَّلعين فتري على فراشي، فاطَّلعت فإذا هو قد أُخذ روحه، فكأنما هو نائم على فراشه ونحواً من هذا.

وعنده أيضاً (4/ 92) عن الشَّعْبي قال: لما حضرت سلمان الوفاة قال لصاحبة منزله: هَلُمّي خبِيَّك الذي استخبأتك. قالت: فجئته بصرّة مِسْك. قال: فقال: ائتني بقدح فيه ماء، فنثر المسك فيه ثم ماثه بيده، ثم قال: انضحيه حولي فإنه يحضرني خَلْق من خلق الله يجدون الريح

ولا يأكلون الطعام، ثم اجفني عليَّ الباب وانزلي. قالت: ففعلت، وجلست هنيهة فسمعت هسهسة، قالت: ثم صعدت فإذا هو قد مات.

وعنده **أيضاً** عن عطاء بن السائب فذكره مختصراً وفيه: فإنه يحضرني الليلة ملائكة يجدون الريح ولا يأكلون الطعام. وسيأتي بعض قصص الباب في باب التأييدات الغيبية في المدد بالملائكة.

* * *

الإِيمان بالقدر

أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: دُعي النبي ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله، طوبى له عصفور من عصافير الجنة!! لم يعمل السوء ولم يدركه!! فقال رسول الله ﷺ: «أو غير ذلك يا عائشة، إنَّ الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم». كذا في «التفسير» لابن كثير (2/ 268).

وأخرج الإمام أحمد عن الوليد بن عبادة قال: دخلت على عبادة رضي الله عنه وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي، فقال: أجلسوني، فلما أجلسوه قال: يا بني إنك لم تُطعم الإيمان ولم تبلغ حقّ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. قلت: يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خيرُ القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك. يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أول ما خلق الله القلم، ثم قال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة». يا بني إنْ متَّ ولستَ على ذلك دخلت النار. وأخرجه الترمذي عن الوليد بن عبادة عن أبيه وقال: حسن صحيح غريب كما في «التفسير» لابن كثير (4/ 268).

وأخرج أحمد عن أبي نضرة أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يقال له أبو عبد الله رضي الله عنه دخل عليه أصحابه يعودونه وهو يبكي،

فقالوا له: ما يبكيك؟ ألم يقل لك رسول الله ﷺ: «خذ من شاربك ثم أقرره حتى تلقاني» قال: بلى، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله عز وجل قبض قبضة بيمينه فقال: هذه لهذه ولا أبالي، وقبض قبضة أخرى - يعني بيده الأخرى - فقال: هذه لهذه ولا أبالي»، فلا أدري في أيِّ القبضتين أنا؛ قال الهيثمي (7/ 186): رجاله رجال الصحيح.

وأخرج الطبراني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: لما أن حضره الموت بكى فقال له: ما يبكيك؟ قال: والله لا أبكي جزعاً من الموت ولا دنيا أخلِّفها بعدي؛ ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما هما قبضتان: فقبضة في النار، وقبضة في الجنة»، ولا أدري في أيِّ القبضتين أكون، قال الهيثمي (7/ 187): وفيه البراء بن عبد الله الغنوي وهو ضعيف والحسن لم يدرك معاذاً.

وأخرج أحمد عن محمد بن عبيد المكي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قيل له إن رجلاً قدم علينا يكذِّب بالقدر فقال: دلُّوني عليه - وهو يومئذ قد عمي - قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس؟ قال: والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعضنَّ أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته في يدي لأدقنَّها!! فإن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كأني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج تصطفق ألياتهن مشركات، هذا أول شرك هذه الأمة، والذي نفسي بيده لينتهينَّ بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدَّر خيراً كما أخرجوه من أن يكون قدَّر شراً».

وعند ابن أبي حاتم عن عطاء بن أبي رباح قال: أتيت ابن عباس وهو ينزع من ماء زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه، فقلت له: قد تُكُلِّم في القدر، فقال: أوَقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: فوالله ما نزلت هذه الآية إلاَّ فيهم ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 48 و49] أولئك

شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم، ولا تصلُّوا على موتاهم، إن رأيت أحداً منهم فقأت عينيه بأصبعيَّ هاتين. كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 267).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 325) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لوددتُ أنَّ عندي رجلاً من أهل القدَر فوجأت رأسه! قالوا: ولم ذاك؟ قال: لأن الله تعالى خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء، دفّتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ستين وثلاثمائة نظرة، يخلق بكل نظرة، ويحيي ويميت، ويعزّ ويذلّ، ويفعل ما يشاء.

وأخرج أحمد عن نافع قال: كان لابن عمر رضي الله عنهما صديق من أهل الشام يكاتبه، فكتب إليه عبد الله بن عمر أنه بلغني أنك تكلّمت في شيء من القدر، فإياك أن تكتب إليَّ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في أمتي أقوام يكذّبون بالقدر». وأخرجه أبو داود عن أحمد بن حنبل به، كما في «التفسير» لابن كثير (4/ 268).

وأخرج ابن عبد البر في «العلم» عن النَّزَّال بن سَبْرة قال: قيل لعلي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، إنَّ ههنا قوماً يقولون: إنَّ الله لا يعلم ما يكون حتى يكون، فقال: ثكلتهم أمهاتهم من أين قالوا هذا؟! قيل: يتأوّلون القرآن في قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: 31] فقال علي: من لم يعلم هلك، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس تعلّموا العلم واعملوا به وعلّموه، ومن أشكل عليه شيء من كتاب الله فليسألني، وبلغني أنَّ قوماً يقولون: إنَّ الله لا يعلم ما يكون حتى يكون لقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ وإنما قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾، يقول: حتى نرى من كتب عليه الجهاد والصبر

إن جاهد وصبر على ما نابه وأتاه مما قضيت عليه. كذا في «الكنز» (1/ 265).

وتقدَّم في التوكل قول علي رضي الله عنه: إنَّه لا يكون في الأرض شيء حتى يُقضى في السماء، وليس من أحد إلاَّ وقد وُكِّل به ملكان يدفعان عنه ويكلآنه حتى يجيء قدره، فإذا جاء قدره خَلَّيا بينه وبين قدره، وإنَّ عليَّ من الله جُنَّةً حصينة، فإذا جاء أجلي كُشف عني، وإنه لا يجد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. أخرجه أبو داود في القدر.

وأخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص243) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيراً ما يخطب، كان يقول على المنبر:

خفِّض عليك فإنَّ الأمور
بكفِّ الإلهِ مقاديرُها
فليسَ بآتيكَ مَنْهِيُّها
ولا قاصِرٌ عنك مأمورُها

* * *

الإيمان بأشراط الساعة

أخرج ابن أبي شيبة والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: 8] قال النبي ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القَرْن قد التقم القرن، وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ»؟ فقال أصحاب النبي ﷺ: فكيف نقول؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»، كذا في «الكنز» (7/ 270) وقال: وهو حسن، وأخرجه الباوردي عن الأرقم بن أبي الأرقم نحوه، وفي رواية: فلما سمعه أصحاب رسول الله ﷺ اشتد ذلك عليهم وقالوا: يا رسول الله كيف نصنع؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل».

وقد تقدَّم في معاشرة النساء قول حفصة لسودة رضي الله عنهما: يا سودة خرج الأعور، قالت: نعم! ففزعت فزعاً شديداً، فجعلت تنتفض، قالت: أين أختبىء؟ قالت: عليك بالخيمة ـ خيمة لهم من سعف يختبئون فيها ـ فذهبت فاختبأت فيها، وفيها القذر ونسيج العنكبوت، فذكر الحديث وفيه: فذهب ـ أي رسول الله ـ فإذا سودة تُرْعد؛ فقال لها: «يا سودة ما لك»؟ قالت: يا رسول الله خرج الأعور! قال: «ما خرج وليخرجنَّ، ما خرج وليخرجنَّ»، فأخرجها فجعل ينفض عنها الغبار ونسيج العنكبوت؛ أخرجه أبو يعلى (7160) والطبراني (24/ 706) عن رزينة رضي الله عنها مولاة رسول الله ﷺ.

وأخرج ابن أبي شيبة (8/ 654) عن سعيد بن المسيَّب قال: قال

أبو بكر رضي الله عنه: هل بالعراق أرض يقال لها خراسان؟ قالوا: نعم، قال: فإن الدَّجال يخرج منها.

وعند نُعيم بن حماد في «الفتن» عن أبي بكر الصدِّيق قال: يخرج الدجال من مَرْو من يهوديتها. كذا في «الكنز» (7/ 263).

وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن أبي مُليكة قال: غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لم؟ قال: قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت، وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس. كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 139). وأخرجه الحاكم (4/ 459) عن ابن أبي مُليكة نحوه غير أن في روايته: فخشيت أن يكون الدجال قد طَرَق. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه ووافقه الذهبي.

* * *

الإِيمان بما هو كائن في القبر والبَرْزَخ

أخرج أحمد في «الزهد» عن عبادة بن نَسيّ قال: لمّا حَضَرْت أبا بكر رضي الله عنه الوفاةُ قال لعائشة رضي الله عنها: اغسلي ثوبيّ هذين وكفّنيني بهما؛ فإنما أبوك أحد رجلين: إما مكسو أحسن الكسوة، أو مسلوب أسوأ السلب. كذا في «المنتخب» (4/ 363). وعنده أيضاً وابن سعد والدغولي عن عائشة قالت: لما حُضر أبو بكر قلت:

لَعَمْرُكَ ما يُغني الثراء عن الفتى إذا

حَشْرَجَتْ يوماً وضاقَ بها الصَّدْرُ

فقال أبو بكر: لا تقولي هكذا يا بنية، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: 19] وقال: انظروا ثوبيّ هذين فاغسلوهما ثم كفّنوني فيهما؛ لأن الحيّ أحوج إلي الجديد من الميت، إنما هو للمهلة.

وعند أبي يعلى (7/ 4451) وأبي نعيم والدغولي والبيهقي عن عائشة قالت: لما اشتدَّ مرض أبي بكر بكيت، وأغمي عليه فقلت:

مَن لا يزالُ دمعُهُ مقنَّعاً

فإنه من دمعه مَدْفوقُ

فأفاق فقال: ليس كما قلت يا بنية، ولكن ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: 19]. ثم قال: أيُّ يوم توفي رسول الله ﷺ؟ فقلت: يوم الإثنين، فقال: أي يوم هذا؟ فقلت: يوم الإثنين، قال: فإني

أرجو من الله ما بيني وبين هذا الليل، فمات ليلة الثلاثاء، وقال: في كم كُفِّن رسول الله ﷺ؟ فقلت: كفَّناه في ثلاثة أثواب سَحُولية بيض جُدُد ليس فيها قميص ولا عمامة، فقال: اغسلوا ثوبي هذا وبه رَدْع من زعفران واجعلوا معه ثوبين جديدين؛ فقلت: إنه خَلَق، فقال: الحي أحوج إلى الجديد من الميت، إنما هو للمهلة. كذا في «المنتخب» (4/ 362). وفي سياق ابن سعد (73/ 19): إنما يصير إلى الصديد وإلى البلى.

وأخرج ابن سعد (3/ 58) عن يحيى بن أبي راشد النصري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال لابنه: يا بني إذا حضرتني الوفاة فاحرفني، واجعل ركبتيك في صلبي، وضع يدك اليمنى على جبيني ويدك اليسرى على ذَقني، فإذا قُبضت فأغمضني، واقصدوا في كفني، (فإنَّه إن يكن لي عند الله خير أبدلني خيراً منه، وإن كنت على غير ذلك سلبني فأسرع سلبي، واقصدوا في حفرتي) فإنه إن يكن لي عند الله خير وسَّع لي فيها مدّ بصري، وإن كنت على غير ذلك ضيّقها عليَّ حتى تختلف أضلاعي، ولا تُخرِجنَّ معي امرأة، ولا تزكُّوني بما ليس فيّ، فإنّ الله هو أعلم بي، وإذا خرجتم بي فأسرعوا في المشي، فإنه إن يكن لي عند الله خير قدمتموني إلى ما هو خير لي، وإن كنت على غير ذلك كنتم قد ألقيتم عن رقابكم شرّاً تحملونه. وأخرجه ابن أبي الدنيا في القبور عن يحيى نحوه كما في المنتخب (4/ 427).

وقد تقدَّم في جعل الأمر شورى بين المستصلحين له قول عمر حين عرف أنه الموت قال: الآن لو أنَّ لي الدنيا كلها لافتديت بها من هول المطَّلَع، وقوله لابنه: ألصق خدي بالأرض يا عبد الله بن عمر، فوضعته من فخذي على ساقي فقال ألصِقْ خدي بالأرض، فترك لحيته وخده حتى

وقع بالأرض فقال: ويلك وويل أمك يا عمر إن لم يغفر الله لك يا عمر!! ثم قبض رحمه الله. أخرجه الطبراني في حديث طويل عن ابن عمر رضي الله عنهما وحسّن إسناده الهيثمي (9/ 76).

وتقدّم في البكاء عن هانىء قال: كان عثمان رضي الله عنه إذ وقف على قبر يبكي حتى يبلّ لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتذكر القبر فتبكي ـ فذكر الحديث، أخرجه الترمذي وحسّنه.

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص72) عن خالد بن الربيع قال: لما ثقل حذيفة رضي الله عنه سمع بذلك رهطه والأنصار، فأتوه في جوف الليل أو عند الصبح. فقال: أي ساعة هذه؟ قلنا: جوف الليل أو عند الصبح، فقال: أعوذ بالله من صباح (إلى) النار! قال: جئتم بما أكفن به؟ قلنا: نعم، قال: لا تغالَوا بالأكفان؛ فإنه إنْ يكن لي عند الله خير بُدِّلت به خيراً منه، وإن كانت الأخرى سُلِبت سلباً سريعاً.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 282) عن أبي وائل قال: لما ثقل حذيفة أتاه أناس من بني عبس فأخبرني خالد بن الربيع العبسي قال: أتيناه وهو بالمدائن حتى دخلنا عليه جوف الليل ـ فذكر نحوه. وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (3/ 380) عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه بمعناه مختصراً.

وعند أبي نُعيم في «الحلية» (1/ 283) عن صلة بن زُفَر أن حذيفة بعثني وأبا مسعود فابتعنا له كفناً حُلَّة عَصْب بثلاثمائة درهم، فقال: أرياني ما ابتعتما لي؛ فأريناه فقال: ما هذا لي بكفن، إنما يكفي ريطتان بيضاوان ليس معهما قميص، فإني لا أترك إلاَّ قليلاً حتى أُبدل خيراً منهما أو شراً منهما. فابتعنا له ريطتين بيضاوين.

وعنده أيضاً (1/ 282) عن أبي مسعود مختصراً، وفي روايته: ما تصنعون بهذا؟ إن كان صاحبكم صالحاً ليبدلنَّ الله تعالى به، وإن كان غير ذلك ليترامنَّ به رَجَواها إلى يوم القيامة. وأخرجه الحاكم (3/ 380) عن قيس بن أبي حازم نحوه، وفي روايته: وإن كان غير ذلك ليضربنَّ الله به وجهه يوم القيامة.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 262) عن الضحاك بن عبد الرحمن قال: دعا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فتيانه حين حضرته الوفاة فقال: اذهبوا واحفروا وأوسعوا وأعمقوا، فجاؤوا فقالوا: قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا. فقال: والله إنها لإحدى المنزلتين: إما ليوسعنّ عليّ قبري، حتى تكون كل زاوية منه أربعين ذراعاً، ثم ليفتحنَّ لي باب إلى الجنة فلأنظرنَّ إلى أزواجي ومنازلي وما أعد الله تعالى لي من الكرامة، ثم لأكوننَّ أهدى إلى منزلي مني اليوم إلى بيتي، ثم ليصيبني من ريحها ورَوْحها حتى أبعث. ولئن كانت الأخرى ـ ونعوذ بالله منها ـ ليضيقنَّ عليَّ قبري حتى يكون في أضيق من القناة في الزج، ثم ليفتحنَّ لي باب من أبواب جهنم، فلأنظرنَّ إلى سلاسلي وأغلالي وقرنائي، ثم لأكوننَّ إلى مقعدي من جهنم أهدى مني اليوم إلى بيتي، ثم ليصيبني من سمومها وحميها حتى أبعث.

وأخرج أبو نُعيم والبيهقي وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أُسيد بن حُضَير رضي الله عنه من أفاضل الناس وكان يقول: لو أني أكون كما أكون على حال من أحوال ثلاثة لكنت من أهل الجنة وما شككت في ذلك: حين أقرأ القرآن وحين أسمعه يُقرأ، وإذا سمعت خطبة رسول الله ﷺ، وإذا شهدت جنازة، وما شهدت جنازة قط فحدثتُ نفسي سوى ما هو مفعول بها وما هي صائرة إليه. كذا في «المنتخب» (5/ 138).

الإيمان بالآخرة

أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله إنا إذا رأيناك رقَّتْ قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، فإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشمِمنا النساء والأولاد. قال ﷺ: «لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفّهم، ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله عز وجل بقوم يذنبون كي يغفر لهم». قلنا: يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال ﷺ: «لبنة ذهب ولبنة فضة، ومِلَاطُها المسك الأَذْفَرُ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه. ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتُفتح لها أبواب السماوات، ويقول الرب تبارك وتعالى: «وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين». وروى الترمذي وابن ماجه بعضه، كما في «التفسير» لابن كثير (4/ 49).

وأخرج أبو الشيخ في جزء من حديثه عن سويد بن غَفَلة قال: أصابت علياً رضي الله عنه خصاصة، فقال لفاطمة رضي الله عنها: لو أتيتِ النبي ﷺ فسألته. فأتته وكان عنده أم أيمن رضي الله عنها، فدقت الباب فقال النبي ﷺ لأم أيمن: «إنَّ هذا لَدَقُّ فاطمة، ولقد أتتنا في ساعة ما عودتنا أن تأتينا في مثلها»، فقالت: يا رسول الله هذه الملائكة طعامها التهليل والتسبيح والتحميد ما طعامنا؟ قال: «والذي بعثني بالحق

ما اقتبس في بيت آل محمد منذ ثلاثين يوماً، ولقد أتتنا أعنز، فإن شئت أمرنا لك بخمسة أعنز، وإن شئت علمتك خمس كلمات علمنيهنَّ جبريل»، فقالت: بل علمني الخمس كلمات التي علمكهنَّ جبريل، قال: «قولي: يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين، ويا راحم المساكين، ويا أرحم الراحمين» فانصرفت فدخلت على عليٍّ فقال: ما وراءك؟ فقالت: ذهبت من عندك للدنيا وأتيتك بالآخرة، فقال: خير أيامك. كذا في «الكنز» (1/ 302) وقال: ولم أرَ في رواته من جُرح إلا أن صورته صورة المرسل، فإن كان سويد سمعه من عليٍ فهو متصل.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 259) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع أبي موسى رضي الله عنه في مسيرٍ له، فسمع الناس يتحدَّثون، فسمع فصاحةً فقال: ما لي يا أنس؟ هلمَّ فلنذكر ربنا فإن هؤلاء يكاد أحدهم أن يفريَ الأديم بلسانه! ثم قال لي: يا أنس ما أبطأ بالناس عن الآخرة وما ثبَّرهم عنها؟ قال: قلت: الشهوات والشيطان، قال: لا والله، ولكن عُجِّلت لهم الدنيا وأُخرت الآخرة ولو عاينوا ما عَدَلوا وما ميّلوا.

* * *

الإيمان بما هو كائن يوم القيامة

أخرج الترمذي ـ وصححه ـ عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 1 و2] قال: نزلت عليه هذه الآية وهو في سفر فقال: «أتدرون أي يوم ذلك»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذلك يوم يقول الله لآدم: ابعث بعث النار. قال: يا رب وما بَعْثُ النار؟ قال: تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة»، فأنشأ المسلمون يبكون، فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا وسدّدوا؛ فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهليّة»، قال: «فيؤخذ العدد من الجاهلية، فإن تمت وإلا كملت من المنافقين، وما مثلكم ومثل الأمم إلاّ كمثل الرَّقْمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير». ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا رُبع أهل الجنة» فكبَّروا، ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة»، فكبَّروا، ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»، فكبروا، ثم قال: ولا أدري أقال الثلثين أم لا، وكذا رواه الإمام أحمد وابن أبي حاتم.

وعند البخاري في تفسير هذه الآية عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم فيقول: لبيك ربنا وسَعْديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف ـ أراه قال:

تسعمائة وتسعة وتسعون ـ فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد. ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 2]. فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم، فقال النبي ﷺ: «من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون، ومنكم واحد، أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبَّرنا، ثم قال: «ثلث أهل الجنة» فكبرنا، ثم قال: «شطر أهل الجنة». فكبرنا. وقد رواه البخاري أيضاً في غير هذا الموضع ومسلم والنسائي في «تفسيره». كذا في «التفسير» لابن كثير (3/ 204). وأخرجه الحاكم (4/ 568) عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه، وفي روايته: فشقَّ ذلك على القوم ووقعت عليهم الكآبة والحزن.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: 31] قال الزبير رضي الله عنه: يا رسول الله أتكرر علينا الخصومة؟ قال ﷺ: «نعم»، قال رضي الله عنه: إن الأمر إذاً لشديد!! وكذا رواه الإمام أحمد وعنده زيادة: ولما نزلت ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: 8] قال الزبير رضي الله عنه: أي رسول الله أيُّ نعيم نُسأل عنه؟ وإنما نعيمنا الأسودان: التمر والماء؟! وقد روى هذه الزيادة الترمذي وحسّنه وابن ماجه.

وعند أحمد عن عبد الله بن الزبير عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر، الآيتان: 30 و31] قال الزبير رضي الله عنه: أيْ رسول الله، أيكرر علينا ما كان بيننا في

الدنيا مع خواصِّ الذنوب؟ قال ﷺ: «نعم، ليكررنَّ عليكم حتى يؤدَّي إلى كل ذي حق حقُّه». قال الزبير رضي الله عنه: والله إن الأمر لشديد!! ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح. كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 52). وأخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 572) نحوه قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه.

وأخرج عبد الرزاق عن قيس بن أبي حازم قال: كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه واضعاً رأسه في حجر امرأته، فبكى فبكت امرأته، قال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت قول الله عز وجل ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: 71] فلا أدري أنجو منها أم لا؟ وفي رواية: وكان مريضاً. كذا في «التفسير» لابن كثير (3/ 132).

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن عبادة بن محمد بن عبادة بن الصامت قال: لمَّا حضرت عبادة رضي الله عنه الوفاة قال: أخرجوا إليَّ مواليَّ وخدمي وجيراني ومن كان يدخل عليَّ، فجمعوا له فقال: إنَّ يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي عليَّ من الدنيا وأول ليلة من الآخرة، وإني لا أدري لعله قد فرط مني إليكم بيدي أو بلساني شيء، وهو والذي نفسي بيده القصاص يوم القيامة، وأحرِّج إلى أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتص مني من قبل أن تخرج نفسي، فقالوا: بل كنت والداً وكنت مؤدباً ـ قال: وما قال لخادم سوءاً قط ـ فقال: أعفوتم ما كان من ذلك؟ قالوا: نعم، قال: اللهمَّ اشهد، ثم قال: أمَّا لا، فاحفظوا وصيتي: أحرِّج على إنسان منكم يبكي عليَّ، فإذا خرجت نفسي فتوضأوا وأحسنوا الوضوء، ثم ليدخل كل إنسان منكم مسجداً فيصلي، ثم يستغفر لعبادة ولنفسه، فإنَّ الله تعالى قال: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: 45]

أسرعوا بي إلى حفرتي، ولا تُتْبِعُنِّي ناراً ولا تضعوا تحتي أرجواناً، كذا في «الكنز» (7/ 79).

وقد تقدم في الاحتياط عن الإنفاق على نفسه من بيت المال قول عمر رضي الله عنه لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حين استقرضه أربعة آلاف درهم فقال للرسول: قل له: يأخذها من بيت المال ثم ليردها. فلما جاءه الرسول فأخبره بما قال شق ذلك عليه فلقيه عمر فقال: أنت القائل ليأخذها من بيت المال، فإن مت قبل أن تجيء قلتم: أخذها أمير المؤمنين دعوها له، وأؤخذ بها يوم القيامة.

وسيأتي في التأثر بعلم الله تعالى وعلم رسوله ﷺ نشغ أبي هريرة رضي الله عنه نَشْغة شديدة، وسقوطه على وجهه حتى أسنده شَفيٌّ الأصبحي طويلاً حين ذكر قضاء الله تبارك وتعالى في القارىء، وصاحب المال، والذي قُتل في سبيل الله، وبكاء معاوية رضي الله عنه بكاءاً شديداً حين سمع هذا الحديث ظنّوا أنّه هالك.

* * *

الإيمان بالشفاعة

أخرج البغوي وابن عساكر عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: عرّس بنا رسول الله ﷺ، فتوسّد كل إنسان منا ذراع راحلته، فانتبهت في بعض الليل فإذا أنا لا أرى رسول الله ﷺ عند راحلته فأفزعني ذلك؛ فانطلقت ألتمس رسول الله ﷺ، فإذا أنا بمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، فإذا هما قد أفزعهما ما أفزعني، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا هزيزاً بأعلى الوادي كهزيز الرحى، فأخبرناه بما كان من أمرنا، فقال نبي الله ﷺ: «أتاني الليلة آتٍ من ربي عز وجل فخيَّرني بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة». فقلت: أنشدك الله يا نبي الله والصحبة لما جعلتنا من أهل شفاعتك. قال: «فإنّكم من أهل شفاعتي»، فانطلقنا مع رسول الله ﷺ حتى انتهينا إلى الناس فإذا هم قد فزعوا حين فقدوا نبي الله ﷺ، فقال نبي الله ﷺ: «أتاني آتٍ من ربي فخيَّرني بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة»، فقالوا له: ننشدك الله والصحبة لما جعلتنا من أهل شفاعتك، فلما انضمُّوا عليه قال نبي الله ﷺ: «فإني أشهد من حضر أن شفاعتي لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً. كذا في «الكنز» (7/ 271).

وأخرج البغوي وابن منده وابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبي عقيل رضي الله عنه قال: انطلقت إلى رسول الله ﷺ في وفد ثقيف،

فأنخنا بالباب وما في الناس أبغض إلينا من رجل نلج عليه، فما خرجنا حتى ما في الناس أحد أحب إلينا من رجل دخلنا عليه، فقال قائل منا: يا رسول الله، ألاَ سألت ربك ملكاً كملك سليمان عليه السلام. فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: «لعلَّ لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان، إنَّ الله لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة، فمنهم من اتخذها ـ وفي لفظ: اتخذ بها ـ دنيا فأعطيها، ومنهم من دعا على قومه لما عصَوه فأُهْلِكُلوا بها، وإنَّ الله أعطاني دعوة اختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة. قال البغوي: لا أعلم روى ابن أبي عقيل غير هذا الحديث وهو غريب لم يحدِّث به إلا من هذا الوجه، كذا في «الكنز» (7/ 272). وأخرجه البخاري والحارث بن أبي أسامة، كما في «الإصابة» (2/ 411).

وأخرج الشيرازي في «الألقاب» وابن النجار عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «نعم الرجل أنا لشرار أمتي». فقال له رجل من مزينة: يا رسول الله أنت لشرارهم فكيف لخيارهم؟ قال: «خيار أمتي يدخلون الجنّة بأعمالهم، وشرار أمتي ينتظرون شفاعتي، إلا أنها مباحة يوم القيامة لجميع أمتي إلا رجل ينتقص أصحابي». كذا في «الكنز» (7/ 272).

وأخرج ابن مردويه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أشفع لأمتي حتى يناديني ربي فيقول: أرضيت يا محمد؟ فأقول: نعم، رضيت»، ثم أقبل عليٌّ فقال: إنكم تقولون يا معشر العراق: إنَّ أرجَى آية في كتاب الله ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 53] قلت: إنا لنقول ذلك، قال: ولكنا أهل البيت نقول: إنَّ أرجَى

آية في كتاب الله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: 5] وهي الشفاعة. كذا في «الكنز» (7/ 273).

وأخرج أحمد عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه أنه دخل على معاوية رضي الله عنه فإذا رجل يتكلم، فقال بريدة: يا معاوية تأذن لي في الكلام؟ فقال: نعم ـ وهو يرى أنه سيتكلم بمثل ما قال الآخر ـ فقال بريدة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأرجو أن أشفع يوم القيامة عدد ما على الأرض من شجرة ومدرة»، قال: فترجوها أنت يا معاوية ولا يرجوها علي رضي الله عنه؟! كذا في «التفسير» لابن كثير (3/ 56).

وأخرج ابن مردويه عن طَلْق بن حبيب قال: كنت من أشد الناس تكذيباً بالشفاعة، حتى لقيت جابر بن عبد الله رضي الله عنه، فقرأت عليه كل آية أقدر عليها يذكر الله فيها خلود أهل النار، فقال: يا طَلْق أتراك أقرأ لكتاب الله وأعلم بسنة رسول الله مني؟ إن الذين قرأت هم أهلها هم المشركون، ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوباً فعُذِّبوا ثم أُخرجوا منها، ثم أهوى بيديه إلى أذنيه فقال: صُمَّتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرجون من النار بعدما دخلوا» ونحن نقرأ كما قرأت.

وعند ابن أبي حاتم عن يزيد الفقير قال: جلست إلى جابر بن عبد الله وهو يحدِّث أن ناساً يخرجون من النار قال: وأنا يومئذ أنكر ذلك، فغضبت وقلت: ما أعجب من الناس ولكن أعجب منكم يا أصحاب محمد ﷺ!! تزعمون أن الله يخرج ناساً من النار والله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: 37] ـ الآية، فانتهرني أصحابه وكان أحلمهم فقال: دَعُوا الرجل، إنَّما ذلك للكفار، فقرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ حتى بلغ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: 36

و37] أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قد جمعته، قال: أليس الله يقول: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: 79] فهو ذلك المقام، فإن الله تعالى يحتبس أقواماً بخطاياهم في النار ما شاء لا يكلمهم، فإذا أراد أن يخرجهم أخرجهم، قال: فلم أعُدْ بعد ذلك إلى أن أكذّب به. كذا في «التفسير» لابن كثير (2/ 54).

* * *

الإيمان بالجنة والنار

أخرج الحسن بن سفيان وأبو نُعيم عن حنظلة الكاتب الأسيدي رضي الله عنه ـ وكان من كُتَّاب النبي ﷺ ـ فقال: كنّا عند النبي ﷺ فذكرنا الجنة والنار حتى كانا رأي عين، فقمت إلى أهلي وولدي فضحكت ولعبت، فذكرت الذي كنَّا فيه، فخرجت فلقيت أبا بكر رضي الله عنه، فقلت: نافقتُ يا أبا بكر!! قال: وما ذاك؟ قلت: تكون عند النبي ﷺ يذكِّرنا الجنة والنار كأنَّا رأي عين، فإذا خرجنا من عنده عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا، فقال أبو بكر: إنَّا لنفعل ذلك، فأتيت النبي ﷺ فذكرت له ذلك فقال: «يا حنظلة، لو كنتكم عند أهليكم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطريق، يا حنظلة، ساعة وساعة» كذا في «الكنز» (1/ 100).

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أكرينا (في الحديث) ذات ليلة عند رسول الله ﷺ، ثم غدونا عليه فقال: «عُرضت عليَّ الأنبياء وأتباعها بأممها، فيمر عليَّ النبي والنبي في العصابة، والنبي في الثلاثة، والنبي وليس معه أحد» ـ وتلا قتادة هذه الآية: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: 78] قال: «حتى مرّ عليَّ موسى بن عمران عليه السلام في كبكبة من بني إسرائيل» قال: «قلت: ربِّ من هذا؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران ومن تبعه من بني إسرائيل» قال: «قلت: ربِّ فأين أمتي؟ قال: انظر عن يمينك في الظِّراب، قال: فإذا

وجوه الرجال، قال: أرضيت؟ قلت: قد رضيت ربِّ، قال: انظر إلى الأفق عن يسارك؛ فإذا وجوه الرجال، قال: أرضيت؟ قلت: قد رضيت ربِّ، قال: فإنَّ مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب» قال: وأنشأ عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَن من بني أسد رضي الله عنه ـ قال سعيد: وكان بدرياً ـ قال: يا نبيَّ الله ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: «اللهمَّ اجعله منهم». قال: أنشأ رجل آخر قال: يا نبي الله ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة» قال: فقال رسول الله ﷺ: «فإن استطعتم ـ فداكم أبي وأمي ـ أن تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا، وإلاَّ فكونوا من أصحاب الظِّراب، وإلا فكونوا من أصحاب الأفق، فإني قد رأيت ناساً كثيراً قد ناشبوا أحوالهم» ثم قال: «إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة»، وَكبَّرنا ثم قال: «إنِّي لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة»، قال: فكبَّرنا، قال: «إنِّي لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»، قال: فكبَّرنا، قال: ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة: 40] ـ قال: فقلنا بيننا: مَنْ هؤلاء السبعون ألفاً؟ فقلنا: هم الذين وُلدوا في الإسلام ولم يشركوا، قال: فبلغه ذلك فقال: «بل هم الذين لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيَّرون، وعلى ربهم يتوكَّلون». وكذا رواه ابن جرير، وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه في الصحح وغيرها. كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 293)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 578) عن عبد الله بن مسعود بطوله نحوه، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه بهذه السياقة، وقال الذهبي: صحيح.

وأخرج ابن النجار عن سليم بن عامر قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إنَّ الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، قال: أقبل

أعرابي يوماً فقال: يا رسول الله، ذكر الله في الجنة شجرة تُؤذي صاحبها. فقال رسول الله ﷺ «وما هي»؟ قال: السِّدْر فإن له شوكاً مؤذياً. فقال رسول الله ﷺ: «أليس الله تعالى يقول: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة: 28]، خضد الله شوكه، فجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها لتنبت ثمراً، ففتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لوناً من طعام ما فيها لون يشبه الآخر».

وعند ابن أبي داود عن عتبة بن عبد السُّلمي رضي الله عنه قال: كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا رسول الله أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجراً أكثر شوكاً منها - يعني الطَّلْح - فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خُصوة التيس الملبود، فيها سبعون لوناً من الطعام لا يشبه لونٌ الآخر». كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 288).

وأخرج الإمام أحمد عن عتبة بن عبد السلمي قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فسأله عن الحوض وذَكَر الجنة، ثم قال الأعرابي: فيها فاكهة؟ قال: «نعم، وفيها شجرة تدعى طُوبى»، قال: فذكر شيئاً لا أدري ما هو، قال: أيُّ شجر أرضنا تشبه؟ قال: ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك، فقال النبي ﷺ: أتيتَ الشام؟ قال: لا، قال: «تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينفرش أعلاها»، قال: ما عظم العنقود؟ قال: «مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يفتر»، قال: ما عظم أصلها؟ قال: «لو ارتحلت جذعةً من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكر تَرقُوتها هرماً»، قال: فيها عنب؟ قال: «نعم»، قال: فما عظم الحبّة، قال: هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً»؟ قال: نعم، قال: «فسلخ إهابه فأعطاه أمك فقال: اتخذي لنا منه دلواً»؟ قال: نعم، قال

الأعرابي؛ فإن تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي؟ قال: «نعم وعامة عشيرتك». كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 290).

وأخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهم قال: جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ، قال له رسول الله ﷺ: «سل واستفهم» فقال: يا رسول الله فُضِّلتم علينا بالصور والألوان والنبوة، أفرأيت إن آمنتَ بما آمنتَ به، وعلمتَ بما عملت به، إني لكائن معك في الجنة؟ قال: «نعم، والذي نفسي بيده، إنه ليرى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام». ثم قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، كان له بها عهد عند الله، ومن قال: سبحان الله وبحمده، كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة»، فقال رجل: كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الرجل ليأتي يوم لقيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله، فتقوم النعمة - أو نعم الله - فتكاد تستنفد ذلك كله، إلاّ أن يتغمده الله برحمته» ونزلت هذه السورة ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ إلى قوله ﴿وَمُلۡكٗا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: 20] فقال الحبشي: وإن عينيَّ لترى ما ترى عيناك في الجنة؟ قال: «نعم»، فاستبكى حتى فاضت نفسه. قال ابن عمر: ولقد رأيت رسول الله ﷺ يدليه في حفرته بيده. كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 457). وفي تفسيره أيضاً (4/ 453): قال عبد الله بن وَهْب: أخبرنا ابن زيد أن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود، فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «أخرج نفس صاحبكم - أو قال: أخيكم - الشوق إلى الجنة». مرسل غريب. انتهى.

وأخرج ابن عساكر عن أبي مطر قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين وجاء أبو لؤلؤة

وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال: أبكاني خبر المساء، أيُذهب بي إلى الجنة أم إلى النار؟ فقلت له: أبشر بالجنة؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما لا أحصيه يقول: «سيدا كهول الجنة أبو بكر وعمر وأنعما» فقال: أشاهد أنت لي يا علي بالجنة؟ قلت: نعم، وأنت يا حسن فاشهد على أبيك أن رسول الله ﷺ قال: «إن عمر من أهل الجنة». كذا في «المنتخب» (4/ 438).

وقد تقدَّم في زهد عمر قوله في ضيافة له: هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟ فقال عمر بن الوليد: لهم الجنة، فاغرورقت عينا عمر، وقال: لئن كان حظُّنا من هذا الحطام وذهبوا بالجنة لقد بانوا بوناً عظيماً!! أخرجه عبد بن حميد وغيره عن قتادة.

وأخرج ابن سعد (3/ 147) عن مصعب بن سعد قال: كان رأس أبي حِجْري وهو يقضي قال: فدمعت عيناي فنظر إليَّ فقال: ما يبكيك أي بني؟ فقلت: لمكانك وما أرى بك، قال: فلا تبك عليَّ؛ فإن الله لا يعذبني أبداً، وإنِّي من أهل الجنة، إنَّ الله يدين المؤمنين بحسناتهم ما عملوا لله، قال: وأما الكفار فيخفّف عنهم بحسناتهم، فإذا نفدت قال: ليطلب كل عامل ثواب عمله ممن عمل له.

وأخرج ابن سعد (4/ 258) عن ابن شماسة المهري قال: حضرنا عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو في سياق الموت، فحوَّل وجهه إلى الحائط يبكي طويلاً وابنه يقول له: ما يبكيك؟ أما بشَّرك رسول الله ﷺ بكذا، أما بشَّرك بكذا؟ ـ قال: وهو في ذلك يبكي ووجهه إلى الحائط ـ قال: ثم أقبل بوجهه إلينا فقال: إنَّ أفضل مما تعد عليَّ شهادةُ أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، ولكني قد كنت على أطباق ثلاث:

قد رأيتني ما من الناس من أحد أبغض إلي من رسول الله ﷺ، ولا أحب إليّ من أن أستمكن منه فأقتله، فلو متّ على تلك الطبقة لكنت من أهل النار. ثم جعل الله الإسلام في قلبي فأتيت رسول الله ﷺ لأبايعه فقلت: ابسط يمينك أبايعك يا رسول الله، قال: فبسط يده، ثم إنّي قبضت يدي، فقال: «ما لك يا عمرو»؟ قال: فقلت: أردت أن أشترط، فقال: «تشترط ماذا»؟ فقلت: أشترط أن يُغفر لي. فقال: «أما علمت يا عمرو أنَّ الإسلام يهدم ما كان قبله، وأنَّ الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأنَّ الحج يهدم ما كان قبله». فقد رأيتني ما من الناس أحد أحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ ولا أجلَّ في عيني منه، ولو سئلت أن أنعته ما أطقت لأني لم أكن أطيق أن أملأ عينيَّ إجلالاً له، فلو مت على تلك الطبقة رجوت أن أكون من أهل الجنة. ثم وَلينا أشياء بعد فلست أدري ما أنا فيها أو ما حالي فيها. فإذا أنا متُّ فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فسنُّوا عليَّ التراب سناً، فإذا فرغتم من قبري فامكثوا عند قبري قد ما ينحر جزور ويُقسم لحمها؛ فإني أستأنس بكم حتى أعلم ماذا أراجع به رسل ربي. وأخرجه مسلم (1/ 76) بسند ابن سعد بسياقه نحوه.

وأخرجه أحمد عن عبد الرحمن بن شماسة قال: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاةُ، بكى فقال له ابنه عبد الله: لم تبكي؟ أجزعاً على الموت؟ فقال: لا والله، ولكن مما بعد الموت!! فقال له: قد كنت على خير، فجعل يذكِّره صحبة رسول الله وفتوحه الشام، فقال عمرو: تركتَ أفضل من ذلك كله: شهادة أن لا إله إلاَّ الله، فذكره مختصراً وزاد في آخره: فإذا متّ فلا تبكينَّ عليَّ باكية، ولا يتبعني مادح ولا نار، وشُدُّوا عليّ إزاري، فإني مخاصم، وشُنُّوا عليَّ التراب شنّاً؛ فإن جنبي

الأيمن ليس أحق بالتراب من جنبي الأيسر، ولا تجعلنَّ في قبري خشبة ولا حجراً. كذا في «البداية» (8/ 26) وقال: وقد روى مسلم هذا الحديث في «صحيحه» وفيه زيادات على هذا السياق أي سياق أحمد، وفي رواية: أنه بعد هذا حوّل وجهه إلى الجدار وجعل يقول: اللهمَّ أمرتنا فعصينا، ونهيتنا فما انتهينا، ولا يسعنا إلاَّ عفوك. وفي رواية: أنه وضع يده على موضع الغُل من عنقه ورفع رأسه إلى السماء وقال: اللهمَّ لا قويٌّ فأنتصر، ولا بريءٌ فأعتذر، ولا مستنكرٌ بل مستغفر، لا إله إلاَّ أنت، فلم يزل يردِّدها حتى مات رضي الله عنه. انتهى، وأخرج ابن سعد (4/ 260) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما - فذكر الحديث فيما أوصاه عمرو وفي آخره: ثم قال: اللهمَّ إنك أمرتنا فركبنا، ونهيتنا فأضعنا، فلا بريءٌ فأعتذر، ولا عزيز فأنتصر، ولكن لا إله إلاَّ الله - مال زال يقولها حتى مات.

وقد تقدَّم في النصرة ما قالت الأنصار حين قال النبي ﷺ: «قد وفيتم لنا بالذي كان عليكم، فإن شئتم أن تطيب أنفسكم بنصيبكم من خيبر ويطيب ثماركم فعلتم»، قالوا: إنَّه قد كان لك علينا شروط ولنا عليك شرط بأن لنا الجنة؛ فقد فعلنا الذي سألتنا بأن لنا شرطنا، قال: «فذاكم لكم» رواه البزّار.

وتقدَّم في باب الجهاد قول عمير بن الحُمام رضي الله عنه حين حرَّض رسول الله ﷺ على القتال يوم بدر: بخٍ بخٍ!! أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلاَّ أن يقتلني هؤلاء، قال: ثم قذف التمرات من يده وأخذسيفه فقاتل القوم حتى قتل. وفي رواية أخرى: فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قول: بخٍ بخٍ»؟ قال: لا والله يا رسول الله؛ إلاَّ رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها»، قال: فأخرج تمراتٍ من

قَرْنه فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها حياة طويلة!! قال: فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل. رواه أحمد وغيره عن أنس رضي الله عنه.

وتقدَّم في الطعن والجراحة في الجهاد قول أنس بن النضر رضي الله عنه: واهاً لريح الجنة أجده دون أحد!! فقاتلهم حتى قتل، وقول سعد بن خيثمة رضي الله عنه في رغبة الصحابة في القتل في سبيل الله: لو كان غير الجنة لآثرتك به، إني أرجو الشهادة في وجهي هذا، حين قال له أبوه: لا بدّ لأحدنا من أن يقيم. وقول سعد بن الربيع رضي الله عنه في يوم أحد: قل له: يا رسول الله أجدني أجد ريح الجنة؛ حين قال له زيد بن ثابت رضي الله عنه: إنَّ رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام، ويقول لك: «أخبرني كيف تجدك»؟. وقول حَرَام بن ملحان رضي الله عنه في يوم بئر معونة: فُزْتُ ورب الكعبة ـ يعني بالجنة ـ وقول عمار ـ رضي الله عنه ـ في شجاعة عمار: يا هاشم تقدَّم، الجنة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسنَّة، وقد فتحت أبواب الجنة، وتزينت الحور العين، اليوم ألقى الأحبّة محمداً وحزبه، ثم حملا هو وهاشم فقُتلا، وقوله أيضاً في شجاعته: يا معشر المسلمين أمن الجنة تفرُّون؟ أنا عمار بن ياسر، أمن الجنة تفرُّون؟ أنا عمار بن ياسر، هَلُمَّ إليَّ. وقول ابن عمر رضي الله عنهما في الإنكار من قبول الإمارة: فما حدَّثت نفسي بالدنيا قبل يومئذ، ذهبت أن أقول: يطمع فيه من ضربك وأباك على الإسلام حتى أدخلكما فيه؛ فذكرت الجنة ونعيمها فأعرضت عنه ـ يعني حين قال معاوية رضي الله عنه في دُومة الجندل: من يطمع في هذا الأمر ويرجوه؟.

وقول سعيد بن عامر رضي الله عنه حين تصدَّق وقالوا: إن لأهلك

عليك حقاً، وإن لأصهارك عليك حقاً: ما أنا بمستأثر عليهم ولا بملتمس رضى أحد من الناس لطلب الحور العين، لو اطَّلعتْ خَيْرَةٌ من خيرات الجنة لأشرقت لها الأرض كما تشرق الشمس، وفي رواية أخرى: أنَّه قال لامرأته: على رِسْلك، إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أني صُددت عنهم وإنَّ لي الدنيا وما فيها، ولو أن خيرة من خيرات الحسان اطَّلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر، ولَنصيف تُكسى خير من الدنيا وما فيها، فلأنت أحرى في نفسي أن أدعك لهنَّ من أن أدعهنَّ لك، قال: فسمحتْ ورضيتْ. وقول امرأة من الأنصار في الصبر على الأمراض: لا والله يا رسول الله، بل أصبر ثلاثاً، ولا أجعل والله لجنته خطراً، حين قال رسول الله ﷺ: «أيُّهما أحب إليك: أن أدعو لك فيكشف عنك ـ أي الحمى ـ، أو تصبري وتجب لك الجنة».

وقول أبي الدرداء رضي الله عنه: أشتهي الجنة، حين اشتكى وقال له أصحابه: ما تشتهي؟. وقول أم حارثة رضي الله عنهما في الصبر على موت الأولاد حين قتل ولدها يوم بدر: يا رسول الله أخبرني عن حارثة؛ فإن كان في الجنة صبرت، وإلاَّ فليرينَّ الله ما أصنع ـ يعني من النياح وكانت لم تُحرَّم بعد ـ وفي رواية أخرى فقالت: يا رسول الله إن يكن في الجنة لم أبك ولم أحزن، وإن يكن في النار بكيت ما عشت في الدنيا، فقال: «يا أم حارثة إنها ليست بجنة ولكنها جنة في جنات، والحارث في الفردوس الأعلى» فرجعت وهي تضحك وتقول: بخٍ بخٍ يا حارث!!

وأخرج الحاكم (4/ 578) عن عائشة رضي الله عنها قالت: ذكرت النار فبكيت، فقال رسول الله: «ما لك يا عائشة»؟ قالت: ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «أمَّا في

ثلاث مواطن فلا يذكر أحد أحداً: (عند الميزان) حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل. وعند الكتب حتى يقال: هاؤم اقرأوا كتابيه، حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أو من وراء ظهره. وعند الصراط إذا وُضع بين ظهري جهنم، حافتاه كلاليب كثيرة وحسك كثير، يحبس الله بها من شاء من خلقه حتى يعلم أينجو أم لا». قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ، إسناده على شرط الشيخين لولا إرسالُ فيه بين الحسن وعائشة، وكذا قال الذهبي.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد العزيز - يعني ابن أبي روَّاد - قال: بلغني أنَّ رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [إبراهيم: 14] وعنده بعض أصحابه وفيهم شيخ، فقال الشيخ: يا رسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا؟ فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لصخرة من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا كلِّها» قال: فوقع الشيخ مغشياً عليه فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده فإذا هو حيٌّ، فناداه فقال: «يا شيخ قل لا إله إلاَّ الله» فقالها فبشَّره بالجنة، قال: فقال أصحابه: يا رسول الله أمن بيننا؟ قال: نعم يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾، هذا حديث مرسل غريب. كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 391). وأخرج الحاكم بمعناه مختصراً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصحَّحه كما تقدَّم في الخوف، وفي روايته: فخرَّ فتى مغشياً عليه - بدل الشيخ، وقد تقدَّم في الخوف قصة فتى في الأنصار دخلته خشية الله فكان يبكي عند ذكر النار حتى حبسه ذلك في البيت، فأتاه النبي ﷺ، فلما نظر إليه الشاب قام فاعتنقه، وخرَّ ميتاً فقال النبي ﷺ: «جهِّزوا صاحبكم فإن الفَرَق من النار فلذ كبده»

أخرجه الحاكم وصحّحه عن سهل وابن أبي الدنيا وغيره عن حذيفة رضي الله عنه.

وقد تقدّم قصة تقلّب شدّاد بن أوس على فراشه وقوله: اللّهم إن النار أذهبت مني النوم، فيقوم فيصلي حتى يصبح. وتقدّم بعض قصص الباب في بكاء أصحاب النبي ﷺ. وتقدّم في يوم مؤتة بكاء عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وقوله: أما ـ والله ـ ما بي حبُّ الدنيا ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 71]؛ فلست أدري كيف لي بالصَّدَر بعد الورود.

* * *

اليقين بما وعد الله تبارك وتعالى

أخرج الترمذي عن نيار بن مُكرَم الأسلمي رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم: 1 - 4] فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، فكان المسلمون يحبُّون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل كتاب، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم: 4 و5] وكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان بَبْعث، فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر رضي الله عنه يصيح ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾. فقال ناس من قريش لأبي بكر: فذاك بيننا وبينكم، زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ قال: بلى - وذلك قبل تحريم الرِّهان - فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين؟ فسمِّ بيننا وبينك وسطاً ننتهي إليه، قالوا: فسموا بينهم ست سنين، قال: فمضت ست السنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، قال: فعاب المسلمون على أبي بكر تسميته ست سنين، قال: لأن الله يقول: ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ قال: فأسلم عند ذلك ناس كثير. هكذا ساقه الترمذي،

ثم قال: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلاَّ من حديث عبد الرحمن بن أبي الزِّناد.

وعند أبي حاتم عن البراء رضي الله عنه قال: لمَّا نزلت ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾. قال المشركون لأبي بكر: ألا ترى إلى ما يقول صاحبك يزعم أن الروم تغلب فارس!! قال: صدق صاحبي، قالوا: هل لك أن نخاطرك؟ فجعل بينه وبينهم أجلاً، فحلَّ الأجل قبل أن تغلب الروم فارس، فبلغ ذلك النبي ﷺ وساءه ذلك وكرهه وقال لأبي بكر: «ما دعاك إلى هذا»؟ قال: تصديقاً لله ولرسوله، قال: «تعرَّضْ لهم، وأعظم لهم الخطر، واجعله إلى بضع سنين» فأتاهم أبو بكر فقال: هل لكم في العود؟ فإن العود أحمد. قالوا: نعم، فلم تمضِ تلك السنون حتى غلب الروم فارس، وربطوا خيولهم بالمدائن، وبنوا الرومية فجاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فقال: «هذا السُّحت». قال: «تصدَّق به». وأخرجه الإمام أحمد والترمذي ـ وحسَّنه ـ والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما بمعناه مختصراً، كما في «التفسير» لابن كثير (3/ 423).

وأخرج البغوي عن كعب بن عدي رضي الله عنه قال: أقبلت في وفد من أهل الحيرة إلى النبي ﷺ، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، ثم انصرفنا إلى الحيرة، فلم نلبث أن جاءتنا وفاة رسول الله ﷺ فارتاب أصحابي وقالوا: لو كان نبياً لم يمت، فقلت: فقد مات الأنبياء قبله. فثبتُّ على الإسلام ثم خرجت أريد المدينة، فمررت براهب كنا لا نقطع أمراً دونه فجئت إليه فقلت: أخبرني عن أمر أردته لَقَح في صدري منه شيء، قال: ائت باسمك من الأشياء، فأتيته بكعب، قال: ألْقِه في هذا الشعر ـ لشعر أخرجه ـ فألقيت الكعب فيه، فإذا بصفة النبي ﷺ كما

رأيته، وإذا موته في الحين الذي مات فيه، فاشتدت بصيرتي في إيماني، فقدمت على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فأعلمته وأقمت عنده، ووجهني إلى المقوقس ورجعت، ثم وجهني عمر ـ رضي الله عنه ـ أيضاً فقدمت عليه بكتابه بعد وقعة اليرموك ولم أعلم بها، فقال لي: علمت أن الروم قتلت العرب وهزمتهم؟ قلت: لا، قال: ولم؟ قلت: لأنَّ الله وعد نبيه ليظهره على الدين كله وليس يخلف الميعاد، قال: فإن العرب قتلت الروم ـ والله ـ قتلة عادٍ!! وإنَّ نبيكم قد صدق، ثم سألني عن وجوه الصحابة فأهدى لهم، وقلت له: إنَّ العباس ـ رضي الله عنه ـ عمُّه حي فتصله، قال كعب: وكنت شريكاً لعمر بن الخطاب، فلما فرض الديوان فرض لي في بني عديٍّ بن كعب. وقال البغوي: لا أعلم لكعب بن عدي غيره، وهكذا أخرجه ابن قانع عن البغوي ولكنه اقتصر منه إلى قوله: مات الأنبياء قبله، وابن شاهين وأبو نُعيم وابن السَّكن بطوله، وأخرجه ابن يونس في «تاريخ مصر» من وجه آخر عن كعب بطوله، كما في «الإصابة» (3/ 298).

وقد تقدَّم قول أبي بكر رضي الله عنه في قتال أهل الردَّة: والله لا أبرح أقوم بأمر الله وأجاهد في سبيل الله حتى ينجز الله لنا (وعده)، ويفي لنا عهده، فيقتل من قتل منا شهيداً في الجنة ويبقى من بقي منا خليفة الله في أرضه ووارث عباده، (قضى الله) الحق؛ فإن الله تعالى قال وليس لقوله خلف: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: 55].

وتقدم قول عمر رضي الله عنه في تحريضه على الجهاد: أين الطُّراء المهاجرون عن موعود الله؟ سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها؛ فإنه قال: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: 33]

والله مظهر دينه، ومعزّ ناصره، ومولي أهله مواريث الأمم؛ أين عباد الله الصالحون؟.

وقول سعد رضي الله عنه في ترغيبه على الجهاد: إنَّ الله هو الحق لا شريك له في الملك، وليس لقوله خُلْف، قال الله عز ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء: 105] إنَّ هذا ميراثكم وموعود ربكم، وقد أباحها لكم من ثلاث حجج، فأنتم تطعمون منها وتأكلون منها وتقتلون أهلها وتجْبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال منهم أصحاب الأيام منكم، وقد جاءكم منهم هذا الجمع وأنتم وجوه العرب وأعيانهم وخيار كل قبيلة وعز من ورائكم، فإن تزهدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جمع الله لكم الدنيا والآخرة. اهـ مختصراً.

* * *

اليقين بما أخبر به رسول الله ﷺ

أخرج ابن سعد (4/ 378) عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عمه رضي الله عنه ـ وكان من أصحاب النبي ﷺ ـ أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من رجل من الأعراب، فاستتبعه رسول الله ﷺ ليعطيه ثمنه، فأسرع النبي ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يلقَون الأعرابي يساومونه الفرس ولا يشعرون أنَّ رسول الله ﷺ قد ابتاعه، حتى زاد بعضهم الأعرابي في السَّوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه رسول الله ﷺ، فلما زاده نادى الأعرابي رسول الله ﷺ فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلاَّ بعته. فقام النبي ﷺ حين سمع قول الأعرابي حتى أتاه الأعرابي فقال رسول الله ﷺ: «ألستُ قد ابتعته منك»؟ فقال الأعرابي: لا والله، ما بعتكه. فقال رسول الله ﷺ: «بلى، قد ابتعته منك» فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ وبالأعرابي وهما يتراجعان، فطفق الأعرابي يقول: هلمَّ شهيداً يشهد أنِّي بعتك، فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي: ويلك إنَّ رسول الله ﷺ لم يكن ليقول إلاَّ حقاً!! حتى جاء خزيمة بن ثابت رضي الله عنه فاستمع تراجع رسول الله ﷺ وتراجع الأعرابي، فطفق الأعرابي يقول: هلمَّ شهيداً يشهد أنِّي بايعتك. فقال خزيمة، أنا أشهد أنك قد بايعته، فأقبل رسول الله ﷺ على خزيمة بن ثابت فقال: «بم تشهد»؟ فقال: بتصديقك يا رسول الله!! فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة شهادة رجلين. وأخرجه أبو داود (508) عن عمارة بن خزيمة عن عمه نحوه.

وعند ابن سعد أيضاً (4/ 379) عن محمد بن عمارة بن خزيمة قال رسول الله ﷺ: «يا خزيمة بم تشهد ولم تكن معنا»؟ قال: يا رسول الله أنا أصدقك بخبر السماء ولا أصدقك بما تقول؟! فجعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين، وفي رواية أخرى عنده قال: فجعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين، وفي رواية أخرى عنده قال: أعلم أنك لا تقول إلاَّ حقاً، قد أمناك على أفضل من ذلك على ديننا، فأجاز شهادته.

وأخرج البيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أُسري برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يحدِّث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدّقوه، وسعَوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لك في صاحبك يزعم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ فقال: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: فتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء في غَدْوة أو رَوحة، فلذلك سمي أبو بكر الصدّيق. كذا في «التفسير» لابن كثير (3/ 21).

وأخرجه أبو نعيم عن عائشة نحوه، وفي روايته: فارتد ناس ممَّن كان آمن به وصدَّق ناس وفتنوا، قال أبو نعيم: وفيه محمد بن كثير المصِّيصي ضعَّفه أحمد جداً، وقال ابن معين: صدوق، وقال النَّسائي وغيره: ليس بالقوي، كما في «المنتخب» (4/ 353).

وأخرج ابن أبي حاتم من حديث أنس رضي الله عنه قصة ليلة الإسراء بطولها وفيه: فلما سمع المشركون قوله أتوا أبا بكر فقالوا: يا أبا بكر هل لك في صاحبك يخبر أنه أتى في ليلته هذه مسيرة شهر ورجع

في ليلته؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه ـ فذكر نحوه، كما في التفسير لابن كثير (3/ 7).

وأخرج الحافظ أبو يعلى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قلَّ الجراد في سنة من سني عمر رضي الله عنه التي ولي فيها، فسأل عنه فلم يخبر بشيء، فاغتم لذلك فأرسل راكباً إلى كذا، وآخر إلى الشام وآخر إلى العراق، يسأل هل رُئِيَ من الجراد شيء أم لا؟ قال: فأتاه الراكب الذي من قِبَل اليمن بقبضة من جراد فألقاها بين يديه، فلما رآها كبّر ثلاثاً، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خلق الله عز وجل ألف أمة، منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر، وأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد، فإذا هلكت تتابعت مثل النِّظام إذا قُطع سِلكُه». كذا في «التفسير» لابن كثير (2/ 131).

وأخرج ابن أحمد في «زوائده» وابن أبي شيبة والبزار (2568) والحارث وأبو نُعيم والبيهقي في «الدلائل» وابن عساكر عن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري قال: خرجت مع أبي إلى ينبع عائداً لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ وكان مريضاً بها حتى ثَقُل ـ فقال له أبي: ما يقيمك بهذا المنزل؟ ولومتّ لم يَلِك إلا أعراب جهينة؟! احتمل حتى تأتي المدينة، فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلُّوا عليك ـ وكان أبو فضالة رضي الله عنه من أصحاب بدر ـ فقال علي: إني لست ميتاً من وجعي هذا، إنَّ رسول الله ﷺ عهد إليَّ أن لا أموت حتى أؤمَّر، ثم تختضب هذه ـ يعني لحيته ـ من دم هذه ـ يعني هامته ـ كذا في «منتخب الكنز» (5/ 59) وقال: ورجاله ثقات.

وأخرج الحميدي (53) والبزَّار (2571) وأبو يَعْلى (1/ 491) وابن حِبَّان (6723) والحاكم وغيرهم عن علي رضي الله عنه قال: أتاني

عبد الله بن سَلاَم رضي الله عنه وقد أدخلت رجلي في الغرز فقال لي: أين تريد؟ فقلت: العراق، فقال: أما إنك إن جئتها ليصيبك بها ذُباب السيف، قال علي: وايْمُ الله، لقد سمعت النبي ﷺ قبله يقوله. كذا في «المنتخب» (5/ 59).

وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن معاوية بن جرير الحضرمي قال: عَرَض عليٌّ الخيل، فمر عليه ابن مُلْجَم فسأله عن اسمه أو قال نسبه فانتمى إلى غير أبيه. فقال له: كذبت، حتى انتسب إلى أبيه، فقال: صدقتَ، أما إن رسول الله ﷺ حدثني أن قاتلي شبهُ اليهود وهو يهود فامْضِه. كذا في المنتخب (5/ 62).

وعند عبد الرزاق وابن سعد ووكيع في «الغُرر» عن عَبِيدة قال: كان علي إذا رأى ابن مُلْجَم قال:

أريدُ حياتَه ويريدُ قتلي

عَذِيرك من خليلك من مُرادِ

كذا في «المنتخب» (5/ 61). وعند ابن سعد وأبي نُعَيم عن أبي الطفيل قال: كنت عند علي بن أبي طالب فأتاه عبد الرحمن بن مُلْجَم فأمر له بعطائه ثم قال: ما يحبس أشقاها أن يخضبها من أعلاها، يخضب هذه من هذه ـ وأومأ إلى لحيته ـ ثم قال علي:

اشدد حَيازيمَك للموتِ

فإنَّ الموتَ آتيكا

ولا تَجْزعْ من القَتْلِ

إذا حَلَّ بواديكا

كذا في المنتخب (5/ 59).

يقين عمار فيما أخبره به عليه السلام في شأن مقتله

وأخرج ابن عساكر عن أم عمار ـ حاضنة لعمار ـ رضي الله عنه قالت: اشتكى عمار فقال: لا أموت في مرضي هذا، حدثني حبيبي رسول الله ﷺ أني لا أموت إلاَّ قتيلاً بين فئتين مؤمنتين.. كذا في المنتخب (5/ 247).

وقد تقدَّم في رغبة الصحابة في القتل في سبيل الله قول عمار: عهد إليَّ رسول الله ﷺ أنَّ آخر زادك من الدنيا ضَياح من لبن، ومجيئه إلى علي يوم صفِّين حين كان يقاتل فلا يُقتل، وقوله: يا أمير المؤمنين، يوم كذا وكذا ـ قال ذلك ثلاث مرات ـ، ثم أُتي بلبن فشربه، ثم قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال إن هذا آخر شربة أشربها من الدنيا، ثم قام فقاتل حتى قُتل.

وأخرج أبو يعلى (6990) وابن عساكر عن خالد بن الوليد رضي الله عنه عن ابنة هشام بن الوليد بن المغيرة ـ وكانت تمرِّض عماراً ـ قالت: جاء معاوية رضي الله عنه إلى عمار يعوده، فلما خرج من عنده قال: اللهمَّ لا تجعل منيته بأيدينا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتل عماراً الفئة الباغية» كذا في «منتخب الكنز» (5/ 247).

وأخرج ابن سعد (4/ 233) عن إبراهيم بن الأشتر عن أبيه أنَّه لما حضر أبا ذر رضي الله عنه الموتُ بكت امرأته، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: أبكي لأنه لا يَدَان لي بتغييبك، وليس لي ثوب يسعك. قال: فلا تبكي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم «ليموتن منكم رجل بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين» وليس من أولئك النفر رجل إلاَّ قد مات في قرية وجماعة من المسلمين، وأنا الذي أموت بفلاة،

والله ما كَذَبتُ ولا كُذِبتُ، فأبصري الطريق، فقالت: أنَّى وقد انقطع الحاج، وتقطَّعت الطرق؟! فكانت تشدُّ إلى كثيب تقوم عليه تنظر ثم ترجع إليه فتمرِّضه، ثم ترجع إلى الكثيب، فبينا هي كذلك إذا هي بنفر تخدُّ بهم رواحلهم كأنهم الرَخَم على رحالهم، فألاحت بثوبها فأقبلوا حتى وقفوا عليها قالوا: ما لك؟ قالت: امرؤ من المسلمين يموت تكفِّنونه؟ قالوا: ومن هَو؟ قالت: أبو ذر: ففدَوه بآبائهم وأمهاتهم، ووضعوا السياط في نحورها يستبقون إليه حتى جاؤوه، فقال: أبشروا، فحدَّثهم الحديث الذي قال رسول الله ﷺ، ثم قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيحتسبان ويصبران فيريان النار» أنتم تسمعون، لو كان لي ثوب يسعني كفناً لم أُكفَّن إلاَّ في ثوب هو لي، أو لامرأتي ثوب يسعني لم أكفَّن إلاَّ في ثوبها، فأنشدكم الله والإسلام أن لا يكفنني رجل منكم كان أميراً، أو عريفاً، أو نقيباً، أو بريداً، فكل القوم قد كان قارف بعض ذلك إلاَّ فتى من الأنصار قال: أنا أكفنك فإني لم أصب مما ذكرت شيئاً، أكفنك في ردائي هذا الذي عليَّ وفي ثوبين في عيبتي من غَزْلِ أمي حاكتهما لي، قال: أنت فكفني. قال: فكفَّنه الأنصاري في النفر الذين شهدوه، منهم حجر ابن الأدبر، ومالك الأشتر، في نفر كلهم يَمان وأخرجه أبو نُعيم عن أم ذرٌ نحوه، كما في المنتخب (5/ 157).

وعند ابن سعد أيضاً (4/ 234) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نَفى عثمان رضي الله عنه أبا ذر رضي الله عنه إلى الرَّبذة، وأصابه بها قدره، ولم يكن معه أحد إلاَّ امرأته وغلامه، فأوصاهما: أن اغسلاني، وكفِّناني، وضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمر بكم فقولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه. فلما مات فعلاً ذلك

به، ثم وضعاه على قارعة الطريق، وأقبل عبد الله بن مسعود في رَهْط من أهل العراق عُمَّاراً، فلم يَرُعهم إلاَّ بالجنازة على ظهر الطريق قد كادت الإِبل أن تطأها، فقام إليه الغلام فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه. فاستهلَّ عبد الله يبكي ويقول: صدق رسول الله ﷺ: «تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتُبعث وحدك» ثم نزل هو وأصحابه فوارَوه؛ ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك.

وأخرج أبو نعيم في «الدلائل» (ص196) عن حُمَيد بن منهب قال: قال جدي خُرَيم بن أوس رضي الله عنه: هاجرت إلى النبي وقدمت عليه منصرفه من تبوك، فأسلمت فسمعته يقول: «هذه الحيرة البيضاء قد رُفعت لي، وهذه الشيماء بنت بُقيلة الأزدية على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود». فقلت: يا رسول الله إنْ نحن دخلنا الحيرة فوجدناها كما تصف فهي لي؟ قال: «هي لك». قال: ثم كانت الردّة فما ارتد أحد من طيّىء، فأقبلنا مع خالد بن الوليد رضي الله عنه نريد الحيرة، فلما دخلناها كان أول من تلقَّانا الشيماء بنت بُقَيلة كما قال رسول الله ﷺ على بغلة شهباء معتجرة بخمار أسود، فتعلَّقت بها، فقلت: هذه وصفها لي رسول الله ﷺ، فدعاني خالد بالبينة، فأتيت بها فكانت البينة محمد بن مسلمة ومحمد بن بشير الأنصاريان رضي الله عنهما، فسلَّمها إليَّ خالد، ونزل إليها أخوها عبد المسيح بن بُقَيلة يريد الصلح، فقال: بِعْنيها، فقالت: لا أنقصها والله من عشر مائة، فأعطاني ألف درهم وسلمتها إليه، فقالوا لي: لو قلت: مائة ألف لدفعها إليك، فقلت: ما كنت أحسب أنَّ عدداً أكثر من عشر مائة. وأخرجه الطبراني (4/ 4168) عن حميد بطوله، كما في «الإِصابة» (1/ 224)، وأخرجه البخاري عن حميد مختصراً وابن منده بطوله وقال:

لا يعرف إلاّ بهذا الإسناد تفرَّد به زكريا بن يحيى عن زَحْر (بن حصين). كذا في «الإصابة» (3/ 371).

وأخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص198) عن جبير بن حَيَّة قال: أرسل بندارفان العِلج: أن أرسلوا إليَّ معشر العرب رجلاً منكم نكلِّمه، فاختار الناس المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ـ قال جبير: فأنا أنظر إليه طويل الشَّعَر أعور ـ فأتاه فلما رجع سألناه ما قال له؟ فقال لنا: حمدت الله وأثنيت عليه وقلت: إنا كنا لأبعد الناس داراً، وأشد الناس جوعاً، وأعظم الناس شقاء، وأبعد الناس من كل خير، حتى بعث الله إلينا رسولاً، فوعدنا النصر في الدنيا والجنة في الآخرة، فلم نزل نعرف من ربِّنا عز وجل منذ جاءنا رسول الله ﷺ الفلاح والنصر حتى أتيناكم، وإنَّا والله لنرى ملكاً وعيشاً لا نرجع عنه إلى الشقاء أبداً حتى نغلبكم على ما في أيديكم أو نقتل في أرضكم. الحديث.

وعند البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص148) عن جبير بن حَيّة فذكر الحديث الطويل في بعث النعمان بن مقرِّن رضي الله عنه إلى أهل الأهواز، وأنهم سألوا أن يُخْرِجَ إليهم رجلاً، فأخرج المغيرة بن شعبة، فقال ترجمان القوم: ما أنتم؟ فقال المغيرة: نحن ناس من العرب كنّا في شقاء شديد وبلاء طويل، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشَّعَر، ونعبدالشجر والحجر، فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السماوات ورب الأرض إلينا نبياً من أنفسنا نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ (أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدُّوا الجزية، وأخبرنا نبينا رسول الله ﷺ) عن رسالة ربنا أنه من قُتل منّا صار إلى جنة ونعيم لم ير مثله قط، ومن بقي منا ملك رقابكم. ورواه البخاري في «الصحيح» كما قال البيهقي، وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص199)

عن بكر بن عبد الله الزمني وزياد بن جبير بن حيّة نحوه، ولعله سقط عن في رواية عن جبير بن حية.

وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص125) عن طَلْق قال: جاء رجل إلى أبي الدرداء رضي الله عنه فقال: يا أبا الدرداء احترق بيتك، قال: ما احترق!! ثم جاء آخر فقال: مثل ذلك، فقال: ما احترق!! ثم جاء آخر فقال: يا أبا الدرداء، انبعثت النار حتى انتهت إلى بيتك طفئت. قال: قد علمت أن الله عز وجل لم يكن ليفعل (ذاك)!! قال: يا أبا الدرداء ما ندري أي كلامك أعجب؟ قولك: ما احترق، أو قولك: قد علمت أن الله لم يكن ليفعل ذاك!! قال: ذاك كلمات سمعتها من رسول الله ﷺ، من قالهن حين يصبح لم تصبه مصيبة حتى يمسي: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، عليك توكلت وأنت رب العرش الكريم. ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم. أعلمُ أنَّ الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً. اللهم إنِّي أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إنَّ ربي على صراط مستقيم».

وقد تقدَّم قول عدي بن حاتم رضي الله عنه في باب الدعوة: والذي نفسي بيده لتكوننَّ الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها، وقول هشام بن العاص وغيره لجبلة بن الأيهم في إرسال الصحابة الجماعة للدعوة: ومجلسك هذا ـ فوالله ـ لنأخذنَّه منك، ولنأخذن ملك الملك الأعظم إن شاء الله، أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ. وقول علي رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه في اهتمام أبي بكر بإرسال الجيوش إلى الشام: أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك ـ أو بعثت إليهم ـ نُصرت عليهم إن شاء الله، فقال: بشَّرك الله بخير، ومن أين علمت ذلك؟ قال: سمعت

رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون»، فقال: سبحان الله ما أحسن هذا الحديث، لقد سررتني به سَرَّك الله.

وسيأتي في التأييدات الغيبية قول ابن عمر رضي الله عنهما حين أخذ بأذن الأسد فعركها ونحَّاه عن الطريق: ما كذب عليك رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما يُسلَّط على ابن آدم ما خافه ابن آدم، ولو أن ابن آدم لم يخف إلاَّ الله لم يسلط عليه غيره».

* * *

المجلد الثامن

* * *

حياة الصحابة

تأليف
محمد بن يوسف الكاندهلوي

نوبليس

حَيَاةُ الصَّحَابَةِ

حَيَاةُ الصَّحَابَة

تأليف

محمد بن يوسف الكاندهلوي

قدّم له

أبو الحسن علي الحسني الندوي

المجلد التاسع

نوبليس

اسم المجموعة:	حياة الصحابة
اسم الكتـاب:	المجلد التاسع
المـؤلــف:	محمد بن يوسف الكاندهلوي
التدقيق والمراقبة:	قسم الدراسات في دار نوبليس
قيـاس الكتـاب:	24 × 17
عدد الصفحات:	200
عدد صفحات المجموعة:	2400
مكـان النشـر:	بيروت
دار النشر والتوزيع:	دار نوبليس
تلفاكس:	961 (1) 58 34 75
هاتــف:	961 (1) 58 11 21 - 961 (3) 58 11 21
بريد إلكتروني:	NOBILIS_INTERNATIONAL@hotmail.com
الطبعة الأولى:	2006

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اليقين بمجازاة الأعمال

أخرج ابن أبي شيبة وابن راهويه وعبد بن حُميد والحاكم وغيرهم عن أبي أسماء قال: بينما أبو بكر رضي الله عنه يتغدى مع رسول الله ﷺ إذا أنزلت هذه الآية ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: 7 و8] فأمسك أبو بكر وقال: يا رسول الله أكل ما عملناه من سوء رأيناه؟ فقال: «ما ترون مما تكرهون فذاك مما تجزون به، ويُؤخِّر الخير لأهله في الآخرة».

وعند ابن مردويه من طريق أبي إدريس الخولاني فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر، أرأيت ما رأيت ممّا تكره فهو من مثاقيل الشر، ويُدَّخر لك مثاقيل الخير حتى تُوفَّاه يوم القيامة، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]. كذا في الكنز (1/ 275) وقال: وأورده الحافظ ابن حجر في أطرافه في مسند أبي بكر.

وأخرج عبد بن حُميد والترمذي وابن المنذر عن أبي بكر رضي الله عنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ فأنزلت هذه الآية ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:

[123] فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر، ألا أُقرئك آيةً أُنزلت عليَّ»؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأقرأنيها، فلا أعلم إلاَّ أنِّي وجدت في ظهري انقصاماً، فتمَّطأت لها، فقال رسول الله ﷺ: «ما شأنك؟ يا أبا بكر» قلت: يا رسول الله، وأينا لم يعمل سوءاً؟ وإنا لمجزيون بما عملنا؟ فقال رسول الله: «أما أنت يا أبا بكر والمؤمنون فتُجزون بذلك في الدنيا حتى تَلْقَوْنَ وليس لكم ذنوب، وأما الآخرون فيجمع الله ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة». قال الترمذي: غريب وفي إسناده مقال، وموسى بن عبيدة يُضعَّف في الحديث، ومولى ابن سباع مجهول، وقد رُوِي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي بكر وليس له إسناد صحيح.

وعند أحمد وابن المنذر وأبي يَعْلى وابن حِبّان والحاكم والبيهقي وغيرهم عن أبي بكر الصدِّيق أنه قال: يا رسول الله، كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾؟ فكل سوء علمناه جُزينا به؟! فقال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك يا أبا بكر!! ألست تمرض؟ ألست تَنْصب؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء»؟ ألست تُنكب»؟ قال: بلى، قال: «فهي ما تجزَون به في الدنيا». كذا في «كنز العمال» (1/ 239).

وأخرج ابن راهويه عن محمد بن المنتشر قال: قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني لأعرف أشدَّ آية في كتاب الله، فأهوى عمر فضربه بالدِرَّة فقال: ما لك نقَّبت عنها حتى علمتها؟، فانصرف حتى كان الغد، فقال له عمر: الآية التي ذكرت بالأمس، فقال: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ فما منا أحد يعمل سوءاً إلاَّ جُزي به، فقال عمر: لبثنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب حتى أنزل الله بعد ذلك ورخَّص وقال:

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 11]. كذا في «الكنز» (1/ 239).

وأخرج ابن ماجه عن عبد الرحمن بن ثعلبة الأنصاري عن أبيه رضي الله عنه أن عمرو بن سَمُرة بن حبيب بن عبد شمس رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني سرقت جملاً لبني فلان فطهِّرْني، فأرسل إليهم النبي ﷺ، فقالوا: إنا افتقدنا جملاً لنا، فأمر به فقُطعت يده وهو يقول: الحمد لله الذي طهَّرني منكِ، أردتِ أن تدخلي جسدي النار. كذا في «التفسير» لابن كثير (2/ 56).

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: دخل عليه بعض أصحابه ـ وقد كان ابتُلي في جسده ـ فقال له بعضهم: إنا لنبأس لك لما نرى فيك، قال: فلا تبتئس بما ترى، فإن ما ترى بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30]. كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 116).

وقد تقدَّم عن أحمد في «الزهد» وأبي نُعيم في «الحلية» عن أبي ضمرة ـ يعني ابن حبيب بن ضمرة ـ قال: حضرتِ الوفاةُ ابناً لأبي بكر رضي الله عنه، فجعل الفتى ينظر إلى وسادة، فلمّا توفي قالوا لأبي بكر: رأينا ابنك يلحظ إلى الوسادة، فرفعوه عن الوسادة فوجدوا تحتها خمسة دنانير أو ستة دنانير، فضرب أبو بكر بيده على الأخرى يرجِّع يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أحسب جلدك يتسع لها.. كذا في «الكنز» (2/ 145) وقال: وله حكم الرفع لأنه إخبار عن حال البرزخ.

وقد تقدَّم في شتم المسلم قول رسول الله ﷺ لرجل جاء إليه وسأله عن مماليكه: «إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصَوك وكذَّبوك، وعقابك إياهم (فإن كان عقابك إياهم) بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل»؛ فتنحَّى الرجل وجعل يهتف ويبكي، فقال له رسول الله ﷺ: «أما تقرأ قول الله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: 47] الآية؟ فقال الرجل: يا رسول الله، ما أجد لي ولهؤلاء خيراً من مفارقتهم، أشهدك أنهم كلُّهم أحرار. أخرجه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها ورجالهما ثقات.

* * *

قوة إيمان الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 284] اشتدَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب وقالوا: يا رسول الله كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها!! فقال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابَيْن من قبلكم: سَمِعْنا وعَصَيْنا؟! بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير» فلما أقرَّ بها القوم وذلَّت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 285] فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: 286] - إلى آخره. ورواه مسلم مثله.

وعند أحمد أيضاً عن مجاهد قال: دخلت على ابن عباس رضي الله عنهما فقلت: يا أبا عباس، كنت عند ابن عمر رضي الله عنهما فقرأ هذه الآية فبكى، قال: أية آية؟ قلت: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾. قال ابن عباس: إنَّ هذه الآية حين أنزلت غمّت أصحاب

رسول الله ﷺ غماً شديداً وغاظتهم غيظاً شديداً ـ يعني وقالوا: يا رسول الله هلكنا ـ إنا كنا نؤاخذ بما تكلَّمنا وبما نعمل، فأما قلوبنا فليست بأيدينا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا» فقالوا: سمعنا وأطعنا، قال: فنسختها هذه الآية: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ﴾ ـ إلى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾؛ فتُجُوِّز لهم عن حديث النفس وأُخذوا بالأعمال.

وعنده أيضاً من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس مختصراً وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «قولوا: سمعنا وأطعنا وسلَّمنا» فألقى الله الإيمان في قلوبهم، وأخرجه مسلم نحوه وابن جرير من طرق أخرى عن ابن عباس، وهذه طرق صحيحة عن ابن عباس، كما في «التفسير» لابن كثير (1/ 338).

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله رضي الله عنه قال: لمّا نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [لقمان: 13] شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: وأيُّنا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس كما تظنون، إنما قال لابنه: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ورواه البخاري. وعند ابن مرديه عنه قال: لمَّا نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «قيل لي: أنت منهم». كذا في «التفسير» لابن كثير (2/ 153).

وأخرج ابن أبي حاتم عن صفية بنت شيبة قالت: بينا نحن عند عائشة رضي الله عنها قال: فذكرنا نساء قريش وفضلهنَّ، فقالت عائشة رضي الله عنها: إنَّ لنساء قريش لفضلاً، وإنِّي والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، أشدّ تصديقاً لكتاب الله ولا إيماناً بالتنزيل!! لقد أُنزلت

سورة النور ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: 31] انقلب رجالهنَّ إليهنَّ يتلون عليهنَّ ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذي قرابة، فما منهن امرأة إلاَّ قامت إلى مِرْطها المرحَّل فاعتجرت به؛ تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحنَ وراء رسول الله معتجرات كأنَّ على رؤوسهن الغربان. ورواه أبو داود من غير وجه عن صفية بنت شيبة به. كذا في «التفسير» لابن كثير (3/ 284).

وأخرج ابن أبي حاتم عن مكحول قال: جاء شيخ كبير هرم قد سقط حاجباه على عينيه، فقال: يا رسول الله رجل غَدَر وفجر، ولم يدع حاجَة ولا داجة إلاَّ اقتطفها بيمينه، لو قُسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم؛ فهل له من توبة؟! فقال النبي: «أأسلمت»؟ فقال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. فقال النبي ﷺ: «فإن الله غافر لك غَدَراتك وفجراتك، ومبدِّل سيئاتك حسنات ما كنت كذلك». فقال: يا رسول الله وغَدَراتي وفَجَراتي؟!، قال: «وغَدَراتك وفَجَراتك» فولَّى الرجل يكبِّر ويهلل.

وأخرج الطبراني من حديث أبي فروة رضي الله عنه أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت رجلاً عمل الذنوب كلَّها ولم يترك حاجة ولا داجة، فهل له من توبة؟ فقال: «أسلمت»؟ فقال: نعم، قال: «فافعل الخيرات، واترك السيئات، فيجعلها الله لك خيرات كلَّها». قال: وغَدَراتي وفَجَراتي؟، قال: «نعم» فما زال يكبِّر حتى توارى، كذا في «التفسير» لابن كثير (3/ 328).

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءتني امرأة فقالت: هل لي من توبة؟ إني زنيت وولدت وقتلته. فقلت: لا، ولا نَعِمَتِ العين ولا كرامة!! فقامت وهي تدعو بالحسرة، ثم صلَّيتُ مع

النبي ﷺ الصبح فقصصت عليه ما قالت المرأة وما قلت لها، فقال رسول الله ﷺ: «بئسما قلت!! أما كنت تقرأ هذه الآية» ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ - إلى قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: 68 و70] الآية؟ فقرأتها عليها فخرَّت ساجدة وقالت: الحمد لله الذي جعل لي مخرجاً. هذا حديث غريب من هذا الوجه، وفي رجاله من لا يُعرف. وقد رواه ابن جرير بسنده بنحوه، وعنده: فخرجت تدعو بالحسرة وتقول: يا حسرتا أخُلق هذا الحسن للنار؟! وعنده أنه لما رجع من عند رسول الله ﷺ تطلَّبها في جميع دور المدينة فلم يجدها، فلما كان من الليلة المقبلة جاءته فأخبرها بما قاله له رسول الله ﷺ فخرَّت ساجدة وقالت: الحمد لله الذي جعل لي مخرجاً وتوبة مما عملت، وأعتقت جارية كانت معها وابنتها، وتابت إلى الله عز وجل. كذا في «التفسير» لابن كثير (3/ 328).

وأخرج ابن إسحاق عن أبي الحسن - مولى تميم الداري رضي الله عنه - قال: لمَّا نزلت ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: 224] جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك رضي الله عنهم إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون، قالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنَّا شعراء، فتلا النبي ﷺ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال: «أنتم» ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ قال: «أنتم» ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ [الشعراء: 227] قال: «أنتم». وأخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير من رواية ابن إسحاق، وأخرجه ابن أبي حاتم عن أبي الحسن - مولى بني نوفل - بمعناه ولم يذكر كعباً، كما في «التفسير» لابن كثير (3/ 354)، وأخرجه الحاكم (3/ 488) عن أبي الحسن بسياق ابن أبي حاتم.

وأخرج أحمد عن عطاء بن السائب قال: كان أول يوم عرفت فيه

عبد الرحمن بن أبي ليلى رأيت شيخاً أبيض الرأس واللحية على حمار وهو يتبع جنازة، فسمعته يقول: حدثني فلان بن فلان سمع رسول الله ﷺ يقول: «من أحبَّ لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»، قال: فأكبَّ القوم يبكون، فقال: ما يبكيكم؟ فقالوا: إنا نكره الموت، قال: ليس ذلك، ولكنه إذا احتُضر ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة: 88 و89] فإذا بُشِّر بذلك أحبَّ لقاء الله عز وجل، والله عز وجل للقائه أحب ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: 92 ـ 94] فإذا بُشِّر بذلك كره لقاء الله، والله تعالى للقائه أكره. كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 301).

وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لمَّا نزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: 1] وأبو بكر الصديّق رضي الله عنه قاعد، فبكى حين أُنزلت، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا أبا بكر»؟ قال: يبكيني هذه السورة. فقال له رسول الله ﷺ: «لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم». كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 540).

وأخرجه ابن أبي داود في «البَعْث» وأبو الشيخ في «السنَّة» والحاكم في «الكُنَى» والبيهقي في كتاب «عذاب القبر» والأصبهاني في «الحجة» وغيرهم عن عمر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عمر، كيف أنت إذا كنت في أربع أذرع من الأرض في ذراعين، ورأيت مُنْكراً ونَكيراً»؟ فقلت: يا رسول الله وما منكر ونكير؟ قال: «فَتَّانا القبر، يبحثان القبر بأنيابهما، ويطآن في أشعارهما، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، معهما مِرْزَبَّة لو اجتمع عليها أهل مِنى لم يطيقوا رفعها، هي أيسر عليهما من عصاي هذه ـ وبيد رسول الله ﷺ

عُصَيَّة يحرِّكها ـ فامتحناك، فإن تعاييت أو تلوَّيت ضربناك بها ضربة تصير بها رماداً». قلت: يا رسول الله وأنا على حالي هذه؟ قال: «نعم». قال: إذن أكفيكهما . . . كذا في «الكنز» (8/ 121).

وأخرجه سعيد بن منصور نحوه، وزاد عبد الواحد المقدسي في كتابه «التبصير» فقال ﷺ: «والذي بعثني بالحق نبياً لقد أخبرني جبريل أنهما يأتيانك فيسألانك فتقول أنت: الله ربي فمن ربكما؟ ومحمد نبيي فمن نبيكما؟ والإسلام ديني فما دينكما؟ فيقولان: واعجباه!! ما ندري: نحن أُرسلنا إليك، أم أنت أرسلت إلينا». كما في «الرياض النضرة» (2/ 34).

وأخرج ابن عساكر عن أبي بحريّة الكِندي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج ذات يوم فإذا هو بمجلس فيه عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقال: معكم رجل لو قسم إيمانه بين جند من الأجناد لوسعهم ـ يريد عثمان بن عفان ـ. كذا في «المنتخب» (5/ 8).

وقد تقدَّم في صفة الصحابة قول ابن عمر رضي الله عنهما حين سئل: هل كان أصحاب النبي ﷺ يضحكون؟ قال: نعم والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال. وقول عمار رضي الله عنه في تحمل الشدائد: أجد قلبي مطمئناً بالإيمان، حين قال له رسول الله ﷺ: «كيف تجد قلبك»؟ أي عندما أخذه المشركون فلم يتركوه حتى ذكر آلهتهم بخير، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» وابن سعد عن أبي عبيدة، وهكذا أخرجه عنه ابن جرير والبيهقي كما في «التفسير» لابن كثير (2/ 587). وقول أبي بكر رضي الله عنه في الاستخلاف: أبربي تخوِّفوني؟ أقول: اللهمَّ استخلفت عليهم خير أهلك، وفي رواية أخرى: لأنا أعلم بالله وبعمر منكما.

وقول عمر رضي الله عنه في قَسْم جميع ما في بيت المال للرجل الذي كلَّمه في إبقاء المال لعدو أو نائبة: جرى الشيطان على لسانك، لقَّنني الله حجَّتها ووقاني شرها، أعدُّ لها ما أعدّ لها رسول الله ﷺ: طاعة الله عز وجل ورسوله. وفي رواية أخرى: والله لا أعصينَّ الله لِغَدٍ. وفي أخرى: أعدُّ لهم تقوى الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: 2] ـ الآية. وقول علي رضي الله عنه في رغبة الصحابة في الإنفاق: لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده، عندما أراد الصدقة على المسائل، وقالت فاطمة رضي الله عنها: إنما تركتُ ستة دراهم للدقيق. وقول عامر بن ربيعة رضي الله عنه في ردّ المال: لا حاجة لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: 1].

وتقدَّم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان أسيد بن حُضَير رضي الله عنه من أفاضل الناس، فكان يقول: لو أني أكون كما أكون محل حال من أحوال ثلاث لكنت من أهل الجنة، وما شككت في ذلك: حين أقرأ القرآن وحين أسمعه، وإذا سمعت خطبة رسول الله ﷺ، وإذا شهدت جنازة؛ فما شهدت جنازة قط فحدثت نفسي سوى ما هو مفعول بها وما هي صائرة إليه. أخرجه الحاكم (3/ 388) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: صحيح.

* * *

الباب الثاني عشر

باب اجتماع الصحابة على الصلوات

كيف كان النبي ﷺ وأصحابه يجتمعون على الصلوات في المساجد، ويرغبون فيها ويرغِّبون إليها، ويفهمون من انتقالها الانتقال من أمر إلى أمر، ومن عمل إلى عمل؟! وكيف كانوا يتركون أشغالهم بما يؤمرون من الأعمال التي فيها تقوية الإيمان وصفاته، ونشر العلم وأعماله، وإحياء الذكر وإقامة الدعاء بشرائطه؛ فكأنهم كانوا لا يلتفتون إلى ظاهر الأشكال ولا يستفيدون إلاَّ من خالقها والمتصرِّف فيها؟!.

ترغيب النبي ﷺ في الصلاة

أخرج أحمد بإسناد حسن وأبو يَعْلى والبزّار عن الحارث مولى عثمان رضي الله عنه قال: جلس عثمان رضي الله عنه يوماً وجلسنا معه، فجاء المؤذن، فدعا بماء في إناء - أظنه يكون فيه مُدٌّ - فتوضأ، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وُضوئي هذا، ثم قال: «من توضأ وضوئي هذا، ثم قام يصلّي صلاة الظهر غُفر له ما كان بينها وبين الصبح، ثم صلّى العصر غُفر له ما كان بينها وبين الظهر، ثم صلّى المغرب غُفر له ما كان بينها وبين العصر، ثم صلّى العشاء غُفر له ما كان بينها وبين المغرب، ثم لعله يبيت يتمرغ ليلته، ثم إن قام فتوضأ فصلَّى الصبح غُفر له ما بينها وبين صلاة العشاء؛ وهن الحسنات يذهبن السيئات»، قالوا: هذه الحسنات فما الباقيات (الصالحات) يا عثمان؟ قال هي: لا إله إلاَّ الله وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله. كذا في الترغيب (1/ 203) وقال الهيثمي (1/ 297): رواه أحمد وأبو يَعْلى والبزّار ورجاله رجال الصحيح غير الحارث بن عبد الله مولى عثمان بن عفان وهو ثقة وفي الصحيح بعضه. انتهى.

وأخرجه أحمد والنَّسائي والطبراني عن أبي عثمان قال: كنت مع سلمان رضي الله عنه تحت شجرة، فأخذ غصناً منها يابساً فهزه حتى تحاتَّ ورقه، ثم قال: يا أبا عثمان ألاَّ تسألني لِمَ أفعل هذا؟ قلت: ولِمَ تفعله؟ قال: هكذا فعل بي رسول الله ﷺ وأنا معه تحت شجرة، فأخذ

منها غصناً يابساً فهزَّه حتى تحاتَّ ورقه، فقال: «يا سلمان ألا تسألني لِمَ أفعل هذا»؟ قلت: ولِمَ تفعله؟ قال: «إنَّ المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلَّى الصلوات الخمس، تحاتَّت خطاياه كما يتحاتُّ هذا الـــورق، وقـــال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: 114] قال المنذري في «الترغيب» (1/ 201): ورواة أحمد محتج بهم في الصحيح إلا علي بن زيد. اهـ.

وأخرج أحمد عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت سعداً رضي الله عنه وناساً من أصحاب النبي ﷺ يقولون: كان رجلان أخوان على عهد رسول الله ﷺ، وكان أحدهما أفضل من الآخر، فتوفي الذي هو أفضلهم وعُمِّر الآخر بعده ثم توفي، فذُكر لرسول الله ﷺ فضل الأول على الآخر، فقال: «ألم يكن يصلِّي»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «ما يدريك ما بلغت به صلاته»؟! ثم قال عند ذلك: «إنما مَثَل الصلاة كمثل نهر جارٍ بباب رجلٍ غمرٍ عذبٍ، يقتحم فيه كل يوم خمس مرات، فماذا تَرَوْن يبقى من دَرَنه»؟ قال الهيثمي (1/ 297): رواه أحمد والطبراني في «الأوسط» إلاَّ أنه قال: ثم عُمِّر الآخر بعده أربعين ليلة، ورجال أحمد رجال الصحيح. اهـ، وأخرجه أيضاً مالك والنَّسائي وابن خُزَيمة في «صحيحه» كما في «الترغيب» (1/ 206).

وأخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رجلان من بَلِيّ - حيّ من قُضاعة - أسلما مع رسول الله، فاستشهد أحدهما وأُخِّر الآخر سنة، قال طلحة بن عبيد الله: فرأيت المؤخَّر منهما أُدخل الجنة قبل الشهيد، فتعجبت لذلك، فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ - أو ذُكر لرسول الله ﷺ - فقال رسول الله ﷺ: «أليس قد صام بعده رمضان،

وصلّى ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة صلاة سَنَة» قال في «الترغيب» (1/ 208): رواه أحمد بإسناد حسن، ورواه ابن ماجه وابن حِبّان في صحيحه والبيهقي كلّهم عن طلحة بنحوه أطول منه، وزاد ابن ماجه وابن حبان في آخره: «فلَمَا بينهما أبعد مما بين السماء والأرض».

وأخرج الطبراني عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في المسجد ننتظر الصلاة، فقام رجل فقال: إني أصبت ذنباً، فأعرض عنه؛ فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قام الرجل فأعاد القول، فقال النبي ﷺ: «أليس قد صليت معنا هذه الصلاة وأحسنت لها الطُّهور»؟ قال: بلى، قال: «فإنها كفارة ذنبك»؛ قال الهيثمي (1/ 301): رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» والحارث ضعيف. اهـ.

وأخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يسأله عن أفضل الأعمال، فقال رسول الله ﷺ: «الصلاة» قال: ثم مَهْ؟ قال: الصلاة قال: ثم (مَهْ؟ قال: الصلاة) ـ ثلاث مرات فلما غلب عليه قال رسول الله ﷺ: «الجهاد في سبيل الله»، قال الرجل: فإنَّ لي والدين. فقال رسول الله ﷺ: «آمرك بالوالدين خيراً»، قال: والذي بعثك بالحق نبياً لأجاهدنَّ ولأتركنَّهما. قال رسول الله ﷺ: «أنت أعلم»؛ قال الهيثمي (1/ 301): وفيه ابن لَهيعة وهو ضعيف وقد حسَّن له الترمذي وبقية رجاله رجال الصحيح. اهـ، وأخرجه أيضاً ابن حِبّان في صحيحه، كما في «الترغيب» (1/ 211).

وأخرج البزّار (25) وابن خزيمة وابن حِبَّان في «صحيحهما» ـ واللفظ لابن حِبَّان ـ عن عمرو بن مرَّة الجهني رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ، أرأيت إن شهدتُ أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة،

وصمت رمضان وقمته، فممَّن أنا؟ قال: «من الصدِّيقين والشهداء». كذا في «الترغيب» (1/ 200).

وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الوفاة: «الصلاة، وما ملكت أيمانكم» حتى جعل يغرغر بها وما يفصح بها لسانه، وقد رواه النسائي وابن ماجه.

وعند أحمد من حديثه قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: «الصلاة، وما ملكت أيمانكم» حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه. ومن حديث علي رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن آتيه بطبق يكتب فيه ما لا تضلَّ أمته من بعده، قال: فخشيت أن تفوتني نفسه، قال: قلت: إني أحفظ وأعي، قال: «أوصي بالصلاة، والزكاة، وما ملكت أيمانكم». كذا في «البداية» (5/ 238). وأخرجه أيضاً ابن سعد (2/ 243) عن أنس مثله.

وأخرج أيضاً عن علي رضي الله عنه نحوه وزاد: فجعل يوصي بالصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم، قال كذلك حتى فاضت نفسه، وأمر بشهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً عبده ورسوله حتى فاضت نفسه، «من شهد بهما حُرِّم على النار».

وعند أحمد والبخاري في «الأدب» وأبي داود وابن ماجه وابن جرير - وصحَّحه - وأبي يَعْلى والبيهقي عن علي قال: كان آخر كلام النبي: «الصلاةَ، الصلاةَ، واتَّقوا الله فيما ملكت أيمانكم». كذا في «الكنز» (4/ 180).

* * *

ترغيب أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم في الصلاة

أخرج الحكيم عن أبي بكر رضي الله عنه قال: الصلاة أمان الله في الأرض. وأخرج ابن سعد عن أبي المليح قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر: لا إسلام لمن لم يصلِّ. كذا في الكنز (4/ 180).

وأخرج عبد الرزاق عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: صلاة الرجل في بيته نور، وإذا قام الرجل إلى الصلاة عُلِّقت خطاياه فوقه، فلا يسجد سجدة إلاَّ كفَّر الله عنه بها خطيئته، وأخرج عبد الرزاق عن حذيفة رضي الله عنه قال: إنَّ العبد إذا توضأ فأحسن وُضوءه ثم قام إلى الصلاة استقبله الله بوجهه يناجيه، فلم يصرفه عنه حتى يكون هو الذي ينصرف أو يلتفت يميناً أو شمالاً.

وأخرج عبد الرزاق عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: الصلاة حسنة، لا أبالي من شاركني فيها. كذا في «الكنز» (4/ 181).

وأخرج ابن عساكر عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: ما من مسلم يأتي زيارة من الأرض أو مسجداً بُني بأحجاره فصلَّى فيه إلاَّ قالت الأرض: صلَّى لله في أرضه، وأشهد لك يوم تلقاه.

وعند عبد الرزاق (1/ 146) عنه قال: خرجت في عنق آدم ـ عليه السلام ـ شأفة ـ يعني بَثرة ـ فصلَّى صلاة فانحدرت إلى صدره، ثم صلَّى

صلاة فانحدرت إلى الحقو، ثم صلَّى صلاة فانحدرت إلى الكعب، ثم صلَّى صلاة فانحدرت إلى الإبهام، ثم صلَّى صلاة فذهبت. كذا في «الكنز» (4/ 181).

وأخرج أبو نُعيم في «الحيلة» (1/ 130) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما دمتَ في صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يقرع باب المَلِك يُفتح له. وعند عبد الرزاق عنه قال: احملوا حوائجكم على المكتوبة.

وعنده أيضاً عنه قال: الصلوات كفَّارات لما بينهنَّ ما اجتُنبت الكبائر.

وعند ابن عساكر عنه قال: الصلوات كفارات لما بعدهنَّ، إن آدم خرجت به شأفة في إبهام رجله، ثم ارتفعت إلى أصل قدميه، ثم ارتفعت إلى ركبتيه، ثم ارتفعت إلى أصل حَقْويه؛ ثم ارتفعت إلى أصل عنقه، فقام فصلَّى فنزلت عن منكبيه، ثم صلَّى فنزلت إلى حَقويه، ثم صلَّى فنزلت إلى ركبتيه، ثم صلَّى فنزلت إلى قدميه، ثم صلَّى فذهبت. كذا في «الكنز» (4/ 181).

وأخرج عبد الرزاق (1/ 144) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: إنَّ العبد إذا قام إلى الصلاة وُضعت خطاياه على رأسه، فلا يفرغ من صلاته حتى تتفرق عنه كما تتفرق عُذوق النخلة تساقط يميناً وشمالاً.

وعند ابن زنجويه عنه قال: إذا صلَّى العبد اجتمعت خطاياه فوق رأسه، فإذا سجد تحاتَّت كما يتحاتُّ ورق الشجر.

وعنده أيضاً عن طارق بن شهاب أنه بات عند سلمان ينظر اجتهاده، فقام يصلِّي من آخر الليل فكأنه لم يرَ الذي كان يظن، فذكر له

ذلك، فقال سلمان: حافظوا على الصلوات الخمس فإنهنَّ كفارات لهذه الجراحات ما لم يصب المقتلة، فإذا أمسى الناس كانوا على ثلاث منازل: فمنهم من له ولا عليه، ومنهم من عليه ولا له، ومنهم من لا له ولا عليه، فرجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فقام يصلّي حتى أصبح فذلك له ولا عليه، ورجل اغتنم غفلة الناس وظلمة الليل فركب رأسه في المعاصي فذلك عليه ولا له، ورجل صلّى العشاء ونام فذلك لا له ولا عليه، فإياك والحقحقة!! وعليك بالقصد وداوم. كذا في الكنز (4/ 181).

وأخرجه الطبراني في «الكبير» عن طارق بن شهاب نحوه ورجاله موثَّقون، كما قال الهيثمي (1/ 300). وأخرج عبد الرزاق عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: نحرق على أنفسنا فإذا صلينا المكتوبة كفَّرت الصلاة ما قبلها، ثم نحرق على أنفسنا فإذا صلينا كفرت الصلاة ما قبلها. كذا في الكنز (4/ 182).

* * *

رغبة النبي ﷺ في الصلاة وشدة اهتمامه بها

أخرج أحمد والنَّسائي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «حُبِّب إليَّ الطيب، والنساء، وجعلت قُرَّة عيني في الصلاة».

وعند أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل قال لرسول الله ﷺ: قد حُبب إليك الصلاة فخُذْ منها ما شئت، كذا في «البداية» (6/ 58). وأخرجه الطبراني أيضاً في «الكبير» عن ابن عباس نحوه، قال الهيثمي (2/ 270): وفيه علي بن يزيد وفيه كلام وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان جالساً ذات يوم والناس حوله، فقال: «إنَّ الله جعل لكل نبي شهوة وإنَّ شهوتي في قيام الليل، إذا قمت فلا يصلينَّ أحد خلفي، وإنَّ الله جعل لكل نبي طُعْمة وإن طعمتي هذا الخُمُس، فإذا قضيت فهو لولاة الأمر من بعدي». قال الهيثمي (2/ 271): وفيه إسحاق بن عبد الله بن كَيْسان عن أبيه، وإسحاق ليَّنه أبو حاتم، وأبوه وثَّقه ابن حِبَّان وضعّفه أبو حاتم وغيره. انتهى.

وأخرج أبو داود عن أنس رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حتى تورَّمت قدماه ـ فقيل له: أليس قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»؟!. كذا في الكنز (4/ 36).

وأخرجه أبو يَعْلى (5/ 295) والبزَّار (2381) والطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي (2/ 271).

وأخرجه البزَّار (2381) عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه، وفي روايته قال: كان رسول الله ﷺ يصلِّي حتى ترمَ قدماه. قال الهيثمي (2/ 271): رواه البزَّار بأسانيد ورجال أحدهما رجال الصحيح. اهـ. وهكذا أخرجه الطبراني في «الكبير» عن أبي جُحَيفة رضي الله عنه.

وعنده أيضاً في «الصغير» و«الأوسط» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله يصلِّي من الليل حتى ورم قدماه ـ فذكر نحوه.

وعنده أيضاً في «الأوسط» عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقوم الليل حتى تفطر قدماه ـ فذكر نحوه كما في «المجمع» (2/ 271) وعند الشيخين عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه. فقلت له لِمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ـ فذكره نحوه. وعن المغيرة رضي الله عنه نحوه، كما في «الرياض» (ص 429).

وعند ابن النجار عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يقوم حتى تزلع رجلاه.

وعنده أيضاً عن أنس قال: تعبَّد رسول الله ﷺ حتى صار كالشن البالي، قالوا: يا رسول الله ما يحملك على هذا؟ أليس قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ قال: «بلى، أفلا أكون عبداً شكوراً»؟!. كذا في «الكنز» (4/ 36).

وأخرج الشيخان عن حميد قال: سئل أنس بن مالك رضي الله عنه عن صلاة رسول الله ﷺ من الليل، فقال: ما كنَّا نشاء من الليل أن نراه

مصلياً إلاَّ رأيناه، وما كنَّا نشاء أن نراه قائماً إلاَّ رأيناه، وكان يصوم من الشهر حتى نقول: لا يُفطر منه شيئاً، ويُفطر حتى نقول: لا يصوم منه شيئاً. وأخرجا أيضاً عن عبد الله رضي الله عنه قال: صلَّيت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء، قلنا: ما هممت؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه. كذا في «صفة الصفوة» (1/ 75).

وأخرج أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام ليلة حتى أصبح. يقرأ هذه الآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118] كذا في «البداية» (6/ 58).

وأخرج أبو يَعْلى (6/ 3444) عن أنس رضي الله عنه قال: وجد رسول الله ﷺ شيئاً، فلما أصبح قيل: يا رسول الله إنَّ أثر الوجع عليك بيِّن، قال: إني على ما ترون قد قرأت البارحة السبع الطُّوَل». ورجاله ثقات كما قال الهيثمي (2/ 274).

وأخرج مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: صلَّيت مع النبي ﷺ ليلة، فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة، قال: ثم مضى فقلت: يصلِّي بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها. فافتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مُتَرسِّلاً، إذا مرَّ بآيةٍ فيها تسبيحٌ سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذ تعوَّذ، ثم ركع فجعل يقول: «سبحان ربي العظيم»، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: «سمع الله لمن حمده»، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد فقال: «سبحان ربي الأعلى»، فكان سجوده قريباً من قيامه. انفرد بإخراجه مسلم؛ وسورة النساء في هذا الحديث مقدَّمة على آل عمران، وكذلك هي في مصحف ابن مسعود. كذا في «صفة الصفوة» (1/ 75).

وعند الطبراني عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلِّي فصلَّيت

بصلاته من ورائه وهو لا يعلم، فاستفتح البقرة حتى ظننت أنه سيركع، ثم مضى ـ قال سنان: لا أعلمه إلاَّ قال: صلَّى أربع ركعات كان ركوعه مثل قيامه ـ قال: فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: «ألاَ أعلمتني» قال حذيفة: والذي بعثك بالحق نبياً إني لأجده في ظهري حتى الساعة!! قال: «لو أعلم أنك ورائي لخففت». قال الهيثمي (2/ 275): وفيه سنان بن هارون البُرجمي، قال ابن معين: سِنان بن هارون أخو سيف وسِنان أحسنهما حالاً، وقال مرة: سِنان أوثق من سيف، وضعَّفه غير ابن معين. انتهى.

وأخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها أنها ذُكر لها أن ناساً يقرؤون القرآن في الليلة مرة أو مرتين، فقالت: أولئك قرؤوا ولم يقرؤوا، كنت أقوم مع رسول الله ﷺ ليلة التمام، فكان يقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء، فلا يمرُّ بآية فيها تخويف إلاَّ دعا الله واستعاذ، ولا يمرّ بآية فيها استبشار إلاَّ دعا الله ورَغِب إليه. قال الهيثمي (2/ 272): رواه أحمد ـ وجاء عنده في رواية: يقرأ أحدهما القرآن مرتين أو ثلاثاً ـ وأبو يعلى، وفيه ابن لَهيعة وفيه كلام. انتهى.

وأخرج البخاري عن الأسود قال: كنا عند عائشة فذكرنا المواظبة على الصلاة والمواظبة لها، قالت: لمَّا مرض النبي ﷺ مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة فأذَّن بلال، فقال: «مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس» فقيل له: إنَّ أبا بكر رجل أسيف، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلِّي بالناس، وأعاد فأعادوا له، فأعاد الثالثة فقال: «إنكنَّ صواحب يوسف!! مُرُوا أبا بكر فليصلِّ بالناس». فخرج أبو بكر فوجد النبي ﷺ في نفسه خِفَّة، فخرج يُهادَى بين رجلين كأني أنظر إلى رجليه تخطَّان من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخَّر فأومأ إليه النبي ﷺ أنْ مكانك، ثم أُتي به حتى

جلس إلى جنبه. وعنده أيضاً من وجه آخر عنها قالت: لقد عاودت رسول الله في ذلك، وما حلمني على معاودته إلاَّ أنِّي خشيت أن يتشاءم الناس بأبي بكر، وإلاَّ أنِّي علمت أنه لن يقوم مقامه أحد إلاَّ تشاءم الناس به، فأحببت أن يعدل ذلك رسول الله عن أبي بكر إلى غيره.

وعند مسلم عنها قالت: قلت يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه فلو أمرت غير أبي بكر، قالت: والله ما بي إلاَّ كراهية أن يتشاءم الناس بأول من يقوم في مقام رسول الله ﷺ، قالت: فراجعته مرتين أو ثلاثاً، فقال: «ليصلِّ بالناس أبو بكر، فإنكن صواحب يوسف». كذا في «البداية» (5/ 232).

وأخرج أحمد عن عبيد الله بن عبد الله قال: دخلت على عائشة فقلت: ألاَ تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ؟ فقالت: بلى، ثقل برسول الله ﷺ وجعه، فقال: «أصلّى الناس»؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، فقال: «ضعوا لي ماء في المِخْضَبِ» ففعلنا، قالت: فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق، فقال: «أصلَّى الناس»؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قال: «ضعوا لي ماء في المِخْضَبِ» ففعلنا فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال: «أصلَّى الناس»؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء، فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر رضي الله عنه بأن يصلِّي بالناس، وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً، فقال: يا عمر صلِّ بالناس، فقال: أنت أحق بذلك، فصلَّى بهم تلك الأيام ـ فذكر خروجه كما تقدم، كذا في «البداية» (5/ 233). وأخرجه أيضاً البيهقي (8/ 151) وابن أبي شيبة، كما في الكنز (4/ 59) وابن سعد (2/ 218) نحوه.

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه كان يصلِّي لهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الإثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف تبسَّم يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺ، ونكص أبو بكر على عقبيه ليصلَ الصف وظن أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا ﷺ أن أتمُّوا صلاتكم، وأرخى الستر وتوفي من يومه ﷺ.

وعنده أيضاً من وجه آخر عنه قال: لم يخرج النبي ﷺ ثلاثاً، فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبي الله ﷺ «عليكم بالحجاب» فرفعه فلما وضح وجه النبي ﷺ ما نظرنا منظراً كان أعجب إلينا من وجه النبي ﷺ حين وضح لنا، فأومأ النبي ﷺ بيده إلى أبي بكر أن يتقدَّم، وأرخى النبي ﷺ الحجاب فلم يُقْدر عليه حتى مات ﷺ. ورواه مسلم. كذا في «البداية» (5/ 235).

وأخرج أيضاً أبو يَعْلى وابن عساكر وابن خُزَيمة وأحمد عن أنسٍ بمعناه بألفاظ مختلفة، كما في «الكنز» (4/ 57) والمجمع (5/ 181) والبيهقي (8/ 152) وابن سعد (2/ 216) أيضاً بمعناه.

* * *

رغبة الصحابة رضي الله عنهم في الصلاة وشدة اهتمامهم بها

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن المِسْوَر بن مَخْرَمة قال: دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو مسجًّى فقلت: كيف ترونه؟ قالوا: كما ترى، قلت: أيقظوه بالصلاة، فإنكم لن توقظوه لشيء أفزع له من الصلاة. فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين، فقال ها الله إذاً! ولا حق في الإسلام لمن ترك الصلاة، فصلَّى وإن جرحه ليثعب دماً، قال الهيثمي (1/ 295): رجاله رجال الصحيح. اهـ.

وأخرجه ابن سعد (3/ 350) عن المسور أنَّ عمر لما طُعن جعل يُغمى عليه، فقيل: إنكم لن تفزعوه بشيء مثل الصلاة إن كانت به حياة، فقال: الصلاة يا أمير المؤمنين، الصلاة قد صُلِّيت، فانتبه فقال: الصلاة ها الله إذاً!! ولا حظَّ في الإسلام ـ فذكر مثله.

وأخرج الطبراني (1/ 130) عن محمد بن مسكين قال: قالت امرأة عثمان رضي الله عنه حين أطافوا به: تريدون قتله؟! إن تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يحيي الليل كله في ركعة يجمع فيها القرآن. وإسناده حسن كما قال الهيثمي (9/ 94) وأخرجه أبو نُعيم في الحلية (1/ 57) عن محمد بن سيرين مثله إلا أن في روايته: حين أطافوا به يريدون قتله.

وعنده أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قالت امرأة عثمان بن عفان رضي الله عنه حين قتلوه: لقد قتلتموه وإنَّه ليحيي الليلة

بالقرآن في ركعة؟! قال أبو نُعيم: كذا قال أنس بن مالك ورواه الناس فقالوا: أنس بن سيرين - انتهى.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 56) عن عثمان بن عبد الرحمن التيمي قال: قال أبي: لأغلبنَّ الليلة على المقام، قال: فلما صلَّيت العَتَمة تخلَّصت إلى المقام حتى قمت فيه، قال: فبينا أنا قائم إذا رجل وضع يده بين كتفيّ، فإذا عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: فبدأ بأمّ القرآن فقرأ حتى ختم القرآن، فركع وسجد، ثم أخذ نعليه فلا أدري أصلَّى قبل ذلك شيئاً أم لا.

وعند ابن المبارك في «الزهد» وابن سعد وابن أبي شيبة وابن منيع والطحاوي والدارقطني والبيهقي عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي قال: رأيت عثمان عند المقام ذات ليلة قد تقدَّم، فقرأ القرآن في ركعة ثم انصرف. كذا في «المنتخب» (5/ 9) وقال: سنده حسن.

وعند ابن سعد (3/ 75) عن عطاء بن أبي رباح أن عثمان صلَّى بالناس، فقام خلف المقام فجمع كتاب الله في ركعة كانت وِتْره، وعن محمد بن سيرين أن عثمان كان يحيي الليل فيختم القرآن في ركعة. كذا في «المنتخب» (5/ 9).

وأخرج الحاكم (3/ 546) عن المسيَّب بن رافع قال: لما كُفَّ بصرُ ابن عباس رضي الله عنهما أتاه رجل فقال له: إنك إن صبرت لي سبعاً لم تصلِّ إلاَّ مستلقياً تومىء إيماء داويتك فبرأت إن شاء الله تعالى. فأرسل إلى عائشة وأبي هريرة - رضي الله عنهما - وغيرهما من أصحاب محمد ﷺ كل يقول: أرأيت إن متَّ في هذا السبع كيف تصنع بالصلاة؟! فترك عينه ولم يداوها.

وعند البزّار (343) والطبراني (16/ 11782) عن ابن عباس قال: لما قام بصري قيل: نداويك وتدع الصلاة أياماً، قال: لا، إنَّ رسول الله ﷺ قال: «من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان» قال الهيثمي (1/ 295): رواه البزّار والطبراني في «الكبير» وفيه سهل بن محمود ذكره ابن أبي حاتم وقال: روى عنه أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقي وسعدان بن يزيد قلت: وروى عنه محمد بن عبد الله المخرمي ولم يتكلم فيه وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى. وعند الطبراني في «الكبير» (10/ 10647) عن علي بن أبي جميلة والأوزاعي قالا: كان عبد الله بن عباس يسجد كل يوم ألف سجدة، قال الهيثمي (2/ 258): وإسناده منقطع ـ اهـ.

وأخرج الطبراني (9/ 8869) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان لا يكاد يصوم، وقال: إني إذا صمت ضعفت عن الصلاة، والصلاة أحب إليَّ من الصيام، فإنْ صام صام ثلاثة أيام من الشهر؛ قال الهيثمي (2/ 257): رجاله رجال الصحيح وفي بعض طرقه: ولم يكن يصلّي الضحى. انتهى.

وأخرجه أيضاً ابن جرير عن عبد الرحمن بن يزيد أن عبد الله ﷺ بن مسعود كان يقلُّ الصوم، فقيل له، فقال: إني إذا صمت ـ فذكر مثله، كما في الكنز (4/ 181). وأخرجه ابن سعد (3/ 155) عن عبد الرحمن بن يزيد قال: ما رأيت فقيهاً أقلَّ صوماً من عبد الله بن مسعود، فقيل له: لم لا تصوم؟ فقال: إني أختار الصلاة عن الصوم، فإذا صمت ضعفت عن الصلاة.

وأخرج الحاكم (3/ 225) عن عائشة رضي الله عنها قالت: أبطأت ليلة عن رسول الله ﷺ بعد العشاء ثم جئت، فقال لي: أين كنت؟ قلت:

كنا نسمع قراءة رجل من أصحابك في المسجد لم أسمع مثل صوته ولا قراءة من أحد من أصحابك، فقام وقمت معه حتى استمع إليه ثم التفت إليَّ، فقال: «هذا سالم مولى أبي حذيفة!! الحمد لله الذي جعل في أُمتي مثل هذا» قال الحاكم ووافقه الذهبي: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 259) عن مسروق قال: كنا مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في سفر، فآوانا الليل إلى بستان حَرْث، فنزلنا فيه فقام أبو موسى من الليل يصلِّي ـ فذكر من حسن صوته ومن حسن قراءته ـ قال: وجعل لا يمر بشيء إلاَّ قاله، ثم قال: اللهمَّ أنت السلام، ومنك السلام، وأنت المؤمن تحب المؤمن، وأنت المهيمن وتحب المهيمن، وأنت الصادق تحب الصادق.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 383) عن أبي عثمان النَّهْدي قال: تضيَّفت أبا هريرة رضي الله عنه سبع ليالٍ، فكان هو وخادمه وامرأته يعتقبون الليل أثلاثاً.

وأخرج مالك عن عبد الله بن أبي بكر أن أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه كان يصلِّي في حائط له، فطار دُبْسي فطفق يتردد يلتمس مخرجاً فلا يجد، فأعجبه ذلك فجعل يتبعه بصره ساعة، ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدري كم صلَّى، فقال: لقد أصابتني في مالي هذا فتنة، فجاء إلى رسول الله ﷺ فذكر له الذي أصابه في صلاته وقال: يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت. كذا في «الترغيب» (1/ 316) وقال: وعبد الله بن أبي بكر لم يدرك القصة.

وأخرج مالك أيضاً عن عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من الأنصار كان يصلِّي في حائط له بالقُف ـ وادٍ من أودية المدينة ـ في زمان التمر.

والنخل قد ذُلِّلت فهي مطوَّقة بثمرها، فنظر إليها فأعجبه ما رأى من ثمرها، ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدري كم صلَّى فقال: لقد أصابتني في مالي هذا فتنة، فجاء عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ وهو يومئذٍ خليفة ـ فذكر له ذلك وقال: هو صدقة فاجعله في سبيل الخير، فباعه عثمان بن عفان بخمسين ألفاً، فسمِّي ذلك المال الخمسين. كذا في «الأوجز» (1/ 315).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 335) عن أسماء رضي الله عنها قالت: كان ابن الزبير قوَّام الليل صوَّام النهار، وكان يسمى حمام المسجد.

وأخرج ابن عساكر عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: ما جاء وقت صلاة قط إلاَّ وقد أخذت لها أهبتها، وما جاءت إلاَّ وأنا إليها بالأشواق. كذا في الكنز (7/ 80)، وأخرجه ابن المبارك، كما في الإصابة (2/ 468).

* * *

بناء المساجد

أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنهم كانوا يحملون اللبن إلى بناء المسجد ورسول الله ﷺ معهم، قال: فاستقبلت رسول الله ﷺ وهو عارض لبنة على بطنه، فظننت أنها شقَّت عليه فقلت: ناولنيها يا رسول الله قال: «خُذْ غيرها يا أبا هريرة؛ فإنه لا عيش إلاَّ عيش الآخرة.» قال الهيثمي (2/ 9): رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج أحمد والطبراني (8/ 8242) عن طَلْق بن علي رضي الله عنه قال: بنيت المسجد مع رسول الله ﷺ فكان يقول: «قرِّب اليمامي إلى الطين؛ فإنه أحسنكم له مسّاً وأشدكم منكباً» قال الهيثمي (2/ 9): رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله موثَّقون ـ اهـ. وعند أحمد أيضاً عنه قال: جئت إلى النبي ﷺ وأصحابه يبنون المسجد قال: فكأنه لم يعجبه عملهم، قال: فأخذت المسحاة فخلطت بها الطين، قال: فكأنه أعجبه أخذي المسحاة وعملي فقال: «دعوا الحنفي والطين؛ فإنه أضبطكم للطين» قال الهيثمي (2/ 9): وفيه أيوب بن عتبة واختلف في ثقته.

وأخرج البزّار (406) عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: لما توفيت امرأته جعل يقول: احملوها وارغبوا في حملها؛ فإنها كانت تحمل ومواليها بالليل حجارة المسجد الذي أسس على التقوى، وكنا نحمل بالنهار حجرين حجرين. قال الهيثمي (2/ 10): وفيه أبو مالك النخعي وهو ضعيف ـ اهـ.

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قالت الأنصار لي: متى يصلّي رسول الله ﷺ إلى هذا الجريد؟! فجمعوا له دنانير فأتَوا بها النبي ﷺ فقالوا: نصلح هذا المسجد ونزينه. فقال: «ليس لي رغبة عن أخي موسى ـ عليه السلام ـ عريش كعريش موسى» قال الهيثمي (1/ 16): وفيه عيسى بن سنان ضعّفه أحمد وغيره ووثّقه العِجلي وابن حبان وابن خراش في رواية ـ اهـ.

وعند البيهقي في «الدلائل» (2/ 542) عنه أن الأنصار جمعوا مالاً فأتَوا به النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله ابن هذا المسجد وزينه إلى متى نصلي تحت هذا الجريد؟! فقال: «ما بي رغبة عن أخي موسى، عريش كعريش موسى». وروى البيهقي أيضاً عن الحسن في بيان عريش موسى قال: «إذا رفع يده بلغ العريش» ـ يعني السقف ـ اهـ. وعن ابن شهاب: كانت سواريُّ المسجد في عهد رسول الله ﷺ جذوعاً من جذوع النخل، وكان سقفه جريداً وخوصاً ليس على السقف كثير طين، إذا كان المطر امتلأ المسجد طيناً، إنما هو كهيئة العريش.

وفي الصحيح في ليلة القدر: «وإني أُريت أن أسجد في ماء وطين، فمن كان اعتكف مع رسول الله ﷺ فليرجع» فرجعنا وما نرى في السماء قَزَعة، فجاءت سحابة فمطرت حتى سال سقف المسجد ـ وكان من جريد النخل ـ وأقيمت الصلاة فرأيت رسول الله ﷺ يسجد في الماء والطين، حتى رأيت أثر الطين في جبهته. كذا في «وفاء الوفاء» (1/ 242).

وأخرج ابن زبالة عن خالد بن مَعدان قال: خرج رسول الله ﷺ على عبد الله بن رواحة وأبي الدرداء رضي الله عنهما ومعهما قصبة يذرعان بها المسجد، فقال: «ما تصنعان»؟ فقالا: أردنا أن نبني مسجد رسول الله ﷺ على بنيان الشام، فيقسم ذلك على الأنصار، فقال:

«هاتياها» فأخذ القصبة منهما ثم مشى بها حتى أتى الباب فدحا بها، وقال: «كلا، ثُمام وخشيبات وظُلَّة كظلَّة موسى، والأمر أقرب من ذلك» قيل: وما ظُلَّةُ موسى؟ قال: «إذا قام أصاب رأسُه السقفَ» كذا في «وفاء الوفاء» (1/ 241).

وأخرج أحمد عن نافع أن عمر رضي الله عنه زاد في المسجد من الأسطوانة لى المقصورة، وقال عمر: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ينبغي أن نزيد في مسجدنا» ما زدت.

وأخرج البخاري وأبو داود عن نافع أن عبد الله ـ يعني ابن عمر رضي الله عنهما ـ أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن، وسقفه الجريد، وعَمَدُه خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر رضي الله عنه شيئاً وزاد فيه عمر رضي الله عنه، وبناه على بنائه في عهد رسول الله باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً، ثم غيَّره عثمان رضي الله عنه فزاد فيه زيادة كبيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقَّفِ بالساج.

وأخرج أبو داود أيضاً ـ وسكت عليه ـ عن عطية عن ابن عمر قال: إن مسجد النبي ﷺ كانت سواريه على عهد رسول الله ﷺ من جذوع النخل، أعلاه مُظلَّل بجريد النخل، ثم إنَّها نخرت في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، فبناها بجذوع النخل وبجريد النخل، ثم إنَّها نخرت في خلافة عثمان رضي الله عنه فبناها بالآجر؛ فلم تزل ثابتة حتى الآن.

وفي صحيح مسلم عن محمود بن لبيد أن عثمان بن عفان أراد بناء المسجد فكره الناس ذلك وأحبُّوا أن يدعه على هيئته، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى مسجداً لله بنى الله له في الجنة مثله».

وروى يحيى عن المطَّلب بن عبد الله بن حنطب قال: لما ولي عثمان بن عفان سنة أربع وعشرين كلَّمه الناس أن يزيد في مسجدهم، وشكوا إليه ضيقه يوم الجمعة، حتى إنهم ليصلُّون في الرحاب، فشاور فيه عثمان أهل الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ، فأجمعوا على أن يهدمه ويزيد فيه، فصلَّى الظهر بالناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني قد أردت أن أهدم مسجد رسول الله ﷺ، وأزيد فيه، وأشهَدُ لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة» وقد كان لي فيه سَلَف وإمام سبقني وتقدمني عمر بن الخطاب، كان قد زاد فيه وبناه، وقد شاورت أهل الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ فأجمعوا على هدمه وبنائه وتوسيعه، فحسَّن الناس يومئذٍ ذلك ودعوا له، فأصبح فدعا العمال وباشر ذلك بنفسه، وكان رجلاً يصوم الدهر، ويصلِّي الليل، وكان لا يخرج من المسجد، وأمر بالقَصَّة المنخولة تعمل ببطن نخل؛ وكان أول عمله في شهر ربيع الأول من سنة تسع وعشرين، وفرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة ثلاثين، فكان عمله عشرة أشهر. كذا في «وفاء الوفاء» (1/ 355 و356).

وأخرج الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» (2/ 1786) عن جابر بن أسامة الجهني رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ في أصحابه بالسوق فقلت: أين يريد رسول الله ﷺ؟ قالوا: يريد أن يخط لقومك مسجداً. قال: فأتيت وقد خطَّ لهم مسجداً وغرز في قبلته خشبة فأقامها قبلة؛ قال الهيثمي (2/ 15): وفيه معاوية بن عبد الله بن حبيب ولم أجد من ترجمه ـ انتهى. وأخرجه أبو نُعيم عن جابر بن أسامة الجهني نحوه. كما في «الكنز» (4/ 262) والباوَرْدي عن أسامة الحنفي مثله، كما في «الكنز» (4/ 263).

وأخرج ابن عساكر عن عثمان بن عطاء قال: لما افتتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه البلدان كتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وهو على البصرة يأمره أن يتخذ للجماعة مسجداً، ويتخذ للقبائل مسجداً، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة فشهدوا الجمعة، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وهو على الكوفة بمثل ذلك، وكتب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو على مصر بمثل ذلك، وكتب إلى أمراء الأجناد أن لا يبدوا إلى القرى، وأن ينزلوا المدائن، وأن يتخذوا في كل مدينة مسجداً واحداً، ولا يتخذ القبائل مساجد كما اتخذ أهل الكوفة والبصرة وأهل مصر؛ وكان الناس متمسكين بأمر عمرو عهده. كذا في «الكنز» (4/ 259).

* * *

تنظيف المساجد وتطهيرها

أخرج أحمد عن عروة بن الزبير عمَّن حدَّثه من أصحاب رسول الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نصنع المساجد في دورنا، وأن نصلح صنعتها ونطهّرها، قال الهيثمي (2/ 11) رواه أحمد وإسناده صحيح. اهـ.

وعند أبي داود والترمذي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنه قالت: أمر رسول الله ﷺ ببناء المسجد في الدور وأن يُنظَّف ويُطيَّب. كذا في «المشكاة» (ص61).

وأخرج الطبراني (11/ 11607) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة كانت تلقط القذى من المسجد، فتوفيت فلم يُؤذَن النبي ﷺ بدفنها،

فقال النبي ﷺ: «إذا مات لكم ميِّت فآذنوني» وصلَّى عليها وقال: «إني رأيتها في الجنة تلقط القذى من المسجد» قال الهيثمي (2/ 10): رواه الطبراني في «الكبير» وقال في «تراجم النساء»: الخرقاء السوداء التي كانت تميط الأذى عن مسجد رسول الله ﷺ. وذكر بعد هذا الكلام إسناد عن أنس رضي الله عنه قال: فذكر الحديث ورجال إسناد أنس رجال الصحيح، وإسناد بن عباس فيه عبد العزيز بن فائد وهو مجهول، وقيل فيه فائد بن عمر وهو وَهَم. انتهى.

وأخرج أبو يعلى (1/ 190) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر كان يجمِّر المسجد مسجد رسول الله كل جمعة. قال الهيثمي (2/ 11): وفيه عبد الله بن عمر العمري وثَّقه أحمد وغيره واختلف في الاحتجاج به.

* * *

المشي إلى المساجد

أخرج أحمد ومسلم والدارمي وأبو عَوانة وابن خزيمة وابن حِبَّان عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رجل لا أعلم رجلاً أبعد من المسجد منه، وكان لا تخطئه صلاة؛ فقيل له: لو اشتريت حماراً تركبه في الظلماء وفي الرمضاء، قال: ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يُكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إلى أهلي!! فقال رسول الله ﷺ: «قد جمع الله لك ذلك كله».

وعند الطيالسي ومسلم وابن ماجه عنه قال. كان رجل من الأنصار بيته أقصى بيت من المدينة فكان لا تخطئه الصلاة مع رسول الله ﷺ،

فتوجَّعتُ له فقلت له: يا فلان لو أنك اشتريت حماراً يقيك من الرمضاء ويقيك من هوامِّ الأرض، قال: أما والله ما أحب أن بيتي مُطَنَّب ببيت محمد ﷺ، فحملت به حِمْلاً حتى أتيت نبي الله ﷺ فأخبرته، فدعاه فقال له مثل ذلك، وذكر أنه يرجو في أثره الأجر، فقال له النبي ﷺ: «إنَّ لك ما احتسبت».

وأخرج أيضاً أبو داود والحميدي بمعناه، وفي رواية الحميدي: «إنَّ له بكل خطوة يخطوها إلى المسجد درجة» كذا في «الكنز» (4/ 244).

وأخرج الطبراني (5/ 4799) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ ونحن نريد الصلاة، فكان يقارب الخطى، فقال: «أتدرون لم أقارب الخطى»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «لا يزال العبد في الصلاة ما دام في طلب الصلاة» قال الهيثمي (2/ 32): رواه الطبراني في «الكبير»؛ وله في رواية أخرى: «إنما فعلت هذا لتكثير خطاي في طلب الصلاة»، وفيه الضحاك بن نَبَراس وهو ضعيف، ورواه موقوفاً على زيد بن ثابت ورجاله رجال الصحيح. انتهى.

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن ثابت قال: كنت أمشي مع أنس بن مالك رضي الله عنه بالزاوية إذ سمع الأذان، ثم قارب في الخطا حتى دخلت المسجد، ثم قال: أتدري يا ثابت لم مشيت بك هذه المشية؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ليكثر عدد الخطى في طلب الصلاة، قال الهيثمي (2/ 32): وقد رواه أنس عن زيد بن ثابت والله أعلم، وفيه الضحاك بن نَبَراس وهو ضعيف. انتهى.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (5/ 4797) عن رجل من طيِّىء عن أبيه أن ابن مسعود رضي الله عنه خرج إلى المسجد، فجعل يهرول فقيل

له: أتفعل هذا وأنت تنهى عنه؟ قال: إنما أردت حدَّ الصلاة: التكبيرة الأولى؛ وفيه من يُسَمَّ كما تراه.

وعنده أيضاً (9/ 9360) فيه عن سَلَمة بن كُهَيل أن ابن مسعود سعى إلى الصلاة فقيل له، فقال: أوَ ليس أحقَّ ما سعيتم إليه الصلاة؟ وسَلَمة لم يسمع من ابن مسعود؛ كما قال الهيثمي (2/ 32).

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: بينما نحن نصلِّي مع رسول الله ﷺ إذ سمع جلبة رجال خلفه، فلما قضى صلاته قال: «ما شأنكم»؟ قالوا: أسرعنا إلى الصلاة، قال: «فلا تفعلوا، ليصلِّ أحدكم ما أدرك وليقضِ ما فاته» ورجاله رجال الصحيح وهو متفق عليه بلفظ: «وما سبقكم فأتمُّوا» كما قال الهيثمي (2/ 31).

* * *

لماذا بنيت المساجد؟
وماذا كانوا يفعلون فيها؟

أخرج مسلم (1/ 138/ 285) ـ واللفظ له ـ والطحاوي (1/ 8) عن أنس رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: «مَهْ مَهْ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُزْرِموه دعوه» فتركه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن» ـ أو كما قال رسول الله ﷺ ـ قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلوٍ من ماء فشنَّه عليه.

وأخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية رضي الله عنه على حَلْقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قال: جلسنا نذكر لله، قال: الله؟ ما أجلسكم إلا ذاك، قالوا: ما أجلسنا إلا ذاك، قال: أما إني لم أستحلفكم تُهْمَة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقلَّ عنه حديثاً مني، إنَّ رسول الله ﷺ خرج على حَلْقة من أصحابه فقال: «ما أجلسكم»؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدنا للإسلام ومَنَّ به علينا، فقال: «آلله؟ ما أجلسكم إلا ذاك». قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: «أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أنَّ الله يباهي بكم الملائكة»، كذا في رياض

الصالحين (ص156) وأخرجه أيضاً الترمذي والنسائي (4/ 249) كما في جمع الفوائد (2/ 249).

وأخرج الشيخان عن أبي واقد الحارث بن عوف رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحَلْقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»، كذا في «رياض الصالحين» (ص515). وأخرجه مالك والترمذي (2724)، كما في جمع الفوائد (1/ 21).

وأخرج ابن منده عن أبي القمراء رضي الله عنه قال: كنا في مسجد رسول الله حلَقاً نتحدث إذ خرج علينا رسول الله ﷺ من بعض حُجَره، فنظر إلى الحَلَق ثم جلس إلى أصحاب القرآن، فقال: «بهذا الملجس أمرت»، كذا في «الإصابة» (4/ 160). وأخرجه ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» (4/ 164). وأخرجه أيضاً أبو عمرو الداني في «طبقات القرّاء»، كما في «الكنز» (1/ 219).

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن كليب بن شهاب قال: سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ضجة في المسجد يقرؤون القرآن ويقرِئونه، فقال: طوبى لهؤلاء!! هؤلاء كانوا أحب الناس إلى رسول الله ﷺ. كذا في المجمع (7/ 166). وأخرجه ابن منيع بنحوه، كما في «الكنز» (1/ 218).

وعند البزّار كما في «المجمع» (7/ 162) عن كليب أيضاً قال:

كان علي في المسجد ـ أحسبه قال: مسجد الكوفة ـ فسمع صيحة شديدة فقال: ما هؤلاء؟ فقال: قوم يقرؤون القرآن أو يتعلمون القرآن، فقال: أما إنهم كانوا أحب الناس إلى رسول الله ﷺ. قال الهيثمي (7/ 166): وفي إسناد الطبراني حفص بن سليمان الغاضري وهو متروك ووثَّقه أحمد في رواية وضعَّفه في غيرها وفي إسناد البزّار إسحاق بن إبراهيم الثقفي وهو ضعيف.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها، فقال: يا أهل السوق، ما أعجزكم؟ قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يُقسم وأنتم ههنا!! ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد، فخرجوا سراعاً ووقف أبا هريرة لهم حتى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة أتينا المسجد فدخلنا فيه لم نرَ فيه شيئاً يُقسم!! فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحداً؟ قالوا: بلى، رأينا قوماً يصلون، وقوماً يقرؤون القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلال والحرام. فقال لهم أبو هريرة: ويحكم!! فذاك ميراث محمد ﷺ. كذا في «الترغيب» (1/ 66).

وأخرج المروزي وابن أبي شيبة عن ابن معاوية الكندي قال: قدمت على عمر رضي الله عنه بالشام، فسألني عن الناس، فقال: لعلَّ الرجل يدخل المسجد كالبعير النافر فإن رأى مجلس قومه ورأى من يعرفهم جلس إليهم، قلت: لا، ولكنها مجالس شتَّى يجلسون فيتعلمون الخير ويذكرونه، قال: لن تزالوا بخير ما كنتم كذلك. كذا في «الكنز» (5/ 229).

وأخرج الشيخان وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما

نحن في المسجد يوماً خرج النبي ﷺ فقال: «انطلقوا إلى اليهود» فقال: «أسلموا تسلموا» فقالوا: قد بلَّغتَ، فقال: «ذلك أريد، أسلموا تسلموا» فقالوا: قد بلَّغتَ، فقال: «ذلك أريد» ثم قالها الثالثة، ثم قال: «اعلموا أنَّ الأرض لله ولرسوله وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن يجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ولرسوله». كذا في جمع الفوائد (2/ 44).

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: أصيب سعد رضي الله عنه يوم الخندق، رماه رجل من قريش يقال له حِبَّان بن العَرِقة، رماه في الأكحل، فضرب عليه النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار فقال: قد وضعتَ السلاح والله ما وضعتُه!! أخرج إليهم، فقال ﷺ: «فأين»؟ فأشار إلى بني قريظة، فأتاهم ﷺ فنزلوا على حكمه، فردَّ الحكم إلى سعد، قال: فإنِّي أحكم فيهم أن تُقتل المقاتِلة، وأن تُسبى النساء والذرية، وأن يُقسم أموالهم. قال هشام: فأخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها أن سعداً قال: اللهمَّ إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليَّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذَّبوا رسولك وأخرجوه، اللهمَّ فإني أظن أنك قد وضعتَ الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني لهم حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت قد وضعت الحرب فافجرها واجعل موتتي فيها، فانفجرت من لَبَّته فلم يرعهم - وفي المسجد خيمة من بني غِفار - إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قِبَلكم؟ فإذا سعد يغذو جرحه دماً، فمات منها. كذا في «جمع الفوائد» (2/ 52).

وأخرج ابن سعد في «الطبقات» (2/ 20) عن يزيد بن عبد الله بن

قُسيط قال: كان أهل الصفة ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ لا منازل لهم، فكانوا ينامون على عهد رسول الله ﷺ في المسجد ويظلون فيه، ما لهم مأوى غيره، فكان رسول الله ﷺ يدعوهم إليه بالليل إذا تعشَّى فيفرقهم على أصحابه، وتتعشى طائفة منهم مع رسول الله ﷺ حتى جاء الله بالغنى.

وأخرج أحمد عن أسماء ـ يعني بنت يزيد ـ أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنه كان يخدم رسول الله ﷺ، فإذا فرغ من خدمته أوى إلى المسجد وكان هو بيته يضطجع فيه، فدخل رسول الله ﷺ ليلة فوجد أبا ذر منجدلاً في المسجد، فنكته رسول الله ﷺ برجله حتى استوى جالساً، فقال له رسول الله ﷺ: «ألا أراك نائماً»؟ قال أبو ذر: يا رسول الله فأين أنام؟ وهل لي بيت غيره؟ فذكر الحديث في أمر الخلافة. قال الهيثمي (2/ 22): رواه أحمد، والطبراني روى بعضه في الكبير (2/ 1623) وفيه شَهْر بن حَوشب وفيه كلام وقد وُثِّق.

وعند الطبراني في «الأوسط» عن أبي ذر أنه كان يخدم النبي ﷺ فإذا فرغ من خدمته أتى المسجد فاضطجع فيه. وفيه شَهْر أيضاً، كما قال الهيثمي؛ وقد تقدّمت قصص أبي ذر وغيره من الصحابة في النوم في المسجد في ضيافة الأضياف.

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن الحسن أنه سئل عن القائلة في المسجد، فقال: رأيت عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو يومئذٍ خليفة يقيل في المسجد، كذا في «الكنز» (4/ 261).

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا ونحن شباب نبيت في عهد رسول الله ﷺ في المسجد.

وعنده **أيضاً** عنه قال: كنا نجمِّع ثم نرجع فنقيل. كذا في «الكنز» (4/ 261).

وأخرج ابن سعد (3/ 294) عن الزُّهري قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا أطال أحدكم الجلوس في المسجد فلا عليه أن يضع جنبه، فإنه أجدر أن لا يملّ جلوسه.

وأخرج عبد الرزاق عن خليد أبي إسحاق قال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن النوم في المسجد فقال: إن كنت تنام لصلاة وطواف فلا بأس. كذا في «الكنز» (4/ 261).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ إذا كانت ليلة ريح شديدة كان مفزعه إلى المسجد حتى تسكن الريح، وذا حدث في السماء حديث من كسوف شمس أو قمر كان مفزعه إلى المصلَّى، كذا في «الكنز» (4/ 289) وقال: وسنده حسن.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (3/ 312) عن عطاء أن يعلى بن أمية رضي الله عنه كانت له صحبة، فكان يقعد في المسجد الساعة فينوي بها الاعتكاف.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (17/ 448) عن عطية بن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قدم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ في رمضان، فضرب لهم قبة في المسجد، فلما أسلموا صاموا معه. قال الهيثمي (2/ 28): وفيه محمد ابن إسحاق وهو مدلِّس وقد عنعنه، انتهى.

وعند أحمد عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ فأنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم ـ فذكر

الحديث كما تقدَّم في قصة إسلام ثقيف في باب الدعوة إلى الله وإلى رسوله.

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: أكلنا مع رسول الله ﷺ يوماً شِواء ونحن في المسجد، فأقيمت الصلاة فلم نزد على أن مسحنا بالحصباء. قال الهيثمي (2/ 21): وفيه ابن لهيعة وفيه كلام.

وعند أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ - يعني - أُتي بفضيخ في مسجد الفضيخ فشربه، فلذلك سُمِّي.

وعند أبي يعلى (10/ 5733) عنه أن النبي ﷺ أُتي بِجَرٍّ فضيخِ بُسْرٍ وهو في مسجد الفضيخ فشربه، فلذلك سُمي مسجد الفضيخ. قال الهيثمي: وفيه عبد الله بن نافع ضعَّفه البخاري وأبو حاتم والنسائي وقال ابن معين: يُكتب حديثه. انتهى.

وقد تقدمت قصص قسم الطعام والمال في باب إنفاق الأموال، وقصة بيعة عثمان رضي الله عنه في المسجد في باب البيعة، وبيعة أبي بكر رضي الله عنه في المسجد في باب اجتماع الكلمة، وقصة دعوة ضمام رضي الله عنه وإسلامه في المسجد، وقصة إسلام كعب بن زهير رضي الله عنه وإنشاده القصيدة المعروفة في المسجد في باب الدعوة إلى الله، وجلوس أصحاب الشورى للمشورة في المسجد في باب اجتماع الكلمة، وقعود الصحابة مع رسول الله ﷺ بالغدوات في المسجد في باب إنفاق المال، وجلوس عمر رضي الله عنه في المسجد لحاجة الناس بعد الصلوات في الخوف على بسط الدنيا، وبكاء أبي بكر والصحابة في المسجد على فراقه ﷺ باب التعلُّق بحب الله وحب رسول الله ﷺ.

ماذا كان النبي ﷺ وأصحابه يكرهون في المساجد

أخرج أحمد عن مولى لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينا أنا مع أبي سعيد وهو مع رسول الله ﷺ إذ دخلنا المسجد، فإذا رجل جالس في وسط المسجد محتبياً مشبِّكاً أصابعه بعضها في بعض، فأشار إليه رسول الله ﷺ، فلم يفطن الرجل لإشارة رسول الله ﷺ، فالتفت إلى أبي سعيد فقال: «إذا كان أحدكم في المسجد فلا يشبكنَّ فإن التشبيك من الشيطان، وإنَّ أحدكم لا يزال في صلاةٍ ما كان في المسجد حتى يخرج منه»، قال الهيثمي (2/ 25): إسناده حسن.

وأخرج الطبراني عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: لما افتتح رسول الله ﷺ خيبر وقع الناس في الثوم فجعلوا يأكلونه، فقال رسول الله ﷺ: «من أكل من هذه البقعة الخبيثة فلا يقربَّن مسجدنا». قال الهيثمي (2/ 17): رواه الطبراني في «الأوسط» من رواية أبي القاسم مولى أبي بكر، ولم أجد من ذكره، وبقية رجاله موثَّقون. انتهى.

وأخرج مسلم والنسائي وابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب (الناس) يوم الجمعة فقال في خطبته: ثم إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أُراهما إلا خبيثتين: البصل والثوم، لقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحهما من الرجل من المسجد أمر به فأُخرج إلى البقيع، فمن أكلهما فليمتهما طبخاً. كذا في الترغيب (1/ 188).

وأخرج الشيخان وأبو داود ـ واللفظ له ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ يخطب يوماً إذ رأى نخامة في قبلة المسجد، فتغيّظ على الناس ثم حكّها، قال: «وأحسبه قال: فدعا بزعفران فلطخه به، وقال: «إن الله عز وجل قِبَل وجه أحدكم إذا صلّى؛ فلا يبصق بين يديه».

وعند ابن خزيمة في صحيحه من حديث أبي سعيد ثم أقبل على الناس مغضباً فقال: «أيحب أحدكم أن يستقبله رجل فيبصق في وجهه؟ إنَّ أحدكم إذا قام إلى الصلاة فإنما يستقبل ربه والمَلَك عن يمينه، فلا يبصق بين يديه ولا عن يمينه». كذا في «الترغيب» (1/ 163).

وأخرج عبد الرزاق (1691) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن المسجد لينزوي من النُّخَامة كما تنزوي البَضْعة أو الجلدة في النار. كذا في الكنز (4/ 260).

وأخرج البغوي وابن السَّكَن والطبراني وغيرهم عن جابر أن بَنَّة الجهني رضي الله عنه أخبره أن رسول الله ﷺ رأى قوماً ـ وفي لفظ: مرَّ على قوم ـ في المسجد يتعاطون سيفاً بينهم مسلولاً، فقال: «لعن الله من فعل هذا، أوَ لَمْ أَنْهَ ـ وفي لفظ: أو لم أنهكم ـ عن هذا؟ إذا سلَّ أحدكم السيف فإذا أراد أن يدفعه إلى صاحبه فليغمده ثم ليعطه إياه». كذا في «الكنز» (4/ 262).

وأخرج عبد الرزاق (733) عن سليمان بن موسى قال: سئل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن سلِّ السيف في المسجد فقال: قد كنا نكره ذلك، وقد كان رجل يتصدّق بالنبل في المسجد فأمره النبي ﷺ لا يمر بها في المسجد إلا وهو قابض على نصالها جميعاً. كذا في «الكنز» (4/ 262).

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن محمد بن عبيد الله قال: كنا عند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في المسجد، فقلَّب رجل نبلاً، فقال أبو سعيد: أما كان هذا يعلم أن رسول الله ﷺ نهى عن تقليب السلاح في المسجد؛ قال الهيثمي (2/ 26): وفيه أبو البلاد ضعَّفه أبو حاتم.

وأخرج مسلم والنَّسائي وابن ماجه عن بُريدة رضي الله عنه أن رجلاً نشد في المسجد، فقال: من دعا إلى الجمل الأحمر؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا وجدتَ، إنما بنيت المساجد لما بنيت له». كذا في «الترغيب» (1/ 167).

وأخرج الطبراني في «الكبير» (9/ 9268) عن ابن سيرين أو غيره قال: سمع ابن مسعود رضي الله عنه رجلاً ينشد ضالة في المسجد فأسكته وانتهره، وقال: نُهينا عن هذا، وابن سيرين لم يسمع من ابن مسعود. كذا في «الترغيب» (1/ 167).

وأخرج عبد الرزاق (1715) عن ابن سيرين قال: سمع أُبي بن كعب رضي الله عنه رجلاً يعتري ضالته في المسجد فأغضبه، فقال: يا أبا المنذر ما كنت فاحشاً، قال: إنا أُمرنا بذلك. كذا في «الكنز» (4/ 260).

وأخرج البخاري والبيهقي عن السائب بن يزيد قال: كنت نائماً في المسجد فحصبني رجل، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، فقال: من أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما!! ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ؟

وعند إبراهيم بن سعد في «نسخته» وابن المبارك عن سعيد بن إبراهيم عن أبيه قال: سمع عمر بن الخطاب صوت رجل في المسجد فقال: أتدري أين أنت؟ أتدري أين أنت؟ كره الصوت؛ كذا في «الكنز» (4/ 259 و260).

وأخرج عبد الرزاق (3/ 7) وابن أبي شيبة والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر كان إذا خرج إلى المسجد نادى في المسجد: إياكم واللغط، وفي لفظ: نادى بأعلى صوته: اجتنبوا اللغو في المسجد.

وعند عبد الرزاق (1711) وابن أبي شيبة عنه أن عمر نهى عن اللغط في المسجد وقال: إن مسجدنا هذا لا تُرفع فيه الأصوات. كذا في «الكنز» (4/ 259).

وأخرج مالك والبيهقي عن سالم أن عمر بن الخطاب بنى إلى جانب المسجد رحبة فسماها البطيحاء، فكان يقول: من أراد أن يلغط أو ينشد شعراً أو يرفع صوتاً فليخرج إلى هذه الرحبة. كذا في الكنز (4/ 259).

وأخرج عبد الرزاق (1706) عن طارق بن شهاب قال: أُتي عمر بن الخطاب برجل في شيء فقال: أخرجاه من المسجد فاضرباه. كذا في «الكنز» (4/ 260).

وأخرج الطبراني في «الكبير» (4/ 3564) عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه رأى قوماً قد أسندوا ظهورهم إلى قبلة المسجد بين أذان الفجر والإقامة، فقال: لا تحولوا بين الملائكة وبين صلاتها. قال الهيثمي (2/ 23): ورجاله موثّقون.

وأخرج أحمد والطبراني في «الكبير» عن عبد الله بن عامر الألهاني

قال: دخل المسجد حابس بن سعد الطائي رضي الله عنه من السَّحَر - وقد أدرك النبي ﷺ - فرأى الناس يصلُّون في مقدم المسجد فقال: مراؤون وربِّ الكعبة، أرعِبوهم فمن أرعبهم فقد أطاع الله ورسوله، فأتاهم الناس فأخرجوهم، فقال: إن الملائكة تصلِّي في مقدَّم المسجد من السَّحَر. قال الهيثمي (2/ 16): وفيه عبد الله بن عامر الألهاني ولم أجد من ذكره، وأخرجه أيضاً ابن عساكر وأبو نعيم كما في «الكنز» (4/ 262)؛ وأخرجه ابن سعد (7/ 431) أيضاً نحوه.

وأخرج الطبراني (9/ 8964) عن مرّة الهمداني: قال: حدثت نفسي أن أصلِّي خلف كل سارية من مسجد الكوفة ركعتين، فبينا أنا أصلي إذ أنا بابن مسعود رضي الله عنه في المسجد، فأتيته لأخبره بأمري، فسبقني رجل فأخبره بالذي أصنع، فقال ابن مسعود: لو يعلم أن الله عز وجل عند أدنى سارية ما جاوزها حتى يقضي صلاته. قال الهيثمي (2/ 16): وفيه عطاء ابن السائب وقد اختلط.

* * *

اهتمام النبي ﷺ وأصحابه بالأذان

أخرج أبو داود عن أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار قال: اهتم النبي ﷺ للصلاة كيف يجمع الناس لها، فقيل له: انصب راية عند حضور الصلاة؛ فإذا رأوها آذن بعضهم بعضاً، فلم يعجبه ذلك، قال: فذكر له القُنْعُ - يعني الشَّبُور، وقال زياد: شبور اليهود - فلم يعجبه ذلك، وقال: «وهو من أمر اليهود»، فقال: فذكر له الناقوس. فقال: «هو من أمر النصارى»، فانصرف عبد الله بن زيد رضي الله عنه وهو مهتم لِهَمّ رسول الله ﷺ فأري الأذان في منامه - فذكر الحديث.

وأخرج أبو الشيخ عن عبد الله بن زيد قال: اهتم رسول الله ﷺ بالأذان بالصلاة، وكان إذا جاء وقت الصلاة صعد برجل فيشير بيده، فمن رآه جاء ومن لم يره لم يعلم بالصلاة، فاهتم لذلك همّاً شديداً، فقال له بعض القوم: يا رسول الله لو أمرت بالناقوس، فقال رسول الله ﷺ: «فعل النصارى؟ لا»، فقالوا: لو أمرت بالبوق فنفخ فيه. فقال: «فعل اليهود؟ لا»، فرجعت إلى أهلي وأنا مغتم لما رأيت من اهتمام رسول الله ﷺ في حاله، حتى إذا كان الليل قبل الفجر غشيني النعاس، فرأيت رجلاً عليه ثوبان أخضران أنا بين النائم واليقظان، فقام على سطح المسجد فجعل أصبعيه في أذنيه ونادى.

وعنده أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: كانت الصلاة إذا حَضَر

على عهد رسول الله ﷺ سعى رجل في الطريق فنادى: الصلاة، الصلاة؛ فاشتد ذلك على الناس وقالوا: لو اتخذنا ناقوساً ـ فذكر الحديث. كذا في «الكنز» (4/ 263 و265).

وأخرج ابن سعد (1/ 246) عن نافع بن جبير وعروة وزيد بن أسلم وسعيد بن المسيَّب قالوا: كان الناس في عهد النبي ﷺ قبل أن يُؤمر بالأذان ينادي منادي النبي ﷺ: الصلاة جامعة. فيجتمع الناس، فلما صرفت القبلة إلى الكعبة أمر بالأذان، وكان رسول الله ﷺ قد أهمه أمر الأذان، وأنهم ذكروا أشياء يجمعون بها الناس للصلاة، فقال بعضهم: البوق، وقال بعضهم: الناقوس ـ فذكر الحديث وفي آخره قالوا: وأذَّن بالأذان، وبقي يُنادي في الناس: الصلاة جامعةً للأمر يحدث، فيحضرون له يُخبرون به مثل فتح يقرأ، أو أمر يؤمرون به، فينادي: الصلاة جامعة وإن كان في غير وقت صلاة.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (6/ 5452) عن سعد القَرَظ رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان أي ساعة أتى قُباء أذن بلال رضي الله عنه بالأذان لأن يُعلم الناس أن رسول الله ﷺ قد جاء، فتجمعوا إليه، فأتى يوماً وليس معه بلال فنظر زنوجٌ بعضهم إلى بعض؛ فرقي سعد رضي الله عنه في عذق فأذَّن بالأذان، فقال له رسول الله ﷺ: «ما حملك على أن تؤذن يا سعد»؟ قال: بأبي وأمي رأيتك في قلّة من الناس ولم أرَ بلالاً معك، ورأيت هؤلاء الزنوج ينظر بعضهم إلى بعض وينظرون إليك، فخشيت عليك منهم فأذَّنت. قال: «أصبتَ يا سعد، إذا لم ترَ بلالاً معي فأذِّن» فأذن سعد ثلاث مرار في حياة رسول الله ﷺ؛ قال الهيثمي (1/ 336): وفيه عبد الرحمن بن سعد بن عمّار وهو ضعيف.

وأخرج البيهقي في «شُعَب الإيمان» عن أبي الوقاص رضي الله

عنه قال: سهام المؤذنين عند الله يوم القيامة كسهام المجاهدين. وهو فما بين الأذان والإقامة كالمنشحط في دمه في سبيل الله. قال: وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لو كنت مؤذِّناً ما باليت أن لا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد. قال: وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو كنت مؤذِّناً لكمل أمري وما باليت أن لا أنتصب لقيام الليل ولا صيام النهار؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهمَّ اغفر للمؤذِّنين، اللهم اغفر للمؤذِّنين». فقلت: تركتنا يا رسول الله ونحن نجتلد على الأذان بالسيوف!! قال: «كلا يا عمر إنَّه سيأتي على الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم، وتلك لحوم حرمها الله على النار: لحوم المؤذِّنين» قال: وقالت عائشة رضي الله عنها لهم: هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33]. قالت: هو المؤذِّن، فإذا قال: حيَّ على الصلاة، فقد دعا إلى الله، وإذا صلَّى فقد عمل صالحاً، وإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، فهو من المسلمين. كذا في «الكنز» (4/ 265). وأخرجه أبو الشيخ عن الرصافي في كتاب «الأذان» مثله، كما في «الكنز» (4/ 266).

وعند ابن زنجويه عن أبي معشر قال: بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لو كنت مؤذِّناً لم أبال أن لا أحج ولا أعتمر إلاَّ حجّة الإسلام، ولو كانت الملائكة نزولاً ما غلبهم أحد على الأذان، كذا في «الكنز» (4/ 265).

وأخرج عبد الرزاق (1869) وابن أبي شيبة (1/ 355) وابن سعد والبيهقي (1/ 426) عن قيس ابن أبي حازم قال: قدمنا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: من مؤذِّنكم؟ فقلنا: عبيدنا وموالينا. فقال:

إنَّ ذلكم بكم لنقص شديد، لو أطقتُ الأذان من الخِلّيفي لأذنت، كذا في «الكنز» (4/ 265).

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن علي رضي الله عنه قال: ندمت أن لا أكون طلبت إلى رسول الله ﷺ فيجعل الحسن والحسين مؤذِّنَيْن، قال الهيثمي (1/ 326): وفيه الحارث وهو ضعيف.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (9/ 9269) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما أحب أن يكون مؤذنوكم عميانكم، قال: ولا قراؤكم؛ قال الهيثمي (2/ 2): ورجاله ثقات.

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن يحيى البكّاء قال: قال رجل لابن عمر رضي الله عنهما: إنّي لأحبك في الله، فقال ابن عمر: لكني أُبغضك في الله. قال: ولمَ؟ قال: إنّك تتغنَّى في أذانك وتأخذ عليه أجراً؛ قال الهيثمي (2/ 3): وفيه يحيى البكّاء ضعَّفه أحمد وأبو زُرعة وأبو حاتم وأبو داود، ووثّقه يحيى بن سعد القَطّان، وقال محمد بن سعيد كان ثقة إن شاء الله.

وأخرج ابن عساكر عن خالد بن سعيد عن أبيه قال: بعث النبي ﷺ خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه إلى اليمن، فقال: «إن مررت بقرية فلم تسمع أذاناً فاسبِهم»، فمرَّ ببني زُبيد فلم يسمع أذاناً فسباهم، فأتاه عمرو بن معدِيكرب فكلّمه فوهبهم له خالد؛ كذا في «الكنز» (2/ 298).

وأخرج البيهقي (8/ 178) عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: كان أبو بكر رضي الله عنه يأمر أمراءه حين كان يبعثهم في الردّة: إذا غشِيتم داراً فإن سمعتم بها أذاناً (بالصلاة) فكفُّوا حتى

تسألوهم ماذا تنقمون، فإن لم تسمعوا أذاناً فشنُّوها غارة، واقتلوا، وحرِّقوا، وأنهكوا في القتل والجراح، لا يُرى بكم وَهْن لموت نبيكم ﷺ.

وعند عبد الرزاق عن الزهري قال: لما بعث أبو بكر الصديق لقتال أهل الردّة قال: بيِّتوا فأينما سمعتم فيها الأذان فكفُّوا عنها فإن الأذان شعار الإيمان. كذا في «الكنز» (3/ 141).

* * *

انتظار النبي ﷺ وأصحابه الصلاة

وأخرج أبو داود عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ حين تقام الصلاة في المسجد إذا رآهم قليلاً جلس لم يصلِّ، وإذا رآهم جماعة صلَّى.

وعند ابن أبي شيبة عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان ينتظر ما سمع وَقْع نعل. كذا في «الكنز» (4/ 246 و247).

وأخرج ابن أبي شيبة ـ ورجاله ثقات ـ عن عمر رضي الله عنه قال: جهز رسول الله ﷺ جيشاً حتى ذهب نصف الليل أو بلغ ذلك، فخرج إلى الصلاة فقال: «صلَّى الناس ورجعوا وأنتم تنتظرون الصلاة، أما إنكم لن تزالوا في الصلاة ما انتظرتموها». وعنده أيضاً وابن جرير عن جابر رضي الله عنه بنحوه. كذا في «الكنز» (4/ 193).

وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: صلى رسول الله ﷺ المغرب فرجع من رجع وعقَّب من عقَّب، فخرج رسول الله ﷺ فقال: «هذا ربكم فتح باباً من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة، يقول: عبادي قضَوا فريضة وهم ينتظرون الأخرى». كذا في «الكنز» (4/ 245). وأخرجه ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما بنحوه ورواته ثقات، كما في «الترغيب» (1/ 246).

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن أبي أُمامة الثَّقَفي قال: خرج

معاوية رضي الله عنه حين صلّى الظهر فقال: مكانكم حتى آتيكم، فخرج علينا وقد تردّى، فلمّا صلّى العصر قال: ألاَ أحدثكم شيئاً فعله رسول الله ﷺ؟ قلنا: بلى، قال: فإنَّهم صلَّوا معه الأولى ثم جلسوا، فخرج عليهم فقال: «ما برحتم بعد»؟ قالوا: لا، قال: «لو رأيتم ربكم فتح باباً من السماء فأرى مجلسكم ملائكتَه يباهي بكم وأنتم ترقبون الصلاة». كذا في «المجمع» (2/ 38).

وأخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخَّر ليلةً صلاة العشاء إلى شطر الليل، ثم أقبل بوجهه بعدما صلَّى فقال: «صلَّى الناس ورقدوا ولم تزالوا في صلاة منذ انتظرتموها».

وعنده أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «إنَّ أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، والملائكة تقول: اللهمَّ اغفر له، اللهمَّ ارحمه، ما لم يقم من مصلاَّه أو يحدث» وفي رواية لمسلم وأبي داود قال: «لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاَّه أو يحدث». وفي رواية لمسلم وأبي داود قال: «لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاَّه ينتظر الصلاة، والملائكة تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، حتى ينصرف أو يحدث» قيل: وما يحدث؟ قال: يفسو أو يضرط. كذا في «الترغيب» (1/ 245).

وأخرج ابن حِبَّان في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ألاَ أدلُّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويكفِّر به الذنوب»؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: «إسباغ الوضوء على المكروهات، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط» كذا في «الترغيب» (1/ 247).

وأخرج الحاكم (2/ 301) ـ وقال: صحيح الإسناد ـ عن داود بن

صالح قال: قال لي أبو سلمة: يا بن أخي تدري في أي شيء نزلت ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: 200]؟ قلت: لا، قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يرابط فيه ولكن انتظار الصلاة بعد الصلاة. كذا في الترغيب (1/ 251).

وأخرج الترمذي - وصحَّحه - عن أنس رضي الله عنه أن هذه الآية ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: 16] نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العَتَمة، كذا في «الترغيب» (1/ 246).

* * *

تأكيد الجماعة والاهتمام بها

أخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه والحاكم عن عمرو بن أم مكتوم رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أنا ضرير شاسع الدار ولي قائد لا يلائمني، فهل تجد لي رخصة أن أصلِّي في بيتي؟ قال: «أتسمع النداء»؟ قال: نعم، قال: «ما أجد لك رخصة». وفي رواية لأحمد عنه أن رسول الله ﷺ أتى المسجد فرأى القوم في رقة فقال: «إني لأهمُّ أن أجعل للناس إماماً ثم أخرجَ فلا أقدر على إنسان يتخلَّف عن الصلاة في بيته إلا أحرقته عليه». فقال ابن أم مكتوم: يا رسول الله إنَّ بيني وبين المسجد نخلاً وشجراً، ولا أقدر على قائد كل ساعة أيسعني أن أصلِّي في بيتي؟ قال: «أتسمع الإقامة»؟ قال: نعم، قال: «فأتها». كذا في «الترغيب» (1/ 238).

وأخرج مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من سرّه أن يلقى الله غداً مسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهن؛ فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سُنَنَ الهدى وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صلَّيتم في بيوتكم كما يصلِّي هذا المتخلِّفُ في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهَّر فيحسن الطُّهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتُنا وما يتخلَّف عنها إلا منافق معلوم

النفاق، ولقد كان الرجل يُؤتى به يُهادَى بين الرجلين حتى يقام في الصف. وفي رواية: لقد رأيتنا وما يتخلَّف عن الصلاة إلا منافق قد عُلم نفاقه أو مريض، إنْ كان الرجل ليمشي بين رجلين حتى يأتي الصلاة، وقال: إن رسول الله ﷺ علَّمنا سنن الهدى وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذِّن فيه. كذا في «الترغيب» (1/ 224).

وأخرجه أيضاً عبد الرزاق (1979) والضياء في «المختارة» بطوله نحوه، كما في «الكنز» (4/ 181).

وأخرجه الطيالسي (ص40) أيضاً نحوه وزاد: وإني لا أجد منكم أحداً إلا له مسجد يصلِّي فيه في بيته، ولو صليتم في بيوتكم وتركتم مساجدكم لتركتم سنة نبيكم.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 235) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: من سرَّه أن يأتي الله عز وجل آمناً فليأت هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهن، فإنهن من سنن الهدى، وممّا سنه لكم نبيكم ﷺ ولا يقل: إنَّ لي مصلَّى في بيتي فأصلِّي فيه، فإنكم إن فعلتم ذلك تركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم ﷺ لضللتم.

وأخرج الطبراني وابن خزيمة في «صحيحه» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا إذا فقدنا الرجل في الفجر والعشاء أسأنا به الظن. كذا في «الترغيب» (1/ 232). وأخرجه سعيد بن منصور عن ابن عمر نحوه، كما في «الكنز» (4/ 244) والبزّار (462)، كما في «المجمع» (2/ 40) وقال: ورجال الطبراني موثَّقون.

وأخرج مالك عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حَثْمة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فَقَد سليمان بن أبي حَثْمة في صلاة الصبح وأن

عمر غدا إلى السوق ـ ومسكن سُليمان بين المسجد والسوق ـ فمرَّ على الشِّفَاء أم سليمان ـ رضي الله عنهما ـ فقال لها: لم أرَ سليمان في الصبح. فقالت له: إنه بات يصلِّي فغلبته عيناه. فقال عمر: لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة أحب إليَّ من أن أقوم ليلة. كذا في «الترغيب» (1/ 235).

وعند عبد الرزاق (2010) عن ابن أبي مُلَيكة قال: جاءت الشِّفَاء ـ إحدى نساء بني عدي بن كعب ـ عمر في رمضان فقال: ما لي لم أرَ أبا حَثْمة ـ لزوجها ـ شهد الصبح؟ قالت: يا أمير المؤمنين دأب ليلته فكسل أن يخرج فصلّى الصبح ثم رقد، فقال: والله لو شهدها لكان أحب إليَّ من دأبه ليلته.

وعنده أيضاً (2011) عن الشِّفَاء بنت عبد الله قالت: دخل عليَّ بيتي عمر بن الخطاب فوجد عندي رجلين نائمين فقال: وما شأن هذين ما شهدا معنا الصلاة؟ قلت: يا أمير المؤمنين صلَّيا الصبح وناما. فقال عمر: لأن أصلي الصبح في جماعة أحب إليَّ من أن أصلي ليلة حتى أصبح. كذا في «كنز العمال» (3/ 243).

وأخرج البخاري عن أم الدرداء قلت: دخل عليَّ أبو الدرداء رضي الله عنه وهو مُغضب فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف من أمر محمد ﷺ شيئاً إلا أنَّهم يصلُّون جميعاً.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 303) عن نافع أنَّ ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا فاتته صلاة العشاء في جماعة أحيا بقية ليلته، وقال بِشر بن موسى: أحيا ليلة. وأخرجه الطبراني أيضاً. وعند البيهقي: إذا فاتته صلاة في جماعة صلى إلى الصلاة الأخرى، كما في «الإصابة» (2/ 349).

وأخرج الطبراني في «الكبير» بإسناد حسن عن عنبسة بن الأزهر قال: تزوج الحارث بن حسان رضي الله عنه ـ وكانت له صحبة ـ وكان الرجل إذ ذاك إذا تزوج تخدَّر أياماً فلا يخرج لصلاة الغداة، فقيل له: أتخرج وإنما بنيت بأهلك في هذه الليلة؟ قال: والله إنَّ امرأة تمنعني من صلاة الغداة في جمع لامرأة سوء. كذا في «مجمع الزوائد» (2/ 41).

* * *

تسوية الصفوف وترتيبها

أخرج ابن خزيمة في «صحيحه» عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأتي ناحية الصف ويسوِّي بين صدور القوم ومناكبهم ويقول: «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم، إنَّ الله وملائكته يصلُّون على الصف الأول». كذا في «الترغيب» (1/ 282).

وعند أبي داود بإسناد حسن عن البراء قال: كان رسول الله ﷺ يتخلَّل الصف من ناحية إلى ناحية يمسح صدورنا ومناكبنا ويقول: «لا تختلفوا» فذكر نحوه كذا في «الترغيب» (1/ 289).

وأخرج مسلم والأربعة إلا الترمذي عن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ألا تصفُّون كما تصفُّ الملائكة عند ربِّها»؟ فقلنا: يا رسول الله وكيف تصفُّ الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصفوف الأُوَل ويتراصُّون في الصف». كذا في «الترغيب» (1/ 283).

وعند أبي داود وابن ماجه عن جابر (بن سمرة) رضي الله عنه قال: صلَّينا مع رسول الله ﷺ فأومأ إلينا أن نجلس فجلسنا، فقال: «ما يمنعكم أن تصفوا كما تصف الملائكة» ـ فذكر نحوه. كما في الكنز (4/ 255).

وأخرج مالك والستة خلا البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يسوِّي صفوفنا حتى كأنما يسوِّي بها القِدَاح حتى رآنا أنا قد عقلنا عنه، ثم خرج يوماً فقام حتى كاد يكبِّر فرأى رجلاً

بادياً صدره من الصف فقال: «عبادَ الله لَتُسَوُّنَّ صفوفكم أو ليخالِفَنَّ الله بين وجوهكم».

وفي رواية عند أبي داود وابن حِبّان في «صحيحه» قال: فرأيت الرجل يلزَق منكبه بمنكب صاحبه وركبته بركبة صاحبه وكعبه بكعبه. كذا في «الترغيب» (1/ 289).

وأخرج مالك وعبد الرزاق (2438) والبيهقي عن نافع أن عمر رضي الله عنه كان يأمر بتسوية الصفوف، فإذا جاؤوا فأخبروه أن قد استوت كبَّر.

وعند عبد الرزاق (2459) عن أبي عثمان النَّهدي قال: كان عمر يأمر بتسوية الصفوف ويقول: تقدَّم يا فلان، تقدَّم يا فلان، وأُراه قال: لا يزال قوم يستأخرون حتى يؤخرهم الله.

وعنده أيضاً (2436) عنه قال: رأيت عمر إذا تقدَّم إلى الصلاة ينظر إلى المناكب والأقدام. كذا في الكنز (4/ 254 و255).

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي نَضر قال: كان عمر بن الخطاب إذا أقيمت الصلاة قال: استووا، تقدم يا فلان، تأخر يا فلان، أقيموا صفوفكم، يريد الله بكم هَدْيَ الملائكة ثم يتلوا ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: 165 و166]. كذا في «الكنز» (4/ 255).

وأخرج عبد الرزاق (2408) والبيهقي (2/ 22) عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه قال: كنت مع عثمان بن عفان رضي الله عنه فأقيمت الصلاة وأنا أكلمه في أن يفرض لي، فلم أزل أكلمه وهو يسوِّي الحصباء بنعليه حتى جاء رجال قد وكلهم بتسوية الصفوف، فأخبروه أنَّ الصفوف

قد استوت، فقال: استوِ في الصف، ثم كبَّر. كذا في «الكنز» (4/ 255).

وأخرج ابن أبي شيبة عن علي رضي الله عنه قال: استووا تستوِ قلوبكم، وتراصوا ترحموا. كذا في الكنز (4/ 255).

وأخرج أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لقد رأيتنا وما تُقام الصلاة حتى تَكَاملَ بنا الصفوف، قال الهيثمي (2/ 90): رجاله رجال الصحيح.

وعند الطبراني عنه قال: إن الله وملائكته يصلُّون على الذين يتقدَّمون الصفوف بصلاتهم - يعني الصف الأول المقدَّم - وفيه رجل لم يُسمَّ كما قال الهيثمي (2/ 92).

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن عبد العزيز بن رُفَيع قال: حدثني عامر بن مسعود القرشي وزاحمني بمكة أيام ابن الزبير رضي الله عنهما عند المقام في الصف الأول قال: قلت له: أكان يقال في الصف الأول خير؟ قال: أجل والله، لقد قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم الناس ما في الصف الأول ما صفُّوا فيه إلا بقرعة أو سُهْمة». قال الهيثمي (2/ 92): رجاله ثقات إلا أن عامراً اختُلف في صحبته.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» (11/ 1204) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: عليكم بالصف الأول وعليكم بالميمنة منه، وإياكم والصفَّ بين السواري؛ قال الهيثمي (2/ 92): وفيه إسماعيل بن مسلم المكِّي وهو ضعيف.

وأخرج الحاكم في «المستدرك» (3/ 303) عن قيس بن عبادة قال: شهدت المدينة، فلما أقيمت الصلاة تقدَّمت فقمت في الصف الأول،

فخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فشقَّ الصفوف ثم تقدم، وخرج معه رجل آدمُ خفيف اللِحية فنظر في وجوه القوم، فلما رآني دفعني وقام مكاني واشتد ذلك عليَّ، فلما انصرف التفت إليَّ فقال: لا يسؤك ولا يحزنْك، أشقّ عليك؟ إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يقوم في الصف الأول إلا المهاجرون والأنصار» فقلت: من هذا؟ فقالوا: أبيّ بن كعب رضي الله عنه: قال الحاكم ووافقه الذهبي: هذا حديث تفرّد به الحاكم عن قتادة وهو صحيح الإسناد. وأخرجه أبو نعيم في الحلية (1/352) بسند آخر عن قيس قال: بينما أنا أصلي في مسجد المدينة في الصف المقدّم إذ جاء رجل من خلفي فجذبني جذبة فنحّاني وقام مقامي، فلمّا سلّم التفت إليَّ فإذا هو أُبيٌّ بن كعب، فقال: يا فتى لا يسؤك الله، إن هذا عهد من النبي ﷺ إلينا ـ فذكر الحديث.

* * *

اشتغال الإمام بحوائج المسلمين بعد الإقامة

أخرج عبد الرزاق (1931) عن أسامة بن عمير رضي الله عنه قال: كانت الصلاة تقام فيكلم الرجل النبي ﷺ في حاجة تكون له، فيقوم بينه وبين القبلة فما يزال قائماً يكلّمه فربما رأيت بعض القوم ينعس من طول قيام النبي ﷺ. كذا في «الكنز» (4/ 234). وأخرجه عبد الرزاق أيضاً وأبو الشيخ في الأذان عن أنس رضي الله عنه مثله، كما في «الكنز» (4/ 273).

وعند ابن عساكر عن أنس أن الصلاة كانت تقام بعشاء الآخرة فيقوم النبي ﷺ مع الرجل يكلمه حتى يرقد طوائف من الصحابة ثم ينتبهون إلى الصلاة. كذا في «الكنز» (4/ 273).

وأخرج أبو الشيخ في «الأذان» عن عروة قال: كان النبي ﷺ بعدما يقيم المؤذن ويسكتون يُكلَّم في الحاجة فيقضيها. قال: وقال أنس بن مالك: وكان له عود يستمسك عليه، كذا في «الكنز» (4/ 273).

وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص43) عن أنس قال: كان النبي ﷺ رحيماً وكان لا يأتيه أحد إلا وعده وأنجز له إن كان عنده، وأقيمت الصلاة وجاءه أعرابي فأخذ بثوبه فقال: إنما بقي من حاجتي يسيرة وأخاف أنساها، فقام معه حتى فرغ من حاجته ثم أقبل فصلى.

وأخرج أبو الربيع الزَّهراني عن أبي عثمان النَّهْدي قال: إنْ كانت

الصلاة لتقام فيعرض لعمر رضي الله عنه الرجل فيكلمه، حتى ربما جلس بعضنا من طول القيام. كذا في «الكنز» (4/ 230).

وأخرج ابن حِبّان عن موسى بن طلحة قال: سمعت عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو على المنبر والمؤذِّن يقيم الصلاة، وهو يستخبر الناس عن أخبارهم وأسعارهم، كذا في «الكنز» (4/ 234). وأخرجه ابن سعد (3/ 59) عن موسى نحوه.

وقد تقدَّم في تسوية الصفوف عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه قال: كنت مع عثمان فأقيمت الصلاة وأنا أكلمه ـ الحديث.

* * *

الإمامة والاقتداء في عهد النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم

أخرج ابن أبي شيبة (8/ 527) عن عكرمة، فذكر الحديث بطوله في صلح الحديبية وفتح مكة. وفيه: فقال له: «يا أبا سفيان أسلم تسلم». فأسلم أبو سفيان رضي الله عنه وذهب به العباس رضي الله عنه إلى منزله، فلما أصبحوا ثار الناس لطُهورهم، فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل ما للناس؟ أمروا بشيء؟ قال: لا، ولكنهم قاموا إلى الصلاة، فأمره العباس فتوضأ ثم ذهب به إلى رسول الله ﷺ، فلما دخل رسول الله ﷺ الصلاة كبَّر فكبر الناس، ثم ركع وركعوا، ثم رفع فرفعوا، فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم طاعة قوم جمعهم من ههنا ومن ههنا، ولا فارسَ الأكارمَ ولا الرومَ ذاتَ القرون بأطوع منهم له. قال أبو سفيان: يا أبا الفضل، أصبح ابن أخيك عظيم الملك. فقال له العباس: إنه ليس بمُلْك ولكنها نبوة. كذا في «الكنز» (5/ 300).

وعند الطبراني في «الصغير» (2/ 73) و«الكبير» عن ميمونة رضي الله عنها فذكرت الحديث في غزوة الفتح وفيه: وقام رسول الله ﷺ يتوضأ وابتدر المسلمون وُضوءه ينتضحونه في وجوههم، فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، فقال: ليس بمُلْك ولكنها النبوة، وفي ذلك يرغبون. قال الهيثمي (6/ 164): وفيه يحيى بن سليمان بن نَضْلة وهو ضعيف. وقال ابن كثير في «البداية» (4/ 291):

وذكر عروة أن أبا سفيان لما أصبح صبيحة تلك الليلة التي كان فيها عند العباس، ورأى الناس يجنحون للصلاة وينتشرون في استعمال الطهارة؛ خاف وقال للعباس: ما بالهم؟ قال: إنَّهم سمعوا النداء فهم ينتشرون للصلاة، فلما حضرت الصلاة ورآهم يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده قال: يا عباس ما يأمرهم بشيء إلاَّ فعلوه؟ قال: نعم، والله لو أمرهم بترك الطعام والشراب لأطاعوه. انتهى.

وقد تقدّم في رغبة النبي ﷺ في الصلاة في حديث عائشة رضي الله عنها عند أحمد وغيره: فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر رضي الله عنه بأن يصلِّي بالناس، وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً، فقال: يا عمر صلِّ بالناس، فقال: أنت أحق بذلك، فصلَّى بهم تلك الأيام؛ وفي حديثها عند البخاري: فقال: «مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس» فقيل له: إن أبا بكر رجل أسيف، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلِّي بالناس، وأعاد فأعادوا له فأعاد الثالثة فقال: «إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس».

وأخرج أحمد عن عبد الله بن زَمْعة رضي الله عنه قال: لما استُعِزَّ برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين دعا بلالٌ رضي الله عنه للصلاة، فقال: «مروا من يصلِّي بالناس» قال: فخرجت فإذا عمر رضي الله عنه في الناس، وكان أبو بكر رضي الله عنه غائباً، فقلت: قم يا عمر فصلِّ بالناس، قال: فقام فلما كبَّر عمر سمع رسول الله ﷺ صوته - وكان عمر رجلاً مُجْهِراً - فقال رسول الله: «فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون!! يأبى الله ذلك والمسلمون»!! قال: فبعث إلى أبي بكر فجاء بعدما صلى عمر تلك الصلاة فصلَّى بالناس، وقال عبد الله بن زمعة قال لي عمر: ويحك!! ماذا صنعت يا بن زمعة؟ والله ما ظننت حين

أمرتني إلا أن رسول الله أمرني بذلك! لولا ذلك ما صلّيت، قال: قلت: والله ما أمرني رسول الله، ولكن حين لم أرَ أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة؛ وهكذا رواه أبو داود، كما في «البداية» (5/ 232). قلت: وهكذا أخرجه الحاكم (3/ 641) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه.

وعند أبي داود كما في «البداية» (5/ 232) في هذا الحديث قال: لما سمع النبي ﷺ صوت عمر قال ابن زمعة: خرج النبي ﷺ حتى أطلعَ رأسه من حجرته ثم قال: «لا، لا، لا يصلي للناس إلا ابن أبي قُحافة». يقول ذلك مُغْضباً.

وقد تقدّم في تقديم الصحابة أبا بكر رضي الله عنه في الخلافة قولُ أبي عبيدة رضي الله عنه: ما كنت لأتقدَّم بين يدي رجل أمره رسول الله ﷺ أن يؤمنا فأمَّنا حتى مات. وقولُ علي والزبير رضي الله عنهما: إنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله ﷺ، إنه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعرف شرفه وكِبَره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حيٌّ.

وأخرج النَّسائي عن ابن مسعود رضي الله عنه لما قُبض النبي ﷺ قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فأتاهم عمر رضي الله عنه فقال: ألستم تعلمون أنّ النبي ﷺ قد أمر أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ أن يصلي بالناس؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدَّم أبا بكر؟ فقالوا: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر. كذا في جمع الفوائد (2/ 206)، وذكر في «منتخب الكنز» (4/ 354) عن علي رضي الله عنه قال: لقد أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس وإني لشاهد وما أنا بغائب وما بي مرض، فرضينا لدنيانا ما رضي به النبي ﷺ لديننا.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 189) عن أبي ليلى الكندي قال: أقبل سلمان رضي الله عنه في ثلاثة عشر راكباً ـ أو اثني عشر راكباً ـ من أصحاب محمد ﷺ، فلما حضرت الصلاة قالوا: تقدّم يا أبا عبد الله، قال: إنَّا لا نؤمكم ولا ننكح نساءكم، إن الله تعالى هدانا بكم. قال: فتقدَّم رجل من القوم فصلَّى أربع ركعات، فلما سلَّم قال سلمان: ما لنا وللمربَّعة، إنما كان يكفينا نصف المربعة ونحن إلى الرخصة أحوج؛ قال عبد الرزاق: يعني في السفر. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (6/ 6053) وأبو ليلى ضعَّفه ابن معين، كما قال الهيثمي (2/ 156).

وأخرج عبد الرزاق عن (3818) أبي قتادة رضي الله عنه أن أبا سعيد مولى بني أسِيد رضي الله عنه صنع طعاماً، ثم دعا أبا ذر وحذيفة وابن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ فحضرت الصلاة، فتقدم أبو ذر ليصلي بهم، فقال له حذيفة: وراءك، ربُّ البيت أحق بالإمامة. فقال له أبو ذر: كذلك يا بن مسعود؟ قال: نعم. فتأخر أبو ذرّ؛ قال أبو سعيد: فقدَّموني وأنا مملوك فأممتهم.

وعنده أيضاً عن نافع قال: أقيمت الصلاة في مسجد بطائفة المدينة، ولعبد الله بن عمر رضي الله عنهما هناك أرض، وإمام ذلك المسجد مولى، فجاء ابن عمر يشهد الصلاة، فقال المولى: تقدَّم فصَلِّ، فقال ابن عمر: أنت أحق أن تصلي في مسجدك، فصلى المولى. كذا في «الكنز» (4/ 246 و247). وأخرج البزّار (470) عن عبد الله بن حنظلة رضي الله عنه قال: كنا في منزل قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما ومعنا ناس من أصحاب النبي ﷺ، فقلنا له: تقدّم، فقال: ما كنت لأفعل. فقال عبد الله بن حنظلة: قال رسول الله ﷺ: «الرجل أحق بصدر فراشه، وأحق بصدر دابته، وأحق أن يؤم في بيته». فأمر مولى له

فتقدَّم فصلَّى، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»؛ قال الهيثمي (2/ 65): وفيه إسحاق بن يحيى بن طلحة ضعَّفه أحمد وابن معين والبخاري ووثَّقه يعقوب بن شيبة وابن حبان.

وأخرج أحمد عن علقمة أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أتى أبا موسى الأشعري رضي الله عنه في منزله، فحضرت الصلاة، فقال أبو موسى: تقدّم يا أبا عبد الرحمن فإنك أقدم سناً وأعلم، قال: بل أنت تقدم؛ فإنما أتيناك في منزلك ومسجدك فأنت أحق؛ قال: فتقدّم أبو موسى فخلع نعليه، فلما سلّم قال له: ما أردت إلى خلعهما؟ أبالوادي المقدّس أنت؟ قال الهيثمي (2/ 66): رواه أحمد وفيه رجل لم يسمَّ، ورواه الطبراني متصلاً برجال ثقات ـ انتهى. وأخرجه الطبراني (9/ 8493) عن إبراهيم مختصراً ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي وفي حديثه: فقال له عبد الله: أبو موسى، لقد علمت أنَّ من السنة أن يتقدم صاحب البيت، فأبى أبو موسى حتى تقدم مولى لأحدهما.

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن قيس بن زهير رضي الله عنه قال: انطلقت مع حنظلة بن الربيع رضي الله عنه إلى مسجد فرات بن حبان رضي الله عنه، فحضرت الصلاة، فقال له: تقدَّم، فقال: ما كنت لأتقدّمك وأنت أكبر مني سناً وأقدم مني هجرة والمسجد مسجدكم. فقال فرات: سمعت رسول الله ﷺ يقول فيك شيئاً، لا أتقدمك أبداً، قال: أشهدته يوم أتيتُه يوم الطائف فبعثني عيناً؟ قال: نعم، فتقدّم حنظلة فصلّى بهم؛ فقال فرات: يا بني عِجل إني إنما قدَّمت هذا أن رسول الله ﷺ بعثه عيناً إلى الطائف، فجاءه فأخبره الخبر فقال: «صدقتَ ارجع إلى منزلك، فإنك قد سهرت الليلة» فلما ولَّى قال لنا: «ائتموا بهذا وأشباهه» قال الهيثمي: (2/ 65): رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثَّقون ـ اهـ،

ورواه أيضاً أبو يَعْلى والبغوي وابن عساكر عن قيس نحوه. كما في «الكنز» (7/ 28).

وأخرج أبو يعلى في «مسنده» (1/ 211) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة فاستقبلنا أمير مكة نافع بن علقمة رضي الله عنه، فقال: من استخلفت على أهل مكة؟ قال: عبد الرحمن بن أبزى، قال: عَمدت إلى رجل من الموالي فاستخلفته على من بها من قريش وأصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، وجدته أقرأهم لكتاب الله، ومكة أرض محتضرَة، فأحببت أن يسمعوا كتاب الله من رجل حسن القراءة، قال: نِعْمَ ما رأيت، إن عبد الرحمن بن أبزى ممَّن يرفعه الله بالقرآن. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 216).

وأخرج عبد الرزاق (3852) والبيهقي (3/ 89) عن عبيد بن عمير رضي الله عنه قال: اجتمعت جماعة في بعض ما حول مكة وفي الحج، فحانت الصلاة، فتقدَّم رجل من آل أبي السائب المخزومي رضي الله عنه أعجمي اللسان، فأخَّره المِسْوَر بن مَخْرمة رضي الله عنه وقدَّم غيره، فبلغ عمر بن الخطاب فلم يعرِّفه بشيء حتى جاء المدينة، فلما جاء المدينة عرّفه بذلك فقال المِسْوَر: أنظِرْني يا أمير المؤمنين، إن الرجل كان أعجمي اللسان وكان في الحج، فخشيت أن يسمع بعض الحجاج قراءته فيأخذ بعجمته. فقال: أوَ هنالك ذهبت؟ قال: نعم، قال: أصبت، كذا في «الكنز» (4/ 246).

وأخرج الطبراني (1/ 210) عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أنه صلّى بقوم، فلما انصرف قال: إني نسيت أن أستأمركم قبل أن أتقدَّم، أرضيتم بصلاتي؟ قالوا: نعم، ومن يكره ذلك يا حَواريَّ رسول الله ﷺ، قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيما رجل أم

قوماً وهم له كارهون لم تَجُزْ صلاته أذنيه» قال الهيثمي (2/ 68): رواه الطبراني في «الكبير» من رواية سليمان بن أيوب الطلْحي قال فيه أبو زرعة: عامة أحاديثه لا يتابَع عليها، وقال صاحب «الميزان»: صاحبُ مناكير وقد وُثّق.

وأخرج أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه كان يخالف عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: ما يحملك على هذا؟ فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ يصلّي صلاة، متى توافقها أصلّي معك، ومتى تخالفها أصلّي وأنقلب إلى أهلي؛ قال الهيثمي (2/ 68): رواه أحمد رجاله ثقات.

وأخرج الطبراني (4/ 3993) عن أبي أيوب رضي الله عنه أنه كان يخالف مروان بن الحكم في صلاته، فقال له مروان: ما يحملك على هذا؟ قال: إني رأيت النبي ﷺ يصلّي صلاة، إن وافقتَه وافقتك، وإن خالفتَه صلَّيت وانقلبت إلى أهلي. قال الهيثمي (2/ 68): رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات.

وأخرج أحمد عن أبي جابر الوالدي قال: قلت لأبي هريرة رضي الله عنه: هكذا كان رسول الله ﷺ يصلّي بكم؟ قال: وما أنكرتم من صلاتي؟ قلت: أردت أن أسأل عن ذلك، قال: نعم، وأوجز. قال: وكان قيامه قدر ما ينزل المنارة ويَصلُ إلى الصفّ، قال الهيثمي (2/ 71): رواه أحمد. وله في رواية: رأيت أبا هريرة صلّى صلاة تجوَّزَ فيها، رواه أحمد. وروى أبو يعلى الأول ورجالهما ثقات.

وأخرج أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لقد كنا نصلّي مع رسول الله ﷺ صلاة لو صلاّها أحدكم اليوم لعبتموها عليه؛ قال الهيثمي (2/ 71): رواه أحمد ورجاله ثقات.

وأخرج الطبراني (17/ 222) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنَّه خرج إلى مجلسهم، فأقيمت الصلاة، فتقدم إمامهم فأطال الصلاة في الجلوس، فلما انصرف قال: من أمَّنا منكم فليتم الركوع والسجود، فإن خلفه الصغير والكبير والمريض وابن السبيل وذا الحاجة، فلما حضرت الصلاة تقدَّم عدي بن حاتم وأتم الركوع والسجود وتجوَّز في الصلاة، فلما انصرف قال: هكذا كنا نصلِّي خلف رسول الله ﷺ. قال الهيثمي (2/ 73): رواه الطبراني في «الكبير» بطوله وهو عند الإمام أحمد باختصار ورجال الحديثين ثقات. انتهى.

* * *

بكاء النبي ﷺ وأصحابه في الصلاة

أخرج أبو يعلى (8/ 4709) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يبيت فيناديه بلال ـ رضي الله عنه ـ بالأذان، فيقوم فيغتسل فإني لأرى الماء ينحدر على خده وشعره، ثم يخرج فيصلِّي فأسمع بكاءه ـ فذكر الحديث. قال الهيثمي (2/ 89): رجاله رجال الصحيح.

وأخرج ابن حِبّان في «صحيحه» عن عبيد بن عمير أنه قال لعائشة: أخبرينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ، قال: فسكتت ثم قالت: لمَّا كانت ليلة من الليالي قال: «يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي» قلت: والله إني أحب قربك وأحب ما يسرك. قالت: فقام فتطهَّر ثم قام يصلِّي، قالت: فلم يزل يبكي ﷺ حتى بلّ حِجْره، قالت: وكان جالساً فلم يزل يبكي ﷺ حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى حتى بل الأرض، فجاء بلال يُؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟! لقد أُنزلت عليَّ الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 190] الآية كلَّها، كذا في الترغيب (3/ 32).

وأخرج أبو داود عن مُطَرِّف عن أبيه رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلِّي وفي صدره أزيز كأزيز الرَّحى من البكاء. وعند النسائي: ولجوفه أزيز كأزيز المِرجَل، يعني يبكي. كذا في «الترغيب» وإسناده قوي وصحَّحه ابن خزيمة وابن حِبَّان والحاكم.

وأخرج عبد الرزاق (2716) وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن سعد والبيهقي عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: سمعت نشيج عمر رضي الله عنه وأنا في آخر الصفوف في صلاة الصبح وهو يقرأ سورة يوسف حتى بلغ ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: 86] كذا في منتخب «الكنز» (4/ 387). وعند أبي نُعيم في «الحلية» (1/ 52) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صلّيت خلف عمر فسمعت حنينه من وراء ثلاثة صفوف.

* * *

الخشوع والخضوع في الصلاة

أخرج أحمد في «الزهد» عن سهل بن سعد قال: كان أبو بكر رضي الله عنه لا يلتفت في صلاته. كذا في منتخب الكنز (4/ 347).

وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة عن مجاهد عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه كان يقوم في الصلاة كأنه عود، وكان أبو بكر رضي الله عنه يفعل ذلك، قال مجاهد: هو الخشوع في الصلاة. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 360). وأخرجه أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 335) بإسناد صحيح، كما في «الإصابة» (2/ 310) عن مجاهد قال: كان عبد الله بن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عود، وكان يقال: ذلك من الخشوع في الصلاة.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 335) عن ابن المنكدر قال: لو رأيت ابن الزبير وهو يصلّي لقلتَ: غصنُ شجرة يصفِّقها الريح، إن المنجنيق ليقع ههنا وههنا ما يبالي. وعنده أيضاً عن عطاء قال: كان ابن الزبير إذا صلّى كأنه كعب راتب. وأخرجه الطبراني في الكبير نحوه قال الهيثمي (2/ 136): ورجاله رجال الصحيح.

وأخرج ابن سعد (4/ 154) عن زيد بن عبد الله الشيباني قال: رأيت ابن عمر رضي الله عنهما إذا مشى إلى الصلاة دبّ دبيباً لو أن نملة مشت معه قلت لا يسبقها.

وأخرج ابن سعد (4/ 157) عن واسع بن حِبّان قال: كان ابن عمر

يحب أن يستقبل كلُّ شيء منه القبلة إذا صلَّى، حتى كان يستقبل بإبهامه القبلة.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 304) عن طاوس قال: ما رأيت مصلياً كهيئة عبد الله بن عمر أشد استقبالاً للكعبة بوجهه وكفيه وقدميه.

وعنده أيضاً عن أبي بُرْدة قال: صلّيت إلى جنب ابن عمر فسمعته حين سجد وهو يقول: اللهمَّ اجْعَلْكَ أحبَّ شيء إليَّ، وأخشى شيء عندي، وسمعته يقول في سجوده: ربِّ بما أنعمت عليَّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين، وقال: ما صلّيت صلاة منذ أسلمت إلا وأنا أرجو أن تكون كفّارة.

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن الأعمش قال: كان عبد الله رضي الله عنه إذا صلَّى كأنه ثوب مُلقىً. قال الهيثمي (2/ 136) ورجاله موثَّقون والأعمش لم يدرك بن مسعود.

وأخرج ابن عدي وأبو نعيم في «الحلية» (9/ 304) وابن عساكر عن أم رومان قالت: رآني أبو بكر رضي الله عنه أميل في الصلاة فزجرني زجرة كدت أنصرف من صلاتي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا قام أحدكم في الصلاة فليسكِّن أطرافه ولا يميِّل ميل اليهود، فإن تسكين الأطراف من تمام الصلاة». كذا في «الكنز» (4/ 230).

* * *

اهتمام النبي ﷺ بالسنن الرواتب

أخرج مسلم عن عبد الله بن شقيق قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ من التطوع، فقالت: كان يصلِّي قبل الظهر أربعاً في بيتي، ثم يخرج فيصلِّي بالناس، ثم يرجع إلى بيتي فيصلِّي ركعتين. وكان يصلِّي بالناس المغرب ثم يرجع إلى بيتي فيصلِّي ركعتين. وكان يصلِّي بهم العشاء ثم يدخل بيتي فيصلِّي ركعتين. وكان يصلِّي من الليل تسع ركعات فيهن الوتر؛ وكان يصلي ليلاً طويلاً قائماً وليلاً طويلاً جالساً، فإذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم، وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد، وكان إذا طلع الفجر صلَّى ركعتين ثم يخرج فيصلِّي بالناس صلاة الفجر. انفرد بإخراجه مسلم. كذا في «صفة الصفوة» (1/ 75)، وأخرجه أبو داود والترمذي بعضه؛ كما في «جمع الفوائد» (1/ 110).

وأخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر. وفي رواية لابن خزيمة: قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ إلى شيء من الخير أسرع منه إلى الركعتين قبل الفجر ولا إلى غنيمة: كذا في «الترغيب» (1/ 361).

وأخرج البخاري عن عائشة أن النبي ﷺ كان لا يدع أربعاً قبل الظهر وركعتين قبل الغداة.

وأخرج أبو داود (2/ 259/ 1257) عن بلال رضي الله عنه أنه أتى

رسول الله ﷺ ليؤذِنه بصلاة الغداة فشغلت عائشة رضي الله عنها بلالاً بأمر سألته عنه حتى فضحه الصبح، فأصبح جداً، فقام بلال فآذنه بالصلاة وتابع أذانه فلم يخرج رسول الله ﷺ، فلما خرج صلَّى بالناس وأخبره أن عائشة شغلته بأمر سألته عنه حتى أصبح جداً وأنه أبطأ عليه بالخروج، فقال: «إني كنت ركعت ركعتي الفجر» فقال: يا رسول الله ﷺ إنك أصبحت جداً، قال: «لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتهما وأحسنتهما وأجملتهما»: وإسناده حسن كما قال النووي في «رياض الصالحين» (ص416).

وأخرج ابن ماجه عن قابوس عن أبيه قال: أرسل أبي إلى عائشة: أيُّ صلاة رسول الله ﷺ كان أحب إليه أن يواظب عليها؟ قالت: كان يصلِّي أربعاً قبل الظهر يطيل فيهن القيام ويحسن فيهن الركوع والسجود. وقابوس هو ابن أبي ظَبيان وُثِّق وصحَّح له الترمذي وابن خزيمة والحاكم، لكن المُرسَل إلى عائشة مبهم. كذا في «الترغيب» (1/ 364).

وأخرج أحمد والترمذي عن عبد الله بن السائب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يصلِّي أربعاً بعد أن تزول الشمس قبل الظهر وقال: «إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح» قال الترمذي: حديث حسن غريب. كذا في «الترغيب» (2/ 364).

وأخرج الترمذي (57) عن علي رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يصلِّي قبل الظهر أربعاً وبعدها ركعتين.

وأخرج أيضاً عن عائشة رضي الله عنها ـ وحسَّنه ـ أن النبي ﷺ كان إذا لم يصلِّ أربعاً قبل الظهر صلاهن بعدها.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (4/ 14035) و«الأوسط» عن أبي أيوب رضي الله عنه لمَّا نزل رسول الله ﷺ عليَّ رأيته يديم أربعاً قبل الظهر، وقال: «إنه إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء، فلا يغلق منها باب حتى تصلَّى الظهر، فأنا أحب أن يرفع لي في تلك الساعة خير». كذا في «الترغيب» (1/ 364) و«الكنز» (4/ 189).

وأخرج الترمذي (ص 58) ـ وحسَّنه ـ عن علي رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يصلِّي قبل العصر أربع ركعات، يفصل بينهن بالتسليم على الملائكة المقرَّبين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين.

وأخرج أبو داود عن علي أن النبي ﷺ كان يصلِّي قبل العصر ركعتين، وإسناده صحيح كما في الرياض (ص419)، وأخرجه أبو يعلى والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» عن ميمونة رضي الله عنها مثل حديث علي. كما في المجمع (2/ 221). وأخرج الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يصلي بعد المغرب ركعتين يطيل فيهما القراءة حتى يتصدَّع أهل المسجد. قال الهيثمي (2/ 230): وفيه يحيى بن عبد الحميد الحِمَّاني وهو ضعيف.

* * *

اهتمام أصحاب النبي ﷺ بالسنن الرواتب

وأخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير قال: قال عمر رضي الله عنه في ركعتين قبل الفجر: لهما أحب إليَّ من حُمْر النَّعَم. كذا في «الكنز» (4/ 201).

وأخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن عبد الله أنه دخل على عمر بن

الخطاب وهو يصلِّي قبل الظهر فقال: ما هذه الصلاة؟ قال: إنها تُعَدُّ من صلاة الليل.

وعند ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عتبة قال: صلَّيت مع عمر أربع ركعات قبل الظهر في بيته. كذا في «الكنز» (4/ 189).

وأخرج ابن أبي شيبة عن حذيفة بن أَسِيد قال: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا زالت الشمس صلّى أربعاً طوالاً، فسألته فقال: رأيت رسول الله ﷺ يصليها ـ فذكر نحو حديث أبي أيوب رضي الله عنه. كذا في «الكنز» (4/ 189).

وأخرج الطبراني في «الكبير» (9/ 9445) عن عبد الله بن يزيد قال: حدثني أوصل الناس بعبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان إذا زالت الشمس قام فركع أربع ركعات يقرأ فيهن بسورتين من المِئين، فإذا تجاوب المؤذنون شدَّ عليه ثيابه ثم خرج إلى الصلاة. قال الهيثمي (2/ 221): وفيه راوٍ لم يُسمَّ.

وعنده أيضاً (9/ 9446) عن الأسود ومُرَّة ومسروق قالوا: قال عبد الله: ليس شيء يعدل صلاة الليل من صلاة النهار إلا أربعاً قبل الظهر، وفضلهن على صلاة النهار كفضل صلاة الجماعة على صلاة الواحد. قال الهيثمي (2/ 221): وفيه بشير بن الوليد الكِندي وثَّقه جماعة وفيه كلام وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى، وقال المنذري في «ترغيبه» (1/ 365): وهو موقوف لا بأس به.

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود قال: ما كانوا يعدِلون شيئاً من صلاة النهار بصلاة الليل إلا أربعاً قبل الظهر فإنهم كانوا يرون أنهن بمنزلتهن من الليل. كذا في «الكنز» (4/ 189).

وأخرج ابن جرير عن البراء رضي الله عنه أنه كان يصلِّي قبل الظهر أربعاً. وعن ابن عمر رضي الله عنهما مثله. كما في «الكنز» (4/ 189).

وأخرج أيضاً عن ابن عمر أنه كان إذا زالت الشمس يأتي المسجد فيصلِّي ثنتي عشرة ركعة قبل الظهر ثم يقعد. وعن نافع أن ابن عمر كان يصلِّي قبل الظهر ثمانَ ركعات ويصلِّي بعدها أربعاً. كذا في «الكنز» (4/ 189).

وأخرج ابن النجار عن علي رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ بثلاث لا أدعهن ما حييت: أن أصلي قبل العصر أربعاً فلست بتاركهن ما حييت. وعند ابن جرير عنه قال: رحم الله من صلَّى قبل العصر أربعاً. كذا في «الكنز» (4/ 191).

وأخرج ابن شيبة عن أبي فاختة عن علي أنه ذكر أن ما بين المغرب والعشاء صلاة الغَفْلة فقال علي: في الغَفْلة وقعتم. كذا في «الكنز» (4/ 192). وأخرج ابن زنجويه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: من ركع بعد المغرب أربع ركعات كان كالمعقِّب غزوة بعد غزوة. كذا في «الكنز» (4/ 193).

* * *

اهتمام النبي ﷺ وأصحابه بصلاة التهجد

أخرج أبو داود وابن خُزَيْمَة عن عبد (الله) بن أبي قيس قال: قالت عائشة رضي الله عنها: لا تدع قيام الليل، فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه وكان إذا مرض أو كسل صلّى قاعداً. كذا في «الترغيب» (1/ 401).

وأخرج البزّار (717) عن جابر رضي الله عنه قال: كُتب علينا قيام الليل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل: 1 و2] فقمنا حتى انتفخت أقدامنا، فأنزل الله تبارك وتعالى الرخصة ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ [المزمل: 20] إلى آخر السورة. قال الهيثمي (2/ 251): وفيه علي بن زيد وفيه كلام وقد وُثّق ـ انتهى.

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده» عن سعيد بن هشام أنه طلّق امرأته، ثم ارتحل إلى المدينة ليبيع عقاراً له بها ويجعله في الكُراع والسلاح، ثم يجاهد الروم حتى يموت، فلقي رهطاً من قومه فحدّثوه أن رهطاً من قومه ستةً أرادوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ، فقال: «أليس لكم فيَّ أسوة حسنة»؟ فنهاهم عن ذلك فأشهدَهم على رجعتها، ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس رضي الله عنهما فسأله عن الوتر فقال: ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: ائت عائشة رضي الله عنها فسلها ثم ارجع إليَّ فأخبرني بردها عليك. قال:

فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلحقته إليها فقال: ما أنا بقاربها، إني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين فأبت فيهما إلا مضياً. فأقسمتُ عليه، فجاء معي فدخلنا عليها فقالت: حكيم؟ وعرفتْه، قال: نعم، قالت: من هذا معك؟ قال: سعيد بن هشام، قالت: من هشام؟ قال: ابن عامر، قال: فترحَّمت عليه وقالت: نِعمَ المرء كان عامراً! قلت: يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن. فهممت أن أقوم ثم بدا لي قيام رسول الله ﷺ، قلت: يا أم المؤمنين أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ، قالت: ألست تقرأ هذه السورة: يا أيها المزمِّل؟ قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهراً، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة.

فهممت أن أقوم ثم بدا لي وِتْر رسول الله ﷺ فقلت: يا أم المؤمنين أنبئيني عن وِتْر رسول الله ﷺ، قالت: كنا نُعِدّ له سواكه وطَهوره فيبعثه الله لمَّا يشاء أن يبعثه من الليل، فيتسوّك ثم يتوضأ، ثم يصلي ثمان ركعات لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة، فيجلس ويذكر ربَّه تعالى ويدعوه، ثم ينهض وما يسلِّم، ثم يقوم ليصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله وحده، ثم يدعوه، ثم يسلم تسليماً يسمعنا، ثم يصلِّي ركعتين وهو جالس بعدما يسلِّم، فتلك إحدى عشرة ركعة يا بني، فلما أسنَّ رسول الله ﷺ وأخذ اللحمَ أوتر بسبع، ثم صلّى ركعتين وهو جالس بعدما يسلِّم، فتلك تسع يا بني، وكان رسول الله ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع أو

مرض صلَّى من النهار ثنتي عشرة ركعة، ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كلَّه في ليلة حتى أصبح، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان. فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها، فقال: صدقتْ، أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهني مشافهة. وقد أخرجه مسلم في صحيحه بنحوه. كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 435).

وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس قال: لما نزلت أول المزمل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان، وكان بين أولها وآخرها سنة. كذا في «الكنز» (4/ 281).

وأخرج ابن أبي شيبة (2/ 186) عن يحيى بن سعيد عن أبي بكر رضي الله عنه أنه كان يوتر أول الليل، وكان إذا قام يصلِّي صلَّى ركعتين ركعتين. كذا في «الكنز» (4/ 278).

وأخرج مالك والبيهقي عن أسلم قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصلِّي من الليل ما شاء الله أن يصلِّي حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة، ثم يقول لهم: الصلاة، ويتلو هذه الآية ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: 132]. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 380).

وأخرج الطبراني (9/ 8335) ـ ورجاله ثقات ـ كما قال الهيثمي (9/ 73) عن الحسن أن عثمان بن أبي العاص تزوّج امرأة من نساء عمر بن الخطاب، فقال: والله ما نكحتها حين نكحتها رغبة في مال ولا ولد، ولكن أحببت أن تخبرني عن ليل عمر، فسألها: كيف كانت صلاة عمر بالليل؟ قالت: كان يصلي العَتَمة، ثم يأمر أن نضع عند رأسه تَوْراً من ماء نغطِّيه، ويتعارُّ من الليل فيضع يده في الماء فيمسح وجهه ويديه ثم يذكر الله ما شاء أن يذكر، ثم يتعار مراراً حتى يأتي على الساعة التي

يقوم فيها لصلاته، فقال ابن بريدة: من حدّثك؟ فقال: حدثتني بنت عثمان بن أبي العاص، فقال: ثقة. وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيَّب قال: كان عمر بن الخطاب يحب الصلاة في كبد الليل - يعني وسط الليل - كذا في «الكنز» (4/ 289).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 303) بسند جيد كما في «الإصابة» (1/ 349) عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يحيي الليل صلاة ثم يقول: يا نافع أسْحَرْنا؟ فيقول: لا، فيعاود الصلاة ثم يقول: يا نافع أسْحَرْنا؟ فيقول: نعم، فيقعد ويستغفر ويدعو حتى يصبح. وأخرجه الطبراني مثله ورجاله رجال الصحيح غير أسد ابن موسى وهو ثقة.

وأخرج أبو نعيم أيضاً (1/ 304) عن محمد قال: كان ابن عمر كلما استيقظ من الليل صلى.

وعنده أيضاً عن أبي غالب قال: كان ابن عمر ينزل علينا بمكة فكان يتهجَّد من الليل فقال لي ذات ليلة قبيل الصبح: يا أبا غالب ألا تقوم فتصلِّي؟ ولو تقرأ بثلث القرآن، فقلت: قد دنا الصبح فكيف أقرأ بثلث القرآن؟ فقال: إن سورة الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعدل ثلث القرآن.

وأخرج الطبراني (9/ 9404) عن علقمة بن قيس قال: بِتُّ مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ليلة، فقام أول الليل، ثم قام يصلي فكان يقرأ قراءة الإمام في مسجد حيِّه يرتل ولا يرجِّع يسمع من حوله ولا يرجِّع صوته، حتى لم يبق من الغَلَس إلا كما بين أذان المغرب إلى الانصراف منها، ثم أوتر. قال الهيثمي (2/ 266): رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله رجال الصحيح - انتهى.

وأخرج الطبراني (6/ 6051) عن طارق بن شهاب أنه بات عند سلمان رضي الله عنه لينظر ما اجتهاده قال: فقام يصلِّي من آخر الليل، فكأنه لم يرَ الذي كان يظن، فذكر ذلك له فقال سلمان: حافظوا على هذه الصلوات الخمس؛ فإنهن كفارات لهذه الجراحات ما لم تُصَب المقتَلة، فإذا صلى الناس العشاء صدروا عن ثلاث منازل: منهم من عليه ولا له، ومنهم من له ولا عليه، ومنهم من لا له ولا عليه. فرجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فركب رأسه في المعاصي فذلك عليه ولا له، ومن له ولا عليه فرجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فقام يصلي فذلك له ولا عليه، ومن لا له ولا عليه فرجل صلى ثم نام فلا له ولا عليه. إياك والحقحقة، وعليك بالقصد وداوم. قال المنذري في «ترغيبه» (1/ 401): رواه الطبراني في «الكبير» موقوفاً بإسناد لا بأس به ورفعه جماعة. انتهى.

* * *

اهتمام النبي ﷺ وأصحابه بالنوافل بين طلوع الشمس وزوالها

أخرج الشيخان عن أم هانىء - فاختة بنت أبي طالب رضي الله عنها - قالت ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل، فلما فرغ من غسله صلَّى ثماني ركعات وذلك ضُحى. كذا في «الرياض» (ص424).

وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يصلِّي الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله. كذا في الرياض.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي الضحى ست ركعات، فما تركتهن بعد. قال الهيثمي (2/ 337): وفيه سعد بن مسلم الأموي ضعَّفه البخاري وابن معين وجماعة وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: يخطىء - اهـ. وهكذا أخرج الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» بإسناد حسن، كما قال الهيثمي (2/ 238) عن أم هانىء أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الفتح فصلَّى الضحى ست ركعات.

وأخرج البزّار (748)عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أنه صلَّى الضحى ركعتين فقالت له امرأته: إنما صليت ركعتين، فقال: إن رسول الله ﷺ صلاها ركعتين حين بُشر بالفتح وحين بُشَّر برأس أبي

جهل. قال الهيثمي (2/ 238) رواه البزّار والطبراني في «الكبير» ببعضه وفيه شعثاء ولم أجد من وثّقها ولا جَرَحها، وروى ابن ماجه الصلاة حين بُشِّر برأس أبي جهل فقط. انتهى...

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت أمرُّ بهذه الآية فما أدري ما هي. قوله: ﴿بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾ [ص: 18] حتى حدثتني أم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوَضوء في جَفْنة كأني أنظر إلى أثر العجين فيها، فتوضأ ثم صلَّى الضحى ثم قال: «يا أم هانىء هذه صلاة الإشراق». قال الهيثمي (2/ 238): وفيه حجّاج ابن نصير ضعفه ابن المديني وجماعة ووثّقه ابن معين وابن حِبّان وهو في الصحيح بغير سياقه ـ انتهى.

وأخرج أبو يعلى (11/ 6473) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ بَعْثاً فأعظموا الغنيمة وأسرعوا الكَرَّة، فقال رجل: يا رسول الله ما رأينا بَعْثاً قط أسرع كرة ولا أعظم غنيمة من هذا البَعْث، فقال: «ألا أخبركم بأسرع كرّة منهم وأعظم غنيمة، رجل توضأ فأحسن الوضوء، ثم عمدَ إلى المسجد فصلَّى فيه الغداة، ثم عَقَّب بصلاة الضحوة، فقد أسرع الكرّة وأعظم الغنيمة» قال المنذري في «الترغيب» (1/ 428): رواه أبو يعلى ـ ورجال إسناده رجال الصحيح ـ والبزّار وابن حِبّان في «صحيحه»، وبيَّن البزّار في روايته أن الرجل أبو بكر رضي الله عنه، وقد روى هذا الحديث الترمذي في «الدَعَوات» من «جامعه» من حديث عمر رضي الله عنه. انتهى. وأخرجه أيضاً أحمد من رواية ابن لَهِيعة والطبراني بإسناده جيد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. كما في «الترغيب» (1/ 427).

وأخرج الطبراني في جزء مَنْ اسمه عطاء عن عطاءٍ أبي محمد

قال: رأيت علياً رضي الله عنه يصلّي الضحى في المسجد. كذا في «الكنز» (4/ 281).

وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: كان ابن عباس رضي الله عنهما يصلّي الضحى يوماً ويدعها عشرة: كذا في «الكنز» (4/ 282).

وأخرج ابن جرير عن عائشة بنت سعد قالت: كان سعد رضي الله عنه يسبِّح سبحة الضحى ثمان ركعات. كذا في «الكنز» (4/ 283).

* * *

الاهتمام بالنوافل بين الظهر والعصر

أخرج الطبراني في «الكبير» عن الشَّعْبي قال: كان ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلّي الضحى ويصلي ما بين الظهر والعصر مع عقبة من الليل طويلة. قال الهيثمي (2/ 258): وفيه رجل لم يُسمَّ. وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 304) عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يحيي بين الظهر إلى العصر.

* * *

الاهتمام بالنوافل بين المغرب والعشاء

أخرج النَّسائي بإسناد جيد عن حذيفة رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فصلّيت معه المغرب فصلّى إلى العشاء. كذا في «الترغيب» (1/ 369).

وأخرج الطبراني في «الثلاثة» عن محمد بن عمار بن ياسر قال: رأيت عمّار بن ياسر رضي الله عنهما يصلّي بعد المغرب ست ركعات، وقال: رأيت حبيبي رسول الله ﷺ يصلّي بعد المغرب ست ركعات،

وقال: «من صلَّى بعد المغرب ست ركعات غفرت له ذنوبه وإن كانت مثلَ زبد البحر». قال الطبراني: تفرّد به صالح بن قَطَن البخاري، وقال المنذري في «ترغيبه» (1/ 368): وصالح هذا لا يحضرني الآن فيه جرح ولا تعديل ـ اهـ.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (9/ 9449) عن عبد الرحمن بن يزيد قال: ساعة ما أتيت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيها إلا وجدته يصلِّي؛ ما بين المغرب والعشاء، فسألت عبد الله فقلت: ساعة ما أتيتك فيها إلا وجدتك تصلِّي فيها، قال: إنها ساعة غَفْلة. قال الهيثمي (2/ 230): وفيه لَيْث بن أبي سُلَيم وفيه كلام.

وعنده أيضاً (9/ 9450) عن الأسود بن يزيد قال قال عبد الله بن مسعود: نِعْم ساعة الغفلة ـ يعني الصلاة فيما بين المغرب والعشاء ـ قال الهيثمي (2/ 230): وفيه جابر الجُعْفي وفيه كلام كثير.

وأخرج ابن زنجويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الملائكة لتحفُّ بالذين يصلُّون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الأوَّابين. كذا في «الكنز» (4/ 193).

* * *

الاهتمام بالنوافل عند دخول المنزل والخروج منه

أخرج ابن المبارك في «الزهد» بسند صحيح عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: تزوَّج رجل امرأة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فسألها عن صنيعه فقالت: كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلَّى ركعتين، وإذا دخل بيته صلَّى ركعتين لا يدع ذلك. كذا في «الإصابة» (2/ 306).

صلاة التراويح

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يرغِّب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة، فيقول: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه». كذا في «الرياض»؛ وذكره في «جمع الفوائد» عن الستة وزاد: فتوفي ﷺ والأمر على ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وصَدْراً من خلافة عمر رضي الله عنه.

وأخرج أبو داود بإسناد ضعيف عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ على الناس في رمضان وهم يصلُّون في ناحية المسجد فقال: «ما هؤلاء»؟ قيل له: هؤلاء ناس ليس معهم قرآن وأُبيّ بن كعب يصلِّي بهم وهم يصلُّون بصلاته، فقال: «أصابوا ونِعمًا صنعوا». كذا في «جمع الفوائد».

وأخرج مالك والبخاري وابن خُزيْمة وغيرهم عن عبد الرحمن بن عبد القاريّ قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلِّي الرجل لنفسه فيصلِّي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب. ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلُّون بصلاة قارئهم، قال عمر: نِعْمَتِ البدعة هذه!! والتي تنامون عنها أفضل من التي تقومون ـ يريد آخر الليل ـ وكان الناس يقومون أوله. كذا في «الكنز» و«جمع الفوائد».

وأخرج ابن سعد (5/ 59) عن نوفل بن إياس الهذلي قال: كنا نقوم في عهد عمر بن الخطاب فِرَقاً في المسجد في رمضان ههنا وههنا، فكان الناس يميلون إلى أحسنهم صوتاً فقال عمر: ألا أراهم قد اتخذوا القرآن أغانِيَّ؟ أما - والله - لئن استطعتُ لأغيرنَّ هذا، قال: فلم يمكث إلا ثلاث ليالٍ حتى أمر أبيَّ بن كعب فصلَّى بهم، ثم قام في آخر الصفوف فقال: لئن كانت هذه بدعة لنعمت البدعة هي.

وأخرج ابن شاهين عن أبي إسحاق الهَمْداني قال: خرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أول ليلة من رمضان والقناديل تزدهر وكتاب الله يتلى، فقال: نوَّر الله لك يا بن الخطاب في قبرك كما نوَّرت مساجد الله تعالى بالقرآن. كذا في «الكنز» (4/ 284).

وأخرج الخطيب في «أماليه» عن أبي إسحاق الهَمْداني وابن عساكر عن إسماعيل بن زياد بمعناه مختصراً. كما في «منتخب الكنز» (4/ 387).

وأخرج الفِريابي والبيهقي (2/ 494) عن عروة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمع الناس على قيام شهر رمضان: الرجال على أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه، والنساء على سليمان بن أبي حثمة. كذا في «الكنز» (4/ 283).

وأخرج ابن سعد (5/ 26): عن عمر بن عبد الله العَنْسي أن أُبَيَّ بن كعب وتميماً الداري رضي الله عنهما كانا يقومان في مقام النبي عليه السلام يصلِّيان بالرجال، وأن سليمان بن أبي حَثْمة كان يقوم بالنساء في رَحبة المسجد، فلما كان عثمان بن عفان رضي الله عنه جمع الرجال والنساء على قارىء واحد سليمان بن أبي حثمة، وكان يأمر النساء فيُحبَسن حتى يمضي الرجال ثم يُرْسَلن.

وأخرج البيهقي (2/ 494) عن عَرْفَجة قال: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يأمر الناس بقيام شهر رمضان، ويجعل للرجال إماماً وللنساء إماماً، قال عرفجة: فكنت أنا إمام النساء. كذا في «الكنز» (4/ 284).

وأخرج أبو يعلى (3/ 801) عن جابر رضي الله عنهما قال: جاء أُبَيُّ بن كعب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنه كان مني الليلة شيء - يعني في رمضان - قال: «وما ذاك يا أُبَيُّ»؟ قال: نسوة في داري قلن: إنَّا لا نقرأ القرآن فنصلِّي بصلاتك، قال: فصلَّيتُ بهن ثمان ركعات وأوترت، فكانت سنة الرضا ولم يقل شيئاً. قال الهيثمي (2/ 74): رواه أبو يَعلى والطبراني بنحوه في «الأوسط» وإسناده حسن.

* * *

صلاة التوبة

أخرج ابن خزيمة في «صحيحه» عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله ﷺ يوماً فدعا بلالاً رضي الله عنه فقال: «يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟ إني دخلت الجنة البارحة فسمعت خشخشتك أمامي» فقال: يا رسول الله ما أذنبت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حَدَث قط إلا توضأت عندها وصليت ركعتين. كذا في «الترغيب» (1/ 437).

* * *

صلاة الحاجة

أخرج ابن سعد (7/ 21) عن ثُمامة بن عبد الله قال: جاء أنساً رضي الله عنه أكّار بستانِه في الصيف، فشكى العطش، فدعا بماء فتوضأ وصلَّى، ثم قال: هل ترى شيئاً؟ فقال: ما أرى شيئاً، قال: فدخل فصلَّى ثم قال في الثالثة ـ أو في الرابعة ـ: انظر، قال: أرى مثل جناح الطير من السحاب، قال: فجعل يصلِّي ويدعو حتى دخل عليه القيِّم فقال: قد استوت السماء ومطرت، فقال: اركب الفرس الذي بعث به بِشْر بن شَغاف فانظر أين بلغ المطر؟ قال: فركبه فنظر، قال: فإذا المطر لم يجاوز قصور المسيَّرين ولا قصر الغضبان.

وأخرج ابن أبي عاصم وابن جرير ـ وصححه ـ والطبراني في «الأوسط» وابن شاهين في «السنة» عن علي رضي الله عنه قال: وجعت وجعاً فأتيت النبي ﷺ، فأقامني في مكانه وقام يصلِّي وألقى عليَّ طرف ثوبه، ثم قال: «برئت يا بن أبي طالب فلا بأس عليك، ما سألت الله لي شيئاً إلا سألت لك مثله، ولا سألت الله شيئاً إلا أعطانيه غير أنه قيل لي: إنه لا نبي بعدك» (فقمت) فكأني ما اشتكيت. كذا في «المنتخب» (5/ 43).

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «مُجَابي الدعوة» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يُكنى أبا معلق، وكان تاجراً يتَّجر بمال له ولغيره، وكان له نُسُك وورع، فخرج مرة فلقيه لصٌّ مقنَّع في السلاح، فقال: ضَعْ متاعك فإني قاتلك، قال: شأنك بالمال، قال: لست أريد إلا دمك. قال: فَذَرْني أصلِّ، قال: صلِّ ما بدا لك. فتوضأ ثم صلَّى فكان من دعائه: يا ودود يا ذا العرش المجيد، يا فعالاً لما يريد، أسألك بعزَّتك التي لا تُرام، وملكك الذي

لا يُضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص، يا مغيث أغثني. قالها ثلاثاً؛ فإذا هو بفارس بيده حربة رافعها بين أذني رأسه، فطعن اللصَّ فقتله، ثم أقبل على التاجر، فقال: من أنت؟ فقد أغاثني الله بك، قال: إني مَلَك من أهل السماء الرابعة؛ لما دعوتَ سمعتُ لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوتَ ثانياً فسمعتُ لأهل السماء ضجّة، ثم دعوتَ ثالثاً فقيل: دعاء مكروب، فسألتُ الله أن يولِّيني قَتْله، ثم قال: أبشر واعلم أنه من توضأ وصلَّى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب له مكروباً كان أو غير مكروب؛ وأخرجه أبو موسى في كتاب «الوظائف» بتمامه، كذا في «الإصابة» (4/ 182).

* * *

الباب الثالث عشر

رغبة الصحابة في العلم وترغيبهم به

كيف كان النبي ﷺ وأصحابه يرغبون في العلم الإلهي ويرغِّبون فيه، ويعلِّمون ويتعلَّمون ما فيه من الإيمان والعمل، ويشتغلون به في السفر والحضر والعسر واليسر؟ وكيف كانوا يعتنون بتعليم الأضياف الواردين في المدينة المنوَّرة على صاحبها ألف ألف صلاة وتحية؟ وكيف كانوا يجمعون بين العلم والجهاد والكسب، ويرسلون الأفراد إلى البلدان لنشر العلم؟ وكيف يهتمون بتحصيل أوصافٍ توجب قبول العلم؟

ترغيب النبي ﷺ في العلم

أخرج أحمد والطبراني بإسناد جيد - واللفظ له - وابن حِبّان في صحيحه والحاكم - وقال: صحيح الإسناد - عن صَفوان بن عسَّال المُرادي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد متكيء على بُرْد له أحمر، فقلت له يا رسول الله: إني جئت أطلب العلم، فقال: «مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفُّه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب». كذا في «الترغيب» (1/ 59).

وأخرج أحمد عن قَبيصة بن المخارق رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فقال: «ما جاء بك»؟ قلت: كبر سني، ورقّ عظمي، فأتيتك لتعلّمني ما ينفعني الله به، قال: «ما مررتَ بحجر ولا شجر ولا مَدَر إلا استغفر لك. يا قبيصة إذا صلّيت الصبح فقل ثلاثاً: سبحان الله العظيم وبحمده، تُعاف من العمى والجُذام والفالج. يا قبيصة قل: اللهمَّ إني أسألك مما عندك، وأفض عليَّ من فضلك، وانشر عليَّ من رحمتك، وأنزل عليَّ من بركتك» كذا في جمع «الفوائد» (1/ 21) قال المنذري والهيثمي: وفيه رجل لم يُسَمَّ.

وأخرج الترمذي مختصراً والطبراني في «الكبير» - واللفظ له - عن سَخْبَرة رضي الله عنه قال: مرَّ رجلان على رسول الله ﷺ وهو يذكّر فقال: «اجلسا فإنكما على خير» فلما قام رسول الله ﷺ وتفرّق أصحابه

قاما فقالا: يا رسول الله إنك قلت لنا: «اجلسا فإنكما على خير» ألنا خاصة أم للناس عامة؟ قال: «ما من عبد يطلب العلم إلا كان كفارةً ما تقدم». كذا في «الترغيب» (1/ 60).

وأخرج الترمذي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان: أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» ثم قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله وملائكته وأهل السماوات حتى النملةَ في جُحْرها وحتى الحوتَ ليصلُّون على معلِّم الناس الخير». وأخرجه الدارمي عن مكحول مرسلاً ولم يذكر رجلان وقال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28] وسرد الحديث إلى آخره.

وأخرج الدارمي أيضاً عن الحسن مرسلاً قال: سئل رسول الله ﷺ عن رجلين كانا في بني إسرائيل، أحدهما كان عالماً يصلِّي المكتوبة ثم يجلس فيعلِّم الناس الخير، والآخر يصوم النهار ويقوم الليل أيهما أفضل؟ قال رسول الله ﷺ: «فضل هذا العالم الذي يصلِّي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذي يصوم النهار ويقوم الليل كفضلي على أدناكم». كذا في «المشكاة» (26 و28).

وأخرج مسلم عن عُقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصُّفَّة فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بُطْحان أو العَقِيق فيأتي بناقتين كَوْمَاوَيْن» في غير إثم ولا قَطْع رَحِم»؟ فقلنا: يا رسول الله كلُّنا نحب ذلك، قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلِّم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل». كذا في

«المشكاة» (ص 175). وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 341) وفي روايته: «فيتعلَّم أو يقرأ».

وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ أحدهما يحترف والآخر يلزم رسول الله ﷺ ويتعلَّم منه، فشكى المحترف أخاه إلى رسول الله ﷺ فقال: «لعلّك به تُرْزق». كذا في «جمع الفوائد» (1/ 20)، وأخرجه ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (1/ 59) بمعناه، والحاكم في «المستدرك» (1/ 94) وصحَّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

* * *

ترغيب أصحاب النبي ﷺ في العلم

أخرج اللالَكائي عن أبي الطفيل قال: كان علي رضي الله عنه يقول: إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤا به، ثم يتلوا هذه الآية ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [آل عمران: 68] يعني محمداً ﷺ والذين اتَّبعوه، فلا تغيِّروا؛ فإنما وليُّ محمد من أطاع الله، وعدوُّ محمد من عصى الله وإن قربت قرابته. كذا في «الكنز» (1/ 96).

وأخرج أبو نُعَيم في الحلية (1/ 79) عن كُمَيل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبَّان، فلما أصحرنا جلس ثم تنفَّس ثم قال: يا كُمَيل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها، احفظ ما أقول لك، الناس ثلاثة: فعالم رَبَّانِيٌّ، ومتعلِّم على سبيل نجاة، وهَمَج رَعَاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستفيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق. العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل، والمال تَنقصه النفقة، ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد موته، وصنيعة المال تزول بزواله، مات خُزّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة، هاهْ!! إن ههنا ـ وأشار بيده إلى صدره ـ علماً لو أصبت له حَمَلة؟! بلى أصبتُه لَقِناً غيره مأمون عليه، يستعمل آلة الدين للدنيا، يستظهر بحجج الله على كتابه وبنعمه على عباده، أو منقاداً

لأهل الحق لا بصيرة له في إيحائه، يقتدح الشكُّ في قلبه بأول عارض من شبهة، لا ذا ولا ذاك، أو منهوم باللذات سلس القيادة للشهوات، أو مغرى بجمع الأموال والادّخار؛ وليسا من دعاة الدين، أقرب شبهاً بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه؛ اللَّهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة لئلا تبطل حجج الله وبيِّناته، أولئك هم الأقلُّون عدداً، الأعظمون عند الله قَدْراً، بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدُّوها إلى نظرائهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فاستلانوا ما استوعر منه المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدانٍ أرواحُها معلقةٌ بالمنظر الأعلى، أولئك خلفاء الله في بلاده ودعاته إلى دينه، هاه هاه!! شوقاً إلى رؤيتهم وأستغفر الله لي ولك، إذا شئت فقم. وأخرجه أيضاً ابن الأنباري في «المصاحف»، والمُرهبي في «العلم»، ونصر في «الحجة»، وابن عساكر، كما في «الكنز» (5/ 231) بنحوه مع اختلاف يسير في ألفاظه وزيادة، وقد ذكر ابن عبد البَرِّ طرفاً منه في كتابه «جامع بيان العلم» (2/ 112) ثم قال: هو حديث مشهور عند أهل العلم يستغني عن الإسناد لشهرته عندهم. انتهى.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 239) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: تعلّموا العلم، فإنَّ تعلمه لله تعالى خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار(سُبُل) أهل الجنة، والأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدِّث في الخلوة، والدليل على السّراء والضرّاء، والسلاح على الأعداء، والزّيْن عند الأخلاَّء، يرفع الله تعالى به أقواماً ويجعلهم في الخبر قادة وأئمة، تُقتبس

آثارهم ويُقتدى بفعالهم ويُنتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خُلَّتهم وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى الحيتان في البحر وهوامُّه وسباع البر وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصباح الأبصار من الظُّلَم، يبلغ (العبد) بالعلم منازل الأخيار والدرجة العليا في الدنيا والآخرة، والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام، به توصل الأرحام ويعرف الحلال من الحرام، (وهو) إمام العمل والعمل تابعه، يُلهمه السعداء ويُحرمه الأشقياء. وأخرجه ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (1/ 55) عن معاذ مرفوعاً مثله، ثم قال: هو حديث حسن جداً، ولكن ليس له إسناد قوي، ورويناه من طرق شتى موقوفاً، ثم ذكر بعض أسانيد الموقوف، ثم قال: وذَكَر الحديث بحاله سواءً موقوفاً على معاذ. وقال المنذري في «الترغيب» (1/ 58): كذا قال ورَفْعُه غريب جداً.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (1/ 29) عن هارون بن رباب قال: كان ابن مسعود رضي عنه يقول: اغدُ عالماً أو متعلِّماً ولا تغدُ فيما بين ذلك، فإنَّما بين ذلك جاهل أو جُهَّل، وإنَّ الملائكة تبسط أجنحتها لرجل غدا يطلب العلم من الرضى لما يصنع.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامعه» (1/ 29) عن زيد قال: قال عبد الله: اغدُ عالماً أو متعلِّماً ولا تَغْدُ إمَّعة بين ذلك. قال أبو يوسف: قال أهل العلم: الإمعة أهل الرأي.

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود قال: يا أيها الناس عليكم بالعلم قبل أن يُقبض، وقبضه ذهاب أهله، وعليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يُفتقر إلى ما عنده، وعليكم بالعلم وإياكم والتنطُّع والتعمق، وعليكم بالعتيق؛ فإنه سيجيء قوم يتلون كتاب الله ينبذونه وراء

ظهورهم. قال الهيثمي (1/ 126): وأبو قِلاَبة لم يسمع من ابن مسعود. اهـ. وأخرج طرفاً منه عبد الرزاق عن أيوب عن أبي قِلابة عن ابن مسعود، كما في «جامع» ابن عبد البرّ (1/ 78) وأخرجه أيضاً ابن عبد البرّ فيه من طريق شقيق عن ابن مسعود.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامعه» (1/ 100) عن أبي الأحوص قال: قال عبد الله: إنّ الرجل لا يولد عالماً وإنما العلم بالتعلم.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (9/ 8752) عن عبد الله قال: أُغْدُ عالماً أو متعلِّماً ولا تَغْدُ بين ذلك؛ فإن لم تفعل فأحبَّ العلماء ولا تبغضهم. قال الهيثمي (1/ 122): رجاله رجال الصحيح إلا أن عبد الملك بن عمير لم يدرك ابن مسعود.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامعه» (1/ 28) عن حميد عن الحسن أن أبا الدرداء رضي الله عنه قال: كن عالماً أو متعلماً أو محباً أو متبعاً، ولا تكن الخامس فتهلِك. قال: قلت للحسن: وما الخامس؟ قال: المبتدع.

وأخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 213) عن الضحاك قال: قال أبو الدرداء: يا أهل دمشق، أنتم الإخوان في الدين، والجيران في الدار، والأنصار على الأعداء؛ ما يمنعكم من مودَّتي؟ وإنما مؤنتي على غيركم؛ ما لي أرى علماءكم يذهبون، وجهّالكم لا يتعلمون، وأراكم قد أقبلتم على ما تُكُفِّل لكم به وتركتم ما أُمرتم به؟ ألاَ إنَّ قوماً بَنوا شديداً، وجمعوا كثيراً، وأمَّلوا بعيداً، فأصبح بنيانهم قبوراً، وأملهم غروراً، وجمعهم بُوراً، ألاَ فتعلَّموا وعلِّموا؛ فإن العالم والمتعلِّم في الأجر سواء ولا خير في الناس بعدهما.

وعنده أيضاً (1/ 222) عن حسان قال: قال أبو الدرداء لأهل دمشق: أرضيتم بأن شبعتم من خبز البر عاماً فعاماً؟ لا يُذكر الله تعالى في ناديكم، ما بال علمائكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون؟ لو شاء علماؤكم لازدادوا، ولو التمسه جهالكم لوجدوه، خذوا الذي لكم بالذي عليكم؛ فوالذي نفسي بيده ما هلكت أمة إلا باتّباعها هواها وتزكيتها أنفسها.

وعنده أيضاً (1/ 213) عن معاوية بن قُرّة عن أبيه عن أبي الدرداء قال: تعلَّموا قبل أن يرفع العلم؛ إنَّ رفع العلم ذهاب العلماء، إن العالم والمتعلم في الأجر سواء، وإنما الناس رجلان: عالم ومتعلِّم، ولا خير فيما بين ذلك.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامعه» (1/ 32) عن عبد الرحمٰن بن مسعود الفَزَاري أن أبا الدرداء قال: ما من أحد يغدو إلى المسجد لخير يتعلَّمه أو يعلِّمه ألا كُتب له أجر مجاهد لا ينقلب إلا غانماً.

وعنده أيضاً (1/ 31) عن ابن أبي الهذيل قال: قال أبو الدرداء: من رأى الغدو والرواح إلى العلم ليس بجهاد فقد نقص عقله ورأيه.

وعنده أيضاً (1/ 100) عن رجاء بن حَيْوة عنه قال: العلم بالتعلّم.

وأخرج البزّار (138) عن أبي ذر وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما قالا: لبابٌ يتعلَّمه الرجل أحب إليَّ من ألف ركعة تطوّعاً. وقالا: قال رسول الله ﷺ: «إذا جاء الموت لطالب العلم وهو على هذه الحالة مات وهو شهيد». قال المنذري في «الترغيب» (1/ 61): رواه البزّار والطبراني في «الأوسط» إلا أنه قال: خير له من ألف ركعة ـ وأخرجه ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (1/ 25) عنهما نحوه بزيادة تطوع، وزاد في

الموقوف عنهما: وباب من العلم يعلّمه ـ عُمل به أو لم يعمل به ـ أحب إلينا من مائة ركعة تطوع.

وأخرج ابن زنجويه عن علي الأزدي قال: سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن الجهاد فقال: ألا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد؟ تجيء مسجداً فتعلّم فيه القرآن والفقه في الدين ـ أو قال: السنة. كذا في «الكنز» (5/ 230).

وعند ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (1/ 62) عن علي الأزدي قال: سألت ابن عباس عن الجهاد فقال: ألاَ أدلك على ما هو خير لك من الجهاد؟ تبني مسجداً؛ تعلّم فيه القرآن وسنن النبي ﷺ والفقه في الدين.

وعنده أيضاً (ص 124) عنه قال: معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن زِرّ بن حُبيش قال: غدوت على صفوان بن عسّال المرادي رضي الله عنه فقال: ما غدا بك يا زِرّ؟ قلت: ألتمس العلم، قال: اغدُ عالماً أو متعلّماً ولا تَغْدُ بين ذلك. قال الهيثمي (1/ 122): فيه حفص بن سليمان وثقه أحمد وضعفه جماعة كثيرون ـ انتهى. وعنده أيضاً في «الكبير» (8/ 7350) عن صفوان قال: من خرج من بيته ابتغاءَ العلم فإن الملائكة تضع أجنحتها للمتعلم والعالم. قال الهيثمي (1/ 123): وفيه عبد الكريم بن أبي المُخارق وهو ضعيف. انتهى.

* * *

رغبة أصحاب النبي ﷺ في العلم

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 239) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه لما حضره الموت قال: انظروا أصبحنا؟ فأُتي فقيل: لم تُصبح، فقال: انظروا أصبحنا؟ فأُتي فقيل له: لم تُصبح، حتى أُتي في بعض ذلك فقيل: قد أصبحت، قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار، مرحباً بالموت مرحباً، زائر مُغِبّ، حبيب جاء على فاقة، اللهمَّ إنِّي قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللهمَّ إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار؛ ولكن لظمإ الهواجر ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حَلَق الذكر. وذكره ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (1/ 51) بلا إسناد.

وأخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 212) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لولا ثلاث خِلال لأحببت أن لا أبقى في الدنيا، فقلت: وما هنّ؟ فقال: لولا وضوع وجهي للسجود لخالقي في اختلاف الليل والنهار يكون تقدمة لحياتي، وظمأ الهواجر، ومقاعدة أقوام ينتقون الكلام كما تُنتقى الفاكهة ـ فذكر الحديث.

وأخرج الحاكم في «المستدرك» (1/ 106) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمّا قُبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلمَّ فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير. فقال: واعجباً لك يا بن عباس!! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس أصحاب رسول الله ﷺ

من فيهم؟! قال: فتركت ذاك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ، وإنْ كان يبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح عليَّ من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عمِّ رسول الله ﷺ ما جاء بك؟ هلاَّ أرسلت إليَّ فآتيك؟! فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك. قال: فأسأله عن الحديث؛ فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني!!. قال الحاكم ووافقه الذهبي: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، وأخرجه أيضاً الدارمي والحارث في «مسنديهما» عن ابن عباس مثله، كما في «الإصابة» (2/ 331)، والطبراني ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي (9/ 277)، وأخرجه ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (1/ 85) وابن سعد في «طبقاته» (4/ 182) نحوه.

وأخرج البزّار (162) عن ابن عباس قال: لما فُتحت المدائن أقبل الناس على الدنيا وأقبلتُ على عمر رضي الله عنه. فكان عامة حديثه عن عمر. قال الهيثمي (1/ 161): رجاله رجال الصحيح.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 381) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا تسألني من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك»؟ فقلت: أسألك أن تعلِّمني ممّا علمك الله. قال: فنزعت نَمرة على ظهري فبسطتها بيني وبينه حتى كأني أنظر إلى القمل يدب عليها، فحدثني حتى إذا استوعبت حديثه، قال: «اجمعها فصرّها إليك» فأصبحت لا أسقط حرفاً ممّا حدثني.

وعند البخاري (1/ 316/ 2350) عن أبي هريرة قال: يقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث!! والله الموعد!! ويقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدِّثون مثل أحاديثه؟! وإن إخوتي من المهاجرين كان

يشغلهم الصَّفْق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرأ مسكيناً ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسَون. وقال النبي ﷺ يوماً: «لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه، ثم يجمعه إلى صدره، فينسَى من مقالتي شيئاً أبداً» فبسطت نَمِرة ليس عليَّ ثوب غيرُها حتى قضَى النبي ﷺ مقالته، ثم جمعتها إلى صدري، فوالذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا. والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدّثتكم شيئاً أبداً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ إلى ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 159، 160].

وأخرج البخاري أيضاً عن أبي هريرة قال: إنّ الناس كانوا يقولون: أكثر أبو هريرة!! وإني كنت ألزم رسول الله ﷺ لِشِبَع بطني، حين لا آكل الخميرة، ولا ألبس الحرير، ولا يخدمني فلان وفلانة، وكنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع، وإن كنت لأستقري الرجل الآية هي معي لكي ينقلب بي فيطعمني، وكان خيرَ الناس للمساكين جعفرُ بن أبي طالب، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العُكَّة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلعق ما فيها. كذا في «الترغيب» (5/ 175).

* * *

حقيقة العلم وما الذي يقع عليه اسم العلم مطلقاً

أخرج الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل ما بعثني الله (به) من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيِّبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقَوا وزرعوا. وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قِيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً؛ فذلك مثل من فَقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدَى الله الذي أُرسلت به». كذا في «المشكاة» (ص 20).

وأخرج مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان فيه في أمته حواريُّون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنَّها تخلُف من بعدهم خُلُوف، يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس من وراء ذلك من الإيمان حبة خردل». كذا في «المشكاة» (ص 21).

وأخرج أبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «العلم ثلاثة: آيةٌ مُحْكَمة، أو سُنَّة قائمة، أو

فريضة عادلة؛ وما كان سوى ذلك فهو فَضْل». كذا في «المشكاة» (ص 27). وأخرجه ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (2/ 23) نحوه. وعنده أيضاً (2/ 24) عن عمرو بن عوف رضي الله عنه مرفوعاً: «تركت فيكم أمرين لن تضلُّوا ما تمسكتم بهما: كتابَ الله، وسنة نبيه ﷺ».

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (2/ 23) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل المسجد فرأى جمعاً من الناس على رجل فقال: «وما هذا»؟ قالوا: يا رسول الله رجل علاَّمة، قال: «وما العلاّمة»؟ قالوا: أعلم الناس بأنساب العرب، وأعلم الناس بعربية، وأعلم الناس بشعر، وأعلم الناس بما اختلفت فيه العرب، فقال رسول الله ﷺ: «هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر».

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامعه» (2/ 24) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: العلم ثلاثة أشياء: كتاب ناطق، وسُنّة ماضية، ولا أدري.

وعنده أيضاً (2/ 26) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنما هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن قال بعد ذلك شيئاً برأيه فما أدري أفي حسناته يجده أم في سيئاته.

وأخرج ابن عساكر في سندٍ حسن عن مجاهد قال: بينا نحن جلوس أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما: عطاء، وطاوس، وعكرمة، إذ جاء رجل وابن عباس قائم يصلِّي فقال: هل من مُفْتٍ؟ فقلت: سَلْ، فقال: إني كلما بُلْتُ تبعه الماء الدافق. فقلنا: الذي يكون منه الولد؟ قال: نعم، فقلنا: عليك الغسل. فولَّى الرجل وهو يرجِّع، وعجَّل ابن عباس في صلاته فلما سلَّم قال: يا عكرمة عليَّ بالرجل، فأتاه به، ثم أقبل علينا فقال: أرأيتم ما أفتيتم به هذا الرجل عن كتاب الله؟ قلنا: لا، قال: فمن سنَّة رسول الله ﷺ؟ قلنا: لا، قال: فعن أصحاب

رسول الله ﷺ؟ قلنا: لا، فعن من؟ قلنا: عن رأينا؛ فقال: لذلك يقول رسول الله ﷺ: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد»؛ ثم أقبل على الرجل فقال: أرأيت إذا كان منك هل تجد شهوة في قلبك؟ قال: لا، قال: فهل تجد خَدَراً في جسدك؟ قال: لا، قال: إنَّما هذا بَرْدة يجزيك منه الوضوء. كذا في «كنز العمال» (5/ 118).

* * *

الإنكار والتشديد على من اشتغل في علم آخر غير ما جاء به النبي ﷺ

أخرج ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (2/ 40) عن عمرو بن يحيى بن جعدة قال: أُتي النبي ﷺ بكتاب في كتف فقال: «كفى بقوم حمقاً ـ أو ضلالة ـ أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى نبي غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم» فأنزل الله عز وجل ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: 51].

وأخرج أبو يعلى عن خالد بن عُرْفُطة، قال: كنت جالساً عند عمر رضي الله عنه أذ أتي برجل من عبد القيس مسكنه بالسوس، فقال له عمر: أنت فلان بن فلان العبدي؟ قال: نعم، فضربه بعصاً معه، فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر: اجلس، فجلس فقرأ عليه: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾ [يوسف: 1 ـ 3] فقرأها عليه ثلاثاً وضربه ثلاثاً، فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذي نسخت كتب دانيال، قال: مُرْني بأمرك أتبعه. قال: انطلق فامحه بالحميم والصوف الأبيض، ثم لا تقرأه أنت ولا تقرئه أحداً من الناس، فلئن بلغني عنك أنك قرأته أو أقرأته أحداً من الناس لأنهكنَّك عقوبة. ثم قال له: اجلس، فجلس بين يديه، قال: انطلقت أنا

فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب، ثم جئت به في أديم، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما هذا الذي في يدك يا عمر»؟ فقلت: يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد علماً إلى علمنا. فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرَّت وجنتاه، ثم نودي بالصلاة جامعة، فقالت الأنصار: أُغْضِبَ نبيكم ﷺ، السلاحَ السلاحَ. فجاؤوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ، فقال: «يا أيها الناس، إني قد أوتيت جوامع الكَلِم وخواتمه واختصر لي اختصاراً، ولقد أتيتكم بها بيضاءَ نقيةً، فلا تتهوَّكوا، ولا يغرنّكم المتهوّكون» قال عمر: فقمت فقلت: رضيت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبك رسولاً. ثم نزل رسول الله ﷺ. قال الهيثمي (1/ 182): وفيه عبد الرحمٰن بن إسحاق الواسطي ضعَّفه أحمد وجماعة. انتهى. وأخرجه أيضاً ابن المنذر وابن أبي حاتم والعُقَيلي ونصر المقدسي وسعيد بن منصور، كما في «الكنز» (1/ 94). وأخرجه عبد الرزاق وغيره عن إبراهيم النَّخَعي مختصراً مقتصراً على الموقوف، كما في «الكنز».

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (2/ 42) من طريق ابن أبي شيبة بإسناده عن جابر رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض الكتب، فقال: يا رسول الله: إني أصبت كتاباً حسناً من بعض أهل الكتاب، قال: فغضب وقال: «أمتهوِّكون فيها يا بن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاءَ نقيةً، لا تسألوهم عن شيء؛ فيحدثونكم بحق فتكذِّبوا به، أو بباطل فتصدِّقوا به، والذي نفسي بيده لو أنَّ موسى كان حيّاً ما وسعه إلا أن يتبعني». وأخرجه أيضاً أحمد وأبو يَعْلى والبزّار عن جابر نحوه. قال الهيثمي (1/ 174): وفيه مجالد بن سعيد ضعَّفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما.

وأخرجه أحمد والطبراني عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنِّي مررت بأخٍ لي من بني قريظة فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغيّر وجه رسول الله ﷺ، قال عبد الله ـ يعني ابن ثابت ـ: فقلت: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رضينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، قال: فسُرِّي عن رسول الله ﷺ، قال: «والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتّبعتموه وتركتموني لضللتم، أنتم حظّي من الأمم وأنا حظّكم من النبيين». قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح إلا أن فيه جابر الجعفي وهو ضعيف. وأخرجه الطبراني في «الكبير» عن أبي الدرداء بنحوه، كما في «المجمع».

وأخرج نصر المقدسي عن ميمون بن مِهران قال: أتى عمر بن الخطاب رجلٌ فقال: يا أمير المؤمنين، إنا لما فتحنا المدائن أصبتُ كتاباً فيه كلام معجب، قال: أمن كتاب الله؟ قلت: لا، فدعا بالدِّرَّة فجعل يضربه بها، وقرأ: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾. ثم قال: «إنّما هلك من كان قبلكم بأنهم أقبلوا على كتب علمائهم وأساقفهم وتركوا التوراة والإنجيل حتى دَرَسا وذهب ما فيهما من العلم». كذا في «الكنز» (1/ 95).

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (2/ 40) عن حُرَيث بن ظُهير قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلُّوا. إنْ تكذِّبوا الحق أو تصدّقوا بباطل. وأخرج عبد الرزاق أيضاً عن حُرَيث نحوه.

وعن القاسم بن عبد الرحمٰن عن عبد الله وزاد في هذا الحديث: أنه قال: إن كنتم سائليهم لا محالة فانظروا ما واطأ كتاب الله فخذوه،

وما خالف كتاب الله فدعوه. قاله ابن عبد البرّ في «جامعه» (2/ 42).
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (9/ 9759) نحو السياق الأول ورجاله موثقون، كما قال الهيثمي (1/ 192).

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامعه» (2/ 42) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزله الله على نبيه ﷺ بين أظهركم أحدث الكتب عهداً بربه. غض لم يُشَب؟! ألم يخبركم الله في كتابه أنهم قد غيَّروا كتاب الله وبدَّلوه وكتبوا الكتاب بأيديهم فقالوا: هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً؟! ألا ينهاكم العلمُ الذي جاءكم عن مسألتهم؟! والله ما رأينا رجلاً منهم قطُّ يسألكم عمّا أنزل الله إليكم!!.

وعند ابن أبي شَيْبة عن ابن عباس قال: تسألون أهل الكتاب عن كتبهم وعندكم كتاب الله أقرب الكتب عهداً بالله، تقرؤونه غضّاً لم يُشَب. كذا في «جامع» ابن عبد البرّ.

* * *

التأثر بعلم الله تعالى وعلم رسوله ﷺ

أخرج الترمذي (2/ 61/ 2382) عن الوليد بن أبي الوليد أبي عثمان المدني أن عقبة بن مسلم حدَّثه: أن شُفَيّاً الأصبَحي حدثه أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع الناس عليه، فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة رضي الله عنه، قال: فدنَوتُ منه حتى قَعدتُ بين يديه وهو يحدِّث الناس، فلما سكت وخلا قلت له: أسألك بحقٍّ، وبحقٍّ لمّا حدثتني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ عَقَلتَه وعلمتَه. فقال أبو هريرة: أفعل، لأحدثنَّك حديثاً حدَّثنيه رسول الله ﷺ عقلته وعلمتُه، ثم نَشغ أبو هريرة نَشْغة، فمكثنا قليلاً ثم أفاق فقال: لأحدثنَّك حديثاً حدّثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نَشغ أبو هريرة نَشْغة شديدة، ثم أفاق ومسح عن وجهه فقال: أفعل، لأحدثنَّك حديثاً حدّثنيه رسول الله ﷺ أنا وهو في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نَشغ أبو هريرة نَشْغة شديدة، ثم مال خارّاً على وجهه فأسندته طويلاً، ثم أفاق فقال: حدّثني رسول الله ﷺ «أن الله تعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يُدعى به رجل جمع القرآن، ورجل قُتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارىء: ألم أعلِّمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة له: كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يقال: فلان قارىء، فقد قيل ذلك. ويؤتى بصاحب المال

فيقول الله له: ألم أوسِّع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا ربِّ، قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرَّحِم وأتصدّق. فيقول الله له: كذبتَ، وتقول الملائكة: كذبتَ، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جواد، وقد قيل ذلك. ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله فيقول الله له: فبماذا قُتلت؟ فيقول: أُمرتُ بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جريء، فقد قيل ذلك» ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: «يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسعَّر بهم النار يوم القيامة».

قال الوليد أبو عثمان المدني: فأخبرني عقبة أن شُفيّاً هو الذي دخل على معاوية رضي الله عنه فأخبره بهذا. قال أبو عثمان: وحدّثني العلاءُ بن حكيم أنه كان سيّافاً لمعاوية، قال: فدخل عليه رجل فأخبره بهذا عن أبي هريرة فقال له معاوية: قد فُعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقي من الناس؟! ثم بكى معاوية بكاءً شديداً حتى ظننا أنه هالك، وقلنا: قد جاءنا هذا الرجل بشرٍّ، ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه وقال: صدق الله ورسوله ﷺ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: 15، 16]؛ قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال المنذري في «الترغيب» (1/ 28): رواه ابن خُزَيْمة في صحيحه نحو هذا لم يختلف إلا في حرف أو حرفين، وابن حبان في صحيحه بلفظ الترمذي. انتهى بتغيير يسير.

وأخرج أحمد ـ ورواته رواة الصحيح ـ عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمٰن بن عوف قال: التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن

العاص - رضي الله عنهم - على المروة فتحدّثا، ثم مضى عبد الله بن عمرو، وبقي عبد الله بن عمر يبكي فقال له رجل: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمٰن؟ قال: هذا - يعني عبد الله بن عمرو - زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من كان في قلبه مثقال حبة (من خردل) من كِبْر كبّه الله لوجهه في النار». كذا في «الترغيب» (4/ 345).

وأخرج الحاكم (3/ 488) عن أبي الحسن مولى بني نوفل أن عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت رضي الله عنهما أتيا رسول الله ﷺ حين نزلت طسم الشعراء يبكيان وهو يقرأ عليهم ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ حتى بلغ ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال: «أنتم» ﴿وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ قال: «أنتم» ﴿وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ [الشعراء: 224 - 227] قال: «أنتم».

وأخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 33) عن أبي صالح قال: لما قدم أهل اليمن زمان أبي بكر رضي الله عنه وسمعوا القرآن جعلوا يبكون فقال أبو بكر: هكذا كنَّا ثم قَسَت القلوب. وقال أبو نُعيم في معنى «قست القلوب»: قويت واطمأنت بمعرفة الله تعالى. كذا في «الكنز» (1/ 224).

* * *

التهديد على عالم لا يعلِّم وعلى جاهل لا يتعلم

أخرج ابن راهَوَيه والبخاري في «الوحدان» وابن السَّكَن وابن منده والطبراني وأبو نعيم وابن عساكر والباوَرْدي وابن مردويه عن أبْزَى الخزاعي رضي الله عنه والد عبد الرحمٰن قال: خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ثم قال: «ما بال أقوام لا يفقّهون جيرانهم ولا يعلّمونهم ولا يفطّنونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم؟

وما بال أقوام لا يتعلَّمون من جيرانهم ولا يتفقَّهون ولا يتفطَّنون؟ والله ليعلمنَّ أقوام جيرانهم ويفطَّنونهم ويفقَّهونهم ويأمرونهم وينهونهم، وليتعلمنَّ قوم من جيرانهم ويتفطَّنون ويتفقَّهون أو لأعاجلنَّهم بالعقوبة في دار الدنيا» ثم نزل فدخل بيته. فقال قوم: من تراه عَنَى بهؤلاء؟ فقالوا: نراه عنى الأشعريين، هم قوم فقهاء ولهم جيران جُفاة، من أهل المياه والأعراب، فبلغ ذلك الأشعريين فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ذكرتَ قوماً بخير، وذكرتنا بشر فما بالنا؟ فقال: ليعلمنَّ قوم جيرانهم وليفقهنَّهم وليفطِّنَنَّهم وليأمرنَّهم ولينهينَّهم، وليتعلمنَّ قوم من جيرانهم ويتفطَّنون ويتفقَّهون، أو لأعاجلنَّهم بالعقوبة في دار الدنيا». فقالوا: يا رسول الله أنفطِّن غيرنَا؟ فأعاد قوله عليهم وأعادوا قولهم: أنفطِّن غيرنا؟ فقال: ذلك أيضاً، قالوا: فأمهلنا سنة، فأمهلهم سنة ليفقِّهوهم ويعلِّموهم ويفطِّنوهم، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: 78، 79]؛ قال ابن السَّكَن: ما له غيره، وإسناده صالح. كذا في الكنز (2/ 139).

* * *

من يرد العلم والإيمان يؤته الله

أخرج أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 234) عن عبد الله بن سلمة قال: جاء رجل إلى معاذ رضي الله تعالى عنه فجعل يبكي فقال: ما يبكيك؟ فقال: والله ما أبكي لقرابة بيني وبينك، ولا لدنيا كنت أصيبها منك، ولكن كنت أصيب منك علماً فأخاف أن يكون قد انقطع. قال: فلا تبكِ فإنه من يرد العلم والإيمان يؤتِه الله تعالى كما آتى إبراهيم عليه السلام، ولم يكن يومئذٍ علم ولا إيمان.

وعند ابن عساكر وَسَيْف كما في «الكنز» (7/ 87) عن الحارث بن عميرة قال: لمّا حضر معاذاً الوفاةُ بكى مَنْ حوله فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: نبكي على العلم الذي ينقطع عنا عند موتك. قال: إنَّ العلم والإيمان مكانَهما إلى يوم القيامة، ومن ابتغاهما وجدهما: الكتاب والسنة، فاعرضوا على الكتاب كل الكلام ولا تعرضوه على شيء من الكلام، وابتغوا العلم عند عمر وعثمان وعلي، فإن فقدتموهم فابتغوه عند أربعة: عويمر، وابن مسعود، وسلمان، وابن سَلاَم الذي كان يهودياً فأسلم - رضي الله عنهم - فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هو عاشر عَشَرة في الجنة» واتقوا زلّة العالم، خذوا الحق ممَّن جاء به وردوا الباطل على من جاء به كائناً من كان به.

وأخرج الحاكم (4/ 466) عن يزيد بن عميرة قال: لمّا مرض معاذ بن جبل مرضه الذي قُبض فيه كان يُغشى عليه أحياناً ويُفيق أحياناً،

حتى غُشي عليه غشية ظنّنا أنه قد قُبض، ثم أفاق وأنا مقابله أبكي فقال: ما يبكيك؟ قلت: والله لا أبكي على دنيا كنت أنالها منك، ولا على نسب بيني وبينك؛ ولكن أبكي على العلم والحُكْم الذي أسمع منك يذهب، قال: فلا تبكِ فإن العلم والإيمان مكانَهما، من ابتغاهما وجدهما فابتغه حيث ابتغاه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإنه سأل الله تعالى وهو لا يعلم وتلا ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: 99] وابتغه بعدي عند أربعة نفر، وإن لم تجده عند واحد منهم فسل عن الناس أعيانه: عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن سلام، وسلمان، وعويمر أبو الدرداء، وإياك وزَيْغَةَ الحكيم وحكم المنافق. قال: قلت: وكيف لي أن أعلم زَيْغَة الحكيم؟ قال: كلمة ضلالة يلقيها الشيطان على لسان الرجل فلا يحملها ولا يتأمل منه، فإن المنافق قد يقول الحق، فخذ العلم أنّى جاءك؛ فإن على الحق نوراً، وإياك ومُعضِلات الأمور. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرّجاه.

وعند ابن عساكر أيضاً عن عمرو بن ميمون قال: قدم معاذ بن جبل ونحن باليمن فقال: يا أهل اليمن، أسلموا تسلموا، إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكم. قال عمرو: فوقع له في قلبي حبٌّ فلم أفارقه حتى مات، فلما حضره الموت بكيت فقال معاذ: ما يبكيك؟ قلت: أبكي على العلم الذي يذهب معك، فقال: إنَّ العلم والإيمان ثابتان إلى يوم القيامة، فذكر الحديث. كما في «الكنز» (7/ 87).

* * *

تعلّم الإيمان والعلم والعمل معاً

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقد عشت برهة من دهري وإن أحدنا يُؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلَّم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يقف عنده منها كما تَعَلَّمون أنتم القرآن، ثم لقد رأيت رجالاً يُؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته، ما يدري ما آمرُه ولا زاجرُه، وما ينبغي أن يقف عنده وينثره نثر الدَّقَل. قال الهيثمي (1/165): رجاله رجال الصحيح ـ اهـ.

وأخرج ابن ماجه (ص 11) عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ نحن فتيان حزَاوِرَة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً.

وأخرج العسكري وابن مردويه ـ وسنده حسن ـ عن علي رضي الله عنه قال: كانت السورة إذا نزلت على عهد رسول الله ﷺ أو الآية أو أكثر زادت المؤمنين إيماناً وخشوعاً ونهتهم فانتهوا. كذا في «الكنز» (1/232).

وأخرج أحمد (5/410) عن أبي عبد الرحمٰن ـ يعني السُّلَمي ـ قال: حدَّثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل. قال الهيثمي

(1/ 165): وفيه عطاء بن السائب اختلط في آخر عمره. انتهى. وأخرجه ابن أبي شيبة عن أبي عبد الرحمٰن السُّلمي نحوه، كما في «الكنز» (1/ 232). وأخرجه ابن سعد (6/ 172) عن أبي عبد الرحمٰن نحوه وزاد: فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وإنه سيرث القرآن بعدنا قوم ليشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم، بل لا يجاوز ههنا ـ ووضع يده على الحلق ـ. وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنَّا إذا تعلَّمنا من النبي ﷺ عشر آيات من القرآن لم نتعلَّم العشر التي بعدها حتى نعلم ما فيه، فقيل لشَرِيك: مِنَ العمل؟ قال: نعم. كذا في «الكنز» (1/ 232).

* * *

الأخذ من العلم قدر ما يحتاج إليه في أمر دينه

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 189) عن حفص بن عمر السَّعْدي عن عمه قال: قال سلمان لحذيفة رضي الله عنهما: يا أخا بني عبس إنَّ العلم كثير والعمر قليل؛ فخذ من العلم ما تحتاج إليه في أمر دينك، ودع ما سواه فلا تعانه.

وعنده أيضاً (1/ 188) عن أبي البختري قال: صحب سلمانَ رجلٌ من بني عَبْس قال: فشرب من دجلة شَرْبة، فقال له سلمان: عُدْ فاشرب، قال: قد رويت، قال: أتَرى شَرْبتك هذه نقصت منها؟ وما يَنقُص منها شَربة شربتها؟! قال: كذا العلم لا يَنقص، فخذ من العلم ما ينفعك.

وأخرج ابن عساكر عن محمد بن أبي قَيْلة أن رجلاً كتب إلى ابن عمر رضي الله عنهما يسأله عن العلم، فكتب إليه ابن عمر: إنك كتبت تسألني عن العلم فالعلم أكبر من أن أكتب به إليك، ولكن إن استطعت أن تلقَى الله كافَّ اللسان عن أعراض المسلمين خفيفَ الظهر من دمائهم، خميصَ البطن من أموالهم، لازماً لجماعتهم، فافعل. كذا في «الكنز» (5/ 230).

* * *

تعليم الدين والإسلام والفرائض

أخرج مسلم (1/ 287/ 876) عن أبي رِفاعة رضي الله عنه قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب، قال: فقلت: يا رسول الله، رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه. قال: فأقبل عليَّ رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إليَّ، فأُتي بكرسي حسبت قوائمه حديداً، قال: فقعد عليه رسول الله ﷺ وجعل يعلِّمني ممَّا علمه الله، ثم أتى خطبته فأتم آخرها. وأخرجه البخاري في الأدب (ص 171) نحوه والنَّسائي في «الزينة» كما في «ذخائر المواريث» والطبراني وأبو نعيم كما في «كنز العمال» (5/ 242).

وأخرج ابن جرير عن جرير قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: علمني الإسلام، قال: «تشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، وتحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك». كذا في «الكنز» (1/ 70).

وأخرج ابن سعد (1/ 327) عن محمد بن عُمارة بن خزيمة بن ثابت قال: قدم فَرْوة بن مُسَيك المُرادي رضي الله عنه وافداً على رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كِنْدة ومتابعاً للنبي ﷺ فنزل على سعد بن عبادة رضي الله عنه، وكان يتعلم القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه ـ فذكر الحديث.

وأخرج أيضاً (1/ 331) عن ضُباعة بنت الزبير بن عبد المطلب رضي الله عنها قالت: قدم وفد بَهْراء من اليمن وهم ثلاثة عشر رجلاً فأقبلوا يقودون رواحلهم حتى انتهَوا إلى باب المقداد بن عمرو رضي الله عنه ببني جَديلة، فخرج إليهم المقداد فرحَّب بهم وأنزلهم في منزل من الدار، وأتوا النبي ﷺ فأسلموا، وتعلَّموا الفرائض، وأقاموا أياماً، ثم جاؤا رسول الله ﷺ يودعونه فأمر بجوائزهم، وانصرفوا إلى أهلهم.

وأخرج عبد الرزاق (26083) وابن أبي شيبة وابن جرير ورُسْتة في «الإيمان» عن ابن سيرين قال: إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا يعلِّمان الناس الإسلام: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة التي افترض الله عليك لوقتها فإن في تفريطها الهَلَكة، وتؤدِّي الزكاة طيبةً بها نفسك، وتصوم رمضان، وتسمع وتطيع لمن وُلِّي الأمر. كذا في «الكنز» (1/ 69).

وأخرج البيهقي والأصبهاني في «الحجة» عن الحسن قال: جاء أعرابي إلى عمر رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين علِّمني الدين، قال: تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت، وتصوم رمضان، وعليك بالعلانية، وإياك والسر، وإياك وكل شيء يُستحيا منه، فإنك إن لقيت الله فقل: أمرني بهذا عمر.

وأخرجه أيضاً ابن عدي والبيهقي واللالكائي عن الحسن قال: جاء أعرابي إلى عمر فقال: يا أمير المؤمنين علمني الدين - فذكر مثله، وزاد في آخره. ثم قال: يا عبد الله خُذْ بهذا، فإذا لقيت الله فقل ما بدا لك. قال البيهقي: قال البخاري: هذا مرسل لأن الحسن لم يدرك عمر. كذا في «الكنز» (1/ 70).

وأخرجه ابن عساكر عن الحسن قال: أتى عمرَ بن الخطاب رجلٌ فقال: يا أمير المؤمنين، إني رجل من أهل البادية، وإن لي أشغالاً؛ فأوصني بأمر يكون لي ثقة وأبلغ به. فقال: اعقل وأرني يدك، فأعطاه يده فقال: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتحج وتعتمر وتطيع، وعليك بالعلانية، وإياك والسر، وعليك بكل شيء إذا ذُكر ونشر لم تستحي منه ولم يفضحك، وإياك وكل شيء إذ ذُكر ونشر استحييت وفضحك. فقال: يا أمير المؤمنين أعملُ بهن فإذا لقيت ربي أقول: أخبرني بهن عمر بن الخطاب، فقال: خذهن، فإذا لقيت ربك فقل له ما بدا لك. كذا في «الكنز» (8/ 208).

* * *

تعليم الصلاة

أخرج الطبراني في «الكبير» (8/ 8186) و«البزّار» (338) عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أسلم الرجل كان أولَ ما يعلمنا الصلاة ـ أو قال: علَّمه الصلاة. قال الهيثمي (1/ 293): رجاله رجال الصحيح.

وأخرج أبو نُعَيم عن الحَكَم بن عمير قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا: «إذا قمتم إلى الصلاة فكبِّروا، وارفعوا أيديكم ولا تجوزوا آذانكم، وقولوا: سبحانك اللهمَّ وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جَدّك، ولا إله غيرك». كذا في «الكنز» (4/ 203).

وأخرج مسدَّد والطحاوي عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال: كان أبو بكر رضي الله عنه يعلِّمنا التشهُّد على المنبر كما يعلِّم الغلمانَ في المكتب. كذا في «الكنز» (4/ 217).

وأخرج الدارقطني ـ وحسّنه ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيدي فعلمني التشهُّد، وزعم أن رسول الله ﷺ أخذ بيده فعلمه التشهُّد: التحيات لله؛ الصلوات الطيبات المباركات لله. كذا في «الكنز» (4/ 217).

وأخرج مالك والشافعي والطحاوي وعبد الرزاق (3067) وغيرهم عن عبد الرحمٰن بن عبد القاريّ أنه سمع عمر بن الخطاب وهو على المنبر وهو يعلِّم الناس على التشهُّد يقول: قولوا: التحيات لله ـ فذكره.

وعند ابن أبي شيبة (1/ 328) عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهُّد كما يعلِّمنا السورة من القرآن. وعنده أيضاً على ابن مسعود رضي الله عنه بلفظه.

وعنده أيضاً عن ابن مسعود قال: علمني رسول الله ﷺ التشهُّد كفِّي بين كفَّيه كما يعلمني السورة من القرآن ـ فذكر التشهُّد.

وعند العسكري في «الأمثال» عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا فواتح الكلم ـ أو جوامع الكلم وفواتحه ـ فعلَّمنا خطبة الصلاة وخطبة الحاجة، ثم ذكر التشهُّد.

وعند ابن النجار عن الأسود قال: كان عبد الله يعلِّمنا التشهُّد كما يعلِّمنا السورة من القرآن، فيأخذ علينا فيه الألف والواو. كذا في «كنز العمال» (4/ 218 و219).

وأخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة والبخاري والنسائي عن زيد ابن وَهْب قال: دخل حذيفة رضي الله عنه المسجد فإذا رجل يصلِّي لا يتمُّ الركوع والسجود، فلما انصرف قال له حذيفة: مُذْ كم هذه صلاتك؟ قال: منذ أربعين سنة، فقال حذيفة: ما صلَّيت مذ أربعين سنة؛ ولو مت وهذه صلاتك متَّ على غير الفطرة التي فُطر عليها محمد ﷺ، ثم أقبل عليه يعلِّمه فقال: إنَّ الرجل ليخفِّف الصلاة ويتم الركوع والسجود. كذا في «الكنز» (4/ 230).

* * *

تعليم الأذكار والأدعية

أخرج ابن النجار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لي: «أعطيك خمسة آلاف شاة أو أعلمك خمس كلمات فيهن صلاح دينك ودنياك»؟ فقلت: يا رسول الله خمسة آلاف شاة كثير ولكن علِّمني. فقال: «قل: اللهمَّ اغفر لي ذنبي، ووسّع لي خُلُقي، وطيب لي كَسْبي، وقنِّعني بما رزقتني، ولا تذهب قلبي إلى شيء صرفته عني». كذا في «الكنز» (1/ 305).

وأخرج النَّسائي وأبو نُعَيم عن عبد الله بن جعفر أنه كان يعلِّم بناتِه هؤلاء الكلمات، ويأمرهنَّ بهنَّ، ويذكر أنه تلقاهنَّ عن علي، وأن علياً قال: إنَّ رسول الله ﷺ كان يقولهن إذا كَرَبه أمر واشتد به: «لا إلٰه إلا الله الحليم الكريم، سبحانه، تبارك الله رب العالمين ورب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين». كذا في «الكنز» (1/ 298).

وأخرج الخرائطي في «مكارم الأخلاق» ـ وسنده حسن ـ عن عبد الله بن جعفر قال: قال لي علي: يا بن أخي، إني معلِّمك كلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالهن عند وفاته دخل الجنة: «لا إله إلا الله الحليم الكريم ـ ثلاث مرات ـ الحمد لله رب العالمين ـ ثلاث مرات ـ تبارك الذي بيده الملك يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير». كذا في «الكنز» (8/ 111).

وأخرج الطبراني عن سعد بن جُنَادة رضي الله عنه قال: كنت في أول من أتى النبي ﷺ من أهل الطائف، فخرجت من أعلى الطائف من

السَّراة غُدْوة، فأتيت مِنًى عند العصر، فتصاعدتُ في الجبل، ثم هبطت وعلَّمني هؤلاء الكلمات: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». وقال: «هُنَّ الباقيات الصالحات». كذا في «التفسير» لابن كثير (3/ 86).

وأخرج عبد الله بن أحمد في «زوائده» عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا إذا أصبحنا يقول: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وسنة نبينا محمد ﷺ وملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» وإذا أمسى مثل ذلك قال: كذا في «الكنز» (1/ 294).

وأخرج ابن جرير عن سعد رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا هذه الكلمات تعلُّم المكتِّب الغلمانَ الكتابةَ: «اللهمَّ إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أُردَّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر». كذا في «الكنز» (1/ 307).

وأخرج أبو نُعَيم عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أبيه رضي الله عنه أن النبي ﷺ علَّمهم الصلاة على الميت: «اللهمَّ اغفر لإخواننا، وأصلح ذات بيننا، وألِّف بين قلوبنا. اللهمَّ هذا عبدك فلان ابن فلان ولا نعلم إلا خيراً، وأنت أعلم به منا، فاغفر لنا وله». فقلت وأنا أصغر القوم -: فإن لم أعلم خيراً؟ قال: «فلا تقل إلا ما تعلم». كذا في «الكنز» (8/ 114).

وأخرج الطبراني في «الدعاء» والديلمي - وسنده حسن - عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا هؤلاء الكلمات إذا جاء رمضان: «اللهمَّ سلِّمني لرمضان، وسلِّم رمضان لي، وسلِّمه لي متقبلاً» كذا في «الكنز» (4/ 323).

وأخرج الطبراني في «الأوسط» وأبو نعيم في «عوالي سعيد بن منصور» عن سلامة الكِندي قال: كان علي رضي الله عنه يعلِّم الناس الصلاة على النبي ﷺ يقول: اللهمَّ داحيَ المدحوَّات، وبارىء المسموكات، وجبار القلوب على فطرتها شقيِّها وسعيدِها، اجعل شرائفَ صلواتك، ونوامي بركاتك، ورأفةَ تحنُّنك على محمد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق، والفاتح لما أُغلق، والمعلن الحق بالحق، والدامغ لجَيْشات الأباطيل، كما حُمِّل فاضطلع بأمرك بطاعتك، مستوفزاً في مرضاتك غير نَكِل عن قَدَم، ولا وَهِن في عزم، واعياً لوحيك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك حتى أورى قبساً لقابس، به هُدِيت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم، (وأبهج) موضحاتِ الأعلام، ومنيرات الإسلام، ونائرات الأحكام، فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون، وشهيدك يوم الدين، وبعيثك نعمة، ورسولك بالحق (رحمة)؛ اللهمَّ افسح له مفسحاً في عَدْنك، واجزه مضاعَفات الخير من فضلك، مهنَّآت غير مكدّرات، من فوز ثوابك المعلول وجزيل عطائك المخزون، اللهمَّ أعلِ على (بناء) الناس بناءه، وأكرم مثواه لديك ونُزُله، وأتمم له نوره، واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة، ذا منطق عدل وكلام فصل وحجة وبرهان (عظيم). كذا في «الكنز» (1/ 214).
قال ابن كثير في «تفسيره» (3/ 509): هذا مشهور من كلام علي رضي الله عنه، وقد تكلَّم عليه ابن قتيبة في «مُشكل الحديث»، وكذا أبو الحسين أحمد بن فارس الكفوي في جزء جَمَعه في فضل الصلاة على النبي ﷺ إلا أن في إسناده نظراً، وقد روى الحافظ أبو القاسم الطبراني هذا الأثر انتهى.

* * *

تعليم الأضياف الواردين إلى المدينة الطيبة

أخرج الإمام أحمد (4/ 206) عن شهاب بن عبَّاد أنه سمع بعض وفد عبد القيس وهو يقول: قدمنا على رسول الله ﷺ فاشتد فرحهم بنا، فلما انتهينا إلى القوم أوسعوا لنا فقعدنا، فرحَّب بنا النبي ﷺ ودعا لنا ثم نظر إلينا، فقال: «من سيّدكم وزعيمكم»؟ فأشرنا جميعاً إلى المنذر بن عائذ، فقال النبي ﷺ: «أهذا الأشج»؟ فكان أول يوم وُضع عليه هذا الاسم لضربة بوجهه بحافر حمار، فقلنا: نعم يا رسول الله. فتخلَّف بعد القوم فعقل رواحلهم وضمَّ متاعهم، ثم أخرج عيبته فألقى عنه ثياب السفر ولبس من صالح ثيابه، ثم أقبل إلى النبي ﷺ وقد بسط النبي ﷺ رجله واتكأ، فلما دنا منه الأشج أوسع القوم له وقالوا: ههنا يا أشج، فقال النبي ﷺ ـ واستوى قاعداً وقبض رجله ـ: «ههنا يا أشج»، فقعد عن يمين النبي ﷺ واستوى قاعداً فرحب به وألطفه، ثم سأل عن بلاده وسمَّى له قرية الصفا والمُشَقَّر وغير ذلك من قرى هَجَر، فقال: بأبي وأمي يا رسول الله لأنت أعلم بأسماء قرانا منا!! فقال: «إني قد وطِئت بلادكم وفُسح لي فيها» قال: ثم أقبل على الأنصار فقال: «يا معشر الأنصار أكرموا إخوانكم، فإنهم أشباهكم في الإسلام، وأشبه شيء بكم أشعاراً وأبشاراً، أسلموا طائعين غير مكرَهين ولا موتورين إذ أبى قوم أن يسلموا حتى قتلوا».

فلما أن (أصبحوا) قال: «كيف رأيتم كرامة إخوانكم لكم وضيافتهم

إياكم»؟ قالوا: خير إخوان، ألانوا فرشنا، وأطابوا مطعمنا، وباتوا وأصبحوا يعلموننا كتاب ربِّنا وسنة نبينا ﷺ. فأعجبت النبي ﷺ وفرح بها، ثم أقبل علينا رجلاً رجلاً يعرضنا على ما تعلمنا وعُلِّمنا، فمنَّا من تعلم التحيات وأم الكتاب والسورة والسورتين والسنَّة والسنتين ـ فذكر الحديث بطوله. قال المنذري في «الترغيب» (4/ 152): وهذا الحديث بطوله رواه أحمد بإسناد صحيح، وقال الهيثمي (8/ 178): ورجاله ثقات.

وأخرج عبد الرزاق (16930) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنَّا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: جاءكم وفد عبد القيس. ولا نرى شيئاً، فمكثنا ساعة فإذا قد جاؤا، فسلَّموا على النبي ﷺ، فقال لهم النبي ﷺ: «أبقي معكم شيء من تمركم ـ أو قال: من زادكم» ـ؟ قالوا: نعم، فأمر بنِطَع فبسط ثم صبُّوا فيه بقية تمر كان معهم، فجمع النبي ﷺ أصحابه وجعل يقول: لهم: «تسمُّون هذا التمر البرني» وهذه كذا، وهذه كذا ـ لألوان التمر، قالوا: نعم، ثم أمر بكل رجل منهم رجلاً من المسلمين ينزله عنده ويقرئه ويعلمه الصلاة، فمكثوا جمعة، ثم دعاهم فوجدهم قد كادوا أن يتعلموا وأن يفهموا، فحولهم إلى غيره، ثم تركهم جمعة أخرى، ثم دعاهم فوجدهم قد قرأوا وتفهموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد اشتقنا إلى بلادنا وقد علَّم الله خيراً وفقهنا، فقال: «ارجعوا إلى بلادكم» قالوا: لو سألنا رسول الله ﷺ عن شراب نشربه بأرضنا ـ فذكر الحديث في النهي عن الانتباذ في الدُّبَّاء والنَّقير والحَنْتَمِ. كذا في «الكنز» (3/ 113).

* * *

أخذ العلم في السفر

أخرج أحمد عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مكث في المدينة تسع سنين لم يحجّ، ثم أُذِّن في الناس: أن رسول الله ﷺ حاج في هذا العام. قال: فنزل المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله ﷺ ويفعل ما يفعل، فخرج رسول الله ﷺ لخمس بقينَ من ذي القَعدة، وخرجنا معه حتى إذا أتى ذا الحليفة نَفِست أسماء بنت عميس بمحمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ: كيف أصنع؟ قال: «اغتسلي ثم استثفري بثوب، ثم أهلّي»، فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا استوت به ناقته على البيداء أهلّ بالتوحيد: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» ولبَّى الناس - والناس يزيدون ذا المعارج - ونحوه من الكلام والنبي ﷺ يسمع فلم يقُل لهم شيئاً، فنظرت مدّ بصري بين يدي رسول الله ﷺ من راكب وماش، ومن خلفه كذلك، وعن يمينه مثل ذلك، وعن شماله مثل ذلك. قال جابر: ورسول الله ﷺ بين أظهرنا عليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل به من شيء عملنا فذكر الحديث، كما في «البداية» (5/ 146). وسيأتي ما علَّمهم النبي ﷺ في سفر الحج في خطباته ﷺ في الحج، وقد تقدَّم بعض ما يتعلق بهذا الباب في التعليم في الجهاد.

وأخرج أبو نعيم عن جابر بن الأزرق الغاضري رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ على راحلة ومتاع، فلم أزل أسايره إلى جانبه حتى

بلغنا، فنزل إلى قبة من أَدَم فدخلها، فقام على بابه أكثر من ثلاثين رجلاً معهم السياط، فدنوت فإذا رجل يدفعني فقلت: لئن دفعتني لأدفعنَّك ولئن ضربتني لأضربنَّك!! فقال: يا أشر الرجال!! فقلت: والله أنت شرٌّ مني. قال: كيف؟ قلت: جئت من أقطار اليمن لكيما أسمع من النبي ﷺ، ثم أرجع فأحدث من ورائي ثم أنت تمنعني؟! قال: صدقت نعم والله لأنا شر منك. ثم ركب النبي ﷺ فتعلَّقه الناس من عند العقبة من مِنَى حتى كثروا عليه يسألونه ولا يكاد واحد يصل إليه من كثرتهم، فجاءه رجل مقصِّر شعره قال: صلِّ عليَّ يا رسول الله فقال: «صلّى الله على المحلِّقين» ثم قال: صلِّ عليَّ، فقال: «صلّى الله على المحلِّقين» ثم قال: صلِّ عليَّ، فقال: «صلّى الله على المحلِّقين» فقال ثلاث مرات ثم انطلق فحلق رأسه، فلا أرى إلاَّ رجلاً محلوقاً. كذا في «الكنز» (3/ 49) وأخرجه ابن منده وقال: غريب لا يُعرف إلا بهذا الإسناد، كما في «الإصابة» (1/ 211).

وقال ابن جرير (11/ 51) بعدما ذكر الأقوال المختلفة في تفسير قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ ـ الآية: وأما قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 122] فإن أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ليتفقَّه الطائفة النافرة بما تُعاين من نصر الله أهلَ دينه وأصحابَ رسوله على أهل عداوته والكفر به؛ فَيفْقَه بذلك مِن معاينته حقيقة علمِ أمرِ الإسلام وظهورِه على الأديان من لم يكن فقهه، ولينذروا قومهم فيحذِّروهم أن يَنزل بهم من بأس الله مثلُ الذي نزل بمن شاهدوا وعاينوا ممن ظفر بهم المسلمون من أهل الشرك إذا هم رجعوا إليهم من غزوهم لعلهم يحذرون، يقول: لعلّ قومهم إذا هم حذَّروهم ما عاينوا من ذلك يحذرون فيؤمنون بالله ورسوله حذراً أن ينزل بهم ما نزل بالذين أُخبروا خبرهم. انتهى.

الجمع بين الجهاد والعلم

أخرج ابن أبي خيثمة وابن عساكر عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: كنا نغزو وندع الرجل والرجلين لحديث رسول الله ﷺ، فنجيء من غزاتنا فيحدِّثونا بما حدَّث به رسول الله ﷺ فنحدِّث به نقول: قال رسول الله ﷺ. كذا في «الكنز» (5/ 240).

* * *

الجمع بين الكسب والعلم

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 123) عن ثابت البُناني قال: ذكر أنس بن مالك رضي الله عنه سبعين رجلاً من الأنصار، كانوا إذا جنَّهم الليل آوَوا إلى مَعْلَم لهم بالمدينة يبيتون يدرسون القرآن، فإذا أصبحوا فمن كانت عنده قوة أصاب من الحطب واستعذب من الماء، ومن كانت عنده سَعَة أصابوا الشاة فأصلحوها، فكانت تصبح معلقة بِحُجَرِ رسول الله ﷺ، فلما أُصيب خبيب رضي الله عنه بعثهم رسول الله ﷺ، فكان فيهم خالي حَرَام بن مِلحان رضي الله عنه، فأتوا على حيٍّ من بني سُلَيم، فقال حَرام لأميرهم: ألا أخبر هؤلاء أنَّا لسنا إياهم نريد فيخلُّوا وجوهنا؟ قالوا: نعم، فأتاهم فقال لهم ذلك، فاستقبله رجل برمح فأنفذه به، فلما وجد حَرام مسَّ الرمح في جوفه قال: الله أكبر فزت ورب الكعبة!! فانطوَوا عليهم فما بقي منهم مخبر؛ فما رأيت رسول الله ﷺ وَجَد على سرية وجْده عليهم، لقد رأيت رسول الله ﷺ كلما صلَّى الغَدَاة رفع يديه يدعو عليهم.

وعند ابن سعد (3/ 514) عن ثابت عن أنس قال: جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجالاً يعلِّمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القُرّاء فيهم خالي حَرام، كانوا يقرؤون القرآن، ويتدارسون بالليل ويتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصُّفَّة

والفقراء، فبعثهم النبي ﷺ إليهم، فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا: اللهمَّ بلِّغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا. قال: وأتى رجلٌ حَراماً ـ خال أنس ـ من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه، فقال حَرام: فزت ورب الكعبة!! فقال رسول الله ﷺ لإخوانه: «إنَّ إخوانكم قد قُتلوا، وإنهم قالوا: اللهمَّ بلِّغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا».

وأخرج البخاري (1/ 19/ 89) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه قال: كنت أنا وجار لي الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل ذلك، فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته فضرب بابي ضرباً شديداً فقال: أثَمَّ هو؟ ففزعت فخرجت إليه فقال: قد حدث أمر عظيم.. (قال): فدخلت على حفصة فإذا هي تبكي، فقلت: أطلقكنَّ رسول الله ﷺ؟ قالت: لا أدري، ثم دخلتُ على النبي ﷺ فقلت وأنا قائم: أطلقتَ نساءك؟ قال: «لا» فقلت: الله أكبر.

وأخرج الحاكم في «المستدرك» (1/ 127) عن البراء رضي الله عنه قال: ليس كلُّنا سمع حديث رسول الله ﷺ، كانت لنا ضَيْعة وأشغال، ولكن الناس كانوا لا يكذِبون يومئذٍ فيحدِّث الشاهدُ الغائبَ. وأخرجه أيضاً الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص 14) عن البراء قال: ما كلُّ الحديث سمعناه من رسول الله ﷺ، كان يحدثنا أصحابنا وكنا مشتغلين في رعاية الإبل. وهكذا أخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح، كما قال الهيثمي (1/ 154). وأخرجه أبو نعيم بمعناه، كما في «الكنز» (5/ 238).

وأخرج الحاكم في «المستدرك» (3/ 512) عن أبي أنس مالك بن أبي عامر (الأصبحي) قال: كنت عند طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، فدخل عليه رجل فقال: يا أبا محمد، والله ما ندري: هذا اليماني أعلم برسول الله ﷺ أم أنتم؟! تَقَوَّلَ على رسول الله ﷺ ما لم يقل؟ - يعني أبا هريرة رضي الله عنه - فقال طلحة: والله ما نشكُّ أنه سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع وعلم ما لم نعلم؛ إنا كنا قوماً أغنياء لنا بيوت وأهلون، كنا نأتي نبي الله ﷺ طرفي النهار ثم نرجع، وكان أبو هريرة مسكيناً لا مال له ولا أهل ولا ولد، إنما كانت يده مع يد النبي ﷺ، وكان يدور معه حيث ما دار، ولا نشكُّ أنه قد علم ما لم نعلم وسمع ما لم نسمع، ولم يتهمه أحد منا أنه تقوَّل على رسول الله ﷺ ما لم يقل. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه.

* * *

تعلُّم الدين قبل الكسب

أخرج الترمذي عن عمر رضي الله عنه قال: لا يبع في سوقنا هذا إلا من تفقَّه في الدين. كذا في «الكنز» (2/ 218).

* * *

تعليم الرجل لأهله

أخرج الحاكم - وصحَّحه - على شرطهما عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم: 6] قال: علِّموا (أنفسكم) وأهليكم الخير. كذا في «الترغيب» (1/ 85). وأخرجه الطبري في «تفسير» (28/ 107) بلفظ: علِّموهم أدبوهم.

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص 33) عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا النبي ﷺ ونحن شَبَبَة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتهينا أهلينا فسألنا عمن تركنا في أهلينا، فأخبرناه - وكان رفيقاً رحيماً - فقال: «ارجعوا إلى أهليكم فعلِّموهم ومروهم، وصلُّوا كما رأيتموني أصلِّي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذِّن لكم أحدكم وليؤمَّكم أكبركم».

* * *

تعلم الرجل لسان الأعداء
وغيره للضرورة الدينية

أخرج أبو يعلى وابن عساكر عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أُتي بي النبي ﷺ مقدمه المدينة فقالوا: يا رسول الله هذا غلام من بني النجار وقد قرأ مما أُنزل عليك سبع عشرة سورة، فقرأت على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك، فقال: «يا زيد تعلَّم لي كتاب يهود؛ فإني - والله - ما آمن يهود على كتابي» فتعلمته، فما مضى لي نصف شهر حتى حَذِقتُه، فكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب إليهم وأقرأ كتابهم إذا كتبوا إليه.

وعندهما أيضاً وابن أبي داود عن زيد قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أتحسن السريانية فإنها تأتيني كتب»؟ قلت: لا، قال: «فتعلَّمْها» فتعلمتها في سبعة عشر يوماً.

وعند ابن أبي داود وابن عساكر أيضاً عن زيد قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إنها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد فهل تستطيع أن تتعلم كتاب العبرانية - أو قال: السريانية» - فقلت: نعم، فتعلمتُها في سبع عشرة ليلة. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 185). وأخرجه ابن سعد (4/ 174) عن زيد نحوه.

وأخرج الحاكم في «المستدرك» (3/ 549) وأبو نعيم في «الحلية» (1/ 334) عن عمر بن قيس قال: كان لابن الزبير رضي الله عنهما مائة

غلام يتكلم كل غلام منهم بلغة أخرى، فكان ابن الزبير يكلِّمَ كل واحد منهم بلغته، فكنتُ إذا نظرت إليه في أمر دينه قلتُ: هذا رجل لم يرد الله طرفة عين، وإذا نظرت إليه في أمر آخرته قلتُ: هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين.

وأخرج ابن عبد البرّ في «العلم» عن عمر رضي الله عنه قال: تعلَّموا من هذه النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم أمسكوا. وعند هنّاد عنه قال: تعلَّموا من النجوم ما تهتدون بها، وتعلَّموا من الأنساب ما تتواصلون بها. كذا في «الكنز» (5/ 234).

وأخرج البيهقي وابن عساكر وابن النجار عن صَعصَعة بن صَوْحان قال: جاء أعرابي إلى علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين كيف تقرأ هذا الحرف: لا يأكله إلا الخاطون، كلٌّ والله يخطو، فتبسم علي .. وقال: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: 37] قال: صدقت يا أمير المؤمنين، ما كان الله ليُسلم عبده، ثم التفت علي إلى أبي الأسود الدُّؤَلي فقال: إن الأعاجم قد دخلت في الدين كافّة، فضع للناس شيئاً يستدلون به على صلاح ألسنتهم، فرسم له الرفع والنصب والخفض. كذا في «الكنز» (5/ 237).

* * *

ترك الإمام رجلاً من أصحابه للتعليم

أخرج الحاكم (3/ 270) عن عروة قال: كان رسول الله ﷺ استخلف معاذ بن جبل رضي الله عنه على أهل مكة حين خرج إلى حُنَين، وأمره رسول الله ﷺ أن يعلِّم الناس القرآن وأن يفقههم في

الدين، ثم صَدَر رسول الله ﷺ عامداً إلى المدينة وخلَّف معاذ بن جبل على أهل مكة.

وأخرجه ابن سعد (4/ 164) عن مجاهد أن رسول الله ﷺ خلَّف معاذ بن جبل بمكة حين توجَّه إلى حُنَين يفقِّه أهل مكة ويقرئهم القرآن.

* * *

هل يحبس الإمام رجلاً من أصحابه عن الخروج في سبيل الله للعلم؟

أخرج ابن سعد (4/ 174) عن القاسم قال: كان عمر يستخلف زيد بن ثابت في كل سفر يسافره، وكان يفرق الناس في البلدان ويوجهه في الأمور المهمة، ويُطلب إليه الرجال المسمَّون فيقال له: زيد بن ثابت، فيقول: لم يسقط عليَّ مكان زيد، ولكن أهل البلد يحتاجون إلى زيد فيما يجدون عند غيره فيما يحدث لهم ما لا يجدون عند غيره.

وعنده أيضاً (4/ 176) عن سالم بن عبد الله قال: كنا مع ابن عمر رضي الله عنهما يوم مات زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقلت: مات عالم الناس اليوم. فقال ابن عمر: يرحمه الله اليوم فقد كان عالم الناس في خلافة عمر وحَبْرَها، فرَّقهم عمر في البلدان ونهاهم أن يفتوا برأيهم، وجلس زيد بن ثابت بالمدينة يفتي أهل المدينة وغيرهم من الطُّرّاء: يعني القُدَّام.

وعند ابن الأنباري عن أبي عبد الرحمٰن السُّلَمي أنه قرأ على عثمان رضي الله عنه، قال: فقال لي: إنك إذن تشغَلَني عن النظر في أمور الناس، فامضِ إلى زيد بن ثابت فإنه أفرغ لهذا الأمر فاقرأ عليه، فإن قراءتي وقراءته واحدة ليس بيني وبينه بها خلاف. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 184). وقد تقدّم (1/ 671) ما أخرجه ابن سعد عن كعب رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: خرج معاذ رضي

الله عنه إلى الشام، لقد أخلّ خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه وما كان يفتيهم به، ولقد كنت كلمت أبا بكر رحمه الله أن يحبسه لحاجة الناس إليه فأبى عليَّ وقال: رجل أراد وجهاً يريد الشهادة فلا أحبسه ـ فذكر الحديث.

* * *

إرسال الصحابة إلى البلدان للتعليم

أخرج الحاكم (3/ 222) عن عاصم بن عمر (بن قتادة) أن ناساً من عُضَل والقَارَة ـ وهما حيّان من جَدِيلة ـ أتَوا النبي ﷺ بعد أحد فقالوا: إنَّ بأرضنا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يقرئوننا القرآن ويفقهوننا في الإسلام، فبعث رسول الله ﷺ معهم ستة نفر منهم مَرْثَدَ بن أبي مرثد رضي الله عنه حليف حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه هو أميرهم ـ فذكر قصة أصحاب الرَّجِيع مختصراً.

وأخرج ابن جرير عن علي رضي الله عنه قال: أتى النَّبي ﷺ ناس من اليمن فقالوا: ابعث فينا من يفقهنا في الدين، ويعلمنا السُّنَن، ويحكم فينا بكتاب الله، فقال النبي ﷺ: «انطلق يا علي إلى أهل اليمن، ففقههم في الدين، وعلمهم السُّنَن، واحكم فيهم بكتاب الله». فقلت: إنَّ أهل اليمن قوم طَغَام يأتوني من القضاء بما لا علم لي به، فضرب النبي ﷺ على صدري ثم قال: «اذهب فإنَّ الله سيهدي قلبك ويثبِّت لسانك» فما شككت في قضاء بين اثنين حتى الساعة. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 37).

وأخرج الحاكم في «المستدرك» (3/ 267) عن أنس رضي الله عنه أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلمنا القرآن، فأخذ بيد أبي عبيدة رضي الله عنه فأرسله معهم وقال: «هذا أمين هذه الأمة». قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه بذكر القرآن، ووافقه الذهبي وقال: وأخرجه مسلم بدون ذكر القرآن. وأخرجه ابن سعد (3/ 299) عن أنس بنحوه وفي روايته: أن أهل اليمن سألوه أن

يبعث معهم رجلاً يعلِّمهم السنة والإسلام.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال: هذا كتاب رسول الله ﷺ عندنا الذي كتبه لعمرو بن حزم رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن يفقه أهلها، ويعلمهم السنة، ويأخذ صدقاتهم، فكتب له كتاباً وعهداً وأمره فكتب: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتاب من الله ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: 1]. عهد من محمد رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله في أمره كله فإنَّ الله مع الذين اتَّقوا والذين هم محسنون». كذا في «التفسير» لابن كثير (2/ 3). وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 256) عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً وأبا موسى رضي الله عنهما إلى اليمن وأمرهما أن يعلِّما الناس القرآن.

وأخرج البزّار (177) والطبراني في «الكبير» عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى حيٍّ من قيس أعلمهم شرائع الإسلام، فإذا قوم كأنهم الإبل الوحشية، طامحةٌ أبصارهم، ليس لهم همٌّ إلا شاة أو بعير، فانصرفت إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا عمّار ما علمت»؟ فقصصت عليه قصة القوم وأخبرته بما فيهم من السَّهوة فقال: «يا عمّار، ألا أخبرك بأعجب منهم، قوم علموا ما جهل أولئك ثم سَهَوا كسهوهم». كذا في «الترغيب» (1/ 91).

وأخرج ابن سعد (6/ 7) عن حارثة بن المُضَرِّب قال: قرأت كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أهل الكوفة: أمّا بعد فإنّي بعثت إليكم عماراً أميراً وعبد الله معلِّماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ، فاسمعوا لهما واقتدوا بهما، وإني قد آثرتكم بعبد الله على نفسي أثرة.

وأخرج ابن سعد (7/ 10) عن أبي الأسود الدؤلي قال: قدمت البصرة وبها عمران بن الحصين أبو النُّجَيد رضي الله عنهما، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعثه يفقه أهل البصرة.

وأخرج ابن سعد (4/ 172) والحاكم عن محمد بن كعب القرظي قال: جمع القرآن في زمان النبي ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأُبيّ بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء رضي الله عنهم، فلما كان زمان عمر بن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما: أنَّ أهل الشام قد كثروا وربَلوا وملؤوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأعني يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم، فدعا عمر أولئك الخمسة فقال لهم: إنَّ إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن ويفقِّههم في الدين فأعينوني - رحمكم الله - بثلاثة منكم، إن أحببتم فاستهموا، وإن انتدب منكم ثلاثة فليخرجوا. فقالوا: ما كنا لنساهم. هذا شيخ كبير - لأبي أيوب -، وأما هذا فسقيم - لأُبيّ بن كعب - فخرج معاذ بن جبل، وعبادة، وأبو الدرداء، فقال عمر: ابدأوا بحمص: فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة منهم من يُلَقَّن، فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس، فإذا رضيتم منها فليقم بها واحد وليخرج واحد إلى دمشق والآخر إلى فلسطين. فقدموا حمص فكانوا بها حتى إذا رضُوا من الناس أقام بها عبادة ورجع أبو الدرداء إلى دمشق ومعاذ إلى فلسطين، فأما معاذ فمات عام طاعون عَمْواس، وأما عبادة فصار بعد إلى فلسطين فمات بها، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات. كذا في «الكنز» (1/ 281). وأخرجه البخاري في «التاريخ الصغير» (ص 22) عن محمد بن كعب بالسياق المذكور مختصراً.

الرحلة في طلب العلم

أخرج أحمد والطبراني في «الكبير» عن عبد الله بن محمد بن عقيل أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: بلغني عن رجل حديث سمعه عن رسول الله ﷺ، فاشتريت بعيراً ثم شددت رَحْلي، فسرت إليه شهراً حتى قدمت الشام، فإذا عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه، فقلت للبواب: قل له: جابر على الباب، فقال: ابن عبد الله؟ قلت: نعم، فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته فقلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القِصاص، فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الله الناس يوم القيامة ـ أو قال: العباد ـ عُراة غُرْلاً بُهْماً؟ ـ قال: قلنا وما بُهْماً؟ قال: ليس معهم شيء ـ ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب: أنا الديَّان، أنا المالك، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقضيه منه حتى اللطمة» قال: قلنا: كيف هذا وإنما نأتي عُراة غُرْلاً بُهْماً؟ قال: الحسنات والسيئات. قال الهيثمي (1/ 133): وعبد الله بن محمد ضعيف ـ انتهى. وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» وأبو يَعْلى في «مسنده»، كما قال الحافظ في «الفتح» (1/ 127). وأخرجه ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (1/ 93) بطوله. وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (4/ 574) من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بطوله وقال: هذا حديث

صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه وقال الذهبي: صحيح. قال الحافظ: وله طريق أخرى أخرجها الطبراني في «مسند الشاميين» وتمام في «فوائده» من طريق الحجّاج ابن دينار عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: كان يبلغني عن النبي ﷺ حديث في القصاص، وكان صاحب الحديث بمصر، فاشتريت بعيراً فسرت حتى وردت مصر فقصدت إلى باب الرجل - فذكر نحوه وإسناده صالح. وله طريق ثالثة أخرجها الخطيب في «الرحلة» من طريق أبي الجارود العنسي عن جابر قال: بلغني حديث في القصاص - فذكر الحديث نحوه وفي إسناده ضعف. انتهى.

وأخرجه الطبراني في «الأوسط» عن مَسلمة بن مُخَلَّد قال: بينا أنا على مصر إذ أتى البواب فقال: إن أعرابياً على الباب على بعير يستأذن، فقلت: من أنت؟ قال: جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: فأشرفت عليه فقلت: أنزل إليك أو تصعد؟ فقال: لا تنزل ولا أصعد، حديث بلغني أنك ترويه عن رسول الله ﷺ في سَتْر المؤمن جئت أسمعه. قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا موؤودة» فضرب بعيره راجعاً. قال الهيثمي: وفيه أبو سنان القَسْملي وثَّقه ابن حِبان وابن خِراش في رواية، وضعَّفه أحمد والبخاري ويحيى بن مَعِين.

وأخرج أحمد عن عبد الملك بن عمير عن منيب عن عمه قال: بلغ رجلاً من أصحاب النبي ﷺ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أنه يحدِّث عن النبي ﷺ أنه قال: «من ستر أخاه المسلم في الدنيا ستره الله يوم القيامة» ورحل إليه وهو بمصر فسأله عن الحديث قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر أخاه المسلم في الدنيا ستره الله يوم القيامة» قال: فقال: وأنا قد سمعته من رسول الله ﷺ. قال الهيثمي (1/

134): ومنيب هذا إن كان ابن عبد الله فقد وثَّقه ابن حبان وإن كان غيره فإن لم أرَ من ذكره.

وقال ابن جريج: وركب أبو أيوب رضي الله عنه إلى عقبة بن عامر رضي الله عنه إلى مصر قال: إني سائلك عن أمر لم يبقَ ممن حضره من أصحاب رسول الله ﷺ إلاَّ أنا وأنت، كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في ستر المسلم؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر مؤمناً في الدنيا على عورة ستره الله عز وجل يوم القيامة». فرجع إلى المدينة فما حلَّ رَحْله حتى تحدَّث بهذا الحديث، رواه أحمد هكذا منقطع الإسناد ـ انتهى ما قاله الهيثمي.

قلت: وقال ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (1/ 93): وروى سفيان بن عيينة عن ابن جريج قال: سمعت شيخاً من أهل المدينة ـ قال سفيان: هو أبو سعيد الأعمى ـ يحدِّث عطاء أن أبا أيوب رحل إلى عقبة بن عامر، فلما قدم مصر أخبروا عقبة فخرج إليه ـ فذكر معنى ما ذكره أحمد وفي آخره: فأتى أبو أيوب راحلته فركبها وانصرف إلى المدينة وما حَلَّ رَحْله.

وأخرج الطبراني عن مكحول أن عقبة بن عامر أتى مسلمة بن مُخَلَّد وكان بينه وبين البواب شيء، فسمع صوته فأذن له، فقال: إني لم آتك زائراً، جئتك لحاجة، أتذكر يوم قال رسول الله ﷺ: «من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة»؟ قال: نعم، قال: لهذا جئت. قال الهيثمي (/ 134): رواه الطبراني في «الكبير» هكذا، وفي «الأوسط» عن محمد بن سيرين قال: خرج عقبة بن عامر فذكره مختصراً، ورجال «الكبير» رجال الصحيح انتهى.

وأخرج أبو داود من طريق عبد الله بن بريدة أن رجلاً من الصحابة

رحل إلى فَضَالة بن عبيد رضي الله عنه وهو بمصر في حديث. كذا في «فتح الباري» (1/ 128).

وأخرجه الدارمي (ص 55) من طريق عبد الله مثله وزاد بعد قوله وهو بمصر: فقدم عليه وهو يمد لناقة له فقال: مرحباً قال: أما إني لم آتك زائراً ولكن سمعتُ أنا وأنت حديثاً من رسول الله ﷺ رجوت أن يكون عندك منه علم. قال: ما هو؟ قال: كذا وكذا.

وأخرج الخطيب عن عبيد الله بن عدي قال: بلغني حديث عند علي، فخفت إن مات أن لا أجده عند غيره، فرحلت حتى قدمت عليه العراق. كذا في «الفتح» (1/ 128). وأخرجه ابن عساكر عن عبيد الله نحوه، كما في «كنز العمال» (5/ 239). وزاد: فسألته عن الحديث فحدَّثني وأخذ عليَّ عهداً أن لا أخبر به أحداً، ولوددت لو لم يفعل فأحدِّثكموه.

وسيأتي قول ابن مسعود رضي الله عنه: لو أعلم أحداً أعلمَ بكتاب الله مني لرحلت إليه، رواه البخاري. وعند ابن عساكر: لو أعلم أحداً تبلِّغنيه الإبل هو أعلم بما نزل على محمد ﷺ لقصدته حتى ازداد علماً إلى علمي.

* * *

أخذ العلم من أهله والثقات، وما حال العلم إذا كان عند غير أهله؟

أخرج ابن عساكر عن أبي ثعلبة رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إدفعني إلى رجل حسن التعليم، فدفعني إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ثم قال: «دفعتك إلى رجل يحسن تعليمك وأدبك». كذا في «الكنز» (7/ 95).

وأخرجه الطبراني (1/ 368) عن أبي ثعلبة مثله وزاد: فأتيت وهو وبشير بن سعد أبو النعمان رضي الله عنه يتحدَّثان، فلما رَأياني سكتا، فقلت: يا أبا عبيدة - والله - ما هكذا حدثني رسول الله ﷺ، قال: فاجلس حتى نحدثك، فقال: قال رسول الله ﷺ: «إن فيكم النبوة، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم تكون ملكاً وجَبْرية». قال الهيثمي (5/ 189): وفيه رجل لم يُسمَّ ورجل مجهول أيضاً. انتهى.

وأخرج ابن عساكر وابن النجار عن أنس رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: «إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل قبلكم». قلت: وما ذلك يا رسول الله؟ قال: «إذا ظهر الإرهاق في خياركم، والفاحشة في شراركم، وتحوَّل الملك في صِغاركم، والفقه في رُذَّالكم». كذا في «الكنز» (2/ 139). وأخرجه ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (1/ 157) عن أنس نحوه، وفي روايته: «والفقه في أرذالكم». وفي لفظ آخر عنده عنه:

«والعلم في أرذالكم». وعنده أيضاً عن أبي أمية الجمحي رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أشراط الساعة فقال: «إن من أشراطها أن يُلتمس العلم عند الأصاغر». وأخرجه الطبراني عن أبي أمية نحوه. قال الهيثمي (1/ 135): وفيه ابن لَهيعة وهو ضعيف.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (1/ 158) عن هلال الوزان (عن عبد الله بن عُكَيم) قال: كان عمر رضي الله عنه يقول: ألا إن أصدق القيل قيل الله، وأحسن الهَدْي هَدْي محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، ألاَ إنَّ الناس لن يزالوا بخير ما أتاهم العلم عن أكابرهم.

وعنده أيضاً عن بلال بن يحيى أن عمر بن الخطاب قال: قد علمت متى صلاح الناس ومتى فسادهم، إذا جاء الفقه من قبل الصغير استعصى عليه الكبير، وإذا جاء الفقه من قبل الكبير تابعه الصغير فاهتديا.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (9/ 8590) و«الأوسط» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم، فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا. قال الهيثمي (1/ 135): ورجاله موثّقون ـ إهـ. وأخرجه ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (1/ 159) عن ابن مسعود نحوه. وعنده أيضاً عنه قال: لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم، فإذا أخذوه من أصاغرهم وشرارهم هلكوا. وعنده عنه قال: إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم، فإذا كان العلم في صغاركم سفَّه الصغير الكبير.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (2/ 194) عن معاوية رضي الله عنه قال: إن أغرى الضَلالة لَرَجل يقرأ القرآن فلا يفقَه فيه، فيعلمه الصبي والعبد والمرأة والأَمَة فيجادلون به أهل العلم.

وأخرج أيضاً عن أبي حازم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ما أخاف على هذه الأمّة من مؤمن ينهاه إيمانه ولا من فاسق بيِّنٌ فسقه؛ ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأه القرآن حتى أزلقه بلسانه، ثم تأوله على غير تأويله.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (17/ 737) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه لما حضرته الوفاة قال: يا بَنيَّ إني أنهاكم عن ثلاث فاحتفظوا بها: لا تقبلوا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا من ثقة، ولا تَدِينوا ولو لبستم العباء، ولا تكتبوا شعراً تشغلوا به قلوبكم عن القرآن. قال الهيثمي (1/ 140): وفي إسناده ابن لَهيعة ويحتمل في هذا على ضعفه.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس بالجابية وقال: يا أيها الناس، من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أُبيّ بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني؛ فإنَّ الله جعلني له والياً وقاسماً. قال الهيثمي (1/ 135): وفيه سليمان بن داود بن الحصين لم أرَ من ذكره. اهـ.

* * *

الترحيب والتبشير لطالب العلم

أخرج الطبراني وأحمد عن صفوان بن عسّال المرادي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد متكىء على بُرْد له أحمر، فقلت له: يا رسول الله إني جئت أطلب العلم، فقال: «مرحباً بطالب العلم» - فذكر الحديث كما تقدّم في أول الباب.

وأخرج الترمذي عن أبي هارون قال: كنا نأتي أبا سعيد رضي الله عنه فيقول: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ إنَّ النبي ﷺ قال: «إنَّ الناس لكم تبع، وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، وإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً».

وعنده أيضاً عنه عن أبي سعيد مرفوعاً: «يأتيكم رجال من قِبَل المشرق يتعلّمون، فإذا جاؤوكم فاستوصوا بهم خيراً» قال: فكان أبو سعيد إذا رآنا قال: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ. وأخرجه ابن ماجه (ص 37) عنه عن أبي سعيد بمعناه مختصراً. وأخرجه الحاكم (1/ 88) أيضاً من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد مختصراً وقال الحاكم: هذا حديث صحيح ثابت ووافقه الذهبي وقال: لا علّة له. وأخرجه ابن جرير وابن عساكر بالسياق الأول عند الترمذي وزاد: «وعلّموهم ممّا علمكم الله» وفي لفظ: «سيأتيكم قوم من أطراف الأرضين يسألونكم عن الدين، فإذا جاؤوكم فأوسعوا لهم، واستوصوا بهم خيراً، وعلّموهم» وفي لفظ: عند ابن عساكر: «فعلّموهم ثم قولوا: مرحباً مرحباً ادنُوا». كما في «الكنز» (5/ 243).

وأخرج ابن النجار عن أبي سعيد أنه كان إذا أتاه هؤلاء الأحداث قال: مرحباً بوصية رسول الله ﷺ، أمرنا رسول الله ﷺ أن نوسّع لهم في المجلس، ونفقههم الحديث، فإنكم خلوفنا والمحدِّثون بعدنا، وكان مما يقول للحَدَث: إذا أنت لم تفهم الشيء استفهمنيه، فإنك أن تقوم وقد فهمته أحب إليَّ من أن تقوم ولم تفهمه. كذا في «الكنز» (5/ 243).

أخرج ابن ماجه (ص 37) عن إسماعيل قال: دخلنا عن الحسن نعوده حتى ملأنا البيت، فقبض رجليه ثم قال: دخلنا على أبي هريرة نعوده حتى ملأنا البيت فقبض رجليه، ثم قال: دخلنا على رسول الله ﷺ حتى ملأنا البيت وهو مضطجع لجنبه، فلما رآنا قبض رجليه ثم قال: «إنه سيأتيكم أقوام من بعدي يطلبون العلم فرحِّبوا بهم وحيوهم وعلموهم». قال: فأدركنا ـ والله ـ أقواماً ما رحّبوا بنا ولا حيَّونا ولا علمونا إلا بعد أن كنا نذهب إليهم فيجفونا.

وأخرج أحمد والطبراني في «الكبير» عن أم الدرداء قالت: كان أبو الدرداء رضي الله عنه لا يحدِّث حديثاً إلاّ تبسم فيه، فقلت له: إني أخشى أن يُحمِّقك الناس. فقال: كان رسول الله ﷺ لا يحدِّث بحديث إلاّ تبسَّم فيه. قال الهيثمي (1/ 131): وفيه حبيب بن عمرو، قال الدارقطني: مجهول.

* * *

مجالس العلم ومجالسة العلماء

أخرج أبو يعلى (4/ 2437) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل: يا رسول الله أيُّ جلسائنا خير؟ قال: «من ذكَّركم الله رؤيتُه، وزاد في علمكم منطقُه، وذكَّركم بالآخرة عمله». قال المنذري (1/ 76): رواته رواة الصحيح إلا مبارك بن حسان.

وأخرج البزّار (157) عن قُرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا جلس جلس إليه أصحابه حِلَقاً حِلَقاً. وفيه سعيد بن سلام كذَّبه أحمد.

وعن **يزيد الرّقاشي** قال: كان أنس رضي الله عنه مما يقول لنا إذا حدثنا: هذا الحديث؛ إنه والله ما هو بالذي تصنع أنت وأصحابك - يعني يقعد أحدكم فيجتمعون حوله فيخطب - إما كانوا إذا صلّوا الغَداة قعدوا حِلَقاً حِلَقاً يقرؤون القرآن، ويتعلمون الفرائض والسنن. ويزيد الرقَّاشي ضعيف. كذا في «مجمع الزوائد» (1/ 132).

وأخرجه البيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنت في عصابة من المهاجرين جالساً معهم، وإنَّ بعضهم ليستتر ببعض من العُري وقارىء لنا يقرأ علينا، فكنّا نسمع إلى كتاب الله، فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي جعل من أمتي من أُمرت أن أصبر معهم نفسي». قال: فاستدارت الحلقة وبرزت وجوههم، قال: فما عرف رسول الله ﷺ أحداً منهم غيري، فقال رسول الله: «أبشروا معاشر

صعاليك المهاجرين بالنور يوم القيامة، تدخلون قبل الأغنياء بنصف يوم وذلك خمسمائة عام». كذا في «البداية» (6/ 57). . وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 342) أطول منه.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (1/ 50) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بمجلسين في مسجده: أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه، والآخر يتعلّمون الفقه ويعلّمونه، فقال رسول الله: «كلا المجلسين على خير، وأحدهما أفضل من الآخر صاحبه. أما هؤلاء فيدعون الله ويرغَبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلَّمون ويعلِّمون الجاهل؛ وإنما بعثت معلِّماً». (ثم أقبل فجلس معهم) وأخرجه الدارمي نحوه.

وأخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة عن أبي بكر بن أبي موسى أن أبا موسى رضي الله عنه أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد العشاء، فقال له عمر: ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدّث إليك. قال: هذه الساعة؟ قال: إنه فقه. فجلس عمر فتحدثا طويلاً، ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين قال: إنا في صلاة. كذا في «الكنز» (5/ 228).

وأخرج ابن سعد (3/ 501) عن جُندَب بن عبد الله البَجلي قال: أتيت المدينة ابتغاء العلم، فدخلت مسجد رسول الله ﷺ، فإذا الناس فيه حِلَق يتحدثون، فجعلت أمضي الحِلَق حتى أتيت حَلْقة فيها رجل شاحب عليه ثوبان كأنما قدم من سفر، قال: فسمعته يقول: هلك أصحاب العُقدة ورب الكعبة، ولا آسي عليهم - أحسبه قال مراراً - قال: فجلست إليه فتحدث بما قُضي له ثم قام، قال: فسألت عنه بعد ما قام، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا سيد المسلمين أُبَيُّ بن كعب - رضي الله عنه - قال: فتبعته حتى أتى منزله، فإذا هو رَثُّ المنزل، رَثُّ الهيئة، فإذا رجل زاهد

منقطع يشبه أمره بعضه بعضاً، فسلمتُ عليه فرد عليَّ السلام ثم سألني! ممّن أنت؟ قلت: من أهل العراق، قال: أكثروا مني سؤالاً، قال: لمَّا قال ذلك غضبت، قال: فجثوت على ركبتي ورفعت يديَّ هكذا - وصفَّ حيال وجهه - فاستقبلت القبلة، قال: قلت: اللهمَّ نشكوهم إليك، إنا ننفق نفقاتِنا، ونُنصب أبداننا، ونرحل مطايانا ابتغاءَ العلم، فإذا لقيناهم تجهموا لنا وقالوا لنا. قال: فبكى أُبيّ وجعل يترضّاني ويقول: ويحك لم أذهب هناك، لم أذهب هناك، قال: ثم قال: اللهمَّ إني أعاهدك لئن أبقيتني إلى يوم الجمعة لأتكلمنَّ بما سمعتُ من رسول الله ﷺ لا أخاف فيه لومة لائم. قال: لمّا قال ذلك انصرفتُ عنه وجعلتُ أنتظر الجمعة، فلما كان يوم الخميس خرجتُ لبعض حاجتي فإذا السكك غاصّة من الناس لا أجد سكة إلا يلقاني فيها الناس، قال: قلت: ما شأن الناس؟ قالوا: إنا نحسبك غريباً، قال: قلت: أجل. قالوا: مات سيد المسلمين أُبيّ بن كعب؛ قال جندب: فلقيت أبا موسى بالعراق فحدثته حديث أُبي، قال: والهفاه، لو بقي حتى تبلغنا مقالته.

وأخرج ابن سعد (4/ 291) عن هلال بن يِسَاف قال: قدمت البصرة فدخلت المسجد، فإذا أنا بشيخ أبيض الرأس واللحية مستند إلى أسطوانة في حلقة يحدثهم، فسألت من هذا؟ قالوا: عمران بن حصين رضي الله عنهما.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 320) عن أبي صالح قال: لقد رأيت من ابن عباس - رضي الله عنهما - مجلساً لو أن جميع قريش فَخَرَت به لكان لها فخراً، لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا أن يذهب، قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال لي: ضع لي وَضوءاً، قال: فتوضأ

وجلس وقال: أخرج وقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل. قال: فخرجت فآذنتُهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا. ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل. قال: فخرجت فآذنتُهم، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سألوه عنه أو أكثر، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا. ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل. فخرجت فقلت لهم، قال: فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا. ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل، قال: فخرجت فآذنتُهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا. ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل، قال: فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله. قال أبو صالح: فلو أن قريشاً كلها فخرت بذلك لكان فخراً، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس. وأخرجه الحاكم (3/ 538) بنحوه.

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: نعم المجلس الذي تذكر فيه الحكمة. وإسناده حسن، كما قال الهيثمي (1/ 167). وأخرجه ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (1/ 50) بلفظ: نعم المجلس مجلس تُنشر فيه الحكمة، وتُرجى فيه الرحمة. وأخرج الطبراني في «الكبير» عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول: المتقون سادة،

والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة. قال الهيثمي (1/ 126): ذكر هذا في حديث طويل ورجاله موثّقون.

* * *

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامعه» (1/ 126) عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: كان يقال: جالس الكبراء، وخالل العلماء، وخالط الحكماء.

وعنده (1/ 127) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: من فقه الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه مع أهل العلم. وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 211) عن أبي الدرداء مثله وزاد: ومجلسُه.

* * *

احترام مجلس العلم وتعظيمه

أخرج الطبراني في «الكبير» عن أبي حازم عن سهل رضي الله عنه أنه كان في مجلس قومه وهو يحدثهم عن رسول الله ﷺ وبعضهم يقبل على بعض يتحدثون، فغضب ثم قال: انظر إليهم أحدثهم عن رسول الله ﷺ عما رأت عيناي وسمعت أذناي وبعضهم يقبل على بعض!! أما والله لأخرجنَّ من بين أظهركم ولا أرجع إليكم أبداً!! قلت له: أين تذهب؟ قال: أذهب فأجاهد في سبيل الله. قلت: ما لك جهاد، وما تستمسك على الفرس، وما تستطيع أن تضرب بالسيف، وما تستطيع أن تطعن بالرمح، قال: يا أبا حازم أذهب فأكون في الصف فيأتيني سهم عائر أو حجر فيرزقني الله الشهادة. قال الهيثمي (1/ 155): وفيه عبد الحميد بن سليمان وهو ضعيف.

آداب العلماء والطالبين

أخرج أحمد والطبراني عن أبي أُمامة رضي الله عنه أن فتى من قريش أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنى. فأقبل القوم عليه وزجروه فقالوا: مَهْ، مَهْ، فقال: «أُدْنُه» فدنا منه قريباً فقال: «أتحبه لأمك»؟ قال: لا والله جعلني الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»، قال: «أفتحبه لابنتك»؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»؛ قال: «أفتحبه لأختك»؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم»؛ قال: «أتحبه لعمتك»؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم»؛ قال: «أتحبه لخالتك»؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»؛ قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهمَّ اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصن فرجه». قال: فلم يكن بعدُ ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. قال الهيثمي (1/ 129): رواه أحمد والطبراني في «الكبير» ورجاله رجال الصحيح.

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن ابن أُمامة أن النبي ﷺ كان إذا تكلَّم تكلَّم ثلاثاً لكي يُفهم عنه. وإسناده حسن، كما قال الهيثمي (1/ 129).

وأخرج أحمد عن الشَّعْبي قال: قالت عائشة لابن أبي السائب قاصِّ أهل المدينة: ثلاثاً لتتابعني عليهن أو لأناجزنَّك، فقال: وما هن

بل أتابعك أنا يا أم المؤمنين. قالت: اجتنب السجع في الدعاء، فإن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا لا يفعلون ذلك، وقصّ على الناس في كل جمعة مرة، فإن أبيت فثنتين، فإن أبيت فثلاثاً، ولا تُمَلَّ الناس هذا الكتاب، ولا أُلفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقطع عليهم حديثهم؛ ولكن اتركهم فإذا جرؤوك عليه وأمروك به فحدِّثهم. قال الهيثمي (1/ 191): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ورواه أبو يَعْلى بنحوه.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (1/ 105) عن شقيق بن سَلَمة قال: خرج علينا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إني لأخبر بمجلسكم فما يمنعني من الخروج إليكم إلا كراهية مللكم؛ وإن رسول الله ﷺ كان يتخوّلنا بالموعظة مخافة السآمة علينا.

وعند الطبراني في «الكبير» عن الأعمش أن ابن مسعود مرَّ برجل يذكِّر قوماً فقال: يا مذكِّر لا تقنِّط الناس. ورجاله رجال الصحيح ولكن الأعمش لم يدرك ابن مسعود، كما قال الهيثمي (1/ 191).

وأخرج ابن الضَّريس وأبو نعيم في «الحلية» (1/ 77) وابن عساكر وغيرهم عن علي رضي الله عنه قال: ألا أنبئكم بالفقية حقِّ الفقيه؟ من لم يقنِّط الناس من رحمة الله، ولم يرخِّص لهم في معاصي الله تعالى، ولم يؤمنهم مكر الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره، ولا خير في عبادة ليس فيها تفقُّه، ولا خير في فقه ليس فيه تفهم - وفي لفظ: لا ورع فيه - ولا خير في قراءة ليس فيها تدبُّر. كذا في «كنز العمال» (5/ 231). وأخرجه ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (2/ 44) مرفوعاً نحوه ثم قال: لا يأتي هذا الحديث مرفوعاً إلا من هذا الوجه وأكثرهم يوقفونه على علي - انتهى.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى رضي الله عنهما إلى اليمن فقال: «تساندا وتطاوعا، وبشِّرا ولا تنفِّرا» فخطب الناس معاذ فحثَّهم على الإسلام والتفقه والقرآن، وقال: أخبركم بأهل الجنة وأهل النار: إذا ذكر الرجل بخير فهو من أهل الجنة، وإذا ذكر بشر فهو من أهل النار. قال الهيثمي (1/ 166): ورجاله موثَّقون.

وأخرج الحاكم (1/ 94) عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: أصحابُ النبي ﷺ إذا جلسوا كان حديثهم - يعني الفقه - إلا أن يقرأ رجل سورة أو يأمر رجلاً بقراءة سورة. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 306) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لا يكون الرجل من العلم بمكان حتى لا يحسدَ من فوقه، ولا يحقِر من دونه، ولا يبتغي بالعلم ثمناً.

وأخرج ابن عبد البر في «جامع العلم» (1/ 135) عن عمر رضي الله عنه قال: تعلَّموا العلم وعلِّموه الناس، وتعلَّموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه ولمن علمتموه، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم جهلكم بعلمكم. وأخرجه أحمد في «الزهد» (149) والبيهقي وابن أبي شيبة وغيرهم، كما في «الكنز» (5/ 288) وفي نقله: علمكم بجهلكم.

وأخرج المُرهبي وابن عبد البرّ في «العلم» عن علي رضي الله عنه قال: إنّ من حق العالم أن لا تكثر عليه السؤال، ولا تعنته في الجواب، وأن لا تلح عليه إذا أعرض، ولا تأخذ بثوبه إذا كسل، ولا تشير إليه بيدك، وأن لا تغمزه بعينيك، وأن لا تسأل في مجلسه، وأن لا تطلب زلته، وإن زل تأنيت أوبته وقبلت فيئته، وأن لا تقول: قال فلان خلاف

قولك، وأن لا تفشي له سراً، وأن لا تغتاب عنده أحداً، وأن تحفظه شاهداً وغائباً، وأن تعمَّ القوم بالسلام وأن تخصه بالتحية، وأن تجلس بين يديه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته، وأن لا تملَّ من طول صحبته، وإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها منفعة، وإن العالم بمنزلة الصائم المجاهد في سبيل الله، فإذا مات العالم انثلمت في الإسلام ثُلمة لا تُسدُّ إلى يوم القيامة، وطالب العلم يشيِّعه سبعون ألفاً من مقرَّبي السماء. كذا في «الكنز» (5/ 242) و«المنتخب» (4/ 73) وأخرجه الخطيب في «الجامع» عن علي بمعناه مختصراً. كما في «الكنز» (5/ 229).

وأخرج أبو يَعْلى (6/ 3493) عن جميلة أم ولد أنس بن مالك رضي الله عنه قالت: كان ثابت إذا أتى أنساً قال: يا جارية هاتي لي طيباً أمسح يدي، فإن ابن أم ثابت لا يرضى حتى يقبِّل يدي. قال الهيثمي (1/ 130): وجميلة هذه لم أرَ من ترجمها.

وأخرج ابن عبد البرّ في «العلم» (1/ 112): عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن حديث ما منعني منه إلا هيبته، حتى تخلَّف في حج أو عمرة في الأراك الذي ببطن مَرَّ بالظَّهْران لحاجته، فلما جاء وخلوت به قلت: يا أمير المؤمنين إني أريد أن أسألك عن حديث منذ سنتين ما يمنعني إلا هيبة لك. قال: فلا تفعل، إذا أردت أن تسأل فَسَلْني، فإن كان منه عندي علم أخبرتك وإلا قلت لا أعلم، فسألتَ من يعلم؛ قلت: من المرأتان اللتان ذكرهما أنهما تظاهَرَتا على رسول الله ﷺ؟ قال: عائشة وحفصة فذكر الحديث بطوله.

وأخرج أيضاً عن سعيد بن المُسَيِّبِ قال: قلت لسعد بن مالك ـ

رضي الله عنه ـ: إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أهابك، فقال: لا تهبني يا بن أخي، إذا علمتَ أن عندي علماً فسلني عنه، قال: قلت: قول رسول الله ﷺ لعلي ـ رضي الله عنه ـ في غزوة تبوك حين خلَّفه؟ فقال سعد: قال رسول الله ﷺ: «يا علي أما ترضَى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى». وأخرجه ابن سعد (3/ 24) عن سعيد نحوه مع زيادات.

وأخرج ابن سعد عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهَب قال: مرّ جبير بن مُطْعِم رضي الله عنه على ماء فسألوه عن فريضة، فقال: لا علم لي ولكن أرسلوا معي حتى أسأل لكم عنها. فأرسلوا معه فأتى عمر رضي الله عنه فسأله فقال: من سرّه أن يكون فقيهاً عالماً فليفعل كما فعل جبير بن مُطْعِم، سئل عما لا يعلم فقال: الله أعلم. كذا في «الكنز» (5/ 241).

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (2/ 52) عن مجاهد قال: سئل ابن عمر رضي الله عنهما عن فريضة من الصلب فقال: لا أدري، فقيل له: ما يمنعك أن تجيبه؟ فقال: سئل ابن عمر عما لا يدري فقال: لا أدري.

وعند ابن سعد (4/ 144) عن عروة قال: سئل ابن عمر عما لا علم له به فقال: لا علم لي به، فلما أدبر الرجل قال لنفسه: سئل ابن عمر عما لا علم له به فقال: لا علم لي به.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (2/ 54) عن عقبة بن مسلم قال: صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهراً فكان كثيراً ما يُسأل فيقول: لا أدري، ثم يلتفت إليَّ فيقول: أتدري ما يريد هؤلاء؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسراً إلى جهنم.

وأخرج ابن سعد (4/ 168) عن نافع أن رجلاً سأل ابن عمر عن مسألة فطأطأ ابن عمر رأسه ولم يجبه حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته، قال: فقال له: ـ يرحمك الله ـ أما سمعت مسألتي؟ قال: بلى، ولكنكم كأنكم تَرَون أن الله ليس بسائلنا عما تسألوننا عنه، اتركنا ـ يرحمك الله ـ حتى نتفهم في مسألتك؛ فإن كان لها جواب عندنا وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (2/ 51) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أيها الناس من سئل عن علم يعلمه فليقل به، ومن لم يكن عنده علم فليقل: الله أعلم؛ فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، إن الله تبارك وتعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: 86].

وأخرج سعد بن نصر عن عبد الله بن بشير أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سئل عن مسألة فقال: لا علم لي بها، ثم قال: وابَرْدها على الكبد، سئلت عمّا لا أعلم فقلت: لا أعلم. كذا في «الكنز» (5/ 241). وأخرجه الدارمي (1/ 178) عن أبي البَختري وزاذان عن علي ـ مقتصراً على قوله ـ كما في «الكنز» (5/ 243).

وأخرج أبو داود في تصنيفه لحديث مالك عن يحيى بن سعد قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا ترك العالم «لا أعلم» فقد أصيبت مقاتله.

وعن مالك قال: كان ابن عباس يقول: إذا أخطأ العالم «لا أدري» أصيبت مقاتله. كذا في «جامع بيان العلم» (2/ 54).

وأخرج ابن السمعاني عن مكحول قال: كان عمر رضي الله عنه

يحدِّث الناس، فإذا رآهم قد تنابُّوا وملُّوا أخذ بهم في غراس الشجر. كذا في «الكنز» (5/ 241).

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (1/ 131) عن عبد الله بن مصعب قال: قال عمر بن الخطاب: لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية ولو كانت بنت ذي العُصَّة - يعني قيس بن الحصين الحارثي - فمن زاد ألقيت زيادته في بيت المال، فقامت امرأة من صف النساء طويلة فيها فَطَس، فقالت: ما ذاك لك!! قال: ولم؟ قالت: لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: 20]، فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامعه» عن محمد بن كعب القرظي قال: سأل رجل علياً - رضي الله عنه - عن مسألة فقال فيها، فقال الرجل: ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا، فقال علي رضي الله عنه: أصبتَ وأخطأتُ، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76]. وأخرجه ابن جرير بلفظه، كذا في «الكنز» (5/ 241).

وأخرج الخطيب في «رواة مالك» عن سعيد بن المسيَّب أن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما كانا يتنازعان في المسألة بينهما حتى يقول الناظر إليهما لا يجتمعان أبداً، فما يفترقان إلاَّ على أحسنه وأجمله. كذا في «الكنز» (5/ 241).

* * *

ترك الرجل حضوره مجلس العلم لتحصِّل الجماعة العلم

أخرج ابن عساكر عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: جئت في اثني عشر راكباً حتى حللنا برسول الله ﷺ، فقال أصحابي: من يرعى لنا إبلنا وننطلق فنقتبس من نبي الله ﷺ فإذا راح ورحنا أقبسناه مما سمعنا من رسول الله ﷺ؟ ففعلت ذلك أياماً، ثم فكَّرت في نفسي فقلت: لعلي مغبون!! يسمع أصحابي ما لم أسمع، ويتعلمون ما لم أتعلم من نبي الله ﷺ فحضرتُ يوماً فسمعتُ رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ وضوءاً كاملاً كان من خطيئته كيوم ولدته أمه». فعجبت لذلك، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فكيف لو سمعت الكلام الأول كنت أشدّ عجباً؟ فقلت: اردذ عليَّ - جعلني الله فداك - قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئاً فتح الله له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء، ولها ثمانية أبواب» فخرج علينا رسول الله ﷺ فجلست مستقبله، فصرف وجهه عني حتى فعل ذلك مراراً، فلما كانت الرابعة قلت: يا نبي الله - بأبي أنت وأمي - لم تصرف وجهك عني؟ فأقبل عليَّ فقال: «أواحد أحب إليك أم اثنا عشر»؟ فلما رأيت ذلك رجعت إلى أصحابي. كذا في «الكنز» (1/ 77) وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (9/ 307) نحوه.

وأخرج الطبراني عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال:

قدمت في وفد ثقيف حين قدموا على رسول الله ﷺ، فلبسنا حللنا بباب النبي ﷺ، فقالوا: من يمسك لنا رواحلنا؟ فكل القوم أحبَّ الدخول على النبي ﷺ وكره التخلُّف عنه، قال عثمان: وكنت أصغرهم فقلت: إن شئت أمسكت لكم على أنَّ عليكم عهد الله لتمسكنَّ لي إذا خرجتم. قالوا: فذلك لك، فدخلوا عليه، ثم خرجوا فقالوا: انطلق بنا، قلت: أين؟ قالوا: إلى أهلك، فقلت: خرجت من أهلي حتى إذا حللتُ بباب النبي ﷺ أرجع ولا أدخل عليه وقد أعطيتموني ما قد علمتم؟! قالوا: فاعجلْ فإنا قد كفيناك المسألة فلم ندع شيئاً إلا سألناه. فدخلت فقلت: يا رسول الله ادعُ الله أن يفقِّهني في الدين ويعلِّمني. قال: «ماذا قلت»؟ فأعدت عليه القول فقال: «لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد من أصحابك، اذهب فأنت أمير عليهم وعلى من يقدم عليك من قومك» - فذكر الحديث. قال الهيثمي (9/ 371): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير حكيم بن حكيم بن عبَّاد قد وثِّق، وفي رواية أخرى مختصرة قال فيها: فدخلت على رسول الله ﷺ فسألته مُصْحفاً كان عنده فأعطانيه. انتهى.

* * *

مدارسة العلم ومذاكرته وما ينبغي من السؤال وما لا ينبغي

أخرج أبو يَعلى (7/ 4091) عن أنس رضي الله عنه قال: كنا قعوداً مع نبي الله ﷺ - فعسى أن يكون قال: ستين رجلاً - فيحدِّثنا الحديث، ثم يدخل لحاجته فنراجعه بيننا، هذا ثم هذا، فنقول كأنما زُرع في قلوبنا. قال الهيثمي (1/ 161): وفيه يزيد الرَّقَّاشي وهو ضعيف.

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا صلَّى الفجر انحرفنا إليه، فمنا من يسأله عن القرآن، ومنا من يسأله عن الفرائض، ومنا من يسأله عن الرؤيا. قال الهيثمي (1/ 159): وفيه محمد بن عمر الرومي ضعَّفه أبو داود وأبو زُرعة ووثَّقه ابن حبان - اهـ.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (18/ 767) عن فَضَالة بن عبيد رضي الله عنه أنه كان إذا أتاه أصحابه قال: تدارسوا وأبشروا وزيدوا - زادكم الله خيراً وأحبكم وأحب من يحبكم - ردُّوا علينا المسائل، فإن أجر آخرها كأجر أولها، واخلِطوا حديثكم بالاستغفار. قال الهيثمي (1/ 161) ورجاله موثَّقون.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن أبي نَضْرة قال: قلت لأبي سعيد رضي الله عنه: اكتبنا، قال: لن نكتبكم ولن نجعله قرآناً، ولكن خذوا عنا كما أخذنا عن نبي الله ﷺ، كان أبو سعيد يقول: تحدَّثوا فإنَّ

الحديث يذكِّر بعضه بعضاً. قال الهيثمي: (1/ 161) ورجاله رجال الصحيح. وأخرجه الحاكم (1/ 94) وابن عبد البرّ في «جامع العلم» (1/ 111) عن أبي سعيد قال: تذاكروا الحديث فإن مذاكرة الحديث تُهيج الحديث.

وأخرج الحاكم (1/ 95) عن علي رضي الله عنه قال: تذاكروا ذكر الحديث فإنكم إلاَّ تفعلوا يندرس. وأخرجه ابن أبي شيبة، كما في «جامع العلم» (1/ 101) عن علي مثله وزاد في أوله: تزاوروا، وفي روايته: يُدرس (علمكم).

وأخرج الحاكم (1/ 95) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: تذاكروا الحديث فإن الحديث حياته.

وعند ابن عبد البرّ في «العلم» (1/ 22) عن ابن مسعود قال: الدراسة صلاة. وعنده عن ابن عباس رضي الله عنهما (1/ 24) قال: تذاكر العلم بعض ليلة أحب إليَّ من إحيائها.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يا أبا حسن ربما شهدتَ وغبنا، وربما شهدنا وغبتَ؛ ثلاثٌ أسألك عنهن هل عندك منهن علم؟ قال علي: وما هنّ؟ قال: الرجل يحب الرجل ولم يرَ منه خيراً، والرجل يبغض الرجل ولم يرَ منه شراً؛ قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الأرواح في الهوى أجناد مجنَّدة تلتقي فتشامّ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف». قال: واحدة؛ وقال: الرجل يحدِّث الحديث إذ نسيه إذ ذكره، قال علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر، بينما القمر يضيء إذ علته سحابة فأظلم إذ تجلَّت عنه فأضاء، وبينا الرجل يحدِّث

الحديث إذ علته سحابة فنسي إذ تجلَّت عنه فذكر». قال عمر: اثنتان؛ قال: والرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب. قال: نعم، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد ولا أَمَة ينام فيستثقل نوماً إلا عرج بروحه إلى العرش، فالتي لا تستيقظ إلا عند العرش فتلك الرؤيا التي تصدق، والتي تستيقظ دون العرش فهي الرؤيا التي تكذب» فقال عمر: ثلاث كنت في طلبهن فالحمد لله الذي أصبتهن قبل الموت. قال الهيثمي (1/ 162): وفيه أزهر بن عبد الله، قال العقيلي: حديثه غير محفوظ عن ابن عجلان، وهذا الحديث يعرف من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي موقوفاً، وبقية رجاله موثَّقون ـ انتهى.

وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي والخطيب في «الجامع» عن إبراهيم التَّيْميّ قال: خَلاَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم، فجعل يحدِّث نفسه، فأرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال: كيف تختلف هذه الأمة وكتابها واحد ونبيها واحد وقبلتها واحدة؟ قال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمناه فيما نزل وإنه يكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن لا يعرفون فيم نزل، فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا. فزبره عمر وانتهره وانصرف ابن عباس، ثم دعاه بعد فعرف الذي قال ثم قال: إيهاً أعِدْ. كذا في «الكنز» (1/ 228).

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب: قرأت الليلة آية أسهرتني ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: 266] ما عنى؟ فقال بعض القوم: الله أعلم. فقال: إنِّي أعلم أن الله أعلم؛ ولكن إنَّما سألت إن كان عند أحد منكم علم وسمع فيها بشيء أن يخبر بما سمع. فسكتوا، فرآني وأنا أهمس،

قال: قل يا بن أخي لا تحقِر نفسك، قلت: عنى بها العمل. قال: وما عنى بها العمل؟ قلت: شيء أُلقي في رُوعي فقلته. فتركني وأقبل وهو يفسرها، صدقت يا بن أخي عَنَى بها العمل، ابن آدم أفقر ما يكون إلى الجنة إذا كبر سنه وكثرت عياله، وابن آدم أفقر ما يكون إلى عمله يوم القيامة، صدقت يا بن أخي. وأخرجه أيضاً ابن المبارك وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم بمعناه مختصراً، كما في «الكنز» (1/ 234) وصححه الحاكم (3/ 542) على شرط الشيخين.

وأخرج سعيد بن منصور وابن سعد وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر والطبراني (10/ 10617) وابن مردويه وأبو نُعيم والبيهقي (5/ 446) معاً في الدلائل عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال له عبد الرحمٰن بن عوف: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنَّه ممن علِمتم. فدعاهم ذات يوم ودعاني، وما رأيته دعاني يومئذٍ إلا ليريَهم مني، فقال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: 1]؟ حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا الله أن نحمده ونستغفره إذا جاء نصر الله وفتح علينا. وقال بعضهم: لا ندري، وبعضهم لم يقل شيئاً، فقال لي: يا بن عباس أكذلك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجَلُ رسول الله ﷺ أعلَمه الله، إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس، والفتح في مكة، فذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: 3] فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم. كذا في «الكنز» (1/ 276). وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 317) نحوه. وأخرجه الحاكم (3/ 539) عن ابن عباس قال: كان عمر رضي الله عنه يسألني مع أصحاب النبي ﷺ، فقال له عبد الرحمٰن بن عوف: أتسأله ـ فذكر نحوه مختصراً، ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وأخرج الزبير بن بكار في «الموفَّقيات» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سألت عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن قول الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: 101] قال: كان رجال من المهاجرين في أنسابهم شيء، فقالوا يوماً: والله لوددنا أنَّ الله أنزل قرآناً في نسبنا، فأنزل الله ما قرأت، ثم قال لي: إنَّ صاحبكم هذا - يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه - إن وُلِّي زهد؛ ولكن أخشى عُجْبه بنفسه أن يذهب به. قلت: يا أمير المؤمنين إن صاحبنا مَنْ قد علمت والله!! ما تقول: إنَّه ما غيَّر ولا بدَّل ولا أسخط رسول الله ﷺ أيام صحبته؟ فقال: ولا بنت أبي جهل وهو يريد أن يخطبها على فاطمة؟ قلت: قال الله في معصية آدم عليه السلام ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: 115] فصاحبنا لم يعزم على إسخاط رسول الله؛ ولكن الخواطر التي لا يقدر أحد دفعها عن نفسه؛ وربما كانت من الفقيه في دين الله العالم بأمر الله، فإذا نُبِّه عليها رجع وأناب، فقال يا بن عباس: من ظنَّ أنه يَرِدُ بحوركم فيغوص فيها معكم حتى بلغ قعرها فقد ظن عجزاً. كذا في «المنتخب» (5/ 229).

وأخرج مسلم عن عامر بن سعد بن وقاص حدّثه عن أبيه أنه كان قاعداً عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذ طلع خباب - صاحب المقصورة - فقال: يا عبد الله بن عمر ألا تسمع ما يقول أبو هريرة!! يقول إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من خرج مع جنازة من بيتها وصلّى عليها واتبعها حتى تُدفن كان له قيراطان من أجر، كل قيراط مثل أحد، ومن صلّى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد». فأرسل ابن عمر خبّاباً إلى عائشة رضي الله عنها يسألها عن قول أبي هريرة ثم يرجع إليه فيخبره بما قالت، وأخذ ابن عمر قبضة من حصى المسجد يقلبها في يده حتى رجع، فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة. فضرب ابن عمر

بالحصى الذي كان في يده الأرض، ثم قال: لقد فرطنا في قراريط كثيرة. كذا في «الترغيب» (5/ 302).

وأخرج الحاكم (3/ 510) عن الوليد بن عبد الرحمٰن بسياق آخر بمعناه وزاد: فقال أبو هريرة: إنه لم يكن يشغلنا عن رسول الله ﷺ غرس ولا صَفْق بالأسواق، إنما كنت أطلب من رسول الله ﷺ كلمةً يعلمنيها أو أُكلة يطعمنيها. فقال ابن عمر: يا أبا هريرة كنتَ ألزمنا لرسول الله ﷺ وأعلمنا بحديثه. وبهذا السياق أخرجه ابن سعد (4/ 332) عن الوليد إلاّ أنه لم يذكر قول ابن عمر. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (18/ 12288) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض، كلهن في القرآن: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: 217]، و﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: 219]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [البقرة: 220]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: 222]، و﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الانفال: 1]، و﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 215]، ما كانوا يسألون إلاّ عمَّا ينفعهم، قال: وأول من طاف بالبيت الملائكة، وإن ما بين الحِجْر إلى الركن اليماني لقبور من قبور الأنبياء، كان النبي إذا آذاه قومه خرج من بين أظهرهم يعبد الله فيها حتى يموت. قال الهيثمي (1/ 158): وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط وبقية رجاله ثقات. انتهى، وأخرجه البزّار كما في «الإتقان».

وأخرج ابن عبد البرّ في «العلم» (1/ 88) عن عائشة رضي الله عنها قالت: نعم النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يسألن عن الدين ويتفقَّهن فيه.

وأخرج أحمد عن أم سُلَيْم رضي الله عنها قالت: كنت مجاورة أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ فقالت أم سُلَيْم: يا رسول الله، أرأيت إذا رأت المرأة أن زوجها جامعها في المنام أتغتسل؟ فقالت أم سَلَمة: تربْت يداك أمَ سُلَيْم!! فضحتِ النساء عند رسول الله ﷺ. فقالت أم سُلَيْم: إن الله لا يستحي من الحق ولنا أن نسأل النبي ﷺ عما أشكل علينا خير من أن نكون منه على عمياء. فقال النبي ﷺ: «تربت يداك يا أم سُلَيْم عليها الغسل إذا وجدت الماء». فقالت أم سَلَمة: يا رسول الله وهل للمرأة ماء؟ فقال النبي ﷺ: «فأنَّى يشبهها ولدها؟ هن شقائق الرجال». قال الهيثمي (1/ 165): وهو في الصحيح باختصار، وفي إسناد أحمد انقطاع بين أم سُلَيْم وإسحاق.

وأخرج البزّار (198) عن سعد رضي الله عنه قال: كان الناس يتساءلون عن الشيء من أمر النبي ﷺ، يسألون رسول الله ﷺ وهو حلال فلا يزالون يسألون فيه حتى يُحرم عليهم. قال الهيثمي (1/ 158): وفيه قيس بن الربيع وثَّقه شُعبة وسفيان وضعّفه أحمد ويحيى بن معين وغيرهما - انتهى.

وأخرج البزّار (199) عن جابر رضي الله عنه قال: ما نزلت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال. قال الهيثمي: ورجاله ثقات.

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال يوماً وأكثروا عليه فقال: يا حارِ بن قيس: للحارث بن قيس - ما تراهم يريدون إلى ما يسألون؟ قال: ليتعلموه ثم يتركوه. قال: صدقت والذي لا إله غيره. قال الهيثمي: ورجاله موثقون.

وأخرج ابن عبد البرّ في «العلم» (2/ 143) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: يا أيها الناس لا تسألوا عمّا لم يكن؛ فإن عمر كان يلعن من سأل عما لم يكن.

وعنده أيضاً (2/ 142) عن طاوس قال: قال عمر: إنه لا يحلُّ لأحد أن يسأل عمّا لم يكن، إن الله تبارك وتعالى قد قضى فيما هو كائن.

وأخرج أيضاً (2/ 142) عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه رضي الله عنه أنه كان لا يقول برأيه في شيء يسأل عنه حتى يقول: أَنَزل أم لا؟ فإن لم يكن نزل لا يقول فيه، وإن يكن وقع تكلَّم فيه، وقال: وكان إذا سئل عن مسألة فيقول: أوقعتْ؟ فيُقال له: يا أبا سعيد ما وقعت ولكنا نُعدُّها. فيقول: دعوها. فإن كانت وقعت أخبرهم.

وعن مسروق قال: سألت أُبيّ بن كعب رضي الله عنه عن مسألة فقال: أكانت هذه بعد؟ قلت: لا، قال: فَأَجِمَّنِي حتى تكون. وأخرجه ابن سعد (3/ 500) عن مسروق وزاد: قال: فَأَجِمُّنا حتى يكون، فإذا كان اجتهدنا لك رأينا.

وأخرج ابن سعد (3/ 256) عن عامر قال: سئل عمار رضي الله عنه عن مسألة فقال: هل كان هذا بعد؟ قالوا: لا، قال: فدعونا حتى يكون، فإذا كان تجشَّمناها لكم.

* * *

تعلم القرآن وتعليمه وقراءته على القوم

أخرج الطبراني عن أبي أُمامة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، اشتريت مَقْسم بني فلان فربحت فيه كذا وكذا، قال: «ألا أنبئك بما هو أكثر منه ربحاً»؟ قال: وهل يوجد؟ قال: «رجل تعلَّم عشر آيات»، فذهب الرجل فتعلَّم عشر آيات فأتى النبي ﷺ فأخبره. قال الهيثمي (7/ 165): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ورجاله رجال الصحيح.

وأخرج البيهقي عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أعلِّمك سورة ما أُنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها»؟ قلت: بلى، قال: «إني لأرجو أن لا تخرج من ذلك الباب حتى تَعَلَّمها». فقام رسول الله ﷺ وقمت معه، فجعل يحدثني ويدي في يده، فجعلت أتباطأ كراهة أن يخرج قبل أن يخبرني بها، فلما دنوت من الباب قلت: يا رسول الله، السورة التي وعدتني؟ قال: «كيف تقرأ إذا قمت إلى الصلاة»؟ فقرأت فاتحة الكتاب، فقال: «هي هي، وهي السبع المثاني التي قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87] الذي أُعطيت». كذا في «الكنز» (1/ 220).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 342) عن أنس رضي الله عنه قال: أقبل أبو طلحة رضي الله عنه يوماً فإذا النبي ﷺ قائم يُقرىء

أصحاب الصُّفَّة على بطنه فصيل من حجر يقيم به صلبه من الجوع.

وأخرج أبو يعلى (7/ 4096) عن أنس رضي الله عنه قال: قعد أبو موسى رضي الله عنه في بيته واجتمع إليه ناس فأنشأ يقرأ عليهم القرآن، قال: فأتى رسول الله ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله ألا أعجِّبك من أبي موسى قعد في بيت واجتمع إليه ناس فأنشأ يقرأ عليهم القرآن، فقال رسول الله ﷺ: «أتستطيع أن تقعدني حيث لا يراني أحد منهم»؟ قال: نعم، قال: فخرج رسول الله ﷺ قال: فأقعده الرجل حيث لا يراه منهم أحد، فسمع قراءة أبي موسى فقال: «إنه يقرأ على مزمار من مزامير آل داود». قال الهيثمي (9/ 360): رواه أبو يعلى وإسناده حسن - اهـ. وأخرجه ابن عساكر مثله، كما في «الكنز» (7/ 94).

وأخرج ابن سعد (4/ 162) عن أنس بن مالك قال: بعثني الأشعري إلى عمر - رضي الله عنه - فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيِّس ولا تسمعها إياه. ثم قال لي: كيف تركت الأعراب؟ قلت: الأشعريين؟ قال: لا، بل أهل البصرة. قلت: أما إنهم لو سمعوا هذا لشقَّ عليهم. قال: فلا تبلغهم، فإنهم أعراب إلاَّ أن يرزق الله رجلاً جهاداً في سبيل الله.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 256) عن أبي رجاء العُطاردي قال: كان أبو موسى الأشعري يطوف علينا في هذا المسجد مسجد البصرة يقعد حلقاً، فكأني أنظر إليه بين بُردين أبيضين يقرئني القرآن، ومنه أخذت هذه السورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: 1] قال أبو رجاء: فكانت أول سورة أُنزلت على محمد رسول الله ﷺ.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 67) عن علي رضي الله عنه قال: لما قبض رسول الله ﷺ أقسمت - أو حلفت - أن لا أضع ردائي عن

ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي عن ظهري حتى جمعت القرآن.

وأخرج ابن سعد (4/ 121) عن ميمون أن ابن عمر رضي الله عنهما تعلم سورة البقرة في أربع سنين.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 203) عن عُبَيد بن أبي الجَعْد عن رجل من أشجَع قال: سمع الناس بالمدائن أن سلمان - رضي الله عنه - في المسجد، فأتوه فجعلوا يثوبون إليه حتى اجتمع إليه نحو من ألف، قال: فقام فجعل يقول: اجلسوا اجلسوا، فلما جلسوا فتح سورة يوسف يقرؤها، فجعلوا يتصدَّعون ويذهبون حتى بقي في نحو من مائة، فغضب وقال: الزخرفَ من القول أردتم!! ثم قرأت عليكم كتاب الله فذهبتم!!

وأخرج الطبراني (9/ 8663) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرىء الرجل الآية ثم يقول: لهي خير ممّا طلعت عليه الشمس - أو ممّا على الأرض من شيء - حتى يقول ذلك في القرآن كله.

وفي رواية (9/ 8662): كان ابن مسعود إذا أصبح أتاه الناس في داره فيقول: على مكانكم، ثم يمر بالذين يقرئهم القرآن فيقول: أيا فلان بأي سورة أتيت؟ فيخبره في أي آية، فيفتح عليه الآية التي تليها، ثم يقول: تعلَّمها فإنَّها خير لك ممّا بين السماء والأرض، قال: فنظر الرجل آية ليس في القرآن خير منها، ثم يمر بالأخرى فيقول: آية مثل ذلك حتى يقول ذلك لكلِّهم. قال الهيثمي (7/ 167): رواه كله الطبراني ورجال الجميع ثقات.

وأخرج البزّار (158) عن ابن مسعود أنه كان يقول: فعليكم بهذا

القرآن فإنه مأدبة الله، فمن استطاع منكم أن يأخذ من مأدبة الله فليفعل، فإنما العلم بالتعلم. قال الهيثمي (1/ 129): رواه البزّار في حديث طويل ورجاله موثّقون. اهـ.

وعند أبي نُعيم في «الحلية» (1/ 130) عن ابن مسعود قال: إنَّ هذا القرآن مأدبة الله، فمن استطاع أن يتعلَّم منه شيئاً فليفعل، فإن أصفر البيوت من الخير الذي ليس فيه من كتاب الله شيء، وإنَّ البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شيء كخراب البيت الذي لا عامر له، وإنَّ الشيطان يخرج من البيت الذي تسمع فيه سورة البقرة.

وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسن قال: كان رجل يكثر غشيان باب عمر رضي الله عنه، فقال له: اذهب فتعلم كتاب الله، فذهب الرجل ففقده عمر ثم لقيه فكأنه عاتبه، فقال: وجدت في كتاب الله ما أغناني عن باب عمر. كذا في «الكنز» (1/ 217).

* * *

أي قدر من القرآن ينبغي لكل مسلم أن يتعلّم

أخرج عبد الرزاق عن عمر قال: لا بد للرجل المسلم من ست سور يتعلمهن: سورتين لصلاة الصبح، وسورتين للمغرب، وسورتين لصلاة العشاء. كذا في «الكنز» (1/ 217).

وأخرج الحاكم والبيهقي عن المِسْوَر بن مَخْرَمة أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: تعلموا سورة البقرة، وسورة النساء، وسورة المائدة، وسورة الحج، وسورة النور؛ فإن فيهنَّ الفرائض.

وعند أبي عبيد عن حارثة بن مُضَرِّب قال: كتب إلينا عمر أن تعلَّموا سورة النساء والأحزاب والنور.

وعنده أيضاً سعيد بن منصور وأبي الشيخ والبيهقي عن عمر قال: تعلَّموا سورة براءة، وعلموا نساءكم سورة النور، وحلوهنَّ الفضة. كذا في «الكنز» (1/ 224).

* * *

ماذا يفعل من شقَّ عليه القرآن؟

أخرج عبد الغافر بن سلامة الحمصي في «تاريخه» عن أبي ريحانة رضي الله عنه - صاحب النبي ﷺ - قال: أتيت رسول الله ﷺ فشكوت إليه تفلُّت القرآن ومشقته عليّ، فقال: «لا تحمل عليك ما لا تطيق، وعليك بالسجود». قال عميرة: قدم أبو ريحانة عسقلان وكان يكثر السجود. كذا في «الإصابة» (2/ 156).

* * *

ترجيح الاشتغال بالقرآن

أخرج الحاكم (1/ 102) عن قَرَظة بن كعب رضي الله عنه قال: خرجنا نريد العراق، فمشى معنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى صِرار، فتوضأ ثم قال: أتدرون لم مشيت معكم؟ قالوا: نعم، نحن أصحاب رسول الله ﷺ مشيت معنا. قال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدويِّ النحل، فلا تبدونهم بالأحاديث فيشغلونكم، جردوا القرآن، وأقلُّوا الرواية عن رسول الله ﷺ، وامضوا وأنا شريككم. فلما قدم قَرَظة قالوا: حدِّثنا، قال: نهانا ابن الخطاب. قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد، له طرق تجمع ويذاكر بها، وقَرَظة بن كعب الأنصاري صحابي سمع من رسول الله ﷺ، وأما سائر رواته فقد احتجا

به ـ انتهى. ووافقه الذهبي فقال: صحيح وله طرق ـ اهـ.

وأخرجه ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (2/ 120): عن قَرَظة مثله، وفي روايته: فلا تصدُّوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جوِّدوا القرآن. وفي رواية أخرى عنده: ثم قال لنا: أتدرون لم خرجت معكم؟ قلنا: أردت أن تشيِّعنا وتكرمنا. قال: إن مع ذلك لحاجةً خرجت لها، إنكم تأتون بلدة لأهلها دوي ـ فذكر الحديث مثله. وأخرجه ابن سعد (6/ 7) بسياق ابن عبد البرّ إلاّ أن في روايته: جرِّدوا القرآن.

* * *

التشديد على من سأل عن متشابه القرآن

أخرج الدارمي (1/ 55) وابن عبد الحكم وابن عساكر عن مولى ابن عمر رضي الله عنهما أن صَبِيغاً العراقي جعل يسأل عن أشياء عن القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: أين الرجل؟ فقال: في الرَّحْل، قال عمر: أبصر أن يكون ذهب فتصيبك مني العقوبة الموجعة. فأتاه فقال له عمر: عمَّ تسأل، فحدَّثه، فأرسل عمر إليَّ يطلب الجريد، فضربه بها حتى ترك ظهره دَبَرة، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد له ثم تركه حتى برأ، ثم دعا به ليعود به، فقال صبيغ: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد تداويني فقد ـ والله ـ برأت. فأذن له إلى أرضه، وكتب له إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن لا يجالسه أحد من المسلمين، فاشتدّ ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسنت هيئته، فكتب أن ائذن للناس في مجالسته.

وعند الدارمي أيضاً (1/ 54) وابن الأنباري وغيرهما عن سليمان بن يَسَار أن رجلاً من بني تميم يقال له صَبيغ بن عِسْل قدم المدينة وكان عنده كتب، فكان يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر فبعث إليه وقد أعد له عراجين النخل، فلما دخل عليه قال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ. قال عمر: وأنا عبد الله عمر. وأومأ إليه فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجّه وجعل الدم يسيل على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، والله فقد ذهب الذي أجد في رأسي. كذا في «الكنز» (1/ 228). وأخرجه أيضاً الخطيب وابن عساكر من طريق أنس والسائب بن يزيد وأبي عثمان النَّهدي مطوَّلاً ومختصراً، وفي رواية أبي عثمان: وكتب إلينا عمر لا تجالسوه، قال: فلو جاء ونحن مائة لتفرقنا. وأخرجه الدارقطني في «الأفراد» بسند ضعيف عن سعيد بن المسيَّب قال: جاء صبيغ التميمي إلى عمر فسأله عن الذاريات ـ الحديث. وأخرجه ابن الأنباري من وجه آخر عن السائب بن يزيد عن عمر بسند صحيح وفيه: فلم يزل صبيغ وضيعاً في قومه بعد أن كان سيداً فيهم. وأخرجه الإسماعيلي في جمعه حديث يحيى بن سعيد من هذا الوجه. كذا في «الإصابة» (2/ 198).

وأخرج ابن جرير عن الحسن أن ناساً لقوا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بمصر، فقالوا: نرى أشياء من كتاب الله أمر أن يعمل بها لا يُعمل (بها)، فأردنا أن نلقى أمير المؤمنين في ذلك، فقدم وقدموا معه فلقي عمر فقال: يا أمير المؤمنين إن ناساً لقوني بمصر فقالوا: إنا نرى أشياء من كتاب الله أمر أن يعمل بها لا يعمل بها، فأحبوا أن يلقَوك في ذلك. فقال: اجمعهم لي. فجمعهم له، فأخذ أدناهم رجلاً فقال: أنشدك بالله وبحق الإسلام عليك أقرأت القرآن كله؟ فقال: نعم، فقال:

فهل أحصيته في نفسك؟ قال: لا، قال: فهل أحصيته في بصرك؟ قال: لا، قال: فهل أحصيته في لفظك؟ هل أحصيته في أثرك؟ ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم؛ قال: ثكلت عمر أمه! أتكلفونه أن يقيم الناس على كتاب الله؟ قد علم ربنا أنه سيكون لنا سيئات، وتلا: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: 31] هل علم أهل المدينة فيما قدمتم؟ قالوا: لا، قال: لو علموا لوعظتُ بكم؛ كذا في «الكنز» (1/ 228).

* * *

المجلد التاسع

حياة الصحابة

تأليف

محمد بن يوسف الكاندهلوي

نوبليس

حَيَاةُ الصَّحَابَةِ

حياة الصحابة

تأليف

محمد بن يوسف الكاندهلوي

قدّم له

أبو الحسن علي الحسني الندوي

المجلد العاشر

نوبليس

اسم المجموعة: حياة الصحابة

اسم الكتـاب: المجلد العاشر

المـؤلـف: محمد بن يوسف الكاندهلوي

التدقيق والمراقبة: قسم الدراسات في دار نوبِليس

قيـاس الكتـاب: 17 × 24

عدد الصفحات: 200

عدد صفحات المجموعة: 2400

مكـان النشـر: بيروت

دار النشر والتوزيع: دار نوبِليس

تلفاكس: 75 34 58 (1) 961

هاتـف: 21 11 58 (3) 961 - 21 11 58 (1) 961

بريد إلكتروني: NOBILIS_INTERNATIONAL@hotmail.com

الطبعة الأولى: 2006

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كراهة أخذ الأجر على تعليم القرآن وتعلمه

أخرج الطبراني والحاكم (3/ 356) والبيهقي (6/ 125) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يُشغل، فإذا قدم الرجل مهاجراً على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن، فدفع إليَّ رسول الله ﷺ رجلاً كان معي في البيت أعشِّيه عشاء البيت وكنت أقرئه القرآن، فانصرف إلى أهله فرأى أنَّ عليه حقاً، فأهدى إليّ قوساً لم أرَ أجود منها عوداً ولا أحسن منها عطفاً، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: ما ترى يا رسول الله؟ فقال: «جَمْرَة بين كتفيك إن تعلقتها أو قال: تقلدتها» كذا في «الكنز» (1/ 231). قال الحاكم (3/ 356) بعدما أخرجه بنحوه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه ووافقه الذهبي.

وأخرج عبد بن حميد عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه أنه علَّم رجلاً سورة من القرآن فأهدى إليه ثوباً أو خميصة، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «إنك إن أخذته أُلبست ثوباً من النار». قال في «الكنز» (1/ 231): رواته ثقات. اهـ. وأخرجه أيضاً ابن ماجه والرُّوياني والبيهقي - وضعَّفه - وسعيد ابن منصور عنه قال: علَّمتُ رجلاً القرآن فأهدى إليَّ قوساً - فذكره بنحوه، كما في «الكنز» (1/ 230).

وأخرج البغوي وابن عساكر عن الطفيل بن عمرو رضي الله عنه قال: أقرأني أُبيّ بن كعب رضي الله عنه القرآن، فأهديت له قوساً فغدا

إلى النبي ﷺ متقلّدها، فقال له النبي ﷺ: «من سلَّمك هذه القوس يا أُبيّ»؟ فقال: الطفيل بن عمرو الدَّوْسي أقرأته القرآن. فقال له رسول الله ﷺ: «تقلّدْها شِلْوَةً من جهنم». فقال: يا رسول الله إنا نأكل من طعامهم. فقال: «أما طعامٌ صُنع لغيرك فحضرت فلا بأس أن تأكله، وأما ما صنع لك فإنك إن أكلته فإنما تأكل بخَلاقك». قال البغوي: حديث غريب. كذا في «الكنز» (1/ 231). وأخرجه الطبراني في «الأوسط» بنحوه وفيه عبد الله بن سليمان بن عمير ولم أجد من ترجمه ولا أظنه أدرك الطفيل - قال الهيثمي (4/ 95).

وأخرج الطبراني في «الكبير» (18/ 96) عن عوف بن مالك رضي الله عنه أنه كان معه رجل يعلمه القرآن، فأهدى له قوساً، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «أتريد أن تلقَى الله يا عوف وبين كتفيك جمرة من جهنم؟». كذا في «الكنز» (1/ 232). وذكره الهيثمي في «المجمع» (4/ 96) عنه فيه أطول منه وقال: وفيه محمد بن إسماعيل بن عيّاش وهو ضعيف - انتهى.

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن المثنّى بن وائل قال: أتيت عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه، فمسح رأسي، ووضعت يدي على ذراعه، فسأله رجل عن أجر المعلم فقال: دخل على رسول الله ﷺ رجل متنكب قوساً، فأعجبت النبي ﷺ فقال: «ما أجود قوسك! أشتريتها»؟ قال: لا، ولكن أهداها إليَّ رجل أقرأت ابنه القرآن. قال: «فتحب أن يقلِّدك الله قوساً من نار»؟ قال: لا، قال: «فردُّوها». قال الهيثمي (4/ 96) المثنّى وولده ذكرهما ابن أبي حاتم ولم يجرح واحداً منهما وبقية رجاله ثقات.

وأخرج أبو عبيد وغيره عن أسير بن عمرو قال: بلغ عمر بن

الخطاب رضي الله عنه أن سعداً رضي الله عنه قال: من قرأ القرآن ألحقته في ألفين، فقال عمر: أفٍ، أفٍ، أيُعطى على كتاب الله عز وجل؟! كذا في «الكنز» (1/ 228).

وأخرج أبو عبيد عن سعيد بن إبراهيم أن عمر بن الخطاب كتب إلى بعض عماله: أن أعطِ الناس على تعلّم القرآن، فكتب إليه إنك كتبت أن أعطِ الناس على تعلُّم القرآن فتعلمه من ليست له رغبة إلاَّ رغبة الجند. فكتب إليه أن أعطِ الناس على المودّة والصحابة. كذا في «الكنز» (1/ 229).

وأخرج الخطيب في «الجامع» عن مجاهد قال: قال عمر بن الخطاب: يا أهل العلم والقرآن، لا تأخذوا للعلم والقرآن ثمناً؛ فتسبِقَكم الزُّناة إلى الجنة. كذا في «الكنز» (1/ 229).

* * *

خوف الاختلاف عند ظهور القرآن في الناس

أخرج الحاكم (3/ 540) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت قاعداً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ جاءه كتابٌ أن أهل الكوفة قد قرأ منهم القرآن كذا وكذا، فكبر رحمه الله، فقلت: اختلفوا. فقال: أفٍ! وما يدريك؟ قال: فغضب، فأتيت منزلي، قال: فأرسل إليَّ بعد ذلك فاعتللت له، فقال: عزمت عليك إلا جئت، فأتيته فقال: كنت قلت شيئاً. قلت: أستغفر الله لا أعود إلى شيء بعدها. فقال: عزمت عليك إلاَّ أعدت عليَّ الذي قلتَ، قلتُ: قلتَ كُتب إليَّ أنه قد قرأ القرآن كذا وكذا، فقلتُ: اختلفوا، قال: ومن أي شيء عرفت؟ قلتُ: قرأتُ

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾ حتى انتهيت إلى ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [البقرة: 205] فإذا فعلوا ذلك لم يصبر صاحب القرآن، ثم قرأت ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [البقرة: 206 ـ 207] قال: صدقت والذي نفسي بيده. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وعنده أيضاً (3/ 541) عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: بينما ابن عباس مع عمر وهو آخذ بيده، فقال عمر: أرى القرآن قد ظهر في الناس، فقلت: ما أحب ذاك يا أمير المؤمنين، قال: فاجتذب يده من يدي وقال: لِمَ؟ قلت: لأنهم متى يقرؤا يتقرّوا، ومتى يتقرّوا اختلفوا، ومتى يختلفوا يضرب بعضهم رقاب بعض. فقال: فجلس عني وتركني، فظللت عنه بيوم لا يعلمه إلا الله، ثم أتاني رسوله الظهر، فقال: أجِبْ أمير المؤمنين، فأتيته فقال: كيف قلتَ؟ فأعدت مقالتي، قال عمر رضي الله عنه: إن كنتُ لأكتمها الناس.

* * *

مواعظ أصحاب النبي ﷺ لقرّاء القرآن

أخرج ابن زَنجويه عن كنانة العدوي قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد: أن ارفعوا إليَّ كل من حمل القرآن، حتى ألحقَهم في الشرف من العطاء، وأرسلهم في الآفاق يعلِّمون الناس. فكتب إليه الأشعري رضي الله عنه أنه بلغ مَنْ قِبَلي ممّن حمل القرآن ثلاثمائة وبضع رجال، فكتب عمر إليهم:

«بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم، من عبد الله عمر إلى عبد الله بن قيس ومن معه من حَمَلة القرآن. سلام عليكم، أما بعد: فإنَّ هذا القرآن كائن لكم أجراً وكائن لكم شرفاً وذخراً، فاتبعوه ولا يتبعنَّكم؛ فإنَّه من اتبعه القرآن زخ في قفاه حتى يقذفه في النار، ومن تبع القرآن ورد به القرآن جنّات الفردوس، فليكوننَّ لكم شافعاً إن استطعتم ولا يكونَنَّ بكم ماحلاً، فإن من شفع له القرآن دخل الجنة، ومن محل به القرآن دخل النار. واعلموا أن هذا القرآن ينابيع الهدى وزهرة العلم، وهو أحدث الكتب عهداً بالرحمن، به يفتح الله أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً. واعلموا أن العبد إذا قام من الليل فتسوَّك وتوضَّأ ثم كبَّر وقرأ وضع المَلَك فاه على فيه ويقول: اتلُ اتلُ فقد طبتَ وطاب لك، وإن توضأ ولم يستك حفظ عليه ولم يعدُ ذلك. ألا وإن قراءة القرآن مع الصلاة

كنز مكنون وخير موضوع، فاستكثروا منه ما استطعتم، فإن الصلاة نور، والزكاة برهان، والصبر ضياء والصوم جُنَّة، والقرآن حجة لكم أو عليكم، فأكرموا القرآن ولا تهينوه؛ فإنَّ الله مكرمٌ من أكرمه ومهينٌ من أهانه، واعلموا أنه من تلاه، وحفظه وعمل به واتبع ما فيه كانت له عند الله دعوة مستجابة؛ إن شاء عجَّلها له في دنياه وإلا كانت له ذخراً في الآخرة، واعلموا أن ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون». كذا في «الكنز» (1/ 217).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 257) عن أبي كنانة عن أبي موسى أنه جمع الذين قرؤوا القرآن فإذا هم قريب من ثلاثمائة، فعظَّم القرآن وقال: إنّ هذا القرآن كائن لكم أجراً وكائن عليكم وزراً، فاتَّبعوا القرآن ولا يتبعنَّكم القرآن؛ فإنّه من اتَّبع القرآن هبط به على رياض الجنة، ومن تبعه القرآن زَخَّ في قفاه فقذفه في النار.

وعنده أيضاً عن أبي الأسود الديلي (عن أبيه) قال: جمع أبو موسى القرَّاء فقال: لا تُدخلوا عليَّ إلاَّ من جمع القرآن، قال: فدخلنا عليه زهاء ثلاثمائة، فوعظنا وقال: أنتم قرّاء أهل البلد فلا يطولنَّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب أهل الكتاب، ثم قال: لقد أُنزلت سورة كنا نشبهها ببراءة طولاً وتشديداً حفظت منها آية: لو كان لابن آدم واديان من ذهب لالتمس إليهما وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب؛ وأُنزلت سورة كنّا نشبهها بالمسبّحات أولها: سبّح لله، حفظت آية كانت فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: 2]، فتكتب شهادة في أعناقكم ثم تسألون عنها يوم القيامة.

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه أتاه ناس من

أهل الكوفة فقرأ عليهم السلام، وأمرهم بتقوى الله وأن لا يختلفوا في القرآن ولا يتنازعون فيه، فإنه لا يختلف ولا يُنسى ولا ينفد لكثرة الردّ، أفلا ترون أن شريعة الإسلام فيه واحدة حدودَها وفرائضَها وأمرَ الله فيها؟ ولو كان شيء من الحرفين يأتي بشيء ينهى عنه الآخر كان ذلك الاختلاف، ولكنه جامع لذلك كله، وإني لأرجو أن يكون قد أصبح فيكم من الفقه والعلم من خير ما في الناس، ولو أعلم أحداً تُبلغنيه الإبل هو أعلم بما نزل على محمد ﷺ لقصدته حتى أزداد علماً إلى علمي، فقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يُعرض عليه القرآن كل عام مرة فعُرض عام توفي مرتين، فكنت إذا قرأت عليه أخبرني أني محسن، فمن قرأ على قراءتي فلا يَدَعْها رغبة عنها، ومن قرأ على شيء من هذه الحروف فلا يدعه رغبة عنه؛ فإن من جحد بحرف منه جحد به كله. كذا في «الكنز» (1/ 232).

وأخرجه الإمام أحمد (1/ 450) عن رجل من هَمْدان من أصحاب عبد الله قال: لما أراد عبد الله أن يأتي المدينة جمع أصحابه فقال: والله إني لأرجو أن يكون قد أصبح اليوم فيكم من أفضل ما أصبح في أجناد المسلمين من الدين والفقه والعلم بالقرآن ـ فذكر الحديث بطوله. وفي روايته: إنَّ هذا القرآن لا يختلف ولا يَسْتَشِنُّ ولا يتفَه لكثرة الرد. وأخرجه الطبراني. قال الهيثمي (7/ 153): وفيه من لم يُسمَّ وبقية رجاله رجال الصحيح.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 130) عن ابن مسعود قال: ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يُفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون؛ وينبغي لحامل

القرآن أن يكون باكياً محزوناً، حكيماً حليماً، عليماً سكيناً، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا صخّاباً ولا صيّاحاً ولا حديداً. وعنده أيضاً عنه قال: إن استطعت أن تكون أنت المحدِّث وإذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فأرْعِها سمعَك؛ فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه.

* * *

الاشتغال بأحاديث رسول الله ﷺ
وما ينبغي لمن يشتغل بها

أخرج البخاري (59) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدِّث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدِّث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال: وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: «أين» - أراه السائل عن الساعة -؟ قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «فإذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة»، قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

وأخرج البزّار (145) عن وابصة أنّه كان يقوم للناس بالرَّقَّة في المسجد الأعظم يوم الفطر ويوم النحر فقال: إني شهدت رسول الله ﷺ في حجة الوداع وهو يخطب الناس فقال: «يا أيُّها الناس أيُّ شيء أحرم»؟ قالوا: هذا، قال: «أيُّها الناس، أيُّ بلد أحرم»؟ قالوا: هذا، قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم محرَّمة عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم. هل بلغت»؟ قال الناس: نعم، فرفع يديه ﷺ إلى السماء فقال: «اللهم اشهد» ثم قال: «يا أيها الناس، ليبلِّغ الشاهد منكم الغائب» فادنُوا نبلغكم كما قال لنا رسول الله ﷺ. قال الهيثمي (1/ 139): ورجاله موثَّقون.

وأخرج الطبراني (8/ 7614) عن مكحول قال: دخلت أنا وابن أبي

زكريا وسليمان بن حبيب على أبي أُمامة رضي الله عنه بحمص، فسلمنا عليه فقال: إنَّ مجلسكم هذا من بلاغ الله لكم واحتجاجه عليكم، وإن رسول الله ﷺ قد بلَّغ فبلِّغوا.

وفي رواية عن سليم بن عامر قال: كنَّا نجلس إلى أبي أُمامة فيحدثنا حديثاً كثيراً عن رسول الله ﷺ فإذا سكت قال: أعقلتم؟ بلِّغوا كما بُلِّغتم. قال الهيثمي (1/ 140): رواهما الطبراني في «الكبير» وإسنادهما حسن.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «اللهمَّ ارحم خلفائي». قلنا: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: «الذين يأتون من بعدي، ويروون أحاديثي ويعلِّمونها الناس». كذا في «الترغيب» (1/ 74) وأخرجه أيضاً ابن النجار والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» وغيرهما كما في «الكنز» (5/ 240).

وأخرج الحاكم (3/ 512) عن عاصم بن محمد عن أبيه قال: رأيت أبا هريرة رضي الله عنه يخرج يوم الجمعة فيقبض على رمانتي المنبر قائماً ويقول: حدَّثنا أبو القاسم رسول الله الصادق المصدوق ﷺ، فلا يزال يحدِّث حتى إذا سمع فتح باب المقصورة لخروج الإمام للصلاة جلس. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، ووافقه الذهبي.

وأخرج أحمد وابن عدي والعُقَيلي وأبو نعيم في «المعرفة» عن أسلم قال: كنا إذا قلنا لعمر رضي الله عنه: حدثنا رسول الله ﷺ قال: أخاف أن أزيد حرفاً أو أنقص حرفاً، إنَّ رسول الله ﷺ قال: «من كذب عليَّ متعمداً فهو في النار». كذا في «الكنز» (5/ 239).

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن عبد الرحمٰن بن حاطب قال: ما رأيت أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كان إذا حدث أتَمَّ حديثاً ولا أحسن من عثمان ـ رضي الله عنه ـ إلا أنه كان رجلاً يهاب الحديث. كذا في «المنتخب» (5/ 9).

وعند أحمد وأبي يَعْلى والبزّار عن عثمان أنه كان يقول: ما يمنعني أن أحدِّث عن رسول الله ﷺ أن لا أكون أوعَى أصحابه عنه؛ ولكني أشهد لسَمعته يقول: «من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ مقعدَه من النار».

وفي رواية أخرى عندهم عنه مرفوعاً: «من قال عليَّ كذباً فليتبوأ بيتاً في النار». قال الهيثمي (1/ 143): وهو حديث رجاله رجال الصحيح والطريق الأول فيها عبد الرحمٰن بن أبي الزِّناد وهو ضعيف وقد وثق ـ انتهى.

وأخرج الشيخان وغيرهما عن علي رضي الله عنه قال: إذا حدَّثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخِر من السماء أحبّ إليّ من أن أقول ما لم يقل، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإنَّ الحرب خُدْعة. كذا في «الكنز» (5/ 240).

وأخرج الحاكم (3/ 314) عن عمرو بن ميمون قال: كان عبد الله رضي الله عنه تأتي عليه السنة لا يحدِّث عن رسول الله ﷺ، فحدَّث ذات يوم عن رسول الله ﷺ بحديث فعلَته كآبة، وجعل العرق يتحادر على جبهته، ويقول: نحو هذا أو قريباً من هذا. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه، ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (1/ 79) عن مسروق عن عبد الله أنه حدث يوماً بحديث، فقال: سمعت رسول الله ﷺ، ثم أُرعد

وأُرعدت ثيابه وقال: أو نحو هذا أو شبه هذا. وأخرجه ابن سعد (3/ 156) عن عمرو بمعناه وعن مسروق نحوه.

وأخرج الطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات عن أبي إدريس الخَوْلاني قال: رأيت أبا الدرداء إذا فَرغ من الحديث عن رسول الله ﷺ قال: هذا أو نحوه أو شكله. كذا في «مجمع الزوائد» (1/ 141). وأخرجه أبو يعلى والرُوياني وابن عساكر عن أبي الدرداء نحوه، كما في «الكنز» (5/ 242).

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (1/ 79) عن محمد بن سيرين قال: كان أنس بن مالك رضي الله عنه إذا حدّث عن رسول الله ﷺ حديثاً ففرغ منه قال: أو كما قال رسول الله ﷺ. وأخرجه أيضاً أحمد وأبو يعلى والحاكم عن ابن سيرين قال: كان أنس قليل الحديث عن رسول الله ﷺ، وكان إذا حدث ـ فذكر مثله، كما في «الكنز» (5/ 240).

وأخرج ابنُ سعد (4/ 144) عن أبي جعفر محمد بن علي قال: لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ أحد أحذَرَ إذا سمع من رسول الله ﷺ شيئاً ألا يزيد فيه ولا ينقص منه ولا من عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وعنده أيضاً (4/ 145) عن الشّعبي قال: جالست ابن عمر سنة فما سمعته يحدِّث عن رسول الله ﷺ شيئاً.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (18/ 195) عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: سمعت من رسول الله ﷺ أحاديث سمعتها وحفظتها ما يمنعني أن أحدِّث بهما إلا أنَّ أصحابي يخالفوني فيها. قال الهيثمي: ورجاله موثَّقون.

وعند أحمد عن مُطرِّف قال: قال لي عمران بن الحصين: أيْ مُطَرِّف، والله إنْ كنت لأرى أني لو شئت حدّثت عن رسول الله ﷺ يومين متتابعين لا أعيد حديثاً، ثم لقد زادني بُطأً عن ذلك وكراهية له أن رجالاً من أصحاب محمد ﷺ أو بعض أصحاب محمد ﷺ شهدتُ كما شهدوا وسمعت كما سمعوا يحدثون أحاديث شُبِّه لهم، فكان أحياناً يقول: لو حدّثتكم أني سمعت نبي الله ﷺ يقول كذا وكذا رأيت أني قد صَدَقت، وأحياناً يعزم يقول: سمعت نبي الله ﷺ يقول كذا وكذا. قال الهيثمي (1/ 141) وفيه أبو هارون الغنوي لم أرَ من ترجمه.

وأخرج ابن سعد (3/ 229) وابن عساكر عن سليمان بن أبي عبد الله قال: سمعت صُهَيْباً رضي الله عنه قال: والله لأحدثكم تعمُّداً أقول: ما قال رسول الله ﷺ، ولكن تعالوا أحدثْكم عن مغازيه ما شهدت وما رأيت، أما أن أقول: قال رسول الله ﷺ، فلا. كذا في «المنتخب» (5/ 203).

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (1/ 79) عن مكحول قال: دخلت أنا وأبو الأزهر على واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، فقلنا: يا أبا الأسقع حدثنا بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه وهم ولا زيادة ولا نقصان، قال: هل قرأ أحد منكم من القرآن الليلة شيئاً؟ فقلنا: نعم، وما نحن بالحافظين له حتى إنا لنزيد الواو والألف، فقال: هذا القرآن مذ كذا بين أظهركم لا تألون حفظه وإنكم تزعمون أنكم تزيدون وتنقصون، فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله ﷺ عسى ألا يكون سمعناها منه إلا مرة واحدة، حَسْبكم إذا حدثتكم بالحديث على المعنى.

وأخرج ابن عساكر عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف قال: و الله ما مات عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حتى بعث إلى أصحاب

رسول الله ﷺ فجمعهم من الآفاق: عبد الله بن حُذافة، وأبا الدرداء، وأبا ذر، وعقبة بن عامر - رضي الله عنهم فقال: ما هذه الأحاديث التي قد أنشيتم عن رسول الله ﷺ في الآفاق؟ قالوا: تنهانا؟ قال: لا، أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت فنحن أعلم نأخذ ونرد عليكم، فما فارقوه حتى مات. كذا في «الكنز» (5/ 239).

وأخرجه الطبراني في «الأوسط» عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن قال: بعث عمر بن الخطاب إلى ابن مسعود وأبي مسعود الأنصاري وأبي الدرداء - رضي الله عنهم - فقال: ما هذا الحديث الذي تكثرون عن رسول الله ﷺ؟ فحبسهم بالمدينة حتى استشهد. قال الهيثمي (1/ 149) هذا أثر منقطع، وإبراهيم ولد سنة عشرين ولم يدرك من حياة عمر إلا ثلاث سنين - انتهى. وأخرجه ابن سعد (4/ 153) عن إبراهيم نحوه وذكر أبا ذر بدل أبي مسعود.

وأخرج ابن عساكر عن ابن أبي أوفى قال: كنا إذا أتينا زيد بن أرقم رضي الله عنه فنقول: حدثنا عن رسول الله ﷺ، فيقول: كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله ﷺ شديد. كذا في «الكنز» (5/ 239).

* * *

الاعتناء بالعمل فوق الاعتناء بالعلم

أخرج ابن عدي والخطيب عن معاذ رضي الله عنه وابنُ عساكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً: تعلَّموا ما شئتم أن تعلَّموا فلن ينفعكم الله حتى تعملوا بما تعلمون.

وعند أبي الحسن بن الأخرم المَدِيني في «أماليه» عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: تعلَّموا من العلم ما شئتم، فوالله لا تُؤجروا بجميع العلم حتى تعملوا. كذا في «الجامع الصغير».

وذكر ابن عبد البرّ في «العلم» (2/ 6) عن مكحول عن عبد الرحمٰن ابن غَنْم قال: حدثني عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: كنا نتدارس العلم في مسجد قُباء إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: تعلموا ـ فذكر نحوه.

وأخرج الخطيب في «الجامع» عن علي رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله ما ينفي عني حجة الجهل؟ قال: «العلم» قال: فما ينفي عني حجة العلم؟ قال: «العمل». وفيه عبد الله بن خِراش وهو ضعيف. كذا في «الكنز» (5/ 229).

وأخرج ابن أبي شيبة عن عمر رضي الله عنه قال: تعلَّموا كتاب الله تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله. كذا في «الكنز» (5/ 229).

أخرج أحمد في «الزهد» (162) وأبو عبيد والدِينَوَري في «الغريب»

وابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال: تعلَّموا العلم تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، فأنه سيأتي من بعدكم زمان يُنكَر فيه الحق تسعةُ أعشاره، وإنه لا ينجو فيه إلا كل نُوَمَةٍ منبتٌّ، إنما أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم، ليسوا بالعُجُل المَذَاييعِ البُذُرِ. كذا في «الكنز» (5/ 229).

وذكر ابن عبد البرّ (2/ 7) عن علي أنه قال: يا حملةَ العلم اعملوا به؛ فإنما العالم من علم ثم عمل ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقِيَهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملُهم علمهم، يقعدون حلَقاً فيباهي بعضهم بعضاً، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عز وجل. وأخرجه الدارقطني في «الجامع» وابن عساكر والنَّرسي عن علي مثله. كما في «الكنز» (5/ 233).

وأخرج الطبراني (9/ 8760) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: يا أيها الناس تعلَّموا فمن علم فليعمل. قال الهيثمي (1/ 164): رجاله موثَّقون إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه - انتهى. وأخرجه أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 131) عن علقمة عن عبد الله نحوه.

وعن عبد الله بن عُكَيم قال: سمعت ابن مسعود في هذا المسجد يبدأ باليمين قبل الكلام، فقال: ما منكم من أحد إلا أن ربه تعالى سيخلوا به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، فيقول: يا ابن آدم ما غرَّك بي؟ ابنَ آدم ماذا أجبت المرسَلين؟ ابنَ آدم ماذا عملتَ فيما علمتَ.

وعن عدي بن عدي قال: قال ابن مسعود: ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه!! وويل لمن يعلم ثم لا يعمل - سبع مرات. وأخرجه ابن

عبد البرّ في «العلم» (2/ 2) عن عبد الله بن عُكَيم عن ابن مسعود نحو ما تقدم.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (2/ 6) عن ابن مسعود قال: إنَّ الناس أحسنوا القول كلهم، فمن وافق فعله قوله فذلك الذي أصاب حظَّه، ومن خالف قوله فعله فإنما يوبخ نفسه.

وعنده أيضاً (2/ 10) عنه قال: ما استغنى أحد بالله إلا احتاج إليه الناس، وما عمل أحد بما علَّمه الله إلا احتاج الناس إلى ما عنده. وأخرج ابن عساكر أيضاً الحديث الأول مثله، كما في «الكنز» (5/ 243).

وأخرج البيهقي عن لقمان ـ يعني ابن عامر ـ قال: كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: إنما أخشى من ربي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوسِ الخلائق فيقول لي: يا عويمر، فأقول: لبيك ربِّ، فيقول: ما عملتَ فيما علمتَ. كذا في «الترغيب» (1/ 90). وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 214) عن لقمان بنحوه.

وعنده أيضاً (1/ 214) عن أبي الدرداء قال: أخوف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: يا عويمر أعملتَ أم جهلتَ؟ فإن قلتُ: عملتُ. لا تبقى آية آمرة أو زاجرة إلا أخذَتْ بفريضتها: الآمرةُ هل ائتمرتَ؟ والزاجرةَ هل ازدجرتَ؟ وأعوذ بالله من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يسمع.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 213) عن أبي الدرداء قال: لا يكون تقياً حتى يكون عالماً، ولن يكون بالعلم جميلاً حتى يكون به عاملاً.

وعنده أيضاً (1/ 211) عنه مثل قول ابن مسعود من طريق عدي.

وعنده أيضاً (1/ 223) عنه قال: إن من شر الناس عند الله عز وجل منزلة يوم القيامة عالماً لا ينتفع بعلمه.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (2/ 3) عن معاذ رضي الله عنه قال: لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن جسده فيم أبلاه، وعن عمره فيم أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه كيف عمل فيه. وعنده أيضاً (2/ 6) عن معاذ قال: اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلمه حتى تعملوا. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 236) عن معاذ مثله.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (2/ 6) عن أنس رضي الله عنه قال: تعلَّموا ما شئتم أن تعلَّموا، فإن الله لا يأجركم على العلم حتى تعملوا به، إن العلماء همتهم الوعاية، وإن السفهاء همتهم الرواية.

* * *

اتباع السنة واقتداء السلف والإنكار على البدعة

أخرج اللالكائي في «السنّة» عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: عليكم بالسبيل والسنة؛ فإنه ما على الأرض عبد على السبيل والسنة ذكر الرحمٰن ففاضت عيناه من خشية الله فيعذّبَه، وما على الأرض عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعرّ جلده من خشية الله؛ إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقها فهي كذلك إذا أصابها ريح شديد فتحاتّ عنها ورقها، إلا حطَّ الله عنه خطاياه، كما تحاتّ عن تلك الشجرة ورقها، وإن اقتصاداً في سبيل الله وسنةٍ خير من اجتهاد في خلاف سبيل الله وسنة، فانظروا أن يكون عملكم إن كان جهاداً واقتصاداً أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم. كذا في «الكنز» (1/ 97). وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 253) نحوه.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (2/ 187) عن سعيد بن المسيَّب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قدم المدينة قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس إنه قد سُنت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتُركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً.

وأخرج ابن عبد البرّ في «العلم» (2/ 181) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقوم يوم الخميس قائماً فيقول: إنما هما اثنان: الهَدْيُ والكلام، فأفضل الكلام - أو أصدق الكلام - كلام الله، وأحسن

الهَدْي هَدْي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، ألاَ وكل مُحْدَثة بدعة، ألاَ لا يتطاولنَّ عليكم الأمر فتقسو قلوبكم ولا يلهينَّكم الأمل، فإن كل ما هو آتٍ قريب، ألا إن بعيداً ما ليس آتياً.

وأخرج الحاكم (1/ 103) عن ابن مسعود قال: الاقتصاد في السنّة أحسن من الاجتهاد في البدعة. قال الحاكم: هذا حديث مسند صحيح على شرطهما ولم يخرِّجاه، ووافقه الذهبي، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (10/ 10488)، كما في «المجمع» (1/ 173).

وأخرج أحمد عن عِمران بن حُصَين رضي الله عنهما قال: نزل القرآن وسن رسول الله ﷺ السنن، ثم قال: اتَّبعونا فوالله إن لم تفعلوا تضلُّوا. قال الهيثمي (1/ 173): وفيه علي بن زيد بن جُدعان وهو ضعيف.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (2/ 191) عن عمران بن حُصَين أنه قال لرجل: إنك امرؤ أحمق!! أتجد في كتاب الله الظهر أربعاً لا تجهر فيها بالقراءة؟ ثم عدَّد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ثم قال: أتجد في كتاب الله مفسراً؟ إن كتاب الله أبهم هذا وإن السنة تفسر ذلك.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (2/ 97) عن ابن مسعود قال: من كان منكم متأسِّياً فليتأسَّ بأصحاب محمد ﷺ؛ فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلَّها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً؛ قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 305) بمعناه عن ابن عمر رضي الله عنهما كما تقدّم في صفة الصحابة الكرام.

وأخرج عبد البرّ في «العلم» (2/ 97) عن حذيفة رضي الله عنه أنه كان يقول: اتّقوا الله يا معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم، فلعمري لئن اتبعتموه فلقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً. وأخرجه ابن أبي شيبة وابن عساكر عن حذيفة نحوه، كما في «الكنز» (5/ 233).

وأخرج الطبراني في «الكبير» (1/ 317) عن مصعب بن سعد قال: كان أبي إذا صلّى في المسجد تجوَّز وأتم الركوع والسجود، وإذا صلّى في البيت أطال الركوع والسجود والصلاة، قال: يا بني إنّا أئمة يُقتدى بنا. قال الهيثمي (1/ 182): رجاله رجال الصحيح.

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: اتَّبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم. قال الهيثمي (1/ 181): رجاله رجال الصحيح.

وعن ابن عبد البرّ في «العلم» (2/ 187) عنه قال: حبُّ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ومعرفة فضلهما من السُنَّة.

وأخرج ابن عبد البرّ في «العلم» (2/ 114) عن علي رضي الله عنه قال: إياكم والاستنان بالرجال؛ فإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة ثم ينقلب لعلم الله فيه فيعمل بعمل أهل النار فيموت وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فينقلب لعلم الله (فيه) فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت وهو من أهل الجنة، فإن كنتم لا بد فاعلين فبالأموات لا بالأحياء.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (4/ 381) عن أبي البختري قال: أخبر رجل عبد الله بن مسعود أن قوماً يجلسون في المسجد بعد المغرب

فيهم رجل يقول: كبِّروا الله كذا وكذا، سبِّحوا الله كذا وكذا، واحمدوا الله كذا وكذا، قال عبد الله: فيقولون؟ قال: نعم، قال: فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم. فأتاهم وعليه برنس له، فجلس فلما سمع ما يقولون قام ـ وكان رجلاً حديداً ـ فقال: أنا عبد الله بن مسعود، والله الذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماً، أو قد فَضَلْتُم أصحاب محمد ﷺ علماً!!، فقال معضد: والله ما جئنا ببدعة ظلماً ولا فضلنا أصحاب محمد علماً، فقال عمرو بن عتبة: يا أبا عبد الرحمٰن! نستغفر الله، قال: عليكم بالطريق فالزموه فوالله لئن فعلتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لتَضِلُّنَّ ضلالاً بعيداً.

وأخرجه أيضاً من طريق أبي الزعراء قال: جاء المسيَّب بن نُجْبة إلى عبد الله فقال: إني تركت قوماً في المسجد ـ فذكر نحوه.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (9/ 8630) عن أبي البختري قال: بلغ عبد الله بن مسعود أن قوماً يقعدون بين المغرب والعشاء ـ فذكر نحوه إلا أن في روايته: فقال: لقد جئتم بدعة ظلماً؛ وإلا فضللنا أصحابَ محمد ﷺ!! فقال عمرو بن عتبة بن فرقد: أستغفر الله يا بن مسعود وأتوب إليه، فأمرهم أن يتفرقوا. قال: ورأى ابن مسعود حلقتين في مسجد الكوفة فقام بينهما فقال: أيتكما كانت قبل صاحبتها؟ قالت إحداهما: نحن، فقال للأخرى: قوموا إليها. فجعلهم واحدة. قال الهيثمي (1/ 181): رواه الطبراني في «الكبير» وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط؛ وفي بعض طرق الطبراني الصحيحة المختصرة: فجاء عبد الله بن مسعود متقنِّعاً فقال: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا عبد الله بن مسعود، إنكم لأهدَى من محمد ﷺ وأصحابه، أو إنكم لتعلقون بذَنَب ضلالة. انتهى.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (9/ 8636) أيضاً عن عمرو بن سَلَمة قال: كنا قُعوداً على باب ابن مسعود رضي الله عنه بين المغرب والعشاء فأتى أبو موسى رضي الله عنه فقال: اخرج إلينا أبا عبد الرحمٰن. فخرج ابن مسعود، فقال: أبا موسى ما جاء بك هذه الساعة؟ قال: لا والله إلاَّ أني رأيت أمراً ولقد ذعرني وإنه لخير، قوم جلوس في المسجد ورجل يقول: سبِّحوا كذا وكذا، احمدوا كذا وكذا، قال: فانطلق عبد الله وانطلقنا معه حتى أتاهم فقال: ما أسرع ما ضللتم وأصحابُ رسول الله ﷺ أحياء، وأزواجه شوابٌّ، وثيابه وآنيته لم تغيَّر. احصُوا سيئاتكم فأنا أضمن على الله أن يُحصي حسناتكم. قال الهيثمي (1/ 181): وفيه مُجالد بن سعيد وثَّقه النَّسائي وضعَّفه البخاري وأحمد بن حنبل ويحيى.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (3/ 167) عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال: جئت أبي فقال: أين كنت؟ فقلت: وجدت أقواماً ما رأيت خيراً منهم، يذكرون الله تعالى فيُرعد أحدهم حتى يُغشى عليه من خشية الله تعالى فقعدت معهم، قال: لا تقعد معهم بعدها، فرأى كأنه لم يأخذ ذلك فيّ، فقال: رأيت رسول الله ﷺ يتلو القرآن ورأيت أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ يتلوان القرآن فلا يصيبهم هذا، أفتراهم أخشع لله تعالى من أبي بكر وعمر؟! فرأيتُ أن ذلك كذلك فتركتهم.

وأخرج الطبراني في «الكبير» عن أبي صالح سعيد بن عبد الرحمٰن بن عنز التُّجيبي أنه كان يقص على الناس وهو قائم، فقال له صِلة بن الحارث الغِفاري رضي الله عنه ـ وهو من أصحاب النبي ﷺ: والله ما تركنا عهد نبينا، ولا قطعنا أرحامنا حتى قمت أنت وأصحابك بين أظهرنا. قال الهيثمي (1/ 189): وإسناده حسن. اهـ. وأخرجه أيضاً البخاري والبغوي ومحمد بن الربيع الجيزي وابن السَّكن، وقال ابن

السَّكَن: ليس لصلة غيرُ هذا الحديث. كذا في «الإصابة» (2/ 193).

وأخرج الطبراني (9/ 8637) عن عمرو بن زرارة قال: وقف عليَّ عبد الله - يعني ابن مسعود - رضي الله عنه وأنا أقص فقال: يا عمرو لقد ابتدعت بدعة ضلالةٍ؛ أو إنك لأهدى من محمد ﷺ وأصحابه؟ ولقد رأيتهم تفرقوا عني حتى رأيت مكاني ما فيه أحد. قال الهيثمي (1/ 189): رواه الطبراني في «الكبير» وله إسنادان أحدهما رجاله رجال الصحيح - انتهى.

* * *

الاحتراز عن اتباع الرأي على غير أصل

أخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (2/ 134) عن ابن شهاب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو على المنبر: أيها الناس إن الرأي إنما كان من رسول الله ﷺ مصيباً لأن الله كان يريه، وإنما هو منا الظن والتكلُّف.

وعنده أيضاً (2/ 135) عن صَدَقة بن أبي عبد الله أن عمر بن الخطاب كان يقول: إن أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يَعُوها، واستحيَوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن برأيهم، فإياكم وإياهم.

وعنده أيضاً (2/ 136) عن عمر قال: السنة ما سنه الله ورسوله، لا تجعلوا خطأ الرأي سنة للأمة. وأخرج الحديث الأول ابن أبي حاتم والبيهقي أيضاً عن عمر مثله، كما في «الكنز» (5/ 241) وزاد ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: 28].

وأخرج ابن المنذر عن عمرو بن دينار أن رجلاً قال لعمر: بما أراك الله، قال: مه، إنما هذه للنبي ﷺ خاصة. كذا في «الكنز» (5/ 241).

وأخرج الطبراني عن الشَّعْبي قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: إياكم وأرأيت وأرأيت، فإنما هلك من كان قبلكم بأرأيت وأرأيت، ولا تقيسوا شيئاً بشيء فتزلّ قدم بعد ثبوتها، فإذا سئل أحدكم عما لا يعلم

فليقل: الله أعلم؛ فإنه ثلث العلم. قال الهيثمي (1/ 180): والشَّعْبي لم يسمع من ابن مسعود، وفيه جابر الجُعفي وهو ضعيف. انتهى.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (9/ 8550) عن ابن مسعود قال: ما من عام إلا الذي بعده شرٌّ منه، ولا عام خير من عام، ولا أمّة خير من أمة، ولكن ذهاب علمائكم وخياركم. ويحدُث قوم يقيسون الأمور برأيهم فينهدم الإسلام وينثلم. قال الهيثمي (1/ 180): وفيه مجالد بن سعيد وقد اختلط اهـ. وأخرجه ابن عبد البرّ في «العلم» (2/ 135) بنحوه.

وأخرج ابن عبد البرّ في «العلم» (2/ 136) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنما هو كتاب الله وسنة رسوله، فمن قال بعد برأيه فما أدري أفي حسناته يجد ذلك أم في سيئاته؟

وأخرج ابن عبد البرّ في «العلم» (2/ 33) عن عطاء عن أبيه قال: سئل بعض أصحاب النبي ﷺ عن شيء فقال: إني لأستحيي من ربي أن أقول في أمة محمد برأي.

* * *

اجتهاد أصحاب النبي ﷺ

أخرج أبو داود والترمذي والدارمي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لمَّا بعثه إلى اليمن قال: «كيف تقضي إذا عرض لك قضاء»؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله»؟ قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: «فإن لم تجد في سنة رسول الله»؟ قال: أجتهد برأيي ولا آلو، قال: فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال: «الحمد لله الذي وفّق رسولَ رسولِ الله لما يرضى به رسولُ الله». كذا في «المشكاة» (ص 316).

وأخرج ابن سعد وابن عبد البرّ في «العلم» عن محمد بن سيرين قال: لم يكن أحدٌ بعد النبي ﷺ أهيَب لما لا يعلم من أبي بكر - رضي الله عنه -، ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيَب لما لا يعلم من عمر، وإنَّ أبا بكر نزلت به قضية فلم يجد لها في كتاب الله تعالى أصلاً ولا في السنة أثراً فقال: أجتهد برأيي، فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأً فمني، وأستغفر الله. كذا في «الكنز» (5/ 241).

وأخرج ابن عبد البرّ في «العلم» (2/ 56) عن الشَّعبي عن شريح أن عمر كتب إليه: إذا أتاك أمر فاقضِ فيه بما في كتاب الله، فإن أتاك ما ليس في كتاب الله فاقضِ بما سنّ فيه رسول الله، فإن أتاك ما ليس في كتاب الله ولم يسنَّ فيه رسول الله ﷺ ولم يتكلّم فيه أحد فأيَّ الأمرين شئت فخذ به.

وفي رواية أخرى عنده: فإن شئت أن تجتهد رأيك فتقدَّم، وإن شئت أن تتأخر، فتأخر، وما أرى التأخر إلا خيراً لك.

وأخرج ابن عبد البرّ في «العلم» (2/ 57) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من عرض له منه قضاء فليقضِ بما في كتاب الله، فإن جاءه ما ليس في كتاب الله فليقضِ بما قضى به نبيه ﷺ، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولم يقضِ به نبي ﷺ ولم يقضِ به الصالحون فليجتهد رأيه فليقر ولا يستحي. وفي رواية أخرى عنده: فليجتهد رأيه ولا يقولنَّ إني أرى وأخاف، فإن الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبين ذلك أمور مشتبِهات فدعوا ما يَريبكم لما لا يَريبكم.

وأخرج ابن عبد البرّ في «العلم» (2/ 57) عن عبد الله بن أبي يزيد قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل عن شيء فإن كان في كتاب الله قال به، وإن لم يكن في كتاب الله وكان عن رسول الله ﷺ قال به، فإن لم يكن في كتاب الله ولا عن رسول الله وكان عن أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ قال به، فإن لم يكن في كتاب الله ولا عن رسول الله ﷺ ولا عن أبي بكر ولا عن عمر اجتهد رأيه. وعنده أيضاً: عن ابن عباس قال: كنا إذا أتانا الثَّبتُ عن علي رضي الله عنه لم نعدل به. وأخرج ابن سعد (4/ 181) الحديث الأول بمعناه.

وأخرج ابن عبد البرّ في «العلم» (2/ 58) عن مسروق قال: سألت أُبيّ بن كعب رضي الله عنه عن شيء فقال: أكان هذا؟ قلت: لا، قال: فأجِمّنا حتى يكون فإذا كان اجتهدنا لك رأينا.

أخرج ابن عبد البرّ في «الجامع» (2/ 163) عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ ـ أراه قال: في المسجد ـ فما كان منهم محدِّث إلا ودَّ أن أخاه قد كفاه

الحديث، ولا مُفْتٍ إلا ودَّ أن أخاه كفاه الفتيا. وأخرجه ابن سعد (6/ 110) عن عبد الرحمٰن نحوه وزاد: من الأنصار.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (2/ 165) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من أفتى الناس في كل ما يستفتونه فهو مجنون. وهكذا أخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (9/ 8923) عن ابن مسعود نحوه ورجاله موثَّقون، كما قال الهيثمي (1/ 183).

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (2/ 166) عن حذيفة رضي الله عنه قال: إنما يُفْتي الناس أحد ثلاثة: رجل يعلم ناسخ القرآن ومنسوخَه، وأمير لا يجد بداً، وأحمق متكلِّف. وأخرج ابن عبد البرّ في جامع العلم (2/ 166) عن ابن سيرين قال: قال عمر لأبي مسعود - عقبة بن عمر رضي الله عنهما - ألم أُنَبَّأ أنك تفتي الناس؟ وَلِّ حارَّها مَن تولى قارَّها. وزاد في رواية أخرى (2/ 143) ولستَ بأمير.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (2/ 166) عن أبي المنهال قال: سألت زيد بن أرقم والبراء بن عازب - رضي الله عنهما - عن الصَّرف، فجعل كلما سألت أحدهما قال: سلِ الآخر؛ فإنه خير مني وأعلم مني - وذكر الحديث في الصرف.

وأخرج ابن عساكر عن أبي حُصَين قال: إن أحدهم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لجمع لها أهل بدر. كذا في «الكنز» (5/ 241).

وأخرج ابن سعد (4/ 151) عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل من كان يفتي الناس في زمن رسول الله ﷺ فقال: أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - ما أعلم غيرهما.

وعنده أيضاً عن القاسم بن محمد قال: كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ـ رضي الله عنهم ـ يفتون على عهد رسول الله ﷺ.

وعنده أيضاً (4/ 157) عن الفضيل بن أبي عبد الله (عن عبد الله) بن دينار عن أبيه قال: كان عبد الرحمٰن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ ممَّن يفتي في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان بما سمع من النبي ﷺ. وأخرجه ابن عساكر عن عبد الله بن دينار الأسلمي عن أبيه مثله، كما في «المنتخب» (5/ 77).

وأخرج ابن سعد (4/ 160) عن أبي عطية الهَمْداني قال: كنت جالساً عند عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فأتاه رجل فسأل عن مسألة، فقال: هل سألت عنها أحداً غيري؟ قال: نعم، سألت أبا موسى ـ رضي الله عنه ـ وأخبره بقوله: فخالفه عبد الله ثم قام. فقال: لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين أظهركم.

وعنده أيضاً عن أبي عمرو الشيباني قال: قال أبو موسى الأشعري: لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم ـ يعني ابن مسعود ـ. وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 129) عن أبي عطية وعامر عن أبي موسى قوله نحوه.

وأخرج ابن سعد (4/ 167) عن سهل بن أبي خيثمة قال: كان الذين يفتون على عهد رسول الله ﷺ ثلاثة نفر من المهاجرين وثلاثة من الأنصار: عمر وعثمان وعلي وأُبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت رضي الله عنهم.

وعنده أيضاً (4/ 168) عن مسروق قال: كان أصحاب الفتوى من أصحاب رسول الله ﷺ: عمر وعلي وابن مسعود وزيد وأُبيّ بن كعب وأبو موسى الأشعري.

وأخرج ابن سعد (4/ 175) عن قبيصة بن ذؤيب بن حَلحَلة قال: كان زيد بن ثابت مترئساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض في عهد عمر وعثمان وعلي في مقامه بالمدينة، وبعد ذلك خمس سنين حتى ولي معاوية سنة أربعين فكان كذلك أيضاً حتى توفي زيد سنة خمس وأربعين.

وأخرج ابن سعد (4/ 181) عن عطاء بن يسار أن عمر وعثمان ـ رضي الله عنهما ـ كانا يدعوان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فيشير مع أهل بدر، وكان يفتي في عهد عمر وعثمان إلى يوم مات.

وأخرج ابن سعد (4/ 187) عن زياد بن مِيناء قال: كان ابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وجابر بن عبد الله، ورافع بن خديج، وسلمة بن الأكوع، وأبو واقد الليثي، وعبد الله بن بُحَينة، مع أشباه لهم من أصحاب رسول الله ﷺ ـ يفتون بالمدينة، ويحدثون عن رسول الله ﷺ من لدن توفي عثمان إلى أن توفوا. والذين صارت إليهم الفتوى منهم: ابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله.

وأخرج ابن سعد (4/ 189) عن القاسم قال: كانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ قد استقلّت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وهَلُمَّ جراً إلى أن ماتت يرحمها الله، وكنت ملازماً لها مع برّها بي ـ فذكر الحديث.

* * *

علوم أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم

أخرج أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: لقد تركَنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكَّرنا منه علماً، قال الهيثمي (8/ 263): رواه أحمد والطبراني وزاد: فقال النبي ﷺ: «ما بقي شيء يقرِّب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيِّن لكم» ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المُقْري وهو ثقة، وفي إسناد أحمد من لم يُسمَّ ـ انتهى. وأخرجه الطبراني عن أبي الدرداء مثل حديث أبي ذر عند أحمد. قال الهيثمي (8/ 264) ورجاله رجال الصحيح ـ اهـ. وأخرجه ابن سعد (4/ 170) عن أبي ذر مثله.

وأخرج أحمد عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: عقلت عن رسول الله ﷺ ألف مَثَل. قال الهيثمي (8/ 264): وإسناده حسن. وأخرج البغوي وابن عساكر وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها فذكرت الحديث وفيه: فما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي بغنَائها وفصلها، قالوا: أين يُدفن رسول الله ﷺ؟ فما وجدنا عند أحد من ذلك علماً، فقال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من نبي يُقبض إلا دفن تحت مضجعه الذي مات فيه»، قالت: واختلفوا في ميراثه فما وجدوا عند أحد من ذلك علماً، فقال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّا معشر الأنبياء لا نُورث، ما تركنا صدقة». كذا في «منتخب الكنز» (4/ 346).

وأخرج الطبراني عن أبي وائل قال: قال عبد الله ـ رضي الله عنه ـ لو أنَّ علم عمر رضي الله عنه وضع في كِفَّة الميزان ووضع علم أهل الأرض في كِفّة لرجح علمه بعلمهم. قال وكيع قال الأعمش: أنكرت ذلك فأتيت إبراهيم فذكرته له، فقال: وما أنكرت من ذلك؟ فوالله لقد قال عبد الله أفضل من ذلك، قال: إني لأحسب تسعة أعشار العلم ذهب يوم ذهب عمر. قال الهيثمي (9/ 69): رواه الطبراني بأسانيد ورجال هذا رجال الصحيح غير أسد بن موسى وهو ثقة. انتهى. وأخرجه ابن سعد (4/ 153) نحوه.

وأخرج الطبراني (9/ 8803) في حديث طويل في وفاة عمر عن عبد الله ـ يعني ابن مسعود ـ قال: إنَّ عمر كان أعلمنا بالله، وأقرأنا لكتاب الله، وأفقهنا في دين الله. كذا في مجمع الزوائد (9/ 69).

وأخرج ابن سعد (4/ 153) عن حذيفة رضي الله عنه قال: لكأن علم الناس كان مدسوساً في جُحْر مع عمر.

وعنده أيضاً عن رجل من أهل المدينة قال: دُفعتُ إلى عمر بن الخطاب فإذا الفقهاء عنده مثل الصبيان قد استعلى عليهم في فقهه وعلمه.

وأخرج الطبراني (1/ 156) عن أبي إسحاق أن علياً رضي الله عنه لمّا تزوج فاطمة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ: زوجتنيه أعيمش عظيم البطن؟! فقال النبي ﷺ: «لقد زوجتُكِه وإنه لأول أصحابي سِلْماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً». قال الهيثمي (9/ 102): هو مرسل صحيح الإسناد ـ اهـ.

وأخرجه الطبراني وأحمد عن مَعْقِل بن يَسَار ـ فذكر الحديث وفيه:

«أما ترضَين أن أزوجك أقدم أمتي سِلْماً؛ وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً». قال الهيثمي (1019): وفيه خالد بن طُهْمان وثَّقه أبو حاتم وغيره وبقية رجاله ثقات.

وأخرج ابن سعد (4/ 154) عن علي قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، إنَّ ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طَلْقاً.

وعنده أيضاً (4/ 156) عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيَّب قال: كان عمر يتعوّذ بالله من معضلة ليس فيها أبو حسن.

وأخرج ابن سعد (4/ 159) عن مسروق قال: قال عبد الله: ما أُنزلت سورة إلا وأنا أعلم فيما نزلت، ولو أعلم أن أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلُغه الإبل أو المطايا لأتيته.

وعنده أيضاً عن مسروق قال: لقد جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ، فالإخاذ يروي الرجل، والإخاذ يروي الرجلين، والإخاذ يروي العشرة، والإخاذ يروي المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله بن مسعود من ذلك الإخاذ.

وأخرج ابن سعد (4/ 161) عن زيد بن وَهْب قال: أقبل عبد الله ذات يوم وعمر جالس فلما رآه مقبلاً قال: كُنَيْفٌ مُليء فقهاً ـ وربما قال الأعمش: علماً ـ. وعن أسد بن وَدَاعة أن عمر ذكر ابن مسعود فقال: كُنَيف مليء علماً آثرتُ به أهل القادسية.

وأخرج ابن سعد (4/ 162) عن أبي البَختري قال: أتينا علياً رضي الله عنه فسألناه عن أصحاب محمد ﷺ، فقال: عن أيهم؟ قال: قلنا: حدثنا عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: عَلِم القرآن والسنة ثم انتهى وكفى بذلك علماً. قال: حدثنا عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ

قال: صُبغ في العلم صِبغة ثم خرج منه. قال: قلنا: حدثنا عن عمار بن ياسر ـ رضي الله عنهما ـ فقال: مؤمن نَسي وإذا ذُكِّر ذكر. قال: قلنا: حدثنا عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ فقال: أعلم أصحاب محمد ﷺ بالمنافقين، قال: قلنا: حدثنا عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: وعَى علماً ثم عجز فيه، قال: قلنا: أخبرنا عن سلمان ـ رضي الله عنه ـ قال: أدرك العلم الأول والعلم الآخر، بحر لا يُنزح قعره، منا أهلَ البيت، قال: قلنا: فأخبرنا عن نفسك يا أمير المؤمنين، قال: إياها أردتم!! كنت إذا سألتُ أُعطيت، وإذا سكتُّ ابتُدئتُ.

وأخرج ابن سعد (4/ 165) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين، فقلت: غلط أبو عبد الرحمٰن، إنَّما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 120] فأعادها عليَّ فقال: إنَّ معاذ بن جبل كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين، فعرفت أنه تعمد الأمر تعمداً فسكتُّ، فقال: أتدري ما الأمة؟ وما القانت؟ فقلت: الله أعلم، فقال: الأمة الذي يعلِّم الناس الخير، والقانت المطيع لله ولرسوله، وكذلك كان معاذ (كان) يعلِّم الناس الخير، وكان مطيعاً لله ولرسوله.

وأخرج ابن سعد (4/ 167) عن مسروق قال: شاممت أصحاب رسول الله ﷺ فوجدت علمهم انتهى إلى ستة: إلى عمر، وعلي، وعبد الله، ومعاذ، وأبي الدرداء، وزيد بن ثابت ـ رضي الله عنهم ـ، فشاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى علي وعبد الله رضي الله عنهما.
وأخرج ابن سعد (4/ 176) عن مسروق قال: قدمت المدينة فسألت عن أصحاب النبي ﷺ فإذا زيد بن ثابت من الراسخين في العلم.

وأخرج ابن سعد (4/ 181) عن مسروق قال: قال عبد الله: لو أن ابن عباس أدرك أسناننا ما عشَّره منا رجل. وزاد النضر في هذا الحديث: نِعْم ترجمان القرآن ابن عباس.

وأخرج ابن سعد (4/ 181) عن مجاهد قال: كان ابن عباس يسمّى البحر من كثرة علمه.

وأخرج ابن سعد (4/ 181) عن ليث بن أبي سُلَيم قال: قلت لطاوس: لزمتَ هذا الغلام - يعني ابن عباس - وتركت الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ؟! فقال: إني رأيت سبعين من أصحاب رسول الله ﷺ إذا تدارؤوا في شيء صاروا إلى قول ابن عباس.

وأخرج ابن سعد (4/ 183) عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت أبي يقول: ما رأيت أحداً أحضَر فهماً، ولا ألبَّ لباً، ولا أكثر علماً، ولا أوسَعَ حلماً من ابن عباس، ولقد رأيت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يدعوه للمعضلات ثم يقول: عندك قد جاءتك معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإنَّ حوله أهلُ بدر من المهاجرين والأنصار.

وأخرج ابن سعد (4/ 185) عن أبي الزِّناد أن عمر بن الخطاب دخل على ابن عباس يعوده وهو يُحمّ، فقال عمر: أخلَّ بنا مرضك، فالله المستعان!!

وأخرج ابن سعد (4/ 185) عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: لقد أُعطي ابن عباس فهماً ولَقْناً وعلماً، ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدِّم عليه أحداً.

وأخرج ابن سعد (4/ 185) عن محمد بن أُبيٍّ بن كعب قال: سمعت أُبيّ بن كعب - رضي الله عنه - يقول: وكان عنده ابن عباس -

رضي الله عنهما ـ فقام فقال: هذا يكون حبر هذه الأمة، وأُتي عقلاً وفهماً، وقد دعا له رسول الله ﷺ أن يفقهه في الدين.

وأخرج ابن سعد (4/ 185) عن طاوس قال: كان ابن عباس رضي الله عنهما قد بسق على الناس في العلم كما تبسق النخل السَّحوق على الوَدِيِّ الصغار.

وأخرج الحاكم (3/ 537) عن أبي وائل قال: حججت أنا وصاحب لي وابن عباس على الحج، فجعل يقرأ سورة النور ويفسرها، فقال صاحبي: يا سبحان الله!! ماذا يخرج من رأس هذا الرجل؟ لو سمعت هذا الترك لأسلمتْ. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، وفي رواية أخرى عنده: فجعلت أقول: ما رأيتُ ولا سمعتُ كلام رجل مثله، لو سمعتْه فارس والروم لأسلمت!!

وأخرج ابن سعد (4/ 184) عن ابن عباس قال: دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً فسألني عن مسألة كتب إليه بها يَعْلى بن أمية من اليمن وأجبته فيها، فقال عمر: أشهد أنك تنطق عن بيت نبوة.

وأخرج ابن سعد (4/ 182) عن عطاء قال: كان ناس يأتون ابن عباس للشعر وناس للأنساب وناس لأيام العرب ووقائعها، فما منهم من صنف إلاَّ يُقبل عليه بما شاء.

وأخرج ابن سعد (4/ 183) عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: كان ابن عباس قد فات الناس بخصالٍ: بعلمِ ما سبقه، وفقهٍ فيما احتيج إليه من رأيه، وحلم وسَيْب ونائل، وما رأيتَ أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ منه، ولا أعلم بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان ـ

رضي الله عنهم ـ منه، ولا أفقه في رأي منه، ولا أعلم بما مضى ولا أثقف رأياً فيما احتيج إليه منه، ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه، ويوماً التأويل، ويوماً المغازي، ويوماً الشعر، ويوماً أيام العرب، وما رأيت عالماً قطّ جلس إليه إلاَّ خضع له، ما رأيت سائلاً قطّ سأله إلاَّ وجد عنده علماً.

وأخرج ابن سعد (4/ 186) عن ابن عباس قال: كنت ألزم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، فأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ وما نزل من القرآن في ذلك، وكنت لا آتي أحداً منهم إلا سُرّ بإتياني لقربي من رسول الله ﷺ، فجعلت أسأل أُبيّ بن كعب يوماً ـ وكان من الراسخين في العلم ـ عما نزل من القرآن بالمدينة، فقال: نزل بها سبع وعشرون سورة وسائرها بمكة.

وأخرج ابن سعد (4/ 186) عن عكرمة قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ يقول: ابن عباس أعلمنا بما مضى، وأفقهنا فيما نزل ممَّا لم يأتِ فيه شيء. قال عكرمة: فأخبرت ابن عباس بقوله فقال: إنَّ عنده لعلماً، ولقد كان يسأل رسول الله ﷺ عن الحلال والحرام.

وأخرج ابن سعد (4/ 184) عن عائشة رضي الله عنها أنها نظرت إلى ابن عباس ومعه الحِلَق ليالي الحج وهو يُسأل عن المناسك فقالت: هو أعلم من بقي بالمناسك.

وأخرج ابن سعد (4/ 186) عن يعقوب بن زيد عن أبيه قال: سمعت جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ يقول حين بلغه موت ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وصَفَق بإحدى يديه على الأخرى: مات أعلم الناس وأحلم الناس، ولقد أُصيبت به هذه الأمة مصيبة لا تُرتق!!

وأخرج ابن سعد (4/ 187) عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: لمَّا مات ابن عباس قال رافع بن خديج ـ رضي الله عنه ـ: مات اليوم من كان يحتاج إليه مَنْ بين المشرق والمغرب في العلم!!

وأخرج ابن سعد (3/ 183) عن أبي كلثوم قال: لما دُفن ابن عباس رضي الله عنهما ـ قال ابن الحنفية: اليوم مات ربانيُّ هذه الأمة.

أخرج ابن سعد (4/ 187) عن عمرو بن دينار قال: كان ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يعدُّ من فقهاء الأحداث.

وأخرج ابن سعد (4/ 188) عن خالد بن مَعْدان قال: لم يبقَ من أصحاب رسول الله ﷺ بالشام أحد كان أوثق ولا أفقه ولا أرضى من عبادة بن الصامت وشدّاد بن أوس ـ رضي الله عنهما ـ.

وأخرج ابن سعد (4/ 188) عن حنظلة بن أبي سفيان عن أشياخه قالوا: لم يكن أحد من أحداث أصحاب رسول الله ﷺ أفقه من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وأخرج الحاكم (3/ 510) عن أبي الزعيزعة كاتب مروان بن الحكم أن مروان دعا أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ فأقعدني خلف السرير، وجعل يسأله وجعلت أكتب، حتى إذا كان عند رأس الحول دعا به فأقعده وراء الحجاب فجعل يسأله عن ذلك، فما زاد ولا نقص ولا قدَّم ولا أخّر. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، وقال الذهبي: صحيح.

وأخرج ابن سعد (4/ 189) عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ قال: ما كان أصحاب رسول الله ﷺ يَشُكُّون في شيء إلا سألوا عنه عائشة رضي الله عنها، فيجدون عندها من ذلك علماً.

وأخرج ابن سعد (4/ 189) عن قَبيصة بن ذؤيب قال: كانت عائشة رضي الله عنها أعلم الناس يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ.

وعنده أيضاً عن أبي سَلَمة قال: ما رأيت أحداً أعلم بسنن رسول الله ﷺ، ولا أفقه في رأي إن احتيج إلى رأيه، ولا أعلم بآية فيما نزلت ولا فريضة من عائشة رضي الله عنها.

وأخرج ابن سعد (4/ 189) عن مسروق أنه قيل له: هل كانت عائشة رضي الله عنها تحسن الفرائض؟ قال: إي والذي نفسي بيده، لقد رأيت مشيخة أصحاب رسول الله ﷺ الأكابرَ يسألونها عن الفرائض. وأخرجه الطبراني (3/ 291) بلفظه وإسناده حسن، كما قال الهيثمي (9/ 242).

وأخرج ابن سعد (4/ 189) عن محمود بن لبيد قال: كان أزواج النبي ﷺ يحفظن من حديث النبي ﷺ كثيراً ولا مِثْلاً لعائشة وأم سلمة رضي الله عنهما، وكانت عائشة تفتي في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما إلى أن ماتت يرحمها الله، وكان الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ عمر وعثمان بعده يرسلان إليها فيسألانها عن السنن.

وأخرج الطبراني (3/ 296) عن معاوية رضي الله عنه قال: والله ما رأيت خطيباً قط أبلغ ولا أفصح ولا أفطن من عائشة. قال الهيثمي (9/ 243): رجاله رجال الصحيح.

وعنده أيضاً (3/ 296) عن عروة قال: ما رأيت امرأة أعلم بطب ولا بفقه ولا بشعر من عائشة. وإسناده حسن كما ذكر الهيثمي (9/ 242). وأخرج البزّار - واللفظ له - وأحمد والطبراني في «الأوسط» و«الكبير» عن عروة قال: قلت لعائشة: إني أفكر في أمرك فأعجب،

أجدك من أفقه الناس، فقالت: ما يمنعها زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر!! وأجدك عالمة بأيام العرب وأنسابها وأشعارها، فقلت: وما يمنعها وأبوها علاَّمة قريش!! ولكن أعجب أني وجدتك عالمة بالطب فمن أين؟ فأخذت بيدي فقالت: يا عُريَّة إنَّ رسول الله ﷺ كثرت أسقامه فكانت أطباء العرب والعجم يبعثون له، فتعلمت ذلك. وفي رواية أحمد: وكنت أعالجها له، فمن ثَمَّ. قال الهيثمي (9/ 242): وفيه عبد الله بن معاوية الزبيري قال أبو حاتم: مستقيم الحديث وفيه ضعف وبقية رجال أحمد والطبراني في «الكبير» ثقات. انتهى.

* * *

العلماء الربانيون وعلماء السوء

أخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (1/ 126) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال لأصحابه: كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى، أحلاس البيوت، سُرُج الليل، جُدُد القلوب، خُلْقان الثياب، تُعرفون في السماء وتخفَون على أهل الأرض.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 77) عن علي ـ رضي الله عنه ـ بمعناه إلا أن في روايته: وتُذكروا به في الأرض، بدل قوله: وتخفون على أهل الأرض.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 325) عن وَهْب بن مُنَبِّه قال: أُخبر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن قوماً عند باب بني سهْم يختصمون ـ أظنه قال: في القَدَر ـ فنهض إليهم وأعطى مِحْجنه عكرمة، ووضع إحدى يديه عليه والأخرى على طاوس، فلما انتهى إليهم أوسعوا له ورحبوا به فلم يجلس فقال لهم: انتسبوا لي أعرفكم. فانتسبوا له ـ أو من انتسب منهم ـ فقال: أو ما علمتم أن لله تعالى عباداً أصمتتهم خشيته من غير بَكَم ولا عِيّ، وإنّهم لهم العلماء والفصحاء والطُّلقاء والنبلاء، العلماء بأيام الله عز وجل، غير أنهم إذا تذكَّروا عظمة الله عز وجل طاشت لذلك عقولهم، وانكسرت قلوبهم، وانقطعت ألسنتهم، حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلى الله عز وجل بالأعمال الزاكية، يعدّون أنفسهم مع المفرِّطين وإنهم لأكياس أقوياء، ومع الظالمين والخطَّائين،

وإنهم لأبرار برآء إلاَّ أنهم لا يستكثرون له الكثير، ولا يرضون له القليل، ولا يدلُّون عليه بالأعمال، هم حيثما لقيتهم مهتمون مشفقون وجِلون خائفون؛ قال: وانصرف عنهم فرجع إلى مجلسه.

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال: لو أنَّ أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لسادوا أهل زمانهم، ولكنهم وضعوه عند أهل الدنيا لينالوا من دنياهم فهانوا عليهم، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «من جعل الهموم همّاً واحداً ـ همَّ المعاد ـ كفاه الله سائر الهموم، ومن شعّبته الهموم (في) أحوال الدنيا لم يبالِ الله في أي أوديتها هلك». كذا في «الكنز» (5/ 243). وأخرجه ابن عبد البرّ في جامع العلم (1/ 187) عن ابن مسعود نحوه.

وأخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (1/ 188) عن سفيان بن عيينة قال: بلغنا عن ابن عباس أنه قال: لو أنَّ حملة العلم أخذوه بحقه وما ينبغي، لأحبهم الله وملائكته والصالحون ولهابَهم الناس، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله وهانوا على الناس.

وأخرج عبد الرزاق (20742) عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كيف بكم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، وتُتخذ سنة؛ فإن غُيِّرت يوماً قيل: هذا منكر؟ قيل: ومتى ذلك؟ قال: إذا قلَّت أمناؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلَّت فقهاؤكم، وكثرت قراؤكم، وتُفقّه لغير الدين، والتمست الدنيا بعمل الآخرة. كذا في «الترغيب» (1/ 82). وأخرجه ابن عبد البرّ في «العلم» (1/ 188) بمعناه. وفي روايته: وتُتخذ سنة مبتدعة يجري عليها الناس، فإذا غُيِّر منها شيء قيل: قد غُيِّرت السنة، وزاد: وقلَّ فقهاؤكم، وكَثَر أمراؤكم.

وأخرج ابن عبد البرّ في «العلم» (1/ 187) عن أبي ذر رضي

الله عنه قال: تَعَلَّمُنَّ أن هذه الأحاديث التي يُبْتَغَى بها وجه الله تعالى لا يتعلمها أحد يريد بها عَرَضَ الدنيا - أو قال: لا يريد بها إلا عرض الدنيا - فيجد عَرْف الجنة أبداً. وعنده أيضاً (2/ 6) عن أبي معن قال: قال عمر لكعب - رضي الله عنهما -: ما يُذْهب العلم من قلوب العلماء بعد أن حفظوه ووعَوه؟ فقال: يذهبه الطمع وتطلُّب الحاجات إلى الناس.

وأخرج عبد الرزاق عن علي رضي الله عنه أنه ذكر فتناً تكون في آخر الزمان، فقال له عمر - رضي الله عنه -: متى ذلك يا علي؟ قال: إذا تُفُقِّهَ لغير الدين، وتُعُلِّمَ العلم لغير العمل، والتمست الدنيا بعمل الآخرة. كذا في «الترغيب» (1/ 82).

وأخرج ابن عبد البرّ في «العلم» (2/ 194) عن عمر قال: إنَّما أخاف عليكم رجلين: رجل يتأوَّل القرآن على غير تأويله، ورجل يتنافس المُلْك على أخيه. وأخرج ابن أبي شيبة الجزء الأول، كما في «الكنز» (5/ 233).

وأخرج ابن سعد وأبو يعلى عن الحسن قال: لمَّا قدم وفد البصرة على عمر فيهم الأحنف بن قيس سرَّحهم وحبسه عنده حولاً، ثم قال: هل تدري لم حبستك؟ إنَّ رسول الله ﷺ حذَّرنا كل منافق عليم اللسان، وإني تخوفتُ أن تكون منهم ولست منهم إن شاء الله.

وأخرج البيهقي وابن النجار عن أبي عثمان النَّهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول على المنبر: إياكم والمنافق العالم. قالوا: وكيف يكون المنافق عليماً؟ قال: يتكلم بالحق ويعمل بالمنكر.

وعند جعفر القريابي وأبي يَعْلى ونصر وابن عساكر عن عمر قال:

كنا نتحدث إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم اللسان. كذا في «الكنز» (5/ 232).

وعند مسدَّد وجعفر الفريابي عن أبي عثمان النَّهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول على المنبر: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم: قالوا: وكيف يكون منافق عليم يا أمير المؤمنين؟ قال: عالم اللسان جاهل القلب والعمل. كذا في «الكنز» (5/ 233).

وأخرج ابن عبد البرّ في «العلم» (1/ 167) عن حذيفة رضي الله عنه قال: إياكم ومواقف الفتن، قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدِّقه بالكذب، ويقول له ما ليس فيه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ على أبواب السلاطين فتناً كمبارك الإبل، والذي نفسي بيده لا تصيبون من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينكم مثله ـ أو قال: مثليه.

* * *

ذهاب العلم ونسيانه

أخرج الحاكم (1/ 99) عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ نظر إلى السماء يوماً، فقال: «هذا أوانُ يُرفع العلم»، فقال له رجل من الأنصار يقال له ابن لبيد: يا رسول الله كيف يُرفع العلم وقد أُثبت في الكتاب ووعته القلوب؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنْ كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة»! ثم ذكر ضلالة اليهود والنصارى على ما في أيديهم من كتاب الله، قال: فلقيت شدّاد بن أوس رضي الله عنه فحدَّثته بحديث عوف بن مالك فقال: صَدَق عوف، ألا أخبرك بأول ذلك يرفع؟ قلت: بلى، قال: الخشوع حتى لا ترى خاشعاً. قال الحاكم: هذا صحيح، وقد احتج الشيخان بجميع رواته، وكذا قال الذهبي. وأخرجه البزَّار (232) والطبراني في «الكبير» (18/ 75) عن عوف نحوه، كما في «مجمع الزوائد» (1/ 200). وأخرجه ابن عبد البرّ في العلم (1/ 152) بنحوه وفي روايته: فقال له رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد: يُرفع عنا يا رسول الله وفينا كتاب الله وقد علَّمناه أبناءنا ونساءنا!! وفي روايته: ثم قال شدّاد: هل تدري ما رفع العلم؟ قال: قلت: لا أدري، قال: ذهاب أوعيته، هل تدري أيُّ العلم يُرفع؟ قال: قلت: لا أدري، قال: الخشوع حتى لا يُرى خاشعاً. وأخرجه الحاكم أيضاً من حديث أبي الدرداء وابن لبيد الأنصاري رضي الله عنهما والطبراني في «الكبير» عن صفوان بن عَسَّال ووحشي بن حرب رضي الله

عنهما؛ كما في «المجمع» بمعناه. وفي رواية أبي الدرداء: هذا التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا يغني عنهم؟. وفي رواية وحشي: ما يرفعون بها رأساً. وفي رواية ابن لبيد: لم ينتفعوا منه بشيء.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (9/ 8991) عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: تدرون كيف يُنقص الإسلام؟ قالوا: كما يُنقص صبغ الثوب، وكما ينقص سِمَن الدابة، وكما ينقص الدرهم من طول الخِباء، قال: إن ذلك لمنه. وأكبرُ من ذلك موت ـ أو ذهاب ـ العلماء. قال الهيثمي (1/ 202): ورجاله موثَّقون ـ اهـ.

وأخرج الطبراني في «الكبير» (5/ 4751) عن سعيد بن المسيَّب قال: شهدت جنازة زيد بن ثابت رضي الله عنه، فلما دفن في قبره قال ابن عباس رضي الله عنهما: يا هؤلاء من سرّه أن يعلم كيف ذهاب العلم فهكذا ذهاب العلم، وأيْم الله، لقد ذهب اليوم علم كثير. قال الهيثمي (1/ 202): وفيه علي بن زيد بن جُدعان وفيه ضعف ـ اهـ.

وعند ابن سعد (4/ 177) عن عمّار بن أبي عمّار قال: لما مات زيد بن ثابت قعدنا إلى ابن عباس في ظل القصر، فقال: هكذا ذهاب العلم، لقد دُفن اليوم علم كثير.

وعنده أيضاً عن ابن عباس قال: هكذا يذهب العلم ـ وأشار بيده إلى قبره ـ يموت الرجل الذي يعلم الشيء لا يعلمه غيره فيذهب ما كان معه.

وعند أحمد في حديث عنه قال: هل تدرون ما ذهاب العلم؟ هو ذهاب العلم من الأرض. كذا في «المجمع» (1/ 202).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 131) عن ابن مسعود قال: إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان تَعَلَّمه للخطيئة يعملها. وأخرجه الهيثمي (1/ 199) والمنذري في «الترغيب» (1/ 92). وأخرج ابن أبي شيبة عن القاسم قال: قال عبد الله: آفة العلم النسيان. كذا في «جامع العلم» (1/ 108).

* * *

تبليغ العلم وإن لم يعمل به
والاستعاذة من علم لا ينفع

أخرج البيهقي وابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال لنا حذيفة رضي الله عنه: إنا حُمِّلنا هذا العلم، وإنا نؤديه إليكم وإن كنا لا نعمل به. كذا في «الكنز» (7/ 24).

وأخرج الحاكم (1/ 104) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدعو فيقول: «اللهمَّ إني أعوذ بك من الأربع: من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يُسمع». قال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرِّجاه، وقال الذهبي: صحيح، وأخرجه أيضاً (1/ 104) من حديث أنس رضي الله عنه وصحَّحه على شرط مسلم.

* * *

الباب الرابع عشر

رغبة الصحابة في الذكر وترغيبهم به

كيف كانت رغبة النبي ﷺ ورغبة أصحابه رضي الله عنهم في ذكر الله تبارك وتعالى، ومداومتهم عليه في الصباح والمساء والليل والنهار والسفر والحضر؟ وتحريضهم وترغيبهم على ذلك، وكيف كانت أذكارهم؟

ترغيب النبي ﷺ في ذكر الله تبارك وتعالى

أخرج أبو نُعيمُ في «الحلية» (1/ 182) عن ثَوبان رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مسير نسير ونحن معه إذ قال المهاجرون: لو نعلم أيَّ المال خيراً إذ أُنزل في الذهب والفضة ما أُنزل، فقال عمر رضي الله عنه: إن شئتم سألت لكم رسول الله ﷺ عن ذلك. فقالوا: أجل. فانطلق إلى رسول الله ﷺ واتبعته أُوضِع على قَعُود لي، فقال: يا رسول الله إن المهاجرين لمَّا نزل في الذهب والفضة ما نزل قالوا: لو علمنا الآن أيُّ المال خير إذ أُنزل في الذهب والفضة ما أُنزل، فقال: «ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على إيمانه». وفي رواية أخرى عنه عنده: «وزوجة تعينه على الآخرة». وأخرج أحمد والترمذي ـ وحسَّنه ـ وابن ماجه عن ثَوبان بمعناه.

وأخرجه عبد الرزاق عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ [التوبة: 34] الآية، قال النبي ﷺ: «تبّاً للذهب، تبّاً للفضة» ـ يقولها ثلاثاً ـ قال: فشقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: فأيَّ مال نتخذ؟ فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ فذكر الحديث بنحوه مختصراً، كما في «التفسير» لابن كثير (2/ 351).

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له جُمْدان فقال: «سيروا هذا

جُمدان، سبق المفرِّدون» قالوا: وما المفرِّدون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون اللّه كثيراً».

وعند الترمذي: يا رسول الله وما المفرِّدون؟ قال: «المُسْتَهْتَرون بذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون الله يوم القيامة خفافاً». كذا في «الترغيب» (3/ 59). وأخرجه الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه بسياق الترمذي، كما في «المجمع» (10/ 75).

أخرج الطبراني (20/ 326) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بينما نحن نسير مع رسول الله إذ قال رسول الله ﷺ: «أين السابقون»؟ قالوا: مضى ناس وتخلَّف ناس. قال: «أين السابقون الذين يُستَهتَرون بذكر الله؟ من أحب أن يرتفع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله». قال الهيثمي (10/ 75): وفيه موسى ابن عُبيدة وهو ضعيف. اهـ.

أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل أيُّ العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً»، قال: قلت: يا رسول الله ومِنَ الغازي في سبيل الله؟ قال: «لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكرون الله كثيراً أفضل منه درجة». قال الترمذي: حديث غريب، وأخرجه البيهقي مختصراً. كذا في «الترغيب» (3/ 56).

أخرج الطبراني في «الصغير» (1/ 77) و«الأوسط» عن جابر رضي الله عنه رَفَعه إلى النبي ﷺ قال: «ما عمل آدمي عملاً أنجى له من العذاب من ذكر الله تعالى» قيل: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلاَّ أن يضرب بسيفه حتى ينقطع». قال المنذري (3/ 56) والهيثمي (10/ 74): رجالهما رجال الصحيح. وأخرجه الطبراني (20/ 326) عن معاذ بن جبل نحوه، كما في «المجمع» (10/ 73).

وأخرج أحمد عن معاذ بن أنس عن رسول الله ﷺ أن رجلاً سأله فقال: أيُّ الجهاد أعظم أجراً؟ قال: «أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً» قال: فأيُّ الصالحين أعظم أجراً؟ قال: «أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً»، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحجَّ والصدقة. كلُّ ذلك ورسول الله ﷺ يقول: «أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً». فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكل خير!! فقال رسول الله ﷺ: «أجل». قال الهيثمي (10/ 74): رواه أحمد والطبراني إلا أنه قال: سأله فقال: أي المجاهدين أعظم أجراً؟ وفيه زَبَّان بن فائد وهو ضعيف وقد وُثِّق وكذلك ابن لَهيعة وبقية رجال أحمد ثقات. انتهى.

أخرج الترمذي عن عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت (عليَّ) فأخبرني بشيء أتشبَّث به، قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله». قال الترمذي: حديث حسن غريب، وأخرجه الحاكم (1/ 495) ـ وقال: صحيح الإسناد ـ وابن ماجه وابن حِبَّان في صحيحه؛ كما في «الترغيب» (3/ 54).

وعند الطبراني عن مالك بن يَخَامِر أن معاذ بن جبل قال لهم: إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ أنْ قلت: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله». قال الهيثمي (10/ 74): رواه الطبراني بأسانيد، وفي هذه الطريق خالد بن يزيد بن عبد الرحمٰن بن أبي مالك وضعَّفه جماعة ووثَّقه أبو زُرعة الدمشقي وغيره وبقية رجاله ثقات ورواه البزّار من غير طريقه إلا أنه قال: أخبرني بأفضل الأعمال وأقربه إلى الله، وإسناده حسن. انتهى. وأخرجه ابن أبي الدنيا وابن حِبّان في «صحيحه»، كما في «الترغيب» (3/ 55) وابن النجار، كما في «الكنز» (1/ 208).

ترغيب أصحاب النبي ﷺ في الذكر

أخرج **ابن أبي الدنيا** عن عمر رضي الله عنه قال: لا تشغلوا أنفسكم بذكر الناس فإنه بلاء، وعليكم بذكر الله.

وعنده أيضاً وأحمد في «الزهد» (151) وهنّاد عن عمر قال: عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء. كذا في «الكنز» (1/ 207).

وأخرج ابن المبارك في «الزهد» (1133) عن عثمان رضي الله عنه قال: لو أنَّ قلوبنا طهرت لم تَمَلَّ من ذكر الله. كذا في «الكنز» (1/ 218).

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أكثروا ذكر الله عز وجل، ولا عليك أن لا تصحب أحداً إلا من أعانك على ذكر الله. كذا في «الكنز» (1/ 208).

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 204) عن سلمان رضي الله عنه قال: لو بات رجل يعطي البيض القيان، وبات آخر يتلو كتاب الله عز وجل ويذكر الله تعالى ـ قال سليمان: كأنه يرى أن الذي يذكر الله أفضل ـ.

وأخرج أحمد عن حبيب بن عبيد أن رجلاً أتى أبا الدرداء رضي الله عنه فقال له: أوصني فقال له: اذكر الله عز وجل في السرَّاء يذكرك في الضرَّاء؛ فإذا أشرفت على شيء من الدنيا فانظر إلى ماذا يصير. كذا في «صفة الصفوة» (1/ 258).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 219) عن أبي الدرداء قال: ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأحبِّها إلى مليككم، وأنماها في درجاتكم؟ خير من أن تغزوا عدوّكم فيضربوا رقابكم وتضربوا رقابهم، خير من إعطاء الدراهم والدنانير، قالوا: وما هو يا أبا الدرداء؟ قال: ذكر الله، وذكر الله أكبر.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 219) عن أبي الدرداء قال: إن الذين ألسنتهم رطبة بذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك.

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 235) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله، قالوا: يا أبا عبد الرحمٰن ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا، إلا أنْ يضرب بسيفه حتى ينقطع لأن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: 45].

وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: ذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حَطْم السيوف في سبيل الله وإعطاء المال سَحّاً. كذا في «الكنز» (1/ 207).

* * *

رغبة النبي ﷺ في الذكر

أخرج أبو يَعْلى (6/ 3392) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله من بعد صلاة الفجر إلى أن تطلع الشمس أحبُّ إليَّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل دية كل رجل منهم اثنا عشر ألفاً، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من بعد صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحبُّ إليَّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل دية كل رجل منهم اثنا عشر ألفاً». قال الهيثمي (10/ 105): وفيه محتسب أبو عائذ وثّقه ابن حبان وضعّفه غيره.

وعند أحمد وأبي يَعْلى عن أنس مرفوعاً: «من صلّى العصر ثم جلس يملي خيراً حتى يمسي كان أفضل ممن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل». وفي رواية لأبي يَعْلى (7/ 4125): «لأن أجلس مع قوم يذكرون الله من غُدوة حتى تطلع الشمس أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس». قال الهيثمي (10/ 105): وفي رواية أبي يَعْلى يزيد الرَّقاشي ضعّفه الجمهور وقد وُثِّق وفي رواية أحمد لم يذكر يزيد الرَّقّاشي ـ اهـ.

أخرج الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» بأسانيد ضعيفة عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لأن أشهد الصبح ثم أجلس فأذكر الله عز وجل حتى تطلع الشمس أحبُّ إليَّ من أن أحمِل على جياد الخيل في سبيل الله حتى تطلع الشمس». كذا في «مجمع الزوائد» (10/ 105).

وأخرج البزّار عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لأن أجلس من صلاة الغداة إلى أن تطلع الشمس أحبُّ من أن أعتق أربع رقاب من ولد إسماعيل». قال الهيثمي (10/ 106): رواه البزّار والطبراني إلا أنه قال: «لأن أصلي الغداة وأذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس أحبُّ إليَّ من شدٍّ على الخيل في سبيل الله حتى تطلع الشمس» وفي إسنادهما محمد بن أبي حميد وهو ضعيف ـ اهـ.

أخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس». كذا في «الترغيب» (3/ 84).

وأخرج أحمد عن أبي أُمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لأن أقعد أذكر الله وأكبّره وأحمده وأسبّحه وأهلّله حتى تطلع الشمس أحبُّ إليَّ من أن أعتق رقبتين من ولد إسماعيل، ومن بعد العصر حتى تغرب الشمس أحبُّ إليَّ من أن أُعتق أربع رقبات من ولد إسماعيل». وفي رواية: «لأن أذكر الله إلى طلوع الشمس أُكبّر وأُهلّل وأُسبّح أحبُّ إليَّ من أن أعتق أربعاً من ولد إسماعيل، ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إليَّ من أن أعتق كذا وكذا من ولد إسماعيل». قال الهيثمي (10/ 104): رواه كله أحمد والطبراني بنحو الرواية الثانية وأسانيده حسنة انتهى.

* * *

رغبة أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم في الذكر

أخرج الطبراني (9/ 8508) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لأن أذكر الله عز وجل يوماً إلى الليل أحبُّ إليَّ من أن أحمل على جياد الخيل يوماً إلى الليل. قال الهيثمي (10/ 75): رواه الطبراني من طريق القاسم عن جدِّه ابن مسعود ولم يسمع منه.

وعند الطبراني في «الكبير» (9/ 9436) عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال: كان عزيزاً على عبد الله بن مسعود أن يتكلَّم إلاَّ بذكر الله. قال الهيثمي (2/ 219): وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه وبقية رجاله ثقات. وفي رواية له أنه كان يعزُّ عليه أن يُسمَع متكلِّماً بعد طلوع الفجر إلى أن يصلِّي الصبح - انتهى.

وعنده أيضاً (9/ 9438) فيه عن عطاء قال: خرج ابن مسعود على قوم يتحدَّثون بعد الفجر، فنهاهم عن الحديث وقال: إنما جئتم للصلاة، فإما أن تصلُّوا، وإما أن تسكتوا. قال الهيثمي (2/ 219): وعطاء لم يسمع من ابن مسعود وبقية رجاله ثقات. اهـ.

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 219) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لأن أكبِّر الله مائة مرة أحب إليَّ من أن أتصدق بمائة دينار.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 235) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: لأن أذكر الله تعالى من بُكْرة حتى الليل أحبُّ إليَّ من أن

أحمل على جياد الخيل في سبيل الله من بُكْرة حتى الليل.

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 259) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع أبي موسى في مسير له، فسمع الناس يتحدثون فسمع فصاحة، فقال: ما لي يا أنس؟ هَلُمَّ فلنذكَّر ربَّنا؛ فإن هؤلاء يكاد أحدهم أن يفري الأديم بلسانه - فذكر الحديث كما تقدَّم في الإيمان بالآخرة.

وأخرج الطبراني (20/ 334) عن معاذ بن عبد الله بن رافع قال: كنت في مجلس فيه عبد الله بن عمر وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن أبي عميرة رضي الله عنهم، فقال ابن أبي عميرة: سمعت معاذ بن جبل يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلمتان إحداهما ليس لها ناهية دون العرش، والأخرى تملأ ما بين السماء والأرض: لا إله إلا الله، والله أكبر». فقال ابن عمر لابن أبي عميرة: أنت سمعتَه يقول ذلك؟ قال: نعم. فبكى عبد الله بن عمر حتى اختضبت لحيته بدموعه وقال: هما كلمتان نَعْلَقهما ونألفهما. قال المنذري في «الترغيب» (3/ 94): رواته إلى معاذ بن عبد الله ثقات سوى ابن لهيعة ولحديثه هذا شواهد، وقال الهيثمي (10/ 86): ومعاذ بن عبد الله لم أعرفه، وابن لهيعة حديثه حسن وبقية رجاله ثقات.

وأخرج ابن سعد (7/ 22) عن الجُرَيري قال: أحرمَ أنس بن مالك من ذات عِرْق قال: فما سمعناه متكلِّماً إلاَّ بذكر الله حتى حلَّ، قال: فقال له: يا بن أخي هكذا الإحرام.

* * *

مجالس ذكر اللّه تبارك وتعالى

أخرج أحمد وأبو يَعْلى وابن حِبّان في «صحيحه» والبيهقي وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع مَنْ أهل الكَرَم» فقيل: ومن أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: «أهل مجالس الذكر». كذا في «الترغيب» (3/ 63). قال الهيثمي (10/ 76): رواه أحمد بإسنادين وأحدهما حسن وأبو يعلى كذلك.

أخرج ابن زنجويه والترمذي عن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث بَعْثاً قبل نجد فغنموا غنائم كثيرة وأسرعوا الرجعة، فقال رجل ممَّن لم يخرج: ما رأينا بَعْثاً أسرع رجعة ولا أفضل غنيمة من هذا البَعْث، فقال النبي ﷺ: «ألاَ أدلكم على قوم أفضل غنيمة وأسرع رجعة؟ قوم شهدوا صلاة الصبح ثم جلسوا في مجالسهم يذكرون الله حتى طلعت الشمس، فأولئك أسرع رجعة وأفضل غنيمة». وفي لفظ: «أقوام يصلُّون الصبح ثم يجلسون في مجالسهم يذكرون الله حتى تطلع الشمس، ثم يصلون بركعتين ثم يرجعون إلى أهاليهم، فهؤلاء أعجل كرَّة وأعظم غنيمة منهم». قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وفيه حمّاد بن أبي حميد ضعيف. كذا في «الكنز» (1/ 298). وأخرجه البزّار عن أبي هريرة رضي الله عنه بمعناه، وفي روايته: فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله ما رأينا بَعْثاً. قال الهيثمي (10/ 107): وفيه حُمَيد مولى ابن علقمة وهو ضعيف ـ اهـ.

أخرج الطبراني عن عبد الرحمٰن بن سهل بن حُنَيف رضي الله عنه قال: نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بعض آياته ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الكهف: 28] ـ الآية، فخرج يلتمسهم، فوجد قوماً يذكرون الله تعالى، منهم ثائر الرأس وجافّ الجلد، وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم وقال: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أصبر نفسي معهم». كذا في «التفسير» لابن كثير (3/ 81).

أخرج الطبراني في «الصغير» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ النبي ﷺ بعبد الله بن رواحة رضي الله عنه وهو يذكِّر أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنكم الملأ الذي أمرني الله أن أصبر نفسي معكم» ثم تلا هذه الآية ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ ـ إلى قوله ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ «أما إنه ما جلس عِدَّتكم إلا جلس معهم عِدَّتهم من الملائكة، إن سبحوا الله تعالى سبحوه، وإن حمدوا الله تعالى حمدوه، وإن كبَّروا الله كبَّروه، ثم يصعدون إلى الرب جل ثناؤه ـ وهو أعلم منهم ـ فيقولون: يا ربنا عبادك سبَّحوك فسبَّحنا، وكبَّروك فكبَّرنا، وحمدوك فحمدنا، فيقول ربنا: يا ملائكتي أشهدكم أني غفرت لهم، فيقولون: فيهم فلان وفلان الخطّاء، فيقول: هم القوم لا يشقَى بهم جليسهم. قال الهيثمي (10/ 76): وفيه محمد بن حمَّاد الكوفي وهو ضعيف ـ اهـ.

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 342) عن ثابت البُناني قال: كان سلمان رضي الله عنه في عصابة يذكرون الله عز وجل قال: فمرَّ النبي ﷺ فكفُّوا فقال: «ما كنتم تقولون؟». فقلنا: نذكر الله يا رسول الله. قال: «**قولوا فإني رأيت الرحمة تنزل عليكم، فأحببت أن أشارككم فيها**» ثم قال: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أُمرت أن أصبر نفسي معهم».

أخرج ابن أبي الدنيا وأبو يَعْلى (3/ 1865) والبزّار (3064) والطبراني والحاكم (1/ 494) ـ وصحَّحه ـ والبيهقي عن جابر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس، إنَّ لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض، فارتعوا في رياض الجنة». قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: «مجالس الذكر، فاغدوا أو روحوا في ذكر الله وذكِّروه أنفسكم، من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإنَّ الله يُنزل العبد منه حيث أنزله من نفسه». قال المنذري في «الترغيب» (3/ 65): في أسانيدهم كلِّها عمر مولى غُفْرة ويأتي الكلام عليه، وبقية أسانيدهم ثقات مشهورون محتج بهم والحديث حسن ـ اهـ، وقال الهيثمي (10/ 77): وفيه عمر بن عبد الله مولى غُفرة وقد وثَّقه غير واحد وضعَّفه جماعة وبقية رجالهم رجال الصحيح. اهـ.

وأخرج الطبراني في «الصغير» عن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ كان إذا صلَّى الصبح جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس. قال الهيثمي (10/ 107): رجاله ثقات وهو في الصحيح غير قوله: يذكر الله. اهـ.

أخرج أحمد والطبراني عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قلت: يا رسول الله، ما غنيمة مجالس الذكر؟ قال: «غنيمة مجالس الذكر الجنة، الجنة». وإسناد أحمد حسن كما قال الهيثمي (10/ 78) والمنذري (3/ 56).

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: مجالس الذكر محياة للعلم، وتُحدث للقلوب خشوعاً. كذا في «الكنز» (1/ 208).

كفَّارة المجلس

أخرج ابن أبي الدنيا والنَّسائي ـ واللفظ لهما ـ والحاكم (1/ 537) والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ كان إذا جلس مجلساً أو صلَّى تكلَّم بكلمات، فسألته عائشة عن الكلمات فقال: «إن تكلَّم بخير كان طابَعاً عليهن إلى يوم القيامة، وإن تكلَّم بشر كان كفارة له: سبحانك اللهمَّ وبحمدك لا إله إلاَّ أنت أستغفرك وأتوب إليك».

وعند أبي داود عن أبي بَرْزة الأسلمي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول بأَخِرةٍ إذا أراد أن يقوم من المجلس: «سبحانك اللهمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك». فقال رجل: يا رسول الله إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى، فقال: «كفارة لما يكون في الملجس». وأخرجه النَّسائي أيضاً ـ واللفظ له والحاكم (1/ 537) ـ وصحَّحه ـ والطبراني (4/ 4454) في الثلاثة مختصراً بإسناد جيد عن رافع بن خَدِيج رضي الله عنه، فذكر نحو حديث أبي برزة وزاد بعد قوله وأتوب إليك: «عملتُ سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت». قال: قلنا: يا رسول الله، إنَّ هذه كلمات أحدَثْتهنَّ، قال: «أجل جاءني جبرائيل فقال: يا محمد هنَّ كفَّارات المجلس» كذا في «الترغيب» (3/ 72).

أخرج الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» عن الزبير بن العوام رضي

الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله، إنا إذا قمنا من عندك أخذنا في أحاديث الجاهلية، فقال: «إذا جلستم تلك المجالس التي تخافون فيها على أنفسكم فقولوا عند مقامكم: «سبحانك اللهمَّ وبحمدك، نشهد أن لا إلٰه إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، يكفِّر عنكم ما أصبتم فيها». قال الهيثمي (10/ 142): وفيه من لم أعرفه.

وأخرج أبو داود وابن حِبّان في «صحيحه» عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلس حق أو مجلس باطل عند قيامه ثلاث مرات إلا كفِّر بهن عنه، ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر إلا ختم الله له بهن كما يختم بالخاتَم على الصحيفة: سبحانك اللهمَّ - فذكر مثل حديث عائشة. كذا في «الترغيب» (3/ 72).

* * *

تلاوة القرآن العظيم

أخرج ابن حِبَّان في حديث طويل عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: عليك بتقوى الله؛ فإنه رأس الأمر كله» قلت: يا رسول الله زدني، قال: «عليك بتلاوة القرآن؛ فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء». كذا في «الترغيب» (3/ 8).

أخرج الطيالسي وأحمد وابن جرير والطبراني وأبو نعيم عن أوس ابن حذيفة الثقفي رضي الله عنه قال: قدمنا وفدَ ثقيف على رسول الله ﷺ، فنزل الأحلافيون على المغيرة بن شعبة، وأنزل المالكيِّين قُبَّته، وكان رسول الله ﷺ يأتينا فيحدِّثنا بعد عِشاء الآخرة حتى يراوح بين قدميه من طول القيام، فكان أكثر ما يحدثنا اشتكاء قريش يقول: «كنا بمكة مستضعفين، فلما قدمنا المدينة انتصفْنا من القوم، فكانت سجال الحرب علينا ولنا». فاحتبس عنا ليلة عن الوقت الذي كان يأتينا فيه ثم أتانا فقلنا: يا رسول الله احتبست عنا الليلة من الوقت الذي كنت تأتينا فيه؟ فقال: «إنه طرأ عليَّ حزبي من القرآن، فأحببت أن لا أخرج حتى أقرأه - أو قال: حتى أقضيه -» فلما أصبحنا سألنا أصحابَ رسول الله ﷺ عن أحزاب القرآن كيف يحزِّبونه؟ فقالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وعشر وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصَّل. كذا في «الكنز» (1/ 232). وأخرجه أبو داود (2/ 310/ 1393) عن أوس بن حذيفة بنحوه مطوَّلاً، وفي روايته: «فكرهت أن أجيء حتى أتمه».

وأخرج ابن أبي داود في «المصاحف» عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: استأذن رجل على رسول الله ﷺ وهو بين مكة والمدينة وقال: «قد فاتني الليلة حزبي من القرآن وإني لا أوثر عليه شيئاً». كذا في «الكنز» (1/ 226).

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 258) عن أبي سَلَمة قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى رضي الله عنه: ذكِّرنا ربنا عز وجل؛ فيقرأ. وأخرجه ابن سعد (4/ 109) عن أبي سَلَمة نحوه. وعن حبيب بن أبي مرزوق قال: بلغنا أن عمر بن الخطاب ربما قال لأبي موسى الأشعري: ذكِّرنا ربنا. فقرأ عليه أبو موسى وكان حسن الصوت بالقرآن.

وعن أبي نضرة قال عمر لأبي موسى: شوِّقنا إلى ربنا. فقرأ، فقالوا: الصلاة، فقال عمر: أولسنا في صلاة.

وأخرج ابن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إذا دخل البيت نشر المصحف فقرأ فيه. كذا في «الكنز» (1/ 224).

أخرج أحمد في «الزهد» (159) وابن عساكر عن عثمان رضي الله عنه قال: ما أحب أن يأتي عليَّ يوم ولا ليلة إلا أنظر في كتاب الله ـ يعني القراءة في المصحف ـ كذا في «الكنز» (1/ 225).

وعندهما أيضاً عن عثمان قال: لو طَهُرت قلوبكم ما شبعتم من كلام الله عز وجل. كذا في «الكنز» (1/ 218).

وعند البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص 182) عن الحسن قال: قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: لو أن قلوبنا

طَهُرت ما شبعنا من كلام ربنا، وإني لأكره أن يأتي عليَّ يوم لا أنظر في المصحف. وما مات عثمان رضي الله عنه حتى خرَّق مصحفه من كثرة ماكان يديم النظر فيه.

أخرج ابن أبي داود في «المصاحف» عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أديموا النظر في المصحف. كذا في «الكنز» (1/ 226).

وأخرج ابن سعد (4/ 170) عن حبيب بن الشهيد قال: قيل لنافع: ما كان يصنع ابن عمر رضي الله عنهما في منزله؟ قال: لا يطيقونه: الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما.

وأخرج الحاكم (3/ 243) عن ابن أبي مُلَيكة قال: كان عكرمة بن أبي جهل يأخذ المصحف فيضعه على وجهه ويبكي ويقول: كلام ربي، كتاب ربي. قال الذهبي: مرسل.

وأخرج ابن أبي داود عن ابن عمر قال: من صلَّى على النبي ﷺ كتبت له عشر حسنات، وقال: إذا رجع أحدكم من سوقه إلى منزله فلينشر المصحف فليقرأ؛ فإنَّ له بكل حرف عشر حسنات.

وعنده أيضاً في رواية أخرى عنه: فإن الله سيكتب له بكل حرف عشر حسنات، أمَا إني لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ ولكن أقول: الألف عشر واللام عشر والميم عشر وفي إسناديهما نُوَير مولى جعدة بن هبيرة، كما في «الكنز» (1/ 219).

* * *

قراءة السور من القرآن في الليل والنهار والسفر والحضَر

أخرج ابن عساكر عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: لقيت النبي ﷺ فقال لي: «يا عقبة بن عامر صِلْ من قطعك، وأعطِ من حرمك، واعفُ عمن ظلمك». ثم لقيت رسول الله ﷺ فقال لي: «يا عقبة ابن عامر ألا أعلمك سوراً ما أنزل الله في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلهن؟ لا تأتي عليك ليلة إلا قرأتهن فيها: قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس». فما أتت عليَّ ليلة منذ أمرني بهن رسول الله ﷺ إلا قرأتهن، وحُقَّ لي أن لا أدعهن وقد أمرني بهن رسول الله ﷺ. كذا في «الكنز» (1/ 223).

وأخرج النَّسائي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه جمع كفَّيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

وعند ابن النجار عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بقل هو الله أحد، والمعوِّذتين جميعاً، ثم يمسح بهما وجهه وعضديه وصدره وما بلغت يداه من جسده، قالت عائشة: فلما اشتد مرضه كان يأمرني أن أفعل به. كذا في «الكنز» (8/ 68) وعزاه في «جمع الفوائد» (2/ 259) إلى الستة إلا النسائي بمعنى حديث ابن النجار إلا أنه قال: المعوذات وقل هو الله أحد.

أخرج الترمذي عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل، وتبارك الذي بيده الملك. قال طاوس: تفضلان على كل سورة في القرآن بسبعين حسنة. كذا في «جمع الفوائد» (2/ 76).

وأخرج الترمذي وأبو داود عن العِرباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقرأ المسبِّحات قبل أن ينام إذا اضطجع وقال: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية».

وعند الترمذي عن عائشة أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل. كذا في جمع الفوائد (2/ 260). وعند الترمذي أيضاً (2/ 176/ 3403) عن فروة بن نوفل رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علِّمني شيئاً أقوله إذا أويت إلى فراشي فقال: «اقرأ قل يا أيها الكافرون، فإنها براءة من الشرك».

أخرج الحاكم (2/ 498) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: يُؤتى الرجل في قبره فتُؤتى رجلاه فتقول: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل كان يقرأ سورة الملك، ثم يُؤتى من قِبَل صدره - أو قال بطنه - فيقول: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل كان يقرأ فيَّ سورة الملك، ثم يُؤتى من قِبَل رأسه فيقول: ليس لكم على ما قِبَلي سبيل كان يقرأ فيَّ سورة الملك: فهي المانعة تمنع عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب. قال الحاكم: صحيح الإسناد، وهو في النسائي مختصر: من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله عز وجل بها من عذاب القبر، وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة، وإنها في كتاب الله عز وجل سورة من قرأ بها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب. كذا في «الترغيب» (3/ 38). وأخرجه البيهقي في كتاب «عذاب

القبر» عن ابن مسعود ـ بطوله، كما في «الكنز» (1/ 223). وأخرج أبو عبيد وسعيد بن منصور وعبد بن حميد والبيهقي في «شُعَب الإيمان» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: من قرأ البقرة وآل عمران والنساء في ليلة كتب من القانتين. كذا في «الكنز» (1/ 222).

أخرج أبو يَعْلى (13/ 7419) عن جبير بن مُطْعِم رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أتحب يا جبير إذا خرجت في سفر أن تكون من أمثل أصحابك هيئة وأكثرهم زاداً»؟ فقلت: نعم، بأبي أنت وأمي، قال: «فاقرأ هذه السور الخمس: قل يا أيها الكافرون، وإذا جاء نصر الله والفتح، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس؛ وافتتح كل سورة ببسم الله الرحمٰن الرحيم، واختم قراءتك ببسم الله الرحمٰن الرحيم» قال جبير: وكنت غنياً كثير المال، فكنت أخرج في سفر فأكون أبذّهم هيئة وأقلهم زاداً، فما زلت منذ علمنيهن رسول الله ﷺ وقرأت بهن أكون من أحسنهم هيئة وأكثرهم زاداً حتى أرجع من سفري. قال الهيثمي (10/ 134): وفيه من لم أعرفهم ـ اهـ.

أخرج أبو داود والترمذي بالأسانيد الصحيحة عن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب النبي ﷺ ليصلّي لنا، فأدركناه فقال: «قل» فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قل» فلم أقل شيئاً، ثم قال: «قل» فقلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «قل هو الله أحد، والمعوِّذتين، حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء». قال الترمذي: حديث حسن صحيح. كذا في «الأذكار» للنووي (ص 96).

أخرج سعيد بن منصور وابن الضَّرِيس عن علي رضي الله عنه قال: من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات في دُبُر صلاة الغداة لم يلحق به ذلك اليوم ذنب وإن جهد الشيطان. كذا في «الكنز» (1/ 223).

قراءة آيات من القرآن في الليل والنهار والسفر والحضر

أخرج البيهقي في «شُعَب الإيمان» عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ على أعواد هذا المنبر يقول: «من قرأ آية الكرسي دُبُر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، ومن قرأها حين يأخذ مضجعه أمَّنه الله على داره ودار جاره وأهل دُوَيرات حوله» قال البيهقي: إسناده ضعيف. كذا في «الكنز» (1/ 221).

وأخرج أبو عبيد في «فضائله» وابن أبي شيبة والدارمي وغيرهم عن علي قال: ما أرى رجلاً ولد في الإسلام أو أدرك عقله يبيت أبداً حتى يقرأ هذه الآية «الله لا إله إلا هو الحي القيوم» ولو تعلمون ما هي؟! إنما أُعطيها نبيكم من كنز تحت العرش ولم يُعطها أحد قبل نبيكم، وما بتُّ ليلة قط حتى أقرأها ثلاث مرات، أقرأها في الركعتين بعد العشاء الآخرة وفي وتري وحين آخذ مضجعي من فراشي. كذا في «الكنز» (1/ 221).

أخرج الدارمي (2/ 449) ومسدَّد ومحمد بن نصر وابن الضريس وابن مردويه عن علي قال: ما كنت أرى أحداً يعقل ينام حتى يقرأ الآيات الأواخر من سورة البقرة؛ فإنهن من كنز تحت العرش. كذا في «الكنز» (1/ 222).

وأخرج الدارمي (2/ 452) عن عثمان رضي الله عنه قال: من قرأ آخر آل عمران في ليلة كتب له قيام ليلة. كذا في «الكنز» (1/ 222).

وأخرج الطبراني (9/ 8673) عن الشَّعْبي قال: قال عبدالله - يعني ابن مسعود رضي الله عنه -: من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في بيت لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح: أربعَ آيات من أولها وآية الكرسي وآيتين بعدها وخواتيمها. قال الهيثمي (10/ 118): رجاله رجال الصحيح إلا أن الشَّعْبي لم يسمع من ابن مسعود. انتهى.

أخرج النسائي والحاكم والطبراني وأبو نعيم والبيهقي معاً في «الدلائل» وسعيد بن منصور وغيرهم عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه أنه كان له جَرين فيه تمر، وكان يتعاهده فوجده ينقص، فحرسه ذات ليلة فإذا هو بدابة شبه الغلام المحتلم، قال: فسلَّمت فردَّ السلام، فقلت: ما أنت؟ جنّي أم إنسيّ؟ فقال: جنّي فقلت: ناولني يدك، فناولني فإذا يده يد كلب وشعره شعر كلب، فقلت: هكذا خلق الجن، قال: لقد علمت الجن أنه ما فيهم من هو أشد مني. قلت: ما حملك على ما صنعت؟ قال: بلغنا أنك رجل تحب الصدقة فأحببنا أن نصيب من طعامك. قلت: فما الذي يجيرنا منكم؟ قال: هذه الآية؛ آية الكرسي التي في سورة البقرة، من قالها حين يمسي أُجير منا حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح أُجير منا حتى يمسي. فلما أصبح أُبيّ غدا إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «صدق الخبيث». كذا في «الكنز» (1/ 221). وقال الهيثمي (10/ 118): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

أخرج الطبراني عن عبد اللّه بن بُسْر رضي الله عنه قال: خرجت من حمص فآواني الليل إلى البقيعة، فحضرني من أهل الأرض، فقرأت هذه الآية من سورة الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف: 54] إلى آخر الآية، فقال بعضهم لبعض: احرسوه الآن حتى يصبح، فلما أصبحت ركبت دابتي. قال الهيثمي (10/ 133): وفيها

المسيب بن واضح وقد وثقه غير واحد وضعَّفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح - انتهى.

أخرج ابن عساكر عن العلاء بن اللجلاج أنه قال لبنيه: إذا أدخلتموني قبري فضعوني في اللحد، وقولوا: باسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ، وسُنُّوا عليَّ التراب سناً، واقرأوا عند رأسي أول البقرة وخاتمتها؛ فإني رأيت ابن عمر رضي الله عنهما يستحب ذلك. كذا في «الكنز» (8/ 119).

أخرج ابن زنجويه في «ترغيبه» عن علي رضي الله عنه قال: من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى فليقرأ هذه الآية ثلاث مرات ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: 180] - إلى آخرها. كذا في «الكنز» (1/ 222).

وأخرج أبو يعلى عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: كان عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه إذا دخل منزله قرأ في زواياه آية الكرسي. قال الهيثمي (10/ 128): رجاله ثقات إلا أن عبد الله لم يسمع من ابن عوف. اهـ.

* * *

ذكر الكلمة الطيبة لا إلٰه إلا اللّٰه

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولُ منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال: لا إلٰه إلا الله خالصاً من قلبه - أو نفسه». كذا في «الترغيب» (3/ 72). وعند الطبراني في «الأوسط» عن زيد بن أرقم مرفوعاً «من قال: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة» قيل: ما إخلاصها؟ قال: «أن تحجزه عن محارم الله» كذا في «الترغيب» (3/ 74).

أخرج النَّسائي وابن حِبّان في صحيحه والحاكم - وصحَّحه - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قال موسى عليه السلام: يا ربِّ علِّمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به، قال: قل: لا إلٰه إلا الله، قال: يا رب كل عبادك يقول هذا، قال: قل: لا إلٰه إلا الله، قال: إنما أريد شيئاً تخصني به، قال: يا موسى لو أن السماوات السبعَ والأرضين السبعَ في كِفة ولا إلٰه إلا الله في كفة مالت بهم لا إلٰه إلا الله». كذا في «الترغيب» (3/ 75). وأخرجه أبو يعلى (2/ 1393) عن أبي سعيد نحوه، وفي روايته: «لو أنَّ السماوات السبعَ وعامرهنَّ غيري، والأرضين السبعَ في كفة، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله». قال الهيثمي (10/ 82): ورجاله وُثِّقوا وفيهم ضعف.

أخرج البزّار (3069) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بوصية نوح ـ عليه السلام ـ ابنه»؟ قالوا: بلى، قال: «أوصى نوح ابنه فقال لابنه: يا بني إني أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين: أوصيك بقول لا إلٰه إلا الله؛ فإنها لو وُضعت في كِفّة ووضعت السماوات والأرض في كِفّة لرجحت بهن، ولو كانت حَلْقة لقصمتهن حتى تخلص إلى الله، ويقول: سبحان الله العظيم وبحمده؛ فإنها عبادة الخلق وبها تقطع أرزاقهم؛ وأنهاك عن اثنتين: الشرك والكِبْر؛ فإنهما يحجبان عن الله». قال: فقيل: يا رسول الله أمِنَ الكِبْر أن يتخذ الرجل الطعام فيكون عليه الجماعة، أو يلبس النظيف؟ قال: «ليس ـ يعني الكِبْر ـ إنما الكِبْر أن تسفّه الخلق وتغمص الناس». قال الهيثمي (10/ 84): وفيه محمد بن إسحاق وهو مدلّس وهو ثقة وبقية رجاله رجال الصحيح ـ انتهى. وأخرجه الحاكم عن عبد الله بنحوه وقال: صحيح الإسناد، كما في «الترغيب» (3/ 77) وفي روايته: «ولو أن السماوات والأرض وما فيهما كانت حَلْقة فوضعت لا إلٰه إلا الله عليهما لقصمتهما».

أخرج أحمد ـ بإسناد حسن ـ والطبراني وغيرهما عن يَعْلى بن شدّاد قال: حدّثني أبي ـ شدّاد بن أوس رضي الله عنه ـ وعبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ حاضر يصدِّقه قال: كنّا عند النبي ﷺ فقال: «هل فيكم غريب»؟ ـ يعني أهل الكتاب ـ قلنا: لا يا رسول الله، فأمر بغلق الباب وقال: «ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا الله» فرفعنا أيدينا ساعة ثم قال: «الحمد لله، اللهمّ إنك بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، وأنت لا تخلف الميعاد» ثم قال: «أبشروا؛ فإن الله قد غفر لكم». كذا في «الترغيب» (3/ 75). وقال الهيثمي (10/ 81): رواه

أحمد وفيه راشد بن داود وقد وثَّقه غير واحد وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات. انتهى.

أخرج أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني. قال: «إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها» قال: قلت: يا رسول الله، أمن الحسنات لا إلٰه إلا الله؟ قال: «هي أفضل الحسنات». قال الهيثمي (10/ 81): رجاله ثقات إلا أن شِمْر بن عطية حدَّث به عن أشياخه عن أبي ذر ولم يُسمِّ أحداً منهم.

أخرج ابن خسرو عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أبصرهم يهلِّلون ويكبرون فقال: هي هي وربِّ الكعبة، فقيل له: ما هي؟ قال: كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلَها. كذا في «الكنز» (1/ 207).

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي في «الأسماء والصفات» (197) عن علي رضي الله عنه في قوله ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: 26] قال: لا إلٰه إلا الله. وعند ابن جرير وغيره عنه نحوه وزاد: والله أكبر. كذا في «الكنز» (1/ 265).

* * *

أذكار التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والحوقلة

أخرج أحمد وأبو يَعْلى والنسائي - واللفظ له - وابن حِبّان في «صحيحه» والحاكم - وصحّحه - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات». قيل: ما هنَّ يا رسول الله؟ قال: «التكبير، والتهليل، والتسبيح، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله». كذا في «الترغيب» (3/ 91) وقال الهيثمي (10/ 87) لرواية أحمد وأبي يعلى: إسنادهما حسن.

أخرج النَّسائي - واللفظ له - والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خذوا جُنَّتكم» قالوا: يا رسول الله عدو حضر؟ قال: «لا، ولكن جُنَّتكم من النار، قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر؛ فإنهنَّ يأتين يوم القيامة مجنَّبات ومعقِّبات وهن الباقيات الصالحات». قال: الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وفي رواية: «منجِيات» بتقديم النون على الجيم. وكذا رواه الطبراني في «الأوسط» وزاد: «ولا حول ولا قوة إلا بالله». ورواه في «الصغير» (399) من حديث أبي هريرة، فجمع بين اللفظين، فقال: «ومنجِيات ومجنَّبات» وإسناده جيد قوي. كذا في «الترغيب» (3/ 92).

وأخرجه الطبراني في «الأوسط» عن أنس رضي الله عنه، وفي رواية: «فإنهنَّ مقدّمات وهن منجِيات وهن معقِّبات وهن الباقيات

الصالحات» وفيه كثير بن سليم وهو ضعيف. كما قال الهيثمي (10/ 89).

أخرج ابن أبي الدنيا والنَّسائي والطبراني والبزّار عن عمران - يعني ابن حصين رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «أو ما يستطيع أحدكم أن يعمل كل يوم مثل أُحد عملاً»؟ قالوا: يا رسول الله ومن يستطيع أن يعمل في كل يوم مثل أحد عملاً؟ قال: كلكم يستطيعه» قالوا: يا رسول الله ماذا؟ قال: «سبحان الله أعظم من أُحد، والحمد لله أعظم من أُحد، ولا إله إلا الله أعظم من أُحد، والله أكبر أعظم من أُحد». قال الهيثمي (10/ 91): رواه الطبراني والبزّار ورجالهما رجال الصحيح، وقال المنذري في «الترغيب» (3/ 94): رواه ابن أبي الدنيا والنَّسائي والطبراني والبزّار كلُّهم عن الحسن عن عمران ولم يسمع منه وقيل سمع، ورجالهم رجال الصحيح إلا شيخ النسائي عمرو بن منصور وهو ثقة - انتهى.

أخرج ابن ماجه - بإسناد حسن، واللفظ له - والحاكم - وقال: صحيح الإسناد - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ مرَّ به وهو يغرس غرساً فقال: «يا أبا هريرة ما الذي تغرس»؟ قلت: غراساً، قال: «ألا أدلك على غراس خير من هذا؟ سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، تُغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة». كذا في «الترغيب» (3/ 84).

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتَعوا» قلت: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: «المساجد». قلت: وما الرتع؟ قال: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». قال الترمذي: حديث غريب، وقال المنذري في

«الترغيب» (3/ 97): وهو مع غرابته حسن الإسناد.

أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ غصناً فنفضه فلم ينتفض، ثم نفضه فلم ينتفض، ثم نفضه فانتفض، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ينفضن الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها». قال في «الترغيب» (3/ 93): رجاله رجال الصحيح. اهـ. وأخرجه الترمذي بمعناه.

أخرج مسلم عن سعيد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: علِّمني كلاماً أقوله، قال: «قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم» قال: هؤلاء لربي فما لي؟ قال: «قل اللهمَّ اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني». وزاد من حديث أبي مالك الأشجعي: «وعافني». وفي رواية: قال: «فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك».

وعند ابن أبي الدنيا عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: قال أعرابي: يا رسول الله إني قد عالجت القرآن فلم أستطعه فعلمني شيئاً يجزىء من القرآن، قال: «قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». فقالها وأمسكها بأصابعه فقال: يا رسول الله هذا لربيّ فما لي؟ قال: «تقول: اللهمَّ اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني - وأحسبه قال -: واهدني» ومضى الأعرابي فقال رسول الله ﷺ: «ذهب الأعرابي وقد ملأ يديه خيراً». ورواه البيهقي مختصراً وزاد فيه: «ولا حول ولا قوة إلا بالله» وإسناده جيد. كذا في «الترغيب» (3/ 90). وأخرجه أبو داود بتمامه.

أخرج مسلم والنَّسائي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله»؟ قلت: يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله، فقال: «إنَّ أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده». رواه الترمذي إلا أنه قال: «سبحان ربي وبحمده» وقال: حديث حسن صحيح. وفي رواية لمسلم: أن رسول الله ﷺ سئل أي الكلام أفضل: قال: «ما اصطفى الله لملائكته ـ أو لعباده ـ سبحان الله وبحمده».

أخرج الحاكم (4/ 251) ـ وصحَّحه ـ من حديث إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن جده رضي الله عنه ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ـ أو وجبت له الجنة ـ ومن قال: سبحان الله وبحمده ـ مائة مرة ـ كتب الله له مائة ألف حسنة وأربعاً وعشرين ألف حسنة: قالوا: يا رسول الله إذاً لا يهلك منا أحد، قال: «بلى، إنَّ أحدكم ليجيء بالحسنات لو وضعت على جبل أثقلته، ثم تجيء النِّعَم فتذهب بتلك، ثم يتطاول الربُّ بعد ذلك برحمته». كذا في «الترغيب» (3/ 81).

وأخرج مسلم والترمذي ـ وصحَّحه ـ والنَّسائي عن سعد رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة»؟ فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «يسبح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة أو تحط عنه ألف خطيئة». قال في «الترغيب» (3/ 83): هكذا رواية مسلم، وأما الترمذي والنسائي فإنهما قالا: وتحط» بغير ألف والله أعلم ـ انتهى. وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد وابن حِبَّان وأبو نعيم، كما في «الكنز» (1/ 211).

أخرج الحاكم (4/ 290) ـ وصحّحه ـ عن قيس بن سعد بن عبادة أن أباه رضي الله عنه دفعه إلى النبي ﷺ يخدمه، قال: فأتى عليَّ نبي الله ﷺ وقد صليت ركعتين، فضربني برجله وقال: «ألا أدلك على باب من أبواب الجنة»؟ قلت: بلى، قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله». كذا في «الترغيب» (3/ 104).

وأخرج ابن ماجه وابن أبي الدنيا وابن حبّان في «صحيحه» عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت أمشي خلف النبي ﷺ فقال لي: «يا أبا ذر ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة»؟ قلت: بلى. قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله». كذا في «الترغيب» (3/ 105).

وأخرج الطبراني (4/ 3899) عن عبد الله بن سعد بن أبي وقاص قال: قال لي أبو أيوب الأنصاري: ألا أعلمك كلمة علَّمنيها رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى يا عم، قال: إنَّ رسول الله ﷺ حين نزل عليَّ قال: «ألا أعلمك يا أبا أيوب كلمة من كنز الجنة»؛ قلت: بلى يا رسول الله بأبي أنت وأمي، قال: «أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله». قال الهيثمي (10/ 98): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» بإسنادين ورجال أحدهما ثقات. انتهى.

أخرج أحمد ـ بإسناد حسن ـ وابن أبي الدنيا وابن حبان في «صحيحه» عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ ليلة أُسري به مرّ على إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال: من معك يا جبرائيل؟ قال: هذا محمد ﷺ. فقال له إبراهيم عليه الصلاة والسلام: يا محمد مُرْ أمتك فليكثروا من غِراس الجنة؛ فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة، قال: «وما غراس الجنة»؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. كذا في «الترغيب» (3/ 105). وأخرجه الطبراني أيضاً (4/ 3898)، وفي رواية: «فسلَّم عليَّ

ورحَّب بي وقال: «مُرْ أمتك» قال الهيثمي (10/ 97): ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عمر وهو ثقة.

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 322) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من قال: باسم الله فقد ذكر الله، ومن قال: الحمد لله فقد شكر الله، ومن قال: الله أكبر فقد عظَّم الله، ومن قال: لا إلٰه إلا الله فقد وحَّد الله، ومن قال: لا حول ولا قوة إلا بالله فقد أسلم واستسلم وكان له بهاء وكنز في الجنة.

وأخرج أحمد عن مُطَرِّف قال: قال لي عمران رضي الله عنه: إني لأحدِّثك بالحديث اليوم لعل الله ينفعك به بعد اليوم، اعلم أن خيار عباد الله يوم القيامة الحمّادون. قال الهيثمي (10/ 95): رواه أحمد موقوفاً وهو شبه المرفوع ورجاله رجال الصحيح.

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما (قال) قال عمر رضي الله عنه: قد علمنا سبحان الله ولا إله إلا الله، فما الحمد لله؟ فقال علي رضي الله عنه: كلمة رضيها الله لنفسه وأحب أن تقال. وعند العسكري في «الأمثال» عن أبي ظَبيان أن ابن الكوَّاء سأل علياً عن سبحان الله فقال: كلمة رضيها الله لنفسه، تنزيه الله عن السوء. وأخرجه أبو الحسن البِكَالي عنه نحوه، كما في «الكنز» (1/ 210).

أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عمر، أنه أمر بضرب رجلين، فجعل أحدهما يقول: باسم الله، والآخر: سبحان الله، فقال ويحك خفّف عن المسبّح، فإنّ التسبيح لا يستقر إلا في قلب مؤمن، كذا في «الكنز» (1/ 210).

أخرج الطبراني (9/ 9144) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

أنه كان يقول: إذا حدَّثتكم بحديث أتيتكم بتصديق ذلك من كتاب الله عز وجل، إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر وتبارك الله، قبض عليهن مَلَك، فجعلهن تحت جناحه، ثم يصعد بهن فلا يمر على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن، حتى يجيء بهن وجه الرحمٰن تبارك؛ ثم قرأ عبد الله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: 10]. قال الهيثمي (10/ 90): وفيه المسعودي وهو ثقة ولكنه اختلط وبقية رجاله ثقات. انتهى. وأخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، وفي روايته: حتى يُحيَّا بهن وجه الرحمٰن. قال المنذري في «ترغيبه» (3/ 93) كذا في نسختي يُحيَّا - بالحاء المهملة وتشديد المثنَّاة تحت، ورواه الطبراني فقال: حتى يجيء - بالجيم، ولعله الصواب.

* * *

اختيار الجوامع من الأذكار على تكثيرها

أخرج الستة إلا البخاري عن جويرية رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها»؟ قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «لقد قلتُ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وُزنت بما قلتِ منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزِنَة عرشه، ومداد كلماته». وفي رواية لمسلم: «سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زِنَة عرشه، سبحان الله مداد كلماته». زاد النسائي في آخره: «الحمد لله كذلك». وفي رواية له: «سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزِنَة عرشه، ومداد كلماته». كذا في «الترغيب» (3/ 98).

أخرج أبو داود والترمذي - وحسَّنه - والنَّسائي وابن حبان في «صحيحه» والحاكم - وصحَّحه - عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى - أو حصى - تسبح به، فقال: «أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا - أو أفضل -» فقال: «سبحان الله عدد ما خلق في السماء، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض، سبحان الله عدد ما بين ذلك، سبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك». كذا في «الترغيب» (3/ 99).

أخرج أحمد وابن أبي الدنيا ـ واللفظ له ـ والنَّسائي وابن خزيمة وابن حِبَّان في «صحيحيهما» باختصار والحاكم ـ وصحَّحه ـ على شرط الشيخين عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: رآني النبي ﷺ وأنا أحرك شفتيّ فقال لي: «بأي شيء تحرك شفتيك يا أبا أُمامة»؟ فقلت: أذكر الله يا رسول الله. فقال: «ألا أخبرك بأكثر وأفضل من ذكرك بالليل والنهار»؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: تقول: «سبحان الله عدد ما خلق، سبحان الله ملء ما خلق، سبحان الله عدد ما في الأرض، سبحان الله ملء ما في الأرض والسماء، سبحان الله عدد ما أحصى كتابه، سبحان الله ملء ما أحصى كتابه، سبحان الله عدد كل شيء، سبحان الله ملء كل شيء، الحمد لله عدد ما خلق، والحمد لله ملء ما خلق، والحمد لله عدد ما في الأرض والسماء، والحمد لله ملء ما في الأرض والسماء، والحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله ملء ما أحصى كتابه، والحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء».

وأخرجه الطبراني (8/ 8122) بإسنادين أحدهما حسن ولفظه: قال: أفلا أخبرك بشيء إذا قلته ثم دأبت الليل والنهار لم تبلغه»؟ قلت: بلى، قال: تقول: «الحمد لله» فذكره مختصراً وقال: «وتسبح مثل ذلك وتكبِّر مثل ذلك». كذا في «الترغيب» (3/ 99).

وأخرجه الطبراني (8/ 7930) أيضاً بإسناد آخر قال: «أفلا أدلُّك على ما هو أكبر من ذكر الليل على النهار؟ تقول: الحمد لله» فذكره مختصراً. وفي رواية: «وتسبِّح الله مثلهن» ثم قال: «تعلَّمْهن وعلِّمهن عَقِبَك من بعدك». وفيه ليث بن أبي سُلَيم وهو مدلِّس، كما قال الهيثمي (10/ 93).

أخرج الطبراني والبزّاز (3080) عن أبي الدرداء رضي الله عنه

قال: أبصرني رسول الله ﷺ وأنا أحرِّك شفتيَّ فقال: «يا أبا الدرداء ما تقول»؟ قلت: أذكر الله، قال: «أفلا أعلمك ما هو أفضل من ذكر الله الليل مع النهار والنهار مع الليل»؟ قلت: بلى، قال: «سبحان الله عدد ما خلق، سبحان الله عدد كل شيء، سبحان الله ملء ما أحصى كتابه، والحمد لله عدد ما خلق، والحمد لله ملء ما خلق، والحمد لله ملء ما أحصَى كتابه». قال الهيثمي (10/ 94): وفيه ليث بن أبي سُلَيم وهو ثقة ولكنه اختلط وأبو إسرائيل المُلاَئي حسن الحديث وبقية رجالهما رجال الصحيح. انتهى. وفي هامشه عن ابن حجر: بل الأكثر على تضعيفه وبعضهم وصفه مع سوء الحفظ والاضطراب بالصدق.

أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ جالساً في الحلقة إذ جاء رجل فسلَّم على النبي ﷺ والقوم، فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فردَّ النبي ﷺ: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته» فلما جلس الرجل قال: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربُّنا أن يحمد وينبغي له. فقال له رسول الله ﷺ: «كيف قلت»؟ فردّ عليه كما قال، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لقد ابتدرها عشرة أملاك كلهم حريص على أن يكتبها، فما دروا كيف يكتبونها حتى رفعوها إلى ذي العزة فقال: اكتبوها كما قال عبدي». قال المنذري في «الترغيب» (3/ 103): رواه أحمد ـ ورواته ثقات ـ والنَّسائي (2/ 132) وابن حِبَّان في «صحيحه» (845/) إلا أنهما قالا: كما يحب ربنا ويرضى. انتهى.

وعند الطبراني (4/ 4088) بإسناد حسن ـ واللفظ له ـ والبيهقي (2/ 95) وابن أبي الدنيا عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رجل عند رسول الله ﷺ: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. فقال

رسول الله ﷺ: «من صاحب الكلمة»؟ فسكت الرجل ورأى أنه قد هَجَم من رسول الله ﷺ على شيء يكرهه، فقال رسول الله ﷺ: «من هو؟ فإنه لم يقل إلا صواباً» فقال الرجل: أنا قلتها يا رسول الله أرجو بها الخير. فقال: «والذي نفسي بيده لقد رأيت ثلاثة عشر ملكاً يبتدرون كلمتك أيهم يرفعها إلى الله تبارك وتعالى». كذا في «الترغيب» (3/ 102).

أخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير قال: رأى عمر رضي الله عنه إنساناً يسبح بمسابح معه فقال عمر: إنما يجزيه من ذلك أن يقول: سبحان الله ملء السماوات وملء ما شاء من شيء بعد، ويقول: الحمد لله ملء السماوات والأرض وملء ما شاء من شيء بعد، ويقول: الله أكبر ملء السماوات والأرض وملء ما شاء من شيء بعد. كذا في «الكنز» (1/ 210).

* * *

الأذكار بعد الصلوات وعند النوم

أخرج البخاري ومسلم - واللفظ له - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن فقراء المهاجرين أتَوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدُّثور بالدرجات العُلى والنعيم المقيم! قال: «وما ذاك»؟ قالوا: يصلّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون ولا نتصدَّق، ويعتقون ولا نُعتق. فقال رسول الله ﷺ: «أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم؟ ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم». قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تسبِّحون وتكبِّرون وتَحْمَدون دُبُر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة». قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله. فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء». قال سُمَيّ: فحدثت بعض أهلي بهذا الحديث فقال: وهِمْت، إنما قال لك: تسبح ثلاثاً وثلاثين، وتحمد ثلاثاً وثلاثين، وتكبِّر أربعاً وثلاثين، قال: فرجعت إلى أبي صالح فقلت له ذلك، فأخذ بيدي فقال: الله أكبر وسبحان الله والحمد لله، والله أكبر وسبحان الله والحمد لله حتى يبلغ من جميعهن ثلاثاً وثلاثين.

وأخرجه أبو داود ولفظه: قال أبو هريرة رضي الله عنه قال أبو ذر رضي الله عنه: يا رسول الله ذهب أصحاب الدُّثور بالأجور. فذكر بمعناه. وفي روايته: قال: «تكبِّر الله دُبُر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين،

وتحمده ثلاثاً وثلاثين، وتسبِّحه ثلاثاً وثلاثين، وتختمها بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غُفرت ذنوبك ولو كانت مثل زَبَد البحر». وأخرجه الترمذي - وحسنه - والنسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما نحوه وقالا فيه: «فإذا صلَّيتم فقولوا: سبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرة، والحمد لله ثلاثاً وثلاثين مرة، والله أكبر أربعاً وثلاثين مرة، ولا إله إلا الله عشر مرات». كذا في «الترغيب» (3/ 110).

وأخرجه ابن عساكر عن أبي هريرة نحو رواية أبي داود كما في «الكنز» (1/ 296) والبخاري في «التاريخ» والطيالسي وابن عساكر عن أبي ذر نحوه وزادوا: وبعد ذلك ذكر الصدقات. كما في «الكنز» (3/ 315) وقال: سنده حسن. وأخرجه البزّار (3094) عن ابن عمر رضي الله عنها مطوّلاً جداً كما في «المجمع» (10/ 101).

أخرج أحمد والبزّار والطبراني بأسانيد عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت: نزل بأبي الدرداء رضي الله عنه رجل، فقال أبو الدرداء: أمقيم فنسرح أم ظاعن فنعلف؟ قال: بل ظاعن، قال: فإنّي سأزوِّدك زاداً لو أجد ما هو أفضل منه لزودتك، أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ذهب الأغنياء بالدنيا والآخرة نصلّي ويصلُّون، ونصوم ويصومون، ويتصدّقون ولا نتصدَّق، قال: «ألا أدلك على شيء إذا أنت فعلته لم يسبقك أحد كان قبلك، ولم يدركك أحد بعدك إلا من فعل مثل الذي تفعل. دُبُر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، وثلاثاً وثلاثين تحميدة، وأربعاً وثلاثين تكبيرة». قال الهيثمي (10/ 100): وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح - اهـ. وأخرجه عبد الرزاق كما في «الكنز» (1/ 296) نحوه وزاد: ويجاهدون كما نجاهد وصلاة مكتوبة.

وأخرج عبد الرزاق (3188) وابن زنجويه عن قتادة مرسلاً قال: قال ناس من فقراء المؤمنين: يا رسول الله ذهب أهل الدُّثور بالأجور، يتصدّقون ولا نتصدّق وينفقون ولا ننفق، قال: «أرأيتم لو أنَّ مال الدنيا وضع بعض على بعض أكان بالغاً السماء»؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: «أفلا أخبركم بشيء أصله في الأرض وفرعه في السماء؟ أن تقولوا في دُبُر كل صلاة، لا إلٰه إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله عشر مرات، فإنَّ أصلهن في الأرض وفرعهن في السماء». كذا في «الكنز» (1/ 297).

أخرج أحمد عن علي رضي الله عنه أن رسول الله لما زوّجه فاطمة رضي الله عنها بعث معها بخميلة، ووسادة من أَدَم حَشْوُها ليف، ورَحَيَين، وسِقاءٍ، وجرَّتين، فقال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقد سَنَوتُ حتى اشتكيت صدري، وقد جاء الله أباك بسَبْي فاذهبي فاستخدميه. فقالت: وأنا والله لقد طحنت حتى مجلَت يداي. فأتت رسول الله ﷺ، فقال: «ما جاء بك أي بنيّة»؟ قالت: جئت لأسلِّم عليك، واستحيَتْ أن تسأله ورجعت، فقال علي: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله. فأتيا جمعياً النبي ﷺ فقال علي: يا رسول الله لقد سنوتُ حتى اشتكيت صدري. وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلَت يداي، وقد جاءك الله بسَبْي وسَعَة فأخدمنا، فقال: «والله لا أعطيكم وأدعُ أهل الصفَّة تَطوي بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم»: فرجعا فأتاهما النبي ﷺ قد دخلا في قطيفتهما، إذا غطَّت رؤوسهما تكشَّفت أقدامهما، وإذا غطَّت أقدامهما تكشَّفت رؤوسهما، فثارا، فقال: «مكانكما» ثم قال: «ألا أخبركما بخير مما سألتماني»؟ قالا: بلى، قال: «كلمات علمنيهن جبرائيل»؛ فقال: تسبِّحان الله في دبر

كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبِّران عشراً، فإذا أويتما إلى فراشكما فسبِّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبِّرا أربعاً وثلاثين»، قال علي رضي الله عنه: فوالله ما تركتهنَّ منذ سمعتهنَّ من رسول الله ﷺ، قال: فقال له ابن الكوَّاء: ولا ليلة صفِّين؟ فقال: قاتلكم الله يا أهل العراق، ولا ليلة صفِّين. قال المنذري في «الترغيب» (3/ 112) رواه أحمد واللفظ له، ورواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي، وفي هذا السياق ما يستغرب، وإسناده جيد، ورواته ثقات، وعطاء بن السائب ثقة وقد سمع منه حماد بن سلمة قبل اختلاطه. انتهى، وأخرجه ابن سعد (8/ 25) عن علي مثله.

وأخرجه أيضاً الحُميدي وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والعدني وابن جرير والحاكم وغيرهم عن عطاء بن السائب عن أبيه عن علي مطوَّلاً، وروى النَّسائي وابن ماجه بعضه، كما في «الكنز» (8/ 66). وعند ابن أبي شيبة (7/ 38) من حديث علي فقال: «ألا أدلُّكما على ما هو خير لكما من خادم؟ تسبحانه دُبُرَ كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وتحمدانه ثلاثاً وثلاثين، وتكبِّرانه أربعاً وثلاثين، وإذا أخذتما مضجعكما من الليل فتلك مائة» كذا في «الكنز»، وقد بسط فيه في طرق حديث علي هذا.

وعند أحمد من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن فاطمة رضي الله عنها جاءت إلى نبي الله ﷺ تشتكي إليه الخدمة فقالت: يا رسول الله لقد مجَلَتْ يداي من الرحَى أطحن مرة وأعجن مرة. فقال لها رسول الله ﷺ: «إن يرزقْك الله شيئاً يأتِك، وسأدلك على خير من ذلك، إذا لزمتِ مضجعك فسبِّحي الله ثلاثاً وثلاثين، وكبِّري ثلاثاً وثلاثين، واحمدي أربعاً وثلاثين، فذلك مائة، خير لك من الخادم، وإذا صلَّيت صلاة الصبح فقولي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد،

يحيي ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، عشر مرات بعد صلاة الصبح، وعشر مرات بعد صلاة المغرب؛ فإن كل واحدة منهن تكتب عشر حسنات وتحط عشر سيئات، وكل واحدة منهن كعتق رقبة من ولد إسماعيل، ولا يحل لذنب كتب ذلك اليوم أن يدركه إلا أن يكون الشرك، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهو حرَسُك ما بين أن تقوليه غدوة إلى أن تقوليه عشية من كل شيطان ومن كل سوء». قال الهيثمي (10/ 108): رواه أحمد والطبراني (23/ 676) بنحوه أخصر منه وقال: «هي تحرسك» مكان: «وهو»، وإسنادهما حسن. انتهى.

أخرج البزّار (3098) عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا صلّى قال: «لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، اللهمَّ لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا رادَّ لما قضيت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد». قال الهيثمي (10/ 103): وإسناده حسن.

وأخرجه البزّار أيضاً (3099) عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله إلا أن في روايته: إذا انصرف من صلاته، وزاد: «بيده الخير» ولم يذكر: «يحيي ويميت» ولا قوله: «ولا رادَّ لما قضيت». قال الهيثمي: رواه البزّار والطبراني بنحوه إلا أنه زاد: «يحيي ويميت» ولم يقل: «بيده الخير» وإسنادهما حسن.

وأخرجه الطبراني عن المغيرة رضي الله عنه مثل حديث جابر رضي الله عنه إلا أن في روايته: «في دبر صلاة» وزاد: «وهو حي لا يموت بيده الخير». ولم يذكر من قوله: «اللهمَّ لا مانع». إلى آخره. قال الهيثمي (10/ 103) رجاله رجال الصحيح وهو في الصحيح باختصار. اهـ.

أذكار الصباح والمساء

أخرج أبو داود والنَّسائي عن عبد الحميد مولى بني هاشم أن أمه حدثته ـ وكانت تخدم بعض بنات رسول الله ـ أن ابنة النبي ﷺ حدَّثتها أن النبي ﷺ كان يعلمها فيقول: «قولي حين تصبحين: سبحان الله وبحمده، ولا قوة إلا بالله، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً؛ فإنه من قالهنَّ حين يصبح حفظ حتى يمسي، ومن قالهن حين يمسي حفظ حتى يصبح». قال المنذري في «مختصر السنن»: وفي إسناده امرأة مجهولة، وأخرجه أيضاً ابن السُّني؛ كما في «تحفة الذاكرين» (ص 66).

وأخرج أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: من قال: إذا أصبح وإذا أمسى: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ـ سبع مرات ـ كفاه الله ما أهمه صادقاً كان بها أو كاذباً.

* * *

الذكر في الأسواق ومواقع الغفلة

أخرج الطبراني عن عِصْمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب العمل إلى الله عز وجل سبحة الحديث، وأبغض الأعمال إلى الله عز وجل التحريف». فقلنا: يا رسول الله وما سبحة الحديث؟ قال: «يكون القوم يتحدَّثون والرجل يسبح». قلنا: يا رسول الله وما التحريف؟ قال: «القوم يكونون بخير فيسألهم الجار والصاحب فيقولون: نحن بشرّ». كذا في «الترغيب» (3/ 193). قال الهيثمي (10/ 81) وفيه الفضل بن المختار وهو ضعيف.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 236) عن أبي إدريس الخولاني قال: قال معاذ رضي الله عنه: إنك تجالس قوماً لا محالة يخوضون في الحديث، فإذا رأيتهم غَفَلوا فارغب إلى ربك عز وجل عند ذلك رغبات. قال الوليد: فذكر لعبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر فقال: نعم، حدثني أبو طلحة حكيم بن دينار أنهم كانوا يقولون: آية الدعاء المستجاب إذا رأيت الناس غَفَلوا فارغب إلى ربك تعالى عند ذلك رغبات.

وأخرج ابن أبي الدنيا وغيره عن أبي قِلابة قال: التقى رجلان في السوق، فقال أحدهما للآخر: تعال نستغفر الله في غفلة الناس ففعل، فمات أحدهما فلقيه الآخر في النوم فقال: علمتَ أن الله غفر لنا عشية التقينا في السوق؟ كذا في «الترغيب» (3/ 191).

* * *

الأذكار في السفر

أخرج أحمد والطبراني عن أبي لاس الخزاعي رضي الله عنه قال: حَمَلَنا رسول الله ﷺ على إبل الصدقة للحج، فقلنا: يا رسول الله ما نرى أن تحملنا هذه. فقال: «ما من بعير إلا في ذروته شيطان؛ فاذكروا اسم الله عز وجل إذا ركبتموها كما أمركم الله، ثم امتهنوها لأنفسكم؛ فإنها تحمل بإذن الله عز وجل». قال الهيثمي (10/ 131): رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجال أحدهما رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق وقد صرَّح بالسماع في أحدها ـ انتهى. وذكر في «الإصابة» (4/ 168) في ترجمة لأبي لاس: روى عن النبي ﷺ في الحمل على إبل الصدقة في الحج. وذكر البخاري حديثه في «الصحيح» تعليقاً، وأخرج البغوي وغيره عن أبي سهل الخزاعي رضي الله عنه قال: حَمَلَنا رسول الله ﷺ على إبل ـ الحديث.

أخرج أحمد: عن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أردفه على دابته، فلما استوى عليها كبَّر رسول الله ﷺ ثلاثاً، وسبَّح الله ثلاثاً، وهلَّل الله واحدة، ثم استلقى عليه فضحك ثم أقبل عليه، فقال: «ما من امرىء يركب دابته فيصنع كما صنعت إلا أقبل الله عز وجل فضحك إليه كما ضحكت إليك». قال الهيثمي (10/ 131): وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف ـ اهـ.

أخرج الطبراني عن أبي المليح بن أسامة عن أبيه رضي الله عنه قال: كنت رديف رسول الله ﷺ فعثر بعيرنا، فقلت: تعس الشيطان، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقل: تعس الشيطان، فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول: بقوتي، ولكن قل: باسم الله فإنه يصير مثل الذباب». قال الهيثمي (10/ 132): رجاله رجال الصحيح غير محمد بن حُمران وهو ثقة.

وأخرجه أحمد بأسانيد عن أبي تميمة الهُجَيمي عمَّن كان رَدِف رسول الله ﷺ قال: كنت ردفه على حمار فعثر الحمار ـ فذكر نحوه. وفي روايته: وقال: «صرعته بقوتي، وإذا قلت: باسم الله، تصاغرتْ إليه نفسه حتى يكون أصغر من ذباب» ورجالها كلّها رجال الصحيح.

أخرج أحمد وأبو يَعْلى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا علا نَشَزاً من الأرض قال: «اللهمَّ لك الشرف على كل شرف، ولك الحمد على كل حال». قال الهيثمي: وفيه زياد النميري وقد وُثِّق على ضعفه وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن أنس قال: كنا إذا نزلنا منزلاً سبّحنا حتى نحل الرحال. قال شعبة: تسبيحاً باللسان، وإسناده جيد كما

قال الهيثمي (10/ 133) وقد تقدّم بعض قصص الباب في الذكر في الجهاد.

أخرج الطبراني عن عوف قال: كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذا خرج من بيته قال: باسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله. قال محمد بن كعب القرظي: هذا في القرآن ﴿ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: 41]: وقال: على الله توكلنا. قال الهيثمي (10/ 129). رواه الطبراني موقوفاً وإسناده منقطع وفيه المسعودي وقد اختلط انتهى.

* * *

الصلاة على النبي ﷺ

أخرج أحمد وابن مَنِيع والرُّوياني والحاكم والبيهقي في «شُعَب الإيمان» وسعيد بن منصور وعبد بن حُمَيد عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: «يا أيها الناس اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه». قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «ما شئت». قلت: الربع؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير». قلت: فالنصف؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير». قلت: فالثلثين؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فهو خير». قلت: أجعل لك صلاتي كلها، قال: «إذن تُكفى همَّك ويُغفر لك ذنبُك». كذا في «الكنز» (1/ 215) وقال لرواية ابن مَنِيع: حسن. وأخرجه الترمذي (2457) وقال: حسن صحيح وصحَّحه الحاكم كما في «الترغيب» (3/ 161). وأخرجه الطبراني (4/ 3574) بإسناد حسن كما في «الترغيب» (3/ 161) وأبو نُعَيم كما في «الكنز» (1/ 215) عن حِبان بن منقذ مختصراً مقتصراً على آخره.

أخرج أبو يعلى (2/ 858) ـ واللفظ له ـ وابن أبي الدنيا عن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه قال: كان لا يفارق رسول الله ﷺ منّا خمسةٌ أو أربعة من أصحاب النبي ﷺ لما ينوبه من حوائجه بالليل والنهار، قال: فجئته وقد خرج فاتَّبعته فدخل حائطاً من حيطان

الأشراف، فصلَّى فسجد فأطال السجود فبكيت؟ وقلت: قبض الله روحه، قال: فرفع رأسه فدعاني فقال: «ما لك»؟ فقلت: يا رسول الله أطلت السجود قلت: قبض الله روح رسوله لا أراه أبداً. قال: «سجدت شكراً لربي فيما أبلاني في أمتي، من صلَّى عليَّ صلاة من أمتي كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات».

وأخرجه أحمد والحاكم عن عبد الرحمٰن بمعناه وفي روايتهما: قال: فقال: إنَّ جبريل عليه السلام قال لي: ألا أبشرك، إنَّ الله عز وجل يقول: من صلَّى عليك صلَّيت عليه، ومن سلَّم عليك سلَّمت عليه». زاد في رواية: «فسجدت لله شكراً». قال الحاكم: صحيح. كذا في «الترغيب» (3/ 155) وقال: في روايتهما - أي أبي يَعْلى وابن أبي الدنيا - موسى بن عُبَيدة الرَّبذي وقال الهيثمي (10/ 161) وهو ضعيف.

أخرج أحمد والنَّسائي عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله ﷺ يوماً طيب النفس يُرى في وجهه البشر قالوا: يا رسول الله أصبحت اليوم طيب النفس يُرى في وجهك البشر، قال: «أجل، أتاني آتٍ من ربي عزَّ وجلَّ فقال: من صلَّى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها». وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» والطبراني بنحوه. كذا في «الترغيب» (3/ 157). وأخرجه أيضاً عبد الرزاق (2/ 3113) بنحوه، كما في «الكنز» (1/ 216). وللحديث طرق كثيرة وألفاظ مختلفة.

وأخرج الحاكم - وصحَّحه - عن كعب بن عُجْرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احضروا المنبر» فحضرنا، فلما ارتقى درجة قال: «آمين»، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال: «آمين»، فلما ارتقى الدرجة

الثالثة قال: «آمين» فلما نزل قلنا: يا رسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه، قال: «إن جبريل عرض لي فقال: بَعُدَ من أدرك رمضان فلم يُغْفر له، قلت: آمين، فلما رقيت الثانية قال: بَعُد من ذُكرت عنده فلم يصلِّ عليك فقلت: آمين، فلما رَقِيت الثالثة قال: بَعُد من أدرك أبويه الكِبَرُ عنده أو أحدَهما فلم يدخلاه الجنة، قلت: آمين». وأخرجه ابن حِبَّان في «صحيحه» عن مالك بن الحُوَيرث، والبزّار والطبراني عن عبد الله بن الحارث بن جَزْء الزُّبَيدي رضي الله عنه،وابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحوه، كما في «الترغيب» (3/ 166). وأخرج الطبراني (19/ 315) أيضاً حديث كعب ورجاله ثقات كما قال الهيثمي، وحديث مالك وفيه عمران بن أبان وثَّقه ابن حِبَّان وضعَّفه غير واحد. ومن هذا الطريق أخرجه ابن حِبَّان كما قال الهيثمي (10/ 166).

أخرج ابن أبي عاصم في «كتاب الصلاة» عن أبي ذر رضي الله عنه قال: خرجت ذات يوم فأتيت رسول الله ﷺ، قال: «ألا أخبركم بأبخل الناس»؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: «من ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ، فذلك أبخل الناس». كذا في «الترغيب» (3/ 170).

أخرج مالك وابن أبي شيبة ومسلم والأربعة إلا ابن ماجه وعبد الرزاق (3108) وعبد بن حُميد عن أبي موسى رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله ﷺ فجلس معنا في مجلس سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ، فقال له بشير بن سعد ـ وهو أبو النعمان بن بشير رضي الله عنهما ـ: أمرنا الله أن نصلِّي عليك يا رسول الله، فكيف نصلِّي عليك يا رسول الله؟ فسكت رسول الله ﷺحتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال: «قولوا: اللهمَّ صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على

محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، والسلام كما علِّمتم» كذا في «الكنز» (1/ 217).

أخرج ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً بإسناد حسن قال: إذا صلَّيتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة؛ فإنكم لا تدرون لعلَّ ذلك يُعرض عليه. قال: فقالوا له: فعلِّمنا. قال: قولوا: اللهمَّ اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبين، محمد عبدك ورسولك إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة. اللهمَّ ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون. اللهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهمَّ بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. كذا في «الترغيب» (3/ 165). وقد تقدَّم ما كان عليٌّ رضي الله عنه يعلمهم من ألفاظها.

أخرج الخطيب والأصبهاني عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: الصلاة على النبي ﷺ أمحق للخطايا من الماء للنار، والسلام على النبي ﷺ أفضل من عتق الرقاب، وحبُّ رسول الله ﷺ أفضل من عتق الأنفس - أو قال من ضرب السيف في سبيل الله عز وجل - كذا في «الكنز» (1/ 213).

وأخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض، ولا يصعد منه شيء حتى تُصلِّي على نبيك ﷺ.

وعند ابن راهَوَيه بسند صحيح عن عمر قال: ذُكر لي أن الدعاء يكون بين السماء والأرض - فذكر نحوه.

وعند الرَّهاوي عنه قال: الدعاء كلُّه يُحجب دون السماء حتى يُصلَّى على النبي ﷺ فإذا جاءت الصلاة رُفع الدعاء. وأخرجه الدَّيْلَمي وعبد القادر الرَّهاوي في «الأربعين» عن عمر مرفوعاً نحو سياق الترمذي وقال: رُوي عن عمر موقوفاً من قوله وهو أصح من المرفوع، وقال الحافظ العراقي: وهو إن كان موقوفاً عليه فمثله لا يقال من قبل الرأي وإنما هو أمر توقيفي، فحكمه حكم المرفوع كما صرَّح به جماعة من الأئمة أهل الحديث والأصول. كذا في «الكنز» (1/ 213).

أخرج الطبراني في «الأوسط» موقوفاً عن علي رضي الله عنه قال: كل دعاء محجوب حتى يُصلَّى على محمد ﷺ. قال المنذري في «ترغيبه»: رواته ثقات ورفعه بعضهم والموقوف أصح ـ اهـ. وأخرجه أيضاً البيهقي في «شُعَب الإيمان» وعبيد الله العيشي في حديثه وعبد القادر الرَّهاوي في «الأربعين»، كما في «الكنز» (1/ 214).

وأخرج البيهقي في «شُعَب الإيمان» عن علي قال: من صلَّى على النبي ﷺ يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة وعلى وجهه من النور نور؛ يقول الناس: أيّ شيء كان يعمل هذا؟!. كذا في «الكنز» (1/ 214).

وأخرج عبد الرزاق (3119) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لا ينبغي الصلاة على أحد إلا النبيين. كذا في «الكنز» (1/ 216).

وعند الطبراني (11/ 11813) عنه قال: لا ينبغي الصلاة من أحد على أحد إلا على النبي ﷺ. قال الهيثمي (10/ 167): رواه الطبراني موقوفاً ورجاله رجال الصحيح. انتهى.

* * *

الاستغفار

أخرج أبو داود والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إنْ كنا لَنَعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة «ربِّ اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم».

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 276) عن حذيفة رضي الله عنه قال: شكوتُ إلى رسول الله ﷺ ذَرَب لساني، فقال: «أين أنت من الاستغفار؟ إني لأستغفر الله عز وجل كل يوم مائة مرة». وأخرجه ابن أبي شيبة عن حذيفة مثله، كما في «الكنز» (1/ 212).

وفي رواية أخرى عنه عند أبي نعيم قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إنَّ لي لساناً ذَرِباً على أهلي قد خشيت أن يدخلني النار ـ فذكر مثله.

أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي والأصبهاني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ في مسيره فقال: «استغفروا الله» فاستغفرنا، فقال: «أتِمُّوها سبعين مرة» يعني فأتممناها، فقال رسول الله ﷺ: «ما من عبد ولا أمَة يستغفر الله في يوم سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمائة ذنب، وقد خاب عبد أو أمَة عمل في يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب». كذا في «الترغيب» (3/ 131). وأخرجه ابن النجار مثله، كما في «الكنز» (1/ 212).

أخرج ابن أبي شيبة وابن مَنِيع ـ وصحّح ـ عن علي بن ربيعة قال:

حملني علي ـ رضي الله عنه ـ خلفه ثم سار بي إلى جانب الحرّة، ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: اللهمَّ أغفر لي ذنوبي؛ إنه لا يغفر الذنوب أحد غيرك. ثم التفت إليَّ فضحك فقلت: يا أمير المؤمنين استغفارُك ربَّك والتفاتُك إليَّ تضحك؟ فقال: حملني رسول الله ﷺ خلفه ثم سار بي إلى جانب الحرّة ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: «اللهمَّ أغفر لي ذنوبي؛ فإنه لا يغفر الذنوب أحد غيرك» ثم التفت إليَّ فضحك، فقلت: يا رسول الله استغفارُك ربك والتفاتك إليّ تضحك؟. قال: «ضحكت لضحك ربي لعجبه لعبده أنه يعلم أنه لا يغفر الذنوب أحد غيره». كذا في «الكنز» (1/ 211).

أخرج أبو يَعْلى وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما رأيت أحداً بعد رسول الله ﷺ أكثر أن يقول: أستغفر الله وأتوب إليه، من رسول الله ﷺ. كذا في «الكنز» (1/ 212).

أخرج الحاكم (1/ 543) عن محمد بن عبد الله بن محمد بن جابر بن عبد الله عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: وا ذُنوباه! وا ذنوباه! فقال هذا القول مرتين أو ثلاثاً، فقال له رسول الله ﷺ: «قل: اللهمَّ مغفرتُك أوسع من ذنوبي، ورحمتك أرجَى عندي من عملي» فقالها، ثم قال: «عُدْ» فعاد، ثم قال: «عُدْ» فعاد، ثم قال: «قُمْ فقد غفر الله لك». قال الحاكم: رواته مدنيُّون لا يعرف واحد منهم بجرح. كذا في «الترغيب» (3/ 132).

أخرج أحمد في «الزهد» (151) وهَناد عن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقول: أستغفر الله وأتوب إليه، فقال: ويحك أتبعها أختها: فاغفر لي وتب عليَّ. كذا في «الكنز» (1/ 211).

وأخرج الدِينَوَري عن الشَّعْبي قال: قال علي رضي الله عنه: عجبت

لمن يَهلك والنجاة معه! قيل له: ما هي؟ قال: الاستغفار. كذا في «الكنز» (1/ 211).

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: طوبى لمن وجد في صحيفته نبذة من الاستغفار. كذا في «الكنز» (1/ 212).

أخرج الطبراني (19/ 2854) موقوفاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لا يقول رجل: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه ـ ثلاث مرات ـ إلا غُفر له وإن كان فرَّ من الزحف. قال الهيثمي (10/ 210): ورجاله وُثِّقوا.

وأخرج الحاكم (3/ 316) عن عبد الله بن مسعود: لو تعلمون ذنوبي ما وطِىء عقبي رجلان، ولحثيتم على رأسي التراب، ولوددتُ أنَّ الله غفر لي ذنباً من ذنوبي وأني دُعيت عبد الله بن رَوْثة ـ وصحَّحه ـ والحاكم والذهبي.

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 383) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنِّي لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم اثني عشر ألف مرة، وذلك على قدر دِيتي ـ أو على قدر دينه ـ. وفيما ذكر في «صفة الصفوة» (1/ 288): بقدر ذنبي. وأخرج الحاكم موقوفاً عن البراء رضي الله عنه قال له رجل: يا أبا عُمارة ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195] أهو الرجل يَلْقى العدوَّ فيقاتل حتى يُقتل؟ قال: لا، ولكن هو الرجل يُذنب الذنب فيقول: لا يغفره الله. قال الحاكم: صحيح على شرطهما. كذا في «الترغيب» (3/ 132).

* * *

ما يدخل في الذكر

أخرج الطبراني بإسناد حسن عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليبعثنَّ الله أقواماً يوم القيامة في وجههم النور، على منابر اللؤلؤ، يغبطهم الناس، لَيْسوا بأنبياء ولا شهداء». قال: فجثا أعرابي على ركبتيه، فقال: يا رسول الله حَلِّهم لنا نعرفهم، قال: «هم المتحابُّون في الله من قبائل شتى وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرونه».

وعنده أيضاً عن عمرو بن عَبَسة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عن يمين الرحمٰن - وكلتا يديه يمين - رجال لَيْسوا بأنبياء ولا شهداء، يَغْشى بياضُ وجوههم نظرَ الناظرين، يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله عز وجل» قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «هم جُمَّاع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله، فينتقون أطايب الكلام كما ينتقي آكل التمر أطايبه» وإسناده مقارِب لا بأس به، كذا في «الترغيب» (3/ 66). وقال الهيثمي (10/ 77) لحديث عمرو بن عَبَسة: رواه الطبراني ورجاله موثَّقون - انتهى.

* * *

قوله عليه السلام لأصحابه حينما جلسوا يذكرون الجاهلية ونعمة الإيمان

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن

رسول الله ﷺ أتى على أصحابه وهم يتحدَّثون، فقالوا: كنا نذكر ما كنا فيه من الجاهلية وما هدانا الله عز وجل وما كنا فيه من الضلالة، فقال رسول الله ﷺ: «أحسنتم ـ وأعجبه ـ هكذا كونوا، وهكذا فافعلوا». قال الهيثمي (10/ 80): وفيه مبارك بن فَضَالة وقد وُثِّق وضعَّفه غير واحد وبقية رجاله رجال الصحيح ـ انتهى.

* * *

قول ابن عباس وعائشة في ذكر عمر، وقولها في الصلاة على النبي ﷺ

أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أكثروا ذكر عمر ـ رضي الله عنه ـ فإنَّ عمر إذا ذُكر ذُكر العدل، وإذا ذكر العدل ذُكر الله. كذا في «المنتخب» (4/ 391).

وعنده أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: زيِّنوا مجالسكم بالصلاة على النبي ﷺ وبذكر عمر بن الخطاب. كذا في «المنتخب» (4/ 394).

* * *

آثار الذكر وحقيقته

قوله عليه السلام في أولياء الله عز وجل

أخرج البزّار (3626) عن ابن عباس قال: قال رجل: يا رسول الله مَنْ أولياء الله؟ قال: «الذين إذا رُؤوا ذُكر الله». قال الهيثمي (10/ 78): رواه البزّار عن شيخه علي بن حرب الرازي ولم أعرفه وبقية رجاله وُثِّقوا - انتهى.

* * *

قوله عليه السلام لحنظلة ولأبي هريرة: لو كنتم كما تكونون عندي إلخ

أخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم عن حنظلة الكاتب الأُسَيِّديِّ، - وكان من كتاب النبي ﷺ - فقال: كنّا عند النبي ﷺ فذكَّرنا الجنة والنار حتى كانا رأي عين، فقمت إلى أهلي وولدي فضحكت ولعبت، فذكرت الذي كنا فيه فخرجت - فذكر الحديث كما تقدَّم في الإيمان بالجنة والنار وفي آخره: فقال: «يا حنظلة لو كنتم عند أهليكم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطريق، يا حنظلة ساعة ساعة». وعند الطيالسي وأبو نُعيم: «لو كنتم تكونون كما تكونون عندي لأظلتكم الملائكة بأجنحتها». كذا في «الكنز» (1/ 100).

وأخرج ابن النجار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إنّا إذا كنّا عندك رقّت قلوبنا، وزهدنا في الدنيا، ورغبنا في الآخرة. فقال: «لو تكونون إذا خرجتم من عندي كما تكونون عندي لزارتكم الملائكة ولصافحتكم في الطريق، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون حتى تبلغ خطاياهم عَنان السماء فيستغفرون الله فيغفر لهم على ما كان منهم ولا يبالي». كذا في «الكنز» (1/ 101).

* * *

تخايل ابن عمر اللّه عز وجل بين عينيه وهو يطوف

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 309) عن عروة بن الزبير قال: خطبت إلى عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - ابنته ونحن في الطواف فسكت ولم يجبني بكلمة، فقلت: لو رضي لأجابني، والله لا أراجعه فيها بكلمة أبداً. فقُدِّر له أن صَدَر إلى المدينة قبلي، ثم قدمت فدخلت مسجد الرسول ﷺ فسلّمت عليه وأدّيت إليه من حقّه ما هو أهله، فأتيته ورحّب بي وقال: متى قدمتَ؟ فقلت: هذا حين قدومي. فقال: أكنت ذكرت لي سَوْدة بنت عبد الله ونحن في الطواف نتخايل الله عز وجل بين أعيننا، وكنتَ قادراً أن تلقاني في غير ذلك الموطن؟ فقلت: كان أمراً قدِّر. قال: فما رأيك اليوم؟ قلت: أحرص ما كنت عليه قط. فدعا ابنيه سالماً وعبد الله فزوَّجني. وأخرجه ابن سعد (4/ 167) عن نافع بمعناه مع زيادة.

* * *

الذكر الخفي ورفع الصوت بالذكر

أخرج أبو يَعْلى (8/ 4738) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يفضل الصلاة التي يستاك لها على الصلاة التي لا يستاك لها سبعين ضعفاً، وقال رسول الله ﷺ: «لَفضل الذكر الخفي الذي لا يسمعه سبعون ضعفاً». فيقول: «إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق لحسابهم وجاءت الحَفَظة بما حفظوا وكتبوا قال الله لهم: انظروا هل بقي له من شيء، فيقولون: ربَّنا ما تركنا شيئاً مما علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه، فيقول الله تبارك وتعالى له: إنَّ لك عندي خبيئاً لا تعلمه وأنا أجزيك به، وهو الذكر الخفي». قال الهيثمي (10/ 81) وفيه معاوية بن يحيى الصَّدَفي وهو ضعيف ـ انتهى.

أخرج أبو داود عن جابر رضي الله عنه قال: رأينا ناراً بالبقيع فأتيناه، فإذا رسول الله في القبر يقول: «ناولوني الرجل» فناولوه من قِبَل رجْلي القبر، فنظرت فإذا هو الذي كان يرفع صوته بالذكر. كذا في «جمع الفوائد» (1/ 137). وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (3/ 351) عن جابر بنحوه مختصراً.

وقال الحافظ في «الإصابة» (2/ 338) قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن إبراهيم التَّيْمي قال: كان عبد الله رضي الله عنه رجلاً من مُزَينة وهو ذو البِجادين يتيماً في حِجْر عمه وكان محسناً له، فبلغ عمَّه أنه أسلم فنزع منه كل شيء أعطاه حتى جرده من ثوبه، فأتى أمَّه فقطعت له بجاداً

لها باثنتين، فاتَّزر نصفاً وارتدى نصفاً، ثم أصبح فقال له النبي ﷺ: «أنت عبد اللَّه ذو البجادين فالتزم بابي» فلزم بابه، وكان يرفع صوته بالذكر، فقال عمر: أَمُراءٍ هو؟ قال: «بل هو أحد الأوّاهين». قال التيمي: وكان ابن مسعود رضي الله عنه يحدِّث قال: قمت في جوف الليل في غزوة تبوك، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر فاتّبعتها فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - وإذا عبد الله ذو البجادين - رضي الله عنه - قد مات، فإذا هم قد حفروا له ورسول الله ﷺ في حفرته، فلما دفَّناه قال: «اللهمَّ إني أمسيت عنه راضياً فارضَ عنه». رواه البغوي بطوله من هذا الوجه ورجاله ثقات إلا أن فيه إنقطاعاً. وأخرجه ابن مَنْدَه من طريق سعد بن الصَّلْت عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود، ومن طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده نحوه.

وأخرج أحمد وجعفر بن محمد الفِريابي في «كتاب الذكر» عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال لرجل يقال له ذو البجادين: «إنه أوّاه» وذلك أنه كان يكثر ذكر الله بالقرآن والدعاء ويرفع صوته. انتهى.

* * *

عدُّ التسبيح وأصل السبحة

أخرج الترمذي والحاكم عن صفيَّة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وبين يديها أربعة آلاف نواة تسبح بهن، فقال: «ألا أعلمك بأكثر مما سبَّحتِ به»؟ فقالت: بلى علمني، فقال: «قولي: سبحان الله عدد خلقه». وقال الحاكم: «قولي: سبحان الله عدد ما خلق من شيء». وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه من حديث صفية إلاَّ من هذا الوجه من حديث هاشم بن سعد الكوفي وليس إسناده بمعروف. كذا في «الترغيب» (3/ 99) ـ انتهى. وقد تقدَّم شيء من ذلك في الجوامع من الأذكار.

أخرج البغوي عن أبي صفيّة رضي الله عنه مولى النبي ﷺ أنه كان يوضع له نِطَع ويُجاء بزَبيل فيه حصى، فيسبح به إلى نصف النهار ثم يرفع، فإذا صلَّى الأولى سبَّح حتى يمسي. كذا في «البداية» (5/ 322).

وأخرج البغوي أيضاً عن يونس بن عبيد عن أمه قالت: رأيت أبا صفية ـ رجلاً من المهاجرين ـ يسبِّح بالنوى. وهكذا أخرجه البخاري ـ أي في غير الصحيح ـ. كذا في «الإصابة» (4/ 109) وهكذا أخرجه ابن سعد (7/ 60).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 383) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبِّح به.

وعند أبي داود (3/ 55/ 2174) عن أبي نَضْرة قال: حدثني شيخ

من طُفاوة قال: تثويت أبا هريرة بالمدينة، فلم أرَ رجلاً من أصحاب النبي ﷺ أشد تشميراً ولا أقوم على ضيف منه، فبينما أنا عنده يوماً وهو على سرير له معه كيسى فيه حصى ـ أو نوى ـ وأسفل منه جارية له سوداء وهو يسبح بها، حتى إذا أنفد ما في الكيس ألقاه إليها فجمعته فأعادته في الكيس فرفعته إليه ـ فذكر الحديث بطوله. وأخرج ابن سعد (3/ 143) عن حكيم بن الدَّيلمي أن سعداً رضي الله عنه كان يسبِّح بالحصى.

أخرج ابن جرير عن ابن عمر ضي الله عنهما قال: إن استطعت أن لا تذكر الله إلا وأنت طاهر فافعل. كذا في «الكنز» (1/ 209).

وأخرج أحمد عن أبي عثمان النَّهْدي قال: بلغني عن أبي هريرة أنه قال: بلغني أنَّ الله عز وجل يعطي عبده بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة، فقال أبو هريرة: كلا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل يعطيه ألفَي ألف حسنة» ثم تلا ﴿يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: 40] فقال: «إذا قال الله عز وجل: أجراً عظيماً، فمن يقدِّر قدْره» وفي رواية: أتيت أبا هريرة فقلت: بلغني أنك تقول: إن الحسنة تضاعف ألف ألف حسنة، فقال: وما أعجبك من ذلك؟ فوالله لقد سمعته ـ فذكر نحوه. قال الهيثمي (10/ 145): رواه أحمد بإسنادَين والبزّار (3259) بنحوه وأحد إسنادي أحمد جيد ـ انتهى.

* * *

الباب الخامس عشر

دعوات الصحابة

كيف كان النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يعجُّون إلى الله تبارك وتعالى بالدعوات؟ ولأي أمور كانوا يدعون؟ وفي أي وقت كانوا يدعون؟ وكيف كانت دعواتهم؟

آداب الدعاء

أخرج ابن أبي شيبة عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: مرَّ رسول الله ﷺ على رجل وهو يقول: اللهمَّ إني أسألك الصبر، فقال رسول الله ﷺ: «سألت الله البلاء فاسأله المعافاة». ومرَّ على رجل وهو يقول: اللهمَّ إني أسألك تمام النعمة. فقال: «يا بن آدم وهل تدري ما تمام النعمة»؟ قال: يا رسول الله دعوة دعوتُ بها رجاء الخير، قال: «فإنَّ من تمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار» ومرَّ على رجل وهو يقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال: «قد استجيب لك فاسأل». كذا في «الكنز» (1/ 292).

أخرج ابن أبي شيبة (7/ 52) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ على رجل كأنه فرخ منتوف من الجهد، فقال له النبي ﷺ: «هل كنت تدعو الله بشيء»؟ قال: كنت أقول: اللهمَّ ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجِّله لي في الدنيا. فقال له النبي ﷺ: «ألاَ قلتَ: اللهمَّ آتِنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»؟ فدعا الله فشفاه. كذا في «الكنز» (1/ 290). وأخرجه ابن النجار عنه بنحوه كما في «الكنز».

أخرج أبو نُعيم عن بشير بن الخَصاصيَة قال: قال رسول الله ﷺ: «أحمد اللَّه الذي جاء بك من ربيعة القَشْعَم حتى أسلمت على يدي رسول الله ﷺ». فقلت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يميتني قبلك. قال: «لست أدعو بهذا لأحد». كذا في «المنتخب» (5/ 147).

أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دعا لأحد بدأ بنفسه، فذكر ذات يوم موسى - عليه السلام - فقال: «رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر لرأى من صاحبه العجب العاجب، ولكنه قال: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف: 76] وطوَّلها. وأخرجه الترمذي نحوه ولم يذكر من قوله: فذكر ذات يوم إلى آخره وقال: حسن غريب صحيح. كذا في «الكنز» (1/ 290). وأخرجه الطبراني (4/ 4081) بإسناد حسن عن أبي أيوب رضي الله عنه بلفظ: كان إذا دعا بدأ لنفسه، كما في «المجمع» (10/ 152).

وأخرج ابن أبي شيبة عن الشَّعْبي قال: قالت عائشة رضي الله عنها لابن (أبي) السائب قاصِّ أهل المدينة: اجتنب السجع في الدعاء، فإني عهدتُ رسول الله ﷺ وأصحابه وهم لا يفعلون ذلك. كذا في «الكنز» (1/ 292).

أخرج ابن أبي شيبة وأبو عبيد عن عمر أنه سمع رجلاً يتعوّذ من الفتنة، فقال عمر: اللهمَّ إني أعوذ بك من ألفاظه، أتسأل ربك أن لا يرزقك أهلاً ومالاً - أو قال: أهلا وولداً؟ - وفي لفظ: أتحب أن لا يرزقك الله مالاً وولداً؟ أيكم استعاذ من الفتنة فليستعذ من مُضِلاّتها. كذا في «الكنز» (1/ 289).

وأخرج الطبراني (9/ 8548) عن محارب بن دِثَار عن عمِّه قال: كنت أمر على دار عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - سَحَراً فأسمعه يقول: اللهمَّ دعوتَني فأجبت، وأمرتَني فأطعت، وهذا سَحَرٌ فاغفر لي. فلقيته فقلت: كلمات سمعتك تقولهن من السَحَر فأخبرته بهن، فقال: إن يعقوب أخَّر بنيه إلى السحر. قال الهيثمي (10/ 155): وفيه عبد الرحمٰن بن إسحاق الكوفي وهو ضعيف.

رفع اليدين ومسح الوجه بهما

أخرج **الحاكم** عن عمر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دعا رفع يديه، وإذا فرغ ردَّهما على وجهه. وعنده أيضاً والترمذي - وصحَّحه - عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع يديه في الدعاء لم يَحُطَّهُما حتى يمسح بهما وجهه.

وعند عبد الغني في «إيضاح الإشكال» عنه قال: رأيت النبي ﷺ عند أحجار الزيت يدعو بباطن كفَّيه، فلما فرغ مسح بها وجهه. كذا في «الكنز» (1/ 289).

وأخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يرفع يديه يدعو حتى إني لأسأم له ممّا يرفعهما. قال الهيثمي (10/ 168): رواه أحمد بثلاثة أسانيد ورجالها كلها رجال الصحيح - انتهى.

وأخرجه عبد الرزاق (3248) عنها مثله وزاد: «اللهمَّ إنَّما أنا بشر فلا تعذبني بشتم رجل شتمته أو آذيته». كذا في «الكنز» (1/ 291).

وعند البخاري في «الأدب المفرد» (ص 90) عنها أنها رأت النبي ﷺ ويدعو رافعاً يديه يقول: «إنما أنا بشر فلا تعاقبني. أيُّما رجل من المؤمنين آذيتُه أو شتمتُه فلا تعاقبني فيه».

أخرج **عبد الرزاق** (3248) عن عروة أن رسول الله ﷺ مرّ بقوم من الأعراب كانوا قد أسلموا وكانت الأحزاب قد خرَّبت بلادهم، فرفع

رسول الله ﷺ يدعو لهم باسطاً يديه قِبَل وجهه، فقال له أعرابي: امدُدْ يا رسول الله فداك أبي وأمي، فمدَّ رسول الله ﷺ يده تلقاء وجهه ولم يرفعهما في السماء. كذا في «الكنز» (1/ 291).

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» (ص 90) عن أبي نُعيم وهب قال: رأيت ابن عمر وابن الزبير - رضي الله عنهم - يدعوان يديران بالراحتين على الوجه.

* * *

الدعاء في الجماعة ورفع الصوت والتأمين

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن قيس المدني أن رجلاً جاء زيد بن ثابت رضي الله عنه فسأل عن شيء، فقال له زيد: عليك بأبي هريرة. فبينا أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ندعو ونذكر ربنا عز وجل إذ خرج إلينا رسول الله ﷺ حتى جلس إلينا، فسكتنا فقال: «عودوا للذي كنتم فيه». فقال زيد: فدعوت أنا وصاحبي قبل أبي هريرة، وجعل النبي ﷺ يؤمِّن على دعائنا، ثم دعا أبو هريرة فقال: اللهمَّ إني سائلك بمثل ما سألك صاحباي وأسألك علماً لا يُنسى (فقال النبي ﷺ: «آمين»، فقلنا: يا رسول الله ونحن نسأل الله علماً لا يُنسى)، فقال النبي ﷺ: «سبقكما بها الغلامُ الدَّوْسي». قال الهيثمي (9/ 361): وقيس هذا كان قاصَّ عمر بن عبد العزيز لم يرو عنه غير ابنه محمد وبقية رجاله ثقات. انتهى.

أخرج ابن سعد (3/ 275) عن جامع بن شدّاد عن ذي قرابة له قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ثلاث كلمات إذ قلتها فهيمنوا عليها: اللهمَّ إنِّي ضعيف فقوِّني، اللَّهمَّ إنِّي غليظ فليِّنِّي، اللهمَّ إنِّي بخيل فسخِّني.

وأخرج أيضاً (3/ 321) عن السائب بن يزيد قال: نظرت إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يوماً في الرمادة غدا متبذِّلاً متضرِّعاً عليه بُرْد لا يبلغ ركبتيه، يرفع صوته بالاستغفار وعيناه تُهراقان على خديه، وعن يمينه العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ، فدعا يومئذٍ

وهو مستقبل القبلة رافعاً يديه إلى السماء وعجَّ إلى ربه، فدعا ودعا الناس معه ثم أخذ بيد العباس فقال: اللهمَّ إنا نستشفع بعمِّ رسولك إليك، فما زال العباس قائماً إلى جنبه ملياً والعباس يدعو وعيناه تهمُلان.

أخرج ابن سعد (3/ 294) عن أبي سعيد مولى أبي أسِيد قال: كان عمر بن الخطاب يعسُّ المسجد بعد العشاء، فلا يرى فيه أحداً إلا أخرجه إلا رجلاً قائماً يصلِّي، فمرَّ بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أبيّ بن كعب رضي الله عنه فقال: من هؤلاء؟ قال أُبيّ: نفر من أهلك يا أمير المؤمنين، قال: ما خلَّفكم بعد الصلاة؟ قال: جلسنا نذكر الله، قال: فجلس معهم ثم قال لأدناهم إليه خُذْ، قال: فدعا، فاستقرأهم رجلاً رجلاً يدعون حتى انتهى إليَّ وأنا إلى جنبه، فقال: هاتِ، فحُصرت وأخذني من الرعدة أَفْكَلُ حتى جعل يجد مسَّ ذلك مني، فقال: ولو أن تقول: اللهمَّ اغفر لنا، اللهمَّ ارحمنا. قال: ثم أخذ عمر فما كان في القوم أكثر دمعة ولا أشد بكاء منه، ثم قال: إيهاً! الآن فتفرَّقوا.

أخرج الطبراني عن أبي هُبَيرة عن حبيب بن مسلمة الفِهْري وكان مستجاباً أنه أُمِّر على جيش، فدَرَب الدروب، فلما لقي العدو قال للناس: سمعت رسول الله يقول: «لا يجتمع ملأ فيدعو بعضهم ويؤمِّن سائرهم إلا أجابهم الله». ثم إنَّه حمد الله وأثنى عليه وقال: اللهمَّ احقن دماءنا، واجعل أجورنا أجور الشهداء. فبينا هم على ذلك إذ نزل الهنباط أمير العدو فدخل على حبيب سرادقه. قال الهيثمي (10/ 170): رواه الطبراني وقال: الهنباط بالرومية صاحب الجيش، ورجاله رجال الصحيح غير ابن لَهيعة وهو حسن الحديث ـ انتهى. وقد تقدَّم في تمني الشهادة

والدعاء لها عن معقل بن يَسَار ـ فذكر الحديث بطوله، وفيه قول النعمان بن مقرِّن: فإني أدعو الله عز وجل بدعوة فعزمت على كل امرىء منكم لَمَّا أمَّن عليها: اللهمَّ أعطِ اليومَ النعمانَ الشهادة في نصر المسلمين، وافتح عليهم. وأخرجه الطبري، وهكذا أخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح وزاد في رواية: فأمَّن القوم، كما في المجمع (6/ 216). وهكذا أخرجه الحاكم (3/ 294) في حديث طويل.

وأخرج أحمد والطبراني عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لرجل يقال له ذو البجادين: «إنّه أوّاه»؛ وذلك أنه كثير الذكر لله عَزَّ وجَلَّ في القرآن، وكان يرفع صوته في الدعاء. قال الهيثمي (9/ 369): وإسنادهما حسن. وأخرجه ابن جرير أيضاً عن عقبة نحوه، كما في «التفسير» لابن كثير (2/ 395).

* * *

طلب الدعاء من الصالحين

أخرجه أبو داود والترمذي عن عمر رضي الله عنه قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة، فأذن لي وقال: «لا تنسنا يا أخي من دعائك» فقال عمر: كلمةٌ ما يسرني أنَّ لي بها الدنيا. وأخرجه ابن سعد (3/ 273) عن عمر بمعناه.

وأخرج ابن أبي شَيْبة (7/ 55) عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ فكأنَّا اشتهينا أن يدعو لنا فقال: «اللهمَّ اغفر لنا وارحمنا، وأرضَ عنا وتقبَّل منا، وأدخلنا الجنة ونجنا من النار، وأصلح لنا شأننا كله». فكأنا اشتهينا أن يزيدنا فقال: «قد جمعتُ لكم الأمر» كذا في «الكنز» (1/ 291).

أخرج ابن أبي الدنيا عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء ويقول لنفسه: ذوقي نار جهنم، أجيفة بالليل وبَطَالة بالنهار؟! قال: فبينا هو كذلك إذ أبصر النبيَ في ظل شجرة فأتاه فقال: غلبتني نفسي، فقال له ﷺ: «أمَا لقد فُتحت لك أبواب السماء، ولقد باهى بك الملائكة» ثم قال لأصحابه: «تزودوا من أخيكم». فجعل الرجل يقول: يا فلان ادعُ لي، فقال له النبي ﷺ: «عُمَّهم». فقال: اللهمَّ اجعل التقوى زادهم، واجمع على الهدَى أمرهم، فجعل النبي ﷺ يقول: «اللهمَّ سدِّده» فقال: واجعل الجنةَ مآبهم. كذا في «الكنز» (1/ 290).

وأخرجه الطبراني (2/ 1159) عن بُرَيدة رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في مسير له إذ أتى على رجل يتقلَّب في الرمضاء ظهراً لبطن يقول: يا نفسُ نوم بالليل وباطل بالنهار وترجين الجنة؟! فلما قضى دأب نفسه أقبل إلينا فقال: «دونكم أخوكم». قلنا: ادعُ الله لنا يرحمك الله، قال: اللهمَّ اجمع على الهدى أمرهم، قلنا: زِدْنا، قال: اللهمَّ اجعل التقوى زادهم، قلنا: زِدْنا، فقال النبي ﷺ: «زدهم» قال: «اللهمَّ وفقه» فقال: اللهمَّ اجعل الجنة مآبهم. قال الهيثمي (10/ 185): رواه الطبراني من طريق أبي عبد الله صاحب الصدقة عن علقمة بن مرثَد ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات ـ انتهى. وأخرجه أبو نُعيم عن بريدة نحوه، كما في «الكنز» (1/ 308).

أخرج ابن سعد (6/ 163) عن أسِير بن جابر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لأُوَيس: استغفر لي. قال: كيف أستغفر لك وأنت صاحب رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ خير التابعين رجل يقال له أُوَيس». وفي الحديث طول وأخرج المرفوع منه مسلم في «صحيحه» كما في «الإصابة» (1/ 115)، وفي روايته له: «فمن لقيه منكم فمرُوه فليستغفر لكم».

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» (ص 93) عن عبد الله (بن) الرومي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قيل له: إنَّ إخوانك أتَوك من البصرة ـ وهو يومئذٍ بالزاوية ـ لتدعو الله لهم قال: اللهمَّ اغفر لنا وارحمنا، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، فاستزادوه فقال مثلها، فقال: إن أُوتيتم هذا فقد أُوتيتم خير الدنيا والآخرة.

* * *

الدعاء لمن عصى

أخرج ابن أبي حاتم عن يزيدَ بن الأصمّ قال: كان رجل من أهل الشام ذو بأس، وكان يفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ففقده عمر فقال: ما فعل فلان ابن فلان؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين تتابع في هذا الشراب، قال: فدعا عمر كاتبه فقال: اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان ابن فلان، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، غافرِ الذنب وقابلِ التوب، شديدِ العقاب، ذي الطَّوْل، لا إلٰه إلا هو، إليه المصير. ثم قال لأصحابه: ادعُو الله لأخيكم أن يُقبل بقلبه ويتوب الله عليه. فلمَّا بلغ الرجلَ كتابُ عمر رضي الله عنه جعل يقرؤه ويردده ويقول: غافر الذنب، وقابل التوب شديد العقاب، قد حذَّرني عقوبته، ووعدني أن يغفر لي. ورواه الحافظ أبو نُعيم من حديث جعفر بن بُرْقان وزاد: فلم يزل يردِّدها على نفسه ثم بكى، ثم نزع فأحسن النزع، فلما بلغ عمرَ خبرُه قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاً لكم زلَّ زلَّة فسدِّدوه ووثِّقوه، وادعوا الله له أن يتوب، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه. كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 70).

* * *

الكلمات التي يُستفتح بها الدعاء

أخرج أبو داود والترمذي - وحسَّنه - وابن ماجه وابن حِبَّان في «صحيحه» عن بُرَيدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهمَّ إنِّي أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فقال: «لقد سألت الله بالاسم الأعظم الذي إذا سُئل به أعطى وإذا دُعيَ به أجاب». وأخرجه الحاكم إلا أنه قال: «لقد سألتَ الله باسمه الأعظم» وقال صحيح على شرطهما. كذا في «الترغيب» (3/ 145). وأخرجه النسائي أيضاً كما في «أذكار النووي» (ص 501).

«وأخرج الترمذي» - وحسَّنه - عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً وهو يقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال: «قد أستجيب لك فسَلْ». كذا في «الترغيب» (3/ 145).

وأخرج أحمد - واللفظ له - وابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرّ النبي ﷺ بأبي عيّاش زيد بن الصامت الزُّرَقي وهو يصلِّي وهو يقول: اللهمَّ إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، يا حنّان، يا منّان، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام. فقال رسول الله ﷺ: «لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى». ورواه أبو داود والنَّسائي وابن حِبَّان في «صحيحه» والحاكم وزاد هؤلاء الأربعة: يا حيُّ يا قيُّوم. وقال الحاكم: صحيح

على شرط مسلم. وزاد الحاكم في رواية له: أسألك الجنة وأعوذ بك من النار. كذا في «الترغيب» (3/ 146).

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن أنس رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ بأعرابي وهو يدعو في صلاته وهو يقول: يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيِّره الحوادث، ولا يخشى الدوائر، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، ولا تُواري منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضاً، ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما في وعره - اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتيمه، وخير أيامي يوم ألقاك فيه. فوكَّل رسول الله ﷺ بالأعرابي رجلاً فقال: «إذا صلَّى فأتني به». فلما صلَّى أتاه وقد كان أُهدي لرسول الله ﷺ ذهبٌ من بعض المعادن، فلمّا أتاه الأعرابيُّ وهب له الذهب وقال: «ممَّن أنت يا أعرابي»؟ قال: من بني عامر بن صعصعة يا رسول الله. قال «هل تدري لم وهبت لك الذهب»؟ قال: للرَّحِم بيننا وبينك يا رسول الله، قال: «إنَّ للرَّحِم حقاً، ولكن وهبت لك الذهب بحسن ثنائك على الله عز وجل». قال الهيثمي (10/ 158): رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن محمد أبي عبد الرحمٰن الأَذْرَمي وهو ثقة. انتهى.

أخرج ابن ماجه (3859) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهمَّ إني أسألك باسمك الطاهر الطيِّب المبارك الأحبِّ إليك، الذي إذا دُعيت به أجبتَ، وإذا سُئلتَ به أعطيتَ، وإذا استُرحمتَ به رحمت، وإذا استُفرجتَ به فرَّجت». قالت: وقال ذات يوم: «يا عائشة هل علمتِ أنَّ الله قد دلَّني على الاسم الذي إذا دُعي به

أجاب»؟ قالت: فقلت: يا رسول الله ـ بأبي أنت وأمي ـ فعلِّمنيه، قال: «إنَّه لا ينبغي لك يا عائشة». قالت: فتنحَّيت وجلست ساعة ثم قمت فقبلت رأسه ثم قلت: يا رسول الله علِّمنيه. قال: «إنه لا ينبغي لك يا عائشة أن أعلمك، إنَّه لا ينبغي لك أن تسألي به شيئاً من الدنيا». قالت: فقمت فتوضأت ثم صلّيت ركعتين ثم قلت: اللهمَّ إني أدعوك الله، وأدعوك الرحمٰن، وأدعوك البَرّ الرحيم، وأدعوك بأسمائك الحسنى كلِّها ما علمتُ منها وما لم أعلم أن تغفر لي وترحمني. قالت: فاستضحك رسول الله ﷺ ثم قال: «إنه لفي الأسماء التي دعوتِ بها».

أخرج أحمد عن سَلَمة بن الأكوع الأسلمي رضي الله عنه قال: ما سمعت رسول الله ﷺ دعا دعاء إلا استفتحه بسبحان ربي العليِّ الأعلى الوهّاب. قال الهيثمي (10/ 156): رواه أحمد والطبراني (7/ 6253) بنحوه وفيه عمر بن راشد اليمامي وثَّقه غير واحد وبقية رجاله رجال الصحيح ـ انتهى. وأخرجه ابن أبي شيبة عن سَلَمة بنحوه، كما في «الكنز» (1/ 290). وأخرج ابن النجار عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ لو دعا بمائة دعوة افتتحها وختمها وتوسَّطها «ربنَّا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار». كذا في «الكنز» (1/ 290).

أخرج أحمد وأبو داود والترمذي ـ واللفظ له وحسَّنه ـ والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في «صحيحيهما» عن فَضَالة بن عُبَيد قال: بينا رسول الله ﷺ قاعد إذ دخل فصلَّى فقال: اللهمَّ اغفر لي وارحمني. فقال رسول الله ﷺ: «عجَّلت أيها المصلِّي. إذا صلَّيت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله وصلِّ عليَّ ثم ادعه». قال: ثم صلَّى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلَّى على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «أيها المصلي ادعُ تُجَب». كذا

«الترغيب» (3/ 147). وأخرجه الطبراني (18/ 791) أيضاً بنحوه، كما في «المجمع» (10/ 155).

أخرج الطبراني (9/ 8780) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا أراد أحدكم أن يسأل فليبدأ بالمِدْحة والثناء على الله بما هو أهله، ثم ليصلِّ على النبي ﷺ، ثم ليسأل بعد فإنه أجدر أن يُنجِح. قال الهيثمي (10/ 155): رجاله رجال الصحيح إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه. انتهى.

* * *

دعوات النبي ﷺ لأمته

أخرج البيهقي (5/ 118) عن عباس بن مِرداس رضي الله عنه أن رسول الله دعا عشية عَرَفة لأمته بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء، فأوحى الله إليه أنّي قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضاً، وأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها. فقال: «يا ربِّ إنك قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيراً من مَظْلِمته وتغفر لهذا الظالم». فلم يجبه تلك العشيّة، فلما كان غداةَ المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه الله تعالى: «إني قد غفرت لهم». فتبسَّم رسول الله ﷺ، فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله تبسَّمت في ساعة لم تكن تتبسَّم فيها. قال: «تبسَّمت من عدو الله إبليس، إنه لما علم أن الله عز وجل قد استجاب لي في أمتي أهوى يدعو بالويل والثُّبور، ويحثو التراب على رأسه».

أخرج ابن وَهْب عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: 36] الآية، وقول عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: 118] الآية، ثم رفع يديه ثم قال: «اللهمَّ أمتي، اللهمَّ أمتي، اللهمَّ أمتي». وبكى فقال الله: اذهب يا جبريل إلى محمد ـ وربك أعلم ـ وسَلْه ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ ما قال، فقال الله: اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك. كذا في «التفسير» لابن كثير (2/ 540).

أخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ لأمته فقال: «اللهمَّ أقبل بقلوبهم على طاعتك، وحُطْ مِنْ ورائِهم برحمتك». قال الهيثمي (10/ 69): وفيه أبو شيبة وهو ضعيف ـ انتهى.

وأخرج البزّار (2658) عن عائشة رضي الله عنها قالت: لمَّا رأيت من النبي ﷺ طيب نفس قلت: يا رسول الله ادعُ الله لي. قال: «اللهمَّ اغفر لعائشة ما تقدَّم من ذنبها وما تأخر، وما أسرَّت وما أعلنت». فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك، فقال رسول الله ﷺ: «أيسرُّك دعائي»؟ فقالت: وما لي لا يسرني دعاؤك؟ فقال: «والله إنها لَدعوتي لأمتي في كل صلاة». قال الهيثمي (9/ 244): رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقة انتهى.

* * *

دعوات النبي ﷺ للخلفاء الأربعة

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «اللهمَّ اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة». كذا في «المنتخب» (4/ 345).

وأخرج أحمد والترمذي - وصحَّحه - وابن سعد وغيرهم عن عمر رضي الله عنه والنَّسائي عن خبّاب رضي الله عنه مرفوعاً: «اللهمَّ أعزَّ الإسلام بأحبِّ هذين الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام».

وعند ابن ماجه والحاكم والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «اللهم أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب خاصّة».

وعند الطبراني وأحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «اللهمَّ أيِّد الإسلام بعمر». كذا في المنتخب (4/ 370).

أخرج ابن عساكر عن زيد بن أسلم قال: بعث عثمان رضي الله عنه بناقةٍ صهباء إلى النبي ﷺ، فقال: «اللهمَّ جوِّزه على الصراط». وعنده أيضاً عن عائشة وأبي سعيد رضي الله عنهما. وعند أبي نُعيم عن أبي سعيد مرفوعاً: «اللهمَّ رضيت عن عثمان فارضَ عنه» ثلاثاً.

وعند الطبراني في «الأوسط» وأبي نُعيم في «الحلية» وابن عساكر على ابن مسعود مرفوعاً: «اللهمَّ اغفر لعثمان ما أقبل وما أدبر، وما أخفى وما أعلن، وما أسرَّ وما أجهر» كذا في «المنتخب» (5/ 6).

أخرج ابن أبي عاصم وابن جرير ـ وصحَّحه ـ **والطبراني** في «الأوسط» وابن شاهين في «السنّة» عن علي رضي الله عنه قال: وجعت وجعاً فأتيت النبي ﷺ فأقامني في مكانه وقام يصلِّي، وألقى عليَّ طرف ثوبه، ثم قال: «برئت يا بن أبي طالب فلا بأس عليك، ما سألت الله لي شيئاً إلا سألت لكَ مثله، ولا سألت الله شيئاً إلا أعطانيه؛ غير أنه قيل لي: إنه لا نبي بعدك» فقمت فكأني ما اشتكيت. كذا في «المنتخب» (5/ 43).

وأخرج البزَّار (2542) عن زيد بن يُثَيع وسعيد بن وهَبْ وعمرو بن ذي مرٍّ قالوا: سمعنا علياً رضي الله عنه يقول: نشدتُ الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غَدِير خُمّ لمَّا قام، فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فأخذ بيد عليّ فقال: «من كنت مولاه فهذا مولاه، اللهمَّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبَّ من أحبه، وأبغض من يبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» قال الهيثمي (9/ 105): رجاله رجال الصحيح غير فِطر بن خليفة وهو ثقة. انتهى، وفي هامش «المجمع»: أخرج له البخاري أيضاً.

وعند الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: «اللهمَّ أعنْه وأَعِنْ به، وارحمه وارحم به، وانصره وانصرْ به، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه» ـ يعني علياً ـ. كذا في «المنتخب» (5/ 32). وعند الحاكم عن علي مرفوعاً: «اللهمَّ ثبِّت لسانه، واهدِ قلبه». وعن ابن عباس بلفظ: «اللهمَّ اهدِه للقضاء» كما في «المنتخب» (5/ 35).

* * *

دعواته ﷺ لسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام رضي الله عنهما

أخرج ابن عساكر وابن النجار عن أبي بكر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لسعد: «اللهمَّ سدِّد سهمه، وأجب دعوته، وحبِّبه».

وعند الترمذي وابن حِبَّان والحاكم عن سعد مرفوعاً: «اللهمَّ استجب لسعدٍ إذا دعاك». كذا في «المنتخب» (5/ 70).

وأخرج أبو يَعْلى (2/ 682) وابن عساكر عن الزبير بن العوام قال: دعا لي رسول الله ﷺ ولولدي وولد ولدي. كذا في «المنتخب» (5/ 70).

* * *

دعواته ﷺ لأهل بيته

أخرج أبو يعلى (6912) عن أم سَلَمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: «ائتيني بزوجك وابنيك». فجاءت بهم، فألقى عليهم رسول الله ﷺ كساءً كان تحتي خيبرياً أصبناه من خيبر، ثم قال: «اللهمَّ هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد». قال الهيثمي (9/ 166): وفيه عُقْبة بن عبد الله الرفاعي وهو ضعيف ورواه الترمذي بإختصار الصلاة.

وأخرج الطبراني عن أبي عمَّار قال: إني لجالس عند واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ إذ ذكروا علياً ـ رضي الله عنه ـ فشتموه، فلما

قاموا قال: اجلس أخبرك عن الذي شتموا. إني عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ جاء علي وفاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم، فألقى عليهم كساء له ثم قال: «اللهمَّ أهل بيتي؛ فأذهب عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيراً». فقلت: يا رسول الله وأنا، قال: «وأنت» قال: والله إنها لأوثق عملي في نفسي. وفي رواية: إنها لأرجَى ما أرجو. قال الهيثمي (9/ 167): رواه الطبراني بإسنادَين ورجال السياق رجال الصحيح غير كلثوم بن زياد ووثَّقه ابن حِبَّان وفيه ضعف. انتهى.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن علي أنه دخل على النبي ﷺ وقد بسط شَمْلة فجلس عليها هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أخذ النبي ﷺ بمجامعه فعقد عليهم ثم قال: «اللهمَّ ارضَ عنهم كما أنا عنهم راضٍ». قال الهيثمي (9/ 169): رجاله رجال الصحيح غير عبيد بن طفيل وهو ثقة، كنيته أبو سِيدان. اهـ.

* * *

دعواته ﷺ للحسَنَين رضي الله عنهما

أخرج البزّار (2623) عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للحسن والحسين - رضي الله عنهما -: «اللهمَّ إنِّي أحبهما فأحبهما، ومن أحبهما فقد أحبني» قال الهيثمي (9/ 180): وإسناده جيد.

وعنده أيضاً (2626) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «اللهمَّ إني أحبُّهما فأحبَّهما». وإسناده حسن كما قال الهيثمي. وهكذا أخرج النسائي وابن حبان عن أسامة رضي الله عنه وزادا في آخره: «وأحبَّ من يحبهما». وفي أوله: «هذان ابناي وابنا ابنتي» كما في «المنتخب» (5/

105). وأخرجه ابن أبي شَيْبة والطيالسي عن أبي هريرة مثل حديثه الأول وزادا: «وأبغض من أبغضهما» كما في «المنتخب» (5/ 106).

«وأخرج الشيخان» وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه والطبراني عن سعيد بن زيد وعائشة رضي الله عنهما مرفوعاً: «اللهمَّ إني أحب حسناً فأحبه، وأحبَّ من يحبه». كذا في «المنتخب» (5/ 102).

وعند ابن عساكر عن محمد بن سيرين بلفظ: «اللهمَّ سلِّمه، وسلِّم فيه». كما في «المنتخب» (5/ 104).

وأخرج الستة إلا أبا داود عن البراء رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ حمل الحسين - رضي الله عنه - على عاتقه وقال: «اللهمَّ إني أحبه فأحبَّه». كذا في «المنتخب» (5/ 105).

* * *

دعواته ﷺ للعباس وأبنائه

أخرج الترمذي - وحسَّنه - وأبو يَعْلى عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «اللهمَّ اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة، اللهمَّ اخلُفه في ولده».

وعند ابن عساكر عن أبي هريرة مرفوعاً: «اللهمَّ اغفر للعباس ما أسرَّ وما أعلن، وما أبدى وأخفى، وما يكون منه ومن ذريته إلى يوم القيامة».

وعنده أيضاً والخطيب عنه مرفوعاً: «اللهمَّ اغفر للعباس ولولد العباس ولمن أحبهم».

وعند ابن عساكر عن عاصم عن أبيه مرفوعاً: «العباس عمّي وصِنْوُ أبي وبقية آبائي، اللهمَّ اغفر له ذنبه، وتقبَّل منه أحسن ما عمل، وتجاوز عنه سيّىء ما عمل، وأصلح له في ذريته». كذا في «المنتخب» (5/ 207).

وأخرج الطبراني (19/ 584) عن أبي أُسَيد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ: «لا تبرح منزلك وبنوك غداً حتى آتيكم؛ فإنَّ لي فيكم حاجة» فانتظروه حتى بعد ما أضحى فدخل عليهم فقال: «السلام عليكم» قالوا: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، قال: «كيف أصبحتم»؟ قالوا: نحمد الله، قال: «تقاربوا بزحفِ بعضكم إلى بعض» حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بمُلاءته ثم قال: «يا ربِّ هذا عمِّي وصِنْوُ أبي، وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه» فأمَّنتْ أُسكفة الباب وحوائط البيت فقالت: آمين، آمين، آمين. قال الهيثمي (9/ 270): إسناده حسن. وأخرجه أيضاً البيهقي عن أبي أُسيد بنحوه وابن ماجه عنه مختصراً، كما في «البداية» (6/ 133) وأبو نُعيم في «الدلائل» (ص 154) عنه بطوله.

وأخرج ابن أبي شيبة (7/ 520) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت في بيت ميمونة ـ رضي الله عنها ـ فوضعتُ لرسول الله ﷺ طَهوره فقال: «من وضع لي هذا»؟ فقالت ميمونة: عبد الله، فقال: «اللهمَّ فَقِّهْهُ في الدين، وعلِّمه التأويل».

وعند ابن النجار عنه مقتصراً على الدعاء بلفظ: «اللهمَّ علِّمه الكتاب، وفقِّهه في الدين». كذا في «المنتخب» (5/ 231).

وعند ابن ماجه وابن سعد والطبراني عنه بلفظ: «اللهمَّ علِّمه الحكمة، وتأويل الكتاب».

وعند **أبي نُعيم** في «الحلية» عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «اللهمَّ بارك فيه، وانشر منه». كذا في «المنتخب» (5/ 228).

* * *

دعواته ﷺ لجعفر وولده وزيد بن حارثة وابن رواحة رضي الله عنهم

أخرج **الطبراني وابن عساكر** عن ابن عباس، وأحمدُ وابنُ عساكر عن عبد الله بن جعفر مرفوعاً: «اللهمَّ اخلُف جعفراً في ولده».

وعند **الطيالسي وابن سعد وأحمد** وغيرهم عن عبد الله بن جعفر مرفوعاً «اللهمَّ اخلُف جعفراً في أهله، وبارك لعبد الله في صَفْقة يمينه» - ثلاث مرات -.

وعند **ابن أبي شيبة** (7/ 516) عن الشَّعْبي أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قُتل يوم مؤتة بالبلقاء، فقال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ اخلُف جعفراً في أهله بأفضلَ ما خَلَفت عبادك الصالحين». كذا في «المنتخب» (5/ 155). وأخرج ابن سعد (4/ 39) عن الشَّعْبي نحوه.

وأخرج **ابن سعد** (3/ 46) عن أبي مَيْسَرة قال: لمّا بلغ رسولَ اللَّه ﷺ قتلُ زيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة - رضي الله عنهم - قام نبي الله ﷺ فذكر شأنهم فبدأ بزيد فقال: «اللهمَّ اغفر لزيد، اللهمَّ اغفر لزيد، اللهمَّ اغفر لزيد، اللهمَّ اغفر لجعفر ولعبد الله بن رواحة».

* * *

دعواته ﷺ لآل ياسر وأبي سَلَمة وأسامة بن زيد

أخرج **أحمد وابن سعد** عن عثمان بن عفان رضي الله عنه مرفوعاً:

«اللهمَّ اغفر لآل ياسر وقد فَعَلْتَ». وعند ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «اللهمَّ بارك في عمّار» فذكر الحديث، كما في «المنتخب» (5/ 245).

وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود عن أم سَلَمة رضي الله عنها مرفوعاً: «اللهمَّ اغفر لأبي سَلَمة، وارفع درجته في المقرَّبين، واخلُفه في عَقِبه في الغابرين، واغفر لنا يا رب العالمين، وأفسح له في قبره ونوِّر له فيه». كذا في «المنتخب» (5/ 219).

وأخرج أحمد وأبو يَعْلى والنَّسائي وابن حِبّان عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن بن عليَّ - رضي الله عنهما - على فخذه اليسرى ثم يضمنا ثم يقول: «اللهمَّ إني أرحمهما فارحمهما». وأخرجه ابن سعد (4/ 62) عن أسامة نحوه. وفي رواية أخرى عنده عنه بلفظ: «اللهمَّ إنِّي أحبُّهما فأحبَّهما».

وعند أحمد والترمذي - وحسَّنه - والطبراني وغيرهم عنه قال: لمَّا ثقل رسول الله ﷺ هبطت وهبط الناس المدينة، فدخل على رسول الله ﷺ وقد أُصمتَ فلم يتكلم، فجعل رسول الله ﷺ يضع يديه عليَّ ويرفعهما، فأعرف أنه يدعو لي. كذا في «الكنز» (7/ 5) و«المنتخب» (5/ 136).

* * *

دعواته ﷺ لعمرو بن العاص وحكيم بن حزام وجرير وآل بُسْر رضي الله عنهم

أخرج ابن عديٍّ عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً: «اللهمَّ اغفر

لعمرو بن العاص - ثلاثاً - كنت إذا ناديته للصدقة جاءني بها». كذا في «المنتخب» (5/ 250).

وأخرج الطبراني (3/ 3136) عن حكيم مرفوعاً: «اللهمَّ بارك في صَفْقة يده». قاله لحكيم بن حزام.

وعند عبد الرزاق وابن أبي شَيْبة عنه أن النبي ﷺ بعثه يشتري له أضحية بدينار، فاشتراها ثم باعها بدينارين، فاشترى شاة بدينار وجاء بدينار، فدعا له النبي ﷺ بالبركة وأمره أن يتصدَّق بدينار. كذا في «المنتخب» (5/ 169).

وأخرج الطبراني (2/ 2254) عن جرير رضي الله عنه قال: كنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري، فقال: «اللهمَّ ثبِّته، واجعله هادياً مهدياً»، فما سقطت عن فرسي بعد. وأخرجه ابن أبي شيبة (7/ 538) عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا تريحني من ذي الخَلَصة» - بيت كان لِخَثْعَم في الجاهلية يُسمّى الكعبة اليمانيّة - قلت: يا رسول الله إني رجل لا أثبت - فذكره بنحوه، كما في «المنتخب» (5/ 152).

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن بُسْرٍ رضي الله عنهما قال: كنت أنا وأبي قاعدين على باب دارنا إذ أقبل رسول الله ﷺ على بغلة له، فقال له أبي: ألا تنزل يا رسول الله فتَطْعَم وتدعو بالبركة؟ فنزل فطَعِم ثم قال: «اللهمَّ ارحمهم واغفر لهم وبارك لهم في رزقهم». وأخرجه الطبراني مطوَّلاً وزاد: فما زلنا نتعرف من الله عز وجل السَّعَة في الرزق. كذا في «المنتخب» (5/ 220).

* * *

دعواته ﷺ للبراء بن معرور وسعد بن عبادة وأبي قتادة رضي الله عنهم

أخرج ابن مَنْدَه وابن عساكر عن نَضْلة بن عمرو الغفاري رضي الله عنه أن رجلاً من غِفار أتى النبي ﷺ فقال: «ما اسمك»؟ قال: نبهان، قال: «أنت مُكْرم» وأن النبي ﷺ صَّلى على البراء بن معرور بعدما قدم المدينة «اللهم صلِّ على البراء بن معرور، ولا تحجبه عنك يوم القيامة وأدخله الجنة، وقد فَعَلْت». كذا في المنتخب (5/ 144).

وعند ابن سعد (3/ 620) عن عبد الله بن أبي قتادة قال: من صلى عليه النبي ﷺ حين قدم المدينة البراءُ بن معرور، انطلق بأصحابه فصف عليه وقال: «اللهم اغفر له وارحمه وارض عنه، وقد فعلتَ».

وأخرج أبو داود عن قيس بن سعد مرفوعاً: «اللهمَّ اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة». كذا في «المنتخب» (5/ 190).

وأخرج أبو نعيم عن أبي قتادة قال: كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ ماد عن الراحلة فدعمته بيدي حتى استيقظ، ثم ماد فدعمته حتى استيقظ فقال: «اللهمَّ احفظ أبا قتادة كما حفظني منذ الليلة، ما أُرانا إلا شققنا عليك». وأخرجه الطبراني (3/ 3271) مقتصراً على الدعاء. كذا في «المنتخب» (5/ 161).

* * *

دعواته لأنس بن مالك وغيره من الصحابة رضي الله عنهم

أخرج أبو نعيم عن أنس قال: قالت أم سُلَيْم: يا رسول الله ادعُ

لأنس. قال: «اللهمَّ أكثر ماله وولده، وبارك له فيه» فذكر الحديث كما في «المنتخب» (5/ 142).

وأخرج الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رجلاً يقال له حَرْمَلة أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله الإيمان ههنا وأشار إلى لسانه، والنفاق ههنا وأشار إلى قلبه، ولا أذكر الله إلاَّ قليلاً. فقال النبي ﷺ: «اللهمَّ اجعل له لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وارزقه حتى يحبَّ من يحبني، وصيِّر أمره إلى خير». قال الهيثمي (9/ 402): وفيه راوٍ لم يسمَّ وبقية رجال ثقات. انتهى.

وأخرج الطبراني (2/ 1298) عن التَّلِب رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال «إذا أُذِن ـ أو حتى يؤذن لك ـ» قال: فغبر ما شاء الله ثم دعاه، فمسح يده على وجهه، وقال: «اللهمَّ اغفر للتَّلِب وارحمه» ثلاثاً. قال الهيثمي (9/ 402): ومِلْقام بن التَّلِب روى عنه اثنان وبقية رجاله وثِّقوا. انتهى. وأخرجه ابن سعد (7/ 42). وفي روايته: قال: قلت: يا رسول الله استغفر لي. فقال لي: «إذا أُذِن» فذكر مثله.

وأخرج ابن سعد والطبراني عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً: «اللهمَّ اجعل عُبَيداً أبا عامر فوق أكثر الناس يوم القيامة». كذا في «المنتخب» (5/ 239).

وأخرج أبو نُعيم عن حسان بن شدّاد رضي الله عنه أنَّ أمه وفدت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إنِّي قد وفدت إليك لتدعو لابني هذا، وأن تجعله كبيراً طيباً، فتوضأ من فَضْل وضوئه ومسح وجهه وقال: «اللهمَّ بارك لها فيه واجعله كبيراً طيباً». كذا في «المنتخب» (5/ 167).

* * *

دعاؤه ﷺ لضَعَفِة أصحابه

أخرج البزّار (3172) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ رفع رأسه بعد ما سلّم وهو مستقبلُ القبلةِ فقال: «اللهمَّ خلِّص سَلَمة بن هشام، وعَيّاش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، وضَعَفة المسلمين، الذي لا يستطيعون حِيلة ولا يهتدون سبيلاً». قال الهيثمي (10/ 152): وفيه علي بن زيد وفيه خلاف وبقية رجاله ثقات، وفي «الصحيح» أنه قنت به - انتهى.

وأخرجه ابن سعد (4/ 130) عن أبي هريرة نحوه إلا أن في روايته: «اللهمَّ أنج».

وفي رواية أخرى عنده عنه قال: لما رفع النبي ﷺ رأسه من الركعة من صلاة الفجر قال: «اللهمَّ أنجِ الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعيّاش بن أبي ربيعة، والمستضعفين بمكة، اللهمَّ اشدُد وطأتك على مُضَر، اللهمَّ اجعلها سنين كسني يوسف».

* * *

دعوته ﷺ بعد الصلوات

أخرج أبو داود والنَّسائي - واللفظ له - وابن خزيمة وابن حبان في «صحيحيهما» والحاكم - وصحّحه - على شرط الشيخين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ رسول الله أخذ بيده يوماً، ثم قال: «يا معاذ والله إني لأحبُّك». فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا والله أحبُّك. قال: «أوصيك يا معاذ، لا تدعنَّ في دُبُر كل صلاة أن تقول: «اللهمَّ أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» وأوصَى بذلك معاذٌ الصنابحيَّ، وأوصى بها الصنابحيُّ أبا عبد الرحمٰن، وأوصى به أبو عبد الرحمٰن عقبة بن مسلم. كذا في «الترغيب» (3/ 114).

أخرج الطبراني (12/ 13288) عن عَوْن بن عبد الله بن عتبة قال: صلَّى رجل إلى جنب عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فسمعه حين سلَّم يقول: اللهمَّ أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام؛ ثم صلَّى إلى جنب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فسمعه حين سلم يقول مثل ذلك، فضحك الرجل فقال له ابن عمر: ما أضحكك؟ فقال: إني صلَّيت إلى جنب عبد الله بن عمرو فسمعته يقول مثل ذلك، فقال ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يقول ذلك. قال الهيثمي (10/ 102): رجاله رجال الصحيح. اهـ. وأخرجه ابن أبي شيبة (7/ 28) عن صِلَة بن زُفر قال: سمعت ابن عمر يقول في دبر الصلاة، فذكر الحديث نحوه إلا أنه جعل المرفوع من حديث عبد الله بن عمرو، كما

في «الكنز» (1/ 295). وأخرجه أبو داود (2/ 359/ 1512) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا سلَّم قال ـ فذكره.

أخرج الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا صلَّى وفرغ من صلاته مسح بيمينه على رأسه وقال: «بسم الله الذي لا إلٰه إلا هو الرحمٰن الرحيم، اللهمَّ أذهب عني الهمَّ والحَزَن».

وفي رواية: مسح جبهته بيده اليمنى وقال فيها: «اللهمَّ أذهب عني الغم والحزن». وقال الهيثمي (10/ 110): رواه الطبراني في «الأوسط» والبزّار (3100) بنحوه بأسانيد وفيه زيد العَمِّي وقد وثَّقه غير واحد وضعَّفه الجمهور وبقية رجال أحد إسنادَي الطبراني ثقات وفي بعضهم خلاف ـ انتهى.

أخرج الطبراني عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: ما صلَّيت خلف نبيكم ﷺ إلاَّ سمعته يقول حين ينصرف: «اللهمَّ اغفر خطاياي وذنوبي كلَّها، اللهمَّ وأنعشني واجبرني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق، لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت». قال الهيثمي (10/ 111): رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» وإسناده جيد. اهـ.

وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال: ما صلَّيت وراء نبيكم ﷺ إلاَّ سمعته يقول حين انصرف: «اللهمَّ اغفر لي خطئي وعمدي، اللهمَّ اهدني لصالح الأعمال والأخلاق، إنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت». قال الهيثمي (10/ 173): رجاله وثِّقوا. اهـ.

أخرج الطبراني في «الصغير» (722) عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يقول بعد صلاة الفجر: «اللهمَّ إني أسألك رزقاً طيباً، وعلماً نافعاً، وعملاً متقبَّلاً». قال الهيثمي (10/ 111): ورجاله ثقات. انتهى.

وأخرج الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في دُبُر كل صلاة: «اللهمَّ ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل أعذني من حرِّ النار وعذاب القبر». قال الهيثمي (10/ 110): رواه الطبراني في «الأوسط» عن شيخه علي بن سعيد الرازي وفيه كلام لا يضر وبقية رجاله ثقات. ورواه النَّسائي غير قولها في دبر كل صلاة. انتهى.

أخرج ابن أبي شيبة (7/ 19) عن أبي بَكْرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يدعو في دبر الصلاة يقول: «اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر». كذا في «الكنز» (1/ 296).

وأخرج النَّسائي عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول إذا انصرف من الصلاة: «اللهمَّ لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجَد منك الجد». كذا في «الكنز» (1/ 296).

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ بوَضوء فتوضأ وصلَّى ثم قال: «اللهمَّ أغفر لي ذنبي، ووسِّع لي في داري، وبارك لي في رزقي». كذا في «الكنز» (1/ 306).

أخرج أبو داود (2/ 358/ 1508) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول في دُبُر صلاته: «اللهمَّ ربَّنا وربَّ كل شيء أنا شهيد أنك أنت الرب وحدك لا شريك لك، اللهمَّ ربنا وربَّ كل شيء أنا شهيد أن محمداً عبدك ورسولك، اللهمَّ ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أنَّ العباد كلهم إخوة، اللهمَّ ربنا وربَّ كل شيء اجعلني مُخْلِصاً لك وأهلي في كل ساعة في الدنيا والآخرة، يا ذا الجلال والإكرام اسمع واستجب، الله أكبر الأكبر، اللهمَّ نور السماوات والأرض، الله أكبر الأكبر، حسبي الله ونعم الوكيل، الله أكبر الأكبر».

وعنده أيضاً (760) عن علي رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا سلَّم من الصلاة قال: «اللهمَّ اغفر لي ما قدَّمت وما أخَّرتُ، وما أسررت وما أعلنتُ، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدِّم والمؤخِّر لا إله إلا أنت».

* * *

دعواته ﷺ في الصباح والمساء

أخرج أحمد عن عبد الله بن القاسم قال: حدثتني جارة للنبي ﷺ أنها كانت تسمع النبي ﷺ يقول عند طلوع الفجر: «اللهمَّ إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن فتنة القبر». قال الهيثمي (10/ 115): رجاله ثقات.

أخرج البزّار (3105) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا أصبح قال: «أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا شريك له، لا إلٰه إلا هو وإليه النشور» وإذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله لا شريك له، لا إلٰه إلا هو وإليه المصير». قال الهيثمي: (10/ 114). وإسناده جيد.

وعند مسلم والترمذي وأبي داود كما في «جمع الفوائد» (2/ 258) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول إذا أمسى: «أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ربِّ أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها، ربِّ أعوذ بك من الكسل وسوء الكِبَر، ربِّ أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر». وإذا أصبح قال ذلك أيضاً: «أصبحنا وأصبح الملك لله».

أخرج أحمد والطبراني عن عبد الرحمٰن بن أبزَى رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى: «أصبحنا على ملَّة الإسلام -

أو أمسينا على فطرة الإسلام ـ وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين». ورجالهما رجال الصحيح، كما قال الهيثمي (10/ 116).

أخرج أحمد عن أبي سَلاَّم قال: مرَّ رجل في مسجد حمص فقالوا: هذا خدم النبي ﷺ. قال: فقمت إليه فقلت: حدِّثْني حديثاً سمعتَه من رسول الله ﷺ لا يتداوله بينك وبينه الرجال. قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد مسلم يقول حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً؛ إلا كان حقّاً على الله أن يرضيه يوم القيامة». ورواه الطبراني (22/ 921) بنحوه ورجالهما ثقات، كما قال الهيثمي (10/ 116). وأخرجه أبو داود والنسائي.

أخرج ابن أبي شيبة (7/ 41) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه حين يمسي وحين يصبح لم يَدَعْه حتى فارق الدنيا ـ أو مات ـ: «اللهمَّ إنِّي أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهمَّ إنِّي أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهمَّ استر عوراتي وآمن رَوْعاتي، اللهمَّ احفظني من بين يديّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي» قال جبير بن سليمان: وهو الخسف. ولا أدري قول النبي ﷺ أو قول جبير. كذا في «الكنز» (1/ 294).

أخرج أحمد وابن مَنِيع وأبو يَعْلى (1/ 77) وابن السنِّي في «عمل اليوم والليلة» عن أبي بكر رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعي من الليل: «اللهمَّ فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت ربُّ كل شيء

ومليكه، أشهد أن لا إلٰه إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك، وأعوذ بك من شرِّ نفسي وشر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجرَّه إلى مسلم». كذا في «الكنز» (1/ 294). وأخرجه أبو داود والترمذي بفرق يسير في الألفاظ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أخرج ابن عساكر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله، والله لأخاف في نفسي وولدي وأهلي، ومالي، فقال له رسول الله ﷺ: «قل كلما أصبحت وإذا أمسيت: باسم الله على ديني ونفسي وولدي وأهلي ومالي». فقالهنَّ الرجل ثم أتى النبيَّ ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: «ما صنعتَ فيما كنت تجد»؟ قال: والذي بعثك بالحق لقد ذهب ما كنت أجد. كذا في «الكنز» (1/ 294).

* * *

دعواته ﷺ عند النوم والانتباه

أخرج مسلم والترمذي وأبو داود عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أولى إلى فراشه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي».

وعند أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول إذ أخذ مضجعه: «الحمد لله الذي كفاني وآواني، وأطعمني وسقاني، والحمد لله الذي منَّ عليَّ فأفضل، وأعطاني فأجزل، الحمد لله على كل حال، اللهمَّ ربَّ كل شيء ومليكه، أعوذ بالله من النار». كذا في «جمع الفوائد» (2/ 259).

أخرج الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن ينام وضع يده تحت رأسه ثم قال: «اللهمَّ قني عذابك يوم تجمع - أو تبعث - عبادك». كذا في «جمع الفوائد» (2/ 260).

وأخرجه البزّار (3110) عن أنس رضي الله عنه مثله وجزم بلفظ: «يوم تبعث» وإسناده حسن، كما قال الهيثمي (10/ 123) وأخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير - وصحّحه - باللفظين، كما في «الكنز» (8/ 67).

أخرج أبو داود عن أبي الأزهر الأنماري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول إذا أخذ مضجعه من الليل: «باسم الله، وضعت جنبي لله، اللهمَّ اغفر لي ذنبي، واخسَأ شيطاني، وفك رِهاني، واجعلني في النَّدِيِّ الأعلى» كذا في «الجمع» (2/ 260).

أخرج أبو داود عن علي رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ كان يقول عند مضجعه: «اللهمَّ إني أعوذ بوجهك الكريم، وبكلماتك التامّات، من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها. اللهمَّ أنت تكشف المغرم والمأثم. اللهمَّ لا يُهزمُ جندك، ولا يُخلف وعدك، ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجد، سبحانك اللهمَّ وبحمدك». وفي «الأذكار» للنووي أنه للنَّسائي أيضاً، وعزاه في «الكنز» (8/ 67) إلى النسائي وابن جرير وابن أبي الدنيا بنحوه.

أخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يقول حين يريد أن ينام: «اللهمَّ فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، ربَّ كل شيء وإلٰه كل شيء، أشهد ألا إلٰه إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك والملائكة يشهدون. اللهمَّ إني أعوذ بك من الشيطان وشركه، أو أن أقترف على نفسي سوءاً أو أجرَّه إلى مسلم». قال أبو عبد الرحمٰن: كان رسول الله ﷺ يعلِّمه عبد الله بن عمرو ويقول ذلك حين يريد أن ينام، وإسناده حسن كما قال الهيثمي (10/ 122). وفي رواية أخرى عنده بإسناد حسن: «وأعوذ بك أن أقترف» بدل: «أو أن أقترف» وأخرجه الطبراني نحوه إلا أن في روايته: «على نفسي إثماً». وفي رواية عن عبد الله بن عمرو أنه قال لعبد الله بن يزيد: ألا أعلِّمك كلمات كان رسول الله ﷺ يعلمهن أبا بكر إذا أراد أن ينام ـ فذكر نحوه. قال الهيثمي (10/ 123): رواه الطبراني بإسنادَين ورجال الرواية الأولى رجال الصحيح غير حُيَيِّ بن عبد الله المَعَافِري، وقد وثَّقه جماعة وضَعَّفه غيرهم ـ انتهى. وقد تقدَّم حديث أبي بكر في هذا.

وأخرج أحمد بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا اضطجع للنوم يقول: «باسمك ربي فاغفر لي ذنبي». كذا في «المجمع» (10/ 123).

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن علي رضي الله عنه قال: بتُّ عند رسول الله ﷺ ذات ليلة، فكنت أسمعه إذا فرغ من صلاته وتبوّأ مضجعه يقول: «اللهمَّ أعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك. اللهمَّ لا أستطيع ثناء عليك ولو حرصتُ، ولكن أنت كما أثنيت على نفسك». قال الهيثمي (10/ 124): رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد الله بن عبدٍ القاريّ وقد وثّقه ابن حِبّان - انتهى. وأخرجه النَّسائي ويوسف القاضي في سننه عن علي بنحوه، كما في «الكنز» (1/ 304).

أخرج ابن جرير - وصحَّحه - وابن أبي شيبة (7/ 44) عن البراء رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه قال: «اللهمَّ إليك أسلمت نفسي، ووجهتُ وجهي، وإليك فوضتُ أمري، وإليك ألجأتُ ظهري، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت». كذا في «الكنز» (8/ 67).

أخرج البخاري وأبو داود والترمذي عن حذيفة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «باسمك اللهمَّ أحيا وأموت» وإذا أصبح قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور». كذا في «جمع الفوائد» (2/ 259). وأخرجه ابن جرير - وصحَّحه - عن أبي ذر نحوه إلا أنه قال: «اللهمَّ باسمك نموت ونحيا»، كما في «الكنز» (8/ 67).

أخرج أبو داود عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال: «لا إلٰه إلا أنت، سبحانك اللهمَّ وبحمدك، أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك، اللهمَّ زدني علماً، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب». كذا في «الجمع» (2/ 260).

دعواته ﷺ في المجالس وعند دخول المسجد والبيت والخروج منهما

أخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلَّما كان النبي ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللهمَّ اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلِّغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصيبات الدنيا، ومتِّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تُسلِّط علينا من لا يرحمنا». كذا في «جمع الفوائد» (2/ 261). وقد تقدَّم في كفارة المجلس بعض ما يتعلق بالباب.

أخرج أبو داود والترمذي والنَّسائي عن أم سَلَمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: «باسم الله، توكلت على الله، اللهمَّ إنا نعوذ بك أن نَزِلَّ أو نَضِلَّ، أو نَظلم أو نُظلم، أو نَجهل أو يُجهل علينا». كذا في «الجمع» (2/ 261).

وأخرج أبو داود عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، ومن الشيطان الرجيم؛ (قال): فإذا قال ذلك قال الشيطان: حُفظ مني سائر اليوم».

وأخرج الترمذي عن فاطمة بنت الحسين عن جدتها فاطمة الكبرى رضي الله عنهم قالت: كان النبي ﷺ إذا دخل المسجد صلَّى على محمد وسلَّم وقال: «ربِّ اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك» وإذا خرج صلَّى على محمد وسلَّم وقال: «ربِّ اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك».

وأخرجه أحمد وابن ماجه كما في «المشكاة» (ص 62) وفي روايتهما: قالت: إذا دخل المسجد وكذا إذا خرج قال: «باسم الله والسلام على رسول الله» بدل صلَّى على محمد وسلم. وقال الترمذي: ليس إسناده بمتصل، وفاطمة بنت الحسين لم تدرك فاطمة الكبرى.

* * *

دعواته في السفر

أخرج أحمد والبزّار عن علي رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أراد سفراً قال: «اللهمَّ بك أصول، وبك أجول، وبك أسير». قال الهيثمي (10/ 130): رجالهما ثقات.

أخرج مسلم وأبو داود والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر حمد الله وسبَّح وكبَّر ثلاثاً ثم قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: 13 ـ 14] اللهمَّ إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى. اللهمَّ هوِّن علينا سفرنا هذا واطو عنا بُعْدَ الأرض. اللهمَّ أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل. اللهمَّ إني أعوذ بك من وَعْثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في الأهل والمال» وإذا رجع قالهنَّ وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا ساجدون» كذا في «جمع الفوائد» (2/ 261).

وعند أبي يعلى (3/ 1664) عن البراء رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خرج لسفر قال: «اللهمَّ بلاغاً يبلغ خيراً، مغفرة منك ورضواناً، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير. اللهمَّ أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهمَّ هوِّن علينا السفر واطوِ لنا الأرض. اللهمَّ أعوذ بك من وَعْثاء السفر وكآبة المنقلب». قال الهيثمي (10/ 130): رجاله رجال الصحيح غير فِطْر بن خليفة وهو ثقة ـ انتهى

أخرج مسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ إذا كان في سفر وأسحر يقول: «سمع سامع بحمد الله وحسن بلائه علينا، ربَّنا صاحِبْنا وأفضلْ علينا، عائذاً بالله من النار». كذا في «جمع الفوائد» (2/ 262).

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نسافر مع رسول الله ﷺ فإذا رأى قرية يريد أن يدخلها قال: «اللهمَّ بارك لنا فيها ـ ثلاث مرات ـ اللهمَّ ارزقنا حياها، وحبِّبنا إلى أهلها، وحبِّب صالحي أهلها إلينا». قال الهيثمي (10/ 134): إسناده جيد.

وأخرج الطبراني (8/ 7299) عن صهيب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ لم يرَ قرية يريد أن يدخلها إلا قال حين يراها: «اللهمَّ ربَّ السماوات السبع وما أظلَلْن، وربَّ الرياح ما ذَرَيْنَ: إنا نسأل خير هذه القرية، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها». قال الهيثمي (10/ 135): رجاله رجال الصحيح غير عطاء بن أبي مروان وأبيه وكلاهما ثقة ـ انتهى.

وقد تقدّمت دعواته ﷺ في السفر في اهتمام الدعوات في الجهاد في سبيل الله.

* * *

دعواته ﷺ في الوداع

أخرج أبو داود (3/ 232). عن قَزَعَة قال: قال لي ابن عمر رضي الله عنهما: هلمَّ أودعْك كما ودعني رسول الله ﷺ: «أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك».

وأخرجه الترمذي (2/ 182/ 3443) عن سالم أن ابن عمر كان يقول للرجل إذا أراد سفراً أن ادنُ مني أودعْك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا فيقول: أستودع الله ـ فذكره. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

أخرج الترمذي (2/ 182/ 3444) عن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أريد سفراً فزوِّدني، قال: «زوَّدك الله التقوى» قال: زدني، قال: «وغفر ذنبك». قال: زدني بأبي أنت وأمي. قال: «ويسَّر لك الخير حيثما كانت». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

أخرج الطبراني (19/ 22) والبزّار (320) عن هشام بن قتادة الرَّهاوي عن أبيه قتادة رضي الله عنه قال: لمَّا عقد لي رسول الله ﷺ على قومي أخذت بيده فودعته، فقال رسول الله ﷺ: «جعل الله التقوى زادك، وغفر ذنبك، ووجَّهك للخير حيثما توجَّهت». قال الهيثمي (10/ 131): ورجالهما ثقات.

وأخرج الترمذي (2/ 182/ 3445) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن

رجلاً قال: يا رسول الله إني أريد أن أسافر فأوصني، قال: «عليك بتقوى الله، والتكبير على كل شَرَف» فلما ولَّى الرجل قال: «اللهمَّ اطوِ له البعد، وهوِّن عليه السفر». قال الترمذي: هذا حديث حسن.

* * *

دعواته ﷺ عند الطعام والشراب واللباس

أخرج البخاري وأبو داود والترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: «الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه، غيرُ مَكْفِيٍّ ولا مودَّع ولا مستغنى عنه ربنا».

وعند الترمذي وأبي داود عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أكل أو شرب قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا من المسلمين» كذا في «جمع الفوائد» (2/ 264).

وأخرج الترمذي وأبو داود عن أبي سعيد قال: كان النبي ﷺ إذا استجدَّ ثوباً قال: اللهمَّ لك الحمد أنت كسوتني هذا ـ ويسمِّيه باسمه إما قميصاً وإما عمامة أو رداء ـ أسألك خيره وخير ما صُنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صُنع له». كذا في «جمع الفوائد» (2/ 264).

* * *

دعواته ﷺ عند رؤية الهلال
وعند الرعد والسحاب والريح

أخرج الترمذي (2/ 183/ 3451) عن طلحة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: «اللهمَّ أهلَّه علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله».

وأخرجه ابن عساكر عن ابن عمر بلفظ: «الله أكبر، اللهمَّ أهلَّه علينا بالأمن والأمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى، ربّنا وربك الله». كما في «الكنز» (4/ 326). وأخرجه الطبراني أيضاً عن ابن عمر مثله إلا أنه لم يذكر: الله أكبر (وعنده والإيمان بدل الأمان) قال الهيثمي (10/ 139): وفيه عثمان بن إبراهيم (الحاطبي) وفيه ضعف.

وأخرج الطبراني (5/ 4409) عن رافع بن خَدِيج رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال: «هلال خير ورشد» ثم قال: «اللهمَّ إني أسألك من خير هذا الشهر وخير القَدَر، وأعوذ بك من شرّه» ثلاث مرات. وإسناده حسن كما قال الهيثمي (10/ 139).

أخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: اللهمَّ لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك». كذا في «جمع الفوائد» (2/ 264).

وأخرج الشيخان والترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ

كان إذا عصفت الريح قال: «اللهمَّ إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أُرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أُرسلت به».

وعند أبي داود عنها أن النبي ﷺ إذا رأى ناشئاً في أفق السماء ترك العمل، وإن كان في صلاة خفَّفها ثم يقول: «اللهمَّ إني أعوذ بك من شرِّها» فإن مُطِر قال: «اللهمَّ صيِّباً هنيئاً». كذا في «جمع الفوائد» (2/ 265).

وأخرج ابن أبي شيبة (7/ 32) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا رأى سحاباً ثقيلاً من أفق من الآفاق ترك ما هو فيه وإن كان في صلاة حتى يستقبله؛ فيقول: «اللهمَّ إنا نعوذ بك من شر ما أُرسل به». فإن أمطر قال: «اللهمَّ صيِّباً نافعاً» مرتين أو ثلاثاً، فإن كشفه الله ولم يمطر حمد الله تعالى على ذلك. كذا في «الكنز» (4/ 290).

وأخرج الطبراني في «الكبير» (7/ 6296) و«الأوسط» عن سَلَمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا اشتدت الريح قال: «اللهمَّ لَقْحاً لا عقيماً». قال الهيثمي (10/ 135) رجاله رجال الصحيح غير المغيرة بن عبد الرحمٰن وهو ثقة. انتهى.

* * *

دعواته ﷺ غير الموقتة

أخرج مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهمَّ إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى».

وعنده أيضاً والبخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «اللهمَّ اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني. اللهمَّ اغفر لي جِدِّي وهزلي وخطئي وعمدي، وكلٌّ ذلك عندي. اللهمَّ اغفر لي ما قدَّمتُ وما أخرت وما أسررتَ وما أعلنتُ وما أنت أعلم به مني، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر وأنت على كل شيء قدير».

وعن مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهمَّ أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر».

وعنده أيضاً والبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهمَّ لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت. اللهمَّ إني أعوذ بعزتك لا إِلٰه إلا أنت أن تُضلني، أنت الحي الذي لا تموت والجن والأنس يموتون».

وعند الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان أكثر دعائه ﷺ: «يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك». قال الترمذي: حديث حسن.

وعنده أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهمَّ عافني في جسدي، وعافني في بصري، واجعله الوارث مني، لا إلٰه إلا أنت الحليم الكريم، سبحان الله ربِّ العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين».

وعنده أيضاً وأبي داود وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يدعو يقول: «ربِّ أعنِّي ولا تُعِنْ عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ، واهدني ويسِّر هداي، وانصرني على من بغى عليَّ؛ ربِّ اجعلني لك شاكراً، لك ذاكراً، لك راهباً، لك مطواعاً، إليك مجيباً ـ أو منيباً ـ تقبل توبتي، واغسل حَوْبتي، وأجب دعوتي: وثبِّت حجتي، واهدِ قلبي، وسدِّد لساني، واسلل سخيمة قلبي». وفي رواية الترمذي: «أوَّاهاً منيباً». قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وعند الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه ـ وصحَّحه ـ على شرط مسلم قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إنا نسألك موجباتِ رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل برٍّ، والفوز بالجنة والنجاة من النار». كذا في كتاب «الأذكار» للنووي (498).

وأخرج أحمد والطبراني؛ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يدعو: اللهمَّ اغفر لنا ذنوبنا وظلمنا وهزلنا وجِدَّنا وعمدنا. وكلُّ ذلك عندنا». قال الهيثمي (10/ 172): وإسنادهما حسن.

وعندهما أيضاً والبزّار عن عمران بن حُصَين رضي الله عنه قال: كان عامة دعاء النبي ﷺ: «اللهمَّ اغفر لي ما أخطأت وما تعمَّدت، وما أسررت وما أعلنت، وما جهلت وما تعمّدت». قال الهيثمي (10/ 172): رجالهم رجال الصحيح غير عون العَقِيلي وهو ثقة.

وأخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهمَّ أحسنت خَلْقي فأحسن خُلُقي». قال الهيثمي (10/ 173): رجاله رجال الصحيح، وأخرجه أحمد وأبو يعلى عن ابن مسعود مثله بإسناد صحيح.

وأخرج أحمد وأبو يعلى بإسنادين حَسَنَين عن أم سَلَمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول: «ربِّ اغفر وارحم واهدني السبيل الأقوم».

وعند الطبراني في «الأوسط» عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «يا وليَّ الإسلام وأهله، ثبتني به حتى ألقاك». ورجاله ثقات كما قال الهيثمي (10/ 174 و176).

وأخرج أحمد والطبراني (2/ 1196) عن بُسْر بن أبي أَرْطاة القرشي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يدعو: «اللهمَّ أحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة». وزاد الطبراني وقال: «من كان ذلك دعاؤه مات قبل أن يصيبه البلاء». قال الهيثمي (10/ 178): رجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني ثقات.

وعندهما أيضاً عن أبي صِرْمة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهمَّ إني أسألك غناي وغنى مولاي». قال الهيثمي (10/ 178): أحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح.

وعند البزّار (3197) عن ثَوْبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهمَّ إني أسألك الطيبات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تتوب عليَّ، وإن أردت بعبادك فتنة أن تقبضني غير مفتون». قال الهيثمي (10/ 181): إسناده حسن.

وعند **الطبراني** عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهمَّ اجعل أوسع رزقك عليَّ كِبَر سني وانقطاع عمري». وإسناده حسن كما قال الهيثمي (10/ 182).

* * *

جوامع الدعاء

أخرج ابن أبي شيبة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحبُّ الجوامع من الدعاء ويَدَع ما سوى ذلك. كذا في «الكنز» (1/ 291).

وأخرج الحاكم (1/ 521) عن عائشة أن أبا بكر (الصدِّيق) ـ رضي الله عنه ـ دخل على رسول الله ﷺ فكلَّمه في شيء يخفيه من عائشة، وعائشة تصلِّي، فقال لها النبي ﷺ: «يا عائشة، عليك بالكوامل ـ أو بكلمة أخرى» ـ فلما انصرفت عائشة سألته عن ذلك فقال لها: «قولي: اللهمَّ إنِّي أسألك من الخير كلِّه عاجله وآجله ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كلِّه عاجله وآجله ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرّب إليها من قول أو عمل، (وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول أو عمل)، وأسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشداً». كذا في «الكنز» (1/ 306).

وأخرجه أحمد وابن ماجه عن عائشة نحوه وزاد: وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد كما في «الأذكار» للنووي (ص 506). وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص 94) عن عائشة قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ وأنا

أصلّي وله حاجة فأبطأت عليه قال: «يا عائشة عليك بجُمَل الدعاء وجوامعه». فلمَّا انصرفتُ قلت: يا رسول الله وما جُمَلُ الدعاء وجوامعه؟ قال: قولي ـ فذكر الدعاء بزيادة الحاكم.

أخرج الترمذي (3521): عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً قلنا: يا رسول الله دعوتَ بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً، قال: «ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله؟ تقول: اللهمَّ إنَّا نسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ، وأنت المستعان، وعليك البلاغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص 99) بمعناه.

* * *

الاستعاذة

أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات». وفي رواية: «وضَلَعِ الدَّيْن وغلبة الرجال».

وعند مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من شر ما عملتُ، ومن شر ما لم أعمل».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: «اللهمَّ إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوّل عافيتك، وفَجأة نِقمتك، وجميع سخطك».

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول: «اللهمَّ إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهم، وعذاب القبر. اللهمَّ آتِ نفسي تقواها وزكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها. اللهمَّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها».

وعند الأربعة بالأسانيد الصحيحة عن عائشة أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللهمَّ إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب القبر، ومن شر الغنى والفقر».

وعند الترمذي (3501) عن قطبة بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء». قال الترمذي: حديث حسن.

وعند أبي داود والنَّسائي بإسنادَين صحيحين عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهمَّ إني أعوذ بك من البَرَص والجنون والجُذام وسيىء الأسقام».

وعندهما عن أبي اليَسَر الصحابي رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ كان يدعو: «اللَّهمَّ إني أعوذ بك من الهَدْم، وأعوذ بك من التردِّي، وأعوذ بك من الغرق والحَرَق والهرم، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً، وأعوذ بك أن أموت لديغاً». هذا لفظ أبي داود.

وعندهما بالإسناد الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهمَّ إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة». كذا في كتاب «الأذكار» (ص 499).

وعندهما عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهمَّ إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق». كذا في «تيسير الوصول» (2/ 83).

وأخرج الطبراني في «الصغير» (308) عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهمَّ إني أعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من القسوة والغفلة والعَيْلة والذلَّة والمسكنة، وأعوذ بك من الفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء، وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام وسيِّىء الأسقام». قال الهيثمي (10/ 143): رجاله

رجال الصحيح. وعنده أيضاً عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهمَّ إني أعوذ بك من يوم السوء، ومن ليلة السوء، ومن ساعة السوء، ومن صاحب السوء، ومن جار السوء في دار المُقامة قال الهيثمي (10/ 144): رجاله رجال الصحيح غير بشر بن ثابت (البزّار) وهو ثقة.

وأخرج أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود والنسائي وغيرهم عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يتعوّذ من خمس: «اللهمَّ إني أعوذ بك من البخل، والجبن، وفتنة الصدر، وعذاب القبر، وسوء العمر».

وعند أبي نُعيم في «الحلية» عن عمر أنَّ النبي ﷺ كان يعوِّذ حسناً وحسيناً ـ رضي الله عنهما ـ يقول: «أعيذكما بكلمات الله التَّامة، من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عين لامَّة». كذا في «الكنز» (1/ 212).

* * *

عوذة الجن

أخرج أحمد وأبو يعلى عن أبي التَّيَّاح قال: قلت لعبد الرحمٰن بن خَنبَش التيمي رضي الله عنه ـ وكان كبيراً ـ: أدركتَ رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قلت: كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الجن؟ قال: إن الشياطين تحدَّرت تلك الليلة على رسول الله ﷺ من الأودية والشِّعاب، وفيهم شيطان بيده شعلة من نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ، فهبط إليه جبريل ﷺ فقال: يا محمد قل: قال: «ما أقول»؟ قال: قل: أعوذ بكلمات الله التّامة من شرِّ ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شرِّ ما ينزل من السماء ومن شرِّ ما يعرج فيها، ومن شرِّ فتن الليل والنهار، ومن شرِّ كل

طارق إلا طارقاً يطرق بخير، يا رحمٰن. قال: فطُفئت نارهم وهزمهم الله تبارك وتعالى. قال المنذري في «الترغيب» (3/ 117): ولكل منهما إسناد جيد محتج به وقد رواه مالك في «الموطإ» عن يحيى بن سعيد مرسلاً، ورواه النسائي من حديث ابن مسعود بنحوه. انتهى. وأخرجه ابن أبي شَيْبة عن مكحول بمعناه مختصراً مع فرق في ألفاظ التعَوذ، كما في «الكنز» (1/ 212).

أخرج أحمد والحاكم والترمذي في «الدعوات» عن أُبيّ بن كعب قال: كنت عند النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: يا نبي الله، إنَّ لي أخاً وبه وجع، قال: «وما وجعه»؟ قال: به لَمَمٌ، قال: «فأتني به» فوضعه بين يديه فعوَّذه النبي ﷺ بفاتحة الكتاب، وأربع آيات من أول سورة البقرة، وهاتين الآيتين ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: 163]، وآية الكرسي، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة، وآية من آل عمران ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: 18] وآية من الأعراف ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: 54]، وآخر سورة المؤمنين ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: 116]، وآية من سورة الجن ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الجن: 3]، وعشر آيات من أول الصافَّات، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾؛ والمعوِّذتين. فقام الرجل كأنه لم يَشْكُ قط. كذا في «الكنز» (1/ 212).

* * *

ما يقول إذا أرِقَ أو فزع بالليل

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: حدَّث خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ رسول الله ﷺ عن أهاويل يراها بالليل حالت بينه وبين صلاة الليل، فقال رسول الله ﷺ: «يا خالد بن

الوليد ألاَ أعلِّمك كلمات تقولهنَّ، لا تقولهنَّ ثلاث مرات حتى يُذهب الله عنك ذلك»؟ قال: بلى يا رسول الله - بأبي أنت وأمي - فإنَّما شكوتُ هذا إليك رجاءَ هذا منك. قال: «قل: أعوذ بكلمات الله التامّة من غضبه وعقابه وشرِّ عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون». قالت عائشة رضي الله عنها: فلم ألبث إلا ليالي حتى جاء خالد بن الوليد فقال: يا رسول الله - بأبي أنت وأمي - والذي بعثك بالحق، ما أتممتُ الكلماتِ التي علمتني ثلاث مرات حتى أذهب الله عني ما كنت أجد، ما أبالي لو دخلت على أسد في خِيسته بليل. كذا في «الترغيب» (3/ 116). قال الهيثمي (10/ 127): وفيه الحَكَم بن عبد الله الأيلي وهو متروك - اهـ. وعند النسائي وأبي داود والحاكم - وصحّحه - والترمذي - وحسّنه واللفظ له - عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً: «إذا فزِع أحدكم في النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات» - فذكر الدعاء مثله، قال: وكان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يلقِّنها من عَقَل من ولده، ومن لم يعقل كتبها في صكٍّ ثم علَّقها في عنقه. وفي رواية للنسائي قال: كان خالد بن الوليد رجلاً يفزع في منامه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «إذا اضطجعت فقل: باسم الله، أعوذ بكلمات الله التامّة» - فذكر مثله.

وقال مالك في الموطَّإ: بلغني أن خالد بن الوليد قال لرسول الله ﷺ: إني أُرَوَّع في منامي، فقال له رسول الله ﷺ: فقل - فذكر مثله.

وعند أحمد عن الوليد بن الوليد أنه قال: يا رسول الله إني أجد وَحْشة، قال: «إذا أخذت مضجعك فقل» - فذكر مثله. كذا في «الترغيب» (3/ 116).

دعوات الكرب والهم والحزن

أخرج أحمد والنَّسائي وابن جرير ـ وصحَّحه ـ وابن حِبَّان وغيرهم عن علي رضي الله عنه قال: علَّمني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات وأمرني إن نزل بي كرب أو شدَّة أن أقولها: «لا إلٰه إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله وتبارك رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين». كذا في «الكنز» (1/ 298) وصحَّحه ابن حِبَّان (865) وأخرجه الحاكم ـ وصحَّحه ـ على شرط مسلم، كما في «تحفة الذاكرين» (ص 194) وقد تقدَّم له طريق في تعليم الأذكار.

أخرج ابن النجار عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا كربه أمر قال: «يا حيّ يا قيّوم برحمتك أستغيث». كذا في «الكنز» (1/ 299).

وأخرج ابن جرير عن أسماء بنت عُميس رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل به أمر يغمُّه، أو نزل به هم أو كرب قال: «الله الله ربي لا أشرك به شيئاً». وعنده أيضاً وابن أبي شيبة عنها بلفظ: علَّمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن عند الكرب ـ فذكره، كما في «الكنز» (1/ 300).

وعند الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» (12/ 12788) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بعضادتي الباب ونحن في البيت، فقال: «يا بني عبد المطلب إذا نزل بكم كرب أو جهد أو

لأواء فقولوا: «الله، الله ربنا، لا نشرك به شيئاً». قال الهيثمي (10/ 137): وفيه صالح بن عبد الله أبو يحيى وهو ضعيف اهـ. وأخرجه ابن جرير عنه بنحوه مع زيادة بلفظ: «الله، الله لا شريك له». كما في «الكنز» (1/ 300).

وأخرج الشيخان عن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إلٰه إلا الله العظيم الحليم، لا إلٰه إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إلٰه إلا الله ربُّ السماوات وربُّ الأرض وربُّ العرش الكريم» كما في «تحفة الذاكرين» (193).

وعند ابن عساكر عن ثَوْبان رضي الله عنه مرفوعاً كان إذا راعه أمر قال: «الله، الله ربي لا أشرك به شيئاً». كذا في «الكنز» (1/ 300).

أخرج الحاكم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ما من عبد يقول: حسبي الله لا إلٰه إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم - سبع مرات - صادقاً كان بها أو كاذباً، إلاَّ كفاه الله ما أهمَّه. كذا في «الكنز» (1/ 300).

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» (ص 105) عن ابن عباس قال: من نزل به همٌّ أو غمٌّ أو كرب أو خاف من سلطان، فدعا بهؤلاء استجيب له: أسألك بلا إلٰه إلا أنت ربِّ السماوات السبع وربَّ العرش العظيم، وأسألك بلا إلٰه إلا أنت ربَّ السماوات السبع وربَّ العرش الكريم، وأسألك بلا إلٰه إلا أنت ربَّ السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن، إنك على كل شيء قدير، ثم سَلِ الله حاجتك.

* * *

دعوات خوف السلطان

أخرج الخرائطي في «مكارم الأخلاق» عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ علَّمه كلمات يقولها عند السلطان وعند كل شيء هاله: «لا إلٰه إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السماوات السبع، وربُّ العرش العظيم، والحمد لله ربِّ العالمين» ويقول عندهنَّ: «إني أعوذ بك من شر عبادك» كذا في «الكنز» (1/ 299).

وعند ابن عساكر عن أبي رافع أن عبد الله بن جعفر زوَّج ابنته من الحجاج بن يوسف، فقال لها: إذا دخل بك فقولي: لا إلٰه إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين، وزعم أن رسول الله ﷺ كان إذا حَزَبه أمر قال هذا. قال: فلم يصل إليها. كذا في «الكنز» (1/ 300).

أخرج ابن أبي شيبة (7/ 25) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا أتيتَ سلطاناً مهيباً تخاف أن يسطو عليك فقال: الله أكبر، الله أكبر، الله أعزُّ من خلقه جميعاً، الله أعزُّ مما أخاف وأحذر، أعوذ بالله الذي لا إلٰه إلا هو، الممسك السماوات السبع أن يَقَعْنَ على الأرض إلا بإذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجنِّ والإنس، اللهمَّ كُنْ لي جاراً من شرِّهم، جل ثناؤك، وعزَّ جارك، وتبارك اسمك، ولا إلٰه غيرك، ثلاث مرات. كذا في «الكنز» (1/ 300). وأخرجه الطبراني (10/ 10599) عن ابن عباس بنحوه بفرق يسير في الألفاظ ورجاله رجال

الصحيح، كما قال الهيثمي (10/ 137) وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص 104) عن ابن عباس بنحوه.

أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إذا كان على أحدكم إمام يخاف تغطرسه وظلمه فليقل: اللهمَّ ربَّ السماوات السبع وربَّ العرش العظيم؛ كُنْ لي جاراً من فلان وأحزابه وأشياعه من الجن والإنس أن يفرطوا عليَّ وأن يطغَوا، عزّ جارك، وجلَّ ثناؤك، ولا إلٰه غيرك، فإنه لا يصل إليكم منه شيء تكرهونه. كذا في «الكنز» (1/ 300). وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص 104) عن ابن مسعود موقوفاً بمعناه أخصر منه.

وأخرجه الطبراني (10/ 9795) عن ابن مسعود مرفوعاً إذا تخوَّف أحدكم السلطان فليقل - فذكره. وفي روايته: كُنْ لي جاراً من شر فلان ابن فلان - يعني الذي يريد - وشر الجن والإنس وأتباعهم أن يفرط عليَّ أحد منهم، عزَّ جارك، وجل ثناؤك، ولا إلٰه غيرك. قال الهيثمي (10/ 137) وفيه جُنادة بن سَلْم وثَّقه ابن حِبَّان وضعَّفه غيره وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

* * *

دعوات قضاء الدين

أخرج الترمذي (2/ 195/ 3563) عن أبي وائل عن علي رضي الله عنه أن مكاتَباً جاءه فقال: إني قد عجزت عن كتابتي فأعنّي، قال: ألاَ أعلمك كلمات علمنيهنّ رسول الله ﷺ؟ لو كان عليك مثل جبل صِير ديناً أدّاه الله عنك، قال: قل: «اللهمَّ اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عمَّن سواك». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

أخرج أبو داود (2/ 370) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا برجل من الأنصار يقال له أبو أُمامة ـ رضي الله عنه ـ (جالساً فيه) فقال: «يا أبا أُمامة، ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة»؟ قال: هموم لزمتني، وديون يا رسول الله. فقال: ألاَ أعلمك كلاماً إذا قلتَه أذهب الله عز وجل همَّك، وقضى عنك دَيْنك»؟ قال: فقال: بلى يا رسول الله. قال: «قل: إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهمَّ إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من البخل والجبن، وأعوذ بك من غَلَبة الدين وقَهْر الرجال». قال: فقلت: فأذهب الله همِّي وقضى عني ديني.

أخرج الطبراني (20/ 323) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ افتقده يوم الجمعة، فلما صلَّى رسول الله ﷺ أتى معاذاً فقال: «يا معاذ ما لي لم أرَك»؟ فقال: يا رسول الله ليهودي عندي وَقِيَّة من تبر،

فخرجت إليك فحبسني عنك. فقال له رسول الله ﷺ: «يا معاذ، ألا أعلمك دعاءً تدعو به؟ لو كان عليك من الدين مثلُ صِيرٍ أدّاه عنك - وصير جبل باليمن - فادعُ الله يا معاذ، قل: اللهمَّ مالك الملك، تُؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممَّن تشاء، وتعزُّ من تشاء وتذلُّ من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل، وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي، وترزق من تشاء بغير حساب، رحمٰن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تُعطي منهما من تشاء وتمنع من تشاء، ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك». قال الهيثمي (10/ 186): وفيه نصر بن مرزوق ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات إلا أن سعيد بن المسيَّب لم يسمع من معاذ.

وعند الطبراني في «الصغير» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ: «ألا أعلمك دعاء - تدعو به؟ لو كان عليك مثل جبل أُحد دَيْناً لأدّى الله عنك، قل يا معاذ: اللهمَّ مالك الملك» - فذكره إلا أنه لم يذكر: تولج الليل - إلى آخره. وفي روايته: «رحمٰن الدنيا والآخرة تعطيهما من تشاء، وتمنع منهما من تشاء» - فذكر مثله. قال الهيثمي (10/ 186): ورجاله ثقات.

* * *

دعاء الحفظ

أخرج الترمذي (2/ 196/ 3570) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ: إذ جاءه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال: بأبي أنت وأمي، تفلّت هذا القرآن من صدري فما أجدني أقدر عليه. فقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا الحسن، أفلا أعلّمك كلماتٍ ينفعك الله بهن (وينفع) من علَّمتَه ويثبِّت ما تعلمتَ في صدرك»؟ قال: أجل يا رسول الله فعلِّمني، قال: «إذا كان ليلةُ الجمعة فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر فإنَّها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب، وقد قال أخي يعقوب لبنيه ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: 98] يقول: حتى تأتي ليلة الجمعة، فإن لم تستطع فقُمْ في وسطها، فإن لم تستطع فقُمْ في أولها، فصلِّ أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان، وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب وألم تنزيل السجدة، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل؛ فإذا فرغت من التشهّد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله وصلِّ عليَّ - وأحسن - وعلى سائر النبيِّين، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قُلْ في آخر ذلك: اللهمَّ ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني، وارحمني أن أتكلَّف ما لا يعنيني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، اللهمَّ بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزّة التي لا تُرام أسألك يا الله يا رحمٰن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما

علمتني، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عنِّي، اللهمَّ بديع السماوات الأرض ذا الجلال والإكرام والعزّة التي لا تُرام أسألك يا الله يا رحمٰن بجلالك ونور وجهك أن تنوِّر بكتابك بصري، وأن تغسل به بدني، فإنه لا يعينني على الحق غيرك، ولا يؤتيه إلاَّ أنت ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم؛ يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعاً تُجبْ بإذن الله، والذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمناً قط».

قال ابن عباس: فوالله ما لبث عليٌّ إلا خمساً أو سبعاً حتى جاء رسول الله ﷺ في مثل ذلك المجلس، فقال: يا رسول الله إنِّي كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات أو نحوهن فإذا قرأتهن على نفسي تفلَّتنَ، وأنا أتعلَّم اليوم أربعين آية أو نحوها، فإذا قرأتها على نفسي فكأنما كتاب الله بين عينيَّ، ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلَّت، وأنا اليوم أسمع الأحاديث، فإذا تحدَّثتُ بها لم أخرِم منها حرفاً، فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك: «مؤمن وربِّ الكعبة يا أبا الحسن». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

* * *

دعوات أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم

أخرج أحمد في «الزهد» (139) عن الحسن قال: بلغني أن أبا بكر رضي الله عنه كان يقول في دعائه: اللهمَّ إنِّي أسألك الذي هو خير في عاقبة أمري، اللهمَّ اجعل ما تعطيني (من) الخير رضوانَك والدرجات العُلَى في جنات النعيم.

وعند سعيد بن منصور وغيره عن معاوية بن قُرَّة أنَّ أبا بكر الصدِّيق كان يقول في دعائه: اللهمَّ اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك. كذا في «الكنز» (1/ 303).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبد العزيز بن سَلَمة الماجِشون قال: حدثني من أصدِّقه أن أبا بكر الصدِّيق كان يقول في دعائه: أسألك تمام النعمة في الأشياء كلِّها، والشكر لك عليها حتى ترضَى وبعد الرضا، والخيرةَ في جميع ما يكون فيه الخِيرة بجميع ميسور الأمور كلِّها لا بمعسورها يا كريم.

وعنده أيضاً في «اليقين» عن أبي يزيد المدائني قال: كان من دعاء أبي بكر الصدِّيق: اللهمَّ هَبْ لي إيماناً ويقيناً ومعافاة ونية. كذا في «الكنز» (1/ 303).

أخرج ابن أبي شَيْبة وأبو نُعيم في «الحِلْية» عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول: اللهمَّ إني أعوذ بك أن تأخذني على غِرَّة، أو تذرني في غفلة، أو تجعلني من الغافلين.

وعند أحمد في «الزهد» (143) عن الحسن أنَّ عمر رضي الله عنه كان يقول: اللهمَّ اجعل عملي صالحاً، واجعله لك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً.

وعند ابن سعد والبخاري في «الأدب» عن عمرو بن ميمون أنَّ عمر بن الخطاب كان يقول في دعائه الذي يدعو به: اللهمَّ توفَّني مع الأبرار، ولا تجعلني في الأشرار، وقني عذاب النار، وألحقني بالأخيار.

وعند أحمد في «الزهد» (143) عن أبي العالية قال: أكثر ما كنت أسمع عمر بن الخطاب يقول: اللهمَّ عافنا واعفُ عنَّا. كذا في «الكنز» (1/ 303).

وعند ابن سعد وأبي نُعَيم في «الحلية» عن حفصة رضي الله عنها أنها سمعت أباها يقول: اللهمَّ ارزقني قتلاً في سبيلك، ووفاة في بلد نبيك. قلت: أنَّى ذلك؟ قال: إنَّ الله يأتي بأمره أين شاء.

وعند ابن أبي حاتم عن عمر أنه قال: اللهمَّ اغفر لي ظلمي وكفري. قال قائل: يا أمير المؤمنين هذا الظلم فما بال الكفر؟ قال: إن الإنسان لظلوم كفار.

وعند اللالكائي عن أبي عثمان النَّهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب وهو يطوف بالبيت يقول: «اللهمَّ إن كنت كتبتني في السعادة فأثبتني فيها، وإن كنت كتبتني في الشقاوة فامحني منها وأثبتني في السعادة؛ فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أمُّ الكتاب. كذا في «الكنز» (1/ 304).

وأخرج ابن سعد (3/ 319) عن السائب بن يزيد عن أبيه قال:

رأيت عمر بن الخطاب يصلّي في جوف الليل في مسجد رسول الله ﷺ زمان الرمادة وهو يقول: اللهمَّ لا تهلكنا بالسّنين، وارفع عنا البلاء ـ يردّد هذه الكلمة.

وعنده (3/ 320) أيضاً عنه قال: رأيت على عمر بن الخطاب إزاراً في زمن الرمادة فيه سِتَّ عشرةَ رقعة، ورداؤه خمس وشبر، وهو يقول: اللهمَّ لا تجعل هَلَكة أمة محمد على رِجليّ.

وأخرج البخاري ومالك وابن راهَوَيه وأبو نُعيم في «الحلية» ـ وصحّحه ـ عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال: اللهمَّ لا تجعل قتلي بيد رجل صلَّى ركعة أو سجدة واحدة؛ يحاجني بها عندك يوم القيامة. كذا في «المنتخب» (4/ 413).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 54) عن سعيد بن المسيَّب أن عمر بن الخطاب كوَّم كومة من بطحاء، ثم ألقى عليها طرف ثوبه ثم استلقى عليها، فرفع يديه إلى السماء ثم قال: اللهمَّ كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيِّع ولا مفرِّط.

وعنده أيضاً (1/ 53) عن الأسود بن هلال المحاربي قال: لمّا ولي عمر بن الخطاب قام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، ألاَ إني داعٍ فهيمنوا: اللهمَّ إني غليظ فليِّني، وشحيح فسخِّني، وضعيف فقوِّني.

وأخرج أبو يعلى بإسناد صحيح عن سعيد بن المسيَّب قال: كان عمر إذا صلَّى على جنازة قال: أصبح عبدك هذا قد تخلّى عن الدنيا وتركها لأهلها، وافتقر إليك واستغنيتَ عنه، وقد كان يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبدك ورسولك، اللهمَّ اغفر له وتجاوز عنه وألحقه بنبيِّه. كذا في «الكنز» (8/ 113).

وعند البيهقي (4/ 56) عن كَثِير بن مدرك أنَّ عمر كان إذا سُوِّي على الميت قال: اللهمَّ أسلم إليك الأهل والمال والعشيرة، وذنبه عظيم فاغفر له. كذا في «الكنز» (8/ 119).

أخرج يوسف القاضي عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول: أعوذ بك من جَهْد البلاء، ودَرْك الشقاء، وشماتة الأعداء، وأعوذ بك من السجن والقيد والسَّوط. كذا في «الكنز» (1/ 304).

وعند الدِينَوري عن سفيان الثوري قال: بلغني أن علي بن أبي طالب كان يدعو: اللهمَّ إن ذنوبي لا تضرك، وإن رحمتك إياي لا تنقصك. كذا في «الكنز» (1/ 305).

وأخرج ابن النجار عن علي أنه كان إذا رأى الهلال قال: اللهمَّ إني أسألك خير هذا الشهر وفتحه ونصره وبركته ورزقه ونوره وطُهوره وهداه، وأعوذ بك من شره وشر ما فيه وشر ما بعده. كذا في «الكنز» (4/ 326).

وأخرج البيهقي (4/ 56) عن عمر بن سعيد النخعي قال: صلَّيت خلف علي بن أبي طالب على ابن المُكْنف، فكبَّر عليه أربعاً وسلَّم واحدة، ثم أدخله قبره فقال: اللهمَّ عبدك وولد عبديك، نزل بك وأنت خير منزول به، اللهمَّ وسِّع له مدخله، واغفر له ذنبه؛ فإنا لا نعلم إلا خيراً وأنت أعلم، كان يشهد أن لا إلٰه إلا أنت وأن محمداً رسول الله. كذا في «الكنز» (8/ 119).

أخرج ابن جرير عن أبي الهيَّاج الأسدي قال: كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلاً يقول: اللهمَّ قني شحَّ نفسي. لا يزيد على ذلك، فقلت له فقال: إني إذا وُقيت شح نفسي لم أسرق، ولم أَزْنِ ولم أفعل. وإذا

الرجل عبد الرحمٰن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ. كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 339).

أخرج ابن أبي شيبة عن أبي عبيدة قال: سئل عبد الله رضي الله عنه: ما الدعاء الذي دعوتَ به ليلة قال لك رسول الله ﷺ: «سَلْ تُعْطَه»؟ قال: قلت: اللهمَّ إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة نبيك ﷺ في أعلى درجة الجنة جنة الخلد. كذا في «الكنز» (1/ 307). وأخرجه ابن عساكر عن كُمَيل عن عمر رضي الله عنه مع زيادة قصة صلاته ودعائه؛ كما في «المنتخب» (5/ 236).

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 127) عن أبي عبيدة عن أبيه قال: بينما أنا أصلي ذات ليلة إذ مرَّ بي النبي ﷺ وأبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فقال النبي ﷺ: «سَلْ تُعْطَه». قال عمر: ثم انطلقت إليه فقال عبد الله: إنَّ لي دعاء ما أكاد أن أدَعَه: اللهمَّ إني أسألك إيماناً لا يبيد ـ فذكر نحوه وزاد: وقرة عين لا تنقطع.

وفي رواية أخرى (1/ 127) عنده عن عون بن عبد الله: فرجع أبو بكر إلى عبد الله فقال: الدعاء الذي كنت تدعو به آنفاً أعده عليَّ، فقال: حمدت الله ومجَّدته ثم قلت: لا إلٰه إلا أنت، وعدك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، ورسلك حق، وكتابك حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق. قال أبو نُعيم (1/ 128): رواه سعيد بن أبي الحسام عن شريك، وأدخل سعيد بن المسيب بين عون وعبد الله ثم أسنده من طريقه.

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» (ص 93) عن شقيق قال: كان عبد الله يكثر أن يدعو بهؤلاء الدعوات: ربَّنا أصلح بيننا، واهدنا سُبُل الإسلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، واصرف عنا الفواحش ما

ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، وتُبْ علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها، قائلين بها، وأتممها علينا.

وأخرج الطبراني (9/ 8917) عن أبي الأحوص قال: سمعت عبد الله - يعني ابن مسعود يدعو بهذا الدعاء: اللهمَّ إني أسألك بنعمتك السابغة التي أنعمت بها، وبلائك الذي ابتليتني، وبفضلك الذي أفضلت عليَّ أن تدخلني الجنة، اللهمَّ ادخلني الجنة بفضلك ومنِّك ورحمتك. قال الهيثمي (10/ 185): ورجاله رجال الصحيح.

وعنده أيضاً (9/ 8847) عن أبي قلابة عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول: اللهمَّ إن كنت كتبتني في أهل الشقاء، فامحني وأثبتني في أهل السعادة قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح إلا أن أبا قِلابة لم يدرك ابن مسعود.

وعنده أيضاً (9/ 8549) عن عبد الله بن عُكيم أن ابن مسعود كان يدعو: اللهمَّ زدني إيماناً ويقيناً وفهماً - أو قال: علماً -. قال الهيثمي (10/ 185): وإسناده جيد.

وعنده أيضاً (9/ 8901) عن أبي وائل قال: سألت ابن مسعود ذات يوم بعد ما انصرفنا من صلاة الغداة، فاستأذنا عليه، قال: ادخلوا. قلنا: ننتظر هنيهة لعل بعض أهل الدار له حاجة. فأقبل يسبِّح وقال: لقد ظننتم بآل عبد الله غفلة. ثم قال: يا جارية انظري هل طلعت الشمس. قالت: لا، ثم قال لها الثالثة: انظري هل طلعت الشمس، قالت: نعم، قال: الحمد لله وهبنا هذا اليوم وأقالنا فيه عثراتنا - أحسبه قال: ولم يعذبنا بالنار -. قال الهيثمي (10/ 118): ورجاله الصحيح.

وعنده أيضاً (9/ 8895) عن سُلَيم بن حنظلة أن عبد الله ـ يعني ابن مسعود ـ أتى سُدَّة السوق فقال: اللهمَّ إني أسألك من خيرها وخير أهلها، وأعوذ بك من شرِّها وشرِّ أهلها. قال الهيثمي (10/ 129): رواه الطبراني موقوفاً ورجاله رجال الصحيح غير سُلَيم بن حنظلة وهو ثقة.

وعنده أيضاً (9/ 8867) عن قتادة قال: كان ابن مسعود رضي الله عنه إذا أراد أن يدخل قرية قال: اللهمَّ ربَّ السمٰاوات وما أظلَّت، وربَّ الشياطين وما أضلَّت، وربِّ الرياح وما أذْرت؛ أسألك خيرها وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها. قال الهيثمي (10/ 135): رجاله رجال الصحيح إلا أن قتادة لم يدرك ابن مسعود انتهى.

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 233) عن ثور بن يزيد قال: كان معاذ بن جبل رضي الله عنه إذا تهجَّد من الليل قال: اللهمَّ قد نامت العيون، وغارت النجوم، وأنت حيٌّ قيوم. اللهمَّ طلبي للجنة بطيء وهربي من النار ضعيف. اللهمَّ لي عندك هدي تَرُدُّه إليَّ يوم القيامة؛ إنك لا تخلف الميعاد. وأخرجه الطبراني (20/ 48) وإسناده منقطع، كما قال الهيثمي (10/ 185).

وأخرج ابن إسحاق من طريق عروة عن امرأة من بني النجار قالت: كان بيتي من أطول بيت حول المسجد، فكان بلال ـ رضي الله عنه ـ يؤذِّن عليه الفجر كل غداة، فيأتي بسحر فيجلس على البيت ينتظر الفجر، فإذا رآه تمطَّى ثم قال: اللهمَّ أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك؛ قالت: ثم يؤذِّن، قالت: والله ما علمته كان تركها ليلة واحدة ـ يعني هذه الكلمات ـ ورواه أبو داود من حديثه منفرداً به. كذا في «البداية» (3/ 233).

وأخرج الطبراني (1/ 1009) عن هند ـ امرأة بلال ـ قالت: كان

بلال إذا أخذ مضجعه قال: اللهمَّ تجاوز عن سيئاتي، واعذرني بعلاّتي. قال الهيثمي (10/ 125): هند لم أعرفها وبقية رجاله رجال الصحيح.

أخرج الطبراني (5/ 4849) عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه كان يقول حين يضطجع: اللهمَّ إني أسألك غنى الأهل والمولى، وأعوذ بك أن تدعو عليَّ رَحِمٌ قطعتها. قال الهيثمي (10/ 125): وإسناده جيد.

وأخرج ابن سعد (3/ 614) عن عروة أن سعد بن عبادة رضي الله عنه كان يدعو: اللهمَّ هَبْ لي حمداً وهب لي مجداً، لا مجد إلا بفِعَال ولا فِعال إلا بمال، اللهمَّ لا يصلحني القليل ولا أصلح عليه.

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 219) عن بلال بن سعد قال: كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: اللهمَّ إني أعوذ بك من تفرقة القلب، قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يوضع لي في كل وادٍ مالٌ.

وعنده أيضاً (1/ 220) عن إسماعيل بن عبيد الله أن أبا الدرداء كان يقول: اللهمَّ توفَّني مع الأبرار، ولا تبقني مع الأشرار. وعن لقمان بن عامر عن أبي الدرداء أنه كان يقول: اللهمَّ لا تبتلني بعمل سوء فأُدعى به رجلَ سوء.

وعنده أيضاً (1/ 223) عن حسان بن عطية أن أبا الدرداء كان يقول: اللهمَّ إني أعوذ بك أن تلعنني قلوب العلماء، قيل: وكيف تلعنك قلوبهم؟ قال: تكرهني.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 224) عن عبد الله بن يزيد عن ربيعة الدمشقي قال: قال أبو الدرداء: أدلجت ذات ليلة إلى المسجد فلما دخلت مررت على رجلٍ ساجد وهو يقول: اللهم إني خائف مستجير فأجرني من عذابك، وسائل فقير فارزقني من فضلك، لا مذنب فأعتذر،

ولا ذو قوة فأنتصر؛ ولكن مذنب مستغفر. قال: فأصبح أبو الدرداء يعلِّمهن أصحابه إعجاباً بهن.

وأخرج **البخاري** في «الأدب المفرد» (ص 99) عن تمامة بن حزن قال: سمعت شيخاً ينادي بأعلى صوته: اللهمَّ إني أعوذ بك من الشر لا يخلطه شيء، قلت: من هذا (الشيخ)؟ قيل: أبو الدرداء.

وأخرج **الحاكم** عن أبي الدرداء أنه كان يقول: اللهمَّ إني أعوذ بك أن تعرض على أخي عبد الله بن رواحة من عملي ما يستحي منه. كذا في «الكنز» (1/ 306).

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 308) عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يدعو على الصَّفا: اللهمَّ اعصمني بدينك وطواعيتك وطواعية رسولك. اللهمَّ جنِّبني حدودك. اللهمَّ اجعلني ممن يحبك، ويحب ملائكتك، ويحب رسلك، ويحب عبادك الصالحين. اللهمَّ حبِّبني إليك وإلى ملائكتك وإلى رسلك وإلى عبادك الصالحين. اللهمَّ يسِّرني لليسرى، وجنبني العسرى، واغفر لي في الآخرة والأولى، واجعلني من أئمة المتّقين. اللهمَّ إنك قلت: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60] وإنك لا تخلف الميعاد. اللهمَّ إذ هديتني للإسلام فلا تنزِعني منه ولا تنزِعه مني حتى تقبضني وأنا عليه. كان يدعو بهذا الدعاء مع دعاء له طويل على الصّفا والمروة وبعرفات وبَجْمع وبين الجمرتين وفي الطواف.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 304) عن عبد الله بن سَبْرة قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا أصبح قال: اللهمَّ اجعلني من أعظم عبادك عندك نصيباً في كل خير تقسمه الغداة، ونوراً تهدي به، ورحمة تنشرها، ورزقاً تبسطه، وضراً تكشفه، وبلاء ترفعه، وفتنة تصرفها.

وأخرجه الطبراني (12/ 13079) عنه بنحوه، قال الهيثمي (10/ 184): ورجال رجال الصحيح.

أخرج البزّار عن سعيد بن جبير قال: كان ابن عباس رضي الله عنما يقول: اللهمَّ إني أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض؛ أن تجعلني في حِرزك وحفظك وجوارك وتحت كنفك. قال الهيثمي (10/ 184): ورجاله رجال الصحيح.

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» (ص 100) عن سعيد قال: كان ابن عباس يقول: اللهمَّ قنعني وبارك لي فيه، واخلف على كل غائبةٍ بخير.

وأخرج إسماعيل القاضي عن طاوس قال سمعت ابن عباس يقول: اللهمَّ تقبَّل شفاعة محمد الكبرى، وارفع درجته العليا، وأعطِه سُؤله في الآخرة والأولى كما آتيت إبراهيم وموسى عليهما السلام. قال ابن كثير في «تفسيره» (3/ 513): إسناده جيد قوي صحيح. انتهى.

أخرج الطبراني (18/ 825) عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت: كان فَضَالة بن عبيد رضي الله عنه يقول: اللهمَّ إني أسألك الرضا بالقضاء والقدر، وبَرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضرّاء مضرة ولا فتنة مضلة. وزعم أنها دعوات كان يدعو بها رسول الله ﷺ. قال الهيثمي (10/ 177): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» ورجالهما ثقات. انتهى.

أخرج ابن سعد (4/ 339) عن المَقْبُري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن مروان دخل عليه في شكوه الذي مات فيه، فقال: شفاك الله يا أبا هريرة. فقال أبو هريرة: اللهمَّ إنِّي أحب لقاءك فأحبَّ لقائي. قال:

فما بلغ مروان أصحاب القطا حتى مات أبو هريرة.

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن عبد الله بن هشام قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يتعلَّمون هذا الدعاء إذا دخلت السنة أو الشهر: اللهمَّ أدخله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ورضوانٍ من الرحمٰن، وجِوارٍ من الشيطان. قال الهيثمي (10/ 139): وإسناده حسن، وفي هامشه عن ابن حجر: فيه رشدين بن سعد وهو ضعيف.

وأخرج البزّار (3130) عن أبي أُمامة بن سهل عن أبي هريرة قال: قلت له: ما كان يخاف القوم إذا دخلوا قرية أو أشرفوا على قرية أن يقولوا: اللهمَّ اجعل لنا فيها رزقاً؟ قال: كانوا يخافون جَوْر الولاة، وقحوط المطر. قال الهيثمي (10/ 135): رجاله رجال الصحيح غير قيس بن سالم وهو ثقة. انتهى.

أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (ص 93) عن ثابت قال: كان أنس رضي الله عنه إذا دعا لأخيه يقول: جعل الله عليه صلاة قوم أبرار، ليسوا بظَلَمة ولا فُجَّار، يقومون الليل ويصومون النهار.

أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (ص 106) عن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال: سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته. ثم يقول: إنَّ هذا لوعيد شديد لأهل الأرض. وأخرجه مالك أيضاً عن ابن الزبير مثله كما في «المشكاة» إلا أنه لم يذكر من قوله: ثم يقول ـ إلى آخره.

* * *

دعوات الصحابة رضي الله عنهم بعضهم لبعض

أخرج ابن عساكر عن سيف بن عمر عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد قالوا: وفد سِماك بن مَخْرَمة وسماك بن عُبيد وسِماك بن خَرَشة على عمر رضي الله عنه فقال عمر: بارك الله فيكم، اللهمَّ اسمُك بهم الإسلام، وأيِّد بهم الإسلام. كذا في «المنتخب» (5/ 131).

أخرج ابن أبي شيبة والطبراني (19/ 176) وأبو نُعيم في «المعرفة» عن عبد الرحمٰن بن كعب بن مالك قال: كنت قائد أبي حين ذهب بصره، فكنت إذا خرجت معه إلى الجمعة فسمع التأذين استغفر لأبي أُمامة أسعدَ بن زُرارة - رضي الله عنه - ودعا له، فقلت له: يا أبت ما شأنك إذا سمعت التأذين استغفرت لأبي أُمامة ودعوتَ له وصلَّيت عليه؟ قال: أيْ بني إنَّه كان أول من جَمَّع بنا قبل قدوم النبي ﷺ في نقيع الخَضِمات في هَزْم (النَّبيت من حَرَّة) بني بَيَاضة. قلت: وكم كنتم يومئذٍ؟ قال: كنا أربعين رجلاً. كذا في «المنتخب» (5/ 136).

أخرج ابن سعد (4/ 243): عن أبي العلاء بن الشِّخِّير عن رجل من بني بكر بن وائل قال: كنت مع بُريدة الأسلمي بسِجِستان قال: فجعلت أُعرِّض بعلي وعثمان وطلحة والزبير - رضي الله عنهم - لأستخرج رأيه، قال: فاستقبل القبلة فرفع يديه فقال: اللهمَّ اغفر لعثمان، واغفر لعلي بن أبي طالب، واغفر لطلحة بن عبيد الله، واغفر للزبير بن العوّام.

قال: ثم أقبل عليَّ فقال لي: لا أبا لك أتراك قاتلي؟ قال: فقلت له: والله ما أردت قتلك، ولكن هذا أردت منك. قال: قوم سبقت لهم من الله سوابق؛ فإن يشأ، يغفر لهم بما سبق لهم فعل، وإن يشاء يعذبهم بما أحدثوا فعل. حسابهم على الله.

* * *

خفيك، وقدت راحلتك، وخفضتَ المخاضة!! قال: فصكَّ عمر بيده في صدر أبي عبيدة، فقال: أوَّه!! لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، أنتم كنتم أقلَّ الناس، وأذلَّ الناس، فأعزَّكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزّة بغيره يذلّكم الله تعالى. وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 47) عن طارق نحوه. وابن المبارك وهنّاد والبيهقي في «شُعَب الإيمان» عنه نحوه؛ كما في منتخب «الكنز» (4/ 400).

وعند أبي نعيم أيضاً في «الحلية» (1/ 47) عن قيس، قال: لمّا قدم عمر رضي الله عنه الشام استقبله الناس وهو على بعيره، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو ركبت بِرذوناً، تلقاك عظماء الناس ووجوههم، فقال: لا أراكم ههنا إنما الأمر من ههنا ـ وأشار بيده إلى السماء ـ خلُّوا سبيل جملي.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي الغالية الشامي، قال: قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية على طريق إيلياء على جمل أورق تلوح صلعته للشمس، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة، تصطَفِق رجلاه بين شعبتي الرَّحْل بلا رِكاب، وِطاؤه كساء أنبجاني ذو صوف، هو وِطاؤه إذا ركب وفراشه إذا نزل، حقيبته نَمرة أو شملة محشوة ليفاً، هي حقيبته إذا ركب ووسادته إذا نزل، وعليه قميص من كرابيس قد رُسِّم وتخرّق جنبه، فقال: ادعوا لي رأس القوم، فدعوا له الجلومس، فقال: اغسلوا قميصي وخيطوه وأعيروني ثوباً أو قميصاً، فأُتي بقميص كتان، فقال: ما هذا؟ قالوا: كتّان، قال: وما الكتّان؟ فأخبروه، فنزع قميصه فغُسل ورُقع وأُتي به، فنزع قميصهم ولبس قميصه، فقال له الجلومس: أنت ملك العرب وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل؛ فلو لبست شيئاً غير هذا، وركبت برذوناً؛ لكان ذلك أعظم في

المجلد العاشر

* * *


Bibliotheca Alexandrina
0586603

حياة الصحابة

تأليف
محمد بن يوسف الكاندهلوي

نوبليس

حَيَاةُ الصَّحَابَةِ

حياة الصحابة

تأليف

محمد بن يوسف الكاندهلوي

قدّم له

أبو الحسن علي الحسني الندوي

المجلد الحادي عشر

نوبليس

اسم المجموعة:	حياة الصحابة
اسم الكتـاب:	المجلد الحادي عشر
المـؤلـف:	محمد بن يوسف الكاندهلوي
التدقيق والمراقبة:	قسم الدراسات في دار نوبليس
قياس الكتـاب:	17 × 24
عدد الصفحات:	200
عدد صفحات المجموعة:	2400
مكـان النشـر:	بيروت
دار النشر والتوزيع:	دار نوبليس
تلفاكس:	961 (1) 58 34 75
هاتـف:	961 (1) 58 11 21 - 961 (3) 58 11 21
بريد إلكتروني:	NOBILIS_INTERNATIONAL@hotmail.com
الطبعة الأولـى:	2006

الباب السادس عشر

خطب الصحابة

كيف كان النبي ﷺ وأصحابه يخطبون الناس في الجمع والجماعات، والحج والغزوات، وجميع الحالات، ويحرّضونهم على امتثال الأوامر وإن كانت خلاف المشاهدات والتجربات؟ وكيف كانوا يزهّدونهم في الدنيا ولذاتها العاجلة، ويرغّبونهم في الآخرة ولذّاتها الباقية؟ فكأنهم كانوا يقيمون الأمة المسلمة غنيّها وفقيرَها وخواصّها على امتثال الأوامر المتوجّهة إليهم من الله ورسوله، ببذل نفوسهم، وإنفاق أموالهم، ولم يكونوا يقيمونهم على الأموال الفانية والأمتعة الزائلة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أول خطبة لمحمد رسول الله ﷺ

أخرج البيهقي عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمٰن بن عوف ـ رضي الله عنهما ـ قال: كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أن قام فيهم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «أما بعد أيها الناس فقدِّموا لأنفسكم، تَعَلَّمُنَّ والله ليُصعَقَنَّ أحدكم، ثم ليدَعَنَّ غنمه ليس لها راع، ثم ليقولَنَّ له ربه ـ وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ـ: ألم يأتِك رسولي فبلَّغك، وآتيتك مالاً وأفضلتُ عليك؟ فما قدمتَ لنفسك؟ فينظر يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً، ثم ينظر قدّامه فلا يرى غير جهنَّم، فمن استطاع أن يقيَ وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة؛ فإن بها تُجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته». ثم خطب رسول الله ﷺ مرة أخرى فقال: «إنَّ الحمد لله أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، إن أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زيَّنه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبُّوا من أحبَّ الله، أحبوا الله من كل قلوبكم، ولا تَمَلُّوا كلام الله

وذكره ولا تَقْسُ عنه قلوبكم؛ فإنَّه من (كل ما يخلق اللّه) يختار ويصطفي، فقد سمّاه (اللّه) خيرته من الأعمال، وخيرته من العبادة، والصالحَ من الحديث، ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتَّقوه حق تقاته، واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم، وتحابُّوا بروح الله بينكم. إن الله يغضب أن يُنكث عهده، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته». وهذه الطريق مرسلة. كذا في «البداية» (3/ 214). وقد أخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بألفاظ أخرى مختصراً كما تقدم.

* * *

خطبته ﷺ في الجمعة

أخرج ابن جرير (2/ 115) عن سعيد بن عبد الرحمٰن الجمحي أنه بلغه عن خطبة رسول الله ﷺ في أول جمعة صلاَّها بالمدينة في بني سالم بن عوف: «الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادي مَنْ يكفره، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبدُه ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة، على فَتْرة من الرسل وقِلّة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان ودُنُوٍّ من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رَشَد، ومن يعصهما فقد غوى وفرَّط؛ وضلَّ ضلالاً بعيداً وأوصيكم بتقوى الله، فإنّه خيرُ ما أوصى به المسلمُ المسلمَ أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذَّركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكراً، وإن تقوى الله لمن عمل به على وَجَل ومخافةٍ من ربه، عَوْنُ صدق على ما تبغون من

أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية، لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذُخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيداً، ويحذّركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد، والذي صدَّق قوله، وأنجز وعده لا خُلف لذلك، فإنه يقول عز وجل ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: 29] فاتَّقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية؛ فإنه من يتّق الله يكفِّر عنه سيئاته ويُعظِم له أجراً، ومن يتَّق الله فقد فاز فوزاً عظيماً، وإن تقوى الله يُوَقِّي مقته، ويُوَقِّي عقوبته، ويُوقِّي سخطه، وإن تقوى الله يبيِّض الوجوه، ويرضي الربَّ، ويرفع الدرجة، خُذُوا بحظكم ولا تفرِّطوا في جنب الله، قد علَّمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيلَه ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حقَّ جهاده، هو اجتباكم وسمّاكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بيِّنة، ويحيا من حيَّ عن بيِّنة، ولا قوة إلا بالله، فأكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد اليوم، فإنّه من يصلح ما بينه وبين الله يكفِه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأنَّ الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم». قال في «البداية» (3/ 213): هكذا أوردها ابن جرير وفي السند إرسال ـ انتهى. وذكره أيضاً القرطبي في تفسيره (18/ 98) بنحوه مطوّلاً بلا إسناد.

* * *

خطباته ﷺ في الغزوات

أخرج الطبراني (2/ 2203) والبزّار (1714) عن حرار رضي الله عنه ـ رجل من أصحاب النبي ﷺ ـ قال: غزونا مع رسول الله ﷺ فلقينا

عدونا، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا أيها الناس إنكم قد أصبحتم بين أخضر وأصفر وأحمر وفي الرحال ما فيها، فإذا لقيتم عدوَّكم فقُدُماً قُدُماً؛ فإنه ليس أحد يحمل في سبيل الله إلا ابتدرت إليه ثنتان من الحور العين، فإذا استشهد فإن أول قطرة تقع إلى الأرض من دمه يكفِّر الله عز وجل عنه كل ذنب، ويمسحان الغبار عن وجهه يقولان: قد أنَى لك، ويقول: قد أنَى لكما». قال الهيثمي (5/ 275): وفيه العباس بن الفضل الأنصاري وهو ضعيف.

أخرج الطبراني عن جابر رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ لما نزل الحِجْر في غزوة تبوك، قام فخطب الناس، فقال: «يا أيها الناس، لا تسألوا نبيكم عن الآيات، هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم ناقة، ففعل فكانت ترد من هذا الفجّ فتشرب ماءهم يوم وِرْدها، ويحلبون من لبنها مثل الذي كانوا يصيبون من غبِّها، ثم تصدر من هذا الفجِّ، فعقروها، فأجَّلهم الله ثلاثة أيام ـ وكان وعد الله غير مكذوب ـ ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله من كان منهم بين السماء والأرض إلا رجلاً كان في حَرَم الله فمنعه حَرَم الله من عذاب الله» قيل: يا رسول الله من هو؟ قال: «أبو رِغَال». قال الهيثمي (7/ 38): رواه الطبراني في «الأوسط» والبزّار (1844) وأحمد بنحوه ورجال أحمد رجال الصحيح ـ انتهى.

أخرج الطبراني في «الكبير» (2/ 2737) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر يوم غزوة تبوك، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يا أيها الناس إني ما آمركم إلا بما أمركم الله، ولا أنهاكم إلا عما نهاكم الله عنه، فأجملوا في الطلب؛ فوالذي نفس أبي القاسم بيده إن أحدكم ليطلبه رزقُه كما يطلبه أجله، فإن تعسَّر عليكم

شيء منه فاطلبوه بطاعة الله عز وجل». كذا في «الترغيب» (3/ 196).

أخرج الطبراني عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لما فتحت مكة على رسول الله ﷺ قال: «كُفُّوا السلاح إلا خزاعة عن بني بكر» فأذن لهم حتى صلّى العصر، ثم قال: «كفوا السلاح» فلقي رجل من خزاعة رجلاً من بني بكر من غدٍ بالمزدلفة فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقام خطيباً فقال: - ورأيته وهو مسند ظهره إلى الكعبة - «إنَّ أعدَى الناس على الله من قتل في الحرم، أو قتل غير قاتله، أو قتل بذُحول الجاهلية». فقام رجل فقال: إن فلاناً ابني. فقال رسول الله ﷺ «لا دعوة في الإسلام، ذهب أمر الجاهلية، الولد للفراش وللعاهر الأثلب» قالوا: وما الأثلب؟ قال: «الحَجَر». وقال: «لا صلاة بعد الغداة حتى تطلع الشمس، ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس». قال «ولا تُنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها». قال الهيثمي (6/ 178): رجاله ثقات، وفي الصحيح منه النهي عن الصلاة بعد الصبح وفي السنن بعضه - انتهى.

أخرج ابن ماجة (2628) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قام يوم فتح مكة وهو على درج الكعبة، فحمد الله وأثنى عليه فقال؛ «الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا إن قتيل الخطإ قتيل السوط والعصا، فيه مائة من الإبل، منها أربعون خَلِفَة في بطونها أولادها، ألا إنَّ كل مأثَرة كانت في الجاهلية ودم تحت قدميَّ هاتين؛ إلاَّ ما كان من سِدانة البيت وسقاية الحاج، ألاَ إنِّي قد أمضيتهما لأهلهما كما كانا».

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: طاف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته القَصواء يستلم الأركان بمحجن في

يده، فما وجد لها مناخاً في المسجد حتى نزل ﷺ على أيدي الرجال، فخرج بها إلى بطن المسيل فأنيخت، ثم إن رسول الله ﷺ خطبهم على راحلته، فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو له أهل، ثم قال: «يا أيها الناس، إن الله تعالى قد أذهب عليكم عُبِّيَّة الجاهلية، وتعظيمها بآبائها، فالناس رجلان: رجل برتقي كريم على الله تعالى، ورجل فاجر شقي هينٌ على الله تعالى، إن الله عز وجل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13] ثم قال ﷺ: «أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم». وهكذا رواه عبد بن حميد، كما في «التفسير» لابن كثير (4/ 218).

* * *

خطباته ﷺ لشهر رمضان

أخرج ابن خزيمة عن سلمان رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان، قال: «يا أيها الناس قد أظلَّكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، (شهر) جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرَّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدّى فريضة فيما سواه، ومن أدّى فريضة فيه كان كمن أدّى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يُزاد في رزق المؤمن فيه. من فطَّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه، وعتقَ رقبته من النار، وكان له مثلُ أجره من غير أن ينقص من أجره شيء». قالوا: يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطِّر الصائم. فقال رسول الله ﷺ: «يعطي الله هذا الثواب من فطَّر صائماً على تمرة، أو على شَرْبة ماء، أو مَذْقة لبن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة،

وآخره عتقٌ من النار، من خفَّف عن مملوكه فيه غفر الله له، وأعتقه من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم، فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن سقَى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة». قال المنذري في «الترغيب» (2/ 218): رواه ابن خزيمة في صحيحه ثم قال: (إن) صح الخبر، ورواه من طريقه البيهقيُّ، ورواه أبو الشيخ ـ ابن حِبّان ـ في الثواب باختصار عنهما ـ انتهى. وأخرجه أيضاً ابن النجار بطوله، كما في «الكنز» (4/ 323).

أخرج ابن النجار عن أنس رضي الله عنه قال: لما قرب رمضان خطبنا رسول الله ﷺ عند صلاة المغرب خطبة خفيفة، فقال: «استقبلكم رمضان واستقبلتموه، ألاَ وإنَّه لا يبقى أحد من أهل القبلة إلا غُفر له أول ليلة من رمضان». كذا في «الكنز» (4/ 325).

أخرج الأصبهاني في «الترغيب» عن علي رضي الله عنه قال: لمَّا كان أول ليلة من رمضان قام رسول الله ﷺ وأثنى على الله تعالى وقال: «يا أيها الناس قد كفاكم الله تعالى عدوَّكم من الجن، ووعدكم الإجابة وقال: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60] ألاَ وقد وكل الله عز وجل بكل شيطان مَرِيد سبعة من الملائكة فليس بمحلول حتى ينقضي شهر رمضان، ألاَ وأبواب السماء مفتَّحة من أول ليلة منه إلى آخر ليلة منه، والدعاء فيه مقبول» حتى إذا كان أول ليلة من العشر شدَّ المئزر، وخرج من بينهن، واعتكف وأحيا الليل، قيل: وما شدُّ المئزر؟ قال: كان يعتزل النساء فيهن. كذا في «الكنز» (4/ 323).

خطبته ﷺ في تأكيد صلاة الجمعة

أخرج ابن ماجة (ص 172) عن جابر رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا، وصِلُوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة في السر والعلانية تُرزقوا وتُنصروا وتُجبروا، واعلموا أن الله قد افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا في يومي هذا في شهري هذا من عامي هذا إلى يوم القيامة؛ فمن تركها في حياتي ـ أو بعدي ـ وله إمام عادل جائر استخفافاً بها وجحوداً بها؛ فلا جمع الله له شمله، ولا بارك له في أمره، ألاَ ولا صلاة له، ألاَ ولا زكاة له، ألاَ ولا حجَّ له، ألاَ ولا صوم له، ألاَ ولا برَّ له حتى يتوب، فمن تاب تاب الله عليه، ألا لا تَؤُمَنَّ امرأة رجلاً، ولا يؤم أعرابي مهاجراً، ولا يؤم فاجر مؤمناً إلا أن يقهره بسلطان يخاف سيفه وسوطه». قال المنذري في «الترغيب» (2/ 31): ورواه الطبراني في «الأوسط» من حديث أبي سعيد الخدري أخصر منه.

ورواه أبو يَعْلى (4/ 2198) بإسنادين عن جابر بن عبد الله قال: قام رسول الله ﷺ خطيباً يوم الجمعة فقال: «عسى رجل تحضره الجمعة وهو على قَدْرِ ميلٍ من المدينة فلا يحضر الجمعة»، ثم قال في الثانية: «عسى رجل تحضره الجمعة وهو على قدر ميلين من المدينة فلا يحضرها»، وقال في الثالثة: «عسى يكون على قدر ثلاثة أميال من المدينة فلا يحضر الجمعة ويطبع الله على قلبه».

* * *

خطباته ﷺ في الحج

أخرج الحاكم (1/ 93) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجَّة الوداع فقال: «قد يئس الشيطان بأن يُعبد بأرضكم، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تُحاقِرون من أعمالكم، فاحذروا يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبداً: كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، إن كل مسلم أخ المسلم، المسلمون إخوة ولا يحل لامرىء من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، ولا تظلموا ولا ترجعوا من بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقابَ بعض». قال الحاكم (1/ 93) قد احتج البخاري بأحاديث عكرمة، واحتج مسلم بأبي أُويس، وسائر رواته متَّفق عليهم، وهذا الحديث لخطبة النبي ﷺ متَّفق على إخراجه في الصحيح: «يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون». وذكرُ الاعتصام بالسنة في هذه الخطبة غريب، ويحتاج إليها ـ انتهى. ووافقه الذهبي.

وأخرج الطبراني (12/ 11690) وأبو بكر الخَفَّاف في «معجمه» وابن النجار عن ابن عباس قال: خطبنا رسول الله ﷺ في مسجد الخَيْف، فحمد الله وذكره بما هو أهله، ثم قال: «من كانت الآخرة همّه جمع الله شمله، وجعل غناه بين عينيه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه فرقّ الله شمله، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له». كذا في «الكنز» (8/ 202).

وأخرج ابن النجار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ في مسجد الخَيْف بمنى فقال: «نضَّر الله عبداً سمع مقالتي فعمد بها يحدث بها أخاه. ثلاثة لا يُغِلُّ عليهن قلب مسلم: إخلاص

العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط مِنْ ورائهم». كذا في «الكنز» (8/ 228).

وأخرج مسلم عن جابر فذكر الحديث بطوله في صفة الحج وفيه: فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرُحِّلَتْ له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال: «إنَّ دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدميَّ موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هُذَيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضعه من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، واتَّقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرِّح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لم تضلُّوا بعده إن اعتصمتم به: كتابَ الله، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون»؟ قالوا: نشهد أنك قد بلَّغتَ ونصحتَ وأدَّيت. فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس «اللهمَّ اشهد، اللهمَّ اشهد» ثلاث مرات، كذا في «البداية» (5/ 148). وأخرجه أيضاً أبو داود وابن ماجة، كما في «الكنز» (3/ 23).

وأخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: يا أيها الناس أيُّ يوم هذا»؟ قالوا: يوم حرام، قال: «فأيُّ بلد هذا»؟ قالوا: بلد حرام، قال: فأيُّ شهر هذا»؟ قال شهر حرام، قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام،

كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا». قال: فأعادها مراراً ثم رفع رأسه فقال: «اللهمَّ هل بلغت؟ اللهمَّ قد بلغت». قال ابن عباس: فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته «فليبلِّغ الشاهد الغائب، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض». كذا في «البداية» (5/ 194). وأخرجه أيضاً أحمد وابن أبي شيبة عنه وابن ماجة عن ابن عمر رضي الله عنهما والطبراني عن عمار رضي الله عنه وأحمد والبغوي عن أبي غادية رضي الله عنه، كما في «الكنز» (3/ 25).

وأخرج أحمد عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «استنصتِ الناس». ثم قال عند ذلك: «لا أعرفنَّ بعد ما أرى ترجعون كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض». وفي رواية أخرى عنه قال في حجة الوداع: «يا جرير استنصت الناس» ـ فذكر نحوه، كما في «البداية» (5/ 197).

وأخرج مسلم عن أمِّ الحصين رضي الله عنها قالت: حججت مع رسول الله ﷺ حجّة الوداع، فرأيت أسامة وبلالاً رضي الله عنهما: أحدهما آخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ، والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة. قالت: فقال رسول الله قولاً كثيراً، ثم سمعته يقول: «إن أُمِّر عليكم عبد مجدَّع ـ حسبتها قالت: أسود ـ يقودكم بكتاب الله؛ فاسمعوا له وأطيعوا». كذا في «البداية» (5/ 196). وأخرجه النَّسائي أيضاً بنحوه، كما في «الكنز» (3/ 62) وابن سعد (2/ 184) نحوه.

وأخرج أحمد عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته عام حجة الوداع: «إنَّ الله قد أعطى كل ذي حقٍّ حقَّه؛ فلا وصية لوارث، والولد للفراش وللعاهر الحجر

وحسابهم على الله، ومن ادَّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه؛ فعليه لعنة الله التابعة إلى يوم القيامة، لا تنفق امرأة من بيتها إلا بإذن زوجها» فقيل: يا رسول الله ولا الطعام؟ قال: «ذاك أفضل أموالنا». ثم قال رسول الله ﷺ: «العارية مؤدّاة، والمِنحة مردودة، والدين مقضيٌّ، والزعيم غارم». ورواه أهل السنن الأربعة وقال الترمذي: حسن. وعند أبي داود عن أبي أمامة قال: سمعت خطبة رسول الله ﷺ بمنى يوم النحر.

وعند أحمد أيضاً عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يومئذٍ على الجدعاء واضع رجليه في الغَرْز، يتطاول ليُسمع الناس، فقال بأعلى صوته: «ألا تسمعون»؟ فقال رجل من طوائف الناس: يا رسول الله: ماذا تعهد إلينا؟ فقال: «اعبدوا ربَّكم، وصلُّوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأطيعوا ذا أمركم؛ تدخلوا جنة ربِّكم». وأخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح. كذا في «البداية» (5/ 198).

وأخرج أبو داود عن عبد الرحمٰن بن معاذ التَّيْمي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ ونحن بمنى، ففتحت أسماعنا حتى كنَّا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا، فطفق يعلمهم مناسكهم، حتى بلغ الجمار، فوضع السباحتين ثم قال: «حَصَى الخَذْف» ثم أمر المهاجرين فنزلوا في مقدَّم المسجد، وأمر الأنصار فنزلوا من وراء المسجد، ثم نزل الناس بعد ذلك. وأخرجه ابن سعد (2/ 185) وأحمد والنسائي كذلك.

وعند أبي داود أيضاً عن رافع بن عمرو المزني رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء، وعلي يعبّر عنه، والناس بين قائم وقاعد. كذا في «البداية» (5/ 198).

وأخرج أحمد عن أبي حُرَّة الرَّقَاشي عن عمه رضي الله عنه قال: كنت آخذاً بزمام ناقة رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق أذود عنه الناس، فقال: «يا أيها الناس أتدرون في أيِّ شهر أنتم؟ وفي أيِّ يوم أنتم؟ وفي أيِّ بلد أنتم»؟ قالوا: في يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام، قال: «فإنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقَونه». ثم قال: «اسمعوا مني تعيشوا. ألاَ لا تظلموا، ألاَ لا تظلموا، ألاَ لا تظلموا. إنه لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب نفس منه. ألاَ إن كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي هذه إلى يوم القيامة، وإنَّ أوَّل دم يوضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطَّلب، كان مسترضعاً في بني لَيْث فقتلته هُذيل. ألاَ وأنَّ كل رباً (كان) في الجاهلية موضوع، وإن الله عز وجل قضى أن أول رباً يوضع ربا العباس بن عبد المطلب، لكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلمون. ألاَ وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ثم قرأ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: 36]. ألاَ لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. ألا إنَّ الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون، ولكنه في التحريش بينكم. واتقوا الله في النساء؛ فإنهن عندكم عوانٍ لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنَّ لهنَّ عليكم حقاً، ولكم عليهن حق: أن لا يوطئن فرشكم أحداً غيركم، ولا يأذنَّ في بيوتكم لأحدٍ تكرهونه، فإن خفتم نشوزهن، فعظوهنَّ واهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرِّح، ولهنَّ رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله عز وجل. ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدِّها إلى من ائتمنه عليها». وبسط يديه فقال: «ألاَ

هل بلغت، ألاَ هل بلغت، ألاَ هل بلغت»؟ ثم قال: «ليبلِّغ الشاهد الغائب؛ فإنَّه رب مبلَّغ أسعد من سامع». قال حميد: قال الحسن حين بَلَغ هذه الكلمة: قد ـ والله ـ بلَّغوا أقواماً كانوا أسعد به.

وأخرج البزّار (1141) عن ابن عمر رضي الله عنهما بمعناه وزاد في أوله قال: نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ بمنى وهو في أوسط أيام التشريق في حجة الوداع ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر: 1] فعرف أنه الوداع، فأمر براحلته القصواء فرُحِّلت له، ثم ركب فوقف للناس بالعقبة فاجتمع إليه ما شاء الله من المسلمين، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: «أما بعد أيها الناس: فإن كل دم كان في الجاهلية فهو هدر» ـ فذكر الحديث وفيه: «أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد ببلادكم آخر الزمان وقد يرضى عنكم بمحقِّرات الأعمال فاحذروه على دينكم (ولا ترضوه) بمحقِّرات الأعمال». وزاد: «أيها الناس إنِّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتابَ الله، فاعملوا به». وفي آخره: «ألاَ ليبلِّغ شاهدُكم غائبَكم، لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم». ثم رفع يديه فقال: «اللهمَّ اشهد». وقد ذكر حديث ابن عمر هذا بطوله في «البداية» (5/ 202). وأخرج حديث أبي حُرَّة الرَّقَاشي عن عمه البغويُّ والباورديُّ وابنُ مردويه أيضاً بطوله، كما في «الكنز» (3/ 26).

وأخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ في أواسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال: «يا أيها الناس إنَّ ربكم واحد، وإن أباكم واحد؛ ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم. ألا هل بلغت»؟ قالوا: بلى يا

رسول الله، قال: «فليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ». قال البيهقي: في إسناده بعض من يُجهل. كذا في «الترغيب» (4/ 392).

وأخرج ابن ماجة (3057) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ وهو على ناقته المُخْضرَمة بعرفات فقال: «أتدرون أيَّ يوم هذا، وأيَّ شهر هذا، وأيَّ بلد هذا»؟ قالوا: هذا بلد حرام، وشهر حرام، ويوم حرام، قال: «ألا وإن أموالكم ودماءكم عليكم حرام، كحرمة شهركم هذا، في بلدكم هذا، في يومكم هذا. ألا وإني فَرَطكم على الحوض، وأكاثر بكم الأمم؛ فلا تسوِّدوا وجهي. ألا وإني مستنقِذٌ أُناساً، ومستنقَذٌ مني أُناس، فأقول: يا ربّ: أصيحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك». قال ابن ماجه: هذا الحديث غريب. وأخرجه أحمد أيضاً نحوه، كما في «الكنز» (3/ 25).

* * *

خطباته ﷺ في الدجّال ومسيلمة ويأجوج ومأجوج والخسف

أخرج أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: كنَّا نتحدَّث بحجة الوداع، وما ندري أنه الوداع من رسول الله ﷺ، فلمّا كان في حجة الوداع، خطب رسول الله ﷺ، فذكر المسيح الدجّال فأطنب في ذكره، ثم قال: «ما بعث الله تبارك وتعالى من نبي إلا وقد أنذره أمته، لقد أنذره نوح ﷺ والنبيون صلَّى الله عليهم وسلم من بعده: ألاَ ما خفي عليكم من شأنه، فلا يخفينَّ عليكم، إنَّ ربكم تبارك وتعالى ليس بأعور». قال الهيثمي (7/ 338): رجاله رجال الصحيح وفي الصحيح بعضه. انتهى.

أخرج أحمد والطبراني ـ واللفظ له ـ عن سفينة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا حذَّر أمته الدجّال. وهو أعورُ عينه اليسرى، بعينه اليمنى ظَفَرة غليظة، مكتوب بين عينيه: كافر، يخرج معه واديان: أحدهما جنة والآخر نار، فجنته نار وناره جنة، معه ملكان من الملائكة يُشبَّهان بنبيين من الأنبياء: أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، وذلك فتنة الناس، يقول: ألست بربكم أحيي وأميت؟ فيقول أحد الملكين: كذبتَ، فما يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه، فيقول له: صدقتَ. ويسمعه (الناس) فيحسبون أنه صدَّق الدجال، وذلك فتنة؛ ثم يسير حتى يأتي المدينة ولا يُؤذن له فيها، ثم يقول: هذه قرية ذاك الرجل، ثم يسير حتى يأتي الشام، فيهلكه الله عز وجل عند عقبة أَفِيق. قال الهيثمي (7/ 340): رجاله ثقات وفي بعضهم كلام لا يضر. انتهى.

أخرج أحمد عن جُنادة بن أبي أمية الأزدي قال: ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ فقلنا: حدثنا حديثاً سمعتَه من رسول الله ﷺ يذكر عن الدجّال، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أنذركم الدجّال ـ ثلاثاً ـ فإنه لم يكن نبي إلا أنذره، وإنه فيكم أيتها الأمة، وإنه جَعْدٌ آدم ممسوح العين اليسرى، معه جنة ونار، ومعه جبال من خبز ونَهَر من ماء، وإنه يمطر المطر ولا ينبت الشجر، وإنه يُسلَّط على نفس فيقتلها ولا يُسلَّط على غيرها، وإنه يمكث في الأرض أربعين صباحاً يبلغ كل منهل، لا يقرب أربعة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الطور، ومسجد الأقصى، وما شُبِّه عليكم؛ فإنَّ ربكم عز وجل ليس بأعور» قال الهيثمي (7/ 343): رجاله رجال الصحيح. انتهى.

أخرج الحاكم (4/ 536) عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوماً، فكان أكثرَ خطبته ذكرُ الدجّال يحدثنا عنه حتى فرغ من خطبته، فكان فيما قال لنا يومئذٍ: «إنَّ الله تعالى لم يبعث نبياً إلا حذَّر أمته الدجَّال، وإني آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج فيكم بعدي فكل امرىء حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه يخرج من خُلَّة بين العراق والشام فعاث يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا، فإنه يبدأ فيقول: أنا نبي، ولا نبي بعدي، ثم يثنِّي حتى يقول: أنا ربُّكم، وإنكم لن تروا ربَّكم حتى تموتوا، وإنه مكتوب بين عينيه: كافر، يقرأه كل مؤمن، فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه، وليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف، وإنه يسلَّط على نفس من بني آدم فيقتلها ثم يحييها، وإنه لا يعدو ذلك ولا يسلط على نفس غيرها، وإنَّ من فتنته أنَّ معه جنة وناراً فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليغمض عينيه وليستغث بالله؛ تكون عليه برداً وسلاماً كما كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وإنَّ من فتنته أن يمرَّ على الحي فيؤمنون به ويصدِّقونه، فيدعو لهم، فتمطر السماء عليهم من يومهم، وتخصب لهم الأرض من يومها، وتروح عليهم ماشيتهم من يومها أعظم ما كانت وأسمنه وأمدّه خواصر وأدره ضروعاً، ويمر على الحي فيكفرون به ويكذِّبونه، فيدعو عليهم فلا يصبح لهم سارح يسرح، وإن أيامه أربعون: فيوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، ويوم كالأيام، وآخر أيامه كالسراب، يصبح الرجل عند باب المدينة فيمسي قبل أن يبلغ بابها الآخر». قالوا: كيف نصلِّي يا رسول الله في تلك الأيام القصار؟ قال: «تقدُرون فيها ثم تصلُّون كما تقدُرون في الأيام الطوال». قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي.

أخرج أبو يَعْلى (4/ 2164) عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قام رسول الله ﷺ ذات يوم على المنبر فقال: «يا أيها الناس إني لم أجمعكم لخبر جاء من السماء» ـ فذكر حديث الجسَّاسة وزاد فيه: «هو المسيح تُطوى له الأرض في أربعين يوماً إلا ما كان من طيبة»، قال رسول الله ﷺ: «وطيبة المدينة، ما من باب من أبوابها إلا عليه ملك مُصْلَت سيفه يمنعه؛ وبمكة مثل ذلك». قال الهيثمي (7/ 346): رواه أبو يَعْلى بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح. انتهى.

أخرج أحمد عن ثعلبة بن عبّاد العبدي من أهل البصرة قال: شهدت يوماً خطبة سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ فذكر في خطبته حديثاً عن رسول الله ﷺ، قلت: فذكر حديثَ كسوف الشمس حتى قال: فوافق تجلِّي الشمس جلوسه في الركعة الثانية، قال زهير: حسبته قال: فسلَّم فحمد الله عز وجل وأثنى عليه، وشهد أنه عبد الله ورسوله، ثم قال: «يا أيها الناس أنشدكم الله إن كنتم تعلمون أنِّي قصرت عن شيء من تبليغ رسالات ربي عز وجل لما أخبرتموني ذاك». قال: فقام رجال فقالوا: نشهد أنك قد بلغّت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، وقضيت الذي عليك. ثم قال: «أما بعد فإنَّ رجالاً يزعمون أن كسوف هذه الشمس وكسوف هذا القمر، وزوال هذه النجوم عن مطالعها، لموت رجال عظماء من أهل الأرض، وإنهم كذبوا؛ ولكنها آيات من آيات الله عز وجل، يختبر بها عباده؛ فينظر من يُحدِث له منهم توبة، وإنِّي ـ والله ـ لقد رأيت منذ قمت أصلِّي ما أنتم لاقوه من أمر دنياكم وآخرتكم، وإنه ـ والله ـ لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً، آخرهم الأعور الدجّال ممسوح العين اليسرى، كأنها عين أبي تِحْيَى ـ لشيخ حينئذٍ من الأنصار بينه وبين حجرة عائشة رضي الله عنها ـ، وإنه متى يخرج ـ أو قال: فإنه

متى ما يخرج - فإنه يزعم أنَّه الله، فمن آمن به وصدّقه واتَّبعه لم ينفعه صالح من عمله سَلَف، ومن كفر به وكذَّبه لم يُعاقب بشيء من عمله سَلَف، وإنه سوف يظهر - أو قال: يظهر - على الأرض كلِّها إلا الحَرَم وبيت المقدس، وإنه يُحصر المؤمنين في بيت المقدس فيزلزلون زلزالاً شديداً، ثم يهلكه الله تبارك وتعالى حتى إن جِذْم الحائط أو قال: أصل الحائط، وقال حسن الأشيب: أو أصل الشجرة لينادي أو قال: يقول يا مؤمن أو قال: يا مسلم هذا يهودي، أو قال: هذا كافر تعال فاقتله، قال: ولن يكون ذلك كذلك حتى تروا أموراً يتفاقم شأنها في أنفسكم وتساءلون بينكم: هل كان نبيكم ذكر لكم من هذا ذكراً؟ وحتى تزول جبال عن مراتبها، قال: ثم على أثر ذلك القبضُ». قال: ثم شهدت خطبة لسمرة ذكر فيها هذا الحديث ما قدّم كلمة ولا أخرها عن موضعها. قال الهيثمي (7/ 341): رواه أحمد والبزّار (3398) ببعضه وقال فيه: «فمن اعتصم بالله فقال: ربي الله حي لا يموت، فلا عذاب عليه، ومن قال: أنت ربي، فقد فُتن». ورجال أحمد رجال الصحيح غير ثعلبة بن عبّاد وثَّقه ابن حبان - انتهى.

أخرج أحمد والطبراني عن أبي بَكْرة رضي الله عنه قال: أكثر الناس في شأن مسيلمة قبل أن يقول رسول الله ﷺ فيه شيئاً، فقام رسول الله ﷺ خطيباً فقال: «أما بعد ففي شأن هذا الرجل الذي قد أكثرتم فيه، وإنه كذّاب من ثلاثين كذاباً يخرجون بين يدي الساعة، وإنه ليس من بلد إلا يبلغها رعب المسيح». قال الهيثمي (7/ 332). أحدُ أسانيد أحمد والطبراني رجاله رجال الصحيح. انتهى، وأخرجه الحاكم (4/ 541) عن أبي بَكْرة نحوه وزاد: «إلا المدينة على كل نَقْب من أنقابها يومئذٍ ملكان يذبّان عنها رُعْب المسيح».

أخرج أحمد والطبراني عن ابن حَرْمَلة ـ وهو خالد بن عبد الله بن حرملة ـ عن خالته قال: خطب رسول الله ﷺ وهو عاصب رأسه من لدغة عقرب، فقال: «إنكم تقولون: لا عدو، وإنكم لن تزالوا تقاتلون حتى يأتي يأجوج ومأجوج، عراض الوجوه، صغار العيون، صُهْب الشعاف، ومن كل حَدَب ينسلون، كأن وجوههم المجان المُطْرَقة. قال الهيثمي (8/ 6): رجالهما رجال الصحيح ـ انتهى.

وأخرج أحمد والطبراني عن بَقِيرة ـ امرأة القعقاع ـ قالت: إني لجالسة في صُفَّة النساء، فسمعت رسول الله ﷺ يخطب وهو يشير بيده اليسرى قال: «أيها الناس إذا سمعتم بخسف ههنا فقد حلَّت الساعة». قال الهيثمي (8/ 9) وفيه ابن إسحاق وهو مدلِّس وبقية رجال أحد إسنادي أحمد رجال الصحيح. انتهى.

* * *

خطبته ﷺ في ذم الغيبة

أخرج أبو يَعْلى عن البراء رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتها ـ أو قال: في خُدورها ـ فقال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبعوا عوراتهم؛ فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته، ومن يتَّبع الله عورته يفضحه في جوف بيته». قال الهيثمي (8/ 93): ورجاله ثقات.

وأخرجه الطبراني (11/ 11444) عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه إلا أن في روايته: «لا تؤذوا المؤمنين، ولا تتَّبعوا عوراتهم؛ فإنه من تَتَبَّعَ عورة أخيه المسلم هتك الله ستره». قال الهيثمي (8/ 94):

ورجاله ثقات. وأخرجه البيهقي (10/ 247) عن البراء نحوه كما في «الكنز» (8/ 200).

* * *

خطبته ﷺ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أخرج ابن ماجة وابن حِبَّان عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ، فعرفت في وجهه أن قد حضره شيء، فتوضأ وما كلَّم أحداً، فلصقت بالحجرة أستمع ما يقول، فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «يا أيها الناس إنَّ الله يقول لكم: مُرُوا بالمعروف، وانهَوْا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيبَ لكم، وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصرَكم» فما زاد عليهن حتى نزل. كذا في «الترغيب» (4/ 12). وأخرجه أحمد والبزّار بنحوه كما في «المجمع» (7/ 266).

* * *

خطبته ﷺ في التحذير من سيىء الأخلاق

أخرج الحاكم ـ وصحَّحه ـ على شرط مسلم ـ واللفظ له ـ وأبو داود مختصراً عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «إياكم والظلم؛ فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش والتفحُّش، وإياكم والشحَّ؛ فإنَّما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا». فقام رجل فقال: يا رسول الله أيُّ الإسلام أفضل؟ قال: «أن يسلَم المسلمون من لسانك ويدك» فقال ذلك الرجل ـ أو غيره

ـ: يا رسول الله أيُّ الهجرة أفضل؟ قال: «أن تهجر ما كره ربك، والهجرة هجرتان: هجرة الحاضر، وهجرة البادي، فهجرة البادي أن يجيب إذا دُعي، ويطيع إذا أُمر، وهجرة الحاضر أعظمها بليَّة، وأفضلها أجراً». كذا في «الترغيب» (4/ 158). وأخرجه الطبراني (22/ 538) عن الهرماس بن زياد مختصراً، كما في «الترغيب» (3/ 467) وزاد في أوله: «وإياكم والخيانة؛ فإنها بئست البطانة».

* * *

خطبه ﷺ في التحذير من الكبائر

أخرج أحمد والترمذي ـ وقال: غريب ـ والبغوي وابن قانع وأبو نُعيم عن أيمن بن خريم رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ خطيباً، فقال: «يا أيها الناس عُدلت شهادة الزور بالشرك بالله» قالها ثلاثاً، ثم قرأ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: 30]. كذا في «الكنز» (4/ 7).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فذكر أمر الربا وعظَّم شأنه وقال: «إنَّ الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل، وإنَّ أربى الربا عِرض الرجل المسلم». كذا في «الترغيب» (4/ 282).

وأخرج ابن أبي شَيْبة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال: «يا أيها الناس اتَّقوا الشرك؛ فإنه أخفى من دبيب النمل». فقال من شاء أن يقول: وكيف نتَّقيه وهو أخفى

من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: «قولوا: اللهمَّ إنا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه». كذا في «الكنز» (2/ 169).

* * *

خطبته ﷺ في الشكر

أخرج عبد الله بن أحمد والبزّار (1637) والطبراني عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ على هذه الأعواد ـ أو على هذا المنبر ـ: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل، والتحدُّث بنعمة الله شكر وتركها كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب». قال: فقال أبو أمامة الباهلي: عليكم بالسواد الأعظم، قال: فقال رجل: ما السواد الأعظم؟ فنادى أبو أمامة: هذه الآية التي في سورة النور ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ [النور: 54] قال الهيثمي (5/ 218): رجالهم ثقات.

وأخرج ابن النجار عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب، فقرأ هذه الآية ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] ثم قال رسول الله ﷺ: «من أُوتي ثلاثاً فقد أُوتي مثل ما أُوتي داود ـ عليه السلام ـ: خشية الله في السر والعلانية، والعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى». كذا في «الكنز» (8/ 226).

* * *

خطبته ﷺ في خير العيش

أخرج العسكري عن علي رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ

فقال: «لا خير في العيش إلا لمستمع واعٍ، أو عالم ناطق، أيها الناس إنكم في زمان هُدنة. وإنَّ السير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار يبليان كل جديد. ويقرِّبان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود؛ فأعدُّوا الجهاد لِبُعْد المضمار». فقال المقداد رضي الله عنه: يا نبي الله ما الهدنة؟ قال: «بلاء وانقطاع، فإذا التُبست الأمور عليكم كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن؛ فإنه شافع مشفَّع وماحِلٌ مصدَّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه قاده إلى النار، وهو الدليل إلى خير سبيل، وهو الفَصْل ليس بالهزل، له ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، عميق بحره، لا تُحصى عجائبه، ولا يشبع منه علماؤه، وهو حبل الله المتين، وهو الصراط المستقيم، وهو الحق الذي لا يعني الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: 1 - 2]. من قال (به) صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن عمل به هُدي إلى صراط مستقيم، فيه مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، ودالٌّ على الحجة». كذا في «الكنز» (1/ 218).

* * *

خطبته ﷺ في الرغبة عن الدنيا

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (3/ 202) عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ قام خطيباً على أصحابه، فقال: «يا أيها الناس كأنّ الموت فيها على غيرنا كُتب، وكأن الحقَّ فيها على غيرنا وجب، وكأن الذي نشيِّع من الأموات سَفْرٌ عما قليل إلينا راجعون، نأكل تراثهم كأننا مخلَّدون بعدهم، قد نسينا كل واعظة وأمِنَّا كل جائحة، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن طاب مكسبه،

وصلحت سريرته، وحسنت علانيته، واستقامت طريقته، طوبى لمن تواضع لله من غير منقصة، وأنفق ممّا جمعه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذل والمسكنة، وطوبى لمن أنفق الفَضْل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنّة ولم يعدل عنها إلى بِدْعة» ثم نزل. قال أبو نُعيم: هذا حديث غريب من حديث العترة الطيبة، لم نسمعه إلا من القاضي الحافظ، ورُوِي هذا الحديث من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ. انتهى. وقد أخرج حديث أنس ابن عساكر بنحوه، كما في «الكنز» (8/ 204) وفي أوله قال: خطبنا رسول الله ﷺ على ناقته الجدعاء وليست بالعضباء فقال: أيها الناس ـ فذكره وزاد: «بيوتهم أجداثهم، ونأكل تراثهم» وفي روايته: «واتَّبع السنة ولم يعدُها إلى بدعة». وأخرجه البزَّار (3225) عن أنس بنحوه، وفي روايته: على ناقته العضباء وليست بالجدعاء، وفي روايته: «نُبوِّئهم أجداثهم». وفي روايته: «وخالط أهل الفقه، وجانب أهل الشك والبدعة، وصلحت علانيته، وعزل الناس عن شرِّه». قال الهيثمي (10/ 229): رواه البزار وفيه النصر بن مُحْرِز وغيره من الضعفاء ـ انتهى.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ على المنبر والناس حوله: «أيها الناس استحيوا من الله حق الحياء». فقال رجل: يا رسول الله إنا لنستحيي من الله تعالى، فقال: «من كان منكم مستحيياً فلا يبيتنَّ ليلة إلا وأجله بين عينيه، وليحفظ البطن وما وعى، والرأس وما حوَى، وليذكر الموت والبِلَى، وليترك زينة الدنيا». ورواه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه وقال: حديث غريب، كذا في «الترغيب» (5/ 200).

* * *

خطبته ﷺ في الحشر

أخرج الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يقول: «إنكم ملاقو الله حُفاة عُراة غُرْلاً» - زاد في رواية: «مشاة»، وفي رواية: قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: «يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عُراة غُرْلاً: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104]: ألاَ وإنَّ أول الخلائق يُكسى إبراهيم عليه السلام، ألاَ وإنَّه سيجاء برجال من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربِّ أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ - إلى قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 117] قال: «فيقال لي: إنَّهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم». زاد في رواية فأقول: «سُحقاً سُحْقاً». كذا في «الترغيب» (5/ 345).

* * *

خطبته ﷺ في القدر

أخرج الطبراني في «الأوسط» وأبو سهل الجنديسابوري عن علي رضي الله عنه قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال: «كتاب كتب الله فيه أهل الجنة بأسمائهم وأنسابهم، فيُجمل عليهم، لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم إلى يوم القيامة». ثم قال: «كتاب كتب الله فيه أهل النار بأسمائهم وأنسابهم، فيُجمل عليهم، لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم إلى يوم القيامة، صاحب الجنة مختوم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أيَّ عمل، وصاحب النار مختوم له بعمل أهل النار وإن

عمل أيَّ عمل، وقد يُسلك بأهل السعادة طريق الشقاء حتى يقال ما أشبههم بهم، بل هم منهم، وتدركهم السعادة فتستنقذهم، وقد يسلك بأهل الشقاء طريق السعادة حتى يقال ما أشبههم بهم، بل هم منهم ويدركهم الشقاء فيستخرجهم، من كتبه الله سعيداً في أمِّ الكتاب، لم يخرجه من الدنيا حتى يستعمله بعمل يسعده به قبل موته ولو بفُوَاق ناقة، ومن كتبه الله في الكتاب شقياً، لم يخرجه من الدنيا حتى يستعمله بعمل يشقى به من قبل موته ولو بفُوَاق ناقة، والأعمال بخواتمها». كذا في «الكنز» (1/ 87). قال الهيثمي (7/ 213): رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه حماد بن واقد الصَّفَّار وهو ضعيف.

* * *

خطبته ﷺ في نفع رحمه

أخرج ابن النجار عن أبي سعيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول على المنبر: «ما بال رجال يقولون: رَحِم رسول الله ﷺ لا تنفع يوم القيامة، والله إنَّ رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة، وإنِّي أيها الناس فَرَطٌ لكم يوم القيامة على الحوض، وإنَّ رجالاً يقولون: يا رسول الله أنا فلان ابن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفته؛ ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقرى». كذا في «الكنز» (1/ 98). وأخرجه أحمد أيضاً عن أبي سعيد نحوه، كما في «التفسير» لابن كثير (3/ 256).

* * *

خطبته ﷺ في الولاة والعمال

أخرج الطبراني عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: خطبنا

رسول الله ﷺ فقال في خطبته: «ألاَ إني أُوشك فأُدعى فأجيب، فيليكم عمال من بعدي يعملون بما تعلمون، ويعملون ما تعرفون، وطاعة أولئك طاعة، فتلبثون كذلك زماناً، فيليكم عمّال من بعدهم، يعملون بما لا تعلمون ويعملون بما لا تعرفون، فمن قادهم وناصحهم، فأولئك قد هلكوا وأهلكوا، وخالطوهم بأجسادكم وزايلوهم بأعمالكم، واشهدوا على المحسن أنه محسن وعلى المسيء». قال الهيثمي (5/ 237): رواه الطبراني في «الأوسط» عن شيخه محمد بن علي المروزي وهو ضعيف. انتهى.

وأخرج البخاري (6636) عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ استعمل عاملاً، فجاءه العامل حين فرغ من عمله فقال: يا رسول الله هذا لكم وهذا أُهدي لي. فقال له: «أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك فنظرت أيُهدى لك أم لا»؟ ثم قام رسول الله ﷺ عشية بعد الصلاة، فتشهَّد وأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد: فما بال العامل نستعمله فيأتينا فيقول: هذا من عملكم وهذا أُهدي لي، أفلا قعد في بيت أبيه وأمه فنظر هل يُهدى له أم لا؟ فوالذي نفس محمد بيده، لا يَغُل أحدكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه، إن كان بعيراً جاء به له رُغاء، وإن كانت بقرة جاء بهالها خُوار، وإن كانت شاة جاء به تيعَر، فقد بلَّغتُ». قال أبو حميد: ثم رفع رسول الله ﷺ يده حتى إنا لننظر إلى عُفْرة إبطيه، قال أبو حميد: وقد سمع ذلك معي زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ من النبي ﷺ فسَلُوه. وأخرجه أيضاً مسلم وأبو داود وأحمد، كما في الجامع الصغير.

* * *

خطبته ﷺ في الأنصار

أخرج أحمد عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر للأنصار: «ألا إنَّ الناس دثاري والأنصار شعاري، لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار شعبة لاتَّبعت شُعبة الأنصار، فمن ولي أمر الأنصار فليحسن إلى محسنهم، وليتجاوز عن مسيئهم، فمن أفزعهم فقد أفزع هذا الذي بين هذين - وأشار إلى نفسه - قال الهيثمي (10/ 35): رجاله رجال الصحيح غير يحيى بن النضر الأنصاري وهو ثقة.

وعنده أيضاً عن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم - يعني أباه - أنه أخبره بعض أصحاب النبي ﷺ أنَّ النبي ﷺ خرج يوماً عاصباً رأسه، فقال في خطبته: «أما بعد يا معاشر المهاجرين، فإنكم قد أصبحتم تزيدون، وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم، وإنَّ الأنصار عيبتي التي أويت إليها، فأكرموا كريمهم، وتجاوزوا عن مسيئهم». قال الهيثمي (10/ 26): رجاله رجال الصحيح.

* * *

الخطب المتفرقة عن النبي ﷺ

أخرج أبو يعلى (1/ 85) والبزار (933) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ على أعواد المنبر يقول: «اتَّقوا النار ولو بشقِّ تمرة؛ فإنها تقيم العوج، وتدفع ميتة السوء، وتقع من الجائع موقعها من الشبعان». كذا في «الترغيب» (2/ 134).

وأخرج أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجة عن عامر بن ربيعة عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب ويقول: «من صلّى عليَّ صلاة لم تزل الملائكة تصلِّي عليه ما صلَّى عليَّ، فليقلَّ عبد من ذلك أو ليكثر». كذا في «الترغيب» (3/ 160).

وأخرج ابن جرير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فقال: «من سره أن يُزحزح عن النار ويدخل الجنة، فليدركه موته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه». كذا في «الكنز» (1/ 76).

وأخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قطّ، فقال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً». فغطَّى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين. وفي رواية: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء، فخطب فقال: «عُرضت عليَّ الجنة والنار، فلم أرَ كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه، غطُّوا رؤوسهم ولهم خنين. كذا في «الترغيب» (5/ 226).

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ خطب فأتى على هذه الآية: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: 74] قال النبي ﷺ: «أما أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون، وأما الذين ليسوا من أهلها فإنَّ النار تمسهم، ثم يقوم الشفعاء فيشفعون، فتُجعل الضَّبائر، فيُؤتى بهم نَهَراً يقال له الحياة أو الحيوان، فينبتون كما ينبت العشب في حميل السيل». كذا في «التفسير» لابن كثير (3/ 159).

وأخرج ابن أبي الدنيا وابن النجار عن أبي هريرة رضي الله عنه

قال: قام فينا رسول الله ﷺ، فقال: «أحسنوا يا أيها الناس برب العالمين الظن؛ فإنَّ الربَّ عند ظن عبده به». كذا في «الكنز» (2/ 143).

وأخرج الحاكم (4/ 436) عن أبي زهير الثقفي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته: «يا أيها الناس توشكون أن تعرفوا أهل الجنة من أهل النار ـ أو قال: خياركم من شراركم ـ» فقال رجل من الناس: بم يا رسول الله؟ قال: «بالثناء الحسن والثناء السيّىء، أنتم شهودٌ بعضكم على بعض». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، وقال الذهبي: صحيح.

وأخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم عن عبد الله بن ثعلبة عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام خطيباً، فأمر بصدقة الفطر صاع تمر أو صاع شعير عن كل واحد ـ أو قال: عن كل رأس ـ الصغير والكبير والحر والعبد. كذا في «الكنز» (4/ 338).

* * *

الجوامع من خطباته ﷺ

أخرج البيهقي في «الدلائل» (5/ 241) وابن عساكر في «تاريخه» عن عقبة بن عامر الجهني قال: خرجنا في غزوة تبوك، فاسترقد رسول الله ﷺ إذ كان منها على ليلة، فلم يستيقظ حتى كانت الشمس كرمح، فقال: «ألم أقل لك يا بلال: اكلأ لنا الفجر»؟ فقال: يا رسول الله ذهب بي الذي ذهب بك. فانتقل غير بعيد ثم صلَّى، ثم حمد الله ثم أثنى عليه، ثم قال: «أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملّة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشرُّ الأمور محدثاتها، وأحسن الهَدْي هدْي الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير العلم ما نفع، وخير الهدى ما اتُّبع، وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قلّ وكفى خير ممّا كثر وألهى، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الصلاة إلا دَبْراً، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً، وأعظم الخطايا اللسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما وقر في القلوب اليقين، والارتياب من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول من جُثاء جهنم، و«الكنز» كيّ من النار، والشِّعر من مزامير إبليس، والخمر جماع الإثم، والنساء حِبالة الشيطان، والشباب شُعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربا، وشر

المآكل مال اليتيم، والسعيد من وُعِظ بغيره، والشقيُّ من شقي في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربع أذرع، والأمر بآخره. وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا الكذب، وكل ما هو آتٍ قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه من معصية الله، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتألَّ على الله يكذبه، ومن يغفر يغفر الله له، ومن يعفُ يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوّضه الله، ومن يتبع السُّمعة يسمِّع الله به، ومن يصبر يُضْعف الله له، ومن يعصِ الله يعذبه الله؛ اللهمَّ اغفر لي ولأمتي، اللهمَّ اغفر لي ولأمتي، اللهمَّ اغفر لي ولأمتي، استغفر الله لي ولكم». وأخرجه أبو نصر السِّجزيُّ أيضاً في كتاب «الإبانة» عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً، وأخرجه ابن أبي شيبة وأبو نعيم في «الحلية» والقضاعي في «الشهاب» عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً، قال بعض شراح «الشهاب»: حسن غريب، ورواه العسكري والديلمي عن عقبة. كذا في «الجامع الصغير» للسيوطي وشرحه «فيض القدير» للمناوي (2/ 179). وأخرجه الحاكم أيضاً من حديث عقبة كما في «زاد المعاد» (3/ 7).

أخرج أحمد عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطب ذات يوم، فقال في خطبته: «إنَّ ربيَّ أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا (وإنه قال): كل مال نحلتُه عبادي حلال، وإني خلقت عبادي حُنفاء كلَّهم. وإن الشياطين أتتهم، فأضلَّتهم عن دينهم، وحرّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطاناً، ثم إنَّ الله عز وجل نظر إلى (أهل) الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنَّما بعثتك لأبتليك، وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً، ويقظان، ثم

إنَّ الله عز وجل أمرني أن أحرِّق قريشاً، فقلت: يا رب إذنْ يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة. فقال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نُغزِك، وأنفق عليهم فسننفق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسة أمثاله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك. وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق متصدِّق، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم، ورجل عفيف فقير ذو عيال متصدِّق؛ وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبعٌ ـ أو تُبعاء شك يحيى ـ لا يبتغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى عليه طمع وإن دقَّ إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك ـ وذكر البخل والكذب والشِّنظير الفاحش. وأخرجه أيضاً مسلم والنسائي، كما في «التفسير» لابن كثير (2/ 35).

أخرج أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: صلَّى رسول الله ﷺ العصر، ثم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، وكان فيما قال: «أما بعد: فإنَّ الدنيا خَضِرة حُلْوة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتَّقوا الدنيا واتَّقوا النساء؛ فإنَّ أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، ألا إن بني آدم خُلقوا على طبقات شتَّى: فمنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً، ومنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً. ألاَ وإنَّ الغضب جمرة توقَّد في جوف ابن آدم، ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه، فإذا وجد أحدكم شيئاً من ذلك فالأرضَ الأرضَ، ألا إنَّ خير الرجال من كان بطيء الغضب سريع الرضا، وشر الرجال من كان سريع

الغضب بطيء الرضا، فإذا كان الرجل بطيء الغضب بطي الفيء، وسريع الغضب سريع الفيء فإنها بها، ألاَ إنَّ خير التجار من كان حسن القضاء حسن الطَّلب، وشر التجار من كان سيىء القضاة سيّىء الطَّلب، فإذا كان الرجل حسن القضاء سيىء الطَّلب، أو كان سيىء القضاء حسن الطَّلب فإنها بها، ألاَ وإنَّ لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته، ألا وإنَّ أكبر الغدر غدر أمير عامة، ألاَ لا يمنعنَّ رجلاً مهابةُ الناس أن يتكلَّم بالحق إذا علمه، ألاَ إنَّ أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، ألاَ إنَّ مثل ما بقي من الدنيا فيما مضى منها مثل ما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه». كذا في «الجامع» وشرحه للمناوي، وقال المناوي (2/ 181): وفيه علي بن زيد بن جدعان أورده الذهبي في الضعفاء. وقال أحمد ويحيى: ليس بشيء - انتهى.

وأخرج ابن مردويه والبيهقي في «شعب الإيمان» وابن عساكر عن السائب بن مهجان من أهل الشام - وكان قد أدرك الصحابة - قال: لما دخل عمر رضي الله عنه الشام، حمد الله وأثنى عليه. ووعظ وذكَّر، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قام فينا خطيباً كقيامي فيكم، فأمر بتقوى الله، وصلة الرحم، وصلاح ذات البين، وقال: «عليكم بالجماعة - وفي لفظ: بالسمع والطاعة - فإنَّ يد الله على الجماعة، وإنَّ الشيطان ثالثهما، ومن ساءته سيئته وسرته حسنته فهي أمارة المسلم المؤمن، وأمارة المنافق الذي لا تسوؤه سيئته ولا تسره حسنته، إن عمل خيراً لم يرج من الله في ذلك الخير ثواباً، وإن عمل شراً لم يخف من الله في ذلك الشر عقوبة، فأجملوا في طلب الدنيا، فإنَّ الله قد تكفَّل بأرزاقكم، وكل سيتم له عمله الذي كان عاملاً، استعينوا بالله على أعمالكم؛ فإن يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» صلّى الله

على نبينا محمد وعلى آله وعليه السلام ورحمة الله، السلام عليكم. قال البيهقي وابن عساكر: هذه خطبة عمر بن الخطاب على أهل الشام أثرها عن رسول الله ﷺ. كذا في «الكنز» (8/ 207).

* * *

آخر خطباته ﷺ

أخرج الطبراني عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «صُبُّوا عليَّ من سبع قرب من آبار شتى؛ حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم». قال: فخرج عاصباً رأسه ﷺ حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إنَّ عبداً من عباد الله خُيِّر بين الدنيا وبين ما عند الله؛ فاختار ما عند الله». فلم يُلَقَّنْها إلا أبو بكر رضي الله عنه، فبكى فقال: نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأبنائنا. فقال رسول الله ﷺ: على رسلك، أفضل الناس عندي في الصحبة وذات اليد ابن أبي قحافة، انظروا هذه الأبواب الشوارع في المسجد فسدُّوها، إلا ما كان من باب أبي بكر، فإني رأيت عليه نوراً». قال الهيثمي (9/ 42) رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» (19/ 791) باختصار إلا أنه زاد: وذكر قتلى أُحد فصلَّى عليهم فأكثر، وإسناده حسن. انتهى.

وأخرج البيهقي عن أيوب بن بشير رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال في مرضه: «أفيضوا عليَّ » فذكره بنحوه وزاد: فكان أول ما ذكر بعد حمد الله والثناء عليه، ذَكَرَ أصحاب أحد فاستغفر لهم، ودعا لهم، ثم قال: «يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون والأنصار على هيئتها لا تزيد، وإنَّهم عيبتي التي أويت إليها، فأكرموا كريمهم، وتجاوزوا عن مسيئهم»، ثم قال عليه السلام: «أيها الناس إن عبداً من عباد الله» فذكر

نحوه. وفي روايته: ففهمها أبو بكر من بين الناس فبكى. قال ابن كثير في «البداية» (5/ 229) هذا مرسل له شواهد كثيرة. انتهى.

وعند أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «إنَّ الله خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله» قال: فبكى أبو بكر، قال: فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبد، فكان رسول الله هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا به، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خُلَّة الإسلام ومودته، لا يبقى في المسجد باب إلا سُدَّ إلاَّ باب أبي بكر». وهكذا أخرجه البخاري ومسلم كما في «البداية» (5/ 229).

وأخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ خرج في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بعصابة دسماء، ملتحفاً بملحفة على منكبيه، فجلس على المنبر - فذكر الخطبة، وذكر فيها الوصاة بالأنصار إلى أن قال: فكان آخر مجلس جلس فيه رسول الله ﷺ حتى قبض - يعني آخر خطبة خطبها عليه السلام. كذا في «البداية» (5/ 230). وأخرجه ابن سعد (2/ 351) عن أبي سعيد رضي الله عنه بمعناه.

وأخرج الطبراني عن عبد الرحمٰن بن كعب بن مالك عن أبيه رضي الله عنه - وكان أحد الثلاثة الذي تيب عليهم - أن النبي ﷺ قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، واستغفر للشهداء الذين قتلوا يوم أحد فقال: «إنكم يا معشر المهاجرين -» فذكر الوصاة بالأنصار نحو ما تقدَّم في حديث أيوب عند البيهقي. قال الهيثمي (10/ 37): رجاله رجال الصحيح.

وأخرج الطبراني أيضاً (19/ 158) عن عبد الله بن كعب بن مالك

عن أبيه قال: آخر خطبة خَطَبناها رسول الله ﷺ ـ فذكر نحوه باختصار: قال الهيثمي (10/ 37): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ـ انتهى. وأخرجه الحاكم (4/ 78) عن عبد الله بن كعب عن أبيه ـ فذكر نحوه وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه؛ وقال الذهبي: صحيح.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن أنه سمع أبا هريرة وابن عباس رضي الله عنهم يقولان: سمعنا رسول الله ﷺ في آخر خطبته يقول: «إنَّ من حافظ على هؤلاء الصلوات الخمس المكتوبات في جماعة، كان أول من يجوز على الصراط كالبرق اللامع، وحشره الله في أول زمرة من التابعين، وكان له في كل يوم وليلة حافظ عليهن كأجر ألف شهيد قتلوا في سبيل الله». قال الهيثمي (2/ 39): وفيه بقيَّة بن الوليد وهو مدلِّس وقد عنعنه. انتهى.

* * *

خطبة النبي ﷺ من الفجر إلى المغرب

أخرج الحاكم (4/ 487) عن أبي زيد الأنصاري رضي الله عنه قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ الصبح، فخطبنا إلى الظهر، ثم نزل فصلى الظهر، ثم خطبنا إلى العصر، فنزل فصلَّى العصر، ثم صعد فخطبنا إلى المغرب، وحدثنا بما هو كائن، فأعلمُنا أحفظنا. قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه، وصححه الذهبي.

* * *

كيفية النبي ﷺ وقت الخطبة

أخرج ابن سعد (1/ 376) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن

رسول الله ﷺ كان إذا خطب الناس، احمرت عيناه، ورفع صوته، واشتد غضبه كأنه منذر جيش: صَبَّحَتْكُم أو مَسَّتْكُم، ثم يقول: «بُعثت أنا والساعةُ كهاتين» - وأشار بالسبّابة والوسطى - ثم يقول: «أحسن الهَدْي هَدْي محمد، وشر الأمور مُحدَثاتها، وكل بدعة ضلالة، من مات وترك مالاً فلأهله، ومن ترك ديناً أو ضَياعاً فإلي وعليَّ. وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص 144) عن جابر - نحوه. وفي روايته: وعلا صوته، وقال: ورواه مسلم في الصحيح.

* * *

خطبات خليفة رسول الله ﷺ
أبي بكر الصديق رضي الله عنه

أخرج ابن سعد والمَحَاملي وغيرهما عن عروة قال: لما ولي أبو بكر، خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس: قد وُلِّيت أمركم ولست بخيركم ولكن نزل القرآن، وسن النبي ﷺ السنن، فعلمنا أن أكيس الكَيْس التقى، وأن أحمق الحمق الفجور، وأن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وأن أضعفكم عندي القويّ حتى آخذ منه الحق. أيها الناس: إنما أنا متبع ولست بمبتدع؛ فإن أحسنت فأعينوني، وإن زِغت فقوِّموني، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم. كذا في «الكنز» (3/ 130).

وأخرجه الدِّينَوَري عن عبد الله بن عُكَيْم قال: لمَّا بويع أبو بكر، صعد المنبر، فنزل مرقاة من مقعد النبي ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: اعلموا أيها الناس أن أكيس الكيْس ـ فذكر نحوه وزاد في آخره: وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ولا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالفقر، ولا ظهرت الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، فأطيعوني ما أطعتُ الله، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. كذا في «الكنز» (3/ 135).

وأخرجه البيهقي (6/ 353) عن الحسن ـ فذكر بعض ما تقدَّم وزاد بعد قوله: أحمق الحمق الفجور، ألاَ وإنَّ الصدقَ عندي الأمانةُ والكذبَ

الخيانةُ، وزاد بعد قوله: ولست بخيركم ـ قال الحسن: هو ـ والله ـ خيرهم غير مدافَع ولكن المؤمن يهضم نفسه ـ وزاد: ثم قال: ولوددت أنه كفاني هذا الأمر أحدكم ـ قال الحسن: صدق الله ـ وإن أنتم أردتموني على ما كان الله يقيم نبيه من الوحي ما ذلك عندي؛ إنما أنا بشر فراعوني.

وأخرجه أبو ذر الهَرَوي وابن راهويه كما في «الكنز» (3/ 126) عن الحسن أن أبا بكر الصدِّيق خطب، فقال: أما ـ والله ما أنا بخيركم، ولقد كنت لمقامي هذا كارهاً، ولوددتُ أنَّ فيكم من يكفيني، أفتظنون أني أعمل فيكم بسنة رسول الله ﷺ؟ إذن لا أقوم بها، إنَّ رسول الله ﷺ كان يُعصم بالوحي، وكان معه ملك، وإنَّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني أن لا أؤثِّر في أشعاركم وأبشاركم، ألا فراعوني فإن استقمت فأعينوني، وإن زُغْت فقوِّموني. قال الحسن: خطبة والله ما خُطب بها بعده. وأخرجه أبو ذر الهَرَوي في «الجامع» عن قيس بن أبي حازم مختصراً، كذا في «الكنز» (3/ 136) وفي روايته: وإنما أنا بشر أصيب وأخطىء، فإذ أصبت فاحمدوا الله، وإذا أخطأت فقوموني.

وأخرجه أحمد أيضاً عن قيس بن أبي حازم قال: إني لجالس عند أبي بكر الصدِّيق خليفة رسول الله ﷺ بعد وفاته بشهر، قال فذكر قصة ـ فنودي في الناس: إنَّ الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر ـ شيئاً صنع له، كان يخطب عليه ـ وهي أول خطبة في الإسلام، قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس ولوددت أن هذا كفانيه غيري، ولئن أخذتموني بسنة نبيكم ما أُطيقها، إنْ كان لمعصوماً من الشيطان، وإن كان لينزل عليه الوحي من السماء. قال الهيثمي (5/ 184): وفيه عيسى بن المسيَّب البجلي وهو ضعيفٌ ـ اهـ.

وقد تقدم (2/ 23) من ذلك الخطبةُ من طريق عيسى بن عطية عند الطبراني قال: يا أيها الناس إنَّ الناس قد دخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً، فهم عُوَّاذ الله وجيران الله، فإن استطعتم أن لا يطلبَّنكم الله بشيء من ذمته فافعلوا، إنَّ لي شيطاناً يحضرني، فإذا رأيتموني قد غضبت فاجتنبوني لا أُمثّل بأشعاركم وأبشاركم، يا أيها الناس تفقّدوا ضرائب غلمانكم، إنه لا ينبغي للحم نبت من سُحْت أن يدخل الجنة.

وأخرجه الطبري في «التاريخ» (2/ 460) عن عاصم بن عدي قال: نادى منادي أبي بكر من بعد الغد من مُتَوَفَّى رسول الله ﷺ لِيَتِمَّ بعث أسامة: ألاَ لا يبقينَّ بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجُرف. وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيُّها الناس، إنما أنا مثلكم؛ وإني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله ﷺ يطيق؛ إنّ الله اصطفى محمداً على العالمين، وعصمه من الآفات؛ وإنما أنا متَّبع ولست بمبتدع، فإن استقمت فتابعوني، وإن زِغت فقوِّموني، وإنَّ رسول الله ﷺ قُبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلِمة ضربةِ سوط فما دونها، ألا وإن لي شيطاناً يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، وأنتم تغدون وتروحون في أجلٍ قد غُيِّب عنكم علمه، فإن استطعتم أن لا يمضي هذا الأجل إلاَّ وأنتم في عمل صالح فافعلوا؛ ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مُهَل آجالكم من قبل أن تُسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فإنَّ قوماً نَسُوا آجالهم، وجعلوا أعمالهم لغيرهم، فإياكم أن تكونوا أمثالهم. الجدَّ الجدَّ، والوحى الوحى، والنجاءَ النجاء، فإن وراءكم طالباً حثيثاً، أجلاً مَرُّه سريع، احذروا الموت، واعتبروا بالآباء والأبناء، والإخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات.

وأخرج ابن زنجويه في «كتاب الأموال» عن سعيد بن أبي مريم قال: بلغني أنَّه لمَّا استخلف أبو بكر رضي الله عنه، صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنه - والله - لولا أن تضيع أموركم ونحن بحضرتها، لأحببت أن يكون هذا الأمر في عنق أبغضكم إليَّ، ثم لا يكون خيراً له، ألا أشقَى الناس في الدنيا والآخرة الملوك، فاشرأبُّوا ورفعوا إليه رؤوسهم، فقال: على رِسْلكم إنكم عَجِلون؛ إنه لن يملك ملك قط إلا علم الله ملكه قبل أن يملِّكه فَينقُصَ نصفَ عمره، ويوكل به الرَّوْع والحزن، ويزهده فيما بيده، ويرغبه فيما بأيدي الناس، فتضنك معيشته، وإن أكل طعاماً طيباً ولبس جيداً، حتى إذا أضحى ظلُّه، وذهبت نفسه، وورد إلى ربه، فحاسبه فشدَّد حسابه، وقلَّ غفرانه له، ألاَ إنَّ المساكين هم المغفورون، ألاَ إنَّ المساكين هم المغفورون، ألاَ إنَّ المساكين هم المغفورون. كذا في «الكنز» (3/ 162).

* * *

خطبة له رضي الله عنه في التقوى والعمل للآخرة

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 35) عن عبد الله بن عُكَيْم قال: خطبنا أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقال: أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله، وأن تُثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلِطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله تعالى أثنى على زكريا وعلى أهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90] ثم اعلموا عباد الله أن الله تعالى قد ارتهن بحقه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه، ولا يطفأ

نوره، فصدِّقوا قوله، وانتصحوا كتابه، واستبصروا فيه ليوم الظلمة، فإنما خلقكم للعبادة، ووكَّل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون؛ ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيِّب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مُهَل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فيردكم إلى أسوإ أعمالكم، فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم، ونسُوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، الوَحَى الوَحَى، النجاء النجاء، إنَّ وراءكم طالباً حثيثاً، أمره سريع. وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة وهَنَّاد والحاكم والبيهقي بمثله، وروى بعضه ابن أبي الدنيا في «قِصَر الأمل»؛ كما في «الكنز» (8/ 206).

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 35) عن عمرو بن دينار قال: خطب أبو بكر رضي الله عنه فقال: أوصيكم بالله لفقركم وفاقتكم، أن تتّقوه وأن تثنوا عليه بما هو أهله، وأن تستغفروه إنه كان غفاراً ـ فذكر نحو حديث عبد الله بن عُكَيْم، وزاد: واعلموا أنكم ما أخلصتم لله عز وجل فربَّكم أطعتم، وحقكم حفظتم، فأعطوا ضرائبكم في أيام سلفكم، واجعلوها نوافل بين أيديكم، تستوفوا سلفكم حين فقركم وحاجتكم، ثم تفكَّروا عباد الله فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس وأين هم اليوم؟ أين الملوك الذين كانوا أثاروا الأرض وعمروها؟ قد نُسوا ونُسي ذكرهم، فهم اليوم كَلاَ شيء، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا، وهم في ظلمات القبور، ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: 98]، وأين من تعرفون من أصحابكم وإخوانكم؟ قد وردوا على ما قدَّموا، فحلُّوا الشقوة والسعادة، إنَّ الله تعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نَسَب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتِّباع أمره، وإنه لا خير بخير

بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

وعنده أيضاً عن نُعيم بن نمحة قال: كان في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون في أجل معلوم ـ فذكر نحو حديث عبد الله بن عُكَيْم وزاد: ولا خير في قول لا يراد به وجه الله تعالى، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله عز وجل، ولا خير فيمن يغلب جهلُه حلمَه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم. كذا في «حلية» أبي نعيم (1/ 36).

وأخرجه الطبراني أيضاً بطوله من طريق نُعيم بن نمحة مع الزيادة التي ذكرها أبو نعيم كما ذكر الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (4/ 342) وقال: هذا إسناد جيِّد ورجاله كلهم ثقات وشيخ جرير بن عثمان وهو نُعيم بن نمحة لا أعرفه بنفي ولا إثبات، غير أن أبا داود السجِستاني قد حكم بأن شيوخ جرير كلهم ثقات، وقد روى لهذه الخطبة شواهد من وجوه أُخر ـ انتهى.

وقد أخرج هذه الخطبة الطبري في «تاريخه» (2/ 460) عن عاصم بن عدي بإسناد فيه سَيف، فذكر أولاً خطبة أخرى كما ذكرناها ثم قال: وقام أيضاً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أُريد به وجهه؛ فأريدوا الله بأعمالكم، واعلموا أنَّ ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعةٌ أتيتموها، وخطأ ظفرتم به، وضرائبُ أدَّيتموها، وسلفٌ قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية، لحين فقركم وحاجتكم، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم، وتفكَّروا فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس، وأين هم اليوم؟ أين الجبّارون؟ وأين الذين كان لهم ذِكْر القتال والغلبة في مواطن الحروب؟ قد تضعضع بهم الدهر، وصاروا

رميماً، قد تُركت عليهم القالات: الخبيثات للخبيثين، والخبيثون للخبيثات. وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعَمَروها؟ قد بعدوا ونُسي ذكرهم، وصاروا كَلاً شيء، ألاَ إن الله قد أبقى عليهم التبعات، وقطع عنهم الشهوات ومضَوا والأعمال أعمالهم، والدنيا دنيا غيرهم، وبقينا خَلَفاً بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا، وإن اغتررنا كنا مثلهم، أين الوُضَّاء الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟ صاروا تراباً، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم، أين الذين بنَوا المدائن وحصَّنوها بالحوائط، وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خَلَفهم، فتلك مساكنهم خاوية، وهم في ظلمات القبور، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم رِكْزاً؟ أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم؟ قد انتهت بهم آجالهم، فوردوا على ما قدَّموا فحلُّوا عليه، وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت، ألا إن الله ـ لا شريك له ـ ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه به سوءاً إلا بطاعته واتِّباع أمره، واعلموا أنكم عبيد مدينون، وأن ما عنده لا يُدرك إلاَّ بطاعته، أمَا إنه لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة.

أخرج ابن أبي الدنيا في «كتاب الحذر» وابن عساكر عن موسى بن عقبة أن أبا بكر الصديق كان يخطب فيقول: الحمد لله رب العالمين، أحمده ونستعينه، ونسأله الكرامة فيما بعد الموت، فإنه قد دنا أجلي وأجلكم، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً؛ لينذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، ومن يطعِ الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصِهما فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً، أوصيكم بتقوى الله، والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم وهداكم به، فإن جوامع هدى الإسلام بعد كلمة

الإخلاص، والسمعُ والطاعةُ لمن ولاَّه الله أمركم، فإنه من يطع والي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد أفلح، وأدَّى الذي عليه من الحق، وإياكم واتِّباع الهوى، قد أفلح من حُفظ من الهوى والطمع والغضب، وإياكم والفخر، وما فخر من خُلِق من تراب، ثم إلى التراب يعود؟ ثم يأكله الدود، ثم هو اليوم حيٌّ وغداً ميت؟ فاعملوا يوماً بيوم، وساعة بساعة، وتوقَّوا دعاء المظلوم، وعُدُّوا أنفسكم في الموتى، واصبروا فإن العمل كله بالصبر، واحذروا والحذر ينفع، واعملوا والعمل يُقبل، واحذروا ما حذَّركم الله من عذابه، وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته، وافهموا تُفَهّموا، واتقوا تُوَقَّوا، فإن الله تعالى قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم، وما نَجّا به من نجا قبلكم، قد بيَّن لكم في كتابه حلاله وحرامه، وما يحب من الأعمال وما يكره، فإني لا آلوكم ونفسي، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله، واعلموا أنكم ما أخلصتم لله من أعمالكم فربَّكم أطعتم، وحظَّكم حفظتم، واغتبطتم، وما تطَّوعتم به فاجعلوه نوافل بين أيديكم، تستوفوا بسلفكم، وتُعطَوا جزاءكم حين فقركم وحاجتكم إليها، ثم تفكَّروا عباد الله في إخوانكم وصحابتكم الذين مضَوا، قد وردوا على ما قدَّموا فأقاموا عليه، وحلّوا في الشقاء والسعادة فيما بعد الموت، إن الله ليس له شريك، وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً، ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتِّباع أمره، فإنه لا خير في خير بعده النار، ولا شر في شر بعده الجنة، أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، وصلُّوا على نبيكم ﷺ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته. كذا في «الكنز» (8/ 206).

أخرج أبو الشيخ عن يزيد بن هارون قال: خطب أبو بكر الصديق فقال في خطبته: يُؤتى بعبدٍ قد أنعم الله عليه، وبسط له في الرزق، قد

أصحَّ بدنه، وقد كَفَر نعمة ربِّه، فيوقف بين يدي الله تعالى فيُقال له: ماذا عملت ليومك هذا، وما قدَّمت لنفسك؟ فلا يجده قدَّم خيراً، فيبكي حتى تنفد الدموع، ثم يُعيَّر فيُخزَى بما ضيّع من طاعة الله فيبكي الدم، ثم يُعيَّر ويُخزى حتى يأكل يديه إلى مرفقيه، ثم يُعيَّر فيُخزى بما ضيَّع من طاعة الله، فينتحب حتى تسقط حدقتاه على وجنتيه، وكل واحد منهما فرسخ في فرسخ، ثم يُعيَّر ويُخزى حتى يقول: يا ربِّ ابعثني إلى النار وارحمني من مقامي هذا، وذلك قوله: ﴿أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 63]. كذا في «الكنز» (1/ 246).

أخرج ابن أبي الدنيا والدِينَوَري عن محمد بن إبراهيم بن الحارث أن أبا بكر الصدِّيق خطب الناس فقال: والذي نفسي بيده، لئن اتقيتم وأحسنتم؛ ليوشكنَّ أن لا يأتي عليكم إلا يسير حتى تشبعوا من الخبز والسَّمْن. كذا في «الكنز» (8/ 206).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 34) عن عروة بن الزبير عن أبيه أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه خطب الناس فقال: يا معشر المسلمين، استحيوا من الله عز وجل، فوالذي نفسي بيده، إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء متقنِّعاً بثوبي استحياءً من ربي عز وجل. وأخرجه ابن المبارك ورُستَه وابن أبي شيبة والخرائطي في «مكارم الأخلاق» عن ابن الزبير نحوه، كما في «الكنز» (8/ 306).

وأخرجه ابن حبان في «روضة العقلاء» عن ابن شهاب أن أبا بكر الصديق قال يوماً وهو يخطب: استحيوا من الله، فوالله ما خرجت لحاجة منذ بايعت رسول الله ﷺ إلا مقنِّعاً رأسي حياءً من ربي. كذا في «الكنز» (5/ 124) وقال: وهو منقطع.

وأخرج الترمذي - وحسَّنه - والنَّسائي عن أبي بكر أنه قام على المنبر ثم بكى، فقال: قام فينا رسول الله ﷺ عام أول على المنبر ثم بكى، فقال: «سلُوا الله العفو والعافية، فإنَّ أحداً لم يعطَ بعد اليقين خيراً من العافية» كذا في «الترغيب» (5/ 233).

وعند أحمد والنَّسائي وابن حِبَّان والحاكم عن أوس قال: خطبنا أبو بكر الصديق، فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام الأول، فقال: «سلوا الله المعافاة - أو قال: العافية - فإنه لم يُعطَ أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية - أو: المعافاة - وعليكم بالصدق؛ فإنه مع البر وهما في الجنة، وإياكم والكذب: فإنه مع الفجور وهما في النار، ولا تحاسَدُوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله». كذا في «الكنز» (1/ 291).

وأخرج الحكيم والعسكري والبيهقي عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: خطب أبو بكر الصدِّيق فقال: قال رسول الله ﷺ: «تعوَّذوا بالله من خشوع النفاق». قالوا: يا رسول الله وما خشوع النفاق؟ قال: «خشوع البدن، ونفاق القلب». كذا في «الكنز» (4/ 229).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» وابن جرير عن أبي العالية قال: خطبنا أبو بكر الصدِّيق، فقال: قال رسول الله ﷺ: «للظاعن ركعتان وللمقيم أربع، مولدي بمكة، ومهاجَري بالمدينة، فإذا خرجت مُصعِداً من ذي الحُلَيفة صلَّيت ركعتين حتى أرجع». كذا في «الكنز» (4/ 239).

وأخرج أحمد في «الزهد» (140) عن أبي ضَمْرة قال: خطب أبو بكر الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنه سيفتح لكم الشام، فتأتون أرضاً رفيقة، فتشبعون فيها من الخبز والزيت، وستبنى لكم فيها

مساجد، وإياكم أن يعلم الله منكم أنكم إنما تأتونها تلهِّياً، إنما بنيت للذكر. كذا في «الكنز» (4/ 259).

وأخرج ابن أبي شيبة (8/ 145) عن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو بكر رضي الله عنه يخطبنا، فيذكر بدء خلق الإنسان فيقول: خُلق من مجرى البول مرتين، فيذكر حتى يتقذَّر أحدنا نفسه. كذا في «الكنز» (8/ 205).

وقد تقدَّمت خطبة أبي بكر في التحريض على قتال المرتدين، وخطبته في التحريض على الجهاد، وخطبته في الاستنفار إلى غزو الروم، وخطبته عند مسيرهم إلى الشام في باب الجهاد، وخطبته في التحذير عن التفرّق، وخطبته في الاعتذار عن قبول الخلافة، وخطبته في رد البَيْعة، وخطبته في صفات الخليفة في باب اهتمام الصحابة باجتماع الكلمة واتحاد الأحكام، وخطبته في تفسير آية ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: 105] في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* * *

خطبات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي للّه تعالى عنه

أخرج ابن سعد (3/ 275) عن حُميد بن هلال قال: أخبرنا من شهد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه: فلما فرغ عمر رضي الله عنه من دفنه، نفض يده عن تراب قبره، ثم قام خطيباً مكانه، فقال: إن الله ابتلاكم بي وابتلاني بكم، وأبقاني فيكم بعد صاحبيَّ، فوالله لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني، ولا يتغيب عني فآلوا فيه عن الجَزْء والأمانة؛ لئن أحسنوا لأحسننَّ إليهم، ولئن أساؤوا لأنكلنَّ بهم. قال الرجل: فوالله ما زاد على ذلك حتى فارق الدنيا.

وأخرج الدِّيَنَوري عن الشّعْبي قال: لما ولي عمر بن الخطاب صعد المنبر فقال: ما كان الله ليراني أن أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر، فنزل مرقاة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: اقرؤوا القرآن تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وزِنُوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتزيَّنوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية، إنه لم يبلغ حق ذي حق أن يضاع في معصية الله. ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولي اليتيم إن استغنيت عففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف. كذا في «الكنز» (8/ 210). وأخرجه الفضائلي عن الشَّعْبي ـ نحوه كما في «الرياض النضرة» (2/ 89).

وعند ابن المبارك وسعيد بن منصور وأحمد في «الزهد» (149)

وابن أبي شيبة (8/ 149) وغيرهم عن عمر أنه قال في خطبته: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا؛ فإنه أهون لحسابكم، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا للعرض الأكبر يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية. كذا في «الكنز» (8/ 208).

أخرج أحمد وابن سعد ومسدَّد وابن خزيمة والحاكم والبيهقي وغيرهم عن أبي فراس قال: خطب عمر بن الخطاب فقال: يا أيها الناس ألاَ إنَّما كنَّا نعرفكم إذ بين ظهرانينا النبي ﷺ، وإذ ينزل الوحي، وإذ ينبئنا الله من أخباركم، ألاَ وإن النبي ﷺ قد انطلق، وانقطع الوحي، وإنَّما نعرفكم بما نقول لكم: من أظهر منكم خيراً ظننا به خيراً وأحببناه عليه، ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه، سرائركم بينكم وبين ربكم، ألاَ إنه قد أتى عليَّ حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن يريد الله وما عنده: فقد خُيِّل لي بأَخَرةٍ أن رجالاً قد قرؤوه يريدون به ما عند الناس، فأريدوا الله بقراءته، وأريدوه بأعمالكم، ألاَ وإني - والله ما أرسل عُمّالي إليكم ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليعلِّموكم دينكم، وسنتكم، فمن فُعل به سوى ذلك فليرفعه إليَّ. فوالذي نفسي بيده، إذاً لأقصنَّه منه، ألاَ لا تضربوا المسلمين فتذلُّوهم، ولا تجمِّروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفِّروهم ولا تنزلوهم الغياض فتضيِّعوهم. كذا في «الكنز» (8/ 209). قال الهيثمي (5/ 211): أبو فراس لم أرَ من جَرحه ولا وثَّقه وبقية رجاله ثقات انتهى. وقال الحاكم (4/ 439): هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه ووافقه الذهبي.

أخرج عبد الرزاق والطيالسي وأحمد والدارمي والترمذي - وصحَّحه - وأبو داود والنسائي وابن ماجة وغيرهم عن أبي العجفاء قال: خطب

عمر فقال: ألا لا تُغْلوا صَداق النساء؛ فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله، كان أولاكم بها النبي ﷺ، ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه، ولا أُصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية، إنَّ أحدكم ليغلي صَدُقة المرأة حتى يكون لها عداوة في نفسه، وهي تقول: قد كلَّفت لك علق القربة. وأخرى تقولونها لمن قتل في مغازيكم: قتل فلان شهيداً، أو مات فلان شهيداً، ولعله يكون قد أوقر عجز دابته، أو دفَّ راحلته ذهباً أو وَرِقاً يلتمس التجارة، لا تقولوا ذلك، ولكن قولوا كما قال النبي ﷺ: «من قتل أو مات في سبيل الله فهو في الجنة».

وعند أبي سعيد بن منصور وأبي يَعْلى عن مسروق قال: ركب عمر بن الخطاب المنبر ثم قرأ: أيها الناس ما إكثاركم في صَدَاق النساء، وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه، وإنما الصداق فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك، فلو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو مكرمة لم تسبقوهم إليها. كذا في «الكنز» (8/ 298). وقد ذكرنا بعض طرق هذه الخطبة في النكاح.

أخرج أبو داود في «كتاب القدرية» وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم عن عمر رضي الله عنه أنه خطب بالجابية، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له. فقال له قس بين يديه كلمةً بالفارسية، فقال عمر لمترجم يترجم له: ما يقول؟ قال: يزعم أن الله لا يضل أحداً. فقال عمر: كذبت يا عدو الله، بل الله خلقك، وهو أضلَّك، وهو يدخلك النار إن شاء الله، ولولا وَلْث عقداً، لضربت عنقك. ثم قال: إنَّ الله لما خلق آدم نثر ذريته، فكتب أهل الجنة وما هم عاملون، وأهل النار وما هم عاملون، ثم قال: هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه. فتفرّق الناس ويختلفون في القدر.

وعند اللالكائي وابن عساكر وغيرهما عن عبد الرحمٰن بن أبزَى قال: أُتي عمر فقيل له: إن ناساً يتكلَّمون في القدر. فقام خطيباً فقال: يا أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم من الأمم في أمر القدر، والذي نفس عمر بيده لا أسمع برجلين يتكلَّمان فيه إلا ضربت أعناقهما. فأحجم الناس فما تكلَّم أحد حتى ظهر نابغة بالشام زمن الحجاج. كذا في «الكنز» (1/ 86).

أخرج العدني عن الباهلي أن عمر قام في الناس خطيباً مدخله في الشام بالجابية فقال: تعلَّموا القرآن تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله؛ فإنه لم تبلغ منزلةُ ذي حق أن يُطاع في معصية الله، واعلموا أنه لا يقرِّب من أجل، ولا يبعد من رزق الله، قولٌ بحق وتذكير عظيم. واعلموا أن بين العبد وبين رزقه حجاباً، فإن صبر أتاه رزقه، وإن اقتحم هُتك الحجاب ولم يدرك فوق رزقه. وأدِّبوا الخيل، وانتضلوا، وانتعلوا، وتسوَّكوا، وتمعددوا وإياكم وأخلاق العجم، ومجاورة الجبّارين، وأن يرفع بين ظهرانيكم صليب، وأن تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر، وتدخلوا الحمام بغير إزار، وتدعوا نساءكم يدخلن الحمامات؛ فإن ذلك لا يحل، وإياكم أن تكسبوا من عقد الأعاجم بعد نزولكم في بلادهم ما يحبسكم في أرضهم؛ فإنكم توشكون أن ترجعوا إلى بلادكم، وإياكم والصَّغار أن تجعلوه في رقابكم، وعليكم بأموال العرب الماشية تنزلون بها حيث نزلتم. واعلموا أن الأشربة تصنع من ثلاثة: من الزبيب والعسل والتمر، فما عُتِّق منها فهو خمر لا يحل، واعملوا أن الله لا يزكِّي ثلاثة نفر، ولا ينظر إليهم، ولا يقرِّبهم يوم القيامة، ولهم عذاب أليم: رجل أعطى إمامه صفقة يريد بها الدنيا؛ فإن أصابها وفى له، وإن لم يصبها لم يفِ له، ورجل خرج بسلعته بعد العصر يحلف بالله لقد أُعطي بها كذا

وكذا، فاشتريت لقوله. وسباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، ولا يحل لك أن تهجر أخاك فوق ثلاثة أيام، ومن أتى ساحراً أو كاهناً أو عرافاً فصدَّقه بما يقول؛ فقد كفر بما أُنزل على محمد ﷺ. كذا في «الكنز» (8/ 207).

وذكر في «الكنز» (8/ 210) عن موسى بن عقبة قال: هذه خطبة عمر بن الخطاب يوم الجابية: أما بعد: فإني أوصيكم بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه، الذي بطاعته يكرم أولياؤه، وبمعصيته يُضل أعداؤه، فليس لهالك هلك معذرة في فعل ضلالة حسبها هدى، ولا في ترك حق حسبه ضلالة، وإن أحق ما تعاهد الراعي من رعيته أن يتعاهدهم بما لله عليه من وظائف دينهم الذي هداهم الله له، وإنما علينا أن نأمركم بما أمركم الله به من طاعته، وننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته، وأن نقيم فيكم أمر الله عز وجل في قريب الناس وبعيدهم ولا نبالي على مَنْ مال الحق، وقد علمتُ أن أقواماً يتمنون في دينهم، فيقولون: نحن نصلِّي مع المصلِّين، ونجاهد مع المجاهدين، وننتحل الهجرة، وكل ذلك يفعله أقوام لا يحملونه بحقه، وإن الإيمان ليس بالتحلِّي، وإنَّ للصلاة وقتاً اشترطه الله؛ فلا تصلح إلا به، فوقت صلاة الفجر حين يزايل المرءَ ليلُه، ويحرم على الصائم طعامه وشرابه، فآتوها حظها من القرآن. ووقت صلاة الظهر إذا كان القيظ، فحين تزيغ عن الفلك حتى يكون ظلك مثلك، وذلك حين يهجِّر المهجِّر، فإذا كان الشتاء فحين تزيغ عن الفلك، حتى تكون على حاجبك الأيمن، مع شروط الله في الوضوء والركوع والسجود، وذلك لئلا ينام عن الصلاة، ووقت صلاة العصر والشمس بيضاء نقية، قبل أن تصفارَّ، قدر ما يسير الراكب على الجمل الثَّقال فرسخين قبل غروب الشمس، وصلاة المغرب حين تغرب الشمس

ويفطر الصائم، وصلاة العشاء حين يعسعس الليل، وتذهب حمرة الأفق إلى ثلث الليل، فمن رقد قبل ذلك فلا أرقد الله عينيه. هذه مواقيت الصلاة ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: 105]. ويقول الرجل: قد هاجرت ولم يهاجر، وإن المهاجرين الذين هجروا السيئات، ويقول أقوام: جاهدنا، وإن الجهاد في سبيل الله مجاهدة العدو، واجتناب الحرام، وقد يقاتل أقوام يحسنون القتال، لا يريدون بذلك الأجر ولا الذكر، وإنما القتل حتف من الحتوف، وكل امرئ على ما قائل عليه، وإن الرجل ليقاتل بطبيعته من الشجاعة فينجِّي من يعرف، ومن لا يعرف، وإن الرجل ليجبن بطبيعته فيسلِّم أباه وأمه، وإن الكلب ليهِرُّ من وراء أهله، واعلموا أن الصوم حرام يُجتنب فيه أذى المسلمين، كما يمنع الرجل من لذته من الطعام والشراب والنساء، فذلك الصيام التام، وإيتاء الزكاة التي فرض رسول الله ﷺ طيبة بها أنفسهم فلا يرون عليها براً؛ فافهموا ما توعظون به فإن الحَرِيبَ من حُرِب دينه، وإن السعيد من وعظ بغيره، وإن الشقي من شقي في بطن أمه، وإن شر الأمور مبتدعاتها، وإن الاقتصاد في سنة خير من الاجتهاد في بدعة، وإن للناس نفرة عن سلطانهم؛ فعائذ بالله أن يدركني وإياكم ضغائن مجبولة، وأهواء متبعة، ودنيا مؤثرة، وقد خشيت أن تركنوا إلى الذين ظلموا، فلا تطمئنوا إلى من أوتي مالاً. عليكم بهذا القرآن؛ فإن فيه نوراً وشفاء، وغيره الشقاء، وقد قضيت الذي عليَّ فيما ولأني الله عز وجل من أموركم، ووعظتكم نصحاً لكم، وقد أمرنا لكم بأرزاقكم، وقد جنَّدنا جنودكم، وهيَّأنا لكم مغازيكم، وأثبتنا لكم منازلكم، ووسَّعنا لكم ما بلغ فيؤكم، وما قاتلتم عليه بأسيافكم، فلا حجّة لكم على الله؛ بل لله الحجة عليكم؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وقال ابن كثير في «البداية» (7/ 56): ذكر سيف في سياقه أن عمر رضي الله عنه ركب من المدينة على فرس؛ ليسرع السير بعدما استخلف عليها عليَّ بن أبي طالب فسار حتى قدم الجابية فنزل بها، وخطب بالجابية خطبة طويلة بليغة منها: أيها الناس أصلحوا سرائركم؛ تصلح علانيتكم، واعملوا لآخرتكم تُكفَوا أمر دنياكم، واعلموا أن رجلاً ليس بينه وبين آدم أب حي (لَمُعْرَقٌ له في الموت)، ولا بينه وبين الله هوادة فمن أراد لَحْبَ - طريق - وجه الجنة؛ فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد، ولا يخلونَّ أحدكم بامرأة؛ فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته، وساءته سيئته فهو مؤمن. وهي خطبة طويلة اختصرناها - انتهى.

وعند أحمد (1/ 18) عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب بالجابية فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي فيكم، فقال: «استوصوا بأصحابي خيراً، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى إنَّ الرجل ليبتدىء بالشهادة قبل أن يُسألها، فمن أراد منكم بحبوحة الجنّة، فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو مع الاثنين أبعد، لا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن».

وعنده أيضاً (1/ 51) عن سويد بن غفَلة أن عمر رضي الله عنه خطب الناس بالجابية، فقال: نهى رسول الله ﷺ عن لبس الحرير إلا موضع. أصبعين أو ثلاثة أو أربعة وأشار بكفه.

وذكر في «البداية» (7/ 79) أيضاً: قال سيف بعد ذكره قدوم عمر بعد طاعون عَمْوَاس في آخر سنة سبع عشرة، قال: فلما أراد القفول إلى المدينة في ذي الحجة منها، خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم

قال: ألا إني قد وُلِّيتُ عليكم، وقضيتُ الذي عليَّ في الذي ولاّني الله من أمركم، إن شاء الله قسطنا بينكم فيئكم ومنازلكم ومغازيكم، وأبلغنا ما لديكم، فجندنا لكم الجنود، وهيَّأنا لكم الفروج وبوَّأنا لكم ووسَّعنا عليكم ما بلغ فيؤكم، وما قاتلتم عليه من شامكم، وسمَّينا لكم أطعماتكم، وأمرنا لكم بأعطياتكم، وأرزاقكم ومغانمكم، فمن علم شيئاً ينبغي العمل به فليعلمنا؛ نعمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله. انتهى.

أخرج ابن جرير الطبري في «تاريخه» (3/ 281) عن عروة بن الزبير وغيره أن عمر خطب، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ذكَّر الناس بالله عز وجل واليوم الآخر، ثم قال: يا أيها الناس إني قد ولِّيت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيرَكم لكم، وأقواكم عليكم، وأشدكم اضطلاعاً بما ينوب من مهمّ أموركم، ما تولَّيت ذلك منكم، ولكفى عمر مُهِماً محزناً انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذُها، ووضعها أين أضعها، وبالسير فيكم كيف أسير، فربي المستعان، فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده.

وعنده أيضاً (3/ 282) بهذا الإسناد أن عمر خطب فقال: إن الله عز وجل قد ولاّني أمركم، وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم، وإني أسأل الله أن يعينني عليه، وأن يحرسني عنده، كما حرسني عند غيره، وأن يلهمني العدل في قسمكم كالذي أمر به، وإني مسلم وعبد ضعيف، إلا ما أعان الله عز وجل، ولن يغيِّر الذي وليتُ من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله، إنما العظمة لله عز وجل، وليس للعباد منها شيء، فلا يقولنَّ أحد منكم: إنَّ عمر تغيَّر منذ وُلِّي، أعقِلُ الحقَّ من نفسي وأتقدَّم، وأبيِّن لكم أمري؛ فأيُّما رجل كانت له حاجة أو ظُلِمَ مظلِمة، أو عتب علينا في خُلُق فليؤذنِّي، فإنما أنا رجل منكم، فعليكم بتقوى الله في

سركم وعلانيتكم، وحُرُماتكم وأعراضكم، وأعطُوا الحق من أنفسكم، ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن تحاكموا إليَّ، فإنه ليس بيني وبين أحد من الناس هوادة، وأنا حبيب إليَّ صلاحكم، عزيز عليَّ عتبكم، وأنتم أناس عامتكم حضرٌ في بلاد الله، وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع إلا ما جاء الله به إليه، وإن الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة، وأنا مسؤول عن أمانتي وما أنا فيه، ومطَّلع على ما بحضرتي بنفسي إن شاء الله، لا أكله إلى أحد ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصح منكم للعامة، ولست أجعل أمانتي إلى أحد سواهم إن شاء الله.

وذكر ابن جرير أيضاً في تاريخه (3/ 282) أن عمر رضي الله عنه خطب أيضاً، فقال بعدما حمد الله وأثنى عليه وصلَّى على النبي ﷺ: أيها الناس، إنَّ بعض الطمع فقر، وإن بعض اليأس غنى، وإنكم تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون، وأنتم مؤجَّلون في دار غرور، كنتم على عهد رسول الله ﷺ تُؤخذون بالوحي، فمن أسر شيئاً أُخذ بسريرته، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلانيته، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم، والله أعلم بالسرائر، فإنَّه من أظهر لنا شيئاً وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننَّا به حسناً، واعلموا أن بعض الشحِّ شعبة من النفاق، فأنفقوا ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: 16] أيها الناس أطيبوا مثواكم، وأصلحوا أموركم، واتقوا الله ربكم، ولا تلبسوا نساءكم القُباطي فإنه إن لم يشفَّ فإنه يَصِف؛ أيها الناس إني لوددت أن أنجو كفافاً لا لي ولا عليَّ، وإني لأرجوا إن عُمِّرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله، وألاَّ يبقى أحد من المسلمين ـ وإن كان في بيته ـ إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله، ولا يعمل إليه نفسه ولم ينصب إليه يوماً، وأصلحوا

أموالكم التي رزقكم الله، ولقليل في رفق خير من كثير في عنف، والقتل حتف من الحتوف يصيب البر والفاجر، والشهيد من احتسب نفسه، وإذا أراد أحدكم بعيراً فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره.

وأخرج ابن جرير أيضاً في تاريخهِ (3/ 283) عن عروة وغيره قالوا: خطب عمر أيضاً فقال: إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر، واتخذ عليكم الحجج بما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا، عن غير مسألة منكم له، ولا رغبة منكم فيه إليه، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعبادته، وكان قادراً أن يجعلكم لأهون خلقه عليه، فجعل لكم عامة خلقه، ولم يجعلكم لشيء غيره، و﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ [لقمان: 20] وحملكم في البر والبحر، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون.

ثم جعل لكم سمعاً وبصراً، ومن نعم الله عليكم نعم عمَّ بها بني آدم، ومنها نعم اختصَّ بها أهل دينكم، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرىء خاصّة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها، وفدحهم حقها، إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فأنتم مستخلفون في الأرض، قاهرون لأهلها، قد نصر الله دينكم، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان: أمة مستعبدة للإسلام وأهله، يجزون لكم، يُستصفون معائشهم وكدائحهم ورشح جباههم، عليهم المؤونة ولكم المنفعة. وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة، قد ملأ الله قلوبهم رعباً، فليس لهم معقل يلجؤون إليه، ولا مهرب يتّقون به، قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم، مع رفاهة العيش،

واستفاضة المال، وتتابع البعث، وسدّ الثغور بإذن الله، مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام، والله المحمود، مع الفتوح العظام في كل بلد، فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين، وذكر الذاكرين، واجتهاد المجتهدين، مع هذه النعم التي لا يُحصى عددها ولا يقدَر قدرها، ولا يستطاع أداء حقِّها إلا بعون الله ورحمته ولطفه، فنسأل الله الذي لا إله إلا هو، الذي أبلانا هذا، أن يرزقنا العمل بطاعته، والمسارعة إلى مرضاته.

واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم، واستتموا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم مثنى وفرادى، فإن الله عز وجل قال لموسى: ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: 5] وقال لمحمد ﷺ: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: 26] فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق، تؤمنون بها، وتستريحون إليها، مع المعرفة بالله ودينه، وترجون بها الخير فيما بعد الموت، لكان ذلك، ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة، وأثبته بالله جهالة، فلو كان هذا الذي استشلاكم به لم يكن معه حظ في دنياكم، غير أنه ثقة لكم في آخرتكم التي إليها المعاد والمنقلب، وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرياءُ أن تشحُّوا على نصيبكم منه، وأن تظهروه على غيره، فبلْهَ ما إنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة، ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم، فأذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حقَّ الله فعملتم له، وقسرتم أنفسكم على طاعته، وجمعتم مع السرور بالنعم خوفاً لها ولانتقالها، ووجلاً منها ومن تحويلها، فإنه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها، وإن الشكر أمنٌ للغِيَر، ونماء للنعمة، واستيجاب للزيادة. هذا لله عليَّ من أمركم ونهيكم واجب.

أخرج ابن جرير عن ابن كليب قال: خطب عمر يوم الجمعة، فقرأ آل عمران، فلما انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ [آل عمران: 155] قال: لما كان يوم أحد هزمناهم، ففررت حتى صعدت الجبل، فلقد رأيتني أنزو كأنني أروى، والناس يقولون: قتل محمد، فقلت: لا أحد يقول قتل محمد إلا قتلته، حتى اجتمعنا على الجبل، فنزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾.

وعند ابن المنذر عن كليب قال: خطبنا عمر وكان يقرأ على المنبر: آل عمران ويقول: إنها أحديّة، ثم قال: تفرقنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد، فصعدت الجبل، فسمعت يهودياً يقول: قتل محمد. فقلت: لا أسمع أحداً يقول: قتل محمد إلا ضربت عنقه. فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون إليه، فنزلت هذه الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: 144] الآية. كذا في «الكنز» (1/ 238).

أخرج أبو عبيد والخرائطي والصابوني وعبد الرزاق عن عبد الله بن عدي بن الخيار قال: سمعت عمر بن الخطاب على المنبر يقول: إنَّ العبد إذا تواضع لله رفع الله حَكَمته وقال: انتعش نعشك الله؛ وهو في نفسه حقير، وفي أعين الناس كبير، وإذا تكبَّر وَعَدا طوره، وهَصَه الله إلى الأرض، وقال: اخسأ أخسأك الله؛ فهو في نفسه كبير، وفي أعين الناس حقير، حتى لهو أهون عليهم من الخنزير. كذا في «الكنز» (2/ 143).

وأخرج الخطيب عن أبي سعيد الخدري قال: خطبنا عمر بن الخطاب فقال: إني لعلِّي أنهاكم عن أشياء تصلح، وآمركم بأشياء لا تصلح لكم، وإن من آخر القرآن نزولاً آية الربا، وإنه قد مات رسول الله ﷺ ولم يبينها لنا، فدَعُوا ما يَريبكم إلى ما لا يريبكم. كذا في «الكنز» (2/ 232).

وأخرج ابن الضياء عن الأسود بن يزيد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب الناس فقال: من أراد منكم الحجَّ فلا يُحرِمنَّ إلا من ميقات، والمواقيت التي وقَّتها لكم رسول الله ﷺ: لأهل المدينة ومن مرَّ بها من غير أهلها ذو الحُليفة، ولأهل الشام ومن مرَّ بها من غير أهلها الجحفة، ولأهل نجد ومن مرَّ بها من غير أهلها قَرْن، ولأهل اليمن يَلَمْلَم، ولأهل العراق وسائر الناس ذاتُ عِرْق. كذا في «الكنز» (3/ 30).

وأخرج أحمد وأبو يعلى وأبو عبيد عن ابن عباس: قال: خطب عمر رضي الله عنه، فذكر الرَّجْم فقال: لا تُخدعُنَّ عنه؛ فإنه حدٌّ من حدود الله، ألاَ إن رسول الله ﷺ قد رجم، ورجمنا بعده، ولولا أن يقول قائلون: زاد عمر في كتاب الله ما ليس منه؛ لكتبت في ناحية المصحف: شهد عمر بن الخطاب وعبد الرحمٰن بن عوف وفلان وفلان أن رسول الله ﷺ قد رجم ورجمنا بعده، ألا وإنه سيكون بعدكم قوم يكذِّبون بالرجم، وبالدجَّال، وبالشفاعة، وبعذاب القبر، وبقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا.

وعند مالك وابن سعد ومسدَّد والحاكم عن سعيد بن المسيَّب أن عمر رضي الله عنه لما أفاض من مِنى أناخ بالأبطح، فكوَّم كومة من بطحاء، فطرح عليها طرف ثوبه، ثم استلقى عليها، ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهمَّ كبرت سني، وضعفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيِّع ولا مفرِّط، فلما قدم المدينة خطب الناس فقال: أيها الناس قد فُرضت لكم الفرائض، وسُنَّت لكم السنن، وتُركتم على الواضحة، ثم صفق بيمينه على شماله، إلا أن تضلوا بالناس يميناً وشمالاً، ثم إياكم أن تهلكوا عن آية الرَّجم وأن يقول قائل: لا نجد

حدّين في كتاب الله، فقد رأيت رسول الله ﷺ رجم ورجمنا بعده، فوالله لولا أن يقول الناس: أحدث عمر في كتاب الله؛ لكتبتها في المصحف، فقد قرأناها: «الشيخ والشيخة إذا زَنَيا فارجموهما أَلْبَتَّة»، قال سعيد: فما انسلخ ذو الحجة حتى طُعن. كذا في «الكنز» (3/ 90).

وأخرج الطيالسي وابن سعد وابن أبي شيبة وأحمد وابن حبان ومسلم والنَّسائي وأبو عوانة وأبو يَعْلى عن معدان بن أبي طلحة اليعمُري أن عمر بن الخطاب قام على المنبر يوم الجمعة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر رسول الله ﷺ وذكر أبا بكر، ثم قال: رأيت رؤياً لا أراها إلا بحضور أجلي، رأيت كأن ديكاً نقرني نقرتين أحمر، فقصصتها على أسماء بنت عُميس فقالت: يقتلك رجل من العجم. وإن الناس يأمرونني أن أستخلف، وإن الله عز وجل لم يكن ليضيِّع دينه، وخلافته التي بعث بها نبيه ﷺ، وإن يعجِّل بي أمرٌ فإن الشورى في هؤلاء الستة الذين مات النبي ﷺ وهو عنهم راض: عثمان وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمٰن بن عوف وسعيد بن أبي وقاص، فمن بايعتم منهم فاسمعوا له وأطيعوا، وإني أعلم أن أناساً سيطعنون في هذا الأمر، أنا قاتلتهم بيدي هذه على الإسلام، (فإن فعلوا ذلك) فأولئك أعداء (الله) الكفار الضُّلاَّل، وإني لا أدع شيئاً، أهم عندي من أمر الكلالة، وايمُ الله ما أغلظ لي نبي الله ﷺ في شيء منذ صحبته أشد مما أغلظ لي في شأن الكلالة، حتى طعن بأصبعه في صدري، وقال: «يكفيك آية الصيف التي نزلت في سورة النساء» وإني إن أعش فسأقضي فيها بقضاء يعلمه من يقرأ ومن لا يقرأ، وإني أشهد الله على أمراء الأمصار أني إنما بعثتهم ليعلِّموا الناس دينهم، وسنة نبيِّهم، ويرفعوا إليَّ ما عمي عليهم، ثم إنكم أيها الناس تأكلون من شجرتين لا أراهما إلا خبيثتين: هذا الثوم والبصل، وايمُ الله لقد كنت

أرى نبي الله ﷺ يجد ريحها من الرجل، فيأمر به، فيؤخذ بيده، فيخرج من المسجد حتى يؤتى به البقيع؛ فمن أكلها لا بدَّ، فليمتها طبخاً، فخطب الناس يوم الجمعة، وأصيب يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة. كذا في «الكنز» (3/ 153).

وأخرج الطبراني في «الأوسط» وأحمد والشَّاشي والبيهقي وسعيد بن منصور عن يسار بن معرور قال: خطبنا عمر رضي الله عنه فقال: يا أيها الناس إنَّ رسول الله ﷺ بنى هذا المسجد ونحن معه المهاجرون والأنصار، فإذا اشتد الزحام فليسجد الرجل منكم على ظهر أخيه. ورأى قوماً يصلُّون في الطريق فقال: صلُّوا في المسجد، كذا في «الكنز» (4/ 259).

وأخرج ابن عساكر وسعيد بن منصور وتمام عن عمر رضي الله عنه قال: لما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، خطب الناس، فقال: إنَّ رسول الله ﷺ أذن لنا في المتعة ثلاثاً ثم حرَّمها، والله لا أعلم أحداً تمتع وهو مُحْصَن إلا رجمته بالحجارة؛ إلا أن يأتيني بأربعة يشهدون أن رسول الله ﷺ أحلَّها بعد إذ حرَّمها، ولا أجد رجلاً من المسلمين متمتِّعاً إلا جلدته مائة جلدة، إلا أن يأتيني بأربعة شهداء أن رسول الله ﷺ أحلَّها بعد إذ حرمها. كذا في «الكنز» (8/ 293).

وأخرج البيهقي (10/ 344) عن عبد الله بن سعيد عن جده أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر يقول: يا معشر المسلمين إنَّ الله قد أفاء عليكم من بلاد الأعاجم من نسائهم وأولادهم ما لم يفىء على رسول الله ﷺ ولا على أبي بكر، وقد عرفت أن رجالاً سيلمون بالنساء، وأيما رجل وَلَدت له امرأة من نساء العجم، فلا تبيعوا أمهات أولادكم؛ فإنكم إن فعلتم أوشك الرجل أن يطأ حريمه وهو لا يشعر. كذا في «الكنز» (8/ 292).

وأخرج ابن جرير عن معرور أو ابن معرور التميمي قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصعد المنبر، قعد دون مقعد رسول الله ﷺ بمقعدين، فقال: أوصيكم بتقوى الله، واسمعوا وأطيعوا لمن ولاَّه الله أمركم. كذا في «الكنز» (8/ 208).

وأخرج البيهقي (3/ 215) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في خطبته: أفلح منكم من حُفظ من الهوى والغضب والطمع، ووفِّق إلى الصدق في الحديث؛ فإنه يجره إلى الخير، من يكذب يفجُر، ومن يفجُر يهلك، وإياكم والفجور، ما فجور من خُلق من التراب وإلى التراب يعود؟ اليوم حيٌّ وغداً ميت، اعملوا عمل يوم بيوم، واجتنبوا دعوة المظلوم، وعدُّوا أنفسكم من الموتى. كذا في «الكنز» (8/ 208).

وأخرج البخاري في «الأدب» (2/ 372) وابن خُزَيمة وجعفر الفِرْيابي عن قبيصة قال: سمعت عمر رضي الله عنه وهو يقول على المنبر: من لا يَرحم لا يُرحم، ومن لا يَغفر له، ومن لا يتوب لا يتاب عليه، ومن لا يتَّق لا يُوقَّه. كذا في «الكنز» (8/ 207).

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 50) عن عروة قال: قال عمر رضي الله عنه في خطبته: تَعَلَّموا أنَّ الطمع فقر، وأنَّ اليأس غنى، وأنَّ الرجل إذا يئس من شيء استغنى عنه. وأخرجه ابن المبارك أيضاً. كذا في «الكنز» (8/ 235).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 54) عن عبد الله بن خِراش عن عمه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في خطبته: اللهمَّ اعصمنا بحبلك، وثبِّتنا على أمرك، وأخرجه أيضاً أحمد في الزهد والروياني واللالكائي وابن عساكر وزادوا: وارزقنا من فضلك، كما في «الكنز» (1/ 303).

وأخرج أحمد (1/ 17) عن أبي سعيد قال: خطب عمر الناس فقال: إن الله عز وجل رخَّص لنبيه ﷺ ما شاء، وإنَّ نبي الله ﷺ قد مضى لسبيله؛ ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ﴾ [البقرة: 196] كما أمركم الله عز وجل، وحصِّنوا فروج هذه النساء.

وأخرج أحمد (1/ 20) عن ابن الزبير قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في خطبته: إنه سمع من رسول الله ﷺ يقول: «من يلبس الحرير في الدنيا فلا يُكساه في الآخرة».

وأخرج أحمد (1/ 34) عن أبي عبيد مولى عبد الرحمٰن بن عوف أنه شهد العيد مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فصلَّى قبل أن يخطب بلا أذان ولا إقامة، ثم خطب فقال: يا أيها الناس إنَّ رسول الله ﷺ نهى عن صيام هذين اليومين: أما أحدهما فيوم فطركم من صيامكم وعيدكم، وأما الآخر فيوم تأكلون فيه من نسككم.

وأخرج أحمد (1/ 43) عن علقمة بن وقّاص الليثي أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يخطب الناس وهو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما العمل بالنية، وإنما لامرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله؛ فهجرته إلى الله وإلى رسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوَّجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه».

وأخرج ابن سعد (3/ 322) عن سليمان بن يَسَار قال: خطب عمر بن الخطاب الناس في زمان الرَّمادة، فقال: أيها الناس اتقوا الله في أنفسكم، وفيما غاب عن الناس من أمركم، فقد ابتُليت بكم وابتُليتم بي، فما أدري السَّخطةُ عليَّ دونكم أو عليكم دوني، أو قد عَمَّتني وعَمَّتكم، فهلمُّوا فلندعُ الله؛ يصلح قلوبنا، وأن يرحمنا، وأن يرفع عنا المَحْل،

قال: فرُئي عمر يومئذٍ رافعاً يديه يدعو الله، ودعا الناس، وبكى، وبكى الناس ملياً، ثم نزل.

وأخرج أحمد (1/ 44) عن أبي عثمان النَّهْدي قال: إني لجالس تحت منبر عمر وهو يخطب الناس، فقال في خطبته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أخوفَ ما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان». وقد تقدّمت خطبات عمر في باب اجتماع الكلمة واتحاد الأحكام.

* * *

خطبات أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه

أخرج ابن سعد (3/ 62) عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن المخزومي أن عثمان رضي الله عنه لما بويع خرج إلى الناس، فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنَّ أول مركب صعب، وإن بعد اليوم أياماً، وإن أعِشْ تأتكم الخطبة على وجهها، وما كنا خطباء وسيعلِّمنا الله.

وأخرج ابن جرير الطبري في «تاريخه» (3/ 305) من طريق عسيْف عن بدر بن عثمان عن عمه، قال: لما بايع أهل الشورى عثمان، خرج وهو أشد كآبة، فأتى منبر رسول الله ﷺ، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وصلَّى على النبي ﷺ، وقال: إنكم في دار قُلْعة، وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدِرون عليه؛ فلقد أُتيتم، صبَّحتم أو مسِّيتم، ألاَ وإنَّ الدنيا طُويت على الغرور، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: 33] اعتبروا بمن مضى، ثم جِدّوا، ولا تغفلوا، فإنه لا يُغفل عنكم. أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمَروها ومُتِّعوا بها طويلاً؟! ألم تلفِظْهم؟! ارمُوا بالدنيا حيث رَمى الله بها، واطلبوا الآخرة؛ فإنَّ الله قد ضرب لها مثلاً؛ وللذي هو خير، فقال عز وجل: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿أَمَلًا﴾ [الكهف: 45، 46] وأقبل الناس يبايعونه».

وأخرج ابن جرير أيضاً في «تاريخه» (3/ 446) بإسناد فيه سَيْف عن

عتبة قال: خطب عثمان الناس بعدما بويع، فقال: أما بعد: فإني قد حُمِّلت وقد قبلت، ألاَ وإني متَّبع ولست بمبتدع، ألا وإنَّ لكم عليَّ بعد كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه ﷺ ثلاثاً: اتّباعَ مَن كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم، وسَنَّ سنة أهل الخير فيما لم تسنُّوا عن ملإٍ، والكَفَّ عنكم إلا فيما استوجبتم. ألا وإنَّ الدنيا خَضِرة قد شُهِّيت إلى الناس، ومال إليها كثير منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تثقوا بها، فإنَّها ليست بثقة، واعلموا أنها غير تاركة إلا مَنْ تركها.

أخرج الدِّينَوري في «المجالسة» وابن عساكر عن مجاهد قال: خطب عثمان بن عفان، فقال في خطبته: ابنَ آدم، أعلم أنَّ ملك الموت الذي وُكِّل بك لم يزل يخلِّفك، ويتخطَّى إلى غيرك منذ أنت في الدنيا، وكأنه قد تخطَّى غيرك إليك وقصدك، فخُذْ حِذْرَك واستعدَّ له، ولا تغفُل فإنه لا يُغْفَل عنك، واعلم ابن آدم إن غَفَلت عن نفسك ولم تستعدَّ لم يستعدّ لها غيرك، ولا بد من لقاء الله فخذ لنفسك، ولا تكلها إلى غيرك، والسلام. كذا في «الكنز» (8/ 109).

وأخرج الدِّينَوري وابن عساكر عن الحسن أن عثمان بن عفان خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، فإن تقوى الله غُنْم، وإن أكيَس الكَيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر، وليخشَ عبدٌ أن يحشره الله أعمى وقد كان بصيراً، وقد يكفي الحكيم جوامع الكلم، والأصم ينادَى من مكان بعيد، واعلموا أنَّ من كان الله معه لم يَخَفْ شيئاً، ومن كان الله عليه فمن يرجو بعده؟ كذا في «الكنز» (8/ 224).

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن قال: رأيت عثمان على المنبر قال: أيها الناس، اتقوا الله في هذه السرائر؛ فإني سمعت

رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفس محمد بيده، ما عمل أحد عملاً قطُّ سرّاً إلا ألبسه الله رداءه علانية، إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشر، ثم تلا هذه الآية: ورياشاً - ولم يقل ﴿وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: 26] قال: السمت الحسن. كذا في «الكنز» (2/ 137).

وأخرج أحمد والبزّار والمَرْوَزِيُّ والشَّاشي وأبو يَعْلى وسعيد بن منصور عن عبّاد بن زاهر، قال: سمعت عثمان يخطب فقال: إنّا والله - قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا، ويشيِّع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير؛ وإن ناساً يُعْلِموني به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط. كذا في «الكنز» (4/ 44). قال الهيثمي (7/ 228) رواه أحمد وأبو يعلى في «الكبير» وزاد: فقال له أَعَيَنُ ابن امرأة الفرزدق: يا نَعْثَل إنك قد بَدَّلت، فقال: من هذا؟ فقالوا: أعْيَنَ. فقال: بل أنت أيها العبد. قال: فوثب الناس إلى أعينَ. قال: وجعل رجل من بني ليث يَزَعُهم عنه؛ حتى أدخله داره. ورجالهما رجال الصحيح غير عبّاد بن زاهر وهو ثقة - انتهى.

وأخرج الشافعي والبيهقي (8/ 9) عن مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه سمع عثمان بن عفان يقول في خطبته: لا تكلِّفوا الصغير الكسب؛ فإنكم متى كلَّفتموه الكسب سرق، ولا تكلِّفوا الأَمَةَ غير ذات الصنعة الكسب؛ فإنكم إن كلَّفتموها الكسب كسبت بفرجها، وعفُّوا إذ أعفكم الله، وعليكم من المطاعم بما طاب منها. قال البيهقي: ورفعه بعضهم عن عثمان من حديث الثوري؛ ورَفْعُه ضعيف. كذا في «الكنز» (5/ 47).

وأخرج البيهقي (10/ 215) عن زيد بن الصلت أنه سمع عثمان وهو على المنبر يقول: يا أيها الناس إياكم والميسر - يريد النرد - فإنها

قد ذكرت لي أنها في بيوت ناس منكم، فمن كان في بيته فليحرقها أو يكسرها. وقال عثمان مرة أخرى وهو على المنبر: يا أيها الناس إني قد كلمتكم في هذا النرد، ولم أركم قد أخرجتموها، فلقد هممت أن آمر بحزم الحطب، ثم أرسل إلى بيوت الذين هنّ في بيوتهم فأحرقها عليهم. كذا في «الكنز» (7/ 334).

وأخرج البيهقي (3/ 144) وابن عساكر عن سالم مولى عبد الرحمٰن بن حميد أن عثمان بن عفان أتمَّ الصلاة بمنى، ثم خطب الناس، فقال: أيها الناس إنَّ السنة سنة رسول الله ﷺ، وسنة صاحبيه؛ ولكن حدث العام من الناس؛ فخفت أن تستنوا. كذا في «الكنز» (4/ 239).

وأخرج ابن عساكر عن قتيبة بن مسلم قال: خطبنا الحجاج بن يوسف، فذكر القبر، فما زال يقول: إنه بيت الوحدة، وبيت الغربة - حتى بكى وأبكى من حوله، ثم قال: سمعت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقول: سمعت مروان يقول في خطبته: خطبنا عثمان بن عفان، فقال في خطبته: ما نظر رسول الله ﷺ إلى قبر وذكره إلا بكى. كذا في «الكنز» (8/ 109).

وأخرج أحمد (1/ 62) عن سعيد بن المسيَّب قال: سمعت عثمان يخطب على المنبر وهو يقول: كنت أبتاع التمر من بطن من اليهود يقال لهم بنو قَيْنُقَاع، فأبيعه بربح، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «يا عثمان إذا اشتريت فاكتل، وإذا بعت فكِلْ».

وأخرج أحمد (1/ 72) عن الحسن قال: شهدت عثمان يأمر في خطبته بقتل الكلاب وذبح الحمام.

وأخرج ابن جرير الطبري في «تاريخه» (3/ 446) من طريق سَيْف عن بدر بن عثمان عن عمه قال: آخر خطبة خطبها عثمان في جماعة: إنَّ الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها، إنَّ الدنيا تفنَى والآخرة تبقى، فلا تُبطرنَّكم الفانية ولا تَشغلنَّكم عن الباقية، فآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة، وإن المصير إلى الله، اتَّقوا الله جلَّ وعزَّ؛ فإن تقواه جُنَّة من بأسه ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغِيَر، والزموا جماعتكم، لا تصيروا أحزاباً ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: 103]. وقد تقدّم ما قال عثمان في خطبة في فضل الحرس في سبيل الله في باب الجهاد ـ.

* * *

خطبات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أخرج ابن جرير في «تاريخه» (3/ 457) بإسناد فيه سَيْف عن علي بن الحسين: أولُ خطبة خطبها علي رضي الله عنه حين استخلف، حمد الله وأثنى عليه، فقال إنَّ الله عز وجل أنزل كتاباً هادياً بيَّن فيه الخير والشر، فخُذوا بالخير ودعُوا الشر. الفرائضَ أدُّوها إلى الله سبحانه يؤدِّكم إلى الجنة، إنَّ الله حرّم حُرَماً غير مجهولة، وفضّل حرمة المسلم على الحُرَم كلها، وشدَّ بالإخلاص والتوحيد المسلمين، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامة، وخاصةَ أحدكم ـ الموت ـ، فإن الناس أمامكم، وإنَّما من خلفكم الساعة تحدُوكم. تخفَّفوا تلحقوا؛ فإنما ينتظر الناس أخراهم، اتَّقوا الله عبادَه في عباده وبلاده، إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عز وجل ولا تَعصوه، وإذا رأيتم الخير فخُذوا به، وإذا رأيتم الشر فدعُوه، واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض.

أخرج أبو الشيخ عن علي أنه خطب، فقال: عشيرة الرجل للرجل خير من الرجل لعشيرته؛ إنَّه إن كف يده عنهم كفَّ يداً واحدة، وكفُّوا عنه أيدي كثيرة مع مودَّتهم وحفاظهم ونصرتهم، حتى لربما غضب الرجل للرجل وما يعرفه إلا بحسبه، وسأتلو عليكم بذلك آيات من كتاب الله،

فتلا هذه الآية ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: 80] قال علي: والركن الشديد: العشيرة، فلم تكن للوط عشيرة؛ فوالذي لا إلٰه إلا هو ما بعث الله نبياً قط بعد لوط إلا في ثروة من قومه. وتلا هذه الآية في شعيب ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ [هود: 91] قال: كان مكفوفاً؛ فنسبوه إلى الضعف ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ [هود: 91] قال علي: فوالذي لا إلٰه غيره ما هابوا جلال ربِّهم إلا العشيرة. كذا في «الكنز» (1/ 250).

أخرج الحسين بن يحيى القطَّان والبيهقي عن الشعبيّ قال: كان علي يخطب إذا حضر رمضان ثم يقول: هذا الشهر المبارك الذي فرض الله صيامه، ولم يفرض قيامه، ليحذر رجل أن يقول: أصوم إذا صام فلان، وأفطر إذا أفطر فلان، ألا إن الصيام ليس من الطعام والشراب، ولكن من الكذب والباطل والكفر، ألاَ لا تَقَدَّموا الشهر، إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غُمَّ عليكم فأتمُّوا العدَّة. قال: كان يقول بعد صلاة الفجر وصلاة العصر. كذا في «الكنز» (4/ 322).

أخرج الصابوني في «المائتين» وابن عساكر عن علي أنه خطب، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر الموت فقال: عباد الله، والله الموت ليس منه فَوْت؛ إن أقمتم له أخذكم، وإن فررتم منه أدرككم، فالنجاةَ النجاةَ، والوَحاء الوَحاء، وراءكم طالب حثيث، القبرُ؛ فاحذروا ضَغْطته وظلمته ووحشته، ألاَ وإن القبر حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنّة، ألاَ وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات، فيقول: أنا بيت الظلمة، أنا بيت الدود، أنا بيت الوَحْشة، ألاَ وإن وراء ذلك ما هو أشد منه، نار حرُّها شديد، وقعرها بعيد، حُلِيُّها حديد، وخازنها مالك، ليس لله فيه - وفي لفظ: فيها - رحمة، وألا وراء ذلك جنة عرضها السماوات والأرض

أعدَّت للمتقين، جعَلَنا الله وإياكم من المتَّقين، وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم. كذا في «الكنز» (8/ 110). وذكر ابن كثير في «البداية» (8/ 6) هذه الخطبة عن الأصبغ بن نباتة قال: صعد علي ذات يوم المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر الموت ـ فذكر نحوه وزاد بعد قوله: أنا بيت الوحشة، ألا وإن وراء ذلك يوماً يشيب فيه الصغير، ويسكر فيه الكبير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سُكارَى وما هم بسكارى ولكنَّ عذاب الله شديد. وزاد في روايته: ثم بكى وبكى المسلمون حوله.

أخرج الدِّينَوَرِيُّ وابن عساكر عن عبد الله بن صالح العِجْلي عن أبيه، قال: خطب علي بن أبي طالب يوماً، فحمد الله وأثنى عليه، وصلَّى على النبي ﷺ، ثم قال: عباد الله لا تغرنَّكم الحياة الدنيا؛ فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة، وكلُّ ما فيها إلى زوال، وهي ما بين أهلها دُوَل وسِجال، لن يسلم من شرِّها نُزَّالها، بينا أهلها في رخاء وسرور؛ إذا هم منها في بلاء وغرور، العيش فيها مذموم، والرخاء فيها لا يدوم، وإنما أهلها فيها أغراض مستهدَفة؛ ترميهم بسهامها وتقصمهم بحِمَامِها. عباد الله إنكم وما أنتم من هذه الدنيا، عن سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعماراً، وأشد منكم بطشاً، وأعمر دياراً، وأبعد آثاراً، فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها، وأجسادهم بالية، وديارهم خالية، وآثارهم عافية، واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرُر والنمارق الممهدة الصخورَ والأحجار المسندة في القبور المِلاطية الملحَدة التي قد بُني على الخراب فناؤها، وشُيِّد بالتراب بناؤها، فمحلُّها مقترب، وساكنها مغترب، بين أهل عمارة موحِشين، وأهل محلّة متشاغلين، لا يستأنسون بالعمران، ولا يتواصلوا

تواصل الجيران، على ما بينهم من قرب الجوار، ودنوِّ الدار، وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلى، وأكلتهم الجنادل والثرى، فأصبحوا بعد الحياة أمواتاً، وبعد غضارة العيش رفاتاً، فجع بهم الأحباب، وسكنوا التراب، وظعنوا فليس لهم إياب، هيهات هيهات. ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 100]، فكأنْ قد صرتم إلى ما صاروا عليه من الوحدة والبلى في دار الموتى، وارتهنتم في ذلك المضجع، وضمكم ذلك المستودع، فكيف بكم لو قد تناهت الأمور، وبُعثرت القبور، وحُصِّل ما في الصدور، وأوقفتم للتحصيل بين يدي ملك جليل، فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب، وهُتكت عنكم الحجب والأستار، فظهرت منكم العيوب والأسرار، هنالك ﴿تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: 17]؛ ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: 31] ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49]. جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه، متَّبعين لأوليائه؛ حتى يحلنا وإياكم دار المُقامة من فضله؛ إنه حميد مجيد. كذا في «الكنز» (8/ 219) و«المنتخب» (6/ 324) وذكرها ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (1/ 124) بطولها، وزاد في أوله: إنَّ علي بن أبي طالب خطب فقال: الحمد لله، أحمده، وأستعينه، وأومن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليزيح به علّتكم، وليوقظ به غفلتكم، واعلموا أنكم ميتون، ومبعوثون من بعد الموت، وموقوفون على أعمالكم ومجزيُّون بها، فلا تغرنَّكم الحياة الدنيا ـ فذكر نحوه.

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 77) عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدِّه أن علياً شيَّع جنازة، فلما وضعت في لحدها، عجَّ أهلها وبكَوا، فقال: ما تبكون؟ أما والله لو عاينوا ميتهم، لأذهلتهم معاينتهم عن ميتهم، وإن له فيهم لعودة ثم عودة حتى لا يبقى منهم أحد. ثم قام فقال: أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال ووقَّت لكم الآجال وجعل لكم أسماعاً تعي ما عناها وأبصاراً لتجلو عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها في تركيب صورها، وما أعمرها، فإن الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً، بل أكرمكم بالنعم السوابغ، وأرفدكم بأوفر الروافد، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء في السّراء والضّراء، فاتّقوا الله عباد الله، وجدُّوا في الطلب، وبادروا بالعمل مقطّع النَّهَمات وهاذم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وشبح فائل. وسناد مائل، يمضي مستطرفاً، ويُردي مسترِدفاً بإتعاب شهواتها وخَتْل تراضعها. اتعظوا عباد الله بالعِبَر، واعتبروا بالآيات والأثر، وازدجروا بالنُّذُر، وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مفظَّعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور، وسياقة المحشر، وموقف الحساب بإحاطة قدرة الجبار، كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها، وأشرقت الأرض بنور ربها، ووضع الكتاب، وجيء بالنبيين والشهداء، وقُضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون، فارتُجَّتْ لذلك اليوم البلاد، ونادى المناد، وكان يوم التلاق، وكشف عن ساق، وكسفت الشمس، وحشرت الوحوش مكان مواطن الحشر، وبدت الأسرار، وهلكت الأشرار، وارتجت الأفئدة، فنزلت بأهل النار من الله سطوة مجيحة، وعقوبة مُنيحة، وبرزت الجحيم لها كَلَب وَلَجب، وقصيف رعد، وتَغَيُّظ ووعيد، تأججَ جحيمها، وغلَى

حميمها، وتوقَّد سمومها فلا يُنَفَّس خالدها، ولا تنقطع حسراتها، ولا يقصم كبُولها، معهم ملائكة يبشِّرونهم بنُزُل من حميم، وتصلية جحيم، عن الله محجوبون، ولأوليائه مفارقون، وإلى النار منطلقون. عباد الله، اتقوا الله تَقيّة من كَنع فخنع، ووُجل فرحل، وحُذِّر فأبصر فازدجر، فاحتثَّ طلباً، ونجا هرباً، وقدَّم للمعاد، واستظهر بالزاد، وكفى بالله منتقماً وبصيراً، وكفى بالكتاب خصماً وحجيجاً، وكفى بالجنة ثواباً، وكفى بالنار وبالاً وعقاباً؛ وأستغفر الله لي ولكم.

أخرج الدِّيَنوري وابن عساكر عن علي رضي الله عنه، أنه خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطِّلاع، وإن الضمار اليوم وغداً السباق، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل؛ فمن قصَّر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خُيِّب، ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة، ألا وإني لم أرَ كالجنة نائم طالبها ولم أرَ كالنار نائم هاربها، ألا وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى جار به الضلال، ألا وإنكم قد أُمرتم بالظَّعَن ودُللتم على الزاد، ألا أيها الناس إنما الدنيا عَرَض حاضر يأكل منها البر والفاجر وإن الآخرة وَعْدٌ صادق يحكم فيها ملك قادر، ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم. أيها الناس، أحسنوا في عمركم تُحفظوا في عقبكم، فإن الله تبارك وتعالى وعد جنته من أطاعه، ووعد ناره من عصاه، إنها نار لا يهدأ زفيرها، ولا يُفكُّ أسيرها، ولا يجبر كسيرها، حرُّها شديد، وقعرُها بعيد، وماؤها صديد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباعُ الهوى وطولُ الأمل. كذا في «الكنز» (8/ 220) و«المنتخب» (6/ 324). وذكر ابن كثير في «البداية»

(8/ 7) هذه الخطبة بطولها عن وكيع عن عمرو بن منبّه عن أوفى بن دَلْهَم وقال: وفي رواية: فإن اتّباع الهوى يصدُّ عن الحق، وإن طول الأمل يُنسي الآخرة.

أخرج ابن النجار عن زياد الأعرابي قال: صعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه منبر الكوفة بعد الفتنة وفراغه من النَّهروان، فحمد الله، وخنقته العَبْرة، فبكى حتى اخضلَّت لحيته بدموعه وجرت، ثم نفض لحيته، فوقع رَشاشها على ناس من أناس، فكنا نقول: إن من أصابه من دموعه فقد حرّمه الله على النار. ثم قال: يا أيها الناس لا تكونوا ممّن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا قول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أُعطي منها لم يشبع، وإن مُنع منها لم يقنع، يعجز عن شكر ما أُوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي، ويأمر ولا يأتي، وينهي ولا ينتهي، يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم، ويبغض الظالمين وهو منهم، تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن، إن استغنى فُتن، وإن مرض حزن، وإن افتقر قنط ووهن، فهو بين الذنب والنعمة يرتع، يُعَافَى فلا يشكر، ويُبتلى فلا يصبر، كأن المحذَّر من الموت سواه، وكأن من وُعد وزُجر غيره، يا أغراض المنايا، يا رهائن الموت (يا وعاء الأسقام، يا نُهبة الأيام، يا نَقَل الدهر) ويا فاكهة الزمان، ويا نور الحِدْثان، ويا أخرس عند الحجج، ويا من غمرته الفتن، وحيل بينه وبين معرفة العبر، بحق أقول: ما نجا من نجا إلا بمعرفة نفسه، وما هلك من هلك إلا من تحت يده، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: 6] جعلنا الله وإياكم ممن سمع الوعظ فقبل، ودُعي إلى العلم فعمل. كذا في «الكنز» (8/ 220) و«المنتخب» (6/ 325).

أخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن يحيى بن يَعْمر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي، ولم ينههم الربانيُّون والأحبار، أنزل الله بهم العقوبات؛ ألا فمرُوا بالمعروف، وانهَوا عن المنكر، قبل أن ينزل بكم الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً، ولا يقرِّب أجلاً، إن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كل نفس بما قدَّر الله لها من زيادة أو نقصان في أهل أو مال أو نفس، فإذا أصاب أحدكم النقصان في أهل أو مال أو نفس، ورأى لغيره غيره؛ فلا يكوننَّ ذلك له فتنة، فإن المرء المسلم ما لم يَغْشَ دناءة، يظهر تخَشُّعاً لها إذا ذكرت، ويعزي به لئام الناس كالياسر الفالج الذي ينتظر أول فوزة من قداحه، توجب له المغنم، وتدفع عنه المغرم، فكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة إنما ينتظر إحدى الحسنين إذا ما دعا الله، فما عند الله هو خير له، وإما أن يرزقه الله مالاً، فإذا هو ذو أهل ومال. الحَرْث حَرْثان: المال والبنون وحرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة، وقد يجمعهما الله لأقوام. قال سفيان بن عيينة: ومن يحسن يتكلم بهذا الكلام إلا علي بن أبي طالب؟! كذا في «الكنز» (8/ 220) و«منتخبه» (6/ 326). وذكره في «البداية» (8/ 8) عن ابن أبي الدنيا بإسناده عن يحيى فذكر من قوله: إن الأمر ينزل به من السماء - إلى الآخرة نحوه، وفيما ذكره: فإذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه، وإما أن يحطيه الله في الآخرة فالآخرة خير وأبقى، الحرث حرثان: فحرث الدنيا المال والتقوى، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات.

أخرج البيهقي عن أبي وائل قال: خطب علي رضي الله عنه الناس

بالكوفة، فسمعته يقول في خطبته: أيها الناس إنه من يتفقَّر افتقر، ومن يُعمَّر يُبتلى، ومن لا يستعد للبلاء إذا ابتُلي لا يصبر، ومن ملك استأثر، ومن لا يستشير يندم. وكان يقول من وراء هذا الكلام: يوشك أن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، وكان يقول: ألا لا يستحي الرجل أن يتعلم، ومن يُسأل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، مساجدكم يومئذٍ عامرة، وقلوبكم وأبدانكم خَرِبة من الهدى، شر من تحت ظل السماء، فقهاؤكم منهم تبدو الفتنة، وفيهم تعود. فقام رجل، فقال: ففيم يا أمير المؤمنين؟ قال: إذا كان الفقه في رُذَالكم، والفاحشة في خياركم، والمُلْك في صِغاركم، فعند ذلك تقوم الساعة. كذا في «الكنز» (8/ 218).

ذكر ابن كثير في «البداية» (7/ 30) أن علياً رضي الله عنه قام فيهم خطيباً، فقال: الحمد لله فاطر الخلق، وفالق الإصباح، وناشر الموتى، وباعث من في القبور، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأوصيكم بتقوى الله، فإنَّ أفضلَ ما توسل به العبد: الإيمان، والجهاد في سبيله، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملّة، وإيتاء الزكاة فإنها من فريضته، وصوم شهر رمضان فإنه جُنّة من عذابه، وحج البيت فإنه منفاة للفقر مدحضة للذنب، وصِلَة الرحم فإنها مثراة في المال مَنْسَأة في الأجل مَحبَّة في الأهل، وصدقة السر فإنها تكفِّر الخطيئة وتطفىء غضب الرب، وصنع المعروف فإنه يدفع ميتة السوء ويقي مصارع الهول. أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر، وارغبوا فيما وعد المتقون فإن وعد الله أصدق الوعد واقتدوا بهَدْي نبيكم ﷺ فإنه أفضل الهَدْي، واستنُّوا بسنته فإنها أفضل السنن، وتعلموا كتاب الله فإنه أفضل الحديث، وتفقَّهوا في الدين فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره،

فإنه شفاء لما في الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص، وإذا قرىء عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون، وإذا هُديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم به لعلكم تهتدون، فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الجائر الذي لا يستقيم عن جهله، بَل قد رأيت أنَّ الحجة أعظم والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه على هذا الجاهل المتحيِّر في جهله، وكلاهما مضلَّل مثبور.

لا ترتابوا فتشكُّوا، ولا تشكُّوا فتكفروا، ولا تُرخِّصوا لأنفسكم فَتذْهَلوا، ولا تذهلوا في الحق فتخسروا، ألا وإن من الحزم أن تثقوا، ومن الثقة ألا تغتروا، وإن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه، وإن أغشكم لنفسه أعصاكم لربه، من يطع الله يأمن ويستبشر، ومن يعص الله يَخَفْ ويندمْ، ثم سلُوا الله اليقين وارغبوا إليه في العافية، وخير ما دام في القلب اليقين، إنَّ عوازم الأمور أفضلها، وإن محدثاتها شرارها، وكل محدَث بدعة، وكل محدِث مبتدع، ومن ابتدع فقد ضيِّع، وما أحدث محدِث بدعة إلا ترك بها سُنَّة، المغبون من غُبن دينَه والمغبون من خسر نفسه، وإنَّ الرياء من الشرك، وإن الإخلاص من العمل والإيمان، ومجالس اللهو تُنسي القرآن، ويحضرها الشيطان، وتدعو إلى كل غي، ومجالسة النساء تزيغ القلوب وتُطمح إليه الأبصار وهي مصائد الشيطان، فاصدقوا الله؛ فإن الله مع من صدق، وجانبوا الكذب؛ فإن الكذب مجانب للإيمان، ألاَ إن الصدق على شرف منجاة وكرامة، وإن الكذب على شرف ردى وهَلَكة، ألا وقولوا الحق تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وأدُّوا الأمانة إلى من ائتمنكم، وصِلُوا أرحام من قطعكم، وعودوا بالفَضْل على من حرمكم، وإذا عاهدتم فأوفوا، وإذا حكمتم فاعدلوا، ولا تَفاخَروا بالآباء، ولا تنابزوا بالألقاب، ولا تمازَحوا، ولا

يُغضب بعضكم بعضاً، وأعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وارحموا الأرملة واليتيم، وأفشوا السلام، وردُّوا التحية على أهلها بمثلها أو بأحسن منها، ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: 2]. وأكرموا الضيف، وأحسنوا إلى الجار، وعودوا المرضى، وشيِّعوا الجنازة، وكونوا عباد الله إخواناً.

أما بعد: فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أظلَّت وأشرفت باطِّلاع، وإن المضمار اليوم وغداً السباق، وإن السبقة الجنة والغاية النار، ألا وإنكم في أيام مُهَل من ورائها أجل يحثُّه عَجَل، فمن أخلص لله عمله في أيام مهله قبل حضور أجله فقد أحسن عمله ونال أمله، ومن قصَّر عن ذلك فقد خسر عمله وخاب أمله وضره أمله، فاعملوا في الرغبة والرهبة، فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله واجمعوا معها رهبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة فإن الله قد تأذَّن المسلمين بالحسنى ولمن شكر بالزيادة، وإني لم أرَ مثل الجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها، ولا أكثر مكتَسباً من شيء أكسبه ليوم تُدَّخر فيه الذخائر، وتُبلى فيه السرائر، وتجتمع فيه الكبائر، وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل، ومن لا يستقيم به الهدى يَجُرْ به الضلال، ومن لا ينفعه اليقين يضره الشك، ومن لا ينفعه حاضره فعازبه عنه أعور وغائبه عنه أعجز، وإنكم قد أمرتم بالظَّعَن ودُللتم على الزاد، ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم اثنان: طول الأمل، واتِّباع الهوى. فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتِّباع الهوى فيبعد عن الحق، ألا وإن الدنيا قد ترحَّلت مدبرة، وإن الآخرة قد ترحَّلت مقبلة، ولهما بنون؛ فكونوا من أبناء الآخرة إن استطعتم ولا تكونوا من بني الدنيا، فإن اليوم عمل ولا

حساب، وغداً حساب ولا عمل. قال الحافظ ابن كثير: وهذه خطبة بليغة جامعة للخير ناهية عن الشر، وقد رُوي لها شواهد من وجوه أُخر متصلة، ولله الحمد والمنة ـ انتهى.

أخرج الطبراني (3/ 2823) عن أبي خَيْرة قال: صحبت علياً رضي الله عنه حتى أتى الكوفة، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: كيف أنتم إذا نزل بذرية نبيكم بين ظهرانيكم؟ قالوا: إذنْ نبلي الله فيهم بلاء حسناً. فقال: والذي نفسي بيده لينزلُنَّ بين ظهرانيكم ولتخرُجُنَّ إليهم فلتقتُلُنَّهم. ثم أقبل يقول:

هُمُ أوردوه بالغُرورِ وغَرَّدوا

أجيبوا دُعاه لا نجَاةً ولا عُذْرا

قال الهيثمي (9/ 191): وفيه سعيد بن وهب متأخر ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات انتهى.

أخرج أحمد في «مسنده» (1/ 81) عن إبراهيم التَّيْمي عن أبيه قال: خطبنا علي رضي الله عنه فقال: من زعم أن عندنا شيئاً نقرؤه إلا كتاب الله وهذه الصحيفة ـ صحيفة فيها أسنان الإبل، وأشياء من الجراحات فقد كذب، قال: وفيها قال رسول الله ﷺ: «المدينة حَرَمٌ ما بين عَيْر إلى ثَوْر، فمن أحدث فيها حَدَثاً، أو آوى مُحْدِثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة عَدْلاً ولا صَرْفاً، ومن ادَّعى إلى غير أبيه، أو تولَّى غير مواليه فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صَرْفاً ولا عدلاً، وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم».

أخرج أحمد (1/ 127) عن إبراهيم النخعي قال: ضرب علقمة بن قيس هذا المنبر وقال: خطبنا علي رضي الله عنه على هذا المنبر، فحمد

الله وأثنى عليه، وذكر ما شاء أن يذكر، وقال: إنَّ خير الناس كان بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما، ثم أحدثنا بعدهما أحداثاً يقضي الله فيها.

وعنده أيضاً (1/ 106) عن أبي جُحَيفة أنه صعد المنبر - يعني علياً رضي الله عنه - فحمد الله تعالى وأثنى عليه وصلَّى على النبي ﷺ وقال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، والثاني عمر - رضي الله عنهما - وقال: يجعل الله تعالى الخير حيث أحب.

وعنده أيضاً (1/ 106) عن وَهْب السوائي بمعناه إلا أنه لم يذكر من قوله: ثم أحدثنا، وقال: وما نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر رضي الله عنه.

وأخرج ابن عاصم وابن شاهين واللالكائي في «السنَّة» والأصبهاني في «الحجّة» وابن عساكر عن علقمة قال: خطبنا علي رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنه بلغني أن ناساً يفضِّلوني على أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -!! ولو كنت تقدَّمت في ذلك لعاقبت فيه، ولكني أكره العقوبة قبل التقدّم، فمن قال شيئاً من ذلك بعد مقامي هذا فهو مفترٍ، عليه ما على المفتري؛ خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر - رضي الله عنهما - ثم أحدثنا بعدهم أحداثاً يقضي الله فيها ما يشاء. كذا في «المنتخب» (4/ 446).

وعند أبي نُعيم في «الحِلْية» عن زيد بن وهب أن سُوَيد بن غَفَلة دخل على عليٍّ - رضي الله عنه - في إمارته، فقال: يا أمير المؤمنين إني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - بغير الذي هما له أهل، فنهض فرقي المنبر، فقال: والذي فَلَق الحبّة وبرأ النَسمة، لا يحبُّهما إلا مؤمن فاضل، ولا يبغضهما إلا شقي مارق؛ فحبُّهما قربة

وبغضُهما مُروق، ما بال أقوام يذكرون أخوَي رسول الله ﷺ، ووزيريه، وصاحبيه، وسيدي قريش، وأبوي المسلمين؟ فأنا بريء ممّن يذكرهما بسوء وعليه معاقب. كذا في «المنتخب» (4/ 443). وقد تقدَّمت هذه الخطبة بطولها في الغضب للأكابر.

وأخرج اللالكائي وأبو طالب العشاري ونصر في «الحجّة» عن علي بن حسين قال: قال فتى من بني هاشم لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ حين انصرف من صِفِّين: سمعتك تخطب يا أمير المؤمنين في الجمعة تقول: اللهمَّ أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين، فمن هم؟ فاغرورقت عيناه ثم قال: أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ إماما الهدى، وشيخا الإسلام، والمهتدَى بهما بعد رسول الله ﷺ، من اتبعهما هُدِيَ إلى صراط مستقيم، ومن اقتدى بهما يَرْشُد، ومن تمسَّك بهما فهو من حزب الله، وحزب الله هم المفلحون. كذا في «المنتخب» (4/ 444).

أخرج أحمد (1/ 116) عن شيخ من بني تميم قال: خطبنا علي رضي الله عنه، أو قال: قال علي ـ رضي الله عنه ـ: يأتي على الناس زمان عضوض يعض الموسر على ما في يديه، قال: ولم يؤمر بذلك، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: 237] ويَنْهَد الأشرار، ويستذلّ الأخيار، ويبايع المضطرون، قال: وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع المضطرين، وعن بيع الغَرَر، وعن بيع الثمرة قبل أن تُدْرك.

وأخرج أحمد (1/ 141) عن أبي عبيد مولى عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه قال: ثم شهدته مع علي رضي الله عنه، فصلَّى قبل أن يخطب بلا أذان ولا إقامة، ثم خطب فقال: يا أيها الناس، إن رسول الله ﷺ قد نهى أن تأكلوا نسككم بعد ثلاث ليالٍ؛ فلا تأكلوها بعد.

وأخرج أحمد (1/ 150) عن رِبْعي بن حِرَاش أنه سمع علياً رضي الله عنه يخطب يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا تكذبوا عليَّ فإنه من يكذب عليَّ يلج النار». وأخرجه الطيالسي (ص 17) عن رِبْعي مثله.

وأخرج أحمد (1/ 156) عن أبي عبد الرحمٰن السُّلَمي قال: خطب علي رضي الله عنه قال: يا أيها الناس أقيموا على أرقَّائكم الحدود، من أُحصن منهم ومن لم يُحْصَن، فإن أَمَة لرسول الله ﷺ زَنَت، فأمرني رسول الله ﷺ أن أقيم عليها الحد، فأتيتها فإذا هي حديث عهد بنفاس. فخشيت إن أنا جلدتها أن تموت، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «أحسنت».

وأخرج أحمد (1/ 156) عن عبد الله بن سبع قال: خطبنا علي رضي الله عنه، فقال: والذي فَلَق الحبة، وبرأ النَّسَمة لتُخْضَبَنَّ هذه من هذه، قال: قال الناس: فأعلِمْنا من هو، والله لنبيرنَّ عِترته، قال: أنشدكم بالله أن يُقْتَلَ غير قاتلي، قالوا: إن كنتَ قد علمت ذلك استخلف إذاً، قال: لا، ولكن، أكلكم إلى ما وكلكم إليه رسول الله ﷺ.

وأخرج عبد الرزاق وأبو عبيد في «الأموال» والحاكم في «الكُنَى» وأبو نُعَيم في «الحلية» عن عمرو بن العلاء، قال: خطب علي فقال: يا أيها الناس، والله الذي لا إله إلا هو، ما رزأت من مالكم قليلاً ولا كثيراً إلا هذه ـ وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب ـ فقال: أهداها إليَّ دِهْقان. كذا في «المنتخب» (5/ 54).

وأخرج ابن مردويه عن عمير بن عبد الملك قال: خطبنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منبر الكوفة، قال: كنت إن لم أسأل النبي ﷺ ابتدأني، وإن سألته عن الخير أنبأني، وإنَّه حدثني عن ربِّه عز وجل قال: «يقول الله عز وجل: وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل

قرية، ولا أهل بيت، ولا رجل ببادية، كانوا على ما كرهت من معصيتي، ثم تحوَّلوا عنها إلى ما أحببت من طاعتي؛ إلاَّ تحوَّلت لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي، وما من أهل قرية، ولا أهل بيت، ولا رجل ببادية، كانوا على ما أحببت من طاعتي ثم تحوَّلوا عنها إلى ما كرهت من معصيتي؛ إلا تحوَّلت لهم عما يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي». كذا في «الكنز» (8/ 203).

* * *

خطبات أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما

أخرج ابن سعد (3/ 38) عن هُبيرة، قال: لما توفي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قام الحسن بن علي رضي الله عنهما، فصعد المنبر فقال: أيها الناس، قد قبض الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون ولا يدركه الآخرون، قد كان رسول الله ﷺ يبعثه المبعث، فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله، فلا ينثني حتى يفتح الله له، وما ترك إلا سبعمائة درهم أراد أن يشتري بها خادماً، ولقد قُبض في الليلة التي عرج فيها بروح عيسى بن مريم، ليلة سبع وعشرين من رمضان. وزاد في رواية أخرى: ما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم فَضَلت من عطائه، ولم يذكر قوله: ولقد قبض - إلى آخره. وعند أبي نُعيم في «الحلية» (1/ 65) عن هُبيرة بالسياق الثاني بمعناه وأخرجه أحمد (1/ 199) عنه مختصراً.

وعند أبي يَعْلى (12/ 6757) **وابن جرير وابن عساكر عن الحسن كما في «المنتخب»** (5/ 61) أنَّه لما قُتل علي رضي الله عنه، قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: والله لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن، وفيها رُفع عيسى بن مريم عليه السلام، وفيها قُتل يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام، وفيها تيب على بني إسرائيل.

وأخرجه الطبراني عن أبي الطفيل فذكر بمعنى روايتي ابن سعد ورواية أبي يَعْلى وغيره وزاد: ثم قال: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد ﷺ، ثم تلا هذه الآية ـ قول يوسف ـ ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ﴾ [يوسف: 38] ثم أخذ في كتاب الله، ثم قال: أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، وأنا ابن النبي، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا ابن الذي أُرسل رحمة للعالمين، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودَّتهم وولايتهم، فقال فيما أنزل على محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: 23]. قال الهيثمي (9/ 146): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» باختصار وأبو يعلى باختصار والبزّار (2575) بنحوه إلا أنه قال: ويعطيه الراية، فإذا حُمَّ الوغى فقاتل جبريل عن يمينه. وقال: وكانت إحدى وعشرين من رمضان. ورواه أحمد باختصار كثير وإسناد أحمد وبعض طرق البزّار والطبراني في «الكبير» حسان. انتهى.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (3/ 172) عن علي بن الحسين رضي الله عنهما بمعنى رواية أبي الطفيل وزاد: وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، وزاد ﴿وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ﴾ [الشورى: 23] فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت. قال الذهبي: ليس بصحيح، وسكت الحاكم.

أخرج الطبراني عن أبي جميلة أن الحسن بن علي رضي الله عنهما حين قتل علي رضي الله عنه استُخلف، فبينا هو يصلّي بالناس، إذ وثب إليه رجل فطعنه بخنجر في وَرْكه، فتمرَّض منها أشهراً، ثم قام فخطب على المنبر، فقال: يا أهل العراق، اتَّقُوا الله فينا فإنا أمراؤكم

وضيفانكم، ونحن أهلِ البيت الذين قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الاحزاب: 33] فما زال يومئذٍ يتكلَّم حتى ما ترى في المسجد إلا باكياً. قال الهيثمي (9/ 172): رجاله ثقات. انتهى. وأخرجه ابن أبي حاتم عن أبي جميلة ـ نحوه، وفي روايته: فما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد إلا وهو يحنُّ بكاءً، كما في «التفسير» لابن كثير (3/ 486).

أخرج الطبراني في «الكبير» (3/ 2559) عن الشَّعْبي قال: شهدت الحسن بن علي رضي الله عنهما بالنخيلة حين صالحه معاوية رضي الله عنه، فقال له معاوية: إذ كان ذا فقم فتكلَّم، وأخبر الناس أنك قد سلَّمت هذا الأمر لي ـ وربما قال سفيان: أخبر الناس بهذا الأمر الذي تركته ـ فقام فخطب على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ـ قال الشَّعْبي: وأنا أسمع ـ ثم قال: أما بعد: فإنّ أكيس الكَيْس التقى، وإنَّ أحمق الحمق الفجور، وإنَّ هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية: إمَّا كان حقاً لي تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم، أو يكون حقاً كان لامرىء أحق به مني ففعلت ذلك، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين. قال الهيثمي (4/ 108): وفيه مجالد بن سعيد وفيه كلام وقد وُثِّق وبقية رجاله رجال الصحيح ـ انتهى.

وأخرجه الحاكم (3/ 175) من طريق مجالد عن الشَّعْبي قال: خطبنا الحسن بن علي رضي الله عنهما بالنخلة حين صالح معاوية رضي الله عنه، فقام فحمد الله وأثنى عليه ـ فذكر نحوه، وزاد بعد قوله إلى حين: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. وأخرجه البيهقي (8/ 173) من طريقه عنه نحوه.

وذكر ابن جرير في «تاريخه» (4/ 124) أن الحسن بن علي رضي

الله عنهما قال في تلك الخطبة: أما بعد يا أيها الناس فإن الله قد هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدّة، والدنيا دُوَل، وإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأنبياء: 111].

* * *

خطبة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

أخرج ابن عبد البرّ في «جامع العلم» (1/ 20) عن محمد بن كعب القرظي قال: كان معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما يخطب بالمدينا يقول: «أيها الناس، إنه لا مانع لما أعطى الله، ولا معطي لما منع الله، ولا ينفع ذا الجَد منه الجد، من يُرِدِ الله به خيراً يفقِّهه في الدين» سمعت هذه الكلمات من رسول الله ﷺ على هذه الأعواد.

وعنده أيضاً (1/ 20) عن محمد بن عبد الرحمٰن قال: سمعت معاوية رضي الله عنه - وخطبنا - فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، والله يُعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمةً على الحق أمرِ الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله».

وعند أحمد وأبي يَعْلى ويعقوب بن سفيان وغيرهم عن عمير بن هانيء أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما خطبهم فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». وفي لفظ: «وهم ظافرون على الناس». قال عمير بن هانيء: فقام مالك بن يَخَامر فقال: سمعت معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: وهم بالشام.

وعند ابن عساكر عن يونس بن حَلْبس الجَنَدي - فذكر نحوه

وزاد: ثم نزع بهذه الآية ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: 55].

وعنده أيضاً عن مكحول عن معاوية رضي الله عنه أنه قال وهو يخطب على المنبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس، إنما العلم بالتعلُّم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما يخشى الله من عباده العلماءُ. ولن تزال أمة من أمتي على الحق ظاهرين على الناس لا يبالون من خالفهم، ولا من ناوأهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون». كذا في «الكنز» (7/ 130).

* * *

خطبات أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير
رضي الله تعالى عنهما

أخرج الطبراني في «الكبير» عن محمد بن عبد الله الثقفي قال: شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم، قال: ما شعرنا حتى خرج علينا قبل يوم التروية بيوم - وهو يوم محرم - رجل كهيئة كهل جميل، فأقبل فقالوا: هذا أمير المؤمنين، فرقي المنبر وعليه ثوبان أبيضان، ثم سلَّم عليهم فردُّوا عليه السلام، ثم لبَّى بأحسن تلبية سمعتها قط، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: فإنكم جئتم من آفاق شتَّى وفوداً على الله تعالى، فحقّاً على الله أن يكرم وفده، فمن جاء يطلب ما عند الله فإنَّ طالب الله لا يخيَّب، فصدِّقوا قولكم بفعل؛ فإن ملاك القول الفعل، والنية نية القلوب، الله الله في أيامكم هذه؛ فإنها أيام يغفر فيها الذنوب، جئتم من آفاق شتّى في غير تجارة ولا طلب مال ولا دنيا ترجون ههنا. ثم لبَّى ولبَّى الناس، وتكلم بكلام كثير، ثم قال: أما بعد فإن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: 197] قال: وهي ثلاثة أشهر: شوال وذو القَعْدة وعشر من ذي الحجة ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ﴾ لا جماع ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ لا سباب ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ لا مراء ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: 197] وقال عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فأحلَّ لهم التجارة، ثم قال: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ - وهو الموقف الذي يقفون عنده حتى تغيب الشمس ثم يُفيضون منه -

﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ قال: وهي الجبال التي يقفون ـ المزدلفة ـ ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [البقرة: 198] قال: ليس هذا بعامٍّ، هذا لأهل البلد كانوا يفيضون من جَمْع ويفيض الناس من عرفات، فأبى الله لهم ذلك فأنزل ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: 199] إلى مناسككم، قال: وكانوا إذا فرغوا من حجِّهم تفاخروا بالآباء، فأنزل الله عز وجل ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: 200 ـ 201] قال: يعملون في دنياهم لآخرتهم ودنياهم، قال: ثم قرأ حتى بلغ ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة: 203] قال: وهي أيام التشريق، فذكرُ الله فيهن بتسبيح وتحميد وتهليل وتكبير وتمجيد؛ قال: ثم ذكر مَهَلَّ الناس، قال: مَهَلُّ أهل المدينة من ذي الحُلَيفة، ومَهَلُّ أهل العراق من العقيق. ومَهَلُّ أهل نجد وأهل الطائف من قَرْن، وأهل اليمن من يَلَمْلَم، قال: ثم دعا على كَفَرة أهل الكتاب فقال: اللهمَّ عذِّب كَفَرة أهل الكتاب الذين يجحدون بآياتك، ويكذِّبون رسلك، ويصدُّون عن سبيلك، اللهمَّ عذبهم، واجعل قلوبهم قلوب نساء فواجر ـ في دعاء كثير، ثم قال: إن ههنا رجالاً قد أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم، يفتون بالمتعة بأن يَقدَم الرجل من خراسان مُهِلاً بالحج، حتى إذا قدم قالوا: أحلَّ من حجك بعمرة، ثم أهلَّ بحج من ههنا، والله ما كانت المتعة إلا لمحصر. ثم ولبّى الناس، فما رأيت يوماً قط كان أكثر باكياً من يومئذٍ. قال الهيثمي (3/ 250) وفيه سعيد بن المرزبان وقد وُثِّق، وفيه كلام كثير وفيه غيره ممن لم أعرفه ـ انتهى.
وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 336) عن محمد بن عبد الله الثقفي ـ نحوه إلا أنه لم يذكر من قوله: وتكلَّم بكلام كثير ـ إلى قوله: إلا

لمحصر، وفي إسناده سعيد بن المرزبان.

أخرج ابن جرير في «تفسيره» (2/ 168) عن هشام بن عروة قال: قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه في خطبته: تَعَلَّمُنَّ أن عرفة كلها موقف إلا بطن عُرَنَةَ، تَعلَّمُنَّ أن مزدلفة كلها موقف إلا بطن مُحَسِّر.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 337) عن العباس بن سهل بن سعد الساعدي الأنصاري قال: سمعت ابن الزبير يقول في خطبته على منبر مكة: يا أيها الناس، إنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: «لو أن ابن آدم أعطي وادياً من ذهب، أحب إليه ثانياً، ولو أعطي ثانياً؛ أحبَّ إليه ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب».

وأخرج أبو داود الطيالسي (ص 195) عن عطاء بن أبي رباح قال: بينما ابن الزبير يخطبنا إذ قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام تفضل بمائة». قال عطاء: فكأنه مائة ألف، قال: قلت: يا [أبا] محمد هذا الفضل الذي يذكر في المسجد الحرام وحده أو في الحرم؟ قال: لا، بل في الحرم؛ فإن الحرم كله مسجد.

وأخرج أحمد في «مسنده» (4/ 4) عن وَهْب بن كَيْسان مولى ابن الزبير قال: سمعت عبد الله بن الزبير في يوم العيد يقول: حين صلَّى قبل الخطبة، ثم قام يخطب الناس: «يا أيها الناس، كلٌّ سُنَّة الله وسنة رسول الله ﷺ.

وأخرج أحمد (4/ 5) عن ثابت قال: سمعت ابن الزبير وهو يخطب يقول: قال محمد ﷺ: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة».

وأخرج أحمد (4/ 5) عن أبي الزبير قال: سمعت عبد الله بن الزبير يحدِّث على هذا المنبر وهو يقول: كان رسول الله ﷺ إذا سلَّم في دُبُر الصلاة أو الصلوات يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله ولا نعبد إلا إيّاه، أهلُ النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون».

وأخرج أحمد (4/ 6) عن ثُوَير قال: سمعت عبد الله بن الزبير وهو على المنبر يقول: هذا يوم عاشوراء فصوموه، فإن رسول الله ﷺ أمر بصومه.

وأخرج البخاري في «الأدب» (ص 186) عن كلثوم بن جبر قال: خطبنا ابن الزبير فقال: يا أهل مكة، بلغني عن رجال من قريش يلعبون بلعبة يقال لها النردشير ـ وكان أعسر ـ قال الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ [المائدة: 90]، وإني أحلف بالله لا أوتي برجل لعب بها إلا عاقبته في شعره وبَشَره، وأعطيت سَلَبه لمن أتاني به.

* * *

خطبات عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

أخرج الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال خطب رسول الله ﷺ خطبة خفيفة، فلما فرغ من خطبته قال: «يا أبا بكر، قم فاخطب». فقصَّر دون رسول الله ﷺ، فلما فرغ من خطبته قال: «يا عمر، قم فاخطب». فقام فقصَّر دون رسول الله ﷺ ودون أبي بكر، فلما

فرغ من خطبته قال: يا فلان، قم فاخطب فشقَّق القول، فقال له رسول الله ﷺ: «اسكت - أو: اجلس - فإن التشقيق من الشيطان وإن البيان من السحر». وقال: يا بن أم عبد قم فاخطب». فقام ابن أمِّ عبد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس، إن الله عز وجل ربنا، وإن الإسلام ديننا، وإن القرآن إمامنا، وإن البيت قبلتنا، وإن هذا نبينا - وأومأ بيده إلى النبي ﷺ - رضينا ما رضى الله تعالى لنا ورسوله، وكرهنا ما كره الله تعالى لنا ورسوله». فقال النبي ﷺ: «أصاب ابن أم عبد». قال الهيثمي (9/ 290): رجاله ثقات إلا أن عبيد الله بن عثمان بن خُثَيم لم يسمع من أبي الدرداء والله أعلم. انتهى.

وأخرجه ابن عساكر عن سعيد بن جبير عن أبي الدرداء - مثله. وفي روايته: «رضيت ما رضي الله به لي ولأمتي وابنُ أم عبد، وكرهت ما كره الله لي ولأمتي وابنُ أم عبد». قال ابن عساكر: سعيد بن جبير لم يدرك أبا الدرداء.

وعنده أيضاً عن عمرو بن حريث فذكر الحديث وفيه: فقال له رسول الله ﷺ: «تكلَّم» فحمد الله في أول كلامه، وأثنى على الله، وسلَّم على النبي ﷺ، وشهد شهادة الحق، وقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، ورضيت لكم ما رضي الله ورسوله. فقال رسول الله ﷺ: «رضيت لكم ما رضي لكم ابنُ أم عبد». كذا في «المنتخب» (5/ 237).

أخرج أحمد (1/ 421) عن أبي الأحوص الجُشَمي قال: بينما ابن مسعود يخطب ذات يوم، إذ مرّ بحيّة تمشي على الجدار، فقطع خطبته، ثم ضربها بقضيبه حتى قتلها، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قتل حيّة فكأنما قتل رجلاً مشركاً قد حلّ دمه».

وأخرج ابن سعد (3/ 63) عن أبي وائل أن عبد الله بن مسعود

رضي الله عنه سار من المدينة إلى الكوفة ثمانياً حين استخلف عثمان بن عفان، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مات ـ فلم نرَ يوماً أكثر نشيجاً من يومئذٍ ـ وإنا اجتمعنا أصحابَ محمد، فلم نألُ عن خيرنا ذي فُوق، فبايعنا أمير المؤمنين عثمان، فبايِعوه.

* * *

خطبة عتبة بن غزوان رضي الله تعالى عنه

أخرج مسلم عن خالد بن عمير (العدوي) قال: خطبنا عتبة بن غزوان رضي الله عنه ـ وكان أميراً بالبصرة ـ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: فإن الدنيا قد آذنت بصَرم، وولّت حَذَّاءَ، ولم يبق منها إلا صُبابة كصبابة الإناء يتصابّها صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم؛ فإنّه قد ذُكر لنا أن الحجر يُلقى من شفير جهنم، فيهوي فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعراً، والله لتُمْلأنَّ، أفعجبتم؟ ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتينَّ عليه يوم وهو كَظِيظ من الزحام، ولقد رأيتُني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ، ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قَرِحَت أشداقنا، فالتقطت بُرْدة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك، فاتَّزرت بنصفها واتَّزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مِصْر من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً. كذا في «الترغيب» (5/ 179).

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (3/ 261) عن خالد ـ نحوه، وزاد في آخره: وإنَّها لم تكن نبوة قط إلا تناقصت حتى يكون عاقبتها مُلكاً،

وستجرِّبون ـ أو ستبلون ـ الأمراء بعدي. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه. وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (1/ 152) عن مسلم، وقال: انفرد بإخراجه مسلم وليس لعتبة في الصحيح غيره، وهكذا ذكره النابلسي في «ذخائر المواريث» (2/ 229) وعَزَاه إلى مسلم، وابنُ ماجة في «الزهد» (4156)، والترمذي في صفة جهنَّم (2575). وأخرجه أحمد في مسنده (4/ 174) عن خالد نحوه بزيادة زادها الحاكم. وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 171) بمعناه وأخرجه ابن سعد (7/ 6) عن مصعب بن محمد بن شرحبيل بطوله مع زيادة الحاكم، وزاد في أوله: وكان عتبة خطب الناس، وهي أول خطبة خطبها بالبصرة، فقال: الحمد لله أحمده، وأستعينه، وأومن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إِلٰه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد أيها الناس، فإن الدنيا ـ فذكر نحوه.

* * *

خطبات حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه

أخرج أبو نُعيم في الحلية (1/ 281) عن أبي عبد الرحمٰن السُّلَمي قال: انطلقت إلى الجمعة مع أبي بالمدائن، وبيننا وبينها فرسخ، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه على المدائن، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝﴾ [القمر: 1]، ألاَ وإنَّ القمر قد انشق، ألاَ وإنَّ الدنيا قد آذنت بفراق، ألاَ وإن اليوم المضمار وغداً السباق، فقلت لأبي: ما يعني بالسباق؟ فقال: من سَبَق إلى الجنة. وأخرجه ابن جرير عن أبي عبد الرحمٰن السُّلَمي ـ بنحوه وزاد في أوله: ألاَ إنَّ الله يقول: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝﴾، ألاَ وإن الساعة قد

اقتربت. وفي آخره: فقلت لأبي: أيستبق الناس غداً؟ فقال: يا بني إنك لجاهل، إنما هو السباق بالأعمال، ثم جاءت الجمعة الأخرى فحضرنا، فخطب حذيفة فقال: ألاَ إنّ الله عز وجل يقول: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألاَ وإنّ اليوم المضمار وغداً السباق، إلاَ وإنَّ الغاية النار والسباق من سبق إلى الجنة. كما في «التفسير» لابن كثير (4/ 261)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (4/ 609) عن أبي عبد الرحمٰن ـ نحوه، وقال: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه وقال الذهبي: صحيح.

وعند أبي نُعيم أيضاً في «الحلية» (1/ 281) عن كُردُوس قال: خطب حذيفة بالمدائن، فقال: أيها الناس، تعاهدوا ضرائب غلمانكم، فإن كانت من حلال فكلوها، وإن كانت من غير ذلك فارفضوها، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّه ليس لحم ينبت من سُحْت فيدخلَ الجنة».

وعند عبد الرزاق (7073) عن أبي داود الأحمدي كما في «الكنز» (1/ 218) قال: خطبنا حذيفة بالمدائن، فقال: أيها الناس، تفقَّدوا أرقاءكم واعلموا من أين يأتونكم بضرائبهم، فإنَّ لحماً نبت من سحت لن يدخل الجنة أبداً، واعلموا أن بائع الخمر ومبتاعه ومقتنيه كآكله.

* * *

خطبة أبي موسى الأشعري
رضي الله تعالى عنه

أخرج ابن سعد (4/ 110) عن قَسَامة بن زهير أن أبا موسى رضي

الله عنه خطب الناس بالبصرة فقال: أيها الناس، ابكو فإن لم تبكوا فتباكَوا، فإنَّ أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع، ثم يبكون الدماء حتى لو أجري فيها السفن لسارت. وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 261) عن قَسَامة نحوه وأحمد في مسنده عنه نحوه.

* * *

خطبة ابنِ عباس رضي الله تعالى عنهما

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 324) عن شقيق، قال: خطبنا ابن عباس رضي الله عنهما وهو على الموسم، فافتتح سورة البقرة، فجعل يقرأ ويفسِّر، فجعلت أقول: ما رأيتُ ولا سمعتُ كلام رجل مثله، لو سمِعَتْهُ فارس والروم لأسلمت.

* * *

خطبة أبي هريرة رضي الله تعالى عنه

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 383) عن أبي يزيد المديني، قال: قام أبو هريرة رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ بالمدينة دون مقام رسول الله ﷺ بعَتَبة، فقال: الحمد لله الذي هدى أبا هريرة للإسلام، الحمد لله الذي علّم أبا هريرة القرآن، الحمد لله الذي منَّ على أبي هريرة بمحمد ﷺ، الحمد لله الذي أطعمني الخمير وألبسني الحرير، الحمد لله الذي زوَّجني بنت غَزْوان بعدما كنت أجيراً لها بطعام بطني، فأرحلتني فأرحلتها كما أرحلتني، ثم قال: ويل للعرب من شر قد اقترب، ويل لهم

من إمارة الصبيان، يحكمون فيهم بالهوى ويقتلون بالغضب، أبشروا يا بني فَرّوخ! والذي نفسي بيده لو أن الدين معلَّق بالثريا لناله منكم أقوام.

وأخرج الحاكم (4/ 433) عن أبي حبيبة أنه دخل الدار وعثمان رضي الله عنه محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان في الكلام فأذن له، فقام فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستلقَون بعدي فتنة واختلافاً ـ أو قال: اختلافاً وفتنة» ـ فقال له قائل: يا رسول الله بمَ تأمرنا؟ قال: «عليكم بالأمير وأصحابه» وهو يشير بذلك إلى عثمان رضي الله عنه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: صحيح.

* * *

خطبة عبد اللَّه بن سَلام رضي الله تعالى عنه

أخرج الطبراني عن عبد الملك بن عمير أن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سَلاَم رضي الله عنه، استأذن على الحجَّاج بن يوسف، فأذن له، فدخل وسلَّم، وأمر رجلين مما يلي السرير أن يوسِّعا له، فأوسعا له فجلس، فقال له الحجاج: لله أبوك أتعلم حديثاً حدّثه أبوك عبد الملك بن مروان عن جدك عبد الله بن سَلاَم؟ قال: فأيُّ حديث ـ رحمك الله ـ فربَّ حديث، قال: حديث المصريين حين حصروا عثمان. قال: قد علمتُ ذلك الحديث، أقبل عبد الله بن سلام وعثمان محصور، فانطلق فدخل عليه، فوسَّعوا له حتى دخل، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال: وعليك السلام، ما جاء بك يا عبد الله بن سلام؟ قال: جئت لأثبت حتى استشهد أو يفتح الله لك، ولا أرى هؤلاء القوم إلا قاتلوك، فإن يقتلوك فذاك خير لك وشر لهم. فقال عثمان: أسألك بالذي

لي عليك من الحق لما خرجت إليهم، خيرٌ يسوقه الله بك وشرٌّ يدفعه بك الله فسمع وأطاع فخرج عليهم، فلما رأوه اجتمعوا وظنُّوا أنه قد جاءهم ببعض ما يسرون به، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد: فإن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً، يبشِّر بالجنة من أطاعه وينذر بالنار من عصاه، وأظهر من اتَّبعه على الدين كلِّه ولو كره المشركون، ثم اختار له المساكن، فاختار له المدينة فجعلها دار الهجرة وجعلها دار الإيمان، فوالله ما زالت الملائكة حافِّين بالمدينة مذ قدمها رسول الله ﷺ إلى اليوم، وما زال سيف الله مغموداً عنكم مذ قدمها رسول الله ﷺ إلى اليوم، ثم قال: إنَّ الله بعث محمداً ﷺ بالحق، فمن اهتدى فإنما يهتدي بهُدَى الله، ومن ضلَّ فإنما يضلُّ بعد البيان والحجة، وإنه لم يُقتل نبي فيما مضى إلا قُتل به سبعون ألف مقاتل كلهم يُقتل به، ولا قُتل خليفة قط إلا قُتل به خمسة وثلاثون ألف مقاتل كلهم يُقتل به، فلا تعجِّلوا على هذا الشيخ بقتل؛ فوالله لا يقتل رجل منكم إلا لقي الله يوم القيامة ويده مقطوعة مشلولة، واعلموا أنه ليس لوالد على ولد حقٌّ إلا ولهذا الشيخ عليكم مثله. قال: فقاموا فقالوا: كذبت اليهود كذبت اليهود، فقال: كذبتم والله، وأنتم آثمون، ما أنا بيهودي وإني لأحد المسلمين، يعلم الله بذلك ورسوله والمؤمنون، وقد أنزل الله فيَّ القرآن ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: 43] وقد أنزل الآية الأخرى ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: 10] - فذكر الحديث في شهادة عثمان. قال الهيثمي (9/ 93): رجاله ثقات.

* * *

خطبة الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما

أخرج الطبراني (3/ 2842) عن محمد بن الحسن قال: لما نزل عمر بن سعد بالحسين، وأيقن أنهم قاتلوه، قام في أصحابه خطيباً، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه، ثم قال: قد نزل ما ترون من الأمر، وإنَّ الدنيا تغيَّرت وتنكَّرت، وأدبر معروفها وانشمر، حتى لم يبقَ منها إلا صُبَابة الإناء، إلا خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحق لا يُعمل به، والباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإني أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا بَرَماً. قال الهيثمي (9/ 193): محمد بن الحسن هذا هو ابن زَبَالة متروك ولم يدرك القصّة. انتهى.

قلت: وذكر ابن جرير في «تاريخه» (4/ 305) هذه الخطبة عن عقبة بن أبي العَيْزار، قال: قام حسين عليه السلام بذي حُسُم، فحمد الله وأثنى عليه - فذكره نحوه. وذكر أيضاً عن عقبة بن أبي العَيْزار أن الحسين خطب أصحابه - وأصحاب الحُرّ بالبِيضَة - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنَّ رسول الله ﷺ قال: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيِّر عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يدخله مُدْخَله. ألاَ وإنَّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمٰن، وأظهروا الفساد، وعطَّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلُّوا حرام الله، وحرَّموا حلاله، وأنا أحق من غيَّر، وقد أتتني كتبكم، وقدمتْ عليَّ رُسُلكم ببيعتكم؛ أنكم لا تُسلموني ولا تخذلوني، فإن أَتْمَمْتم عليَّ بيعتكم تصيبوا رشدَكم، فأنا الحسين بن علي، وابن فاطمةَ بنت رسول الله ﷺ، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيَّ أُسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعتم بَيْعتي من أعناقكم،

فَلَعمْري ما هي لكم بنُكْر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي، والمغرور من اغترَّ بكم، فحظَّكم أخطأتم، ونصيبَكم ضيَّعتم، ومن نكث فإنما ينكُث على نفسه، وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

خطبة يزيد بن شجرة رضي الله تعالى عنه

أخرج الطبراني عن مجاهد عن يزيد بن شَجَرة رضي الله عنه ـ وكان يزيد بن شجرة ممَّن يصدِّق قولُه وفعلُه ـ قال: خطبنا فقال: يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم، ما أحسن نعمة الله عليكم، نرى مَنْ بين أحمر وأخضر وأصفر، وفي الرحال ما فيها. وكان يقول: إذا صفَّ الناس للصلاة وصفُّوا للقتال، فتحت أبواب السماء وأبواب الجنة، وأبواب النار، وزيِّن الحور العِين واطَّلعن، فإذا أقبل الرجل قلنَ: اللهمَّ انصره، وإذا أدبر احتجبن منه وقلن: اللهمَّ اغفر له، فانْهكُوا وجوه القوم ـ فدى لكم أبي وأمي ـ ولا تُخزوا الحور العِين، فإنَّ أول قطرة تنضح تكفِّر عنه كل شيء عمله، وتنزل إليه زوجتان من الحور، تمسحان وجهه وتقولان: قد أنَى لك، ويقول: قد أنَى لكما، ثم يكسى مائة حلّة، ليس من نسج بني آدم، ولكن من نبت الجنة، ولو وضعنَ بين أصبعين لوسعنه، وكان يقول: نُبئت أنَّ السيوف مفاتيح الجنة. قال الهيثمي (5/ 294) رواه الطبراني من طريقين رجال أحدهما رجال الصحيح انتهى.

وأخرجه الحاكم (3/ 294) عن مجاهد عن يزيد بن شجرة الرَّهَاوي وكان من أمراء الشام، وكان معاوية يستعمله على الجيوش، فخطبنا ذات يوم فقال: أيها الناس، اذكروا نعمة الله عليكم، لو ترون ما أرى من

أسود وأحمر وأخضر وأبيض!! وفي الرحال ما فيها، إنها إذا أقيمت الصلاة، فتحت أبواب السماء، وأبواب الجنة، وأبواب النار، وزيّن الحور ويطّلعن، فإذا أقبل أحدهم بوجهه إلى القتال، قلن: اللهمَّ ثبِّته، اللهمَّ انصره، وإذا ولَّى احتجبن منه، وقلن: اللهمَّ اغفر له، اللهمَّ ارحمه، فانْهَكُوا وجوه القوم - فداكم أبي وأمي - فإن أحدكم إذا أقبل، كانت أول نفحة من دمه تحطُّ عنه خطاياه كما تُحط ورق الشجرة، وتنزل إليه ثنتان من الحور العين، فتمسحان الغبار عن وجهه فيقول لهما: أنا لكما، وتقولان: لا، بل إنَّا لك، ويُكسى مائة حلّة، لو حلَّقت بين أصبعي هاتين - يعني السبابة والوسطى - لوسعتاه ليس من نسج بني آدم، ولكن من ثياب الجنة، إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم، وسيمائكم، وحلاكم، ونجواكم، ومجالسكم، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان: هذا نورك، ويا فلان: لا نور لك، وإن لجهنَّم ساحلاً كساحل البحر، فيه هوامٌّ وحيات كالنخل، وعقارب كالبغال، فإذا استغاث أهل جهنم أن يخفف عنهم قيل: اخرجوا إلى الساحل، فيخرجون فيأخذ الهوامّ بشفاههم ووجوههم وما شاء الله، فيكشفهم، فيستغيثون فراراً منها إلى النار، ويُسلَّط عليهم الجرب، فيحك واحدهم جلده حتى يبدو العظم، فيقول أحدهم: يا فلان، هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم، فيقول: ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين. وأخرجه أيضاً ابن المبارك في «الزهد» وابن منده والبيهقي من طريق مجاهد موقوفاً مطوَّلاً؛ كما في «الإصابة» (3/ 658).

* * *

خطبة عمير بن سعد رضي الله عنه

أخرج ابن سعد (4/ 375) عن سعيد بن سويد عن عمير بن سعيد

رضي الله عنه أنه كان يقول على المنبر ـ وهو أمير على حمص، وهو من أصحاب النبي ﷺ: ألاَ إنَّ الإسلام حائط منيع، وباب وثيق، فحائط الإسلام العدل، وبابه الحق، فإذا نُقض الحائط، وحُطِم الباب استُفْتِح الإسلام، فلا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان، وليس شدة السلطان قتلاً بالسيف، ولا ضرباً بالسوط، ولكن قضاءً بالحق، وأخذاً بالعدل.

* * *

خطبة سعد بن عبيد القاري والد عمير رضي الله عنهما

أخرج ابن سعد (3/ 458) عن سعد بن عبيد أنه خطبهم فقال: إنا لاقو العدو غداً، وإنا مستشهدون غداً، فلا تغسلوا عنا دماً، ولا نكفن إلا في ثوب كان علينا.

* * *

خطبة معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن سَلَمة بن سَبْرة قال: خطبنا معاذ رضي الله عنه بالشام، فقال: أنتم المؤمنون، وأنتم أهل الجنة، والله إني لأرجو أن يدخل الله تعالى من تَسْبون من فارس والروم الجنة، ذلك بأن أحدكم إذا عمل له ـ يعني أحدهم ـ عملاً قال: أحسنت، رحمك الله، أحسنت، بارك الله فيك، ثم قرأ ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الشورى: 26]. كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 115).

* * *

خطبة أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه

أخرج ابن عساكر عن حَوْشَب الفَزَاري أنه سمع أبا الدرداء رضي الله عنه على المنبر يخطب ويقول: إني لخائف يوم يناديني ربي عز وجل فيقول: يا عُويمر، فأقول: لبيك، فيقول: كيف عملت فيما علمت؟ فتأتي كل آية في كتاب الله زاجرة وآمرة فتسألني فريضتَها، فتشهد عليَّ الآمرة أني لم أفعل، وتشهد عليَّ الزاجرة أني لم أنته أفأترُك؟. كذا في «الكنز» (7/ 78).

* * *

الباب السابع عشر

مواعظ الصحابة

كيف كان النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يعظون ويتّعظون في السفر والحضر؟ وكيف كانوا يصرفون النظر عن ظواهر الدنيا ولذاتها إلى نعيم الآخرة وآلائها، ويُحَذّرون الله تحذيراً تذرف به العيون وتَوْجل به القلوب؟ كأن الآخرة تجلّت بين أيديهم، وأحوال المحشر تبدّت بأعينهم، وكيف كانوا يأخذون بأيدي الأمة المحمّدية بعظاتهم، يوجهون وجوهها إلى فاطر السماوات والأرض، ويقتلعون بها شرايين الشرك الجليّ والخفيّ؟

مواعظ النبي ﷺ

أخرج ابن حبان في «صحيحه» ـ واللفظ له، والحاكم ـ وصحَّحه ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: «كانت أمثالاً كلها: أيها الملك المسلَّط المبتَلى المغرورُ، إنِّي لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض؛ ولكني بعثتك لتردَّ عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها وإن كانت من كافر. وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات: فساعة يناجي فيها ربَّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكَّر فيها في صنع الله عز وجل، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب. وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا لثلاث: تزوُّد لمعادٍ، أو مَرَمَّةٍ لمعاش، أو لذة في غير محرَّم. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن حَسَب كلامه من عمله قلَّ كلامه إلاَّ فيما يعنيه».

قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال: «كانت عبراً كلّها: عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصَب، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلُّبها بأهلها ثم اطمأن إليها، عجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل». قلت: يا رسول الله، أوصني، قال: «أوصيك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كلِّه». قلت: يا رسول الله، زدني، قال: «عليك بتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل، فإنه نور لك في الأرض

وذُخْر لك في السماء». قلت: يا رسول الله، زِدْني، قال: «إياك وكثرة الضحك فإنه يميت القلب، ويذهب بنور الوجه». قلت: يا رسول الله، زِدْني. قال: «عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي». قلت: يا رسول الله، زِدْني. قال: «عليك بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان، وعون لك على أمر دينك». قلت: يا رسول الله زِدْني. قال: أحبَّ المساكين وجالسهم». قلت: يا رسول الله، زِدْني. قال: «انظر إلى من هو تحتك، ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك». قلت: يا رسول الله، زِدْني. قال: «قل الحقَّ وإن كان مرّاً». قلت: يا رسول الله، زِدْني. قال: «ليردّك عن الناس ما تعلمه من نفسك، ولا تجدْ عليهم فيما تأتي، وكفى بك عيباً أن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك، وتجدَ عَليهم فيما تأتي». ثم ضرب بيده على صدري فقال: «يا أبا ذر، لا عقل كالتدبير، ولا وَرَع كالكفّ، ولا حَسَب كحسن الخُلُق». قال المنذري في «الترغيب» (3/ 473): انفرد به إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسَّاني عن أبيه، وهو حديث طويل في أوله ذكر الأنبياء عليهم السلام، ذكرت منه هذه القطعة لما فيها من الحِكَم العظيمة والمواعظ الجسيمة ـ انتهى. وقد أخرج الحديث بتمامه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 166) من طريق إبراهيم بن هشام. وأخرجه أيضاً بتمامه الحسن بن سفيان وابن عساكر، كما «الكنز» (8/ 201).

أخرج الرامهرمزي في «الأمثال» عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه: «أتدرون ما مَثَلُ أحدكم ومثل أهله وماله وعمله»؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال: «إنَّما مَثَلُ أحدكم ومثل ماله وأهله وولده وعمله، كمثل رجل له ثلاثة إخوة، فلما حضرتْه الوفاةُ دعا بعض إخوته، فقال: إنه قد نزل بي من الأمر ما ترى فما لي عندك

وما لي لديك؟ فقال: لك عندي أن أُمرِّضك ولا أن أملّك وأن أقوم بشأنك، فإذا متَّ غسلتُك وكفنتُك وحملتُك مع الحاملين، أحملك طوراً وأميط عنك طوراً، فإذا رجعتُ أثنيت عليك بخير عند من يسألني عنك. هذا أخوه الذي هو أهله فما ترونه»؟ قالوا: لا نسمع طائلاً يا رسول الله. «ثم يقول لأخيه الآخر: أترى ما قد نزل بي فما لي لديك وما لي عندك؟ فيقول: ليس لك عندي غَناء إلا وأنت في الأحياء، فإذا متَّ ذُهب بك في مذهب وذُهب بي في مذهب، هذا أخوه الذي هو ماله كيف ترونه»؟، قالوا: لا نسمع طائلاً يا رسول الله. «ثم يقول لأخيه الآخر: أترى ما قد نزل بي وما ردّ عليَّ أهلي ومالي فما لي عندك وما لي لديك؟ فيقول: أنا صاحبك في لحدك، وأنيسك في وحشتك، وأقعد يوم الوزن في ميزانك؛ فأثقل ميزانك. هذا أخوه الذي هو عمله كيف ترونه»؟ قالوا: خير أخ وخير صاحب يا رسول الله. قال: «فإن الأمر هكذا». قالت: عائشة: فقام إليه عبد الله بن كُرْز فقال: يا رسول الله، أتأذن لي أن أقول على هذا أبياتاً؟ فقال: «نعم» فذهب فما بات إلا ليلة حتى عاد إلى رسول الله ﷺ فوقف بين يديه واجتمع الناس وأنشأ يقول:

فإنّي وأهلي والذي قدَّمتْ يدي

كداعٍ إليهِ صحْبَه ثُمَّ قائلِ

لإخوتِه إذ هم ثلاثةُ أخوةٍ:

أعينوا على أمرٍ بِيَ اليوم نازلِ

فراقٌ طويلٌ غير مُتَّشِقٍ به

فمَاذا لديكم في الذي هو غائِلي

فقال امرؤٌ منهم: أنا الصاحبُ الذي

أُطيعُكَ فيما شئتَ قبل التزايلِ

فأما إذا جدّ الفِراقُ، فإنني
لما بيننا من خُلّةٍ غيرُ واصِلِ!
فخُذْ ما أردتَ الآن منّي فإنني
سيُسلك بي في مَهْيَلٍ من مهايلِ
فإنْ تبقني لا تبقِ فاستنفِدنّني
وعجِّل صلاحاً قبل حتْفٍ مُعاجلِ
وقال امرؤٌ: قد كنتُ جداً أحبُّهُ
وأوثِره من بينهم في التفاضِلِ
غَنائيَ أني جاهد لك ناصحٌ
إذا جدّ جِدّ الكرب غيرُ مقاتلِ
ولكنني باكٍ عليكَ ومُعْوِلٌ
ومُثْنٍ بخيرٍ عند مَنْ هو سائلي
ومتبعِ الماشين أمشي مشيِّعاً
أُعينُ برفقٍ عقبةً كل حاملِ
إلى بيتِ مثواكَ الذي أنت مُدخَلٌ
أُرجِّع مقروناً بما هو شاغلي
كأنْ لم يكن بيني وبينكَ خلةٌ
ولا حسن ودٌّ مرّة في التباذلِ
فذلك أهل المرء ذاك غَناؤهم
وليس وإنْ كانوا حِراصاً بطائل
وقال امرؤ منهم: أنا الأخُ لا ترى
أخاً لك مِثْلي عند كربِ الزلازلَ

لدى القبرِ تلقاني هنالك قاعداً
أجادلُ عنكَ القولَ رَجْعَ التجادلَ
وأقعدُ يوم الوزن في الكِفَّة التي
تكونُ عليها جاهداً في التثاقلِ
فلا تنسني واعلم مكاني فإنني
عليك شفيقٌ ناصحٌ غيرُ خاذلِ
فذلك ما قدَّمتَ من كل صالحٍ
تلاقيهِ إنْ أحسنْتَ يوم التواصلِ

فبكى رسول الله ﷺ وبكى المسلمون من قوله، وكان عبد الله بن كُرْز لا يمر بطائفة من المسلمين إلا دَعَوْه واستنشدوه، فإذا أنشدهم بكَوا. كذا في «الكنز» (8/ 124). وأخرجه أيضاً جعفر الفِرِيابي في كتاب «الكُنى» له، وابن أبي عاصم في «الوحدان»، وابن شاهين، وابن مَنْده في «الصحابة»، وابن أبي الدنيا في «الكفالة»، كلهم من طريق محمد بن عبد العزيز الزهري عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها نحوه، كما في «الإصابة» (2/ 362).

* * *

مواعظ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

أخرج الدينوري عن عمر رضي الله عنه أنه وعظ رجلاً فقال: لا تُلهك الناسُ عن نفسك؛ فإن الأمر يصير إليك دونهم، ولا تقطع النهار سارياً، فإنَّه محفوظ عليك ما عملت، وإذا أسأت فأحسن، فإني لا أرى شيئاً أشد طلباً ولا أسرع دَرْكة من حسنة حديثة لذنب قديم. كذا في «الكنز» (8/ 208).

وأخرج البيهقي عن عمر رضي الله عنه قال: اعتزل ما يؤذيك، وعليك بالخليل الصالح وقلَّ ما تجده، وشاور في أمرك الذين يخافون الله. كذا في «الكنز» (8/ 208).

أخرج الخطيب، وابن عساكر، وابن النجار، عن سعيد بن المسيَّب قال: وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس ثمانيَ عشرة كلمة، حِكَمٌ كلُّها. قال: ما عاقبتَ من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك منه ما يغلبك، ولا تظننَّ بكلمة خرجت من مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً، ومن عرَّض نفسه للتهم فلا يلومنَّ من أساء به الظن، ومن كتم سره كانت الخِيَرَة في يده، وعليك بإخوان الصدق تَعِشْ في أكنافهم؛ فإنهم زينة في الرخاء، وعدّة في البلاء، وعليك بالصدق وإن قتلك، ولا تعرض فيما لا يَعني، ولا تسأل عمّا لم يكن؛ فإن فيما كان شغلاً عما لم يكن، ولا تطلبنَّ حاجتك

إلى من لا يحب نجاحها لك، ولا تَهَاونْ بالحَلِف الكاذب فيهلكَكَ الله، ولا تصحب الفجّار لتتعلم من فجورهم، واعتزل عدوّك، واحذر صديقك إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله، وتخشَّع عند القبور، وذلَّ عند الطاعة، واستعصم عند المعصية، واستشر في أمرك الذين يخشَون الله فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28] كما في «الكنز» (8/ 235).

وعند أبي نعيم في «الحلية» (1/ 55) عن محمد بن شهاب قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تعترض فيما لا يعنيك، واعتزل عدوَّك، واحتفظ من خليلك إلا الأمين، فإن الأمين من القوم لا يعادله شيء، ولا تصحب الفاجر؛ فيعلّمك من فجوره، ولا تُفْشِ إليه سرك، واستشر في أمرك الذين يخشَون الله عزّ وجلّ.

أخرج ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا والخرائطي والبيهقي وابن عساكر عن سَمُرة بن جندب قال: قال عمر رضي الله عنه: الرجال ثلاثة والنساء ثلاث: فأما النساء، فإمرأة عفيفة مسلمة لينة ودود ولود، تعين أهلها على الدهر ولا تعين الدهر على أهلها، وقليلاً ما تجدها. وامرأة وِعاء لا تزيد على أن تلد الأولاد. والثالثة غُلٌّ قَمِلٌ يجعلها الله في عنق من يشاء، فإذا شاء أن ينزعه نزعه. والرجال ثلاثة: رجل عفيف هينٌ لينٌ ذو رأي ومشورة، فإذا نزل به أمر ائتمر رأيه وصدر الأمور مصادرها. ورجل لا رأي له، إذا نزل به أمر أتى ذا الرأي والمشورة فنزل عند رأيه. ورجل حائر بائر لا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشداً. كذا في «الكنز» (8/ 235).

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن الأحنف بن قيس قال: قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أحنف، من كثر ضحكه قلّت هيبته،

ومن مزح استُخفَّ به، ومن كثر كلامه كثر سَقَطه، ومن كثر سَقَطه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه. قال الهيثمي (10/ 302): وفيه دويد بن مجاشع ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. اهـ. وأخرجه ابن أبي الدنيا والعسكري والبيهقي وغيرهم عن عمر رضي الله عنه قال: من كثر ضحكه قلّت هيبته، ومن كثر مزاحه استُخفَّ به، ومن أكثر من شيء عُرف به. ومن كثر كلامه - فذكر مثله، كما في «الكنز» (8/ 235).

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 55) عن عمر رضي الله عنه قال: إنَّ لله عباداً يميتون الباطل بهجره، ويُحيون الحقَّ بذكره، رُغِّبوا فرغبوا، ورُهِّبوا فرهبوا، خافوا فلا يأمنون، أبصروا من اليقين ما لم يعاينوا؛ فخلطوه بما لم يزايلوه، أخلصهم الخوف؛ فكانوا يهرجون ما ينقطع عنهم لما يبقى لهم، الحياة عليهم نعمة والموت لهم كرامة، فزُوِّجوا الحور العين وأُخدموا الولدان المخلَّدين.

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 51) عن عمر رضي الله عنه قال: كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم، وسلوا الله رزق يوم بيوم. وأخرج أيضاً عنه قال: جالسوا التوّابين فإنهم أرق شيء أفئدة.

وأخرج ابن أبي الدنيا والديَنَوري في «المجالسة» والحاكم في «الكُنَى»عن عمر رضي الله عنه قال: من خاف الله لم يَشْفِ غيظه، ومن يتَّقِ الله لم يصنع ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غيرَ ما ترون. كذا في «الكنز» (8/ 235).

وأخرج الخرائطي وغيره عن عمر رضي الله عنه قال: من ينصف الناس من نفسه يُعطى الظفر في أمره. والتذلُّل في الطاعة أقرب إلى البر من التعزّز بالمعصية. كذا في «الكنز» (8/ 235).

وأخرج ابن أبي شيبة والعسكري وابن جرير والدارقطني وابن عساكر عن مالك، أنه بلغه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كرم المرء تقواه، ودينه حسبه، ومروءته (خلقه)، والجرأة والجبن غرائز في الرجال، فيقاتل الرجل الشجاع عمن يعرف ومن لا يعرف، ويفر الجبان عن أبيه وأمه، والحسب المال، والكرم التقوى، لست بأخيرَ من فارسي ولا عجمي ولا نَبَطي إلا بالتقوى. كذا في «الكنز» (8/ 235).

وأخرج ابن أبي الدنيا والديَنَوري عن سفيان الثوري قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: أنَّ الحكمة ليست عن كِبَر السن ولكنه عطاء الله يعطيه من يشاء، فإياك ودناءة الأمور ومَذَامَّ الأخلاق. كذا في «الكنز» (8/ 235).

وأخرج ابن أبي الدنيا وأبو بكر الصَّوْلي وابن عساكر عن عمر رضي الله عنه، أنه كتب إلى ابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله، فإنَّه من اتَّقى الله وقاه، ومن توكَّل عليه كفاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، ولتكن التقوى نصب عينيك، وعماد عملك، وجِلاء قلبك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لم لا حِسْبة له، ولا مال لمن لا رفق له، ولا جديد لمن لا خَلَق له. كذا في «الكنز» (8/ 207).

وأخرج البيهقي في «الزهد» وابن عساكر عن جعفر بن الزبرقان قال: بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى بعض عماله، فكان في آخر كتابه: أن حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدّة، فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدّة، عاد مرجعه إلى الرضاء والغبطة، ومن ألهته حياته وشغلته سيئاته عاد مرجعه إلى الندامة

والحسرة، فتذكر ما توعظ به لكي تنتهي عما تنهى عنه. كذا في «الكنز» (8/ 208).

وأخرج أبو الحسن بن رزقويه في جزئه عن عمر رضي الله عنه أنه كتب إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: أما بعد، فالزم الحق يبين لك الحق منازل أهل الحق، ولا تقضِ إلا بالحق، والسلام. كذا في «الكنز» (8/ 208).

* * *

مواعظ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عمر لعلي رضي الله عنهما: عظني يا أبا الحسن. قال: لا تجعل يقينك شكاً، ولا علمك جهلاً، ولا ظنَّك حقاً. واعلم أنَّه ليس لك من الدنيا إلا ما أعطيتَ فأمضيت، وقسمت فسوَّيت، ولبست فأبليت. قال: صدقت يا أبا الحسن. كذا في «الكنز» (8/ 221).

وأخرج البيهقي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لعمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، إن سرك أن تلحق بصاحبيك فأقصر الأمل، وكُلْ دون الشبع، وأقصر الإزار، وارقع القميص، واخصِف النعل؛ تلحق بهما. كذا في «الكنز» (8/ 219).

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 75) عن علي رضي الله عنه قال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنباً فهو تدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقلّ عمل في تقوى وكيف يقل ما يتقبل؟! وأخرجه ابن عساكر في «أماليه» عن علي رضي الله عنه نحوه. كما في «الكنز» (8/ 221).

أخرج ابن عساكر عن عقبة بن أبي الصهباء قال: لما ضرب ابن

مُلْجَم عليّاً رضي الله عنه، دخل عليه الحسن رضي الله عنه وهو باكٍ، فقال له: ما يبكيك يا بني؟ قال: وما لي لا أبكي وأنت في أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا! فقال: يا بنيّ، احفظ أربعاً وأربعاً، لا يضرك ما عملت معهن، قال: وما هن يا أبت؟ قال: إنَّ أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العُجْب، وأكرم الكرم حسن الخلق؛ قال: قلت: يا أبت، هذه الأربع فأعلمني الأربع الأخرى، قال: إياك ومصادقة الأحمق؛ فإنه يريد أن ينفعك فيضرّك، وإياك ومصادقة الكذاب؛ فإنه يقرِّب عليك البعيد ويبعِّد عليك القريب، وإياك ومصادقة البخيل؛ فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر، فإنه يبيعك بالتافه. كذا في «الكنز» (8/ 236).

وعند البيهقي وابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال: التوفيق خير قائد، وحسن الخلق خير قرين، والعقل خير صاحب، والأدب خير ميراث، ولا وحشة أشد من العُجْب. كذا في «الكنز» (8/ 236).

وأخرج ابن السمعاني في «الدلائل» عن علي رضي الله عنه قال: لا تنظر إلى من قال، وانظر إلى ما قال. وعنده أيضاً عنه قال: كلُّ إخاء منقطع إلا إخاء كان على غير الطمع. كذا في «الكنز» (8/ 236).

* * *

مواعظ أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 102) عن نِمران بن مخمر أبي الحسن عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، أنه كان يسير في العسكر فيقول: ألاَ ربَّ مبيّض لثيابه مدنّس لدينه، ألاَ ربَّ مكرم لنفسه وهو لها مهين، ادرأوا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات، فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تقهرهن.

أخرج ابن عساكر عن سعيد بن أبي سعيد المقبُري رضي الله عنه قال: لمَّا طُعن أبو عبيدة بن الجراح بالأردن - وبها قبره - دعا من حضره من المسلمين فقال: إني موصيكم بوصية إن قبلتموها لم تزالوا بخير: أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة وصوموا شهر رمضان، وتصدّقوا، وحجُّوا واعتمروا، وتواصَوْا، وانصحوا لأمرائكم ولا تَغَشُّوهم، ولا تهلككم الدنيا، فإنّ امرأ لو عُمِّر ألف حَوْل ما كان له بُدٌّ من أن يصير إلى مصرعي هذا الذي ترون، إنَّ الله كتب الموت على بني آدم فهم ميتون، وأكيسهم أطوعهم لربه، وأعملهم ليوم معاده، والسلام عليكم ورحمة الله. يا معاذُ بنَ جبل صلِّ بالناس. ومات. فقام معاذ في الناس، فقال: يا أيها الناس، توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحاً؛ فإن عبداً لا يلقى الله تائباً من ذنبه إلا كان حقاً على الله أن يغفر له إلا من كان عليه دَيْن؛

فإن العبد مُرْتَهنٌ بدَيْنه، ومن أصبح منكم مهاجراً أخاه فَلْيَلْقَه فليصافحه، ولا ينبغي لمسلم أن يهجر أخاه أكثر من ثلاث فهو الذنب العظيم. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 74).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 102) عن أبي عبيدة رضي الله عنه قال: مثل قلب المؤمن مثل العصفور يتقلَّب كل يوم كذا وكذا مرة.

* * *

مواعظ معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 234) عن محمد بن سيرين قال: أتى رجل معاذ بن جبل رضي الله عنه ـ ومعه أصحابه يسلِّمون عليه ويودِّعونه ـ فقال: إني موصيك بأمرين إن حفظتهما حُفظت: إنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر، فآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا حتى تنتظمه لك انتظاماً فتزول به معك أينما زُلت.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 236) عن عمرو بن ميمون الأَوْدي قال: قام فينا معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال: يا بني أَوْد، إني رسولُ رسولِ الله ﷺ، تَعَلَّمُنَّ أن المعاد إلى الله تعالى ثم إلى الجنة أو إلى النار، إقامة لا ظَعَن، وخلود في أجساد لا تموت.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 234) عن معاوية بن قُرَّة قال: قال معاذ بن جبل رضي الله عنه لابنه: يا بني، إذا صلَّيت صلاة فصلِّ صلاة مودع، لا تظن أنك تعود إليها أبداً، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين: حسنة قدَّمها، وحسنة أخَّرها.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 233) عن عبد الله بن سلمة قال: قال رجل لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: علمني، قال: وهل أنت مطيعي؟ قال: إني على طاعتك لحريص، قال: صُمْ وأفطر، وصَلِّ ونَمْ، واكتسب ولا تأثم، ولا تموتنَّ إلا وأنت مسلم، وإياك ودعوة المظلوم.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 237) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت: الضحك من غير عجب، والنوم من غير سهر، والأكل من غير جوع.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 236) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ابتليتم بفتنة الضرّاء فصبرتم، وستُبتلون بفتنة السرّاء، وأخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء، إذا تسوَّرن الذهب والفضة، ولبسن رِياط الشام وعَصْب اليمن، فأتعبنَ الغنيَّ، وكلفنَ الفقير ما لا يجد.

* * *

مواعظ عبد اللّه بن مسعود رضي الله تعالى عنه

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 130) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إني لأمقت الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة. وأخرجه عبد الرزاق عنه نحوه، كما في «الكنز» (8/ 232).

وعند أبي نُعيم عنه قال: لا أُلفينَّ أحدكم جيفة ليل، قُطْرُب نهار.

وعنده أيضاً (1/ 130) عن ابن عُيينة أنه قال: **القُطْرُب** الذي يجلس ههنا ساعة وههنا ساعة.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 131) عن عبد الله رضي الله عنه، قال: ذهب صفو الدنيا وبقي كدرها، فالموت تُحفة لكل مسلم.

وعنده أيضاً (1/ 132) عنه قال: إنما الدنيا كالثَّغْب ذهب صفوه وبقي كدره.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 132) عن عبد الله رضي الله عنه، قال: ألا حبذا المكروهان: الموت والفقر، وايْمُ الله إنْ هو إلا الغنى أو الفقر، وما أبالي بأيِّهما ابتُليت، إنْ كان الغنى إنّ فيه للعطف، وإنْ كان الفقر إنَّ فيه للصبر.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 132) عن عبد الله رضي الله عنه قال: لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يَحلَّ بذروته، ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحبُّ إليه من الغنى، والتواضع أحبُّ إليه من الشَّرَف، وحتى يكون حامده وذامُّه عنده سواء؛ قال: ففسرها أصحاب عبد الله، قالوا: حتى يكون الفقر في الحلال أحبُّ إليه من الغنى في الحرام، والتواضع في طاعة الله أحبُّ إليه من الشرف في معصية الله، وحتى يكون حامده وذامه عنده في الحق سواء. وأخرجه أحمد عنه مثله، كما في «صفوة الصفوة» (1/ 164).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 132) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: والله الذي لا إله غيره، ما يضرُّ عبداً يصبح على الإسلام ويمسي عليه ما أصابه في الدنيا.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 134) عن عبد الرحمن بن حُجَيرة عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه كان يقول إذا قعد: إنكم في ممر الليل والنهار، في آجال منقوصة وأعمال محفوظة، والموت

يأتي بغتة، فمن يزرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة، ومن يزرع شراً يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مِثْلُ ما زرع، لا يُسبق بطيء بحظّه، ولا يُدرك حريص ما لم يُقدّر له، فمن أعطي خيراً فالله تعالى أعطاه، ومن وُقي شراً فالله تعالى وقاه. المتَّقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة. وأخرج الإمام أحمد عن عبد الرحمٰن بن حُجَيْرة عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه كان يقول إذا قعد: إنكم ـ فذكر مثله، كما في «صفة الصَّفْوة» (1/ 161).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 134) عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: ما منكم إلا ضيف وماله عاريَّة، والضيف مرتحل، والعاريَّة مؤدّاة إلى أهلها.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 134) عن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه قال: أتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمٰن، علِّمني كلمات جوامع نوافع، فقال: اعبدِ الله ولا تشرك به شيئاً، وزُل مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيداً بغيضاً، ومن جاءك بالباطل فارددْ عليه وإن كان حبيباً قريباً.

وأخرج أبو نُعيم (1/ 134) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: الحق ثقيل مَرِيٌّ، والباطل خفيفٌ وبِيٌّ، وربَّ شهوة تورث حزناً طويلاً.

وأخرج أبو نُعيم (1/ 134) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ للقلوب شهوة وإقبالاً، وإنَّ للقلوب فترة وإدباراً، فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودَعوها عند فترتها وإدبارها.

وأخرج أبو نُعيم (1/ 135) عن منذر قال: جاء ناس من الدَّهاقين إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فتعجَّب الناس من غلظ رقابهم

وصحتهم، قال: فقال عبد الله: إنكم ترون الكافر من أصحّ الناس جسماً وأمرضه قلباً، وتلقَون المؤمن من أصحِّ الناس قلباً وأمرضهم جسماً، وايْمُ الله، لو مرضتْ قلوبكم وصحَّت أجسامكم؛ لكنتم أهون على الله من الجِعلان.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 136) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله، فمن كانت راحته في لقاء الله فكأن قد.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 136) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لا يقلِّدنَّ أحدكم دينه رجلاً، فإن آمن آمن وإن كفر كفر، فإن كنتم لا بدّ مقتدين فاقتدوا بالميت فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة.

وعنده أيضاً عنه قال: لا يكوننَّ أحدكم إمَّعة، قالوا: وما الإمَّعة يا أبا عبد الرحمٰن؟ قال: يقول: أنا مع الناس إن اهتدوا اهتديت، وإن ضلُّوا ضللت، ألاَ لَيُوَطنن أحدكم نفسه على إن كفر الناس أن لا يكفر.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 137) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ثلاث أحلف عليهن، والرابعة لو حلفت عليها لبرِرْت: لا يجعل الله عز وجل من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، ولا يتولَّى الله عبداً في الدنيا فيولِّيه غيره يوم القيامة، ولا يحب رجل قوماً إلا جاء معهم، والرابعة التي لو حلفت عليها لبرِرْت: لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر عليه في الآخرة.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 138) عن عبد الله رضي الله عنه قال: من أراد الدنيا أضرَّ بالآخرة، ومن أراد الآخرة أضرَّ بالدنيا؛ يا قوم، فأضرُّوا بالفاني للباقي.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 138) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وأحسن السنن سنة محمد ﷺ. وخير الهدى هدى الأنبياء. وأشرف الحديث ذكر الله، وخير القصص القرآن، وخير الأمور عواقبها، وشر الأمور محدثاتها، وما قلَّ وكفى خير مما كثر وألهى، ونفس تنجِّيها خير من إمارة لا تحصيها، وشر العذيلة حين يحضر الموت، وشر الندامة ندامة القيامة، وشر الضلالة بعد الهدى، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، وخير ما أُلقي في القلب اليقين، والرَّيب من الكفر؛ وشر العمى عمى القلب، والخمر جماع كل إثم، والنساء حِبالة الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، والنَّوْح من عمل الجاهلية، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دَبْراً ولا يذكر الله إلا هَجْراً، وأعظم الخطايا الكذب، وسباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر. وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يَعْفُ يَعْفُ الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يغفر يغفر الله له، ومن يصبر على الرزّية يعقبه الله، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المآكل مال اليتيم، والسعيد من وُعظ بغيره، والشقيُّ من شقي في بطن أمه، وإنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه، وإنما يصير إلى أربعة أذرع والأمر إلى آخرة، وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا روايا الكذب، وأشرف الموت قتل الشهداء، ومن يعرف البلاء يصبر عليه، ومن لا يعرفه ينكر، ومن يستكبر يضعه، ومن يتولّى الدنيا تعجز عنه، ومن يُطعِ الشيطان يعصِ الله»، ومن يعصِ الله يعذبه.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 138) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من راءى في الدنيا راءى الله به يوم القيامة، ومن يسمِّع في

الدنيا يسمِّع الله به يوم القيامة، ومن يتطاول تعظيماً يضعه الله، ومن يتواضع تخشُّعاً يرفعه الله.

* * *

مواعظ سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه

أخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 207) عن جعفر بن بُرْقان، قال: بلغنا أن سلمان الفارسي كان يقول: أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث. ضحكت من مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل لا يُغفل عنه، وضاحك ملء فيه، لا يدري أمسخط ربه أم مرضِيه؛ وأبكاني ثلاث: فراق الأحبة محمد وحزبه، وهول المطَّلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي ربِّ العالمين؛ حين لا أدري إلى النار انصرافي أم إلى الجنة.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 204) عن سلمان رضي الله عنه قال: إن الله تعالى إذا أراد بعبد شراً أو هَلَكة، نزع منه الحياء فلم تلقَه إلا مقيتاً ممقَّتاً، فإذا كان مقيتاً ممقَّتاً نُزعت منه الرحمة، فلم تلقه إلا فظّاً غليظاً، فإذا كان كذلك نزعت منه الأمانة، فلم تلقه إلا خائناً مخوَّناً، فإذا كان كذلك نُزعت رِبْقة الإسلام عن عنقه فكان لعيناً ملعَّناً.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 207) عن سلمان رضي الله عنه قال: إنما مثل المؤمن في الدنيا كمثل مريض معه طبيبه الذي يعلم داءه ودواءه، فإذا اشتهى ما يضره منعه وقال: لا تقربه، فإنك إن أصبته أهلكك، ولا يزال يمنعه حتى يبرأ من وجعه، وكذلك المؤمن يشتهي أشياء كثيرة مما فضل به غيره من العيش، فيمنعه الله إياه ويحجزه عنه حتى يتوفاه، فيدخله الجنة.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 205) عن يحيى بن سعيد أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهما: أن هَلُمَّ إلى الأرض المقدسة، فكتب إليه سلمان: إنَّ الأرض لا تقدِّس أحداً، وإنما يقدِّس الإنسانَ عملُه، وقد بلغني أنك جعلت طبيباً، فإن كنت تبرىء فنعمّاً لك، وإن كنت متطبِّباً، فاحذر أن تقتل إنساناً فتدخل النار. فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين فأدبرا عنه، نظر إليهما وقال: متطبِّب والله، ارجِعا إليَّ أعيدا قصتكما.

* * *

مواعظ أبي الدرداء رضي الله عنه

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 210) عن حسّان بن عطية أن أبا الدرداء رضي الله عنه كان يقول: لا تزالون بخير ما أحببتم خياركم، وما قيل فيكم بالحق فعرفتموه؛ فإن عارف الحق كعامله. وأخرجه البيهقي في «شُعَب الإيمان» وابن عساكر عن أبي الدرداء ـ مثله، كما في «الكنز» (8/ 224).

«وأخرج أبو نعيم» في «الحلية» (1/ 211) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لا تكلِّفوا الناس ما لم يُكلَّفوا، ولا تحاسبوا الناس دون ربهم. ابنَ آدم، عليك نفسك، فإنَّه من تتبع ما يرى في الناس؛ يَطُلْ حُزْنُه ولا يَشْفِ غَيْظَه.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 212) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: اعبدوا الله كأنكم ترونه، وعدُّوا أنفسكم من الموتى، واعلموا أن قليلاً يغنيكم خير من كثير يلهيكم، واعلموا أن البرَّ لا يبلى وأنَّ الإثم لا يُنسى.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 212) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يعظم حلمك، ويكثر علمك، وأن تباري الناس في عبادة الله عز وجل، فإن أحسنت حمدت الله تعالى، وإن أسأت استغفرت الله عز وجل.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 215) عن سالم بن أبي الجعد عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: حَذِر امرؤ أن تبغضه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، ثم قال: أتدري ما هذا؟ قلت: لا، قال: العبد يخلو بمعاصي الله عز وجل، فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 216) عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كان يقول: ذروة الإيمان الصبر للحكم، والرضاء بالقدر، والإخلاص في التوكل، والاستسلام للرب عز وجل.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 217) عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كان يقول: وَيْلٌ لكل جَمّاع فاغرٍ فاه، كأنه مجنون، يرى ما عند الناس ولا يرى ما عنده، لو يستطيع لَوَصل الليل بالنهار، وَيْلُه من حساب غليظ وعذاب شديد.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 217) عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كان يقول: يا معشر أهل دمشق، ألا تستحيون؟ تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تبلغون، قد كان القرون من قبلكم يجمعون فيوعون، ويأملون فيطيلون، ويبنون فيوثقون، فأصبح جمعهم بوراً، وأملهم غروراً، وبيوتهم قبوراً؛ هذه عاد قد ملأت ما بين عدن إلى عمان أموالاً وأولاداً، فمن يشتري مني تركة آل عاد بدرهمين. وأخرجه ابن أبي حاتم عن عون بن عبد الله، أن أبا الدرداء رضي الله

عنه لما رأى ما أحدث المسلمون في الغوطة من البنيان ونصب الشجر، قام في مسجدهم فنادى: يا أهل دمشق، فاجتمعوا إليه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا تستحيون ـ فذكر نحوه كما في «التفسير» لابن كثير (3/ 341).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 218) عن صفوان بن عمرو أنَّ أبا الدرداء رضي الله عنه كان يقول: يا معشر أهل الأموال، برِّدوا على جلودكم من أموالكم قبل أن نكون وإياكم فيها سواء، ليس إلا أن تنظروا فيها وننظر فيها معكم. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: وإني أخاف عليكم شهوة خفية في نعمة ملهية، وذلك حين تشبعون من الطعام وتجوعون من العلم. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إنَّ خيركم الذي يقول لصاحبه: اذهب بنا نصوم قبل أن نموت، وإن شراركم الذي يقول لصاحبه: اذهب بنا نأكل ونشرب ونلهو قبل أن نموت. ومر أبو الدرداء على قوم وهم يبنون، فقال أبو الدرداء: تجدِّدون الدنيا والله يريد خرابها، والله غالب على ما أراد. وعنده أيضاً عن مكحول قال: كان أبو الدرداء يتتبَّع الخِرَب ويقول: يا خِرَب الخربين، أين أهلُك الأولون؟!

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (217) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ثلاث أحبهن ويكرهن الناس: الفقر، والمرض، والموت.

وعنده أيضاً عنه قال: أحب الموت اشتياقاً إلى ربي، وأحب الفقر تواضعاً لربي، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 217) عن شرحبيل أن أبا الدرداء رضي الله عنه كان إذا رأى جنازة، قال: اغدُوا فإنا رائحون، أو رُوحوا فإنا غادون، موعظة بليغة، وغفلة سريعة، كفى بالموت واعظاً، يذهب الأول فالأول، ويبقى الآخر لا حِلْم له.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 218) عن عون بن عبد الله عن أبي الدرداء قال: من يتفقَّد يفقِد، ومن لا يعدّ الصبر لفواجع الأمور يعجز، إن قارضت الناس قارضوك، وإن تركتهم لم يتركوك؛ قال: فما تأمرني؟ قال: اقرض من عرضك ليوم فقرك.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 220) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: من أكثر ذكر الموت قلَّ فرحه وقلَّ حسده.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 221) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ما لي أراكم تحرصون على ما تُكفِّل لكم به؛ وتضيِّعون ما وُكلتم به، لأنا أعلم بشراركم من البيطار بالخيل، هم الذين لا يأتون الصلاة إلا دَبْراً، ولا يسمعون القرآن إلا هَجْراً، ولا يُعْتق محرّروهم.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 221) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: التمسوا الخير دهرَكم كلّه، وتعرّضوا لنفحات رحمة الله، فإنَّ لله نفحات من رحمته، يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمِّن رَوْعاتكم.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 222) عن عبد الرحمٰن بن جبير بن نفير أن رجلاً قال لأبي الدرداء رضي الله عنه: علِّمني كلمة ينفعني الله عز وجل بها، قال: وثنتين وثلاثاً وأربعاً وخمساً، من عمل بهن كان ثوابه على الله عز وجل الدرجات العُلَى، قال: لا تأكل إلا طيباً، ولا تَكْسِب إلا طيباً، ولا تُدخل بيتك إلا طيباً؛ وسل الله عز وجل يرزقك يوماً بيوم، وإذا أصبحت فاعدد نفسك من الأموات فكأنك قد لحقت بهم، وهَبْ عرضك لله عز وجل، فمن سبَّك أو شتمك أو قاتلك فدَعْه لله عز وجل، وإذا أسأت فاستغفر الله عز وجل.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 223) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لا تزال نفس أحدكم شابّة في حب الشيء ولو التقت ترقوتاه من الكبر، إلا الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، وقليل ما هم.

وأخرج ابن عساكر عن أبي الدرداء مثله كما في «الكنز» (8/ 224).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 224) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ثلاث من مِلاك أمر ابن آدم: لا تشكُ مصيبتك، ولا تحدِّث بوجعك، ولا تُزَكِّ نفسك بلسانك.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 221) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: إياكم ودعوة المظلوم ودعوة اليتيم؛ فإنهما تسريان بالليل والناس نيام.

وعنده أيضاً عنه قال: إنَّ أبغض الناس إليَّ أن أظلمه من لا يستعين عليَّ إلا بالله عز وجل.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 214) عن مَعمَر عن صاحب له أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان رضي الله عنهما: يا أخي، اغتنم صحتك وفراغك قبل أن ينزل بك من البلاء ما لا يستطيع العباد ردَّه، واغتنم دعوة المبتلى. ويا أخي ليكن المسجد بيتك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المساجد بيت كل تقي». وقد ضمن الله عز وجل لمن كانت المساجد بيوتهم بالرَّوح والراحة، والجواز على الصراط إلى رضوان الربِّ عزَّ وجلَّ. ويا أخي ارحم اليتيم وأدنِهِ منك وأطعمه من طعامك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول - وأتاه رجل يشتكي قساوة قلبه - فقال له رسول الله ﷺ: «أتحب أن يلين قلبك»؟ فقال: نعم، قال: «أدنِ اليتيم

منك، وامسحْ رأسه، وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يليِّن قلبك وتقدر على حاجتك». ويا أخي لا تجمع ما لا تستطيع شكره، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجاء بصاحب الدنيا يوم القيامة الذي أطاع الله تعالى فيها، وهو بين يدي ماله، وماله خلفه، كلما تَكَفَّأَ به الصراط، قال له مالُه: امضِ فقد أدَّيتَ الحق الذي عليك؛ قال: ويجاء بالذي لم يُطِعِ الله وماله بين كتفيه، فيعثره ماله ويقول له: ويلك هلاَّ عملت بطاعة الله عز وجل فيَّ، فلا يزال كذلك حتى يدعو بالويل». ويا أخي إني حُدِّثت أنك اشتريت خادماً وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال العبد من الله وهو منه ما لم يُخدَم، فإذا خُدم وجب عليه الحساب». وإن أم الدرداء سألتني خادماً وأنا يومئذٍ موسر فكرهت ذلك لما سمعت من الحساب. ويا أخي، من لي ولك بأن نوافي يوم القيامة ولا نخاف حساباً؟. ويا أخي لا تغترنَّ بصحابة رسول الله ﷺ، فإنا قد عشنا بعده دهراً طويلاً، والله أعلم بالذي أصبنا بعده. وأخرجه أيضاً ابن عساكر عن محمد بن واسع قال: كتب أبو الدرداء إلى سلمان ـ فذكر نحوه إلاَّ أنَّه لم يذكر: وإن أم الدرداء سألتني ـ إلى آخره؛ كما في «الكنز» (8/ 224).

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 216) عن عبد الرحمٰن بن محمد المحاربي قال: بلغني أن أبا الدرداء رضي الله عنه كتب إلى أخٍ له: أما بعد: فلستَ في شيء من أمر الدنيا إلاَّ وقد كان له أهلٌ قبلَك، وهو صائر له أهل بعدك، وليس لك منه إلاَّ ما قدمتَ لنفسك، فآثرها على المصلح من ولدك، فإنك تَقْدَم على ما لا يعذِرك، وتجمع لمن لا يحمدك. وإنما تجمع لواحد من اثنين: إمّا عامل فيه بطاعة الله فيسعد بما شقيت به، وإمَّا عامل فيه بمعصية الله فتشقى بما جمعت له؛ وليس والله

واحد منهما بأهل أنْ تُبرِّد على ظهرك، ولا تؤثره على نفسك. أُرْجُ لمن مضى منهم رحمة الله، وثِقْ لمن بقي منهم رزق الله، والسلام.

وأخرج ابن عساكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كتب إلى مسلمة بن مخُلَّد: أما بعد: فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبّه الله، فإذا أحبّه الله حبَّبه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، وإذا أبغضه الله بغَّضه إلى خلقه. كذا في «الكنز» (8/ 225).

وأخرج ابن عساكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه: لا إسلام إلاَّ بطاعة، ولا خير إلاَّ في جماعة، والنصح لله وللخليفة وللمؤمنين عامة. كذا في «الكنز» (8/ 227).

* * *

مواعظ أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 165) عن سفيان الثوري قال: قام أبو ذر الغفاري رضي الله عنه عند الكعبة، فقال: يا أيها الناس، أنا جُندَب الغفاري، هَلُمُّوا إلى الأخ الناصح الشفيق. فاكتنفه الناس، فقال: أرأيتم لو أنَّ أحدكم أراد سفراً، أليس يتَّخذ من الزاد ما يصلحه ويبلِّغه؟ قالوا: بلى. قال: فسفر طريق القيامة أبعد ما تريدون، فخذوا منه ما يصلحكم. قالوا: وما يصلحنا؟ قال: حجوا حجة لعظام الأمور، صوموا يوماً شديداً حرُّه لطول النشور، صلُّوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور، كلمة خير تقولها، أو كلمة سوء تسكت عنها لوقوف يوم عظيم، تصدَّق بمالك لعلَّك تنجو من عسيرها، اجعل الدنيا مجلسين: مجلساً في طلب الآخرة، ومجلساً في طلب الحلال، والثالث يضرك ولا ينفعك لا

تريده. اجعل المال درهمين: درهماً تنفقه على عيالك من حلّه، ودرهماً تقدِّمه لآخرتك، والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده. ثم نادى بأعلى صوته: يا أيها الناس، قد قتلكم حرص لا تدركونه أبداً.

وأخرج أيضاً (1/ 165) عن عبد الله بن محمد قال: سمعت شيخاً يقول: بلغنا أن أبا ذر رضي الله عنه كان يقول: يا أيها الناس، إني لكم ناصح، إني عليكم شفيق، صلُّوا في ظُلمة الليل لوحشة القبور، صوموا في الدنيا لحرِّ يوم النشور، تصدَّقوا مخافة يوم عسير. يا أيها الناس، إني لكم ناصح، إني عليكم شفيق.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 163) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: يولدون للموت، ويعمِّرون للخراب، ويحرصون على ما يفنى، ويتركون ما يبقى، ألا حبذا المكروهان: الموت والفقر.

وعند ابن عساكر كما في «الكنز» (8/ 224) عن حِبّان بن أبي جَبَلة أن أبا ذر وأبا الدرداء رضي الله عنهما قالا: تلدون للموت، وتعمِّرون للخراب، وتحرصون على ما يفنى، وتذرون ما يبقى، ألا حَسُن المكروهات الثلاث: الموت والمرض والفقر.

* * *

مواعظ حذيفة بن اليمان
رضي الله تعالى عنه

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 274) عن أبي الطُّفَيل، أنه سمع حذيفة رضي الله عنه يقول: يا أيها الناس، ألا تسألوني؟ فإن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، أفلا

تسألون عن ميِّت الأحياء؟ فقال: إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ، فدعا الناس من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان، فاستجاب له من استجاب، فحيي بالحق من كان ميتاً، ومات بالباطل من كان حياً. ثم ذهبت النبوة، فكانت الخلافة على منهاج النبوة، ثم يكون ملكاً عضوضاً؛ فمن الناس من ينكر بقلبه ويده ولسانه؛ والحقَّ استكمل، ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه كافاً يده؛ وشعبةً من الحق ترك، ومنهم من ينكر بقلبه كافاً يده ولسانه؛ وشعبتين من الحق ترك، ومنهم من لا ينكر بقلبه ولسانه؛ فذلك ميِّت الأحياء.

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 276) عن حذيفة رضي الله عنه قال: القلوب أربعة: قلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب مُصْفَحٌ فذلك قلب المنافق، وقلب أجرد فيه سراج يزهر فذاك قلب المؤمن، وقلب فيه نفاق وإيمان، فمثل الإيمان كمثل شجرة يمدها ماء طيب، ومثل النفاق مثل القيحة يمدها قيح ودم، فأيهما غلب عليه غلب.

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 272) عن حذيفة رضي الله عنه، قال: إنَّ الفتنة تُعرض على القلوب، فأي قلب أُشربها نكتت فيه نكتة سوداء، فإن أنكرها نُكتت فيه نكتة بيضاء، فمن أحب منكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا فلينظر، فإن كان يرى حراماً ما كان يراه حلالاً، أو يرى حلالاً ما كان يراه حراماً فقد أصابته الفتنة.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 273) عن حذيفة رضي الله عنه قال: إياكم والفتن لا يشخص إليها أحد، فوالله ما شخص فيها أحد إلا نسفته كما ينسف السيلُ الدِّمَنَ، إنها مُشبِّهةٌ مُقْبِلة حتى يقول الجاهل: هذه تُشَبِّه، وتُبَيِّن مُدبرة؛ فإذا رأيتموها فاجثموا في بيوتكم، وكسِّروا سيوفكم، وقطِّعوا أوتاركم.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 274) عن حذيفة رضي الله عنه قال: إنَّ للفتنة وقفات وبغتات، فمن استطاع أن يموت في وقفاتها فليفعل. يعني بالوقفات غَمْد السيف.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 274) عن حذيفة قال: إن الفتنة وُكِّلت بثلاثة: بالحادِّ النحرير الذي لا يرتفع له شيء إلا قمعه بالسيف، وبالخطيب الذي يدعو إليها، وبالسيد. فأما هذان فتبطحهما لوجوههما. وأما السيد فتبحثه حتى تبلو ما عنده.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 274) عن حذيفة رضي الله عنه قال: ما الخمر صِرْفاً بأذهبَ بعقول الرجال من الفتنة.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 274) عن حذيفة رضي الله عنه قال: ليأتينَّ على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغريق.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 278) عن الأعمش قال: بلغني أن حذيفة رضي الله عنه كان يقول: ليس خيركم الذين يتركون الدنيا للآخرة، ولا الذين يتركون الآخرة للدنيا، ولكن الذين يتناولون من كلٍّ.

* * *

مواعظ أبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنه

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 253) عن أبي العالية قال: قال رجل لأُبيّ بن كعب رضي الله عنه: أوصني، قال: اتخذ كتاب الله إماماً، وارض به قاضياً وحكماً؛ فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم،

شفيع مطاع، وشاهد لا يُتهم، فيه ذكركم وذكر من قبلكم، وحكم ما بينكم وخبركم وخبر ما بعدكم.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 253) عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: ما من عبد ترك شيئاً لله عز وجل إ لا أبدله الله به ما هو خير منه من حيث لا يحتسب، وما تهاون به عبد فأخذه من حيث لا يصلح إلا آتاه الله ما هو أشد عليه منه من حيث لا يحتسب.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 255) عن أُبي بن كعب رضي الله عنه، قال: المؤمن بين أربع: إن ابتُلي صبر، وإن أُعطي شكر، وإن قال صدق، وإن حكم عدل. فهو يتقلّب في خمسة من النور؛ وهو الذي يقول الله ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: 35]: كلامه نور، وعلمه نور، ومدخله في نور، ومخرجه من نور، ومصيره إلى نور يوم القيامة. والكافر يتقلّب في خمسة من الظُلَم: فكلامه ظلمة؛ وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه في ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة.

وأخرج البخاري في «الأدب» عن أبي بَضرة قال: قال رجل منا يقال له جبر ـ أو: ـ جويبر ـ: طلبتُ جارية إلى عمر رضي الله عنه في خلافته، فانتهيت إلى المدينة ليلاً، فقدمتُ عليه وقد أُعطيتُ فطنة ولساناً ـ أو قال: منطقاً ـ فأخذت في الدنيا، فصغَّرتها، فتركتها لا تسوَى شيئاً، وإلى جنبه رجل، فقال لما فرغتُ: كل قولك كان مقارباً إلا وقوعك في الدنيا، وهل تدري ما الدنيا؟ إنَّ الدنيا فيها بلاغنا ـ أو قال: زادنا ـ إلى الآخرة، وفيها أعمالك التي تُجزى بها في الآخرة. قال: فأخذ في الدنيا رجل هو أعلم بها مني، فقلت: يا أمير المؤمنين، من هذا الرجل الذي إلى جنبك؟ قال: سيد المسلمين أُبيّ بن كعب. كذا في «المنتخب» (5/ 132).

وأخرج ابن عساكر، عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه أن رجلاً قال له: أوصني يا أبا المنذر، قال: لا تعرضنَّ فيما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحترز من صديقك، ولا تغبطنَّ حيّاً بشيء إلا ما تغبطه به ميتاً، ولا تطلب حاجة إلى من لا يبالي أن لا يقضيها لك. كذا في «الكنز» (8/ 224).

* * *

مواعظ زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه

أخرج ابن عساكر عن عبد الله بن دينار البَهْراني، قال: كتب زيد بن ثابت إلى أُبيّ بن كعب رضي الله عنهما: أما بعد: فإنَّ الله قد جعل اللسان ترجماناً للقلب، وجعل القلب وعاءً وراعياً ينقاد له اللسان لما هداه له القلب، فإذا كان القلب على وفق اللسان، جاء الكلام، وائتلف القول واعتدل، ولم يكن للِّسان عثرة ولا زلة. ولا حِلْم لمن لم يكن قلبه من بين يدي لسانه، فإذا ترك الرجل كلامه بلسانه وخالفه على ذلك قلبه جدَّع بذلك أنفه، وإذا وزن الرجل كلامه بفعله صدَّق ذلك مواقع حديثه، يذكر هل وجدت بخيلاً إلا وهو يجود بالقول ويمنُّ بالفعل، وذلك لأن لسانه بين يدي قلبه، يذكر هل تجد عند أحد شرفاً أو مروءة إذا لم يحفظ ما قال ثم يتَّبعه، ويقول ما قال وهو يعلم أنه حق عليه واجب حين يتكلم به، لا يكون بصيراً بعيوب الناس؛ فإن الذي يبصر عيوب الناس ويهون عليه عيبه كمن يتكلَّف ما لا يؤمر به، والسلام. كذا في «الكنز» (8/ 224).

* * *

مواعظ عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 324) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يا صاحب الذنب، لا تأمننَّ من سوء عاقبته، ولَمَا يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته؛ فإن قلّة حيائك ممّن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظم من الذنب الذي عملته، وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب، وفرحك بالذنب إذ ظفرت به أعظم من الذنب، وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب إذا ظفرت به، وخوفك من الريح إذا حرَّكت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا عملته، ويحك!! هل تدري ما كان ذنب أيوب عليه السلام؟ فابتلاه الله تعالى بالبلاء في جسده وذهاب ماله، إنما كان ذنب أيوب عليه السلام أنه استعان به مسكين على ظلم يدرؤه عنه، فلم يُعِنْه، ولم يأمر بمعروف وينهَ الظالم عن ظلم هذا المسكين؛ فابتلاه الله عز وجل. وأخرجه ابن عساكر عن ابن عباس نحوه - إلى قوله: ويحك هل تدري، كما في «الكنز» (2/ 248).

وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 326) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: عليك بالفرائض، وما وظَّف الله تعالى عليك من حقِّه، فأدِّه واستعن الله على ذلك، فإنه لا يعلم من عبد صدق نية وحرصاً فيما عنده من ثوابه إلا أخَّره عمّا يكره، وهو المَلِك يصنع ما يشاء.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 326) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما من مؤمن ولا فاجر إلا وقد كتب الله تعالى له رزقه من الحلال، فإن صبر حتى يأتيه آتاه الله تعالى، وإن جزع فتناول شيئاً من الحرام نقصه الله من رزقه الحلال.

مواعظ عبد اللَّه بن عمر رضي الله تعالى عنهما

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 306) عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: لا يصيب عبد شيئاً من الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله عز وجل وإن كان عليه كريماً.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 306) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يَعُدَّ الناسَ حمقى في دينه.

وأخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 312) عن مجاهد قال: كنت أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما فمر على خَرِبة فقال: قل: يا خَرِبة، ما فعل أهلك؟ فقلت: يا خربة، ما فعل أهلك؟ فقال ابن عمر رضي الله عنهما: ذهبوا وبقيت أعمالهم.

* * *

مواعظ عبد اللَّه بن الزبير رضي الله تعالى عنهما

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 336) عن وَهْب بن كَيْسان قال: كتب إليَّ عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما بموعظة: أما بعد، فإن لأهل التقوى علامات يُعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم، من صبر على البلاء، ورضي بالقضاء، وشكر النعماء، وذلٍ لحكم القرآن، وإنما الإمام كالسوق ما نَفَق فيها حُمل إليها، إن نفق الحق عنده حُمل إليه وجاءه أهل الحق، وإن نفق الباطل عنده جاءه أهل الباطل ونفق عنده.

* * *

مواعظ الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما

أخرج ابن النجار عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: من

طلب الدنيا قعدت به، ومن زهد فيها لم يبالِ من أكلها، الراغب فيها عبد لمن يملكها، أدنى ما فيها يكفي وكلُّها لا تغني، من اعتدل يومُه فيها فهو مغرور، ومن كان يومه خيراً من غده فهو مغبون، ومن لم يتفقد النقصان عن نفسه فإنه في نقصان، ومن كان في نقصان فالموت خير له. كذا في «الكنز» (8/ 222).

وأخرج ابن عساكر عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: اعلموا أن الحلم زينة، والوفاء مروءة، والعَجَلة سَفَه، والسفر ضعف، ومجالسة أهل الدناءة شَينٌ، ومخالطة أهل الفسق رِيبة. كذا في «الكنز» (8/ 237).

وأخرج ابن عساكر عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: الناس أربعة، فمنهم من له خَلاَق وليس له خُلُق، ومنهم من له خُلُق وليس له خَلاَق، ومنهم من ليس له خُلُق ولا خَلاَق، فذاك شر الناس، ومنهم من له خُلُق وخَلاَق؛ فذاك أفضل الناس. كذا في «الكنز» (8/ 237).

* * *

مواعظ شدّاد بن أوس رضي الله تعالى عنه

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 264) عن زياد بن ماهَك، قال: كان شدّاد بن أوس رضي الله عنه يقول: إنكم لم ترَوا من الخير إلا أسبابه، ولم ترَوا من الشر إلا أسبابه، الخير كلُّه بحذافيره في الجنة، والشر كلُّه بحذافيره في النار، وإنَّ الدنيا عَرَض حاضر يأكل منها البَرُّ والفاجر، والآخرة وَعْدُ صادق يحكم فيها ملك قاهر، ولكل بنون فكونوا

من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: وإنَّ من الناس من يُؤتى علماً ولا يُؤتى حلماً، وإن أبا يعلى قد أوتي علماً وحلماً.

* * *

مواعظ جندب البجلي رضي الله تعالى عنه

أخرج البيهقي في «شُعَب الإيمان» (5349) عن جندب البجلي رضي الله عنه قال: اتَّقوا الله واقرأوا القرآن، فإنه نور الليل المظلم، وبهاء النهار على ما كان من جَهْد وفاقة، فإذا نزل البلاء فاجعلوا أموالكم دون أنفسكم، واعلموا أنَّ الخائب من خاب دينه، والهالك من هلك دينه. ألا لا فقر بعد الجنة، ولا غنى بعد النار، لأن النار لا يُفك أسيرُها ولا يبرأ حديرها ولا يُطفأ حريقها، وإنه ليحال بين الجنة وبين المسلم بملءِ كف دم أصابه من دم أخيه المسلم، كلما ذهب ليدخل من باب من أبوابها وجدها ترد عنه، واعلموا أن الآدمي إذا مات ودفن لا ينتن أول من بطنه، فلا تجعلوا مع النتن خبثاً، واتَّقوا الله في أموالكم، والدماءَ فاجتنبوها. كذا في «الكنز» (8/ 222).

* * *

مواعظ أبي أمامة
رضي الله تعالى عنه

أخرج ابن أبي حاتم عن سُلَيم بن عامر قال: خرجنا على جنازة في باب دمشق ومعنا أبو أُمامة الباهلي رضي الله عنه، فلما صلَّى على

الجنازة وأخذوا في دفنها، قال أبو أمامة: أيُّها الناس، إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات، وتوشكون أن تظعَنوا منه إلى منزل آخر، وهو هذا ـ يشير إلى القبر ـ بيت الوحدة، وبيت الظلمة، وبيت الدود، وبيت الضيق، إلا ما وسَّع الله، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة، فإنكم في بعض تلك المواطن، حتى يغشى الناس أمر من الله، فتبيض وجوه وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر، فيغشى الناس ظلمة شديدة، ثم يُقسم النور فيعطى المؤمن نوراً، ويُترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئاً، وهو المثل الذي ضربه الله تعالى في كتابه، فقال: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40] فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن، كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير، ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [النساء: 142] وهي خُدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [الحديد: 13]، فيرجعون إلى المكان الذي قُسم فيه النور، فلا يجدون شيئاً، فينصرفون إليهم وقد ضُرب بينهم بسور له باب ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: 13] ـ الآية؛ إلا أنه ـ يقول سليم بن عامر ـ: فما يزال المنافق مغترّاً حتى يُقسم النور، ويميزَ الله بين المنافق والمؤمن. كذا في «التفسير» لابن كثير (4/ 308). وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص 340) عن سليم بن عامر ـ نحوه.

أخرج ابن عساكر عن سليمان بن حبيب قال: دخلت في نفر على أبي أُمامة رضي الله عنه، فإذا شيخ قد رقَّ وكَبِر، وإذا عقله ومنطقه أفضل مما يُرى من منظره، فقال في أول ما حدّثنا: إنَّ مجلسكم هذا من

بلاغ الله إياكم وحجته عليكم، فإن رسول الله ﷺ قد بلَّغ ما أُرسل به، وإنَّ أصحابه قد بلَّغوا ما سمعوا، فبلِّغوا ما تسمعون: ثلاثةٌ كلُّهم ضامن على الله حتى يدخل الجنة أو يرجع بما نال من أجر وغنيمة: فاصِلٌ فَصَل في سبيل الله، فهو ضامن على الله حتى يدخله الجنة أو يرجعه بما نال من أجر وغنيمة، ورجل توضأ ثم غدا إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يدخله الجنة أو يرجعه بما نال من أجر وغنيمة، ورجل دخل بيته بسلام. ثم قال: إنَّ في جهنم جسراً له سبع قناطر على أوسطهن القضاء، فيجاء بالعبد حتى إذا انتهى إلى القَنْطرة الوسطى، قيل: ماذا عليك من الدَّين؟ فيحسُبه، ثم تلا هذه الآية ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 42] فيقول: يا ربِّ، عليَّ كذا وكذا، فيقول: اقضِ دَينك، فيقول: ما لي شيء، ما أدري ما أقضي به. فيقال: خذوا من حسناته، فما زال يؤخذ من حسناته حتى ما يبقى له من حسنة، فإذا فنيت حسناته، فيقال: خذوا من سيئات من يطلبه، فَرِكِّبوا عليه. قال: فلقد بلغني أن رجالاً يجيئون بأمثال الجبال من الحسنات، فلا يزال يُؤخذ لمن يطلبهم حتى ما يبقى لهم حسنة، ثم يُرَكَّب عليهم سيئات من يطلبهم حتى يُردَّ عليهم أمثال الجبال. ثم قال: إيّاكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وعليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، ثم قال: أيها الناس، لأنتم أضل من أهل الجاهلية إنَّ الله تعالى قد جعل لأحدكم الدينار ينفقه في سبيل الله بسبعمائة دينار، والدرهم بسبعمائة درهم، ثم إنكم صارّون تمسكون، أما والله، لقد فُتحت الفتوح بسيوف ما حِليتها الذهب والفضة، ولكن حِليتها العَلاَبيّ والآنُك والحديد. كذا في «الكنز» (8/ 223).

* * *

مواعظ عبد الله بن بُسْر رضي الله تعالى عنه

أخرج البيهقي وابن عساكر عن عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه قال: المتَّقون سادة، والعلماء قادة، ومجالستهم عبادة، بل ذلك زيادة، وأنتم بمر الليل والنهار في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، وأعدُّوا الزاد فكأنكم بالمعاد. كذا في «الكنز» (8/ 224).

* * *

الباب الثامن عشر

التأييدات الغيبية للصحابة

كيف كان النبي ﷺ وأصحابه مؤيَّدين بالتأييدات الغيبية؟ لَمَّا تركوا الأسباب الماديّة، وتشبّثوا بالأسباب الروحانيّة، وكان همّ الصحابة رضي الله عنهم كهمّه ﷺ في هداية الأقوام ودعوتهم، وكانوا في الدعوة والجهاد متّصفين بأخلاقه وشمائله ﷺ.

المدد بالملائكة

أخرج البيهقي (3/ 81) عن سهل بن سعد قال: قال أبو أُسيد رضي الله عنه بعدما ذهب بصره: يا بن أخي، والله لو كنتُ أنا وأنت ببدر، ثم أطلق الله بصري لأريتك الشِّعْب الذي خرجت علينا منه الملائكة من غير شك ولا تمارٍ. وهكذا عند ابن إسحاق. كذا في «البداية» (3/ 280). وأخرجه الطبراني (19/ 578) عن سهل بن سعد ـ مثله. قال الهيثمي (6/ 84): وفيه سَلامة بن رَوْح؛ وثَّقه ابن حبان وضعَّفه غيره لغفلة فيه.

وأخرج الطبراني عن عروة قال: نزل جبريل عليه السلام يوم بدر على سيما الزبير وهو معتجر بعمامة صفراء. قال الهيثمي (6/ 84): هو مرسل صحيح الإسناد.

وأخرجه الحاكم (3/ 361) عن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: كانت على الزبير بن العوام يوم بدر عمامة صفراء معتجر بها، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر. وأخرجه الطبراني (1/ 230) عن أسامة بن عمير ـ بمعناه وابن عساكر عن عبد الله بن الزبير نحوه. كما في «الكنز» (5/ 268).

وأخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 170) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيض، قد أرسلوها إلى ظهورهم، ويوم حُنَين عمائم خضر، ولم تقاتل الملائكة يوماً إلاَّ يوم بدر، وإنما كانوا يكثِّرون عدداً ومدداً، لا يضربون.

وأخرج ابن إسحاق عن عِكرمة قال: قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دَخَلنا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمت أم الفَضْل، وأسلمتُ، وكان العباسُ يهاب قومَه، ويكره خِلافهم وكان يكتُم إسلامَه، وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه، وكان أبو لهب قد تخلَّف عن بدر، فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلَّف منهم رجل إلا بعث مكانه رجلاً فلما جاءه الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش؛ كبته الله وأخزاه، ووجَدْنا في أنفسنا قوة وعزاً، قال: وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أعمل الأقداح أنحتها في حُجرة زمزم، فوالله إني لجالس فيها أنحت أقداحي، وعندي أم الفَضْل جالسة، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجرُّ رجليه بِشَرّ حتى جلس على طُنُب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري، فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ـ قال ابن هشام: واسم أبي سفيان المغيرة ـ قد قدم، قال: فقال أبو لهب: هَلُمَّ إليَّ، فعندك لعمري الخبر. ، قال: فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا بن أخي، أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لَقِينا القوم، فمنحناهم أكتافنا، يقتلوننا كيف شاؤوا، ويأسروننا كيف شاؤوا؟ وايم الله مع ذلك ما لُمت الناس، لقينا رجالاً بِيضاً على خيل بُلْق بين السماء والأرض، والله ما تُلِيق شيئاً، ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طُنُب الحجرة بيدي، ثم قلت: تلك ـ والله ـ الملائكة، قال: فرفع أبو لهب يده، فضرب بها وجهي ضربة شديدة، قال: وثاورته، فاحتملني وضرب بي الأرض، ثم برك عليَّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفَضل إلى عمود من عمد الحُجرة، فأخذته فضربته به ضربةً فَلَعت في رأسه شجّة منكرة، وقالت: استضعفتَه أنْ غاب عنه سيده؟ فقام مولّياً

ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعَدَسة، فقتلته.

زاد يونس عن ابن إسحاق: فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثاً ما دفناه حتى أنتن، وكانت قريش تتَّقي هذه العَدَسة كما تتَّقي الطاعون، حتى قال لهم رجل من قريش: ويحكما!! ألا تستحيان، إن أباكما قد أنتن في بيته لا تدفناه؟ فقالا: إنا نخشى عدوة هذه القرحة. فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه، فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه على جدار ثم رضموا عليه بالحجارة. كذا في «البداية» (3/ 308). وأخرجه ابن سعد في «طبقاته» (4/ 73) والحاكم في «مستدركه» (3/ 321) من طريق ابن إسحاق ـ نحوه مطوَّلاً. وأخرجه أيضاً الطبراني والبزّار (1778) عن أبي رافع ـ بقوله. قال الهيثمي (6/ 89): وفي إسناده حسين بن عبد الله بن عبيد الله وثَّقه أبو حاتم وغيره وضعَّفه جماعة وبقية رجاله ثقات. انتهى وأخرجه الحاكم (3/ 322) أيضاً من طريق يونس عن ابن إسحاق عن الحسين بن عبد الله عن عِكرمة عن ابن عباس عن أبي رافع ـ نحوه. وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 170) عن عِكرمة عن أبي رافع ـ مختصراً.

أخرج البيهقي عن عوف بن عبد الرحمٰن مولى أم بُرثُن عمّن شهد حنيناً كافراً، قال: لمَّا التقينا نحن ورسول الله ﷺ لم يقوموا لنا حَلْب شاة، فجئنا نهش سيوفنا بين يدي رسول الله ﷺ، حتى إذا غشيناه، فإذا بيننا وبينه رجال حِسان الوجوه، فقالوا: شاهت الوجوه، فارجعوا، فهزمنا من ذلك الكلام. كذا في «البداية» (4/ 332).

وأخرجه ابن جرير عن عوف الأعرابي عن عبد الرحمٰن مولى ابن بُرْثن قال: حدثني رجل كان مع المشركين يوم حُنَين، قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حُنَين، لم يقوموا لنا حَلْب شاة، قال:

فلما كشفناهم، جعلنا نسوقهم في آثارهم، حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء، فإذا هو رسول الله ﷺ، قال: فتلقَّانا عنده رجال بيضٌ حِسان الوجوه، فقالوا لنا: شاهت الوجوه، ارجعوا. قال: فانهزمنا، وركبوا أكتافنا، فكانت إياها. كذا في «التفسير» لابن كثير (2/ 345).

وأخرج ابن إسحاق عن جُبَير بن مُطعِم رضي الله عنه قال: إنا لمع رسول الله ﷺ يوم حُنَين والناس يقتتلون؛ إذا نظرت إلى مثل البجاد الأسود يهوي من السماء، حتى وقع بيننا وبين القوم، فإذا نمل منثور قد ملأ الوادي، فلم يكن إلا هزيمة القوم، فما كنا نشكُّ أنَّها الملائكة. ورواه البيهقي من طريقه. كذا في «البداية» (4/ 334).

أخرج ابن سعد (3/ 121) عن عبد الله بن الفضل قال: أعطى رسول الله ﷺ يوم أُحد مصعب بن عمير رضي الله عنه اللواء، فقُتل مصعب، فأخذه مَلَك في صورة مصعب، فجعل رسول الله ﷺ يقول له في آخر النهار: «تقدّم يا مصعب». فالتفت إليه الملك فقال: لستُ بمصعب. فعرف رسول الله ﷺ أنه ملك أُيِّد به.

وأخرج أبو نعيم في «الدلائل» (ص 182) عن أنس رضي الله عنه قال: كأنِّي أنظر إلى غبار ساطع في سكَّة بني غَنْم موكب جبريل عليه السلام، حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة. وأخرجه ابن سعد (2/ 76) عن أنس نحوه.

وعنده أيضاً (2/ 77) عن حميد بن هلال ـ فذكر الحديث بطوله في غزوة بني قريظة، وفيه قال: فوضع رسول الله ﷺ وأصحابه السلاح، فجاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ، فخرج إليه فنزل رسول الله ﷺ وهو متساند إلى لَبان الفرس، قال: يقول جبريل عليه السلام: ما وضعنا السلاح بعد ـ وإن الغبار لعاصب على حاجبه ـ انهد إلى بني قريظة،

قال: فقال رسول الله ﷺ: «إن في أصحابي جَهداً فلو أنظرتهم أياماً».
قال: يقول جبريل عليه السلام: انهد إليهم، لأُدخلنَّ فرسي هذا عليهم في حصونهم، ثم لأضعضعنَّها، قال: فأدبر جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غَنْم من الأنصار.

* * *

أسر الملائكة وقتالهم المشركين

أخرج ابن عساكر والواقدي عن سهيل بن عمرو رضي الله عنه، قال: لقد رأيت يوم بدر رجالاً بيضاً على خيل بُلْق بين السماء والأرض مُعْلَمين، يقتلون ويأسرون. كذا في «الكنز» (5/ 268).

وأخرج أحمد عن البراء رضي الله عنه وغيره قال: جاء رجل من الأنصار بالعباس قد أسره، فقال العباس: يا رسول الله، ليس هذا أسرني، أسرني رجل من القوم أنزَع، من هيئته كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «قد آزرك الله بملك كريم». قال الهيثمي (6/ 85): رجاله رجال الصحيح. انتهى.

وعند ابن أبي شيْبة وأحمد وابن جرير ـ وصحّحه ـ والبيهقي في «الدلائل» عن علي رضي الله عنه ـ فذكر الحديث بطوله في غزوة بدر، كما ذكره في «الكنز» (5/ 266) وفيه: فجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال العباس: يا رسول الله، إن هذا والله ما أسرني، ولقد أسرني رجل أجلح، من أحسن الناس وجهاً، على فرس أبلق، ما أراه في القوم. فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله. فقال: «اسكت، فقد أيدك الله بمَلَك كريم» وعَزَاه الهيثمي (6/ 75) إلى أحمد والبزّار وقال: رجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مُضَرِّب وهو ثقة.

وأخرج ابن سعد (4/ 12) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

كان الذي أسر العباس أبو اليَسَر كعب بن عمرو أخو بني سَلِمة، وكان أبو اليَسَر رجلاً مجموعاً وكان العباس رجلاً جسيماً، فقال رسول الله ﷺ لأبي اليَسَر: «كيف أسرت العباس يا أبا اليَسَر»؟ فقال: يا رسول الله، لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ولا بعد، هيئته كذا وهيئته كذا. فقال رسول الله ﷺ: «لقد أعانك عليه ملك كريم». وأخرجه أحمد عن ابن عباس ـ نحوه وزاد الحديث بعد ذلك في فِداء العباس وغيره. قال الهيثمي (6/ 86): وفيه راوٍ لم يُسَمَّ وبقية رجاله ثقات. وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 169) عن ابن عباس بسياق ابن سعد.

وأخرج مسلم عن ابن عباس قال: بينما رجل من المسلمين يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس (يقول): أقدم حَيْزوم. فنظر إلى المشرك أمامه قد خرَّ مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد خُطم أنفُه، وشُقَّ وجهه، كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدَّث ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «صدقتَ، ذلك من مَدَد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذٍ سبعين وأسروا سبعين. كذا في «البداية» (3/ 279). وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (2/ 170) عن ابن عباس في حديث طويل في غزوة بدر ـ نحوه.

وأخرج أيضاً عنه عن رجل من بني غِفار قال: أقبلتُ أنا وابن عم لي، حتى صعدنا على جبل يشرف بنا على بدر، ونحن مشركان، ننتظر الوقعة على من تكون الدَّبْرة، فننتهب مع من ينهب، قال: فبينا نحن في الجبل، إذ دَنَت منا سحابة، فسمعنا فيها حَمْحَمَةَ الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أقدم حَيْزوم، قال: فأما ابن عمي فكُشف قناع قلبه؛ فمات مكانه، وأما أنا فكِدت أن أهلِك، فتماسكت.

وأخرج أبو نعيم في «الدلائل» (ص 164) عن أبي طلحة رضي الله

عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غَزَاة، فلقي العدو، فسمعته يقول: «يا مالك يوم الدين، إيّاك نعبد وإيّاك نستعين» فلقد رأيت الرجال تُصرع، تضربها الملائكة من بين أيديها ومن خلفها.

وأخرج البيهقي (6/ 5556) عن أبي أُمامة بن سهل عن أبيه، قال: يا بني، لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير إلى رأس المشرك، فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف. كذا في «البداية» (3/ 281). وأخرجه الحاكم (3/ 409) عن أبي أُمامة ـ مثله إلاَّ أنَّ في روايته: وإنَّ أحدَنا يشير بسيفه. قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه وصحَّحه الذهبي. وأخرجه الطبراني عن أبي أُمامة نحو رواية الحاكم. قال الهيثمي (6/ 84) وفيه: محمد بن يحيى الإسكندراني، قال ابن يونس: روى مناكير.

وأخرج ابن إسحاق عن أبي واقد الليثي قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه، فوقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنَّ غيري قد قتله. كذا في «البداية» (3/ 281). وأخرجه أحمد عن أبي داود المازني ـ وكان شهد بدراً ـ قال: إني لأتبع ـ فذكر نحوه. قال الهيثمي (6/ 83): وفيه رجل لم يُسَمَّ. وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 170) عن أبي داود المازني ـ نحوه، وفي روايته: إنِّي لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» عن سهل بن أبي حَثْمة أن أبا بَرْزَة الحارثي رضي الله عنهما، جاء يوم بدر بثلاثة رؤوس يحملها إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «ظفرتْ يمينك». قال: يا رسول الله، أما اثنان فأنا قتلتهما، وأما الآخر، فرأيت رجلاً أبيض جميلاً حسن الوجه ضرب رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك فلان» ملك

من الملائكة. قال الهيثمي (6/ 83) وفيه عبد العزيز بن عِمران وهو ضعيف ـ انتهى.

وأخرج الطبراني (3/ 3385) والبزّار (1792) عن محمود بن لبيد قال: قال الحارث بن الصمّة رضي الله عنه: سألني رسول الله ﷺ وهو في الشِّعب: «هل رأيت عبد الرحمٰن بن عوف»؟ قلت: نعم يا رسول الله، رأيته على جر الجبل، وعليه عسكر من المشركين، فهويت فرأيتك، فعدلت إليك. فقال النبي ﷺ: «أمَا إن الملائكة تقاتل معه». قال الحارث: فرجعت إلى عبد الرحمٰن فأخذ بين نفر سبعة صرعى، فقلت له: ظفرتْ يمينك!! أكل هؤلاء قتلت؟ قال: أما هذا ـ لأرطاة بن (عبد) شرحبيل ـ وهذا فأنا قتلتهما، وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره؛ قلت: صدق الله ورسوله. قال الهيثمي (6/ 114): وفيه عبد العزيز بن عِمران وهو ضعيف. انتهى. وأخرجه أيضاً ابن منده وأبو نعيم عن الحارث بن الصمّة ـ نحوه كما في «المنتخب» (5/ 76) وزاد فيه: فهويت إليه لأمنعه. وفي روايته: فأجده بين نفر سبعة صَرْعى. وفي روايته: وهذان.

أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرّ رسول الله ﷺ على أناس بمكة، فجعلوا يغمزون في قفاه، ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي ومعه جبريل، فغمز جبريل بأصبعه، فوقع مثل الظُّفُر في أجسادهم فصارت قروحاً، حتى نتنوا، فلم يستطع أحد أن يدنو منهم؛ فأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر: 15]. قال الهيثمي (7/ 46): رواه الطبراني في «الأوسط» والبزّار (2222) ـ بنحوه، وفيه يزيد بن درهم ضعّفه ابن مَعِين ووثّقه الفلاَّس ـ انتهى.

وعند الطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر: 15] قال: المستهزئين: الوليد بن

المغيرة، والأسود بن عبد يَغُوث، والأسود بن المطلب أبو زمعة من بني أسد بن عبد العزّى، والحارث بن عَيْطل السهمي، والعاصي بن وائل السهمي، فأتاه جبريل عليه السلام، فشكاهم إليه رسول الله ﷺ، فأراه الوليد بن المغيرة، فأشار إلى أبجله فقال: «ما صنعت شيئاً»؟ فقال: أكفيتُكَه، ثم أراه الحارث بن عَيْطل السهمي، فأومأ إلى بطنه، فقال: «ما صنعت شيئاً»؟ فقال: أكفيتُكَه ثم أراه العاصي بن وائل، فأومأ إلى أخمصه، فقال: «ما صنعتَ شيئاً؟»، فقال: أكفيتُكه، فأما الوليد بن المغيرة، فمرَّ برجل من خُزاعة، وهو يَرِيش نبلاً له، فأصاب أبجله فقطعها. وأما الأسود بن المطَّلب فعَمِيَ، فمنهم من يقول عمي هكذا، ومنهم من يقول نزل تحت شجرة، فجعل يقول: يا بنيَّ ألاَ تدفعون عني قد هلكت، أُطعن بالشوك في عيني، فجعلوا يقولون: ما نرى شيئاً، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه؛ وأما الأسود بن عبد يغوث، فخرجت في رأسه قُرُوُح فمات منها، وأما الحارث بن عَيْطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خُرؤه من فيه فمات، وأما العاصي بن وائل فبينا هو كذلك دخلت في رجله شِبرقة امتلأت منها فمات. قال الهيثمي (7/ 47) وفيه محمد بن عبد الحكيم النيسابوري ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. انتهى.

أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «مجابي الدعوة» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يُكنى أبا معلق، وكان تاجراً يتّجر بمال له ولغيره، وكان له نُسُك وورع، فخرج مرّة، فلقيه لصٌّ متقنّع في السلاح، فقال: ضَعْ متاعك فإني قاتلك. قال: شأنك بالمال، قال: لست أريد إلا دمك. قال: فذرني أصلِّ. قال: صلِّ ما بدا لك. فتوضأ ثم صلّى، فكان من دعائه: يا ودود، يا ذا العرش

المجيد، يا فعالاً لما يريد، أسألك بعزَّتك التي لا تُرام، وملكك الذي لا يضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك، أن تكفيني شر هذا اللص، يا مغيث أغثني. قالها ثلاثاً، فإذا هو بفارس، بيده حربة رافعها بين أذني فرسه، فطعن اللص فقتله، ثم أقبل على التاجر، فقال: من أنت؟ فقد أغاثني الله بك. قال: إني ملك من أهل السماء الرابعة، لما دعوتَ سمعتُ لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوتَ ثانياً فسمعتُ لأهل السماء ضجّة، ثم دعوتَ ثالثاً فقيل: دعاء مكروب، فسألتُ الله أن يوليني قتله، ثم قال: أبشر واعلم أنه من توضَّأ وصلَّى أربع ركعات ودعا بهذا الدعاء استجيب له مكروباً كان أو غير مكروب. وأخرجه أبو موسى في كتاب «الوظائف» بتمامه. كذا في «الإصابة» (4/ 182).

أخرج ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» (1/ 548) عن اللَّيث بن سعد، قال: بلغني أن زيد بن حارثة رضي الله عنه اكترى من رجل بغلاً من الطائف، (و) اشترط عليه المُكْرِي أن ينزله حيث شاء، قال: فمال به إلى خرِبة، فقال له: انزل. فنزل، فإذا في الخَربة قتلى كثيرة، قال: فلما أراد أن يقتله، قال له: دَعْني أصلِّ ركعتين، قال: صلِّ، فقد صلَّى قبلك هؤلاء، فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً. قال: فلما صلَّيت أتاني ليقتلني، قال: فقلت يا أرحم الراحمين، قال: فسمع صوتاً: لا تقتله. فهاب ذلك، فخرج يطلب فلم يجد شيئاً، فرجع إليَّ فناديت: يا أرحم الراحمين. فعل ذلك ثلاثاً، فإذا أنا بفارس على فرس، في يده حربة حديد، في رأسها شعلة من نار، فطعنه بها فأنفذها من ظهره، فوقع ميتاً، ثم قال لي: لمّا دعوتَ المرة الأولى «يا أرحم الراحمين» كنتُ في السماء السابعة، فلما دعوتَ المرة الثانية: «يا أرحم الراحمين» كنتُ في سماء الدنيا، فلما دعوتَ في المرة الثالثة: «يا أرحم الراحمين» أتيتك.

رؤيتهم الملائكة

أخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 182) عن عائشة رضي الله عنها، أنَّ رسول الله ﷺ سمع صوت رجل، فوثب وثبة شديدة وخرج إليه، قالت: فاتبعتُه أنظر، فإذا هو متكىء على عُرْف برذونه، وإذا هو دِحْية الكلبي رضي الله عنه فيما كنت أرى، وإذا هو مُعْتم مُرْخٍ عمامته بين كتفيه، فلمَّا دخل عليَّ رسول الله ﷺ قلت: لقد وثبتَ وثبةً شديدة، ثم خرجتُ أنظره فإذا هو دِحية الكلبي، قال: «أو رأيته»؟ قلت: نعم، قال: «ذلك جبرئيل عليه السلام أمرني أن أخرج إلى بني قريظة». وأخرجه ابن سعد (4/ 250) عن عائشة ـ نحوه.

وأخرج أبو نعيم (ص 182) عن سعيد بن المسيَّب ـ فذكره الحديث في قصة بني قريظة، وفيه: فخرج النبي ﷺ، فمرَّ بمجالس بينه وبين بني قريظة، فقال: هل مرّ بكم من أحد؟ فقالوا: نعم، مرّ علينا دِحية الكلبي على بغلة شهباء، تحته قطيفة من ديباج، فقال النبي ﷺ: «ليس ذلك دِحية ولكنه جبرئيل أُرسل إلى بني قريظة ليزلزل حصونهم، ويقذف في قلوبهم الرعب».

أخرج البزّار والطبراني (12/ 12321) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: عاد رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار، فلما دنا من منزله سمعه يتكلَّم في الداخل، فلما استأذن عليه، دخل (عليه) فلم يرَ أحداً، فقال له رسول الله ﷺ: «سمعتك تكلِّم غيرك». قال: يا رسول الله، لقد

دخلتُ الداخل اغتماماً بكلام الناس ممّا بي من الحمّى، فدخل عليَّ داخل، ما رأيت رجلاً (قط) بعدك أكرم مجلساً، ولا أحسن حديثاً منه، قال: «ذاك جبريل، وإنَّ منكم لرجالاً لو أن أحدهم يُقسم على الله لأبره». قال الهيثمي (10/ 41): رواه البزّار والطبراني في الكبير والأوسط وأسانيدهم حسنة - انتهى.

أخرج أحمد والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنت مع أبي عند رسول الله ﷺ، وعنده رجل يناجيه، فكان كالمعرض عن أبي، فخرجنا من عنده، فقال أبي: أيْ بنيّ، ألم ترَ إلى ابن عمك كالمعرض عنّي؟ فقلت: يا أبتِ، إنه كان عنده رجل يناجيه. قال: فرجعنا إلى النبي ﷺ فقال أبي: يا رسول الله، قلت لعبد الله كذا وكذا، فأخبرني أنه كان عندك رجل يناجيك، فهل كان عندك أحد؟ فقال رسول الله ﷺ: «وهل رأيتَه يا عبد الله»؟ قلت: نعم، قال: «فإن ذلك جبريل عليه السلام هو الذي شغلني عنك». قال الهيثمي (9/ 276): رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجالها رجال الصحيح - انتهى. وعند الطبراني عنه قال: بعث العباس بعبد الله رضي الله عنهما إلى رسول الله ﷺ في حاجة، فوجد معه رجلاً، فرجع ولم يكلمه، فقال: «رأيته»؟ قال: نعم، قال: «ذاك جبريل، أما إنه لن يموت حتى يذهب بصره، ويُؤتى علماً». قال الهيثمي (9/ 277): رواه الطبراني بأسانيد ورجاله ثقات.

أخرج الطبراني (18/ 616) عن عروة بن رُوَيم عن العِرباض بن سارية رضي الله عنه، وكان شيخاً كبيراً من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان يحب أن يُقبض، كان يدعو: اللهمَّ كبرت سني، ورقَّ عظمي، فاقبضني إليك، قال: فبينا أنا يوماً في مسجد دمشق؛ إذا فتى شاب من أجمل الرجال، وعليه دُوَاج أخضر، فقال: ما هذا الذي تدعو به؟

فقلت: كيف أدعو يا بن أخي؟ قال: قل: اللهمَّ حسِّن العمل، وبلِّغ الأجل. قلت: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا ريبائيل الذي يسلُّ الحزن من قلوب المؤمنين. قال الهيثمي (10/ 184): وعروة وثَّقه غير واحد، وسعيد بن مقلاص لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

* * *

سلام الملائكة عليهم ومصافحتهم

أخرج الحاكم (3/ 472) عن مُطَرِّف بن عبد الله عن عمران بن حصين رضي الله عنهما، أنه قال: اعلم يا مُطَرِّف، أنه كان تسلم الملائكة عليَّ عند رأسي، وعند البيت، وعند باب الحِجْر، فلما اكتويت ذهب ذلك، فلما برىء كلَّمه، قال: اعلم يا مُطَرِّف، أنه عاد إليَّ الذي كنت أفقد، اكتم عليَّ يا مُطَرِّف حتى أموت.

وعند ابن سعد (4/ 289) عن مُطَرِّف، قال: قال لي عمران بن حصين رضي الله عنهما: أشعرتَ أنه كان يُسلِّم عليَّ، فلما اكتويت انقطع التسليم. فقلت: أمن قِبَلَ رأسك كان يأتيك التسليم، أو من قِبَل رجليك؟ قال: لا، بل من قبل رأسي. فقلت: لا أرى أن تموت حتى يعود ذلك، فلما كان بعد، قال لي: أشعرتَ أنَّ التسليم عاد لي؟ قال: ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى مات. وأخرج ابن سعد (4/ 288): عن قتادة أن الملائكة كانت تصافح عمران بن حصين حتى اكتوى فتنحَّت.

* * *

الخطاب مع الملائكة

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 204) عن سَلْم بن عطية الأسدي

قال: دخل سلمان رضي الله عنه على رجل يعوده وهو في النزع، فقال: أيُّها الملك، ارفق به. قال: يقول الرجل: إنه يقول: إني بكل مؤمن رفيق.

* * *

سماع كلام الملائكة

أخرج ابن أبي الدنيا في «كتاب الذكر» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال أُبي بن كعب رضي الله عنه: لأدخلنَّ المسجد، فلأصلينَّ، ولأحمدنَّ الله بمحامد لم يحمده بها أحد. فلمَّا صلَّى وجلس ليحمد الله ويثني عليه، فإذا هو بصوت عالٍ من خلفه، يقول: اللهمَّ لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسره، لك الحمد، إنك على كل شيء قدير، اغفر لي ما مضى من ذنوبي، واعصمني فيما بقي من عمري، وارزقني أعمالاً زاكية ترضى بها عني، وتُب عليَّ. فأتى رسول الله ﷺ فقصَّ عليه، فقال: ذاك جبرائيل عليه السلام كذا في «الترغيب» (3/ 101).

* * *

تكلم الملائكة على لسانهم

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أبغض عمر فقد أبغضني، ومن أحبَّ عمر فقد أحبّني، وإن الله باهي بالناس عشية عرفة عامة، وباهى بعمر خاصّة، وإنه لم يبعث الله نبياً إلا كان في أمته مُحَدَّث، وإن يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر» قالوا: يا رسول الله، كيف مُحَدَّث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه. قال الهيثمي (9/ 69) وفيه أبو سعد خادم الحسن البصري ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. انتهى.

أخرج ابن جرير في «تاريخه» (3/ 118) عن أنس بن الحُلَيس قال: بينا نحن محاصرو بَهُرَسِير بعد زحفهم وهزيمتهم، أشرف علينا رسول فقال: إن المَلِك يقول لكم: هل لكم إلى المصالحة، على أن لنا ما يلينا من دجلة وجبلنا، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أما شبعتم - لا أشبع الله بطونكم؟ - فبدر الناسَ أبو مفزّر الأسود بن قُطبة، وقد أنطقه الله بما لا يدري ما هو ولا نحن، فرجع الرجل ورأيناهم يقطعون إلى المدائن، فقلنا: يا أبا مفزّر، ما قلتَ له؟ فقال: لا والذي بعث محمداً بالحق ما أدري ما هو إلا أنَّ عليَّ سكينة، وأنا أرجو أن أكون قد أُنطِقت بالذي هو خير. وانتاب الناس يسألونه حتى سمع بذلك سعد، فجاءنا فقال: يا أبا مفزِّر، ما قلت؟ فوالله إنهم لهُرّاب!! فحدَّثه بمثل حديثه إيانا، فنادى في الناس، ثم نَهَد بهم وإن مجانيقنا لتخطِر عليهم، فما

ظهر على المدينة أحدٌ، ولا خرج إلينا إلا رجل نادى بالأمان، فآمناه، فقال: إن بقي فيها أحد فما يمنعكم، فتسوَّرها الرجال، وافتتحناها، فما وجدنا فيها شيئاً ولا أحداً، إلا أسارى أسرناهم خارجاً منها، فسألناهم وذلك الرجلَ: لأي شيء هربوا؟ فقالوا: بعث المَلِك إليكم يعرض عليكم الصلح، فأجبتموه بأنه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبداً حتى نأكل عسل أفريذين بأُترجّ كُوثى، فقال الملك: واويله!! ألاَ إنَّ الملائكة تَكَلَّم على ألسنتهم، تردُّ علينا، وتجيبنا عن العرب. والله لئن لم يكن كذلك، ما هذا إلا شيء أُلقي على في هذا الرجل لننتهي، فأرَزُوا إلى المدينة القُصوى.

* * *

نزول الملائكة لقرآنهم

أخرج البخاري ومسلم - واللفظ له - عن أبي سعيد الخدري، أن أُسَيد بن حُضَير رضي الله عنه، بنيما هو في ليلة يقرأ في مِرْبده، إذ جالت فرسه فقرأ، ثم جالت أخرى فقرأ، ثم جالت أخرى أيضاً، قال أُسيد: فخشيت أن تطأ يحيى، فقمت إليها، فإذا مثل الظُّلّة فوق رأسي، فيها أمثال السُّرُج، عَرَجَتْ في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوت على رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، بينما أنا البارحة في جوف الليل أقرأ في مِربدي، إذ جالت فرسي، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير» قال: فقرأت: ثم جالت أيضاً، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير» قال: فقرأت، ثم جالت أيضاً، ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرأ ابن حضير». قال: فانصرفتْ وكان يحيى قريباً منها، خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظُّلّة، فيها أمثال السّرج، عرجتْ في الجو حتى ما أراها، فقال

رسول الله ﷺ: «تلك الملائكة (كانت) تستمع لك، ولو قرأتَ لأصبحتْ يراها الناس ما تستتر منهم». وأخرجه الحاكم بنحوه باختصار وقال: صحيح على شرط مسلم. وقال فيه: فالتفتُ فإذا أمثال المصابيح، قال: مُدَلاَّةٌ بين السماء والأرض، فقال: يا رسول الله، ما استطعت أن أمضي. فقال: «تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن، أما إنك لو مضيتَ لرأيتَ العجائب». كذا في «الترغيب» (3/ 13). وأخرجه ابن حِبّان (779) والطبراني (1/ 566) والبيهقي عن أُسَيد بن حُضَير نحو رواية الحاكم كما في «الكنز» (7/ 7). وأخرجه أيضاً أبو عُبيد في «فضائله»، وأحمد، والبخاري معلَّقاً، والنَّسائي وغيرهم عنه مختصراً، وقال فيه: «تلك الملائكة دَنَت لصوتك، ولو قرأت لأصبح الناس حتى ينظروا إليها لا تتوارى منهم».

* * *

تولي الملائكة غسل جنائزهم

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 357) عن محمود بن لبيد عن حنظلة بن أبي عامر أخي بني عمرو بن عوف رضي الله عنه، أنه التقى هو وأبو سفيان بن حرب يوم أحد، فلما استعلاه حنظلة، رآه شدّاد بن الأسود ـ وكان يقول له: ابن شَعُوب ـ قد علا أبا سفيان، فضربه شدّاد، فقتله، فقال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم ـ يعني حنظلة ـ لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه» فسئلت صاحبته، فقالت: خرج وهو جُنُبٌ حين سمع الهاتفة، فقال رسول الله ﷺ: «لذلك غسلته الملائكة».

وأخرجه ابن إسحاق في «المغازي» عن عاصم بن عمر، وأخرج السرّاج من طريق ابن إسحاق أيضاً عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده ـ نحوه، كما في «الإصابة» (1/ 361). وأخرجه الحاكم (3/ 204) من طريق إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله عن أبيه عن جده ـ بمعناه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

أخرج ابن سعد (3/ 427) عن محمود بن لبيد، قال: لما أصيب أَكحَل سعد يوم الخندق، فثقل، حوّلوه عند امرأة يقال لها: رُفَيدة ـ فذكر الحديث. وفيه: فخرج رسول الله ﷺ وخرجنا معه، فأسرع المشي حتى تقطّعت شُسوع نعالنا، وسقطت أرديتنا عن أعناقنا، فشكا ذلك إليه

أصحابه: يا رسول الله، أتعبتنا في المشي. فقال: «إني أخاف أن تسبقنا الملائكة إليه، فتغسله كما غسلت حنظلة».

وأخرجه أيضاً (3/ 423) عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: فنام رسول الله ﷺ، فأتاه ملك ـ أو قال: جبريل ـ حين استيقظ، فقال: من رجل من أمتك مات الليلة، استبشر بموته أهل السماء؟ قال: «لا أعلم إلا أن سعداً أمسى دَنِفاً، ما فعل سعد»؟ قالوا: يا رسول الله، قد قُبض، وجاءه قومه فاحتملوه إلى ديارهم. قال: فصلّى رسول الله ﷺ الصبح، ثم خرج ومعه الناس، فبتَّ الناس مشياً حتى إن شُسُوع نعالهم لتنقطع من أرجلهم، وإن أرديتهم لتقع عن عواتقهم، فقال له رجل: يا رسول الله، قد بَتَتَّ الناس. قال فقال: «إني أخشى أن تسبقنا إليه الملائكة كما سبقتنا إلى حنظلة».

* * *

حفاوة الملائكة بجنائزهم

أخرج الشيخان عن جابر رضي الله عنه، أنه لما قتل أبوه جعل يكشف عن (وجهه) الثوب ويبكي، فنهاه الناس، فقال رسول الله ﷺ: «تبكيه أو لا تبكيه، لم تزل الملائكة تظلُّه (بأجنحتها) حتى رفعتموه». كذا في «البداية» (4/ 44). وعند ابن سعد (3/ 561) عنه: «ما زالت الملائكة تظلُّه بأجنحتها حتى رفعتموه».

أخرج ابن سعد (3/ 428) عن سلمة بن أسلم رضي الله عنه، قال: رأيت رسول الله ﷺ، ونحن على الباب نريد أن ندخل على أثره، فدخل رسول الله ﷺ وما في البيت أحد إلا سعد مُسجًّى، قال: فرأيته يتخطى، فلما رأيته وقفت وأومأ إليَّ: قف، فوقفت ورددتُ مَنْ ورائي، وجلس ساعة، ثم خرج، فقلت: يا رسول الله، ما رأيت أحداً، وقد رأيتك تتخطَّى، فقال رسول الله ﷺ: «ما قدرت على مجلس، حتى قبض لي ملك من الملائكة أحد جناحيه، فجلست» ورسول الله ﷺ يقول: «هنيئاً لك أبا عمرو!! هنيئاً لك أبا عمرو!! هنيئاً لك أبا عمرو!!».

وأخرج البزّار (2698) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد نزل لسعد بن معاذ سبعون ألف ملك، ما وطئوا الأرض قبلها» وقال حين دفن: «سبحان الله!! لو انفلت أحد من ضغطه القبر، لانفلت منها سعد». قال الهيثمي (9/ 308): رواه البزّار بإسنادين

ورجال أحدهما رجال الصحيح ـ انتهى. وأخرجه ابن سعد (3/ 430) عن ابن عمر بمعناه.

وعند ابن سعد (3/ 429) أيضاً عن سعد بن إبراهيم، قال: لما أُخرج سرير سعد، قال ناس من المنافقين: ما أخف جنازة سعد ـ أو: سرير سعد؟! فقال رسول الله ﷺ: «لقد نزل سبعون ألف ملك، شهدوا جنازة سعد ـ أو: سرير سعد ـ ما وطئوا الأرض قبل اليوم».

وعنده أيضاً (3/ 430) عن الحسن، قال: لما مات سعد بن معاذ رضي الله عنه ـ وكان رجلاً جسيماً جَزْلاً ـ جعل المنافقون وهم يمشون خلف سريره، يقولون: لم نرَ كاليوم رجلاً أخفّ، وقالوا: أتدرون لم ذاك؟ ذاك لحكمه في بني قريظة، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده، لقد كانت الملائكة تحمل سريره».

* * *

رعبهم في قلوب الأعداء

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن معاوية بن حَيْدة القُشيري قال: أتيت النبي ﷺ، فلما دُفعت إليه، قال: «أما إني قد سألت الله أن يغنيني بالسَّنة تحفيكم، وبالرعب يجعله في قلوبكم». فقال بيديه جميعاً: أما إني قد حلفت هكذا، وهكذا، أن لا أومن بك، ولا أتَّبعك، فما زالت السَّنة تحفيني، وما زال الرعب يُجعل في قلبي (حتى) قمتُ بين يديك. قال الهيثمي (6/ 66): إسناده حسن، ورواه النَّسائي وغيره غير ذكر الرعب والسَّنَة - انتهى.

أخرج البيهقي عن السائب بن يَسَار، عن يزيد بن عامر السُّوائي، قال: فنحن نسأله عن الرعب الذي ألقى الله في قلوب المشركين يوم حنين، كيف كان؟ قال: فكان يأخذ لنا بحصاة، فيرمي بها في الطَّست، فيطنُّ، قال: كنا نجد في أجوافنا مثل هذا. كذا في «البداية» (4/ 333).

* * *

بطش الأعداء

أخرج ابن سعد (1/ 188) عن زيد بن أسلم، وغيره، أن سراقة بن مالك ركب في طلب النبي ﷺ بعدما استقسم بالأزلام؛ أيخرج أم لا يخرج، فكان يخرج له أن لا يخرج ـ ثلاث مرات ـ فركب فلحقهم، فدعا النبي ﷺ أن ترسَخ قوائم فرسه، فرسخت فقال يا محمد، ادعُ الله أن يطلق فرسي فأردَّ عنك. فقال النبي ﷺ: «اللهمَّ إن كان صادقاً، فأطلق له فرسه». فخرجت قوائم فرسه.

وأخرجه أيضاً (1/ 232) عن عمير بن إسحاق، وفي روايته: فقال: يا هذان، ادعُوَا لي الله ولكما ألا أعود. فدعَوَا الله، فعاد فساخت، فقال: ادعُوَا لي الله ولكما ألا أعود. قال: وعرض عليهما الزاد والحُمْلان، فقالا: «اكفِنا نفسَك» فقال: قد كفيتُكماها.

وعنده أيضاً في حديث طويل في الهجرة، عن أبي معبد الخزاعي فقال: يا محمد، ادعُ الله أن يطلق فرسي، وأرجع عنك وأرد مَنْ ورائي. ففعل، فأُطلق ورجع، فوجد الناس يلتمسون رسول الله ﷺ، فقال: ارجعوا فقد استبرأتُ لكم ما ههنا، وقد عرفتم بصري بالأثر، فرجعوا عنه.

وأخرج ابن سعد (1/ 235) عن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ فذكر الحديث في الهجرة، وفيه: والتفت أبو بكر رضي الله عنه، فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا نبي الله، هذا فارس قد لحق بنا. قال:

فالتفت نبي الله ﷺ، فقال: «اللهمَّ اصرعْه» قال: فصرعتْه فرسه، ثم قامت تُحَمْحِم، قال: فقال: يا نبي الله، مُرْني بما شئت. قال: فقال: «قف مكانك فلا تتركنَّ أحداً يلحق بنا». قال: فكان أول النهار جاهداً على رسول الله ﷺ، وكان آخر النهار مسْلحة له. وقد تقدّمت في (1/ 340) قصة سراقة من حديث البراء رضي الله عنه عند أحمد في باب الهجرة في هجرة النبي ﷺ.

أخرج الطبراني (10/ 10760) عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن أربَد بن قيس وعامر بن الطفيل، قدما المدينة على رسول الله ﷺ، فانْتَهيا إليه وهو جالس، فجلسا بين يديه، فقال عامر بن الطفيل: يا محمد، ما تجعل لي إن أسلمت؟ فقال رسول الله ﷺ: «لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم». قال عامر بن الطفيل: أتجعل لي الأمر إن أسلمت من بعدك؟ قال رسول الله ﷺ: «ليس ذلك لك ولا لقومك، ولكن لك أعنَّةُ الخيل». قال: أنا الآن في أعنة خيل نجد، اجعل لي الوَبر ولك المَدَر، قال رسول الله ﷺ: «لا،». فلما قفلا من عنده، قال عامر: أما والله، لأملأنَّها عليك خيلاً ورجالاً. فقال له رسول الله ﷺ: «يمنعك الله» فلما خرج أربَد وعامر، قال عامر: يا أربد، أنا أشغل عنك محمداً بالحديث؛ فاضربه بالسيف، فإن الناس إذا قتلتَ محمداً لم يزيدوا على أن يرضَوا بالدِّية، ويكرهوا الحرب، فنعطيهم الدِّية؛ قال أربَد: أفْعَلُ. فأقبلا راجعين إليه، فقال عامر: يا محمد، قم معي أكلمك. فقام معه رسول الله ﷺ، فجلسا إلى الجدار. ووقف معه رسول الله ﷺ يكلّمه، وسلّ أربَد السيف، فلما وضع يده على السيف، يبست يده على قائم السيف، فلم يستطع سَلَّ السيف، فأبطأ أربد على عامر بالضرب، فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أربَد وما يصنع، فانصرف عنهما، فلما خرج عامر

وأربَد من عند رسول الله ﷺ، حتى إذا كان بالحرة ـ حرة واقم ـ نزلا، فخرج إليهما سعد بن معاذ وأُسَيد بن حُضير رضي الله عنهما، فقالا: اشخَصَا يا عدوي الله، لعنكما الله. فقال عامر: ما هذا يا سعد؟ قال: هذا أُسيد بن حُضير الكتائب. فخرجا حتى إذا كانا بالرَّقْم أرسل الله على أربَد صاعقة فقتلته، وخرج عامر حتى إذا كان بالجريم أرسل الله قُرحة، فأخذته، فأدركه الليل في بيت امرأة من بني سلول، فجعل يمسُّ قرحته في حلقه ويقول: غُدّة كغدَّة الجمل، في بيت سَلُولية، يرغب أن يموت في بيتها، ثم ركب فرسه، فأحضره حتى مات عليه راجعاً، فأنزل الله فيهما ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: 11]، قال: المعقِّبات من أمر الله يحفظون محمداً ﷺ، ثم ذكر أربَد وما قَتَله به، فقال: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ [الرعد: 13] ـ الآية. كذا في «التفسير» لابن كثير (2/ 506).

* * *

هزيمة الأعداء برمي الحصاة والتراب

أخرج الطبراني (3/ 3368)، وأبو نُعيم، وابن عساكر، عن الحارث بن بَدَل قال: شهدت رسول الله ﷺ يوم حُنَيْن، فانهزم أصحابه أجمعون إلا العباس بن عبد المطلب، وأبا سفيان بن الحارث رضي الله عنهما، فرمى رسول الله ﷺ وجوهنا بقبضة من الأرض، فانهزمنا. فما خُيِّل إليَّ أن شجراً، ولا حجراً، إلا وهو في آثارنا. كذا في «الكنز» (5/ 304). وأخرجه ابن منده، وابن عساكر عنه مختصراً، كما في «الكنز».

وأخرج يعقوب بن سفيان، عن عمرو بن سفيان الثقفي وغيره، قال: انهزم المسلمون يوم حُنَين، فلم يبقَ مع رسول الله ﷺ إلا عباس، وأبو سفيان بن الحارث، قال: فقبض رسول الله ﷺ من الحصباء، فرمى بها في وجوههم، قال: فانهزمنا، فما خُيِّل إلينا، إلاَّ أنَّ كل حجر، أو شجر فارس يطلبنا. قال الثقفي: فأعْجَزْتُ على فرسي حتى دخلت الطائف. كذا في «البداية» (4/ 332).

أخرج الطبراني في «الكبير» (3/ 3128) و«الأوسط» عن حكيم بن حِزام، قال: سمعنا صوتاً وقع من السماء إلى الأرض، كأنه صوت حصاة في طَسْت، ورمى رسول الله ﷺ بتلك الحصاة، فانهزمنا. قال الهيثمي (6/ 84): إسناده حسن.

وعنده أيضاً (3/ 3128) عنه، قال: لمَّا كان يوم بدر أمر

رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من الحصى، فاستقبلنا به، فرمى بها، وقال: «شاهت الوجوه»، فانهزمنا، فأنزل الله عز وجل ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]. قال الهيثمي (6/ 84) إسناده حسن.

وعنده أيضاً (10/ 11750)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنَّ النبي ﷺ قال لعلي رضي الله عنه: «ناولني كفًّا من حصى». فناوله، فرمى به وجوه القوم، فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء، فنزلت ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾. قال الهيثمي (6/ 84): رجاله رجال الصحيح ـ اهـ.

وعند البيهقي من حديث يزيد بن عامر السُّوائي رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ قبضة من الأرض، ثم أقبل على المشركين، فرمى بها وجوههم، وقال: «ارجعوا، شاهت الوجوه» فما أحد يلقى أخاه إلا وهو يشكو قذى في عينيه. كذا في «البداية» (4/ 333).

* * *

تقليل الأعداء في أعينهم

أخرج الطبراني (10/ 10269) عن عبد الله ـ يعني ابن مسعود رضي الله عنه ـ قال: لقد قُلِّلوا في أعيننا يوم بدر؛ حتى قلت لصاحبي الذي إلى جانبي أتراهم سبعين؟ قال؛ أراهم مائة، حتى أخذنا منهم رجلاً، فسألناه، قال: كنا ألفاً. كذا في «المجمع» (6/ 84). وأخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير عن ابن مسعود ـ نحوه، كما في «التفسير» لابن كثير (2/ 315).

* * *

النصرة بالصَّبا

أخرج ابن سعد (2/ 71) عن سعيد بن جبير، قال: كان يوم الخندق بالمدينة، قال: فجاء أبو سفيان بن حرب ومن تبعه من قريش، ومن معه من كنانة، وعيينة بن حصن ومن تبعه من غطفان، وطليحة ومن تبعه من بني أسد، وأبو الأعور ومن تبعه من سُلَيم، وقريظة كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد فنقضوا ذلك، وظاهروا المشركين، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ [الأحزاب: 26] فأتى جبريل عليه السلام ومعه الريح، فقال حين رأى جبريل: «ألا أبشروا» ثلاثاً، فأرسل الله عليهم الريح، فهتكت القباب، وكفأت القدور، ودفنت الرِّحال، وقطعت الأوتاد، فانطلقوا لا يلوي أحد على أحد، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: 9] فرجع رسول الله ﷺ.

وعنده أيضاً (2/ 77) عن حُمَيد بن هلال قال: كان بين النبي ﷺ وبين قريظة وَلْثٌ من عهد، فلما جاءت الأحزاب بما جاؤوا به من الجنود، نقضوا العهد، وظاهروا المشركين على رسول الله، فبعث الله الجنود والريح، فانطلقوا هاربين، وبقي الآخرون في حصنهم ـ فذكر الحديث في غزوة بني قريظة.

وأخرج البزّار (1811) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أتت الصَّبا الشَّمالَ ليلة الأحزاب، فقالت: مُرِّي حتى تنصري رسول الله ﷺ، فقالت الشَّمالُ: إن الحُرَّة لا تسري بالليل. فكانت الريح التي نُصر بها رسول الله ﷺ الصَّبا. قال الهيثمي (6/ 66): رجاله رجال الصحيح. وأخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وابنُ جرير عن عكرمة ـ بمعناه، كما في «التفسير» لابن كثير (3/ 470).

خسف الأعداء وهلاكهم

أخرج البزّار (1799) عن بُريدة رضي الله عنه، أن رجلاً قال يوم أحد: اللهمَّ إن كان محمد على الحق فاخسف بي، قال: فخسف به. قال الهيثمي (6/ 122): رجاله رجال الصحيح.

وأخرج أبو نعيم في «الدلائل» (ص 176) عن نافع بن عاصم قال: الذي دمَّى وجه رسول الله ﷺ عبد الله بن قميئة رجل من هذيل، فسلّط الله عليه تَيْساً فنطحه حتى قتله.

* * *

ذهاب البصر بدعواتهم

أخرج أحمد عن عبد الله بن مُغَفَّل المزني رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ بالحديبية... فذكر الحديث في صلح الحديبية وفيه: فبينا نحن كذلك، خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله ﷺ، فأخذ الله أبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال رسول الله ﷺ: «هل جئتم في عهد أحد؟ وهل جعل لكم أحد أماناً»؟ قالوا: لا، فخلّى سبيلهم، فأنزل الله عز وجل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: 24]. قال الهيثمي (6/ 145): رجال رجال الصحيح. اهـ. وأخرجه النَّسائي نحوه، كما في «التفسير» لابن كثير (4/ 192).

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن زاذان، أن علياً رضي الله عنه حدَّث بحديث فكذبه رجل، فقال له علي: أدعو عليك إن كنت كاذباً؟ قال: ادعُ. فدعا عليه فلم يبرح حتى ذهب بصره. قال الهيثمي (9/ 116): وفيه عمّار الحضرمي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 211) عن عمّار قال: حدث عليّ رجلاً بحديث فكذّبه، فما قام حتى أعمي.

وعند ابن أبي الدنيا عن زاذان، أن رجلاً حدّث علياً رضي الله عنه

بحديث، فقال: ما أراك إلا قد كذبتني. قال: لم أفعل، قال: أدعو عليك إنت كنت كذبت؟، قال: ادعُ. فدعا فما برح حتى عمي. كذا في «البداية» (8/ 5).

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 96) عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن مروان أرسل إلى سعيد بن زيد رضي الله عنه ناساً يكلِّمونه في شأن أروى بنت أويس، ـ وخاصمته في شيء ـ فقال: يروني أظلمها؛ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ظَلَم شبراً من الأرض طوِّقه يوم القيامة من سبع أرضين». اللهمَّ إن كانت كاذبة فلا تُمْتها حتى يعمَى بصرها، وتجعل قبرها في بئرها، قال: فوالله ما ماتت حتى ذهب بصرها، وخرجت تمشي في دارها وهي حَذِرة فوقعت في بئرها. وكانت قبرها. وأخرجه أيضاً عن عروة ـ نحوه.

وعنده أيضاً (1/ 97) عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أن أروى اسْتَعْدت على سعيد بن زيد ـ رضي الله عنه ـ إلى مروان بن الحكم، فقال سعيد: اللهمَّ إنها قد زعمت أني ظلمتها، فإن كانت كاذبت فأعم بصرها، وألقها في بئرها، وأظهر من حقي نوراً، يبيِّن للمسلمين أني لم أظلمها. قال: فبينا هم على ذلك إذ سال العقيق بسيل لم يسل مثله قط، فكشف عن الحد الذي كانا يختلفان فيه، فإذا سعيد قد كان في ذلك صادقاً، ولم تلبث إلا شهراً حتى عميت، فبينا هي تطوف في أرضها تلك، إذ سقطت في بئرها، قال: فكنّا ونحن غلمان نسمع الإنسان يقول للإنسان: أعماك الله كما أعمى الأروى، فلا نظنُّ إلا أنه يريد الأروى التي من الوحش، فإذا هو إنما كان ذلك لما أصاب أروى من دعوة سعيد بن زيد، وما يتحدّث الناس به مما استجاب الله له سؤله.

أخرج الطبراني (3/ 2830) عن أبي العُطاردي قال: لا تسبُّوا علياً ولا أحداً من أهل البيت، فإن جاراً لنا من بَلْهُجَيْم، قال: ألم تروا إلى هذا الفاسق الحسين بن علي قتله الله؟ فرماه بكوكبين في عينيه فطمس الله بصره. قال الهيثمي (9/ 196): رجاله رجال الصحيح. انتهى.

* * *

رد البصر بدعواتهم

أخرج أبو نُعيم في «دلائل النبوة» (ص 63) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في المسجد، فيجهر بالقراءة حتى تأذى به ناس من قريش، حتى قاموا ليأخذوه، وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم، وإذا هم عُمْي لا يبصرون، فجاؤوا إلى النبي ﷺ، فقالوا: ننشدك الله والرَّحِمَ يا محمد ـ قال: ولم يكن بطن من بطون قريش إلا وللنبي ﷺ فيهم قرابة ـ فدعا النبي ﷺ حتى ذهب ذلك عنهم، فنزلت ﴿يسٓ ① وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ② إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ③﴾ ـ إلى قوله تعالى: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: 1 ـ 10]، قال: فما آمن من أولئك النفر أحد.

أخرج الطبراني (9/ 12) عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه، قال: أُهدي إلى رسول الله ﷺ قوس، فدفعها رسول الله ﷺ إليَّ يوم أحد، فرميت بها بين يدي رسول الله ﷺ حتى اندقت سيَتها، ولم أزُل عن مقامي نصب وجه رسول الله ﷺ ألقى السهام بوجهي، كلما مال سهم منها إلى وجه رسول الله ﷺ ميَّلت وجهي ورأسي؛ لأقي وجه رسول الله ﷺ بلا رمي أرميه، فكان آخرها سهماً نَدَرت منه حدَقتي على خدِّي، وافترق الجمع، فأخذت حدقتي بكفي، فسعيت بها في كفي إلى رسول الله ﷺ، فلما رآها رسول الله ﷺ دمعت عيناه، فقال: «اللهمَّ إن قتادة قد وقى نبيَّك بوجهه، فاجعلها أحسن عينيه، وأحدَّهما نظراً».

فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما نظراً. قال الهيثمي (8/ 297): في إسناده من لم أعرفهم - اهـ. وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 174) عن قتادة نحوه، وابنُ سعد (3/ 453): عن عاصم ابن عمر بن قتادة مختصراً.

وأخرجه الدارقطني، وابن شاهين، عن محمود بن لبيد عن قتادة رضي الله عنه، أنه أصيبت عينه يوم أحد، فوقعت على وجنته، فردّها النبي ﷺ، فكانت أصحَّ عينيه. وأخرج الدارقطني والبيهقي عن أبي سعيد الخدري عن قتادة - نحوه. كذا في «الإصابة» (3/ 225). وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 174) عن قتادة. نحوه، وفي روايته: فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما.

وأخرج البغوي، وأبو يَعْلى (1549)، عن عاصم بن عمر بن قتادة عن قتادة بن النعمان، أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فقالوا: لا، حتى نستأمر رسول الله ﷺ. فاستأمروه، فقال: «لا» ثم دعا به، فوضع راحته على حدقته ثم غمزها، فكان لا يدري أي عينيه ذهب. كذا في «الإصابة» (3/ 225). قال الهيثمي (8/ 298): وفي إسناد أبي يعلى يحيى بن عبد الحميد الحِمّاني وهو ضعيف.

أخرج أبو يَعْلى (1550) عن عبد الرحمٰن بن الحارث بن عبيدة عن جدِّه، قال: أصيبت عين أبي ذر رضي الله عنه يوم أحد، فبزق فيها النبي ﷺ فكانت أصحَّ عينيه. قال الهيثمي (8/ 298): وفيه عبد العزيز بن عِمران وهو ضعيف.

وأخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 223) عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه، قال: لما كان يوم بدر رُميت بسهم ففقئت عيني، فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لي، فما آذاني منها شيء.

وأخرج ابن أبي شيبة (7/ 445) عن رجل من بني سَلاَمان عن أمه، أن خالها حبيب بن فُوَيك حدَّثها أن أباه خرج به إلى رسول الله ﷺ، وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئاً، فسأله فقال: كنت أروِّض جملاً لي فوقعت رجلي على بيض حية فأصيب بصري؛ فنفث في عينيه فأبصر، قال: فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وإنه لابن ثمانين وإن عينيه لمبيضتان. قال ابن السَّكَن: لم يروه غير محمد بن بشر ولا أعلم لحبيب غيره. كذا في «الإصابة» (1/ 308).

وأخرجه الطبراني (4/ 3546) أيضاً عن رجل من سَلاَمان بن سعيد عن أمه ـ مثله إلا أن في روايته: كنت أمري جمالي. قال الهيثمي (8/ 298): وفيه من لم أعرفهم ـ اهـ. وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 223) بهذا الإسناد ـ نحوه، وفي روايته: أمرن جملي.

أخرج الفاكهاني، وابن مَنْده، عن سعد بن إبراهيم، قال: كانت زِنِّيرة رومية فأسلمت ـ رضي الله عنها فذهب بصرها، فقال المشركون: أعمتها اللاَّت والعُزَّى. فقالت: إني كفرت باللاَّت والعزّى. فردّ الله إليها بصرها.

وعند محمد بن عثمان بن أبي شيبة في «تاريخه» عن أنس رضي الله عنه قال: قالت لي أم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها: أعتق أبو بكر زِنِّيرة ـ رضي الله عنهما ـ فأصيب بصرها حين أعتقها. فقالت قريش:

ما أذهب بصرها إلا اللاَّت والعُزَّى. فقالت: كذبوا، وبيت الله ما يُغني اللاَّت والعُزَّى ولا ينفعان. فردَّ الله إليها بصرها. كذا في «الإصابة» (4/ 312).

المجلد الحادي عشر

حياة الصحابة

تأليف

محمد بن يوسف الكاندهلوي

نوبليس

حَيَاةُ الصَّحَابَةِ

حياة الصحابة

تأليف

محمد بن يوسف الكاندهلوي

قدّم له

أبو الحسن علي الحسني الندوي

المجلد الثاني عشر

نوبليس

اسم المجموعة:	حياة الصحابة
اسم الكتـاب:	المجلد الثاني عشر
المـؤلـف:	محمد بن يوسف الكاندهلوي
التدقيق والمراقبة:	قسم الدراسات في دار نوبليس
قيـاس الكتـاب:	17 × 24
عدد الصفحات:	200
عدد صفحات المجموعة:	2400
مكـان النشـر:	بيروت
دار النشر والتوزيع:	دار نوبليس
تلفاكس:	961 (1) 58 34 75
هاتـف:	961 (1) 58 11 21 - 961 (3) 58 11 21
بريد إلكتروني:	NOBILIS_INTERNATIONAL@hotmail.com
الطبعة الأولى:	2006

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

انتفاض غرفات الأعداء بالتهليل والتكبير

أخرج الحاكم عن هشام بن العاص الأموي رضي الله عنه، قال: بُعثت أنا ورجل آخر إلى هرقل صاحب الروم ندعوه إلى الإسلام، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة - يعني غوطة دمشق - فنزلنا على جبَلَة بن الأيْهَم الغسَّاني، فدخلنا عليه. فإذا هو على سرير له، فأرسل إلينا برسوله نكلِّمه، فقلنا: والله لا نكلم رسولاً، وإنما بعثنا إلى الملك، فإن أذن لنا كلَّمناه، وإلا لم نكلم الرسول. فرجع إليه الرسول فأخبره بذلك، قال: فأذِن لنا، فقال: تكلَّموا، فكلَّمه هشام بن العاص ودعاه إلى الإسلام، فإذا عليه ثياب سود، فقال له هشام: وما هذه التي عليك؟ فقال: لبستها وحلفتُ أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام. قلنا: ومجلسك هذا - والله - لنأخذنَّه منك، ولنأخذنَّ ملك الملك الأعظم، إن شاء الله، أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ، قال: لستم بهم، بل هم قوم يصومون بالنهار ويقومون بالليل، فكيف صومكم؟ فأخبرناه فمُلىء وجه سواداً، فقال: قوموا. وبعث معنا رسولاً إلى الملك.

فخرجنا، حتى إذا كنا قريباً من المدينة، قال لنا الذي معنا: إنَّ دوابَّكم هذه لا تدخل مدينة الملك، فإن شئتم حملناكم على براذين وبغال. قلنا: والله لا ندخل إلا عليها، فأرسلوا إلى الملك أنهم يأبون

ذلك، فأمرهم أن ندخل على رواحلنا، فدخلنا عليها متقلِّدين سيوفنا، حتى انتهينا إلى غرفة له، فأنخنا في أصلها وهو ينظر إلينا، فقلنا: لا إله إلا الله والله أكبر، فالله يعلم لقد انتفضت الغرفة، حتى صارت كأنها عَذْق تصفِّقه الرياح، قال: فأرسل إلينا: ليس لكم أن تجهروا علينا بدينكم، وأرسل إلينا أن ادخلوا، فدخلنا عليه وهو على فراش له وعنده بطارقة من الروم، وكل شيء في مجلسه أحمر، وما حوله حمرة، وعليه ثياب من الحمرة، فدنونا منه فضحك فقال: ما عليكم لو جئتموني بتحيتكم فيما بينكم؟ وإذا عنده رجل فصيح بالعربية كثير الكلام؟ فقلنا: إن تحيتنا فيما بيننا لا تحل لك، وتحيتك التي تُحيّا بها لا يحل لنا أن نحيِّيك بها. قال: كيف تحيتكم فيما بينكم؟ قلنا: السلام عليكم، قال: فكيف تحيُّون ملككم؟ قلنا: بها، قال: فكيف يرد عليكم؟ قلنا: بها، قال: فما أعظمُ كلامكم؟ قلنا: لا إله إلا الله والله أكبر، فلما تكلمنا بها - والله يعلم - لقد انتَفَضَت الغرفة حتى رفع رأسه إليها، قال: فهذه الكلمة التي قلتموها حيث انتفضت الغرفة، كلما قلتموها في بيوتكم تنفَّضت عليكم غرفكم؟ قلنا: لا، ما رأيناها فعلت هذا قط إلا عندك. قال: لوددت أنكم كلما قلتم تنفَّض كل شيء عليكم؛ وأني قد خرجت من نصف ملكي. قلنا: لم؟ قال: لأنه كان أيسر لشأنها وأجدر أن لا تكون من أمر النبوة، وأنها تكن من حِيَل الناس. ثم سألنا عما أراد، فأخبرناه. ثم قال: كيف صلاتكم وصومكم؟ فأخبرناه، فقال: قوموا، فأمر لنا بمنزل حسن ونُزُل كثير.

فأقمنا ثلاثاً، فأرسل إلينا ليلاً فدخلنا عليه، فاستعاد قولنا فأعدناه، ثم دعا بشيء كهيئة الرَّبْعة العظيمة مذهَّبة، فيها بيوت صغار، عليها أبواب، ففتح بيتاً وقفلاً، فاستخرج حريرة سوداء، فنشرناها فإذا فيها

صورة حمراء، وإذا فيها رجل ضخم العينين، عظيم الأليتين، لم أرَ مثل طول عنقه، وإذا ليست له لحية، وإذا له ضفيرتان أحسن ما خلق الله، فقال: أتعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا آدم عليه السلام، وإذا هو أكثر الناس شعراً.

ثم فتح باباً آخر فاستخرج منه حريرة سوداء، وإذا فيها صورة بيضاء، وإذا له شعر كشعر القَطِط؛ أحمر العينين، ضخم الهامة، حسن اللحية قال: تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا نوح عليه السلام.

ثم فتح باباً آخر فاستخرج حريرة سوداء، وإذا فيها رجل شديد البياض، حسن العينين، صَلْت الجبين، طويل الخد، أبيض اللحية، كأنه يبتسم، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا إبراهيم عليه السلام.

ثم فتح باباً آخر، فإذا فيه صورة بيضاء، وإذا ـ والله ـ برسول الله ﷺ، فقال: أتعرفون هذا؟ قلنا: نعم، هذا محمد رسول الله ﷺ. قال: وبكينا، قال: والله يعلم أنه قام قائماً ثم جلس، وقال: والله إنَّه لهو؟ قلنا: نعم إنه لهو كأنك تنظر إليه. فأمسك ساعة ينظر إليها، ثم قال: أما إنه كان آخر البيوت، ولكني عجَّلته لكم لأنظر ما عندكم.

ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، فإذا فيها سورة أدماء سحماء، وإذا رجل جَعْد، قَطِط، غائر العينين، حديد النظر، عابس، متراكب الأسنان، متقلّص الشفة، كأنه غضبان، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا موسى عليه السلام، وإلى جنبه صورة تشبهه إلا أنه مُدْهانٌ الرأس، عريض الجبين، في عينيه قَبَل، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا هارون بن عمران عليه السلام.

ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل آدم، سَبْط، رَبْعة، كأنه غضبان، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا لوط عليه السلام.

ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل أبيض، مُشْرَب حمرة، أقنى، خفيف العارضين، حسن الوجه، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا إسحاق عليه السلام.

ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة تشبه إسحاق إلا أنه على شفته خال، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا يعقوب عليه السلام.

ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، فيها صورة رجل أبيض، حسن الوجه، أقنى الأنف، حسن القامة، يعلو وجهه نور؛ يعرف في وجهه الخشوع، يضرب إلى الحمرة، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا إسماعيل عليه السلام، جد نبيكم ﷺ.

ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة كصورة آدم، كأن وجهه الشمس، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا يوسف عليه السلام.

ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل أحمر، حَمْش الساقين، أَخْفَش العينين، ضخم البطن، رَبْعة، متقلد سيفاً، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا داود عليه السلام.

ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فيها صورة رجل ضخم الأليتين، طويل الرجلين، راكب فرساً، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا سليمان بن داود عليهما السلام.

ثم فتح باباً آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، فيها صورة بيضاء، وإذا شاب شديد سواد اللحية، كثير الشعر، حسن العينين، حسن الوجه، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا عيسى بن مريم عليهما السلام.

قلنا: من أين لك هذه الصور؟ لأنا نعلم أنها على ما صُوِّرت عليه الأنبياء عليهم السلام، لأنا رأينا صورة نبينا عليه السلام مثله، فقال: إن آدم عليه السلام سأل ربه أن يريَه الأنبياء من ولده؛ فأنزل عليه صورهم، فكانت في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس، فدفعها إلى دانيال. ثم قال: أما والله إن نفسي طابت بالخروج من ملكي وإني كنت عبداً لأشركم مَلَكة حتى أموت، ثم أجازنا، فأحسن جائزتنا وسرَّحنا.

فلما أتينا أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فحدَّثناه بما أرانا، وبما قال لنا، وما أجازنا، قال: فبكى أبو بكر: وقال: مسكين لو أراد الله به خيراً لفعل. ثم قال: أخبرنا رسول الله ﷺ أنهم واليهود يجدون نعت محمد ﷺ عندهم. وهكذا أورده الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب «دلائل النبوة» (1/ 386) عن الحاكم إجازة... فذكره وإسناده لا بأس به. كذا في «التفسير» لابن كثير (2/ 251). وذكره في «الكنز» (5/ 322) عن البيهقي بتمامه، ثم قال: قال ابن كثير: هذا حديث جيد الإسناد ورجاله ثقات. انتهى. وأخرجه أبو نُعيم في «دلائل النبوة» (ص 9) عن موسى بن عقبة... فذكر القصة بنحوها، ولم يقع في حديث هشام بن العاص ذكر أبي بكر في تلك الصور. وقد وقع ذكره في حديث أخرجه البيهقي (1/ 384) عن جُبير بن مُطْعِم رضي الله عنه كما في «البداية» (6/ 63) وفيه: فقالوا لي: انظر هل ترى صورته. فنظرت، فإذا أنا بصفة

رسول الله ﷺ وصورته، وإذا أنا بصفة أبي بكر وصورته، وهو آخذ بعقب رسول الله ﷺ، فقالوا لي: هل ترى صفته؟ قلت: نعم، قالوا: هو هذا وأشاروا إلى صفة رسول الله ﷺ، قلت: اللهمَّ نعم، أشهد أنه هو. قالوا: أتعرف هذا الذي آخذ بعقبه؟ قلت: نعم، قالوا: نشهد أن هذا صاحبكم، وأن هذا الخليفة من بعده. وأخرجه البخاري في «التاريخ» مختصراً. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (2/ 1537) و«الأوسط»، وفي روايته، قلت: من هذا الرجل القائم على عقبه؟ قال: إنه لم يكن نبي إلا كان بعده نبي إلا هذا فإنه لا نبي بعده، وهذا الخليفة بعده، وإذا صفة أبي بكر رضي الله عنه. قال الهيثمي (8/ 234): وفيه من لم أعرفهم. اهـ. وأخرجه أبو نُعيم في «دلائل النبوة» (ص 9) نحو رواية البيهقي.

ذكر ابن جرير في «تاريخه» (3/ 97) عن أشياخ من غسّان وبَلْقَيْن قالوا: أثاب الله المسلمين على صبرهم أيام حمص أن زلزل بأهل حمص، وذلك أن المسلمين ناهَدُوهم، فكبَّروا تكبيرة زُلزلت معها الروم في المدينة، وتصدَّعت الحيطان، ففزعوا إلى رؤسائهم، وإلى ذوي رأيهم ممن كان يدعوهم إلى المسالمة، فلم يجيبوهم وأذلوهم بذلك، ثم كبروا الثانية، فتهافتت منها دور كثيرة وحيطان، وفزعوا إلى رؤسائهم وذوي رأيهم، فقالوا: ألا ترون إلى عذاب الله؟ فأجابوهم... إلى آخر ما ذكر.

* * *

بلوغ الصوت إلى الآفاق

أخرج البيهقي واللالكائي في «شرح السنّة»، والزين عاقولي في «فوائده»، وابن الأعرابي في «كرامات الأولياء» عن ابن عمر رضي الله عنهما؛ قال: وجَّه عمر جيشاً ورأس عليهم رجلاً يدعى سارية رضي الله عنه، فبينا عمر رضي الله عنه يخطب جعل ينادي: يا ساريةُ الجبلَ - ثلاثاً - ثم قدم رسول الجيش، فسأله عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، هُزمنا، فبينا نحن كذلك؛ إذ سمعنا صوتاً ينادي: يا ساريةُ الجبلَ - ثلاثاً - فأسندنا ظهرنا إلى الجبل، فهزمهم الله تعالى، قال: قيل لعمر: إنك كنت تصيح بذلك. وهكذا ذكره حرملة في جمعه لحديث ابن وَهْب، وهو إسناد حسن.

وروى ابن مردويه عن ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما، أنه كان يخطب يوم الجمعة، فعرض في خطبته أن قال: يا ساريةُ الجبلَ، من استرعى الذئب ظَلَم. فالتفت الناس بعضهم إلى بعض، فقال لهم علي رضي الله عنه: لَيَخرجنّ مما قال. فلما فرغ سألوه، فقال: وقع في خَلَدي أن المشركين هزموا إخواننا وأنهم يمرون بجبل، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد، وإن جاوزوا هلكوا؛ فخرج مني ما تزعمون أنكم سمعتموه. قال: فجاء البشير بعد شهر، فذكر أنهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم، قال: فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا. كذا في «الإصابة» (2/ 3). وأخرجه أيضاً أبو نعيم في «الدلائل» (ص 210) وأبو عبد

الرحمن السلمي في «الاربعين»، واخرجه الخطيب في «رواة مالك»، وابن عساكر عن ابن عمر، كما في «المنتخب» (4/ 386) وفي روايتهما: فقال الناس لعلي رضي الله عنه: أما سمعت عمر رضي الله عنه يقول: يا ساريةُ وهو يخطب على المنبر؟ قال: ويحكم!! دَعُوا عمر؛ فإنه ما دخل في شيء إلا خرج منه. قال ابن كثير في «البداية» (7/ 131): وفي صحته من حديث مالك نظر. انتهى.

وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 210) من طريق نصر بن طَرِيف وفي روايته: فقال عمر رضي الله عنه: إنه وقع في رُوعي أن العدو ألجأه العدو إلى الجبل، قال: فلعل عبداً من عباد الله يبلّغه صوتي.

وعنده أيضاً فيه (ص 211) من طريق عمرو بن الحارث وفي روايته: فدخل عليه عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه ـ وكان يطمئن إليه ـ فقال: أشدّ ما ألومهم عليك أنك تجعل على نفسك لهم مقالاً، بينا أنت تخطب إذ أنت تصيح: يا ساريةُ الجبلَ؛ أيّ شيء هذا؟ قال: إنّي والله ما ملكت ذلك، رأيتهم يقاتلون عند جبل، يُؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم؛ فلم أملك أن قلت: يا ساريةُ الجبل، ليلحقوا بالجبل. فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابه: أن القوم لحقونا يوم الجمعة، فقاتلناهم من حين صلّينا الصبح إلى حين حضرت الجمعة ودار حاجب الشمس، فسمعنا منادياً ينادي: يا ساريةُ الجبل ـ مرّتين ـ فلحقنا بالجبل، فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم، فقال أولئك الذين طعنوا عليه: دَعُوا هذا الرجل فإنه مصنوعٌ له. وأخرجه الواقدي عن زيد بن أسلم، ويعقوب بن زيد، كما في «البداية» (7/ 131) وفي روايتهما: فقيل لعمر بن الخطاب: ما ذلك الكلام؟ فقال: والله، ما ألقيت له إلا

بشيء أُلقي على لساني. قال ابن كثير: فهذه طرق يشد بعضها بعضاً - انتهى. على أن طريق ابن وَهْب حسَّنه ابن كثير، ثم الحافظ ابن حجر رحمهما الله تعالى.

أخرج الطبراني عن عَزّة بنت عاص بن أبي قُرْصافة قال: أسرتِ الروم ابناً لأبي قُرْصافة رضي الله عنه، فكان أبو قُرْصافة إذا حضر وقت كل صلاة صعد سور عَسْقَلان، ونادى: يا فلان، الصلاة. فيسمعه وهو في بلد الروم. قال الهيثمي (9/ 396): رجاله ثقات. اهـ.

* * *

سماعهم الهواتف

أخرج ابن سعد (2/ 276) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمَّا توفي رسول الله ﷺ اختلف الذين يغسِّلونه، فسمعوا قائلاً لا يدرون من هو يقول: اغسلوا نبيكم وعليه قميصه. فغُسل رسول الله ﷺ في قميصه، وأخرج أيضاً عن عائشة رضي الله عنها بمعناه، وفي روايتها: فقال قائل لا يُدرى من هو: اغسلوه وعليه ثيابه.

أخرج الحاكم (3/ 467) عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ استعمل أبا موسى رضي الله عنه على سرية البحر، فبينا هي تجري بهم في البحر في الليل؛ إذ ناداهم منادٍ من فوقهم: ألا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه؟ إنه من يعطش لله في يوم صائف؛ فإن حقّاً على الله أن يسقيه يوم العطش الأكبر. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: ابن المؤمل ضعيف.

وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 260) عن أبي بُرْدة عن أبي موسى رضي الله عنهما، قال خرجنا غازين في البحر، فبينما نحن والريح لنا طيبة، والشراع لنا مرفوع، فسمعنا منادياً ينادي: يا أهل السفينة، قفوا أخبركم، حتى وَالَى بين سبعة أصوات قال أبو موسى: فقمت على صدر السفينة فقلت: من أنت؟ ومن أين أنت؟ أوَ ما ترى أين نحن؟ وهل نستطيع وقوفاً؟ قال: فأجابني الصوت: ألا أخبركم بقضاء قضاه الله عزَّ وجلَّ على نفسه؟ قال: قلت: بلى أخبرنا، قال: فإن الله تعالى قضَى

على نفسه أنه من عطَّش نفسه لله عز وجل في يوم حار؛ كان حقاً على الله أن يرويه يوم القيامة. قال: فكان أبو موسى يتوخّى، ذلك اليوم الحار الشديد الحر الذي يكاد ينسلخ فيه الإنسان؛ فيصومه.

أخرج الحاكم (3/ 543) عن سعيد بن جُبَير قال: مات ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف، فشهدت جنازته، فجاء طير لم يُرَ على خلقته ودخل في نعشه، فنظرنا وتأملناه هل يخرج، فلم يُرَ أنه خرج من نعشه، فلما دُفن تليت هذه الآي على شفير القبر، ولا يُدرى من تلاها ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: 27 - 30]. قال الحاكم: وذكر إسماعيل بن علي وعيسى بن علي أنه طير أبيض. وأخرجه الطبراني عن سعيد نحوه. قال الهيثمي (9/ 285): ورجاله رجال الصحيح. ورُوي عن عبد الله بن يامين عن أبيه نحوه؛ إلا أنه قال: جاء طائر أبيض يقال له: الغُرْنُوق. انتهى.

وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 329) عن ميمون بن مِهْران نحوه. وفي روايته: فلما سُوِّي عليه، سمعنا صوتاً نسمع صوته ولا نرى شخصه. وأخرجه ابن عساكر عن ميمون بن مهران في حديث طويل؛ كما في «المنتخب» (5/ 230) وفي روايته: فلما مات ابن عباس، وأُدرج في أكفانه، انقضَّ طائر أبيض فأتى بين أكفانه، وطُلب فلم يوجد، فقال عكرمة مولى ابن عباس: أحمقى أنتم؟ هذا بصره الذي وعده رسول الله أن يُردّ عليه يوم وفاته، فلما أَتَوا به القبر، ووضع في لحده تُلُقِّي بكلمة سمعها من كان على شفير القبر، فذكر الآية.

* * *

إمداد الجن والهواتف

أخرج الرُّوياني وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال خُرَيم بن فاتك لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما: يا أمير المؤمنين، ألا أخبرك كيف كان بَدْء إسلامي؟ قال: بلى، قال: بينا أنا في طلب نَعَم لي أنا منها على أثر؛ إذ جنَّني الليل بأبرق العزَّاف، فناديت بأعلى صوت: أعوذ بعزيز هذا الوادي من سفهاء قومه، فإذا هاتف يهتف:

وَيْحكَ عُذْ باللّهِ ذي الجَلالِ
والمَجدِ والنَّعْماءِ والإفْضالِ
وَاقرأْ بآياتٍ من الأنفالِ
ووحِّدِ اللّهَ لا تُبالِ

قال: فذعُرت ذعراً شديداً، فلما رَجَعَتْ إليَّ نفسي قلت:

يا أيها الهاتفُ ما تقولُ؟
أرَشَدٌ عندَك أم تضليلُ؟
بَيِّنْ لنا هُدِيتَ ما الحَويلُ

قال:

إنَّ رسولَ اللّهِ ذو الخَيْراتِ
بيثربٍ يدعو إلى النَّجَاة
يأمرُ بالصومِ وبالصَّلاةِ
ويزجرُ الناسَ عنِ الهَنَاتِ

قال: فابتعثتُ راحلتي، فقلت:

أرشـــدنـــي رشـــداً هُـــدِيـــت
لا جِـــعـــتَ ولا عُـــرِيـــت
ولا بـــرحـــت سـيِّـداً مـقـيـت
ولا توقرني على الخيرِ الذي أُتيت

قال: فاتَّبعني وهو يقول:

صـاحَـبَـك الـلّـه وسَـلَّـم نَـفْـسَـكـا
وبـلِّـغ الأهـلَ وأدّى رَحْـلَـكـا
آمِـنْ بـه أفـلـجَ ربـي حـقَّـكـا
وانـصـره أعـزَّ ربِّـي نـصـركـا

قلت: من أنت؟ يرحمكَ الله، قال: أنا عمرو بن أُثال وأنا عامله على جِنِّ نجد المسلمين، وكُفيتَ إبلك حتى تقدَم على أهلك. فدخلت المدينة ودخلت يوم الجمعة، فخرج إليّ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال: أدخل رحمك الله؛ فإنَّه قد بلغنا إسلامك. قلت: لا أُحسن الطُّهور، فَعلَّمَني، فدخلت المسجد فرأيت رسول الله ﷺ على المنبر يخطب كأنه البدر وهو يقول: «ما من مسلم توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلّى صلاة يحفظها ويعقلها؛ إلا دخل الجنة». فقال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لتأتينَّ على هذا ببينة أو لأنكلنَّ بك، فشهد لي شيخ قريش عثمان بن عفان رضي الله عنه فأجاز شهادته. كذا في «الكنز» (34/7).

وأخرجه أبو نُعيم في «دلائل النبوة» (ص 30) عن أبي هريرة نحوه إلا أن في روايته:

أرشدني رشداً بها هُديتا

لا جُعتَ يا هذا ولا عريتَا

ولا صحبتَ صاحباً مقيتا

لا يثوين الخير إنْ ثويتَا

وأخرجه الطبراني عن محمد بن أبي حمي عن أبيه، قال: قال عمر يوماً لابن عباس رضي الله عنهم: حدثني بحديث تعجبني به، فقال: حدثني خُرَيم بن فاتك الأسدي، فذكره بنحوه. وأخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في «تاريخه» وأبو القاسم بن بُشران. كذا في «الإصابة» (3/ 353). قال الهيثمي (8/ 251): رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم. وأخرجه الحاكم (3/ 621) من طريق الحسن بن محمد بن علي عن أبيه قال: قال عمر، فذكر بمعناه. قال الذهبي: لم يصح. وأخرجه الأموي أيضاً، كما في «البداية» (2/ 353).

أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ما سمعت عمر لشيء قط (يقول): إني لأظنه (كذا)، إلا كان كما يظن، بينما عمر بن الخطاب جالس إذ مرَّ به رجل جميل، فقال: لقد أخطأ ظني، أو إنَّ هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم. عليَّ الرجل، فدُعي به، فقال له ذلك، فقال: ما رأيت كاليوم استُقبل به رجلٌ مسلمٌ. قال: فإني أعزم عليك إلاَّ ما أخبرتني. قال: كنت كاهنهم في الجاهلية. قال: فما أعجبُ ما جاءتك به جنيَّتك؟ قال: بينما أنا في السوق يوماً جاءتني أعرف فيها الفزع، فقالت:

ألم ترَ الجنَّ وإبلاسَها

ويأسها من بعد إنكاسِها

ولحوقَها بالقِلاص وأحلاسِها

قال عمر: صدق، بينما أنا نائم عند آلهتهم، جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول: يا جَلِيح، أمر نَجِيح، رجل فصيح، يقول: لا إلٰه إلا الله. فوثب القوم، فقلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جَلِيح، أمر نَجِيح، رجل فصيح يقول: لا إلٰه إلا الله. فقمت فما نشبنا أن قيل: هذا نبي. تفرد به البخاري، وهذا الرجل هو سَوَّاد بن قارب.

وقد رُوي حديثه من وجوه أخر مطوّلة بأبسط من رواية البخاري، فروى الحافظ أبو يَعْلى المَوصلي عن محمد بن كعب القرظي، قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم جالس إذ مرَّ به رجل، فقيل: يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار؟ قال: ومن هذا؟ قالوا: هذا سَوَّاد بن قارب الذي أتاه رَئِيُّه بظهور رسول الله ﷺ، قال: فأرسل إليه عمر، فقال له: أنت سواد بن قارب؟ قال: نعم، قال: فأنت على ما كنت عليه من كِهانتك؟ قال: فغضب وقال: ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين!! فقال عمر: يا سبحان الله!! ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كِهانتك، فأخبرني ما أنبأك رَئِيك بظهور رسول الله ﷺ؟، قال: نعم يا أمير المؤمنين، بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رَئيي فضربني برجله، وقال: قم يا سَوَّاد بن قارب، واسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل؛ إنه قد بُعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عَجِبْتُ لِلجِنِّ وتَطْلابِها
وشَدِّها العِيسَ بأقتابِهَا
تهوي إلى مكةَ تبغي الهدى
ما صَادقُ الجِنِّ ككذّابِهَا

فارحلَ إلى الصفوةِ من هاشمٍ

ليس قُدّامها كأذنابها

قال: قلت: دعني أنام فإني أمسيت ناعساً. قال: فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله، وقال: قم يا سَوَاد بن قارب واسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل؛ إنه بُعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عجبتُ للجن وتحيَارها

وشدِّها العيسَ بأكوارِها

تهوي إلى مكة تبغي الهدى

ما مؤمنو الجنّ ككفّارها

فارحلْ إلى الصفوة من هاشمٍ

بين روابيها وأحجارِها

قال: قلت: دَعْني أنام فإني أمسيتِ ناعساً. فلما كان الليلة الثالثة، أتاني فضربني برجله، وقال: قم يا سَوَاد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل إن كنت تعقل؛ إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ يقول:

عجبتُ للجنّ وتجساسِها

وشدِّها العيسِ بأحلاسِها

تهوي إلى مكةَ تبغي الهدى

ما خيِّر الجنّ كأنجاسِها

فارحلْ إلى الصفوةِ من هاشمٍ

واسمُ بعينيك إلى راسها

قال: فقمت وقلت: قد امتحن الله قلبي، فرحَّلتُ ناقتي، ثم أتيتُ

المدينة ـ يعني مكة ـ، فإذا رسول الله ﷺ في أصحابه، فدنوت فقلت: اسمع مقالتي يا رسول الله، قال: هاتِ، فأنشأت أقول:

أتاني نجيِّي بعد هَدْء ورَقْدةٍ
ولم يَكُ فيما قد بلوتُ بكاذبِ
ثلاثُ ليالٍ قولُه كل ليلة
أتاك رسولٌ من لؤي بن غالب
فشمَّرت من ذيلِ الإزارِ ووسَّطَت
بي الذِّعلبُ الوجناء غُبْرَ السباسب
فأشهدُ أنَّ اللَّه لا شيء غيره
وأنك مأمون على كل غائبِ
وأنك أدنى المرسلين وسيلة
إلى اللَّه يا بن الأكرمين الأطايبِ
فمُرنا بما يأتيكَ يا خيرَ مَن مشى
وإنْ كان فيما جاء شيب الذوائبِ
وكنْ لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة
سواكَ بُمغنٍ عن سَوَاد بن قاربِ

قال: ففرح رسول الله ﷺ وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً؛ حتى رُئي الفرح في وجوههم، قال: فوثب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فالتزمه وقال: قد كنت أشتهي أن أسمع هذا الحديث منك، فهل يأتيك رئيك اليوم؟ قال: أما منذ قرأت القرآن فلا، ونِعم العوض كتاب الله من الجن، ثم قال عمر: كنا يوماً في حيٍّ من قريش يقال لهم آل ذَرِيح، وقد ذبحوا عجلاً لهم والجزّار يعالجه، إذ سمعنا صوتاً من جوف العجل ـ ولا نرى شيئاً ـ قال: يا آل ذَرِيح، أمر نَجِيح، صائح يصيح،

بلسان فصيح، يشهد أن لا إله إلا الله. وهذا منقطع من هذا الوجه، ويشهد له رواية البخاري. وأخرجه الخرائطي في «هواتف الجان» عن أبي جعفر محمد بن علي، وابنُ عساكر عن سَوَاد بن قارب والبراء رضي الله عنه، وفي رواية البراء. قال: قال سَوَاد بن قارب: كنتُ نازلاً بالهند فجاءني رَئيِّ ذات ليلة، فذكر القصة وقال بعد إنشاد الشعر الأخير: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، وقال: «أفلحت يا سواد». انتهى مختصراً من «البداية» (2/ 332).

وأخرجه الحاكم (3/ 608) عن محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه نحو رواية أبي يَعْلى بطولها؛ إلا أنَّ في روايته: قال: فوقع في نفسي حب الإسلام، ورغبت فيه، فلما أصبحت شددتُ على راحلتي، فانطلقت متوجِّهاً إلى مكة، فلما كنت ببعض الطريق أُخبرت أن النبي ﷺ قد هاجر إلى المدينة، فأتيت المدينة فسألت عن النبي ﷺ، فقيل لي: في المسجد، فانتهيت إلى المسجد، فعقلت ناقتي ودخلت، وإذا رسول الله ﷺ والناس حوله، فقلت: اسمع مقالتي يا رسول الله، فقال: أبو بكر رضي الله عنه: ادْنُه، فلم يزل حتى صرت بين يديه، قال: «هاتِ فأخبرني بإتيانك رئيك». وأخرجه الطبراني أيضاً (7/ 6475)عن محمد بن كعب بسياق الحاكم، كما في المجمع (8/ 248). وقد أخرج الحديث أيضاً الحسن بن سفيان، والبيهقي عن محمد بن كعب، والبخاري في «التاريخ»، والبَغَوي، والطبراني عن سواد بن قارب، والبيهقي عن البراء، وابن أبي خيثمة والرُّوياني عن أبي جعفر الباقر، وابن شاهين عن أنس بن مالك، كما بسط طرق هؤلاء في «الإصابة» (2/ 96).

أخرج أبو نُعَيم في «الدلائل» (ص 34) عن العباس بن مرداس والسُّلَمي رضي الله عنه، قال: كان أول إسلامي أن مِرداساً أبي لما

حضرته الوفاة أوصاني بصنم له يقال له ضماد، فجعلته في بيت، وجعلت آتيه كل يوم مرّة، فلما ظهر النبي ﷺ، إذ سمعت صوتاً في جوف الليل راعني، فوثبت إلى ضِماد مستغيثاً؛ فإذا بالصوت في جوفه وهو يقول:

قُلْ للقبيلةِ مَن سُلَيم كلِّها:
هَلَكَ الأنيسُ، وعاشَ أهلُ المَسْجِدِ
أودَى ضماد وكان يُعْبَد مدّة
قبلَ الكتابِ إلى النبي محمَّدِ
إنَّ الذي ورثَ النبوةَ والهدى
بعد ابن مريمَ من قريش مهتَدِي

قال: فكتمته الناس، فلما رجع الناس من الأحزاب؛ بينا أنا في إبلي بطَرَف العَقيق من ذات عِرق راقدٌ، سمعت صوتاً؛ فإذا برجل على جناح نعامة وهو يقول: النور الذي وقع ليلة الثلاثاء، مع صاحب الناقة العَضْباء، في ديار إخوان بني العنقاء، فأجابه هاتف عن شماله وهو يقول:

بَشِّرِ الجِنَّ وإبلاسَها
أنْ وضعتِ المطيُّ أحلاسَها
وكَلأتَ السماءَ أحراسُها

قال: فوثبت مذعوراً، وعلمت أنّ محمداً مرسل، فركبت فرسي وأجشمت السير حتى انتهيت إليه فبايعته، ثم انصرفت إلى ضماد فأحرقته بالنار، ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ فأنشدته شعراً أقول فيه:

لعمرُك إني يوم أجعلُ جَاهلاً
ضماداً لِربِّ العالمين مشاركا

وتركي رسولَ اللّهِ والأوسُ حولَهُ

أولئك أنصارٌ له ما أولئكا

كتاركِ سهلِ الأرض والحَزْن تبتغي

ليَسْلُكَ في وَعْثِ الأمور المسالكا

فآمنتُ باللّهِ الذي أنا عبدُه

وخالفتُ مَن أمسَى يريد المهَالكا

ووجهتُ وجهي نَحو مكةَ قاصداً

أبايعُ نبي الأكرمين المبَاركا

نبيٌّ أتانا بعد عيسى بناطقٍ

من الحقِّ فيه الفصل فيه كذلكا

أمينٌ على الفُرْقان أول شافعٍ

وأولُ مبعوثٍ يجيبُ المَلائكا

تلافى عُرَى الإسلامِ بعد انتقاضِهَا

فأحكمها حتى أقام المنَاسكا

عَنيتُك يا خيرَ البريةِ كلِّها

توسطتَ في الفرعين والمجدِ مَالكا

وأنتَ المصفَّى من قريش إذا سَمَتْ

على ضُمْرها تبقى القرون المبَاركا

إذا انتسبَ الحيان: كعبٌ ومالكٌ

وجدناك محضاً والنساء العوّاركا

وأخرجه الخرائطي عن العباس بن مرداس مختصراً، كما في «البداية» (2/ 341)، وفي روايته بعد أشعاره الثلاثة الأول قال: فخرجت مرعوباً حتى أتيت قومي، فقصصت عليهم القصة، وأخبرتهم الخبر،

وخرجت في ثلاث مائة من قومي بني حارثة إلى رسول الله ﷺ وهو بالمدينة، فدخلنا المسجد، فلما رآني رسول الله ﷺ قال لي: «يا عباس، كيف كان إسلامك؟» فقصصت عليه القصة، قال: فسرَّ بذلك وأسلمت أنا وقومي. ورواه أبو نُعَيم في «الدلائل»، كما في «البداية» (2/ 342). وأخرجه الطبراني أيضاً بهذا الإسناد نحوه. قال الهيثمي (8/ 247): وفيه عبد الله بن عبد العزيز الليثي ضعَّفه الجمهور ووثَّقه سعيد بن منصور، وقال: كان مالك يرضاه، وبقية رجاله وثقوا. انتهى.

أخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 29) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: إن أول خبر كان بالمدينة بمبعث النبي ﷺ، أن امرأة من أهل المدينة كان لها تابع من الجنّ، فجاء في صورة طائر أبيض، فوقع على حائط لهم، فقالت له: ألا تنزل إلينا فتحدِّثنا ونحدِّثك وتخبرنا ونخبرك؟ قال لها: إنه قد بعث نبي بمكة حرم الزنا ومنع منا القرار. وأخرجه أحمد والطبراني في «الأوسط» ورجاله وُثِّقوا، كما قال الهيثمي (8/ 243) وأخرجه ابن سعد (1/ 190) أيضاً نحوه.

وأخرجه الواقدي» عن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال: إن أول خبر قدم المدينة عن رسول الله ﷺ، أن امرأة تدعى فاطمة كان لها تابع، فجاءها ذات يوم، فقام على الجدار، فقالت: ألا تنزل؟ فقال: لا، إنه قد بعث الرسول الذي حرم الزنا. كذا في «البداية» (2/ 338).

أخرج الواقدي عن عاصم بن عمر قال: قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: خرجنا في عير إلى الشام قبل أن يبعث رسول الله ﷺ، فلما كنّا بأفواه الشام، وبها كاهنة، فتعرضتنا، فقالت: أتاني صاحبي فوقف على بابي، فقلت: ألا تدخل؟ فقال: لا سبيل إلى ذلك، خرج أحمد، وجاء أمر لا يُطاق. ثم انصرفتُ، فرجعتُ إلى مكة، فوجدت رسول الله ﷺ قد

خرج بمكة يدعو إلى الله عز وجل. كذا في «البداية» (2/ 338). وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 29) من طريق الواقدي نحوه.

أخرج أحمد عن مجاهد قال: حدّثني شيخ أدرك الجاهلية ونحن في غزوة رُودَس يقال له ابن عيسى قال: كنت أسوق لآلٍ لنا بقرة فسمعت من جوفها: يا آل ذريح، قول فصيح، رجل نصيح، أن لا إلٰه إلا الله، قال: فقدمنا مكة فوجدنا النبي ﷺ قد خرج بمكة. قال الهيثمي (8/ 243): ورجاله ثقات.

أخرج أبو نعيم في «الدلائل» (ص 30) عن ابن عباس رضي الله عنهما هتف هاتف من الجن على أبي قُبَيس بمكة، فقال:

قبّح اللّهُ رأيَ كعبِ بنِ فِهرٍ
ما أرقّ العقولَ والأحلام؟
حين تُغضي لمَن يعيبُ عليها
دينَ آبائِها الحُماةِ الكرامِ
حالف الجنُّ جنُّ بصرى عليكم
ورجالُ النخيلِ والآطامِ
هل كريمٌ لكم له نفسٌ حرٌّ
ماجد الوالدَين والأعمامِ
ضارب ضربة تكون نَكالاً
ورواحاً من كربةٍ واغتمامِ
يوشكُ الخيلُ أنْ تروها تَهادى
تقتل القوم في بلاد التِّمامِ

قال ابن عباس: فأصبح هذا الحديث قد شاع بمكة، فأصبح

المشركون يتناشدونه بينهم، وهمّوا بالمؤمنين، فقال رسول الله ﷺ: «هذا شيطان يكلِّم الناس في الأوثان يقال له: مسعر، والله يخزيه» قال: فمكثوا ثلاثة أيام، إذ هاتف على الجبل يقول:

نحنُ قتلنا مِسْعَرا
لمَّا طَغَى واستكبَرا
وسفَّه الحقَّ وسنَّ المنكرا
قنعْته سيفاً جَروفاً مُبتِرا
بشتمه نبيَّنَا المطهَّرا

فقال رسول الله ﷺ: «ذلك عفريتٌ من الجن يقال له سَمْحَج سميته عبد الله آمن بي، فأخبرني أنه في طلبه منذ أيام». فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: جزاه الله خيراً يا رسول الله. وأخرجه الأموي في مغازيه عن ابن عباس نحوه، كما في «البداية» (2/ 348). وأخرجه الفاكهي في «كتاب مكة» عن ابن عباس عن عامر بن ربيعة، ومن طريق حميد بن عبد الرحمٰن بن عوف عن أبيه بنحوه، كما في «الإصابة» (2/ 78).

أخرج الخرائطي عن عبد الله بن محمود، قال: بلغني أن رجالاً من خثعم كانوا يقولون: إنَّ مما دعانا إلى الإسلام، أنا كنا قوماً نعبد الأوثان؛ فبينا نحن ذات يوم عند وَثَن لنا، إذ أقبل نفر يتقاضون إليه، يرجون الفرج من عنده لشيء شَجَر بينهم، إذ هتف بهم هاتف يقول:

يا أيها الناسُ ذوو الأجسامِ
من بين أشياخٍ إلى غلامِ
ما أنتمُ وطائشُ الأحلامِ
ومسندُ الحُكم إلى الأصنامِ

أكلُّكم في حَيْرةٍ نيامْ

أم لا تَرَوْن ما الذي أمامي

من ساطع يجلو دُجى الظلامِ

قد لاح للناظِر من تِهَامِ

ذاك نبيٌّ سيدُ الأنامِ

قد جاء بعد الكفرِ بالإسلامِ

أكرمه الرحمٰن من إمامِ

ومن رسولٍ صادق الكلامِ

أعدلُ ذي حكم من الأحكامِ

يأمرُ بالصلاة والصيامِ

والبرِّ والصِّلاتِ للأرحامِ

ويزجُرُ الناسَ عن الآثامِ

والرجسِ والأوثانِ والحرامِ

من هاشمٍ في ذِرْوة السَّنامِ

مستعلناً في البلد الحرامِ

قال: فلما سمعنا ذلك، تفرقنا عنه، وأتينا النبي ﷺ فأسلمنا. كذا في «البداية» (2/ 343). وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 33) عن رجل من خَثْعَم نحوه مختصراً.

أخرج أبو نُعيم عن تميم الداري رضي الله عنه، قال: كنت بالشام حين بعث النبي ﷺ، فخرجت لبعض حاجتي، فأدركني الليل، فقلت: أنا في جوار عظيم هذا الوادي الليلة. قال: فلما أخذتُ مضجعي؛ إذا أنا بمنادٍ ينادي ـ لا أراه ـ: عُذْ بالله فإن الجنَّ لا تجير أحداً على الله. فقلت: ايمُ الله تقول؟ فقال: قد خرج رسول الأميين، رسول الله ﷺ

وصلينا خلفه بالحَجُون، فأسلمنا واتبعناه، وذهب كيد الجن، ورُميت بالشهب، فانطلقْ إلى محمد رسول الله رب العالمين فأسلم. قال تميم: فلما أصبحتُ ذهبتُ إلى دير أيوب، فسألت راهباً، وأخبرته الخبر، فقال الراهب: قد صَدَقوك، يخرج من الحرم، ومهاجره الحرم، وهو خير الأنبياء، فلا تُسبق إليه؛ قال تميم: فتكلَّفت الشخوص حتى جئت رسول الله ﷺ فأسلمت. كذا في «البداية» (2/ 350).

أخرج ابن أبي الدنيا في «هواتف الجان»، وابن عساكر عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال: كان إسلام الحجّاج بن عِلاط البَهزي ثم السُّلَمي رضي الله عنه، أنه خرج في رَكْب من قومه يريد مكة، فلما جَنَّ عليه الليل وهم في واد وَحْش مخيف، ففزعوا، فقال له أصحابه: يا أبا كلاب، قم فاتخذ لنفسك ولأصحابك أماناً، فقام الحجاج فجعل يقول:

أعيذُ نفسي وأعيذُ صحبي
من كلِّ جنيٍّ بهذا النَّقْبِ
حتى أؤوب سالماً وركبي

فسمع قائلاً يقول: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: 33] فلما قدموا مكة خبَّروا بذلك في نادي قريش، فقالوا: صبأت - والله - يا أبا كلاب، إن هذا مما يزعم محمد أنه أُنزل عليه، قال: قد - والله - سمعته وسمعه هؤلاء معي، فبينما هم كذلك إذ جاء العاصي بن وائل، فقالوا له: يا أبا هشام، أما تسمع ما يقول أبو كلاب؟ قال: وما يقول؟ فخبَّروه بذلك، فقال: وما يعجِّبكم من ذلك؟ إن الذي سمع هناك هو الذي ألقاه على لسان محمد، فنَهْنَه ذلك القومَ عني، ولم يزدني في الأمر إلا بصيرة، فسألت عن النبي ﷺ، فأُخبرت أنه قد خرج من مكة إلى المدينة، فركبت

راحلتي، وانطلقت حتى أتيت النبي ﷺ بالمدينة، فأخبرته بما سمعت، فقال: «سمعتَ والله الحق، هو والله من كلام ربي عز وجل الذي أُنزل عليَّ، ولقد سمعت حقاً يا أبا كلاب». فقلت: يا رسول الله: علّمني الإسلام؛ فشهّدني كلمة الإخلاص، وقال: «سِرْ إلى قومك فادْعُهم إلى مثل ما أدعوك إليه فإنّه الحق». وفيه أيوب بن سويد ومحمد بن عبد الله الليثي ضعيفان. كذا في «منتخب الكنز» (5/ 163).

أخرج أبو نعيم في «الدلائل» (ص 128) عن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه، قال: خرج قوم يريدون مكة، فضلُّوا الطريق، فلما عاينوا الموت أو كادوا أن يموتوا، لبسوا أكفانهم وتضجَّعوا للموت، فخرج عليهم جنيٌّ يتخلل الشجر، وقال: أنا بقية النفر الذين استمعوا على النبي ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله، لا يخذله» هذا الماء وهذا الطريق. ثم دلّهم على الماء وأرشدهم إلى الطريق.

أخرج البغوي عن سعيد بن شييم أحد بني سَهْم بن مُرة أن أباه حدثه، أنه كان في جيش عيينة بن حصن حين جاء يُمدُّ يهود خيبر، قال: فسمعنا صوتاً في عسكر عيينة: يا أيها الناس، أهلُكم، خولفتم إليهم. قال: فرجعوا لا يتناظرونَ فلم نرَ لذلك نبأً، وما نراه كان إلا من السماء. كذا في «الإصابة» (2/ 162).

* * *

تسخير الجن والشياطين

أخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 130) عن أبي هريرة مرفوعاً: «بينا أنا نائم اعترض لي الشيطان، فأخذت بحَلْقه. حتى إني لأجد برد لسانه على إبهامي، فيرحم الله سليمان عليه السلام، فلولا دعوته لأصبح مربوطاً تنظرون إليه».

وعنده أيضاً عنه مرفوعاً «أنّ عفريتاً من الجن تفلَّت عليَّ البارحة، ليقطع عليَّ الصلاة، فأمكنني الله منه، فأخذته وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد، حتى تصبحوا، فتنظروا إليه كلكم أجمعون، فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: 35]؛ قال: فرددته خاسئاً. وأخرجه أيضاً عن أبي الدرداء رضي الله عنه مطولاً، وفي روايته: «فلولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثوقاً يلعب به ولدان أهل المدينة».

أخرج الطبراني (20/ 89) عن بُريدة رضي الله عنه قال: بلغني أن معاذ بن جبل رضي الله عنه أخذ الشيطان على عهد رسول الله ﷺ، فأتيته فقلت: بلغني أنك أخذتَ الشيطان على عهد رسول الله ﷺ. قال: نعم، ضمَّ إليَّ رسول الله ﷺ تمر الصدقة، فجعلته في غرفة لي، فكنت أجد فيه كل يوم نقصاناً، فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال لي: «هو عمل الشيطان فارصُدْه». قال: فرصدته ليلاً، فلما ذهب هَوْن من الليل، أقبل على صورة الفيل، فلما انتهى إلى الباب، دخل من خَلَل الباب على

غير صورته، فدنا من التمر، فجعل يلتقمه، فشددت عليَّ ثيابي، فتوسطته فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، يا عدوَّ الله، وثبتَ إلى تمر الصدقة فأخذتَه، وكانوا أحق به منك، لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ فيفضحك، فعاهدني أن لا يعود. فغدوت إلى رسول الله ﷺ، فقال: «ما فعل أسيرك»؟ فقلت: عاهدني أن لا يعود، قال: «إنه عائد فارصده». فرصدته الليلة الثانية، فصنع مثل ذلك وصنعت مثل ذلك، وعاهدني أن لا يعود فخلَّيت سبيله، ثم غدوت إلى رسول الله ﷺ لأخبره، فإذا مناديه ينادي: أين معاذ؟ فقال لي: «يا معاذ ما فعل أسيرك»؟ فأخبرته، فقال لي: «إنه عائد فارصده». فرصدته الليلة الثالثة فصنع مثل ذلك وصنعت مثل ذلك؟ فقلت: يا عدو الله، عاهدتني مرتين، وهذه الثالثة لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ فيفضحك. فقال: إني شيطان ذو عيال وما أتيتك إلا من نَصِيبِين ولو أصبت شيئاً دونه ما أتيتك ولقد كنا في مدينتكم هذه، حتى بُعث صاحبكم، فلما نزلت عليه آيتان أنفرتنا منها، فوقعنا بنصيبين، ولا يقرآن في بيت إلا لم يلجْ فيه الشيطان ثلاثاً، فإن خلّيت سبيلي علمتُكهما، قلت نعم، قال: آية الكرسي وخاتمة سورة البقرة - ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: 285] إلى آخرها - فخلَّيت سبيله، ثم غدوت إلى رسول الله ﷺ لأخبره؛ فإذا مناديه ينادي: أين معاذ بن جبل؟ فلما دخلت عليه قال لي: «ما فعل أسيرك»؟ قلت: عاهدني أن لا يعود وأخبرته بما قال، فقال رسول الله ﷺ: «صدق الخبيث وهو كذوب» قال: فكنت أقرؤهما عليه بعد ذلك فلا أجد فيه نقصاناً. قال الهيثمي (6/ 322): رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح وهو صدوق إن شاء الله، كما قال الذهبي، قال ابن أبي حاتم: وقد تكلّموا فيه وبقية رجاله وُثّقوا. انتهى. وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 217) عن أبي الأسود الدؤلي عن معاذٍ نحوه.

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ. قال: إني محتاج، وعليَّ عيال، ولي حاجة شديدة. قال: فخلّيت عنه، فأصبحت فقال النبي ﷺ: «يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة»؟ قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته، فخلَّيت سبيله. قال: «أمَا إنَّه قد كذبك وسيعود». فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ «إنَّه سيعود» فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ. قال: دَعْني فإنِّي محتاج وعليَّ عيال، لا أعود. فرحمته فخلَّيت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك»؟ قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالاً، فرحمته فخلَّيت سبيله. فقال: «أما إنه قد كذبك وسيعود». فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ «إنه سيعود» فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم لا تعود ثم تعود. قال: دَعْني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، (قلت: ما هنَّ؟ قال:) إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: 255] حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فخلَّيت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك (البارحة)»؟ قلت: زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، (فخلَّيت سبيله. قال: ما هي؟ قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم ـ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ـ وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان، حتى تصبح ـ وكانوا أحرص شيء على الخير ـ)، فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تَعْلَم من تخاطب منذ ثلاث

ليالٍ»؟ قلت: لا، قال: «ذاك شيطان». كذا في «المشكاة» (ص 185).

وأخرجه الترمذي عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أنه كان له سَهْوة فيها تمر، وكانت تجيء الغول، فتأخذ منه، قال: فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال: «اذهب فإذا رأيتها فقل: باسم الله أجيبي رسول الله». قال: فأخذها فحلفتْ أن لا تعود - فذكر نحوه، كما في «الترغيب» (3/ 33). قال الترمذي: حديث حسن غريب. وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 217) عن أبي أيوب - بمعناه. وأخرجه الطبراني (19/ 585) عن أبي أُسيد الساعدي رضي الله عنه بمعنى حديث أبي أيوب. قال الهيثمي (6/ 323): ورجاله وُثِّقوا كلهم، وفي بعضهم ضعف. وفي الباب عن أبي بن كعب رضي الله عنه، وقد تقدَّم في باب الأذكار (ص 290).

أخرج الطبراني (9/ 8826) عن أبي وائل رضي الله عنه، قال: قال عبد الله رضي الله عنه: لقي الشيطانُ رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، فصارعه، فصرعه المسلم وأزَم بإبهامه فقال: دعني أعلِّمك آية لا يسمعها أحدٌ إلا ولّى. فأرسله، فأبى أن يعلِّمه، فصارعه، فصرعه المسلم، وأزَم بإبهامه، فقال: أخبرني بها، فأبى أن يعلمه، فلما عاوده الثالثة قال: الآية التي في سورة البقرة «الله لا إلٰه إلا هو الحي القيوم» - إلى آخرها، فقيل لعبد الله: يا أبا عبد الرحمٰن، من ذلك الرجل؟ قال: من عسى أن يكون إلاَّ عمر رضي الله عنه؟

وفي رواية عنده (9/ 8826) عن ابن مسعود رضي الله عنه أيضاً: قال: لقي رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ رجلاً من الجن، فصارعه فصرعه الإنسي، فقال له الجني: عاودني، فعاوده، فصرعه الإنسي. فقال له الإنسي: إني لأراك ضئيلاً شحيباً كأن ذُرَيعتيكَ ذُريعتا كلب، فكذلك أنتم

معاشر الجن؟ - أو أنت منهم كذلك -؟ قال: لا والله، إني منهم لضليع ولكن عاودني الثالثة، فإن صرعتني علمتك شيئاً ينفعك، فعاوده فصرعه فقال: هاتِ علّمني، قال: هل تقرأ آية الكرسي؟ قال: نعم، قال: إنك لن تقرأها في بيت إلا خرج منه الشيطان له خَبَج كخَبَج الحمار، لا يدخله حتى يصبح. قال رجل من القوم: يا أبا عبد الرحمٰن، مَنْ ذاك الرجل من أصحاب النبي ﷺ؟ قال: فعبس عبد الله، وأقبل عليه، وقال: من يكون هو إلا عمر رضي الله عنه؟!. قال الهيثمي (9/ 71): رواهما الطبراني بإسنادين ورجال الرواية الثانية رجال الصحيح؛ إلا أن الشَّعْبي لم يسمع من ابن مسعود ولكنه أدركه، ورواة الطريق الأولى فيهم المسعودي وهو ثقة؛ ولكنه اختلط فبان لنا صحة رواية المسعودي برواية الشّعبي والله أعلم. انتهى. وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 131) من طريق عاصم عن زِرٍّ عن عبد الله بمعناه. وأخرج ابن عساكر عن مجاهد قال: كنا نتحدث - أو نُحدَّث - أن الشياطين كانت مصفَّدة في إمارة عمر رضي الله عنه، فلما أُصيب بُثَّت. كذا في «المنتخب» (4/ 385).

روى ابن المبارك عن عامر بن عبد الله بن الزبير، قال: أقبل عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما من العمرة في ركب من قريش، فلما كانوا عند الناصب، أبصروا رجلاً عند شجرة، فتقدّمهم ابن الزبير، فلما انتهى إليه سلّم عليه، فلم يعبأ به وردَّ رداً ضعيفاً، ونزل ابن الزبير فلم يتحرك له الرجل، فقال له ابن الزبير: تنحَّ عن الظل، فانحاز متكارهاً، قال ابن الزبير: فجلست، وأخذت بيده، وقلت: من أنت؟ فقال: رجل من الجن، فما عَدا أن قالها حتى قامت كل شعرة مني، فاجتذبته وقلت: أنت رجل من الجن وتبدو إليَّ هكذا، وإذا له سَفِلة، وانكسر ونهرته،

وقلت: إليَّ تتبدأ وأنت من أهل الأرض! فذهب هارباً، وجاء أصحابي فقالوا: أين الرجل الذي كان عندك؟ فقلت: إنه كان من الجن فهرب، قال: فما منهم رجل إلا سقط إلى الأرض عن راحلته، فأخذت كل رجل منهم فشددته على راحلته حتى أتيت بهم الحجَّ وما يعقلون.

وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: خرج ابن الزبير رضي الله عنهما في ليلة مقمرة على راحلة له، فنزل في تبوك، فالتفت فإذا على الراحلة شيخ أبيض الرأس واللحية، فشدَّ عليه ابن الزبير، فتنحَّى عنها، فركب ابن الزبير راحلته ومضى، قال: فناداه: والله يا ابن الزبير، لو دخل قلبك الليلة مني شعرة لخبلتُك، قال: ومنك أنت يا لعين يدخل قلبي شيء؟ وقد رُوي لهذه الحكاية شواهد من وجوه أخرى جيدة. كذا في «البداية» (8/ 335).

* * *

سماعهم أصوات الجمادات

أخرج البزّار (2413) عن سويد بن زيد، قال: رأيت أبا ذر رضي الله عنه جالساً وحده في المسجد، فاغتنمت ذلك، فجلست إليه، فذكرت له عثمان رضي الله عنه، فقال: لا أقول لعثمان أبداً إلا خيراً، لشيء رأيته عند رسول الله ﷺ. كنت أتبع خلوات رسول الله ﷺ وأتعلّم منه، فذهبت يوماً؛ فإذا هو قد خرج، فاتّبعته فجلس في موضع، فجلست عنده، فقال: «يا أبا ذر، ما جاء بك»؟ قال: قلت: الله ورسوله. قال: فجاء أبو بكر رضي الله عنه فسلّم وجلس عن يمين النبي ﷺ، فقال له: «ما جاء بك يا أبا بكر»؟ قال: الله ورسوله. قال: فجاء عمر رضي الله عنه فجلس عن يمين أبي بكر، فقال: «يا عمر، ما جاء بك؟ قال: الله ورسوله. ثم جاء عثمان رضي الله عنه، فجلس عن يمين عمر، فقال: «يا عثمان، ما جاء بك»؟ قال: الله ورسوله. قال: فتناول النبي ﷺ سبع حصيات ـ أو تسع حصيات ـ فسَبَّحن في يده حتى سمعت لهنَّ حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهنَّ فخرسن، ثم وضعهنَّ في يد أبي بكر، فسبحنَ في يده حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهنَّ فخرسنَ، ثم تناولهنَّ فوضعهنَّ في يد عثمان، فسبحنَ في يده حتى سمعت لهنَّ حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهنَّ فخرسن، قال الهيثمي (8/ 299): رواه البزّار بإسنادين ورجال أحدهما ثقات وفي بعضهم ضعف. انتهى. قلت: لم يقع في نقل الهيثمي عن البزّار ذكرُ عمر في تسبيح الحصى.

وقد أخرجه البيهقي كما في «البداية» (6/ 132) عن سويد عن أبي ذر فذكر الحديث نحوه، وفيه: ثم تناولهنَّ فوضعهنَّ في يد عمر، فسبحنَ حتى سمعت لهنَّ حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهنَّ فخرسنَ. وزاد في آخره: فقال النبي ﷺ: «هذه خلافة النبوة». وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 215) عن سويد عن أبي ذر نحوه إلا أنه لم يذكر ما زاده البيهقي. وأخرجه الطبراني في «الأوسط» عن أبي ذر مختصراً، وزاد: ثم أعطاهنَّ علياً فوضعهنَّ فخرسنَ. قال الهيثمي (5/ 179): وفيه محمد بن أبي حميد وهو ضعيف اهـ. وقال الهيثمي أيضاً (5/ 299): رواه الطبراني في «الأوسط» عن أبي ذر، وزاد في إحدى طريقيه: يسمع تسبيحهنَّ مَنْ في الحَلْقة في كل واحد. وقال: ثم دفعهنَّ إلينا فلم يسبحن مع أحد منا. انتهى. وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 54) من طريق سُوَيد مختصراً، ومن طريق جبير بن نفير الحضرمي بطوله وزاد: يسمع تسبيحهن مَنْ في الحَلْقة.

أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدُّونها تخويفاً، كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقلَّ الماء، فقال: «اطلبوا فَضْلة من ماء» فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في إناء، ثم قال: «حيَّ على الطهور المبارك، والبركة من الله عز وجل». قال: فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح. كذا في «البداية» (6/ 97).

وقد تقدَّم في دعواته ﷺ للعباس فأمَّنَت أُسكفَّة الباب، وحوائط البيت، فقالت: آمين، آمين. أخرجه الطبراني (19/ 584) عن أبي أُسيد وحسَّن إسناده الهيثمي. وأخرجه أيضاً البيهقي (6/ 71) وأبو نُعيم في «الدلائل» وابن ماجه.

أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة - أو نخلة -، فقالت امرأة من الأنصار - أو رجل -: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبراً؟ قال: «إن شئتم». فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة دَفَع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمَّه إليه، يئن أنين الصبي الذي يُسَكَّن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها. كذا في «البداية» (6/ 127).

وعنده أيضاً عنه من طريق آخر: فلما صُنع له المنبر، وكان عليه، فسمعنا لذلك الجِذْع صوتاً كصوت العِشار، حتى جاء النبي ﷺ، فوضع يده عليها، فسكنت، وأخرجه أيضاً أحمد، والبزّار من طرق عن جابر، وفي بعض طرق أحمد: فلما صنع له منبره، واستوى عليه، اضطربت تلك السارية كحنين الناقة، حتى سمعها أهل المسجد، حتى نزل إليها رسول الله ﷺ، فاعتنقها، فسكنت. وفي رواية: فسكتت. وهذا إسناد على شرط مسلم ولم يخرِّجوه، كما قال ابن كثير في «البداية» (6/ 129). وأخرجه ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (2/ 197) عن جابر بهذا الإسناد مثله، وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 142) وفي روايته: وقال: «لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة».

وأخرجه أحمد أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه.. فذكر الحديث في بناء المنبر قال: فتحوّل من الخشبة إلى المنبر، قال: فأُخبرَ أنس بن مالك أنه سمع الخشبة تحنُّ حنين الوالِه، قال: فما زالت تحنُّ حتى نزل رسول الله ﷺ عن المنبر، فمشى إليها فاحتضنها، فسكنت.

وأخرجه البغوي عن أنس، فذكره وزاد: فكان الحسن إذا حدَّث بهذا الحديث بكى، ثم قال: يا عباد الله، الخشبةُ تحن إلى رسول الله ﷺ

شوقاً إليه لمكانه من الله؛ فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه. ورواه أبو نعيم عن أنس فذكره كما في «البداية» (6/ 127). وأخرجه ابن عبد البرّ في «جامع بيان العلم» (2/ 197) بسياق البغوي. وأخرجه أيضاً أبو يَعْلى (5/ 2756) وفي روايته: «والذي نفس محمد بيده، لو لم ألتزمه لما زال هكذا حتى يوم القيامة حزناً على رسول الله». فأمر به رسول الله ﷺ فدفن. وأخرجه الترمذي وقال: صحيح غريب من هذا الوجه، كما في «البداية» (6/ 126). وفي الباب عن أُبيّ بن كعب، وسهل بن سعد، وعبد الله بن عباس، وابن عمر، وأبي سعيد، وعائشة، وأم سَلَمة، رضي الله عنهم، كما بسط أحاديث هؤلاء ابن كثير في «البداية» (6/ 125).

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 224) عن أبي البختري، قال: بينا أبو الدرداء رضي الله عنه يوقد تحت قدر له وسلمان رضي الله عنه عنده، إذ سمع أبو الدرداء في القدر صوتاً، ثم ارتفع الصوت بتسبيح كهيئة صوت الصبي، قال: ثم ندرت، فانكفأت، ثم رجعت إلى مكانها لم ينصبّ منها شيء، فجعل أبو الدرداء ينادي: يا سلمان، انظر إلى العجب، انظر إلى ما لم تنظر إلى مثله أنت ولا أبوك. فقال سلمان: أما إنك لو سكتَّ لسمعت من آيات الله الكبرى. وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (1/ 224) عن قيس قال: كان أبو الدرداء إذا كتب إلى سلمان ـ أو: سلمان كتب إلى أبي الدرداء ـ كتب إليه يذكِّره بآية الصَّحْفة، قال: وكنا نتحدث أنه بينما هما يأكلان من الصحفة، فسبَّحت الصحفة وما فيها.

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 289) عن جعفر بن أبي عمران، قال: بَلَغنا أن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما سمع صوت النار، فقال: وأنا. فقيل: يا بن عمرو، ما هذا؟ قال: والذي نفسي بيده إنها لتستجير من النار الكبرى من أن تعاد فيها.

سماعهم كلام أهل القبور

أخرج الحاكم عن يحيى بن أيوب الخزاعي، قال: سمعت من يذكر أنه كان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاب متعبِّد قد لزم المسجد، وكان عمر به مُعجباً، وكان له أب شيخ كبير، فكان إذا صلَّى العَتَمة انصرف إلى أبيه، وكان طريقه على باب امرأة، فافتتنت به، فكانت تنصب نفسها له على طريقه، فمرَّ بها ذات ليلة فما زالت تغويه حتى تبعها، فلما أتى الباب دخلت وذهب يدخل، فذكر الله وجلّى عنه ومُثّلَت هذه الآية على لسانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الاعراف: 201] فخرَّ الفتى مغشياً عليه، فدعت المرأة جارية لها فتعاونتا عليه، فحملتاه إلى بابه، وأُجلس ودُقَّ على أبيه، فخرج أبوه يطلبه، فإذا به على الباب مغشياً عليه، فدعا بعض أهله فحملوه، فأدخلوه، فما أفاق حتى ذهب من الليل ما شاء الله، فقال له أبوه؟ يا بني، ما لك؟ قال: خير، قال: فإني أسألك بالله. فأخبره بالأمر، قال: أي بني، وأي آية قرأت؟ فقرأ الآية التي كان قرأ، فخرَّ مغشياً عليه، فحرّكوه، فإذا هو ميت، فغسلوه فأخرجوه ودفنوه ليلاً، فلما أصبحوا رفع ذلك إلى عمر، فجاء إلى أبيه فعزَّاه به وقال: ألا آذنتني؟ قال: يا أمير المؤمنين، كان ليلاً. قال عمر: فاذهبوا بنا على قبره، فأتى عمر ومن معه القبر، فقال عمر: يا فلان: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: 46] فأجابه الفتى من داخل القبر: يا عمر، قد أعطانيهما ربي في الجنة مرّتين. كذا في «الكنز» (1/ 267). وأخرجه ابن عساكر في ترجمة

عمرو بن جامع من تاريخه، فذكر نحوه، كما في «التفسير» لابن كثير (2/ 279). وأخرج البيهقي عن الحسن مختصراً، كما في «الكنز» (1/ 267). وفي روايته: يا عم، انطلق إلى عمر، فاقرئه مني السلام، وقل له: ما جزاء من خاف مقام ربه؟ وفي آخره: فوقف عليه عمر، فقال: لك جنتان، لك جنتان.

أخرج ابن أبي الدنيا وابن السمعاني عن محمد بن حِمْيَر، أن عمر بن الخطاب مرَّ ببقيع الغرقد، فقال: السلام عليكم يا أهل القبور، أخبار ما عندنا: أن نساءكم قد تزوّجت، ودوركم قد سُكنت، وأموالكم قد فرقت، فأجابه هاتف: أخبار ما عندنا: أن ما قدّمناه وجدناه، وما أنفقناه ربحناه، وما خلّفناه فقد خسرناه. كذا في «الكنز» (8/ 123).

* * *

رؤيتهم عذاب المعذبين

أخرج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: بينا أنا سائر بجنبات بدر إذ خرج رجل من حفرة، في عنقه سلسلة، فناداني: يا عبد الله اسقني، يا عبد الله اسقني، يا عبد الله اسقني، فلا أدري عرف اسمي أو دعاني بدعاية العرب، وخرج رجل من ذلك الحفير، في يده سوط، فناداني: يا عبد الله لا تسقه؛ فإنه كافر، ثم ضربه بالسيف، فعاد إلى حفرته، فأتيت النبي ﷺ مسرعاً، فأخبرته، فقال لي: «أو قد رأيته»؟ قلت: نعم، قال: «ذاك عدو الله أبو جهل وذاك عذابه إلى يوم القيامة». قال الهيثمي (6/ 81): رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه من لم أعرف ـ انتهى.

كلامهم بعد الموت

أخرج البيهقي (6/ 55) عن سعيد بن المُسيَّب أن زيدَ بن خارجة الأنصاري ثم من بني الحارث بن الخزرج رضي الله عنه توفي زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، فسُجِّي بثوبه، ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره، ثم تكلَّم، ثم قال: أحمد أحمد في الكتاب الأول، صَدَق صَدَق أبو بكر الصديق، الضعيف في نفسه، القويُّ في أمر الله، في الكتاب الأول. صدق صدق عمر ابن الخطاب، القوي الأمين في الكتاب الأول. صدق صدق عثمان بن عفان، على منهاجهم، مضت أربع، وبقيت ثنتان، أتت بالفتن، وأكَلَ الشديدُ الضعيفَ، وقامت الساعة، وسيأتيكم عن جيشكم خبر، بئر أريس وما بئر أريس!. قال يحيى قال سعيد: ثم هلك رجل من بني خَطْمة، فسجِّي بثوبه، فسُمع جلجلة في صدره، ثم تكلَّم، فقال: إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق. وأخرجه البيهقي عن الحاكم، فذكره بإسناده، وقال: هذا إسناد صحيح وله شواهد. كذا في «البداية» (6/ 156)، ورواه ابن أبي الدنيا والبيهقي أيضاً من وجه آخر بأبسط من هذا وأطول وصححه البيهقي. كذا في «البداية» (6/ 293).

وأخرجه الطبراني (5/ 5144) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: بينما زيد بن خارجة يمشي في بعض طرق المدينة، إذ خرَّ ميتاً بين الظهر والعصر، فنقل إلى أهله وسُجِّي بين ثوبين وكساء، فلما كان بين

المغرب والعشاء، اجتمعن نسوة من الأنصار، فصرخوا حوله، إذ سمعوا صوتاً من تحت الكساء يقول: أنصتوا أيها الناس ـ مرتين ـ فحُسر عن وجهه وصدره، فقال: محمد رسول الله النبي الأمي، خاتم النبيين، كان ذلك في الكتاب، ثم قيل على لسانه: صدق صدق أبو بكر الصديق، خليفة رسول الله ﷺ، القوي الأمين، كان ضعيفاً في بدنه، قوياً في أمر الله، كان ذلك في الكتاب الأول، ثم قيل على لسانه: صدق صدق ـ ثلاثاً ـ والأوسط عبد الله أمير المؤمنين، الذي كان لا يخاف في الله لومة لائم، وكان يمنع الناس أن يأكل قويُّهم ضعيفَهم، كان ذلك في الكتاب الأول، ثم قيل على لسانه: صدق صدق، ثم قال: عثمان أمير المؤمنين، رحيم بالمؤمنين، خلَت اثنتان وبقي أربع، واختلف الناس، ولا نظام لهم وانتحبت الأجماء ـ يعني تنتهك المحارم ـ ودنت الساعة، وأكل الناس بعضهم بعضاً. وفي رواية عن النعمان بن بشير، قال: لما توفي زيد بن خارجة، انتظرتُ خروج عثمان، فقلت: يصلِّي ركعتين فكشف الثوب عن وجهه، فقال: السلام عليكم، السلام عليكم، وأهل البيت يتكلّمون، قال: فقلت: ـ وأنا في الصلاة ـ سبحان الله، سبحان الله، فقال: أنصتوا أنصتوا، والباقي بنحوه. قال الهيثمي (5/ 180). رواه كله الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» باختصار كثير بإسنادين ورجال أحدهما في الكبير ثقات. انتهى.

وأخرجه أيضاً البيهقي (6/ 56) عن ابن أبي الدنيا بإسناده عن النعمان بن بشير بطوله. وفي روايته: الأوسط أجلد الثلاثة، الذي كان لا يبالي في الله لومة لائم، كان لا يأمر الناس أن يأكل قويُّهم ضعيفَهم، عبد الله أمير المؤمنين صدق صدق، كان ذلك في الكتاب الأول، ثم قال: عثمان أمير المؤمنين وهو يعافي الناس من ذنوب كثيرة، خلَت

اثنتان وبقي أربع، ثم اختلف الناس، وأكل بعضهم بعضاً، فلا نظام، وأنتجت الأكما، ثم ارعوى المؤمنون وقال: كتاب الله وقدره، أيها الناس أقبلوا على أميركم، واسمعوا وأطيعوا، فمن تولّى؛ فلا يعهدن دماً، وكان أمر الله قَدَراً مقدوراً، الله أكبر، هذه الجنة وهذه النار، ويقول النبيون والصديقون: سلامٌ عليكم. يا عبد الله بن رواحة، هل أحسست لي خارجة ـ لأبيه ـ وسعداً اللذين قتلا يوم أحد ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: 15 ـ 18]. ثم خفت صوته. وفي هذا الحديث أيضاً: هذا أحمد رسول الله، سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. وأخرجه البيهقي من غير طريق ابن أبي الدنيا، فذكره، وقال: هذا إسناد صحيح كما في «البداية» (6/ 157). والحديث أخرجه أيضاً ابن منده، وأبو نُعيم، وغيرهما كما في «الإصابة» (2/ 24). وأخرجه الطبراني عن النعمان بن بشير قال: مات رجل منا يقال له خارجة بن زيد فسجيناه بثوب، وقمت أصلّي، إذ سمعت ضوضاء، فانصرفت، فإذا أنا به يتحرك، فقال: أجلد القوم أوسطهم عبد الله عمر أمير المؤمنين. القويُّ في أمره، القوي في أمر الله عز وجل، عثمان بن عفان أمير المؤمنين، العفيف المتعفف، الذي يعفو عن ذنوب كثيرة، خلَت ليلتان وبقيت أربع، واختلف الناس ولا نظام لهم؛ يا أيُّها الناس، أقبلوا على إمامكم واسمعوا وأطيعوا، هذا رسول الله وابن رواحة، ثم قال: «وما فعل زيد بن خارجة؟ ـ يعني أباه ـ ثم قال: أُخذت بئر أريس ظلماً؛ ثم هدأ الصوت. قال الهيثمي (7/ 230) رجاله رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه هشام بن عمّار في «كتاب البَعْث»، كما في «البداية» (6/ 157).

* * *

إحياء الموتى

أخرج ابن أبي الدنيا عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: عُدْنا شاباً من الأنصار، فما كان بأسرع من أن مات، فأغمضناه، ومددنا عليه الثوب، وقال بعضنا لأمه: احتسبيه. قالت: وقد مات؟ قلنا: نعم، فمدَّت يديها إلى السماء، وقالت: اللهمَّ إني آمنت بك، وهاجرت إلى رسولك، فإذا نزلت بي شدة دعوتك، ففرجتها؛ فأسألك اللهمَّ، لا تحمِل عليَّ هذه المصيبة. قال: فكشف الثوب عن وجهه، فما برحنا حتى أكلنا وأكل معنا.

وأخرجه البيهقي (6/ 50) من طريق صالح بن بشير أحد زهّاد البصرة وعُبَّادها مع لين في حديثه عن أنس... فذكر القصة، وفيه: أن أم السائب كانت عجوزاً عمياء.

وأخرج البيهقي (6/ 51) أيضاً عن عبد الله بن عون، عن أنس رضي الله عنه، قال: أدركتُ في هذه الأمة ثلاثاً، لو كانت في بني إسرائيل لما تقاسَمَها الأمم، قلنا: ما هنَّ يا أبا حمزة؟ قال: كنا في الصُفَّة عند رسول الله ﷺ، فأتته امرأة مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ، فأضاف المرأة إلى النساء، وأضاف ابنها إلينا، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أياماً، ثم قُبض، فغمَّضه النبي ﷺ وأمر بجَهازه، فلما أردنا أن نغسله قال: «يا أنس، ائت أمه فأعلمها». فأعلمتها، قال: فجاءت حتى جلست عند قدميه، فأخذت بهما، ثم قالت: اللهمَّ إني

أسلمت لك طوعاً، وخالفت الأوثان زهداً، وهاجرت لك رغبة، اللهمَّ لا تشمت بي عَبَدة الأوثان، ولا تحمِّلني من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحمله. قال: فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه، وألقى الثوب عن وجهه، وعاش حتى قبض الله رسوله ﷺ، وحتى هلكت أمه... فذكر الحديث كما سنذكر. كذا في «البداية» (6/ 154 و259). وقال في «البداية» (6/ 292): وهذا إسناد رجاله ثقات؛ ولكن فيه انقطاع بين عبد الله بن عون وأنس، والله أعلم. انتهى. وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 224) من طريق صالح عن ثابت عن أنس نحو ما تقدّم.

* * *

آثار الحياة في شهدائهم

أخرج الحاكم (3/ 203) عن أبي نَضرة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: لمّا حضر قتال أحد، دعاني أبي من الليل، فقال: إني لا أراني إلا مقتولاً في أول من يُقتل من أصحاب رسول الله ﷺ، وإني والله ما أدعُ أحداً - يعني أعز عليّ منك - بعد نفس رسول الله ﷺ، وإنّ عليّ ديناً؛ فاقضِ عني دَيْني، واستوص بأخواتك خيراً. قال: فأصبحنا، فكان أول قتيل، فدفنته مع آخر في قبر، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر في قبر، فاستخرجته بعد ستة أشهر؛ فإذا هو كيوم وضعته غير أذنه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. وأخرجه ابن سعد (3/ 563) عن أبي نضرة عنه نحوه مختصراً. وفي روايته: فلبثنا ستة أشهر، ثم إنّ نفسي لم تدعني حتى أدفنه وحده، فاستخرجته من القبر، فإذا الأرض لم تأكل شيئاً منه إلا قليلاً من شحمة أذنه. وفي رواية أخرى عنده بهذا الإسناد: فما أنكرتُ منه شيئاً إلا شَعرات كنَّ في لحيته مما يلي الأرض. وأخرجه البخاري عن عطاء عن جابر بنحو لفظ الحاكم، كما في «البداية» (4/ 43).

وأخرج ابن سعد (3/ 563) عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه، قال: صُرِخ بنا إلى قتلانا يوم أحد حين أجرى معاوية العين، فأخرجناهم بعد أربعين سنة، لينة أجسادهم، تتثنى أطرافهم. وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 207) عن أبي الزبير عن جابر نحوه. وفي رواية أخرى

عنده عن أبي الزبير عن جابر: فاستُخرجوا من قبورهم رطاباً تنثني أطرافهم بعد أربعين سنة. وأخرجه ابن أبي شيبة عن جابر نحوه، كما في «الكنز» (5/ 274).

وقد ذكر ابن إسحاق القصة في «المغازي»، فقال: حدثني أبي، عن أشياخ من الأنصار، قالوا: لما ضرب معاوية عينه التي مرّت على قبور الشهداء، فانفجرت العين عليهم. فجئنا فأخرجناهما ـ يعني عمْراً وعبد الله ـ وعليهما بردتان قد غُطي بهما وجوههما، وعلى أقدامهما شيء من نبات الأرض، فأخرجناهما يتثنيان تثنياً كأنهما دفنا بالأمس. وله شاهد بإسناد صحيح عند ابن سعد من طريق أبي الزبير عن جابر. كذا في «فتح الباري» (3/ 142).

وعند أحمد في حديث طويل عن جابر رضي الله عنه، قال: فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما؛ إذ جاءني رجل فقال: يا جابر (بن عبد الله، والله) لقد أثار أباكَ عُمّالُ معاوية فبدا، فخرج طائفة منه، فأتيته فوجدته على النحو الذي دفنته، لم يتغير إلا ما لم يدع القتل ـ أو القتال ـ فواريتُه. قال الشيخ السمهودي في «وفاء الوفاء» (2/ 116): رواه أحمد برجال الصحيح خلا نُبَيح العَنَزي وهو ثقة. انتهى. وأخرجه الدارمي عن جابر نحوه، كما في «الأوجز» (4/ 108).

وأخرج مالك في «الموطأ» عن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن أبي صعصعة؛ أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين، ثم السَّلَمِيينْ رضي الله عنهما، كانا قد حفر السيل قبرهما، وكان قبرهما مما يلي السيل، وكانا في قبر واحد، وهما ممن استشهد يوم أحد، فحفر عنهما ليغيَّرا من مكانهما، فوجدا لم يتغيَّرا

كأنهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد جرح، فوضع يده على جرحه، فدفن وهو كذلك، فأميطت يده عن جرحه، ثم أرسلت فرجعت كما كانت، وكان بين أحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة. قال أبو عمر: لم تختلف الرواة في قطعه، ويتصل معناه من وجوه صحاح، قاله الزرقاني، كما في «الأوجز» (4/ 107).

وعند ابن سعد (3/ 562): قال كان عبد الله بن عمرو رضي الله عنه رجلاً أحمر أصلع ليس بالطويل، وكان عمرو بن الجموح رضي الله عنه رجلاً طويلاً، فعُرفا فدفنا في قبر واحد، وكان قبرهما مما يلي المسيل، فدخله السيل فحفر عنهما وعليهما نَمِرتان، وعبد الله قد أصابه جرح في وجهه، فيده على جرحه، فأميطت يده عن جرحه، فانبعث الدم، فرُدّت يده إلى مكانها، فسكن الدم. قال جابر رضي الله عنه: فرأيت أبي في حفرته كأنه نائم، ما تغيّر من حاله قليل ولا كثير، فقيل له: فرأيتَ أكفانه؟ قال: إنما كُفِّن في نمرة خُمِّر بها وجهه، وجُعل على رجليه الحرمل، فوجدنا النمرة كما هي والحرمل على رجليه على هيئته؛ وبين ذلك ست وأربعون سنة.

وأخرج البيهقي عن جابر رضي الله عنه، قال: لمّا أجرى معاوية العين عند قتلى أحد بعد أربعين سنة، استصرخناهم إليهم، فأتيناهم، فأخرجناهم، فأصابت المسحاة قدم حمزة، فانبعثت دماً. كذا في «البداية» (4/ 43). وعند أبي نعيم في «الدلائل» (ص 207) عن عمرو بن دينار، وأبي الزبير يقولان: إن المسحاة أصابت قدم حمزة، فدَمِيت بعد أربعين سنة.

وقد حقق الشيخ السمهودي في «وفاء الوفاء» (2/ 116)، واستحسنه شيخنا في «الأوجز» (4/ 111): أن القصة وقعت ثلاث

مرات: بعد ستة أشهر، وبعد أربعين سنة عند إجراء العين، وبعد ست وأربعين حين دخله السيل، وذلك لتعدد الروايات في كل من الثلاثة. قال الشيخ السمهودي (2/ 117): وفي ذلك كله ظهور المعجزة، وهو السر في تكرّر ذلك. انتهى.

* * *

فوح المسك من قبورهم

أخرج أبو نُعيم في «المعرفة» عن محمد بن شرحبيل، قال: اقتبض إنسان من تراب قبر سعد بن معاذ رضي الله عنه، ففتحها فإذا هي مسك، قال رسول الله ﷺ: «سبحان الله، سبحان الله» حتى عُرف ذلك في وجهه. كذا في «الكنز» (7/ 41)، وقال: سنده صحيح. وأخرجه ابن سعد (3/ 431) عن محمد بن شرحبيل بن حسنة نحوه، إلا أنه لم يذكر المرفوع. وفي رواية أخرى عنده عنه قال: أخذ إنسان قبضة من تراب قبر سعد، فذهب بها، ثم نظر إليها بعد ذلك، فإذا هي مسك.

وأخرج ابن سعد أيضاً (3/ 431) عن رُبيح بن عبد الرحمٰن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، عن جدِّه رضي الله عنه، قال: كنت أنا ممّن حفر لسعد رضي الله عنه قبره بالبقيع، وكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا قُتْرة من تراب، حتى انتهينا إلى اللحد.

* * *

رفع قتلاهم إلى السماء

أخرج البخاري عن عروة، قال: لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضَّمْري، قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ وأشار إلى قتيل، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فُهَيرة، قال: لقد رأيته بعدما قتل رُفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وضع، فأتى النبي ﷺ خبرُهم، فنعاهم، فقال: «إن أصحابكم قد أُصيبوا، وإنهم قد سألوا ربهم، فقالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا؛ فأخبرهم عنهم» وأصيب يومئذٍ فيهم عروة بن أسماء بن الصَّلْت فسمي عروة به، ومنذر بن عمرو وسمِّي به منذر. هكذا وقع في رواية البخاري مرسلاً عن عروة. وقد رواه البيهقي (9/ 225) عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها... فساق من حديث الهجرة، وأدرج في آخره ما ذكره البخاري ههنا. وروى الواقدي عن أبي الأسود وعروة... فذكر القصة، وشأن عامر بن فهيرة، وإخبار عامر بن الطفيل أنه رفع إلى السماء، وذكر أن الذي قتله جبّار بن سلمى الكلابي، قال: ولما طعنه بالرمح، قال: فُزت ورب الكعبة! ثم سأل جبار بعد ذلك: ما معنى قوله: فُزت؟ قالوا: يعني بالجنة، فقال: صدق والله، ثم أسلم جبّار بعد ذلك لذلك رضي الله عنه.

وفي «مغازي» موسى بن عقبة عن عروة أنه قال: لم يوجد جسد عامر بن فهيرة، يَرَون أن الملائكة وارته. كذا في «البداية» (4/ 72).

وقد أخرج أبو نعيم في «الدلائل» (ص 186) هذه القصة من طريق الواقدي عن عروة بطولها، وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الملائكة وارت جثته، وأُنزل عليين». وأخرجه ابن سعد (3/ 231) عن الواقدي نحوه بطوله. وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 110) عن عروة أنَّ عامر بن الطفيل كان يقول عن رجل منهم: لما قتل رُفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء من دونه، قالوا: هو عامر بن فهيرة. وأخرجه أيضاً عن عروة عن عائشة نحو رواية البخاري؛ إلا أنه لم يذكر من قوله: ثم وضع ـ إلى آخره. وأخرج أيضاً عن الزهري قال: فبلغني أنهم التمسوا جسد عامر بن فهيرة، فلم يقدروا عليه، قال: فَيَرون أن الملائكة دفنته. وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 186) عن عروة نحوه وابن سعد (3/ 231) عن عروة نحوه.

* * *

حفظ موتاهم

أخرج أحمد والطبراني عن عمرو بن أمية رضي الله عنه، أن النبي ﷺ بعثه عيناً وحده إلى قريش، وقال: فجئت إلى خشبة خُبَيب رضي الله عنه وأنا أتخوّف العيون، فرَقِيت فيها، فحللت خبيباً فوقع إلى الأرض، فانتبذتُ غير بعيد، ثم التفتُّ، فلم أرَ خبيباً، ولكأنما ابتلعته الأرض، فلم يُرَ لخبيب أثر حتى الساعة. قال الهيثمي (5/ 321): وفيه إبراهيم بن إسماعيل بن مُجمِع وهو ضعيف. انتهى. وأخرجه البيهقي من طريق إبراهيم بن إسماعيل عن جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عمرو بن أمية، أن رسول الله ﷺ كان بعثه عيناً وحده، قال: جئت إلى خشبة خبيب... فذكر نحوه، كما في «البداية» (4/ 67). وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 227) من طريق إبراهيم بن إسماعيل بإسناده نحو رواية البيهقي. وأخرجه ابن أبي شيبة عن عمرو بن أمية نحوه، كما في «الإصابة» (1/ 419).

وذكر أبو يوسف في كتاب «اللطائف» عن الضحّاك، أنّ النبي ﷺ أرسل المقداد والزبير رضي الله عنهما في إنزال خبيب عن خشبته، فوصلا إلى التَّنْعيم، فوجدا حوله أربعين رجلاً نَشاوى، فأنزلاه، فحمله الزبير على فرسه وهو رَطْب لم يتغير منه شيء. فنُذِر بهم المشركون، فلما لحقوهم قذفه الزبير، فابتلعته الأرض، فسمِّي بليع الأرض. كذا في «الإصابة» (1/ 419).

أخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه، قال: أدركت في هذه الأمة ثلاثاً، لو كانت في بني إسرائيل لما تقاسمها الأمم... فذكر الحديث كما تقدم طَرَفٌ منه، وفيه قال: فلم نلبث إلا يسيراً حتى رُمي في جنازته، قال: فحفرنا له، وغسلناه ودفنّاه، فأتى رجل بعد فراغنا من دفنه، فقال: من هذا؟ فقلنا: هذا خير البشر هذا ابن الحضرمي. فقال: إنَّ هذه الأرض تلفظ الموتى؛ فلو نقلتموه إلى ميل أو ميلين إلى أرض تقبل الموتى. فقلنا: ما جزاء صاحبنا أن نُعرِّضه للسباع تأكله. قال: فاجتمعنا على نبشه، فلما وصلنا إلى اللحد؛ إذا صاحبنا ليس فيه، وإذا اللحد مد البصر نور يتلألأ، قال: فأعدنا التراب إلى اللحد ثم ارتحلنا. كذا في «البداية» (6/ 155). وهذا إسناد رجاله ثقات، ولكن فيه انقطاع، كما في «البداية» (6/ 292). وعند الطبراني في الثلاثة عن أبي هريرة رضي الله عنه... فذكر الحديث، وفيه: فمات فدفناه في الرمل، فلما صرنا غير بعيد، قلنا: يجيء سبع فيأكله، فرجعنا فلم نره. قال الهيثمي (9/ 376): وفيه إبراهيم بن معمر الهروي ولم يعرفه وبقية رجاله ثقات. انتهى. وذكر ابن سعد (4/ 363) عن أبي هريرة: وحفرنا له بسيوفنا ولم نلحد له، ودفناه ومضينا، فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: دفناه ولم نلحد له، فرجعنا لنلحد له، فلم نجد موضع قبره، وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 208) عن أبي هريرة نحو رواية الطبراني.

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله سرية، وأمَّر عليهم عاصم بن (ثابت بن) أبي الأقلح رضي الله عنه... الحديث بطوله في قصة خُبيب بن عدي رضي الله عنه، وفيه: أن عاصماً قال: لا أنزل في ذمة مشرك، ـ وكان قد عاهد الله أن لا يمسَّ مشركاً ولا يمسّه مشرك ـ فأرسلت قريش ليؤتوا بشيء من جسده ـ وكان قتل

عظيماً من عظمائهم يوم بدر ـ فبعث الله عليه مثل الظُّلَّة من الدَّبْر، فحمته منهم؛ ولذلك كان يقال: حَميُّ الدَّبر. كذا في «الإصابة» (2/ 245).
وعند أبي نعيم في «الدلائل» (ص 183) عن عروة في تلك القصة: وأراد المشركون أن يقطعوا رأسه فيبعثوه إلى المشركين بمكة، فبعث الله عليه الدَّبر تطير في وجوه القوم وتلدغهم، فحالت بينهم وبين أن يقطعوا رأسه.

* * *

خضوع السباع لهم وكلامها معهم

أخرج البيهقي عن حمزة بن (أبي) أُسيد رضي الله عنه، قال: خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار بالبقيع؛ فإذا الذئب مفترشاً ذراعيه على الطريق، فقال رسول الله ﷺ: «هذا جاء يستفرض، فافرضوا له» قالوا: ترى رأيك يا رسول الله. قال: «من كل سائمة شاة في كل عام» قالوا: كثير. قال: فأشار إلى الذئب أنْ خالسهم، فانطلق الذئب.

وروى الواقدي عن رجل سمّاه، عن المطَّلب بن عبد الله بن حَنْطب، قال: بينا رسول الله ﷺ في المدينة إذا أقبل ذئب، فوقف بين يده، فقال: «هذا وافد السباع إليكم؛ فإن أحببتم أن تفرضوا له شيئاً لا يعدوه إلى غيره، وإن أحببتم تركتموه واحترزتم منه، فما أخذ فهو رزقه». فقالوا: يا رسول الله، ما تطيب أنفسنا له بشيء. فأومأ إليه بأصابعه الثلاث أن خالسهم، قال: فولّى وله عُواء.

وعند أبي نعيم عن رجل من جهينة، قال: أتت وفود الذئاب قريباً من مائة ذئب، حين صلّى رسول الله ﷺ فأقعَيْن، فقال رسول الله ﷺ: «هذه وفود الذئاب، جئنكم يسألنكم لتفرضوا لهن من قوت طعامكم، وتأمنوا على ما سواه». فشكوا إليه الحاجة، فأدبروهم قال: فخرجن ولهن عُواء. وأخرجه البيهقي والبزّار عن أبي هريرة رضي الله عنه مختصراً. كذا في «البداية» (6/ 146).

أخرج الحاكم (3/ 606) عن محمد بن المنكدر، أن سفينة رضي

الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال: ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها، فركبتُ لوحاً من ألواحها، فطرحني اللوح في أَجَمَة فيها الأسد، فأقبل إليَّ يريدني، فقلت: يا أبا الحارث، أنا مولى رسول الله ﷺ. فطأطأ رأسه، وأقبل إليَّ، فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأَجَمَة ووضعني على الطريق، وهمهم، فظننت أنه يودعني، فكان ذلك آخر عهدي به. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه ووافقه الذهبي. وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (ق 1 ج 2 ص 179) عن ابن المنكدر، قال: سمعت سفينة، فذكر نحوه. وهكذا أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 369) و«الدلائل» (ص 212) عن ابن المنكدر، عن سفينة، وأخرجه ابن منده كما في «البداية» (5/ 316) والطبراني (7/ 6432) كما في «المجمع» (9/ 366) عن سفينة نحوه.

وعند البزّار (2733) عنه، قال: كنت في البحر، فانكسرت سفينتنا، فلم نعرف الطريق؛ فإذا أنا بالأسد قد عرض لنا، فتأخر أصحابي فدنوت منه، فقلت: أنا سفينة صاحبُ رسول الله ﷺ، وقد أضللنا الطريق، فمشى بين يديَّ حتى وقفنا على الطريق ثم تنحَّى، ودفعني كأنه يريني الطريق، فظننت أنه يودِّعنا. قال الهيثمي (9/ 367): رجالهما - أي البزّار والطبراني - وُثِّقوا.

وأخرجه البيهقي (6/ 46) عن ابن المنكدر، أن سفينة رضي الله عنه مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم - أو أُسر في أرض الروم - فانطلق هارباً يلتمس الجيش؛ فإذا هو بالأسد، فقال: يا أبا الحارث، إني مولى رسول الله ﷺ، كان من أمري كَيْت وكَيْت، فأقبل الأسد يبصبص له حتى قام إلى جنبه، كلما سمع صوتاً أهوى إليه، ثم أقبل

يمشي إلى جنبه، فلم يزل كذلك حتى أبلغه الجيش، ثم رجع الأسد عنه. كذا في «البداية» (6/ 147).

أخرج ابن عساكر عن وَهْب بن أبان القرشي، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه خرج في سفر، فبينا هو يسير، إذا قوم وقوف، فقال: ما بال هؤلاء؟ قالوا: أسد على الطريق قد أخافهم؛ فنزل عن دابته، ثم مشى إليه حتى أخذ بأذنه فَعَرَكها، ثم نفذ قفاه، ونحّاه عن الطريق، ثم قال: ما كذب عليك رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما يُسلط على ابن آدم ما خافه ابن آدم، ولو أن ابن آدم لم يَخَفْ إلا الله لم يُسلط عليه غيره، وإنما وكل ابن آدم لمن رجاه ابن آدم، ولو أن ابن آدم لم يَرْجُ إلاَّ الله لم يكله إلى غيره» وأخرجه ابن عساكر عن نافع مختصراً نحوه، كما في «الكنز» (7/ 59).

أخرج الطبراني عن عوف بن مالك رضي الله عنه، قال: كنت قائلاً في كنيسة بأريحا، وهي يومئذٍ مسجد يصلَّى فيه، قال: فانتبه عوف بن مالك من نومته؛ فإذا معه في البيت أسد يمشي إليه، فقام فزعاً إلى سلاحه، فقال له الأسد: صَهْ، إنما أُرسلت إليك برسالة لتبلِّغها. قلت: من أرسلك؟ قال: الله أرسلني إليك لتعلم معاوية الرحال أنه من أهل الجنة. قلت: من معاوية؟ قال: ابن أبي سفيان رضي الله عنهما. قالْ الهيثمي (9/ 357): وفيه أبو بكر بن أبي مريم وقد اختلط. انتهى.

أخرج أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: عَدَا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي، فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، فقال: ألا تتَّقي الله؟ تنزع مني رزقاً ساقه الله إليّ، فقال: يا عجبي، ذئب يكلِّمني كلام الإنس!! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك، محمد ﷺ بيثربَ يخبر الناس بأنباءِ ما قد سبق. قال: فأقبل

الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ فنودي: الصلاة جامعة، ثم خرج، فقال للراعي: «أخبرهم» فأخبرَهم، فقال رسول الله ﷺ: «صدق، والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى يكلِّم السباعُ الإنسَ، ويكلم الرجلَ عذبةُ سوطه وشراكُ نعله، ويخبره فَخِذُه بما أحدث أهلُه بعده». وهذا إسناد على شرط الصحيح، وقد صحّحه البيهقي ولم يروه إلا الترمذي من قوله: «والذي نفسي بيده» إلى آخره... ثم قال: هذا حديث حسن غريب صحيح. كذا في «البداية» (6/ 143). وللحديث طريق أخرى عند أحمد والبيهقي، والحاكم، وأبي نعيم. وأخرجه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأبو نعيم عن أنس رضي الله عنه، والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما، كما بسط ابن كثير في «البداية» (6/ 144 و145). وقد تكلَّم القاضي عياض على حديث الذئب، فذكر عن أبي هريرة، وأبي سعيد، وعن أُهْبان بن أوس رضي الله عنهم، وأنه كان يقال له مكلِّم الذئب، قال: وقد روى ابن وهْب أنه جرى مثلُ هذا لأبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، مع ذئب وجداه أخذ ظَبْياً، فدخل الظبيُ الحرم، فانصرف الذئب، فعجبا من ذلك، فقال الذئب: أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار. فقال أبو سفيان: واللاَّت والعُزَّى لئن ذكرتَ هذا بمكة ليتركنَّها أهلوها. كذا في «البداية» (6/ 146).

* * *

تسخير البحار لهم

أخرج ابن عبد الحَكَم في «فتوح مصر»، وأبو الشيخ في «العظمة»، وابن عساكر عن قيس بن الحجّاج، عمّن حدثه، قال: لما فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر؛ أتى أهلها إليه حين دخل بُؤْنة من أشهر العجم، فقالوا له: أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سُنَّة لا يجري إلا بها. فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: إنه إذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر، عمدنا إلى جاريةٍ بكرٍ بين أبويها، فأرضينا أبويها، وجعلنا عليها شيئاً من الحُلْي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل. فقال لهم عمرو: إنَّ هذا لا يكون في الإسلام؛ فإن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا بُؤْنة وأبيب ومَسْرى، لا يجري قليلاً ولا كثيراً حتى همُّوا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بذلك، فكتب إليه عمر: قد أصبتَ إن الإسلام يهدم ما قبله، وقد بعثتُ إليك ببطاقة، فألقِها في داخل النيل إذا أتاك كتابي. فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فإذا فيها:

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر:

«أما بعد: فإن كنتَ تجري من قِبَلك فلا تجرِ، وإن كان الواحد القهّار يجريك؛ فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك».

فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم، وقد تهيَّأ أهل مصر للجلاء وللخروج منها؛ لأنهم لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل،

فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً، وقطع تلك السُنَّة السوء عن أهل مصر. كذا في «منتخب الكنز» (4/ 380). وأخرجه الحافظ أبو القاسم اللالكائي الطبري في «كتاب السنّة» عن قيس بن الحجاج نحوه، كما في «التفسير» لابن كثير (3/ 464).

أخرج إبراهيم بن الجنيد في «كتاب الأولياء» عن عروة الأعمى مولى بني سعد، قال: ركب أبو ريحانة البحر، وكانت له صحف، وكان يخيط، فسقطت إبرته في البحر، فقال: عزمت عليك يا ربِّ إلا رددت عليَّ إبرتي. فظهرت حتى أخذها. كذا في «الإصابة» (2/ 157).

أخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 208) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لما بعث النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه إلى البحرين، تبعته، فرأيت منه خصالاً ثلاثاً لا أدري أيتهن أعجب: انتهينا إلى شاطىء البحر، فقال: سَمُّوا الله واقتحموا، فسمَّينا واقتحمنا، فعبرنا وما بلَّ الماءُ أسفلَ خفافِ إبلنا، فلما قفلنا سرنا معه بفلاة من الأرض وليس معنا ماء، فشكونا إليه، فصلَّى ركعتين، ثم دعا؛ فإذا سحابة مثل الترس، ثم أرخت عزاليَها، فسَقَينا واستقينا. ومات فدفنَّاه في الرمل، فلما سرنا غير بعيد، قلنا: يجيء سبع فيأكله، فرجعنا إليه فلم نره - يعني في القبر -. وأخرج أبو نعيم أيضاً في «الحلية» (1/ 8) عن أبي هريرة نحوه مقتصراً على قصة البحر، وزاد: فلما رآنا ابن مُكَعْبِر عامل كسرى، قال: لا والله، لا نقابل هؤلاء، ثم قعد في سفينة فلحق بفارس، وأخرجه الطبراني في الثلاثة عن أبي هريرة نحوه. قال الهيثمي (9/ 376): وفيه إبراهيم بن مَعْمَر الهروي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

وأخرج البيهقي عن أنس رضي الله عنه، قال: أدركت في هذه الأمة ثلاثاً... فذكر الحديث، وفيه: قال: ثم جهّز عمر بن الخطاب

رضي الله عنه جيشاً، واستعمل عليهم العلاء بن الحضرمي، قال أنس رضي الله عنه: وكنت في غَزاته فأتينا مغازينا، فوجدنا القوم قد نُذِروا بنا، فعَفَوا، آثار الماء - والحرُّ شديد - فجهَدَنا العطشُ ودوابَّنا، وذلك يوم الجمعة، فلما مالت الشمس لغروبها، صلّى بنا ركعتين، ثم مدَّ يده إلى السماء، وما نرى في السماء شيئاً، قال: فوالله، ما حطَّ يده حتى بعث الله ريحاً، وأنشأ سحاباً، وأفرغتْ حتى ملأت الغُدُر والشِّعاب، فشربنا وسقينا ركابنا واستقينا، ثم أتينا عدوَّنا وقد جاوزوا خليجاً في البحر إلى جزيرة، فوقف على الخليج وقال: يا عليُّ، يا عظيم، يا حليم، يا كريم، ثم قال: أجيزوا باسم الله، قال: فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا، فلم نلبث إلاَّ يسيراً فأصبنا العدو عليه، فقتلنا، وأسرنا، وسبينا، ثم أتينا الخليج، فقال مثل مقالته: فأجزنا، ما يبل الماء حوافر دوابنا... فذكر الحديث.

وذكر البخاري في «التاريخ» لهذه القصة إسناداً آخر، وقد أسنده ابن أبي الدنيا عن سَهْم بن مِنْجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي... فذكره، وقال في الدعاء: يا عليم، يا حليم، يا عليُّ، يا عظيم، إنا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوك، اسقنا غيثاً نشرب منه ونتوضأ، فإذا تركناه فلا تجعل لأحد فيه نصيباً غيرنا. وقال في البحر: اجعل لنا سبيلاً إلى عدوِّك. كذا في «البداية» (6/ 155). وأخرجه أبو نُعَيم في «الحلية» (1/ 7) عن سَهْم بن مِنْجاب نحو رواية ابن أبي الدنيا، مقتصراً على قصة البحر، وفي روايته: فتقحَّم بنا البحر، فخضنا ما يبلغ، لبودنا الماء، فخرجنا إليهم. وقد ذكر ابن جرير في «تاريخه» (2/ 522) وابن كثير في «البداية» (6/ 328) بَعْثَ أبي بكر العلاءَ بن الحضرمي على قتال أهل الرِدّة بالبحرين.. فذكرا قصة نَفْر الإبل بما عليها من زاد

الجيش وخيامهم وشرابهم وإقبال الإبل بما عليها، وقصة خَلْق الله تعالى إلى جانبهم غديراً عظيماً من الماء القَرَاح، وقتالهم المرتدين. قال في «البداية»: (6/ 329): وقال ـ العلاء ـ للمسلمين: اذهبوا بنا إلى دارِين لنغزو من بها من الأعداء، فأجابوا إلى ذلك سريعاً، فسار بهم حتى أتى ساحل البحر ليركبوا في السفن، فرأى أن الشقَّة بعيدة لا يصلون إليهم في السفن حتى يذهب أعداء الله، فاقتحم البحر بفرسه وهو يقول: يا أرحم الراحمين، يا حكيم، يا كريم، يا أحد، يا صمد، يا حيُّ، يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، لا إلٰه إلا أنت يا ربنا. وأمر الجيش أن يقولوا ذلك ويقتحموا، ففعلوا ذلك فأجاز بهم الخليج بإذن الله، يمشون على مثل رملة دَمِثة، فوقها ماء لا يغمر أخفاف الإبل، ولا يصل إلى رُكَب الخيل، ومسيرته للسفن يوم وليلة، فقطعه إلى الساحل الآخر، فقاتل عدوه وقهرهم واحتاز غنائمهم، ثم رجع فقطعه إلى الجانب الآخر فعاد إلى موضعه الأول، وذلك كله في يوم. انتهى. وهكذا ذكره ابن جرير (2/ 526) عن السَّري عن شعيب عن سَيف بإسناده عن منجاب بن راشد، فذكر القصة بطولها جداً.

أخرج أبو نعيم في «الدلائل» (ص 208) عن ابن الرُّفَيل، قال: لما نزل سعد رضي الله عنه بَهُرَسِير وهي المدينة الدنيا، طلب السفن ليعبر الناس إلى المدينة القصوى، فلم يقدروا على شيء، وجدهم قد ضموا السفن، فأقاموا بِبَهُرَسير أياماً من صَفَر يريدونه على العبور، فيمنعه الإبقاء على المسلمين، حتى أتاه أعلاج، فدلوه على مخاضة تخاض إلى صلب الوادي، فأبى وتردد عن ذلك، وفجئهم المد، فرأى رؤيا؛ أن خيول المسلمين اقتحمتها، فعبرت وقد أقبلت من المد بأمر عظيم؛ فعزم لتأويل رؤياه على العبور، فجمع سعد الناس؛ فحمد الله وأثنى عليه، فقال: إنَّ

عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر؛ فلا تخلصون إليهم، وهم يخلصون إليكم إذا شاؤوا، فيناوشونكم في سفنهم، وليس وراءكم شيء تخافون أن تُؤتوا منه، وإني قد عزمتُ على قطع هذا البحر إليهم. فقالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل. فندب سعد الناس إلى العبور، فقال: من يبدأ ويحمي لنا الفراض حتى يتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من الخروج؟ فانتدب له عاصم بن عمرو، وانتدب بعده ستمائة رجل من أهل النَّجَدات، واستعمل عليهم عاصماً، فسار عاصم فيهم حتى وقف على شاطىء دِجلة، ثم قال: مَن ينتدب معي نمنع الفِراض من عدوكم؟ فانتدب له ستون منهم، فجعلهم نصفين: على خيول إناث وذُكور ليكون أسلس لعَوْم الخيل، ثم اقتحموا دِجلة، فلما رأى سعد عاصماً على الفراض قد منعها، أذن للناس في الاقتحام، وقال: قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه، وحسبنا الله ونعم الوكيل، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وتلاحق عُظْم الجند، فركبوا اللُّجَّة وإن دجلة لترمي بالزَّبَد، وإنها لمُسْوَدّة، وإنَّ الناس ليتحدثون في عَوْمهم، وقد اقترنوا، كما يتحدَّثون في مسيرهم على الأرض، ففجَأوا أهل فارس بأمر لم يكن في حسابهم، فأجهضوهم، وأعجلوهم على حمل أموالهم، ودخلها المسلمون في صَفر سنة ست عشرة، واستولوا على كل ما بقي في بيوت كسرى من الثلاثة آلاف ألف ألف، وما جمع شيرويه ومَنْ بعده، وذكره الطبري في «تاريخه» (3/ 119) عن سيف مع زيادات، وذكره في «البداية» (7/ 64) بطوله.

وأخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 209) عن أبي بكر بن حفص بن عمر، قال: كان الذي يساير سعداً في الماء سلمان الفارسي رضي الله عنهما، فعامت بهم الخيل، وسعدٌ يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرنَّ الله وليَّه، وليظهرنَّ دينه، وليهزمنّ الله عدوه؛ إن لم

يكن في الجيش بَغْي أو ذنوب تغلب الحسنات. فقال له سلمان: إن الإسلام جديد، ذُلِّلت - والله - لهم البحار كما ذُلِّل لهم البر، أما والذي نفس سلمان بيده! ليَخْرُجُنَّ منه أفواجاً كما دخلوا فيه أفواجاً، فطبَّقوا الماء حتى ما يُرى الماء من الشطَّين، ولَهُمْ فيه أكثر حديثاً منهم في البر لو كانوا فيه، فخرجوا منه - كما قال سلمان - لم يفقدوا شيئاً، ولم يغرق منهم أحد. وأخرجه ابن جرير الطبري في «تاريخه» (3/ 121) عن أبي بكر بن حفص نحوه مع زيادة في أوله.

وأخرج أبو نعيم في «الدلائل» (ص 209) عن أبي عثمان النَّهْدي رضي الله عنه، أنهم سَلِموا من عند آخرهم إلا رجل من بارق يُدعى غَرقدة، زال عن ظهر فرس له شقراء، كأني أنظر إليها تَنْفض أعرافَها عُرياً والغريق طافٍ، فثنى القعقاع بن عمرو عنان فرسه إليه، فأخذه بيده فجره حتى عبر، قال: وما ذهب لهم في الماء شيء إلا قَدَح كانت عِلاقته رثة، فانقطعت، فذهب به الماء، فقال الرجل الذي يُعاومُ صاحب القدح معيِّراً له: أصابه القدر فطاح، وقال: والله إني على جدِيلة، ما كان الله ليسلبني قدحي مِن بين أهل العسكر. فلما عبروا إذا رجل ممن كان يحمي الفِراض؛ إذا بالقدح قد ضربته الرياح والأمواج حتى وقع إلى الشاطىء، فيتناوله برمحه، فجاء به إلى العسكر يُعرِّفه، فأخذه صاحبه. وأخرجه ابن جرير في «تاريخه» (3/ 122) عن أبي عثمان وغيره نحوه.

وأخرج ابن جرير في «تاريخه» (3/ 122) عن عمير الصائدي، قال: لما اقتحم سعد بالناس في دجلة اقترنوا، فكان سلمان قرينَ سعد رضي الله عنهما إلى جانبه يسايره في الماء، وقال سعد ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: 38] والماء يطموا بهم، وما يزال فرس يستوي قائماً إذا أعيا تُنشز له تَلْعة، فيستريح عليها كأنه على الأرض، فلم يكن بالمدائن أمرٌ أعجبَ من ذلك، وذلك يوم الماء، وكان يدعى يوم الجراثيم. وأخرجه

أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 209) عن عمير الصائدي نحوه؛ إلا أن في روايته: فلم يكن بالمدائن أمر أعجب من ذلك، ولذلك يدعى يوم الجراثيم، لا يعيا أحد إلا نَشَزت له جرثومةٌ يستريح عليها.

وأخرج ابن جرير في «تاريخه» (3/ 123) عن قيس بن أبي حازم قال: خُضْنا دجلة وهي تطفح، فلمَّا كنّا في أكثرها ماء، لم يزل الفارس واقفاً ما يبلغ الماء حزامه. وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 210) عن قيس نحوه.

وأخرج ابن أبي حاتم عن حبيب بن صُهبان قال: قال رجل من المسلمين وهو حُجْر بن عدي: ما يمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء العدو؟ هذه النطفة؟ - يعني دجلة - ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: 145] ثم أقحم فرسه دجلة، فلما أقحم، أقحم الناس، فلمَّا رآهم العدو قالوا: ديوان فهربوا. كذا في «التفسير» لابن كثير (1/ 410) وعند أبي نعيم في «الدلائل» (ص 210) عن حبيب بن صُهْبان أبي مالك، قال: لمَّا عبر المسلمون يوم المدائن دِجلة، فنظروا إليهم يعبرون، جعلوا يقولون بالفارسية: ديوان آمذ، قال بعضهم لبعض: إنكم والله ما تقاتلون الإنس وما تقاتلون إلا الجن. فانهزموا. وأخرجه ابن جرير في «تاريخه» (3/ 123) عن حبيب نحوه.

وأخرجه البيهقي عن الأعمش عن بعض أصحابه كما في «البداية» (6/ 155) قال: انتهينا إلى دجلة وهي مادّة، والأعاجم خلفها، فقال رجل من المسلمين: باسم الله. ثم اقتحم بفرسه، فارتفع على الماء، فقال الناس: باسم الله. ثم اقتحموا، فارتفعوا على الماء، فنظر إليه الأعاجم وقالوا: ديوان ديوان، ثم ذهبوا على وجوههم.

* * *

إطاعة النيران لهم

أخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 212) عن معاوية بن حَرْمَل قال: قدمت المدينة، فذهب بي تميم الداري رضي الله عنه إلى طعامه، فأكلت أكلاً شديداً، وما شبعت من شدة الجوع، فقد كنت أقمت في المسجد ثلاثاً لا أطعَم شيئاً، فبينا نحن ذات يوم إذا خرجت نار بالحَرَّة، فجاء عمر إلى تميم رضي الله عنهما، فقال: قم إلى هذه النار، فقال: يا أمير المؤمنين، من أنا؟ وما أنا؟ فلم يزل به حتى قام معه، قال: وتبعتهما، فانطلقا إلى النار، قال: فجعل يحوشها بيده هكذا حتى دخلت الشِّعْب، ودخل تميم خلفها، وجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم يرَ!! وأخرجه البيهقي (6/ 80) عن معاوية بن حَرْمَل، قال: خرجت نار بالحرة، فذكر نحوه، كما في «البداية» (6/ 153).

وأخرجه البغوي عن معاوية بن حَرْمَل قال: قدمت على عمر رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين، تائب من قبل أن يُقدر عليَّ، فقال: من أنت؟ فقلت: معاوية بن حَرْمَل خَتَن مسيلمة. قال: اذهب فانزل على خير أهل المدينة، قال: فنزلت على تميم الداري، فبينا نحن نتحدث؛ إذ خرجت نار بالحرة، فجاء عمر إلى تميم، فقال: يا تميم، اخرج، فقال: وما أنا؟ وما تخشى أن يبلغ من أمري؟ فصغَّر نفسه، ثم قام فحاشها حتى أدخلها الباب الذي خرجت منه، ثم اقتحم في أثرها، ثم خرج فلم تضره كذا في «الإصابة» (3/ 497). وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 212) عن ضمرة عن مرزوق مختصراً. وفي روايته: فقال له عمر: لمثل هذا كنا نُحِبُّكَ يا أبا رُقَيَّة.

الإضاءة لهم

أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كنا نصلّي مع رسول الله ﷺ العشاء الآخرة، فإذا سجد وثب الحسن والحسين رضي الله عنهما على ظهره، فإذا رفع رأسه أخذهما من خلفه أخذاً رفيقاً فوضعهما عن ظهره، فإذا عاد عادا، حتى إذا قضى صلاته أقعدهما على فخذيه، قال: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله، أردهما؟ فبرقت برقة، فقال لهما: «الحقا بأمكما» قال: فمكث ضوؤها حتى دخلا على أمهما. قال الهيثمي (9/ 181): رواه أحمد والبزّار باختصار وقال: في ليلة مظلمة، ورجال أحمد ثقات انتهى. وأخرجه البيهقي عن أبي هريرة نحوه؛ كما في «البداية» (6/ 152).

وأخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 205) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان الحسن رضي الله عنه عند النبي ﷺ في ليلة ظلماء، وكان يحبُّه حبّاً شديداً، فقال: اذهب إلى أمي؟ فقلت: أذهب معه يا رسول الله؟ قال: «لا» فجاءت برقة من السماء فمشى في ضوئها حتى بلغ إلى أمه.

أخرج أحمد في حديث طويل في قصة ساعة الجمعة عن أبي سعد رضي الله عنه، قال: ثم هاجت السماء من تلك الليلة، فلما خرج النبي ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، برقت برقة، فرأى قتادةَ بن النعمان رضي الله عنه، فقال: «ما السُّرى يا قتادة»؟ قال: علمت يا رسول الله أن

شاهد الصلاة قليل؛ فأحببت أن أشهدها، قال: فإذا صليت فاثبتْ حتى أمرَّ بك». فلما انصرف أعطاه العُرجون وقال: «خذ هذا فسيضيء لك أمامك عشراً، وخلفك عشراً، فإذا دخلت البيت وتراءيت سواداً في زاوية البيت، فاضربه قبل أن تتكلم، فإنه الشيطان». قال الهيثمي (2/ 167): رواه أحمد والبزّار (2709) بنحوه ورجالهما رجال الصحيح. انتهى؛ وأخرجه الطبراني في «الكبير» (9/ 19) عن قتادة كما في «المجمع» (2/ 40). وفي روايته: فأعطاني العُرجون، فقال: إن الشيطان قد خَلَفك في أهلك، فاذهب بهذا العُرجون، فأمسك به حتى تأتي بيتك، فخذه من زاوية البيت، فاضربه بالعرجون، فخرجت من المسجد، فأضاء العُرجون مثل الشمعة نوراً، فاستضأت به، فأتيت أهلي، فوجدتهم قد رقدوا، فنظرت في الزاوية، فإذا فيها قنفذ، فلم أزل أضربه بالعرجون حتى خرج. قال الهيثمي: رجاله موثقون.

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه، أنَّ رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما؛ فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد، حتى أتى أهله.

وعند عبد الرزاق عن أنس أن أُسَيد بن حُضَير الأنصاري رضي الله عنهما ورجلاً آخر من الأنصار، تحدَّثا عند النبي ﷺ في حاجة لهما، حتى ذهب من الليل ساعة، وهي ليلة شديدة الظلمة، حتى خرجا من عند رسول الله ﷺ ينقلبان، وبيد كل واحد منهما عُصَيَّة، أضاءت للآخر عصاه لهما حتى مشيا في ضوئها، حتى إذا افترقت بها الطريق، أضاءت للآخر عصاه حتى مشى في ضوئها، حتى أتى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله. وقد علّقه البخاري عن معمر عن ثابت عن أنس. وعلَّقه البخاري أيضاً عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، أن

عبّاد بن بشر وأُسَيد بن حُضَير رضي الله عنهما خرجا من عند النبي ﷺ، فذكر مثله. وقد رواه النسائي والبيهقي (6/ 78) من طريق حمّاد بن سلمة به. كذا في «البداية» (6/ 152). وأخرجه ابن سعد (3/ 606) من طريق حماد بن ثابت عن أنس قال: كان أُسيد بن الحضير وعباد بن بشر عند رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء حِنْدس، فذكر نحوه. وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 205) نحوه.

أخرج البخاري في «التاريخ» عن حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فتفرقنا في ليلة ظلماء دَحْمَسَة، فأضاءت أصابعي، حتى جمعوا عليها ظَهْرهم، وما هلك منهم (شيء) وإن أصابعي لتنير. ورواه البيهقي (6/ 79) والطبراني (3/ 2991). كذا في «البداية» (6/ 152). وفيما نقل الهيثمي عن الطبراني: وما سقط من متاعهم - بدل - وما هلك. قال الهيثمي (9/ 411): رجال الطبراني ثقات، وفي كثير بن زيد خلاف. انتهى. وقال ابن كثير في «البداية» (8/ 213): روى البخاري في «التاريخ» بإسناد جيد، فذكره مختصراً. وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 206) عن حمزة بنحوه رواية البخاري. وذكر ابن سعد (4/ 315) عن الواقدي قال حمزة بن عمرو: لما كنا بتبوك وأنفر المنافقون بناقة رسول الله ﷺ في العقبة، حتى سقط بعض متاع رَحْله، قال حمزة: فنُوِّر لي في أصابعي الخمس فأُضيءَ، حتى جعلت ألقط ما شذ من المتاع: السوطِ، والحباءِ، وأشباه ذلك.

أخرج البيهقي (6/ 78) عن عبد الحميد بن أبي عبس الأنصاري، أخبرني ميمون بن زيد بن أبي عبس، أخبرني أبي أن أبا عبس رضي الله عنه كان يصلّي مع رسول الله ﷺ الصلوات، ثم يرجع إلى بني حارثة، فخرج في ليلة مظلمة مَطيرة، فنُوِّر له في عصاه حتى دخل دار بني

حارثة. قال البيهقي: أبو عبس ممَّن شهد بدراً. كذا في «البداية» (6/ 152). وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 205) بهذا الإسناد نحوه؛ إلا أن روايته: أن أبا عيسى. وأخرجه الحاكم (3/ 350) عن عبد الحميد بن أبي عبس أن أبا عبس، فذكره نحوه مرسلاً. وقال في «الإصابة» (4/ 130): قال الزبير بن بكار في «الموفقيَّات»: حدَّثني محمد بن الضحاك عن أبيه قال: أعطى رسول الله ﷺ أبا عبس بن جبر بعد ما ذهب بصره عصا، فقال؛ «تنوَّر بهذه» فكانت تضيء له ما بين كذا وكذا. انتهى.

أخرج ابن منده، وابن عساكر عن الطفيل - ذي النور - بن عمرو الدوسي رضي الله عنه، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ دعا له في سَوْطه فنُوِّر له سوطه، فكان يستضيء به. كذا في «الكنز» (7/ 78). وقد تقدّم في باب الدعوة إلى الله وإلى رسوله في دعوة الطفيل بن عمرو الدوسي (1/ 202) أنه طلب من النبي ﷺ آية تكون له عوناً على إسلام قومه، قال: فقال: «اللهمَّ اجعل له آية». قال: فخرجتُ إلى قومي حتى إذا كنت بثنيّة تُطلعني على الحاضر، وقع بين عينيَّ نور مثل المصباح، قال: فقلت: اللهمَّ في غير وجهي، فإني أخشى أن يظنُّوا أنها مُثْلة وقعت في وجهي لفراق دينهم. قال: فتحوّل فوقع في رأسي سوطي، قال: فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور في رأس سوطي كالقنديل المعلق وأنا هابطٌ عليهم من الثنية حتى جئتهم.

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان العباس بن عبد المطلب كثيراً ما يقول: ما رأيت أحداً أحسنت إليه إلا أضاء ما بيني وبينه، وما رأيت أحداً أسأت إليه إلا أظلم ما بيني وبينه،

فعليك بالإحسان واصطناع المعروف؛ فإن ذلك يقي مصارع السوء. كذا في «الكنز» (3/ 312).

* * *

إظلال السحب إيّاهم

أخرج أبو نعيم عن عبد الرحمٰن بن عمران بن الحارث، عن مولى لكعب، قال: انطلقنا مع المقداد بن الأسود، وعمرو بن عَبَسة، وشافع بن حبيب الهذلي رضي الله عنهم، فخرج عمرو بن عَبَسة يوماً للرعية، فانطلقت نصف النهار - يعني لأراه - فإذا سحابة قد أظلته ما فيها عنه مفصل، فأيقظته، فقال: إنَّ هذا شيء إن علمتُ أنك أخبرتَ به أحداً لا يكون بيني وبينك خير، قال: فوالله ما أخبرت به حتى مات. كذا في «الإصابة» (3/ 6).

* * *

نزول الغيث بدعواتهم

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه، أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة من باب كان وُجاه المنبر - ورسول الله ﷺ قائم يخطب - فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وتقطَّعت السُّبُل؛ فادْعُ الله لنا يغيثنا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، فقال: «اللهمَّ اسقنا، اللهمَّ اسقنا، اللهمَّ اسقنا». قال أنس: ولا والله، ما نرى في السماء من سحاب ولا قَزَعة ولا شيئاً، وما بيننا وبين سَلْع من بيت ولا دار، قال: فطلعتْ من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرتْ ثم أمطرتْ، قال: والله ما رأينا الشمس ستاً. ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة - ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطب - فاستقبله قائماً، وقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السُّبُل، ادعُ الله يمسكها؛ قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «اللهمَّ حوالينا ولا علينا، اللهمَّ على الآكام، والجبال، والظِّراب، ومنابت الشجر» قال: فانقطعتْ وخرجنا نمشي في الشمس.

وفي طريق آخر عنده عنه، قال: فلقد رأيت السحاب يتقطَّع يميناً وشمالاً، يُمطَرون، ولا يُمطر أهل المدينة.

وفي طريق آخر عنده عنه، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه وما رأينا في السماء قَزَعة، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار سحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته.

وأخرجه مسلم أيضاً، وأحمد، وأبو داود بمعناه؛ كما في «البداية» (6/ 88)، وأبو نعيم في «الدلائل» (ص 160)، وابن سعد في «الطبقات» (1/ 176).

وأخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 160) عن أبي لُبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ على المنبر يوم الجمعة يخطب الناس، فقال: «اللهمَّ اسقنا». فقال أبو لبابة: يا رسول الله، إنَّ التمرَ في المرابد. فقال: «اللهمَّ اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عرياناً يسد ثَعْلب مربده بإزاره». وما نرى في السماء سحاباً، فأُمطروا مَطِيراً فأطافت الأنصار بأبي لُبابة، فقالوا: يا أبا لبابة، إن السماء لن تقلع حتى تفعل ما قال رسول الله ﷺ. قال: فقام أبو لُبابة عرياناً يسد ثَعْلَب مربده بإزاره، فأقلعت السماء. وأخرجه البيهقي عن أبي لُبابة نحوه، كما في «البداية» (6/ 92). وقال: وهذا إسناد حسن ولم يروه أحمد ولا أهل الكتب. انتهى. وقد تقدم في تحمل الشدائد (1/ 323) حديث عمر رضي الله عنه عند ابن جرير والبزّار والطبراني، وفيه: فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فأظلَّت، ثم سكبت، فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر. وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 190) عن عمر نحوه.

وأخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 190) عن عبد الله بن أبي بكر بن عياش بن سهل قال: أصبح الناس ولا ماء معهم، فشكَوا إلى رسول الله ﷺ، فدعا الله عز وجل، فأرسل سحابة، فأمطرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء.

أخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن خوّات بن جبير رضي الله عنه، قال: أصاب الناس قحط شديد على عهد عمر رضي الله عنه،

فخرج عمر بالناس، فصلَّى بهم ركعتين، وخالف بين طرفي ردائه، فجعل اليمين على اليسار واليسار على اليمين، ثم بسط يديه فقال: اللهمَّ إنا نستغفرك، ونستسقيك. فما برح مكانه حتى مُطِروا، فبينما هم كذلك إذا الأعراب قد قدموا، فأتَوا عمر، فقالوا: يا أمير المؤمنين، بينا نحن في بوادينا في يوم كذا، في ساعة كذا؛ إذا أظلنا غمام، فسمعنا فيها صوتاً: أتاك الغوث أبا حفص، أتاك الغوث أبا حفص. كذا في «الكنز» (4/ 290).

وأخرج البيهقي في «الدلائل» عن مالك الدار، قال: أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، استسقِ الله تعالى لأمتك؛ فإنهم قد هلكوا. فأتاه رسول الله ﷺ في المنام، فقال: «ائتِ عمر، فأقرئه السلام، وأخبره أنهم يُسقون، وقل له: عليك الكَيْس الكَيْس» فأتاه الرجل فأخبره، فبكى ثم قال: يا رب، لا آلوا إلا ما عجزت عنه. كذا في «الكنز» (4/ 289). قال ابن كثير في «البداية» (7/ 92): وهذا إسناد صحيح. انتهى.

وعند ابن جرير الطبري في «تاريخه» (3/ 192) بإسناد فيه سَيْف عن عبد الرحمٰن بن كعب بن مالك، قال: كانت الرمادة جوعاً أصاب الناس بالمدينة، وما حولها (فأهلكهم)، حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنس، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة، فيعافها من قبحها وإنه لمقفر، فكان الناس بذلك، وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار؛ حتى أقبل بلال بن الحارث المُزَني رضي الله عنه، فاستأذن عليه، فقال: أنا رسولُ رسولِ اللّٰه إليك؛ يقول لك رسول الله ﷺ: «لقد عهدتك كيِّساً، وما زلت على رِجْل، فما شأنك»؟ فقال: متى رأيت هذا؟ قال: البارحة؛ فخرج فنادى

في الناس: الصلاة جامعة. فصلَّى بهم ركعتين، ثم قام فقال: أيها الناس، أنشُدكم الله، هل تعلمون مني أمراً غيرُه خيرٌ منه. قالوا: اللهمَّ لا. قال: فإن بلال بن الحارث يزعم ذَيْتَ وذَيْتَ، فقالوا: صدق بلال، فاستغث بالله وبالمسلمين. فبعث إليهم - وكان عمر عن ذلك محصوراً - فقال عمر: الله أكبر بلغ البلاءُ مدته. فانكشف، وما أُذن لقوم في الطلب إلا وقد رُفع عنهم البلاء، فكتب إلى أمراء الأمصار: أغيثوا أهلَ المدينة ومَنْ حولها؛ فإنه قد بلغ جَهْدهم، وأخرج الناس إلى الاستسقاء، فخرج وخرج معه بالعباس ماشياً، فخطب فأوجز، ثم صلَّى، ثم جثا لركبتيه، وقال: اللهم إياك نعبد وإياك نستعين، اللهمَّ اغفر لنا، وارحمنا، وارضَ عنا. ثم انصرف، فما بلغوا المنزل راجعين حتى خاضوا الغُدْران. وعنده أيضاً بإسناد فيه سَيْف عن عاصم بن عمر بن الخطاب، فذكر الحديث بمعناه، وفيه: فقال أهل بيت من مُزَيْنة من أهل البادية لصاحبهم: قد بَلَغنا، فاذبح لنا شاة، قال: ليس فيهن شيء، فلم يزالوا به حتى ذبح لهم شاة، فسلخ عن عظم أحمر، فنادى: يا محمداه! فأري فيما يرى النائم أن رسول الله ﷺ أتاه، فقال: أبشر بالحيا، ائتِ عمر فأقرئه مني السلام، وقل له: إن عهدي بك - وأنت وفيّ العهد - شديد العقد، فالكَيْس الكَيْس يا عمر». فجاء حتى أتى باب عمر، فقال لغلامه: استأذنْ لرسولِ رسولِ الله ﷺ، فذكر بمعناه.

أخرج ابن سعد (7/ 444) عن سليم بن عامر الخبائري، أن السماء قحطت، فخرج معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وأهل دمشق يستسقون، فلما قعد معاوية على المنبر، قال: أين يزيد بن الأسود الجُرَشي؟ قال: فناداه الناس، فأقبل يتخطَّى، فأمره معاوية، فصعد المنبر، فقعد عند رجليه، فقال معاوية: اللهمَّ إنا نستشفع إليك اليوم

بخيرنا وأفضلنا، اللهمَّ إنا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود الجُرَشي، يا يزيد، ارفع يديك إلى الله. فرفع يزيد يديه ورفع الناس أيديهم، فما كان أوشك أن ثارت سحابة في المغرب، وهبَّت لها ريح، فسُقينا حتى كاد الناس لا يصلون إلى منازلهم.

أخرج ابن سعد (7/ 21) عن ثُمامة بن عبد الله، قال: جاء أنساً رضي الله عنه أكّار بستانه في الصيف، فشكا العطش، فدعا بماء، فتوضأ وصلّى، ثم قال: هل ترى شيئاً؟ فقال: ما أرى شيئاً، قال: فدخل فصلّى، ثم قال في الثالثة ـ أو في الرابعة ـ: انظر، قال: أرى مثل جناح الطير من السحاب، قال: فجعل يصلّي ويدعو، حتى دخل عليه القيِّم، فقال: قد استوت السماء ومطرت، فقال: اركب الفرس الذي بعث به بِشر بن شَغاف، فانظر أين بلغ المطر؟ قال: فركبه فنظر، قال: فإذا المطر لم يجاوز قصور المسيَّرين ولا قصر الغضبان. وأخرجه أيضاً عن ثابت بن البُناني مختصراً. وفي روايته: شكا قيّم لأنس بن مالك في أرضه العطش. وفي آخره: فنظر فإذا هي لم تعدُ أرضه.

أخرج إبراهيم بن الجُنيد في «كتاب الأولياء» بسند منقطع أن حُجْر بن عدي رضي الله عنه أصابته جنابة. فقال للموكل به: أعطني شرابي أتطهر به، ولا تعطني غداً شيئاً. فقال: أخاف أن تموت عطشاً، فيقتلني معاوية. قال: فدعا الله، فانسكبت له سحابة بالماء، فأخذ منها الذي احتاج إليه، فقال له أصحابه: ادعُ الله أن يخلصنا، فقال: اللهمَّ خِرْ لنا. قال: فقُتل هو وطائفة منهم. كذا في «الإصابة» (1/ 315).

* * *

نزول الغيث على أموات حيٍّ من الأنصار
بدعوة سابقة لهم منه ﷺ

أخرج ابن عساكر عن الحسن قال: كان حيٌّ من الأنصار لهم دعوة سابقة من رسول الله ﷺ إذا مات منهم ميت، جاءت سحابة فأمطرت قبره، فمات مولى لهم، فقال المسلمون: لننظر اليوم إلى قول رسول الله ﷺ: «مولى القوم من أنفسهم» فلما دُفن جاءت سحابة، فأمطرت قبره. كذا في «الكنز» (7/ 136).

* * *

السقاية بدلو من السماء

أخرج ابن سعد (8/ 224) عن عثمان بن القاسم، قال: لما هاجرت أم أيمن رضي الله عنها أمست بالمنصرف دون الرَّوْحاء، فعطشت، وليس معها ماء، وهي صائمة، فَجهدها العطش، فدُلِّي عليها من السماء دلوٌ من ماء، بِرِشَاء أبيض فأخذته، فشربت منه حتى رويت، فكانت تقول: ما أصابني بعد ذلك عطش، ولقد تعرَّضتُ للعطش بالصوم في الهواجر فما عطشت بعد تلك الشَّربة، وإن كنت لأصوم في اليوم الحار فما أعطش. وأخرجه ابن السَّكَن عن القاسم نحوه؛ كما في «الإصابة» (4/ 432).

* * *

البركة في الماء

أخرج البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: رأيت رسول الله ﷺ، وحانت صلاة العصر، والتمس الناس الوَضوء فلم يجدوه، فأُتي رسول الله ﷺ بوَضوء، فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك الإناء وأمر الناس أن يتوضأوا منه، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم. وقد رواه مسلم والترمذي والنَّسائي من طرق عن مالك به؛ وقال الترمذي: حسن صحيح. وأخرجه أحمد عنه أطول منه.

وعنده أيضاً عنه، قال: نُودي بالصلاة، فقام كل قريب الدار من المسجد، وبقي من كان أهله نائي الدار، فأُتي رسول الله ﷺ بمِخْضَب من حجارة فصَغُر أن يبسط كفه فيه، قال: فضم أصابعه، قال: فتوضأ بقيتهم. قال حميد: وسئل أنس رضي الله عنه: كم كانوا؟ قال: ثمانين أو زيادة. وأخرجه البخاري عنه نحوه. وفي رواية أخرى عند البخاري عنه، قال: أُتي رسول الله ﷺ بإناء، وهو في الزَّوْراء فوضع يده في الإناء، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ القوم. قال قتادة: فقلت لأنس رضي الله عنه: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة. وأخرجه أحمد ومسلم نحوه. كذا في «البداية» (6/ 93). وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 145) عن أنس نحوه. وأخرجه ابن سعد (1/ 178) من طُرُقٍ عن أنس بألفاظ مختلفة.

وأخرج البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس رسول الله ﷺ على شفير البئر، فدعا بماء فمضمض، ومجَّ في البئر، فمكثنا غير بعيد ثم استقينا، حتى رَوِينا ورويت ـ أو صَدَرت ـ ركابنا. تفرد به البخاري إسناداً ومتناً. كذا في «البداية» (6/ 94). وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 145) عن البراء نحوه.

وقد أخرج قصة الحديبية هذه البخاري عن المِسَور ومروان في حديث صلح الحديبية الطويل كما تقدم (1/ 149). وأخرجه مسلم عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، كما في «البداية» (6/ 97). وأخرجه ابن سعد (1/ 179) عن سَلَمة.

وأخرج البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: عطش الناس يوم الحديبية، والنبي ﷺ بين يديه رَكْوة يتوضأ (منها)، فجهش الناس نحوه، فقال: «ما لكم»؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ (به) ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة، وأخرجه مسلم. كذا في «البداية» (6/ 96) وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 144) وابن سعد (2/ 98) عنه نحوه.

وأخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 144) عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ في سفر؛ إذ حضرت الصلاة، وليس معنا إلا شيء يسير، فدعا رسول الله ﷺ بماء، فصبَّه في صَحْفة، فجعل كفَّه فيه، فجعل الماء يتفجَّر من بين أصابعه، ثم نادى: «ألا هَلُمَّ إلى الوضوء، والبركةُ من الله». فأقبل الناس، فتوضأوا، وجعلت أبادرهم

إلى الماء، أدخله بطني، لقول رسول الله ﷺ: «والبركةُ من الله». وأخرجه البخاري عنه بنحوه. كما في «البداية» (6/ 97).

وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 144) عن ابن مسعود رضي الله عنه، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقال: «أمعكم ماء»؟ قلت: نعم، معي ميضَأة فيها شيء من ماء، فقال: «ائتِ بها»، فأتيته بها، فقال: «مَسُّوا منها» فتوضأ، وبقي في الميضأة جرعة، فقال: «ازدهر بها يا أبا قتادة؛ فإنه سيكون لها نبأ». قال: فلما اشتدت الظهيرة، رُفع لهم رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، هلكنا عَطَشاً، تقطعت الأعناق؛ فقال النبي ﷺ: «لا هُلْكَ عليكم» ثم قال: «يا أبا قتادة، ائت بالميضأة» فأتيته بها، فقال: «احلل لي غُمَري» - يعني قدحه - فحللته، فأتيته به، فجعل يصب فيه ويسقي الناس، فازدحم الناس عليه، فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، أحسنوا المَلأ، فكلُّكم سيصدر عن رِيّ» فشرب القوم حتى لم يبقَ غيري، وغير رسول الله ﷺ، فصب لي وقال: «اشرب يا أبا قتادة» قلت: اشرب أنت يا رسول الله. قال: «إن ساقي القوم آخرهم شرباً». فشربت، ثم شرب بعدي، وبقي في المِيضَأة نحو مما كان فيها؛ وهم يومئذٍ ثلاثمائة. وقال إبراهيم بن الحجاج في حديثه: والقوم يومئذ سبعمائة. وأخرجه أحمد ومسلم عن أبي قتادة أطول منه. كما في «البداية» (6/ 98).

وأخرج مسلم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، فذكر حديث جمع الصلاة في غزوة تبوك، إلى أن قال: وقال - [يعني رسول الله ﷺ] -: «إنكم ستأتون غداً - إن شاء الله - عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحَى النهار، فمن جاءها منكم، فلا يَمَسَّ من مائها شيئاً حتى آتي» قال: فجئناها، وقد [سبق] إليها رجلان، والعين مثل الشِّراك تَبِضُّ بشيء

[من ماء]، فسألهما رسول الله ﷺ: «هل مَسِسْتما من مائها شيئاً»؟ قالا: نعم، فسبَّهما، وقال لهما ما شاء الله أن يقول، (قال:) ثم غرفوا [بأيديهم] من العين قليلاً قليلاً، حتى اجتمع في شيء، وغسل رسول الله ﷺ وجهه ويديه [فيه]، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء كثير [فاستقى] الناس، ثم قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ، يوشك إن طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد مُلِيء جناناً». كذا في «البداية» (6/ 100).

أخرج البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما، أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ في مسير... فذكر الحديث إلى أن قال: وقد عطشنا عطشاً شديداً، فبينما نحن نسير مع رسول الله ﷺ؛ إذا نحن بامرأة سادلةٍ رجليها بين مَزَادتين، فقلنا لها: أين الماء؟ فقالت: إنه لا ماء. فقلنا: كم بين أهلِك وبين الماء؟ قالت: يوم وليلة. فقلنا: انطلقي إلى رسول الله ﷺ. قالت: وما رسولُ الله؟ فلم نملِّكْها من أمرها، حتى استقبلنا بها النبي ﷺ فحدَّثتْهُ بمثل الذي حدثتْنا، غير أنها حدثته أنها مؤتمة، فأمر بمزادتيها فمسح في العَزْلاوين، فشربنا عطاشاً أربعين رجلاً حتى روينا وملأنا كل قِربة معنا وإداوَة، غير أنه لم نَسْقِ بعيراً، وهي تكاد تَنض من المِلء، ثم قال: «هاتوا ما عندكم» فجُمع لها من الكِسَر والتمر، حتى أتت أهلها، قالت: لقيت أسحر الناس، أو هو نبي كما زعموا؛ فهدَى الله ذاك الصِّرْم بتلك المرأة فأسلمت وأسلموا. ورواه مسلم. وفي رواية لهما، فقال لها: «اذهبي بهذا معك لعيالك، واعلمي أنا لم نرزأك من مائك شيئاً؛ غير أن الله سقانا». كذا في «البداية» (6/ 98) وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 146) مطولاً.

أخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 147) عن زياد بن الحارث الصُّدائي رضي الله عنه، قال: كنت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره،

فقال: «أمعك ماء»؟ قلت: نعم، قليل لا يكفيك؛ قال: «صبَّه في إناء ثم ائتني به». فأتيته، فوضع كفَّه فيه، فرأيت بين كل أصبعين من أصابعه عيناً تفور، فقال: «لولا أني أستحي من ربي لسقينا واستَقَينا، نادِ في أصحابي: من كان يريد الماء فليغترف ما أحب». قال زياد: وأتى وفد قومي بإسلامهم وطاعتهم، فقال رجل من الوفد: يا رسول الله، إن لنا بئراً إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها، فاجتمعنا عليه، وإذا كان الصيف قلّ ماؤها، فتفرقنا على مياه حولنا، وإنا لا نستطيع اليوم التفرق، كل من حولنا عدو لنا، فادعُ الله أن يَسَعنا ماؤها، فدعا رسول الله ﷺ بسبع حَصَيات، ففرقهن في يده ودعا، ثم قال: «إذا أتيتموها فألقوها واحدةً واحدةً، واذكروا اسم الله عليها». فما استطاعوا أن ينظروا إلى قعرها بعدها. وأخرجه البيهقي (4/ 125) عن زياد مطوّلاً، وأصل هذا في الحديث في «المسند» (4/ 169)، و«سنن أبي داود» (514)، والترمذي (199)، وابن ماجة (717)؛ كما في «البداية» (6/ 101).

أخرج ابن سعد (5/ 144) عن أبي عون، قال: لما خرج حسين بن علي رضي الله عنهما من المدينة يريد مكة، مرّ بابن مطيع وهو يحفر بئره... فذكر الحديث وفيه: فقال له ابن مطيع: إن بئري هذه قد رشحتها، وهذا اليوم أوان ما خرج إلينا في الدلو شيء من ماء، فلو دعوتَ الله لنا فيها بالبركة، قال: هاتِ من مائها، فأُتي من مائها في الدلو، فشرب منه، ثم مضمض، ثم رده في البئر، فأعذبَ وأمهى.

* * *

بركة الطعام في المغازي

أخرج أحمد عن أبي عَمْرة الأنصاري رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، فأصاب الناس مخمصة، فاستأذن الناسُ رسول الله ﷺ في نحر بعض ظُهورهم، وقالوا: يُبلِّغنا الله به. فلما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قد همَّ أن يأذن لهم في نحر بعض ظهورهم، قال: يا رسول الله، كيف بنا إذا نحن لقينا العدو غداً جياعاً رجالاً، ولكن إن رأيت يا رسول الله أن تدعو الناس ببقايا أزوادهم، وتجمعها، ثم تدعو الله فيها بالبركة، فإن الله سيبلِّغنا بدعوتك - أو سيبارك لنا في دعوتك - فدعا النبي ﷺ ببقايا أزوادهم، فجعل الناس يجيئون بالحَثْية من الطعام وفوق ذلك، فكان أعلاهم من جاء بصاع من تمر، فجمعها رسول الله ﷺ ثم قام فدعا ما شاء الله أن يدعو، ثم دعا الجيش بأوعيتهم، وأمرهم أن يحتثوا، فما بقي في الجيش وعاء إلا ملأوه وبقي مثله، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله، لا يلقى الله عبد يؤمن بهما؛ إلا حُجبت عنه النار يوم القيامة» ورواه النَّسائي نحوه. كذا في «البداية» (6/ 114). وأخرجه ابن سعد (1/ 180) عن أبي عَمْر نحوه. وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 148) عن أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما، ومسلم عنهما، وأحمد ومسلم والنسائي عن أبي هريرة بنحوه؛ كما في «البداية» (6/ 113). وأخرجه البزّار (2419) عن أبي خُنيس الغفاري رضي الله عنه، أنه كان مع رسول الله ﷺ في غزوة تِهامة

حتى إذا كان بعُسْفان جاءه أصحابه.. فذكر بمعناه؛ إلاَّ أنه لم يقع عنده من قوله: فضحك... إلى آخره، وفيه بعده: ثم أذن بالرحيل، فلما جاوز مُطِروا فنزل ونزلوا معه، وشربوا من ماء السماء. الحديث. وأخرجه أيضاً البيهقي (6/ 122) عن أبي خُنيس نحوه؛ كما في «البداية» (6/ 114). والطبراني في «الأوسط»؛ كما في «المجمع» (8/ 303). والحاكم كما في «الإصابة» (4/ 53) وقال: سند الحديث حسن.

أخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 149) عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، قالا: لما كانت غزوة تبوك، أصاب الناس مجاعة، فقالوا: يا رسول الله، لو أذنتَ لنا فنحرنا نواضحنا، فأكلنا وادَّهنا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «افعلوا» فجاء عمر رضي الله عنه... فذكر بمعنى حديث أبي عَمْرة. وأخرجه مسلم وغيره عنهما نحوه؛ كما في «البداية» (6/ 114).

وأخرج أبو يعلى عن إياس بن سَلَمة عن أبيه رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر، فأمرنا أن نجمع ما في أزوادنا - يعني من التمر - فبسط نِطَعاً نشرنا عليه أزوادنا، قال: فتمطَّيت، فتطاولتُ، فنظرتُ فحزرته كرَبْضة شاة، ونحن أربع عشرة مائة، قال: فأكلنا، ثم تطاولتُ، فنظرتُ، فحزرته كربضة شاة... فذكر الحديث في بركة الماء. وأخرجه مسلم عن إياس عن أبيه، قال: فأكلنا حتى شبعنا ثم حشونا جُرُبَنا. كذا في «البداية» (6/ 115).

أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: احتفر رسول الله ﷺ الخندق، وأصحابه قد شدُّوا الحجارة على بطونهم من الجوع، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ، قال: «هل دُلِلتم على رجل يطعمنا أكلة». قال رجل: نعم، قال: «أمَّا لا، فتقدم فدلنا عليه».

فانطلقوا إلى بيت الرجل، فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه منه، فأرسلتْ امرأته أن جِيء؛ فإن رسول الله ﷺ قد أتانا، فجاء الرجل يسعى، وقال: بأبي وأمي، وله مَعْزة، ومعها جَدْيُها، فوثب إليها، فقال النبي ﷺ: «الجدي من ورائها». فذبح الجدي، وعمدت المرأة إلى طحينة لها، فعجنتها وخبزت، فأدركتِ القدر، فثرَّدت قصعتها، فقربتها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فوضع رسول الله ﷺ أصبعه فيها، وقال: «باسم الله، اللهمَّ بارك فيها، اطعَموا». فأكلوا منها حتى صدروا، ولم يأكلوا منها ألا ثلثها وبقي ثلثاها، فسرَّح أولئك العشرة الذين كانوا معه؛ أن اذهبوا وسرِّحوا إلينا بعدَّتكم، فذهبوا فجاء أولئك العشرة، فأكلوا منها حتى شبعوا، ثم قام ودعا لربَّة البيت، وسمَّتَ عليها وعلى أهل بيتها، ثم مشوا إلى الخندق، فقال: «اذهبوا بنا إلى سلمان». وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها، فقال رسول الله ﷺ: «دعوني فأكون أول من ضربها». فقال: «باسم الله» فضربها، فوقعت فِلْقة ثلثها، فقال: الله أكبر!! قصور الشام ورب الكعبة» ثم ضرب أخرى، فوقعت فلقة، فقال: «الله أكبر!! قصور فارس وربِّ الكعبة» فقال عندها المنافقون: نحن نخندق على أنفسنا، وهو يعدنا قصور فارس والروم!! كذا في «البداية» (4/ 100). قال الهيثمي (6/ 132): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل ونعيم العنبري وهما ثقتان. انتهى. وقد تقدَّم في باب الإنفاق حديث جابر في إضافته ﷺ على صاع من شعير وعَناق، فعزم عليه السلام على أهل الخندق بكمالهم، فكانوا ألفاً أو قريباً من ألف، فأكلوا كلهم من تلك العَناق وذلك الصاع، حتى شبعوا وتركوه كما كان.

* * *

البركة في طعامهم في الحضر

أخرج أحمد عن سَمُرة بن جندب رضي الله عنه، قال: بينما نحن عند النبي ﷺ إذ أُتي بقَصْعة فيها ثريد. قال: فأكل، وأكل القوم، فلم يزالوا يتداولونها إلى قريب من الظهر، يأكل قوم ثم يقومون، ويجيء قوم فيتعاقبونها، قال: فقال له رجل: هل كانت تُمَدُّ بطعام؟ قال: أمّا من الأرض فلا، إلا أن تكون كانت تُمَدُّ من السماء.

وفي رواية أخرى عنده عنه: قال له رجل: هل كانت تُمَدُّ؟ فقال له: فمن أين تعجب؟ ما كانت تُمَدُّ إلاً من ههنا، وأشار إلى السماء. وقد رواه الترمذي والنسائي أيضاً. كذا في «البداية» (6/ 112). وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 153) عن سَمُرة نحوه.

أخرج أحمد عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: كنت من أهل الصُّفة، فدعا رسول الله ﷺ يوماً بقرص، فكسره في القصعة، وصنع فيها ماء سخناً، ثم صنع فيها وَدَكاً ثم سفسفها ثم لبَّقها ثم صَعْنَبها، ثم قال: «اذهب فائتني بعشرة أنت عاشرهم» فجئت بهم فقال: «كلوا، وكلوا، من أسفلها، ولا تأكلوا من أعلاها؛ فإن البركة تنزل من أعلاها». فأكلوا منها حتى شبعوا. قال الهيثمي (8/ 305): رجاله موثقون. وعند ابن ماجه طرف من آخره انتهى.

وعند الطبراني (22/ 208) عنه أيضاً، قال: كنت من أصحاب الصفَّة، فشكا أصحابي الجوع، فقالوا: يا واثلة، اذهب إلى

رسول الله ﷺ: فاستطعِم لنا، فأتيتُ رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إن أصحابي شكَوا الجوع، فقال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «هل عندك من شيء»؟ قالت: يا رسول الله، ما عندي إلا فتات خبز. قال: «فائتني به». فجاءت بجراب، فدعا رسول الله ﷺ بصَحْفة، فأفرغ الخبز في الصّحْفة، ثم جعل يصلح الثريد بيده، وهو يربو؛ حتى امتلأت الصّحْفة، فقال: «يا واثلة، اذهب فجيء بعشرة من أصحابك وأنت عاشرهم». فذهبت بعشرة من أصحابي وأنا عاشرهم، فقال: «اجلسوا وخذوا باسم الله، خذوا من حواليها ولا تأخذوا من أعلاها؛ فإنَّ البركة تنزل من أعلاها» فأكلوا حتى شبعوا، ثم قاموا وفي الصّحْفة مثل ما كان فيها، جعل يصلحها بيده، وهي تربو حتى امتلأت، قال: «يا واثلة، اذهب فجيء بعشرة من أصحابك» فجئت بعشرة، فقال: «اجلسوا» فجلسوا فأكلوا حتى شبعوا، ثم قاموا، فقال: «اذهب فجيء بعشرة من أصحابك» فذهبت فجئت بعشرة، ففعلوا مثل ذلك، قال: «هل بقي من أحد»؟ قلت: نعم عشرة، قال: «اذهب فجيء بهم» فذهبت فجئت بهم، فقال: «اجلسوا» فجلسوا فأكلوا حتى شبعوا، ثم قاموا، وبقي في الصحفة مثل ما كان، ثم قال: «يا واثلة، اذهب بهذا إلى عائشة». وفي رواية: كنت في الصُفّة وهم عشرون رجلاً، فذكر نحوه إلا أنه قال: قالوا ههنا كسرة وشيء من لبن. قال الهيثمي (8/ 305): رواه كله الطبراني بإسنادين وإسناده حسن. انتهى. وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 150) عن واثلة نحوه.

أخرج الحافظ أبو يعلى عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أقام أياماً لم يطْعَم طعاماً، حتى شق ذلك عليه، فطاف في منازل أزواجه، فلم يجد عند واحدة منهن شيئاً، فأتى فاطمة رضي الله عنها،

فقال: «يا بنيَّة، هل عندك شيء، آكله فإني جائع»؟ قالت: لا والله بأبي أنت وأمي. فلما خرج من عندها، بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم، فأخذته منها فوضعته في جَفْنة لها، وقالت: والله لأوثرنَّ بهذا رسول الله ﷺ، على نفسي ومَنْ عندي - وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبعة طعام - فبعثت حسناً أو حسيناً رضي الله عنهما إلى رسول الله ﷺ، فرجع إليها، فقالت: بأبي أنت وأمي، قد أتى الله بشيء، فخَبَأته لك. قال: «هَلُمِّي يا بنية» قالت: فأتيته بالجفنة، فكشفت عنها، فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً، فلما نظرتُ إليها بُهِتُّ وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله وصلَّيت على نبيه؛ وقدمته إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه حمد الله وقال: «من أين لك هذا يا بنية»؟ قالت: يا أبت، هو من عند الله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب، فحمد الله وقال: «الحمد لله الذي جعلك يا بنية شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل، فإنها كانت إذا رزقها الله شيئاً - وسئلت عنه - قالت: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 37] فبعث رسول الله ﷺ إلى علي رضي الله عنه، ثم أكل رسول الله ﷺ، وأكل علي وفاطمة وحسن وحسين وجميع أزواج النبي ﷺ وأهل بيته، حتى شبعوا جميعاً، قالت: وبقيت الجفنة كما هي، قالت: فأوسعت ببقيتها على جميع الجيران، وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً. كذا في «التفسير» لابن كثير (1/ 360).

وقد تقدّم في باب الدعوة إلى الله وإلى رسوله حديث علي رضي الله عنه في دعوته ﷺ بني هاشم: وكانوا نحواً من أربعين فقدَّم إليهم طعاماً من مُدٍّ، فأكلوا حتى شبعوا، وتركوه كما هو، وسقاهم من عُسٍّ، شراباً حتى رَوُوا، تركوه كما هو، ثلاثة أيام متتابعة، ثم دعاهم إلى الله. وقد تقدم في باب تحمل الشدائد بعض قِصَص أصحاب الصفة من

حديث أبي هريرة رضي الله عنه وغيره. وتقدّم بعض قصصهم في ضيافة الأضياف، وما ظهر من البركة والرحمة في ضيافة أبي طلحة، وضيافة أبي بكر رضي الله عنهما، في باب الإنفاق (549-550). وتقدم في نكاح زينب رضي الله عنها ما ظهر في وليتمها من البركة.

* * *

البركة في الحبوب والثمار

أخرج البيهقي (6/ 123) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كانت امرأة من دَوْس، يقال لها أم شَرِيك رضي الله عنها، أسلمت في رمضان. . . فذكر الحديث في هجرتها، وصحبة ذلك اليهودي لها، وأنها عطشت فأبى أن يسقيها حتى تَهَوَّد، فنامت فرأت في النوم من يسقيها، فاستيقظت وهي رَيّانة، فلما جاءت رسول الله ﷺ قصّت عليه القصّة، فخطبها إلى نفسها، فرأت نفسها أقل من ذلك، وقالت: بل زوجني من شئتَ، فزوجها زيداً، وأمر لها بثلاثين صاعاً، وقال: كلوا ولا تكيلوا، وكانت معها عكة سمن هدية لرسول الله ﷺ، فأمرت جاريتها أن تحملها إلى رسول الله ﷺ ففُرغت، وأمرها رسول الله ﷺ إذا ردّتها أن تعلّقها ولا توكئها، فدخلت أم شريك، فوجدتها ملأى، فقالت للجارية: ألم آمرك أن تذهبي بها إلى رسول الله؟ فقالت: قد فعلت؛ فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأمرهم أن لا توكئوها، فلم تزل حتى أوكتها أم شريك، ثم كالُوا الشعير فوجدوه ثلاثين صاعاً لم ينقُص منه شيء. كذا في «البداية» (6/ 104).

وعند ابن سعد (8/ 157) عن يحيى بن سعيد، قال: هاجرت أم شريك الدَّوْسية رضي الله عنها، فصحبت يهودياً في الطريق، فأمست صائمة، فقال اليهودي لامرأته: لئن سقيتها لأفعلنّ. فباتت كذلك، حتى إذا كان آخر الليل؛ إذا على صدرها دلو موضوع وصُفْن فشربت، ثم

بعثتهم للدلجة، فقال اليهودي: إني لأسمع صوت امرأة لقد شربت، فقالت: لا والله، إن سقتني. قال: وكانت لها عكة... فذكر قصة البركة في السمن.

أخرج أحمد عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه أتاه رجل يستطعمه، فأطعمه شَطر وَسْق شعير، فما زال الرجل يأكل منه هو وامرأته ووصيف لهم حتى كالوه، فقال رسول الله ﷺ: «لو لم تكيلوه أكلتم منه، ولقام لكم». وأخرجه مسلم عن جابر؛ كما في «البداية» (6/ 104).

أخرج الحاكم (3/ 246) عن نوفل بن الحارث بن عبد المطَّلب، أنه استعان رسول الله ﷺ في التزويج، فأنكحه امرأة، فالتمس شيئاً فلم يجده، فبعث رسول الله ﷺ أبا رافع وأبا أيوب رضي الله عنهما بدرعه، فرهناه عند رجل من اليهود بثلاثين صاعاً من شعير، فدفعه رسول الله ﷺ إليّ، فطَعِمنا منه نصف سنة، ثم كِلْناه فوجدناه كما أدخلناه، قال نوفل: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «لو لم تكله لأكلتَ منه ما عشتَ». وأخرجه البيهقي عن نوفل بن الحارث نحوه؛ كما في «البداية» (6/ 119).

أخرج الشيخان والترمذي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: توفي رسول الله ﷺ، وليس عندي شيء يأكله ذو كبد؛ إلا شطر شعير في رف لي، فأكلتُ منه حتى طال عليَّ، فكلته، ففني. كذا في «الترغيب» (5/ 165).

أخرج البخاري في «دلائل النبوة» عن جابر رضي الله عنه، أن أباه توفي وعليه دين، فأتيت النبي ﷺ، فقلت: إن أبي ترك عليه ديناً، وليس عندي إلاَّ ما يُخرج نخلُهُ، ولا يبلغ ما يُخرج سنين ما عليه، فانطلقْ معي لكيلا يفحش عليَّ الغرماء، فمشى حول بيدر من بيادر التمر، فدعا، ثم

آخر، ثم جلس عليه، فقال: «انزعوه» فأوفاهم الذي لهم، وبقي مثل ما أعطاهم. كذا في «البداية» (6/ 116). وأخرجه ابن سعد (3/ 563) عن جابر نحوه. وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 156) عنه أطول منه؛ وفي روايته: وجلس عليه ثم قال: «ادعُ أصحابك، فما زال يكيل حتى أدّى الله عز وجل أمانة والدي، وأنا والله راض أن يؤدي الله عز وجل أمانة والدي، ولا أرجع إلى أخواتي بتمرة، فسلَّم الله عز وجل البيادر كلها، حتى إني لأنظر إلى البيدر الذي عليه رسول الله ﷺ كأنه لم ينقص تمرة واحدة.

أخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 180) عن سعيد بن ميناء، أن ابنة بشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت: دعتني عَمْرَة بنت رواحة رضي الله عنها، فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي، ثم قالت: فأخذتها، فانطلقت بها، فمررت برسول الله ﷺ - وأنا التمس أبي وخالي - فقال: «تعالَي يا بنية، ما هذا معك»؟ فقالت: يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغذّيان به، قال: «هاتيه» فصببته في كفي رسول الله ﷺ، فما ملأهما، ثم أمر بثوب فبسط، ثم دحا التمر عليه، فتبدد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده: «اصرخ في أهل الخندق، هَلُمَّ إلى الغداء» فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد، حتى صَدَر أهل الخندق عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب. وذكر في «البداية» (6/ 116) عن ابن إسحاق عن سعيد نحوه إلا أن فيه: ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دعا بالتمر فنبذ فوق الثوب.

أخرج ابن عساكر عن العِرباض رضي الله عنه، قال: كنت ألزم باب رسول الله ﷺ في الحضر والسفر، فرأينا ليلة ونحن بتبوك - أو ذهبنا

ـ لحاجة، فرجعنا إلى رسول الله ﷺ وقد تعشَّى ومَنْ عنده، فقال: «أين كنت منذ الليلة»؟ فأخبرته، وطلع جُعال بن سراقة وعبد الله بن مُغفَّل المزني رضي الله عنهما، فكنا ثلاثة كلنا جائع، فدخل رسول الله ﷺ بيت أم سَلَمة رضي الله عنها، فطلب شيئاً نأكله، فلم يجده فنادى بلالاً رضي الله عنه: «هل من شيء»؟ فأخذ الجُرُب ينقفها، فاجتمع سبع تمرات، فوضعها في صَحْفة ووضع عليهن يده وسمَّى الله، وقال: «كلوا باسم الله» فأكلنا فأحصيت أربعاً وخمسين تمرة؛ كلها أعدها، ونواها في يدي الأخرى، وصاحباي يصنعان ما أصنع، فأكل كل منهما خمسين تمرة، ورفعنا أيدينا، فإذا التمرات السبع كما هن، فقال: «يا بلال، ارفعهن في جرابك». فلما كان الغد وضعهن في الصحفة، وقال: «كلوا باسم الله» فأكلنا حتى شبعنا ـ وإنا لعشرة ـ ثم رفعنا أيدينا وإنهنَّ كما هنَّ سبع، فقال: «لولا أني أستحي من ربي عز وجل لأكلت من هذه التمرات حتى نُرَدَّ إلى المدينة عن آخرنا» فلما رجع إلى المدينة طلع غُلَيِّم من أهل المدينة؛ فدفعهن إلى ذلك الغلام فانطلق يلوكهن. كذا في «البداية» (6/ 118).

أخرج البيهقي (6/ 110) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أُصبت بثلاث مصيبات في الإسلام لم أصب بمثلهن: موت رسول الله ﷺ وكنت صويحبه، وقتل عثمان رضي الله عنه، والمِزْوَد. قالوا: وما المِزْوَد يا أبا هريرة؟ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقال: «يا أبا هريرة، أمعك شيء»؟ قال قلت: تمر في مِزْوَد، قال: «جىء به» فأخرجت تمراً فأتيته به، قال: فمسّه ودعا فيه ثم قال: «ادْعُ عشرة» فدعوت عشرة، فأكلوا حتى شبعوا، ثم كذلك، حتى أكل الجيش كله، وبقي من تمر معي في المِزْوَد، فقال: «يا أبا هريرة إذا أردت أن تأخذ منه شيئاً،

فأدخل يدك فيه ولا تكْفه». قال: فأكلت منه حياة النبي ﷺ، وأكلتُ منه حياة أبي بكر رضي الله عنه كلها، وأكلتُ فلما قتل عثمان انتُهب ما في يدي وانتُهب المزود، ألا أخبركم كم أكلتُ منه؟ أكلت منه أكثر مائتي وَسْق. كذا في «البداية» (6/ 117). وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 155) عن أبي هريرة نحوه والترمذي عنه (3839) بمعناه مختصراً.

أخرج ابن سعد (7/ 19) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ذهبت بي أمي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، خُوَيدمك ادعُ الله له. قال: «اللهمَّ، أكثر ماله وولده، وأطل عمره، واغفر ذنبه». قال أنس: فقد دفنتُ من صُلْبِي مائة غير اثنين - أو قال: مائة واثنين - وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين، ولقد بقيتُ حتى سئمت الحياة، وأنا أرجو الرابعة.

وعند أبي نعيم عنه كما في «الكنز» (7/ 9) قال: قالت أم سُلَيم رضي الله عنها: يا رسول الله، ادعُ لأنس، قال: «اللهمَّ، أكثر ماله وولده، وبارك له فيه» فلقد دفنت من صُلْبي سوى ولد ولدي خمساً وعشرين ومائة، وإن أرضي لتثمر في السنة مرتين، وما في البلد شيء يثمر مرتين غيرها.

* * *

البركة في اللبن والسمن

أخرج أحمد عن جابر، أن أم مالك البهزية رضي الله عنها كانت تُهدي في عُكة لها سمناً للنبي ﷺ فبينما بنوها يسألونها الإدام - وليس عندها شيء - فعَمَدت إلى عكتها التي كانت تهدي فيها السمن إلى النبي ﷺ، فوجدت فيه سمناً، فما زال يقيم لها إدام بنيها حتى عصرته، فأتت النبي ﷺ فقال: «أعصرتيه»؟ فقالت: نعم، قال: «لو تركتيه ما زال ذلك (لك) مقيماً». كذا في «البداية» (6/ 104).

وعند الطبراني (25/ 351) عن أم مالك الأنصاري رضي الله عنها، أنها جاءت بعكّة سمن إلى رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً رضي الله عنه، فعصرها، ثم دفعها إليها، فرجعت فإذا هي ممتلئة، فأتت النبي ﷺ، فقالت: نزل فيّ شيء يا رسول الله؟ فقال: «وما ذلك يا أم مالك»؟ فقالت: لِمَ رددتَ هديتي؟ فدعا بلالاً، فسأله عن ذلك، فقال: والذي بعثك بالحق، لقد عصرتها حتى استحييت. فقال رسول الله ﷺ: «هنيئاً لك يا أم مالك، عجل الله ثوابها». ثم علَّمها في دُبُر كل صلاة، سبحان الله عشراً، والحمد لله عشراً، والله أكبر عشراً. قال الهيثمي (8/ 309): وفيه راوٍ لم يُسَمَّ، وعطاء بن السائب اختلط، وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى. وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 204) عن أم مالك الأنصارية نحوه. وأخرجه ابن أبي عاصم في «الوحدان» عن أم مالك الأنصارية نحوه؛ كما في «الإصابة» (4/ 494). وأخرجه مسلم

(2280) عن جابر أنَّ أم مالك الأنصارية... فذكر بمعنى ما رواه أحمد؛ كما في «الإصابة» (4/ 494).

أخرج الطبراني (25/ 363)، وابن منده، وابن السَّكَن عن أم أوس البهزية، أنها سلأت سمناً لها، فجعلته في عُكة، ثم أهدته النبي ﷺ، فقبله وأخذ ما فيها، ودعا لها بالبركة، وردّها إليها، فرأتها ممتلئة سمناً، فظنت أنه لم يقبلها، فجاءت ولها صُراخ، فقال: «أخبروها بالقصّة» فأكلتْ منه بقية عمر النبي ﷺ، وولاية أبي بكر رضي الله عنه، وولاية عمر رضي الله عنه، وولاية عثمان رضي الله عنه، حتى كان بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ما كان. كذا في «الإصابة» (4/ 431). قال الهيثمي (8/ 310): رواه الطبراني وفيه عصمة بن سليمان ولم أعرفه، وبقية رجاله وُثّقوا، انتهى. وأخرجه البيهقي عنها بإسناد آخر بمعناه أطول منه؛ كما في «البداية» (6/ 104).

أخرج أبو يعلى (7/ 4213) عن أنس، عن أمه رضي الله عنهما، قال: كانت لها شاة، فجمعت من سمنها في عُكَّة، فملأت العكة، ثم بعثت بها مع ربيبة، فقالت: يا ربيبة، أبلغي هذه العكّة رسول الله ﷺ يأتدم بها، فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، هذه عُكّة سمن بعثت بها إليك أم سُلَيْم، قال: «أفرغوا لها عكتها» ففرغت العُكَّة، فدُفعت إليها، فانطلقت بها، وجاءت ـ أم سُليم في البيت ـ فعلقت العكة على وَتِد، فجاءت أم سُلَيم، فرأت العُكّة ممتلئة تقطر، فقالت أم سُلَيم: يا ربيبة، أليس أمرتكِ أن تنطلقيْ بها إلى رسول الله ﷺ؟ فقالت: قد فعلت فإن لم تصدقيني، فانطلقي فسَلي رسول الله ﷺ. فانطلقت ومعها ربيبة فقالت: يا رسول الله، إني بعثت معها إليك بعكة فيها سمن، قال: قد فعلت، قد جاءت، قالت: والذي بعثك بالحق

ودينِ الحق؛ إنها لممتلئة تقطر سمناً. قال: فقال لها رسول الله ﷺ: «يا أم سُلَيْم، أتعجبين أن كان الله أطعمك كما أطعمتِ نبيه؟! كلي وأطعمي». قالت: فجئت إلى البيت، فقسمت في قَعْب لنا وكذا وكذا وتركت فيها ما ائتدمنا به شهراً أو شهرين. كذا في «البداية» (6/ 103). وقال الهيثمي (8/ 309): رواه أبو يعلى والطبراني (25/ 293) إلا أنه قال: زينب بدل ربيبة، وفي إسنادهما محمد بن زياد البرجمي وهو اليشكري وهو كذّاب انتهى. وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 204) عن أنس بن مالك عن أمه أم سُلَيْم فذكرت نحوه. وفي روايته أيضاً: زينب بدل ربيبة. قال الحافظ في «الإصابة» (4/ 320): ـ وقد عَزاه إلى الطبراني ـ وفي حفظي أنَّ قوله: زينب تصحيف، وإنما هي ربيبة؛ فليحرَّر هذا. انتهى.

أخرج ابن سعد (8/ 157) عن أم شَريك رضي الله عنها، أنها كانت عندها عُكّة تُهدي فيها سمناً لرسول الله، قال: فطلبها صبيانها ذات يوم سمناً، فلم يكن، فقامت إلى العكة لتنظر، فإذا هي تسيل، قال: فصبت لهم منه، فأكلوا منه حيناً، ثم ذهبت تنظر ما بقي فصبَّته كله ففني، ثم أتت رسول الله ﷺ، فقال لها: «أصببته؟ أما إنك لو لم تصببه لقام لك زماناً».

وعنده أيضاً من حديث يحيى بن سعيد، قال: وكانت لها عكة تعيرها من أتاها، فاستامها رجل، فقالت: ما فيها رُبٌّ فنفختها، فعلقتها في الشمس فإذا هي مملوءة سمناً، قال: فكان يقال: ومن آيات الله عُكّة أم شريك. وقد تقدم بعض طريق حديث أم شريك.

أخرج الطبراني (3/ 2992) عن حمزة بن عمرو قال: كان طعام أصحاب رسول الله ﷺ يدور على يدي أصحابه، هذا ليلة وهذا ليلة،

قال: فدار عليَّ ليلة، فصنعت طعام أصحاب رسول الله ﷺ وتركت النِّحْيَ ولم أوكه، وذهبت بالطعام إليه، فتحرك، فأهريق ما فيه، فقلت: أعلى يديّ أُهريق طعام رسول الله ﷺ؟ فقال رسول الله ﷺ: «ادنُهْ». فقلت: لا أستطيع يا رسول الله. فرجعت مكاني فإذا النِّحْيُ يقول: قب قب، فقلت: مَهْ، قد أُهريق، فَضْلةٌ فضلت فيه، فجئت أنظره، فوجدته قد مليء إلى ثدييه، فأخذته فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «إنك لو تركته لمليء إلى فيه ثم أُوكي». قال الهيثمي (8/ 310): رواه الطبراني. وقد تقدّمت له طريق في غزوة تبوك وفيها: «لو تركته لسال وادياً سمناً» ورجال الطريق التي هنا وُثِّقوا. انتهى.

وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 155) عن أبي بكر بن حمزة بن عمرو الأسلمي عن أبيه عن جده، قال: خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك، وكنت على النِّحْي ذلك السفر، فنظرت إلى نِحي السمن قد قلّ ما فيه، وهيأت للنبي ﷺ طعاماً، فوضعت النِّحْي في الشمس ونمت، فانتبهت بخرير النحي، فقمت، فأخذت رأسه بيدي فقال رسول الله ﷺ - ورآني -: «لو تركته لسال الوادي سمناً».

أخرج ابن سعد (8/ 291) عن بنت خباب بن الأرت رضي الله عنه، قالت: خرج أبي في غزوة ولم يترك لنا إلا شاة، وقال: إذا أردتم أن تحلبوها، فأتوا بها أهل الصُّفَّة، قالت: فانطلقنا بها؛ فإذا رسول الله ﷺ جالس، فأخذها، فاعتقلها، فحلب، ثم قال: «ائتوني بأعظم إناء عندكم» فذهبت، فلم أجد إلا الجفنة التي نعجن فيها، فأتيته بها، فحلب حتى ملأها، قال: «اذهبوا، فاشربوا وأميهوا جيرانكم، فإذا أردتم أن تحلبوا، فأتوني بها»، فكنا نختلف بها إليه، فأصابنا، حتى قدم أبي، فأخذها، فاعتقلها، فصارت إلى لبنها، فقالت أمي: أفسدت علينا

شاتنا؛ قال: وما ذاك؟ قالت: إن كانت لتحلب ملء هذه الجفنة، قال: ومن كان يحلبها؟ قالت: رسول الله ﷺ، قال: وقد عدلتني به؟! هو والله أعظم بركةً يدٍ مني. وقد تقدَّم حديث أبي هريرة رضي الله عنه في تكثير اللبن في باب تحمل الشدائد (220-221) وحديث علي في باب الدعوة إلى الله تعالى (67).

* * *

البركة في اللحم

أخرج الطبراني (20/ 794) عن مسعود بن خالد رضي الله عنه، قال: بعثتُ لرسول الله ﷺ شاة، ثم ذهبتُ في حاجة، فردَّ إليهم رسول الله ﷺ شطرها، فرجعت إلى أم خُناس - زوجته - فإذا عندها لحم، فقلت: يا أم خُناس، ما هذا اللحم؟ قالت: رده إلينا خليلك ﷺ من الشاة التي بعثتَ بها إليه. قال: ما لك لا تطعميه عيالك؟ قالت: هذا سؤرهم، وكلهم قد أطعمت، وكانوا يذبحون الشاتين والثلاثة ولا تجزىء عنهم، قال الهيثمي (8/ 310): وفيه من لم أعرفهم. اهـ.

وعند يعقوب بن سفيان في نسخته عن خالد بن عبد العزَّى، أنه أجزر رسول الله ﷺ شاة، وكان عيال خالد كثيراً، فأكل منها النبي ﷺ وبعض أصحابه، فأعطى فضله خالداً، فأكلوا منها وأفضلوا. وأخرجه الحسن بن سفيان في «مسنده»، والنَّسائي في «الكُنَى» له عن يعقوب به مطوّلاً. كذا في «الإصابة» (1/ 409).

* * *

الرزق من حيث لا يحتسب

قال ابن سعد (7/ 428) وروي عن سَلَمة بن نُفَيل أيضاً، من حديث أشعث بن شُعبة، عن أرطاة بن المنذر، عن ضَمْرة بن حبيب، عن خالد بن أسد من حبيب، عن سَلَمة بن نُفَيل رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: أُتيتَ بطعام من السماء؟ قال: «نعم» قلت: فهل فضل منه شيء؟ قال: «نعم» قلت: فما صُنع به؟ قال: «رفع إلى السماء». قلت: أخرجه الحاكم (4/ 447) عن سَلَمة بن نُفَيل السَّكُوني يقول ـ وكان أصحاب النبي ﷺ ـ: بينا نحن جلوس عند النبي ﷺ، فجاء رجل، فقال: يا نبي الله، هل أُتيت بطعام من السماء؟ فقال: «أتيت بطعام (في) مِسْخَنَة» قال: فهل كان فيه فضل عنك؟ قال: «نعم» قال: فما فُعل به؟ قال: «رفع حتى إلى السماء، وهو يوحى إليّ أنني غير لابث فيكم إلا قليلاً، ولستم لابثين بعدي إلا قليلاً، بل تلبثون حتى تقولوا: حتى متى؟ ثم تأتون أفناداً، ويفني بعضكم بعضاً، وبين يدي الساعة مَوَتان شديد، وبعده سنوات الزلازل. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: والخبر من غرائب «الصحاح». وقال الحافظ في «الإصابة» (2/ 68) في ترجمة سَلَمة بن نفيل: وله في النساء حديث يقال ما له غيره وهو من رواية ضَمْرة بن حبيب، سمعت سَلَمة بن نفيل السَّكوني يقول: كنَّا جلوساً عند النبي ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله، وقد أُتيتَ بطعام من الجنة... الحديث. انتهى.

أخرج مسلم (3014) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، في حديث طويل، قال فيه: وشكى الناس إلى رسول الله ﷺ الجوع، فقال: «عسى الله أن يطعمكم» فأتينا سِيف البحر فزخر البحر زَخْرة، فألقى دابةً، فأورينا على شقِّها النار، فاطبَّخنا وأشوينا، وأكلنا وشبعنا. قال جابر: فدخلت أنا وفلان وفلان حتى عدَّ خمسة في حِجَاج عينها، ما يرانا أحد حتى خرجنا، فأخذنا ضِلَعاً من أضلاعه، فقوسناه ثم دعونا بأعظم رجل في الركب، وأعظم جمل في الركب، وأعظم كِفْل في الركب، فدخل تحته ما يطأطىء رأسه.

وأخرج مالك (ص 371 صفة النبي/ 49) عن جابر رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ بَعْثاً قِبَل الساحل، فأمَّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وهم ثلاثمائة ـ قال: وأنا فيهم ـ قال: فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق، فني الزاد، فأمر أبو عبيدة بن الجراح بأزواد ذلك الجيش، فجُمع ذلك كله، فكان مزوَدَيْ تمر، قال: فكان يَقُوتنا في كل يوم قليلاً قليلاً، حتى فني ولم تصبنا إلا تمرة تمرة، فقلت: وما تغني تمرة؟ قال: لقد وجدنا فَقْدها حين فنيت، ثم انتهينا إلى ساحل البحر؛ فإذا حوت مثل الظَّرِب، قال: فأكل منه ذلك الجيش ثماني عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضِلَعين من أضلاعه فنُصبتا، ثم أمر براحلة، فرحُلت، ثم مرَّت تحتهما، ولم تصبهما. وأخرجه الشيخان من حديث مالك بنحوه؛ كما في «البداية» (4/ 276).

وعندهما أيضاً من طريق ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن جابر رضي الله عنه، قال: بعثنا رسول الله ﷺ في ثلاثمائة راكب، وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه نرصد عيراً لقريش، فأصابنا جوع شديد، حتى أكلنا الخَبَط، فسمِّي ذلك الجيش جيش الخَبَط، قال: ونحر رجل

ثلاث جزائر، ثم نحر ثلاث جزائر، ثم ثلاثاً فنهاه أبو عبيدة، قال: وألقى البحر دابة يقال لها العنبر، فأكلنا منها نصف شهر وادَّهنا، حتى ثابت إلينا أجسامنا وصَلَحت... ثم ذكر قصة الضِّلَع. كذا في «البداية» (4/ 276). وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 214) من طريق عمرو نحوه.

وعند البيهقي (4/ 408) من طريق أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه، كما في «البداية» (4/ 276): قال: بعثنا رسول الله ﷺ وأمَّر علينا أبا عبيدة نتلقَّى عيراً لقريش، وزودنا جراباً من تمر، لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة، قال: فقلت: كيف كنتم تصنعون بها؟ قال: كنا نَمَصُّها كما يَمَصُّ الصبي، ثم نشرب عليها الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، وكنا نضرب بعصيِّنا الخبط، ثم نبلُّه بالماء فنأكله، قال: فانطلقنا إلى ساحر البحر، فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه فإذا به دابة تُدْعَى العنبر، فقال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا، بل نحن رسلُ رسول الله ﷺ وفي سبيل الله، وقد اضطررتم فكُلوا. قال: فأقمنا عليه شهراً - ونحن ثلاثمائة - حتى سمنَّا، ولقد كنا نغرف من وَقْب عينه بالقِلال الدهنَ، ونقتطع منه الفِدَر كالثور - أو كقَدْر الثور - ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثةَ عشرَ رجلاً، فأقعدهم في (وَقْب) عينه، وأخذ ضِلَعاً من أضلاعه، فأقامها، ثم رَحَل أعظم بعير منها فمر تحتها، وتزودنا من لحمها وشائق، فلما قدمنا المدينة، أتينا رسول الله ﷺ، فذكرنا ذلك له، فقال: «هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم شيء من لحمه تطعمونا»؟ قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ فأكل منه. ورواه مسلم، وأبو داود، عن أبي الزبير، عن جابر به؛ كما في «البداية» (4/ 276). وأخرجه ابن سعد (3/ 411) عن أبي الزبير عنه بمعناه أخصر

منه. وأخرجه الطبراني (3/ 1760) عن جابر مختصراً؛ كما في «الكنز» (8/ 52).

أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: دخل رجل على أهله، فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرِّيّة، فلما رأت امرأته، قامت إلى الرَّحى فوضعتها، وإلى التنور فسجرته. ثم قالت: اللهمَّ ارزقنا؛ فنظرت فإذا الجفنة قد امتلأت، قال: وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً، قال: فرجع الزوج، فقال: أصبتم بعدي شيئاً؟ قالت امرأته: نعم، من ربنا، فقام إلى الرَّحى فرفعها، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «أما إنه لو لم يرفعها؛ لم تزل تدور إلى يوم القيامة». قال الهيثمي (10/ 256): رواه أحمد والبزّار، وقال: فقالت امرأته: اللهمَّ ارزقنا ما نطحن وما نعجن ونخبز؛ فإذا الجفنة ملأى خبزاً، والرَّحى تطحن، والتنور ملأى جنُوب شِواء، فجاء زوجها فقال: عندكم شيء؟ قالت: رزق الله ـ أو قد رزق الله ـ فرفع الرحى فكنس حولها، فقال رسول الله ﷺ: «لو تركها لطحنت إلى يوم القيامة». ورواه الطبراني في «الأوسط» بنحوه، ورجالهم رجال الصحيح غير شيخ البزّار وشيخ الطبراني وهما ثقتان. انتهى. وأخرجه البيهقي عن أبي هريرة بسياق البزّار.

وعنده أيضاً (6/ 106) بسند آخر عنه، أن رجلاً من الأنصار كان ذا حاجة، فخرج وليس عند أهله شيء، فقالت امرأته: لو حركتُ رحايَ، وجعلت في تنوري سَعَفات فسمع جيراني صوت الرحى، ورأوا الدخان؛ فظنُّوا أنَّ عندنا طعاماً وليس بنا خَصاصة، فقامت إلى تنُّورها فأوقدته، وقعدت تحرِّك الرحَى. قال: فأقبل زوجها وسمع الرحى، فقامت إليه لتفتح له الباب، فقال: ماذا كنت تطحنين؟ فأخبرته، فدخلا

وإن رحاهما لتدور وتصب دقيقاً، فلم يبق في البيت وعاء إلا مُلِىء، ثم خرجت إلى تنورها، فوجدته مملوءاً خبزاً، فأقبل زوجها، فذكر ذلك للنبي ﷺ، قال: «فما فعلتِ الرحى»؟ قال: رفعتُها ونفضتُها، فقال رسول الله ﷺ: «لو تركتموها ما زالت لكم حياتي - أو قال: حياتكم». وهذا الحديث غريب سنداً ومتناً. كذا في «البداية» (6/ 119).

أخرج البيهقي في «الدلائل» (2/ 419)، وابن عساكر عن أبي بكر رضي الله عنه، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ من مكة، فانتهينا إلى حي من أحياء العرب، فنظر رسول الله ﷺ إلى بيت متنحِّياً، فقصد إليه، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة، فقالت: يا عبد الله، إنما أنا امرأة وليس معي أحد؛ فعليكما بعظيم الحي إذا أردتم القِرَى، فلم يجبها - وذلك عند المساء - فجاء ابن لها بأعنز له يسوقها، فقالت له: يا بني، انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين، فقل لهما: تقول لكما أمي: اذبحا هذه وكُلا وأطعمانا. فلما جاء قال له النبي ﷺ: «انطلق بالشفرة وجئني بالقَدَح». قال: إنها قد غربت وليس لها لبن، قال: «انطلق» فانطلق فجاء بقَدَح، فمسح النبي ﷺ ضِرْعها، ثم حلب حتى ملأ القَدَح، ثم قال: «انطلق به إلى أمك» فشربت حتى رويت. ثم جاء به، فقال: «انطلق بهذه وجئني بأخرى». ففعل بها كذلك، ثم سقى أبا بكر؛ ثم جاء بأخرى، ففعل بها كذلك، ثم شرب النبي ﷺ، فبتنا ليلتنا ثم انطلقنا، وكانت تسمِّيه المبارك، وكثرت غنمها حتى جلبت جَلَباً إلى المدينة، فمرّ أبو بكر الصديق، فرآه ابنها فعرفه، فقال: يا أمَّه، إن هذا الرجل الذي كان مع المبارك. فقامت إليه فقالت: يا عبد الله مَنِ الرجل الذي كان معك؟ قال: وما تدرين من هو؟ قالت: لا. قال: هو النبي ﷺ. قالت: فأدخلني عليه. فأدخلها عليه فأطعمها وأعطاها، وأهدتْ له شيئاً من أَقِط

ومتاع الأعراب، فكساها وأعطاها وأسلمت. قال ابن كثير: سنده حسن. كذا في «الكنز» (8/ 330).

أخرج أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: كنت أرعى غنماً لعُقبة بن أبي مُعَيط، فمرَّ بي رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، فقال: «يا غلام، هل عندك من لبن»؟ قال: فقلت: نعم، ولكني مؤتمن. قال: «فهل من شاة لم ينزُ عليها الفحل»؟ فأتيته بشاة، فمسح ضَرعها، فنزل لبن فحلبه من إناء، فشرب وسقى أبا بكر ثم قال للضرع: «اقلص» فقلص؛ قال: ثم أتيته بعد هذا فقلت: يا رسول الله، علِّمني من هذا القول. قال: فمسح رأسي وقال: «يا غلام، يرحمك الله، فإنك عليم مُعَلَّم». وأخرجه البيهقي (6/ 84) عنه بمعناه، وقال فيه: فأتيته بعَنَاق جَذَعة، فاعتقلها، ثم جعل يمسح ضرعها ويدعو، وأتاه أبو بكر بجفنة، فحلب فيها، وسقى أبا بكر ثم شرب. كذا في «البداية» (6/ 102).

أخرج الطبراني (4/ 3797) عن خباب رضي الله عنه، قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سريَّة، فأصابنا العطش ـ وليس معنا ماء ـ فتنوَّختْ ناقة لبعضنا؛ وإذا بين رجليها مثل السِّقاء، فشربنا من لبنها. قال الهيثمي (6/ 210): وفيه إبراهيم بن بشار الرمادي وفيه ضعف قد وُثِّق. انتهى.

أخرج ابن إسحاق عن ماويّة بنت حجير بن أبي إهاب ـ وكانت قد أسلمت رضي الله عنها ـ قالت: حُبس خُبَيب رضي الله عنه في بيتي، فقد اطلعت عليه من صِير الباب؛ وإنَّ في يده لَقِطْفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه، وما أعلم في الأرض من عنب يؤكل. وأخرج البخاري قصة العنب من غير هذا الوجه. كذا في «الإصابة» (1/ 419).

أخرج ابن سعد (1/ 172) عن سالم بن أبي الجعد رضي الله عنه، قال: بعث رسول الله ﷺ رجلين في بعض أمره، فقالا: يا رسول الله،

ما معنا ما نتزوده. فقال: «ابتغيا لي سقاء» فجاءاه بسقاء، قال: فأمرنا، فملأناه، ثم أوكأه وقال: «اذهبا حتى تبلغا مكان كذا وكذا فإنَّ الله سيرزقكما» قال: فانطلقا حتى أتيا ذلك المكان الذي أمرهما به رسول الله ﷺ، فانحل سقاؤهما؛ فإذا لبن وزبد غنم، فأكلا وشربا حتى شبعا.

* * *

ريّهم بالشرب في النوم

أخرج ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن سَلاَم، قال: أتيت عثمان رضي الله عنه لأسلِّم عليه وهو محصور، فدخلت عليه، فقال: مرحباً بأخي، رأيت رسول الله ﷺ الليلة في هذه الخَوخَة - قال: وخوخة في البيت - فقال: «يا عثمان، حصروك»؟ قلت: نعم، قال: «عطَّشوك»؟ قلت: نعم، فأدلى دلواً فيه ماء، فشربت حتى رويت، حتى إني لأجد برده بين ثدييّ وبين كتفيَّ، وقال لي: «إن شئت نُصرت عليهم، وإن شئت أفطرت عندنا» فاخترتُ أن أفطر عنده، فقتل ذلك اليوم. كذا في «البداية» (7/ 182). وقد تقدّمت قصة أم شَرِيك أنها نامت فرأت في النوم من يسقيها فاستيقظت وهي ريَّانة.

* * *

المال من حيث لا يحتسب

أخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 165) عن ضُباعة بنت الزبير رضي الله عنهما، وكانت تحت المقداد رضي الله عنه، قالت: كان الناس إنما يذهبون لحاجتهم فَرْط اليومين والثلاثة، فيبعَرون كما تبعَر الإبل، فلمَّا كان ذات يوم، خرج المقداد لحاجته حتى بلغ الحجبة ـ وهو ببقيع الغرقد ـ فدخل خَرِبة لحاجته، فبينما هو جالس إذا أخرج جُرَذٌ من جُحْره ديناراً، فلم يزل يخرج ديناراً ديناراً حتى بلغ سبعة عشر ديناراً، فخرج بها حتى جاء بها إلى النبي ﷺ، فأخبره خبرها، فقال: «هل أتبعتَ يدك الجحر»؟ قال: لا والذي بعثك بالحق. فقال: «لا صدقة عليك فيها، بارك الله لك فيها». قالت: ضُباعة: فما فني آخرها، حتى رأيت غزائر الوَرِق في بيت المقداد.

أخرج الخطيب عن السائب بن الأقرع أنَّ عمر رضي الله عنهما استعمله على المدائن، فبينما هو جالس في إيوان كسرى، نظر إلى تمثال يشير بأصبعه إلى موضع، قال: فوقع في رُوعي أنه يشير إلى كنز، قال: فاحتفرت ذلك الموضع، فاستخرجت كنزاً عظيماً، فكتبت إلى عمر أخبره، وكتبت أن هذا شيء أفاء الله عليَّ دون المسلمين، قال: فكتب إليَّ عمر إنك أمير من أمراء المسلمين، فاقسمه بين المسلمين. كذا في «الكنز» (3/ 305).

وقال في «الإصابة» (2/ 8): وحكى الهيثم بن عديٍّ عن الشَّعْبي أن

السائب شهد فتح مِهرجان، ودخل دار الهرمزان، فرأى فيها ظَبْياً من جص ماداً يده، فقال: أقسم بالله إنه ليشير إلى شيء، فنظر فإذا فيها خبيئة للهرمزان فيها سَفَط من جوهر. وروى ابن أبي شَيْبة من طريق الشيباني عن السائب بن الأقرع نحوه. انتهى.

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (10/ 129) عن عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر، قال: حدثتني مولاة أبي أمامة رضي الله عنه، قالت: كان أبو أمامة يحب الصدقة، ويجمع لها، وما يرد سائلاً ولو ببصلة أو بتمرة أو بشيء ممّا يؤكل، فأتاه سائل ذات يوم ـ وقد افتقر من ذلك كله، وما عنده إلا ثلاثة دنانير ـ فسأله فأعطاه ديناراً، ثم أتاه سائل فأعطاه ديناراً، ثم أتاه سائل فأعطاه ديناراً، فقالت: فغضبتُ وقلتُ: لم تترك لنا شيئاً!! قالت: فوضع رأسه للقائلة، قالت: فلما نودي للظهر أيقظتُه، فتوضأ ثم راح إلى مسجده، قالت: فرفقت عليه ـ وكان صائماً ـ فتقرضت وجعلتُ له عشاء، وأسرجتُ له سراجاً، وجئت إلى فراشه لأمهد له فإذا بذهب، فعددتها، فإذا ثلاثمائة دينار، قالت: قلت: ما صنع الذي صنع إلا وقد وثق بما خَلَّف، فأقبل بعد العشاء، قالت: فلما رأى المائدة ورأى السراج تبسَّم وقال: هذا خيرٌ من عنده. قالت: فقمت على رأسه حتى تعشَّى، فقلت: يرحمك الله، خلَّفت هذه النفقة سبيل مضيعة، ولم تخبرني فأرفعها. قال: وأي نفقة؟ ما خلَّفت شيئاً؛ قالت: فرفعت الفراش، فلما رآه فرح واشتد تعجُّبه، قالت: فقمت فقطعت زُناري وأسلمت، قال ابن جابر فأدركتها في مسجد حمص وهي تعلِّم النساء القرآن والسنن والفرائض، وتفقِّههن في الدين.

* * *

البركة في الأموال

أخرج أحمد في حديث طويل عن سلمان رضي الله عنه في قصة إسلامه، قال: وبقي عليَّ المال، فأُتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة دَجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال: «ما فعل الفارسيُّ المكاتَب»؟ قال: فدُعيت له، فقال: «خذ هذه فأدِّ بها ما عليك يا سلمان» قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله ممّا عليَّ؟ قال: «خُذْها فإنَّ الله سيؤدِّي ما عليك». قال: فأخذتها فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية، فأوفيتهم حقّهم وعَتَقت.

وفي رواية عن سلمان رضي الله عنه، قال: لمّا قلت: وأين تقع هذه من الذي عليَّ يا رسول الله؟ أخذها رسول الله ﷺ، فقلَّبها على لسانه، ثم قال: «خذها فأوفِهم منها حقَّهم كلَّه أربعين أُوقية». قال الهيثمي (9/ 236): رواه أحمد كله، والطبراني في «الكبير» بنحوه بأسانيد، وإسناد الرواية الأولى عند أحمد والطبراني رجالها رجال الصحيح؛ غير محمد بن إسحاق وقد صرّح بالسماع، ورجال الرواية الثانية انفرد بها أحمد ورجالهما رجال الصحيح؛ غير عمرو بن أبي قرّة الكِندي وهو ثقة، ورواه البزّار. انتهى. وأخرجه ابن سعد (4/ 75) أيضاً في الحديث الطويل عن سلمان نحو الرواية الأولى، ثم قال: قال ابن إسحاق: فأخبرني يزيد بن (أبي) حبيب أنه كان في الحديث، أن رسول الله ﷺ وضعها يومئذٍ على لسانه، ثم قلَّبها، ثم قال لي: «اذهب فأدِّها عنك».

وأخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 165) عن عروة البارقي، أن رسول الله ﷺ لقي جَلَباً، فأعطاه ديناراً، فقال: «اشتر لنا به شاة» فانطلق، فاشترى شاتين بدينار، فلقيه رجل، فباعه شاة بدينار، ثم أتى النبي ﷺ بدينار وشاة، فقال له النبي ﷺ: «بارك الله لك في صَفْقة يمينك» قال: فإن كنتُ أقوم من الكُناسة فما أرجع إلى أهلي حتى أربح أربعين ألفاً. قال أبو نُعيم: ورواه عفان عن سعيد بن زيد، قال: فلقد رأيتني أقف بكُناسة الكوفة، فأربح أربعين ديناراً قبل أن أرجع إلى أهلي. قال في «الإصابة» (2/ 476): والحديث مشهور في البخاري (3642) وغيره. انتهى. وأخرجه عبد الرزاق، وابن أبي شيبة عن عروة بنحوه؛ كما في «الكنز» (7/ 63). وفي روايتهما: فدعا له النبي ﷺ بالبركة في بيعه، فكان لو اشترى تراباً لربح فيه.

أخرج البخاري عن أبي عقيل، أنه كان يخرج به جده عبد الله بن هشام رضي الله عنه إلى السوق، فيشتري الطعام، فيلقاه ابن الزبير وابن عمر رضي الله عنهم، فيقولان: أشركنا في بيعك؛ فإن رسول الله ﷺ قد دعا لك بالبركة، فيَشْرِكهم، فربما أصاب الراحلة كما هي فبعث بها إلى المنزل. كذا في «البداية» (6/ 166).

* * *

إبراء الآلام وإزالة الأسقام

أخرج الطبراني عن عبد الله بن أُنيس رضي الله عنه، قال: ضرب المستنير بن رزام اليهودي وجهي بمخرش من شوحط، فشجني مُنَقِّلة أو مأمومة، فأتيت بها النبي ﷺ، فكشف عنها ونفث فيها، فما أراني منها شيئاً. قال الهيثمي (8/ 298): وفيه عبد العزيز بن عِمران وهو ضعيف.

أخرج الطبراني (7/ 7215) عن مخلّد بن عقبة (بن عبد الرحمٰن) بن شرحبيل، عن جده عبد الرحمٰن، عن أبيه رضي الله عنه، قال: أتيت رسول الله ﷺ وبكفي سِلْعة، فقلت: يا نبي الله، هذه السِّلعة قد أورمتني، تحول بيني وبين قائم السيف أن أقبض عليه، وعن عنان الدابة، فقال رسول الله ﷺ: «ادنُ مني» فدنوت؛ ففتحها، فنفث في كفي، ثم وضع يده على السِّلعة، فما زال يطحنها بكفه حتى رَفَع عنها، وما أرى أثرها. قال الهيثمي (8/ 298): ومخلَّد ومن فوقه لم أعرفهم وبقية رجاله رجال الصحيح. انتهى.

أخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 223) عن أبيض بن حمّال المأربي، أنه كان بوجهه حزازة - يعني القُوَباء - قد التقمت أنفه، فدعاه رسول الله ﷺ فمسح على وجهه، فلم يمسِ من ذلك اليوم وفيه أثر. وأخرجه ابن سعد (5/ 524) نحوه.

أخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 223) عن رافع بن خَديج رضي الله عنه، قال: دخلت يوماً على النبي ﷺ، وعندهم قدر تفور لحماً،

فأعجبتني شحمةٌ، فأخذتها فازدردتها، فاشتكيت عنها سنة، ثم ذكرته لرسول الله ﷺ، فقال: «إنه كان فيها نفس سبعة أناسيّ» ثم مسح بطني، فألقيتها خضراء، فوالذي بعثه بالحق، ما اشتكيت بطني حتى الساعة.

أخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 161) عن علي رضي الله عنه، قال: كنت شاكياً، فمرَّ بي النبي ﷺ وأنا أقول اللهمَّ، إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن كان متأخراً فارفعني، وإن كان بلاءً فصبِّرني. فقال رسول الله ﷺ: «كيف قلت»؟ فأعدت عليه القول، فضربني برجله ثم قال: «اللهمَّ اشفِه». قال: فما اشتكيت وجعي بعد ذلك. قد ثبت في «الصحيح» كما في «البداية» (6/ 295): أن رسول الله ﷺ نَفَث في عيني علي يوم خيبر وهو أرمد، فبرأ من ساعته ثم لم يرمد بعدها أبداً، وقد تقدّم ذلك في باب الدعوة من حديث سهل (32-33).

وتقدَّم في باب النُّصْرة في قتل أبي رافع انكسارُ رجلِ عبد الله بن عَتِيك رضي الله عنه من حديث البراء رضي الله عنه (273) عند البخاري، وفيه: فانتهيت إلى النبي ﷺ، فحدّثته، فقال: «ابسُطْ رجلك» فبسطت رجلي، فمسحها فكأنما لم أشتكها قط.

أخرج الطبراني عن حنظلة بن حِذْيم (بن حنيفة) رضي الله عنهم، قال: وفدت مع جدي حنيفة إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنَّ لي بنين ذوي لحىً وغيرهم، وهذا أصغرهم، فأدناني رسول الله ﷺ ومسح رأسي، وقال: «بارك الله فيك» قال الذيَّال: فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالرجل الوارم وجهه أو الشاة الوارم ضرعها، فيقول: باسم الله على موضع كف رسول الله ﷺ، فيمسحه، فيذهب الورم. قال الهيثمي (9/ 408): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» بنحوه، وأحمد (5/ 67) في حديث طويل ورجال أحمد ثقات. انتهى.

وقد ذكر **الحافظ** في «الإصابة» (1/ 359) حديث حنظلة عن أحمد بطوله، وفيه: قال الذيَّال: فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالإنسان الوارم وجهه، فيتفل على يديه، ويقول باسم الله، ويضع يده على رأسه، (ويقول: على) موضع كف رسول الله ﷺ، فيمسحه، ثم يمسح موضع الورم، فيذهب الورم. قال الحافظ: ورواه الحسن بن سفيان من وجه آخر عن الذيَّال، ورواه الطبراني بطوله منقطعاً، ورواه أبو يعلى من هذا الوجه وليس بتمامه، وكذا رواه يعقوب بن سفيان والمنجنيقي، وأخرجه ابن سعد (7/ 72) أيضاً بطوله بسياق أحمد.

أخرج الطبراني عن عبد الله بن قُرْط قال: أزحَف عليَّ بعيرٌ لي وأنا مع خالد بن الوليد رضي الله عنه، فأردت أن أتركه، فدعوت الله فأقامه لي فركبت. قال الهيثمي (10/ 185): وإسناده جيد.

* * *

ذهاب أثر السم

أخرج أبو يعلى (13/ 7186) عن أبي السَّفْر، قال: نزل خالد بن الوليد رضي الله عنه الحيرة على أمير بني المرازبة، فقالوا له: احذر السمَّ لا تسقيكَه الأعاجم. فقال: ائتوني به. فأُتي به، فأخذه بيده ثم اقتحمه، وقال: باسم الله. فلم يضرَّه شيئاً. قال الهيثمي (9/ 350) رواه أبو يعلى والطبراني بنحوه وأحد إسنادَي الطبراني رجاله رجال الصحيح، وهو مرسل ورجالهما ثقات؛ إلا أن أبا السَّفْر وأبا بُردة بن أبي موسى لم يسمعا من خالد. انتهى.

وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 159) عن أبي السَّفَر نحوه، وذكر في «الإصابة» (1/ 414) عن أبي يَعْلى وفي روايته: أُتي بسمٍّ فوضعه في راحته، ثم سمَّى وشربه فلم يضرّه، ثم قال: ورواه ابن سعد من وجهين آخرين. انتهى.

وأخرجه ابن جرير في «تاريخه» (2/ 567) عن محمد بن أبي السَّفَر عن ذي الجوشن الضِّبابي رضي الله عنه وغيره، قالوا: وكان مع ابن بُقَيلة مِنْصف له، متعلق كيساً في حَقْوه، فتناول خالد رضي الله عنه الكيس، ونثر ما فيه في راحته، فقال: ما هذا يا عمرو؟ قال: هذا ـ وأمانة الله ـ سم ساعة، قال: ولم تحتقب السم؟ قال: خشيت أن تكونوا على غير ما رأيت، وقد أتيت على أجلي، والموت أحب إليَّ من مكروه أُدخله على قومي وأهل قريتي، فقال خالد: إنها لن تموت نفس حتى تأتي على

أجلها وقال: باسم الله خير الاسماء، رب الأرض والسماء، الذي ليس يضر مع اسمه داء، الرحمٰن الرحيم: فأهوَوا إليه ليمنعوه منه، وبادرهم فابتلعه، فقال عمرو: والله يا معشر العرب، لتملكنَّ ما أردتم؛ ما دام منكم أحدٌ أيها القَرْن، وأقبل على أهل الحيرة، فقال: لم أرَ كاليوم أمراً أوضح إقبالاً.

* * *

ذهاب أثر الحر والبرد

أخرج ابن أبي شَيْبة، وأحمد، وابن ماجة، والبزّار، وابن جرير - وصحَّحه -، والطبراني في الأوسط، والحاكم، والبيهقي في «الدلائل»، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، قال: كان علي رضي الله عنه يخرج في الشتاء في إزار ورداء وثوبين خفيفين، وفي الصيف في القَباء المحشو والثوب الثقيل، فقال الناس: لو قلتَ لأبيك فإنه يسمُر معه، فسألت أبي فقلت: إن الناس قد رأوا من أمير المؤمنين شيئاً استنكروه. قال: وما ذاك؟ قال: يخرج في الحر الشديد في القَباء المحشو والثوب الثقيل ولا يبالي ذلك، ويخرج في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين والملاءتين ولا يبالي ذلك ولا يتَّقي برداً، فهل سمعت في ذلك شيئاً؟ فقد أمروني أن أسألك أن تسأله إن سَمَرت عنده، فسَمَر عنده، فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ الناس قد تفقَّدوا منك شيئاً. قال: وما هو؟ قال: تخرج في الحر الشديد في القَباء المحشو والثوب الثقيل، وتخرج في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين وفي الملاءتين لا تبالي ذلك ولا تتقي برداً!! قال: وما كنت معنا يا أبا ليلى بخيبر؟ قال: بلى - والله - كنت معكم، قال: فإن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر فسار بالناس فانهزم حتى رجع عليه، وبعث عمر فانهزم بالناس حتى انتهى إليه، فقال رسول الله ﷺ: «لأعطينَّ الراية رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله له، ليس بفرّار» فأرسل إليَّ فدعاني، فأتيته وأنا أرمد لا أُبصر شيئاً فتفل في عَيْنَيَّ، وقال: «اللهمَّ اكفه الحرّ والبرد» فما آذاني بعده حر ولا برد. كذا في «المنتخب» (5/ 44).

وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 166) عن عبد الرحمٰن مختصراً. وفي روايته: فتفل في راحتيه وألصق بهما عينيَّ، وقال: «اللهمَّ أذهب عنه الحر والبرد» والذي بعثه بالحق، ما وجدت لواحدٍ منهما أذىً حتى الساعة. وقال الهيثمي (9/ 122): رواه الطبراني في «الأوسط» وإسناده حسن. وفي رواية أخرى عنده عن سُوَيد بن غَفَلة رضي الله عنه، قال: لقينا علياً وعليه ثوبان في الشتاء، فقلنا: لا تغتر بأرضنا هذه، فإن أرضنا هذه مُقِرّة ليست مثل أرضك، قال: فإنّي كنت مقروراً فلما بعثني رسول الله ﷺ إلى خيبر، قلت: إني أرمد، فتفل في عينيَّ، فما وجدت حراً ولا برداً ولا رمدت عيناي. انتهى. وقال في موضع آخر (9/ 124): بعد ما ذكر الحديث عن أبي ليلى: رواه البزّار وفيه محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى وهو سيىء الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح.

أخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 166) عن جابر عن بلال رضي الله عنهما، قال: أذّنتُ الصبح في ليلة باردة، فلم يأتِ أحد، ثم أذنت فلم يأتِ أحد، فقال النبي ﷺ: «ما شأنهم يا بلال»؟ قال: قلت: كَبَدهم البرد بأبي أنت وأمي. فقال: «اللهمَّ اكسر عنهم البرد». قال بلال: فلقد رأيتهم يتروَّحون في السُّبحة أو الصبح - يعني بالسبحة صلاة الضحى - وأخرجه البيهقي (6/ 224) عن جابر عن أبي بكر عن بلال رضي الله عنهم، فذكر بمعناه مختصراً؛ كما في «البداية» (6/ 166). وفي روايته: «اللهمَّ اذهب عنهم البرد». ثم قال البيهقي: تفرَّد به أيوب بن سيّار. قال ابن كثير: ونظيره قد مضى في الحديث المشهور عن حذيفة رضي الله عنه في قصة الخندق. انتهى.

* * *

ذهاب أثر الجوع

أخرج الطبراني في «الأوسط» عن عِمران بن حُصَين رضي الله عنهما قال: إني لجالس عند النبي ﷺ؛ إذ أقبلت فاطمة رضي الله عنها، فقامت بحذاء النبي ﷺ - مقابله - فقال: «أُدْني يا فاطمة» فدنت دنوة، ثم قال: «أُدني يا فاطمة» فدنت دنوة، ثم قال: «أُدْني يا فاطمة» فدنت دنوة حتى قامت بين يديه، قال عِمران: فرأيت صُفْرة قد ظهرت على وجهها وذهب الدم، فبسط رسول الله ﷺ بين أصابعه ثم وضع كفَّه بين ترائبها، فرفع رأسها. قال: «اللهمَّ مُشْبع الجوعة، وقاضي الحاجة، ورافع الوَضْعة، لا تُجَعْ فاطمة بنت محمد» فرأيت صفرة الجوع قد ذهبت عن وجهها وظهر الدم، ثم سألتها بعد ذلك، فقالت: ما جعتُ بعد ذلك يا عِمران. قال الهيثمي (9/ 204): وفيه عتبة بن حُمَيد؛ وثقة ابن حبان وغيره وضعَّفه جماعة وبقية رجاله وثقوا. انتهى. وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 166) عن عِمران بنحوه.

* * *

ذهاب أثر الهرم

أخرج أحمد عن أبي زيد الأنصاري رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ «أُدْنُ مني» فمسح بيده على رأسي، ثم قال: «اللهمَّ جمِّله، وأدم جماله» قال: فبلغ بضعاً ومئة - يعني سنة - وما في لحيته بياض إلا نبذة يسيرة، ولقد كان منبسط الوجه لم ينقبض وجهه حتى مات. قال السهيلي: إسناده صحيح موصول. كذا في «البداية» (6/ 166) وقال في «الإصابة» (4/ 78): وفي رواية لأحمد (5/ 340) من وجه آخر عن أبي نُهيَك حدثني أبو زيد رضي الله عنه قال: استسقى رسول الله ﷺ ماءً، فأتيته بقدح فيه ماء، فكانت فيه شعرة، فأخذتها، فقال: «اللهم جمِّله» قال: فرأيته ابن أربع وتسعين ليس في لحيته شعرة بيضاء. وصحَّحه ابن حِبّان والحاكم. انتهى. وأخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (ص 164) من طريق أبي نُهَيك بنحوه. وفي روايته قال: فرأيته وهو ابن ثلاث وتسعين سنةً وما في رأسه ولحيته شعرة بيضاء.

أخرج أحمد عن أبي العلاء، قال: كنت عند قتادة بن مِلْحان رضي الله عنه في موضعه الذي مات فيه، قال: فمرّ رجل في مؤخَّر الدار، قال: فرأيته في وجه قتادة، وقال: كان رسول الله ﷺ قد مسح وجهه. قال: وكنت قبل ما رأيته إلا ورأيت كأن على وجهه الدهان. كذا في «البداية» (6/ 166).

وعند ابن شاهين عن حَيّان بن عميرة، قال: مسح النبي ﷺ وجه

قتادة ابن مِلْحان رضي الله عنه، ثم كبر فبلي منه كل شيء غير وجهه، قال: فحضرتُهُ عند الوفاة، فمرت امرأة فرأيتها في وجهه، كما أراها في المرآة. كذا في «الإصابة» (3/ 225).

أخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 164) عن النابغة الجَعْدي رضي الله عنه، يقول: أنشدت رسول الله ﷺ هذا الشعر، فأعجبه:

بَلَغْنا السَّماءَ مجدُنا وثَراؤنا
وإنا لنرجو فوقَ ذلك مَظْهَرَا

فقال النبي ﷺ: «إلى أين المظهر يا أبا ليلى»؟ قلت: إلى الجنة، قال: «أجل إن شاء الله تعالى».

ولا خيرَ في حِلْمٍ إذا لم تكنْ لهُ
بوادرُ تحمي صَفْوَهُ أنْ يُكدَّرا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكنْ لهُ
حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصْدَرا

فقال النبي ﷺ: «أجدتَ لا يَفْضُضِ الله فاكَ». قال يَعْلى: فلقد رأيته وقد أتى عليه نَيِّف ومائة سنة وما ذهب له سن. وأخرجه البيهقي عن النابغة نحوه إلا أن في روايته: تراثنا - بدل: ثراؤنا. وأخرجه البزّار عنه نحوه إلا أن في روايته: عفّة وتكرُّماً - بدل قوله: مجدنا وثراؤنا، ولم يذكر قول يَعْلى، كما في «البداية» (6/ 168).

وأخرجه أيضاً الحسن بن سفيان في «مسنده» وأبو نُعيم في «تاريخ أصبهان» والشيرازي في «الألقاب»، كلُّهم من رواية يَعْلى بن الأشدق، وهو ساقط الحديث لكنه تُوبع، فقد وقعت لنا قصة في غريب الحديث للخطابي، وفي كتاب «العلم» للمرحبي وغيرهما من طريق مهاجر بن

سليم، عن عبد الله بن جراد، سمعت نابغة بني جَعْدة يقول: أنشدت النبي ﷺ قولي: علونا السماء.. البيت، فغضب، وقال: «أين المظهر يا أبا ليلى»؟ قلت: الجنّة، قال: «أجل إن شاء الله» ثم قال: «أنشدني من قولك» فأنشدته ولا خير في حلم... البيتين، فقال لي: «أجدت لا يَفْضُضِ الله فاك» فرأيت أسنانه كالبَرَد المنهل ما انفصمت له سن ولا انفلتت. ورويناها في «المؤتلف والمختلف» للدارقطني، وفي «الصحابة» لابن السَّكَن وفي غيرهما من طريق الرحَّال بن المنذر حدَّثني أبي عن أبيه كُرز بن أسامة وكانت له وفادة مع النابغة الجعدي، فذكرها بنحوه. وأخرجها السِّلَفي في «الأربعين» من طريق نصر بن عاصم الليثي عن أبي عن النابغة... فذكر الحديث وفيه: فبقي عمره أحسن الناس ثغراً، كلَّما سقطت سِنٌّ عادت أخرى وكان معمَّراً. كذا في «الإصابة» (3/ 539) مختصراً.

* * *

ذهاب أثر الصدمة

أخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 168) عن أم إسحاق رضي الله عنها، قالت: هاجرت مع أخي إلى رسول الله بالمدينة، فلما كنت في بعض الطريق قال لي: اقعدي يا أمَّ إسحاق، فإني نسيت نفقتي بمكة، فقالت: إني أخشى عليك الفاسق - تعني زوجها - قال: كلاً إن شاء الله، قالت: فأقمت أياماً فمرَّ بي رجل قد عرفته ولا أسمِّيه، قال: يا أم إسحاق، ما يجلسك ههنا؟ قلت: أنتظر أخي، قال: لا أخ لك بعد اليوم؛ قد قتله زوجك. فتحمَّلت، فقدمت المدينة، فأتيت النبي ﷺ وهو يتوضأ، فقمت بين يديه، فقلت: يا رسول الله، قُتل أخي إسحاق. وجعلت كلما نظرت إليه نكَّس في الوضوء، ثم أخذ كفًّا من ماء فنضحه في وجهي، قال: قالت جدتي: وقد كانت تصيبها المصيبة فترى الدموع في عينيها ولا تسيل على خدها. وأخرجه البخاري في «تاريخه» وسمويه وأبو يَعْلى وغيرهم من طريق بشار بن عبد الملك المزني عن جدته أم حكيم بنت دينار المزنية عن مولاتها أم إسحاق الغَنَوية بمعناه، كما في «الإصابة» (1/ 32). وفي رواية كما في «الإصابة» (4/ 430): قلت: يا رسول الله وأنا أبكي قتل إسحاق - تعني أخاها - فأخذ كفاً من ماء فنضحه في وجهي، قالت أم حكيم: فلقد كانت تصيبها المصيبة العظيمة، فترى الدموع في عينها، ولا تسيل على خدِّها. وبشار ضعّفه ابن معين؛ كما في «الإصابة» (1/ 32).

الحفظ عن المطر بالدعاء

أخرج ابن أبي الدنيا في كتاب «مجابي الدعوة»، وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أخرجوا بنا إلى أرض قومنا. فخرجنا، فكنت أنا وأُبيّ بن كعب رضي الله عنه في مؤخَّر الناس، فهاجت سحابة، فقال أُبيّ: اللهمَّ اصرف عنا أذاها، فلحقناهم وقد ابتلت رحالهم، فقال عمر: أما أصابكم الذي أصابنا؟ قلت: إنَّ أبا المنذر دعا الله أن يصرف عنا أذاها، فقال عمر: ألا دعوتم لنا معكم. كذا في «المنتخب» (5/ 132).

* * *

تحول الغصن سيفاً

أخرج ابن سعد (1/ 188) عن زيد بن أسلم وغيره، أن عُكَّاشَةَ بن مِحْصَن رضي الله عنه انقطع سيفه في يوم بدر، فأعطاه رسول الله ﷺ جِذْلاً من شجرة، فعاد في يده سيفاً صارماً، صافي الحديدة، شديد المتن.

* * *

تحول الخمر خلاً بالدعاء

أخرج ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح عن خيثمة، قال: أتى خالدَ بن الوليد رضي الله عنه رجلٌ معه زق خمر، فقال: اللهمَّ اجعله عسلاً، فصار عسلاً. وفي رواية له من هذا الوجه: مرَّ رجل بخالد ومعه زق خمر، فقال: ما هذا؟ قال: خَلّ، قال: جعله الله خَلاً، فنظروا فإذا هو خل وقد كان خمراً. كذا في «الإصابة» (1/ 414). قال ابن كثير في «البداية» (7/ 114) وله طرق، وفي بعضها: مرَّ عليه رجل معه زق خمر،

فقال له خالد: ما هذا؟ فقال: عسل، فقال: اللهمَّ اجعله خَلاً، فلما رجع إلى أصحابه، قال: جئتكم بخمر لم يشرب العرب مثله. ثم فتحه فإذا هو خلّ، فقال: أصابته والله دعوة خالد رضي الله عنه. انتهى.

أخرج آدم بن أبي إياس في «تفسيره» عن محمد بن إسحاق، قال: جاء مالك الأشجعي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ، فقال: أسر ابن عوف، فقال: «أرسل إليه أن رسول الله ﷺ يأمرك أن تكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله» فأتاه الرسول فأخبره، فأكبَّ عوف يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وكانوا قد شدُّوه بالقدِّ، فسقط القدّ عنه، فخرج فإذا هو بناقة لهم، فركبها، فأقبل فإذا هو بسَرْح القوم، فصاح بهم فاتَّبع آخرها أولها، فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب، فقال أبوه: عوف وربِّ الكعبة!! فقالت أمه: واسوأتاه ـ وعوف كئيب بألم ما فيه من القد ـ فاستبق الأب (الباب) والخادم إليه؛ فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلاً، فقصَّ على أبيه أمره وأمر الإبل، فأتى أبوه رسول الله ﷺ، فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل، فقال له رسول الله ﷺ: «اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعاً بإبلك» ونزل ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: 2 ـ 3]، كذا في «الترغيب» (3/ 105) وقال: ومحمد بن إسحاق لم يدرك مالكاً. اهـ. وأخرجه ابن أبي حاتم عن محمد بن إسحاق نحوه، كما في «التفسير» لابن كثير (4/ 380). وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (2/ 89) عن السُّدِّي بمعناه مختصراً، ولم يذكر أمر الحوقلة. وفي روايته: فكان أبوه يأتي النبي ﷺ، فيشكو إليه مكان ابنه وحالته التي هو بها وحاجته، فكان رسول الله ﷺ يأمره بالصبر، ويقول له: «إنَّ الله سيجعل له مخرجاً» وأخرجه ابن جرير أيضاً عن سالم بن أبي الجَعْد مختصراً.

ما أصاب العصاة بإيذائهم

أخرج ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر، عن العباس بن سهل ابن سعد الساعدي، أنَّ رسول الله ﷺ حين مرّ بالحِجْر ونزلها، استقى الناس من بئرها، فلما راحوا منها، قال رسول الله ﷺ للناس: «لا تشربوا من مائها شيئاً، ولا تتوضأوا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرجنَّ أحد منكم الليلة إلاَّ ومعه صاحب له». ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ، إلا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بعير له، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خُنق على مَذْهبه، وأما الذي ذهب في طلب بعيره، فاحتملته الريح حتى ألقته بجبلي طيّىء، فأُخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: ألم أنهكم أن يخرج رجلٌ إلاَّ ومعه صاحب له»؟ ثم دعا للذي أصيب على مذهبه فشُفي، وأما الآخر فإنه وصل إلى رسول الله ﷺ من تبوك.

وفي رواية زياد عن ابن إسحاق أن طيّئاً أهدته إلى رسول الله ﷺ حين رجع إلى المدينة، كذا في «البداية» (5/ 11). وأخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 190) من طريق إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق عن الزُّهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة بنحوه.

أخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 221) عن ابن عمر رضي الله

عنهما، أن جهجاه الغِفاري قام إلى عثمان رضي الله عنه ـ وهو على المنبر يخطب ـ فأخذ العصا من يده، وضرب بها ركبته، وشقَّ ركبة عثمان، وانكسرت العصا، فما حال الحول على جهجاه حتى أرسل الله في يده الأكلة، فمات منها. وأخرجه الباوَرْدي وابن السَّكَن عنه بمعناه، كما في «الإصابة» (1/ 253) وقال: ورويناه في «المحامليات» من طريق سليمان بن يسار نحوه، ورواه ابن السَّكَن من طريق فُلَيح بن سليمان عن عمته عن أبيها وعمها؛ أنهما حضرا عثمان، قال: فقام إليه جهجاه بن سعيد الغفاري، حتى أخذ القضيب من يده، فوضعها على ركبته فكسرها، فصاح به الناس، ونزل عثمان فدخل داره، ورمى الله الغفاري في ركبته، فلم يَحُل عليه الحَول حتى مات. انتهى مختصراً.

أخرج أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 207) عن عبد الملك بن عمير، قال: جاء رجل من المسلمين إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فقال:

نقَاتِلُ حتى يُنزِلَ اللّهُ نصرَه
وسعدٌ بباب القادسيةِ معصِمُ
فَأُبْنا وقد آمتْ نساءٌ كثيرة
ونُسْوة سعدٍ ليس فيهن أيِّمُ

فبلغ سعداً ذلك، فرفع يده وقال: اللهمَّ كُفَّ لسانه ويده عني بما شئت. فرمي يوم القادسية، فقطع لسانه، وقطعت يده، وقتل.

وأخرجه الطبراني (1/ 311) عن قبيصة بن جابر، قال ابن عم لنا يوم القادسية. . . فذكر البيتين، إلا أنَّ في روايته: ألم ترَ أن الله أنزل نصره، فبلغ سعداً قوله، فقال: عَيٌّ لسانه ويده. فجاءت نَشّابة، فأصابت فاه، فخرس ثم قُطعت يده في القتال، فقال: احملوني على باب، فخُرج

به محمولاً، ثم كُشف عن ظهره وفيه قروح، فأُخبر الناس بعذره فعذروه، وكان سعد لا يجبَّن. وفي رواية: يقاتل حتى ينزل الله نصره، وقال: وقطعت يده وقتل. قال الهيثمي (9/ 154): رواه الطبراني بإسنادَين رجال أحدهما ثقات. انتهى.

وقد تقدم في الغضب للأكابر (739) دعاء سعد على من كان يشتم علياً وطلحة والزبير رضي الله عنهم من حديث عامر بن سعد عند الطبراني، وفيه: فجاءت بُخْتِيَّة، فأفرج الناس لها فتخبَّطته. ودعاؤه على من كان يشتم علياً من حديث قيس بن أبي حازم، وفيه: فوالله، ما تفرَّقنا حتى ساخت به دابته، فرمته على هامته في تلك الأحجار، فانفلق دماغه ومات. وعند أبي نعيم في «الدلائل» (ص 206) من حديث سعيد بن المسيِّب رضي الله عنه، فأقبل فَحْل هائج يشقُّ الناس، حتى انتهى إلى الرجل، فضربه فصرعه، ثم برك عليه، فلم يزل يطحنه ما بين الأرض وكِركِرته حتى قطَّعه. قال سعيد بن المسيَّب: فأنا رأيت الناس يسعَون إلى سعد، يقولون: تُهنئك الإجابة.

أخرج ابن عساكر عن ابن شَوْذب، قال بلغ ابنَ عمر رضي الله عنهما أن زياداً يريد الحجاز، فكره أن يكون في سلطانه، فقال: اللهمَّ، إنك تجعل في القتل كفّارة لمن شئت من خلقك؛ فموتاً لابن سمية لا قتلاً. فخرج في إبهامه طاعون، فما أتت عليه جمعة حتى مات. كذا في «المنتخب» (5/ 231).

أخرج الطبراني (3/ 2849) عن ابن وائل - أو وائل - بن علقمة، أنه شهد ما هناك، قال: قام رجل، فقال: أفيكم حسين؟ قالوا: نعم، قال: أبشرْ بالنار، قال: أبشرْ برب رحيم، وشفيع مطاع. قالوا: من أنت؟ قال: أنا ابن جويرة أو جويزة، قال: اللهمَّ جُزْه إلى النار، فنفرت

به الدابة، فتعلقت رجله في الركاب، قال: فوالله، ما بقي عليها منه إلا رجله. قال الهيثمي (9/ 193): وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط.

وأخرج الطبراني (3/ 2841) عن الكلبي، قال: رمَى رجل الحسين رضي الله عنه وهو يشرب، فشلَّ شدقيه، فقال: لا أرواك الله، فشرب حتى تفطَّر. قال الهيثمي (9/ 193): رجاله إلى قائله ثقات.

وأخرج الطبراني (3/ 2831) عن حاجب عبيد الله بن زياد، قال: دخلت القصر خلف عبيد الله بن زياد حين قَتَل الحسين رضي الله عنه، فاضطرم في وجهه ناراً، فقال: هكذا بكمه على وجهه، فقال: هل رأيتَ؟ قلت: نعم؛ وأمرني أن أكتم ذلك. قال الهيثمي (9/ 196): وحاجب عبيد الله لم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

وأخرج الطبراني (3/ 2857) عن سفيان، قال: حدَّثتني جدتي أم أبي، قالت: شهد رجلان من الجُعْفيين قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما: فأما أحدهما فطال ذَكَره حتى كان يلفه، وأما الآخر فكان يستقل الراوية بفيه حتى يأتي على آخرها؛ قال سفيان: رأيت ولد أحدهما كان به خبل وكأنه مجنون. قال الهيثمي (9/ 197): رجاله إلى جدة سفيان ثقات. وعنده أيضاً (3/ 2860) عن الأعمش قال: خَرِيَ رجل على قبر الحسين رضي الله عنه، فأصاب أهل ذلك البيت خَبَل وجنون وجُذام وبَرص وفقر. ورجاله رجال الصحيح، كما قال الهيثمي (9/ 197).

* * *

ما وقع من التغير في نظام العالم بقتلهم

أخرج ابن عساكر عن ربيعة بن قُسَيط، أنه كان مع عمرو بن العاص رضي الله عنه عام الجماعة وهم راجعون، فمُطِروا دماً عبيطاً، قال ربيعة: فلقد رأيتني أنصب الإناء فيمتلىء دماً عبيطاً، فظنُّ الناس أنها هي دماء الناس بعضهم في بعض، فقام عمرو بن العاص فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: يا أيها الناس، أصلحوا ما بينكم وبين الله تعالى، ولا يضركم لو اصطدم هذان الجبلان. كذا في «الكنز» (4/ 291) وقال: سنده صحيح.

أخرج الطبراني (3/ 2856) عن الزُّهري قال: قال لي عبد الملك: أي واحد أنت إن أعلمتني أيّ علامة كانت يوم قتل الحسين رضي الله عنه؟ فقال: قلت: لم تُرفع حصاة ببيت المقدس، إلا وجد تحتها دمٌ عبيط، فقال لي عبد الملك: إني وإياك في هذا الحديث لقرينان. قال الهيثمي (9/ 196): رجاله ثقات.

وعنده أيضاً (3/ 2835) عنه، قال: ما رفع بالشام حجر يوم قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما إلا عن دم، قال الهيثمي (9/ 196): رجاله رجال الصحيح.

وعنده أيضاً (3/ 2836) عن أم حكيم رضي الله عنها، قالت: قتل الحسين رضي الله عنه وأنا يومئذٍ جُوَيرية، فمكثت السماء أياماً مثلَ العَلَقة. قال الهيثمي (9/ 197): رجاله إلى أم حكيم رجال الصحيح.

وعنده أيضاً (3/ 2838) عن أبي قبيل، قال: لمّا قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما انكسفت الشمس كسفة، حتى بدت الكواكب نصف النهار، حتى ظننا أنها هي. قال الهيثمي (9/ 197): إسناده حسن. وقد ضعّف ابن كثير في «البداية» (8/ 201) تلك الأحاديث كلَّها سوى الحديث الأول، وجعلها من وضع الشيعة. فالله أعلم.

* * *

نوحة الجن على قتلاهم

أخرج الحاكم (3/ 94) عن مالك بن دينار، قال: سُمع صوتٌ بجبل تَبالَة حين قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

ليبكِ على الإسلامِ مَنْ كان باكياً
فقد أوشكوا هَلْكى وما قَدُم العَهْدُ
وأدبرتِ الدنيا وأدبر خيرُها
وقد ملَّها من كان يوقنُ بالوعْدِ

فنظروا فلم يروا شيئاً.

وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 210) عن معروف الموصلي، قال: لمَّا أُصيب عمر رضي الله عنه سمعت صوتاً... فذكر البيتين. وهكذا أخرجه الطبراني عن معروف، كما في المجمع (9/ 79).

وأخرج ابن سعد (3/ 374) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت ليلاً ما أراه إنسياً نَعْيَ عمر رضي الله عنه، وهو يقول:

جَزى اللّهُ خَيْراً من أميرٍ وباركتْ
يدُ اللّه في ذاك الأديمِ المُمزَّقِ
فمَن يمشِ أو يركَب جناحَي نَعَامةٍ
ليدركَ ما قدَّمتَ بالأمس يُسبقِ
قضيتَ أموراً ثم غادرْتَ بعدها
بوائقَ في أكمامِها لم تُفتَّقِ

وعنده أيضاً عن سليمان بن يَسَار أنَّ الجنّ ناحت على عمر رضي الله عنه:

عَلَيك سلامٌ من أميرٍ وباركتْ

يدُ اللّه في ذاك الأديم المخرَّقِ

قَضَيتَ أموراً، ثم غادرتَ بعدها

بوائقَ في أكمامِهَا لم تُفتَّقِ

فمن يسعَ، أو يركبْ جناحَيْ نعامةٍ

ليدركَ ما قدَّمتَ بالأمسِ، يُسبَقِ

أبعد قتيلٍ بالمدينةِ أظلمَتْ

له الأرض تهتزّ العِضاه بأسْؤُقِ؟!

وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 210) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: بكت الجن على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد ثلاث... فذكر هذه الأشعار الأربعة بغير هذا الترتيب، وزاد:

فلقَّاك ربِّي في الجِنَان تحيَّةً

ومن كسوة الفردوس ما لم يُمزَّقِ

أخرج الطبراني (3/ 2862) عن أم سَلَمة رضي الله عنها، قالت: سُمعت الجن تنوح على الحسين بن علي رضي الله عنهما. قال الهيثمي (9/ 199): رجاله رجال الصحيح.

وعنده أيضاً (3/ 2869) عنها، قالت: ما سمعت نوح الجن منذ قبض النبي ﷺ إلا الليلة، وما أرى ابني إلا قبض - تعني الحسين رضي الله عنه - فقالت لجاريتها: اخرجي اسألي، فأُخبرت أنه قد قتل، وإذا جنّيّة تنوح:

أَلا يا عَينُ فاحتفلي بجهدي

ومَن يبكي على الشهداء بعدي؟!

على رهطٍ تقودُهمُ المَنَايا

إلى متجبِّرٍ في ملْكِ عَبْدِ

قال الهيثمي (9/ 199): وفيه عمرو بن ثابت بن هُرمُز وهو ضعيف. انتهى.

وعنده أيضاً (3/ 2868) عن ميمونة رضي الله عنها، قالت: سمعتُ الجن تنوح على الحسين بن علي رضي الله عنهما. قال الهيثمي (9/ 199): رجاله رجال الصحيح. انتهى.

* * *

رؤيتهم النبي ﷺ في المنام

أخرج ابن سعد (3/ 332) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: رأيت كأني أخذت جوادَّ كثيرة، فاضمحلت، حتى بقيت جادّة واحدة، فسلكتها حتى انتهيت إلى جبل؛ فإذا رسول الله ﷺ فوقه، وإلى جنبه أبو بكر رضي الله عنه؛ وإذا هو يومىء إلى عمر رضي الله عنه أنْ تعالَ، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات والله أمير المؤمنين، فقلت: ألا تكتب بهذا إلى عمر؟ فقال: ما كنت لأنعي له نفسه.

أخرج الحاكم (3/ 99) عن كَثِير بن الصَّلْت، قال: أغفى عثمان بن عفان رضي الله عنه في اليوم الذي قتل فيه، فاستيقظ، فقال: لولا أن يقول الناس: تمنَّى عثمان الفتنة لحدَّثتكم. قال قلنا: أصلحك الله فحدِّثنا، فلسنا نقول ما يقول الناس. فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ في منامي هذا، فقال: «إنك شاهد معنا الجمعة». قال الحاكم في هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه. وقال الذهبي: صحيح. وأخرجه ابن سعد (3/ 75) عن كَثِير بن الصَّلْت نحوه وزاد: وذلك يوم الجمعة. وهكذا أخرجه أبو يَعْلى. قال الهيثمي (7/ 232): وفيه أبو علقمة مولى عبد الرحمٰن بن عوف ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وعند الحاكم (3/ 103) عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن عثمان رضي الله عنه أصبح فحدَّث، فقال: إني رأيت النبي ﷺ في المنام الليلة، فقال: «يا عثمان، أفطر عندنا» فأصبح عثمان صائماً، فقتل من يومه رضي الله عنه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم

يخرِّجاه. وقال الذهبي: صحيح. وأخرجه أبو يَعْلى والبزّار (2517) نحوه. كما في المجمع (7/ 232).

وأخرجه ابن سعد (3/ 74) عن نافع نحوه.

وعند عبد الله وأبي يَعْلى عن مسلم أبي سعيد مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، أن عثمان ابن عفان أعتق عشرين عبداً مملوكاً، ودعا بسراويل فشدَّها عليه ـ ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام ـ وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام وأبا بكر وعمر، فقالوا لي: اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة، ثم دعا بمصحف، فنشره بين يديه، فقتل وهو بين يديه. قال الهيثمي (7/ 232) ورجالهما ثقات. وللحديث طرق أخرى ذكرها في «المجمع» و«البداية» وغيرهما.

أخرج العدني عن الحسن أو الحسين أن علياً رضي الله عنهم قال: لقيني حبيبي في المنام ـ يعني نبي الله ﷺ ـ فشكَوت إليه ما لقيت من أهل العراق بعده، فوعدني الراحة منهم إلى قريب، فما لبث إلا ثلاثاً.

وعند أبي يَعْلى (1/ 520) عن أبي صالح عن علي رضي الله عنه، قال: رأيت النبي ﷺ في منامي، فشكَوت إليه ما لقيت من أمته من التكذيب والأذى، فبكيت، فقال لي: «لا تبكِ يا علي والتفتْ» فالتفتُّ فإذا رجلان يتصفَّدان، وإذا جلاميد يرضخ بها رؤوسهما، حتى تنضح ثم تعود، قال: فغدوت إلى علي كما كنت أغدو عليه كل يوم، حتى إذا كنت في الجزارين، لقيت الناس، فقالوا: قتل أمير المؤمنين. كذا في «المنتخب» (5/ 61).

أخرج الطبراني (3/ 2759) عن فلفلة الجُعْفي، قال: سمعت الحسن بن علي رضي الله عنهما يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام متعلّقاً بالعرش، ورأيت أبا بكر رضي الله عنه آخذاً بحَقْوَي النبي ﷺ، ورأيت عمر رضي الله عنه آخذاً بحَقْوَي أبي بكر، ورأيت عثمان رضي الله عنه

آخذاً بحَقْوَي عمر، ورأيت الدم ينصبّ من السماء إلى الأرض. فحدّث الحسن بهذا وعنده قوم من الشيعة، فقالوا: وما رأيت علياً؟ فقال الحسن: ما كان أحد أحب إليّ أن أراه آخذاً بحَقْوَي رسول الله ﷺ من عليّ؛ ولكنها رؤيا رأيتها... فذكر الحديث. قال الهيثمي (9/ 96): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» باختصار وإسناده حسن.

وعند **أبي يَعْلى** (12/ 6767) عن الحسن رضي الله عنه أيضاً، قال: يا أيها الناس، رأيت البارحة عجباً في منامي، رأيت الربَّ تعالى فوق عرشه، فجاء رسول الله ﷺ حتى قام عند قائمة من قوائم العرش، فجاء أبو بكر رضي الله عنه فوضع يده على منكب رسول الله ﷺ، ثم جاء عمر رضي الله عنه فوضع يده على منكب أبي بكر، ثم جاء عثمان رضي الله عنه، فقال بيده، فقال: رَبِّ سَلْ عبادك فيمَ قتلوني، قال: فانبعث من السماء ميزابان من دم في الأرض، قال: فقيل لعلي رضي الله عنه: ألا ترى ما يحدِّث به الحسن؟ قال: يحدِّث بما رأى. وفي رواية أن الحسن قال: لا أقاتل بعد رؤيا رأيتها... فذكر نحوه إلا أنه قال: ورأيت عثمان رضي الله عنه واضعاً يده على عمر رضي الله عنه، ورأيت دماءً دونهم، فقلت: ما هذا؟ فقيل: دماء عثمان يطلب الله به. قال الهيثمي (9/ 96): رواه كله أبو يعلى بإسنادَين وفي أحدهما من لم أعرفه، وفي الآخر: سفيان بن وكيع وهو ضعيف. انتهى.

أخرج الخطيب في «تاريخه» (1/ 142) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: رأيت رسول الله ﷺ فيما يرى النائم نصف النهار، أشعث أغبر بيده قارورة، فقلت: ما هذه القارورة؟ قال: دم الحسين وأصحابِه، ما زلت ألتقطه منذ اليوم، فنظرنا؛ فإذا هو في ذلك اليوم قُتِل. وأخرجه ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» (1/ 381) عن ابن عباس نحوه وزاد: بيده قارورة فيها دم.

رؤية بعض الصحابة بعضاً في المنام

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 54) عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، قال: كنت جاراً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فما رأيت أحداً من الناس كان أفضل من عمر، إنَّ ليله صلاة، وإن نهاره صيام وفي حاجات الناس، فلمَّا توفي عمر، سألت الله عز وجل أن يريَنيه في النوم، فرأيته في النوم مقبلاً متَّشحاً من سوق المدينة، فسلَّمت عليه وسلَّم عليَّ، ثم قلت: كيف أنت؟ قال بخير، فقلت له: ما وجدتَ؟ قال: الآن فرَغت من الحساب، ولقد كاد عرشي يهوي بي؛ لولا أني وجدت رباً رحيماً.

وأخرجه ابن سعد (3/ 375) عن العباس رضي الله عنه، قال: كان عمر رضي الله عنه لي خليلاً، وإنه لمَّا توفي لبثت حولاً أدعو الله أن يريَنيه في المنام، قال: فرأيته على رأس الحول يمسح العرق عن جبهته، قال: قلت: يا أمير المؤمنين، ما فعل بك ربك؟ قال: هذا أوان فَرغت، وإن كاد عرشي ليُهدّ لولا أني لقيت ربي رؤوفاً رحيماً.

وأخرج ابن سعد (3/ 375) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: دعوت الله سنة أن يُرِيَني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: فرأيته في النوم، فقلت: ما لقيت؟ قال: لقيت رؤوفاً رحيماً، ولولا رحمتُه لهوى عرشي.

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 54) عن ابن عمر رضي الله

عنهما، أنه قال: ما كان شيء أحب إليّ أن أعلمه من أمر عمر، فرأيت في المنام قصراً، فقلت: لمن هذا؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فخرج من القصر، عليه مِلْحَفة كأنه قد اغتسل، فقلت: كيف صنعت؟ قال: خيراً، كاد عرشي يهوي بي لولا أني لقيت رباً غفوراً، فقال: منذ كم فارقتكم؟ فقلت: منذ اثنتي عشرة سنة، فقال: إنما أنفلت الآن من الحساب.

وأخرج ابن سعد (3/ 376) عن سالم بن عبد الله، قال: سمعت: رجلاً من الأنصار يقول: دعوت الله أن يُرِيني عمر رضي الله عنه في النوم، فرأيته بعد عشر سنين ـ وهو يمسح العرق عن جبينه ـ فقلت: يا أمير المؤمنين، ما فعلت؟ فقال: الآن فرغتُ ولولا رحمة ربي لهلكتُ.

أخرج ابن سعد (3/ 376) عن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه، قال: نمت بالسُّقْيا وأنا قافل من الحج. فلما استيقظ قال: والله، إني لأرى عمر آنفاً، أقبل يمشي حتى ركض أمَّ كلثوم بنت عقبة وهي نائمة إلى جانبي، فأيقظَها، ثم ولَّى مدبراً، فانطلق الناس في طلبه، ودعوت بثيابي فلبستها، فطلبته مع الناس، فكنت أول من أدركه. والله، ما أدركتُه حتى حَسِرت، فقلت: والله يا أمير المؤمنين، لقد شققت على الناس. والله لا يدركك أحد حتى يحسرَ. والله ما أدركتك حتى حَسِرت، فقال: ما أحسبني أسرعت. والذي نفس عبد الرحمٰن بيده، إنه لعمله.

أخرج ابن سعد (4/ 93) عن عبد الله بن سَلاَّم رضي الله عنه، أن سلمان رضي الله عنه، قال له: أي أخي، أيُّنا مات قبل صاحبه فليتراءَ له. قال عبد الله بن سلام: أوَ يكون ذلك؟ قال: نعم، إن نَسَمة المؤمن مُخلاَّة تذهب في الأرض حيث شاءت، ونَسَمة الكافر في سجن. فمات سلمان، فقال عبد الله: فبينما أنا ذات يوم قائل بنصف النهار على سرير لي، فأغفيت إغفاءة، إذ جاء سلمان فقال: السلام عليك ورحمة الله،

فقلت: السلام عليك ورحمة الله أبا عبد الله، كيف وجدت منزلك؟ قال: خيراً، وعليك بالتوكُّل فنعم الشيء التوكُّل، وعليك بالتوكُّل فنعم الشيء التوكُّل، وعليك بالتوكُّل فنعم الشيء التوكُّل.

وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 205) عن المغيرة بن عبد الرحمٰن مختصراً، وفي روايته: قال: فمات سلمان فرآه عبد الله بن سلام، فقال: كيف أنت يا أبا عبد الله؟ فقال: بخير، قال: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: وجدت التوكل شيئاً عجيباً. وأخرجه ابن سعد (4/ 93) عن المغيرة نحوه.

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 210) عن عوف بن مالك، أنه رأى في المنام قبة من أدَمٍ ومرجاً أخضر، وحول القبة غنم رُبوض تجتر وتبعَر العجوة، قال: قلت: لمن هذه القبة؟ قيل: لعبد الرحمٰن بن عوف. قال: فانتظرنا حتى خرج، قال: فقال: يا عوف، هذا الذي أعطانا الله بالقرآن، ولو أشرفتَ على هذه الثنية؛ لرأيت ما لم تَرَ عينك ولم تسمع أذنك ولم يخطر على قلبك، أعدّه الله سبحانه وتعالى لأبي الدرداء لأنه كان يدفع الدنيا بالراحتين والنحر.

أخرج الحاكم (3/ 204) من طريق الواقدي عن شيوخه، قالوا: قال عبد الله بن عمرو بن حَرَام رضي الله عنه: رأيت في النوم قبل أُحد كأني رأيت مبشِّر بن عبد المنذر يقول لي: أنت قادم علينا في الأيام. فقلت: وأين أنت؟ قال: في الجنة نسرح فيها كيف نشاء، قلت له: ألم تقتل يوم بدر؟ قال: بلى ثم أُحييت. . . فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «هذه الشهادة يا أبا جابر».

الباب التاسع عشر

أسباب النصرة الغيبية للصحابة

بأي أسباب كانوا ينصرون بنصرة غيبية؟ وكيف كانوا يتعلّقون بها، ويلفتون النظر عن الأسباب المادية والأمتعة الفانية؟!

تحمل المكروه والشدائد

أخرج البزّار عن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه، قال: نزل الإسلام بالكره والشدّة، فوجدنا خير الخير في الكراهة، فخرجنا مع رسول الله ﷺ من مكة، فجُعل لنا في ذلك العلاء والظفر، وخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى بدر على الحال التي ذكر الله عز وجل وتبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: 5 - 7] والشوكةُ قريش، فجعل الله لنا في ذلك العلاء والظفر، فوجدنا خير الخير في الكره. قال الهيثمي (7/ 27): وفيه: عبد العزيز بن عِمران وهو ضعيف.

أخرج البيهقي في «سننه» (9/ 179) عن محمد بن إسحاق بن يَسَار، في قصة خالد بن الوليد رضي الله عنه حين فرغ من اليمامة، قال: فكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة:

«من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد والذين معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان. سلامٌ عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إلٰه إلا هو. -أما بعد؛ فالحمد لله الذي أنجز وعده، ونصر عبده، وأعزّ وليه، وأذلّ عدوّه وغلب الأحزاب فرداً، فإنّ الله الذي لا إلٰه إلا هو، قال:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا

﴿ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: 55].
وكتب الآية كلّها وقرأ الآية.

وعْداً منه لا خُلفَ له، ومقالاً لا ريب فيه، وفرض الجهاد على المؤمنين، فقال:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: 216] حتى فرغ من الآيات.

فاستتمُّوا بوعد الله إياكم، وأطيعوه فيما فرض عليكم، وإن عظمت فيه المؤنة، واستبدَّت الرزية، وبعدت الشُّقَّة، وفُجعتم في ذلك بالأموال والأنفس، فإن ذلك يسير في عظم ثواب الله، فاغزوا - رحمكم الله - في سبيل الله خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم - كتب الآية - ألا وقد أمرت خالد بن الوليد بالمسير إلى العراق، فلا يبرحها حتى يأتيه أمري، فسيروا معه، ولا تتثاقلوا عنه، فإنَّه سبيل يعظم الله فيه الأجر لمن حسنت فيه نيته، وعظمت في الخير رغبته، فإذا وقعتم العراق، فكونوا بها حتى يأتيكم أمري، كفانا الله وإياكم مهمّات الدنيا والآخرة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وقد تقدّمت قصص الصحابة رضي الله عنهم في تحمُّل المكروه والشدائد في باب تحمل الشدائد والأذى، وباب الهجرة، وباب النُّصْرة، وباب الجهاد، وغير ذلك مفصّلة.

* * *

امتثال الأمر مع خلاف الظاهر

أخرج أحمد عن عتبة بن عبد السُّلَمي، أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «قوموا فقاتلوا». فقالوا: نعم يا رسول الله، ولا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾ ولكن انطلق أنت وربُّك يا محمد وإنا معك نقاتل. قال الهيثمي (6/ 75): رجاله ثقات. وقد تقدم في باب الجهاد (1/ 413) قولُ المقداد رضي الله عنه نحوه عند ابن أبي حاتم وابن مردويه وغيرهما، وقول سعد بن عبادة رضي الله عنه (1/ 414): والذي نفسي بيده، لو أمرتنا أن نُخيضها البحار لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْك الغماد لفعلنا؛ عند أحمد من حديث أنس رضي الله عنه، وقولُ سعد بن معاذ رضي الله عنه (1/ 415) عند ابن مردويه عن علقمة بن وقّاص الليثي: فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب، ما سلكتها قطُّ، ولا لي بها علم، ولئن سرتَ حتى تأتي برك الغماد من ذي يَمَن، لنسيرنَّ معك، ولا نكون كالذين قالوا لموسى عليه السلام: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكم متّبعون، ولعلَّ أن تكون خرجتَ لأمر وأحدثَ الله إليك غيره، فانظر الذي أحدث الله إليك فامضِ، فصِلْ حبال من شئت، واقطعْ حبال من شئت، وعادِ من شئت، وسالِمْ من شئت، وخُذْ من أموالنا ما شئت، فنزل القرآن على قول سعد: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال: 5]. وزاد الأموي: وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت به من أمر فأمرُنا لأمرك.

التوكل على الله تعالى
وتكذيب أهل الباطل

أخرج الحارث والخطيب في «كتاب النجوم»، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر، أنّ مسافر بن عوف بن الأحمر قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حين انصرف من الأنبار إلى أهل النَّهْروان: يا أمير المؤمنين، لا تَسِرْ في هذه الساعة وسِرْه في ثلاث ساعات يمضين من النهار. قال علي: ولم؟ قال: لأنك إن سرتَ في هذه الساعة أصابك أنت وأصحابك بلاء وضرر شديد، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرتَ، وظهرت، وأصبت وطلبت. فقال علي: ما كان لمحمد ﷺ منجّم ولا لنا من بعده، هل تعلم ما في بطن فرسي هذه؟ قال: إن حسَبتُ علمتُ. قال: من صدَّقك بهذا القول كذَّب القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: 34] الآية، ما كان محمد ﷺ يدّعي ما ادّعيت علمه، تزعم أنك تُهدي إلى علم الساعة التي يصيب السوءُ من سافر فيها؟ قال: نعم، قال: من صدَّقك بهذا القول استغنى عن الله تعالى في صرف المكروه عنه، وينبغي للمقيم بأمرك أن يوليك لأمر دون الله ربه؛ لأنك أنت تزعم هدايته إلى الساعة التي ينجو من السوء مَنْ سافر فيها؛ فمن آمن بهذا القول لن آمن عليه أن يكون كمن اتخذ دون الله نِدّاً وضدّاً، اللهمَّ لا طائر إلا طيرُك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك. نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة التي تنهانا عنها. ثم أقبل على الناس فقال: يا

أيها الناس، إياكم وتعلُّم هذه النجوم إلا ما يُهتدى به في ظلمات البر والبحر، إنَّما المنجِّم كالكافر، والكافر في النار. والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم، وتعمل بها لأخلدنَّك في الحبس ما بقيتُ وبقيتَ. ولأحرمنَّك العطاء ما كان لي سلطان، ثم سار في الساعة التي نهاه عنها، فأتى أهلَ النَّهْروان، فقتلهم، ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها، فظفرنا ـ أو ظهرنا ـ لقال قائل: سار في الساعة التي أمر بها المنجم، ما كان لمحمد ﷺ منجِّم ولا لنا من بعده، ففتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان. أيها الناس، توكَّلوا على الله وثِقُوا به فإنه يكفي ما سواه. كذا في «الكنز» (5/ 235).

* * *

طلب العز بما أعز الله به

أخرج الحاكم (1/ 61) عن طارق بن شهاب، قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام ـ ومعنا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ـ فأتَوا على مخاضة وعمر على ناقة له، فنزل عنها، وخلع خفَّيه، فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته، فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، أأنت تفعل هذا؟! تخلع خفَّيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة؟! ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك، فقال عمر: أوَّه!! لو يقول ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالاً لأمة محمد ﷺ، إنَّا كنَّا أذلَّ قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّ بغير ما أعزَّنا الله به أذلَّنا الله. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه، ووافقه الذهبي، فقال: على شرطهما.

وعنده **أيضاً** (1/ 62) عنه، قال: لمَّا قدم عمر رضي الله عنه الشام، لقيه الجنود وعليه إزار وخُفَّان وعمامة، وهو آخذ برأس بعيره يخوض الماء، فقال له ـ يعني قائل ـ: يا أمير المؤمنين، تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على حالك هذه؟! فقال عمر: إنّا قوم أعزّنا الله بالإسلام فلن نبتغي العزّ بغيره.

وعنده **أيضاً** (3/ 82) عنه، فقال له أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: لقد فعلتَ يا أمير المؤمنين فعلاً عظيماً عند أهل الأرض!! نزعت

خفيك، وقدت راحلتك، وخفضتَ المخاضة!! قال: فصكَّ عمر بيده في صدر أبي عبيدة، فقال: أوَّه!! لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، أنتم كنتم أقلَّ الناس، وأذلَّ الناس، فأعزَّكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزّة بغيره يذلّكم الله تعالى. وأخرجه أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 47) عن طارق نحوه. وابن المبارك وهنّاد والبيهقي في «شُعَب الإيمان» عنه نحوه؛ كما في منتخب «الكنز» (4/ 400).

وعند أبي نعيم أيضاً في «الحلية» (1/ 47) عن قيس، قال: لمّا قدم عمر رضي الله عنه الشام استقبله الناس وهو على بعيره، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو ركبت بِرذوناً، تلقاك عظماء الناس ووجوههم، فقال: لا أراكم ههنا إنما الأمر من ههنا ـ وأشار بيده إلى السماء ـ خلُّوا سبيل جملي.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي الغالية الشامي، قال: قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابية على طريق إيلياء على جمل أورق تلوح صلعته للشمس، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة، تصطَفِق رجلاه بين شعبتي الرَّحْل بلا رِكاب، وِطاؤه كساء أنبجاني ذو صوف، هو وِطاؤه إذا ركب وفراشه إذا نزل، حقيبته نَمرة أو شملة محشوة ليفاً، هي حقيبته إذا ركب ووسادته إذا نزل، وعليه قميص من كرابيس قد رُسِّم وتخرّق جنبه، فقال: ادعوا لي رأس القوم، فدعوا له الجلومس، فقال: اغسلوا قميصي وخيطوه وأعيروني ثوباً أو قميصاً، فأُتي بقميص كتان، فقال: ما هذا؟ قالوا: كتّان، قال: وما الكتّان؟ فأخبروه، فنزع قميصه فغُسل ورُقع وأُتي به، فنزع قميصهم ولبس قميصه، فقال له الجلومس: أنت ملك العرب وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل؛ فلو لبست شيئاً غير هذا، وركبت برذوناً؛ لكان ذلك أعظم في

أعين الروم، فقال: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلاً، فأُتي ببرذَوْن، فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رَحْل فركبه بها، فقال: احبسوا احبسوا، ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا، فأُتي بجمله فركبه. كذا في «البداية» (7/ 60).

* * *

رعاية أهل الذمة في حال العزة

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 201) عن أبي نُهَيك وعبد الله بن حنظلة قال: كنا مع سلمان رضي الله عنه في جيش، فقرأ رجل سورة مريم، قال: فسبَّها رجل وابنها، قال: فضربناه حتى أدميناه، قال: فأتى سلمانَ فاشتكى، وقبل ذلك ما كان قد اشتكى إليه، قال: وكان الإنسان إذا ظُلم اشتكى إلى سلمان. قال: فأتانا، فقال: لم ضربتم هذا الرجل؟ قال: قلنا: قرأنا سورة مريم فسبَّ مريم وابنها، قال: ولِمَ تسمعونهم ذاك؟ ألم تسمعوا قال الله عز وجل؟ ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الانعام: 108] بما لا يعلمون، ثم قال: يا معشر العرب، ألم تكونوا شرَّ الناسِ ديناً، وشرَّ الناس داراً، وشرَّ الناس عيشاً؛ فأعزَّكم الله وأعطاكم؟ أتريدون أن تأخذوا الناس بعزَّة الله؟ والله لتنتهنَّ أو ليأخذنَّ الله عز وجل ما في أيديكم فليعطيَّنه غيركم، ثم أخذ يعلِّمنا، فقال: صلُّوا ما بين صلاتي العشاء فإن أحدكم يخفِّف عنه من حزبه، ويذهب عنه مَلْغاة أول الليل؛ فإن مَلْغاة أول الليل مهدَّمة لآخره.

* * *

الاعتبار بحال من ترك أمر الله تعالى

أخرج أبو نُعيم في «الحلية» (1/ 216) عن جُبير بن نفير رضي الله عنه، قال: لما فتحت قبرص، فُرِّق بين أهلها. فبكى بعضهم إلى بعض، ورأيت أبا الدرداء رضي الله عنه جالساً وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء، ما يبكيك في يوم أعزّ الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جُبير، ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره، بينا هي أمة قاهرة، ظاهرة، لهم الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى. وأخرجه ابن جرير في «تاريخه» (3/ 318) عن جُبير نحوه وزاد بعد قوله: فصاروا إلى ما ترى؛ فسلَّط عليهم السِّباء، وإذا سُلِّط السِّباء على قوم فليس لله فيهم حاجة.

* * *

إخلاص النية لله تعالى وإرادة الآخرة

أخرج ابن جرير عن ابن أبي مريم، قال: مرّ عمر بن الخطاب بمعاذ بن جبل رضي الله عنهما، فقال: ما قِوام هذه الأمة؟ قال معاذ: ثلاث وهن المنجيات: الإخلاص وهي الفطرة - فطرة الله التي فطر الناس عليها -، والصلاة وهي الملّة، والطاعة وهي العِصْمة. فقال عمر: صدقتَ، فلما جاوزه، قال معاذ لجلسائه: أما إنَّ سِنِيَّكَ خير من سِنِيِّهِمْ ويكون بعدك اختلاف، ولن يبقى إلا يسيراً. كذا في «الكنز» (8/ 226).

أخرج ابن جرير في «تاريخه» (3/ 128) عن أبي عبدة العنبري، قال: لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الأقباض، أقبل رجل بحُقٍّ معه، فدفعه إلى صاحب الأقباض، فقال الذين معه: ما رأينا مثل هذا قط!! ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه!! فقالوا: هل أخذت منه شيئاً؟ فقال: أما والله، لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أنَّ للرجل شأناً، فقالوا: من أنت؟ فقال: لا والله، لا أخبركم لتحمدوني، ولا غيركم ليقرِّظوني، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه، فأتبعوه رجلاً، حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه؛ فإذا هو عامر بن عبد قيس.

أخرج ابن جرير في «تاريخه» (3/ 128) من طريق سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وغيرهم، قالوا: قال سعد رضي الله عنه: والله، إنَّ الجيش لذو أمانة، ولولا ما سبق لأهل بدر لقلت: وايْمُ الله على

فضل أهل بدر!! لقد تتَّبعتُ من أقوام منهم هَنات وهِنات فيما أحرزوا، ما أحسبها ولا أسمعها من هؤلاء القوم.

وأخرج ابن جرير في «تاريخه» (3/ 128) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: والله الذي لا إله إلا هو، ما اطَّلعنا على أحد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة، ولقد اتّهمنا ثلاثة نفر، فما رأينا كالذي هجمنا عليه من أمانتهم وزهدهم: طليحة بن خويلد، وعمرو بن معديكرب، وقيس بن المكشوح.

أخرج ابن جرير في «تاريخه» (3/ 128) عن قيس العِجْلي، قال: لمّا قُدم بسيف كسرى على عمر رضي الله عنه ومنطقته وزِبْرِجه قال: إن أقواماً أدَّوا هذا لذوو أمانة، فقال علي رضي الله عنه: إنك عففتَ، فعفتِ الرعية.

* * *

الاستنصار بالله تعالى
والقرآن العظيم والأذكار

أخرج ابن عبد الحَكَم عن زيد بن أسلم، قال: لما أبطأ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتحُ مصر، كتب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه:

«أما بعد: فقد عجبتُ لإبطائكم عن فتح مصر، تقاتلونهم منذ سنين، وما ذاك إلاّ لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحبّ عدوُّكم، وإنَّ الله تعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم، وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر، وأعلمتك أنَّ الرجل منهم مقام ألف رجل على ما أعرف؛ إلا أن يكون غيَّرهم ما غيرّ غيرهم، فإذا أتاك كتابي هذا، فاخطب الناس، وحضهم على قتال عدوهم، ورغبهم في الصبر والنية، وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس، وأمُر الناس أن يكونوا لهم صدمة رجل واحد، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة؛ فإنها ساعة تنزل فيها الرحمة ووقت الإجابة، وليعجَّ الناس إلى الله، وليسألوه النصر على عدوهم».

فلما أتى عَمْراً الكتابُ، جمع الناس، وقرأه عليهم، ثم دعا أولئك النفر، فقدَّمهم أمام الناس، وأمر الناس أن يتطهّروا، ويصلُّوا ركعتين، ثم يرغبون إلى الله، ويسألونه النصر، ففتح الله عليهم.

وعنده أيضاً عن عبد الله بن جعفر وعيّاش بن عباس، وغيرهما

- يزيد بعضهم على بعض - أن عمرو بن العاص رضي الله عنه، لمَّا أبطأ عليه فتح مصر، كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستمده، فأمده عمر بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجلٍ رجلٌ، وكتب إلى عمر بن الخطاب: إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل: على كل ألف رجل منهم مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومَسْلَمة بن مخلَّد رضي الله عنهم، واعلم أن معك اثني عشر ألف رجل، ولا يُغلب اثنا عشر ألفاً من قلّة. كذا في «الكنز» (3/ 151).

ذكر في «الكنز» (3/ 145) في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، - وسقط عنه ذكر مخرِّجه - عن عِياض الأشعري، قال: شهدت اليرموك وعليها خمسة أمراء: أبو عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حَسَنة، وخالد بن الوليد، وعِياض رضي الله عنهم - وليس عياض هذا الذي حدَّث - فقال: إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة، فكتبنا إليه: إنه قد جاش إلينا الموت، واستمددناه، فكتب إلينا: إنه قد جاءني كتابكم تستمدوني، وأنّي أدلكم على من هو أعزُّ نصراً، وأحضر جنداً، الله عز وجل، فاستنصروه؛ فإن محمداً ﷺ قد نصر يوم بدر في أقلّ من عِدَّتكم. قلت: أخرجه أحمد (1/ 49) عن عياش الأشعري... فذكر نحوه إلا أنه قال: وقال عمر: إذا كان عليكم قتال، وزاد في آخره: فإذا أتاكم كتابي هذا، فقاتلوهم ولا تراجعوني، قال: فقاتلناهم فهزمناهم وقتلناهم أربعة فراسخ، قال: وأصبنا أموالاً، فتشاورنا، فأشار علينا عِياض أن نُعطي عن كل رأس عشرة. قال: وقال أبو عبيدة: من يراهني؟ فقال شاب: أنا إن لم تغضب، قال: فسبقه، فرأيت عقيصتي أبي عبيدة تنقُزان وهو خلفه على فرس عُرْي. قال الهيثمي (6/ 213): رجاله رجال الصحيح انتهى.

وقال ابن كثير في «تفسيره» (1/ 400): وهذا إسناد صحيح. وقد أخرجه ابن حِبّان في «صحيحه» (4766) واختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه انتهى.

أخرج ابن جرير في «تاريخه» (3/ 47) من طريق سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: لما صلَّى سعد رضي الله عنه الظهر؛ أمر الغلام الذي كان ألزمه عمر رضي الله عنه إياه ـ وكان من القرّاء ـ أن يقرأ سورة الجهاد، وكان المسلمون يتعلَّمونها كلُّهم، فقرأ على الكتيبة الذين يلونه سورة الجهاد، فقُرئت في كل كتيبة، فهشَّت قلوب الناس وعيونهم، وعرفوا السكينة مع قراءتها. وعنده أيضاً من طريق سيف، عن حلاَّم، عن مسعود بن خِراش... فذكر الحديث، وفيه: وأمر سعد الناس أن يقرأوا على الناس سورة الجهاد، وكانوا يتعلَّمونها.

أخرج أبو نُعيم في «المعرفة»، وابن منده عن إبراهيم بن الحارث التميمي رضي الله عنه، قال وجَّهنا رسول الله ﷺ في سرية، فأمرنا أن نقول إذا نحن أمسينا وأصبحنا: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: 115] فقرأناها، فغنمنا وسلمنا. كذا في «الكنز» (2/ 327) قال في «الإصابة» (1/ 15) لطريق ابن منده: لا بأس بها.

أخرج ابن جرير في «تاريخه» (3/ 47) من طريق سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: قال سعد رضي الله عنه: الزمُوا مواقفَكم، لا تحركوا شيئاً حتى تصلُّوا الظهر، فإذا صلَّيتم الظهر فإني مكبِّر تكبيرةً، فكبِّروا واستعدوا. واعلموا أن التكبير لم يعطَه أحدٌ قَبْلَكُم، واعلموا أنما أُعطيتموه تأييداً لكم، ثم إذا سمعتم الثانية فكبِّروا ولتُستَتَّم عُدتكم، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا، ولينشِّط فرسانُكم الناس ليبرزوا وليطاردوا، فإذا كبّرت الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم،

وقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله. وأخرجه أيضاً من طريق سيف، عن عمرو بن الرَّيان، عن مصعب بن سعد مثله.

وعنده **أيضاً** من طريق سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: لمَّا فرغ القرّاء كبَّر سعد رضي الله عنه، فكبَّر الذين يلونه تكبيرة، وكبَّر بعض الناس بتكبير بعض، فتحشحش الناس، ثم ثنَّى فاستَتَمَّ الناس، ثم ثلَّث فبرز أهلُ النَّجَدات، فأنشبوا القتال. فذكر الحديث.

* * *

الاستنصار بشعر النبي ﷺ

أخرج الطبراني (4/ 3804) عن جعفر بن عبد الله بن الحكم، أن خالد بن الوليد رضي الله عنه فقد قلنسوة له يوم اليرموك، فقال: اطلبوها. فلم يجدوها، فقال؛ اطلبوها. فوجدوها؛ فإذا هي قلنسوة خَلَقة، فقال خالد: اعتمر رسول الله ﷺ، فحلق رأسه، فابتدر الناس جوانب شعره، فسبقتهم إلى ناصيته، فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلَّا رُزقت النصرة. قال الهيثمي (9/ 349): رواه الطبراني وأبو يَعْلى (13/ 7183) بنحوه ورجالهما رجال الصحيح، وجعفر سمع من الصحابة؛ فلا أدري سمع من خالد أم لا. انتهى. وأخرجه الحاكم (3/ 299) عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه مثله، قال الذهبي: منقطع. وأخرجه أبو نُعيم في «الدلائل» (ص 159) عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه مثله.

وذكر في «الكنز» (7/ 31) عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه، قال: كان في قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله عنه من شعر رسول الله ﷺ، فقال خالد: ما لقيتُ قوماً قط وهي على رأسي، إلا أعطيت الفلج. رواه أبو نُعيم.

* * *

المنافسة في الفضائل

أخرج ابن جرير في «تاريخه» (3/ 70) من طريق سيف، عن عبد الله بن شُبْرُمة، عن شقيق، قال: اقتحمنا القادسية صدر النهار، فتراجعنا وقد أتى الصلاة، وقد أصيب المؤذِّن، فتشاحَّ الناس في الأذان، حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيوف، فأقرع سعد رضي الله عنه بينهم، فخرج سهم رجل، فأذَّن.

* * *

الاستخفاف ببهجة الدنيا وزينتها

أخرج الحاكم (3/ 293) في حديث طويل عن مَعْقِل بن يَسَار في فتح أصبَهان في إمارة النعمان بن مقرّن رضي الله عنه، وفيه: فأتاهم النعمان وبينه وبينهم نَهَر، فبعث إليهم المغيرة بن شعبة رضي الله عنه رسولاً، وملكهم ذو الحاجبين، فاستشار أصحابه، فقال: ما ترون أقعدُ لهم في هيئة الحرب أو في هيئة الملك وبهجته؟ فجلس في هيئة الملك وبهجته على سريره، ووضع التاج على رأسه، وحوله سِماطان عليهم ثياب الديباج والقِرَطة والأسورة، فجاء المغيرة بن شعبة فأُخذ بِضَبْعيه، وبيده الرمح والترس، والناس حوله سِماطان على بساط له، فجعل يطعنه برمحه، فخرّقه لكي يتطيّروا، فقال له ذو الحاجبين: إنكم يا معشر العرب أصابكم جوع شديد وجَهْد فخرجتم؛ فإن شئتم مِرْناكم ورجعتم إلى بلادكم. فتكلَّم المغيرة فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إنا كنا معشر العرب نأكل الجيفة والميتة، وكان الناس يطؤونا ولا نطؤهم، فابتعث الله منا رسولاً في شرف منا، أوسَطَنا وأصدقَنا حديثاً، وإنه وعدنا أن ههنا ستفتح علينا، وقد وجدنا جميع ما وعدنا حقاً، وإني لأرى ههنا بزّة وهيئة ما يرى مَنْ خلفي بذاهبين حتى يأخذوه... الحديث. وأخرجه الطبراني (20/ 861) عن معقل نحوه بطوله. قال الهيثمي (6/ 217): رجاله رجال الصحيح غير علقمة بن عبد الله المزني وهو ثقة.

أخرج ابن جرير في «تاريخه» (3/ 33) من طريق سيف، عن محمد وطلحة وعمرو وزياد بإسنادهم، قالوا: أرسل سعد إلى المغيرة بن شعبة وذَكَر جماعة، فقال: إني مرسلكم إلى هؤلاء القوم فما عندكم؟ قالوا

جميعاً: نتَّبع ما تأمرنا به، وننتهي إليه؛ فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنا أمثل ما ينبغي وأنفعه للناس، فكلَّمناهم به. فقال سعد: هذا فعل الحَزَمة، اذهبوا فتهيؤوا. فقال رِبعيّ بن عامر: إنَّ الأعاجم لهم آراء وآداب، ومتى نأتهم جميعاً يَروا أنا قد احتفلنا بهم؛ فلا تزِدهم على رجل، فمالؤوه جميعاً على ذلك، فقال: فسرِّحوني، فسرَّحه، فخرج ربعي ليدخل على رستم عسكره، فاحتبسه الذين على القنطرة، وأُرسل إلى رستم لمجيئه، فاستشار عظماء أهل فارس، فقال: ما ترون؟ أنباهي أم نتهاوَن؟ فأجمع ملؤهم على التهاون، فأظهروا الزِّبْرِج؛ وبسطوا البُسُط والنِّمارق، ولم يتركوا شيئاً، ووضع لرستم سرير الذهب، وألبس زينته من الأنماط والوسائد المنسوجة بالذهب، وأقبل رِبعي يسير على فرس له زَبّاء قصيرة، معه سيف له مَشُوف وغِمده لفافةُ ثوب خَلَق، ورمحه معلوب بقِدّ معه حَجَفة من جلود البقر، على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف، ومعه قوسه ونبله، فلما غشي الملكَ وانتهى إليه وإلى أدنى البُسُط، قيل له: انزل، فحملَها على البساط، فلما استوت عليه، نزل عنها وربطها بوسادتين فشقَّهما، ثم أدخل الحبل فيهما، فلم يستطيعوا أن ينهوه، وإنما أروه التهاون وعرف ما أرادوا، فأراد استخراجهم، وعليه درع له كأنها أضاة، ويَلْمَقُه عباءة بعيره، قد جابها وتدرَّعها وشدَّها على وسطه بسَلَب وقد شدّ رأسه بِمعجَرته - وكان أكثر العرب شعرة - ومِعجَرته نِسْعة بعيره، ولرأسه أربع ضفائر قد قمنَ قياماً، كأنهن قرون الوَعِلة، فقالوا: ضَعْ سلاحك، فقال: إني لم آتكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتموني، فإن أبيتم أن آتيكم إلا كما أريد وإلا رجعت. فأخبروا رستم فقال: ائذنوا له، هل هو إلا رجل واحد؟! فأقبل يتوكّأ على رمحه؛ وزُجُّه نَصْلٌ، يقارب الخَطْو، ويزج النمارق والبُسُط، فما ترك لهم نُمرقة ولا بساطاً إلا أفسده وتركه منهتكاً مخرَّقاً، فلما دنا من رستم تعلَّق به

الحرس، وجلس على الأرض وركز رمحَه بالبُسُط، فقالوا: ما حملك على هذا؟ قال: إنا لا نستحب القعود على زينتكم هذه. فكلّمه فقال: ما جاء بكم؟ قال: الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنُخرجَ من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضِيق الدنيا إلى سَعَتها، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام... فذكر الحديث كما تقدم في دعوة الصحابة في عهد عمر إلى أن قال: فقال: - رستم -: ويحكم لا تنظروا إلى الثياب، ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسِّيرة: إنَّ العرب تستخف باللباس والمأكل ويصونون الأحساب، ليسوا مثلكم في اللباس، ولا يَرون فيه ما ترَون، وأقبلوا إليه يتناولون سلاحه ويزهِّدونه فيه، فقال لهم: هل لكم إلى أن تروني فأريَكم؟ فأخرج سيفه من خِرقه كأنه شُعلة نار، فقال القوم: اغمِده، فغمده، ثم رمى ترساً ورموا حَجَفَتَهُ، فخُرق ترسُهم، وسلمت حَجَفَتُهُ، فقال: يا أهل فارس، إنكم عظَّمتم الطعام واللباس والشراب، وإنَّا صغرناهنَّ. ثم رجع إلى أن ينظروا إلى الأجل.

فلما كان من الغد بعثوا: أن ابعث إلينا ذلك الرجل، فبعث إليهم سعدٌ حذيفة بن مِحْصَن فأقبل في نحو من ذلك الزِّيّ، حتى إذا كان على أدنى البساط، قيل له: انزل، قال: ذلك لو جئتكم في حاجتي، فقولوا لملككم: ألَهُ الحاجة أم لي؟ فإن قال: لي، فقد كذب، ورجعت وتركتكم، فإن قال: له، لم آتكم إلا على ما أحب. فقال: دَعُوه؛ فجاء حتى وقف عليه، ورستم على سريره، فقال: انزل. فقال: لا أفعل. فلما أبى سأله: ما بالُك جئت ولم يجيء صاحبنا بالأمس؟ قال: إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدَّة والرَّخاء، فهذه نَوْبتي. قال: ما جاء بكم؟ قال: إنَّ الله عز وجل مَنَّ علينا بدينه، وأرانا آياته، حتى عرفناه وكنا له منكرين، ثم أمرنا بدعاء الناس إلى واحدة من ثلاث؛ فأيها أجابوا إليها قبلناها: الإسلام وننصرف عنكم، أو الجِزَاء ونمنعكم إن احتجتم إلى ذلك، أو المنابذَة، فقال: أو الموادعة إلى

يوم ما؟ فقال: نعم، ثلاثاً من أمس. فلمَّا لم يجد عنده إلا ذلك ردّه وأقبل على أصحابه، فقال: ويحكم!! ألا ترون إلى ما أرى؟ جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا، وحقَّر ما نعظِّم، وأقام فرسه على زِبْرِجنا وربطه به، فهو في يُمْنِ الطائر، ذهب بأرضنا وما فيها إليهم، مع فَضْل عقله!! وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا، فهو في يُمنِ الطائر، يقول على أرضنا دونَنا، حتى أغضبهم وأغضبوه. فلما كان من الغد أرسل: ابعثوا إلينا رجلاً، فبعثوا إليهم المغيرة بن شعبة.

ثم أخرج ابن جرير (3/ 36) من طريق سيف عن أبي عثمان النَّهْدي، قال: لمَّا جاء المغيرة إلى القنطرة فعبرها إلى أهل فارس حبسوه واستأذنوا رستم في إجازته، ولم يغيِّروا شيئاً من شارتهم تقوية لتهاونهم، فأقبل المغيرة بن شعبة والقوم في زيِّهم، عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب، وبُسُطهم على غَلْوة لا يصل إلى صاحبهم، حتى يمشي عليهم غلْوة، وأقبل المغيرة له أربع ضفائر يمشي، حتى جلس معه على سريره ووسادته، فوثبوا عليه فترتروه وأنزلوه ومغثوه، فقال: كانت تَبْلغنا عنكم الأحلام، ولا أرى قوماً أسفَه منكم، إنا معشر العرب سَواء لا يستعبد بعضنا بعضاً؛ إلا أن يكون محارباً لصاحبه، فظننت أنكم تُواسون قومكم كما نتواسَى، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا نصنعه، ولم آتِكم، ولكن دعوتموني، اليوم علمت أن أمركم مضمحل، وأنكم مغلوبون، وأن مُلْكاً لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول. فقالت السَّفِلة: صدق والله العربي. وقالت الدهاقين: والله لقد رمى بكلام لا يزال عبيدُنا ينزعون إليه!! قاتل الله أوَّلينا، ما كان أحمقهم حين كانوا يصغِّرون أمر هذه الأمة... فذكر الحديث في كلام رستم وما أجابه المغيرة.

عدم الالتفات إلى كثرة العدو وما عنده

أخرج البيهقي (4/ 362) من طريق الواقدي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدت مؤتة، فلما دنا منّا المشركون، رأينا ما لا قِبَل لأحدٍ به من العدّة والسلاح والكُراع والديباج والحرير والذهب، فبرق بصري، فقال لي ثابت بن أقرم رضي الله عنه: يا أبا هريرة، كأنك ترى جموعاً كثيرة!! قلت: نعم، قال إنك لم تشهد بدراً معنا، إنا لم ننصر بالكثرة. كذا في «البداية» (4/ 244). وذكره في «الإصابة» (1/ 190) عن الواقدي مقتصراً على قول ثابت.

أخرج الطيالسي من طريق الواقدي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: كتب أبو بكر رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص:

«سلام عليك، أما بعد: فقد جاءني كتابك تذكر ما جمعت الروم من الجموع، وإنَّ الله لم ينصرنا مع نبيه ﷺ بكثرة عدد ولا بكثرة جنود، وقد كنا نغزو مع رسول الله ﷺ وما معنا إلا فرسان؛ وإن نحن إلا نتعاقب الإبل، وكنا يوم أحد مع رسول الله ﷺ وما معنا إلا فرس واحد؛ كان رسول الله ﷺ يركبه، ولقد كان يظهرنا ويعيننا على من خالفنا؛ واعلم يا عمرو أن أطوَع الناس لله أشدُّهم بغضاً للمعاصي؛ فأطِع الله ومُرْ أصحابك بطاعته».

كذا في «الكنز» (3/ 135). وأخرجه الطبراني في «الأوسط» عن عبد الله بن عمرو بن العاص نحوه. قال الهيثمي (6/ 117): وفيه

الشاذَكوني والواقدي وكلاهما ضعيف. انتهى.

أخرج ابن جرير في «تاريخه» (2/ 594) عن عبادة وخالد رضي الله عنهما، قالا: قال رجل لخالد: ما أكثرَ الروم وأقل المسلمين؟! فقال خالد: ما أقلَّ الروم وأكثر المسلمين؟! إنما تكثرُ الجنود بالنصر وتقلّ بالخِذلان لا بعدد الرجال، والله لوددتُ أن الأشقر بَرَاءٌ من تَوَجُّيهِ، وأنهم أضعفوا في العدد، وكان فرسه قد حَفِيَ في مسيره.

* * *

ماذا قالت الأعداء في غلبة الصحابة عليهم

أخرج البيهقي (8/ 175) عن الزُّهري قال: لمّا استخلف الله أبا بكر رضي الله عنه وارتد من ارتد من العرب عن الإسلام، خرج أبو بكر غازِياً، حتى إذا بلغ نَقْعاً من نحو البقيع، خاف على المدينة، فرجع وأمَّر خالد بن الوليد بن المغيرة سيف الله، وندب معه الناس، وأمره أن يسير في ضاحية مُضَر، فيقاتل من ارتد منهم عن الإسلام، ثم يسير إلى اليمامة فيقاتل مسيلمة الكذاب. فسار خالد بن الوليد، فقاتل طليحة الكذاب الأسديَّ، فهزمه الله، وكان قد اتبعه عُيينة ابن حِصن بن حذيفة - يعني الفَزاري - فلما رأى طليحة كثرة انهزام أصحابه، قال: ويلكم! ما يهزمكم؟ قال رجل منهم: وأنا أحدِّثك ما يهزمنا؛ إنه ليس منا رجل إلا وهو يحب أن يموت صاحبُهُ قبلَه، وإنَّا لنلقى قوماً كلُّهم يحب أن يموت قبل صاحبه. وكان طليحة شديد البأس في القتال، فقتلَ طُليحةُ يومئذٍ عُكَّاشَةَ بن مِحْصَن رضي الله عنه وابنَ أقرم. فلما غلب الحقُّ طليحةَ، ترجَّل ثم أسلم، وأهلَّ بعمرة. . . فذكر الحديث.

أخرج الطبراني عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: خرج جيش من المسلمين أنا أميرهم حتى نزلنا الإسكندرية، فقال صاحبها: أخرجوا إليَّ رجلاً منكم أكلِّمه، ويكلِّمني. فقلت: لا يخرج إليه غيري. فخرجت ومعي ترجمان ومعه ترجمان، حتى وُضع لنا منبران، فقال: من أنتم؟ فقلنا: نحن العرب، ونحن أهل الشوك والقَرَظ، ونحن أهل بيت

الله، كنا أضيق الناس أرضاً، وأشده عيشاً، نأكل الميتة، ويُغير بعضنا على بعض، بشر عيش عاش به الناس؛ حتى خرج فينا رجل ليس بأعظمنا يومئذٍ شرفاً، ولا أكثرنا مالاً، فقال: أنا رسول الله، يأمرنا بما لا نعرف، وينهانا عما كنا عليه، وكانت عليه آباؤنا، فشَنِفنا له، وكذَّبناه، ورددنا عليه مقالته، حتى خرج إليه قوم من غيرنا، فقالوا: نحن نصدِّقك، ونؤمن بك، ونتَّبعك، ونقاتل من قاتلك فخرج إليهم وخرجنا إليه، فقاتلناه فقتَلَنا وظهر علينا وغلبنا، وتناول من يليه من العرب، فقاتلهم حتى ظهر عليهم، فلو يعلم مَنْ ورائي ما أنتم فيه من العيش لم يبق أحد إلا جاءكم، حتى يَشْرَككم فيما أنتم فيه من العيش؛ فضحك ثم قال: إن رسولكم قد صدق، قد جاءتنا رسلنا بمثل الذي جاءكم به رسولكم، فكنّا عليه حتى ظهر فينا ملوك، فجعلوا يعملون فينا بأهوائهم، ويتركون أمر الأنبياء، فإن أنتم أخذتم بأمر نبيكم لم يقاتلكم أحد إلا غلبتموه، ولم يتناولكم أحد إلا ظهرتم عليه، فإذا فعلتم مثل الذي فعلنا، وتركتم أمر الأنبياء، وعملتم مثل الذي عملوا بأهوائهم، خلَّى بيننا وبينكم، فلم تكونوا أكثر منا عدداً ولا أشد منا قوة. قال عمرو بن العاص: فما كلمت رجلاً أذْكَرَ منه. قال الهيثمي (6/ 218): وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات. انتهى. وأخرجه أبو يَعْلَى (13/ 7353) عن علقمة بن وقّاص قال: قال عمرو بن العاص... فذكر نحوه. قال الهيثمي (8/ 238): رجاله رجال الصحيح غير عمرو بن علقمة وهو ثقة. انتهى.

أخرج أحمد بن مروان بن المالكي في «المجالسة»، عن أبي إسحاق، قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبت لهم العدو فُوَاق ناقة عند اللقاء، فقال هرقل وهو على أنطاكية لمّا قدمتْ منهزمةُ الرومِ:

ويلكم!! أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم؟! قالوا: بلى، قال: فأنتم أكثر أم هم؟! قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن. قال: فما بالكم تنهزمون؟! فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويُوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهَون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنَّا نشرب الخمر، ونزني ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغصب، ونظلم، ونأمر بالسُّخط، وننهى عما يرضي الله، ونفسد في الأرض، فقال: أنت صدقتني. كذا في «البداية» (7/ 15). وأخرجه ابن عساكر (1/ 143) عن ابن إسحاق بنحوه.

قال الوليد بن مسلم. أخبرني من سمع يحيى بن يحيى الغسَّاني يحدِّث عن رجلين من قومه، قالا: لما نزل المسلمون بناحية الأردن تحدّثنا بيننا أن دمشق ستحاصر، فذهبنا نتسوّق منها قبل ذلك، فبينا نحن فيها؛ إذ أرسل إلينا بِطْريقها، فجئناه، فقال: أنتما من العرب؟ قلنا: نعم، قال: وعلى النصرانية؟ قلنا: نعم، فقال: ليذهب أحدكما فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورأيهم، وليثبت الآخر على متاع صاحبه. ففعل ذلك أحدنا، فلبث ملياً ثم جاءه، فقال: جئتك من عند رجال دِقاق، يركبون عتاقاً؛ أما الليل فرهبان، وأما النهار ففرسان، يريشون النبل ويبرونها ويثقِّفون القنا، لو حدثتَ جليسك حديثاً ما فهمه عنك؛ لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر؛ قال: فالتفت إلى أصحابه وقال: أتاكم منهم ما لا طاقة لكم به. كذا في «البداية» (7/ 15). وأخرجه ابن عساكر (1/ 143) عن يحيى بن يحيى الغسّاني بنحوه. وفي روايته: مِشَاقاً بدل عِتَاقاً، ويقوّمون القنا بدل يثّقفون.

أخرج ابن جرير في «تاريخه» (2/ 610) عن عروة قال: لمّا

تداني العسكران بعث القُبُقْلار رجلاً عربياً، قال: فحُدِّثت أن ذلك الرجل رجل من قضاعة من تَزِيد بن حَيْدان يقال له ابن هُزارف، فقال: ادخل في هؤلاء القوم، فأقم فيهم يوماً وليلة، ثم ائتني بخيرهم، قال: فدخل في الناس رجل عربي لا ينكر، فأقام فيهم يوماً وليلة، ثم أتاه، فقال له: ما وراءك؟ قال: بالليل رهبان وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رُجم لإقامة الحق فيهم. فقال له القُبُقْلار: لئن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها، ولوددتُ أن حظي من الله أن يخلّي بيني وبينهم فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم عليَّ.

أخرج ابن جرير في «تاريخه» (3/ 45) عن ابن الرُّفَيل قال: لما نزل رستم النَّجف، بعث منها عَيْناً إلى عسكر المسلمين، فانغمس فيهم بالقادسية كبعض من ندَّ منهم، فرآهم يستاكون عند كل صلاة، ثم يصلُّون فيفترقون إلى مواقفهم، فرجع إليه فأخبره بخبرهم وسيرتهم، حتى سأله: ما طعامهم؟ فقال: مكثت فيهم ليلة لا والله ما رأيت أحداً منهم يأكل شيئاً، إلا أن يمصوا عيداناً لهم حين يمسون وحين ينامون وقبيل أن يصبحوا. فلما سار فنزل بين الحصن والعتيق، وافقهم وقد أذَّن مؤذن سعد الغداة، فرآهم يتحشحشون، فنادى في أهل فارس أن يركبوا، فقيل له: ولم؟ قال: أما ترون إلى عدوكم قد نودي فيهم، فتحشحشوا لكم. قال عينُه ذلك: إنَّما تحشحشهم هذا للصلاة، فقال بالفارسية، وهذا تفسيره بالعربية: أتاني صوت عند الغداة؛ وإنما هو عمر الذي يكلم الكلاب فيعلمهم العقل. فلما عبروا تواقفوا وأذَّن مؤذن سعد للصلاة، فصلّى سعد رضي الله عنه، وقال رستم: أكل عمر كبدي.

قال ابن جرير أيضاً (3/ 99): ذكر سيف، عن أبي الزهراء

القُشَيري، عن رجل من بني قُشَير، قال: لما خرج هرقل نحو القسطنطينية، لحقه رجل من الروم كان أسيراً في أيدي المسلمين، فأفلتَ، فقال: أخبرني عن هؤلاء القوم؟ فقال: أحدثك كأنك تنظر إليهم: فرسان بالنهار، ورهبان بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربهم حتى يأتوا عليه. فقال: لئن كنت صدقتني ليرثُنَّ ما تحت قدميّ هاتين.

ذكر ابن جرير أيضاً في «تاريخه» (3/ 249) أن يزدجرد كتب إلى ملك الصين يستمده، فقال للرسول: قد عرفتُ أنَّ حقاً على الملوك إنجاد الملوك على من غلبهم، فصف لي صفة هؤلاء القوم الذين أخرجوكم من بلادكم؛ فإني أراك تذكر قلّة منهم وكثرة منكم، ولا يبلغ أمثال هؤلاء القليل الذين تصف منكم فيما أسمع من كثرتكم؛ إلا بخير عندهم وشر فيكم. فقلت: سلني عما أحببت؟ فقال: أيوفون بالعهد؟ قلت: نعم، قال: وما يقولون لكم قبل أن يقاتلوكم؟ قلت: يدعوننا إلى واحدة من ثلاث: إما دينهم فإن أجبناهم أجْرَوْنا مُجراهم، أو الجزية والمَنَعة، أو المنابذة؛ قال: فكيف طاعتهم أمراءَهم؟ قلت: أطْوَعُ قوم لمرشدهم. قال: فما يحلُّون وما يحرِّمون؟ فأخبرته، فقال: أيحرِّمون ما حُلِّل لهم أو يُحِلُّون ما حُرِّم عليهم؟ قلت: لا. قال: فإن هؤلاء القوم لا يهلِكون أبداً حتى يُحِلُّوا حرامهم ويُحَرِّموا حلالهم؛ ثم قال: أخبرني عن لباسهم، فأخبرته؛ وعن مطاياهم، فقلت: الخيل العِرَاب، ووصفتها، فقال: نعمت الحصون هذه، ووصفت له الإبل وبروكها وانبعاثها بحِمْلها، فقال: هذه صفة دوابٍّ طوال الأعناق. وكتب إلى يزدجرد: إنّه لم يمنعني أن أبعث إليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين الجهالةُ بما يحق عليَّ؛ ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال

لهدُّوها، ولو خُلِّي لهم سَرِبهم أزالوني ما داموا على ما وصف، فسالمهم، وارض منهم بالمساكنة، ولا تُهِجْهُمْ ما لم يهيجوك.

* * *

وهذا آخر ما أردنا في هذا الكتاب، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله:

اللهمَّ لولا أنتَ ما اهتدينَا ... ولا تصدَّقْنَا ولا صلَّينَا

فأنزلَنْ سكينةً علينا ... إذا أرادوا فِتنةً أبَينَا

وبهذا تمّ كتاب «حياة الصحابة» على يد العبد الضعيف محمد يوسف ـ سلّمه الله تعالى من التلهف والتأسُّف ـ يوم الأربعاء في شهر الله المحرم سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها ألف ألف صلاة وتحيَّة.

* * *

المجلد الثاني عشر

* * *

فهرس المحتويات

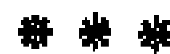
المجلد الأول

* * *

المجلد الثاني

* * *

المجلد الثالث



المجلد الرابع

* * *

المجلد الخامس

* * *

المجلد السادس

* * *

المجلد السابع

* * *

المجلد الثامن

* * *

المجلد التاسع

* * *

المجلد العاشر

* * *

المجلد الحادي عشر

* * *

المجلد الثاني عشر

* * *